

إبراهيم أبو عواد
حياة الأدباء والفلاسفة العالميين

مقدمة

إن هذا الكتاب محاولة بسيطة وموجزة لاستعراض أهم الأسماء في عالم الأدب والفكر والثقافة والفلسفة، مع نبذة سريعة عن حياتهم الشخصية وأبرز محطاتها، وأهم أعمالهم الإبداعية . ومع هذا ، فأنا لا أبرئ نفسي من السهو والضعف والتقصير ، وأدرك تمامًا أن هناك أسماء مهمة لا يشتمل عليها هذا الكتاب ، لسبب بسيط ، وهو أن عدد صفحات الكتاب محدودة ، أما الأدباء والفلاسفة أصحاب المكانة والتأثير فكثيرون، ولا يمكن الإحاطة بهم بشكل كامل . كما أن القدرات الإنسانية محدودة وعاجزة عن الإحاطة الكُلّية ، ولا تستطيع الوصول إلى الشمولية الكاملة ، ونحن نقرب من الكمال ، ونعلم أننا لن نصل إليه ، وهذا _ بحد ذاته _ إنجاز مهم ، لأن السير إلى الكمال كمالٌ ، في ظل ضعف العقل البشري ومحدوديته وعجزه ونقصه .

ومن أجمل العبارات في هذا السياق ما قاله القاضي البيساني _ ويُنسب بالخطأ إلى العماد الأصفهاني _ : ((إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتابًا في يومه إلا قال في غده : لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يُستحسن ، ولو قُدّم هذا لكان أفضل ، ولو تُركّ هذا لكان أجمل . وهذا أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جُملة البشر)) .

وهذا الكتاب لا يشتمل على دراسات فكرية عميقة ، ولا يتناول تحليلات أدبية دقيقة ، ولا يتعاطى مع القضايا الفلسفية المتشعبة بالفحص والدراسة والتّحصيل ، وإنما هو استعراض للسير الذاتية للأدباء والفلاسفة العالميين بشكل مُختصر ، وذكر لأهم مراحل حياتهم ودراساتهم ، مع تسليط الضوء على أهم أفكارهم وعقائدهم وقناعاتهم دون الخوض في تفاصيلها وتشعباتها . وقد أردتُ أن يكون هذا الكتاب دليلًا مُرشّدًا للمثقفين على اختلاف أعمارهم ودرجاتهم الفكرية ، من أجل الاطلاع على مُعانة الأدباء والفلاسفة ، والوقوف على جهودهم الجبارة في سبيل طلب العلم والمعرفة ، وتعميق منظومة التعلم والتعليم .

ولا شك أن الإنسان عندما يقرأ عن سير أصحاب العقول والأفكار والآراء ، فإنه يتحمّس ، ويزداد إصرارًا على طلب العلم ، والتّزود بالمعرفة ، ويغدو في طريق الثقافة غير عابئ بالمصاعب والمشكلات والتحديات .

والهدف من ذكر سير الرجال العظام هو التّأسي لا التّسلّي ، فهؤلاء قد تركوا بصمة مهمة في تاريخ البشرية ، وحفروا أسماءهم في قلب الحضارة الإنسانية ، وتميّزوا عن غيرهم بالذكاء ، وكثرة

العلم ، وتطبيقه ، ونشر الأفكار ، وممارسة التّظهير المعرفي، وصياغة الأفكار والمبادئ والنظريات. لذلك ، ينبغي الاقتداء بهم في الخير والحق والعلم النافع ، والاستفادة من تجاربهم ومناهجهم العقلية في الإبداع والتفكير والتحليل والاستنباط ، وأخذ الدروس والعبر من تفاصيل حياتهم الفكرية والعملية .

إن هذا الكتاب مُجرّد إضاءات على طريق الأدب والفلسفة ، ويندرج تحت عنوان " الثقافة العامة المُبسّطة " . أمّا مَنْ أراد التّبحر في السّير الشخصية ، والغوص في الأفكار والفرضيات والنظريات بشكل مُوسّع ، فعليه أن يُراجع الكتب المنهجية المتخصصة ، والمراجع الكُبرى التي تبحث في كل صغيرة وكبيرة بالأدلة والحجج والبراهين .

وقطعًا ، هذا الكتاب " حياة الأدباء والفلاسفة العالميين " ليس منها ، ولم يُكتب ليكون كتابًا متخصصًا ، ولا مرجعًا في مُناقشة الأفكار ، ومُقارعة الحُجّة بالحجة . فالهدف من هذا الكتاب هو استعراض سريع لتراجم الأدباء والفلاسفة ، وهو عبارة عن رؤوس أقلام ، وومضات مُضيئة تُرشد إلى الطريق ، ولكنها لا تكشف تفاصيل الطريق . ومَنْ أراد اكتشاف تفاصيل الطريق ، عليه أن يمشي فيه .

وقد أردتُ أن يصل هذا الكتاب إلى أوسع شريحة مُمكنة من الجمهور ، بعيدًا عن التعقيد اللفظي ، أو العبارات التي لا يعرفها إلا المتخصّصون . وأرجو أن أكون قد نجحتُ في مساعي . ومهما يكن من أمر ، فإن شرف المحاولة يكفي .

والجدير بالذكر أنني اعتمدتُ لإعداد هذا الكتاب على الموسوعات الشهيرة المنتشرة على شبكة الإنترنت ، وهي : موسوعة ويكيبيديا (العربية والإنجليزية) ، وموسوعة المعرفة ، والموسوعة العربية ، وموسوعة قناة الجزيرة . كما اعتمدتُ على المواقع الإلكترونية للصحف والمجلات .

وقد قُمتُ بترتيب أسماء الشخصيات حسب الأحرف الهجائية ، لذلك فإن الترتيب لا يتعلق بأهمية الشخصية ، أو المستوى الفكري ، أو القيمة المعرفة ، أو المكانة العلمية ، أو قوة التأثير ، أو الشهرة والنفوذ . وإنما يعتمد على أحرف الأسماء ، بعيدًا عن المُفاضلة بين الشخصيات ، أو المقارنة بينها ، أو بيان مَنْزلة كُلٍّ منها في عالم الأدب والفلسفة .

إبراهيم أبو عواد

إدغار آلان بو وحياة التشرد

وُلد الأديب الأمريكي إدغار آلان بو (١٨٠٩ _ ١٨٤٩) في بوسطن . وكان الطفل الثاني لِمُمَثِّلَيْن . هجر والده الأسرة في عام ١٨١٠ ، وتُوَفِّيَت والدته في العام التالي ، فأصبح يتيماً . وقامت إحدى الأُسَر برعايته والاعتناء به ، رغم عدم تَبَنِيهِ رسمياً . وكان هناك مشكلات بين بو والأسرة الحاضنة ، وفي النهاية انفصل عنها .

فازَ بو في مسابقة أدبية ، حيث كتب قصة قصيرة في سن الرابعة والعشرين ، وأصبح بالتالي ناقدًا أدبيًا لمجلة (رسول الأدب الجنوبي) . وفي سن السابعة والعشرين ، تزوج ابنة عمّه التي كانت تبلغ من العُمُر في ذلك الوقت ثلاثة عشر عامًا .

أصبح بو مشهورًا في جميع أنحاء الولايات المتحدة حين نشر قصيدته "الغراب" (١٨٤٥) . لكن حياته انهارت بسبب إدمانه الشديد على الخمر ، وصارت سُمعته سيئة للغاية في مجتمع القرن التاسع عشر المحافظ .

بعد وفاة زوجته في عام ١٨٤٧ ، انهارَ بو عاطفيًا ، وتُوَفِّيَ بعد ذلك بعامين ، في سن الأربعين ، في أحد شوارع مدينة بالتيمور . وقد هاجمه النُّقاد بشدة بسبب مُعاقرة الخمر ، واتَّهموه بأنه مدمن على المخدَّرات . وقال البعضُ إنه يجب أن لا يُترك الجمهور مع رجل مثله ، غير مستقر نفسيًا وعقليًا ، يجلس في غرفة معتمة ، مع غراب على بابه ، وزجاجة على طاولته ، وأنبوب مليء بالأفيون . كان بو واحدًا من أفضل الكُتّاب في تاريخ الأدب الأمريكي . وكان يُؤثِّر الوُحدة في حياته ، ويُعبِّر عنها ببلاغة في قصائده الشعريّة . وكتاباتُه تجعل القارئ يتفاعل معه عاطفيًا .

في كُلِّ ما كُتِب بو مِن قصص وقصائد ، تبرز نقاط توتره وكآبته وقلقه ومواهبه الخارقة التي شكَّلت شخصيته الإبداعية المغايرة ، التي لم يُفْلِح الدارسون حتى اليوم في تفكيك كل ألغازها ، وفي دخول كُلِّ سراديبها . فكتابات بو غاية في الصعوبة والجمالية .

كان بو في نظر أبناء جيله رمز الشاعر الملعون ، ورمز الشاعر المتسكع المعاكس للتيار ، المشاغب في الكتابة الشعرية ، المخرب في النشر ، المتمرد على كل المدارس الأدبية والشعرية السابقة له ، المدمن والمغامر والمتفلت مِن كل القوانين ، الثائر على التقليد ، الحزين حتى الموت ، الكئيب حتى الثمالة ، والمتألم والمحب والعاشق حتى الجنون . وقد أگدت إحدى الدراسات على أنه بو لم يستفد مِن كُتبه كُلِّها على مدار حياته سوى ثلاثمئة دولار فقط لا غير .

في كل مراحل حياته ، لم يُفلح بو في تأمين عمل يساعده على سد نفقات معيشتة وذُيونه المتراكمة ، الأمر الذي ساهم في عودته الدائمة إلى الإدمان. ومع أنه عمل صحفياً في أكثر من مجلة إلا أن ذلك لم يساعده سوى على نشر بعض أعماله الأدبية فيها ، فنشر أولى مجموعاته القصصية في مجلة "برتون جنتلمان " عام ١٨٤٠ ، ثم انتقل ليصبح رئيس تحرير مجلة أخرى نشر فيها روايته البوليسية "جريمة قتل في المشرحة" التي سُرعان ما تُرجمت إلى الفرنسية وتناولتها الصحف بمقالات نقدية إيجابية . إلا أن الخطوة الأولى نحو النجاح كانت مع نيبله جائزة "جريدة فيلادلفيا" وكانت تبلغ يومذاك مئة دولار عن قصة "الحشرة الذهبية" ، ثم عمل في مجلة "غراهام" لتركها بعد عام ويعود إلى نيويورك لينشر قصيدته "الغراب" التي بدأت معها شهرته في الأوساط الأدبية من دون أن يساعده ذلك على النهوض من غرقه في الدُيون الهائلة .

تتكرر معظم موضوعاته حول مسائل الموت ، بما في ذلك علاماته الجسدية وآثار التحلل ، والمخاوف من الدفن السابق لأوانه ، أو " القتل رحيم " ، والإنعاش من الموت، والجُداد . وتُعتبر كثير من أعماله جزءاً من هذا النوع من الرومانسية السوداء ، وهي ردّة فعل أدبية للفلسفة المتعالية التي كرهها بو بشدة .

في مرحلة ما بعد الرُعب ، اتّجه بو نحو الأسلوب الساخر والحكايات الفكاهية والخدع . ولإضفاء طابع كوميدي ، استخدم السُخرية ببذخ في كثير من الأحيان في محاولة منه لتحرير القارئ من المطابقة الثقافية . كما أعاد بو ابتكار الخيال العلمي في استجابة للتكنولوجيا التي ظهرت في ذلك الوقت مثل مناطيد الهواء .

من أشهر أعماله : حُلُم داخل حُلُم (١٨٢٧).الدودة الفاتحة(١٨٣٧). بعض كلمات مع مُومياء (١٨٤٥) . أنابيل لي (١٨٤٩).

إدغار رايس بوروس وشخصية طرزان

وُلد الكاتب إدغار رايس بوروس (١٨٧٥ - ١٩٥٠) في شيكاغو ، إلينوي . درس في عدد من المدارس المحلية ، ثم انتسب إلى أكاديمية فيليبس في أندوفر ، ماساتشوستس . وبعدها تخرّج في أكاديمية ميتشيغان العسكرية في عام ١٨٩٥ ، ثم أصبح عضوًا في فوج الخيّالة السابع ، لكن حياته العسكرية انتهت عندما اكتشف الأطباء مشكلةً في قلبه ، فتمّ تسريحه من الخدمة العسكرية .

انتقل من مهنة لأخرى حتى عمل بائعًا للقرطاسية. في أحد الأيام ، وعندما كان بانتظار صاحب متجر لبيعه بعض من منتجات الشركة التي كان يُمثّلها ، وقع نظره على مجلة قصص مُصوّرة ، وبدأ يطلع عليها. ويقول في مذكراته إنه بدأ يُفكّر بصوت عالٍ قائلاً: ((إذا كان الكُتّاب يقبضون ثمنًا لكتابة مثل هذه الخزعات ، فإن بإمكانني كتابة خزعات احسن من هذه)) .

كانت أول قصصه بعنوان " أميرة المريخ " (١٩١٢) ، وفي ذات العام في شهر تشرين الأول/ أكتوبر ، كتب أولى قصص طرزان وحملت عنوان " طرزان الرّجل القرد " .

بعدها بعامين أصدر كتابًا كاملاً من قصص طرزان ، ليتم تحويل قصة طرزان إلى السينما في عام ١٩١٨ . وقد أدّى دور طرزان الممثل إلمو لينكولن ، إلا أن الممثل جوني ويزمول ، والذي أدى الدور لاحقًا ، هو الذي اشتهر بدور طرزان .

تُوفّي بوروس بعد أن كتب ٩١ رواية ، ٢٦ منها حول شخصية طرزان . وقد باعت كتبه ملايين النسخ ، وتُرجمت إلى نحو ٣٠ لغة . وقد كتب في مذكراته : ((أنا أكتب لأهرب ... لأهرب من الفقر)) .

بوروس هو مُبتكر شخصية " طرزان رَجُل الغابة " . ويعتبر البعض شخصية طرزان واحدة من أشهر الشخصيات الخيالية ، حيث ظهر طرزان بعد نشر الرواية في أفلام وكتب الأطفال وبرامج تلفزيونية وإذاعية ودعايات للبنزين ولعب الأطفال والملابس الداخلية والأحذية الرياضية . وتمّ إنتاج ٨٨ فيلمًا عن هذه الشخصية ، خلال الفترة (١٩١٨ - ١٩٩٩) .

ذاع صيت هذه الشخصية الروائية لدرجة أن البعض كان مقتنعًا أن طرزان هو شخصية حقيقية . وحسب رواية " طرزان القردة " ، فإن طرزان واسمه الحقيقي هو جون كلايتون ، هو ابن أحد النبلاء الإنجليزي ، وكان والداه على متن سفينة بالقرب من سواحل أفريقيا ، وقد ثار البَحّارة على قبطان

السفينة ، واندلعت أعمال شغب وفوضى انتهت بانجراف واستقرار السفينة على الساحل الأفريقي. وبعدها يموت والد جون كلايتون وهو رضيع، ويقوم قرد ضخم الحجم من نوع مانجاني برعايته ، ويتم إطلاق اسم طرزان عليه ، والذي يعني ذو البشرة البيضاء في لغة القردة . والقردة التي تقوم برعاية طرزان هي فصيلة خيالية خاصة، لا وجود لها في التصنيفات العلمية . وعندما يبلغ طرزان مرحلة الشباب يقع في حب فتاة أمريكية اسمها جين، وعندما تغادر جين الجزيرة يقوم طرزان بالبحث عنها وينتهي البحث بنهاية سعيدة بزواج طرزان من جين ، ويُزَقان بابن اسمه كوراك ، ويعيشان لفترة في لندن، ولكنهما يُقرَّران العودة إلى نقاء الطبيعة ، بعيداً عن ازدواجية ونفاق المدينة ، فيعودان إلى الجزيرة ، وتنتهي الرواية بتحولهما إلى شخصين خالدين ، حيث لا يزالان على قيد الحياة ، حسب رواية " طرزان القردة " .

تجري أحداث الرواية ، التي هي مليئة بالمعارك التي يخوضها طرزان مع الحيوانات وسُكان الجزيرة الأصليين ، في سنوات قريبة من عام ١٩٠٨ . ويُصوّر الكاتب بوروس طرزان بشكل إنسان يُشبه إلى حد ما تمثالاً يونانياً قديماً. ولون عينيه رمادي، يقص شعره بين حين وآخر مستعملاً سكيناً قديمة ، تركها له والده قبل أن يموت وهو رضيع ، وشخصيته متوحشة وعنيفة . وبالرغم من النجاح الساحق الذي حققته الروايات الأولى والأفلام الأولى في سلسلة طرزان ، إلا أن مستوى الأعمال اللاحقة لم ترتقِ إلى مستوى البدايات . وفي نهاية الستينيات وبداية السبعينيات ، اعتبر البعض قصة طرزان من الأساس قائمة على مبدأ عنصري بسبب ما اعتبره البعض اسم طرزان الذي يعني باللغة الخيالية للقردة " ذو البشرة البيضاء" ، وتصوير القصة حسب اعتقاد البعض لفوقية البيض على الأفريقيين الذين تم تصويرهم كمتوحشين وبربريين ، بينما انتقد البعض من أنصار حركات حقوق المرأة شخصية طرزان لأنها تُمثّل فكرة تفوّق الرّجل على المرأة.

إدغار موران ونظرية التعقيد

وُلد الفيلسوف الفرنسي إدغار موران (١٩٢١ _ ...) في باريس . اسمه الحقيقي هو إدغار ناهوم . جذوره يهودية من أصول يونانية ، والدته إيطالية تُوفيت وهو في سن العاشرة . حصل على درجة في التاريخ والجغرافيا، ودرجة في القانون عام ١٩٤٢ ، ونال دكتوراة فخرية من ١٤ جامعة عالمية .

عمل عالِم اجتماع ومفكرًا وباحثًا في المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا، ويرأس الوكالة الأوروبية للثقافة بمنظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة (يونسكو) . بدأ موران نشاطاته في إطار الحزب الشيوعي الفرنسي عام ١٩٤١، وتركه نهائيًا عام ١٩٥١، وخلال الحرب الأهلية الإسبانية عام ١٩٣٦ انضم إلى صفوف المقاومة الشيوعية السرية، واختار اسمًا مستعارًا هو " موران " الذي احتفظ به طوال حياته .

انضم عام ١٩٤٥ إلى الجيش الفرنسي في ألمانيا، وترأس في العام التالي مكتب الدعاية في الحكومة العسكرية الفرنسية عام ١٩٤٦ . وفي عام ١٩٥٠، التحق الفيلسوف الفرنسي بالمركز الوطني الفرنسي للأبحاث العلمية ، وأصبح مديرًا للأبحاث في المركز عام ١٩٧٠ . في عام ١٩٥٥ كان موران من بين أربعة مثقفين فرنسيين ، منهم جون بول سارتر، أسسوا حركة تعارض حرب الجزائر، لكنه لم يُوقع على بيان "حق العصيان في حرب الجزائر" المعروف بـ"بيان ١٢١" الذي نشر في سبتمبر / أيلول ١٩٦٠ .

وخلال الستينيات، أمضى ما يقرب من عامين في أمريكا اللاتينية، حيث قام بالتدريس في كلية أمريكا اللاتينية للعلوم الاجتماعية في سانتياغو بتشيلي .

يُعرف موران بمواقفه المؤيدة لحق الفلسطينيين في إقامة دولة خاصة بهم، وقد فاده مقال كتبه في صحيفة لوموند ونُدد فيه بالسياسة الإسرائيلية إلى المحاكم الفرنسية عام ٢٠٠٤ .

دافع موران عن المفكر الإسلامي طارق رمضان الذي يُتابع قضائياً في فرنسا على خلفية اتهامات له بقضية اغتصاب، وقال في حوارات له مع صحف فرنسية عام ٢٠١٧ معلقاً على قضية رمضان إنه يرفض الانضمام إلى "الإعدام الإعلامي دون محاكمة"، وقال أيضاً : ((إن رمضان مع إسلام أوروبي يقبل الديمقراطية والمساواة لصالح النساء، وإنه أظهرَ فكرًا إنسانيًا مطابقًا لموقفه _ أي موران _)) .

وأصدر موران كتابًا مشتركًا مع رمضان تحت اسم " خطورة الأفكار: تساؤلات حول كبرى القضايا المعاصرة " ، وهو عبارة عن حوار بين المفكرين ، وصدر عام ٢٠١٦ .

في ٢٦ أبريل / نيسان ٢٠١١ ، علّق موران في مقال كتبه في صحيفة لوموند الفرنسية على ربيع الثورات العربية، قال فيه إن المفاهيم السياسية السائدة في العالم العربي سواء كانت بوليسية أمنية علمانية أم دينية تُواجه رياح التغيير، وإن الديمقراطيات الغربية دعمت الاستبداد في العالم العربي ، والعرب الذين أنهوا الاستعمار السياسي ها هم الآن بصدد إزالة الاستعمار الفكري ، لتبقى عملية إزالة الاستعمار الاقتصادي .

كتب موران العديد من الكتب والمؤلفات التي تناولت قضايا فكرية مختلفة، وتُرجمت للعديد من اللغات. أول هذه الكتب نُشر عام ١٩٥٠ وحمل اسم " عام ألمانيا صفر " ، و " النقد الذاتي " عام ١٩٥٩ ، وتطرّق فيه لقطيعته مع الشيوعية .

وفي عام ١٩٧٧ نشر الجزء الأول من مؤلّفه "المنهج" الذي طرح فيه مفهوم فكره المركّب، ثم في عام ١٩٨٩ نشر كتاب "فيدال وعائلته"، ثم "التجوال" عام ٢٠٠٦، و "طريقتي" عام ٢٠٠٨. كما أصدر كتابًا في مجال السينما بعنوان " السينما أو الإنسان المتخيّل " .

وأصدر عام ٢٠٠٥ كتاب "الثقافة والبربرية الأوروبية"، و "أين يسير العالم" عام ٢٠٠٧ .

وفي أبريل / نيسان ٢٠١٣ صدرت لموران مذكرات تحت عنوان " يوميات " ، تتألف من مجلدين ، وكان قد بدأ في كتابتها عام ١٩٦٢ .

نال موران طوال حياته جوائز عديدة ، وكُرّم مرّات عدّة . وهو صاحب نظرية التعقيد ، والفكر المركّب ، وعُرف بتأييده للقضايا الإنسانية العادلة ، بينها القضية الفلسطينية .

آدم سميث وعلم الاقتصاد السياسي

وُلِدَ الفيلسوف والاقتصادي الليبرالي آدم سميث (١٧٢٣ - ١٧٩٠) في مدينة أسكتلندية صغيرة تُسمَّى كيركالدي . وهو ينتمي إلى أسرة ميسورة الحال ، وقد تُوفِّي والده قبل ولادته بشهرين ، فَكَّرَتْ أُمُّه حياتها لتربيته ، وأسَمَتْه باسم والده .

يُعدُّ مؤسس علم الاقتصاد السياسي ، وواضع مبادئه الأولى في كتابه المشهور "ثروة الأمم" الذي نُشِرَ عام ١٧٧٦ . وقد قامت على أفكاره ونظرياته أُسس "المدرسة الكلاسيكية" في الاقتصاد . تلقَّى تعليمه ما قبل الجامعي في مدرسة مدينته، وعُرفَ بين أساتذته وأقرانه بذاكرته القوية وولعه بالرياضيات والفلسفة وانشغاله بالكتب عن اللعب .

انتقل عام ١٧٣٧ وهو في الرابعة عشرة مِن عُمره ، إلى مدينة غلاسكو لمواصلة دراسته في جامعتها المرموقة، ودرَسَ فيها ثلاث سنوات، ثُمَّ توجَّهَ إلى جامعة أكسفورد ، بعد حصوله على منحة من مؤسسة سنيل في غلاسكو ، فدرس بكلية باليول التابعة للجامعة (١٧٤٠ - ١٧٤٦) . تركت سنوات الدراسة بجامعة غلاسكو أثرًا بالغًا في أفكار آدم سميث وحياته، حيث حظي بفرصة دراسة الدين والأخلاق والسياسة على يد أستاذه فرانسيس هاتشيسون، فيلسوف الأخلاق المعروف بقدرته على الإقناع ، وأسلوبه المؤثر في تلاميذه ، وحُبهم له .

خرج سميث من هذه التجربة مُولعًا بالعلوم الأخلاقية والسياسية، ومُقتنعًا بأهمية الاستعانة بما تُوفِّره الفلسفة من معارف إلى جانب اعتماد المنهج العلمي في البحث، بالإضافة إلى تفتُّق وعيه بأهمية الحرية للإنسان والمجتمع . كما ساهمت قراءاته لفلاسفة الأنوار ، والتقاؤه ببعضهم خلال سفره إلى جنيف وباريس ، ومصاحبته لديفيد هيوم في تبني القيم والفلسفة الليبرالية ، كما تأثر بالاقتصاديين الفرنسيين مثل فرنسوا كيني وتورغو، أثناء وجوده بباريس . وأدَّت مناقشاته المستمرة معهم إلى إثارة اهتمامه بالشأن الاقتصادي ، ودَفَعَ به ذلك إلى التحول إلى البحث والدراسة والتأليف في هذا المجال الفكري. وقد دُعِيَ سميث بعد عودته إلى موطنه لإلقاء سلسلة من المحاضرات الموجهة إلى العموم في إدنبرة حول الأدب وفلسفة القانون. وقد لاقت هذه المحاضرات نجاحًا باهرًا، واستحسنها الناس ، ممَّا حَقَّقَ له شهرة في جميع أنحاء أسكتلندا ، ومهَّدَ له الطريق إلى الجامعة . عمل أستاذًا للمنطق بجامعة غلاسكو سنة ١٧٥١ ، ثم أستاذًا لفلسفة الأخلاق بالجامعة نفسها بعد سنة ، وبقي كذلك إلى ١٧٦٤ ، وفي السنة ذاتها عُيِّنَ

مُرشدًا ومُعلِّمًا مُرافقًا للدوق الشاب لمدينة باكلو "هنري سكوت"، وصاحبه في سفره الطويل الذي دام ثلاث سنوات في أنحاء أوروبا، ثم تفرَّغ للكتابة بعد عودته إلى موطنه . وحصل عام ١٧٧٨ على وظيفة ضابط في الجمارك براتب سخي، ثُمَّ انشُخِبَ عميدًا لجامعة غلاسكو عام ١٧٨٧ . انضمَّ سميث للعديد من النوادي الأدبية والسياسية، وروَّج في أوساطها لأفكاره الليبرالية عن التجارة الحرة . كما ساهم رفقة " هيوم " في تأسيس جمعية إدنبرة لتنمية الفنون والعلوم والزراعة والصناعة في أسكتلندا سنة ١٧٥٤ .

كتب سميث في فلسفة الأخلاق ثُمَّ في علم الاقتصاد السياسي، وقد أبدع في كليهما مُفكرًا ومؤلفًا، وكان لإسهاماته الفكرية في ميدان الاقتصاد بالغ الأثر في مَنْ عاصروه وَمَنْ أتوا بعده . صدر كتابه الأول " نظرية المشاعر الأخلاقية " عام ١٧٥٩ ، وهذا الكتاب عُصارة محاضراته طوال سنوات تدريسه لفلسفة الأخلاق بجامعة غلاسكو ، وترجمة لرؤيته الفلسفية عن طبيعة الإنسان والمجتمع والأخلاق في تلك المرحلة .

شرح سميث بعد ذلك بسنوات في كتابة أهم كتاب في الاقتصاد خلال القرن الثامن عشر ، وهو " بحث في طبيعة وأسباب ثروة الأمم " المعروف اختصارًا بـ " ثروة الأمم " . نُشر في آذار ١٧٧٦ في لندن ، وقد أنفق على كتابته سنوات عديدة . ولقي الكتاب نجاحًا باهرًا ، حيث أُعيد نشره عدَّة مرَّات ، وتُرجم إلى لغات عديدة خلال بضعة أعوام، وكان له بالغ الأثر في توجيه السياسة الاقتصادية لإنجلترا، وصيغت الاتفاقية التجارية التي وقَّعت مع فرنسا على ضوء مبادئه ، كما اعتمدت أفكاره في وضع ميزانيات الدولة ، وفي إصلاح منظومة الضرائب . وقد سَطَّر سميث في هذا الكتاب الأسس العلمية الأولى للاقتصاد السياسي ، مُعتمدًا في ذلك على المنهج العلمي في البحث ، ممَّا جعله يُؤسَّس للاقتصاد بوصفه علمًا من العلوم . وقد دعا إلى تعزيز المبادرة الفردية، والمنافسة، وحرية التجارة، بوصفها الوسيلة الفضلى لتحقيق أكبر قدر من الثروة والسعادة .

مهَّد سميث بأفكاره لظهور المدرسة الكلاسيكية في الاقتصاد (العمل هو منشأ القيمة ومصدر الثروة) . وأفسح المجال لمجموعة من الاقتصاديين المرموقين (ديفيد ريكاردو، جون ستوارت ميل، جون باتيست ساي ...) الذين مَشَّوْا على خُطاه وطَوَّروا أفكارهم انطلاقًا من الإرث الفكري الذي تركه .

تُوُفِّي سميث بعد معاناة مع مرض في أمعائه ، ودُفِن في مقبرة كانونغيت بإدنبرة .

إدموند سبنسر وملكة الجن

وُلد الشاعر الإنجليزي إدموند سبنسر (١٥٥٢ - ١٥٩٩) في إيست سميثفيلد في لندن ، ودرس في صِغره في مدرسة ميرشانت تايلور بلندن ، ثم في كلية بمبروك في كامبردج . يُعتبر سبنسر أحد أهم رواد الشعر الإنجليزي المعاصر ، وهو صاحب قصيدة " ملكة الجن " التي تُعدُّ أعظم أعماله على الإطلاق وأكثرها شهرة. وهي ملحمة شعرية رمزية غير مكتملة ، نُشر الجزء الأول منها عام ١٥٩٠ ، والجزء الثاني ١٥٩٦ . وتتميز القصيدة بأنها مكتوبة على المقطع السبنسري ، وهو نظام جديد ابتدعه سبنسر في قصائده ، وهو أن تسير القصيدة على نمط ثمانية سطور في المقطع الواحد ، وكل سطر عبارة عن تفعيلة شعرية ذات مقطعين : مقطع قصير يتبعه مقطع طويل ، أي مقطع غير مُشدَّد وآخر مُشدَّد . وترجع شهرة ملحمة " ملكة الجن " لكونها من أطول القصائد في الأدب الإنجليزي بعد ملحمتي الإلياذة والأوديسة. وقَدَّمت هذه القصيدة _ في جملة ما قَدَّمت _ تبريرًا للمذهب البروتستانتي. وقد بشرت كذلك بالدفاع عن الموقف البيوريتاني تجاه الكنيسة . وكان ذلك بالنسبة إلى المفكرين آنذاك بالغ الأهمية ، ويدخل في اهتماماتهم . والبيوريتانية جماعة بروتستانتية في إنجلترا ونيوانغلند في أمريكا ، في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، طالبت بتبسيط طقوس العبادة ، وبالتمسك الشديد بأهداب الفضيلة . وقد بلغت موهبة سبنسر الشعرية أوجها في هذه القصيدة التي تتألف من ستة كتب وشذرات أخرى ، وهي مديح لفرسان غلوريانا، ملكة أرض الجن الخيالية التي ابتكرها سبنسر، ويُمثِّل كل فارس فضيلة إنسانية . وتظهر براعة سبنسر في هذا العمل الملحمي ، في انسجام الصور والإيقاع الموسيقي والقافية والعنصر القصصي ، والرموز ، والإرث الشعبي (الفلكلور)، وفي تقديم المواعظ الأخلاقية والصور الإنسانية. وقد غطَّت هذه القصيدة على أعماله الشعرية . وفي حين يَذكر الكثيرون هذه القصيدة، فإن القليلين يعرفون أن نتاجه الشعري كان ضخمًا ، حتى في عصر تميَّز بالنتاج الشعري الضخم . وقد أدَّى نشر " ملكة الجن " ورواجها إلى مطالبة الكثيرين بمطالعة أعماله الشعرية الأخرى. كتب سبنسر في أثناء دراسته الجامعية بعض القصائد التي قُلِّد فيها الشاعر الإيطالي بتراركا، كما كتب في بواكير شبابه " أربع ترانيم " (لم تُنشر إلا عام ١٥٩٦) ، تُعبّر عن عواطف أفلاطونية . نشر سبنسر في عام ١٥٧٩ " تقويم الراعي " الذي تلقَّاه النقاد بحماسة . وفي عام ١٥٨٠ ، عُيِّن أمينًا لسر اللورد آرثر غراي ، وذهب إلى إيرلندا نائبًا عنه . وحصل في عام ١٥٨٦

على قلعة كيلكولمان في مقاطعة كورك ، واستقرَّ فيها ، وانهمك في التأليف الأدبي ، وكتب قصيدة بعنوان " آستروفيل " ، وبدأ بإعداد " ملكة الجن " فأودع ثلاثة أجزاء منها للطباعة عند زيارته لندن عام ١٥٨٩ ، ثم كتب قصيدة « كولن كلاوتس » ، وتمَّ طبعها عام ١٥٩٥ .

تزوّج إليزابيث بويل في عام ١٥٩٤ ، وهي التي كان قد كتب لها قصائد " عشقيات " ، واحتفل بالزواج في قصائد " أغاني الزواج " (١٥٩٥) .

نشر في عام ١٥٩٦ كتابًا نثرًا بعنوان " وجهة نظر عن واقع أيرلندا الآن " ، وهو كتاب يدل على سعة اطلاع ، وإن كان مُنحازًا أحادي الجانب ، إذ كان سينسر أمينًا لسر الحاكم لمدة خمس سنوات ، وتعلّق بإيرلندا وشعبها ودافع عنها في كتابه . وفي عام ١٥٩٧ عاد إلى قلعته وهو مكتئب نفسيًا ، وقد ساءت صحته . وقد أحرق هذه القلعة الثوار الأيرلنديون عام ١٥٩٨ ، فحسّر أحد أبنائه بين السنة اللهب ، وهرب مع زوجته وأطفالهما إلى إنجلترا ، وقد هدّه الحزن والألم ، وربما احترقت مع القلعة بعض الأجزاء المفقودة من " ملكة الجن " . وتؤفّي بعد فترة قصيرة ، ودُفن في كاتدرائية وستمنستر ، مثوى العظماء .

دافع سينسر عن مكانة الشاعر في المجتمع باعتباره واعظًا أخلاقيًا اجتماعيًا مستقلًا ، إنساني النزعة ، ومُجدّدًا للبطولة ، ومُنافحًا عن الشّعْر بوصفه قمة البلاغة ، وذلك في عمله النقدي " دفاع عن الشّعْر " (١٥٩٥) .

في أواخر القرن السادس عشر ، كان الباحثون يتذمّرون من الفساد في الكنيسة والدولة وتضاؤل الرعاية . وقد جاء سينسر وغيره من شعراء عصر النهضة بعد مُدة من الجفاف اعتمد فيها الأدباء على تقليد تشوسر ، وبدؤوا على استحياء في تجديد لغة غير ثابتة وآخذة بالتغير .

عاش سينسر في مرحلة تكوين ، كانت اللغات الأوروبية ، ولا سيّما الإيطالية والفرنسية ، قد بدأت تستقل عن اللاتينية ، وكانت إنجلترا تنتظر شاعرًا يجمع بين التيارات الفكرية والدينية والفلسفية الجديدة باستلهم تشوسر من جهة ، والمشاعر الوطنية الجيّاشة من جهة أخرى ، مع النزعة الإنسانية والمثاليات الأفلاطونية من جهة ثالثة .

وهكذا قُبِض لسينسر أن يكون الشاعر الجديد الذي يجمع هذه الخيوط ، كما ظهر ذلك في قصيدته " تقويم الراعي " التي تُعد انتصارًا لتقنية استخدام تقليد الرّعويات لمواضيع أخلاقية وغرامية وبطولية ، وفيها تقليد لشاعر الملحمة الروماني فرجيل ، ومحاولات التعليم عن طريق القصص الرمزية ذات الطابع الديني التي سادت العصور الوسطى .

إدموند هوسرل ومناهضة الظاهراتية

ارتبط اسم الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل (١٨٥٩ _ ١٩٣٨) بالفينومينولوجيا ، والتي تُعرّف بالظاهراتية أو الظاهريات . وكلما ذُكر اسم هذا الفيلسوف ذُكرت معه هذه الفلسفة التي قام بتأسيسها ، وقضاء حياته في تثبيت دعائمها ، والانتصار لها ، وحشد البراهين لشرعيتها ، وإيجاد مشروعيتها لها داخل الفكر الفلسفي ، والبحث عن حاضنة اجتماعية لها . فصار الفيلسوف وفلسفته وجهين لعملة واحدة ، لا انفصال بينهما . يُوجدان معاً ، ويُغييان معاً .

وُلد هوسرل في مُورافيا لأبوين يهوديين ، لكنه تنصّر في عام ١٨٨٦ (على المذهب البروتستانتي) مثل الكثيرين من اليهود . واليهودُ الألمان كانوا يُعتبرون عناصر شاذة في المجتمع ، يُنظر إليهم بعين الرّيبة ، ويتم تصنيفهم كطابور خامس . لذلك كان الكثيرون منهم يتنصّرون للحصول على مصالح شخصية ، ومزايا وظيفية . ومن أجل إبعاد المشكلات عن حياتهم ، وتقديم أنفسهم كمواطنين صالحين يعيشون في قلب المجتمع ، ولا يعيشون على هامشه .

درس هوسرل الرياضيات في فيينا ، وحصل على شهادة الدكتوراة عام ١٨٨٣ . ثمّ درس الفلسفة على يد فرانز برنتانو . قام بالتدريس في جامعة هاله (١٨٨٧ _ ١٩٠١) ، ثمّ في جامعتي غوتنغن وفرايبورغ (١٩٠٦ _ ١٩١٦) ، حتى تقاعد عام ١٩٢٩ . وفي عام ١٩٣٣ قام النظام النازي بتجريدته من مكانته العلمية ومزاياه الأكاديمية . وبعد معاناة مع المرض ، تُوفي في فرايبورغ عام ١٩٣٨ . والجدير بالذكر أن هوسرل هو أستاذ مارتن هايدغر .

إن حياة هوسرل الفكرية مرّت بمرحلتين : الأولى _ التأثر بالاتجاه النفسي (السيكلوجي) في الفلسفة . والذي يعني النظر إلى مضامين المعرفة وحقائق الواقع باعتبارها كيانات ذاتية فقط ، لا وجود لها إلا باعتبارها ظواهر نفسية . والثانية _ الاتجاه إلى المعاني والماهيات ، والإيمان بأن التجربة هي مصدر جميع المعارف .

وفي كتابه " بحوث منطقية " ، نفى أن تكون العلاقات المنطقية خاضعة للتأثيرات النفسية ، واعتبر العلاقات المنطقية تنتمي إلى عالم خاص (الماهيات) المستقلة عن العقل البشري . وهذه الماهيات بمثابة حقائق ثابتة تجعل الأفراد يتفقون حولها ، فيُصدرون أحكامهم الصالحة لكل زمان ومكان ، مثل : $1+1=2$. وهذه الماهيات (الحقائق الثابتة) ليس نتيجة للشعور ، وإنما يتّجه إليها ويقصدها . وهنا تبرز فكرة " القصّدية " التي تُعبّر النواة المركزية في الظاهراتية .

وَتُعَرَّفُ القصدية بأنها "خاصية كُلِّ شعور أن يكون شعورًا بشيء" ، وَلَمْ يحصرها هوسرل في دائرة الأحكام المنطقية ، بَل جعلها فكرةً عامةً لتشمل العواطفَ والقيمَ والانفعالات .

ومَعَ أَنَّهُ بدأ حياته متأثرًا بالاتجاه النَّفسي (السِّيكولوجي) ، إلا أَنَّهُ انقلبَ عليه سريعًا .

وهذا الانقلاب الجذري يُشير إلى قلقه الذهني ، وتفكيره المستمر ، وعدم زُكونه إلى أفكار محدَّدة أو مُسلَّمات جامدة. فهو يُغيِّر رأيه إذا ظهرت له قناعة أخرى ، وَيَنقلب على نفسه وأفكاره إذا آمَنَ بعدم صِحَّتِها. وهذا التغير الفكري نتيجة طبيعية للعصف الذهني .

لقد أدرك هوسرل مُبكَّرًا أن الفلسفة والرياضيات علَمان مترابطان ومُتشابهان . وهذا ليس غريبًا . فهذان العِلَمان يَعتمدان على فكرة واحدة ، وهي التفكير المنطقي المتسلسل . وهوسرل _

بالأساس _ عالِم رياضيات ، وهذا أفاده كثيرًا في حياته التي كرَّسها بالكامل لتشديد فلسفته الخاصة (الظاهرية) ، وتقديمها كَعِلْمٍ متكامل قائم بذاته ، يهدف إلى الدقة والصدق في وصف الظواهر ، وتنسيقها بشكل تراتبي مُحكم ، وشرح المعاني الإنسانية في العلوم .

اعتبر هوسرل الفلسفة منهجًا جديدًا للبحث عن الحقيقة . ووفقَ هذا المنظور ، قامَ بوضع مبدئين رئيسيين : الأول _ رفض كُل رأي سابق إلا إذا كان مُبرَهَّنًا وقائمًا على دليل واضح . والثاني _ النظر إلى الأشياء بذاتها كما هي في الشعور ، وهذه العملية تُسمَّى " الرجوع إلى الذات " التي تعني الرجوعَ إلى الوعي ، ممَّا يُنتج وَعْيًا خاصًا (حَدْسًا) بظواهر العالَم وماهياته . وعندئذٍ ، يبدو العالَم ظاهرةً للشعور الخالص ، ويواجه الشعورُ الحقائق الداخلية والخارجية . وهذه هي فكرة قَصْدية الشعور عند هوسرل . فالشعورُ قائم على فكرة القَصْد (الاتجاه) . وبالتالي ، فإن المعرفة _ عند هوسرل _ هي دراسة المواضيع (الماهيات / الظواهر) كما تبدو ظاهرةً في الشعور . وفي هذا السياق تبرز مهمة " الفينومينولوجيا " كوصف بُنية الشعور في علاقته بمواضيع العالَم ، واستنباط معنى الظواهر / الماهيات ، بإعادتها إلى البُنية المقابلة لها في الشعور . وحسبَ هذه الرؤية، يتحدَّد معنى الفلسفة : " العِلْم الشمولي القائم على المعرفة بالماهيات وخصائصها الثابتة " . ويمكن تلخيص فلسفة هوسرل في أمرين : ١ _ التشديد على الترابط بين الذات والموضوع . ٢ _ اعتبار الشعور شيئًا مُركَّبًا من الشعور الإنساني والشيء ذاته ، وليس عواطف وانفعالات .

من أبرز مؤلفاته : فلسفة علم الحساب (١٨٩١) . بحوث منطقية (١٩٠٠ _ ١٩٠١) . مقدمة عامة لفلسفة ظاهرية خالصة (١٩١٣) . المنطق الصوري والمتعالي (١٩٢٩) . تأملات ديكارتيّة (١٩٣٢) . أزمة العلوم الأوروبية والظاهريات المتعالية (١٩٣٦) . التجربة والحكم (١٩٣٩) .

إدوارد سعيد وكتابه الاستشراق

وُلِدَ المفكر الأمريكي الفلسطيني إدوارد سعيد (١٩٣٥ _ ٢٠٠٣) في القدس لأبوين فلسطينيين ، كانا يعيشان مع أولادهما بين القدس والقاهرة لطبيعة عمل الوالد، وذلك قبل أن تجعل نكبة ١٩٤٨ من مصر ولبنان أمكنة إقامة دائمة لهذه العائلة . التحق سعيد في القاهرة بعدد من المدارس، وتميّزت سيرته الدراسية بالتفوق من جهة ، وعدم التكيف مع هذه المدارس التي أقامها الاستعمار الإنجليزي في مصر من جهة أخرى. وهذا ما دفع أسرته لأن ترسله إلى الولايات المتحدة لإكمال دراسته ، الأمر الذي تيسّر له ، لأن والده كان قد جاء إلى أمريكا في شبابه ، وحصل على الجنسية الأمريكية . بدأت مسيرة سعيد في أمريكا عام ١٩٥١ بالتحاقه بمدرسة داخلية في ولاية ماساتشوستس لمدة سنتين ، أنهى فيها دراسته الثانوية . التحق بعد ذلك بجامعة برنستون ، حيث درس الأدب الإنجليزي والتاريخ . وفي جامعة هارفارد ، قدّم أطروحته لنيل الدكتوراة في الأدب المقارن عن الروائي الإنجليزي البولندي الأصل جوزيف كونراد، قبل أن ينتقل إلى جامعة كولومبيا التي ظل يُدرّس فيها الأدب الإنجليزي والأدب المقارن حتى وفاته . تحوّلت أطروحة الدكتوراة التي قدّمها سعيد إلى كتابه الأول الذي صدر عام ١٩٦٦ ، بعنوان " جوزيف كونراد ورواية السيرة الذاتية " ، ودقّق في هذا الكتاب في رسائل كونراد ورواياته القصيرة ، فوجد كثيرًا من التقاطعات، من حيث إحساس المنفى ، والوجود داخل اللغة وخارجها ، والشك الجذري وانعدام اليقين، والإحساس الدائم بأن شيئًا رهيبًا غامضًا على وشك الحدوث. صدر كتاب سعيد الثاني " بدايات : القصد والمنهج " عام ١٩٧٥ ، وهو تأمل في مشكلة البدايات في كل من الرواية الكلاسيكية والأدب الحداثي والأعمال النقدية الجديدة. تأمل يربط البدايات بالاستمرارية وميل الذات إلى التطور والتغير . وفي عام ١٩٦٧ كانت هزيمة العرب أمام العدو الصهيوني . وفي عام ١٩٦٩ ، جاء سعيد إلى الأردن ليشهد في العام التالي أحداث أيلول ١٩٧٠ ، ويتبلور تعاطفه مع حركة المقاومة الفلسطينية. ثم غادر إلى بيروت حيث تزوّج من سيدة لبنانية، ودرس اللغة العربية على يد أنيس فريحة، ونهل من التراث العربي قديمه وحديثه، قبل أن يشهد حرب تشرين ١٩٧٣ ، ويكتشف بأن عينيه الفرق بين ما يجري على الأرض ، وما تُصوّره وسائل الإعلام الغربية. وقد أدى ذلك كله إلى تبلور تفكير سعيد في الخطاب الاستشراقي ، ما أثمر في العام ١٩٧٨ كتاب "الاستشراق" الذي زلزل المؤسسة الاستشراقية ، وغيرها من حال إلى حال .

لقد بيّن سعيد تلك الصورة التي ابتدعها الغرب عن الشرق، وبيّن أنّ الخطاب الاستشراقي ليس فرعاً علمياً حياً، بل تخترقه علاقات القوة والسلطة. فالأوروبيون، وبعدهم الأمريكيون، الذين كتبوا عن " الشرق"، فعلوا ذلك بطرق أطرّها وتحكّم فيها اندفاع بلدانهم لإخضاع الشعوب الشرقية واستغلالها وإذلالها. وقد ظهر في هذا الكتاب مدى تبخّر سعيد. إن ما يدور حوله كتاب "الاستشراق" ومعظم أعمال سعيد اللاحقة، هو العلاقة بين التمثيل وبناء الصور والسرديات من جهة، وما يتخلّل ذلك من ممارسة القوة والسلطة من جهة ثانية، وتعالج هذه الأعمال العلاقة بين الثقافة والسياسة، إذ ينظر سعيد إلى السياسة على أنها قضية سرديات متصارعة يحاول فيها كل طرف إضفاء الشرعية على رؤيته للعالم عن طريق بناء سرد خاص به، ومن أهم الأمثلة على ذلك: الصراع العربي - الإسرائيلي، إذ تحاول الرواية الصهيونية إسكات الرواية العربية وإنكار وجودها، في حين تصوّر الأخيرة على وجودها وعلى إعادة سردها من البداية.

هذا هو الإطار الذي يمكن أن توضع ضمنه أعمال سعيد: قضية فلسطين (١٩٧٩)، و" تغطية الإسلام " (١٩٨١) الذي يستكمل فيه نقد خطاب الاستشراق بنقد الصور النمطية الزائفة التي تلجأ إليها وسائل الإعلام الأمريكية لدى تناولها موضوعات الإسلام والشرق. في عام ١٩٩١، شخّص لدى سعيد مرض سرطان الدم (اللوكيميا) الذي قاومه حتى وفاته في نيويورك. وقد واصل الكتابة، وإلقاء المحاضرات، والظهور في البرامج الإعلامية، والسفر الكثيف مُدافعاً عن قضية فلسطين، وعن أفكاره النظرية بنشاط هائل.

وفي عام ١٩٩٣، أصدر سعيد كتابه " الثقافة والإمبريالية "، مؤسساً منظوره، ومؤكّداً على استمرار الإمبراطورية مع اهتمام بالشعوب المستعمرة التي لم تصمت، بل عارضت وقاومت. أدّت مواقف سعيد الفلسطينية إلى تعرّض مكتبه لعمليات تخريب، فضلاً عن تهديدات بالقتل له ولأفراد عائلته. وقد أطلق عليه الإعلام المنحاز لإسرائيل لقب " بروفيسور الإرهاب"، وشكّك في فلسطينيته، واتّهمه بمُعَاداة السامية. ومن ناحية أخرى، فقد استقال سعيد عام ١٩٩١ من المجلس الوطني الفلسطيني الذي سبق أن دخله شخصيةً مستقلة، كما شجب اتفاقية أوسلو واتفاق غزة - أريحا، ورفض حضور حفلة التوقيع.

يُعتبر سعيد من أهم المفكرين في هذا العصر. فقد كان لكتابات تأثير هائل على نطاق العالم بأسره، علمياً وعلى مستوى النقاش العام، حيث تُقتبس أعماله، ويُبنى عليها، ويُستوحى منها، وتُهاجم أو يُدافع عنها في أوساطٍ مُتنوعة أشد التنوع ولدى جمهور واسع.

أرتور شوبنهاور وكراهية النساء

يُمثِّل الفيلسوف الألماني أرتور شوبنهاور (١٧٨٨م _ ١٨٦٠م) حالة فلسفية خاصة في النسق الفكري العالمي . فقد بنى أفكاره على التشاؤم المطلق، بحيث كان يرى الوجود بؤرةً للحزن والكآبة ، ويعتبر الحياة شرًّا كاملاً، لا مكان فيها للفرح والسعادة . وما يُسمَّى بالسعادة عبارة عن تقليل كمية الأحزان والمصائب لا أكثر . وهذه النظرة العدمية الشاملة لا بد من تحليلها في ضوء تفاصيل حياة هذا الفيلسوف العالمي، للوقوف على المنعطقات الخطيرة في حياته الشخصية، والتي أدت إلى توليد فلسفته التشاؤمية السُّوداوية العدمية الصارخة .

درس شوبنهاور الفلسفة في جامعة غوتنغن في الفترة (١٨٠٩م _ ١٨١١م) ، وحصل على الدكتوراة في الفلسفة من جامعة برلين عام ١٨١٣م ، (وهو في الخامسة والعشرين) . ولا شكَّ أن الحصول على الدكتوراة في الفلسفة في هذه السن الصغيرة ، مؤشر واضح على عبقرية شوبنهاور ، وأنه قد كرَّس حياته للعلم والفلسفة ، والتفتيش عن ماهيات المعنى في عالم يتساقط حَوَلَهُ ، والبحث في تفاصيل الوجود ضمن حياة تنهار في داخل جسمه وخارجه ، وإيجاد أجوبة منطقية للأسئلة الوجودية المتكاثرة في وجدانه . وربما كان توجُّهه إلى طريق الفلسفة محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، وتعويضاً عن خيبات الأمل في طفولته وشبابه المبكر، وانتقاماً من أحزانه وأحلامه الضائعة ، وهذا الأمر يتَّضح إذا عَلِمْنَا أن أباه قد مات مُنتحراً عام ١٨٠٥م . وبعبارة أخرى ، لقد تلقى الشاب شوبنهاور الذي كان في السابعة عشرة صدمةً وجدانية هائلة ، وهي انتحار أبيه . وغيباب الأب بهذا الشكل المأساوي ترك جُرحاً عميقاً في نفس شوبنهاور ، الذي كان في تلك الفترة شاباً يتحسس طريقه في هذه الحياة . وسقوطُ رمزية الأب بهذه الصورة المؤلمة والمفاجئة ، له تداعيات كارثية على الأسرة . وبما أن شوبنهاور كان وحيد أبويه ، فقد ازدادت حِدَّة هذه التداعيات . وكما يُقال : المصائب لا تأتي فرادى . فقد خسرَ أباه معنوياً ومادياً ، ثم ما لبث أن خسر أُمّه معنوياً ، حيث لم يجد فيها مثلاً للحب والحنان والاحتضان . ومن الواضح أن أُمّه قد استغلت هذا الانتحار ، لتعيش حياتها بالطول والعرض بلا ضوابط . لقد تحرَّرت من كل القيود الاجتماعية ، ورفضت كل معاني الفضيلة ، وراحت تُقيم علاقات مع الرجال بلا وازع ديني أو أخلاقي . وتصادمَ الشاب شوبنهاور مع أُمّه بسبب أسلوب حياتها المتحرر ، وحدثت قطيعة تامة بينهما حتى ماتت ، ولم يرها .

إن صورة الأم تحطمت في نفس شوبنهاور، فقد كان ينتظر أن تحتضنه أمُّه بعد انتحار أبيه ، وتوفّر له الأمن والأمان والمشاعر الدافئة ، وتعوّضه عن فقدان أبيه ، لكن هذا لم يحدث . إن أمُّه عاشت حياتها كما يحلو لها، وكان ابنها غير موجود أصلاً في عالمها . عاشت لنفسها بكل أنانية وتححرر ، دون أي اعتبار لابنها المكسور ، الذي حوّل شقاءه الحيّاتي وصدامه مع أمِّه إلى كراهية شديدة للنساء بلا تمييز . اعتبرَ المرأة مثلاً للخيانة والاستغلال والشهوة ، لذلك لم يرتبط بأية امرأة طيلة حياته ، حيث رأى في الزواج شرّاً مُطلقاً .

وانتقل فشله العاطفي وانكساره العائلي إلى ميدان العمل ، فأخفق في حياته التدريسية ، حيث عمل أستاذاً في جامعة برلين (١٨٢٠م - ١٨٣١م) . ولم يحظَ بأي تقدير ، سواءً من طلابه أم زملائه . ولم يُحقّق نجاحاً من أي نوع . لم تحظَ شخصيته بالاحترام ، ولم تكتسب أفكاره تقديراً وانتشاراً ، ولم يقبل أحد على مؤلفاته. لقد انتقل من فشل إلى فشل ، لذلك آثرَ العزلة والابتعاد عن الناس والاختفاء عن الأنظار ، فحصل على غرفتين في فندق متوسط ، وعاش فيه الثلاثين سنة الأخيرة من حياته . عاش وحيداً وبائساً .

لقد كره هذا الفيلسوف النساء، واعتبرَ المرأة منبع الشرور ، ومثالاً لجنون الشهوة ، وتجسيدا للخيانة والغدر والحقْد . وحصرَ المرأة في زاوية الجسد ، ولم يرَها إلا من خلال بُؤرة الجنس ، لذلك كان يُعلي من شأن الغريزة الجنسية ، ويجعل منها المحور الأساسي في حياة الإنسان ، ويعتبر أن كل سلوك اجتماعي يمكن تفسيره بالكامل وَفْقَ الدافع الجنسي . وهذا يعني أنه جرّد المرأة من كل فضيلة ، واعتبرَها آلةً للتكاثر وبقاء النوع البشري ، والحفاظ على الحياة في وجه الموت . لقد ترك شوبنهاور عدة مؤلفات، من أبرزها: ١_ الأصول الأربعة لمبدأ السبب الكافي / رسالة الدكتوراة (١٨١٣م) . ٢_ الإرادة في الطبيعة (١٨٣٦م) . ٣_ المشكلتان الأساسيتان في فلسفة الأخلاق (١٨٤١م) . وبدأت مؤلفاته في نهاية حياته تشير الاهتمام، وتلقى نوعاً من الرواج .

وبعيداً عن مؤلفاته ، فإن فلسفة شوبنهاور الاجتماعية تجاه الإنسان والمرأة تحديداً ، يمكن تلخيصها وَفْقَ مقولاته الشخصية . وهناك خمس مقولات لشوبنهاور تلخص فلسفته الاجتماعية كاملةً . المقولة الأولى : " حياة الوحدة مصيرُ كل الأرواح العظيمة " . وهذا يعني أن العزلة هي طريق السمو الأخلاقي ، وأن الابتعاد عن الناس يدل على المجد والعظمة، وأن التعامل مع الناس سبب كل الشرور . والمقولة الثانية : " كل مأسينا تقريباً تنبع من صلاتنا بالآخرين " . وهذه العبارة

مترابطة تمامًا مع قناعته بأن العلاقات مع الآخرين سبب للشقاء والتعاسة والأحزان، وأن الانفراد بالذات طريق السعادة وراحة الضمير. والمقولة الثالثة: " يمكن للمرء أن يكون على طبيعته فقط عندما يكون وَحْدَهُ ". لقد اعتبرَ الحياة الاجتماعية قائمة على النفاق والرياء وارتداء الأقنعة ، ولا يمكن للمرء أن يجد نفسه الحقيقية ، ويرى وجهه بلا قناع ، إلا إذا كان وحيداً ومنقطعاً عن الناس. والمقولة الرابعة : " التضحية باللذة في سبيل تجنب الألم مكسب واضح " . يُشدّد على أهمية النظر إلى ما وراء الأمور ، وعدم التخذق في اللذة الآنية الزائلة ، فقد تكون اللذة المؤقتة سبباً للشقاء الأبدي ، لذلك يُركّز على فكرة التضحية باللذة من أجل تجنب الألم . وهذه المقولة قد تُفهم في سياق العلاقة الزوجية . حيث إن شوبنهاور يعتبر المرأة منبع الشرور ، ويعتبر الحياة جحيمًا من المصائب والكوارث . والمرأة والحياة وَحدة واحدة لا تتجزأ ، لأن المرأة هي الحاضنة للجنس البشري ، وهي التي تحفظ بقاء النوع الإنساني من الانقراض . وهذا يعني أن المرأة هي السبب في شقاء الإنسان وعذابه ، لأنها السبب في مجيئه إلى الأرض . لذلك من الذكاء _ وفّق شوبنهاور _ التضحية باللذة الجنسية التي تؤدي إلى ولادة الإنسان ، من أجل تخليص الإنسان من العذاب ، وتجنب الشقاء والمعاناة والآلام . والمقولة الخامسة والأخيرة : " الرجال بطبيعتهم لا يُبالون ببعضهم البعض ، أمّا النساء فأعداء بطبيعتهم " . إنه فاقد الثقة بالرجال والنساء على السواء، فالعلاقات الاجتماعية يحكمها الرياء والحقّد والحسد والعداوة ، وتفتقد إلى المشاعر الدافئة ، والأحاسيس البريئة . لا أحد يحب أحداً في هذا العالم القائم على الحقّد والشر والكراهية والعدم. لذلك، حسم شوبنهاور أمره ، وقَرّر اعتزال الناس ، والاكتفاء بمعرفة نفسه بعيداً عن الأنظار . لقد أراد أن يكون على طبيعته ، فعاشَ وحيداً وبائساً .

آرثر دويل وشخصية شرلوك هولمز

وُلد الكاتب الأسكتلندي آرثر دويل (١٨٥٩ _ ١٩٣٠) في إدنبرة ، عاصمة أسكتلندا لعائلة ليست غنية . وبدعم من أقاربه الأثرياء ، أُرسل دويل إلى مدرسة سانت ماري هول التحضيرية الكاثوليكية. وكان يبلغ من العمر وقتها تسع سنوات. ثم دخل إلى مدرسة ستونيهرست الداخلية ، وبقي فيها إلى غاية ١٨٧٥ . ثم درس في مدرسة ستيلاماتوتينا اليسوعية في النمسا . وبعد ذلك، رَفَض دويل التدين وأصبح مُلحدًا، واهتمَّ بدراسة الأرواح .

درس الطب في جامعة إدنبرة (١٨٧٦ _ ١٨٨١) . وخلال سنوات دراسته ، بدأ بكتابة قصص قصيرة . وبعد تخرُّجه من الجامعة عام ١٨٨١ عمل على متن قارب يُبحر في الساحل الغربي لأفريقيا . ثم أكملَ دراسته للحصول على شهادة الدكتوراة عام ١٨٨٥ ، وقد كان موضوع دراسته مرض التابس الظهري . وفي عام ١٨٩٣ ، تُوفِّي والده بعد سنوات طويلة من معاناته من مرض نفسي .

اشتهر دويل بتأليفه لقصص المحقِّق شرلوك هولمز التي تُعدُّ مَعْلَمًا بارزًا في الأدب البوليسي ، وأيضًا بابتكاره شخصية البروفسور تشالنجر ، ولاشاعته قضية باخرة ماري سليست الغامضة .

انتقل للعيش في لندن ، حيث أقام له عيادة هناك . لكنها لم تنجح . وبعد ثمان سنوات من العمل في الطب ، فُكِّر بكتابة قصة ، وفعلاً قام بكتابة أول قصة له بعنوان " الغرفة ذات اللون القرمزي " ، ولاقت ترحيبًا من قِبَل الناس. وفي هذه القصة ، ظهرت شخصيتا شرلوك هولمز والدكتور واطسون لأول مرة، وحصلت دار النشر "ورد لوك " على حقوق النشر في ٢٠ نوفمبر ١٨٨٦ مقابل خمسة وعشرين جنيهًا قدِّمت لدويل. وقال دويل إنه استلهم شخصية هولمز من أستاذه في الجامعة جوزيف بيل ، الذي كان يتمتع بقدرة غير عادية على الاستنتاج .

نُشرت رواية " علامة الأربعة " ، وفيها ثاني ظهور لشرلوك هولمز في فبراير ١٨٩٠ . والجدير بالذكر أن آراء دويل حول شخصيته المشهورة المبتكرة كانت متناقضة . ففي نوفمبر ١٨٩١ ، كتب إلى أمِّه : ((أنا أفكّر في قتل هولمز ، وتصفيته بطريقة مُرضية للجميع. لقد شغل عقلي عن أشياء أفضل)). وأجابته أمُّه قائلة: ((لن تفعل ! لا تستطيع ! لا يجب عليك !)) . وقد حاول دويل صرف الناشرين عن طلب المزيد من قصص شرلوك هولمز برفع مستحققاته المالية، لكنه وجد أنهم مستعدون لدفع أكبر المبالغ التي طلبها، ونتيجة لذلك أصبح واحدًا من أعلى الكُتَّاب أجرًا آنذاك.

في ديسمبر ١٨٩٣ ، شغل دويل حيزًا أكبر من وقته في كتابة الروايات التاريخية . وقد عاش حياة صراع مع شخصيته المبتكرة شرلوك هولمز ، فهو يعتقد أنها قد حازت على شهرة أكثر منه شخصيًا ، ولذا أراد قتلها ، وفعلاً حصل ذلك بالفعل حيث قتلها في قصته " المشكلة الأخيرة " بعد سقوطه في شلالات ريشنباخ خلال شجار مع عدوه البروفسور موريرتي ، إلا أنه لاقى اعتراضات من قبل جمهوره ومُحبّيه . وأمام غضب الجمهور، قام بحركة مذهلة ورائعة ، حيث أعاد شخصية هولمز إلى الحياة عام ١٩٠١ ، في رواية " كلب آل باسكرفيل " .

ظهر هولمز في ٥٦ قصة قصيرة . آخرها نُشرت عام ١٩٢٧ ، وأربع روايات . وظهر لاحقًا في العديد من روايات وقصص كُتاب آخرين .

كتب دويل سبع روايات تاريخية ، يعتبرها هو والعديد من النقاد أحسن أعماله . كما ألّف تسع روايات أخرى . وفي الفترة (١٩١٢ _ ١٩٢٩) ألّف خمس قصص ، والتي ظهرت فيها شخصية البروفسور تشالنجر . وتعدّ قصص تشالنجر عمله الأكثر شعبية بعد قصص شرلوك هولمز .

خلال إقامته في ساوثسي ، لعب دويل كرة القدم كحارس مرمى في نادي بورتسموث لكرة القدم . وفي الفترة (١٨٩٩ _ ١٩٠٧) لعب دويل عشر مباريات في رياضة الكريكت لصالح نادي ماريلبيون للكريكت ، كما تمّ اختياره كرئيس لنادي كرايووروف للغولف عام ١٩١٠ .

بعد حرب البوير في جنوب أفريقيا والإدانة الدولية لسلوك المملكة المتحدة خلال الحرب ، كتب دويل عملاً تحت عنوان "الحرب في جنوب إفريقيا : أسبابها ومسارها " ، والذي برّر فيه سلوك بريطانيا خلال حرب البوير ، وقد تُرجم العمل على نطاق واسع . ويؤمن دويل أن نشره لذلك العمل كان سببًا في منحه لقب فارس من طرف الملك إدوارد السابع عام ١٩٠٢ ، وتعيينه كنائب ملازم . وقد ترشّح دويل لدخول البرلمان مرتين ، في إدنبرة وهاويك بورغر .

بعد وفاة زوجته عام ١٩٠٦ ، و وفاة ابنه ، وعدد كبير من أقاربه خلال الحرب العالمية الأولى ، أُصيب دويل بالكآبة ، ووجد عزاءه في الاعتقاد بوجود "عالم الأرواح " ، وقد دعم فكرة الروحانية وسعى لإيجاد دلائل تُثبت وجود حياة خلف القبور .

عاش دويل حياة متغيرة مليئة بالمغامرات ، وكان مُؤرّخًا ، وصيّاد حيتان ، ورياضيًا ، ومُراسلًا حربيًا . وقد قام بإنقاذ رجلين من الموت شنفًا ، عندما أثبت براءتهما باستخدام نفس الأساليب التي اتّبعتها في رواياته .

آرثر رامبو والضياع الشامل

وُلد الشاعر آرثر رامبو (١٨٥٤ - ١٨٩١) في شارلفيل (شمال شرق فرنسا) لعائلة متوسطة. كان الطفل الثاني لأبيه الذي كان يعمل جنديًا مُتَطَوِّعًا ثم ترقَّى إلى كابتن، وقضى أكثر فترة خدمته في الجيش في مناطق أجنبية ، وحارب في غزو الجزائر ، وحصل على وسام جَوْقة الشرف . كانت أمُّه مُتَشَدِّدة في تَدْيِينِها ، وسلطوية في تعاملها مع أفراد عائلتها ، وأحاطت رامبو الصغير بجو ديني خانق ، بَقِيَ أثرُه واضحًا في كتاباته مع كل محاولاتهِ للتحرر منه .

بدأ رامبو بكتابة الشَّعر في سن السادسة عشرة ، وتميَّزت كتاباته الأولى بطابع العنف . اتَّبَعَ مبدأً جماليًّا يقول إن على الشاعر أن يكون رَائيًّا ، ويتخلص من قيود الضوابط الشخصية، وبالتالي يصبح الشاعر أداة لصوت الأبدية .

دعاه الشاعر الفرنسي بول فرلين للمجيء إلى باريس ، الذي كانت تربطه علاقة شاذة به . وفي يوليو ١٨٧٣ ، وفي حالةٍ مِنَ السُّكر ، أطلق فرلين على رامبو رصاصتين ، ممَّا تَسبَّب في إصابته بجروح في المعصم . وقد اعتزل رامبو الأدب ، وقرَّر في عام ١٨٧٥ السفر إلى أثيوبيا ، حيث عمل في قيادة القوافل أملاً في التجارة والربح ، لكن المرض وضع حدًّا لجميع طموحاته ، فعاد إلى بلاده ليموت في مرسيليا في عام ١٨٩١ ، بعد أن بُتِرَت ساقه .

كتب أشهر أعماله ، وهو لا يزال في أواخر مراهقته ، وأثنى عليه فكتور هوغو وقتها ، وقال إنه " طفل شكسبير " . وقد توقَّف بشكلٍ كُلِّيٍّ عن الكتابة قبل أن يبلغ الحادية والعشرين من عُمره . وباعتبار رامبو مُشارِكًا هامًّا في حركة الندهور ، فقد أثَّرَ بطبيعة الحال في الأدب الحديث ، وكذلك الموسيقى والفن . ويُشار دَوْمًا إلى رامبو على أنه واحد من الطائشين المتحررين من الأخلاق والعادات . وقد سافر في رحلات كثيرة إلى ثلاث قارات قبل أن يموت من السرطان ، قبل أن يُكْمَلَ السابعة والثلاثين .

تُعتَبَر قصيدته " قارب السكارى " (١٨٧١) أبرز قصائده على الإطلاق ، وتُشير إلى براعة واضحة في اختيار الألفاظ والصور الفنية والاستعارات . وفي الفترة (١٨٧٢ - ١٨٧٤) كتب " الإشراقات " ، وهي مجموعة من القصائد النثرية ، حاول فيها عدم التمييز بين الواقع والهלוسة . وفي عام ١٨٧٣ ، كتب قصيدة أخرى وهي " فصل في الجحيم " استبدل فيها المقاطع النثرية بكلمات مُميَّزة ، وكانت آخر أعماله الشعرية .

كان رامبو في دراسته طالباً لامعاً ، تَمَيَّز بثقافة كلاسيكية متينة ، وبقلم ساحر مطواع ، أثار إعجاب مُدرّسيه ودعمهم له .

قَرَّر في سن السادسة عشرة التخلي عن بيئته ونبد تقاليدها ، فرفضَ التقدم لامتحان الثانوية العامة ، وتركَ بيتَ أهله ليبدأ تشُرُّده الذي دام ما يُقارب خمسة أعوام ، عَرَفَ فيها الكحول والمخدّرات والتجارب الغرامية المتعددة ، وأضاعَ صحته العقلية والجسدية .

بقي رامبو لُغزاً مُحَيَّرًا في تاريخ الأدب الفرنسي . وكان مُلهِمًا لأهم الشعراء والحركات الأدبية في القرن العشرين . لُقِّب بالصبي الرجيم ، والمراهق المعجزة ، والمتمرد الأزلي . وبقي رمزًا للشباب المتحمسين المتمردين الذين يلهثون وراء شهواتهم ونزواتهم بلا ضوابط دينية ولا أخلاقية . تميّزت قصائده بالغنائية والبراءة ونضارة الشباب من جهة، والتمرد والسخرية من جهة أخرى . كما عبّر عن كُرْهِه لأمّه . وقد أسقطَ هذا الكُرْه على جميع النساء ، وفَجَّرَ تمُرُّده على القيم البرجوازية والدينية .

يُعتَبَر كتابه " فصل في الجحيم " (١٨٧٣) الكتاب الوحيد الذي عمل على نشره بنفسه ، وقدَّم فيه مُحصّلة حياته وتجاربه وخيبات أمله وبأسه ، ودعا فيه إلى التخلي عن الأحلام ، والعودة إلى الواقع .

ارتكزت رؤية رامبو الشعرية على ثلاثة مبادئ : الحركة والموسيقى والألوان . واستطاعَ من خلالها بناء عالمٍ جديد مُتحرّر من الرؤية ومن المنطق التقليديين ، فأعطى الجوامد رُوحًا وعاطفة ، وجعل الأزهار ترى وتتكلم . كما تميّزت أشعاره بتوظيف مثير للمفردات التي اختارها غنيةً ومُوحيةً ومتنوعة ، تراوحت بين المفردات العلمية المنتقاة ، والمفردات الشعبية الخاصة ، وصولاً إلى الكلمات السوقية والشتائم .

شكّل رامبو مع الشعارين : لوتريامون ومالارمييه مسيرة شعرية خاصة ، سارت على خطى الشاعر بودلير ، وتميَّزت بنصوصها القصيرة الصعبة المُحَيِّرة ، ورفضت في شكلها مبادئ الشعر التقليدي وجمالياته . وتَبَنَّت هذه المسيرة الرفض عنواناً لها ، والسعي إلى الأمثل والمطلق منهجاً ، وعَدَّت اللغة طريقاً للوصول إلى المعرفة ، وفتحت الطريق أمام ولادة الشعر الحديث ، وأثّرت تأثيراً خاصاً في نشوء الحركة السريالية .

آرثر ميلر والمُيُول اليسارية

وُلد الروائي والكاتب المسرحي آرثر ميلر (١٩١٥ _ ٢٠٠٥) لعائلة يهودية متوسطة الحال في مدينة نيويورك . هاجر والده إلى الولايات المتحدة قبل الحرب العالمية الأولى ، وكان مُصَمِّمًا وصاحب محل أزياء نسائية ، دُمِّر في فترة الكساد العظيم عام ١٩٢٩ ، ممَّا كان سببًا في تأثر آرثر ، وانتقاله هو وعائلته من الحالة الميسورة إلى الفقر .

واجه ميلر العالم الواقعي وهو في الرابعة عشرة من عُمره ، واضطُر بسبب فقره إلى ممارسة العديد من المهن البسيطة ، مثل : عامل في كافيتيريا ، وسائق شاحنة ، وعامل في مصنع ، إلى جانب دراسته في جامعة ميتشيغان . غيَّر أنه سُرعان ما تمكَّن من كسب معيشته من كتاباته، فقام بالالتحاق بحلقة للتدرب على كتابة المسرحية .

بدأ ميلر بممارسة الكتابة الدرامية في عام ١٩٣٨ ، أي بعد تخرُّجه، وكان أول عمل له عُرض على مسرح في بروودواي " الرَّجل الذي كان ينعم بكل الحظ " . كانت أعماله الأولى تحمل أثر التمزق والضياع اللذين أحس بهما أيام الكساد العظيم ، وتأثَّر حينذاك بالأفكار الاشتراكية .

أمضى ميلر دراسته الابتدائية في هارلم (١٩٢٠ _ ١٩٢٨) . وشاهد المسرح لأول مرة في حياته عام ١٩٢٣ على مسرح شوبرت . قضى دراسته الثانوية في مدرسة أبراهام لينكولن الثانوية بالقرب من جزيرة كلوني في بروكلين بنيويورك ، وكان ميلر متفوقًا رياضيًا ، ولكنه كان ضعيفًا دراسيًا . تَمَّ رفض طلبه الالتحاق بجامعة ميتشيغان ، ولكن على الرغم من ذلك كان ميلر يضع ١٣ دولار من كل ١٥ دولار يكسبها في صندوق الكلية ، حتى تَمَّ قبول طلبه الالتحاق بجامعة ميتشيغان عام ١٩٣٤ . في بداية التحاقه بالجامعة اختار تخصص الصحافة، ثم انتقل إلى الأدب الإنجليزي ، وانصبَّ اهتمامه على الأدب اليوناني القديم ، وكتابات هنريك إبسن .

حصل على البكالوريوس في الأدب الإنجليزي عام ١٩٣٨ . وفي ٥ أغسطس ١٩٤٠ تزوَّج زميلته بعد قصة حب . تَمَّ إعفاء ميلر من الخدمة العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية لإصابته رياضية قديمة . وفي عام ١٩٥٦ طَلَّقَ زوجته . وفي ٢٩ يونيو من نفس العام ، تزوَّج مارلين مونرو التي قابلها مُنذ ثمانين سنوات عبر المخرج إيليا كازان . وحينها تحوَّلت مارلين إلى اليهودية . وفي ٢٤ يناير ١٩٦١ حصلت مارلين مونرو على الطلاق . وفي ١٧ فبراير ١٩٦٢ ، تزوَّج ميلر من مُصوِّرة فوتوغرافية ، واستمر زواجهما أربعين عامًا حتى وفاتها في ٣٠ يناير ٢٠٠٢ .

اشتهر ميلر بميوله اليسارية ، ويعتقد البعض أن زواجه من مارلين مونرو كان للتغطية على نشاطاته الشيوعية ، وقد تابع مكتب التحقيقات الفيدرالي نشاطه من الأربعينيات حتى عام ١٩٥٦ . وحين أفرجت الأخيرة عن وثائق مُتَابَعَة ميلر بعد موته قالت إنه لم يكن مُنْصَمًا إلى الشيوعيين ، بل كان مُنْشَغًا عنهم . كان لميلر موقف رافض للسياسة الأمريكية ، كما كان دائم النقد لأوضاع المجتمع الأمريكي، ويتضح هذا جليًا في كتاباته . وقد وقف ميلر ضد الحرب على فيتنام، وكانت له نشاطات في مجال حقوق الإنسان .

برغ نجم آرثر ميلر بمسرحية " كلهم أبنائي " (١٩٤٧) ، والتي تدور حول صاحب مصنع قام ببيع قطع غيار مُحَرَّكَات طائرات معطوبة للجيش الأمريكي خلال الحرب العالمية الثانية. حصلت المسرحية جائزة دائرة نقاد الدراما بنيويورك . أمّا مسرحية " موت بائع متجول " (١٩٤٩) ، فقد حصلت على جائزة بوليتزر . وقد عُرضت هذه المسرحية حوالي ٧٠٠ مرة، وتُرجمت إلى أكثر من عشرين لغة بعد شهور على ظهورها .

تمّ افتتاح مسرحيته " المحنة " في برودواي في ٢٢ يناير ١٩٥٣ ، وهي أكثر أعمال ميلر إنتاجًا، وفيها يربط ميلر بين الحرب الباردة والمكارثية ، وبين مُعاقبة السّحر والسّعوذة . لم يكن من الغريب أن يُستبعد كاتب بحجم ميلر من الحياة الثقافية الأمريكية عقب الحملة " الأدبية " الشهيرة التي شُنّت عليه في عام ١٩٧٢ ، عندما كتب مسرحيته " خلق العالم وأعمال أخرى " ، والتي تدور فكرتها حول الصراع بين الخير والشر بطريقة كوميدية من خلال قصة آدم وحواء . وقد توقفت هذه المسرحية عن العرض بعد عشرين ليلة . إلا أن مسرحيته " الزجاج المكسور " التي عُرضت في مسرح " بوث " في نيويورك عام ١٩٩٤ أعادت إليه الاعتبار المسرحي . في ١ مايو ٢٠٠٢ ، حصل على لقب رائد الدراما الحديثة من إسبانيا . وفي العام التالي حصل على جائزة القدس .

آخر مسرحيات ميلر كانت دراما كوميدية بعنوان " إنهاء الصورة " ، تمّ افتتاحها في خريف ٢٠٠٤ على مسرح جودمان، وهذه المسرحية هي توثيق للوقت الذي قضاه ميلر ومونرو في تصوير فيلم " سَيِّئُ الحظ " (١٩٦١) . وكان زواجهما في هذه الفترة في تدهور نتيجته لإدمانها المخدرات . كان ميلر أحد رموز الأدب والسينما الأمريكية لأكثر من ستين عامًا . ويُعتبر من عمالقة المسرح الأمريكي المعاصر . وكان من كبار المدافعين عن الحرية الفكرية ، مُنْذًا بكل أشكال القمع ، وكان من المنادين بفكرة مسرح في متناول الجمهور .

أرسطو وتأسيس علم المنطق

وُلد الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس (٣٨٤ ق.م _ ٣٢٢ ق.م) في مدينة أسطاغيرا مقدونيا الواقعة شرق مدين سالونيك . كان والده نيكوماخوس طبيباً لدى الملك أمينتاس الثالث المقدوني جد الإسكندر الأكبر .

ترك أرسطو مقدونيا إلى أثينا في السابعة عشرة من عمره لينال تعليمه، والتحق فيها بأكاديمية أفلاطون، وقد استمر في الأكاديمية نحوًا من عشرين سنة قبل أن يغادر أثينا في ٣٤٨ ق.م . بعد وفاة أفلاطون سنة ٣٤٧ ق.م ارتحل إلى آترنيوس إحدى المدن اليونانية في آسيا الصغرى، حيث تزوج شقيقة حاكمها هرمياس ، وما هي إلا ثلاث سنوات ، وبعد إقامة قصيرة في جزيرة لسبوس ، حتى تلقى دعوة من الملك فيليبوس المقدوني ليكون مُعلِّم ابنه الذي أصبح فيما بعد الإسكندر الأكبر. وقد لازم أرسطو الإسكندر صديقًا ومُعلِّمًا ومستشارًا حتى قام سنة ٣٣٤ ق.م بحملته الحربية الآسيوية . ومما يُروى أن الإسكندر كان يُرسل من البلدان التي يمرُّ فيها نماذج من نباتاتها وحيواناتها إلى أستاذه مساهمةً منه في زيادة اطلاعه، وتسهيل أبحاثه ودراساته ، ومن هنا استطاع أرسطو ان يؤسس ما يُعتبر أول حديقة حيوان في العالم .

في أثينا سنة ٣٣٢ ق.م، افتتح أرسطو مدرسة لوقيون. وقد عُرف أتباعه بالمشائين لأن أرسطو كان من عادته أن يمشي بين تلامذته وهو يُلقي عليهم الدروس. وظل يُدير مدرسته ثلاثة عشر عامًا. وعلى الرغم من عداوة الأثينيين لمقدونيا التي استعبدتهم ، اجتذبت مدرسة أرسطو الكثير من التلامذة ، وأُمست مركزًا للأبحاث البيولوجية والتاريخية، والشؤون الحكومية والإدارية، ولم يكن ثمة موضوع يُناقش في أيام أرسطو لم يتطرق إليه في مدرسته، أو في كتبه ، ويوضّحه ، ويبيّنه. تُوفي الإسكندر سنة ٣٢٣ ق.م، ووقعت حكومة أثينا بين أيدي أعداء المقدونيين (وأرسطو من أنصار المقدونيين) ، فدبّر له أعداؤه تهمة الإلحاد، فخشي الاضطهاد والمصير الذي آل إليه سقراط من قبله ، فهرب إلى مدينة خلسيس ، حيث أصيب بمرض بعد ذلك بسنة ، ثم تُوفي . وعلى الرغم من غزارة إنتاج أرسطو الفكري المتمثل في محاضراته وحواراته الكثيرة ، إلا أنه لم يبقَ منها إلا الشيء القليل . فقد ضاع معظمها ، ولم يبق سوى بعض الأعمال التي كانت تُدرّس في مدرسته ، والتي تمّ جمعها تحت اسم (المجموعة الأرسطوطالية) بالإضافة إلى نسخة ممزّقة من (الدستور الأثيني) الذي وضعه، وعدد من الرسائل والأشعار، ومن ضمنها مراثية في أفلاطون .

جُمعت كل مؤلفات أرسطو في المنطق تحت اسم " الأورجانون " ، وتعني: الأداة ، لأن تلك المؤلفات كانت تبحث عن موضوع الفكر ، الذي هو الأداة أو الوسيلة للمعرفة .

كان أرسطو أول فيلسوف قام بتحليل العملية التي بموجبها يمكن منطقيًا استنتاج أن أية قضية من الممكن أن تكون صحيحة استنادًا إلى صحة قضايا أخرى ، وقد كان اعتقاده أن عملية الاستدلال المنطقي هذه ، تقوم على أساس شكل من أشكال البرهان سَمَّاهُ القياس . وفي حالة القياس ، يمكن البرهنة أو الاستدلال منطقيًا على صحة قضية مُعَيَّنة ، إذا كانت هناك قضيتان أخريان صحيحتان ، ومثال على ذلك : كل إنسان فانٍ ، وسُقراط إنسان ، إذا سقراط فان .

كان أرسطو يرى أن الفضيلة الأخلاقية تكمن في تحاشي التطرُّف في السلوك ، وإيجاد الحد الوسط بين طرفين ، مثال ذلك أن فضيلة الشجاعة هي الحد الوسط بين رذيلة الجبن من طرف ، ورذيلة التهور من الطرف الآخر . وبالمثل، فإن فضيلة الكرم هي الحد الوسط بين البخل والتبذير .

يُعتبر كتاب أرسطو " الشَّعر " من أهم الكتب في النقد الأدبي على الإطلاق . وفي هذا الكتاب، يُخصَّص أرسطو طبيعة فن المأساة آخذًا أوديب ملكًا _ لمؤلفها سوفوكليس _ نموذجًا أساسيًا . يُعدُّ أرسطو مؤسس علم المنطق ، وصاحب الفضل في دراستنا اليوم للعلوم الطبيعية، والفيزياء الحديثة . وأفكاره حول الميتافيزيقا لا زالت هي محور النقاش الأول بين النقاشات الفلسفية في مختلف العصور . وهو مُبتدع علم الأخلاق ، وثاني فلاسفة الغرب قَدْرًا وأهميةً بعد أفلاطون . ويمتدُّ تأثير أرسطو لأكثر من النظريات الفلسفية ، فهو مؤسس البيولوجيا (علم الأحياء) بشهادة داروين نفسه . وهو المرجع الأكبر في هذا المجال . وشعره يُعتبر أول أنواع النقد الدرامي في التاريخ ، وتأثيره واضح على جميع الأعمال الشعريَّة الكلاسيكية في الثقافة الغربية . ويرجع سبب هذا التأثير إلى أن أعمال أرسطو كانت شاملة، وتحيط بجميع الجوانب الحياتية، وتروق لجميع أنواع البشر والثقافات . بعد موت أرسطو استمرَّ التقليد الفلسفي الأرسطوطالي سائدًا خلال الحقبة الهلنسية (الإغريقية) من خلال المدرسة المشائية التي أسَّسها ، وقد ساعدَ ظهور النزعات الانتقائية والكلاسيكية المحدثة خلال القرن الأول قبل الميلاد ، على تنصيب أرسطو كمرجعية فلسفية وحيدة لجميع الفلاسفة ، خصوصًا في المنطق والعلوم الطبيعية . أمَّا في الفترة من القرن الثالث وما تلاه، فقد كانت فلسفة أفلاطون هي السائدة حينذاك، وذلك لأنها ناسبت الحياة الدينية المسيحية التي انتشرت في ذلك العهد . وقد تبنَّى رجال الدِّين المسيحيون في عصر الدولة الرومانية والبيزنطية والإسلامية التوجه الأفلاطوني، ونبذوا فلسفة أرسطو باعتبارها نوعًا من الهرطقة .

إرنست بلوخ ومبدأ الأمل

وُلد الفيلسوف الألماني إرنست بلوخ (١٨٨٥ - ١٩٧٧) في لودفيغشتاين من أب يهودي موظف في السكة الحديدية . انتقل إلى مانرهايم للدراسة الثانوية حيث شاهد الطبقة البرجوازية ، ممّا دفعه لدراسة الفلسفة في جامعة ميونخ لسبر الفوارق الاجتماعية بين الطبقات . عندما وصل النازيون إلى السُلطة كان عليه الهرب ، أولاً إلى سويسرا ، ثم النمسا ، فرنسا ، تشيكوسلوفاكيا ، وأخيراً إلى الولايات المتحدة .

عاد بلوخ إلى ألمانيا في عام ١٩٤٩ ، وحصل على كرسي الفلسفة في جامعة لايبزيغ . وعندما بُني جدار برلين في عام ١٩٦١ ، غادر بلوخ إلى توينغن في ألمانيا الغربية ، حيث حصل على الكرسي الفخري للفلسفة ، وبقي هناك حتى مات . أصبحت أعمال بلوخ مؤثرة للغاية في سياق الحركات الاحتجاجية الطلابية في عام ١٩٦٨ . وقد تأثر بهيغل وماركس وغيرهما من الفلاسفة .

رَكَزَ عمل بلوخ على أطروحة أنه في العالم الذي تسوده الإنسانية، حيث تم التخلص من الكبت والاستغلال، سوف توجد دوماً قوة ثورية حقة. لُقّب بلوخ بـ أعظم الطوباويين المعاصرين. سعى بلوخ إلى إقامة نسق فلسفي حديث، يستند إلى خمسة مفاهيم أساسية هي: المستقبل والثورة واليوتوبيا والأمل والخلاص. وقد مرّ تفكيره في مرحلتين أساسيتين : اتّسمت الأولى منهما بتأثره بالتصوف اليهودي والبروتستانتية خلال الفترة (١٩٠٨ - ١٩٢٠) . وهذا ما دفعه إلى إحياء الفكر الطوباوي (المثالي البعيد عن الواقع) ، بوصفه فكراً يتقصى إمكانات الكائن التي لم تتحقق بعد . أمّا المرحلة الثانية فتتمد من عام ١٩٢١ حتى وفاته. وفيها اعتنق الفكر الماركسي، وحاول أن يؤسّس فلسفة عملية ، فتحوّلت الماركسية عنده، نتيجة لهذا كله، إلى " أخلاق حميدة " مفتوحة على المستقبل . وهناك منطلقان أساسيان يستند إليهما بلوخ في تأملاته الفلسفية : أحدهما أنثروبولوجي يتعلق بالإنسان، والآخر أنطولوجي يتعلق بالوجود. وبمقتضى الأول بدا الوجود الإنساني له عرضياً متناهيًا، وبمقتضى الثاني بدا له الوجود زائلاً فائياً . ويمكن رد تحليلات بلوخ لهذين المفهومين إلى مفهوم واحد هو مفهوم " الإمكان " .

يُعَدُّ كتاب بلوخ " روح اليوتوبيا " (١٩١٨) قطعةً من الأمل المستوحى من الحقبات الاتباعية، فمن الموسيقى الاتباعية والأدب ، كان يستخلص أملاً غير قابل للاستنفاد في مقابل الاستلاب

وأشكاله. وفي مقابل الاستلاب يُوجد روحًا جديدة للتمرد، وفي مقابل اليأس داخل واقع مغلق، كان يُوجد نزوعًا نحو الحلم. والموسيقى بما يكتنفها من غموض هي الأكثر طوباوية بين سائر الفنون، لأنها تُحلّق بك خارج الواقع المحاصر بشتّى وسائل القمع، وتُبدع المُعادِل الذي يَمُنح الإنسانَ هويته أمام نفسه، ويُعيد صورته المتوازنة إلى التجلي داخل عالم من الاستلاب والمحاصرة. أمّا كتابه "الإلحاد في المسيحية" (١٩٦٨)، فهو استمرار للنقد الذي بدأت به الماركسية إزاء الدّين. فالنقد المعارض لتركيب الذهنية الدينية عند بلوخ غير منقطع عن تجذّره في الجبهات الفكرية التي فتحتها الماركسية في مواجهة الدّين. وقد توصّل بلوخ في هذا الكتاب إلى مقولته الشهيرة: ((المسيحي الحقيقي فقط باستطاعته أن يكون مُلحدًا، والملحد الحقيقي فقط باستطاعته أن يكون مسيحيًا جيّدًا)).

وفي دراسته "الذاتي والموضوعي، إيضاح حول هيغل"، يكشف بلوخ عن أن الهيجلية تُمثّل استمرارية دائمة بين مثالية مُنغزة أبدئيًا في الواقع، فيؤسّس بذلك وساطة مُتفردة بين الذاتي والموضوعي. وينتهي إلى أن الحاجة والقلق هما القوّتان المحركتان الأساسيتان للتاريخ. الحاجة والقلق من حيث هما تشخيصان يقعان في المجال المشترك والاتصالي بين المجتمع والفرد، فما يطغى على المجموعة من هيمنة هو فردي في أعماق نقطة فيه، أمّا "الأنا" فهو الذاتية المولّدة لحركية تتّسم في النهاية بأنها جماعية. كما أن حرية الأنا لا تعني شيئًا سوى حرية المجموع الذي يكتنفها. يُعتبر كتاب "مبدأ الأمل" في أجزائه الثلاثة (١٩٥٤ - ١٩٥٩) أهم كتبه على الإطلاق. وقد بيّن فيه أن حرية الأنا وتحقيقها هما مشروع مُقرّر سلفًا بوساطة الأنا ذاتها. لكن هذه الذات لا تستطيع التجرّد من واقعها المحكوم والغارق في عالم الاستلاب السّلي، غير أن هذا الاستلاب ليس واقعًا مُغلّقًا في نظر بلوخ، لأن بذور الأمل لن تنتهي، ولأن كل الحالات تنطوي على نقيضها المطلق، وهنا يهاجم بلوخ بنقد مُفعم بالأمل الطوباوي كلّ الأنظمة الفكرية، وكل فكرة لنظام، مُفضّلًا الانفتاح على مستقبل رحب للإنسان والعالم. وقد كتب بلوخ هذا الكتاب خلال هجرته إلى الولايات المتحدة، حيث عاش في نيويورك مشاير قبل أن يستقر في كامبردج، ماساتشوستس. وكان بلوخ في الأصل قد قرر نشره تحت عنوان "أحلام حياة أفضل". ويحاول "مبدأ الأمل" تقديم حساب موسوعي شامل حول اتجاهات الجنس البشري والطبيعة بالنسبة للتقدم الاجتماعي والتكنولوجي المستقبلي. وعمومًا، لقد ركّز عمل بلوخ على مفهوم عالم الإنسان اليوتوبي (المثالي) حيث ينتفي الاضطهاد والاستغلال، وهو ما سيكون دائمًا قوة ثورية مُؤدّلة.

إرنست همنغواي وسُلالة الانتحار

وُلد الأديب الأمريكي إرنست همنغواي (١٨٩٩ - ١٩٦١) في ولاية إلينوي الأمريكية ، لأبٍ طبيب مُولع بالصيد والتاريخ الطبيعي ، وأم مُتزمّة ذات اهتمام بالموسيقى . وفي عام ١٩٠٩ ، اشترى له أبوه بُندقية صيد ، أصبحت رفيقة عُمره إلى أن قُتل نَفْسَه بِها عام ١٩٦١ .

دخل همنغواي الحياة العملية مُبَكِّراً . حيث عمل صحفياً بجريدة " كنساس ستار " ، ثُمَّ متطوعاً للصليب الأحمر الإيطالي (١٩١٨) في أواخر الحرب العالمية الأولى . وهناك أُصيب بجروح خطيرة أفعده أشهراً في المستشفى ، وخضع لعمليات جراحية كثيرة . وبسبب هذه التضحيات ، حصل على رتبة ملازم مع وسام الشجاعة .

كان جزءاً من مجموعة المغتربين في باريس في العشرينيات ، وعُرفت باسم " الجيل الضائع " . وقد عاش همنغواي حياةً اجتماعية مشاغبة . حيث تزوّج أربع مرات ، وكانت له عدة علاقات عاطفية ، ووَلَع غريب بمصارعة الثيران .

في عام ١٩٢١ عمل مُراسلاً لصحيفة " تورنتو ستار " في شيكاغو ، ثم هاجر إلى باريس عام ١٩٢٢ م . حيث عمل مُراسلاً أيضاً ، وأجرى مقابلات مع كبار الشخصيات والأدباء ، كما تعرّف على أدباء فرنسا حين كانت الحركة الثقافية الفرنسية في العشرينيات تعيش عصرها الذهبي .

نشر في عام ١٩٢٣ أولى مجموعاته القصصية ، وهي " ثلاث قصص وعشرة أناشيد " ، ويُمثّل هذا الحدث بداية نجاحه الأدبي . لكنّ أول عمل لهمنغواي لفت انتباه الجمهور هو " الشمس تُشرق أيضاً " (١٩٢٦) . وقد لاقت هذه الرواية نجاحاً منقطع النظير .

واثر عودته عام ١٩٢٣ إلى فلوريدا ، حيث عائلته ، انتحر والده بإطلاقه طلقة في الرأس . وفي عام ١٩٢٩ ، عاد مع زوجته الثانية إلى أوروبا ، حيث نشر روايته " وداعاً للسلاح " . وقد نجح هذا العمل ، وحُوّل إلى مسرحية وفيلم بسرعة . وصار اسمه راسخاً في عالم الأدب والأدباء . بدأ همنغواي منذ ١٩٣٣ ، يتردّد باستمرار على كوبا ، وفيها كتب عمله " الفائز يخرج صِفْرَ اليدين " ، ثُمَّ تَوَقَّفَ عن النشر حتى ١٩٣٥ ، لِتَظْهَر روايته " رواي أفريقيا الخضراء " عن رحلة قادته لشرق القارة لصيد الطرائد البرية ، وهي هوايته منذ الصَّبَا .

في الفترة (١٩٣٦ - ١٩٣٨) عمل مُراسلاً حربياً لتغطية الحرب الأهلية الإسبانية ، وقد سمحت له هذه المهمة بالتعبير عن عدائه الشديد للفاشية الصاعدة آنذاك .

وفي عام ١٩٤٠ ، نشر روايته " لِمَنْ تُقَرَعُ الأجراس " ، لِتُحَقِّقَ نجاحًا ساحقًا ، وتتجاوز مبيعاتها المليون نسخة في السنة الأولى لنشرها ، ونال عن حقوق الفيلم المأخوذ عنها ١٥٠ ألف دولار ، وكان رَقْمًا قياسيًا وقتذاك .

يُعتَبَرُ همنغواي من أهم الأدباء في القرن العشرين . غلبت عليه النظرة السوداوية للعالم في البداية ، إلا أنه عاد لِيجدّد أفكاره ، فعمل على تمجيد القوة النفسية لعقل للإنسان في رواياته . وغالبًا ما تُصوّر أعماله هذه القوة ، وهي تتحدى القوى الطبيعية الأخرى في صراع ثنائي وفي جو من العزلة والانطوائية . وأدبه يَعمَلُ عكس تجاربه الشخصية في الحرب العالميتين الأولى والثانية والحرب الأهلية الإسبانية . تميّز أسلوبه بالبساطة والجمال القصيرة . وترك بصمته على الأدب الأمريكي الذي صار همنغواي واحدًا من أهم أعمدته . والجدير بالذكر أن شخصيات همنغواي دائمًا أفراد أبطال يتحمّلون المصاعب دون شكوى ولا ألم . وتعكس هذه الشخصيات طبيعة همنغواي الشخصية .

تلقّى همنغواي جائزة بوليتزر الأمريكية في الصحافة عام ١٩٥٣ ، كما حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٤ ، وذلك " لأستاديته في فن الرواية الحديثة ، ولقوة أسلوبه ، كما يظهر ذلك بوضوح في قصته الأخيرة العجوز والبحر " ، كما جاء في تقرير لجنة جائزة نوبل .

في آخر حياته ، انتقل للعيش في منزل بكوبا ، حيث بدأ يُعاني من اضطرابات عقلية . حاول الانتحار في ربيع ١٩٦١ . وتلقى علاجًا بالصدمات الكهربائية . وبعد حوالي ثلاثة أسابيع من إكماله الثانية والستين من العمر ، وضع حدًا لحياته ، وذلك بإطلاق الرصاص على رأسه من بُندقية الصيد التي اشتراها له والده .

همنغواي نفّسه حَمَلَ العلاج بالصدمات الكهربائية مسؤولية تدميره نفسيًا ، بسبب فقدانه للكثير من ذكرياته . ولأسرة همنغواي تاريخ طويل مع الانتحار . فقد انتحر والده أيضًا ، وكذلك انتحرت أخته غير الشقيقتين ، ثُمَّ انتحرت حفيدته . ويرى البعض أن ذلك يعود إلى مرض وراثي في عائلته ، يُسبب زيادة تركيز الحديد في الدم ، ممّا يُؤدّي إلى تلف البنكرياس ، ويُسبب الاكتئاب ، وعدم الاستقرار في المخ . وقد انتحر همنغواي في النهاية خوفًا من الجنون . وصار منزله في كوبا في الوقت الحالي متحفًا يضم مقتنياته وصوره .

من أبرز رواياته: سيول الربيع (١٩٢٦) . الشمس تُشرق أيضًا (١٩٢٦) . وداعًا للسلاح (١٩٢٩) . الذين يملكون والذين لا يملكون (١٩٣٧) . لمن تُقَرَعُ الأجراس (١٩٤٠) . عبر النهر وخلال الأشجار (١٩٥٠) . العجوز والبحر (١٩٥٢) .

إرنستو ساباتو وخطورة العلم

وُلد الكاتب الأرجنتيني إرنستو ساباتو (١٩١١ _ ٢٠١١) في مدينة روخاس التابعة للعاصمة بوينس آيرس ، لعائلة من الطبقة المتوسطة .

في عام ١٩٢٤ التحق بمدرسة روخاس الابتدائية ، ثم سافر إلى منطقة لابلاتا كي يستكمل دراسته الثانوية. وفي عام ١٩٢٩ التحق بكلية العلوم الفيزيائية والرياضيات بجامعة لابلاتا القومية. وكان أحد الناشطين في حركة الإصلاح الجامعية. وفي عام ١٩٣٣ ، تمَّ اختياره لمنصب السكرتير العام لاتحاد الشباب الشيوعيين . ولكن في عام ١٩٣٤ ، بدأ يفقد الثقة بالشيوعية وبستالين . في عام ١٩٣٨ ، حصل على الدكتوراة في الفيزياء من جامعة لابلاتا القومية. وفي عام ١٩٤٣ ، ونتيجة أزمة وجودية ، قرَّر أن يتقاعد نهائياً من المجال العلمي لتكريس نفسه للأدب والرسم. حيث قام بتعريف العلم على أنه ليس أخلاقياً لأنه "من الممكن أن يدفع العلم إلى كارثة". ثم استقر بعد ذلك في قرطبة ، ليعيش في مزرعة بدون وجود ماء ولا كهرباء ، ولكن فقط ليتفرغ للكتابة . في عام ١٩٤٣ ، ظهر أول أعماله الأدبية ، وهو مقال عن رواية " اختراع موريل " للكاتب كاساريس . وفي عام ١٩٤٥ ، نشر كتابه الأول تحت عنوان " واحد والكون " ، وأيضاً سلسلة من المقالات الفلسفية التي تنتقد بوضوح الحياد الأخلاقي للعلم ، وتُحذّر من عمليات التجريد من الإنسانية في المجتمعات التكنولوجية . وفي عام ١٩٦١ ، نشر روايته " الأبطال والقبور " التي تُعتبر واحدة من أفضل روايات القرن العشرين . وتدور أحداثها حول قصة عائلة أرسقراطية في الأرجنتين، تتخللها قصة حميمة عن وفاة الجنرال خوان لافال، بطل الاستقلال، والحروب الأهلية في القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٥٥ . وفي عام ١٩٧١ ، نشر كتاب " مفاتيح السياسة " الذي يتضمّن مناقشات سياسية ورسائل بين ساباتو وغيفارا . وبدأ يتعاون مع صحيفة (الرأي) . وفي عام ١٩٧٣ ، قام بتنظيم مقالاته حول الثقافة الوطنية على مفترق طرق ، وحصل على جائزة من الجمهورية الاتحادية الألمانية . نشر روايته " ملاك الجحيم المدمر " عام ١٩٧٤ ، وهي عبارة عن سيرة ذاتية تأخذ شكل الحكاية ، والغريب أن ساباتو كان هو نفسه الشخصية الرئيسية، وأيضاً قد أخذ بعض الشخصيات من روايته " الأبطال والقبور " . وفي عام ١٩٨٤ ، حصل على جائزة ثيريانتس ، وهي أعلى جائزة أدبية في العالم الناطق بالإسبانية . وكان الكاتب الأرجنتيني الثاني الذي يحصل على هذه الجائزة بعد بورخيس في عام ١٩٧٩ .

في الرابع من يونيو عام ٢٠٠٠ ، قدّم كتابه " المقاومة " على شبكة الإنترنت ، ليكون بذلك أول كاتب باللغة الإسبانية يقوم بنشر كتاب له على شبكة الإنترنت بدلاً من طباعته على الورق . وفي ١١ فبراير ٢٠٠٩ ، رُشِّحَ للمرة الثالثة لجائزة نوبل للآداب . تُوفِّيَ ساباتو قبل أن يُكمل المائة عام بخمسة وخمسين يَوْمًا . وذلك بسبب الالتهاب الرئوي الناتج عن التهاب الشعب الهوائية . وكان يُعاني أيضًا من مشاكل خطيرة في الرؤية . وقد وصفت الصحافة على الفور وفاة ساباتو قائلةً : ((إنه موت للرجل الذي تخطى الأدب ليصبح رمزًا لعودة الديمقراطية للأرجنتين)) . وفي غلاف عددها ليوم ٣٠ من إبريل، أطلقت عليه صحيفة الباييس الإسبانية : ((آخر كلاسيكي للأدب الأرجنتيني)) . وأيضًا أطلقت عليه صحيفة الموندو الإسبانية : ((الناجي الأخير من كُتّاب الأرجنتين العظماء)) . في الرابع والعشرين من شهر يونيو عام ٢٠١١ ، في ذكرى عيد ميلاد الكاتب ، قامت مدينة بوينس آيرس بتكريمه ضمن سلسلة من الأنشطة التي نظمتها وزارة الثقافة هناك . وقاموا بقراءة مقتطفات من كتبه في مختلف المجالات . علاوة على ذلك ، فقد أعلن ابنه ماريو ساباتو أنه سيتم تجديد منزل والدته استعدادًا لتحويله إلى متحف . وأيضًا ، قامت وزارة الثقافة بوضع صورة كبيرة للكاتب على قطعة قماش بلغ عرضها ٨٨ مترًا و عرضها ٣٤ مترًا . وضعوها على مبنى لابلاتا في (سريتو) ، ولاتزال موجوده حتى وقتنا هذا .

أرنولد توينبي ومسألة الحضارات

وُلد المؤرّخ البريطاني أرنولد توينبي (١٨٨٩ – ١٩٧٥) في لندن. درس اليونانية واللاتينية في جامعة أكسفورد . وتقلّب في عدّة مناصب، منها: أستاذ الدراسات اليونانية والبيزنطية في جامعة لندن ، ومدير دائرة الدراسات في وزارة الخارجية البريطانية . أهم أعماله موسوعة دراسة للتاريخ، وهو من أشهر المؤرخين في القرن العشرين .

يُعتبر توينبي أهم مؤرّخ بحث في مسألة الحضارات بشكل مُفصّل وشامل، ولا سيّما في موسوعته التاريخية " دراسة للتاريخ " التي تتألف من ١٢ مجلداً ، أنفق في تأليفها أكثر من ٤٠ عاماً . وهو يرى، خلافاً لمعظم المؤرّخين الذين يعتبرون الأمم أو الدول القومية مجالاً لدراسة التاريخ، أن المجتمعات (أو الحضارات) الأكثر اتّساعاً زماناً ومكاناً ، هي المجالات المعقولة للدراسة التاريخية . وهو يُفرّق بين المجتمعات البدائية والحضارية ، وهذه الأخيرة أقل عدداً من الأولى، فهي تبلغ واحداً وعشرين مُجتمعاً اندثرت مُعظمها، ولم يبقَ غير سبع حضارات، تمرّت منها بدور الانحلال، وهي: الحضارة الأرثوذكسية المسيحية البيزنطية، والأرثوذكسية الروسية، والإسلامية، والهندوكية، والصينية، والكورية اليابانية ، أمّا السابعة، أي الحضارة الغربية، فلا يُعرّف مصيرها حتى الآن . يُفسّر توينبي نشوء الحضارات الأولى، أو كما يُسمّيها الحضارات المنقطعة، من خلال نظريته الشهيرة الخاصة بـ " التحدي والاستجابة "، التي يعترف بأنه استلهمها من علم النفس السلوكي. وعلى وَجّه الخصوص من كارل يونغ . ويقول هذا العالم إن الفرد الذي يتعرض لصدمة قد يفقد توازنه لفترة ما، ثم قد يستجيب لها بنوعين من الاستجابة : الأولى _ التّكوص إلى الماضي لاستعادته والتمسّك به تعويضاً عن واقعه المر، فيُصبح انطوائياً . والثانية _ تقبّل هذه الصدمة والاعتراف بها ثم محاولة التغلب عليها، فيكون في هذه الحالة انبساطياً. فالحالة الأولى تُعتبر استجابةً سلبية، والثانية إيجابية بالنسبة لعلم النفس . (والحالة الأولى تنطبق على العرب ، فهم قد تعرّضوا لصدمة الحضارة ، فلهجّوا إلى التّكوص إلى الماضي دفاعاً عن النفس) .

يقول توينبي في تفسير نشوء الحضارات إن المجتمعات البدائية لدى مُواجهتها تحديات بيئية أو بشرية مُعيّنة ، تستجيب استجاباتٍ مُختلفة، أي إنها تُواجه ذلك الحافزَ برُودٍ فعلٍ تختلف من جماعةٍ إلى أخرى ، بعضها سلبية وبعضها إيجابية. وعلى هذا المنوال يُفسّر ظهور الحضارات الأصلية الأولى في كُل من وادي الرافدين ووادي النيل، فيقول: كان السهل الأفروآسيوي (أي

جنوب شبه الجزيرة العربية وشمال إفريقيا) يتمتع بجو معتدل ومراعٍ شاسعة ومياهٍ غزيرة، خلال نهاية الفترة الجليدية الأخيرة . وكانت الشراذم البشرية المنتشرة فيه تعيش عيشةً راضيةً على الصيد والقنص وجمع الثمار والبذور. ولكن حدثَ تغيُّرٌ مناخي تدريجي في الفترة المعتدلة أو الدفيئة الأخيرة التي نعيشها الآن، الأمر الذي سبَّب انحباسَ الأمطار وانتشارَ التصحُّر وجفافَ الأنهر . وهذا هو نمطُ التحدي الذي واجهته تلك المجتمعات، فاستجابت له بأساليبٍ مختلفة . إذ تحوَّل بعضها إلى قبائل رُحَّل تسعى وراء الكأ والماء، وترعى أنعامها التي تقتاتُ عليها. وانحدر الجزء الثاني إلى الجنوب نحو المناطق الاستوائية المشابهة للبيئة السابقة إلى حد بعيد، فظل مُحافِظًا على نمط معيشته البدائية السابقة إلى يومنا هذا . ورحل قسمٌ ثالث إلى دلتا النيل، حيث واجه أحوالاً طبوغرافية جديدة تتمثل بوجود هذا النهر العظيم وتلك البيئة المختلفة، فكافح عوائلها وسخرها لأغراضه، بعد أن اكتشف الزراعة، الأمر الذي أدَّى إلى إنشاء الحضارة المصرية . كما أن انتقال بعض الجماعات من شبه الجزيرة العربية إلى أحوار جنوب العراق والفرات الأسفل تمخَّض عن انبثاق حضارات ما بين النهرين . وبعبارةٍ أخرى ، إن هذه الجماعات قد استجابت إلى التحدي الطبيعي بأساليبٍ مختلفة ، منها بالبقاء في أرضها وتحولها إلى قبائل بدوية، أي كانت استجابتها سلبية، ومنها بالرحيل إلى مناطق جديدة مختلفة قريبة من الأنهار، حيث أسست تلك الحضارات الأولى، أي كانت استجابتها ديناميكية حضارية، تعتمد على الحركة أو الهجرة، ثم التغيير والتطوير والإبداع . أمَّا فيما يتعلق بنمو الحضارة، فإعيدها تُؤنِبي إلى الدافع الحيوي ، وهي الطاقة الكامنة لدى الفرد والمجتمع التي تنطلق بغرض التحقيق الذاتي . ويقول : إن الشخصية النامية أو الحضارة تسعى إلى أن تصيرَ هي نفسها بيئةً نفسها، وتحديدًا لنفسها، ومجالَ عمل لنفسها. وبعبارةٍ أخرى ، إن مقياس النمو هو التقدُّم في سبيل التحقيق الذاتي . ويكون ذلك عن طريق المبدعين من الأفراد، أو بواسطة الفئة القليلة من هؤلاء القادة الملهمين . إذ تستجيب لهم الأكثرية عن طريق المحاكاة الآلية التي تُمثِّل الطريقةَ الغالبة في عملية الانقياد الاجتماعي . وتقود هذه المحاكاة في الجماعة البدائية إلى حركةٍ سلفية تُنزِعُ إلى مُحاكاةِ القُدَماء ، بينما هي في المجتمعات الحضارية النامية حركة تقدُّمية تُؤدِّي إلى مُحاكاةِ الطليعة الخالقة .

وعلى صعيد سقوط الحضارات يرى تُؤنِبي أنه يعود إلى ثلاثة أسباب : ١- ضعف القُوَّة الخالقة في الأقلية المُوجَّهة وانقلابها إلى سُلطة تعسُفية . ٢- تخلِّي الأكثرية عن مُؤالة الأقلية الجديدة المسيطرة ، والكف عن مُحاكاتها . ٣- الانشقاق وضياع الوُحدة في كيان المجتمع .

إريك أكسل كارلفلت ومُقتدة الأدب

وُلد الشاعر السويدي إريك أكسل كارلفلت (١٨٦٤ _ ١٩٣١) في مدينة فولشرنا بوسط السويد. تَمَّ انتخابه عُضْوًا في الأكاديمية السويدية عام ١٩٠٤. وفي عام ١٩١٢ انتُخب أمينًا دائمًا للأكاديمية، وهو المنصب الذي شغله حتى وفاته . رفض جائزة نوبل للآداب عام ١٩١٩ ، ولكنها مُنحت له عام ١٩٣١ بعد وفاته .

كانت عائلته تعمل في مجال الزراعة . وقد تورَّط والدُه في فضيحة مالية تشتمل على جرائم اقتصادية وتزوير ، فَحُكِمَ عَلَيْهِ بالسجن لمدة طويلة . وهذه القضية الجنائية لَوُثَّتْ سُمعة العائلة ، وكانت سببًا في تغيير اسم الشاعر الذي كان عند ولادته " إريك أكسل أريكسون " .

لقد أرادَ الابتعاد عن ماضي والده الملوَّث ، والتَّأْي بِنَفْسِهِ عن أعماله الإجرامية ، وغسل اسمه من الخزي والعار . لقد كان والدُه عُقدةً في حياته الشخصية ، ووَصمة عار في تاريخه ، فأرادَ أن يُطَهِّر حياته الشخصية مِن عُقدة أبيه ، وَيَغسل تاريخه من العار . وكان الحل الأمثل بالنسبة إليه تغيير اسم عائلته ، وإقامة قطعة مع الماضي الملوَّث ، وبدء صفحة جديدة .

درس الأدب السويدي واللغات الإسكندنافية والإنجليزية في جامعة أوبسالا ، وهي جامعة سويدية ، تُعتبر أقدم جامعة إسكندنافية . وقد تخرَّج منها في عام ١٨٩٨ . واضطُرَّ في أثناء فترة دراسته أن يعمل بالتدريس في عدة مواقع، من أجل تأمين تكاليف دراسته . وبعد تخرُّجه، حصل على وظيفة في المكتبة الملكية السويدية في ستوكهولم .

يتميز شِعْرُه بالأبعاد الرمزية والفضاءات الغنائية . وقد حوَّل الأغاني الشعبية إلى قصائد رمزية حيَّة عابقة بالتحويلات اللغوية والطقوس المعرفية والإشارات الغامضة .

في عام ١٨٩٥ نُشرت مجموعته الشعرية الأولى " الطبيعة والحب " لكنها لم تجلبَ له الشهرة كما كان يأمل . وفي عام ١٨٩٨ كَتَبَ مجموعته الشعرية الثانية " أغاني فريدولين " . ومن الواضح أنَّ مُستواه الشعري أخذَ يَتَطوَّر شيئًا فشيئًا . وفي عام ١٩٠٦ أصدرَ مجموعةً مُتميزةً مِنَ القصائد بعنوان " فلورا وبومونا " .

اعتمد كارلفلت على وصف المشاعر الجياشة ، وتصويرِ الواقعية بأسلوب رمزي مُفعم بالأحاسيس والذكريات . وَمَعَ هذا ، فلم يَنْجُ مِنَ الانتقادات بسبب غرق قصائده في الخيالات الرمزية ، وعدم مُبالايتها بالأحداث السياسية والقضايا المصيرية التي تمسُّ حياة الإنسان بشكل

مباشر . وقد تأثر الشاعرُ بعوالم الزراعة والفلاحين التي عايشها في طفولته ، خصوصاً أنه نشأ في عائلة زراعية. وكانت مفرداته ولغته التصويرية مُستمدَّة من العالم الافتراضي المسيطر على ذاكرته. يُعتبر كارلفلت _ بالدرجة الأولى _ شاعراً غنائيًا ، وقد استلهمَ الملحنون العديدَ من الأغاني الشعبية من قصائده الشعريّة . وقد تحرَّزَ من نبرة الوعظ والإرشاد التي سيطرت على شعره . حصل على التكريم في حياته وبعد موته . ففي عام ١٩١٧ منحتَه جامعة أوبسالا الدكتوراة الفخرية . وفي عام ١٩١٩ مُنح جائزة نوبل للآداب لاعتباره واحدًا من أكبر شعراء أوروبا ، لكنه رفضها لسبب أخلاقي يتعلق بنزاهة لجنة التحكيم ، إذ إنه كان أمين الأكاديمية السويدية (رئيسها) وهي الجهة التي تمنح جائزة نوبل للآداب، فخشى أن يُقال إنه قد منحتَ الجائزة لنفسه . لذلك رفض استلام الجائزة في حياته لهذا السبب ، فأُسندت الجائزة إليه بعد وفاته . وهذا دليل واضح على نزاهته، وحُرمه على سُمعته ومكانة الأكاديمية السويدية . فقد رفض المجد الشخصي ، خوفًا من اتِّهامه بخداع الرأى العام ، واستغلال السُلطة والنفوذ .

إريك فروم وقضية الاختراجه

وُلد الفيلسوف الأمريكي من أصل ألماني إريك فروم (١٩٠٠ - ١٩٨٠) في مدينة فرانكفورت، وهاجرَ إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٣٤ .

كان الطفل الوحيد لعائلة يهودية أرادت منه أن يصبح حاخامًا. في عام ١٩١٨ بدأ دراسة علم القانون في جامعة فرانكفورت، وفي عام ١٩١٩ انتقلَ إلى جامعة هايدلبرغ، حيث قام بتغيير دراسته إلى علم الاجتماع ليصبح التلميذ المباشر لألفريد فير (شقيق عالم الاجتماع الشهير ماكس فير). ودرس أيضًا الفلسفة ليحصل على درجة الدكتوراة في الفلسفة، ثمَّ انصرف إلى التحليل النفسي مع أستاذه المحلِّلة النفسية الألمانية الشهيرة فريدا رايخمان التي أضحت زوجته عام ١٩٢٩ .

نال شهادة الدكتوراة في عام ١٩٢٢ من جامعة هايدلبرغ . وفي عام ١٩٢٤ ، بدأ فروم بدراسة التحليل النفسي في معهد برلين للتحليل النفسي . بعد الانتهاء من دراساته ، قام فروم بالمساعدة بتأسيس معهد فرانكفورت للتحليل النفسي ، ثمَّ انضمَّ لاحقًا إلى معهد فرانكفورت للبحوث الاجتماعية (ما عُرف لاحقًا بمدرسة فرانكفورت) .

قام فروم خلال الفترة (١٩٢٩ - ١٩٣٢) بالتدريس بمعهد فرانكفورت للتحليل النفسي وجامعة فرانكفورت .

وبعد وصول النازين للسلطة في ألمانيا في عام ١٩٣٣ ، سافرَ إلى جنيف، ثم في عام ١٩٣٤ سافرَ إلى أمريكا، إلى جامعة كولومبيا حيث استمر بها إلى عام ١٩٤١، ثم انضم لجامعة بينغتون . وحصل على درجة الأستاذية من جامعة ميتشيجن عام ١٩٦١ . وفي عام ١٩٥١ ، عُيِّنَ بروفيسورًا في التحليل النفسي بالجامعة الوطنية في المكسيك ، حيث استمر بالتدريس بها حتى عام ١٩٦٥ ، بالإضافة إلى قيامه بإدارة معهد المكسيك للتحليل النفسي حتى عام ١٩٧٦ . تُوفي فروم إثر أزمة قلبية انتابته بسويسرا . وقد قصدها مُنذ عام ١٩٦٩ للعلاج . ودُفِن في مدينة بلينتونا .

لَمْ تكن حياته مستقرة، فقد تزوّجَ عدَّة مرَّات، واضطُرَّ للتنقل بين الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك . وكانت له تجربة سياسية مع الحزب الاشتراكي الأمريكي منذ عام ١٩٦٠ ، وكان التزامه ضد حرب فيتنام سببًا مباشرًا في شهرته .

قام فروم بمراجعة نظرية الغرائز الفرويدية ليعوّضها بنظرية العلاقة النمطية، وهي نظرية لم ترق لهوركهايمر وأدورنو، فانتقدها، وكان ذلك سبباً في عزل فروم من مدرسة فرانكفورت.

تقوم أبحاث فروم في السلوك الإنساني على محاولة التوفيق بين مقتضيات المنهج الفرويدي، القائم على دراسة الفرد وبنائه النفسي، وبين المنهج الماركسي المرتكز أساساً على تناول المعطيات الاقتصادية والاجتماعية، وهو يرى أن السلوك الإنساني لا يعتمد على تكوين الفرد الغرائزي، وإنما يخضع للظروف والمؤثرات المحيطة به.

يُعتبر فروم من أهم الفلاسفة الذين تعرّضوا لأزمة الإنسان المعاصر، وقد ساهم في جعل مصطلح "الاغتراب" من المصطلحات المألوفة في القرن العشرين، من خلال أبحاثه ودراساته.

ويُعَدُّ كتابه "الخوف من الحرية" (١٩٤١) أول كتبه الرئيسية. وفي هذا الكتاب يحاول فروم تتبع تطوّر الحرية من العصور الوسطى للعصور الحديثة (في وقت كتابة الكتاب)، حيث قام باستخدام أساليب التحليل النفسي لتحليل وفهم التّزعة بالجوء نحو الأنظمة الشمولية كالنازية، للهروب من حالة اللاأمان التي يعيشها الإنسان.

وفي كتابه "المجتمع العاقل" (١٩٥٥) طرح مسألة غربة الإنسان عن نفسه نتيجة التّزعة نحو الاستهلاك التي تفرضها المجتمعات الصناعية. بالإضافة إلى عدّة كتب في الطبيعة الإنسانية والأخلاق والحب، وفي نقد وتحليل الأفكار الماركسية والفرويدية، والتحليل النفسي والدين.

من أهم كتبه: الخوف من الحرية (١٩٤١). التحليل النفسي والدين (١٩٥٠). اللغة المنسية (١٩٥١). أزمة التحليل النفسي (١٩٧٠). الامتلاك أو الوجود (١٩٧٦).

إسّاك سنجر وحياة اليهود

وُلد الأديب الأمريكي إسّاك سنجر (١٩٠٢ - ١٩٩١) في بولندا ، وتُوفّي في ميامي . كان روائياً وقاصّاً وكاتب مقالات . حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٧٨ .

كان يكتب باللغة اليديشية . واللغة اليديشية هي لغة يهود أوروبا . وقد نمت خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين من لغات عدّة ، منها : الآرامية ، والألمانية ، والإيطالية ، والفرنسية ، والعبرية . يتحدّثها في الوقت الراهن ما يُقارب ثلاثة ملايين شخص حول العالم . أغلبهم يهود أشكناز . فكّم كان عدد المتحدثين بها عندما كان سنجر يكتب بها قبل عشرات السنين ؟ . لا بُدّ أنهم كانوا قلة قليلة . وهذا يعني أن سنجر كان كاتباً محصوراً في نطاق لغوي ضيّق ضمن بيئة محصورة ، ولا يتمتّع بالانتشار . ممّا يُشير بوضوح إلى دعم لجنة جائزة نوبل لسنجر لكونه يهودياً ، والاعتناء به ، ومساعدته للوصول إلى العالمية . وهذا يُثير تساؤلات حقيقية حول قضية سيطرة العقل اليهودي على لجنة جائزة نوبل .

وُلد سنجر لعائلة يهودية تضمّ رجال دين وحاخامات أصحاب مكانة اجتماعية وفكرية . وكان أبوه وجده من الحاخامات .

تلقّى تعليمًا يهوديًا تقليدياً في مدرسة الحاخامات في وارسو ، مع أخيه الكبير " إسرائيل جوشوا " كي يُصبح حاخامًا ، لكنّه فضّل أن يُصبح كاتبًا .

يُعتبّر سنجر من أكبر أدباء اللغة اليديشية . وصف في رواياته وقصصه الساخرة الفكاهية المليئة بالحكمة والمواعظ والتعابير الإنسانية العميقة ، حياة اليهود في بولندا وأمريكا ، ونمط معيشتهم ، وأحلامهم ، وآمالهم . ومع هذا ، فقد كانت شخصيات رواياته وموضوعاتها بشرية عالمية . كان يستمتع بالطبيعة الخلابة التي تُساعده على الكتابة والإبداع . لذلك كان حريصاً على العيش في قلب الطبيعة .

نشر أولى رواياته " الشيطان في جوربي " عام ١٩٣٥ ، وبعدها هرب هو وأخوه إلى أمريكا ، لأنهما تَوَقَّعا أن ألمانيا النازية بقيادة هتلر سوف تهاجم بولندا ، وتحتلها . وهذا ما حدث فعلاً . استقرّ الأخوان في نيويورك . وعمل سنجر في إحدى الجرائد ، وكتب مقالات باسم مستعار ، وكتب قصصاً ، مُعظمها باللغة اليديشية . وفي عام ١٩٤٣ ، حصل على الجنسية الأمريكية . وهذا الأمر ساهم في انتشار كتاباته على نطاق واسع .

حَقَّقَ سنجر شهرةً كبيرةً ، وصار له جمهور ومُعجبون ، وصارت كتاباته مطلوبة لدى شريحة واسعة من الناس .

كان من عادته أن يكتب بلغة اليديش، ثمَّ يُشْرِف بنفسه وبشكل دقيق على الترجمة للإنجليزية.

في عام ١٩٥٠ ، نشر روايته " عائلة موسكات " ، وهي رواية طويلة . تُعْتَبَر من أهم رواياته على الإطلاق . وقد حازت على جائزة لويس لاميد الأدبية، ووُصِفَت الرواية بأنها " رواية ملحمة عن يهود شرق أوروبا في القرن العشرين " .

وفي هذه الرواية ، وَصَفَ سنجر حياة اليهود وتفاصيل معيشتهم في وارسو ، من بداية القرن العشرين لغاية الحرب العالمية الثانية ، والغزو النازي لبولندا . والرواية تمتلئ بالشخصيات والأحداث والمشاعر والذكريات والأحلام والآمال .

وفي عام ١٩٦٠ ، نشر روايته " ساحر لوبلين " ، وهي رواية طويلة ، وتدور أحداثها في بولندا في أواخر القرن التاسع عشر ، وتناقش صراع الإنسان ضد الشر .

من أهم رواياته : " العبد " (١٩٦٢) . " بيت المزرعة " (١٩٦٧) . " أعداء ، قصة حب " (١٩٧٢) .

ومن أشهر قصصه القصيرة : جيمبل الأحمق (١٩٥٧) . يوم جُمُعة قصير (١٩٦٤) . جلسة تحضير الأرواح (١٩٦٨) .

إسحاق عظيموف وزمالة الخيال العلمي

وُلد الكاتب الأمريكي من أصل روسي إسحاق عظيموف (١٩٢٠ _ ١٩٩٢) بقرية بتروفيتشي ، قرب حدود بيلاروسيا (في الاتحاد السوفيتي سابقًا ، روسيا اليوم) .
عائلته من اليهود الأشكناز الذين اشتغلوا بالطحانة . لقبه مُشتق من " أوزيمي " ، وهي كلمة روسية تعني جوب الشتاء . (يُفترض أن أحد أجداده كان يعمل في هذا المجال) .
خلافًا للترجمات العربية التي حوّلت (بشكل خاطيء) لقبه لـ " عظيموف " لتناسقه مع طريقة اللفظ العربية ، ولا يحمل معنى لقبه في لغته الأم معنى العظمة إطلاقًا . ولكن الاسم انتشر وصار من الصعب تغييره! . هاجرت عائلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وعمره ٣ سنوات . واستقرت ببروكلين ، أحد أحياء نيويورك . ورغم أصوله الروسية ، لم يتعلم عظيموف اللغة الروسية قط ، إذ كان أبواه يُحدّثانه دائمًا باليديشية والإنجليزية .

امتلك والده سلسلة مطاعم حلويات ، وحث ابنه الشاب على العمل معه في متاجره ، إلا أن عظيموف كان شغوفًا بالتعليم مُنذ نعومة أظفاره ، فقد تعلّم القراءة بنفسه وهو في الخامسة . وأتم دراسته الثانوية بعمر الخامسة عشرة ، ليدخل بعدها جامعة كولومبيا . وحاز على إجازة في العلوم عام ١٩٣٩ ، وتابع ليحصل على درجتَي الماجستير والدكتوراة من نفس الجامعة .

بدأ عظيموف عملاً مؤقتًا في جامعة بوسطن ، كلية الطب ، في عام ١٩٤٩ ، حيث عمل كأستاذ مساعد في الكيمياء الحيوية عام ١٩٥٥ . وأصبح في نهاية المطاف أستاذًا في الجامعة أواخر سبعينيات القرن العشرين ، كما عمل في الوقت نفسه محاضرًا بدوام كامل .

أصدر في عام ١٩٥١ رواية " المؤسسة " ، وهي عمل خيالي علمي يروي نهاية الإمبراطورية المجرية ، إضافة إلى تضمّنها طريقة إحصائية للتنبؤ بنتائج ما يُعرف بالتاريخ النفسي . وتلا الرواية إصداران في نفس الموضوع هما: المؤسسة والإمبراطورية (١٩٥٢) و " المؤسسة الثانية " (١٩٥٣) ، بسلاسل مستمرة في الثمانينيات .

كتب عظيموف في مواضيع مختلفة ومجالات متنوعة ، بعيدًا عن الخيال العلمي ، مثل : علم الفلك والأحياء والرياضيات والأديان والسيرة الذاتية الأدبية .

قضى معظم أوقات حياته في غُرلة ، وعمل على كتاباته . وكانت عائلته تحثه للحصول على فترات إستراحة وإجازات . وبحلول كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٤ ، كتب ما يقرب ٥٠٠ كتاب .

كان عظيموف من أكثر الأدباء غزارة في الكتابة، إذ له أكثر من ٥٠٠ كتاب، إضافة لحوالي ٩٠ ألف رسالة وبطاقة . واشتهر بكتاباتة في روايات الخيال العلمي، حيث لاقت رواياته نجاحًا وانتشارًا كبيرين .

وقد تركت مؤلفاته أثرًا كبيرًا في سينما الخيال العلمي ، وحتى في علوم الرجل الآلي ، أو ما يُعرف بالروبوتيك ، كما اشتهر بسلسلة الأساس التي فازت عام ١٩٦٦ بجائزة هوغو لأحسن سلسلة خيال علمي لكل الأوقات .

له أسلوب رائع في الكتابة وعقلية هائلة في التحليل والتبسيط والشمولية. وعمل في أكثر من جامعة، وامتنعت جامعة بوسطن عن دفع راتبه بسبب أن مدخولات كتاباته فاقت الراتب الجامعي. وكان له في جامعة بوسطن مُنذ عام ١٩٦٥ صناديق عددها ٦٤٦ من الأوراق الشخصية المؤرشفة ، يُقارب ارتفاعها ٧٠ مترًا .

تُوفي عظيموف بسبب نوبة قلبية وفشل كلوي . وكان قد عُولج على نحو خاص من مرض الإيدز ، الذي انتقل له من دم منقول له أثناء عملية جراحية .

أسخيلوس والمأساة الإغريقية

يُعتبر الكاتب المسرحي اليوناني أسخيلوس (٥٢٥ ق.م _ ٤٥٦ ق.م) من مؤسسي اللون التراجيدي في الأدب اليوناني ، ومن أهم كُتّاب المأساة الإغريقية على الإطلاق .

كتب العديد من المسرحيات التي جسّدت التاريخ اليوناني ، ويُقدَّر عددها بحوالي سبعين مسرحية، ولم يصلنا في الوقت الحالي منها سوى سبع مسرحيات ، هي: الفرس (٤٧٢ ق.م) . سبعة ضد طيبة (٤٦٧ ق.م) . برومثيروس مُصَفَّدًا (٤٦٥ ق.م) . الضارعات (٤٦٣ ق.م) . " أجاممنون " . " حاملات الشراب " (٤٥٨ ق.م) . ربّات الغضب (٤٥٨ ق.م) .

هناك إجماع مُنذ القديم على أن أسخيلوس هو أبو فن المأساة . فقد كان له فضل تثبيت أسس المأساة من الناحية الفنية ، إذ كان المسرح اليوناني قبله يعتمد على مُمثل واحد يقوم بالأدوار المختلفة ، ولاسيما دُورَي الإله والبطل ، وذلك بأن يصغ وجهه بالمساحيق ، ويُحدِث بعض التغييرات في ملابسه . وسُرعان ما أدرك أسخيلوس فداحة هذا القُصور الفني ، فأقدم على إضافة مُمثل ثانٍ ، وأدخل تعديلاً على دور الجوقة ، ممّا ساعد على إبراز الصراع الذي تقوم عليه فكرة المسرحية اليونانية . وكذلك اهتمّ بملاءمة الملابس والأزياء لطبيعة القصة . واعتنى بصقل الألقعة وإتقان صنعها لتعبّر تعبيراً متناسباً عن انفعالات البطل . وبوجه عام ، اعتنى بالإخراج والمُشاهد، وحثّ الممثلين على إجادة أدوارهم ، وبذل الجهد لإشعار المتفرّجين بأنهم يروُن شيئاً حقيقياً ، وليس مُجرّد تمثيل .

كان أسخيلوس _ مثل غيره من كُتّاب اليونان في تلك الفترة _ يكتب ويستمتع بالحياة ، ويعرف كيف يعمل وكيف يتكلم . وأخرج في عام ٤٩٩ ق.م ، (وهو في السادسة والعشرين) مسرحيته الأولى . وفي عام ٤٩٠ ق.م حارب هو وأخواه في واقعة مرثون ، وأظهروا من الشجاعة ما جعل أثينا تأمر بعمل صورة تُخلّد بها بطولته . وفي عام ٤٨٤ ، نال جائزته الأولى في العيد الديونيشي . وفي عام ٤٨٠ ق.م حارب في أرتميزيوم وسلاميس ، وفي عام ٤٧٩ ق.م في بلاتيه ، وفي ٤٧٦ ق.م و ٤٧٠ ق.م ، زار سرقوسة واستُقبل بمظاهر التكريم في بلاط هيرون الأول . وفي ٤٦٧ ق.م حقّق نجاحاً هائلاً وارتفعت مكانته على أثر ظهور مسرحيته "سبعة ضد طيبة" . وفي عام ٤٥٨ ق.م نال آخر انتصاراته وأعظمها بإخراج أورستيا مسرحيته الثالثة. وفي عام ٤٥٦ ق.م عاد إلى صِقْلِيّة ، حيث وافته مَنِيَّتُهُ في تلك السنة نفسها .

أضفى أسخيلوس على المأساة جلالاً وصوفية ، وتعمَّق في معالجة الموضوعات الدينية الوجودية مثل : علاقة الآلهة بالناس ، وتسَلُّط القوى العُلَيا على الإنسان ، ومشكلة وجود الشر في عالم تسيُّره الآلهة ، ومسألة الصراع الحاد بين الإرادة الحرة وجبروت القَدَر . وإلى جانب إرادة الآلهة وعناء البشر هناك دائماً قوة القضاء التي تُحَتِّم على الناس وآلهتهم في النهاية أن يستسلموا ويقبلوا مصيرهم صاغرين ، حتى بدا الناس والآلهة في كثير من مسرحياته مُجرَّد آلات لا بُد لها من تنفيذ ما رَسَم القضاء على الرغم من كل محاولاتها للاحتجاج والمعاندة .

تَنصِف مسرحيات أسخيلوس بالصراحة والرزانة ، وتسودها مسحة غنائية مُتَشحَّة بالشُّؤم . وغالبًا ما يتكشَّف هذا الشُّؤم بالتدرُّج من خلال تطور الصراع بين البشر والآلهة ، وذلك لأن عَظَمَة البشر تُثير حسد الآلهة ، والغطرسة يتبعها الضلال ، والأرباب يقفون للمُتَكَبِّر بالمرصاد ويُصيبونه بالجنون والعمى . وإنزال العقاب هو الحدث الرئيسي في المسرحية ، وهو شديد مُخيف يتَّخذ صورة طقوس دينية محفوفة بأسرار ذات طابع غيبي .

كان لأسخيلوس تأثير كبير في مستقبل المسرح المأساوي ، ليس فقط على مستوى التجربة اليونانية ، بل امتدَّ تأثيره عميقًا في التاريخ الحديث للمسرح . وعلى الرغم ممَّا طرأ على الدراما من تغييرات ، فإن تأثير أسخيلوس ، سواءً من ناحية الموضوع العظيم أم من ناحية مبدأ الإتقان الفني ظلَّ مُتَّصِلًا .

لَمْ يكن أسخيلوس مؤمنًا تقيًّا . والدليل على ذلك أن في مسرحياته كثيرًا من العبارات الدالة على الإلحاد . وقد اتُّهم بالكشف عن أسرار الطقوس الدينية ، وَلَمْ يُنقِذه من هذه التُّهمة إلا شفاعة أخيه مينياس الذي كشف عمَّا أُصِيب به من جُروح في سلاميس .

كان أسخيلوس يعتقد أن الأخلاق الصالحة تعتمد على قوى غير قوى البشر ، لكي تصمد أمام قوة الغرائز المُضِرَّة بالهيئة الاجتماعية . وكان يُعظِّم الدين ، ويُحاول أن يَسْمُو عن الشُّرك ، ويُفكِّر في التوحيد ، ولكن من منظور مُنحرف ، بِحُكم البيئة اليونانية الوثنية الغارقة في تعدُّد الآلهة . نُقِشَ على شاهد قبر أسخيلوس عبارة كتبها بنفسه . والغريب أنها لَمْ تَذكر شيئًا عن مسرحياته . وهذه العبارة يَفخر فيها بِندوب جراحه : ((تحت هذا الحجر يرقد أسخيلوس ، الذي تُحدِّثنا عن بسالته أيكَة مَرثون ، أو ملكة الفُرس ذات الشَّعر الطويل الذي يعرفه حق المعرفة)) .

أغاثا كريستي وزخامة الرواية البوليسية

وُلدت الروائية الإنجليزية أغاثا كريستي (١٨٩٠ - ١٩٧٦) من أب أمريكي وأم إنجليزية ، وعاشت في بلدة (توركوي) معظم طفولتها . ووصفت كريستي طفولتها بأنها "سعيدة جدًا" ، وكانت محاطة بمجموعة من النساء منحها الشخصية القوية والمستقلة مُنذ سن مُبكرة . في عام ١٩٢٠ ، نشرت روايتها "قضية غامضة" في صحيفة (رئيس بدلي) ، ومن هنا كانت انطلاقاً لمسيرتها الأدبية .

تَلَقَّت كريستي تعليمها في البيت مثل فتيات كثيرات من العائلات الميسورة حسب التقليد آنذاك ، ثُمَّ التحقت بمدرسة في باريس ، وجمعت بين تعلُّم الموسيقى والتدريب عليها ، وبين زيارة المتاحف والمعارض الكثيرة في فرنسا .

عادت إلى إنجلترا وكانت في العشرينيات من عمرها . تَقَدَّمَ لها عدد من الخاطبين الأثرياء والفقراء . رفضتهم جميعاً ، حتى كان زواجها الأول من العسكري البريطاني (أرثشي كريستي) عام ١٩١٤ ، ومنه أخذت لقبها الذي لازمها طوال حياتها ، ولكن زواجها منه فشل بسبب ارتباطه بعلاقة عاطفية مع امرأة أخرى ، ثُمَّ تصرّفه مع (أغاثا) كَرِيَّة بيت ورفيقة فراش . وكانت تلك أسباب انفصالها عنه بالطلاق ، بعد أن أنجبت منه ابنتها (روزلند) .

في عام ١٩٣٠ ، تزوّجت من (ماكس مالوان) عالم الآثار المعروف بعد أن التقت به في إحدى سفراتها إلى الشرق ، حيث عاشت معه في سوريا والعراق ، عندما كان يقوم بأبحاثه . وكانت في الأربعين ، بينما كان عُمره ستاً وعشرين سنة ! .

وقد أتاح لها زواجها هذا أن تزور معظم بلاد الشرق الأدنى والأعلى ، فتجولت في بلاد الشام والعراق ومصر وبلاد فارس ، ووقَّرت لها هذا التجوال فرصاً ممتازة لكتابة أجمل رواياتها وقصصها المليئة بالأسرار، المفعمّة بالغموض، المعتمدة ليس على مواقع الحدث في بلاد الشرق الساحرة فقط وإنما على خيال الكاتبة الجامح ، ولغتها المتدفقة السيّالة ، وقُدَرتُها الفريدة على ابتكار الشخصيات الغامضة والمثيرة ، وتحريكها عبر الرواية باتجاهات مختلفة تُذهل القارئ . بل تشدّه وتُدهشه . ومثلما ابتكر السير آرثر كونان دويل شخصية (شرلوك هولمز) ، وزميله (الدكتور واطسون) ، كذلك نحتت كريستي شخصيات المفتش (هر كول بوارو) ، والكولونيل (بريس) ، و (مس جين ماربل) .

كان الاستقرار العائلي الذي أتاحه لها زواجها من (مالوان) _ فضلاً عن عوامل أخرى _ من أسباب استقرارها النفسي والفكري ، ممّا هيّأ لها فرص الكتابة والإنتاج الأدبي ، حتى وهي ترافق زوجها في إقامته بالمواقع الأثرية .

انضمت كريستي رسمياً إلى بعثة التنقيب البريطانية في نينوى شمال العراق ، برئاسة الدكتور تومسن كامبل، ثمّ إلى بعثة الأربعة عام ١٩٣٢ برئاسة زوجها. وكانت فضلاً عن جهودها التنقيبيّة، تجد الوقت الكافي للكتابة . وحين لا يتوفر لها السّكن في الموقع الأثري ، كانت تنصب لها خيمة خاصة بعيداً قليلاً عن ضجيج الحفّر ، حيث تعتمد إلى كتابة رواياتها وقصصها داخلها .

لقد تجوّلت في سوريا ومصر والأردن وفلسطين وبلاد فارس، وكان لها في كل موقع أثري رواية أو قصة، منها قصتها (لؤلؤة الشمس) التي مثّلت تسجيلاً لزيارتها مع زوجها إلى (البتراء) في حدود عامي ١٩٣٣، ١٩٣٤ . أمّا رواية (موعد مع الموت) وفي فصلها الخامس بالذات فتصف روعة بناء المسجد الأقصى ، وعظمة القبة المشيّدة على صخرة مرتفعة وجمال نقوشه .

وكذلك حديثها مع الدليل العربي الذي رافقهم في أحد التلال الأثرية في الجزيرة السورية ، وكذلك فعلت في قصتها (نجمة فوق بيت لحم) عام ١٩٦٥ . وقد زارت الكاتبة مصر ودرست حضارتها وتاريخها وكتبت الرواية المعروفة (موت على النيل) التي حوّلت إلى مسرحية عام ١٩٤٦ . وعند بلوغها سن الخامسة والثمانين كانت قد أنتجت خمسة وثمانين كتاباً ، بمعدّل كتاب لكل سنة . وهذا رقم عالٍ ، يعكس القدرة على الإنتاج والكتابة ، ويدل على الخيال الجامح .

في روايات كريستي عدد هائل من الألغاز والحكايات الغامضة، سواء كان ذلك في البناء القصصي ، أو المعمار الدرامي ، أو في الحوار ، أو الشخصيات. بل حتى في اختيار مواقع الأحداث التي غالباً ما تكون مُشوِّقة: مواقع أثرية. مدن شرقية. معابد. قصور. فنادق . قطارات . طائرات. في العادة تلجأ الكاتبة إلى تكتيك قصصي يستند إلى (الحيلة أو الخدعة) كأسلوب إثارة وتشويق مفعّم بالغموض ، وخاضع لخيالها الخصب. وتنساب لغتها في تيّار مُتّصل من السرد النثري المجرّد والمتّصف أحياناً بالإطالة. ولكي تُبعد الملل عن القارئ تعتمد إلى إقحام بعض الألغاز والرموز التي تحتمل التأويلات والتفسيرات المتضادة في آن معاً ، وبذلك تشدّ القارئ إلى متابعة الحدث دون أن تبتعد به عن المحور الأساسي للبناء الدرامي الذي خططت له بإتقان، لكي لا يخرج عملها مُسطّحاً فجاً. والجدير بالذكر أن أغاثا كريستي تُعتبر أعظم مؤلفة روايات بوليسية في التاريخ وقد بيعت أكثر من ٢ مليار (٢٠٠٠ مليون) نسخة من رواياتها التي تُرجمت لأكثر من مئة لغة .

أفلاطون وأسلوبه المُخَاوَرَة

وُلِدَ الفيلسوف اليوناني أرسطوكليس بن أرسطون (٤٢٧ ق.م _ ٣٤٧ ق.م). عُرف بأفلاطون وتعني عريض المنكبين .

ينحدر من عائلة أرسقراطية عريقة كان لها دور في المجتمع اليوناني ، وتولى تربيته زوج أمه. عاش أفلاطون في أفضل فترات أثينا ، حيث كانت الثقافة اليونانية في أوج ازدهارها . ويُعتبر مؤسس أكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي ، وواضع الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم . كان تلميذًا لسقراط ، وأستاذًا لأرسطو .

لم يشترك أفلاطون بشكل مباشر في الحياة السياسية ، ولكنه حاول أن يطبق أفكاره بأي شكل ، وكان يدعو إلى تغيير كل النظام السياسي وإلى "جعل الفلاسفة ملوكًا". كان مُقتنعًا تمامًا بأن السياسة على يد الفيلسوف ستحوّل العالم في اتجاه فكرة الخير، ولكن ذلك لم يحدث .

قضى أفلاطون الأربعين عامًا الأخيرة من حياته في أثينا مُنقطعًا للعلم والتدريس. لم يتزوج . عاش في مدرسته مُحاطًا بتلاميذه، وكان يعيش حياة مُرفهة ، وكان يقوم بتطوير أفكاره باستمرار، وقد قام قبل وفاته بوقت قصير بإجراء بعض التعديلات في الجزء الأول من كتابه " الجمهورية " .

تربى أفلاطون في عائلة مُثقفة، اهتمت بتربيته بدنيًا وفكريًا . وقد تلقى منذ صغره التعليم على يد مُدرّس خاص، وهو الذي أطلق عليه اسم " أفلاطون " . تعلّم الشعر والموسيقى والرسم والجمباز والنحو . ثم اتّجه إلى دراسة الفلسفة على يد أحد أتباع هيرقليطس . وفي سن العشرين ، تعرّف على سُقراط وأعجب به، ولازمه لمدة ثماني سنوات، وكان لهذه السنوات تأثير حاسم على حياته، حيث صقلت معارفه، بالذات في علَمي المنطق والأخلاق. وأيضًا، كان أفلاطون يتعرّف على كل الاتجاهات السائدة في عصره . وكان لإعدام سُقراط وتجذّعه السُّم من أهم الأسباب التي دفعت به إلى ميغاري، حيث زار إقليدس ، ومكث إلى جواره ثلاث سنوات. ثم اتّجه إلى مصر ، وشاهد عظمة آثارها، واجتمع بكهنة عين شمس ، وأعجب بعلومهم ، وخاصة الفلك . واستمرت رحلات أفلاطون اثني عشر عامًا ، عاد بعدها إنسانًا ناضجًا تمامًا ، ثم عاد إلى أثينا عندما نشبت الحرب بين أثينا وإسبرطة ، واستقر هناك حيث أسّس مدرسة في أكاديموس وانقطع للكتابة والتعليم .

يغلب على مؤلفات أفلاطون طابع المُخَاوَرَة ، وهو أسلوب كان شائعًا في العصر الذي ازداد فيه نشاط السفسطائيين وسقراط . ويُعد أفلاطون أول فيلسوف يوناني وصلتنا جميع مؤلفاته، وقد

نشرها كلها تراسيلوس، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بأن كل ما وصل إلينا من كتب تحمل اسم أفلاطون تصح نسبها إليه، فقد أثبت النقد التاريخي أن هناك محاورات منقولة نسبت إلى أفلاطون وقد ثبت أنها ليست له . وقد تمكن العلماء _ بعد دراسة أسلوب المحاورات وموسوعاتها _ من ترتيبها على هيئة تصنيف زمني تطوري حسب أطوار حياة المؤلف ، فهناك مؤلفات ترجع إلى عهد الشباب (المحاورات المبكرة)، وأخرى تم تأليفها بعد إنشاء الأكاديمية (محاورات المرحلة المتوسطة)، أما المجموعة الثالثة ، فهي من إنتاج أفلاطون في عهد الشيخوخة (محاورات المرحلة الأخيرة) . لم يضع أفلاطون مؤلفاً خاصاً حول نظرية الفكرة _ التي تُشكّل أساساً لمفاهيمه _ ، ولكن كانت مؤلفاته جميعها تُوضّح هذه النظرية . وظهّرت أفكار أسطورية تقول إن أفلاطون كتب أيضاً مؤلفات غامضة للروحانيين . ومن المؤكد أن مُحاضراته في الأكاديمية كانت تختلف عن مؤلفاته (بحسب قول أرسطو) . ويعتبر الكثيرون مؤلفات أفلاطون متفردة في نوعها، لأنها عبارة عن حوار، وهذا ناتج من تأثير أسلوب سُقراط عليه . وأيضاً الرغبة في تقريب الكتابة من الكلام، والذي كان أفلاطون يعتبره أرقى من الكتابة . ولأن أفلاطون لم يكن مُفكِّراً فقط، بل كان كاتباً ممتازاً أيضاً، ولمحاوراته قيمة فنية، إذ كان يتميز بقدرة كبيرة على جذب القارئ ، وتشخيص الناس والمواقف ببراعة . وأيضاً ، من مُميّزات مؤلفات أفلاطون أن المتحدثين في محاوراته هم العلماء والساسة والمثقفون المعاصرون له، وهو لم يقل كلمة واحدة في محاوراته ، (ومن هنا توجد صعوبة في تحديد آرائه الشخصية). وتتميّز محاورات أفلاطون بحيوية الكلام الدارج، وهي بعيدة عن أسلوب كتابة الكتب العلمية الجافة، ومن الصعب فيها التمييز بين المقولات الجادة والسُّخرية والمزاح . لا تُشكّل محاورات أفلاطون _ بالرغم من الاعتقاد السائد _ حلقات متسلسلة، إذ إن كُلاً منها تُشكّل عملاً متكاملاً ما عدا استثناءات قليلة. وهناك قضايا ناقشها أفلاطون في عدّة محاورات، وكان كل مرة يأتي بحل جديد لها، ولهذا كان من المهم تحديد تسلسلها، ولهذا استطاع مؤرّخو القرن التاسع عشر عمل تسلسل لها في شكل ثلاثة مجموعات: محاورات المرحلة المبكرة (السُّقراطية) ومحاورات المرحلة الوسطى (الإنشائية)، ومحاورات المرحلة المتأخرة (الديالكتيكية) . مات أفلاطون في نفس يوم ميلاده، وفي نفس اليوم الذي ظهر فيه أبولو في الأرض بحسب معتقدات الإغريق. وهكذا ربط الأسطوريون بين أفلاطون وإله الشمس. وسادت أفكار بأنه ابن أبولو. وقد أُقيم له ضريح بعد موته، وأصبح تلاميذه يحتفلون سنوياً بعيد ميلاده ووفاته ، وكانوا يعتبرون ذلك اليوم مُقدَّساً ، لأن الآلهة أنجبت فيه أفلاطون هديةً منها للبشرية ، بحسب رأيهم .

أفلوطين وزخامة الأفلاطونية الحديثة

وُلد الفيلسوف المصري أفلوطين (٢٠٥ م _ ٢٧٠ م) في لايكوبوليس (لايكو باللاتينية) بدلتا مصر . التحق بحملة حربية إلى الشرق ليتعلم المزيد عن الفلسفة الهندية . وقضى سنوات حياته الأخيرة في التدريس بروما . يعكس تشاؤم أفلوطين جانبًا واحدًا من فلسفة أفلاطون حيث ينظر إلى الفلسفة كعزاء أو هروب من العالم . وكان هذا هو الجانب الذي كان يحبه الرومانيون في عهد أفلوطين . يُعتبر أفلوطين أب الأفلاطونية الحديثة (مدرسة فلسفية تشكلت في القرن الثالث للميلاد بناءً على تعليمات أفلاطون والأفلاطونيين) .

كانت فلسفة أفلوطين في الأصل فلسفة محكية مثل سائر فلسفات العصور القديمة، ثم دُوّنت في التاسوعات . فالتاسوعات تدوين للمناقشات الحية ، التي كانت تجري في مدرسة أفلوطين ، وذلك بطريقة أقرب إلى الاختزال . وهي تتألف من ٥٤ مقالة متفاوتة في طولها متفاوتًا كبيرًا، وموزعة على ست مجموعات، كل مجموعة منها مؤلفة من تسعة أقسام . وهذه المجموعات مرتبة ترتيبًا شبه منهجي، فالمجموعة الأولى تبحث في الإنسان والأخلاق، والثانية والثالثة تبحثان في العالم المحسوس وفي العناية، والرابعة في النفس، والخامسة في العقل، والسادسة في الواحد أو الخير . ويُفصح هذا الترتيب عن مضمون مذهبي لا يخفى على الناظر ، قوامه الانطلاق من الذات (التاسوعة ١) ومن العالم المحسوس (التاسوعتان ٢ و ٣) للارتقاء بالتدريج إلى المبدأ المباشر للعالم، وهو النفس (٤) ، ثم إلى مبدأ النفس، الذي هو "العقل" (٥) ، وأخيرًا إلى المبدأ الكلي للأشياء ، ألا وهو الواحد أو الخير (٦) . إن فرفوريوس (تلميذ أفلوطين الوفي الأمين) هو الذي رتب المقالات، بعد وفاة مُعلّمه . وهو الذي وضع لها العناوين . أمّا تسلسل كتابة المقالات زمنيًا فيُعرف ممّا كتبه فرفوريوس عن حياة مُعلّمه . وقد بيّن أن أفلوطين لم يبدأ الكتابة إلا عندما بلغ الخمسين من العمر . إذن ، فالتاسوعات تعبير عن مذهب أفلوطين ، وهو في قمة نُضجه . الوجود _ في نظر أفلوطين _ حياة روحانية واحدة في ثلاث أقاليم: الواحد، والعقل، والنفس . ويبدأ تيار هذه الحياة من الواحد ، وينتهي في العالم المحسوس .

وقد أضفى أفلوطين على مذهبه طابعًا إحيائيًا، فقد رأى أن لكل قوة فاعلة في الطبيعة نفسًا، أو ذات اتصالٍ بنفس، فليس العالم وحده ذا نفس، ولا الكواكب وحدها ذات نفوس، وإنما كل موجودٍ له نفس ، فلا موجود غير ذي حياةٍ في الكون .

إن علم النَّفس _ حَسَب أفلوطين _ هو علم تدرُّج مراتب الحالات الروحانية. ففي الدرجات العليا من هذه الحالات يختفي الشعور بالشخصية، ويزول الانتباه إلى الأشياء الخارجية. إن الشعور عَرَض وحالة ضعف. والمحكمة والذاكرة والإحساس تحديات للحياة الروحية. والعقل _ عند أفلوطين _ يُنظر إليه من منظورين مختلفين، فهو النظام المعقول المؤلف من علاقات ثابتة ومُحدَّدة تُستخدم نموذجًا للنظام المحسوس. وهو من جهة ثانية، عقل لذاته، فيه يغيب ويختفي كل تمييز بين الذات والموضوع، وتنصهر الأنا في الموجود الكلي. والعقل، من الوجهة الفلسفية، مبدأ في تفسير العالم المحسوس. لكن العقل يُعتَبَر _ من جهة أخرى _ درجة من درجات الحياة الروحانية، ومرحلة من مراحل رحلة النَّفس الصاعدة إلى غايتها الأخيرة. الأفلاطونيون الجدد كثيرون، أبرزهم على الإطلاق أفلوطين نفسه. أمَّا أشهرهم بعد أفلوطين فهم: فرفوربوس الصوري (أمين سر أفلوطين المخلص الوفي)، وبامبليكوس جامبليك (وهو تلميذ فرفوربوس)، وأبرقلس (كان تلميذًا لسوربانوس في أثينا، وهو الأكثر منهجية بين الأفلاطونيين الجدد)، وداماسيوس (وهو آخر مُعلِّم في مدرسة أثينا). وقد انهارت الأفلاطونية الجديدة بعد داماسيوس، وظلَّ كذلك حتى جاء جان سكوت الأريجاني في القرن التاسع. أمَّا العصور التالية فلم تُعرَف من الأفلاطونية الجديدة إلا لمحات ضئيلة، مثل تلك التي ظهرت مع الصوفيين الألمان في القرن الرابع عشر، ومع المذهب الإنساني في عصر النهضة في القرن الخامس عشر، إلى أن أطل القرن العشرون، فكان الفيلسوف الفرنسي برغسون في طليعة من بعثوا الحياة في الأفلاطونية الجديدة، ونفخوا فيها روحًا قوية بتكريس دروسه في "كوليج دو فرانس" لأفلوطين بالذات، فضلاً عن أن مذهب برغسون في "الاندفاع الحيوية" ليس بعيداً أبداً عن التأثير بمذهب أفلوطين. وكان لأفلوطين أثر عظيم لدى العرب. وبوجه عام فقد كان هذا الأثر على ثلاثة أصعدة: صعيد الفلسفة، وصعيد التصوف، وصعيد العقائد الدينية. وإذا كان الجانب العقلي اليوناني، إذا صحَّ التعبير، هو الذي برز من فلسفة أفلوطين في الفلسفة العربية، فإن جانب الحياة الروحانية والاتحاد بالواحد والحب، قد برز واضحاً جلياً عند غلاة الصوفية الذين يؤمنون بعقيدة الاتحاد بالله تعالى. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما كان لأفلوطين والأفلاطونية الجديدة أثرهما في الكثير من عقائد الفرق الدينية الإسلامية. وإضافة إلى مشكلة كتاب "الربوبية" المنحول لأرسطو، والذي ليس سوى مقاطع من كتاب "التاسوعات" لأفلوطين (والذي قام الفارابي على أساسه بالتوفيق بين أفلاطون وأرسطو)، فإن أتباع أفلوطين وخاصة أبرقلس قد أثروا في الفكر العربي "الإسلامي" تأثيراً كبيراً.

ألان باديو وتأثير الربيع العربي

وُلد الفيلسوف الفرنسي ألان باديو (١٩٣٧ _ ...) في الرباط بالمغرب . درس الفلسفة في جامعة فانسان سان دوني بباريس مُنذ عام ١٩٦٩ . وعمل مدير برنامج في المعهد العالمي للفلسفة. كتب أيضًا روايات ومسرحيات عديدة، وهو إضافة إلى ذلك مُناضل سياسي، يُصنّف ضمن أقصى اليسار ، وقد درّس الفلسفة في الجامعات الفرنسية والمعاهد والكليات .

يُعتبر باديو الفيلسوف الأكثر شهرة في فرنسا اليوم ، أو ربما الأكثر حضورًا في المشهد الفلسفي الأوروبي ، بعد أن قدّم إنجازين مرموقين هما : الكائن والحدث ، ومنطق العوالم . وزاد من شهرته كتاب سياسي نقد فيه حالة ساركوزي، رئيس جمهورية فرنسا الأسبق . ونقد فيه الليبرالية الجديدة، التي انتهت إلى غير ما وعدت به. غير أن ما جعل من باديو حالة خاصة بين الفلاسفة، يتمثل في مساره الفكري وأشكال الكتابة المختلفة التي تعامل معها .

حاول باديو أن يؤسّس حزبًا ثوريًا، بعد ثورة الطلبة عام ١٩٦٨ . وأشرف على سلسلة كتب فلسفية . لكن لغته النظرية الصعبة، ومزاجه الشخصي، عطّلا مشروعه قبل ولادته . ولأنه من الذين يُوزَّعون المعنى بأشكال مختلفة، فقد كتب المسرحية والرواية والأوبرا . واهتم بفلسفة الشَّعر ، وكتب دراسة عن شاعر عربي ينتمي إلى العصر الجاهلي، وأدمن الرجوع إلى جمهورية أفلاطون . عاش مساره تحت شعار رومانسي: شهوة إصلاح العالم . وهذا دفعه إلى توحيد الشَّعر والفلسفة ، ولا يزال يدفعه إلى صيغ فلسفية سياسية .

يقول باديو : ((الفلسفة هي الفعل الذي يُعيد تنظيم جميع التجارب النظرية والعملية، اعتمادًا على منظور قوامه قِسمة الظواهر، يقلب النظام الفكري القائم ، ويوقظ قيمًا جديدة تتجاوز القيم السارية الفيلسوف يعلم تمامًا أن لمعشر الشباب الحق في التصرف بحياتهم ، وأنهم مؤهَّلون غالبًا لقبول مخاطر التمرد المنطقي)) .

استعار باديو مفهوم الفصل القاطع بين الظواهر الاجتماعية من مرحلة الشباب الفلسفية ، القائلة إن كل ما هو قائم في المجتمع والحياة عُرضة للانقسام ، وانجذب إلى منظومة القيم خلال صحبته الطويلة للفلسفة الأفلاطونية، التي أقيمت بتماثل الشَّعر والثورة، وبقي لذاته وهو يتحدث عن " تمرد منطقي " لازمه من أيام الشباب . وبعد مرحلة رفع فيها راية الانقسام والثورة، وصل إلى مرحلة تمزج الانقسام بالشَّعر، وتضع الحب والثورة في مرتبة واحدة .

يعطف باديو مفهوم البطولة على الحرب، مُميّزاً بين معنى المحارب، الذي سبق الثورة الفرنسية، ومعنى الجندي الذي تشكّل خلال قرنين من الزمن، من بداية الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ إلى عام ١٩٧٦ الذي أعلن عن نهاية الثورة الثقافية في الصين. وبسبب الفرق النوعي بين المحارب والجندي، ارتبط الأول بقيم النبالة والحكم الملكي، مساوياً بين البطولة والمجد الشخصي، فهو يبدأ بذاته وينتهي بها ساعياً وراء الفخار والمجد والاستعراض الذاتي. لذا يبدو بعيداً عما يدعوه الفيلسوف بالحرية المبدعة، ذلك أنه مدفوع إلى بطولته باعتبارات اجتماعية أو بشروط وراثية، يفعل ما اختير له أن يفعله، ويُنجِز ما دُفع إليه مُنتهياً، غالباً، إلى موت أقرب إلى العبث، يخدم الأفراد ولا يعرف نُبل القضايا الإنسانية. ومع أن المحارب مرتبط، أدبيّاً، بمقولة الملحمة، التي لا ينقصها البُعد الإيجابي، فإن بطولته زائفة ولا كثافة فيها، بسبب المنفعة التي تصاحبها، بعيداً عن الجندي الذي يأتي ويذهب ويقاتل ويموت ولا يسأل العرفان من أحد .

ينطلق الفيلسوف الفرنسي، في حوارهِ مع البطولة، من زمن مأزوم، كما يقول. ذلك أن الزمن الذي نعيشه صُلّ اتجاهه، مُلغزاً المسافة بين القيم والهدف، فلا ثورات ولا ما يُشبه الثورات، بل إن في " الزمن التقني المسيطر ما يُعطّل الأمل، الذي ينتظر تفتُّح الإمكانية الإنسانية المشبعة بالبطولة في كل مكان من هذه الأرض . ولعل فكرة الأمل التي تعطف الحاضر على مستقبل لا ظلم فيه، هي التي جعلت باديو يحتفل بالربيع العربي في إحدى كُتبه الصادرة بالإنجليزية ، ويضم دراسات عدّة وعنوانه " التاريخ يُؤكّد من جديد " .

نشر باديو فوق صفحات كتابه السؤال التالي: إذا كان زمننا، الذي يُعطّل البطولة، بحاجة إلى جندي مجهول جديد يُصوّب مساره، فما هي ملامح بطل الزمان المنتظر؟ . الجواب مائل، ربما، في " ميدان التحرير "، كما يقول. والجواب مائل في ملامح الفقراء، الذين يخرجون إلى التظاهرات رافعين النعوش، قبل أن يضمهم نعش جديد، والبطولة ماثلة في إسقاط الخوف، ذلك أن مَنْ يقتل الخوف يفعل ما يُريد. بطلُ هذا الزمان إنسان بسيط يعي مصالحه قافراً فوق رجال الأمن والتضليل الإعلامي وفوق البلاغة الورعة، التي تتحدّث عن جميع الأزمنة ، ولا تعترف بالرغيف . الجندي المجهول قوام الوجود الكريم ، تُعبّر عنه الرواية والشعر الرومانسي والخطاب الفلسفي، ويجد تعبيره الأكمل في حالمين غاضبين مجهولي الاسم والعنوان .

من أبرز مؤلفاته: نظرية التناقض (١٩٧٥). الكائن والحدث (١٩٨٢). بيان الفلسفة (١٩٨٩).

العدد والأعداد (١٩٩٠) . منطق العوالم (٢٠٠٦). بيان الفلسفة الثاني (٢٠٠٩) .

ألبرت شفايتزر وتقديس الحياة

وُلد الفيلسوف والطبيب الألماني الفرنسي ألبرت شفايتزر (١٨٧٥ _ ١٩٦٥) في ألمانيا . أصله من الألزاس . كان والده راعيًا في كنيسة .

في عام ١٨٩٣ ، درس شفايتزر الفلسفة وعلم الدين في جامعات ستراسبورغ ، وبرلين ، وباريس . وترأس المدرسة اللاهوتية في ستراسبورغ عام ١٩٠١ . ودرس الطب والجراحة خلال الفترة (١٩٠٥ _ ١٩١٣) .

أمضى شفايتزر معظم حياته في "لمباريني" المعروفة الآن بالغابون في أفريقيا. بعد إنهائه الدراسات الطبية عام ١٩١٣ ، ذهب مع زوجته هناك لإنشاء مستشفى قريب من بعثة متواجدة بالمكان . عالج الآلاف من المرضى، وتكفّل بعناية مئات من مرضى الجذام .

وفي عام ١٩١٤ ، اندلعت الحرب العالمية الأولى . وبما أن شفايتزر وزوجته يحملان الجنسية الألمانية ، فقد قُبض عليهما ، ووُضعا مؤقتًا تحت إشراف العسكريين الفرنسيين .

وفي عام ١٩١٨ ، نُقلا إلى إقليم سان ريمي . وفي عام ١٩٢٤ ، عاد إلى "لمباريني" حيث أعاد بناء المستشفى ، وبعد ذلك استأنف ممارسته للطب ، وأسفاره المتوالية إلى أوروبا لإلقاء محاضراته في جامعات عديدة ، وهكذا انتشرت أفكاره ونظرياته شيئًا فشيئًا في أوروبا بأكملها ، وفي باقي أنحاء العالم أيضًا . كعالم ديني شاب، أول أعماله المهمة التي حاز بها على سمعة كبيرة كان كتابه " البحث عن يسوع التاريخي " (١٩٣٠) . وخلال الفترة (١٩٣٩ _ ١٩٤٨) مكث في "لمباريني" لأنه لم يستطع العودة في هذه الفترة إلى أوروبا بسبب الحرب العالمية الثانية . وبعد مرور ثلاث سنوات من نهاية الحرب، عاد إلى أوروبا عام ١٩٤٨ . وقد قضى السنوات الأخيرة من عمره بين الذهاب إلى أوروبا والولايات المتحدة إلى أن تُوفّي عام ١٩٦٥ .

وفي عام ١٩٥٢ حصل شفايتزر على جائزة نوبل للسلام لفلسفته عن تقديس الحياة. ويُعتبر الخطاب الذي ألقاه عندما مُنح الجائزة من أفضل الخطابات التي حلّت قضية السلام . ومنذ عام ١٩٥٢ وحتى وفاته ، كان يعمل بحماس دائم ضد التجارب والأسلحة النووية مع ألبرت آينشتاين وبرتراند راسل . وخلال الفترة (١٩٥٧ _ ١٩٥٨) ألقى بإذاعة أوصلو أربعة خطابات ، والتي تمّ نشرها بعد ذلك تحت عنوان " السّلم أو الحرب الذرية" . وبهذا أصبح شفايتزر واحدًا من مؤسسي لجنة السياسة النووية العاقلة .

نظرة شفايتزر للعالم تقوم على فكرته عن تقديس الحياة ، التي يُعتقد أنها واحدة من أكبر مساهماته للبشرية . وفي رأيه ، اضمحلال الحضارة الغربية يعود بالأساس إلى التخلي عن الأسس الأخلاقية . وقد أعرب عن قناعته الراسخة بأن احترام الحياة هو أعلى مبدأ يجب التحلي به ، وأن الحب والحياة يستندان ويتبعان نفس المبدأ ، ألا وهو احترام كل مظهر من مظاهر الحياة ، سواءً منها الشخصية أم الروحية اتّجاه الكون .

والأخلاق _ وَفَقًا لشفايتزر _ تكمن في الالتزام بإظهار الإرادة في العيش من طرف المرء خاصة ، ومن كل كائن مخلوق أيضًا . ويبدو أن الظروف التي نكون فيها تمنعنا من أداء التزامنا ، ومع هذا لا ينبغي أن تُؤدّي بنا إلى الانهزام ، لأن رغبتنا في العيش هي في تجدد دائم وتطور مستمر . ومُنذ جئنا إلى هذا العالم مُنحنًا ظروفًا رهيبية ، لأن إرادة الحياة تتناقض مع ما يريده الفرد . والوجود مُواجه للآخر ، وكلّ منهم مُهدّم للآخر أيضًا . فقط بواسطة الفكر يتمكن الكائن من إرادة الحياة واعيًا بإرادة عيش الآخر ورغبته في التضامن معه . هذا التضامن للأسف لا يمكن أن يتحقق ، لأن الحياة البشرية لا نجاة لها من الحيرة والظروف الرهيبة التي يجب أن نعيشها على حساب الآخرين . ولكن باعتبار ذلك ضرورة أخلاقية ، الواحد منّا يسعى إلى الهرب كلما كان ذلك مُمكنًا ، ويضع الحد لهذا الانشقاق عن الرغبة في العيش .

نادى شفايتزر بمفهوم تقديس الحياة طوال حياته ، كما أشار إلى اضمحلال وفساد الفترة التاريخية المعروفة بالتنوير . كان يُؤكّد أيضًا على أساس الفكر الذي لم يكن جيّدًا بما فيه الكفاية . لهذا السبب كان يتطلّع إلى مستقبل مُتجدّد ، وبالتالي مستقبل أكثر عُملًا لنهضة وتنوير البشرية . وضع شفايتزر أمله في الجنس البشري الذي اعتبره دائمًا أكثر وعيًا بالكون ، وإدراكًا له . وتفاؤله استند في الاعتقاد في الحقيقة . فالروح المتولّدة عن الحقيقة هي أكبر من قوة الظروف ، كما أصرّ على ضرورة التفكير أكثر من اتّباع الآراء المنتشرة على نطاق واسع ، وأنه لا يُمكن أن نضع جانبًا المثل العليا التي أنشأها المجتمع . ونحن نعرف دائمًا أن المجتمع مليء بالحقاقة ، وسوف نُخدع بخصوص المسألة الإنسانية . واحترام الحياة يُقوّد الإنسان إلى العيش في خدمة الشعب ، وكلّ المخلوقات الحية . وقد تمثّل شفايتزر باحترام كبير نظرًا لوضع نظريته موضع التطبيق العملي في حياته .

من أبرز أعماله: اضمحلال واستعادة الحضارة (١٩٢٣) . الفكر الهندي وتطوّره (١٩٣٥) . حياتي والفكر (١٩٣١) . السلام أو الحرب الذرية (١٩٥٨) .

ألبرتو مورافيا ومشاخر الجنس

وُلد الروائي الإيطالي ألبرتو مورافيا (١٩٠٧ - ١٩٩٠) في روما التي عاش فيها معظم حياته ، وتُوفّي فيها . اسمه الحقيقي ألبرتو بنكيرلي . يُعتبَر من أشهر الروائيين في القرن العشرين . كانت عائلته ثرية . وأبوه اليهودي كان رسامًا ومهندسًا ، وأمّه كانت كاثوليكية . ومع هذا فقد كان مورافيا ملحّدًا .

لَمْ يُنهِ مورافيا دراسته، بسبب إصابته بالسُّل الذي ألزّمه الفراش لخمس سنوات، ممّا جعله يحب المطالعة، وقرأ كثيرًا لأدباء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

ترك المرض أثرًا واضحًا في نفسه ، فلم يعيش طفولته وصباه بسعادة وهناء ، وصارت نظرته إلى الحياة سوداوية وتشاؤمية ، يبحث عن جوانبها السلبية والبائسة والحزينة .

نظم أبيات شعر باللغتين الإيطالية والفرنسية ، وتعلّم اللغتين الإنجليزية والألمانية. وبعد خروجه من المصح بدأ كتابة روايته الأولى " اللامبالون " (١٩٢٩) ، فحقّق شهرةً كبيرة . ووجد فيها القراء واقعًا مؤلّمًا في الوسط الاجتماعي . فقد أصاب فساد الأخلاق أرملة من الطبقة الوسطى مع ولديها . وبرز موضوع اللامبالاة عند الجيل الصاعد .

يقول مورافيا إنه خرج مُعافى جسديًا من المصح ، ليقع ضحية مرض من نوع آخر أخلاقي . فقد بدأت معركته مع النظام الفاشي الذي حاصره وأرغمه على الرحيل مانعًا صدور مؤلفاته . وكان قد كتب في هذه المرحلة قصة " خليعة مُتعبَة " (١٩٢٧) ، ورواية " الطموحات الخاطئة " (١٩٣٥) . وسافر إلى فرنسا وإنجلترا، وحاضر في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية حول الرواية الإيطالية ، ووصل إلى المكسيك. ثم عاد إلى إيطاليا ليقدّم " البلبلة " (١٩٣٧) .

بدأ مورافيا حياته العاطفية عام ١٩٤١ بزواج لم يدم من الأدبية إيلزا مورانتيه، وأنّهاها بعلاقة مع فتاة إسبانية تصغره بسبعة وأربعين عامًا غير مهتم بالضجة التي أحدثها في الأوساط الاجتماعية. كان مورافيا قد شهد خلال الفترة (١٩٣٣ - ١٩٤٣) أسوأ ملاحقة من رجال موسوليني والمحافظين الذين وجدوا في كتاباته مادة ضارة مُثيرة للجنس. ولكن في هذه المؤلفات أيضًا وجد بعض المخرجين السينمائيين مادة مُشوّقة للإثارة، يُذكر من هذه الأفلام روايته "الاحتقار" (١٩٥٤) التي قدّمت للسينما . وتناول فيها العلاقات الزوجية وما يُحيطها من كذب ورياء . كذلك قدّمت للسينما عام ١٩٦٠ رواية " لاتشوتشارا " الصادرة عام ١٩٥٧ حول قصة امرأتين، أم وابنتها،

تعرّضنا للاغتصاب في أثناء الحرب العالمية الثانية ، وعاشنا واقع الحرب ودواعيها من قسوة القلب وفقدان الحس وانعدام الشفقة والرحمة ، لتصير الفتاة في النهاية مومساً . كذلك قُدمت روايته الصادرة عام ١٩٦٠ " السأم " للشاشة ، وحصلت على جائزة . وقُدمت للسينما أيضاً عام ١٩٧٠ أشهر رواياته نقدًا للفاشية " الامتثالي " . وقد مثّلت الشخصيات الرئيسية في رواياته أشهر الممثلات وقتئذٍ مثل : بريجيت باردو ، وصوفيا لورين .

يقول مورافيا : ((يمكن أن يُقال إنني كاتب مُبمل ، لأنني أكرّر الموضوعات ذاتها مثلما تُكرّر الطيور زقزقتها ، إلا أنني كلما تقدمتُ في السن ، تناولتُ هذه الموضوعات بنظرة مختلفة " . لم يكتب مورافيا بتأليف الروايات والقصص . فقد كتب مقالات في الصحافة، وكتب عن رحلاته إلى الاتحاد السوفييتي والهند وإفريقيا .

وعندما سافر إلى اليابان عام ١٩٨٢ ، توقّف عند هيروشيما ، وأجرى ثلاثة تحقيقات لمصلحة صحيفة إسبرسو، طرح فيها مشكلة القنبلة النووية وانفصال الثقافة العلمية عن الإنسانية . تميّزت أعمال مورافيا الأدبية بالبراعة والواقعية لنفاذه إلى أعماق النفس البشرية ، فقد هاجم الفساد الأخلاقي في إيطاليا . وترجمت أعماله إلى عدة لغات عالمية .

ويتّسم أدب مورافيا بتبسّطه في سرد مشاعر الجنس لدى أبطال رواياته ، والتداخلات في الأحداث التي تنشأ عبر تلبية تلك المشاعر والرغبات ، حيث إنه يتّسم بالتركيز على التحليل النفسي لنوع العلاقة بين الجنسين أو الزوجين .

من أبرز رواياته: اللامبالون (١٩٢٩) . دولاب الحظ (١٩٣٩) . امرأة من روما (١٩٤٧) . العصيان (١٩٤٨) . حكايات من روما (١٩٥٤) . الفردوس (١٩٧٠) .

ألبير كامو وفلسفة العبث

وُلد الأديب والفيلسوف الفرنسي ألبير كامو (١٩١٣ - ١٩٦٠) في الجزائر ، لعائلة من المستوطنين الفرنسيين. قُتل والده بعد مولده بعام واحد في إحدى معارك الحرب العالمية الأولى ، وكانت والدته من أصول إسبانية ومُصابة بالصَّمم .

عاش في ظروف قاسية من الفقر والحرمان في الجزائر ، لكنه تمكن من إنهاء دراسته الثانوية ، ثم تعلم بجامعة الجزائر من خلال المِنح الدراسية ، وذلك لتفوقه وذكاؤه ، حتى تخرَّج من قسم الفلسفة بكلية الآداب . وأثناء دراسته الجامعية التقط مرض السُّل ، ممَّا أثَّر سلبًا على نشاطاته الرياضية والدراسية . وقد عمل خلال سِنِّي دراسته في أعمال يدوية بسيطة .

كان كامو واحدًا من النجوم الاجتماعيين لتيار الوجودية . كما يُعتَبَر ثاني أصغر حائز على جائزة نوبل للآداب (١٩٥٧) بعد الكاتب البريطاني كبلنغ . كما أنه أصغر مَنْ مات مِن كُل الحائزين على جائزة نوبل للآداب . التحق بالحزب الشيوعي الفرنسي عام ١٩٣٤ ، لمساندة الوضع السياسي في إسبانيا الذي أدَّى إلى الحرب الأهلية الإسبانية، أكثر ممَّا كان إيمانًا بالماركسية اللينينية . وفي عام ١٩٣٥ ، حصل على إجازته في الفلسفة . وفي عام ١٩٣٦ ، شارك كامو في نشاطات شيوعية جزائرية تُنادي بالاستقلال ، ممَّا جعله في مُواجهة فكرية مع رفاقه في الحزب الشيوعي الفرنسي ، الأمر الذي عزَّز انفصاله عن العقيدة الستالينية .

عمل بشكل متقطع في المسرح والصحافة ، وكتب أثناء عمله الصحفي عن ظروف العرب السيئة ، الأمر الذي كَلَّفه وظيفته . ثمَّ انخرط في المقاومة الفرنسية أثناء الاحتلال الألماني ، وأصدر مع رفاقه في خلية " الكفاح " نشرة تحمل نفس الاسم، ثمَّ تحوَّلت بعد تحرير باريس إلى صحيفة " الكفاح " اليومية ، التي تتحدَّث باسم المقاومة الشعبية ، واشترك في تحريرها جان بول سارتر . ظهرت التوجهات الفكرية لكامو في كتابه " على الوجه وبالمقلوب " (١٩٣٧) ، وهو سيرة ذاتية ، عبَّر فيها عن المشاعر المتناقضة التي تقوم على حب الحياة واليأس منها ، وتنازع بين الشعور بالعزلة ومأساوية الوجود والانبهار بالكون . وكانت الطبيعة المتوسَّطية بالألوان والضياء حاضرةً في أعماله ، وعلى الأخص في كتاب " الصَّيف " (١٩٥٤) . أحب كامو المسرح ، فأسَّس وأدار فرقةً مسرحية . وكان يقوم بالتمثيل والإخراج ، وإعداد المسرحيات كما في مسرحية "قُدَّاس من أجل راهبة" (١٩٥٦) المأخوذة عن فوكنر، و" الممسوسون" (١٩٥٩)

المأخوذة عن دوستوفسكي . وسَمحت الكتابة الصحفية لكامو بإيجاد طريقة مباشرة للتعبير والنضال من أجل العدالة ، وتصوير الواقع بكل ما فيه من بُؤس وانهيار . وهذا يتجلى في وصفه للحالة السيئة لسكان منطقة القبائل في الجزائر ، وأيضًا المقالات التي كتبها عن الأحياء الفقيرة ، ونُشرت بعد موته .

تنقسم أعمال كامو إلى مجموعتين أسماهما : حلقة التمرد وحلقة العيب . فكان أول من أطلق تسمية "العيب" التي صارت تيارًا أدبيًا وفلسفيًا نال شهرةً كبيرةً في الخمسينيات من القرن العشرين. والعيب بالنسبة لكامو هو شعور القلق المتولد عن الإحساس بوطأة التاريخ . هذا الإحساس بعشية الحياة يُولد التمرد الذي يُمكن أن يكون فرديًا في بداية الأمر ، ثمَّ يتحوّل إلى تمرد جماعي. لقد تمرد كامو على آلية الحياة الميكانيكية ، فالإنسان يعيش على وتيرة واحدة إلى أن يصحو يومًا، ويشعر بأنه غريب ووحيد في هذا العالم، وأن الزمن هو العدو الذي يُبدد جهوده ، ويرميه في أحضان الموت . وهذه هي الحقيقة التي يُفترض أن يتصدى لها هذا الإنسان ، فلا أخلاقياته ولا جهوده ولا ذكاؤه ، تُجدي نفعًا أمام هذا العالم العبي الملء باللاعقلانيين .

والحرية التي يظن أنه يتمتع بها وهمية ، فهو عبد للأحكام المسبقة والعادات . وتبقى العلاقات البشرية زائفة، والتواصل مفقودًا، وسوء الفهم هو المسيطر ، فتزداد الفجوة بين الناس . والإنسان الصامت هو الضحية والمجرم المُدان . وقد ثار كامو على الأعراف والأيديولوجيات القائمة على الاستعباد والتخويف ، كما ندّد بأسطورة التطوير والتقدم التي تخدع الناس مُتذرعة بوعود مستقبلية ، لتبرير ظلم الحاضر ، وشرعنة الرضوخ والاستسلام ، بدلاً من إيجاد ظروف أفضل . كره كامو الهروب أو الانتحار، ووجد نفسه في التمرد على القيم الاجتماعية والعقائد الدينية، وكذلك في مواجهة الموت، وتقبّل الوضع الإنساني دون عقْد الآمال على الغد أو على حياة أخرى. أمّا السؤال الأساسي الذي تطرحه أعمال كامو : هل الحياة جديرة بأن تُعاش ؟ . ومع أنه رفض إعطاء جواب متكامل عن ذلك ، إلا أنه أوحى بأنه يُمكن للإنسان تجاوز عشية الحياة من خلال وعيه وتمرده المستميت .

تُوفّي كامو في حادث سيارة في عام ١٩٦٠ . والعجيب أنه كان قد علّق في أوائل حياته الأدبية أن أكثر موت عبي يُمكن تخيُّله هو الموت في حادث سيارة ! .

من أبرز رواياته: الغريب (١٩٤٢) . الطاعون (١٩٤٧) . السقوط (١٩٥٦) . ومن أبرز مسرحياته : سوء الفهم (١٩٤٤) . كاليجولا (١٩٤٥) . في حالة حصار عسكري (١٩٤٨) .

الدوس هكسلي وتجربة المخذرات

وُلد الأديب الإنجليزي الدوس هكسلي (١٨٩٤ - ١٩٦٣) في ساري ، إنجلترا . وكان الابن الثالث للكاتب والمدرّس ليونارد هكسلي . كان الدوس حفيد توماس هنري هكسلي ، عالم الحيوان ، اللأدري ، والمثير للجدل . كما أصبح أخوه جوليان هكسلي وأخوه غير الشقيق أندرو هكسلي من علماء الأحياء البارزين . كان لألدوس أخ آخر انتحر بعد فترة من الاكتئاب .

بدأ تعليم هكسلي في مختبر والده النباتي المجهّز تجهيزاً جيداً، وبعد ذلك التحق بمدرسة هيلسايد بالقرب من جودالمينج . تُوفيت والدته عام ١٩٠٨ . وفي عام ١٩١١ ، أُصيب بالتهاب في قرنية العين ، وهذا سبّب له عمى لمدة عامين إلى ثلاثة أعوام ، وهذا أنهى أحلامه المبكرة في أن يصبح طبيباً. وفي أكتوبر ١٩١٣، دخل هكسلي كلية باليول في أكسفورد، حيث درس الأدب الإنجليزي. وفي يناير ١٩١٦ ، تطوّع في الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الأولى ، ولكن تم رفضه لأسباب صحية ، كونه شبه مكفوف بعين واحدة. وقد استعاد بصره في وقت لاحق جزئياً. وفي عام ١٩١٦ تخرّج في جامعة أكسفورد مع مرتبة الشرف من الدرجة الأولى في الأدب الإنجليزي . بدأ حياته الأدبية شاعراً مثل أكثر الكتّاب في جيله . ونشر شعره أول الأمر في مجلة ويلز ، ثم جمعه في ديوان " العجلة المحترقة " (١٩١٦) . وفي هذه السنة ، اشترك مع غيره من الأدباء في جمع ديوان شعر أكسفورد ، وبقي شاعراً طوال حياته ، مُخالفًا بذلك الكثيرين من أدباء عصره الذين انتقلوا من الشعر إلى النثر . ويُعتبر الآن شاعراً ثائراً على ازدياد نفوذ العلم في الحياة. ينحدر هكسلي من ناحية أمّه من أسرة توماس أرنولد ناظر مدرسة رجبى الشهيرة . ومن أقربائه من كان أستاذاً، ومن كان عالماً، أو شاعراً أو روائياً. ولهذه المجموعة تأثير عليه منذ ولادته. وقد استطاع بقلمه وذكائه أن يرتفع إلى سماء الشهرة . كان هكسلي رجلاً طويل القامة، نحيل القوام، حتى إن الأطفال كانوا يتجمعون حوله في شبابه الباكر ، ويستهنئون به، ويسخرون منه . وبسبب طول قامته ، يُخيّل للناظر إليه أنه يعيش في عالم غير عالمنا ، إلا أن هكسلي كان يتحدث إلى كل من يلقاه بسهولة وتواضع. وهو رجل شديد المرح. لا يتّصف بالتزمّت. وهو يستعمل في أحاديثه كثيراً من غريب اللفظ ، ليس لأنه يتكلف غريب الحديث ، ولكن لأنه رجل غريب التفكير، وهو بحاجة إلى هذه الألفاظ كي يُعبّر بها عما يختلج في نفسه . وهو مُولّع بقاء الشواذ من الناس ، ومُشاهدة المناظر الشاذة ، لأن به ميلاً نحو الشذوذ .

اشتهر هكسلي بكتابة الروايات والقصص القصيرة وسيناريوهات الأفلام. وقد قضى حياته منذ ١٩٣٧ في مدينة لوس أنجلوس . له اهتمامات بالباراسيكولوجيا (ما وراء علم النفس) ، والتصوف الفلسفي . كما أنه مُعَادٍ للحروب ، ومهتم بالقضايا الإنسانية . وفي آخر أيام حياته اعتُبر في بعض الدوائر الأكاديمية ، قائداً للفكر الإنساني الحديث ومُثَقِّفاً بارعاً . وكان له تأثير واضح على جوج أورويل .

كان هكسلي يشعر بقلق عميق إزاء المستقبل الذي قد يصنعه العالم المتقدم لنفسه . وقد أدلى ببعض التحذيرات في كتاباته ومُحَادَثاته . وبيّن أن المخاوف الرئيسية هي الزيادة السكانية في العالم، والميل نحو تنظيم اجتماعي هرمي واضح، والأهمية الحاسمة لتقييم استخدام التكنولوجيا في المجتمعات الجماعية المعرضة للإقناع المخادع ، والميل لتشجيع السياسيين المعاصرين عن طريق استغلال الجمهور الساذج .

في ربيع عام ١٩٥٣ ، قام هكسلي بتجربته الأولى مع المخدّرات . وقد روى في كتابه " أبواب الإدراك " هذه التجربة . ومع هذا ، استمرّ في كتابة مقالات للمجتمع . أصيب هكسلي بسرطان الحنجرة ، وتُوفّي في نفس اليوم الذي اغتيل فيه الرئيس الأمريكي الراحل جون كينيدي ، لذلك لم ينتبه أحد لموت هكسلي ، ولم تتم تغطيته وفاته إعلامياً . من أبرز رواياته : الكروم الصفراء (١٩٢١) . عالم جديد شجاع (١٩٣٢) . الجزيرة (١٩٦٢) .

ألفريد تنيسون والشعر الغنائي

وُلد الشاعر الإنجليزي ألفريد تنيسون (١٨٠٩ _ ١٨٩٢) لعائلة مُتَدَيِّنَة في بلدة سمرسبي التي كان أبوه راعي أبرشيتها ، وكان مدمن كحول ، فأثّر ذلك في نفسية الطفل تنيسون ، وتأثر أيضاً بوفاة ثلاثة من أخوته في سن مبكرة .

شعر تنيسون بالإحباط من أسلوب التدريس في المدارس العامة ، وعدّه عقيماً ، فانكفأ على القراءة من مكتبة أبيه، واطّلع على أمهات الكتب الكلاسيكية القديمة في سن مبكرة، كما اطلّع على أهم أعمال مؤلفي القرنين السابع عشر والثامن عشر، وهو اطلع ظهر تأثيره في أعماله كلها. بدأ كتابة الشعر منذ صغره ، فكتب أول قصيدة حين كان في العاشرة. وحين صار في السابعة عشرة من العمر أصدر ديوان " قصائد لأخوين " ، ألّفه مع اثنين من أخوته .

تميّز شعره في تلك المرحلة بالرومانسية الحاملة والحزينة ، وبالتساؤل عن معنى الحياة والموت، وهي أسئلة عاد إليها الشاعر كثيراً في مراحل مختلفة من حياته .

انتسب تنيسون إلى كلية ترينتي في جامعة كامبردج ، وهناك بزغ اسمه شاعراً مُتميّزاً . وأصدر في سنّي الدراسة الديوان الذي أشهر اسمه لجمهور القراء " قصائد جُلّها غنائية " (١٨٣٠) . انضمّ في حياته الجامعية إلى حركة " الرُّسل " ، التي ضمّت بعض ألمع الأسماء في تلك المرحلة، وكانت حركة فكرية سعت إلى نشر الأفكار التقدمية في الأدب والفكر والفلسفة .

تُوفّي والده في أثناء دراسته الجامعية ، فانقطع عن الدراسة من دون أن يحصل على أي شهادة. تأثر الشاعر كغيره في مطلع العصر الفكتوري بشعر العصر الإبداعي (الرومانسي)، وخاصة بأعمال كولردج وكيّس . وأظهرت أعماله _ بشكل واضح وخاص _ تأثره بنزعة كيّس إلى رفض الصور والأفكار المجردة . واستخدم لغة تُركّز على الموضوعات الحسّية والصور الملموسة .

من أشهر قصائده التي تُبرز هذه النزعة : " سيدة شالوت " ، و " أكلو اللوتس " (١٨٣٢) . وكمعظم شعراء عصره، تحوّل تأثره في سن الشباب بالحركة الإبداعية، إلى انتقاد شديد لروحانياتها في المراحل المتأخرة من عُمره ، فجاء عدد من أعماله في مرحلة النضج مُتضمّناً نقداً غير مباشر للشعراء الإبداعيين ، وتعبيراً مباشراً عن رفض جيله لإرثهم .

اختير تنيسون شاعراً رسمياً للبلاط في عام ١٨٥٠ . وفي العام نفسه نشر قصيدة رثاء استغرق ستة عشر عاماً في نظمها " في ذكرى أ . ه . ه " . ألّفها عن حياته وحياة صديقه الحميم

آرثر هنري هالام ، الذي تُؤفِّي في سِنِّي الدراسة الجامعية، وجاءت في مئة وواحد وثلاثين قِسْمًا. حاول في هذه القصيدة أن يتعرَّض لمراحل الحزن التي يمرُّ بها الإنسان ، لتجاوز محنة وفاة الأقارب والأصدقاء ، فجمعت أقسامها بين التعبير عن مشاعر الفقدان ، وتحليل أسباب تلك المشاعر . اهتمَّ تينسون بإعادة كتابة بعض قصص التاريخ والأساطير القديمة ، ممَّا جعل من ديوانه " أناشيد الملك " ، الذي كتبه عن حياة الملك الأسطوري آرثر، نموذجًا مُتميِّزًا لهذا النوع من الكتابة في عصره . ورَكَز هذا العمل على تحليله للصراع الأزلي بين الحِسِّيَّات والمجرَّدات، فكان تعبيرًا عن الاتجاهات الشعرية في عصره ، حين اشتدَّ الجدل بين هذين الاتجاهين في الكتابة .

أظهرت بعض أعماله اهتمامًا واضحًا بالشرق العربي وشعره، وذلك نتيجة حركة الاستشراق التي عمَّت أوروبا في القرن التاسع عشر ، فجاءت مقدمة قصيدة " لوكسلي هول " ، لتُظهر تأثره بمعلقة امرئ القيس ، ولا سيَّما مطلع القصيدة على أطلال بناء لوكسلي .

وقف تينسون في وجه تيار معاصر ينادي بالمادية وإطلاق الغرائز والابتعاد عن الإيمان، وحارب كُل ما يدفع الإنسان لليأس والعنف بكل أشكاله بما في ذلك الحرب . وكان أكثر ما يميِّزه غزارة إنتاجه الشعري ، وتأثيره في معظم شعراء عصره ، حتى أطلق النقاد على العصر الفكتوري اسم " عصر تينسون " . يُعتَبَر تينسون أستاذًا للشعر الغنائي، كما يُعتَبَر الشاعر الذي يُمثِّل عصره . من قصائده المميَّزة " يوليسيس " . وهي قصيدة غنائية تحكي قصة ملك لا يحب وجوده في مملكته للحكم ، ويعتبر الأمر إضاعة الوقت، وهو يُفكِّر بالسَّفر واستكشاف البحار والوصول إلى الجزر السعيدة . والفكرة الرئيسية للقصيدة هي تحقيق الطموح .

ينتمي الشاعر للفترة الفكتورية التي نشط فيها العلم على حساب الدِّين ، وأخذت أفكار المُحدِّثين أمثال داروين تتعارض مع الأفكار الدينية. وقد حاول تينسون أن يجمع بين الاثنين العلم والدِّين . ويوجد في قصائد تينسون _ كما في قصائد باقي الشعراء في العصر الفكتوري _ الانقباضية والكَآبة، وهي ناشئة من الشعور بعدم الجدوى من الحياة في المجتمع ، والتي أصبحت من دُون طَعْم. ويتميِّز هذا العصر أيضًا بثلاث نقاط بارزة مثَّلت أهم الأحداث هي : الثورة الصناعية، وظهور الديمقراطية ، وظهور العلم وتأثيره على الدِّين . والشاعر تينسون يُمثِّل كل جوانب العصر الفكتوري . ومنها وصف الطبيعة ، فهو له القابلية على رصد وملاحظة الطبيعة ، والطبيعة بالنسبة له قاسية وحادَّة .

تُؤفِّي تينسون في أولدورث ، ودُفِن في زاوية الشعراء في كنيسة وستمنستر .

ألفريد دي موسيه وصدمة الخيانة

وُلد الشاعر الفرنسي ألفريد دي موسيه (١٨١٠ _ ١٨٥٧) في باريس ، وتُوِّفِي فيها . ينتمي إلى أسرة ميسورة مُثقفة تتذوق الشَّعر . لكنه كان فقيرًا . عمل والده في مناصب حكومية هامة عديدة ، لكنه لم يُعْطِ ابنه مالاً قَط . وكانت أمُّه من سيدات المجتمع ، وقد تَرَكَّت حُجْرهُ الرسم الخاصة بها واستقبالاتها وحفلاتها انبطاعاً عميقاً في نفس ألفريد الشاب .

ظهرت بوادر موهبة دي موسيه في صباه ، فقد كان مُولعاً بتحويل القصص الرومانسية التي كان يقرأها إلى مسرحيات مُصَغَّرة . وبدأ نظمهُ للشَّعر عام ١٨٢٤ ، ولمع اسمه مُنذ أن كان تلميذاً في معهد هنري الرابع . كان يحب الموسيقى والرسم، وتردَّد في دراسته بين الحقوق والطب إلى أن استقر، وتفرغ نهائياً للأدب .

شارك مُنذ عام ١٨٢٤ في الندوة الأدبية الإبداعية التي كانت تجمع كبار المبدعين . وقد لفت أنظار مُعاصريه، وأثار قلقهم عندما كشف في أولى مؤلفاته "حكايات من إسبانيا وإيطاليا " (١٨٣٠) عن إعجابه بالفن الاتباعي (الكلاسيكي) ساخرًا من شطط المبدعين ومُغالاتهم .

فُجع بوفاة والده عام ١٨٣٢ ، واضطُرَّ إلى كَسْب عَيْشه ، ففكَّر في الكتابة للمسرح، وبدأ بمسرحية " عرض مسرحي على مُتَّكأ "، أتبعها بِملهاة " بِمَ تحلم الفتيات ؟ " . مسرحيتان بقيتا على الورق غير صالحتين للعرض .

أمَّا قصيدته " رولا "، فقد أكسبته الشهرة . وقد تحدَّث فيها الشاعر عن ضياع جيل بأكمله مُتمثلاً بشخصية شاب في التاسعة عشرة يتميَّز بخصال حميدة من شهامة ونبَل وكرم وصدق وبراءة، إلى أن جرفه سَيل الانحطاط الذي يعيشه عصره، ففقد الإيمان والمبادئ والقيم، واستسلم لأهوائه، وبدد ثروته، وأنهى بالسُّم حياته . وقد ترك دي موسيه بصيص أمل في لحظات الشاب الأخيرة ، عندما اكتشف الحب الصادق لدى إحدى بنات الهوى التي حاولت إنقاذه من الموت .

التقى دي موسيه الأدبية الفرنسية جورج صاند عام ١٨٣٣ ، وكانت تكبره بست سنوات . واعتقد للوهلة الأولى أنه وجد ضالته ، وأنها المرأة المثالية التي ستأخذ بيده لترفعه من الحضيض . وذهبا معاً إلى البندقية ، حيث صدمته خيانة صاند مع طبيبه باجيلو عندما لزم الفراش مُصاباً بِحُمى التيفوئيد . ففقد دي موسيه ثقته بالحياة وبالمرأة التي رأى أن طبيعتها تتلخَّص في كلمتين : حُب الذات والتعجُزَف .

كان حُبُّه لصاند أقوى من أن ينتهي بسرعة ، وبقيت العلاقة بينهما على مستوى مُراسلات ربطتهما بصداقة إلى أن انفصلا نهائيًا . وعندما نُشرت هذه المراسلات دخلت تاريخ الأدب . عاد الشاعر بعدها إلى حياة اللهو والعلاقات العابرة، وكانت قريحته الشعرية تواكب انفعالاته، فكتب " نزوات ماريان " ، و " لا مزاح في الحب " ، و " فتنازبو " . وكلها تُبرز شخصيات مزاجية متقلبة غير مستقرة .

أمّا " لورنزا تشو " (١٨٣٤) فهي دراما تاريخية يتقرب فيها لورنزا تشو من الطاغية ألكسندر دي مديتشي الذي يحمل له _ لأسباب سياسية _ كراهية، فيُشاطرهُ ميوله الفاسقة للنيل منه . عُرِف دي موسيه بأنه شاعر الهوى والنزوات والأشجان ، وحملت مؤلفاته بعد هذا التاريخ آلامه . وتُعدُّ روايته " اعتراف ابن العصر " (١٨٣٦) سيرةً ذاتيةً ضمَّنها الذكرى المؤلمة وضياعه مع جيل بأكمله . كان في داخله صراع بين الطُّهر والفجور ، وصفه في " لورنزا تشو " بأنه داء يُفقد نضارة الوجه وطهارة الروح ، ويُخلِّف رجلاً تائهاً لا حيلة له . أمّا أسلوب الشاعر فهو استفزازي مضطرب ، يُخفي مشاعر جيّاشة تميل إلى العنف والانتقام .

كان دي موسيه يختلف عن الأدباء من مُعاصريه، فقد رأى في الشاعر شاعرًا وحسب، لا يُنتظر منه أي دور اجتماعي أو سياسي. وجُل ما يحتاج إليه انفعالات يعيشها في وقتها لتكون إلهامه. وفي عام ١٨٥٢ ، صار عُضوًا في الأكاديمية الفرنسية . وكان قد توقَّف عن الكتابة بعد أن جفَّت قريحته وخمل ذكره كشاعر .

ألفريد نورث وايتهيد والمنطق الرمزي

وُلد الفيلسوف وعالم الرياضيات الإنجليزي ألفريد نورث وايتهيد (١٨٦١ _ ١٩٤٧) في رامسجيت بإنجلترا . تعلمَ في مدرسة شربورن في دورسيت، وكانت مدرسة عامة في المدينة. وكانت طفولته وتربيته تربية محافظة ، ولكن قد أبدى تفوقاً ملحوظاً في التربية الرياضية والرياضيات ، ممّا جعله في ترتيب متقدم على أقرانه في الدراسة .

بدأ حياته الجامعية بدراسة الرياضيات البحتة والتطبيقية ، في كلية ترينتي بجامعة كامبردج (١٨٨٠ _ ١٨٨٤)، فبرز فيها، وعُيّن محاضراً بالجامعة نفسها (١٨٨٥ _ ١٩١٠)، وكان برتراند راسل من أبرز تلاميذه ، ثم زميلاً وصديقاً له .

انتقل وايتهيد إلى لندن لتدريس الرياضيات التطبيقية في كلية الجامعة (١٩١٠ _ ١٩١٤)، ثم صار أستاذاً في الكلية الإمبراطورية للعلوم والتكنولوجيا حتى عام ١٩٢٤ . وفي أثناء تلك الفترة شغل وايتهيد عدّة مناصب أكاديمية ، منها عميد لكلية العلوم في جامعة لندن ، ورئيس للمجلس الأكاديمي للتربية والتعليم، وعضو في الجمعية الملكية، ولاحقاً زميل في الأكاديمية البريطانية، إلى أن دعتّه جامعة هارفارد الأمريكية أستاذاً للفلسفة، وبقي هناك حتى وفاته ، وفيها أتم تطوير فلسفته الميتافيزيقية والأنطولوجية . وقد مُنح وسام الاستحقاق عام ١٩٤٥ .

والجدير بالذكر أن وايتهيد وراسل هما واضعا علم المنطق الرمزي أو الرياضي . وقد ساعدت كتابات وايتهيد كثيراً في تقريب المسافة بين الفلسفة والعلوم . وتعكس أعماله معرفته المسبقة بالعلوم . وقد أصر على أن المعرفة العلمية بالرغم من أنها مُحَدَّدة إلا أنها غير مكتملة، ويجب أن تكتمل ، وقال إن ذلك يتم بالأسس الفلسفية .

ينقسم نشاط وايتهيد الفكري إلى ثلاث مراحل : الأولى _ مرحلة الأبحاث الرياضية والمنطقية (١٨٩٨ _ ١٩١٤) . وفيها حاول وايتهيد تنفيذ جزء من برنامج العالم الألماني ليبنتز بوضع علم كُلي الحساب ، يُسهّل التفكير في كل ميادين الفكر . وكانت أهم كتاباته في هذه المرحلة " بحث في الجبر العام " (١٨٩٨) ، و " المبادئ الرياضية " الذي كتبه مع برتراند راسل في ثلاثة أجزاء (١٩١٠ _ ١٩١٣) . كما كتب أبحاثاً صغيرة مهمة منها " المفاهيم الرياضية للعالم المادي " (١٩٠٦) . والثانية _ مرحلة علم الطبيعة (١٩١٧ _ ١٩٢٥) . وقد تَمَثَّلَت في كتبه : " تنظيم الفكر " (١٩١٧) ، و " مبادئ المعرفة الطبيعية " (١٩١٩) ، وغيرهما .

والمرحلة الأخيرة هي مرحلة الميتافيزيقا ، التي تَجَلَّت في كُتبه : " الدين في مراحل تكوينه " (١٩٢٦) ، و " الصَّيرورة والواقع " (١٩٢٩) ، و " مغامرات الأفكار " (١٩٣٣) .

تكشف فلسفة وايتهيد عن بعض التداخل بين مراحل تطوره الفكري الثلاث ، تمثلت في محاولته للجمع بين عالم المنطق الرياضي وعالم الطبيعة والعالم الخلقي والديني والجمالي والاجتماعي، فبدأ بمهاجمة التصور التقليدي للرياضيات، التي يُنظر إليها على أنها علم العدد والكَم فقط، أو علم الكم المنفصل والمتصل ، ثُمَّ تَبَنَّى الفكرة القائلة إن الرياضيات نتيجة تلزم عن بعض العلاقات المنطقية الصورية ، وهذه العلاقات هي التي تُعطي الأنساق الاستنباطية خاصتها الصورية، والتي تجعلها أشبه بالقولب التي يمكن ملؤها بالقيم المناسبة المأخوذة من عالم الخبرة والتجربة .

وقد طوّر هذه الفكرة في كتابه " مبادئ الرياضيات " ليرد بها الرياضيات إلى المنطق، واستفاد منها في بحثه للمفاهيم الرياضية في العالم المادي ، وتصوّره لفلسفة الطبيعة، فرفض آراء نيوتن الكلاسيكية التي تُفسّر العالم بأنه جزيئات أو ذرات تشغل حيزًا من المكان والزمان . ورفض رأي آينشتاين أن المكان علاقة بين أشياء فيزيائية ، وقال إن المكان علاقة بين أحداث مُدرّكة بالحس مباشرة، فأرجع نسبة المكان إلى الإدراك الحسّي، وليس إلى الواقع الموضوعي في الطبيعة ، كما قال بأن للعالم خطوطًا من القوة لها اتجاهات ومسارات من الأحداث تعترض بعضها بعضًا .

ويتجلى إسهامه في الفلسفة في كتابه " الصيرورة والواقع " . ويبدأ بالفلسفة العضوية التي يَعدّها أساسًا لتفسير الكون . وقد جاءت معالجته لهذه الفلسفة مُعقدة نتيجة لاستخدام مصطلحات وتعميمات مأخوذة من علوم عديدة ، كعلم الأحياء وعلم النفس الاستنباطي ، حيث جمع بين الأفكار المنطقية والرياضية والطبيعية والبيولوجية والسيكولوجية، وكذلك الأفكار الجمالية والدينية في إطار واحد ينتهي إلى مبادئ ميتافيزيقية هي غاية في التعميم، وهذا التعميم يَنجّه من الجزئي إلى الكلي، ويقوم على الوصف أكثر ممّا يقوم على الاستنباط ، وهو منهج البحث الفلسفي .

ويُقيم وايتهيد مذهبه في الوجود على أساس فكرتين ، الأولى: كُُل الأشياء في تدفق أو جريان دائم ، مُتأثّرًا بهيراقليطس . والثانية : فكرة بقاء الأشياء . ويسعى إلى التوفيق بينهما باستخدام الأفكار الفلسفية . إن أعمال وايتهيد بقيت جزءًا من التفكير المنغلق المنطوي على ذاته ، ولم يترك إلا أثرًا ضئيلًا في الفكر الفلسفي المعاصر ، باستثناء التأثير الكبير الذي تركه وايتهيد بما أنتجه في المنطق الرمزي بالاشتراك مع راسل .

إلفريدي يلينيك والإبداعية الفاضحة

وُلدت الروائية النمساوية إلفريدي يلينيك (١٩٤٦ _ ...) بالقرب من غراتس عاصمة ولاية ستيريا في جنوب شرق النمسا، لأب يهودي تشيكي ناج من معسكر أوشفيتز الألماني النازي، وأم كاثوليكية ألمانية. تَحَصَّلت على تعليم ديني في المدرسة الكاثوليكية، وبدأت في عام ١٩٦٠ دراستها الموسيقية ، فتعلّمت العزف على عِدَّة آلات موسيقية ، ثُمَّ واصلت دراستها في التأليف الموسيقي في معهد فيينا للموسيقى ، ودرست كذلك تاريخ الفن وعِلْم المسرح إلى جانب دراساتها الموسيقية . وفي عام ١٩٦٧ ، بدأت يلينيك بنشر أعمالها الإبداعية التي أبرزتها ككاتبة ومُحرِّضة سياسية. وفي عام ١٩٧٤ انتمت الكاتبة إلى الحزب الشيوعي النمساوي، ولكنها خرجت منه عام ١٩٩١ .

في عام ٢٠٠٤ مُنحت جائزة نوبل للأدب : " لأن جريان موسيقاها يتوالف من تيار الأصوات الموسيقية والأصوات المضادة في رواياتها وأعمالها الدرامية ، مع الحماس اللغوي غير المألوف الذي يُميّز نتاجها الأدبي، الذي يكشف اللامعقول في الكليشيهات الاجتماعية وقُوَّتها المستعبدة " ، كما علَّلت الأكاديمية السويدية . تتحدث رواياتها عن المرأة ووضعتها في المجتمع النمساوي ، وتوصّف ككاتبة مدافعة عن حرية المرأة . وعندما مُنحت جائزة نوبل استقلال أحد أعضاء الأكاديمية السويدية مُنذ ١٩٨٣ ، مُحْتَجًّا على منحها الجائزة، وذلك : ((لأن لغتها الأدبية بسيطة، ونصوصها كُتِل كلامية مَحْشُوَّة ، لا أثر لبُنية فنية فيها . نصوصٌ خالية من الأفكار ، لكنها مليئة بالكليشيهات والخلاعة العلنية)). وتُرَكِّز يلينيك في معظم أعمالها على الجنسية الأنثوية، وعلاقات المرأة بالرجل، وحروبهما الجنسية ضمن مشاهد الاغتصاب والاستغلال السادي للجسد. وتقوم بتشريح هذه العلاقات بلغة خلّاعية وفضائحية. لقد وُلدت الكاتبة في وسط برجوازي محافظ من أم كاثوليكية حاضرة بطغيانها، وأب يهودي شبه مُغَيَّب. وهي ثمرة هذا التناقض الفظيع . كما أنها وريثة الجرح الذي لم يلتئم في الوجدان النمساوي المعاصر ، وهو إثم التواطؤ مع النازية ، الذي ترى يلينيك أن شعبها لم يَقم بعملية فحص ضميره إزاءه ، ولا بجدرة الحساب المطلوبة . لذلك ، تُكرِّس أدبها لِتَكْءِ الجراح ، وتمدُّ للمجتمع في كُل نصوصها مِرآةً مُكبِّرةً تُضخِّم عوراتهِ، وتُكشف صورته المشوَّهة . وهذه النقمة على المجتمع تنعكس على لغة يلينيك ، كما تنعكس على أسلوبها وخياراتها الأسلوبية . وقد تَطَوَّر مسرحها ، حتى صار قصيدةً

طويلةً على شكل مونولوج ضاعت منه الشخصيات ، أو اختفت لصالح الأفكار . وشخصياتها الروائية والدرامية دائماً " نموذجية " كاريكاتورية ، تُعاني من طغيان المجتمع ، وتُعيد إنتاجه بأشكال مُتطرفة . وشخصياتها الأنثوية ضحايا مسؤولة عن انهيارها ، لأنها مُتواطئة مع الجلاذ ، مع المنطق الذكوري ، وشعارات الحرية الزائفة في مجتمع قائم على لعبة الاستغلال . إن يلينيك التي اختارت الكتابة كردة فعل على خيارات والدتها الصارمة ، تعاملت مع اللغة كسلاح ضد أشكال السُلطة. رفعت لواء النسوية ، وانخرطت في معارك لفضح العبء الاجتماعي الخائق ، وكُل أشكال التغييب والتهميش والقولية والانتحار الجماعي . لذلك ، ارتفعت أصوات كثيرة مُطالبة بمنع كتبها وحرقتها في النمسا ، التي يتحكم فيها اليمين المتطرف . وفي روايتها " مُعلّمة البيانو " (١٩٨٣) ، التي حققت لها شهرة عالمية بعد نقلها إلى الشاشة عام ٢٠٠١ ، تُصوّر شخصية مُعلّمة بيانو في منتصف الثلاثينيات، تنام في فراش والدتها، وتخضع لِتسلطها ، وتحاول الخروج من حصار تهويماتها الجنسية وكبتها الدفين . في روايتها " رغبة " (١٩٨٩) ، تُصوّر العلاقة السادية الوحشية بين رجل وزوجته تحت أنظار ابنتهما . وقد باعت الرواية ١٥٠ ألف نسخة فور صدورها ، إلا أنها واجهت حملات قاسية من قِبل النُّقاد، وذهب بعضهم إلى اعتبارها رواية إباحية . وتقول يلينيك رداً على هؤلاء النُّقاد إنها رواية بورنوغرافية نسوية، تأخذ شعارات اللغة الذكورية، وتُعيد استعمالها ضد التسلط الذكوري ، ونظام القيم السائدة. وفي مسرحيتها " ما حدث لنورا بعدما تركت زوجها " (١٩٧٩)، تُقدّم مصيراً قاسياً لامرأة غادرت بيت الزوجية، وانهارت تماماً إلى حد الانسحاق، لأنها استسلمت للوهم ، وخانت طبقتها . وتدور الأحداث في النمسا خلال عشرينيات القرن العشرين مع صعود النازية ، وتفاقم الأزمات . وفي روايتها " المهمّشون " (١٩٨٠) تستعيد حادثة وقعت فعلاً ، وهي مسيرة انحراف أربعة طلاب ثانويين إلى عالم الجريمة والعنف ، مُتحمّلين تبعات وأعباء مجتمع ، لم يقيم بتصفية حساباته مع الماضي، ولم يتطهّر منه . والجنس موضوع يتكرّر في أعمال يلينيك ، تعبيراً عن استلاب المرأة واستغلالها وانسحاقها. وقد كُرس أدبها الروائي والمسرحي ، لتصفية حسابات مؤلمة وقاسية مع الماضي الصعب ، ومع كُل تجليات التزعة السُلطوية ، والهيمنة الجنسية ، والانصياع الأنثوي، وسلبية الأفراد المتواطئين مع آلة ضخمة تُمنع في سحقهم ، واستلاب حريتهم وقيمتهم الإنسانية .

وتقيم يلينيك مع العالم علاقة صدامية من خلال اللغة ، إذ إنها تتعامل معها باعتبارها وسيلة المشاكسة والتحريض والمقاومة . وقد عانت في بلادها كثيراً بسبب كتاباتها الإباحية الفاضحة .

ألفونس دو لامارتين والأحاسيس الجياشة

وُلد الشاعر والسياسي الفرنسي ألفونس دي لامارتين (١٧٩٠-١٨٦٩) بـماكون ، إحدى حواضر مقاطعة اللوار بفرنسا . يُعتبر من أكبر شعراء المدرسة الرومانسية الفرنسية. خاض غمار السياسة. وتولى رئاسة الحكومة المؤقتة بعد ثورة ١٨٤٨ .

كان كثير السفر ، وأقام مدة في إزمير بتركيا . وقد كان لامارتين ينتمي إلى طبقة النبلاء الفرنسيين ، وهي أعلى طبقة في ذلك الزمان. ولذلك نشأ وترعرع في قصر " ميلي " تحت إشراف أمّه الحنون التي لم تكن تطلب منه أكثر من أن يكون إنساناً حقيقياً وطيباً _ وَفَّقَ كلامه _ .

بعد أن أكمل دراساته في أحد المعاهد اليسوعية ، راح يسافر في البلدان كي يُروِّج عن نفسه كما يفعل معظم أولاد الأغنياء. وهكذا سافر إلى إيطاليا عام ١٨١١، وبقي فيها حتى عام ١٨١٤، أي حتى سقوط النظام الإمبراطوري بقيادة نابليون بونابرت، وعودة الملك لويس الثامن عشر إلى الحكم . ثم راح يهتم بالأدب والشعر . ونشر أولى مجموعاته الشعرية عام ١٨٢٠ تحت عنوان : " تأملات شعرية " . والشيء العجيب هو أن هذا الديوان الأول جعل منه بين عَشِيَّة وضُحاها شاعراً مشهوراً يُشار إليه بالبنان . وبعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ أصدر لامارتين مجموعة شعرية ثانية تحت عنوان " تأملات شعرية جديدة " . ثم نشر بعدئذ عدة كتب من بينها : " موت سقراط "، و " آخر أنشودة جحيم للطفل هارولد " .

وبعد أن سافر إلى الشرق، وتعرّف على القدس في فلسطين حيث يوجد مهد المسيح ومقدّسات النصارى ، عاد إلى أوروبا ، وأصبح موظفاً في السفارة الفرنسية بمدينة فلورنسا الإيطالية. ثم تزوج من فتاة إنجليزية بعد عدة قصص حب فاشلة ، من بينها تلك القصة التي ألهمته قصيدة " البحيرة " الشهيرة . وهي من أشهر القصائد الرومانطيقية في الشعر الفرنسي. وقد تُرجمت إلى العربية شعراً عن طريق أحد الأدباء المصريين .

انخرط لامارتين في الحياة السياسية وأصبح نائباً في البرلمان. وقد سحر زملاءه بخطاباته الشاعرية الفياضة المليئة بالعواطف النبيلة تجاه الشعب الفقير. وكان لامارتين خطيباً من الدرجة الأولى . نشر لامارتين بعد ذلك عدة كتب مهمة، نذكر من بينها : رحلة إلى الشرق (١٨٣٥) ، جوسلين (١٨٣٦) ، سقوط ملاك (١٨٣٨) ، خشوع شعري (١٨٣٩) . كما نشر كتاباً جميلاً عن تاريخ الثورة الفرنسية التي كانت لا تزال حديثة العهد .

والغريب في الأمر أن لامارتين ذا الأصل النبيل والارستقراطي أصبح من كبار مؤيدي الثورة الفرنسية التي أطاحت بطبقة النبلاء الأرستقراطيين وامتيازاتهم الضخمة ! . وقد عارض بشدة الحكم الرجعي للملك لويس فيليب ، وكان أحد قادة الثورة الشعبية الشهيرة عام ١٨٤٨ .
ثم أصبح عضوًا في الحكومة المؤقتة لفرنسا ، ووزيرًا لخارجيتها، ولكن لفترة قصيرة. وكان من أكبر الداعين إلى إلغاء قانون الرق أو العبودية الذي يصيب السود . ولكن صعود نابليون الثالث على سدة الحكم عام ١٨٥٢ عن طريق انقلاب عسكري وضع حدًا لحياته السياسية . فبعد أن أصبح اليمين الكاثوليكي في السلطة ، لم يعد للشاعر محل .

وهكذا انطوى على نفسه ، وراح يُكرّس جُل وقته للأدب والكتابة، ولكنه لم يواجه السلطة الديكتاتورية مباشرة ، كما فعل فكتور هوغو ، لأن ذلك كان سيؤدي به إلى القتل أو السجن أو النفي . لذلك فضّل الصمت والمعارضة السرية غير الناشطة . وقد عاش السنوات الأخيرة من حياته بشكل تعيس وحزين، فقد كان مُضطّرًا للعمل ليلاً نهارًا كي يستطيع أن يعيش ويأكل الخبز .
وذلك لأنه لم يستغل موقعه السلطوية كي يغتنّي كما فعل الكثيرون . وقد اشتكى في إحدى الرسائل إلى فكتور هوغو بأنه يخشى أن يُصادروا بيته ومكتبه والأثاث، لأنه لا يستطيع أن يدفع الفواتير . ثم اضطرّ تحت ضغط الحاجة الماسة إلى قبول هبة من الدولة عام ١٨٦٧ . وقد عاب عليه المثقفون " اليساريون " ذلك ، واتهموه بالتواطؤ مع الديكتاتور المستبد نابليون الثالث، ولكن هل كان أمامه خيار آخر ؟ ، وهل يريدون له أن يموت في الشارع وهو أحد أشهر شخصيات فرنسا في ذلك الوقت ؟ . لقد مات مغمومًا ومهمومًا بعد ذلك بسنتين فقط، ورفضت عائلته تنظيم جنازة وطنية له خوفًا من أن تستغلها السلطة لمصلحتها .

كان شعر لامارتين ، شأن الرومانسيين الأوائل، فيضًا من الأحاسيس الجياشة إلى درجة المبالغة، بل لا يسع المرء أن يحمل كل المرارة المنبعثة من شكواه على محمل المعاناة الصادقة . وقد اعتمد على تكثيف المشاعر وتهويل معاناة الفرد وشعوره بالغرابة والوحدة ، وهذه أبلغ المؤثرات التي جعلت من مجموعة " تأملات شعرية " أكثر الدواوين رومانسية على الإطلاق .

إن شعر لامارتين يحمل قدرات هائلة على التشبيه المبتكر والوصف البليغ للحظات خاطفة وزاخرة بالأحاسيس الموجهة . وتمتاز قصائده بنفَس رومانسي أصيل مليء بالأسى الغامض العميق، الذي فجّر في نفس الشاعر أحاسيس رقيقة ، وقد تكرّرت على ألسنة الشعراء الرومانسيين من بعده إلى درجة الابتذال ، حيث غرقوا في محاولات تقليده ، والسَّير على خطاه .

ألكسندر بوب والمُعاناة الصحية

وُلد الشاعر الإنجليزي ألكسندر بوب (١٦٨٨ _ ١٧٤٤) في بلاوفيلد، لندن . كان والده تاجر كِتَان . وكانت عائلته كاثوليكية . وقد تأثر تعليم بوب بقانون العقوبات المعمول به في ذلك الوقت ، والمأخوذ من كنيسة إنجلترا، والتي حظرت على الكاثوليك التدريس ودخول الجامعات والوظائف العامة . تَعَلَّمَ بوب القراءة مِن عَمَّتِه، ثم توجه إلى مدرسة توأيفورد في عام ١٦٩٨ ، ثُمَّ توجَّه إلى مدرستين كاثوليكيتين في لندن . ورغم أن هذه المدارس كانت غير مشروعة، تَمَّ التغاضي عنها في بعض المناطق .

قام بوب بتعليم نفسه ، وذلك بقراءة أعمال الكُتَّاب الكلاسيكيين وشعراء الملاحم ، ودرس أيضًا العديد من اللغات، وقرأ أعمال الشعراء بالإنجليزية والفرنسية والإيطالية واللاتينية واليونانية . كان بوب يُعاني من مشاكل صحية عديدة وهو بِعُمر اثني عشرة عامًا، مثل مرض (بوت) ، وهو نوع مِن السُّل يُصيب العظام ، وقد شَوَّه بُنيته وجعله يتوقف عن النمو ، وتركه أحمَد . وتسبَّبَ مرض السُّل في مشاكل صحية أخرى بما في ذلك صعوبات في التنفس، والحمى الشديدة، والتهاب العيون، وآلام في البطن . وَلَمْ يتجاوز طوله ١.٣٧ متر . وكان مَعزولاً مِن المجتمع لأنه كان كاثوليكيًا ، وزادت صحته السيئة مِن عُزلته أكثر . لَمْ يَتَزَوَّج بوب قَط . ولكن ، كان لديه الكثير من الصديقات ، وكان يكتب لهن رسائل ظريفة .

في مايو ١٧٠٩ ، قام بوب بنشر الشعر الريفي في الجزء السادس من كتاب تونسون المسمَّى " مُنَوَّعات شعرية " . وهو ما حَقَّقَ لبوب الشهرة الفورية . وفي عام ١٧١٣ نشر " غابات وندسور " وحَقَّقَ نجاحًا جَيِّدًا . في عام ١٧١٤ ، بدأ الوضع السياسي يزداد سُوءًا مع وفاة الملكة آن ، والتنازع على الخلافة بين بيت هانوفر وحركة اليعاقبة، ما أدَّى إلى اندلاع التمرد اليعقوبي عام ١٧١٥ . وكان مِن المتوقع مِن بوب ككاثوليكي أن يُؤَيِّد اليعاقبة، بسبب انتماءاتهم الدينية والسياسية ، ولكن موقفه بقي غير واضح .

كان بوب قد قُتِنَ بهوميروس منذ الطفولة . وأعلن في عام ١٧١٣ عن خطط لنشر ترجمة الإلياذة ، حيث سيكون العمل مُتاحًا من خلال الاشتراك ، مع ظهور مجلد واحد كل سنة على مدى ست سنوات . وضمن بوب صفقة ثورية مع الناشر، والتي جلبت له مِئتي جنيه للمجلد، وهو مبلغ كبير جدًّا في ذلك الوقت .

عمله المسمّى " مقالة عن الإنسان " هو قصيدة فلسفية، كُتبت في مقاطع بطولية، ونُشرت في الفترة (١٧٣٢ _ ١٧٣٤) . وكان يهدف بوب أن تكون هذه القصيدة قطعة محورية في النظام المقترح للأخلاق الذي أراد طرحه في الأشكال الشعرية . وكان هذا العمل محاولة لتبرير مشيئة الله في حياة الإنسان، وأن الإنسان ليس هو نفسه محور كل شيء. والمقالة ليست مسيحية بشكل مفرد، ومع ذلك فإنها تقوم بافتراض أن الرجل قد أخطأ ، ويجب أن يسعى للخلاص .

اعتُبر بوب في زمن وفاته أحد أعظم شعراء عصره. ومع ذلك فقد بدأت أساليب جديدة تظهر في الشعر بحلول منتصف القرن الثامن عشر. وبعد مرور عَقْدٍ مِن وفاة بوب ، لم يعد نمط بوب في الشعر يُمثّل الشكل الفني الممتاز .

وفي القرن العشرين ، حاول بعض الأدباء أن يعيدوا إحياء سيرة بوب، وكانت محاولاتهم ناجحة. وأصبحت أعمال بوب الآن مليئة بالإشارات والهوامش عن الناس والأماكن في زمنه، وساعد هذا القُرّاء على فهم الماضي .

حملت العقود الأخيرة من القرن العشرين المزيد من التحديات لِسُمعة بوب الأدبية. وانطلقت هذه الانتقادات من منظور نظري، مثل الماركسية والنسوية وغيرها من أشكال مابعد البنيوية . وعلى سبيل المثال لا الحصر ، قامت الناشطات النسويات بانتقاد أعمال بوب ، واتّهامه باتّباع تقليد مُعادٍ للنساء ، والنظر إلى المرأة على أنها أقل شأنًا مِن الرجال ، سواءً فكريًا أم جسديًا. ومع ذلك ، فيمكن الدفاع عن بوب بالقول إن هذا كان الرأي العام في وقته .

اشتهر بوب بمقاطع شعرية ساخرة، وبترجمته لأعمال هوميروس. وهو ثالث كاتب يتم الاقتباس منه في قاموس أكسفورد للاقتباسات ، بعد شكسبير وألفريد تينسون . كما اشتهر بوب باستخدام مقطع الشعر البطولي .

مِن أبرز أعماله : قصائد الرُّعاة (١٧٠٩) . غابات وندسور (١٧١٣) . ثلاث ساعات بعد الزواج (١٧١٧) . مرثية لذكريات سيدة تعيسة (١٧١٧) .

ألكسندر بوشكين وطبقة النبلاء

وُلِدَ الشاعر الروسي ألكسندر بوشكين (١٧٩٩ - ١٨٣٧) في موسكو. نشأ في أسرة من النبلاء كانت تعيش حياة الترف واللهو، تاركةً أمر الاعتناء بالطفل بوشكين إلى الخدم والمربين الذين كانوا عُرضة للتغيير دائماً ، إلى جانب عدم إتقانهم اللغة الروسية إتقاناً تاماً . وكان أبوه شاعراً بارزاً في ذلك الوقت، فساعد ذلك على ظهور موهبته الشعرية مبكراً، بالإضافة إلى ذكائه وذاكرته الخارقة. تلقى بوشكين تعليمه في معهد النبلاء للتعليم الثانوي والعالي معاً ، ومدة الدراسة به ست سنوات ، وقد أنشأ هذا المعهد " ألكسندر الأول " لتجهيز شباب الأسر الروسية العريقة لِتَوَلَّى المناصب الهامة في دوائر الحكومة القيصرية مستقبلاً .

التفت حول بوشكين أثناء حياته الدراسية حلقة من الأدباء والمفكرين والشعراء ، وقد لاحظ الكثير من أساتذته موهبته العالية في نظم الشعر، وتميّزت أحاسيسه بالقوة ، وكان مُحباً وعطوفاً على عامة الشعب . وقد حدثت بعض الوقائع التاريخية في أثناء دراسة بوشكين بالمعهد ، وهي : مساهمة روسيا في السياسة الأوروبية، وغزو نابليون لروسيا ، وحرق موسكو، وزحف الجيوش الروسية على أوروبا، وسقوط باريس، والقبض على نابليون ونفيه. كُل ذلك دفع بوشكين إلى المطالبة بالحرية في روسيا . وقد أثّرت سنوات دراسة بوشكين في تعزيز نزعة الأدبية والسياسية ، كما كتب العديد من القصائد الشعرية في أثناء دراسته بالمعهد . وبعد أن تخرّج من المعهد أُسندت إليه وظيفة في وزارة الخارجية الروسية. وعندما تنتهي ساعات العمل ، يذهب إلى مجتمعات "سانت بطرسبورج" فيرتاد أندية الأدبية والعلمية . وعُرف عن بوشكين حبه للتجديد في شعره ، الذي كان يهدف من خلاله إلى إلغاء القيصرية ، والقضاء على حق استرقاق الفلاحين. وعُرف العهد الذي عاش فيه بوشكين بالاستبداد الاجتماعي، فكانت السلطات مُركزة بين القيصر والنبلاء. وكان بوشكين الذي انحدر من أسرة نبيلة يُعبّر عن انحلال وسطه، ويطالب بحرية الشعب، بوصفه المرجع الأول والأخير للسلطة . وكان أول من دعا إلى الحد من سيادة النبلاء في روسيا، وكان ناقماً على مجتمعه ومُطالباً بتقييد الحكم القيصري ، وإعلاء شأن النظام الديمقراطي بين الناس. ولكن ما يؤخذ عليه أنه حصر آماله في الحصول على بعض الحريات السياسية والثقافية . تأثر بوشكين في بداياته بالأدب الفرنسي ، ثم اتجه إلى الأدب الإنجليزي ، وحاول تقليد شكسبير في مسرحياته مع احتفاظه بالطابع الروسي. والجدُّ بالذکر أن بوشكين زار القرم

والقوقاز وتأثر بالمحيط الإسلامي ، وكتب بعض القصائد التي تشير إلى هذا التأثير ، وفي أثناء هذه الزيارة اهتم بتعلم اللغة العربية . وكان بوشكين متحمسًا للاتجاه العاطفي الرومانتيكي ، لأنه كان يعتبره منافيًا لسائر الأساليب التي يقوم عليها الأدب الكلاسيكي المزيف ، وكذلك فإنه يعطي للكاتب حق التصرف بالفكرة الموضوعية ، ولكنه ما لبث بعد فترة أن غيّر اتجاهه إلى الواقعية ، وألّف بعض الأعمال التي عبّرت عنها ، فجاءت من صميم الحياة . وقدّم بوشكين للقارئ من خلال أعماله صورًا من حياة أشرف روسيا ، ونمط معيشتهم ، وما اتّسمت به الطبيعة الروسية .

في عام ١٨٣١ تزوّج بوشكين واحدةً من أجمل فتيات روسيا ، وأنجب منها أربعة أبناء . وقبل وفاة بوشكين ، كان مُضطّهدًا من القيصر الذي كان يُضايقه دائمًا ، إمّا بنقله من مدينة لأخرى ، أو إعطائه بعض الوظائف التي لا تليق بمكانته .

تُوفّي بوشكين مقتولاً في مُبارزة له مع أحد النبلاء الفرنسيين دافعًا عن شرفه في وجه الشائعات التي أُشيعت حول علاقة زوجة بوشكين بهذا الشاب الفرنسي ، وكانت زوجته بريئة منها .

اهتمّ بوشكين بتراخي الشعب الروسي وقضاياه ، سواء كانت اجتماعية سياسة أم تاريخية . وتعدُّ روايته " دوبرفسكي " (١٨٣٣) التي تحكي عن شاب هارب من إحدى طبقات النبلاء ، أعظم ما كُتب في تاريخ الأدب الروسي ، فمن خلالها رسم بوشكين صورة للحياة الروسية في بداية القرن التاسع عشر ، وما كان سائدًا من استبداد النبلاء ، واسترقاق الفلاحين في ذلك الوقت .

وقد تحدّث في كثير من أشعاره عن الطبيعة ، والحب ، والصداقة ، ووطنية الشعب الروسي .

أمّا روايته " أوجين " فتُعتبر أول رواية شعرية واقعية في تاريخ الأدب الروسي ، وقد حصلت على لقب "موسوعة الحياة الروسية" ، حيث يظهر فيها أمام القارئ جميع طبقات المجتمع الروسي في ذلك الوقت . وتميّزت كتاباته بالواقعية ، فكان أول من دعا إلى المذهب الواقعي في الأدب الروسي ، الذي يقوم على وقائع الحياة البشرية ، وصوّر جميع طبقات المجتمع الروسي من فلاحين ، وأشراف ، وصُنّاع ، وحرفيين ، وأعيان نبلاء .

يُعتبر بوشكين من أعظم الشعراء الروس في القرن التاسع عشر ، ولُقّب بأمير الشعراء . وعلى الرغم من مقتله في سن صغيرة ، إلا أنه ترك الكثير من الآثار الأدبية ، لدرجة أن قُرّاءه يشعرون أنه قد عمّر طويلاً . ويُعتبر عصره هو العصر الذهبي للشعر الروسي ، وهو عصر التقارب بين الأدب الروسي من جهة ، والآداب العربية والشرقية من جهة أخرى .

من أبرز مؤلفات: أسير القفقاس (١٨٢٢) . العجر (١٨٢٤) . الفارسي النحاسي (١٨٣٣) .

ألكسندر سولجنيتسين وأرخبيل خولانج

وُلِدَ الأديب والمعارض الروسي ألكسندر سولجنيتسين (١٩١٨ - ٢٠٠٨) في مدينة كيسلوفودسك في منطقة القفقاس الجنوبية . كان والده ضابطاً ، لكنه تُوفِّي قبل ولادته . وفي عام ١٩٢٤ انتقل مع والدته إلى مدينة روستوف على نهر الدون . حيث أمضى طفولته وفُتُوته ، وأنهى دراسته في كلية الرياضيات والفيزياء هناك عام ١٩٤١ . كما درس بالمراسلة في معهد موسكو للآداب والفلسفة والتاريخ . لكنَّ الحرب اضطرتّه لقطع دراسته ، إذ استُدْعِيَ للالتحاق بالجيش ، وشارك في الحرب ضد النازية .

اعتُقل سولجنيتسين في شباط ١٩٤٥ ، لانتقاده ستالين في رسائله إلى زميل له ، وحُكِمَ عليه بالسجن ثماني سنوات . ووراء أسوار السجون المتعددة، برزت موهبته الأدبية . وكانت باكورة مؤلفاته ملحمة "الطريق" . وهناك أيضاً بدأ يَحْكُوك الخيوط الأولى من روايته " آب أربعة عشر " (١٩٧١) . بعد أن انتهت مُدَّة سجنه، نُفِيَ إلى صحراء كازاخستان القاحلة ، حيث أمضى ثلاث سنوات أخرى ، ذاق في أثنائها الأمرَّين ، وكتب هناك مسرحية " جمهورية العمل " (١٩٥٤) . وفي العام التالي ، أُدخِل إلى مستشفى الأورام في طشقند ، حيث تَمَكَّنَت الطبيبة دونايفا مِن إنقاذه مِن المرض الخبيث . وتحدّث عنها في روايته المعروفة " جناح السرطان " (١٩٦٨) .

حظيت رواية " يوم من حياة إيفان دينوسوفيتش " التي نُشرت عام ١٩٦٢ باهتمام النقاد والقراء على السواء ، ورُشِّحت لنيل جائزة لينين ، وكان لها الفضل في قبول الكاتب في صفوف اتّحاد الكتّاب السوفييت . وبعد إقصاء نيكيتا خروتشوف ، وتولّي ليونيد بريجنيف أمانة الحزب الشيوعي ، بدأ نتاج الكاتب يتعرّض لحملة من المضايقات والحذف والحظر ، ممَّا دفعه إلى توجيه رسالة مفتوحة إلى المؤتمر الرابع لاتّحاد الكتّاب السوفييت في أيار ١٩٦٧ ، يشرح مُعاناته مع الرقابة ، ويدعو إلى إلغائها . ومُنذُ ذلك الحين ، بدأت الهُوة تتسع بين الكاتب والسُّلطة ، وسارع الغرب إلى تَلَقُّف أعماله . وبدأت هذه الأعمال تجد طريقها إلى القارئ السوفييتي بطرق مختلفة ، وعبر قنوات غير شرعية مُتعددة ، مطبوعة أحياناً ، ومُصوَّرة في أكثر الأحيان ، فكانت تُقرأ ، ويتم تداولها في الخفاء .

فُصل سولجنيتسين مِن اتّحاد الكتّاب السوفييت في عام ١٩٦٩ . وفي العام التالي نال جائزة نوبل للآداب . وبعد أربعة أعوام أُسقطت عنه الجنسية السوفييتية ، وطُرد من البلاد، فسافر إلى

ألمانيا الغربية أولاً ثم إلى سويسرا، فالولايات المتحدة الأمريكية. ومع بداية (البيروسترويك) أو الانفتاح ، أُعيدت المواطنة إلى الكاتب ، وأُلغِيَ قرار فصله من اتحاد الكُتّاب ، وُزِعَ الحظر عن نشر أعماله وتداولها ، كما سُمح له بالعودة إلى بلاده . وقد عاد إليها فعلاً في عام ١٩٩٤ ، وتابع نشاطه السياسي بعيداً عن الأحزاب والكتل المختلفة .

تتميّز أعمال سولجنيتسين بالتركيز على وصف الحياة القاسية ، التي ذاق مرارتها بنفسه . حياة السُجون والمُعتقلات ومُعسكرات العمل ، والجِرمَان من كُل شيء إلا من القهر والإذلال . ولقد كانت حياته كما يقول عنها في مذكراته ، حياة " عِجْل ينطح شجرة بلوط " .

وتعود شهرة سولجنيتسين بالدرجة الأولى إلى أنه تناول مسائل محظورة . كما أن منع نشر مؤلفاته زاد من رغبة القُرّاء في الحصول عليها ، إضافةً إلى الضجة الإعلامية التي أثارها الغرب من حوله ، بصفته واحداً من أبرز الكُتّاب السوفييت المنشقين ، وهذا سبب تَبَنَّى الغرب لأعماله ، ومنحه جائزة نوبل للآداب (١٩٧٠). وهي نادراً ما كانت تُمنح لِكُتّاب " دُول الكتلة الشيوعية" .

والغريب أن سنوات النُفي العشرين التي أمضاها الكاتب في الغرب ، والسنوات اللاحقة التي أعقبت عودته إلى روسيا ، كانت سنوات عقيمة ، لم يُبدع فيها الكاتب جديداً ، وكُل ما نشره في الغرب آنذاك كان قد كتبه قبل نُفيه من بلاده ، بما في ذلك روايته " الدائرة الحمراء " في عشرة مجلدات ، التي تتحدث عن الحرب العالمية الأولى ، والحرب الأهلية في روسيا .

تُعتبر ثلاثية سولجنيتسين " أرخبيل غولاغ " أشهر رواياته على الإطلاق ، وروت هذه الثلاثية التي نُشرت في الغرب تفصيلاتٍ عن الفظائع في منظومة السجون ومُعسكراتِ العمل القسري في الاتحاد السوفييتي في الفترة (١٩١٨-١٩٥٦). واعتبرت الصحافة السوفييتية سولجنيتسين خائناً ، وشنت هجوماً لاذعاً ضده بعد نشر الجزء الأول من الرواية في عام ١٩٧٣ .

تُوفّي سولجنيتسين بسبب سكتة قلبية بالقرب من موسكو ، عن عُمر يُناهز التسعين . وتمّت إقامة مراسم دفن في دير دنسكوي في موسكو ، ودُفن في مكان اختاره في مقبرة دنسكوي .

من أبرز أعماله الأدبية: يوم من حياة إيفان دينوسوفيتش (١٩٦٢). الدائرة الأولى (١٩٦٣). جناح السرطان (١٩٦٨) . أرخبيل غولاغ (ثلاثة إصدارات) (١٩٧٣-١٩٧٨) . عِجْل ينطح شجرة بلوط (١٩٧٥) .

إلياس كانيتي ومحقق مراكش

وُلد الروائي والكاتب المسرحي الألماني إلياس كانيتي (١٩٠٥ _ ١٩٩٤) في مدينة روستشوك (حالياً روسه) في بلغاريا . ويتحدّر من عائلة إسبانية يهودية . حصلَ على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨١ . وحسبَ ما قال موقع جائزة نوبل الرسمي ، فقد حصل عليها : " لكتاباته التي جسّدت نظرتَه الفسيحة ، وثرأ أفكاره ، وقوّته الفنية " .
كان مُهتَمّاً بالأدب والسياسة وعلم الاجتماع والفلسفة والعلوم . ولغةُ الكتابة كانت اللغة الألمانية .

في عام ١٩١١ ، رحلَ كانيتي مع عائلته إلى مانشستر في بريطانيا . وبعد وفاة والده ، رحلت والدته مع أولادها إلى فيينا ، ثُمَّ بعد ذلك إلى زيورخ في سويسرا .
في عام ١٩٢١ ، سافرَ كانيتي بمفرده إلى فرانكفورت الألمانية ، وحصل على الشهادة الثانوية ، وبدأ في نفس العام دراسة الكيمياء في جامعة فيينا .
وفي عام ١٩٢٩ ، أتمَّ دراسته بِبَيْلِه درجة الدكتوراة .

اشتغلَ بعد ذلك كمتّرجم . وكتبَ بعد ذلك أول رواية له تحت عنوان " الإعدام حرقاً " عام ١٩٣٥ .

في عام ١٩٣٤ ، تزوّجَ بفيزا توبر ، وغادرَ الزّوجان فيينا ، ليستقرّا في لندن ، ابتداءً من عام ١٩٣٨ .

في عام ١٩٥٤ ، زارَ مدينةَ مراكش المغربية ، ثُمَّ ظهر كتابه " أصوات مراكش " لاحقاً عام ١٩٦٨ .

انشغلَ لفترة طويلة بكتابة دراسة أنثروبولوجية مُطوّلة ، أسماها " الجماهير والسُّلطة " ، وظهرت ككتاب عام ١٩٦٠ .

أضحت كتاباته بعد ذلك معروفة ، ولقيت إقبالاً من طرف القارئ الأوروبي .
كتبَ سيرته الذاتية ، مُكوّنة من ثلاثة أجزاء . ظهرَ الجزء الأول منها عام ١٩٧٧ ، والجزء الأخير عام ١٩٨٥ .

بعد وفاة زوجته ، عاشَ كانيتي مُتنقلاً بين لندن وزيورخ . وتُوفّيَ في عام ١٩٩٤ ، في زيورخ بسويسرا .

من أبرز الجوائز التي حصل عليها : جائزة بوشنر الأدبية في ألمانيا (١٩٧٢) . جائزة جوتفريد كيلر (١٩٧٧) . جائزة فرانز كافكا (١٩٨١) . جائزة نوبل للآداب (١٩٨١) . من أهم أعماله : مسرحية العرس (١٩٣٢) . رواية الإعدام حرقاً (١٩٣٥) . مسرحية كوميديا الأباطيل (١٩٥٠) . مسرحية المستفيدون من التأجيل (١٩٥٢) . أصوات مراكش (١٩٦٨) " ينتمي إلى أدب الرحلة " . السيرة الذاتية (ثلاثة أجزاء) : قصة صبا : اللسان الناجي (١٩٧٧) . قصة حياة : المشغل في الأذن (١٩٨٠) . قصة حياة : ألعاب النظر (١٩٨٥) .

أليس مونرو والتعقيدات البشرية

وُلدت الكاتبة الكندية أليس مونرو (١٩٣١ - ...) في ويغام، أونتاريو ، في كندا . والدها كان مُزارعًا ، ووالدتها كانت تعمل مُدرّسة .

بدأت مونرو الكتابة في سن مبكرة، ونشرت أول قصة قصيرة لها " أبعاد الظل " (١٩٥٠) أثناء دراسة اللغة الإنجليزية والصحافة في جامعة ويسترن أونتاريو . وخلال هذه الفترة عملت نادلة ، وكاتبة مكتبة . وتركت الجامعة في عام ١٩٥١ ، وتزوجت من جيمس مونرو . وفي عام ١٩٦٣ انتقلت وزوجها إلى منطقة فكتوريا .

حصلت على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠١٣ ، لتكون بذلك أول كاتبة كندية تفوز بالجائزة . واعتبرت لجنة منح الجائزة أن القصص القصيرة التي تُولفها الكاتبة هي من بين الأفضل في العالم . وقد وُصفَ عمل مونرو بأنه أحدث ثورةً في بُنية القصص القصيرة ، ولا سيّما في ميلها للمضيّ قُدماً والتخلف في الوقت المناسب .

وسبق للكاتبة الحصول على جائزة البوكر للآداب عام ٢٠٠٩ .

تتحدّث معظم قصص مونرو عن الحب والصراع والحياة في الريف . وقد كتبت العديد من القصص القصيرة ، ونالت جائزة الحاكم العام في كندا عن القصة "رقص الظلال السعيدة " عام ١٩٦٨ . وفي عام ١٩٨٠ عُيّن في منصب الكاتب المقيم في جامعة كولومبيا البريطانية . قصصها تستكشف التعقيدات البشرية ، ويتم التعبير عنها بأسلوب نثري غير مُعقّد ، وهذا الأمر جعل مونرو واحدة من أعظم الكُتّاب الخياليين المعاصرين . ولُقبت بـ " سَيِّدة القصة القصيرة المعاصرة " .

تزوَّجت مونرو أول مرة عام ١٩٥١ ، وانتهى الزواج بالطلاق عام ١٩٧٢ . وتزوجت مرة أخرى عام ١٩٧٦ من عالم جغرافيا ، وتُوفّي في عام ٢٠١٢ . وقد خضعت في عام ٢٠٠٩ لعملية جراحية لاستئصال السرطان .

تُعتبر مقاطعة هورون ، أونتاريو، هي المكان الرئيسي لغالبية قصص مونرو . وتركيزها الإقليمي القوي هو واحد من سمات خيالها . كما أن أحداث قصصها تعمل على جعل معنى للعالم ، وشخصياتها غالبًا ما تُواجه العادات والتقاليد العميقة الجذور . وشخصياتها الذكور تميل إلى التقاط جوهر كل فرد ، في حين أن شخصياتها الإناث أكثر تعقيدًا .

قصص مونرو تكشف عن الغموض في الحياة والسُّخرية والجِدَّة في نفس الوقت ، وشعارات
التقوى والشرف والتعصب .
كما أن قصصها غالبًا ما تكون ذات عمق عاطفي وأدبي ، تمامًا كما هو موجود في الروايات .
وأيضًا تمتاز قصصها بأبعادها الشعريّة ، والغموض في نهاياتها . والكاتبة تستخدم مجموعة متنوعة
من الطرق لإعادة بناء الخيال في تفاصيل القصة من أولها إلى آخرها .
من أبرز مجموعاتها القصصية : رقص الظلال السعيدة (١٩٦٨) . حياة الفتيات والنساء
(١٩٧١) . من تظن نفسك؟ (١٩٧٨) . صديق شبّابي (١٩٩٠) . الأسرار المفتوحة (١٩٩٤) .

أمبرتو إيكو واسم الموحدة

وُلد الفيلسوف والروائي الإيطالي أمبرتو إيكو (١٩٣٢ - ٢٠١٦) في مدينة ألساندريا بإقليم بييمونتي . كان أبوه مُحاسبًا قبل أن تستدعيه الحكومة للخدمة في ثلاثة حروب . وخلال الحرب العالمية الثانية ، انتقلت أم أمبرتو مع ابنها إلى قرية صغيرة في حَيْد بييمونتي الجبلي . أخذ اسم عائلته " إيكو " من حروف عبارة لاتينية تعني " هبة السماء " ، ومُنح لجدّه الذي كان لقيطًا ، من قِبَل مكتب المدينة .

كان أبوه ابنًا لعائلة فيها ثلاثة عشر ابنًا آخرين، وحاولَ دفعه لأن يصبح محاميًا، غير أنه انتسب إلى جامعة تورينو لدراسة فلسفة القرون الوسطى والأدب . كتبَ أطروحته حول توما الأكويني، وحصل على دكتوراة في الفلسفة عام ١٩٥٤ . وخلال هذا الوقت، هجر إيكو الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بعد أزمة إيمان .

عملَ إيكو مُحَرِّرًا ثقافيًا للتلفزيون والإذاعة الفرنسية ، وحاضرَ في جامعة تورينو . كما صادق مجموعة من الرّسامين والموسيقيين والكتّاب في الإذاعة والتلفزيون الفرنسيين ، الأمر الذي أثّر على مهنته ككاتب فيما بعد ، خصوصًا بعد نشر كتابه الأول " مشكلة الجمال عند توما الأكويني " (١٩٥٦) الذي كان توسعةً لأطروحة الدكتوراة خاصته .

وفي سبتمبر ١٩٦٢ ، تزوّج رسامة ألمانية .

طوّر إيكو أفكاره حول النص المفتوح والسيمائية ، وكتبَ العديد من المقالات حول هذه الموضوعات، وفي عام ١٩٦٢ نشر كتابه " العمل المفتوح "، وجادل بأن النصوص الأدبية هي مجالات المعنى، بدلاً من سلاسل المعنى، وأن الأدب الذي يَحُدُّ من فهم الفرد يبقى الأقل جودةً، في حين أن النصوص الأكثر نشاطاً بين العقل والمجتمع والحياة (النصوص المفتوحة) هي الأكثر حيوية. في عام ١٩٦٧ ، قدّم محاضرة مؤثرة ، بعنوان " نحو حرب عصابات شبه مسلحة " ، والتي أثّرت في تطوير تكتيكات حرب العصابات ضد ثقافة الإعلام السائد. ومن بين التعبيرات المستخدمة في المقال "حرب عصابات الاتصالات" ، و "حرب العصابات الثقافية" .

تتمتع روايات إيكو بشعبية واسعة، ولديه جمهور واسع حول العالم. ورواياته مليئة بالإشارات الدقيقة، وتثير أسئلة مركزية في الأدب والتاريخ. وتوضّح أعمال إيكو مفهوم التناس ، أو الترابط بين جميع الأعمال الأدبية .

وكان إيكو يستشهد بجيمس جويس وخورخي لويس بورخيس باعتبارهما المؤلفين المعاصرين اللذين أثرا في عمله بصورة واضحة وعميقة .

اشتهر إيكو على المستوى الدولي بروايته " اسم الوردة " (١٩٨٠) . وهي رواية بوليسية تتضمن لغزاً تاريخياً يجمع بين السيميائية (علم العلامات) في الخيال والتحليل الكتابي ودراسات القرون الوسطى والنظرية الأدبية .

ترجمت للإنجليزية عام ١٩٨٣ ، وإلى الكثير من اللغات الأخرى لاحقاً . وقد حققت هذه الرواية نجاحاً كبيراً أدى في نهاية المطاف إلى تجسيد أحداثها في فيلم عام ١٩٨٦ ، يحمل اسم الرواية، من بطولة الفنان العالمي شون كونري ، وإخراج الفرنسي جان جاك آنود .

تدور أحداثها الغامضة في أحد أديرة شمال إيطاليا ، التابع للرهنة البندكتية ، وذلك في شهر نوفمبر / تشرين الثاني عام ١٣٢٧ م، حيث تتكرر في الدير جرائم قتل مريبة ، ضحاياها جميعهم من النسك ، ويكون التفسير الوحيد للرهبان حول هذه الظاهرة وجود روح شريرة (الشيطان) داخل جدران ديرهم، ولكن رجلاً واحداً يشك في وجود شخص ما يقف وراء جميع تلك الجرائم، ذاك الرجل هو راهب ضيف يدعى وليام من باسكرفيل يتبع الرهنة الفرنسييسكانية ، وهو شخص حاد الذكاء ، سريع البديهة، يعتمد على عقله في الإجابة على أي شيء. عمل سابقاً مُحققاً في محاكم التفتيش ، ولكنه تخلى عن وظيفته تلك ، بعدما رأى أن مهمة محاكم التفتيش لم تعد فقط إرشاد الناس ، بل أيضاً مُعاقبتهم وبوسائل بشعة بعيدة عن روح المسيحية .

يقوم وليام بزيارة للدير مع تلميذه آدزو الذي قام هو نفسه بتدوين القصة كما يقترح المؤلف، وبعد سلسلة من الأحداث الشبقة يصطدم فيها الراهب وليام بأحد محققي محاكم التفتيش ، والذي كان قد اتهمه سابقاً بالهرطقة ، مُهدّداً إيّاه بالموت ، ولكن في نهاية الأمر يتمكن وليام من فك ألغاز الجريمة ، ويتوصل لمعرفة القاتل الحقيقي .

من أبرز رواياته: اسم الوردة (١٩٨٠) . بندول فوكو (١٩٨٨) . مقبرة براغ (٢٠١٠) . ومن أبرز أعماله الفكرية : تطوير جماليات القرون الوسطى (١٩٥٩) . العمل المفتوح (١٩٦٢) . الهيكل الغائب (١٩٦٨) . سبع سنوات من الرغبة (١٩٨٣) . حدود التفسير (١٩٩٠) . البحث عن اللغة المثالية في الثقافة الأوروبية (١٩٩٣) .

إميل دوركايم واستقلالية علم الاجتماع

وُلد الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم (١٨٥٨ _ ١٩١٧) في مدينة إبينال بفرنسا ، حيث نشأ في عائلة من الحاخامات ذات الأصول اليهودية. وكان تلميذًا بارعًا ، وما لبث أن التحق بمدرسة الأساتذة العليا (وهي من أفضل مؤسسات التعليم العالي في فرنسا) عام ١٨٧٩ ، غير أن الأجواء بالمدرسة لم تُعجبه ، فالتجأ إلى الكتب ليتجاوز الفلسفة السطحية _ في نظره _ التي كان يدين بها رفاقه . وهكذا اكتشف أوغست كونت الذي أثرت مؤلفاته عليه تأثيرًا عميقًا، فاستقى منها مشروع تكريس علم الاجتماع كعلم مستقل قائم بذاته ، يهدف إلى كشف القواعد التي تخضع لها تطورات المجتمع .

عاصر دوركايم أحداثًا سياسية كبيرة شهدها المجتمع الفرنسي آنذاك ، وكانت شديدة التأثير فيه ، وفي التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها فيما بعد ، فبعد هزيمة فرنسا (١٨٧٠) شهدت باريس ثورة عمالية كبيرة أثّرت، مع ما أنتجته من تطورات اجتماعية وسياسية وثقافية، في معتقدات الشباب وأفكارهم حول المجتمع والتماسك الاجتماعي، وقد اهتم دوركايم بهذه التغيرات حتى أثرت في شخصيته وتفكيره واتجاهاته النظرية والعلمية، وتجلى ذلك في انضمامه إلى اتحاد الشبيبة العلمانية، غير أن أزمة روحية وأخلاقية قوية ألمّت به بعد حرب عام ١٩١٤ ، وموت ابنه، فماتت معه الآمال الكبيرة التي كان يبنّيها على عالمية الأخلاق الاجتماعية .

جاءت تحليلات دوركايم للحالات الوجدانية والعاطفية عند البشر ، على الطرف المقابل لتحليلات علم النفس ، فلا تأتي هذه الحالات من طبيعة الإنسان السيكولوجية ، كما يذهب إلى ذلك المشتغلون بعلم النفس ، إنما هي نوع من الشعور الذي ينمو من خلال التفاعل الاجتماعي بحسب حجم الجماعات البشرية ، وبحسب بُعدهم أو قُرْبهم من بعضهم ، وبما أن هذه الحالات الوجدانية هي من نتائج الحياة في الجماعة، فطبيعة الجماعة هي وحدها التي تستطيع أن تُفسّرَها . حاول دوركايم توضيح طبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع، وتحليلها على أساس شكل التضامن الاجتماعي أو التماسك ، ويُميّز في هذا السياق بين التضامن الآلي والتضامن العضوي . والشكل الأول يصف المجتمعات البدائية، حيث يشترك الفرد كُليًا بالقيم والمعتقدات الدينية مع الجماعة ، إذ يمتص المجتمع الشخصية الفردانية ويستوعبها إلى أبعد الحدود، وينطبق الضمير الجمعي كُليًا على الضمير الفردي ، فيأتي تفكير الإنسان البدائي متوافقًا تمامًا مع مصلحة الجماعة، وبحسب

ما تفرضه عليه وتأمّره به. أمّا الشكل الثاني (التضامن العضوي) فهو ينتج من تقسيم العمل بين أفراد الجماعة الواحدة، أو بين الجماعات المختلفة في المجتمع الأكبر الأكثر تعقيداً، فمع تطوّر المجتمعات يتوزع الأفراد على مجموعة من الوظائف المتخصصة تجعلهم يعتمدون على بعضهم بعضاً، وبآتي تفاعلهم نتيجة حاجاتهم لبعضهم، وهي الحاجات التي تنمو باستمرار مع نمو المجتمع نفسه ، ومع تطوره .

وتأتي دراسة دوركايم لموضوع "الانتحار"، في سياق برهنته على نظريته في التضامن الاجتماعي، ففيها توضيح لأهمية التفسير الاجتماعي للظواهر الفردية ، فالانتحار كما يبدو للوهلة الأولى شأن خاص، وهو من حيث المبدأ سلوك فردي، وعمل يقوم به الفاعل نتيجة مشاعر وأحاسيس وعواطف تُسيطر عليه لحظة إقدامه على الانتحار ، ولكنه من حيث النتيجة فعل اجتماعي يخضع لمجموعة كبيرة من العوامل الاجتماعية والقوى المؤثرة في شخصية الفاعل. ويؤكد دوركايم في هذا السياق أن الميل للانتحار لا يرجع إلى الحالة النفسية للفرد، أو سمات البيئة المادية المحيطة به، وإنما يرجع في المقام الأول إلى طبيعة علاقة الفرد بالمجتمع، فالانتحار بهذا المعنى يُجسّد عدم قدرة الفرد على إقامة علاقة متوازنة وصحية اجتماعياً مع من يُحيطون به ، في الوقت الذي يؤدي انصهاره في المجتمع إلى ضعف ميل الفرد للانتحار حتى مع قسوة الظروف التي يعيشها . إن بُنية التحليل الاجتماعي عند دوركايم تقوم على مبدأين أساسيين هما : اجتماعية الإنسان ، والتضامن الاجتماعي. ومن خلالهما تتكون المعايير الأخلاقية والضوابط ونُظم التفاعل، فالإنسان اجتماعي بطبعه، ويحتاج إلى غيره في مأكله ومشربه ومسكنه، ولا قوام لحياته دون تفاعله مع غيره. وقد سبق للعلامة العربي ابن خلدون أن أشار إلى ذلك بوضوح، وبنى عليه نظريته في علم العمران ، كما سبق لابن خلدون أيضاً أن بحث في مفهوم العصبية التي تنطوي في مضمونها على درجة عالية من التضامن الاجتماعي أو التماسك الذي تحدّث عنه دوركايم .

والعصبية عند ابن خلدون تُشكّل الأساس الذي تُقام عليه الدولة والتنظيم الاجتماعي . وفي تأكيد مفهوم العصبية وأثرها في قيام الدولة وتطوراتها، ما يُشير إلى أن لابن خلدون سبق في الإشارة إلى أهمية الروابط الاجتماعية التي تجمع الأفراد، وتُشكّل الأساس الذي تُبنى عليه نشاطاتهم وأفعالهم ، وهي القضية التي تظهر في تحليلات سبنسر ، وماركس ، ودوركايم ، وحتى ماكس فيبر. من أبرز أعمال دوركايم : حول تقسيم العمل الاجتماعي (١٨٩٣) . قواعد المنهج في علم الاجتماع (١٨٩٥) . الانتحار (١٨٩٧) . الأشكال الأولية للحياة الدينية (١٩١٢) .

إميل زولا ومنهج الطبيعية

وُلد الكاتب الفرنسي إميل زولا (١٨٤٠ _ ١٩٠٢) في باريس . والده كان ابن مهندس إيطالي . وفي عام ١٨٤٧ ، تُوفّي والده تاركًا والدته تقف على معاش ضئيل . وفي عام ١٨٥٨ انتقلت العائلة إلى باريس ، حيث كوّنَ زولا صداقة مع الرسام بول سيزان، وبدأ الكتابة مستخدمًا أسلوبًا رومانسيًا . وكانت الأم الأرملة قد خططت لزولا أن يمتهن القانون ، وأن يعمل في أي وظيفة في هذا المجال ، لكنه رسب في اختبار البكالوريا .

قبل انطلاقه ككاتب ، عمل زولا كاتبًا في شركة للنقل البحري، ثم في قسم المبيعات للناس هاشيت . كما كتب مقالات عن الأدب والفن للصحف . وكصحفي يكتب في السياسة، لم يُخفِ زولا كراهيته لنابليون الثالث ، والذي نجح في ترشيح نفسه لمنصب الرئيس بموجب دستور الجمهورية الفرنسية الثانية ، إلا أنه أساء استخدام هذا المنصب وقام بالانقلاب الذي جعله الإمبراطور فيما بعد . وقد كان زولا مُتسلط الرأي كما أظهرت كتاباته .

خلال سنوات حياته الأولى ، كتب زولا العديد من المقالات والقصص القصيرة وأربع مسرحيات وثلاث روايات . وفي عام ١٨٦٥ ، نُشر رواية السيرة الذاتية الفجّة " اعترافات كلود " فاجذب انتباه الشرطة ، وسرّحته دار هاشيت للنشر من العمل . أمّا روايته " الأحداث الغامضة في مرسيليا " ، فقد ظهرت كقصة متسلسلة في عام ١٨٦٧ . قام زولا في سن الثامنة والعشرين بالتفكير في تصميم كامل لسلسلته القصصية . هذه السلسلة من القصص تُلاحق الآثار البيئية التي أثّرت في فرنسا في عصر الإمبراطورية الثانية ، وتأثيرات انتشار العنف وشرب الكحوليات والبغاء التي أصبحت أكثر انتشارًا خلال الموجة الثانية من الثورة الصناعية . هذه السلسلة القصصية تُلاحق فرعين من عائلة واحدة : المحترمين (الشرعيين) وسَيِّي السُمعة (غيرالشرعيين) على مدى خمسة أجيال . وَصَفَ زولا سلسلته القصصية بقوله : ((أريد أن أُصوّر في بداية عهدالحرية وتلمس الحقيقة عائلة لا يمكنها أن تمارس ضبط النفس في اندفاعها الطبيعي لامتلاك كل الأشياء الجيدة التي يتيحها لها التقدم، فتخرج عن مسارها بسبب زخم الحياة حَوْلها، والانقباضات القاتلة التي ترافق ولادة نظام عالمي جديد)) . وعلى الرغم من أن زولا وسيزان كانا صديقين منذ الطفولة وأثناء الشباب ، إلا أنهما انفصلا في وقت لاحق من الحياة ، عندما صَوَّرَ زولا سيزان والحياة البوهيمية التي يحياها الرسامون في روايته " اللوفر " (التحفة الأدبية الصادرة في عام ١٨٨٦) .

ابتداءً من عام ١٨٧٧ ، ومع نشر رواية " الرائع " ، أصبح زولا من الأثرياء . وقد كان يحصل على أجر أفضل مما كان يُدفع لفكتور هوغو ! . أصبح زولا مُمثلاً للأدباء البرجوازيين ، فكان يُنظّم ولائم ثقافية يلتقي فيها الكتّاب في فيلا فاخرة في ميدان بالقرب من باريس .

أصدرَ زولا رواية " الجرثومة " (١٨٨٥) ، ثمَّ رواية " لوردات الثلاث مدن " (١٨٩٤) ، ثم رواية " روما " (١٨٩٦) ، و " باريس " (١٨٩٧) . وبذلك اشتهر زولا كمؤلف ناجح . وقد نصّبت أعماله كزعيم لمنهج الطبيعية في فرنسا ، كما استوحت الأوبرا بعض أعماله . وبرزت في أعماله مفاهيم انتشرت بكثافة مثل: الوراثة. الشر الاجتماعي. المثالية الاجتماعية والاشتراكية .

في عام ١٨٩٨ ، قُدِّمَ زولا للمحاكمة الجنائية بتهمة التشهير ، وتمَّت إدانته ، وحُكِمَ عليه ، وسُحب وسام الشرف منه ، ولكن بدلاً من الذهاب إلى السجن ، قَرَّ زولا إلى إنجلترا . لم يكن هناك وقت لزولا لحزم حقائبه ، ولا لجلب بعض الملابس . وقد أقامَ في لندن إقامةً قصيرة في الفترة (أكتوبر ١٨٩٨ _ يونيو ١٨٩٩) ، وكانت إقامةً تعيسة وبائسة .

تُوفِّيَ زولا محتقناً بأول أكسيد الكربون ، الذي انبعث عندما توقفت إحدى مداخن المنزل . وقد شكَّ البعض في اغتياله علي يد أعدائه لمحاولاتهم السابقة لاغتياله ، ولكن لم يتمكن أحد من إثبات ذلك . وبعد عشرات السنين من هذا الحدث المؤلم ، اعترف ساكن من سُكان باريس ، وهو على فراش الموت ، أنه هو الذي أغلق فوهة المدخنة لأسباب سياسية .

دُفِنَ زولا في البداية في مدافن مونتمارتر في باريس ، ولكن في ٤ يونيو ١٩٠٨ ، أي بعد ست سنوات من وفاته ، نُقِلَ رُفاته إلى البانثيون (مقبرة العظماء) بباريس . حيث دُفِنَ في سرداب مع فكتور هوغو .

إميل سيوران وفلسفة اليأس

وُلد الفيلسوف الروماني إميل سيوران (١٩١١ _ ١٩٩٥) في قرية رازيناري، إحدى قرى ترانسيلفانيا الرومانية ، والتي كانت في تلك الفترة تابعة للإمبراطورية النمساوية المجرية . وقد كان والده قسًا أرثوذكسيًا بالقرية، وكانت أمُّه لا تخفي سوء ظنها بكل ما يتعلق بالدين واللاهوت . كان للتشاؤم واليأس جذور عميقة في طفولة سيوران ، حيث كان يحب المقبرة ، ويُصادق القبور ، ويلعب كرة القدم بالجمام .

اضطرَّ للرحيل عام ١٩٢١ إلى " سيبو " المدينة المجاورة، حيث المعهد الثانوي، وحيث أصبح والده رئيس الكنيسة . اضطرَّ ثانيةً للرحيل إلى بوخارست لدراسة الفلسفة ، وهناك عرف لأول مرة أول عوارض المرض الذي سيرافقه كثيرًا وهو الأرق . وقد عانى من جرَّاء ذلك كثيرًا حتى فكَّر في الانتحار . ولكنه سرعان ما حوَّل لياالي الأرق إلى وسيلة للمعرفة. وحين كان في سن الثانية والعشرين ألَّف كتابه الأول " على دُرى اليأس " الذي نُشر عام ١٩٣٤ . وبسببه ، حصل سيوران على جائزة الكُتَّاب الشباب للمؤسسة الملكية ، حيث تشارك الجائزة مع صديقه يوجين يونيسكو . بعد سيبو، انتقل إلى برلين حيث أقام فترة للدراسة ثم تفرَّغ لتدريس الفلسفة بمعهد براسلوف . نشر العديد من المقالات ، كما نشر كتابه الثاني " كتاب الخدع " باللغة الرومانية أيضًا، إلا أنه في نهاية عام ١٩٣٧، وقبل صدور كتابه " دموع وقدَّيسين "، حصل على منحة من معهد بوخارست، وارتحل على الفور إلى فرنسا . وفي عام ١٩٤٧ ، عرض مخطوطة كتابه " رسالة في التحلل " على دار غاليمار للنشر ، فقبلت الدار نشره ، إلا أنه استعاد المخطوطة ، وأعاد الاشتغال على الكتاب، ولم ينشره إلا بعد سنتين . ولَقِيَ الكتاب حفاوة نقدية إلا أن التوزيع كان محدودًا جدًّا. وظلَّت تلك حال كتبه طيلة ٣٠ سنة. ربما لأنه كان نقيض سارتر (سيّد المشهد وقتها) . ثُمَّ ما لبث الأمر أن تغيَّر عام ١٩٦٥ ، حيث صدر كتاب " رسالة في التحلل " ضمن سلسلة كتب الجيب ذات الانتشار الواسع. ظلَّ سيوران يمتنع عن الجمهور ويرفض الجوائز، ويتعبد عن وسائل الإعلام مكتفيًا بالكتابة. إلا أن هناك أمرًا أثر في كتابات سيوران وفي حياته وفي نظراته للعالم وعلاقته مع الآخرين، وتَمَّ التكلُّم عليه وإنكاره ، وهو علاقته بالفاشية وبهتلر شخصيًا . وحين كان في الثانية والعشرين برَّر مواقفه بالطيش وعدم التُّضج ، إلا أن نصوصه التي نُشرت بعد موته تشير إلى غير ذلك .

قام بتأليف خمسة عشر كتابًا ، إلى جانب المخطوطات التي عُثِر عليها بعد وفاته . كانت دراسات سيوران الأولى تدور حول أفكار كانت وشوبنهاور ، وبشكل خاص نيتشه . وكانت أطروحة تخرُّج سيوران عن هنري برغسون . وفيما بعد رَفَض سيوران مشروعَه ، وأنكره ، مُدَّعِيًا أن برغسون لم يفهم مأساة الحياة . كتب سيوران تأملات غنائية ، وكانت في الغالب تميل في طبيعتها إلى الميتافيزيقية، وتتطرق في مواضيعها المتكررة إلى الموت واليأس والعزلة والتاريخ والموسيقى والقديسين والصوفيين . كتب آخر مقالة له بالرومانية عام ١٩٤٣ ، وهو العام الذي بدأ فيه الكتابة بالفرنسية . وبعد مرور الوقت ، صار خبيرًا ومتمرسًا في الكتابة بالفرنسية . شرح سيوران في مؤلفاته مخاوفه وهَوَسه المتأصل في شخصيته وانفصاله عن العالم . واعترضَ على الوجودية ودَمَّهَا ، وظهرت وانتشرت كتبه التي أعرب فيها عن خيبة أمله الراديكالية ، وتواترت على أكثر من ثلاثة عقود . كان سيوران يعيش عُزْلَةً في غرفة صغيرة في وسط باريس، حيث حافظ على مسافة بينه وبين العالم الخارجي . ولم يتزوَّج نهائيًا ، ولكنه أحبَّ سيمون رو، وكانا في علاقة معًا منذ عام ١٩٥٠ ، وحتى وفاته . عانى سيوران من الحرمان من حقه بالعودة إلى رومانيا خلال سنوات حُكم النظام الشيوعي ، وجذب الانتباه العالمي في وقت متأخر من حياته المهنية ، وتُؤَفِّي في باريس عام ١٩٩٥ .

إميلى برونيتى ومرتفعات ويدرنغ

وُلدت الأديبة الإنجليزية إميلى برونيتى (١٨١٨ _ ١٨٤٨) في مدينة ثورنتون ، في مقاطعة يوركشاير من أبوين فقيرين .

تشتهر برونيتى بروايتها الوحيدة " مرتفعات ويدرنغ " ، التي تُعتبر من كلاسيكيات الأدب الإنجليزي . إميلى هي الأخت الثانية في الأخوات برونيتى ، حيث إنها أصغر من شارلوت ، وأكبر من آن . وقد نشرت إميلى أعمالها تحت الاسم الذكوري المستعار (إيلي بيل) .

تبقى إميلى برونيتى شخصيةً غامضة ، وتحديًا لكتاب السيرة ، لأن المعلومات عنها ضئيلة ومتفرقة ، نظرًا لطبيعتها الانفرادية وكَوْنها منعزلة نوعا ما . كما لا يبدو أنها من النوع الذي لديه أصدقاء خارج العائلة . وتبقى أختها شارلوت المصدر الرئيسي للحصول على معلومات عنها . وعلى الرغم من أنها شقيقتها الكبرى ، إلا أنها قرّرت الكتابة علنًا عنها بعد وقت قصير من وفاتها ، وهذا يعني أنها ليست شاهدًا مُحايّدًا .

في عام ١٨٥٠ ، كتبت شارلوت : ((كان تصرّف أختي طبيعيًا . الظروف هي التي عزّزت ميولها إلى العزلة ، لكنها كانت تذهب إلى الكنيسة أحيانًا ، وأحيانًا تمشي على التلال ، ونادرًا ما عبرت عتبة المنزل. وعلى الرغم من أنها كانت تحمل الخير للآخرين، إلا أنها لم تكن تختلط معهم)).

كانت إميلى تبلغ من العمر ثلاث سنوات ، عندما وافى الأجل والدتها المريضة . بينما أُرسلت الأخوات الأكبر سنًا ماريا وإليزابيث وشارلوت إلى مدرسة للبنات ، حيث عانين من سوء معاملة وجوع وحرمان ، ظهر ذلك جليًا في رواية شارلوت " جين إير " .

التحقت إميلى بالمدرسة بعد فترة قصيرة من ذلك . وبعد أن اجتاج مرض تيفوس المدرسة، أُصيبَت الأختان ماريا وإليزابيث بالمرض ذاته ، حيث أُرسلتا إلى البيت ، وتبيّنَ فعلاً أنهما مُصابتان بمرض السُّل . ونتيجة لذلك أُبعدَت إميلى عن المدرسة خوفًا من انتشار وتفشي العدوى .

تُوَفِّيت إليزابيث بعد فترة قصيرة من وفاة أختها الكبرى شارلوت . وبقيت إميلى وثلاثة من أخواتها في المنزل ، حيث تَلَقَّينَ التعليم على يد عَمَّتِهِنَّ . في أوقات الفراغ ، كانت الأخوات يستمتعنَ بخلق الروايات، واستيحائها من عالم الدُّمى والألعاب التي كُنَّ يلعبنَ بها ، والتي ظهرت في القصص التي كَتَبَتْهَا فيما بعد ، ضمن السياق السردي والفكري والاجتماعي .

نُشِرَت رواية " مرتفعات ويدرغ " لأول مرة ، عام ١٨٤٧ ، في مجلدين . واعتُبرت فيما بعد من روائع الأدب الإنجليزي الكلاسيكي . ورغم أن الرواية تلقت آراء مختلفة عند صدورها ، إلا أنها غالبًا ما كانت تُدان لوصفها حالة الشغف والحب اللاأخلاقي والانتقام من الحبيب .

وفي عام ١٨٥٠ ، نشرت أختها شارلوت الرواية كاملةً ، وباعتبارها من مؤلفات إميلي برونتي . والمفارقة الغريبة في الأمر أن إميلي اختارت أن يموت أبطال الرواية بسبب مرض السُّل ، ونفس المرض كان سبب موت جميع أفراد أسرة إميلي برونتي ، وهو الذي قضى عليهم .

تُوُفِّيَت إميلي بإصابتها بمرض السُّل كباقي أفراد العائلة . ويُرجَّح البعض أن مصدر المرض هو الظروف الصحية السيئة في المنزل ، وكذلك مياه الاستخدام المنزلي الملوثة التي تصبُّ فيها المياه القادمة من الفناء الخلفي لمقبرة الكنيسة .

لقد مرضت إميلي في أثناء مراسم دفن أخيها في سبتمبر ١٨٤٨ ، حيث أخذت صحتها بالتدهور شيئًا فشيئًا، كما رُفِضَتْ أخذُ العقاقير والوصفات الطبية قائلةً " إنها لا تريد سموم الطبيب "، حتى وافاها الأجل المحتوم في التاسع عشر من سبتمبر ١٨٤٨ ، في الساعة الثانية بعد الظهر . ودُفِنَت في كنيسة القديس رئيس الملائكة ميخائيل، حيث يرقد جثمانها هناك في مدينة هاورث في الغرب من مقاطعة يوركشاير .

إميللي ديكنسون والانقطاع عن العالم

وُلدت الشاعرة الأمريكية إميللي ديكنسون (١٨٣٠ _ ١٨٨٦) في ولاية ماساتشوستس في الولايات المتحدة ، وتُوفيت متأثرة بمرض في الكلى . نشأت في عائلة محافظة وغبية . كان والدها رجلاً صارماً ومحامياً كبيراً في البلدة، ومُمثِّل الولاية في الكونغرس .

حصَّلت تعليمها في مدارس البلدة ، ثم أمضت ما يُقارب العام في معهد للدراسات الدينية للإناث ، في بلدة ماونت هولوك المجاورة . عاشت حياة بسيطة منعزلة هادئة، وعرفت عدَّة رجال وأحبَّت بعضهم، إلا أنها لم تتزوج قط. وقد يكون غياب نقاط ارتكاز أساسية في حياتها قد أثر في صحتها الجسدية ولاحقاً النفسية، وتمثَّل بازدياد نزعتها الانطوائية ، ورهبتها من الآخرين ، وغرابة أطوارها . كان لتربية ديكنسون الدينية دور مركزي في أدبها ، وكذلك كان شكسبير وعدد من الشعراء الإنجليز مصدر إلهام لها. اطلَّعت في وقت مبكر على أعمال رالف والدو إمرسون، وقرأت ديوانه " قصائد " بتلَّهف ، وتأثرت بمفهومه عن التعالي ، ممَّا جعله بمنزلة المعلِّم والأب الروحي لها. وترعرعت نتيجة لذلك الأسس والمفاهيم الدينية المتزمتة التي تشرَّبتها منذ نعومة أظفارها، وأصبح الشك رائدها، والطبيعة والحب والقلق والموت موضوعات شعرها .

بدأت ديكنسون كتابة الشعر في سن المراهقة، إلا أن إنتاجها ذا القيمة الفعلية لم يبدأ حتى عام ١٨٥٠ ، ودام حتى أواسط الستينيات ، فكتبت كمًّا هائلاً من القصائد ، إلا أنها لم تضع عناوين إلا لعدد ضئيل منها ، فأُعطيَت أرقامًا عند نشرها . وبعد وفاتها نشرت أختها قصائدها، بعنوان " قصائد لإميللي ديكنسون " (١٨٩٠) ، و " قصائد : السلسلة الثانية " (١٨٩١) ، ونُشرت لها أيضًا "رسائل إميللي ديكنسون" (١٨٩٤) في مجلدين، ثم " قصائد: السلسلة الثالثة " (١٨٩٦) .

لم تلقَ ديكنسون التقدير الأدبي في حياتها ، لكن اعتبارها أُعيد فيما بعد . تُعدُّ مع والت ويطمان أهم الشعراء الأمريكيين في القرن التاسع عشر ، والأكثر موهبة في الأدب الأمريكي . تأثرت كالشاعر ويطمان بكتابات المؤلف الأمريكي رالف والدو إمرسون . يعكس العديد من قصائدها شعور المثقفين الأمريكيين بالاغتراب بعد الحرب الأهلية (١٨٦١ _ ١٨٦٥) .

عاشت في عزلة مع أختها وأمها ، حيث كانت تُفضِّل كتابة العالم عن بُعد ، فانسحبت منه لتأمله. وكانت تجد ذاتها في عزلتها المطبقة خولها ، وفي العقد الأخير من حياتها لم تغادر بيتها

قَط . والكثير عنها غير معروف ، كما أنها لم تتزوّج . وبعد بلوغها الثلاثين ، نادرًا ما كانت ترى أحدًا سوى المقرّبين من عائلتها . وقد قال أحد الشعراء الأمريكيين إن الغُزلة التي اختارتها إميلي لنفسها في بيت أبيها وفي عُرفتها الخاصة، لم تكن هروبًا من الحياة ، بل إن الأمر على عكس ذلك ، فقد كان اعتزالها مغامرة إلى قلب الحياة التي اختارت أن تكتشفها وتروّض مجهولها، تلك الحياة الشاسعة الخطرة ، كثيرة الآلام، ولكن الأصيلة ، بل التي تفوق كل حياة أخرى أصالةً .

شدَّ انعزال ديكنسون عن المجتمع قُرَاءها إليها. ويعتقد الباحثون أنها اختارت أن تُفكّر وتُدوّن، وهي تكتب عن مجتمعها الخاص بها، وليس عن الوسط الأدبي ذي الآفاق الفكرية المحدودة في الزمن المعاصر لها. كان هذا الوسط الأدبي يتوقع من الكاتبات أن يُكرّسن أنفسهن للأمور المنزلية والكلام العاطفي . إضافة إلى ذلك، فإن المرأة العزباء المحترفة في أمريكا لم يكن أمامها سوى عدد قليل من الفُرص في القرن التاسع عشر الميلادي . لذا ، اختارت ديكنسون أن تبقى في منزلها المريح الذي ينتمي إلى الطبقة فوق المتوسطة. وكان الناس في مدينتها ينظرون إليها على أنها غريبة الأطوار ، وفي النهاية، استأثروا من عدم حضورها .

وأثناء احتجابها في الطابق الثاني من منزل أهلها ، كانت تقوم بتحليل مظاهر الطبيعة بشكل عملي في قصائدها ، التي بدأت تجمعها في كتب صغيرة تُدعى " الكراريس " .

وفي سن الثلاثين ، ابتدأت ديكنسون تتأمل الحياة بعمق بدلاً من أن تبحث عن الآمال العادية في الحياة . وعندما اشتدّت الحرب الأهلية، أنتجت أكثر قصائدها وأفضلها. تابعت الشاعرة الكتابة في عام ١٨٧٠ ، لكن بطريقة أكثر بُطْناً . كتبت ديكنسون ما يزيد على ١٧٠٠ قصيدة، يتفق الدارسون على أنها لم تشأ نشر أيّ منها . غير أن عشرًا من أفضل قصائدها نُشرت أثناء حياتها دون موافقة منها. وفي أفضل قصائدها اهتمام بالتجربة الحية بوصفها لحظات مُنفلة. كما أنها تنظر إلى الموت بوصفه معبرًا عن الخلود . صنّفها الناقد الأدبي هارولد بلوم (جامعة ييل) ضمن أهم ٢٦ كاتبة وكاتبة غربيين عبر التاريخ . تعود أهمية ديكنسون إلى كونها أولى الشاعرات اللواتي تَمَتَّعن بفكر متفتح متمرد على المجتمع الذكوري، غير آبهة بالتقاليد المتوارثة ، ورافضة للوضع الراهن . وكانت في شعرها سابقة لعصرها بأسلوبها البسيط ، ولغتها المكثفة المُقتَصبة ، وصورها المؤثرة ، وخصوصية موضوعاتها . أمّا من حيث الشكل ، فقد لجأت إلى القافية غير المنتظمة ، والسَّجع ، والطِّباق ، والجناس ، والتورية ، وهو توجُّه استمر فيه الشعراء في عشرينيات القرن التالي . وفي كل هذا تكمن عبقريتها وريادتها .

آنا أخماتوفا ومُناهضة السلطات الشيوعية

وُلدت آنا أخماتوفا (١٨٩٨ _ ١٩٦٦) في أوديسا في روسيا القيصرية لعائلة يهودية ثرية .
وتُوفيت في ضواحي العاصمة موسكو . اسمها الحقيقي آنا أندرييفنا غورنكو .
تميّزت مُنذ صغرها بطبعها الحاد، وفي نفس الوقت اتّسمت بالذكاء والفطنة ، فتعلّمت القراءة
وهي في سن الخامسة من أعمال الكاتب الروسي الشهير تولستوي ، وأجادت اللغة الفرنسية وهي
تسترق السمع لدروس الفرنسية التي كان يتلقاها أشقاؤها .
التحقت بالمدرسة الأدبية عام ١٩٠٠ ، وأمضت فيها خمسة أعوام ، ثم انضمت إلى مدرسة
خاصة في كييف ، وتلقّت دورات في الأدب والتاريخ عام ١٩٠٨ . تجوّلت _ على غرار أغلبية
أبناء الأثرياء والنبلاء حينذاك _ في أوروبا، فزارت باريس وروما وتعرّفت على عدد من رموز الثقافة
والأدب هناك .
صدرت أول مجموعة شعرية لها في عام ١٩١٢ ، تحت عنوان " أمسية " . ثم أتبعها
بمجموعة ثانية في عام ١٩١٤ بعنوان " المسبحة " ، ومجموعة ثالثة في عام ١٩١٧ بعنوان
" القطيع الأبيض " ، ومجموعة رابعة في عام ١٩٢١ بعنوان " أعشاب على جانب الطريق " .
وقد عكست _ في كل هذه المجموعات _ همّها الخاص ، وخلطته بتناول التطورات
السياسية الجارية في بلادها ، فكان هذا كافيًا لدخولها دائرة المحظور، إذ أمرت السلطات بعدم
نشر أشعارها وأعمالها الأدبية خلال الفترة (١٩٢٣ _ ١٩٣٤) .
ساهمت فترة المنع هذه في انضمامها إلى اتحاد الكتّاب السوفييت عام ١٩٣٨ ، لكنها
عادت فأصدرت مجموعة شعرية حزينة تارة ومتمردة تارة أخرى عام ١٩٣٩ ، تحت عنوان " مرثاة " ،
وخصّصتها للحديث عن " العسف السياسي " في بلادها، وتجربتها الخاصة مع إعدام زوجها الأول
نقولا ي غوميلوف في عام ١٩١٢ ، واعتقال ولدها الوحيد والزج به في السجن مدة طويلة .
لَمْ تُؤدّ هذه المجموعة إلى أي رد فعل من السُلطات السياسية التي كانت تُعدّ العُدّة للانحراط
في الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا النازية ، والتي دهمت الشاعرة في مدينة لينينغراد التي أحكم
النازيون حولها حصارًا ضارياً، وأصرّت السُلطات السوفييتية على مطالبتها الشاعرة أخماتوفا بمغادرة
المدينة إلى طشقند في آسيا الوسطى، وبعد انتهاء الحرب كانت من أوائل العائدين إلى مدينتها
التي طالما تغنّت بها .

لكن السُّلطات السوفييتية لم تغفر لها مجموعتها الشعرية "مرثاة" فأوعزت للنقاد بشن هجمة ناقدة لإنتاجها الأدبي على صفحات أهم المجلات الأدبية في ذلك الحين، وأتبع ذلك بقرار يقضي بفصلها من اتحاد الكتاب السوفييت عام ١٩٤٦ .

أصدرت مجموعة شعرية عام ١٩٥٠ تحت عنوان " المجد للسلام " ، في خطوة تصالحية مع السلطات السياسية، وللتوسط لمصلحة ولدها الذي عاد مُجَدِّدًا إلى المعتقل .

ساهمت هذه المجموعة الشعرية في الإذن بعودتها إلى اتحاد الكُتَّاب السوفييت . وفي عام ١٩٥٦ أفرجت السُّلطات عن ولدها ، لكنه تنكر لمعاناة والدته ، ممَّا زاد آلامها ، وعمَّق شعورها بالوحدة والانكسار ، ولهذا كانت مجموعة "أشعاري" التي صدرت في ذلك العام هي الأكثر سوداوية في عطائها الأدبي .

مُنحت أخماتوفا جائزة الشُّعر والأدب في إيطاليا عام ١٩٦٤ . لكن جوائزها الحقيقية جاءت مع بداية عهد البيروسترويكا (الانفتاح) في الاتحاد السوفيتي خلال ثمانينيات القرن العشرين، حين سُمح بطباعة إنتاجها الأدبي والفكري ، وأعمالها في مجال نقد الأدب ، وصدرت جميع أعمالها الشعرية، بل وأكثر من ذلك تحوَّلت إلى بطلاة في عشرات الأفلام السينمائية والأعمال المسرحية، وأبدع الرسامون في كتابة " بورتريه أخماتوفا " .

تُعتَبَر أخماتوفا من أبرز شاعرات روسيا في عهد الاتحاد السوفيتي ، ومن أشهر المؤثرين في الشعر الروسي ، وقد تَمَّ ترجمة أعمالها إلى العديد من اللغات، وتم اعتبارها من أشهر شعراء الروس في القرن العشرين .

أناتول فرانس والأحزاب

وُلد الأديب الفرنسي أناتول فرانس (١٨٤٤ _ ١٩٢٤) في باريس ، لعائلة تعمل في الفلاحة.

ومع هذا فقد كان والده مثقفاً وحريصاً على اقتناء الكتب . واستفاد فرانس من مكتبة والده ، فأقبل عليها بكل شغف ، وقرأ عشرات الكتب عن الثورة الفرنسية والتراث الإغريقي واللاتيني . وتأثر بالفلسفة القائمة على الشكوك والاحتمالات والأسئلة . وتأثر بشكل خاص بالكاتب الشهير فولتير ، وأسلوبه الأدبي القائم على السخرية اللاذعة والانسائية والحيوية .

كانت طفولته خليطاً من السعادة والأحزان . وأحزان طفولته مرجعها إلى وضعه المالي المتدني مقارنةً مع زملائه الأغنياء في المدرسة . لذلك كان يشعر بعقدة النقص ، ويعتبر نفسه أقل شأنًا من باقي التلاميذ بسبب طبقته الاجتماعية . كما أن قصص الحب الفاشلة التي عرفها في مطلع شبابه ، تركت جروحاً عميقة في نفسه ، وأحدثت خللاً في طبيعة شخصيته ، وغيّرت كثيراً من أفكاره .

وعلى الرغم من هذه المعاناة ، إلا أن فرانس كان يُبرز أحداث طفولته في كتبه باعتبارها رمزاً للسعادة ، ومثالاً للحب والحنين والذكريات الجميلة . وكأنه يُعيد اختراع طفولته من جديد ، ويكتب تاريخاً جديداً لحياته . لقد أراد إعادة صناعة حياته بعيداً عن الواقع ، وكتابة تاريخه الشخصي كما تَمَنّاه في ذهنه لا كما عاشه . وبالتالي أسقط تصوراتهِ الذهنية على الواقع ، فصار الخيال هو الواقع المُعاش . وهذا المبدأ حقيقة ثابتة في حياته الشخصية ، لا يمكن تجاهلها أو معارضتها ، خصوصاً إذا علمنا أن الاسم الحقيقي لهذا الكاتب هو " أناتول جاك تيبو " . لقد اختار لنفسه اسماً جديداً ، وطفولةً جديدةً ، وتاريخاً جديداً . وهذا يشير إلى رفض الواقع والتمرد عليه . رسم فرانس مسار حياته مُبَكِّراً ، وقرّر أن يُصبح كاتباً ، فبدأ في مطلع شبابه يُخالط الأوساط الأدبية ، وتعرّف على الشاعر لوكونت دي ليل الذي ضمّه إلى حلقة شعراء البارناس . والبرناسية مذهب أدبي فلسفي لا ديني قام على معارضة الرومانسية التي تقوم على مذهب الذاتية في الشعر ، وعرض عواطف الفرد الخاصة على الناس شعراً ، واتخاذهِ وسيلةً للتعبير عن الذات ، في حين أن البرناسية تعتبر الفن غاية في ذاته ، لا وسيلة للتعبير عن الذات ، وترفض التقيد سلفاً بأية عقيدة أو فكر أو أخلاق سابقة ، وهي تعتبر شعار " الفن للفن " هو أساس وجودها . واختيار فرانس للبرناسية يشير بوضوح إلى حالة التمرد على السائد والمألوف ، والسباحة ضد التيار .

نشر فرانس في عام ١٨٦٨ كتابًا عن الشاعر دي فينيي، ثم اشترك مع مجموعة شعراء البارناس في تأليف بعض الأشعار. وهذا الأمر شجّعه على مواصلة الكتابة. فصدر له بعد ذلك ديوان "القصائد المذهّبة" (١٨٧٣)، وقد أهداه إلى أستاذه وأبيه الروحي (الشاعر دي ليل). كانت أول رواية ناجحة لفرانس "جريمة سلفستر بونارد" (١٨٨١)، وقد استقبلها النقاد بالتفاؤل والتقدير، ومدحوا كاتبها ورأوا فيه موهبة أدبية حقيقية. وهذا المديح لفت الأنظار إليه بشدة، وجعل اسمه راسخًا في الحياة الأدبية الفرنسية، فبدأ في عام (١٨٨٦) كتابة عمود أدبي لجريدة "لوتيمب".

حقّق فرانس شهرةً واسعة، وذاع صيته في كل مكان، بسبب نزعتة الإنسانية، وأسلوبه الأدبي الرّشيق، وسُخريته اللاذعة المغلفة بالحزن (الكوميديا السوداء)، ودقة ملاحظاته، ورفضه للعنصرية والتطرف، ونظرته الناقدة للمجتمع، وتصويره البشر على أنهم مُخادِعون منافقون شهوانيون.

انتُخبَ عُضْوًا في الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٩٦، وبدأ يتعد عن الكتابة الروائية، ليتفرّغ للسياسة والنقد الاجتماعي. وفي هذه الفترة، صار يميل إلى الاشتراكية والشيوعية دون أن ينتمي إلى أي حزب، فقد كان رافضًا للأحزاب وأفكارها الجامدة، وتقسيماتها الهرمية التقليدية التي ترفض الآراء المخالفة وتعتبرها انشقاقًا وتمردًا. وكان يُدافع على الدوام عن حرية الفكر، وضرورة فصل الدّيني عن الدّنيوي، والاهتمام بالعلم باعتباره الضمانة الأكيدة لتقدم البشرية.

حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢١ لمجموع أعماله. وتبرّع بالقيمة المالية للجائزة لمنكوبي المجاعة في الاتحاد السوفييتي.

من أبرز أعماله الأدبية: جريمة سلفستر بونارد (١٨٨١). كتاب صديقي (١٨٨٥). تاييس (١٨٩٠). الزنبقة الحمراء (١٨٩٤). جزيرة البطريق (١٩٠٨). سيرة جان دارك (١٩٠٨). الآلهة عطشى (١٩١٢). ثورة الملائكة (١٩١٤).

آن برونتي وموت الحبيب

وُلدت الأديبة الإنجليزية آن برونتي (١٨٢٠ – ١٨٤٩) في ثورنتون ، غرب يوركشاير . وكانت هي الصغرى من الثلاث شقيقات في عائلة برونتي . كان والدها كاهنًا أيرلنديًا فقيرًا . تُوفيت والدتها وهي طفلة لم تتجاوز العامين . قضت جزءًا كبيرًا من حياتها في قرية أن هاووث (غرب يوركشاير) . غادرت برونتي منزلها لأول مرة في سن الخامسة عشرة إلى مدرسة رو غيث، وحصلت على عدد قليل من الأصدقاء في المدرسة . وواظبت على دروسها جيدًا ، وتمنّت الحصول على التعليم ، الذي سيساعد المرأة في المستقبل على كسب لقمة العيش . قضت سنتين في التعليم ، ولم تغد إلى منزلها إلا في يوم عيد الميلاد ، وفي العطلة الصيفية . وفي ديسمبر ١٨٣٦ منحتها المدرسة وسام حُسن السيرة والسلوك . ولأنها ابنة كاهن فقير ، اضطرت برونتي للبحث عن لقمة العيش . ولم يكن لوالدها عمل خاص، وبعد وفاته انتقل بيته إلى الكنيسة . وفي سن التاسعة عشرة تخرّجت من المدرسة الثانوية ، وبدأت في البحث عن عمل . وكانت وظيفة التدريس أو وظيفة المُربيّة من الوظائف القليلة المتاحة للمُتعلّمين الفقراء . وقد عملت برونتي مُربيّة في إحدى الأسر الغنية لبعض الوقت ، ثمّ توجّهت للمجال الأدبي . التقت برونتي عام ١٨٣٩ بشاب كان يعمل في الرّعية ، اسمه وليام ويتمان . وكان عُمره حينها خمسًا وعشرين سنة ، وحصل على الليسانس في اللاهوت من جامعة درم . تلقّى ترحيبًا حارًا من الرّعية . وفي هذا الوقت كتبت برونتي قصيدة، والتي يُفترض فيها أنها في حالة حب معه ، إلا أن الباحثين قد اختلفوا في هذا الشأن. ومن الممكن أن تكون مشاعر برونتي لـ ويتمان ليست متبادلة ، وأنه هو لم يمنحها مزيدًا من الاهتمام. ومن غير المعروف إذا كانت برونتي تعتقد أن الشاب مهتم بها أم لا . وعلى أيّة حال، فإن قصائدها تصف عواطف غير محسوسة ، وإنما قوية ومخفية عن الجميع ، ولا تتضمن أي رد . ومن الممكن أن يكون تعلقها بـ ويتمان كان في البداية ضعيفًا ، ثمّ نما في نهاية المطاف إلى شعور أعمق . وقد اجتمعت برونتي مع وليام في وقت عطلته في منزله ، في صيف عام ١٨٤٢ ، حين كانت الأخوات في هارووث . وفي نفس السنة ، تُوفي وليام بمرض الكوليرا . وأعربت برونتي عن حُزنها العميق في إحدى قصائدها ، ووَصفت فيها وليام بأنه حبيبها .

آن برونتي هي الكاتبة الأقل حظًا بين أختيها الأكبر سنًا والأكثر شهرة ، شارلوت وإميلي برونتي . وقد عاشت آن في ظل أختيها ، فبهت اسمها أمام طغيان صيتيها الشخصي والأدبي . ولذلك فإن روايتي آن برونتي " أغنيس غراي " ، و " نزيل قاعة ويلدفن " ، لم تُرَقَّ قَطُّ إلى مستوى رواية " جين إير " لأختها شارلوت ، أو رواية " مرتفعات ويلدونغ " لأختها إميلي ، وكذلك الأمر بالنسبة للقصاصد التي كتبها قياسًا على شهرة قصائد أختيها ، على الرغم من الأصالة التي لمسها العديد من النقاد في أعمال آن برونتي .

في عام ١٨٤٦ ، نشرت مجموعة من القصائد الشعرية التي اشتركت في كتابتها مع شارلوت وإميلي . وفي العام الذي يليه نشرت رواية " أغنيس غراي " ، والتي استندت فيها إلى تجربتها المميّزة في العمل كمرّية . حقّقت الرواية الثانية " نزيل قاعة ويلدفن " (١٨٤٨) نجاحًا ساحقًا للكاتبة . وقد انتقدت وضع المرأة في الأسرة ، ممّا شكّل تحدّيًا للعصر الفكتوري الإنجليزي . وتعدّ الرواية واحدة من أولى الروايات النسائية التي تدعو لنصرة المرأة . وبعد أقل من عام من نشر الرواية ، تُوفّيَت آن برونتي عن عُمر يُناهز التاسعة والعشرين إثر مرضها بالسل .

تتميّز روايات آن برونتي بالواقعية والسُّخرية، كما أنها تختلف اختلافًا جذريًا عن الروايات الرومانسية لأختيها (شارلوت وإميلي) التي أصبحت من كلاسيكيات الأدب الإنجليزي .

كان التقييم الأدبي والنقدي لآن برونتي يستند دائمًا إلى روايتها الثانية والأخيرة " نزيل قاعة ويلدفن " التي نُشرت تحت اسم مستعار هو بيل أكتون ، وقد وُصِفَت آن بأنها كانت تقيّة وورعة، وكانت قصائدها تتميّز بالنزعة الطهرانية، وتُخَصِّع فيها أفكارها وأحلامها لامتحان أخلاقي وديني . وعلى هذا الأساس ظهر نوع من الإجماع النقدي على اعتبار رواية " نزيل قاعة ويلدفن " تعكس شخصية صاحبها بصورة دقيقة ، فهي تتحدث عن الأعراف الاجتماعية في العصر الفكتوري بطابع رومانسي يقوم أساسًا على العلاقة التي تجمع بين ماركهام جيلبرت، وهو مزارع صاحب أعمال مزدهرة وأرملة غامضة هي السيدة هيلين غراهام . وفي هذه الرواية ، تُحاكِم آن برونتي المزارع العاشق من خلال مبادئها الدينية .

لقد لاحظتُ آن برونتي أن كتابة الحكايات التي كانت تجري حولها ، أو تسمعها ممّن يُحيطون بها ستجعل منها بائسةً ، لذلك فإنها اختارت كتابة قصص أخرى عن الحب الورع، قصص تجعلها تتجاوز التعاسة المحيطة بها ، وتُقرّبها أكثر من الحياة كما تحب أن تراها .

أندريه بريتون وتأسيس السريالية

وُلِدَ الفيلسوف والشاعر الفرنسي أندريه بريتون (١٨٩٦ _ ١٩٦٦) في مدينة تينشيري بإقليم أورن الفرنسي، وتُوفِّيَ في باريس . يُعتَبَر مؤسس السريالية ومن أكبر رموزها على الإطلاق . كانت عائلته متواضعة من الطبقة العاملة في تينشيري . وبعد إنهائه الدراسة الثانوية التحق بكلية الطب، ودرس الطب النفسي ، حيث ازداد اهتمامه كثيرًا بالأمراض العقلية . وقد أوقف تعليمه عندما اضطرَّ للالتحاق بالخدمة الإلزامية أثناء الحرب العالمية الأولى ، وأُوكل إليه حينها العمل في قسم العيادة النفسية في مدينة نانت الفرنسية ، وهناك أُتيحت له فرصة الاطلاع على مؤلفات فرويد في علم النفس ، والتعمق في دراستها .

يُعتَبَر بريتون من أبرز شعراء فرنسا وفلاسفتها في القرن العشرين ، فهو أحد الشخصيات التي أسست المدرسة الأدبية السريالية ، إلى جانب عدد من الرؤاد الأدبيين الآخرين في هذه المدرسة . أكثر ما يُعرَف به بريتون هو بيانه السريالي ، الذي دعا فيه إلى إطلاق حرية التعبير ، وشجّع فيه أيضًا على إطلاق مكنونات اللاوعي عند الإنسان . والسريالية أو الفوق واقعية، هي حركة ثقافية في الفن الحديث والأدب ، تهدف إلى التعبير عن العقل الباطن بصورة يعوزها النظام والمنطق. ووفق مُنظرها بريتون ، فهي آلية أو تلقائية نفسية خالصة، من خلالها يمكن التعبير عن واقع اشتغال الفكر، إمّا شفويًا أو كتابيًا أو بأي طريقة أخرى. وهي " فوق جميع الحركات الثورية". إذاً ، فالأمر يتعلق حقيقةً بقواعد إملائية للفكر ، مُركّبة ، بعيدة كُل البعد عن أي تحكم خارجي أو مراقبة تُمارَس من طرف العقل ، وخارجة عن نطاق أي انشغال جمالي أو أخلاقي .

وقد درس بريتون عدّة نظريات في التحليل النفسي ، بالإضافة إلى مبدأ اللاوعي الذي ساعده في كتاباته . وترك مجلداتٍ ضخمة ضمّت أشعاره ومقالاته .

توطّدت العلاقة بين بريتون ، وبين لويس أراغون وفيليب سوبول ، وانضمُّوا بعد الحرب العالمية الأولى للحركة الدادائية ، التي كان قد أنشأها تريستان تزارا . وأنشأ هؤلاء جمعيةً خاصة (١٩١٩ _ ١٩٢١) لتكون منبرًا لآرائهم وقصائدهم الجريئة. وما لبث أن انفصل بريتون عنها .

والدادائية هي حركة أدبية وفنية نشأت عام ١٩١٦ ، أثناء الحرب العالمية الأولى ، قوامها السخط والاحتجاج على العصر ، ورفض كُل ما هو شائع ومُتعارَف عليه من النُظم والقوانين والمذاهب والفلسفات والعلوم والمؤسسات. وهي حركة عَدَمِيَّة غالَتْ في الشعور الفردي ومهاجمة

المعتقدات، وطالبت بالعودة إلى البدائية والفوضى الفنية الاجتماعية، وقد تجلّت في حَقْلِي الأدب والفنون التشكيلية، لكنها لم تستمر طويلاً، إذ ما لبثت أن تلاشت في عام ١٩٢٣ .

أصبح بريتون رئيس تحرير مجلة " الثورة السريالية " في عام ١٩٢٤ . وكان لديه ميل كبير لدمج أفكار التحول الشخصي الموجودة في أعمال الشاعر رامبو مع سياسات الفيلسوف ماركس.

انضمَّ بريتون إلى الحزب الشيوعي الفرنسي عام ١٩١٧ ، وطُرد منه عام ١٩٣٣ . وفي تلك الأثناء كان يعتاش من بيع لوحاته الفنية .

في بداية الحرب العالمية الثانية ، كان بريتون في الفريق الطبي التابع للجيش الفرنسي . وقد منعت حكومة فيشي كتاباته باعتبارها " إنكار للثورة الوطنية " ، واستطاع الهرب إلى الولايات المتحدة .

في عام ١٩٤٢ ، نظم معرضاً سريالياً رائداً في جامعة ييل ، ثم عاد إلى باريس ، حيث عارضَ السياسة التوسعية الاستعمارية لفرنسا علانيةً .

سافرَ عام ١٩٤٤ إلى شبه جزيرة كيبك، وكتب كتاباً عن مخاوفه من الحرب العالمية الثانية.

كتب بريتون عدداً كبيراً من الأعمال خلال الفترة (١٩٥٣ _ ١٩٥٨) من أهمها : بيانات السريالية ، وسحر الفن . كما عمل على تنظيم المعارض في باريس خلال الفترة (١٩٥٩ _ ١٩٦٥) . وألّف آخر أعماله " السريالية والرسم " خلال هذه الآونة .

تُوفّي بريتون في الثامن والعشرين من أيلول/سبتمبر عام ١٩٦٦ ، عن عُمر ناهز السبعين عاماً، ودُفن في مقبرة باتينول .

أندريه جيد والاستغلال الجنسي

وُلِدَ الكاتب الفرنسي أندريه جيد (١٨٦٩ - ١٩٥١) في باريس لعائلة بروتستانتية غنية . وقد تُوفِّي والده وهو في سن الحادية عشرة ، وهذا الأمر أثَّرَ عليه سلبيًا طيلة فترة حياته ، كما كان سببًا في تَلَقِّيهِ تربية قاسية ومتشددة . إذ كانت والدته سيدة متسلطة ، استغلت غياب الأب ، لتحكم بمسار ابنها ومصيره دون شفقة ولا رحمة .

أصيب جيد بأمراض مختلفة في طفولته ، جعلت صحته مضطربة ، فكانَ يشعر منذ صغره أنه مختلف عن الآخرين . فقد كان يرى الأطفال يلعبون ويضحكون بكل صحة وحيوية ، أمَّا هو فكان يصارع الأمراض التي احتلت جسده الضعيف .

لم تكن دراسته منتظمة في المدرسة ، فعاشَ طفولةً مُشوَّشة . وفي واقع الأمر ، لم يكن بحاجة إلى شهادة دراسية ولا مهنة ، لأن والده ترك له ثروةً كبيرة تَسمح له بالعيش الرغيد ، لذلك لم يبحث عن عمل ، ولم يمارس أية مهنة ، وتفرَّغَ بشكل كامل للقراءة والمطالعة ، دون التفكير بتحصيل قُوت يَوْمه . وفي سن الرابعة عشرة ، أحبَّ ابنة عمِّه . ومن قصة حُبِّه ، استوحى عمله الأدبي الأول " دفاتر أندريه فالتير " (١٨٩١) ، وبطل هذه القصة يحب ابنة عمِّه ، ويتكلم عن شعوره بالحزن والاكتئاب ، وطموحاته المستقبلية . وعندما يتخلى عنها يُصاب بالجنون ، وتنتهي حياته بالموت . وهذه القصة بمثابة سيرة ذاتية ، يتحدث فيها جيد عن نَفْسِه بلسان بطل القصة . لكنَّ الاختلاف بين الواقع والخيال هو أن " جيد " قد تزوج ابنة عمِّه عام ١٨٩٥ ، ولم يتركها ، ولم يُصَبَّ بالجنون ، كما حصل مع بطل قصته . وقد سمح له كتابه الأول بدخول الوسط الأدبي من أوسع أبوابه ، والتعامل مع أبرز المثقفين والأدباء .

في عام ١٨٩٣ ، اكتشف جيد هويته المثلية عن طريق استغلال المراهقين جنسيًا ، وإقامة علاقات شاذة معهم . وأثناء رحلة إلى الجزائر تعرَّفَ على الكاتب أوسكار وايلد ، واقتنع نهائيًا بضرورة أن يعيش على هواه ، وحسب طبيعته ، لذلك رسم حياته باعتباره مثليًا . ومن الواضح أنَّه كان يُفرِّق بين اللذة والحب . فقد أحبَّ ابنة عمِّه وتزوَّجها ، ومَعَ هذا سعى إلى الحصول على اللذة الجسدية عن طريق العلاقات الجنسية الشاذة .

يُعتَبَر جيد من أبرز الكُتَّاب الفرنسيين في النصف الأول من القرن العشرين ، ويتميز أسلوبه بالبساطة والوضوح والسخرية أحيانًا ، ويتنوّع إنتاجه الأدبي على الشعر والقصة واليوميات وأدب

الرحلات ، حيث أصدر عدّة كتب وصف فيها رحلاته إلى بلدان شمال أفريقيا . وتدور كتاباته حول مواضيع الحب والاعتراب الروحي والحياة والموت والشذوذ الجنسي والإشادة به . وعموماً ، يُعتبر جيد قاصّاً وليس روائياً . وقد ظهرت في كتاباته تعلقه الواضح بأفكار الفيلسوف الألماني نيتشه ، وتأثره بالروائي الروسي دوستوفسكي ، لذلك كانت الشخصيات الخيالية التي رسمها جيد مرتبطة بما سمّاه " الأفعال العبثية " ، وهذه الأفعال تشمل القتل والقوانين المهملة والأفكار التقليدية عن الأخلاق .

والمشكلة الحقيقية في حياة جيد وكتاباته هي التناقض الصارخ . فهو يميل إلى المثالية والطهارة بحكم تربيته البروتستانتية المتشددة ، ومن جهة أخرى ، يميل إلى الشهوات الجنسية الشاذة ، والبحث عن الملذات الجسدية الممنوعة والمرفوضة دينياً واجتماعياً .

إن كتاباته تتأرجح بين تناقضات تربيته الصارمة ومشاعره الحسّية . والتناقض المسيطر على حياته انتقل إلى كتاباته . فمثلاً ، قصته " اللاأخلاقي " تُركّز على متعة الجسد ، في حين أن قصته " المضيق هو البوابة " ، تُركّز على أهمية إخماد الرغبة الجسدية . ويظهر التناقض أيضاً في حياته الشخصية ، حيث اعتنق الشيوعية لفترة وهو البرجوازي الشري ، ثم تخلى عنها إلى الأبد ، بعد أن اقتنع بوحشية النظام الستاليني .

والجدير بالذكر أن " جيد " هو الذي عرّف القُرّاء الفرنسيين بأدب طه حسين ، خصوصاً حين كتب مقدمة الترجمة الفرنسية لكتاب الأيام لطه حسين ، وهذه المقدمة يحد ذاتها تُعتبر قطعة فنية . لم يشتهر جيد ولم يكتب أعماله المهمة إلا بعد سن الأربعين . وفي عام ١٩٠٩ ، بدأت مرحلة جديدة في حياته الأدبية بكتابة رواية " الباب الضيق " ، ثم استطاع إصدار مجلة أدبية بعنوان " المجلة الأدبية الفرنسية " ، التي أصبحت أشهر مجلة أدبية في فرنسا خلال القرن العشرين .

وفي عام ١٩٤٧ ، وبعد حصوله على الدكتوراة الفخرية من جامعة أكسفورد ، فاز بجائزة نوبل للآداب .

من أبرز أعماله الأدبية : ثمار الأرض (١٨٩٧) . عودة الابن الضال (١٩٠٧) . إيزابيل (١٩١١) . سمفونية الحقول (١٩١٩) . أوراق الخريف (١٩٤٩) .

أندريه غلوكسمان ودعم المقاومين الإسلاميين

وُلد الفيلسوف الفرنسي أندريه غلوكسمان (١٩٣٧ _ ٢٠١٥) في مدينة بولون بيانكور في فرنسا ، وتُوفِّي في باريس .

ينتمي إلى عائلة يهودية من أصول بولونية. وفي صباه عاين شراسة النازية خلال احتلال الألمان لباريس، مُظهرًا تعاطفًا مع حركة المقاومة. وفيما بعد سيكتب عن المعسكرات التي اقترِف فيها النازيون أفظع جرائمهم وأبشعها في التاريخ البشري .

بعد إحرازه على شهادة التبريز في الفلسفة عام ١٩٦١ ، انشغل غلوكسمان بتأليف كتابه الأول " خطاب الحرب " .

وعندما اندلعت الانتفاضة الطلابية في ربيع عام ١٩٦٨ ، انضم إليها ليصبح أحد مُنظريها وقادتها الكبار . وبعد انطفائها، اختار أن يكون ضمن مجموعة " أكسيون " (الفعل) التي كانت تدعو إلى ضرورة الاعتماد على " العنف الثوري " لمواجهة الرأسمالية والإمبريالية والقوى الرجعية .

وكانت المجموعة تشيد في أدبياتها وفي أطروحاتها الأيديولوجية بالزعيم الصيني ماو تسي تونغ وبنظريته التي بَلّورها ضمن ما سَمَّاه بـ " الثورة المستمرة " ، والتي طَبَّقها في " الثورة الثقافية " التي ذهب ضحيتها الملايين من الصينيين، وبسببها حوكم العديد من كبار قادة الحزب الشيوعي الصيني، وأُعيد البعض منهم في الساحات العامة ، وأُقصي من الجامعات ومن المؤسسات المرموقة مثقفون وأكاديميون وعلماء بتهمة " مناصرة البرجوازية والرجعية " .

عاد غلوكسمان إلى رُشدّه ، وألّف كتابين " الطباخة " و " آكل البشر " للبحث في جذور الشر لدى الأنظمة الشمولية في القرن العشرين، والتنديد بالجرائم الشنيعة التي ارتكبتها في حق الشعوب ، وفي حق المجموعات والأفراد .

وفي أواسط السبعينيات من القرن الماضي ، انسحب غلوكسمان من مجموعة " أكسيون " ، ليصبح من المقرّبين من سارتر ، ومن مُريديه المفضّلين . وكان يُمضي معه ساعات طويلة في النقاش والجدل حول القضايا الفلسفية والسياسية وغيرها . وفي المجلة التي كان يرأس تحريرها، أصدر العديد من الدراسات التي تعكس تحولاته الفكرية ، لكن من دون أن يتخلّى عن كُرهه للرجعية والبرجوازية . وهذا ما أبرزه في دراسة خصّصها لنظام الرئيس جورج بومبيدو ، واصفًا إياه بـ " الفاشي " .

وعند اطلاعه على مؤلفات الكاتب الروسي سولجنيتسين ، التي رسم فيها صورة مرعبة عن الفترة الستالينية، وعن معسكراتها التي كانت تستقبل المعارضين للشيوعية، وفيها كانوا يتعرّضون لأشد أنواع التعذيب ، ويُعانون من أشكال الإهانة والاحتقار ، أظهرَ معارضةً مُطلقة للشيوعية ، وصار ينتقدها بشدة ، وفضح أساليبها الوحشية ، وهذا ما بيّنه في كتابه "البربرية بوجه إنساني".

في نهاية السبعينيات ، انضمَّ غلوكسمان إلى حلقة "الفلاسفة الجدد" ليصبح أحد أقطابها ، بعد الفراغ الكبير الذي خلفه الفلاسفة الكبار الذين كانوا يتمتعون بشهرة واسعة ، وسيطروا على المشهد الفلسفي والثقافي بعد الحرب العالمية الثانية .

في مطلع التسعينيات، دخل غلوكسمان إلى الشيشان سرّاً ليكتب سلسلة من التحقيقات ، صوّر فيها معاناة الشيشانيين في ظل الحرب القائمة في بلادهم ضد الجيش الروسي، مُظهرًا تعاطفًا مع المقاومين الإسلاميين .

وفي كتابه الذي أصدره من وحي أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، والذي حمل عنوان "دوستوفسكي في مانهاتن" ، بدا غلوكسمان وكأنه يُبرّر العمليات الإرهابية، لذلك فجّر كتابه معركة حامية ضده ، فبات مُعرّضًا لأقصى الشتائم .

في كتابه الأخير "الهجوم المضاد لفولتير" ، يستنجد غلوكسمان بفولتير للخوض في القضايا السياسية والفكرية والاجتماعية التي تعيشها فرنسا والبلدان الأوروبية في الوقت الراهن، وللدفاع عن قيم الحريات المهدّدة ، وأيضًا لمواجهة التّزوّت الديني الذي يشهد تصاعدًا مُخيفًا .

وقال غلوكسمان : ((في منتصف القرن العشرين ، كان المثقفون يَرَوْنَ أن فولتير ، خلافًا لهيغل وماركس وهايدغر، لم يكن فيلسوفًا بالمعنى الحقيقي للكلمة، بل كان مُجرّد مفكر مندفع وتلقائي . لذلك أبوّا تدريسه في قسم الفلسفة بالجامعات ، بل فقط في الأقسام النهائية للتعليم الثانوي. وأنا أناهض مثل هذا الإقصاء، ومثل هذا التهميش، وأعتقد أن فولتير فيلسوف أكثر معاصرة من كل المفكرين المتشبهين بالأساليب والنُظم الجامدة)) .

دافع غلوكسمان عن المهاجرين السريين ، وعن الغجر الذين طردهم الرئيس الفرنسي الأسبق ساركوزي من فرنسا، ودعا إلى نشر السلام في جميع المناطق الأفريقية، وفي منطقة الشرق الأوسط، كما دعا إلى إعداد سياسة مُوحّدة للهجرة ، وينبغي على بلدان أوروبا الشمالية أن تساهم في المجهود الذي تقوم به البلدان المتوسطة .

أندريه مالرو والاعتماد على الذات

وُلد الأديب والفيلسوف الفرنسي أندريه مالرو (١٩٠١ _ ١٩٧٦) في باريس ، وتُوُفِّي في كريتيل . كانت عائلته برجوازية ، لكنها أفلسَت . وبسبب انفصال والديه ، عاش في كنف والدته وجدَّته وخالته مِن دُخُل بقالة صغيرة .

لَمْ يهتم بدراسته ، فوجد نفسه في مطلع شبابه من دون شهادة ولا مهنة، فقرَّر الخروج من هذه الحالة والانتصار على الفقر والحاجة مُتَسَلِّحًا بطموح مُبَرْجَج ومعتمدًا على هوايته:الفنون والأدب . وقد خدمه في ذلك خيال واسع وذكاء متوقد . اندفع في الحياة بنهم وإصرار ، وتأنَّق بمظهره ولباسه ، وتَسَتَّر على طفولته وصباه ، وعَدَّها مرحلة مُذِلَّة في حياته . ارتاد المكتبات يقرأ من دون هوادة ولا انتقائية ، يبحث في الوقت عَيْنَه عن نصوص مُنسية لَكُتَاب من القرن التاسع عشر يُعيد نشرها، مُقَدِّمًا لها أو مُعَلِّقًا عليها. أسهم منذ عام ١٩٢٠ بمقالات أدبية شخصية في مجلتي " المعرفة" و" الفعل " . كما نشر أول أعماله " أقمار من ورق " . تزوَّج في عام ١٩٢١ كلارا غولدشميت ، وبدأ معها حياة مُغامرة جامحة، وجاب الزوجان المتاحف ومُحترفات الفنانين يتذوقان الأعمال والتحف ويُقيمان العلاقات والصدقات التي وسَّعت آفاق الكاتب الفكرية والفنية والاجتماعية، وطافا المدن والبلدان للتعُرُف على معالمها الأثرية . وفي عام ١٩٢٣ ، سافرا إلى الشرق الأقصى ، بذريعة مُهمة استكشافية في لاوس على تخوم كمبوديا، وحاولا تهريب نقوش وكتابات حجرية أثرية من المعابد ، فَحُكِم على مالرو بالسجن ثلاث سنوات. لكن العريضة التي أطلقتها زوجته، والتي حملت توابع أشهر رجالات الفكر والفن الفرنسيين ، حالت دون تنفيذ الحكم . بدأت حياة مالرو الأدبية الفعلية مع عودته إلى باريس في نهاية عام ١٩٢٥ ، فنشر " إغراء الغرب " (١٩٢٦) . وهو مقارنة على شكل رسائل يتبادلها صيني يزور باريس مع فرنسي يزور الصين، يتعرَّض الأول لصعود الفردية وغرور الأنا الأوروبية التي تُشارف عتبة الجنون، ويرصد الثاني ترنُّح العملاق الصيني ، كصرح متهاوٍ ينتظر ساعة الانهيار . وَشَرَّ في العام نفسه " المملكة الغريبة " . موضوعها ثورة وهمية ، ضَمَّنَها هواجس لَمْ تُفارق طيلة حياته : الغرائبية والحرب والتعذيب والموت . وفي عام ١٩٢٨ ، صدرت رواية مالرو الأولى " الفاتحون " التي جلبت له الشهرة ، وأدخلته ميدان الأدب . استلهم فيها وقائع الإضراب العام في كانتون وضمَّنَها خلاصة تجربته، فحاز بها جائزة الإنترالييه الأدبية .

وفي " الطريق الملكي " (١٩٣٠) استوحى مالرو مغامرته الكمبودية، بحثًا عن المعابد الأثرية، وأفرد صفحات للصراع مع عناصر طبيعية كالأمطار الموسمية والحشرات الزاحفة والغابات. تَوَجَّحت " الوضع البشري " (١٩٣٣) أعمال مالرو الروائية، وعُدَّت أهم نتاج فكري له ، ونال عنها جائزة غونكور ، وقد تحدَّث فيها عن الثورة الشيوعية في شنغهاي وقمع تشانغ كاي تشيك الوحشي لها، فأدهش جمهور القُرَّاء وأهل الأدب، وتردد اسمه على كل لسان .

التقى مالرو الجنرال شارل ديغول في عام ١٩٤٥ ، فنشأت بينهما صداقة متينة أوصلته إلى حكومة فرنسا الحرة ملحقًا ثقافيًا، وشغل منصب وزير إعلام في وزارة الاتحاد الوطني . ونشط سياسيًا في المرحلة اللاحقة (١٩٤٦ _ ١٩٥٨) في حركة التجمع من أجل فرنسا ، فكان مُلهمًا للديغولية . ومع عودة ديغول إلى الحكم (١٩٥٨ _ ١٩٦٩) استدعى صديقه مالرو وزيرًا مُفَوَّضًا لدى رئاسة مجلس الوزراء، وأصبح فيما بعد مُلحقًا للإعلام، وأخيرًا وزيرًا للثقافة .

بعد انسحاب ديغول من رئاسة الجمهورية في عام ١٩٦٩ ، اعتزل مالرو العمل السياسي، وانكبَّ على نتاجه الفكري يُنقِّحه، يُغنيه ويعيد توزيعه ، فتشعَّبت الأعمال ، وانتقلت مقاطع ونصوص وفصول من كتاب إلى آخر .

لا تكمن إنجازات مالرو في أعماله الأدبية فقط ، وإنما أيضًا في الشخصية التي صنعها ، فقد قرر أن يكون نَفْسَه. وفي عداد الشخصيات الروائية التي جسَّمها تبقى شخصيته هي الأكثر جاذبية وتألقًا. أدبه ليس لونا، وفكره ليس فلسفة ولا منهجًا. إنه فكر مرن يعتمد المغامرة والثورة والوطنية . يجنح إلى المحافظة أحيانًا ، وإلى العيشة أحيانًا أخرى .

تُورِّخ حياة مالرو بمعنى من المعاني لكل أحداث القرن العشرين، وهو صاحب رؤية موسوعية، ويمتلك معارف دقيقة في الآثار وتاريخ الفنون والأنثروبولوجيا . وتجنح أعماله إلى السريالية والسُّخرية والغرائبية .

أنطون تشيخوف وزمالة القصة القصيرة

وُلد الكاتب الروسي أنطون تشيخوف (١٨٦٠ - ١٩٠٤) في تاغانروغ ، وهو ميناء على بحر آزوف جنوب روسيا . كان والده ابن أحد العبيد السابقين ، ويُدير بقالة . وكان يعتقد الأرثوذكسية الشرقية ، ويُوصَف بأنه كان أبًا تعسفيًا . بل نظر إليه بعض المؤرخين على أنه نموذج في النفاق في التعامل مع ابنه . أمّا والدته فكانت راوية ممتازة في حكايتها الترفيهية للأطفال عن رحلاتها مع والدها تاجر القماش في جميع أنحاء روسيا . ويقول تشيخوف : ((حصلنا على مواهبنا من آبائنا ، أمّا الروح فأخذناها من أمّهاتنا)) .

كان تشيخوف عاشقًا للمسرح وللأدب منذ صِغَره ، وحضر أول عرض مسرحي في حياته عندما كان في الثالثة عشرة من عُمره . ومنذ تلك اللحظة أضحي عاشقًا للمسرح، وكان يُنفق كل مُدَّخراته لحضور المسرحيات .

في عام ١٨٧٦ ، أعلن والد تشيخوف إفلاسه بعد إفراطه في الحصول على التمويل كي يبنّي منزلًا جديدًا . وغادرَ إلى موسكو كي يتجنب السجن بسبب ديونه غير المدفوعة . وعانت عائلته من الفقر في موسكو ، وكانت والدته مُدمّرة عاطفيًا وجسديًا . ولم يبقَ أمامه إلا بيع ممتلكات الأسرة وإنهاء تعليمه . كان تشيخوف مُجبرًا على دفع تكاليف التعليم الخاصة به ، حيث نجح في وظائف كمُعَلِّم خُصوصيٍّ ، وفي اصطيد وبيع طيور الحسون ، والرسومات التخطيطية للجرائد . وفي عام ١٨٧٩ ، أتم تشيخوف تعليمه ، وقبِل في كلية الطب في جامعة موسكو .

في عام ١٨٨٤ ، تخرّج كطبيب . وقد اعتبرَ الطب مهنته الرئيسية ووظيفته الأساسية . وأحرزَ القليل من المال من هذه الوظيفة ، وكان يُعالج الفقراء مجّانًا . ورغم تمسُّكه بمهنة الطب ، إلا أنه لم يترك الكتابة ، وكان يقول : ((إن الطب هو زوجتي ، والأدب عشيقتي)) .

وفي عام ١٨٨٧ ، فازت مجموعة تشيخوف القصصية " في الشفق " بجائزة بوشكين لأفضل إنتاج أدبي مُتميّز بقيمة فنية عالية . وفي هذه السنة ، أُصيب تشيخوف بالإرهاق واعتلال الصحة . وفي عام ١٨٩٧ ، تعرّض تشيخوف لنزيف كبير في الرئتين بينما كان في زيارة لموسكو . وأقنع بصعوبة لكي يذهب إلى العيادة، حيث قام الأطباء بتشخيص حالته، وتبيّن لهم أنه مُصاب بمرض السُّل في الجزء العلوي من رئتيه ، وأدّى هذا المرض إلى تغيّر نمط حياته . وبعد وفاة والده في عام ١٨٩٨ ، اشترى تشيخوف قطعة أرض في ضواحي مدينة يالطا ، وبنى فيها فيلا . وانتقل

إليها مع والدته وشقيقته . وقام بزراعة الأشجار والزهور في يالطا ، وحافظَ على الكلاب ، واستقبل الضيوف مثل ليو تولستوي ومكسيم غوركي . وكان يشعر دائماً بارتياح عند تركه لسيبيريا الساخنة ، من أجل السفر إلى موسكو أو إلى الخارج . وفي عام ١٩٠١ ، تزوّج تشيخوف من أولغا كبير . بحلول مايو ١٩٠٤ ، كان تشيخوف مُصاباً بمرض السُّل ، وأشار شقيقه إلى أن " جميع من رأوه شعروا بداخلهم أن نهايته ليست بعيدة " .

تعلّم الكثير من كُتّاب المسرحيات المعاصرين من تشيخوف كيفية استخدام المزاج العام للقصة والتفاصيل الدقيقة الظاهرة ، وتجمُّد الأحداث الخارجية في القصة ، لإبراز النفسية الداخلية للشخصيات . وقد تُرجمت أعمال تشيخوف إلى لغات عديدة .

يُعتبر تشيخوف أعظم كُتّاب القصص القصيرة على مدى التاريخ ، ومن كبار الأدباء الروس . كتبَ المئات من القصص القصيرة التي اعتُبر الكثير منها إبداعات فنية كلاسيكية ، كما أن مسرحياته كان لها تأثير عظيم على دراما القرن العشرين .

كان تشيخوف يكتب في البداية لتحقيق مكاسب مادية فقط ، ولكن سرعان ما نمت طموحاته الفنية ، وقام بابتكارات رسمية أثّرت بدورها على تطوير القصة القصيرة الحديثة ، وتتمثل أصلاتها بالاستخدام المبتكر لتقنية تيار الشعور الإنساني الداخلي ، اعتمدها فيما بعد جيمس جويس ، والكُتّاب المُحدَثون .

من أبرز مسرحياته : أغنية البجعة (١٨٨٧) . غابة الشيطان (١٨٨٩) . الأخوات الثلاث (١٩٠١) . بستان الكرز (١٩٠٤) .

من أبرز قصصه : وفاة موظف (١٨٨٣) . الحرياء (١٨٨٤) . الصيادون (١٨٨٥) . الراهب الأسود (١٨٩٤) . سيدة مع الكلب (١٨٩٩) . الكهنة (١٩٠٢) .

أنطونيو غرامشي ودفاتر السجن

وُلد الفيلسوف الإيطالي أنطونيو غرامشي (١٨٩١ _ ١٩٣٧) في بلدة آليس بجزيرة سردينيا الإيطالية لأسرة متواضعة . عانت أسرته من صعوبات مالية عديدة أدّت إلى اعتقال والده عام ١٨٩٨ الأمر الذي أجبر غرامشي على ترك المدرسة، والبحث عن أي عمل حتى العام ١٩٠٤ عندما أُطلق سراح والده . وقد عانى في طفولته من مشكلات صحية كثيرة ، من أبرزها تشوّه في عموده الفقري أثّر على نُموّه . أنهى تعليمه الثانوي في كالياري ، وهناك لم يتفاعل كثيرًا مع التيارات الاشتراكية في بداية الأمر ، وإنما أبدى تعاطفًا كبيرًا مع العمّال والفلاحين الذين عانوا من الفقر والجهل والقمع والتجاهل من السُلطات التي كانت تنهب خيرات الجنوب ، وتُرسلها إلى الشمال ، حيث المصانع ومركز الرأسمالية الإيطالية . حصل في عام ١٩١١ على منحة دراسية من جامعة تورينو لدراسة الآداب ، ولكن ظروفه المالية والصحية السيئة وتزايد التزاماته السياسية دفعته لترك الجامعة عام ١٩١٥ . عمل ناقدًا مسرحيًا عام ١٩١٦ . وانضمّ إلى الحزب الشيوعي الإيطالي مُنذ تأسيسه ، وأصبح عضوًا في أمانة الفرع الإيطالي من الأممية الاشتراكية .

في يوليو ١٩١٩ ، اعتُقل لأول مرة بسبب تأييده للجمهوريتين الهنغارية والروسية . وفي خريف العام ذاته ، بدأ في تنشيط حركة " مجالس العمّال " في تورينو . وفي عام ١٩٢١ ، أسّس مع مجموعة أخرى الحزب الشيوعي الإيطالي ، وانتُخب نائبًا عام ١٩٢٤ ، وترأس اللجنة التنفيذية للحزب . وفي الثامن من نوفمبر أُودع السجن بناءً على أمر من موسوليني ، حيث أمضى العشر سنوات الأخيرة من عُمره قبل أن يموت تحت التعذيب في ٢٧ أبريل ١٩٣٧ . ومن السجن يُعلن قطيعته مع ستالين ، وفيه يكتب " دفاتر السجن " (٣٠٠٠ صفحة في ٣٠ كراسة) أودعها خلاصة أفكاره عن التاريخ والفلسفة وغيرها من المواد .

وبسبب التدهور الشديد في صحته ، وبفعل حملات دولية ، تمّ إطلاق سراحه في ٢١ أبريل ١٩٣٧ . وبعد أيام قليلة ، أصابه نزيف في المخ، وأُعلنت وفاته في فقرة صغيرة في الصحف الإيطالية، ودُفن بلا ضجيج في مقبرة البروتستانت في روما ، وهي المقبرة الوحيدة التي تقبل الملحدين . يُعتبر غرامشي صاحب فكر سياسي مُبدع داخل الحركة الماركسية . ويُطلَق على فكره اسم الغرامشية التي هي فلسفة البراكسيس (النشاط العملي والنقدي _ الممارسة الإنسانية والمحسوسة) .

وغرامشي يُؤكّد على استقلالية البراكسيس إزاء الفلسفات الأخرى . إنها مُمارَسَة ونظرية في آنٍ معاً، ولهذا فإنها فلسفة سياسية. إنها التاريخ الحي قَبْد التكوّن. وهي كذلك تصوّر للعالم يمكن استخلاصه من الآثار الماركسية التي يعتبر غرامشي أنها تتكون من ثلاثة أقسام: الاقتصاد السياسي، والعلم السياسي، والفلسفة . وهو يُنقّب فيها عن المبادئ الموحّدة في علاقات الإنسان بالمادة (التي هي نتيجة براكسيس سابق) عبر التاريخ الذي هو إنتاج ذاتي للإنسان .

والمبدأ الموحّد من وجهة النظر الاقتصادية هو القيمة، ومن وجهة النظر السياسية هو الدولة ، وأمّا من وجهة النظر الفلسفية فهو العلاقة بين إرادة الإنسان وبين الأوضاع والمواقف التي ينبغي له تجاوزها . وهذا المبدأ الأخير يُؤلّف بين وجهتي النظر السابقتين ، لأنه يتيح الانتقال من المستوى الاقتصادي إلى المستوى الخُلقي والسياسي . إنه البراكسيس وفق منظور غرامشي .

وبما أنه ليس ثمة انفصال بين الإنسان والأشياء التي يُنتجها، فإنه ذات ومادة اجتماعية وتاريخية مأخوذتان في علاقة جدّية مع الضرورة ، وهذه النظرة هي التي تُفسّر نظرية غرامشي السياسية . فهو حين يُفكّر في الدولة ويبرهن أن المجتمع السياسي (أو الدولة) يتكوّن من أجهزة يغلب عليها القمع ، فالدولة تتكوّن من قوى كاسرة (الجيش والبوليس والقضاء التي يحل محلها خلال الأزمات منظمات خاصة كالميليشيات) ، ومن أجهزة تصوغ التشريعات وتُطبّقها (البيروقراطية، الحكومة، البرلمان) وهي الأداة التي تُؤمّن بها طبقة ما سيطرة على الطبقات الأخرى، وهي تتكون كذلك من أجهزة تغلب عليها الأيديولوجية (المدرسة، الكنيسة ، الأحزاب السياسية) ، وتُؤمّن للطبقة المسيطرة رضى الطبقات الأخرى وقبولها بقيادتها لها . غير أن ما يُؤمّن توحيد هذا كله هم المثقفون الذين تُنمّيهم كل طبقة لتُؤمّن هيمنتها عبّرهـم .

ومهمة المثقفين هي نشر تصوّر الطبقة للعالم ، وتأكيد في وجه مثقفي وتصورات طبقات النظام القديم . وهكذا ، فإن مثقفي البرجوازية الذين حاربوا المثقفين المرتبطين بالإقطاع (عبر الكنيسة خاصة) عادوا فحاربوا المثقف الجماعي الذي هو أحزاب الطبقة العاملة ، أو حاولوا أن يستلحقوه بهم عبر ممارسة اشتراكية _ ديمقراطية. وهكذا، فإن المثقفين يُشكّلون الأسمت العضوي الذي يربط البنية الاجتماعية بالبنية الفوقية ، ويتيح تكوين " كتلة تاريخية " .

إن غرامشي يُركّز في معظم كتاباته على تحليل القضايا السياسية والثقافية ، كذلك نقض أعمال الزعماء السياسيين ورجال السياسة والثقافة . ويُعتبر غرامشي مُؤسّس مفهوم " الهيمنة على الثقافة كوسيلة للإبقاء على الحكم في مجتمع رأسمالي " .

أوجينيو مونتالي والجيل المُتألّم

وُلد الشاعر الإيطالي أوجينيو مونتالي (١٨٩٦ - ١٩٨١) في مدينة جنوة لعائلة كبيرة تعمل في تجارة المواد الكيميائية. امتازت عائلته بالحياء، والتوتر، والإيجاز في الكلام، وروح الفكاح الخاصة. يُعتبر من أشهر الشعراء الإيطاليين في القرن العشرين، وأكثرهم تأثيراً في الشعر الإيطالي الحديث. كان أيضاً مُترجماً وناقداً أدبياً وصحفيّاً. كما اهتمّ بالموسيقى والرسم. عمل مونتالي كمحاسب في عام ١٩١٥، لكنّه ترك المهنة ليلاحق عشقه الأدبي عبر التعليم الذاتي. فقد كان يتردّد على مكتبات المدينة، ويحرص على حضور دروس أخته ماريانا الفلسفية الخاصة. كما أنه درس غناء الأوبرا.

تأثّر بالشاعر الإيطالي دانتي أليغييري. وكان يقول: ((أمام دانتي لا يوجد شعراء آخرون)). ودرس العديد من اللغات الأجنبية، والإنجليزية بشكل خاص. وتأثّر بالمناظر الطبيعية في ليفانتي (شرق ليغوريا)، حيث قضى أيام العطل مع عائلته. وكان مُعجّباً بشكسبير وبورخيس.

تمّ استدعَى مونتالي للجهّة أثناء الحرب العالمية الأولى، بصفته عضواً في الأكاديمية العسكرية في بارما، لكنّ تجربته كمُلازم مُشاة لم تدم طويلاً، إذ عاد إلى الوطن في عام ١٩٢٠. توجّه بعد ذلك نحو الصحافة الأدبية، وأسهم منذ عام ١٩٢٢ في تأسيس مجلة "الزمن الأول" الصادرة في تورينو. وبرزت موهبته في أول ديوان له "عظام حَبّار" (١٩٢٥). ثمّ عمل في فلورنسا عام ١٩٢٧ لدى ناشر. وتولّى عام ١٩٢٩ إدارة مكتبة علمية عريقة، لكنّ هذا المنصب لم يدم نتيجة مُشاركته في بيان مُناهض للفاشية، أعدّه عدد من المفكرين. وبقيت ترجماته مصدر رزقه، حتى صدور ديوانه الثاني "الفرص" (١٩٣٩). ثمّ توجّه إلى ميلان عندما بلغه نبأ اغتيال غاندي. وعمل في هيئة تحرير "صحيفة المساء".

كتب عدداً يسيراً من الأعمال. منها أربع مجموعات أدبية من القصائد الغنائية القصيرة، وبعض الترجمات الشعرية، كما كتب عدداً من الترجمات للكتب النثرية، كتابين في النقد الأدبي، وواحداً في النشر الخيالي. إضافةً لأعماله الإبداعية التي ساهم بها في أهم الصحف الإيطالية.

عاش في مدينة ميلان، منذ عام ١٩٤٨ حتى وفاته. وعمل مُراسلاً صحفيّاً، وقد ذهب إلى فلسطين لِيُتابع تحركات البابا بولس السادس. وقد تمّ جمع أعماله الصحفية في مجلد "بعيداً عن الوطن" عام ١٩٦٩. وكان "العاصفة وأشياء أخرى" (١٩٥٦) آخر أعماله الشعرية.

في عام ١٩٤٨، زارَ بيروت ودمشق وتدمر وطرابلس مصحوبًا بجوليان هكسلي ، شقيق الكاتب الشهير ألدوس هكسلي ، والمدير العام لمنظمة اليونسكو آنذاك .

عُدَّ مونتالي الناطق باسم جيل كان يتألم في أعقاب حرب وصفها الشاعر بالقيمة . أفرغته الشيوعية، وحاصرته الفاشية والنازية، وعاش حربًا عالمية ثانية ، ونشط وسط تيار مُناهض للفاشية.

اختارَ واقع الأمور لا جوهرها . وبالتالي ، اكتسبت الأحداث اليومية البسيطة أهميةً بقلمه .

إلا أنه عُرفَ بتحفظه ، فبدأ أسلوبه لَمَّا حَا غير مباشر ، وحمل شِعْرُه صفة " ما لا يُقال " .

وكان قد أوضح في " عِظام حَبَّار " قائلاً : ((لا تسألوني عن الكلمة التي لا شكل لها ، وتُحاصر الروح من كل جانب ، كما لا تسألوني عن الصيغة التي تُفَتِّح لها الأبواب ، وتُشبه البُرعِم الساقط الجاف . ما أستطيع قوله فقط هو ما لا نُريده ، وما لَسْنَا عليه)) .

والجديرُ بالذكر أنه لم يكن يُؤمن إلا بالمعجزات ، وبقدرة الإنسان على مُجابهة الصعوبات ، مُتَسَلِّحًا بإرادة مشحونة بالأمل ، الذي يقتنص الفُرص غير مُبالٍ بالعواقب .

أرادَ مونتالي قلب معايير الشُّعر الذي غلبت عليه بلاغة التمجيد . ففي (عِظام حَبَّار) ترمي الموجةُ الأنقاضَ التي تغوص في أعماقها لعدم جدواها ، مُبقيةً على صفائها المطلق .

ورفضَ الشاعرُ الالتزامَ بتيار أو مدرسة . وكان مِن دُعاة الإبداع الحر ، كما اتَّصفَ شِعْرُه بالهِرمسية ، لأنه يحفل بالرموز والإضمار والتناثر الصوتي . والهِرمسية تقليد دينيٌّ وفلسفي ، مُستقاة من كتاب منحول يُنسب إلى هِرمس (المثلث العَظَمَة) ، والتي أثَّرت على التعاليم الباطنية الغربية بشكل كبير ، والتي تُعتَبَر من أهم العوامل خلال عَصْرِ النهضة والإصلاح .

لم يكن يُعير اهتمامًا كبيرًا بالمشاهد الطبيعية ، كما هو حال الشعراء الرومانسيين . كما أنه لم يهتم بالقضايا الكبيرة (السياسية أو الفلسفية أو الاجتماعية) . لكنَّهُ كان يحب أن يكتب عن طفولة ضائعة ، أو وردة ذابلة ، أو صورة باهتة بين أوراقه الشخصية ، أو أصدقائه الراحلين .

فُقِّدت بعض مخطوطاته ومؤلفاته، عندما تَصَرَّرت مدينة فلورنسا عام ١٩٦٦ بفيضان نهرها أرنو .

وكان يأمل بالعودة إلى هذه المدينة ليستقر إلى جانب ضريح زوجته التي تُوفِّيت عام ١٩٦٣ .

أمَّا ذُرْوَة نجاحه على المستوى العالمي ، فقد ساهمَ فيها استلامه الشهادات الفخرية من ميلان عام ١٩٦١ . وكامبردج عام ١٩٦٧ . وروما عام ١٩٧٤ . وتَمَّ إعطاؤه مقعدًا مدى الحياة في مجلس الشيوخ الإيطالي . وفي عام ١٩٧٥ ، فاز بجائزة نوبل للآداب .

أوديسو إيليتيس واليونان القديمة

وُلد الشاعر اليوناني أوديسو إيليتيس (١٩١١ - ١٩٩٦) في جزيرة كريت . يُعتَبَر شاعرًا رئيسيًا في الحداثة الرومانسية في اليونان والعالم. وفي عام ١٩٧٩ حصل على جائزة نوبل للآداب.

وُلد لعائلة صناعية قديمة . ثم انتقل مع عائلته في وقت لاحق إلى مدينة أثينا . وفيها تخرّج من المدرسة الثانوية ، ثم حضر دورات تدريبية في مجال الحسابات في كلية القانون بجامعة أثينا . في عام ١٩٣٥ ، نشر أول قصيدة شعرية له في مجلة يونانية بعنوان " رسائل جديد " . وفي عام ١٩٣٧ ، اتّجه لأداء واجبه العسكري بعد أن التحق بالمدرسة العسكرية الوطنية كطالب للجيش .

في ظل المجلس العسكري اليوناني (١٩٦٧ - ١٩٧٤) ، قرّر إيليتيس الرحيل إلى العاصمة الفرنسية باريس . وظلّ هناك قرابة ثلاث سنوات (١٩٦٩ - ١٩٧٢) . عمل مديرًا لبرنامج المؤسسة اليونانية للإذاعة الوطنية ، مرّتين لمدة عامين . الأولى كانت في الفترة (١٩٤٥ - ١٩٤٦) ، والثانية في الفترة (١٩٥٣ - ١٩٥٤) . نال عضوية مجلس إدارة المسرح الوطني اليوناني ، وعمل رئيسًا للمجلس الإداري للإذاعة والتلفزيون اليوناني .

في عام ١٩٦٠ ، حصل على جائزة الدولة الأولى للشعر . وفي عام ١٩٦٥ ، حصل على وسام فينيكس . وفي عام ١٩٧٥ ، حصل على المواطنة الفخرية لمدينة ميتيليني . في الفترة (١٩٤٨ - ١٩٥٢) والفترة (١٩٦٩ - ١٩٧٢) عاش في باريس . وهناك ، اشترك باندوات في علم اللغة والأدب في السوربون ، وحظيَ بقبول جيّد من قِبَل النُّقاد . وزارَ سويسرا وإنجلترا وإيطاليا وإسبانيا . وفي عام ١٩٤٨ ، كان مُمثلاً لليونان في الاجتماعات الدولية في جنيف .

تميّز شعر إيليتيس بالأسلوب المتطور ، مع التركيز على التعبير عن الصور الفنية النادرة والعاطفية ، وقد كان شعره منتشرًا في أوساط الناس والنُّقاد لأكثر من أربعين عامًا . اعتمد بشكل واضح في شعره على العناصر الحضارية من اليونان القديمة وبيزنطة ، وحاولَ بشتى الطرق استلهاهم الجوانب النفسية والعاطفية ، لإعادة بناء الأساطير الحداثيّة ، وبناء ضمائر

الناس من جديد ، واستكمال العناصر الطبيعية من خلال القوى الأخلاقية ، لتحقيق أعلى قَدر ممكن من الشفافية في التعبير .

وأيضاً، اعتمد على التقنيات الحديثة في الكتابة الشعريّة، واهتمّ بالعمارة الداخلية في القصائد. عبّر إليّيس في شعره عن الجمال المحض والموسيقى الداخلية، والأفكار النظرية والفلسفية ، كما أنّه قام بترجمات للشعر والمسرح . ونُشرت ترجماته الشعريّة ككُتب مستقلة ، وضمن مختارات أو في دوريات في إحدى عشرة لغة .

من أبرز أعماله الشعريّة : هُتاف بطولي (١٩٤٦) . شجرة الصّوّء (١٩٧٢) . الشمس السيادية (١٩٧١) . يوميات غير مرئية (١٩٨٧) . غرب الحزن (١٩٩٥) .

أورهان باموق والمُحرّمات السياسية

وُلد الروائي التركي أورهان باموق (١٩٥٢ _ ...) في مدينة إسطنبول ، لأسرة تركية فرنكفونية مثقفة وغنية .

تزوَّج من إيلين تورغون في عام ١٩٨٢ ، ورُزق منها بابنته رؤيا عام ١٩٩١ ، لكنهما انفصلا عام ٢٠٠١ ، وله شقيق واحد يُدعى شوكت ، ظهر في بعض روايات أورهان . وله أخت من أحد أبويه اسمها حُميراء ، وتعمل صحفية .

أنهى دراسته الثانوية في مدرسة روبرت بإسطنبول ، والتحق بقسم الهندسة المعمارية في جامعة إسطنبول التقنية ، لكنه ترك الدراسة بعد ثلاث سنوات ، ليُحقّق حلمه بالتفرغ للكتابة ، فالتحق بقسم الصحافة بالجامعة نفسها عام ١٩٧٦ ، وأجرى أبحاثه في الأدب في جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية في الفترة (١٩٨٥ _ ١٩٨٨) .

حصل على عدّة شهادات دكتوراة فخرية أهمها من الجامعة الأمريكية في بيروت بلبنان عام ٢٠٠٣ ، ومن قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية بجامعة برلين الحرة عام ٢٠٠٧ ، ومن قسم الدراسات الغربية والآداب في جامعة البوسفور بمدينة إسطنبول في العام نفسه ، ومن جامعة مدريد عام ٢٠٠٨ .

يصف نفسه بأنه مسلم ثقافيًا ، بغض النظر عن طبيعة علاقته بالدين . تعرّض للملاحقة القضائية ، بتهمة " إهانة الهوية التركية " على خلفية انتقاده لِمَا يُعرّف بمجازر الأرمن ، التي يُقال إن أكثر من مليون أرمني قُتلوا فيها نهاية الحرب العالمية الأولى على يد الجيش العثماني ، ولانتقاده شخصية مصطفى كمال أتاتورك ، كما انتقد في كتاباته سُبل تعامل تركيا مع الملف الكردي ، وكتب ينتقد الفتوى الإيرانية بهدر دم الكاتب سلمان رشدي عام ١٩٨٩ .

في عام ٢٠٠٧ _ وبعد مقتل أحد الصحفيين الأتراك من أصل أرمني لكتاباته التي تُندّد بمذابح الأرمن _ ، تلقّى أورهان باموق تهديدات بالقتل ، وأخبرته السلطات الأمنية أن هذه التهديدات جدّية ، فقامَ بسحب ما يُقارب المليون دولار ، وسافرَ هاربًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية . اختيرَ كعضو في لجنة تحكيم مهرجان كان السينمائي عام ٢٠٠٧ .

لم يجد من ينشر روايته الأولى لعدة سنوات ، ثم أصدر روايات كانت تباع نسخًا لا تتجاوز الألف لكل منها ، حتى كتب روايته " الحياة الجديدة " التي بيع منها أكثر من مئة ألف نسخة .

صوّرت بعض رواياته تاريخ تركيا العثماني ، وجسّدت أخرى دفة العلاقات الإنسانية في إسطنبول ، وعكس في صفحاته صورة الانقسام في المجتمع التركي تجاه قضايا السياسة ، وانقلابات الجيش ، وسطوة الأمن ، وحجاب المرأة ، وتجاذبات الهوية والأعراق .

حققت أعماله أعلى معدلات بيع للروايات الأدبية في تركيا ، وبيع منها حول العالم أكثر من ١١ مليون نسخة بأكثر من ستين لغة ، ونال شهرته الدولية بالكتابة عن أحداث تاريخية كان الحديث عنها يُعد من المحرّمات في تركيا ، وهو من أوائل الذين انتقدوا شخص مؤسس الجمهورية التركية مصطفى كمال أتاتورك .

نال عدة جوائز ، أهمها جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٦ ، وجائزة السلام لدور النشر الألمانية في ٢٠٠٥ ، وجائزة سوننغ للثقافة الأوروبية من جامعة كوبنهاغن في الدنمارك عام ٢٠١٢ ، وجائزة إمباك الدولية للآداب في دبلن بأيرلندا عام ٢٠٠٣ .

من أبرز رواياته : جودت بك وأبناؤه (١٩٨٢) . المنزل الهادئ (١٩٩١) . القلعة البيضاء (١٩٩٥) . الكتاب الأسود (١٩٩٧) . اسمي أحمر (٢٠٠٣) . تلج (٢٠٠٤) .

أوسفالد شبنغلر وانحدار الغرب

وُلد الفيلسوف والمؤرخ الألماني أوسفالد شبنغلر (١٨٨٠ _ ١٩٣٦) في مدينة بلاكنبورغ، وتُوفّي في ميونخ .

درس في ميونخ وبرلين وهاله . اشتهر بكتابه " انحدار الغرب " الذي سجّل فيه فلسفته في التاريخ إثر هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، ولقي الكتاب رواجًا كبيرًا ، لأن نهايته توافقت مع المزاج السائد عقب الحرب. تُرجم الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان " تدهور الحضارة الغربية " ، الذي يعرض نظرية عن سقوط وازدهار الحضارات، وأن ذلك يتم بشكل دوري ، ويُغطّي كل تاريخ العالم ، وقدّم نظرية جديدة جعل فيها عُمر الحضارات محدودًا وأن مصيرها إلى الأفل ، ولعله تأثر بما كتبه ابن خلدون في هذا المجال .

بعد نشر كتاب " انحدار الغرب " عام ١٩١٨ ، أصدرَ شبنغلر كتاب " البروسية والاشتراكية " عام ١٩٢٠ . وفيه عرض صورة عُضوية من الاشتراكية والسُّلطوية .

وقد شهدت فترة الحرب العالمية الأولى وفترة ما بين الحربين العالميتين خصوبةً في إنتاج شبنغلر الفكري، وشهدت تأييده لسيطرة ألمانيا في أوروبا . وقد اتّخذ الاشتراكيون القوميون من شبنغلر مُنظّرًا لأفكارهم ، غير أنهم ما لبثوا أن نبذوه عام ١٩٣٣ ، عندما أبدى تشاؤمه بشأن مستقبل ألمانيا وأوروبا ، ورفضه تأييد الأفكار النازية المتعلقة بالتفوق العِرقي، ولإصداره كتابًا ينتقدهم بعنوان " ساعة الحسم " .

تُعَدُّ فلسفة شبنغلر فلسفة جبرية، إذ يعتقد أن التاريخ ليس إلا حضارات لا رابط بينها ، ولا أسباب لقيامها ، وإنما تخضع كل حضارة بمجرّد قيامها لدورة حياة بيولوجية كأنها الكائن الحي ، لها ربيع وصيف وخريف وشتاء، وأن شتاء الحضارة قد لا يعني اندثارها، وأن أفل الحضارة قبل الأوان قد يكون بسبب ظروف خارجية تقضي عليها .

ومهمة فلسفة التاريخ هي فهم البناء المورفولوجي أو الشطر الخارجي للحضارة . ومصطلح " مورفولوجيا " يُشير إلى علم دراسة الشكل والبنية . وكُل حضارة لها رُوح، وربيع الحضارة هو زمن بطولاتها وملاحمها، ودينها عندما تكون الحياة ريفية زراعية إقطاعية، ويأتي صيفها بقيام المدن إلى جانب الريف، والأرستقراطية حول الزعامات القديمة، ويشهد الخريف التدفق الكامل لينايع الحضارة الروحية ، وإرهاصات استنفادها المحتمل ، وهو عصر نمو المدن، وازدهار التجارة،

وتوسّع الدول، وتحدي الفلسفة للدين . ويتصف الانتقال إلى الشتاء بظهور المدن العالمية وطبقة العمال (البروليتارية)، وقيام الدول الرأسمالية، وحكومات الأثرياء، وتزايد الشك، وهو عصر الإمبريالية والاستبداد السياسي المتزايد والحروب المستمرة .

وبالاختصار ، فإن الحضارة في شتائها تفقد روحها، وتغدو مجرد مدنية، أعظم إنجازاتها إدارية، وفي مجال تطبيق العلم في الأغراض الصناعية ، ويعتقد شبنغلر أن دورة حياة الحضارة تستغرق نحو ألف سنة .

الحضارة المصرية ، الحضارة البابلية ، الحضارة الهندية ، الحضارة الصينية ، الحضارة القديمة (اليونانية _ الرومانية) ، الحضارة العربية ، الحضارة المكسيكية ، الحضارة الغريبة (الأوربية _ الأمريكية) .

وكل واحدة من هذه الحضارات تنبثق من رمز أولي خاص بها يُعَيّن معتقداتها، ويُحدّد نظم حياتها، وعادات أهلها، وعلومها وفنونها وآدابها، وجميع إنجازاتها ومظاهر وجودها، وبهذا تتشكل خصائص كل حضارة وتحدد سمات انفصالها وتفردّها عن سواها، وهذا يشمل النظم السياسية المختلفة والحالة الاقتصادية والتركيبية الأخلاقية والعقدية، وشكل الفنون والآداب داخل كل حضارة . ويرى شبنغلر أن نشوء الحضارات وازدهارها وانحلالها مسألة قدرية، ولا يمكن فهم الحضارات الإنسانية إلا من خلال هذه القدرية ، لأن ما يطرأ على الحضارات من تبدل وتقلب هو أمر حقيقي وحتمي لا مفر منه . ويرى أن الحضارة العربية تشمل جميع الحضارات التي قامت في الشرق الأوسط من حدود الصين حتى شمال أفريقيا . وهي مُوزَّعة بين مدينة الرها وجنوبي سورية وفلسطين، فقد مرت هذه المنطقة بعصر الفروسية، وما زالت حتى الآن تحتفظ ببقايا القصور والقلاع التي تشهد بهذا العصر وضرورته لصناعة مرحلة أكثر وضوحًا في سياق تطور تاريخ البشرية. إن هذا العالم لم يجد هويته الحقيقية ، ولم يكتشف وحدته إلا من خلال الإسلام، وهنا يكمن النجاح الكبير الذي تحقّق في هذه المنطقة من العالم، حيث استطاع الإسلام أن يُحوّل هذه المنطقة الممزّقة إلى وحدة حضارية تربط بين جميع الثقافات والعادات والتقاليد والخصوصية العرقية .

ومن خلال الإسلام نشأت الحضارة العربية الإسلامية التي بلغت ذروة نضجها وازدهارها إلى أن جاء الصليبيون ، ووضعوا الأحرف الأولى في مأساة انهيارها، فالعرب عند شبنغلر قد استطاعوا تأسيس وحدة شاملة للشعوب ، على شكل إمبراطورية بلغت أسمى درجات الازدهار والتقدم .

أوسكار وايلد والحياة المنهارة

وُلد الأديب الأيرلندي أوسكار وايلد (١٨٥٤ – ١٩٠٠) في دبلن (عاصمة أيرلندا) . كان والده طبيباً مرموقاً ، وقد مُنح لقب فارس لعمله كطبيب استشاري بهيئة التعداد السكاني الأيرلندية . لكنه خسر مكانته وسُمعته ، حيث قام باغتصاب مريضة بعد أن خَدَّرها . أمّا والدته ، فكانت شاعرة ، وكان لها تواصل عن قُرب مع حركة التمرد الأيرلندية الشابة عام ١٨٤٨ .

كان وايلد طفلاً نبيهاً ومُحباً للقراءة.أحبّ الدراسات اليونانية والرومانية أثناء دراسته بمدرسة بورتورا الملكية.وفي آخر عامين له بالدراسة هناك،ربح جائزة أفضل طالب للدراسات الكلاسيكية.وفي عامه الأخير ربح المركز الثاني في الرسم . حصل بعد تخرُّجه عام ١٨٧١ على منحة المدرسة الملكية ، ليدرس في كلية ترينتي في دبلن. وبعد انقضاء عامه الأول بها ١٨٧٢، حصل على المركز الأول في اختبارات الدراسات الكلاسيكية ، كما حصل على منحة دراسية من مؤسسة الكلية . بعد تخرُّجه من جامعة أكسفورد، انتقل وايلد إلى لندن ليعيش مع صديقه فرانك مايلز، الرّسام المشهور بين الطبقة الراقية بلندن . استطاع هناك التركيز على كتابة الشّعر ، وأصدر أول دواوينه " قصائد " عام ١٨٨١ . وبالرغم من تواضع النجاح الذي حقّقه هذا الديوان ، إلا أنه قدّم وايلد كأحد الكُتّاب الواعدين .

في عام ١٨٨٢ ، سافر وايلد إلى نيويورك ليشارك في جولة محاضرات في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث أعطى ١٤٠ محاضرة رائعة خلال تسعة أشهر . وفي الوقت الذي لم يُلقي به محاضرات، قابل وايلد العديد من الشخصيات الأدبية الأمريكية البارزة .

بعد انقضاء جولته الأمريكية ، عاد وايلد إلى موطنه ليقوم بجولة مُماتلة بإنجلترا وأيرلندا امتدّت حتى منتصف عام ١٨٨٤ . تناولت جولته أعماله الشعرية ، كما قدّم من خلالها نفسه كمؤيّد للحركة الإستاطيقية _ نسبة إلى علم الجَمال _ . وتتبع هذه الحركة نظرية تركيز الفن والأدب على الجمال فقط ، بغض النظر عن الترويج لأي وجهة نظر سياسية أو اجتماعية .

في بداية عام ١٨٨٨ _ وكان لا يزال يعمل في رئاسة تحرير ليديز وورلد مُنذ عام ١٨٨٥ _ دخل وايلد في حالة ثورة إبداعية لمدة سبع سنوات ، أنتج خلالها أعظم أعماله الأدبية . فصدر له " الأمير السعيد وحكايات أخرى " عام ١٨٨٨،وهي مجموعة قصصية للأطفال.ونُشرت له مجموعة مقالات تحت عنوان " نوايا " عام ١٨٩١ ، تتحدث عن مبادئ الإستاطيقية .

وفي العام نفسه أصدر روايته الأولى والوحيدة " صورة دوريان جراي " ، التي تحكي عن شاب وسيم يُدعى دوريان جراي يتمنى أن تكون له صورة تشيخ بدلاً منه، ويظل هو في شبابه، وبالفعل تتحقق أمنيته . وعلى الرغم من أن هذه الرواية تُعدُّ الآن من أعظم الكلاسيكيات، إلا أنها أثارت غضب النُّقاد لِمَا تُمثِّله من تدنِّي أخلاقي . وقد دافع وايلد عن موقفه بعنف في مقدمة الرواية التي تُعتبر أحد أعظم الأعمال المدافعة عن الإستايطيقية .

نشر وايلد أولى مسرحياته " مروحة السيدة ويندرمير " عام ١٨٩٢ ، واستقبلها النُّقاد باحتفاء كبير ، الشيء الذي دعا وايلد إلى اتخاذ الكتابة المسرحية كنوعه الأدبي الأساسي في كتاباته . خلال السنوات التالية أصدر وايلد عدة مسرحيات كوميدية ساخرة تحمل بين سطورها رسائل جادة ، من أهم هذه المسرحيات : " امرأة بلا أهمية " عام ١٨٩٣ ، " زوج مثالي " عام ١٨٩٥ ، وأشهرها " أهمية أن تكون جاداً " عام ١٨٩٥ . وقد أقيمت مسرحية " امرأة بلا أهمية " الناقد وليام آرشر أن مسرحيات وايلد يجب اعتبارها ضمن أرقى نتاج الدراما الإنجليزية الحديثة .

تتمحور أغلب أعمال وايلد عن كشف إثم مخفي أو طَيشٍ ما ، وخزي ناتج عن هذا الإثم . فإذا اعتبرنا أن الواقع يُحاكي الفن ، كما أكد وايلد في مقاله " اضمحلال الكذب " ، فقد كان يُشخِّص تَهَوُّره هو شخصيًّا في مُلاحقة المتعة ، ففي الوقت الذي كان يتمتع فيه بأعظم نجاح أدبي، كان وايلد على علاقة بشاب يدعى لورد ألفريد دوجلاس . وكان والد دوجلاس هو ماركيز مدينة كوينزبري الذي اتَّهم وايلد بفعل قَوم لوط، حين علِمَ بالأمر ، ورفع عليه دعوى بهذا الاتهام . وعلى الرغم من أن شذوذ وايلد الجنسي كان مثل السِّر المُذاع، إلا أن هذه الدعوى أثارت غضبه، حتى إنه رفع دعوى مقابلة ليتهم فيها والد دوجلاس بالتشهير به . سقطت قضية التشهير ، وحُكِمَ على وايلد بالحبس لمدة عامين بعد أن استطاع والد دوجلاس أن يثبت التهمة عليه من خلال رسائل وايلد إلى دوجلاس وكتابات الأدبية نفسها .

خرج وايلد من السجن عام ١٨٩٧ ، ضعيفًا ومنهارًا ومُقلِّسًا تمامًا . وذهب إلى فرنسا حيث عاش في منفاه ما تبقى من حياته . وكان قليلًا ما يكتب في هذه السنوات الأخيرة ، فكان أهم كتاباته هي قصيدة أتمَّها عام ١٨٩٨ عن تجربته في السجن، بعنوان " أنشودة سجن ريدينج جول " .

تُوِّفِّي وايلد إثر معاناته من الالتهاب السحائي في ٣٠ نوفمبر عام ١٩٠٠م وهو في السادسة والأربعين من عُمره .

أوغست كونت وتأسيس المذهب الوضعي

وُلد الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي أوغست كونت (١٧٩٨ - ١٨٥٧) في مدينة مونبلييه ، وتخرّج من مدرسة البوليتكنيك، ثم عمل سكرتيراً عند الفيلسوف سان سايمون ، فساعده على إخراج كتبه ومؤلفاته وأبحاثه إلى حيّز الوجود . أسّس كونت المذهب الوضعي (لا سبيل إلى المعرفة إلا بالملاحظة والخبرة) . ويُعتبر من مؤسّسي علم الاجتماع .

تأثّر كونت في فلسفته الاجتماعية بمن سبقه من مفكرين وفلاسفة في القرن الثامن عشر، وتفاعل مع الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي شهدتها بدايات القرن التاسع عشر ، وعاصر تقدّم العلوم والاكتشافات التي شهدتها تلك الفترة، واستطاع أن يُكوّن لنفسه فلسفة اجتماعية هدفها إعادة تنظيم المجتمع ، لِما وَجد فيه من تناقضات وتوترات دفعته إلى التفكير في أسس التنظيم الاجتماعي أكثر من اهتمامه بمظاهر التغير وأشكاله. درس كونت المشكلات الاجتماعية بروح عقلية مبنية على فلسفته في التغير الاجتماعي، وعلى تصوّراته عن أهمية علم الاجتماع بالمقارنة مع العلوم الأخرى ، ومن مؤلفاته المهمة في هذا السياق: "الفلسفة الوضعية" الذي كتبه في ستة أجزاء، وبدأ نشره في عام ١٨٣٠ ، وانتهى منه عام ١٨٤٢ ، و " دروس في الروح الوضعية" (١٨٤٤) و"نسق السياسة الوضعية" في أربعة أجزاء (١٨٥١ - ١٨٥٤) و" عقيدة الدين الوضعي " (١٨٥٢) ، و " التأليف الموضوعي" (١٨٥٦) . يُميّز كونت في دراسته للعلوم بين ستة علوم أساسية يُرتّبها من الأبسط إلى الأكثر تعقيداً على النحو الآتي: الرياضيات، علم الفلك، علم الطبيعة، علم الكيمياء، علم الحياة، علم الاجتماع . ويرى أن هذه العلوم مبنية على الاستقرار الذي يعني بالنسبة إليه دراسة الواقع ، للخروج بنتائج وقضايا نظرية ، وعلى هذا فإنه لا يوجد لدى كونت علم عقلي بحت . كما أن الفلسفة الواقعية هي جُملة العلوم التي تعتمد على الواقع في تقرير نتائجها .

يُعتبر كونت أن علم الاجتماع هو آخر هذه العلوم وأكثرها تعقيداً وتركيباً ، ويقوم على دراسة المجتمعات من الناحية الموضوعية والطبيعية ، ممّا يستوجب تطبيق المنهج الموضوعي في دراسة الظواهر على أساس الملاحظات ، التي يمكن أن تنتهي بعلم الاجتماع إلى قوانين اجتماعية عامّة تُفسّر الظواهر المنتشرة في حياة الناس، وكثيراً ما يُسمّيه بالفيزياء الاجتماعية أو العلم الاجتماعي الطبيعي ، ليدل من خلال ذلك على المنهج الاستقرائي في هذا العلم .

لقد دفعته رغبته القوية في إصلاح المجتمع _ لإنقاذه من مظاهر الفوضى المنتشرة في مختلف شؤون الحياة السياسية والاقتصادية والأخلاقية والتربوية _ إلى التفكير بإنشاء هذا العلم ووضع معالمه الأساسية ، إيماناً منه بأن الفلسفة ليست غاية مُطلقة بذاتها ، إنما هي وسيلة للوصول إلى غايات عملية تخدم أغراض الإصلاح الاجتماعي، وتُسهم في الارتقاء بالمستويات الاجتماعية والأخلاقية والدينية .

حاول كونت في دعوته إلى تأسيس علم الاجتماع أن يُسبغ عليه طابع الفلسفة الوضعية، وظَّهر ذلك على البدايات الأولى لعلم الاجتماع ، فالفلسفة الوضعية تدَّعي أن الحقائق الاجتماعية يجب أن تُعامل بوصفها أشياء ، وأن الباحثين فيها يجب أن يعتمدوا مدخلاً موضوعياً ، وبهذا يمكن الوصول إلى تعميمات ميدانية تُستمد منها القوانين المفسَّرة للمجتمع، وتُصنَّف هذه القوانين في نوعين أساسيين : الأول خاص بقوانين التغير الاجتماعي، والثاني خاص بقوانين الثبات الاجتماعي .

قدَّم كونت قانونه الشهير بقانون الحالات الثلاث الذي يُبيِّن فيه المراحل الأساسية التي مرَّ بها الفكر الإنساني حتى بلغ حالته الراهنة، وهي تُظهِر تطوُّر الفكر الإنساني بصورة تدريجية، من المرحلة الأولى التي يتميَّز فيها الفكر في كل فرع من فروع المعرفة برؤيته الدينية للأشياء، إلى المرحلة الثانية التي يأخذ فيها الإنسان بتفسير الظواهر على أساس ميتافيزيقي مُجرَّد . أمَّا المرحلة الثالثة والأخيرة التي توَصَّل فيها الإنسان إلى التفكير العلمي أو الوضعي ، فهي المرحلة التي يعيشها الإنسان في العصر الحديث ، وتُتَّصف بأنها مرحلة نهائية وحتمية .

وقد أعطى كونت فكرة واضحة عن الهدف النهائي للوضعية ، عندما أشار إلى أن في كل مرحلة من مراحل تطور الفكر البشري يصل الفكر إلى قمته في رؤيته للأشياء، ثم ينتقل بعدها إلى المرحلة التالية برؤية جديدة، ففي نهاية المرحلة الأولى توَصَّل الفكر البشري إلى فكرة التوحيد التي دفعته إلى المرحلة الثانية ، التي انتهت أيضًا بفكرة أنه من خلال الطبيعة يمكن تفسير الظواهر والأشياء .

وفي المرحلة الأخيرة ، يعتقد كونت أن كُل الظواهر الطبيعية تصبح مفهومة بالقوانين التي تحكم حركتها في الطبيعة، مثل قانون الجاذبية الذي أصبح يُفسَّر عددًا كبيرًا من الظواهر التي لم تكن مفهومة في الماضي .

أوغسطينوس وكتابه الاعترافات

وُلد الفيلسوف النوميدي اللاتيني أوغسطينوس أو أوغسطين (٣٥٤ م _ ٤٣٠ م) في طاغاست حاليًا سوق أهراس بالجزائر، التي كانت مدينةً تقع في إحدى مقاطعات مملكة روما في شمال أفريقيا.

كانت أمّه مونيكا أمازيغية ومسيحية مؤمنة . أمّا والده، فكان وثنيًا اعتنق المسيحية على فراش الموت. ورغم نشأته المسيحية ، فإنه ترك الكنيسة ليتبع الديانة المانوية خاذلاً أمّه .

تلقى تعليمه في روما ، وتعمّد في ميلانو . وعندما بلغ الحادية عشرة من عُمره أرسلته أسرته إلى مداوروش، مدينة نوميديّة تقع ٣٠ كم جنوبي طاغاست . وفي عُمر السابعة عشرة ذهب إلى قرطاج لإتمام دراسة علم البيان .

في شبابه عاش أوغسطينوس حياة استمتاعية ، وفي قرطاج كانت له علاقة مع امرأة ستكون عشيقته لمدة خمسة عشر عامًا . وخلال هذه الفترة ، ولدت له عشيقته ابنًا حمل اسم أديودادتوس.

كان تعليم أوغسطينوس في موضوعي الفلسفة وعلم البيان، علم الإقناع والخطابة. بعد أن عمل في التدريس في طاغاست وقرطاج ، انتقل عام ٣٨٣ إلى روما ، لظنه أنها موطن خيرة علماء البيان . إلا أنه سرعان ما خاب ظنه من مدارس روما ، وعندما حان الموعد لتلاميذه لكي يدفعوا ثمن أتعابه قام هؤلاء بالتهرب من ذلك . وعندئذٍ ، قام أصدقاؤه المانويون بتقديمه لوالي روما، الذي كان يبحث عن أستاذ لعلم البيان في جامعة ميلانو، تمّ تعيينه أستاذًا هناك ، واستلم منصبه في أواخر عام ٣٨٤ . في ميلانو ، بدأت حياة أوغسطينوس بالتحول. من خلال بحثه عن معنى الحياة بدأ يبتعد عن المانوية منذ أن كان في قرطاج ، خاصة بعد لقاء مخيب مع أحد أقطابها . وقد استمرت هذه التوجهات في ميلانو . توجّهت أمّه إليها لإقناعه باعتناق المسيحية، كما كان للقاءه بأمبروسيوس، أسقف ميلانو أثر كبير على هذا التحول. لقد أعجب أوغسطينوس بشخصية أمبروسيوس وبلاغته، وتأثر من مواظمه ، فقرّر ترك المانوية إلا أنه لم يعتنق المسيحية فورًا ، بل جرّب عدّة مذاهب وأصبح متحمسًا للأفلاطونية المحدثة . في صيف ٣٨٦ ، بعد قراءته سيرة القديس أنطونيوس الكبير وتأثره بها قرّر اعتناق المسيحية، وترك علم البيان ومنصبه في جامعة ميلانو ، والدخول في سلك الكهنوت. لاحقًا سيُفصّل مسيرته الروحية في كتابه الاعترافات .

قام أمبروسيوس بتعميده وتعميد ابنه في عام ٣٨٧ في ميلانو . وفي عام ٣٨٨ ، عاد إلى أفريقيا ، وقد تُوفيت أمّه وابنه في طريق العودة ، وقد تركاه دون عائلة .
بعد عودته إلى طاغاست ، قام بتأسيس دير . وفي عام ٣٩١ تَمَّت تسميته كاهنًا في إقليم هيبو (اليوم عنابة في الجزائر) .

أصبح واعظًا شهيرًا ، وقد تَمَّ حفظ أكثر من ٣٥٠ موعظة تُنسب إليه ، ويعتقد أنها أصلية .
وقد عُرفت عنه محاربته المانوية التي كان قد اعتنقها في الماضي .
وفي عام ٣٩٦ ، تَمَّ تعيينه أسقفًا مساعدًا في هيبو ، وبقي أسقف هيبو حتى وفاته . ورغم تركه الدير إلا أنه تابع حياته الزاهدة في بيت الأسقفية . والأنظمة الرهبانية التي حددها في ديره أهله أن يكون شفيع الكهنة .

تُوفِّي أوغسطينوس في ١٨ آب ٤٣٠ عن عُمر يناهز السادسة والسبعين، بينما كان الفاندال (إحدى القبائل الجرمانية الشرقية) يُحاصرون هيبو . شجّع أهل المدينة على مقاومة الفاندال ، وذلك لاعتناقهم الأريوسية. ويُقال أيضًا إنه تُوفِّي في اللحظات التي كان الفاندال يقتحمون أسوار المدينة .

يُلقَّب " القديس أوغسطينوس " بابن الدموع ، نسبةً إلى دموع أمّه التي كانت تذرفها لمدة عشرين سنة رغبةً منها خلال صلاتها أن يرجع ابنها إلى ديانته الأولى وهي المسيحية .
إن أوغسطينوس شخصية مركزية في المسيحية ، وتاريخ الفكر الغربي على حد سواء . وقد تأثر فكره اللاهوتي والفلسفي بالرواقية والأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة، وخصوصًا فكر أفلوطين مؤلف التاسوعات .

تعتبره الكنيسة الكاثوليكية والأنغليكانية قديسًا ، وأحد آباء الكنيسة البارزين ، وشفيع المسلك الرهباني الأوغسطيني . ويعتبره الكثيرون من البروتستانت (خصوصًا الكالفينيين) أحد المنابع اللاهوتية لتعاليم الإصلاح البروتستانتي حول النعمة والخلاص . وتعتبره بعض الكنائس الأرثوذكسية مثل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قديسًا .

تُعتبر " الاعترافات " أهم مؤلفات أوغسطينوس على الإطلاق، وهي أول سيرة ذاتية في الغرب، ولا تزال مقروءة في شتى أنحاء العالم . ويحكي فيها عن حياته ، ويبيّن كيفية عَرَفَ الله ، وانتقل بعد ذلك إلى الفكر المسيحي . وتتكوّن من ثلاثة عشر كتابًا ، وهي مكتوبة باللغة اللاتينية في الفترة (٣٩٧ _ ٤٠٠) .

أوفيد والشعر الشمواني

وُلد الشاعر الروماني بيليوس أوفيدْيوس ناسو (٤٣ ق.م _ ١٧ م) في سلمونا (في إيطاليا الآن) . عُرف بلقبه " أوفيد " . وقد كانت لأعماله آثار كبيرة على الأدب الغربي .

أرسله أبوه _ وكان رجلاً ثرياً من رجال الطبقة الوسطى _ ليدرس القانون في روما ، ولكنه صُدِم حين سمع أن ابنه يريد أن يكون شاعراً ، فأخذَ يَذكر لابنه ما لقيه هوميروس من مصير مُحزن ، فقد مات هذا الشاعر _ كما يقول أعلم الناس بأخباره _ فقيراً أعمى . وأثّر هذا التحذير في أوفيد ، فواصلَ دراسة القانون ، وارتقى حتى صار قاضياً في المحاكم البريتورية ، وأبى أن يتقدم ليكون كوسترا ، فحزن أبوه أشد الحزن ، لأن هذا المنصب كان يُؤَهِّله لأن يكون عُضواً في مجلس الشيوخ . كانَ أوفيد ذا نصيب موفور من الجمال ، والذكاء ، والعلم ، والمال ، فاستطاع بذلك أن يفتح جميع الأبواب المغلقة . وتزوَّج مرتين في شبابه ، وطلَّق زوجته .

اعتذر أوفيد عن عدم التغني بمجد الحرب . وكان على العموم يُفضِّل الشعر الغزلي ، أو كما يُسمِّيه هو " ظلال الزهرة الكسول " ، ولا يرغب في أكثر من أن يُسمَّى " المنشد المعروف بأساليبه التافهة " . وأغانيه هي بعينها أغاني جماعة التروبادور ، سبقتها بألف عام كاملة ، ومُوجَّهة مثلاً للسيدات المتزوجات . وهي تجعل المُغارَلة أهم أعمال الحياة .

لاقت قصائد أوفيد قبولاً لا بأس به من المجتمع الروماني . وظلَّت بعض الأسر العظيمة أمثال: الفابين ، والكرفينيين ، والبمبونيين ، تستضيف أوفيد في بيوتها . وازدهى الشاعر بما ناله من نصر ، فأصدرَ كتاباً في التغرير بالنساء سمَّاه " فن الغرام " . يقول فيه : ((لقد عَيَّنتني الزهرة مُعلِّماً للحُب)) . وهو يُحذِّر قُرَّاءه تحذيراً ينطوي على العِفة والطهارة ، فيقول إن أمثاله يَجِب ألا تُطبَّق إلا على الجوّاري والسراري . ولكن ما يفيض به الكتاب من تصوير للصدقات الوثيقة ، ومواعيد اللقاء السَّريّة ، والرسائل الغرامية ، ومن هزل وفُكاهة ، وخيانة أزواج ، وخادِمات مُحتملات ماهرات . كُل هذا يُوجي بأن الكتاب إنما يُصوِّر أحوال الطبقتين العُليا والوسطى في روما .

كتب أوفيد في موضوع " علاج الحب " ، حيث قال إن خير علاج من داء الحب هو العمل الشاق ، ثم يليه في القوة الصَّد ، ويأتي بعدهما الغياب ، ومن المفيد أيضاً أن تُفاجئ حبيبك في الصباح قبل أن تتم زينتها . ثُمَّ كتب رسالةً شعريّة في أصباغ التجميل وأدهانه ، أخذ ما فيها عن اليونان . ولاقت هذه الكتابات رواجاً عظيماً ، وانتشرت بسببها سُمعة أوفيد السيئة في كل مكان .

في السنة الثالثة بعد الميلاد تزوج أوفيد للمرة الثالثة، وكانت زوجته الجديدة من أكبر الأسر الراقية في روما ، واستقرَّ الشاعر ، وكان وقتئذ في السادسة والأربعين من عمره، في حياته المنزلية الهادئة . ويبدو أنه هو وزوجته قد تبادلوا الوفاء والإخلاص والهناء ، وفعلت به السن ما لم يفعل به القانون ، فأُخِمِدَت نيران عواطفه ، وصار شعره جديراً بالاحترام .

نشر أوفيد في عام ٧ م (تقريباً) أعظم مؤلفاته على الإطلاق ، وهو كتاب " التحولات " . ويتألف من خمسة عشر سِفْراً، تتحدث في شعر سداسي عن تحوُّل الجماد والحيوان والناس والآلهة . وإذا كان كل شيء في الأساطير اليونانية الرومانية، إلا القليل النادر، قد بدَّل صورته، فقد استطاع أوفيد بفكرته هذه أن يغترف من بحر الأساطير القديمة كُلِّها إلى تأليه قيصر، وكانت كتاباته هي القصص التي ظلت ذات شأن عظيم في برامج الكليات جميعها .

قام الإمبراطور أغسطس بنفي أوفيد إلى بلدة تومي الباردة الهمجية الواقعة على ساحل البحر الأسود . وهذه الكارثة لم يكن الشاعر مُستَعِدّاً لِتَحْمُلِها في مثل سنِّه ، وكان قد أتمَّ في هذا الوقت إحدى وخمسين عاماً ، وفرغ للتوّ من قصيدة من الشَّعر الجيِّد يُتْنِي فيها على الإمبراطور، ويعترف فيها بأن سياسته قد نشرت لواء السلام والأمن والرفاهية التي يستمتع بها الجيل الذي يعيش فيه أوفيد .

ولم تتضح الأسباب التي دفعت الإمبراطور إلى نفي الشاعر . لكن هناك إشارة بعيدة . فقد نفى الإمبراطور في الوقت نفسه حفيدته يوليا ، وأمر بإخراج كُتُب أوفيد من دور الكتب العامة . ويبدو أن الشاعر كان له بعض الشأن في مسلك يوليا الشائن . أمّا هو نفسه فيقول إنه عُوقِب بسبب "خطأ" وقع فيه ، وبسبب قصائده .

حقَّق أوفيد شهرةً خالدة، وكان له في العصور الوسطى أثرٌ عميق، وأضحى كتاباه " التحولات " و "الهيرويدات" مصدراً لكثير من روايات الحب في تلك العصور . واستمدَّ منه الشعراء كثيراً من موضوعاتهم . ووجد مُصَوِّرو النهضة في أشعاره الشهوانية كنزاً من الموضوعات . ويمكن القول إن أوفيد كان أعظم شاعر وجداني إبداعي في العصر العقلي الاتباعي .

وانقضى بِمَوْتِه عهد من العهود الزاهرة في تاريخ الأدب . ولا جدال في أن عصر الإمبراطور أغسطس لم يكن من أزهى عصور الأدب ، كما كان عصر بركليز في اليونان ، أو عصر إليزابيث في إنجلترا . ومع هذا ، فقد استطاع أوفيد أن يُخلد اسمه في عالم الأدب والفكر والثقافة ، وأن يَشُقَّ طريقه رغم كل الصعوبات والعقبات .

أوكتافيو باث ومناهة العزلة

وُلِدَ الشاعر المكسيكي أوكتافيو باث (١٩١٤ _ ١٩٩٨) في إحدى ضواحي مدينة مكسيكو العاصمة لأب مكسيكي وأم من جنوب إسبانيا . كان والده محامياً وسياسياً مُؤيِّداً لثورة زاباتا التي اندلعت عام ١٩١٠ ، ولكنه كان مدمناً على الخمر ، ولقي حتفه في حادث قطار . أمّا أمّه فكانت منذ طفولته تَحُثُّه على الدراسة ، وفيما بعد على كتابة الشعر ، وتُشجِّعه على تحقيق طموحاته الأدبية رغم أنها كانت أُمّية .

حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٠ ، ليكون بذلك أوّل شاعر وأديب مكسيكي يفوز بهذه الجائزة . عُرِفَ بمعارضته الشديدة للفاشية ، وعمل دبلوماسياً لبلاده في عدّة دُول . تشعّب نشاطه في عدة مجالات . وبالإضافة إلى كونه شاعراً ، فقد كتب أيضاً العديد من الدراسات النقدية والتاريخية والمقالات السياسية .

نشر باث أوّل أشعاره وهو في السابعة عشرة من عُمره ، ثُمَّ التقى بالشاعر التشيلي بابلو نيرودا ، وتأثّر بِشِعْره . وفي عام ١٩٣٦ ، شجَّعه نيرودا على زيارة إسبانيا لحضور مؤتمر الأدباء بمدينة فالنسيا ، وكانت الحرب الأهلية الإسبانية على أشدها في ذلك الوقت .

التحق باث بالسلك الدبلوماسي عام ١٩٤٥ ، وعمل به لمدة ثلاثة وعشرين عاماً . وعيّن سفيراً لبلاده في كل من فرنسا وسويسرا والهند واليابان ، وكانت له صلات وثيقة بأقطاب الحياة الثقافية في كل البلدان التي عمل بها . وقد استقال من السلك الدبلوماسي عام ١٩٦٨ ، احتجاجاً على سياسة حكومته تجاه الطلبة ، عندما قامت السلطات في المكسيك باستخدام العنف في قمع مظاهرات الطلبة ، ممّا أدّى إلى مصرع حوالي ثلاثمائة طالب . ومنذ ذلك الوقت تفرَّغ باث للعمل في الصحافة . شملت كتاباته الشعرَ والفنَ والدينَ والتاريخَ والسياسةَ والنقدَ الأدبي . ونُشِرت له خمسة دواوين شعرية ، صدر أوّلها عام ١٩٤٩ ، وآخرها عام ١٩٨٧ .

يُعتَبَر كتابه " مناهة العزلة " (١٩٦١) من أهم أعماله على الإطلاق ، وقد أشادت به الأكاديمية السويدية عندما منحته جائزة نوبل . وحاول فيه باث أن يتحرّى عن شخصية الإنسان المكسيكي ، ويسبر أغوارها . وهذا الكتاب عبارة عن بحث في التاريخ الروحي للمكسيك ، في طُقُوسه وعاداته الموروثة ، من أيام الأزتيك (سُكان المكسيك القدامى) . وهي أيضاً نظرة تأمل مُعمّقة في الأوضاع التي أثّرت في تحديد طبيعة المكسيكيين وتاريخهم .

وذكرت الأكاديمية السويدية أن أوكثافيو باث فاز بجائزة نوبل ، لا لعمل مُعَيَّن من أعماله الأدبية ، ولكن تكريمًا لمجمل كتاباته الشعريّة والنثرية المتّعدة بالعاطفة ، والتي تتّسم بآفاق ثقافية واسعة ، وتتميّز بذكاء وطاقّة إنسانية وقّادة .

تركت رحلاته الكثيرة في العالم آثارًا واضحة في حياته وأعماله، وفي الأدب الأمريكي اللاتيني. وفي عام ١٩٤٤، حدث في حياته تحوّل كبير كان له تأثير واضح في تكوينه الثقافي والفني . فقد تلقّى منحة دراسية لمدة سنتين في الولايات المتحدة ، حيث تعمّق في دراسة الشعر الإنجليزي ، وبدأ شعره يكتسب خصائص مُميّزة، مُستفيدًا من تقاليد الشعر الإنجليزي ، فكتب قصائد طويلة ، وأدخل القصة في القصيدة مُستخدمًا لغة المحادثة، وهو ما ظهر واضحًا في مجموعته الشعريّة " الحرية بضمانة الكلمة " (١٩٤٩) .

أمّا إقامته في فرنسا (١٩٤٦ - ١٩٥١) فأدخلته في خضم المغامرة السريالية ، وهي الحركة الشعريّة التي أحسّ بأكبر تألّف روحي وجماليّ معها. فالسريالية عند باث هي نشاط حيوي يستند إلى أفكار التمرد والحب والحرية . وهذه السريالية تمرّد شامل يهدف إلى تحطيم قيم الحضارة الغربيّة، واستعادة الحالة الطبيعيّة للكائن البشري. وتقترب السريالية لدى باث بالميثولوجيا الأرتيكية القديمة . ولمّا ذهب إلى اليابان عام ١٩٥٢، اكتشف الهايكو ، وهي قصائد الشعر الياباني التقليديّة . وتتميّز باقتضابها اللفظي ، وهيمنة الصورة والمفاجأة الأخيرة ، فحاكاها بمجموعة من المقطوعات ، جمعها في كتاب " بذور من أجل نشيد " (١٩٥٤) .

ولكنّ إقامته في الهند سفيرًا لبلاده (١٩٦٢ - ١٩٦٨) كانت أشدّ حسماً في التأثير على شخصيته ورؤيته للعالم . فقد كان يتّفق مع الفكر الشرقي ممثلاً بالبوذية التي تغلغل في شعره في السّتينيات . ولا سيّما في " أبيض " (١٩٦٧) . وفي " السفح الشرقي " (١٩٧١) .

وصار باث محط اهتمام النقد المتخصّص ، مُنذ صدور " القوس والقيشارة " (١٩٥٦) ، و" حجر الشمس " (١٩٥٧) . وأبحاثه النقدية الكثيرة لا تقل أهميةً عن أعماله الشعريّة ، فقد أورد فيها تأملاته حول الظاهرة الشعريّة ، وطبيعة القصيدة ومكوّناتها (اللغة والإيقاع والصورة) ، ومكانتها في التاريخ ، ووظيفتها في عصرنا . وقد تُرجمت أعماله الشعريّة والنقدية ومقالاته السياسية التي بلغ عددها أكثر من ثلاثين كتابًا إلى لغات كثيرة كالعربية والفرنسية والإنجليزية والروسية . ومن هذه الترجمات تعرّف الكثيرون على ما تركه أحد عمالقة الأدب العالمي المعاصرين .

أونوريه دي بلزاك ونخازة الإنتاج

وُلد الروائي الفرنسي أونوريه دي بلزاك (١٧٩٩ - ١٨٥٠) في مدينة تور الفرنسية . كان والده كاتب ضبط عدلياً على قَدْرٍ مِنَ الثقافة والتنوير ، أمّا أمُّه فكانت امرأة فظة جافة عُرِفَتْ ببرود علاقاتها مع أبنائها .

في عام ١٨١٣ ، اضْطُرَّ بلزاك لقطع دراسته مُوقَظاً نتيجة مصاعب عقلية ، إلا أنه استكملها بعد أن رَجَعَ إلى طَوْرِهِ عام ١٨١٦ ، وظهرت تباشير موهبته الأدبية مُبَكِّراً . ومع مطلع عام ١٨٣٢ ، ظهرت المجموعة الأولى من سلسلة "قصص فكاهة" وأتبعها بالجزء الثاني (١٨٣٣) ، ثم برائعته "أوجيني جرانديه" التي بلغ بها أوج شهرته ، وهذا ما سمح له بنشر أعمال أخرى .

تناول بلزاك في رواياته جميع الأفكار والمذاهب الأدبية . ففي الرواية الفلسفية ، أَلَفَ " التحفة المجهولة " ، وفي الرواية الخيالية ، أَلَفَ " الجلد المسحور " . وفي الرواية الشعرية ، أَلَفَ " الزنق في الوادي " . وفي الرواية الواقعية ، أَلَفَ " الأب غوريو " . ويُعتبر مع فلوبيير ، من أهم مؤسّسي الواقعية في الأدب الأوروبي .

وقد كان بلزاك من مُدمني العمل الأدبي ، ممّا أثّر على وضعه الصحي (تُوفِّي في سن مُبَكِّرة عن عمر ناهز الحادية والخمسين) . حاول خلال عُمره القصير أن يجمع المال وينمي القصور ، لكن كُل تجارته كسدت ، وكل مشاريعه أفلست ، فحاصرتهُ الأزمات المالية . وحين جَرَّبَ حظه مع الأدب لم يفكر أنه سيصبح أديباً عالمياً خالداً ، وإنما كان مُبتغاه أن يستميل قلوب النساء المتأدّبات الناضجات اللواتي كان شغوفاً بهن ، لكن الحب أيضاً ظلَّ كالمال، يتأبى عليه ، ويبتعد عنه .

لقد عانى في حياته من الديون التي أثقلت كاهله بسبب الاستثمارات المحفوفة بالمخاطر التي غامر بالقيام بها ، وقضى عُمره فارّاً من دائنيه مُخْتَفِياً ومُتَقَمِّصاً أسماء وهمية ، وعاش في منازل مختلفة . كما عاش مع العديد من النساء قبل أن يتزوج في ١٨٥٠ من الكونتيسة " هانسكا " التي ظلَّ يتودّد إليها لأكثر من سبعة عشر عاماً .

كانت حياة بلزاك _ بحد ذاتها _ لُغْزاً عجيّباً ، فقد كُتِبَ مئات الكتب في حياة قصيرة وقَلِقة . وأيضاً ، كيف استطاع الجمع بين الإسهاب والإجادة في بعض أعماله ؟ . إن هذا الأمر يكشف حقيقة هذا الرَّجل وعبقريته . وبشكل عام ، إن حياة المبدع الخاصة وتجربته في الحياة ، هي التي

تحدّث على لسانه ، وتعبّر عن نفسها من خلاله . وإن بلزك_الذي ترى في كنف كاتب عدلي _، كانت الأوراق والأقلام هي كل حياته ، أو بالأحرى أسلحته لمُقارعة الحياة . لذلك كان يكتب ثماني عشرة ساعة يوميًا ، كما أن طفولته المعبّدة بعض الشيء ساهمت في تفريغ مشاعره وأحاسيسه على الورق ، والتعبير عن ذاته بوضوح وصدق .

كانت بدايات بلزك مثل الكثير من مُعاصريه ، مليئة بالغثاثة والارتباك السردية . وكانت قصصه ورواياته تُعاني الكثير من العيوب ، مثل: ازدحام حشد غير معقول من الشخصيات الثانوية التي تصعب السيطرة على تنظيم أدوارها وأصواتها في حوارات قصة واحدة ، من كاهن مُتحدلق لا ينطق إلا بالحكم والأمثال ، إلى خادمة جوفاء لا تعرف أن تكتم سرًا ، ولا يهدأ لها لسان ، وغيرهما من شخوص يُشكّلون عبئًا حقيقيًا على الكثير من قصصه، وينخرون بُنيته من الداخل، وهو ما تنجم عنه قصة أو رواية غثّة ، وحبكة مهزوزة غير متوازنة في نهاية التحليل .

وبفضل تجربته المكثّفة والمتواصلة في الكتابة ، اهتدى بلزك في أعماله المتأخرة إلى تجاوز الكثير من هذه النقائص السردية ، وقَدّم روايات أطول وأكثر انسجامًا وتماسكًا ، وهنا ظهرت عبقرية وقدرته على تأسيس بدايات الرواية الحديثة مع رؤية واقعية هي التي سيشتهر بها لاحقًا . وهي التي يعود لها الفضل في ترسيخ اسم بلزك في تاريخ الأدب الروائي .

وأهم ما يميّز هذه الواقعية هو القدرة على التقاط مشاهد الحياة العادية، وتحويلها إلى أيقونات متناسقة لرؤية مُوحّدة للحياة، مع تركيز خاص على القضايا الأخلاقية العاصفة التي كانت تهز المجتمع الفرنسي المفجوع بإخفاقات الثورة التي تحوّلت من حلم للملايين، إلى وحش هائج يأكل أبناءه، رغم الشعارات البرّاقة التي حملتها في البدء، فكان بلزك بذلك شاهدًا على عصر التحولات بين أحلام القرن الثامن عشر وكوابيس التاسع عشر، ورومانسيته أيضًا .

وفي واقع الأمر ، إن تصنيف أدب بلزك الروائي يحوي في حد ذاته أكثر من مخاطرة ، فنظرًا لكثرة وتنوّع ما كتب من قصص ، نجد البعض يصفه كأب للواقعية ، أو للرواية البوليسية ، أو للرواية الجديدة ، وغيرها . ولعل السبب في ذلك أيضًا أن المصنّفين ينطلق كل منهم من جزء من أعماله دون جزء آخر، وهي أعمال غير متناسقة مع بعضها البعض، إن لم نقل إنها غير متكاملة وغير كاملة بطبيعة الحال ، شأن أي عمل أدبي .

من أبرز رواياته : أوجيني جرانديه (١٨٣٣) . الأب غوريو (١٨٣٥) . الأوهام الضائعة (١٨٣٧ _ ١٨٤٣) . العمة بيت (١٨٤٦) . مباحج ومآسي العشيقات (١٨٤٧) .

إيتالو كالفينو والخيال التاريخي

وُلد الروائي الإيطالي إيتالو كالفينو (١٩٢٣ - ١٩٨٥) في كوبا، ونشأ في سان ريمو بإيطاليا. كان والده مهندساً زراعياً وعالم نباتات، كما قام بتدريس الزراعة وزراعة الزهور. وكانت والدته عالمة نباتات وأستاذة جامعية .

في عام ١٩٤١ ، التحق كالفينو بجامعة تورينو ، حيث اختار كلية الزراعة . وكان والده قد سبق له تدريس دورات في الهندسة الزراعية. أخفى طموحاته الأدبية لإرضاء عائلته ، واجتاز أربعة امتحانات في سنته الأولى بينما كان يقرأ أعمالاً مُناهضة للفاشية . انتقل كالفينو إلى جامعة فلورنسا في عام ١٩٤٣ ، وقَدَّم على مضمض ثلاثة امتحانات في الزراعة . وبحلول نهاية العام ، نجح الألمان في احتلال ليغوريا وإقامة جمهورية سالو التابعة لموسوليني في شمال إيطاليا . رفض كالفينو الخدمة العسكرية ، وتوارى عن الأنظار خوفاً من التجنيد .

حصل كالفينو على شهادة الماجستير في عام ١٩٤٧ ، وكانت أطروحته عن جوزيف كونراد. وكتب قصصاً قصيرة في وقت فراغه ، وحصل على وظيفة في قسم الدعاية في إحدى دور النشر. اهتم كالفينو في الستينيات بالمدارس النقدية والفلسفية الجديدة في فرنسا عمومًا ، وبرولان بارت وجاك دريدا على وجه الخصوص . ممَّا أثارَ كثيرًا على طبيعة أعماله الروائية ، ومنحها عُمقًا فلسفيًا ، وأسبغَ على نظريته إلى الأشياء والعالم طابعًا جَدِّيًا مختلفًا عمَّا هو سائد . اشتهر بروايته الثلاثية " أسلافنا " (١٩٥٢ - ١٩٥٩) . وقد استغرب الكثيرون من مُتابعيه عدم حصوله على جائزة نوبل للآداب ، وموته في الثمانينيات من القرن الماضي ، وذهابها بعد ذلك بسنوات قليلة، أي عام ١٩٩٧ إلى موطنه داريو فو ، الكاتب والممثل المسرحي ، الذي قَبِلَ منحه جائزة نوبل كان مغمورًا خارج بلده . يمتاز كالفينو برواية الخيال التاريخي ، والمرج الرائع بين الواقع والأسطورة ، عبر لغة جميلة وسرد روائي مُحكَّم ، ممَّا جعل كالفينو يتربع على عرش الرواية الإيطالية والعالمية مع كبار الروائيين ، ويُسجَل اسمه في سجل الخلود الأدبي العالمي .

قال عنه كارلوس فوينتس : ((إن القارئ لا يجد صعوبة في أن يُدرك بأن رواية ما غير مُوقَّعة هي من روايات الكاتب الإيطالي إيتالو كالفينو . إذ يكفي بعد قراءتها أن يشعر بالحسد تجاه هذا الكاتب الذي استطاع أن يهتدي إلى الفكرة قبل أن تهتدي إليها أنت . و هكذا تكون كل روايات إيتالو كالفينو ما ترغب أنت أيضًا و بشدة في أن تكتبه)) .

يتحدث كالفينو عن اقتران الأدب بالسياسة في الحياة المعاصرة. وبعد أن يستعرض سلبيات تأثير السياسة على الأدب ، يرى أن الأدب مع ذلك ضروري للسياسة عندما يُعطي صوتاً لِمَا هو من دُون صوت ، وعندما يُعطي اسماً لمن لا اسم له ، ويُشَبِّه الأدب في هذه الحالة بالأُذن التي تستطيع سماع أشياء أبعد من نطاق فهم لغة السياسة ، أو هو شبيه بالعين التي تستطيع أن تُبصر أبعد من نطاق الطيف الذي تلاحظه السياسة. ويستدرك بأن هناك أيضاً نوعاً آخر من التأثير الذي يمكن للأدب أن يُمارسه ، من جانب الكاتب، وهذا يتمثل في القدرة على فرض نماذج من اللغة والرؤية والخيال والجهد العقلي والترابط المنطقي للحقائق ، بابتكار نموذج من القيم ، هي في وقت واحد جمالية وأخلاقية وضرورية لأي خطة عمل ، خاصة في الحياة السياسية .

ويرى أن أية نتيجة تُكتسب عن طريق الأدب، قد تُعتبر أرضاً صلبة لجميع الأنشطة العملية لأي شخص يركن إلى عقله ، ويكون قادراً على استيعاب الفوضى التي تسود هذا العالم . في عام ١٩٤٧ ، كتب كالفينو روايته الأولى " الطريق إلى عُش العناكب " ، وباع منها خمسة آلاف نسخة، وهو نجاح مُفاجئ في إيطاليا ما بعد الحرب. وعلى مدى سبع سنوات، كتب كالفينو ثلاث روايات واقعية: العربية البيضاء (١٩٤٧-١٩٤٩). الشباب في تورينو (١٩٥٠-١٩٥١). قلادة الملكة (١٩٥٢-١٩٥٤) .

في الفترة (١٩٥٥ - ١٩٥٨) كان كالفينو على علاقة مع الممثلة الإيطالية إلسا دي جيورجي ، وهي امرأة مُسنّة متزوجة . وقد نُشرت مقتطفات من مئات رسائل الحب التي كتبها لها كالفينو . خاب أمل كالفينو من الغزو السوفييتي للمجر عام ١٩٥٦ ، وغادرَ الحزب الشيوعي الإيطالي . وفي خطاب استقالته ، شرح سبب مُعارضته : " قمع الانتفاضة الهنغارية والكشف عن جرائم جوزيف ستالين " ، بينما أكّد ثقته في " وجهات النظر الديمقراطية للشيوعية العالمية " . انسحب كالفينو من الحياة السياسية ، ولم ينضم قَط إلى حزب آخر . على الرغم من القيود الصارمة في الولايات المتحدة ضد الأجانب الذين يحملون وجهات نظر شيوعية ، سُمح لكالفينو بزيارة الولايات المتحدة ، حيث بقي ستة أشهر من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٠ . خلال صيف ١٩٨٥ ، أعد كالفينو سلسلة من النصوص حول الأدب من أجل تقديم محاضرات في جامعة هارفارد في الخريف . وفي ٦ سبتمبر / أيلول ، أُدخل إلى المستشفى ، حيث تُوفّي أثناء الليل بين ١٨ و ١٩ سبتمبر بسبب نزيف دماغي . نُشرت محاضراته بعد وفاته باللغة الإيطالية في عام ١٩٨٨ ، وباللغة الإنجليزية تحت عنوان "المذكرات الست للألفية التالية" في عام ١٩٩٣ .

إيفان بونين والتأثر بالقرآن

وُلد الأديب الروسي إيفان بونين (١٨٧٠ _ ١٩٥٣) بمدينة فورونيغ في عائلة نبلاء . قضى طفولته في القرى المجاورة لبيت العائلة ، يرعى الماشية مع الصبيان من أبناء الفلاحين ، وربطته علاقات الصداقة مع بعضهم . وهذه العلاقة مع الطبيعة صارت الموضوع الرئيسي لإبداعه الأدبي شعراً ونثراً .

تعثر بونين في حياته الدراسية ، واضطُرَّ لإعادة أحد الصفوف ، وواصل التعليم لاحقاً بصورة مستقلة تحت إشراف شقيقه . وفي خريف ١٨٨٩ بدأ العمل في إحدى الصحف المحلية ، ونشر فيها قصصه وأشعاره ، وخصَّصَ له عمود دائم في الصحيفة ، وكان يكسب رزقه من الكتابة الأدبية . تلقى أولى الصدمات في حياته في عام ١٨٩٣ ، حيث أفلس والده ، وباع ممتلكاته . ووجد الأديب الشاب نفسه وحيداً في هذا العالم ، بلا دعم مالي ولا عائلي .

تعرّف بونين أثناء عمله في الصحيفة على ابنة طبيب في المدينة ، كانت تعمل في مراجعة النصوص قبل طبعها . وقرَّر الارتباط بها ، لكنَّ عائلتها عارضت زواجها من كاتب فقير . وكانت هذه الصدمة الثانية في حياته . وقد أثَّرت عليه سلِّباً فابتعد عن الناس ، حتى اعتبروه شخصاً جافاً وبارد الأحاسيس . والحقيقة أنه كان من الأشخاص الذين يُخفون مشاعرهم ، ولا يكشفون خفايا نفوسهم . أبدى بونين اهتماماً خاصاً بأفكار الروائي الشهير تولستوي الذي كان يُوصي بالعودة إلى الطبيعة ، واتباع أسلوب حياة بسيط . وفي يناير عام ١٨٩٤ زار تولستوي في ضيعته ، وأقنعه بالعدول عن الغلو في حياة البساطة التي كان يدعو إليها أتباعه .

وفي عام ١٨٩٥ هربت منه صديقته كي تتزوَّج أحد أصدقائه . وكانت هذه الصدمة الثالثة في حياته . تأثَّر بهذه الحادثة كثيراً ، وقرَّر أن يبدأ حياته من جديد ، ويُقيم قطيعةً مع الماضي ، فانتقل إلى موسكو ، حيث انخرط في الأوساط الأدبية ، وحقَّق هناك نجاحاً باهرًا ، كما أنَّه التقى مشاهير الأدباء والنُّقاد في ذلك العصر . قام بونين برحلات كثيرة إلى أوروبا وأفريقيا والشرق الأوسط ، تركت فيه انطباعات شديدة ، ظهرت في قصصه التي لقيت إقبالاً كبيراً لدى القراء ، وبرز اسمه باعتباره واحداً من أفضل كُتَّاب روسيا في تلك المرحلة .

وفي عام ١٩٠١ ، نشر ديوانه " سقوط أوراق الشجر " ، الذي اعتبره النُّقاد عملاً شعرياً مُتميِّزاً . وهذا النجاح الباهر كان سبباً في حصوله على جائزة بوشكين (١٩٠٣) التي تُقدَّمها

أكاديمية العلوم الروسية إلى الأدباء سنوياً . وقد فاز بهذه الجائزة للمرة الثانية عام ١٩٠٩ عن قصته " ظل الطير " وترجمته لقصائد الشاعر الإنجليزي بايرون إلى اللغة الروسية .

كانت روايته القصيرة " القرية " (١٩١٠) هي الانطلاقة الحقيقية نحو العالمية ، فقد أحدثت ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية، حيث صوّرت الرُّوح الروسية وأسسها المضيئة والقائمة والمأساوية. أصبح بونين ظاهرة أدبية مُتميّزة بروسيا في النصف الأول من القرن العشرين ، رغم اضطرابه للهجرة من وطنه إلى فرنسا عام ١٩١٨ بعد قيام الثورة البلشفية (١٩١٧) .

وخلال الفترة (١٩٢٧ - ١٩٣٠)، كتب مجموعة من القصص القصيرة مثل " الفيل " ، و " الشمس فوق الدار " وغيرها . وحاول إيجاد تقنيات جديدة في الألفاظ والمعاني ، وتوليد أشكال جديدة للكتابة الموجزة التي أرسى دعائمها تولستوي وتشيكوف .

وفي عام ١٩٣٣ مُنح بونين جائزة نوبل للآداب عن روايته " حياة أرسينيف " ، ليكون بذلك أول كاتب روسي يفوز بهذه الجائزة العالمية . ومِمَّا قِيلَ في حفل تسليم الجائزة : ((بقرار من الأكاديمية السويدية تُمنح الجائزة لإيفان بونين على الموهبة الفنية الحقّة التي تَمَكَّن بواسطتها من إعادة خلق الشخصية الروسية بقالب نشري جميل)) .

درس بونين القرآن الكريم ، واشتَهَرَ بِشَغْفِهِ بالشرق . ومع أنّه قد سافر إلى بلاد كثيرة ، إلا أنّه كان يعود إلى البلاد الإسلامية ، وكأنه يُلبّي نداءً ساكناً في أعماقه . لقد شاهد جوانب كثيرة من الحياة الإسلامية، وصارَ يشعر أنّه صُوفي مُتحمّس ، وكتب قصائد عن ليلة القدر ، والحجر الأسود، والحجيج، ويوم الحساب . وتُعتَبَر قصيدة " السر " من أبرز قصائد بونين ، وهذه القصيدة مُرفقة باقتباس من القرآن .

وكان يحمل القرآن في حقيبة سفره طوال حياته ، حتى إنّ أسلوبه في الكتابة _ في بعض الأحيان _ كان يتبع القرآن بشكل مباشر، وأحياناً كان يُكرّر الآيات القرآنية . لقد شَعَرَ أنّه الوارث الشرعي لبوشكين (الشاعر الروسي الكبير) في " محاكاة القرآن "، وكتابة القصائد المستوحاة من المعاني القرآنية .

من أبرز أعماله: تحت السماوات المفتوحة (١٨٩٨). القرية (١٩١٠). كأس الحياة (١٩١٥)، معبد الشمس (١٩١٧) . ضربة شمس (١٩٢٧) .

إيفند يونسون وطبقة العَمَال

وُلد الأديب السويدي إيفند يونسون (١٩٠٠ - ١٩٧٦) في بودن ، وتُوفِّي في ستوكهولم . يُعتَبَر من أدباء طبقة العمال ، وأحد رُوّاد الأدب السويدي الحديث . أصبح عضوًا في الأكاديمية السويدية في عام ١٩٥٧ ، وفاز بجائزة نوبل للآداب في عام ١٩٧٤ مُناصفةً مع الأديب السويدي هاري مارتنسون .

كان أبواه فقيرين . وكان من المُكافحين، فقد خَرَج من طبقة العُمَال ، التي لا تختلف مُعاناتهم في الحياة اليومية في أي مكان . غادرَ يونسون المدرسة في سن الثالثة عشرة ، ثمَّ عمل في عدَّة وظائفٍ مثل : العمل في مطحنة، وبائع تذاكر في السينما ، من أجل كسب قُوت يَوْمه . لذلك كان يُثَقِّف نفسه ذاتيًا من خلال المطالعة المستمرة ، دون الاعتماد على المدرسة أو الأساتذة .

في عام ١٩١٩ ، غادر مسقط رأسه، وانتقل إلى ستوكهولم، حيث بدأ ينشر المقالات في المجالات. وكوّن صداقات مع الكتّاب الشباب البروليتاريين . والبروليتاريا مصطلح ظهر في القرن التاسع عشر ضمن كتاب بيان الحزب الشيوعي لكارل ماركس وفريدريك إنجلز، يُشير فيه إلى الطبقة التي ستتولد بعد تحوُّل اقتصاد العالم من اقتصاد تنافسي إلى اقتصاد احتكاري، ويقصد ماركس بالبروليتاريا ، الطبقة التي لا تملك أي وسائل إنتاج، وتعيش من بيع مجهودها العضلي أو الفكري .

استفادَ من حياته القاسية في كتاباته الأدبية ، وتأثَّر تأثُّرًا كبيرًا بالثقافة الأوروبية وتقاليدها ، نظرًا للسنوات الطويلة التي قضاها في مُدن أوروبا . فقد سافر إلى ألمانيا في العشرينيات من القرن العشرين، وعاش بالقرب من باريس في الفترة (١٩٢٧ - ١٩٣٠) مع زوجته آيس كريستوفرسن (١٩٠٠ - ١٩٣٨). وقد وقف يونسون بقوة ضد الفاشية والنازية. وخلال الحرب العالمية الثانية، كان رئيس تحرير إحدى المجالات ، ونشر روايات تتناول أحداث الحرب .

بدأ مسيرته الإبداعية بمجموعة قصصية " الغرياء الأربعة " (١٩٢٤) . وانتقل بعد ذلك إلى كتابة الرواية. كان قريبًا من الأحداث السياسية والصراعات الإنسانية التي كانت تدور في عصره. ومع هذا ، فقد شملت رواياته جميع الاتجاهات . ولم يتجاهل الواقع المجتمعي الذي كانت تعيشه البلاد التي مرَّ بها . فقد كانت رواياته وما زالت، موسوعة كبيرة، لكل من أراد التعرف على

أوروبا سياسةً ومجتمعًا ، في تلك الفترة التي عاشها. وصار يونسون مرآةً لأوروبا ، ومرجعًا لكل شخص يُريد أن يعرف تفاصيل الأحداث التي لم تتناولها كتب التاريخ .
وفي عام ١٩٤٦ ، نشر إحدى أشهر رواياته " العودة إلى إيثاكا " استنادًا إلى قصة أوديسيوس كما يعود إلى إيثاكا بعد حرب طروادة .

تزوَّج يونسون المترجمة سيلا يونسون في عام ١٩٤٠ . وعاشَ مع عائلته في سويسرا في الفترة (١٩٤٧ - ١٩٤٩) .

نشر رواية " أيام سعادته " عام ١٩٦٠ ، وكانت مِن ضمن أعماله التي رصد فيها ، وحلَّل أغلب خصائص الحكم المستبد ، وما أثر ذلك على حياة الإنسان ، وما يُواجهه من مصاعب في الحرب والسَّلم . وفي تلك الفترة ، اتَّهمه اليسار بالتعاطف مع أمريكا ومُناوأة الشيوعية.
لقد خرج يونسون مِن طبقة العُمَّال ، وبنى نفسه بنفسه ، وكافحَ وناضلَ ، وألَّفَ روايات أبهرت الجميع . وآمنَ بالمجتمع العُمَّالي الذي نشأ فيه، وقاومَ سيطرة الآلة والماكينات عليه . وحصل على جائزة نوبل بالاشتراك عن روايته " مدينة في الظلام " (١٩٢٧) .

وكان اختيار يونسون وهاري مارتنسون للفوز بجائزة نوبل في عام ١٩٧٤ مُثيرًا للجدل، حيث كان كلاهما في لجنة نوبل نفسها . وكان غراهام غرين ونابوكوف وبورخيس المرشَّحين المفضَّلين في ذلك العام .

من أبرز رواياته : المطر عند الفجر (١٩٣٣) . عودة الجندي (١٩٤٠) . أحلام الورود والنار (١٩٤٩) . بعض الخطوات نحو الصمت (١٩٧٣) .

إيفو أندريتش ومُعاهدة الإسلام

وُلد الأديب والسياسي البوسني اليوغسلافي إيفو أندريتش (١٨٩٢ - ١٩٧٥) في مدينة ترافنيك في البوسنة . هو بوسني الأصل ، ولكنه أعلن أنه صربي بعد الحرب العالمية الثانية، بسبب انتمائه إلى صرب البوسنة .

تُوِّفِي والده وهو ابن عامين، وأنهى دراسته الثانوية بصعوبة في مدينة سراييفو (عاصمة البوسنة والهرسك)، ودرس الأدب والتاريخ في زغرب (عاصمة كرواتيا) في الفترة (١٩١٢ - ١٩١٣)، وفيينا (عاصمة النمسا) في الفترة (١٩١٣ - ١٩١٤) .

نشأ أندريتش في بيئة متمازجة من المسلمين والمسيحيين واليهود ، وهذا الأمر ترك بصمةً مؤثرةً في رواياته . بدأ حياته سياسياً في خدمة الأهداف التوسعية لمملكة صربيا . وأسس في أواخر عام ١٩١١ " منظمة الشبيبة السرية " التي عُرفت لاحقاً باسم " البوسنة الفتاة " بعد أن تمكنت من اغتيال ولي عهد النمسا في سراييفو (١٩١٤). وكان ذلك سبباً في اندلاع الحرب العالمية الأولى.

في نهاية الحرب ، وتقديرًا لخدماته ، تَبَوَّأ أندريتش مكانةً سياسيةً في الدولة الجديدة (مملكة يوغسلافيا) التي كانت قد توسَّعت عن مملكة صربيا . وفي عام ١٩٢٠ ، انتقل إلى العمل الدبلوماسي في الخارج ، وتنقَّل في بلدان كثيرة .

حصل على الدكتوراة من جامعة غراتس النمساوية عام ١٩٢٤ عن أطروحته " تطور الحياة الروحية في البوسنة تحت تأثير الحكم التركي " . وفي عام ١٩٣٧ ، أصبح نائباً لوزير الخارجية . واختير في عام ١٩٣٩ سفيراً ليوغسلافيا في برلين . وفي عام ١٩٤١ ، عاد إلى بلغراد (عاصمة صربيا) بعد الغزو الألماني ليوغسلافيا ، وعاش هناك في عُزلة تامة خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، مُفضلاً أن يتفرَّغ لكتابة رواياته ، لئلا يُؤخَذ عليه أي موقف من الحرب الدائرة .

في عام ١٩٤٦ ، حصل على جائزة الدولة عن روايته " جسر على نهر درينا " . وفي العام نفسه، أصبح رئيساً لاتحاد الكتَّاب في يوغسلافيا . وتُعتبر روايته " الفناء الملعون " (١٩٥٤) أهم رواياته على الإطلاق ، وهي التي ساهمت بشكل كبير في منحه جائزة نوبل للآداب (١٩٦١) . وهي رواية تتسم بالواقعية الفلسفية والتاريخية ، إلى جانب النزعة الإنسانية ، مع التأكيد على القيم الروحية ، وأهمية الحضارات القديمة والحديثة . وتحكي الرواية قصة راهب

مسيحي مسجون في سجن تركي في إسطنبول (عاصمة الخلافة الإسلامية)، حيث يتعرّف إلى باشا تركي مسكون بهاجس أحد السلاطين القدماء ، كما تُقدّم الرواية شخصيات متنوعة مثل : اليهودي المتشكك ، و قراقوش التركي غريب الأطوار ، والرهبان الحاسدون في الدّير البعيد في البوسنة .

لاقت رواياته رواجاً عالمياً بعد فوزه بجائزة نوبل . وبعد عام ١٩٦٧ ، أثّرت أسئلة كثيرة حول نقاط غامضة في نشاطه السياسي المشبوه ، وحول مواقفه المعادية للإسلام والمسلمين في يوغسلافيا ، سواءً أثناء عمله في الخارجية (١٩٣٧ _ ١٩٣٩) أم في رواياته .

تتميّز رواياته، وخاصة "جسر على نهر درينا" (١٩٤٥) . و " وقائع مدينة ترافيك " (١٩٤٥) ، باعتمادها على مصادر تاريخية مُنحَيّزة وانتقائية وغير موثوقة، تخدم الخط السياسي للمؤلف . ويبدو هذا الموقف واضحاً في أطروحته للدكتوراة التي رفض أندريتش أن تُترجم أو تُنشر وهو حي . وهذا الرفض يحمل دلالة شديدة الخطورة ، ويثير أسئلة حول مصادره ومواقفه الفكرية وطبيعة كتاباته . لقد كانت العلاقة بين الشرق والغرب هي الموضوع الأساسي في كتابات أندريتش . ومن الواضح أن هذا الموضوع كان يُسيطر على تفكيره وتفاصيل حياته . وقد كانت كلمة " الجسر " مُهيمنة على أعماله الأدبية ، وكأنه يقصد ذلك الجسر الرمزي الواصل بين الحضارات والأمم والشعوب . لقد أرادَ صناعة جسر يصل بين الشرق والغرب ، ولكنَّ المشكلة تكمن في طبيعة هذا الجسر ، حيث إنَّه شَيِّده وفق أفكاره الذاتية ووجهة نظره الشخصية ، دون تقديم أفكار الآخرين بشكل صحيح ، ولا عَرَضَ وجهة نظر الطرف الآخر بأمانة ودقّة . والتحيز الواضح وغياب الموضوعية جعلاه عُرضةً لسهام النقد ، والتشكيك في مصادره الفكرية والتاريخية .

وقد كان التاريخُ قيمةً أساسية في أعماله الأدبية ، تُسيطر على تفكيره . وهذا يُفسّر اهتمامه الشديد بالرواية التاريخية ، والعودة إلى الماضي . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، رواية " الفناء الملعون " تدور أحداثها في عام ١٤٣٢ م ، وتحكي عن رجل تُحِيلُ نَفْسُهُ تناسخاً روحياً مع جمشيد (ابن السلطان محمد الفاتح) . وروايته " وقائع مدينة ترافيك " تدور أحداثها في عام ١٥٦٠ م ، وتحكي عن الثورات التي قامت في المدينة للانفصال عن الحكم العثماني في تلك الفترة . وروايته " جسر على نهر درينا " تدور أحداثها عام ١٥٧١ ، وتحكي عن الأحداث التي شهدتها مدينة فيتشيغراد . وهذا الجسر الحجري الشهير أُقيم على نهر درينا بمدينة فيتشيغراد ، وكان الغرض من إقامته أن يربط بين البوسنة والصرب ، وهما يومئذ إقليمان من أقاليم الإمبراطورية العثمانية .

إيمانويل كانت ونقد العقل الخالص

وُلد الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت (١٧٢٤ _ ١٨٠٤) في مدينة كونجسبرغ بألمانيا (بروسيا آنذاك) . كان والده يعمل في صناعة سُروج الخيل ، وأُمّه شديدة التدين .

التحقَ بمعهد فريدريش التعليمي خلال الفترة (١٧٣٢ _ ١٧٤٠) ، ثم بجامعة كونجسبرغ عام ١٧٤٠ حيث تخرّجَ . لم يُسافر في حياته كُلّها قَط . عاش حياته كُلّها دون أن يرى جبلاً أو بحراً ، مع أن بحر البلطيق كان على مسافة ساعة فقط من مدينته . ويعتقد البعض أن هذه الأوصاف والعادات ذات صلة بمرض التَّوَحُّد .

كان كانت في شبابه طالباً قوياً في دراسته ، ضعيفاً في بُنيته . تربى في بيت أهله مُتديّنون بشدة . وتربّى تربيةً دينيةً متشددة ، وعلى التفاني والإخلاص في خدمة الدّين ، وعلى التواضع مع الناس . وقد نشأ على التفسير الحرفي "للكتاب المقدّس" . اضطرّ كانت إلى العمل مُربياً لبعض الأسر الثرية ، ثم صار مُدرّساً غير رسمي بجامعة كونجسبرغ في مجال القانون الطبيعي والأخلاق واللاهوت الطبيعي ، ثم بعد ذلك في علم الإنسان والجغرافيا الطبيعية .

لم يُفلح في أن يكون أستاذاً رسمياً لعدم اتصاله بأصحاب التّفوذ السُّلطوي ، لكنه سرعان ما تولى كرسي المنطق والميتافيزيقا عام ١٧٧٠ ، ثم صار عُضُوّاً في الأكاديمية الملكية للعلوم ببرلين عام ١٧٨٧ . وهكذا أصبح أستاذاً في جامعة كونجسبرغ ابتداءً من عام ١٧٧٠ ، فمديراً للجامعة ، فعميداً للكلية خمس مرات .

طرحَت فلسفة كانت أربعة أسئلة أساسية وحاولت الإجابة عنها ، وأول هذه الأسئلة هو : ما الذي أستطيع أن أعرفه ؟ . وهو سؤال المعرفة الذي لا ينفصل عند كانت عن بيان شروط إمكان المعرفة وبيان حدودها .

فأمّا شروط إمكان المعرفة ففيها ما هو قَبلي مُسبق ، لا تتم المعرفة إلا بوجوده ، والقبلي منها هو : الإطاران (الزمن والمكان) ، والمقولات العقلية ، ومبادئ العقل البشري . كل هذه تسبق المعرفة لتجعلها مُمكنة .

تتمثل الشروط البُعدية في المعطيات التي تُزوّد بها الإنسان حواسّه (المعطيات الاختبارية) . فعنده أن لا معرفة حسية تكون خالصة (عكس النّزعة الحسية) ، ولا معرفة عقلية تكون بحتة (عكس النّزعة العقلية) ، وإنما المعرفة هي ما شارك في إنشائه الحس والعقل معاً .

أمّا عن حدود المعرفة عند كانت ، فهي أن المعرفة البشرية تجد نفسها محدودة بِحَدَّيْن: داخلي وخارجي . أمّا الحد الداخلي فيتعلق بأن الإنسان لا يَعْلَم مِن الأشياء إلا ظواهرها، بِحُكْم أنه يرفد هذه المعرفة _ شاء أم أبى _ بما عنده من سوابق معرفية ، فلا يُدرك الظواهر في ذاتها ، وإنما يُدركها بحسب ما تظهر به لذاته . الحد الثاني خارجي، ويتمثل في أن الإنسان لا يستطيع أن يُدرك بالعقل الحقائق الميتافيزيقية (الغيبية) : الله والعالم والحرية ، وإنما هذه تُدرك بالعمل (الإيمان) . السؤال الثاني مِن أسئلة كانت هو : ما الذي يجب عليّ أن أفعله ؟ . ويتعلق هذا السؤال بمسألة العمل الأخلاقي. والذي عند كانت أنه إذا كان العقل النظري الخالص لا يُسَعِف الإنسان في إدراك مبادئ الحياة العملية الأخلاقية ، فإن له عقلاً عملياً خاصاً بذلك ، ومن شأنه أن يكشف في أعماق ذاته "آمراً قطعياً" أخلاقياً يدعو إلى الالتزام بالمبادئ الخُلُقِيَّة، مثل مخاطبة ضمير الإنسان لصاحبه : " لا تقتل ! " . السؤال الثالث عند كانت هو : ما الذي يمكنني أن آملَه ؟ . ويتعلق هذا السؤال بالمسألة الدينية ، أي : هل مِن أمل أرجوه إذا أنا فعلتُ ما ينبغي عليّ فعله أخلاقياً ؟ . يرى كانت أن لا سبيل للعقل لإثبات الحقائق الغيبية (الله ، العالم ، ...) ، وإنما يمكن للعقل فَحَسَب أن يفهم ما يدعو إليه الدين، لكنه ليس "الدين المزيف" القائم على عبادة الله عبادة منفعة وإنما "الدين الأخلاقي" القائم على عبادة الله عبادة محبة . مع العلم بأن كانت هو أول فيلسوف غربي يجعل الأخلاق أساس الدِّين ، وليس الدين أساس الأخلاق .

السؤال الرابع من أسئلة كانت هو : مَنْ هو الإنسان ؟ . هذا هو سؤال " الأنثروبولوجيا الفلسفية " . والذي يقوله كانت هو : إن الإنسان " كائن مُتَنَاهٍ هَشٌّ " مقارنة بالخالق، لأن الإنسان له المقدرة على تصوُّر أمور ، لكنه لا يستطيع تحقيقها .

أُطْلِقَت على فلسفة كانت أسماء عِدَّة (المثالية الذاتية ، المثالية النقدية ، .. إلخ) ، لكن الاسم الذي ارتضاه لها صاحبها هو " الفلسفة الترنسندنالية " ، أي تلك الفلسفة التي تبحث في "الشروط القَبْلِيَّة" للمعرفة البشرية. فلا تهتم بالمعارف ذاتها ، وإنما بطريقة معرفة الإنسان بها ، أي بشروط التجربة ، وما يَسْبِق التجربة منطقياً مِن مُقتضيات تجعلها مُمكنة .

يُعتَبَر كانت أحد أبرز الفلاسفة الألمان المُحَدِّثين ، ومن أعظم فلاسفة عصر التنوير الأوروبي، كما يُعدُّ مِن أكبر الفلاسفة تأثيراً في الفلسفة الغربية الحديثة .

مِن أبرز مؤلفاته : نقد العقل الخالص (١٧٨١) . نقد العقل العملي (١٧٨٨) . نقد القدرة على التحكيم (١٧٩٠) . الدين ضمن نطاق العقل فقط (١٧٩٣) .

إيمانويل ليفيناس وتفسير التوراة

وُلد الفيلسوف الفرنسي اليهودي من أصل ليتواني إيمانويل ليفيناس (١٩٠٦ - ١٩٩٥) في كوفنو في جمهورية ليتوانيا . وقد نشأ في ظل ثقافة يهودية . وبسبب الاضطرابات التي شهدتها الحرب العالمية الأولى ، انتقلت أسرته إلى خاركوف في أوكرانيا عام ١٩١٦ ، حيث مكث فيها خلال الثورة الروسية (أكتوبر ١٩١٧) . وفي مدينة خاركوف تعرّف إلى الأسئلة الميتافيزيقية الكبرى عبر قراءته للأدب الروسي . وقد تعلم اللغة الروسية مُبكرًا .

في عام ١٩٢٠ عاد إلى ليتوانيا ، وأمضى فيها سنتين قبل مُغادرتها إلى فرنسا ، حيث بدأ تعليمه الجامعي . وقد بدأ دراساته الفلسفية في جامعة ستراسبورغ عام ١٩٢٤ ، وبدأ صداقته مدى الحياة مع الفيلسوف الفرنسي موريس بالنشو .

قرأ ليفيناس الأبحاث المنطقية للفيلسوف هوسرل التي فتحت له " آفاقًا فكرية جديدة " ، وفق تعبيره . ومن شدة إعجابه بهذه الفلسفة، ذهب عام ١٩٢٨ إلى فرايبورغ ليتابع محاضرات هوسرل بنفسه خلال عام كامل . توقف هوسرل في شتاء ١٩٢٩ عن محاضراته مُكرّسًا وقته لتنظيم مؤلفاته، فحل محله هايدغر ، وكانت فرصة ليلتقي ليفيناس الذي كان قد قرأ " الكينونة والزمان " بالألمانية.

شجّع هايدغر على المشاركة في لقاءات دافوس الفلسفية المنتظمة ، التي جمعت مع بعض الفلاسفة . وظهر ليفيناس في هذه اللقاءات مُدافعًا عن هوسرل وهايدغر . ونشر حينها مقالة عن هوسرل . وأصبح ليفيناس في أوائل الثلاثينيات من أقوى المثقفين في الفلسفة الفرنسية ، ممّا لفت انتباه هوسرل وهايدغر عن طريق ترجمته كتاب هوسرل " التأملات الديكارتية " في عام ١٩٣١ .

قدّم أطروحة الدكتوراة عام ١٩٣٠ تحت عنوان " نظرية الحدس في فينومينولوجيا هوسرل " ونالت الإعجاب الشديد . فُوجئ ليفيناس عام ١٩٣٣ بإعجاب هايدغر بهتلر . وفُوجئ أيضًا بالطريقة التي تناول بها بالنشو اليهود في الصحافة الفرنسية ، متأثرًا بفكرة قومية مُعيّنة عن فرنسا . ووفقًا لصحيفة نيويورك تايمز الأمريكية ، ندم ليفيناس على حماسه في وقت مبكر لهايدغر، بعد أن انضم الأخير إلى النازيين .

كتب ليفيناس خلال هذه المرحلة مقالات عديدة في المجالات اليهودية ، موضوعها الحالة الجديدة التي خلّفتها الهتلرية ، واعتبرها " المحنة التي عانتها اليهودية " .

حصل ليفيناس على الجنسية الفرنسية عام ١٩٣١ . وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية ، عمل مترجمًا عن اللغة الروسية . وبما أنه صار مواطنًا فرنسيًا ، فقد التحق بالجيش الفرنسي ، وتمَّ أسره خلال الغزو الألماني لفرنسا عام ١٩٤٠ .

قضى ليفيناس بقية الحرب العالمية الثانية أسير حرب في معسكر بالقرب من هانوفر في ألمانيا . حيث مكث خمس سنوات هناك . وقد وُضِعَ في مكان خاص بالسجناء اليهود الذي حُرِّموا من أي شكل من أشكال العبادة الدينية . وكانت الحياة في المخيم صعبة ، ولكن وضعه كأسير حرب يحميه من المحرقة .

بعد الحرب العالمية الثانية ، عمل ليفيناس في مدرسة ثانوية يهودية خاصة في باريس ، وأحد المعاهد العليا في باريس ، وأصبح في نهاية المطاف مديرًا له . وقد نصحه أحد الباحثين بإنجاز دكتوراة دولة نشرها عام ١٩٦١ بعنوان " الكلائية واللامتناهي " ، لفتتح له الجامعات أبوابها ، وتمنحه الشهرة والمجد الفلسفي .

درّس عام ١٩٦١ في بواتيه ، وانتقل بعدها إلى مدينة نانثير ليقبى فيها (١٩٦٨ - ١٩٧٢) . تابع بحذر انتفاضة الحركة الطلابية عام ١٩٦٨ . وأصبح أستاذًا في جامعة السوربون خلال الفترة (١٩٧٣ - ١٩٧٦) . وتقاعد عن التدريس عام ١٩٧٩ .

كتب ليفيناس عدّة تفاسير حول التوراة . وساهم في التعريف بفينومينولوجيا هوسرل في فرنسا . اتّهم ليفيناس الفكر الغربي برُمته ، على أنه أولاً فكر كُلياني ، يقوم بإقصاء وتغييب فكرة اللاتناهي ، وثانيًا على أنه فكر يهتم بمفهوم الحق ، ويُقصي جانبًا مفهوم الخير .

لذلك اقترح ليفيناس تأسيس فلسفة تُواصل المشروع الميتافيزيقي الغربي القديم في سعيه نحو الحقيقة ، وتُؤسّس لخير مشدود إلى الحق . ووضّح ليفيناس أن حضور وجه الآخر ليس مدعاة ضرورة للصراع والعنف كما ذهبت إلى ذلك وجودية سارتر ، بقدر ما هي علاقة قبول . وفي هذا القبول بالآخر دون احتوائه في المنظومة المعرفية الشخصية ، تكمن إنسانية الإنسان .

من أبرز مؤلفاته : إنسانية الإنسان الآخر (١٩٧٢) . الأخلاق واللامتناهي (١٩٨٢) .
التعاليم والمعقولية (١٩٨٤) . بَيْنَنَا (١٩٩١) .

إيمري كيرتيش وصناعة المولوكوست

وُلد الروائي المجري إيمري كيرتيش (١٩٢٩ - ٢٠١٦) في بودابست لأسرة يهودية فقيرة. واعتُقل خلال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٤ ، وهو في الخامسة عشرة، وتمَّ ترحيله إلى معسكر الإبادة النازي في أوشفيتز (بولندا)، ثم إلى معسكر اعتقال في بوخنفالدي في ألمانيا الشرقية، حيث حَرَّرت القوات الأمريكية المعتقلين الموجودين فيه عام ١٩٤٥. ثم عاد إلى المجر، وعمل صحفيًا ، لكنه خسر وظيفته عندما انتهجت الصحيفة خط الحزب الشيوعي .

عكس كيرتيش في إبداعه تجربة "أوشفيتز" و"بوخنفالدي". واستغل التجارب التي مرَّ بها في هذين المعسكرين كمادة ثرية في أعماله .

وفي ظل الحكم الشيوعي في المجر مرَّ الكاتب ببعض المعاناة الحادة ، ورَكَز في رواياته ومقالاته _ التي طُبِعَتْ في مجلدات _ على الشيوعية الشمولية التي عايشها في وطنه . وتقوم كتاباته على ثلاثة أركان : المحرقة النازية (وكان أحد الناجين منها) ، والدكتاتورية ، والحرية الشخصية .

حصل على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٢ ، وذلك " لتناجه الذي يروي تجربة الفرد الهشة في مواجهة تعسُّف التاريخ الوحشي " ، حَسَبَ بيان الأكاديمية السويدية .

وقد فاز كيرتيش بجائزة نوبل عن مُجَمَّل أعماله التي قال عنها المحكِّمون إنها تُصَوِّر معسكرات الموت النازية على أنها حقيقة مُطلقة عن مدى إذلال المستضعفين .

وكان أول مجري يحصل على جائزة نوبل على الإطلاق ، بل إن وطنه بخل عليه بالتقدير وقتًا طويلاً . عاش كيرتيش فترات طويلة في برلين ، مُنذ عام ٢٠٠٠ ، ثم انتقل عام ٢٠١٢ إلى بودابست ، وكان آنذاك مُصابًا مُنذ عدة سنوات بمرض الشلل الرعاش (الباركنسون) ، وهو المرض الذي قَلَّصَ كثيرًا مِن إبداعه. وأخيرًا، حصل كيرتيش عام ٢٠١٤ على وسام " ستيفان " ، وهو أعلى وسام مجري . حين خرج من معتقل بوخنفالدي نهاية الحرب بما يُشبهه الأعجوبة ، قَرَّر كيرتيش أن يكتب ، لاعتقاده أن الكتابة قد تُخلِّصه من جحيم معسكر المعتقلات النازية التي انساق إليه مُراهقًا . وكان الكتابة مُعادِلَ آخر للحياة . بدأ حياته في الصحافة ، لكنه سرعان ما تخلَّى عنها ، بسبب هيمنة النظام الشمولي في المجر (هنغاريا) . بَيَّدَ أن سَطوة الكلمة لازمتها ، فوهب نفسه للأدب ، كاتبًا ، ومُسرَّحًا ، ومُترجمًا .

تُعتبر " كائن بلا مصير " (١٩٧٣) هي روايته الأشهر على الإطلاق . كتبها بعد سنوات من التفكير والتأمل في تجربته وتجارب المحيطين به . تحوّلت إلى فيلم من إنتاج ألماني _ مجري في العام ١٩٩٨ . تغمّص الرواية في عالم المعتقلات والعنف والهولوكوست على لسان فتى في الخامسة عشرة ، هو ليس إلا قرين الكاتب نفسه . واستقى كيرتيش عنوان روايته من إحساس داخلي عاشه خلال تلك المرحلة بأنه إنسان مُجرّد من مصيره ، والأصح قولاً من إنسانيته بالمعنى الأوسع .

عُرف عن الكاتب عشقه لألبيير كامو الذي يجد فيه صورة المفكّر الشاب ، والمتمرّد ، ومُمثّل الرواية الفلسفية الحقيقية ، وأعجب بأعمال نيتشه التي اشتغل على ترجمتها .
من أبرز أعماله : كائن بلا مصير (١٩٧٣) . الراية الإنجليزية (١٩٩١) . يوميات العبودية (١٩٩٢) . اللغة المنفية (٢٠٠١) . التصفية (٢٠٠٣) .
وصدرت محاضراته ومقالاته في شكل مجموعات " الهولوكوست كثقافة " (١٩٩٣) .

بابلو نيرودا والذكريات الضائعة

وُلد الشاعر التشيلي بابلو نيرودا (١٩٠٤ _ ١٩٧٣) في قرية بارال بوسط تشيلي ، وتُوفِّي في سانتياغو (عاصمة تشيلي) . اسْمُهُ الحقيقي " نفتالي ريكاردو ريزوالد " . كانت والدته تعمل بمهنة التدريس ، أمَّا والده فكانَ عاملاً في سِكِّك الحديد . حصلَ على جائزة نوبل للآداب ١٩٧١ . كتب نيرودا قصائد عندما كان في العشرين من العمر ، قُدِّرَ لها أن تنتشر أولاً في أنحاء تشيلي ، ثُمَّ تنتقل بعدها إلى كافة أرجاء العالم ، لتجعل منه الشاعر الأكثر شهرة في القرن العشرين من أمريكا اللاتينية .

بدأت إبداعاته الشعريّة في الظهور قبل أن يُكْمِلَ عامه الخامس عشر . وتحديدًا عام ١٩١٧ . وفي عام ١٩٢٠ ، اختار لنفسه اسمًا جديدًا هو بابلو نيرودا . وفي مارس ١٩٢١ ، قَرَّرَ السَّفر إلى سانتياغو ، حيث استقرَّ هناك في بيت الطلبة ، لاستكمال دراسته في اللغة الفرنسية التي كان يُجيدُها مِثْلَ أهلها . وفي نفس العام ، اشترك في المظاهرات الثورية التي اندلعت في البلاد آنذاك . نشر نيرودا ديوانه الأول " غسقيات " (١٩٢٣) ، وتلقَّى اعتراف أبرز نُقَّاد تشيلي بموهبته . وتلاه في العام التالي ديوان " عشرون قصيدة حُب وأغنية يائسة " . وسيطرت على هذا الكتاب أجواء الكتابة القاتمة . وقد طُبعت من هذا الديوان منذ صدوره ملايين النسخ ، وما زال من أوسع أشعار الحب انتشارًا في البلدان الناطقة بالإسبانية .

في عام ١٩٢٤ ، هجر نيرودا دراسة اللغة الفرنسية ، وتخصَّصَ في الأدب . وكتب ثلاثة أعمال تجريبية ، وذلك قبل أن يبدأ رحلة تعيينه سفيرًا في العديد من البلدان ، تنتهي بكونه سفيرًا في الأرجنتين عام ١٩٣٣ ، أي بعد زواجه من الهولندية الجميلة " ماريكا " بثلاث سنوات ، والتي انتهى زواجه منها بإنجاب طفلته " مارفا مارينا " ، التي وُلدت في مدريد في الرابع من أكتوبر ١٩٣٤ .

وفي نفس العام ، وتحديدًا بعد شهرين ، تزوّج نيرودا من زوجته الثانية ديليا ديل كاريل الأرجنتينية الشيوعية ، والتي تكبره بعشرين عامًا .

في عام ١٩٣٣ ، نشر ديوانه " رامي المقلاع المتحمّس " ، وهي قصائد شكَّلت فيما بعد جزءًا من ديوانه " إقامة في الأرض " ، حيث ظهر أسلوبه الشخصي المتفرّد الذي منحه مكانة نهائية وحاسمة في عالم الأدب .

وَمَعَ نُشُوب الحرب الأهلية الإسبانية ، وفي أثناء عمله فُصلاً في مدريد عام ١٩٣٦ ، تأثّر بعمق لمصرع صديقه الشاعر الإسباني لوركا ، على يد القوى الفاشية . وأدّى تضامنه مع الجمهوريين إلى عزله من منصبه الدبلوماسي، فكتب في أثناء ذلك قصائد ديوانه "إسبانيا في القلب". وبدأ فيه تحوُّله عن الغموض والفردية ، إلى شعر ذي توجُّه اجتماعي وملحمي وسياسي .

تُوفِّي والده عام ١٩٣٨ ، وزوجته الأولى عام ١٩٤٢ .

وفي عام ١٩٥٢ ، نشر ديوانه " أشعار القبطان " ثُمَّ " الأعناب والريح " ، و " أغنيات بدائية " (١٩٥٤) . ثُمَّ أتبعها بديوان آخر بعنوان " أغنيات بدائية جديدة " (١٩٥٦) ، ثُمَّ " كتاب الأغنيات الثالث " (١٩٥٧) .

وفي عام ١٩٥٨ ، ظهر ديوانه " شاذ " ، الذي يُمثّل تحوُّلاً جديداً في شعره ، استعاد فيه مزاج بعض كُتب شبابه ، وإن كان ينفّس أقلّ دراميةً. وعاد شعره ليرتبط بالتوجّهات الطليعية حتى السريالية، في " إبحارات وعودات " ، و "مئة سونيتة حُب" ، و " أغنية مفخرة " الذي أصدره عام ١٩٦٠ تكريماً للثورة الكوبية .

وفي عام ١٩٦٥ ، منحته جامعة أكسفورد البريطانية دكتوراة شرف ، وأصدر كتاباً مُشترَكاً مع ميغيل أنخل أستورياس ، بعنوان " بينما نحن نأكل في هنغاريا " .

وفي عام ١٩٦٨ ، أصيب الكاتب بمرض أفعده عن الحركة .

وفي ٢١ أكتوبر ١٩٧١ ، فاز نيرودا بجائزة نوبل للآداب . وعندما عادَ إلى تشيلي ، استقبله الجميع باحتفال هائل ، في ستاد سانتياغو ، وكان على رأس الاحتفال الرئيس التشيلي سلفادور الليندي ، الذي لقيَ مصرعه بعد ذلك على يد الانقلاب العسكري الذي قاده الجنرال بينوشيه .

لقد قضى هذا الانقلاب العسكري على الرئيس المنتخب ، وآلاف المواطنين التشيليين ، وعلى الديمقراطية في البلاد .

وقد جاء جنود بينوشيه إلى بيت بابلو نيرودا، وعندما سألهم الشاعر : ماذا تريدون ؟. قالوا له : جئنا نبحث عن السلاح في بيتك . فردَّ قائلاً : إنّ الشعر هو سلاحِي الوحيد .

وبعدها بأيام ، تُوفِّي نيرودا في ٢٣ سبتمبر ١٩٧٣ متأثراً بمرضه ، وبإحباطه من الانقلابيين .

حتى إنّ آخر الجُمَل ، ولعلّها آخر جملة في كتابه " أعترف بأنني قد عشتُ " والذي يروي سيرته الذاتية (صدر بعد وفاته) هي : " لقد عادوا ليخونوا تشيلي مرّةً أخرى " .

باتريك موديانو والهوية الضائعة

وُلد الروائي الفرنسي باتريك موديانو (١٩٤٥ _ ...) من أب ذي جذور إيطالية يهودية وأم بلجيكية . التقى والداه في باريس خلال الحرب العالمية الثانية ، وبدأ علاقة عاطفية لم يُعلن عنها في بدايتها. وقد نشأ موديانو بين غياب أبيه وبين أسفار أمه المتعددة ، ولم يتمكن من إتمام دراسته الثانوية إلا بعون من الحكومة. وصار مُقَرَّبًا من أخيه رودي، الذي تُوفِّي جراء مرض أصابه وهو في سن العاشرة، وهكذا نرى أن أعمال موديانو في الفترة (١٩٦٧ _ ١٩٨٢) مُهداة إليه .

درس موديانو علم الهندسة في المدرسة على يد الأستاذة والأديبة ريموند كوين ، والتي كانت صديقة لأمّه ، وقد تأثر بها كثيرًا ، إذ كانت بَوَّابته إلى عالم الأدب والنشر .

أصدر أولى رواياته " ميدان النجم " عام ١٩٦٨ ، بعد لقائه بالكاتب كينو الذي شكل مفصلاً هامًا في مسيرته الأدبية، ومنذ ذلك الوقت تفرَّغ موديانو للكتابة. يمتاز أسلوبه بالوضوح والبساطة. وقد جعل ذلك منه أديبًا في متناول الجمهور العام كما في الأوساط الأدبية .

تتمحور كُتبه حول البحث عن الأشخاص المفقودين والهاربين ، وأولئك الذين يختفون ، والمحرومين من أوراق ثبوتية، وأصحاب الهويات المسروقة .

بعد سلسلة أعمال روائية له ، جُمع فيها دائمًا مسألتين بارزتين : البحث عن الهوية ، والبحث عن الذات مقرونة بقضية عصرية ، وهي الشعور الإنساني الفردي بضعف الإنسان .

ألّف أكثر من عشرين رواية، وطرح روايته الأولى " ميدان النجم " وهو في الثالثة والعشرين . حمل بعضها مأساة طفولته ومراهقته ، كما نقل مشاهد العديد من المصائر الإنسانية. وتتمحور معظمها حول مدينة باريس خلال الحرب العالمية الثانية، ويصف فيها أحداث مأساوية تتعلق بمصائر أشخاص عاديين . حصل موديانو على جائزة نوبل لآداب عام ٢٠١٤ ، حيث أعلنت الأكاديمية السويدية في بيان لها أن موديانو كُرم " بفضل فن الذاكرة الذي عالج من خلاله المصائر الإنسانية الأكثر عصيًّا على الفهم ، وكشف عالم الاحتلال " .

تخوض روايات موديانو في لُغز الهوية، ومحاولة تتبع الأدلة على وجودها من خلال آثار الماضي. كما أنه هاجم فترة الاضطراب والفوضى أثناء الاحتلال النازي لفرنسا . وهو يسعى جاهدًا إلى بناء عمل سردي مُتجانس ، والاعتناء بالتفاصيل الدقيقة والأشياء الصغيرة ، التي هي في النهاية جُزء من ذات الكاتب . كما أنه يكتب باستمرار عن مدينة باريس ، واصفًا تطوُّر

شوارعها وعاداتها وشعبها . موضوع الذاكرة هو الأكثر وضوحًا في أعمال موديانو ، حيث يتضح الشغف بالماضي ، والبحث عن الذكريات ، وتفصيل الحياة القاسية في المدن الخالية من المشاعر والأحاسيس . ورغم كل هذه المعاني ذات الزخم الفكري ، تمتاز روايات موديانو بالهدوء والتقلب والرحمة .

حصلت روايته موديانو " ميدان النجم " على جائزة فينيون وجائزة روجر نيمير عام ١٩٦٨ . وحصل على جائزة غونكور في عام ١٩٧٨ لروايته " شارع الشخص المفقود " . كما حصل على جائزة سينو ديل دوكا العالمية عام ٢٠١٠ من معهد فرنسا لإنجازته مدى الحياة ، وجائزة الدولة النمساوية للأدب الأوروبي لعام ٢٠١٢ . وقد أُطلق عليه اسم " مارسيل بروسست عصرنا " . لم يتوقع أحد فوزه بجائزة نوبل ، حتى أشد المتحمسين له ، وهذا يعود إلى عدم شهرته في العالم الناطق بالإنجليزية . وعلى الرغم من إنتاجه الغزير إلا أن ترجمة أعماله إلى الإنجليزية كانت ضعيفة .

وقد باع موديانو في الولايات المتحدة قبل نوبل (٢٤٢٥) نسخة فقط . حتى السكرتير الدائم للأكاديمية السويدية ، لاحظ أن الكثير من الناس خارج فرنسا لم يكونوا على دراية بموديانو وعمله . وقال في مقابلة ما بعد الإعلان : ((إنه معروف في فرنسا ، ولكن ليس في أي مكان آخر)) . من أبرز رواياته : دائرة الليل (١٩٦٩) . المنزل الحزين (١٩٧٥) . شارع الحوانيت المعتمة (١٩٧٨) . مستودع الذكريات (١٩٨٦) . بعيدًا عن النسيان (١٩٩٤) . الجوهرة الصغيرة (١٩٩٩) .

باتريك وايت ورفض الجوائز

وُلد الروائي الأسترالي باتريك وايت (١٩١٢ - ١٩٩٠) في لندن ، في أثناء زيارة والديه لها ، وتُوفّي في مدينة سيدني . عمل في يفاعته في مزرعة أبيه التي كانت تُعنى بتربية الأغنام . ثُمَّ عادَ إلى إنجلترا في فترات مُتعاوبة للدراسة ، فدرس اللغات الحديثة في جامعة كامبردج . خدم في أثناء الحرب العالمية الثانية في سلاح الجو الملكي . عاد بعدها إلى أستراليا ليستقر فيها ، وتخلّلت ذلك فترات إقامة مُتقطّعة في كُلٍ من إنجلترا والولايات المتحدة .

بدأ وايت الكتابة شعراً ، إلا أنّه وجد أن ذلك يُقيّده ، فالتفت إلى النشر . وكانت " الوادي السعيد " (١٩٣٩) أولى رواياته التي ظهر فيها تأثيره الواضح بديفيد هيربرت لورنس وتوماس هاردي ، وتعلّم عن طريقها صنعة الكتابة . عاد في كتاباته اللاحقة إلى بيئة بلاده الأصلية ، وجعلها محوراً ، فصار الكاتب الأسترالي الأبرز بامتياز . ويمكن تشبيه هذا التطور لديه بحال الروائيين الأمريكيين اللاتينيين الذين جعلوا من قارتهم رمزاً للغموض والرّوعة ، فجعل وايت من أستراليا رمزاً للبهاء والعظمة ، بيد أنّه لم يتغاضَ عن تطفّل المدنية ، وتعدّيها على طبيعة القارة البدائية المتوحّشة لتخل بتوازنها . ويمكن تشبيهه أيضاً بكونراد الذي جعل من قارة أخرى رمزاً للؤلؤ إلى قلب العنمة لكشف خفايا النّفس البشرية . وقد تبدّى كُل هذا في أولى رواياته المهمة " قصة العمّة " (١٩٤٨) ، وهي دراسة لحياة امرأة عادية جدّاً ، وتتجلى المفارقة حين يُؤدّي نجاحها الشخصي إلى جنونها . وأيضاً في روايات " شجرة الإنسان " (١٩٥٥) وهي الأهم ، و " فوس " (١٩٥٧) ، و " راكبو العربة " (١٩٦١) ، و " دائرة الكون " (١٩٦٦) ، و " قضية توابورن " (١٩٧٩) ، التي تستمد كلّها موضوعاتها من أستراليا التي تُجسّد ثيمتها المركزية . وقد وجد وايت في شخصية المستكشف الألماني (فوس) المعادل الموضوعي له ، فهو مُهرج وحكيم . عبّري وأحمق في آنٍ واحد ، ويسقط في النهاية ضحية لفضوله وللقارّة البكر التي يُحاول استكشافها . ويُقدّم الكاتب في " دائرة الكون " التناقض حتى في التّوأم ، فأحدهما مجنون ، والآخر عاقل . وتكمن المفارقة في استحالة التمييز بينهما . وكتب وايت في المسرح أيضاً ، فعرض مسرحية " الموسم في سارسابريلا " (١٩٦٢) ، التي نُشرت لاحقاً من مجموعة " أربع مسرحيات " (١٩٦٥) ، و " ليلة على الجبل الأقرع " التي عُرضت عام ١٩٦٤ ، وغيرها . وكتب أيضاً القصة القصيرة ، وسيرته الذاتية بعنوان " صدّع في الزجاج " (١٩٨١) .

تحفل مؤلفات وايت بالأساطير والرموز التي تتعلق بقارته الساحرة . وقد عالج فيها مسائل الغربة ، والبحث عن معنى الوجود ، والتساؤلات الحياتية المليئة بالتناقضات . كل ذلك بأسلوب تيار الوعي ، الذي جعل مؤلفاته عصية على بعض القراء ، وهي على ما يشوبها من تشاؤم ، إيجابية ومفعمة بفكره الناقد وخياله الشعري .

كان رافضاً للجوائز ، ورفض من قبل جائزة (البوكر) . وتم ترشيحه لنفس الجائزة بعد وفاته، لأنه لا يستطيع رفضها لوجوده في الدار الآخرة. وعند فوزه بجائزة نوبل للآداب (١٩٧٣) خشيت اللجنة أن يرفض الجائزة ، فأبلغت صديقه الرسامة (سيدني نولان سيدي) الأسترالية ، لئلا يفوز بالجائزة من أجل قبولها على شرط أن تذهب صديقه لاستلام الجائزة . ولم يتم عمل محاضرة كما هو المعتاد بالأكاديمية السويدية لغياب الفائز بالجائزة . وألقت (سيدني نولان سيدي) خطبة قصيرة كتبها وايت ، مبدية فيها سعادته بالجائزة ، التي ذكرته بزيارته القصيرة لاستوكهولم ومالمو السويديتين ، وهو في السادسة عشرة من عمره .

وقد جاء في تقرير الأكاديمية السويدية عن سبب منحه جائزة نوبل للآداب : ((لطريقته الرائعة والمؤثرة نفسياً في فن السرد ، والتي قامت بتقديم محتوى جديد للأدب)) .

بار لاغر كفيست ورواية الإنجيل

وُلد الأديب السويدي بار لاغر كفيست (١٨٩١ _ ١٩٧٤) في منطقة سمولاند جنوبي السويد في بيئة ريفية متدينة ومحافظة . كان والده موظفًا في سكة الحديد ، وكان أصغر إخوته الثمانية . وعلى الرغم من الظروف المادية الصعبة ، فقد حصلوا جميعًا على تعليم جيّد . التحق بعد تخرجه من المدرسة الثانوية بجامعة أوبسالا ، إلا أنه لم يحصل على درجة علمية .

ثارَ على البيئة المحافظة التي ترعرع فيها، وبدأت أفكاره تأخذ منحًى اشتراكيًا داريونيًا . تزوّج مرتين، وصارَ عضوًا في الأكاديمية السويدية عام ١٩٤٠ . ومُنح جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥١ . ويُعتَبَر من أهم رُوّاد الحداثة في الأدب السويدي .

رفضَ لاغر كفيست كُلَّ ما هو تقليدي ونمطي في حياته ، كما هاجمَ الأدب المعاصر ، واعتبره أدب انحطاط لا هدف له إلا التسلية ، ويتخبط في متاهات الطبيعية . وقد طالبَ بأن يكون الشعر تعبيرًا عن " زماننا " ، وبأن يأخذ العبرَ من الشعر القديم والتراث الإسكندنافي ، ويتعلم من الفن . أثّرت الحرب العالمية الأولى على جيل كامل من الكُتّاب الأوروبيين ، ومنهم لاغر كفيست ، فقد زعزعت إيمانهم ، وصارَ التساؤل عن معنى الوجود والصراع بين الخير والشر محور كتاباتهم . وصار الالتزام ومناهضة الطغيان السياسي والحكم الشمولي والظلم الاجتماعي بأنواعه هاجسهم . عبّرت مجموعة لاغر كفيست الشعرية " القلق " (١٩١٦) عن خيبة أمل جيل ما بعد الحرب وضياعه . وكان ديوانه " الفوضى " (١٩١٩) أول محاولاته في الشعر الدرامي ، حيث عالج فيه موضوع " عبث الوجود " ، وتحوّلت فيه شخصيات بلا أسماء بحثًا عن ذاتها . وكتب مسرحيات من فصل واحد ، منها " حلم (كابوس) منتصف الصيف في المأوى " (١٩١٤) .

وقد وصف المؤلف نفسه بأنه ملحد مُتدبّن ، باحث عن جواب السؤال الأزلي حول معنى الوجود . ففي " الابتسامة الأزلية " (١٩٢٠) تبحث مجموعة من الموتى عن الإله لسؤاله عن الهدف من خلقها فتكون الإجابة : ((الحياة أفضل من العدم)) .

رأى لاغر كفيست مثل كثيرين غيره من الكتاب والمفكرين الخطر المحدق مع ظهور النازية والفاشية ، فكتبَ " الجلال " (١٩٣٣) و " القزم " (١٩٤٤) حول رُوح العصر المفعمة بالعنصرية والعنف واللهاث وراء المتعة ، إلا أن ذلك لم يُفقدّه الأمل ، فقد رأى أيضًا أن المحبة بين البشر هي المخلص والعزاء ، وهي التي تمنح الحياة معناها .

كتب رواية " بارابّاس " (١٩٥٠) . واعتُبرت هذه الرواية تحفة أدبية ، وهو عمله الأكثر شهرة . والرواية تستند إلى رواية الإنجيل ، حيث حُكم على يسوع الناصري بالموت من قبل السلطات الرومانية مباشرة قبل عيد الفصح اليهودي . وكان من عادة الرومان إطلاق سراح شخص أُدين بارتكاب جريمة عقوبتها الإعدام . عندما يُقدم النائب الروماني بيلاطس البنطي على تحرير يسوع أو بارابّاس (لص مُدان وقاتل) ، تقوم مجموعة من الغوغاء بالمطالبة بإطلاق سراح بارابّاس ، ويتم إطلاق سراحه ، وصلب يسوع (حسب رواية الإنجيل) ، ويقضي بارابّاس حياته في محاولة لفهم لماذا تمّ اختياره للعيش بدلاً من يسوع . وقد حوّلت هذه الرواية التي تُسيطر عليها الأسئلة الفلسفية والوجودية إلى فيلم ناجح عام ١٩٦١ ، وقام الممثل العالمي أنتوني كوين بلعب دور البطولة .

تتمحور كتابات لاغركفيست حول رُوح التشاؤم ، لكنه يرى أن إيمان الإنسان بذاته هو ما يُمكنه من البقاء . كل ذلك بأسلوب طفولي بدائي ، يلجأ إلى لغة الحديث اليومية البسيطة ، وأحياناً العامية المحكية ، في جُمْل مُجتزأة ، وبإيقاع وسحر مُتميّزين .

تُوفّي في ستوكهولم (عاصمة السويد) في عام ١٩٧٤ ، في سن الثالثة والثمانين .
من أبرز رواياته: الناس (١٩١٢) . القلق (١٩١٦) . الفوضى (١٩١٩) . أغاني القلب (١٩٢٦) . الروح القتالية (١٩٣٠) . بارابّاس (١٩٥٠) . الأرض المقدسة (١٩٦٤) .
ومن أبرز مسرحياته: آخر رجل (١٩١٧) . لحظة صعبة (١٩١٨) . رجل بلا رُوح (١٩٣٦) .
النصر في الظلام (١٩٣٩) . حجر الفلاسفة (١٩٤٧) .

باروخ سبينوزا ومنهج الأخلاق الهندسي

وُلد الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) في أمستردام، لعائلة برتغالية من أصل يهودي تنتمي إلى طائفة المارنيين. فقد كان والداه يهوديين هاجرا من البرتغال . اضطر كثير من يهود شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا والبرتغال) إلى الهجرة لكثير من دول غرب أوروبا هرباً من اضطهاد السلطات هناك . وفي البداية اضطروا إلى اعتناق المسيحية . وبعد أن وجدوا مناخاً متسامحاً في هولندا ، عادوا مرة أخرى إلى اليهودية . كان والده تاجرًا ناجحًا في أمستردام، ولكنه مُتَزَمِّتٌ للدين اليهودي ، وبالإضافة إلى تجارته تولى كثيرًا من المناصب الدينية في المجتمع اليهودي هناك، بل وعددًا من المهام التدريسية المنصبة على تعاليم التلمود. كانت تربية سبينوزا أرثوذكسية، ولكن طبيعته الناقدة والمتعطشة للمعرفة وضعته في صراع مع المجتمع اليهودي . درس العبرية والتلمود في يشيفا / مدرسة يهودية (١٦٣٩ - ١٦٥٠) . وفي آخر دراسته ، كتب تعليقًا على التلمود . في صيف ١٦٥٦ ، نُبِذَ سبينوزا من أهله ومن الجالية اليهودية في أمستردام بسبب ادّعائه أن الله يكمن في الطبيعة والكون، وأن النصوص الدينية هي عبارة عن استعارات ومجازات غايتها أن تُعرّف بطبيعة الله . وبعد ذلك بوقت قصير حاول أحد المتعصبين للدين طعنه . كان سبينوزا تلميذًا نجيبًا وموهوبًا، وتلقى تعليمًا دينيًا في مدرسة الجالية اليهودية بأمستردام ، وعلى الرغم من تعمّقه في دراسة التوراة والتلمود، إلا أنه لم يتم إعداده ليصبح كاهنًا يهوديًا كما اعتقد الكثير من كُتّاب سيرته . بعد وفاة أبيه تولى أخوه الأكبر شؤون تجارتها، وعندما مات هذا الأخ، وقع على عاتق سبينوزا إدارة الشركة التجارية التي تركها الأب، لكن لم تكن لسبينوزا مواهب تجارية، ولم تكن شؤون المال والأعمال من اهتماماته، ولذلك أهمل التجارة حتى تراكمت الديون، وتوقفت الشركة عن نشاطها. وعلى الرغم من ذلك فقد حصل سبينوزا على قليل من مال أبيه مكّنه من إكمال دراسته، وعندما لم يكف الميراث لمتطلبات حياته، عمل في مهنة نادرة في تلك الآونة وهي صنع العدسات الطبية، وعمل فيها (١٦٥٦ - ١٦٦٠) . ويبدو أن هذه المهنة كانت هي الوحيدة التي شدّت انتباه سبينوزا وكانت مُتَّفَقة مع ميوله، إذ كانت مهنة ذات طابع علمي تعتمد على جانب نظري متعلق بعلم البصريات وجانب عملي يعتمد على العلم التجريبي والخبرة العملية. وفي الفترة (١٦٦٠ - ١٦٦٣) ، أسّس حلقة فكر مع أصدقاء له، وكتب نصوصه الأولى. وفي الفترة (١٦٦٣ - ١٦٧٠) أقام في بوسبرج. وبعد نشر كتابه " رسالة

في اللاهوت والسياسة" (١٦٧٠) ، ذهب ليستقر في لاهاي ، حيث عمل كمستشار سرّي لجون دو ويت . يُعتبر كتابه " الأخلاق " (١٦٧٧) ، من أهم الكتب المؤثرة في الفلسفة الغربية . والذي عارض فيه ثنائية العقل _ الجسد للفيلسوف ديكارت .

في أواخر الخمسينيات من القرن السابع عشر ، تعرّف سبينوزا على مفكر حر ، هو : لودفيغ ماير ، وكوّن معه ومع مجموعة من الأصدقاء المقرّبين جماعة قراءة ودراسة انصبّ اهتمامها على دراسة فلسفة ديكارت . وعندما لاحظت الجماعة براعة وتعمّق سبينوزا في الفلسفة الديكارتية طلبت منه أن يكتب لها مُلخّصاً شاملاً لها . وهكذا أخرج سبينوزا أول مؤلفاته " مبادئ الفلسفة الديكارتية " . وعندما بدأ سبينوزا من خلال هذه الجماعة في وضع فلسفته الخاصة ، بدأت الجماعة في دراسة فلسفته ومناقشتها معه تاركةً فلسفة ديكارت . وفي نفس هذه الفترة بدأ سبينوزا في تأليف أول عمل فلسفي خاص به ، وهو " رسالة في تهذيب العقل " . وفيها تناول سبينوزا طبيعة المعرفة وأنواعها ، والسبل المناسبة للوصول إلى الفهم الصحيح لكل ما يُمثّل خير الإنسان ، وذلك عن طريق علاجه من أوهامه وأخطائه وتطهيره بمنهج سليم يستطيع التمييز به بين الأفكار الغامضة والواضحة ، والأهم من ذلك إثبات وحدة العقل والطبيعة ، وأنه ليس هناك أي تناقض بين الروح والجسم والفكر والمادة ، تلك الثنائيات التي سيطرت على فلسفة ديكارت .

عندما اكتشف سبينوزا أن النتائج النهائية في رسالة تهذيب العقل ، هي إثبات وحدة العقل والطبيعة ، والقضاء على الثنائيات التقليدية في تاريخ الفلسفة ، ترك العمل في الرسالة واتّجه اهتمامه إلى عمل أكثر ميتافيزيقية يُركّز على العلاقة بين الفكر والوجود والروح والجسد ، ولذلك عكف على تأليف رسالة أخرى عنوانها "رسالة قصيرة حول الإله والإنسان وصلاحه في الحياة" (١٦٦١) . لكنه سرعان ما توقف عن كتابتها بسبب اعتقاده أن أفكاره لن تنال القبول ، وتركها كي ينشغل في عمل آخر يتناول فيه نفس الموضوعات ، ولكن بمنهج جديد يستطيع به تقديم أفكاره بصورة منطقية تُجبر قارئها على الاعتقاد بها دون معارضة ، وهذا هو المنهج الهندسي الذي يبدأ بمُسلّمات وفروض ثمّ قضايا مُستنبطة منها ، وهو الذي اتّبعه في كتابه الرئيسي " الأخلاق " . واستغرق منه العمل في هذا الكتاب سنوات طويلة حتى أكمله سنة ١٦٧٥ ، ولم يستطع نشره إلا قبيل وفاته بأشهر ، دون وضع اسمه على الكتاب خوفاً من السلطات الدينية .

تُوفّي سبينوزا ، وهو في الخامسة والأربعين ، نتيجة إصابته بمرض رئوي ، ربما السّل أو السحار السيليسي ، بسبب غبار تنعيم العدسات .

باول تسيلان وكابوس معسكرات الاعتقال

وُلد الشاعر الروماني باول تسيلان (١٩٢٠ _ ١٩٧٠) في تشيرنوفيتس في رومانيا ، وهي تقع حاليًا في أوكرانيا . وتُوفِّي في باريس . اسمه الحقيقي باول أنتشيل . واختار أن يكتب بالألمانية.

كانت عائلته يهودية تتحدث اللغة الألمانية . وكان الابن الوحيد لوالديه . التحق في البداية بالمدرسة الأساسية الألمانية ثم بالمدرسة اليهودية ، ثم بالمدرسة الثانوية الحكومية الرومانية لمدة خمس سنوات ، حتى حصل على الشهادة الثانوية في يونيو ١٩٣٨ من المدرسة الثانوية الأوكرانية . وفي نفس العام شرع في دراسة الطب في تورس ، غير أنه عاد بعد عام إلى رومانيا لدراسة العلوم الرومانية هناك .

وفي عام ١٩٤٠ ، قامت القوات السوفييتية باحتلال شمال بوكوفينا بما فيها مسقط رأسه تشيرنوفيتس . استطاع تسيلان في البداية مواصلة الدراسة ، غير أنه لَمَّا احتلت القوات الرومانية والألمانية منطقته في عام ١٩٤١ ، أُجبر اليهود على العيش داخل جيتو . وقد تم ترحيل والديه في عام ١٩٤٢ . أمّا والده فقد مات في معسكر في ترانسنيستريين جرّاء مرض التيفوس ، وأمّا والدته فقد أُعْدِمَت رَمِيًا بالرصاص .

قضى تسيلان الفترة (١٩٤٢ _ ١٩٤٣) مسجونًا في معسكرات العمل الرومانية ، وأُجبر على القيام بالأعمال الإجبارية في شَق الطرق في جنوب مولدوفا . وبعد التحرير (حين استولت القوات السوفييتية على تشيرنوفيتس في أغسطس ١٩٤٤) ، عاد تسيلان إلى تشيرنوفيتس مرة أخرى ، واستأنف دراسته بها .

وفي عام ١٩٤٧ رحل عبر المجر إلى النمسا ، ووصل إلى باريس عام ١٩٤٨ . وصدرت في نفس السنة في فيينا مجموعة أشعاره الأول "الرمل من الأوعية" التي لم تجد في البداية أدنى اهتمام بها .

التقى تسيلان في أغسطس من عام ١٩٤٨ إنجيبيورج باخمان ، وربطت بينهما علاقة حب ، لكنها لم تدم إلا قليلًا . وقد حاول الاثنان في خريف ١٩٥٠ العيش معًا من جديد ، ولكن محاولتهما باءت بالفشل ، " لأننا لأسباب شيطانية مجهولة لا نستطيع التنفس ونحن معًا " ، كما كتبت باخمان في إحدى رسائلها .

وفي باريس تعرّف تسيلان في نوفمبر ١٩٥١ على الفناة جيزيل دو لسترونج، وتزوّجها بعد عام واحد ، وتعاوناً معاً في بعض الأعمال .

وفي عام ١٩٥٢ صدرت عن دار نشر أنشتالت الألمانية مجموعته الشعرية " الخشخاش والذاكرة " ، التي تضم قصيدته المشهورة " أنشودة الموت " التي تتخذ القتل الذي تعرّض له يهود أوروبا على أيدي النازيين موضوعاً لها . وتُعتبر هذه القصيدة من القصائد السهلة مُقارنةً ببقية قصائده الغامضة. وهي برأي النقاد أبلغ ما كُتب عن مأساة الهولوكوست ، وأشهر قصائد تسيلان، وهي التي ساهمت في ربط تسيلان بالتراجيديا اليهودية في القرن العشرين .

حصل تسيلان على الجنسية الفرنسية في عام ١٩٥٥ . وفي عام ١٩٦٠ ازدادت حدّة الاتهامات غير المبرّرة من جانب كليير جول ، أرملة الشاعر اليهودي إيفان جول، تجاه تسيلان بأنه ينتحل ويسرق قصائد زوجها الشاعر الراحل، وكانت قد ربطت بينهما الصداقة ، وقام تسيلان بترجمة العديد من قصائده . وقد ظلت تلك الاتهامات بالانتحال تلاحق تسيلان حتى آخر أيام حياته، وكانت تلك الاتهامات تُسمّى أيضاً " قضية جول".

أُدخل تسيلان المستشفى أكثر من مرّة . وعلى سبيل المثال ، من ٢٨ نوفمبر ١٩٦٥ حتى ١١ يونيو ١٩٦٦ ، لأنه اعتدى وهو في حالة جنون كامل على زوجته وأراد قتلها بالسكين . وحدث الانفصال بينهما في نوفمبر من عام ١٩٦٧ ، وانفصل كلاهما عن الآخر في المسكن ، إلا أنهما بقيّا على اتصال دائم .

أحاطَ الغموض ظروف وتاريخ موت تسيلان . فالمرجّح أنه قد انتحرَ في العشرين من أبريل ١٩٧٠ بإلقاء نفسه من فوق جسر ميرابو إلى نهر السين. وانتشلت جثته من نهر السين في الأول من مايو ١٩٧٠ قرب كوريفوا ، والتي تبعد ١٠ كيلومترات عن باريس . وتم دفنه في الثاني عشر من مايو ١٩٧٠ في مقبرة تيبس في فالدومارن .

ولتكريم تسيلان الذي اشتهر بترجمة الشعر ، فقد أنشأ صندوق الأدب الألماني في عام ١٩٨٨ جائزة بول تسيلان لتكريم أعمال الترجمة البارزة . والجدير بالذكر أن تسيلان يُعتبر أحد أعلام الشعر الألماني في النصف الثاني من القرن العشرين .

من أبرز أعماله : الرمل من الأوعية (١٩٤٨) . الخشخاش والذاكرة (١٩٥٢) . من عتبة لأخرى (١٩٥٥) . قضبان اللغة (١٩٥٩) . الظهيرة (١٩٦١) . وردة الوحدة (١٩٦٣) .

باولو كويلو ورواية الخيميائي

وُلد الروائي البرازيلي باولو كويلو (١٩٤٧ _...) في ريو دي جانيرو ، لعائلة ميسورة مادياً. والده كان مهندساً ، أمّا والدته فكانت كاثوليكية شديدة الإيمان والروحانية .
تمنى كويلو في مراهقته أن يغدو كاتباً، إلا أن والدته كان لها رأي آخر عندما صرّح لها بذلك، وقالت له : ((عزيزي ، والدك مهندس ، رجل منطقي، عملي، صاحب رؤية واضحة المعالم جداً للعالم. هل تعلم حقاً ما هو معنى أن تصبح كاتباً ؟)) .

وفي السادسة عشرة من عُمره، أدّت انطوائية كويلو ورفضه للطرق التقليدية في الحياة بالديه إلى أن يُرسّله إلى مؤسسة عقلية ، وهو ما دفعه إلى الهرب منها ثلاث مرات قبل أن يُطلق سراحه منها نهائياً في العشرين من عمره. وقد عبّ كويلو على ذلك الموضوع فيما بعد قائلاً : ((لم تكن المسألة أنهما يريدان (يعني والديه) إيدائي . كانا فقط يجهلان ما ينبغي عليهما فعله اتّجاهي . إنهما لم يقوما بذلك لأجل تدميري ، بل لأجل الحفاظ عليّ)) .

ونزولاً عند رغبة والديه ، التحق كويلو بمدرسة القانون ، وهجر حلمه القديم في أن يصبح كاتباً. وبعد ذلك بعام واحد ، ترك كويلو المدرسة ، وعاش حياته بوهيمياً مُرتحلاً إلى أماكن عديدة في أمريكا الجنوبية ، وشمال أفريقيا ، والمكسيك ، وأوروبا . وبدأ في تعاطي المخدرات في ستينيات القرن العشرين. ولدى عودته إلى البرازيل ، عمل كويلو مُؤلّفاً للأغاني لبعض المطربين ، وتم اعتقاله في عام ١٩٧٤ بتهمة " أعمال تخريبية " خلال الحكم العسكري السائد حينئذ ، والذي اعتبر مؤلفات كويلو الغنائية يسارية خطيرة .

يُؤلّف كويلو حالياً القصص المحرّرة من قِبَل العامة عن طريق الفيس بوك . تتميز رواياته بمعنى روعي يستطيع العامة تطبيقه مُستعملاً شخصيات ذوات مواهب خاصة ، لكنها موجودة عند الجميع. كما يعتمد على أحداث تاريخية واقعية لتمثيل أحداث قصصه . وقد عُيّن عام ٢٠٠٧ رسول السلام التابع للأمم المتحدة .

قبل أن يتفرّغ كويلو للكتابة ، كان يُمارس الإخراج المسرحي والتمثيل ، وعمل كمؤلف غنائي، وصحفي. وقد كتب كلمات الأغاني للعديد من المغنين البرازيليين ، فيما يزيد عن ٦٠ أغنية. بدأ شغف كويلو بالعوالم الروحانية مُنذ شبابه كهبيي ، حينما جال العالم بحثاً عن المجتمعات السّرية، وديانات الشرق .

نشر أول كتبه عام ١٩٨٢ بعنوان " أرشيف الجحيم " ، والذي لم يلاق أي نجاح. وتبعته مصيره أعمال أخرى، ثم في عام ١٩٨٦ ، قام كويلو بالحج سَيْرًا لمقام القديس جايمس في كومبوستيلا (شمال غربي إسبانيا) . وقد كانت هذه الرحلة نقطة تحوُّل رئيسية في حياته ، فقد أفرزت رواية " الحج " في نفس العام ، والمعروفة تجاريًّا بـ " حاج كومبوستيلا " .

كتب كويلو رائعته "الخيميائي" ، ونشرها من خلال دار نشر متواضعة . لم يتحمس صاحب دار النشر للرواية ، حتى إنه قرَّر ألا تزيد عدد نسخ الطبعة الأولى عن ٩٠٠ نسخة وبدون إعادة نشر . عشر كويلو بعد ذلك على دار نشر أكبر ، وبعد نشره لروايته التالية "بريدا" حققت رواية "الخيميائي" أعلى مبيعات في البرازيل ، وتَمَّ طباعة أكثر من ٦٥ مليون نسخة منها ، حتى غدت من أعلى الكتب في التاريخ تحقيقًا لأعلى نسبة مبيعات ، وتَمَّ ترجمتها إلى ٧١ لغة، وهو ما حدا بها إلى أن تدخل موسوعة غينيس لأكثر رواية مترجمة لمؤلف على قيد الحياة .

و " الخيميائي" رواية رمزية ، نُشرت لأول مرة عام ١٩٨٨ . وتحكي عن قصة الراعي الإسباني الشاب سنتياغو في رحلته لتحقيق حلمه الذي تكرر أكثر من مرَّة ، والذي تدور أحداثه حول كنز مدفون في الأهرامات بمصر . ووراء هذا الحلم ذهب سانتياغو ليقابل في رحلته الإثارة، والفرص، والذل، والحظ والحب . ويفهم الحياة من منظور آخر وهو رُوح الكون .

وقد أشاد بها النُّقاد وصنّفوها كأحد روائع الأدب المعاصر . واستلهم كويلو حبكة القصة من قصة بورخيس القصيرة " حكاية حالمين " .

حازَ كويلو على المرتبة الأولى بين تسع وعشرين دولة . ونال العديد من الأوسمة والتقديرَات. وقد اعتُبر أعلى الكُتّاب مبيعًا بروايته " ١١ دقيقة"، حتى قبل أن تُطرح في الولايات المتحدة أو اليابان ، و ١٠ بلدان أخرى . واحتلت روايته " الزهير" (٢٠٠٥) المركز الثالث في توزيع الكتب عالميًّا .

برام ستوكر ورواية دراكولا

وُلِدَ الأديب الأيرلندي برام ستوكر (١٨٤٧ _ ١٩١٢) في كلونتارف، في الجزء الشمالي من دبلن بأيرلندا . برع في الرياضيات والعلوم والتاريخ واللغة، وتبع خطى والده في العمل في الخدمة المدنية كموظف في قلعة دبلن ، وخدم فيها ثماني سنوات نزولاً عند رغبة والده ، وخلال تلك الفترة كان ينشر في المجلات بعض القصص، منها "كأس الكريستال" عام ١٨٧٢، و" سلسلة القَدَر " عام ١٨٧٥ ، و " لعنة الرُّوح " عام ١٨٨٠ . بالإضافة إلى إلى تعاونه مع بعض المجلات كناقد مسرحي من دُون أجر . اشتهر في أرجاء العالم كافة بروايته " دراكولا " .

ربطته صداقة عُمر بالممثِّل البريطاني الشهير سير هنري أيرفينغ . وعمل مُديرًا لأعماله، ثم دفعه شغفه بالمسرح والتمثيل لأن يصبح مديرًا ناجحًا لمسرح ليسيوم الخاص بالممثِّل، واستمر في وظيفته مدة سبعة وعشرين عامًا حتى وفاة صديقه في عام ١٩٠٦ . ومن خلال الوسط الفني، تعرَّف على نخبة شخصيات المجتمع الأيرلندي والبريطاني، وقد ربطته صداقة بمجموعة أدباء منهم آرثر كونان دويل وألفريد لورد تينيسون ومارك توين وأوسكار وايلد ، الذي تنافس معه على طلب وُد الفتاة الجميلة فلورنس بالكومب ، التي اختارت في النهاية ستوكر ، وتزوَّجا في عام ١٨٧٨ . وعلى الرغم من انشغاله، فقد تمكن من كتابة روايته الأولى الرومانسية " ممر الثعبان " (١٨٩٠)، وعمل بعدها على كتابة روايته " دراكولا " التي لم ينته منها إلا في عام ١٨٩٧ ، وقد حقَّقت له تلك الرواية شهرة لم يكن يحلُم بها . وتُعتَبَر هذه الرواية رائدة في عالم روائع أدب الإثارة والرَّعب ، والتي عَرَفَ معظم الناس قصتها من خلال قراءة الرواية ، أو مشاهدة أحد الأفلام السينمائية العديدة التي تناولتها .

أمَّا أساس الرواية ، فيمكن تلخيصه كالتالي : ربطت ستوكر صداقة بروفيسور من بودابست بهنغاريا . وفي أحد لقاءاتهما حكى الأخير لصديقه قصصًا عن أساطير مَصَّاصِ الدماء في ترانسلفانيا، وعليه توجَّه ستوكر إلى أهم المكتبات في لندن ، ودرس جميع المواضيع والأبحاث التاريخية عن مَصَّاصِي الدماء في ترانسلفانيا ، وكذلك في مختلف أنحاء أوروبا . كما درس أيضًا طائر الخفاش وهو من الثدييات كمَصَّاصِ دماء ، والذي يعيش في جنوب أميركا .

واستوحى فكرة بطل روايته من شخصية حقيقية وهي الأمير فلاد دراكولا ، الذي حكم هنغاريا ورومانيا، وكذلك أيضًا من الشخصية الواقعية الكونتيسة إليزابيث باثوري من ترانسلفانيا، التي

اشتهرت بجمالها، والتي حينما بدأت تتقدم بالعمر أصيبت بجنون الخوف من فقدان جمالها، واعتقدت بأن دماء الفتيات الشابات ستحفظ لها ديمومة تألقها . وهكذا ، فقد قُتلت ٥٠ من خادوماتها ، لتسبح في دمائهن . وبعد اكتشاف فعلتها ، احتُجزت خلف جدران قلعتها حتى وفاتها في عام ١٦١٤ .

كُتبت هذه الرواية التي تدور أحداثها في أواخر القرن التاسع عشر، على نمط مذكرات يرويها البطل جوناثان هاركر، المحامي الشاب الذي يُكلّف بمهمة الذهاب إلى ترانسلفانيا للقاء الكونت دراكولا المقيم في قلعته في منطقة نائية لإنجاز الأوراق الرسمية الخاصة بملكيتها الجديدة في بريطانيا . وتتجلى موهبة ستوكر في إضفاء المصدقية على روايته ، من خلال شخصية البطل المثترنة العقلانية التي تعتمد على الدقة والنظام في ترتيب أمور حياتها . بوصول هاركر إلى القلعة وقضائه بضعة أيام برفقة الكونت، يبدأ بالتنبه إلى بعض الوقائع الغريبة في القلعة، ومنها عدم وجود أية امرأة وكذلك عدم تناول الكونت للطعام أو الشراب، بالإضافة إلى غيابه الدائم خلال النهار وعدم نومه في غرفته ، وغير ذلك من دلائل تجعل القارئ يتابع الأحداث مع البطل بشغف وحماس . وهذه الرواية التي تناولتها السينما بصورة تجارية، تحمل أبعاداً ومضموناً عميقاً، فهي تُجسّد الصراع بين قوى الخير والشر، وتعتمد على أفكار العهد الفكتوري المثالية ، حيث ينتصر الخير في النهاية، إلا أن ما فات الكثيرين هو أن ستوكر كان يحاول من خلال روايته تلك تجسيد فساد المجتمع الطبقي في عهده، حيث تُمثّل شخصية الكونت فساد وجشع الطبقة الأرستقراطية مقابل مجموعة الأصدقاء التي تُمثّل الطبقة الوسطى ، والتي تنتصر في النهاية .

في سنوات ستوكر الأخيرة تدهورت صحته بصورة متسارعة . وعلى الرغم من أن أسباب موته ما زالت غامضة ، وأثارت الكثير من الجدل، إلا أن كاتب سيرته الذاتية تجنبوا الحديث عن هذا الأمر . وقد بيّن الأطباء إصابته بالشلل العام المرتبط بالجنون . ويُفسّر بعض المختصين أن هذه الأسباب ترتبط بمرض الزهري ، وإن لم يكن تفسيرهم مُؤكّداً علمياً .

والجدير بالذكر أن ستوكر نشر قبل مرضه روايتين : " لغز البحر " (١٩٠٢) ، و " الرّجل " (١٩٠٥) . وتتناولان أدوار الرّجل والمرأة في المجتمع، وأيضاً ، التّصور العام الذي يحمله ستوكر تجاه المرأة . كما استمر هذا الأديب في كتابة روايات الرّعب والغموض ، مثل رواية " جوهرة النجوم السبع " (١٩٠٣)، وتدور أحداثها في مصر، ورواية " سيّدة الخمار " (١٩٠٩) . و " عربين الدودة البيضاء " (١٩١١) .

بِرتْرانْد راسل والقضية الفلسطينية

وُلد الفيلسوف البريطاني بِرتْرانْد راسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠) في ويلز لأسرة ليبرالية أرسقراطية. قَادَ الثوْرَةَ البريطانيّة ضدّ " المثاليّة " في أوائل القرن العشرين . ويُعتَبَر أحد مؤسسي الفلسفة التحليلية ، ومِن أبرز علماء المنطق في القرن العشرين . ولا تزال أعماله الفكرية ذات تأثير واضح على المنطق والرياضيات واللغويات والفلسفة .

كان ناشطاً بارزاً في مُناهضة الحرب ، وأحد أنصار التجارة الحرة ومُناهضة الإمبريالية . سُجن بسبب دعوته للسلام خلال الحرب العالمية الأولى . وقام بحملات ضد هتلر ، وانتقد الشمولية الستالينية ، وهاجمَ تورُّط الولايات المتحدة في حرب فيتنام ، كما طالبَ بِنزع الأسلحة النووية . حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٠ ، " تقديرًا لكتاباتهِ المتنوعة والمهمة ، والتي يُدافع فيها عن المُثل الإنسانية وحرية الفكر " .

عاشَ راسل مُراهقته وحيداً وبائساً ، وكثيراً ما فكَّر بالانتحار . وقد كانت اهتماماته مُركّزة في الدّين والرياضيات ، وإنَّ طُموحه لمعرفة المزيد من الرياضيات منعه من الانتحار . تلقى تعليمه في المنزل على أيدي المدرسين الخصوصيين . وقد أرشده شقيقه فرانك إلى أعمال عالم الرياضيات اليوناني إقليدس الملقَّب بأبي الهندسة ، وهذا الأمر غيّر حياته إلى الأبد .

بدأ راسل _ مُذ كان في الخامسة عشرة من العُمُر _ في دراسة العقيدة المسيحية ، وقرَّر في الثامنة عشرة التَّخلي عنها تماماً، لأنه اعتبرها عقيدة تفتقد إلى المنطق، وقائمة على أُسس غير سليمة. حازَ على منحة دراسية في جامعة كامبردج ، حيث بدأ دراسته فيها عام ١٨٩٠ . وبرز بسرعة في الرياضيات والفلسفة ، وتخرَّج عام ١٨٩٣ ، وحصل على الزمالة عام ١٨٩٥ .

كان أول ما نُشر من أعماله ، كتاب " الديمقراطية الاجتماعية الألمانية " ، وهو دراسة سياسية، ومؤشر مُبكر لاهتمام لازمه مدى الحياة في النظرية السياسية والاجتماعية . وفي عام ١٩٠٢ ، بدأ يدرس أُسس الرياضيات بشكل مُكثَّف. وفي عام ١٩٠٣ نشر أول كُتبه المهمة عن المنطق الرياضي، وهو " مبادئ الرياضيات " مُبيِّناً فيه كيفية استنباط الرياضيات من مجموعة صغيرة من المبادئ، ومُسهِماً في قضية الفكر المنطقي. وفي عام ١٩٠٥ ، كتب مقالته الفلسفية عن " التذليل ". وفي عام ١٩٠٨ أصبح زميلاً في المجتمع الملكي . ثم نشر المجلد الأول من كتابه " مبادئ الفلسفة " عام ١٩١٠ . وقد حقَّق هذا الكتاب إلى جانب " مبادئ الرياضيات " شهرةً

عالمية في مجاله . أصبح راسل شخصية مؤثرة ، ومثيرة للجدل في القضايا الاجتماعية والسياسية والتعليمية، وكان مباشرًا في دعوته للسلام، ودعا لانتهاج مواقف ليبرالية إزاء الجنس والزواج ووسائل التعليم. وكان من منتقدي الحرب العالمية الأولى . وقد سُجن عام ١٩١٨م بسبب تصريحات ضارة بالعلاقات البريطانية الأمريكية ، ثم دخل السجن مرة أخرى عام ١٩٦١م بسبب التحريض على العصيان المدني في حملة تطالب بِنزع السلاح النووي .

تميّز بكونه ناقدًا ساخرًا بالإضافة إلى كونه عالم اجتماع . كتب ما يزيد عن مئة كتاب ، والكثير من المقالات في الدين والفلسفة وعلم الاجتماع والسياسة والأخلاق والجنس .

قدّم راسل أعظم إسهاماته للفلسفة والرياضيات في مطلع القرن العشرين ، وأراد أن يستمد جميع الرياضيات من المنطق ، وبذلك أرساها على أساس متين . وتعاون راسل مع عالم الرياضيات والفيلسوف الإنجليزي ألفرد نورث وايتهيد ، وسعى في عمله هذا إلى إظهار أن جميع الرياضيات البحتة تتوالد من مُسلّمات منطقية تمامًا ، وأنها لا تستخدم سوى المفاهيم التي يمكن تعريفها بمصطلحات منطقية بحتة. ورغم أن أفكاره نُقّحت وطُوّرت على أيدي علماء الرياضيات من بعده، إلا أن أفكاره كانت المنطلق لكثير من الإنجازات الحديثة في علم المنطق وقواعد الرياضيات .

وفي ١٩٧٠ ، دافع عن حقوق الشعب الفلسطيني ، وأدانَ العدوانَ الإسرائيلي في الشرق الأوسط ، قائلاً : ((كثيرًا ما يُقال لنا إنه يجب علينا التعاطف مع إسرائيل لِمَا عاناه اليهود في أوروبا على أيدي النازيين ، إلا أن ما تقوم به إسرائيل اليوم لا يمكن السكوت عليه ، وإن استجلاب فظائع الماضي لتبرير فظائع الحاضر هو نفاق فادح)) .

وهذه العبارة قُرئت في المؤتمر العالمي للبرلمانيين في القاهرة في ٣ فبراير ١٩٧٠ . مع ملاحظة تقول إن راسل قد تُوفّي في اليوم السابق .

تُوفّي راسل إثر إنفلونزا حادة في منزله ، وقد أُحرق رُفاته حسب وصيته . ولم تقم احتفالية دينية بسبب كونه مُلحدًا ، ونُثر رماده على الجبال الويلزية لاحقًا ذاك العام . وفي عام ١٩٨٠ ، أُقيم نُصب تذكاري لراسل ، عبارة عن تمثال نصفي في إحدى ميادين لندن .

من أبرز مؤلفاته : الديمقراطية الاجتماعية الألمانية (١٨٩٦) . مبادئ الرياضيات (١٩٠٣) . مقالات فلسفية (١٩١٠) . مبادئ إعادة البناء الاجتماعي (١٩١٦) . آفاق الحضارة الصناعية (١٩٢٣) . لماذا لست مسيحيًا (١٩٢٧) .

برتولت بريخت ومُشاركة المُشاهد في المسرحية

وُلد الكاتب المسرحي برتولت بريخت (١٨٩٨ _ ١٩٥٦) في مدينة أوجسبورج . درس الطب في ميونخ، وعمل في مسرح كارل فالنتين . وفي عام ١٩٢٢ ، حصل بريخت على جائزة كلايست عن أول أعماله المسرحية . وفي عام ١٩٢٤ ، ذهب إلى برلين ، حيث عمل مُخرجًا مسرحيًا . وهناك أخرج العديد من مسرحياته . وتزوَّج عام ١٩٢٩ من الممثلة هيلينا فايجل . في عام ١٩٣٣ ، بعد استيلاء هتلر على السُّلطة في ألمانيا، هرب إلى الدنمارك . ثم هرب عام ١٩٤١ من الدنمارك من القوات الألمانية التي كانت تتوغَّل في أوروبا، وتحتل كل يوم بلدًا جديدًا، فهرب إلى سانتا مونيكا في كاليفورنيا، وهناك قابل العديد من المهاجرين الألمان الذين فرُّوا من الدولة الهتلرية ، التي بدأت تمارس القهر والاعتقالات ضد المعارضين ، وتفرض اضطهادًا لا حدود له ضد اليهود ، وتحرق كتب الأدباء التي لا ترضى عنهم . وقد كانت كتب بريخت من الكتب التي أُحرقت .

وهناك في أمريكا لم يكن بريخت راضيًا عن الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية في أمريكا . وفي عام ١٩٤٧ ، حوِّك في واشنطن ، بسبب قيامه بتصرفات غير أمريكية . وفي عام ١٩٤٨ عاد إلى الوطن ألمانيا، ولكن لم يُسمح له بدخول ألمانيا الغربية ، فذهب إلى ألمانيا الشرقية، حيث تولى هناك في برلين الشرقية إدارة المسرح الألماني . ثم أسس في عام ١٩٤٩ مسرح " فرقة برلين " . وتولى عام ١٩٥٣ رئاسة نادي القلم الألماني . وحصل عام ١٩٥٤ على جائزة ستالين للسلام . وقد أثر مسرح " فرقة برلين " على المسرح الألماني في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وظل بريخت يعمل في هذا المسرح حتى وفاته .

يُعتبر بريخت من أهم كتاب المسرح العالمي في القرن العشرين . ويقوم مذهبه في المسرح على فكرة أن المُشاهد هو العنصر الأهم في تكوين العمل المسرحي، فمن أجله تُكتب المسرحية، حتى تُثير لديه التأمل والتفكير في الواقع ، واتخاذ موقف ورأي من القضية المتناولة في العمل المسرحي.

ومن أهم أساليبه في كتابة المسرحية :

١_ هدم الجدار الرابع: يُقصد به جعل المُشاهد مُشاركًا في العمل المسرحي، واعتباره العنصر الأهم في كتابة المسرحية.والجدار الرابع معناه أن خشبة المسرح التي يقف عليها

الممثلون، ويقومون بأدوارهم، تُشبه غرفة من ثلاثة جدران، والجدار الرابع هو جدار وهمي وهو الذي يقابل الجمهور .

٢ _ التغريب: يُقصد به تغريب الأحداث اليومية العادية، أي جعلها غريبة ومثيرة للدهشة ، وباعثة على التأمل والتفكير .

٣ _ المزج بين الوعظ والتسلية ، أو بين التحريض السياسي والسُّخرية الكوميديّة .

٤ _ استخدام مَشَاهِد متفرقة : بعض مسرحياته تتكوّن من مَشَاهِد متفرقة، تقع أحداثها في أزمنة مختلفة ، ولا يربط بينها غير الخيط العام للمسرحية . كما في مسرحية "الخوف والبؤس في الرايخ الثالث" (١٩٣٨) . فقد كتبها في مشاهد متفرقة تُصَبّ كُلها في وصف الوضع العام لألمانيا في عهد هتلر ، وما فيه من القمع والطغيان والسُّوداوية التي يُنبئ بحدوث كارثة ما .

٥ _ استخدام أغنيات بين المَشَاهِد ، وذلك كنوع من المزج بين التحريض والتسلية . كتب بريخت أولى أعماله المسرحية " بعل " ، وكان مُتأثراً فيها بفترة التعبيرية . أمّا في مسرحية " أوبرا الثلاثة قروش " (١٩٢٨) التي حققت له نجاحاً عالمياً ، فقد كانت تُصوّر بطريقة عفوية مبدأ : ((في البداية الطعام ، ثُمَّ الأخلاق)) .

كان بريخت من أهم كُتّاب المسرح في ألمانيا قبل عام ١٩٣٣ . ولكن بعد استيلاء هتلر على الحكم ، واضطهاده لليهود ، وإحراقه كتب الأدباء الذين لا ينتهجون نهجاً نازياً، هرب من ألمانيا إلى الدنمارك ثم أمريكا . وكتب في أمريكا أهم أعماله ، منها نظريته عن المسرح الملحمي، التي نشرها عام ١٩٤٨ ، بعنوان " الأرجانون الصغير للمسرح " .

نجد في أعمال بريخت حيرته إزاء العالم وقضاياها . ففي نهاية مسرحيته "الإنسان الطيب في ستشوان" يقول بريخت : ((نقف هنا مصدومين ، نشاهد بتأثر الستارة وهي تُغلق ، وما زالت كل الأسئلة مطروحة للإجابات)) .

وفي مسرحية " حياة جاليليو " التي كتبها عام ١٩٤٣ في المهجر في الدنمارك ، تدور الأحداث حول عالم الفيزياء الإيطالي جاليليو ، الذي يتراجع أمام سلطة الكنيسة ، ويتخلى عن إنجازاته العلمية وأعماله الفكرية خوفاً من التعذيب والحرق . وترمز هذه المسرحية إلى وضع العلماء الألمان بعد تولّي هتلر السُّلطة في ألمانيا .

برنارد لويس والأرشييف العثماني

وُلد المفكر البريطاني الأمريكي برنارد لويس (١٩١٦ _ ٢٠١٨) في لندن ، وتُوِّفِي في نيوجيرسي بالولايات المتحدة الأمريكية . كانت أسرته يهودية من الطبقة الوسطى . اجتذبت اللغات والتاريخ منذ سن مبكرة ، واكتشف عندما كان شاباً اهتمامه باللغة العبرية ، ثم انتقل إلى دراسة الآرامية والعربية، ثم بعد ذلك اللاتينية واليونانية والفارسية والتركية . تخرَّج عام ١٩٣٦ في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية (جامعة لندن) ، في التاريخ مع تخصص في الشرق الأدنى والأوسط . حصل على الدكتوراة بعد ثلاث سنوات ، من نفس الكلية، متخصصاً في تاريخ الإسلام . اتَّجه لويس أيضاً لدراسة القانون، قاطعاً جزءاً من الطريق نحو أن يصبح محامياً، ثم عاد إلى دراسة تاريخ الشرق الأوسط . وفي عام ١٩٣٧ ، التحق بالدراسات العليا في جامعة السوربون، حيث درس مع المستشرق ماسينيون ، وحصل على دبلوم في الدراسات السامية عام ١٩٣٧ . وعاد إلى كلية الدراسات الشرقية والأفريقية في عام ١٩٣٨ كمُساعد محاضر في التاريخ الإسلامي.

أثناء الحرب العالمية الثانية، خدم لويس في الجيش البريطاني في الهيئة الملكية المدرعة وهيئة الاستخبارات سنة ١٩٤٠ . ثم أُعير إلى وزارة الخارجية . وبعد أن وضعت الحرب أوزارها عاد إلى كُليته. وفي عام ١٩٤٩ عُيِّن أستاذاً لكرسي جديد في تاريخ الشرقين : الأدنى والأوسط. انتقل لويس إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أصبح يعمل كأستاذ محاضر بجامعة برنستون وجامعة كورنل في السبعينيات. وحصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٨٢ كما حاز على العديد من الجوائز من قِبل مؤسسات تعليمية أمريكية لكتبه ومقالاته في مجال الإنسانيات . يمتد تأثير لويس إلى ما وراء العمل الأكاديمي ، ليلغ الناس . فهو باحث رائد في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي الشرق أوسطي، ومعروف ببحوثه الشاملة في الأرشييف العثماني . ابتداءً مهامه البحثية بدراسة عرب القرون الوسطى ، لا سيَّما تاريخ السوريين . ولكنه اضطرَّ لتغيير اختصاصه بعد اندلاع الصراع العربي الإسرائيلي ، واتَّجه إلى الدراسات التركية نتيجة منع معظم الدول العربية له من دخول أراضيها للدراسة والبحث التاريخي لأنه يهودي .

عُدَّت محاضراته الأولى التي كُرسَت للنقابات المهنية لدى مسلمي القرون الوسطى، العمل الأكثر اعتمادية عليه لِمَا يُناهِز الثلاثين سنة . انتقل لويس لدراسة الدولة العثمانية، وواصل البحث

في التاريخ العربي من خلال الأرشيف العثماني . وأدّت سلسلة الأبحاث التي نشرها لويس على امتداد بضعة سنوات لاحقة إلى تشوير تاريخ الشرق الأوسط عبر تقديمه صورة واسعة للمجتمع الإسلامي ، تشمل الحكومة والاقتصاد والجغرافيا السكانية .

برز لويس خلال منتصف ستينيات القرن العشرين كمعلّق وخبير في الشؤون الحديثة لمنطقة الشرق الأوسط ، وتحليله للصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، وانتشار ظاهرة " الإسلام الجهادي " التي جعلته شهيرًا ، وأثارت له كثيرًا من الجدل .

كان لويس من الناقدين اللادعين للاتحاد السوفيتي، وواصل السير على خطى التقليد الليبرالي والخوض في الدراسات الإسلامية التاريخية . وانعكست آراؤه الماركسية التي كان مؤمنًا بها في البداية على أول كتاب من تأليفه " أصول الإسلام السياسي " .

وقد نبذ لويس الماركسية فيما بعد وتخلّى عن آرائه هذه . أمّا أعماله اللاحقة فكانت ردة فعل على مدرسة العالم الثالث الصادرة عن اليسار السياسي، والتي أصبحت من مدارس الفكر الرئيسية في الأوساط الأكاديمية لمجال الدراسات الشرق أوسطية .

دعا لويس إلى توطيد وتقوية أواصر علاقات العالم الغربي مع دولتين من دول المنطقة ، وهما: تركيا وإسرائيل. والتي عدّهما هامّتين، ولا سيّما في ضوء المد الشيوعي السوفييتي آنذاك في الشرق الأوسط . ولدولة تركيا مكانة خاصة من وجهة نظر لويس إزاء المنطقة بأكملها بسبب جهودها للانضمام إلى دول العالم الغربي المتقدمة . وكان لويس زميلًا شرفيًا في معهد الدراسات التركية ، وقد مُنحت له هذه العضوية بسبب " تميّزه في العمل البحثي الحائز على الاعتراف عمومًا ... وخدمته المديدة والمتفانية في مجال الدراسات التركية " .

ألّف لويس عدّة كتب ، وله عدّة مقالات صحفية في صحيفة " نيو يوركر "، حيث تتمحور أغلب كتاباته حول الإسلام والشرق الأوسط ، وكذا المجتمعات الإسلامية وعلاقاتها بالغرب .

تُرجمت مؤلفاته إلى عشرين لغة ، منها : العربية، والفارسية، والتركية ، والأندونيسية .

وبشكل عام ، يُعتبَر لويس أحد أهم علماء الشرق الأوسط الغربيين ، الذين طالما سعى صنّاع السياسة من المحافظين الجدد مثل إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق جورج دبليو بوش ، إلى الحصول على استشارتهم .

برنار هنري ليفي ودعم الثورات العربية

وُلد الفيلسوف الفرنسي برنار هنري ليفي (١٩٤٨ - ...) في مدينة بني صاف شمالي الجزائر أيام خضوعها للاحتلال الفرنسي ، لعائلة يهودية جزائرية ثرية . كان أبوه تاجر أخشاب . وقد انتقلت أسرته من الجزائر إلى فرنسا بعد أشهر من ميلاده . أكمل ليفي المرحلة الثانوية في ثانوية لويس لوجراند بباريس ، ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا عام ١٩٦٨ ، حيث تخرّج بشهادة في الفلسفة ، وهناك تأثر بأساتذته من فلاسفة فرنسا البارزين خاصة جاك دريدا ولوي ألتوسير .

يُعتبر ليفي " نجم تيار الفلاسفة الجدد " الذي برز في فرنسا خلال سبعينيات القرن العشرين ، ويوصف بأنه " يساري " من الناحية الفكرية والفلسفية ، ولكنه " يميني صهيوني " على صعيد المواقف والممارسة السياسية . وقد عُرف بتعصبه القوي لإسرائيل عندما يتعلق الأمر بمصالحها وأمنها، فقد رفض وصف حروبها على غزة بالإبادة. وصرّح عام ٢٠١٠ _ إثر العدوان الإسرائيلي المدّمّر على غزة _ بأن " الجيش الإسرائيلي أكثر الجيوش أخلاقية وديمقراطية " ، وهو القائل إن الجولان " أرض مقدسة " كما أنه يُوظّف ثقافته الفلسفية والأدبية لصالح " المحرقة اليهودية " . بل إنه كان مُرشحًا لرئاسة إسرائيل .

مارس ليفي التدريس في الجامعات والمعاهد الفرنسية ، فقد درّس نظرية المعرفة في جامعة ستراسبورغ والفلسفة بمدرسة المعلمين العليا . وأسّس مجلة " قاعدة اللعبة " ، كما أنشأ مع يهود آخرين في نهاية التسعينيات " معهد ليفيناس " الفلسفي بمدينة القدس المحتلة . ومن أبرز أدواره السياسية تقديمه الاستشارة للرئيس الفرنسي الأسبق نيكولا ساركوزي الذي يعدّه من أخلص أصدقائه، وقد ساهم في إقناعه بضرورة التدخل العسكري في ليبيا ٢٠١١ ، واتخذته سيغولين رويال مرشحة الحزب الاشتراكي الفرنسي في انتخابات الرئاسة عام ٢٠٠٧ مستشارًا سياسيًا لها .

رغم أن ليفي يُعدّ مفكرًا وفيلسوفًا وأكاديميًا وسينمائيًا ، إلا أن شهرته ترسّخت أكثر باعتباره صحفيًا وناشطًا سياسيًا ، حتى صار " نجم كل وسائل الإعلام دون استثناء " ، وقد ذاع صيته في البداية حين كان مراسلًا حربيًا من بنغلاديش خلال حرب انفصالها عن باكستان عام ١٩٧١ . ثم لمع نجمه في التسعينيات حين دعا إلى تدخل حلف شمال الأطلسي (الناتو) في يوغسلافيا

السابقة. وفي عام ٢٠٠٦ وقّع بيانًا مع ١١ مثقفًا (بينهم سلمان رشدي) بعنوان : "معًا لمواجهة الشمولية الجديدة " ، ردًا على المظاهرات الشعبية التي اجتاحت العالم الإسلامي احتجاجًا على الرسوم الكاريكاتورية المسيئة إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، والتي نشرتها آنذاك صحيفة دنماركية . وقد احتل ليفي صدارة الأحداث في فرنسا والعالم ، خاصة خلال ثورات الربيع العربي التي انطلقت من تونس مطلع عام ٢٠١١ ، حيث ظهر في عدد من بلدان الربيع العربي ولا سيّما ليبيا التي زار عددًا من مدنها خلال الثورة على نظام معمر القذافي، واتخذت شهرته خصوصية جديدة وغير مسبوقة أثناء أحداثها .

وعندما اندلعت الثورة السورية في مارس/آذار ٢٠١١ ، كتب ليفي مقالاً _ وقعه معه ثلاثة من مشاهير السياسة الفرنسية بينهم وزير الخارجية الأسبق برنار كوشنير _ نشرته صحيفة لوموند يوم ٢٢ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٢ ، ودعوا فيه الدول الغربية للتدخل لقتال "استبداد آل الأسد" و"التطرف الإسلامي" وذلك بهدف "وقف أنهار الدم" في سوريا خدمة "للمستقبل الديمقراطي". ذكر ليفي في مقدمة فيلمه "قسم طُبرق" الذي عُرض في مهرجان كان الفرنسي خلال مايو أيار ٢٠١٢ ، أنه كان موجودًا في ميدان التحرير أثناء الثورة المصرية على نظام حسني مبارك ، ويترك انطباعًا لمشاهدي فيلمه بأن الثورات العربية ما كان لها أن تقوم لولا أنه شخصيًا كان خلفها مشجعًا ومخططًا وقائدًا، رغم دفاعه عن جنرالات الجزائر لمحاربتهم "إرهاب الفاشيين الإسلاميين". لكن ليفي الذي حارب إيران نجاد وسودان البشير ، وندّد بـ "جرائم الحرب" ضد سكان دارفور ، مُطالبًا بالتدخل العسكري الدولي هناك، هو نفسه الذي يكفر بحقوق المضطهدين حين يتعلق الأمر بإسرائيل التي يُعدّ محاميها الرسمي، رغم مناشدته الأنظمة الغربية التدخل عسكريًا في ليبيا تحت غطاء " التدخل الإنساني " لمساعدة الثوار في سعيهم للإطاحة بنظام القذافي . وبينما يرى ليفي في نفسه مُناصرًا لحقوق الإنسان وداعية ضد الدكتاتوريات والتسلط، يصفه خصومه بأنه أوليغارشي يخدم الأقوياء على غرار الشخصيات التي تحتكر كل أنواع النفوذ السياسي والاقتصادي والثقافي ، ومُتمثلٌ لبرجوازية مخملية تتبادل المصالح والصدقات والخدمات وتمارس الضغط . وقد أطلق عليه فلاسفة فرنسيون كبار _ من أمثال جيل دولوز وأستاذة جاك دريدا والمؤرخ بيار فيدال ناكيه _ وصف "الخديعة الثقافية" .

يُعتبر ليفي من أهم الكُتّاب والمفكرين في أوروبا، وله أكثر من ٣٨ كتابًا في الفلسفة، والروايات والتراجم .

بندتو كروتشه وفلسفة الجمال

وُلد الفيلسوف الإيطالي بندتو كروتشه (١٨٦٦ _ ١٩٥٢) في بيسكا سيرولي بالقرب من بيسكارا . نجا بأعجوبة مع أخيه من الزلزال الرهيب الذي ضرب كازاميشيولا (جزيرة إسكيا) عام ١٨٨٣ ، والذي ذهب ضحيته أفراد أسرته جميعاً . وكانت حياته عملاً دؤوباً من الدراسات الفلسفية رفعت ذكره في مجالات النقد الأدبي وعلم الجمال وتاريخ الثقافة وعلم التاريخ .

فلسفة كروتشه هي فلسفة المثالية المطلقة . ومذهبه الفلسفي يضع أربع درجات في "هبوط عالم الروح " وهي الدرجة الجمالية (تجسّد الرُّوح الفرد)، والدرجة المنطقية (مجال العام). والدرجة الاقتصادية (مجال المصلحة الخاصة) ، والدرجة الأخلاقية (مجال المصلحة العامة) .

وكان لنظرية كروتشه الجمالية تأثير بالغ على النقد الفني البرجوازي . فقد عارضَ الفنَّ باعتباره معرفة حدسية بالفرد المتجسّد في الصور الحسّية ، باعتباره عملية عقلية لمعرفة العام .

ويسعى مذهب كروتشه الأخلاقي إلى إخفاء الأساس الاجتماعي والطبيعة الطبقية للأخلاقيات . وتروّج فلسفته الأخلاقية لمبدأ إخضاع الفرد للكُلّي، أي إخضاع الفرد للنظام الاستغلالي السائد . وكان كروتشه أيديولوجياً بارزاً وزعيماً سياسياً للبرجوازية الليبرالية الإيطالية ، وخصماً للفاشية .

وهو أفضل مَنْ يُمثّل النزعة التعبيرية في فلسفة الجمال إذ يرى أن الجمال في التعبير ، وعنده الفكر أربعة أنواع : ١ _ الحدس أو التصوّر الصادق . ٢ _ عملية الإدراك : أي إن الحدس والإدراك يُمثّلان الجانب النظري للفكر ، ويُقابله الجانب العملي ، وهما : ٣ _ الإرادة الفردية . ٤ _ الإرادة الجماعية .

يُعتبر كروتشه من أكثر فلاسفة إيطاليا تميّزاً في القرن العشرين . وكان يؤمن بوجود نوعين من المعرفة : المعرفة التي تأتي عن طريق الفهم ، والمعرفة التي تأتي عن طريق الخيال .

والخيال عند كروتشه يُوجّه الفن . وكان يؤمن بأن الفن لا يحاول تصنيف الأشياء، كما يفعل العلم ، لكنه يحسُّ بها ويُمثّلها فقط . اهتم كروتشه بالسياسة، وشغل مناصب مهمة عدة، منها عضوية مجلس الشيوخ (١٩١٠)، ووزارة التعليم العام بعد الحرب العالمية الأولى (١٩٢٠)، ورئاسة الحزب الليبرالي بعد الحرب العالمية الثانية . وقد بقي نشاط كروتشه خارج نطاق الأوساط الأكاديمية الرسمية ، فقد أصدر بالتعاون مع أحد زملائه مجلة " النقد " (١٩٠٣)، كما أسّس في عام ١٩٤٦ معهداً للدراسات التاريخية في نابولي ، وتولى بنفسه تقديم المقر والمكتبة .

تأثرت فلسفة كروتشه بفلسفة الروح عند هيغل، غير أن الروح عند كروتشه ليست الفكرة، لكنها الواقع أو الخبرة، وتاريخها هو تاريخ الخبرة أو المعرفة، والخبرة أو المعرفة درجات، وهي أربع: ١_ الخبرة الإدراكية التي يدرك بها ما هو جزئي وهي حدسية عيانية، عن طريق الخيال ، وهي المعرفة الجمالية وميدانها علم الجمال . ٢_ الخبرة الإدراكية التي يدرك بها ما هو كلي، أي معرفة الكلمات، وهي منطقية صورية وميدانها علم المنطق . ٣_ الخبرة العملية التي تهدف إلى غايات فردية وميدانها علم الاقتصاد. ٤_ الخبرة العملية التي تهدف إلى غايات كُلية وميدانها علم الأخلاق.

ومن ثمَّ يكون للنشاط الروحي أربعة مستويات هي : الجمال، الحق، المنفعة، الخير . والتاريخ هو وصف نشاط الروح في هذه المستويات أو المراحل، وهذه هي الحقيقة بكاملها عند كروتشه، ويُطلق عليها اسم اللحظات الأربع، وهذه اللحظات ليست منفصلة بعضها عن بعض، بل إن كل لحظة تُمثِّل الحقيقة العيانية كاملة .

أمَّا في فلسفة الفن فيرى كروتشه أن الفن رؤية وحدس كموضوع خارجي (شيء أو شخص) أو كموضوع داخلي (عاطفة أو مزاج)، يُعبّر عنه الفنان باللغة أو اللون أو النغم أو الحجر ، ولا ينفصل التعبير عن الرؤية، حيث يمزج بينهما العمل الفني، ومن ثمَّ يستوي القول إن الفن مضمون أو إنه شكل. والعمل الفني هو صورة ذهنية يؤلفها الفنان ، ويُعيد متذوقو الفن تأليفها، وليس الفن سوى عرض الشعور مُجسَّمًا في صورة ذهنية .

كان لفلسفة كروتشه الغنية تأثير قوي في الفلسفة الإيطالية والأوروبية برُمَّتْها، واحتلت أعماله مكانة بارزة في كلاسيكيات مثالية القرن العشرين ، فكان له أثر كبير في معظم من أتى بعده من المفكرين والفلاسفة. وكان له أثر في إعادة تقويم أفكار الفيلسوف الألماني هيغل .

من أبرز أعماله : علم الجمال (١٩٠٢). الفلسفة العملية (١٩٠٨). المُجمَل في علم الجمال (١٩١٣) . فلسفة الروح (١٩٠٢ _ ١٩١٧) وهو أهم مؤلفاته .

بوذا واكتشافه سبب الألم

وُلد الفيلسوف النيبالي بوذا (٥٦٣ ق.م _ ٤٨٣ ق.م) في بلدة لومبيني التي تقع حاليًا جنوب جمهورية نيبال على الحدود الهندية ، وكان من أسرة نبيلة . وكان أبوه ملكًا صغيرًا في تلك البلاد . وقد تربى بوذا في وضع من الرفاهية والنعيم العظيم . تُوفيت أمّه وهو في السابعة من عُمره، فَرَبَّتْهُ عَمَّتُهُ، وتزوَّج صغيرًا ، ولمّا بلغ السادسة والعشرين هجر زوجته إلى الزهد والتقشف والتأمل في الكون ، وانتهج نهجًا خاصًا في الكون ليتخلص الإنسان به من آلامه، ودعا إلى ذلك كثيرًا من الناس . ترك بوذا القصر الملكي في سن التاسعة والعشرين ، وعاش لمدة ست سنوات بلا مأوى ، ومات وهو في الثمانين من عُمره . يُعتَبَر بوذا هو مؤسس ديانة أو فلسفة البوذية ، وهي أقرب إلى فلسفة الحياة منها إلى الدين ، حيث لا تُؤمن بإله ، وتقوم على التجرد والزهد تخلصًا من الشهوات والألم وطريقًا إلى الفناء التام، وتقول بالتناسخ ومبدأ السببية ، وتُنكر البعث والحساب، وهي من أكثر الديانات انتشارًا في الهند والشرق الأقصى . و"بوذا " ليس اسم علم على شخص بعينه، وإنما هو لقب ديني عظيم، معناه الحكيم، أو المستنير، أو ذو البصيرة الثَّابِتة ، وهو الذي يُعلن طريقة خلاص البشر من دائرة الولادة المتكررة ، ولكن أتباعه حوّلوا تعاليمه إلى مبادئ دينية وألّهوه . انطلق بوذا يُبشِّر بما توصّل إليه من آراء حول الألم وأسبابه، ويجوب الهند داعيًا إليها، واستجاب له الكثير من نُسّاك الهندوس ، وصاروا له أتباعًا ورُسلًا ، واستمر في دعوته حتى موته، فقام أتباعه بإحراق جسده ، وأرسلوا رماده إلى ثمانية مواطن كانت قد انتشرت فيها البوذية . وَفَقًا للنصوص البوذية، ففي وقت مبكر، وبعد أن أدرك بوذا أن التأمل هو الطريق الصحيح للصحة، اكتشف أن ما يُعرف بمسار الطريق الوسط والاعتدال بعيدًا عن التطرف في الانغماس الذاتي وإهانة المصير . بعد سنوات من التجربة التي خاضها بوذا ، كانت النتيجة أن الآلام والأحزان التي يُعاني منها كل شخص في الحياة سواء كان غنيًا أم فقيرًا سببها الآمال والرغبات التي تراوده دائمًا . وقد أقام فلسفته الأخلاقية على عدّة حقائق ، وهي أن هذا العالم مليء بالألم ، وأن لهذا العالم المؤلم مصدر وسبب يجب كشفه ، كما أن معرفة سبب الألم تقودنا إلى الوسيلة التي من خلالها نقضي على الألم. ومن أجل القضاء على الشهوات والملذات يجب أن يتّبع الإنسان أسلوبًا صحيحًا . كما صاغ ثمانية مبادئ أهمّها القول الطيب والعمل الصالح بالإضافة إلى بذل الإحسان والجهد الصادق في الأعمال.

يُصوّر علماء الهند بوذا أنه كان شديد الضبط، قوي الروح، ماضي العزيمة، واسع الصدر، عزوفاً عن الشهوة، بالغ التأثير، بريئاً من الحقد، بعيداً عن العدوان، جامداً لا ينبعث فيه حب ، ولا كراهية ، ولا تُحرّكه العواطف ، ولا تُهيّجه النوازل ، بليغ العبارة ، فصيح اللسان ، مؤثّراً بالعاطفة والمنطق ، له منزلة كبيرة في أعين الملوك، ومجالسة العلماء والعظماء ، كما رفض التعصب الديني والغضب والبطش .

لم يكن بوذا نبياً ولا صاحب دين ، وإنما هو باحث فيلسوف مُفكّر، اعتنى بالناحية الأخلاقية والمبادئ السامية أكثر من عنايته بالناحية العقّدية، كما سخر بوذا من " فكرة الإله " ، كما أن النفوس البشرية عند بوذا عُرضة للتحوّل الدائم، والتعرّض المستمر للفناء، وآمن بوذا بعقيدة التناسخ لأنها نتيجة لمبدأ الكارما (مفهوم أخلاقي في المعتقدات البوذية يُشير إلى مبدأ السببية ، حيث النوايا والأفعال الفردية تُؤثّر على مستقبل الفرد) .

مات بوذا بعد مرض قصير . وبعد موته تكوّنت الأساطير العديدة حول تمجيد بوذا الذي تحوّل تدريجياً إلى كائن علوي، وتكوّنت تعاليم تشرح العلاقة بين بوذا التاريخي وبوذا المُمجّد، يتحدث عن ثلاثة أجسام لبوذا، جسم التحوّل وهو انعكاس الجسد الحقيقي أو ظلّه ، وجسم التّنعّم الذي فيه تتجلى ثمرة أعماله الصالحة، وجسم الشريعة الذي هو طبيعة بوذا الكاملة . ونتج من هذا التعليم أن بوذا التاريخي امّحى شيئاً فشيئاً ، ليقترّب من المطلق ويتماهى معه .

بوريس باسترنالك وإلهام العشقات

وُلد الكاتب والشاعر الروسي بوريس باسترنالك (١٨٩٠-١٩٦٠) لأب كان يهوديًا ثُمَّ تَحَوَّل إلى الكنيسة الأرثوذكسية، وهو رسَّام وأستاذ في معهد الفنون. ووالدته كانت عازفة بيانو مشهورة. نشأ في عائلة فنية ومنفتحة على الثقافات ، وهذا الأمر دفعه إلى دخول كونسرفتوار موسكو عام ١٩١٠ ، لكنَّه تركه ليدرس الفلسفة في جامعة ماربورغ الألمانية . ورغم نجاحه الدراسي، رفض العمل في مجال تدريس الفلسفة ، وترك الجامعة عام ١٩١٤ .

وفي نفس السنة أصدر ديوانه الأول ، الذي احتوى على قصائد واقعة تحت تأثير أفكار الفيلسوف الألماني كانت ، ومكتوبة بلغة يومية ذات كلمات مُتشابهة (نوع معروف في الشعر الروسي كالسَّجع عند العرب، ولكن التشابه يكون في بداية الكلمات) .

خلال الحرب العالمية الأولى ، عمل باسترنالك في مختبر للكيمياء في الأورال. وهذه التجربة الشخصية ستكون مادةً أولية سيستخدمها لاحقًا في رواية " دكتور جيفاغو " .

في صيف ١٩١٧ ، بينما كان باسترنالك في سهل ساراتوف (جنوب شرق روسيا) ، عاش قصة حب ملتزمة مع فتاة يهودية، كانت مُلهمة الأولى. وهذه التجربة الغرامية أوحى له بمجموعة شعرية كتبها خلال ثلاثة أشهر، وامتنع عن نشرها إخراجًا لمدة أربع سنوات. وقد نُشرت في عام ١٩٢١ بعنوان " حياتي الشقيقة "، وأحدثت تأثيرًا هائلًا على الشعر الروسي. وصار باسترنالك مثالاً يُحتذى لصغار الشعراء ، حتى إنَّه أثَّرَ على كبار الشعراء الروس في عصره . وتُعتبر " حياتي الشقيقة " من أهم المجموعات الشعرية التي كُتبت باللغة الروسية في القرن العشرين .

في أواخر العشرينيات، بدأ باسترنالك يشعر أن أسلوبه الشعري يتعارض مع المناخ الأدبي الناتج عن الواقعية الاجتماعية التي كان الحزب الشيوعي السوفييتي يدعمها وينشرها ، فحاول باسترنالك أن يُبسِّط شعره حتى يصل إلى القارئ العادي . وفي عام ١٩٣٢ ، غيَّرَ أسلوبه الشعري بشكل جذري ليتوافق مع المفاهيم السوفييتية الجديدة. وأصدر مجموعته الشعرية " الولادة الثانية " التي كانت كارثية . وأصيب مُحِبُّوه في الخارج بخيبة أمل. ثُمَّ اعتمدَ بشكل كُلي على التبسيط والمباشرة في الوطنية في مجموعته التالية " قطارات مُبكرة " (١٩٤٣). فكانت النتيجة سيئة للغاية، وتعرَّضَ لهجوم حاد من النُّقاد . في أواخر الثلاثينيات ، قادت السُّلطة السوفييتية حملات تطهير واسعة في أوساط الأدباء والمفكرين الروس، فشعر باسترنالك بالخيبة والخذلان من

الشعارات الشيوعية ، ورفضَ نشر شعره ، وتَوَجَّهَ إلى ترجمة الشعر العالمي إلى الروسية . وقد أنقذته عبقريته اللغوية من الاعتقال ، حيث مُرِّت قائمة أسماء الذين صدرت أوامر باعتقالهم أمام ستالين ، فحذف اسمَه قائلاً : " لا تلمسوا ساكن الغيوم هذا " .

أبرز ما كتبه باسترناك خلال مسيرته الأدبية رواية " دكتور جيفاغو " . وتحكي قصة حياة طبيب وُلد في أواخر القرن التاسع عشر . وقد أعطى المؤلف صُورًا عن الحياة في روسيا ، قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها ، وأثناء الحرب الأهلية وبعدها . لقد كان باسترناك مُحبًا للحياة ومُتفانيًا ، وهذا انعكس في تجسيده للشخصية الأساسية في هذه الرواية ، أمَّا بطل الرواية " لارا " ، فالتقأ يقولون إنها تُمثِّل عشيقته أولغا إيفنسكايا . وبسبب انتقاده الشديد للنظام الشيوعي ، لم يجد ناشرًا يقبل بنشر الرواية في الاتحاد السوفيتي . لذلك فقد هُزِّت عبر الحدود إلى إيطاليا ، ونُشرت في عام ١٩٥٧ ، وأحدثت تأثيرًا سلبيًا في الاتحاد السوفيتي ، وإيجابيًا في الغرب .

وقد كتب باسترناك هذه الرواية ، وهو واقع تحت تأثير فرحه بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، وانتصار شعبه فيها ، وأمله بانتشار الحرية والديمقراطية في المجتمع السوفيتي ، وأن تتوقف أعمال القمع والمحاكمات التي يتعرَّض لها المثقفون وغيرهم . لكن هذا الأمل لم يكن سوى سراب .

وفي عام ١٩٥٨ مُنح جائزة نوبل للآداب . لكن السُّلطة السياسية في بلاده أجبرته على رفضها . ولم يتم الاكتفاء بهذا ، فقد فُصل من اتحاد الكُتَّاب ، وأُوقف إصدار ترجماته ، وفُرض حظر عليه ، وتُرك بلا راتب . والجدير بالذكر أن السُّلطة السوفيتية كانت قد وضعته تحت المراقبة منذ مطلع الثلاثينيات ، وصَوَّرته إنسانًا معزولاً عن العالم ، غارقًا في الذاتية والانطوائية والعدمية . ثمَّ أطلقت عليه لقب " المرتد " و " عدو الشعب " .

تتميَّز كتابات باسترناك بعمق نفسي (سيكولوجي) وفلسفي ، وإدراك عميق للعالم والروح الإنسانية ، مع الحفاظ على بساطة التعبير وعمق الرؤية ووضوحها . وتُعتبر الغنائية سِمَةً بارزة في كتاباته ، وهي غنائية قائمة على الأصوات والألفاظ المتناغمة المثقلة بالأحاسيس والصور والإيقاعات المتنوعة . كما تتميز قصائده بالدقة ، وتداعي الأفكار ، والتراكيب المعقَّدة . ويتَّصف مُعجمه اللغوي بالضخامة والغنى . وصُوِّره الفنية تمتاز بالتكثيف ، والأداء الجمالي ، وقوة التعبير .

من أبرز أعماله الشعرية : خلال الحواجز (١٩١٦) . حياتي الشقيقة (١٩٢١) .

ومن أبرز كُتبه النثرية : في الصيف الماضي (١٩٣٤) . الطفولة (١٩٤١) .

بول أوستر واختراعه العُزلة

وُلد الكاتب والمخرج الأمريكي بول أوستر (١٩٤٧ _ ...) في مدينة نيو آرك في ولاية نيوجيرسي الأمريكية ، لأبوين يهوديين من الطبقة الوسطى ، ومن أصول بولندية .
نشأ أوستر في منطقة جنوب أرنج ، نيوجيرسي ، وتخرّج من ثانوية كولومبيا في مابلود .
وبعد تخرّجه من جامعة كولومبيا عام ١٩٧٠ ، انتقل إلى باريس . وكوسيلة لكسب قُوت يومه ، قام بترجمة الأدب الفرنسي ، وعند عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٧٤ ، قام بنشر قصائد ومقالات وروايات من تأليفه . كتاباته خليط بين العشية، والوجودية، وأدب الجريمة ، والبحث عن الهوية والمعاني الإنسانية . وقد تُرجمت كُتبه لأكثر من أربعين لغة .
بعد النجاح الذي حقّقه أول عمل أنتجه أوستر ، والذي كان عبارة عن مذكرات أطلق عليها " اختراع العُزلة " (١٩٧٩ _ ١٩٨١) ، عاد إلى الأضواء مُجدِّدًا عند إصداره ثلاثيته الشهيرة التي تتكون من قصص بوليسية ترتبط ببعضها بشكل بسيط ، ونشرها تحت عنوان " ثلاثية نيويورك " .
وهذه القصص لم تكن مجرد قصص بوليسية تقليدية تدور حول أمر غامض أو مجموعة أدلة . بدلاً من ذلك، قام أوستر باستخدام نموذج المحقق للتطرق إلى قضايا الوجودية وأسئلة الهوية ، والمكان ، واللغة والأدب ، ممّا جعله يبتكر أسلوبًا فريدًا في الحداثة ، وما بعد الحداثة .
وعند المقارنة بين العاملين ، يقول أوستر : ((أعتقد أن العالم مليء بالأحداث الغريبة ، حيث إن عالمنا الواقعي يُخفي الكثير من الأسرار التي تفوق توقُّع أي مِنّا . ومن هذا المنطلق نمت الثلاثية مباشرة من اختراع العُزلة)) .
يتخلل الكثير من أعمال أوستر الأخيرة هاجس البحث عن الهوية والمعاني الشخصية، والكثير منها يُركّز بشكل كبير على دور الصدفة والعشوائية، مثل : " موسيقى الصدفة " ، أو بشكل أعمق، مدى ارتباط الأشخاص بأقربائهم وبيئاتهم . وأبطال أوستر غالبًا ما يجدون أنفسهم مضطرين للعمل كجزء من مُخطّط أشخاص آخرين ، أو منظمات كبرى .
كان أوستر عضوًا في مجلس القائمين على الفرع الأمريكي من المنظمة الأدبية الدولية ، خلال الفترة (٢٠٠٤ _ ٢٠٠٩) ، وأصبح نائبًا للرئيس في الفترة (٢٠٠٥ _ ٢٠٠٧) .
في عام ٢٠١٢ ، نُقل عن أوستر قوله في مقابلة له إنه لن يقوم بزيارة تركيا احتجاجًا منه على طريقة تعاملها مع الصحفيين . وقام رئيس وزراء تركيا رجب طيب أردوغان بالرد عليه قائلاً :

"وكاننا في حاجة إليك ! ، مَنْ يَهْتَم حَقًّا إن أُتيتَ أو لَمْ تأتِ ؟ " ، ليقوم أوستر بالرد : " وَفَقًّا لأحدث الإحصائيات الصادرة عن منظمة (قلم) الدولية ، هنالك ما يُقارب مئة كاتب تم سجنهم في تركيا ، ناهيك عن الناشرين المستقلين " .

آخر أعمال أوستر عبارة عن مذكرات ، تحت عنوان " حياة في الكلمات " . نُشِرت في أكتوبر ٢٠١٧ . وتُدور بشكل رئيسي حول مهنة الكتابة وعلاقتها بحياة أوستر ، وتستند إلى حوارات أوستر .

من أبرز أعماله : ثلاثية نيويورك (١٩٨٧) . قصر القمر (١٩٨٩) . موسيقى الصُدفَة (١٩٩٠) . كتاب الأوهام (٢٠٠٢) . حماقات بروكلين (٢٠٠٥) .

بول إيلوار والتحرر من التقاليد الشعرية

وُلد الشاعر الفرنسي بول إيلوار (١٨٩٥ _ ١٩٥٢) في بلدة سان دوني بالقرب من باريس . اسمه الحقيقي : يوجين إميل بول جريندل . كان والده محاسبًا ، وكانت والدته خياطة . أصيب إيلوار في صباه بالسُّلِّ ممَّا حال بينه وبين مُتابعة دراسته النظامية ، فاعتمد على المطالعة في تثقيف نفسه . خلال الحرب العالمية الأولى خدم إيلوار في مستشفى ميداني ، وأُصيب بتسمم غازي . انحاز إلى الذين يرفضون القيم الرأففة في عالم يتحكم فيه العنف بعد أن شاهد ويلات الحرب وعانى من آلامها ، فغيَّر عنوان ديوانه الأول من "الواجب" (١٩١٦) إلى " الواجب والقلق " (١٩١٧) . ثُمَّ نشر غير آبه للرقابة ديوان "قصائد من أجل السَّلم " (١٩١٨) . قرَّبه تجربته الحرب إلى الحركة الدادائية الثائرة على القيم الموروثة ، ثم إلى الحركة السريالية . والدادائية هي حركة ثقافية انطلقت من زيورخ (سويسرا) أثناء الحرب العالمية الأولى ، كنوع من معاداة الحرب ، بعيدًا عن المجال السياسي ، وإنما من خلال محاربة الفن السائد . أمَّا السريالية فهي حركة ثقافية في الفن الحديث والأدب ، تهدف إلى التعبير عن العقل الباطن بصورة يعوزها النظام والمنطق . وتعني حرفيًا " فوق الواقع " .

قام إيلوار برحلة طويلة إلى شرق آسيا ، وشارك بصورة فعَّالة عام ١٩٣٠ في المؤتمر العالمي للكتَّاب الثوريين الذي انعقد في مدينة خاركوف السوفيتية .

انعكست المسائل الاجتماعية السياسية لتلك المرحلة ممزوجة بحياة الشاعر العاطفية المضطربة في دواوين عدَّة ، مثل : " الموت من عدم الموت " (١٩٢٤) ، و " عاصمة الألم " (١٩٢٦) ، و " الحب ، الشَّعر " (١٩٢٩) ، و " الحياة المباشرة " (١٩٣٢) الذي تضمَّن موقفه النقدي من الحركة الشَّعرية ووظيفة الشعر الاجتماعية ، وكذلك في ديوان " الوردة العامة " (١٩٣٤) الذي ضمَّ آخر أشعاره السريالية .

ساعدت الدادائية والسريالية بتجاربهما إيلوار على تكوين لغته الخاصة ، المتحررة من التقاليد الشعرية السائدة ومن المعاني المتداولة . ومن أعماله المشتركة مع السرياليين كتاب " الحَبَل بلا دَنَس " (١٩٣٠) ، والذي تلا تجارب الكتابة التلقائية والاستماع إلى الأحلام .

ألقي إيلوار بمناسبة معرض فني سريالي في لندن عام ١٩٣٦ محاضرةً عن "البداهة الشعرية " ، ركَّز فيها على بداهة ارتباط الشاعر بحياة الناس العامة وبحريتهم .

وبمناسبة انعقاد معرض باريس العالمي عام ١٩٣٧ ألقى إيلوار محاضرة مهمة بعنوان " مستقبل الشعر " .

انضمَّ إيلوار عام ١٩٢٧ إلى الحزب الشيوعي ، منطلقاً من محاولة السرياليين التوفيق بين الشعر الطليعي وإرادة التغيير الثوري، ولكن صعوبة تقيده بتعليمات ونظام الحزب جعلته يتعد عنه دون التوقف عن متابعة كفاحه في سبيل تحرير الشعوب. فقد ناهضَ حرب الريف الاستعمارية في المغرب ، ونظم قصيدته " تشرين الثاني/ أكتوبر " (١٩٣٦) مُنددًا بالعنف، ودعم الجمهوريين الإسبان في قصيدته الشهيرة " نصر غرينيكا " (١٩٣٧) وقد مثَّنت هذه المرحلة النضالية الروابط بين الشاعر والشعب .

في الحرب العالمية الثانية ، انضم إيلوار إلى المقاومة الفرنسية السَّرية ضد الاحتلال النازي، وأسهم في ازدهار " دار نشر نصف الليل " السَّرية . وقد صدر له في هذه المرحلة مجموعة " شعر وحقيقة " (١٩٤٢) التي اكتمل بها تطوره ، ثم مجموعة " إلى الملتقى الألماني " (١٩٤٤) التي ضمَّت قصائده المنشورة تحت أسماء مستعارة .

بعد تحرير فرنسا من الاحتلال ، تابع إيلوار كتابة مجموعة " قصائد سياسية " (١٩٤٨) ، و " درس أخلاقي " (١٩٤٩) ، مُتَغَنِّيًا بمستقبل الإنسانية وتغلب الفضيلة . وآخر دواوينه هو " طائر الفينيق " (١٩٥١) الذي انتقل في قصائده من موضوع الحب الفردي إلى الأفكار الاجتماعية والإنسانية . وقد تُوفِّي الشاعر بسبب نزلة صدرية في باريس . يُعتَبَر إيلوار واحدًا من مؤسسي الحركة السريالية . وقد تمتَّع بشعبية واسعة لقربه من الجماهير، وإلحساسه بشعورها . وقد جعلته موضوعات قصائده ولغتها أحد أهم شعراء فرنسا .

بول ريكور والنزعة الفلسفية الإنسانية

وُلد الفيلسوف الفرنسي بول ريكور (١٩١٣ _ ٢٠٠٥) في مدينة فالنس الفرنسية ، لعائلة بروتستانتية محافظة . تُوفيت أمّه بعد ولادته بستة أشهر . وقُتل والده عام ١٩١٥ على جبهة القتال في الحرب العالمية الأولى . وشكّل هذا الحادث الأليم بالنسبة إليه تأسيسًا هاجسيًا لمسألة مُقلقة ومزعجة حول إشكالية الشر ، والخطيئة والمعاناة ، وهذا ما جعله يتبنى الشيوعية وهو شاب مراهق. وهو ما سيدفع به إلى معالجة مشكلة العدالة والذاكرة ، ومسألة الأيديولوجيا والعنف .

بعد هذا اليُتم المزدوج، تولّى جدّاه وعمّته تربيته في بيت عُرف بالصرامة والانضباط السلوكي، إلا أنه لم يكن يخلو من الحب والحنان ، كما وصفه ريكور نفسه .

أنهى دراسته الثانوية في رين ، ثم دخل جامعتها ، وحصل منها على شهادة الماجستير . جُنّد في عام ١٩٣٩ للحرب العالمية الثانية في مواجهة ألمانيا ، وسُجن إلى غاية عام ١٩٤٥ . وينضاف إلى سلسلة المآسي السابقة فاجعة وفاة أخته في ريعان شبابها ، وانتحار ابنه .

في السجن استثمر وقته في قراءة الفيلسوف الألماني كارل ياسبرز ، فكانت بداية مسار التعرّف على الذات . وترجم كتاب هوسرل " أفكار " ، ويُعتبر هذا مثالاً نادرًا عن الصداقة مع لغة العدو من خلال ضحيته. وهذا يعني ترسُّخ مبدأ التعرّف على الذات من خلال الآخر لدى ريكور . وهو مثال أيضًا عن الفيلسوف الذي يستمع لفيلسوف آخر، ويصغي إليه في لغته. حيث إن اهتمامه بالآخر يُغذّي إبداعه للذات ، وفق قاعدة تقول إنه " لا توجد طريقة للخروج من الذات إلا بالتعرّب في الغير " . بعد إطلاق سراحه ، شارك مع بعض الفلاسفة الفرنسيين في التعريف بالفينومينولوجيا الألمانية، واستثمرها في سنوات الستينيات في حوار مع العلوم الإنسانية ، وعلى الخصوص مع التحليل النفسي ، غير أن هيمنة البنيوية وأفكار سارتر ولاكان ، حالت دون انتشار أفكاره في فرنسا . اختار ريكور منفاه الفلسفي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث انتقل إلى جامعة شيكاغو ، وبقي فيها حتى عام ١٩٩٠ . تعرّف عن قُرب على الفلسفة الأنجلوسكسونية ، وساهم في نشر الفلسفة التحليلية الأمريكية بفرنسا ، التي ساعدته على فتح خطابه الفلسفي ومشروعه في تشييد الذات على الفعل ، وربطه بالفكر داخل دائرة تأويل واحدة . وقد ظهرت لدى ريكور ملامح مشروع إمكانية التفكير والفعل بواسطة الذات نفسها ، كما يوضّحه عنوان كتابه " الذات عيّنُها كآخر " (١٩٩٠) . وهذا المشروع ليس إلا جزءًا من حياته ومسيرته في البحث عن ذات

الفلسفة من خلال ذاته . ولهذا اعتبر ريكور أن الأنا أو الذات تثبت في أفعالها . بعد أن نُفيَ ريكور عن المشهد الثقافي الفرنسي، عاد إلى فرنسا ، وتَمَّت إعادة اكتشافه من جديد ، ولكن في خضم الصراعات الفكرية والأيدولوجية العنيفة في فرنسا .

فضَّل ريكور الإصغاء والانتباه للخصوم ، مُحترماً حُججهم ، ولم يكن يهتم بشروط إمكان الفلسفة ، ولا بالبحث عن ميدان يكون في النهاية مجال عَظْمة وسيادة ، بل اهتمَّ بالمضامين الفلسفية التي تعمل بطريقة مستترة في الخطابات العلمية ، ذلك أن الفلسفة لا تستغني عن الحوار مع العلوم . ويُذَكِّرنا ريكور بأن الفلسفة تموت إذا قطعنا حوارها مع العلوم الدقيقة ، والعلوم الطبيعية ، والعلوم الإنسانية .

ساهم ريكور في إثراء السجلات والحوارات التي يقوم بها الخطاب الفلسفي مع العلوم الأخرى، وهذا بفضل قدرة فائقة على القراءة ، حتى سمَّاه أحد الباحثين الفرنسيين " غول القراءة"، وهو ما أفضى إلى تملكه النص ، وقُدْرته على التواصل مع مُحاوريه عبر النصوص ، بطريقة تسمح بالخروج بنتائج عملية ، كما هو حال دلالة عنوان أحد مؤلفاته "من النص إلى الفعل". يرى ريكور أن " الفيلسوف بوصفه مفكراً مسؤولاً ، يجب أن يسلك طريقاً وسطاً بين الإلحاد والإيمان ، لأنه لا يُمكنه أن يكتفي بمزاوجة هرمينوطيقا تُطيح بأصنام الآلهة الميتة ، وهرمينوطيقا موضوعية هي تكرار لموت الإله الأخلاقي وإعادة تجميع الأنبياء والمجتمع المسيحي الأول . إن مسؤولية الفيلسوف هي التفكير " .

وبهذا فإن الهرمينوطيقا الإنجيلية كانت أقل حضوراً في أعماله من الهرمينوطيقا الفلسفية ، وإن تضمَّنت نصوصه حواراً مع ما يُسمَّىه ريكور " بالفكر الإنجيلي " . أي الفكر الذي يشتغل على تفسير النصوص الإنجيلية وتأويلها .

لقد تركت الأحداث المؤلمة في حياة ريكور أثراً عميقاً في نفسه، وانعكست فيما بعد على مشروعه الفلسفي المشبع بالنزعة الإنسانية ، والساعي إلى إعادة الإنسان في كُونِيته إلى إنسانيته . من أبرز مؤلفاته: فلسفة الإرادة (١٩٥٠) . التاريخ والحقيقة (١٩٥٥) . صراع التأويلات (١٩٦٩) . الاستعارة الحية (١٩٧٥) . الذاكرة والتاريخ والنسيان (٢٠٠٠) .

بول فاليري ونُشوء النُحْي

وُلد الكاتب الفرنسي بول فاليري (١٨٧١ _ ١٩٤٥) في سيت المطلّة على البحر المتوسط جنوبي فرنسا . وتُوفّي في باريس .
كان والده من جزيرة كورسيكا مُوظفًا في الجمارك، ووالدته إيطالية من أسرة نبيلة. بدأ فاليري دراسته لدى الرهبان الدومنيكان ، وتابع في معهد في مدينة سيت. رفض الانتساب إلى المدرسة البحرية عام ١٨٨٤ ، فقد كان مولعًا بالأدب والرسم والهندسة المعمارية . وبدأ بعد حصوله على الثانوية دراسة الحقوق عام ١٨٨٨ في مونبلييه ، وحصل على الإجازة عام ١٨٩٢ .
اهتمّ فاليري بالشعراء الرمزيين أمثال: مالارمي، وفيرلين . وكتب نحو مئة قصيدة عام ١٨٨٩ متأثرًا بالشعر الرمزي .

شهد عام ١٨٩٢ انعطافًا في حياة فاليري . فعندما كان يُمضي إجازته عند أسرة والدته في جنوا ، بعد خروجه من أزمة عاطفية، أدرك في ليلة عاصفة، كان فيها ضحية الأرق، مخاطر الحياة العاطفية وتأثيرها في النشاط الفكري ، فقرّر كبت عاطفته وإخماد قريحته الأدبية ، وحُبه للفن والإبداع، وتخلّص من معظم كُتبه عند عودته إلى مونبلييه. ثم فكّر فاليري في عمل إداري ، فاستقر في باريس عام ١٨٩٤ ، ليشغل وظيفة مُحرّر في وزارة الحرب، وتركها عام ١٩٠٠ ، ليصبح أمين سر مدير وكالة الأنباء " هافاس " إدوارد لُبي الذي كان مُقعدًا . وبقي فاليري مساعدًا له اثنين وعشرين عامًا أكسبته خبرة في الأوساط الباريسية وجعلته يواكب الأحداث. واستطاع في وقت فراغه إجراء بعض البحوث ونشر بعض المقالات وإن كانت بعيدة عن الأدب منها: " مدخل إلى منهجية ليوناردو دافنشي " (١٨٩٥). وقد كان دافنشي مثاله الأعلى لأنه جمع بين العلم والفن رغبة في الوصول إلى الكمال ، ومقالة عن الغزو الألماني عام ١٨٩٧ ، مُشيرًا إلى الغزو الاقتصادي.

بقي فاليري على اتصال مع الوسط الأدبي والفني، فزواجه من جاني غوبيار القريبة إلى أسرة الرّسام الشهير مانيه ، ربطه بصلات وثيقة مع المشاهير من الوسط الفني . وبفضل الكاتب أندريه جيد والناشر غاليمار ومساعييهما الحثيثة في إقناع فاليري بنشر الأبيات التي نظمها وهو شاب ، شهد عام ١٩١٧ صدور ديوانه الشّعري "بارك الشابة " الذي أكسبه شهرة، وتناول فيه موضوع الوعي وتطوّره . وكلمة " بارك " المشتقة من كلمة باركا اللاتينية كانت تُطلق عند القدامى على آلهة تُمثّل مراحل الحياة البشرية . وقد اختار فاليري مرحلة الشباب أي أصغرها ، للدلالة على مرحلة

نشوء الوعي عند الإنسان. وكي لا ينزلق الشاعر إلى الشعر الفلسفي المجرد ، اختار رمزاً تصبح به بارك سيده شابة جريحة الهوى رضخت لقوة الطبيعة وجاذبيتها . وبدأ فاليري يتألق مستجيباً لذوق العصر ، وفُتحت له أبواب المنتديات الأدبية الكبيرة في العاصمة ، وازداد شهرة بصدور أبياته تحت عنوان " المقبرة الملاحية " في المجلة الفرنسية الجديدة عام ١٩٢٠ . وهي المقبرة المطلّة على البحر في مسقط رأسه .

يُعتبر فاليري من كبار الشعراء المعاصرين مع صدور ديوانه " مفاتن " عام ١٩٢٢ الذي ضمّ إحدى وعشرين قصيدة ، وصف فيها مأساة الفكر البشري في مساره ، وما يلقاه من آمال وأهواء وإغراءات وآلام ، إضافة إلى المراحل التي يقطعها وصولاً إلى المعرفة .

عند وفاة مدير وكالة الأنباء ، قرّر فاليري التفرّغ للأدب. وتلقى دعوات من أنحاء العالم لإلقاء محاضرات وكتابة مقالات جمعها كلها في سلسلة " ألوان أدبية " في الفترة (١٩٢٤ _ ١٩٤٤) ، وكذلك في سلسلة " تلّ كل ، ونظرات على العالم الحاضر " عام ١٩٣١ . وخطّي بالتكريم وبانتخابه في الأكاديمية الفرنسية عام ١٩٢٥ ، وبتسميته عضواً في مجالس رسمية مختلفة .

عمل فاليري بنشاط طيلة خمسين عاماً ، وكانت الكتابة لديه وسيلة تساعد على التقدم في معرفة الذات ، ومن ثمّ معرفة آلية التفكير البشري بعيداً عن أي تأثير خارجي .

وكان يريد أن يكون شاعر المعرفة ، وهذا ما بحث عنه في أولى مقالاته " أمسية مع السيد تست " عام ١٨٩٦ . وقد رأى فاليري في هذه الشخصية فكراً نيراً كاملاً للوضوح ذا بصيرة نافذة، يرى الأشياء كما هي ، ويحاول اكتشاف شريعتها واضعاً نصب عينيه السؤالين التاليين : مَنْ أنت ؟ ، وكيف تعرف نفسك ؟ .

أراد فاليري أن يقول عبر مؤلفاته أن ما يُبعد العقل والفكر عن الفهم والوعي والإدراك ، يكمن في المشاعر الكاذبة والأهواء ، فكل هيجان أو اضطراب عاطفي يفقد طاقة هائلة ، كما يرافقه تشويش كبير في الفكر واختلاط في القيم .

وإذا أراد فاليري كبح عاطفته ليكون سيّد فكره ، فليس بهدف التحكم به ، لأن القوة _ كما يقول _ يمكن أن تكون خادعة أيضاً ، ولكن بهدف إيجاد سلوك مساعد للفكر لا استبداد فيه ، ولا تكاسل. سلوك نير يُولي اهتماماً للذات وللأشياء ، يعتصم بالصبر ، ويلتزم القيود التي يفرضها على صاحبه .

بول فون هايس وخيانة أستاذه

وُلِدَ الكاتب الألماني بول فون هايس (١٨٣٠ - ١٩١٤) في برلين ، وكان والده أستاذًا مُشاركًا في فقه اللغة الكلاسيكية واللغويات العامة . وكانت عائلته مُثَقَّفة و غَنِيَّة . وهذه المناخ المنزلي أدخل هايس في قلب المجتمع المثقَّف الذي يهتم بالأدب والموسيقى والفن . خاض هايس مجالاتٍ أدبية متعددة ، ولم يحصر نفسه ضمن مجال واحد . فله إسهامات متعددة في الشَّعر والمسرح والترجمة . فقد درس اللغات، وترجم أعمال عدد من الشعراء الإيطاليين. وحصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩١٠ . ليكون بذلك أول كاتب ألماني يحصل على هذه الجائزة العالمية عن أعماله الأدبية الخيالية ، وثالث ألماني يحصل عليها بعد المؤرِّخ وعالم الآثار تيودور مومسن ، والفيلسوف رودلف أوكن .

كان هايس طالبًا نموذجيًا ، وقد بدأ محاولاته الشعرية وهو في المدرسة الثانوية ، وشارك في إنشاء النوادي الأدبية التي تهدف إلى تبني المواهب الشابة في الأدب عمومًا ، والشَّعر خصوصًا . وقد استغل مكانة عائلته الاجتماعية والفكرية في الوصول إلى الصالونات الفنية في برلين . في عام ١٨٤٧ ، بدأ هايس دراسة فقه اللغة الكلاسيكية في برلين . وبعدها بسنة ، نشر أوَّل قصيدة شعرية يُعبر فيها عن حماسه للثورات الأوروبية ، أو ما سُمِّيَ بربيع الشعوب . وهي سلسلة من الاضطرابات السياسية، حدثت في عام ١٨٤٨ في جميع أنحاء القارة الأوروبية ، مدفوعة بالثورة الفرنسية (١٨٤٨) . وقد أطلق البعض اسم " ربيع الشعوب " على ثورات العالم العربي (٢٠١١) مُتأثرين بما حدث في أوروبا .

وبعد عامين من الدراسة في برلين ، التحق بجامعة بون لدراسة تاريخ الفن ، والتعمق في الدراسات الرومانسية . وتُعتبر جامعة بون من أبرز الجامعات الألمانية . ومن أشهر خريجيها : الأمير ألبرت (زوج الملكة فكتوريا) ، والبابا بندكت السادس عشر ، والقيصر فريدرش الثالث ، والفيلسوف كارل ماركس ، والفيلسوف نيتشه .

وفي عام ١٨٥٠ ، قرَّر بشكل نهائي أن يكون شاعرًا، ورسم حياته وفق هذه الأساس. وأعدَّ أطروحةً علمية في فقه اللغة . وبسبب علاقة غرامية مع زوجة أحد أساتذته ، اضطرَّ للعودة إلى برلين في عيد الفصح . لقد غرق في خيانة أحد أساتذته مع زوجته ، واعتبر هذه العلاقة العاطفية جزءًا لا يتجزأ من حياته الشخصية ، ومسيرته الأدبية .

قام مشروع هايس الشعري على الأغنية . فقد اعتبر الأغنية الشعرية أفضل وسيلة لتبرير الأفكار ، والوصول إلى الجماهير .

وفي عام ١٨٥١ ، بدأ حياته كمترجم ، وقد أقام علاقات متعددة مع وسطاء في الأدب الإيطالي من أجل ترجمته . وبعد سنة ، حصل على الدكتوراة في شعر الشعراء المتجولين ، بعد منحة دراسية من الدولة البروسية (الألمانية) . كما أنه زار إيطاليا لدراسة المخطوطات القديمة في الفاتيكان .

لم يكتفِ هايس بكتابة الشعر والترجمة ، بل أيضاً راح يكتب القصص . وقد اعترف في سيرته الذاتية أنه يكتب القصص بعد تخطيط دقيق للتخلص من عبء العمل اليومي ، ثم يقوم بتصحيح الأخطاء الكتابية ، ثم يستبدل بعض الكلمات بأخرى ملائمة ومناسبة . وهو يهدف إلى تجنب الوصف السطحي ، والتخلص من التّطويل الممل . وفي قصصه تظهر مفاهيم غير سياسية ، تتعلق بمثالية الفن ، والرحلة إلى السعادة ، والحساسية الروحية ، والمثالية المعنوية .

وفي عام ١٩١٠ ، عيّنت مدينة ميونخ هايس مواطناً فخرياً بمناسبة عيد ميلاده الثمانين ، وأيضاً منحه أحد الأمراء لقب شخصية من طبقة النبلاء ، وفي نهاية ذلك العام فاز بجائزة نوبل للآداب عن أعماله الأدبية ذات التّزعة الخيالية . وقد تُوفّي في عام ١٩١٤ ، قبل عدّة أشهر من اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) .

كان هايس من أصول يهودية . وهذا الأمر جعله منبوذاً ومرفوضاً من قبل الكثيرين ، خصوصاً أن عقود ما بعد الحرب العالمية الأولى ، قد كوّنت بيئةً مليئةً بمشاعر الانتقام والحقد والكراهية والتمييز العنصري .

من أبرز أعماله الأدبية : قصص قصيرة (١٨٥٥) ، كتاب الأغاني (١٨٦٠) ، مأساة هادريان (١٨٦٥) ، كلمات لا تُنسى (١٨٨٣) ، ذكريات الشباب واعترافات / سيرة ذاتية (١٩٠٠) .

بول فيرلين والشعراء الملعونون

وُلد الشاعر الفرنسي بول فيرلين (١٨٤٤ _ ١٨٩٦) في متز . كان والده مهندسًا عسكريًا . وبعد استقالته ، انتقلت العائلة إلى باريس .

درس في ثانوية بونابرت (الآن ثانوية كوندروسيه) في باريس ، ثم تولى وظيفة في الخدمة المدنية . بدأ كتابة الشعر في سن مبكرة (١٨٥٨) . وفي عام ١٨٦٢ ، دخل كلية الحقوق ، ولكنه ترك الدراسة بسبب المشكلات المادية للعائلة .

حياة فيرلين الخاصة كانت ظاهرة في أعماله ، ابتداءً من حُبّه لماتيلد مات ، التي أصبحت زوجةً لفيرلين في عام ١٨٧٠ ، في نفس العام الذي أُعلنت فيه الجمهورية الثالثة .

أصبح رئيسًا للمكتب الصحفي للجنة المركزية لباريس المحلية . هرب فيرلين من قتال الشارع المعروف باسم " الأسبوع الدامي " ، واختبأ في باس دو كاليه . وعاد إلى باريس في آب ١٨٧١ .

جمعبته مع الشاعر رامبو علاقة ، يقول عنها البعض إنها علاقة آئمة ومشبوهة بينهما . وقد ضاق فيرلين ذرعًا بتصرفات رامبو وحياته التي كانت تُعَوّل على فيرلين طوال الوقت ، وتأزمت العلاقة كثيرًا بينهما ، لنتهي بإطلاق فيرلين وهو في حالة سُكر رصاصتين من مسدسه على رامبو في يوليو ١٨٧٣ ، ليُصاب في كفه ، وتنتهي العلاقة التي جمعتهم . اعتُقل فيرلين وسُجن في مونس ، حيث اعتنق الكاثوليكية الرومانية ، والتي بالتالي أثّرت على عمله بشكل كبير وواضح .

كتب فيرلين مجموعة من القصائد الرومانسية في الفترة (١٨٧٢ _ ١٨٧٣) مُستوحاة من حنين فيرلين المملوّن بالذكريات إلى حياته مع زوجته . كما صوّر الفترة من حياته التي عاشها مع رامبو ومغامراتهما الطويلة . سافر فيرلين إلى إنجلترا ، حيث عمل لعدة سنوات كمُدَرّس ، كما أنه نشر مجموعة شعرية أخرى ناجحة تُدعى " الحكمة " .

عاد إلى فرنسا في عام ١٨٧٧ . وبينما كان يُدرّس اللغة الإنجليزية في المدرسة في راتل ، أصبح مفتونًا بأحد تلاميذه يُدعى لوسيان لتنوير ، الذي ألهم فيرلين لكتابة المزيد من القصائد .

في عام ١٨٨٤ ، نشر مجموعته الشعرية " ذات مرّة " وكتاب المقالات النقدية الأدبية " شعراء ملعونون " ، الذي تضمّن مقالات عن ستة شعراء ، منهم رامبو ومالارمييه وفيرلين نفسه .

شهدت السنوات الأخيرة لفيرلين انزلاقه إلى الإدمان على المخدّرات، والإدمان على الكحول ، وعانى من الفقر والحاجة .

وكان يعيش في الأحياء الفقيرة والمستشفيات العامة ، وقضى أيامه في مقاهي باريس .
ولحسن الحظ، فإن حب الشعب الفرنسي للفن كان قادرًا على تقديم دعم مادي لفيرلين ،
ومساعدته على كافة الأصعدة .
تمَّ الكشف عن الشَّعر المكتوب في أول حياته ، وعن أسلوب الحياة والسلوك الغريب الذي
سلكه أمام الناس ممَّا استقطب إعجابهم ، وانتُخب في عام ١٨٩٤ " أمير شعراء " فرنسا مِن قِبَل
أقرانه وزملائه الشعراء .
كان شعره محط إعجاب ، وكان يُعتَبَر كحدث مهم ، بوصفه مصدرًا للإلهام لملحنين مثل
غابرييل فاوري ، الذي لَحَنَ العديد من قصائده .
تُؤَفِّي فيرلين في باريس بسبب نزيف في الرئتين ، ودُفِن في مقبرة باتنجولس .

بيثنتي أليكساندري والمراحل الشعرية

وُلد الشاعر الإسباني بيثنتي أليكساندري (١٨٩٨ _ ١٩٨٤) في إشبيلية ، وتُوفّي في مدريد. ينتمي إلى جيل ٢٧ ، وهو الاسم الذي يُعرّف به شعراء الأدب الإسباني في القرن العشرين. وهذا الجيل ظهر على ساحة المشهد الثقافي عام ١٩٢٧ في المجمع الأدبي في إشبيلية . التحق بالأكاديمية الملكية الإسبانية عام ١٩٥٠. وحازَ على الجائزة الدولية للأدب عام ١٩٣٣ لكتابه " الدمار أو الحب " ، وجائزة في النقد عام ١٩٦٣ ، وجائزة نوبل للآداب عام ١٩٧٧ .

هو ابن لأحد العائلات ذات الأصل البرجوازي في إسبانيا . كان والده مهندسًا في السكة الحديدية . عاشَ طفولته في مالقة ، حيث درس مع الكاتب إميليو برادوس . انتقلَ إلى مدريد ، حيث حضر دراسات في كلية الحقوق وكلية التجارة . وتخرّج في كلية الحقوق عام ١٩١٩ ، وحصل على لقب رئيس بلدية التجاريين . وعمل كأستاذ للقانون التجاري (١٩٢٠ _ ١٩٢٢) في كلية التجارة .

بدأت صحته في التدهور عام ١٩٢٢ . وفي عام ١٩٢٥ عرّف أنّه مريض بالتهاب الكلى السّلي ، وقد خضع لعملية إزالة إحدى كُليتيه عام ١٩٣٢ . نشر أشعاره الأولى عام ١٩٢٦ ، كما كان على اتصال برفائيل ألبرتي وفيدريكو غارثيا لوركا. وأخفى طيلة حياته ميوله الجنسية المثلية . وفي الثلاثينيات ، تعرّف على أندريس أثيرو ، وخاض قصة حُب شديدة ، ولكنها انتهت بنفي أندريس إلى المكسيك بعد الحرب الأهلية . وكان أليكساندري قادرًا على التحكم بحالته الجنسية المثلية ، حتى لا يؤذي عائلته ، وخاصة أخته . لم يتم نفيه بعد الحرب الأهلية الإسبانية (١٩٣٦ _ ١٩٣٨) على الرغم من أفكاره اليسارية ، بل ظلّ في إسبانيا ، حتى أصبح أكبر الشعراء الشباب .

يعرض شعره عدّة مراحل : مرحلة النقاء ، والسريالية ، ومحورية الإنسان ، والمرحلة القديمة . ١ _ مرحلة النقاء : نُشرَ كتابه الأول " أمبيتو " في مالقة ١٩٢٨ ، والذي تمّ تجميعه في الفترة (١٩٢٤ _ ١٩٢٧) . ويُعدُّ الكتاب عملاً أوليًا لكاتب مُبتدئ لم يشتهر بعد . سيطرَ على هذه المرحلة طابع الأبيات القصيرة ذات السّجع وجماليات الشعر النقي . بالإضافة إلى أصداء الشعر الكلاسيكي الإسباني في فترة العصر الذهبي .

٢_ السريالية : في الفترة (١٩٢٨ _ ١٩٣٢) حدث تغيير كُلي في تصوُّره للشَّعر ، مُستلهمًا مِن سيقوه في السريالية . وتُعتبر قصيدته " عاطفة الأرض " (١٩٣٥) تعبيرًا للشَّعر النثري . ويظهر الشَّعر الحر في ثلاث قصائد من قصائده ، وهي " سيوف كالشَّفاة " (١٩٣٢) . " الدمار أو الحب " (١٩٣٢) . ظل الجنة (١٩٤٤) . ونهج هذه الأشعار غير عقلاني . فقد اقترب التعبير من الكتابة التلقائية ، ممَّا أدَّى إلى عدم قبولها في بعض الأوساط . فالشاعرُ يحتفل بالحب كقوة طبيعية ، بدون أيَّة سيطرة ، حيث تقضي على كُل الحدود الإنسانية . وينتقد الاتفاقيات التي يحاول المجتمع السيطرة عليها .

٣_ محورية الإنسان : تغيَّرت أعماله ، واقتربت من المخاوف السائدة في الشَّعر الاجتماعي ، ويظهر تضامنه في مُعالجة حياة الرِّجل العادي ، ومُعاناته ، وأوهامه . وكل ذلك باستخدام أسلوب سهل وبسيط . ويُعتبر كتاباه : " تاريخ القلب " (١٩٥٤) . و " في مجال العظمة " (١٩٦٢) ، من الكتب الأساسية في تلك الفترة .

٤_ المرحلة القديمة : استخدم الشاعر مرَّةً أخرى أسلوبه غير العقلاني ، وهذا يتَّضح في كُتبه الأخيرة ، مثل : " قصائد من الكمال " (١٩٦٨) ، و " حوارات المعرفة " (١٩٧٤) . وذلك لتجربته مع الشيخوخة ، واقتربه من الموت . حتى وإن كان ذلك في شكل مُكرَّر للغاية وهادئ . وبالإضافة إلى هذين الكتابين اللذين تمَّ نشرهما خلال حياة الكاتب ، يُمكننا إضافة كتاب ثالث لهما ، وهو " في ليلة عظيمة " الذي نُشر عام ١٩٩١ بعد وفاته ، وهو على نفس النهج الميتافيزيقي للكتابين السابق ذكرهما .

من أبرز مجموعاته الشعرية : سيوف كالشَّفاة (١٩٣٢) . الدمار أو الحب (١٩٣٥) . الميلاد الأخير (١٩٥٣) . صوت الحرب (١٩٧١) .

بيرسي شيلي والدعوة إلى الإلحاد

وُلد الشاعر الإنجليزي بيرسي شيلي (١٧٩٢ - ١٨٢٢) في أحد عقارات الأسرة المعروف باسم فيلد بليس (الترجمة الحرفية تعني مكان الحقل) ، وهو بيت رحب بالقرب من هورشام في سسكس . وأنجبت أمّه بعده أربع بنات ، وبعد ذلك بمدة طويلة أنجبت له أخًا . ونشأ بيرسي بين أخواته ، فأخذ منهن شيئًا من الرقة والخيال وسرعة الاستثارة ، وكَوّنَ مع أخته الكبرى علاقة حميمة . التحق بإحدى المدارس ، لكنه عانى بِشِدَّةٍ بسبب إلزامه بخدمة تلاميذ أكبر منه ، وامتنع عن ممارسة كُل أنواع الرياضة إلا التّجديف . ومن سُوء الحظ أنه لم يتعلم السباحة قط . وسُرعان ما نبغ في اللغة اللاتينية ، فراح يُساعد زملاءه في دُروسهم ، فردّ لهم بذلك الكيل بِتَنَمُّرهم عليه . خلال الإجازة وقع في حب قريبة لم تتجاوز ستة عشرة ربيعًا . اسمها هاريت جروف التي كانت تزور أسرته في فيلد بليس كثيرًا . وراحا يتبادلان الرسائل الحارة ، حتى إنهما في عام ١٨٠٩ تعاهدا على الإخلاص الأبدي . لكنه اعترف لها بِشُكّه في الله ، فأظهرت خطابه المنطوي على شُكوكه الدينية لأبيها ، فنصحها ألا ترتبط به .

التحق بالكلية الجامعية في أكسفورد ، وتجنّب هناك الإفراط في العلاقات الجنسية ، فيما عدا ليلة أو ليلتين مارس فيهما الجنس على سبيل التجريب . وكانت العلاقات الجنسية تبدو لمعظم الطلبة الذين لم يتخرجوا بَعْدَ أمرًا لازمًا يدل على الرجولة . وكان يستمتع بين الحين والحين إلى محاضرات يُلقِيها الأساتذة والعمداء الذين لم يكونوا يتفوّقون عليه في اللاتينية واليونانية سوى بخطوة واحدة ، وسُرعان ما راح يُؤلّف الشعر باللاتينية .

كان مقر إقامته مليئًا بالكتب المبعثرة والمخطوطات والتعويذات غير الواضحة الواردة في كتب العلم القديمة . وكان يؤمن بقدرة العلم على صياغة الكون والإنسان . ولم يكن يهتم بالتاريخ ، لأنه كان مُقتنعًا بما قاله فولتير وجييون : إن التاريخ هو في الأساس سجل لجرائم البشر وغبائهم . كان شيلي شاعرًا ذا أعصاب حسّاسة ، دافئ المشاعر ، مُستسلمًا للأفكار الغامضة التي لم تتبلور بَعْدَ ، لكنه كان ينفر من التاريخ . وكان كباقي الشعراء ، يُركّز على الحرية الفردية ، ويَشُك في القيود الاجتماعية . وقد ذكر " هوج " أن الليالي في غرفة شيلي كانت رائعة ، عندما كانا يقرآن الشعر والفلسفة معًا ، ويدحضان القوانين والعقائد ، ويظلان يتبادلان الأفكار حتى الساعة الثانية صباحًا ، ويتفقان _ قبل كل شيء _ على مسألة أساسية هي " أن الله لا وجود له " .

وقد أعدَّ المتمرّدان الشابان كتابًا عن هذا الموضوع بعنوان " ضرورة الإلحاد "، لِتَحَدِّي كُلِّ ما هو مُحرَّم في المجتمع، ولجذب الانتباه. مع العلم أن مصطلح " الإلحاد " كان مَمْنوع الاستخدام في المجتمع في تلك الفترة .

يُعتَبَر شيلي واحدًا من أفضل الشعراء الغنائيين باللغة الإنجليزية . وكانت حياته غير العادية وتفاؤله العنيد وصوته القوي المعترض ، عوامل ساهمت في جعله شخصية مؤثرة، وعرضته للتشويه خلال حياته وبعد مماته . وقد أصبح أيقونةً للجيلين الشعريين الذين تلياه .

يُعرَف شيلي بقصائده القصيرة : أوزيماندياس . أغنية للريح الغربية . إلى قُبْرَة . ومع ذلك ، فإن أعماله الهامة تتضمن قصائده الرُّؤْيوية الطويلة : الأستور (أو رُوح العُزْلة) . ثورة الإسلام . أدوناي . بروميثيوس طليقًا . وعمله غير المنتهي " انتصار الحياة " .

أُعْجِب به كارل ماركس وبرتراند راسل . كما اشتهر بصحبته لكل من جون كيتس ولورد بايرون . وكانت الروائية ماري شيلي زوجته الثانية .

كان شيلي يُعاني من الاضطراب والقلق إلى حد كبير ، وكان أقرب ما يكون إلى الاستشارة ، وكانت قدرته على التحمل دَوْمًا يَتَّسع مداها، حتى يكون لطيفًا مع الآخرين مُتَدَرِّجًا بالصبر . وَظَنَّ أن بمقدوره تخفيف آلامه بتناول وجبات نباتية ، وتمسك بهذا الأمل .

تُوُفِّي شيلي في ٨ يوليو في عام ١٨٢٢ ، قبل شهر من عيد ميلاده الثلاثين، حيث عُثِر على مركب الشاعر أثناء عاصفة في خليج سييتسيا الإيطالي، وكان كُلُّ من شيلي وصديقه وفتى المركب البالغ من العمر ١٨ عامًا قد ماتوا غَرَقًا .

غُسِلَ جسم شيلي على الشاطئ بعد أسابيع لاحقة ، وَحُرقت جثته على الشاطئ بحضور مجموعة من أصدقائه من بينهم الشاعر اللورد بايرون .

وقد حَدَثَ أمرٌ غريبٌ يُطابق واحدةً من قصائده ، حيث إن قلب شيلي أبى الاحتراق أثناء مراسم حرق الجثة . ويُحتمل أنه عانى من مرض ما أدى إلى تكلُّس قلبه .

وقام أحد الأصدقاء الذين حضروا مراسم الحرق بانتشال القلب من ألسنة اللهب ، وأعطاه لزوجته شيلي، ماري شيلي ، مؤلفة رواية فرانكشتاين . ويُقال إنها أبقت على رماده في مكتبها .

بيرل باك ورفض التنصير

وُلدت الأديبة الأمريكية بيرل باك (١٨٩٢ _ ١٩٧٣) في ولاية فرجينيا الأمريكية ، لأبوين يعملان في مجال التنصير (التبشير) ، وسافرت معهما إلى الصين وهي في شهرها الخامس ، وعاشت سنوات طويلة في الصين ، حيث تعلمت خلالها اللغة الصينية ، وفهمت عادات الشعب الصيني وتقاليده . وقد حاولت جاهدة أن تجعل رواياتها جسرًا بين الثقافة الأمريكية والثقافة الصينية ، رغم الاختلافات الفكرية ، والتناقضات الثقافية .

لم تكن باك تنتمي لأسرة من المنصرّين (المبشّرين بالمسيحية) فَحَسَب ، بل كانت هي أيضًا مُبشّرة ، عملت في صفوف هيئة الإرساليات التبشيرية . وتأثرت بتجارب والديها ، فقد كانت أمّها راوية بارعة للقصص ، خصوصًا القصص المتعلقة بالحرب الأهلية الأمريكية . كما أن جولات والدها التبشيرية في الأرياف والمناطق المنعزلة وفّرت له رصيدًا هائلًا من القصص ، التي كان يرويها لأولاده عند عودته ، وقد تركت أثرًا عميقًا في نفس ابنته بيرل .

ومن الأحداث الصادمة في حياتها وحياة عائلتها ، نشوء جمعية صينية سرية في عام ١٩٠٠ ، قادت ثورةً لطرد الأجانب ، وطالبت الصينيين الذين تنصّروا بالعودة إلى دياناتهم الأصلية . وهذا الأمر اضطرها هي وعائلتها للهروب من منزلهم إلى ساحل البحر ، للنجاة من هذه الثورة . ورغم هذه المعاناة ، إلا أن باك كانت تعتبر الثورة نتيجة منطقية للاستغلال الغربي ، وما عاناه الصينيون من ظلم الغرب وحقد أبنائه . فقد كان التنصير وسيلة للسيطرة على الشعب الصيني ، وإخضاعه للثقافة الغربية . وفي عام ١٩١٠ ، سافرت باك إلى أمريكا ، للانضمام بكلية راندولف للبنات ، وهناك واصلت الكتابة في المجلات والصحف ، وفازت بجائزتين أدبيتين . الأولى لأحسن قصة تكتبها طالبة ، والثانية لأفضل قصيدة . وقد عانت كثيرًا في الكلية ، إذ ظهرت الاختلافات بينها وبين زميلاتها ، بسبب أفكارها وطريقة تربيتها ، وتمّ اعتبارها غريبة الأطوار ، لكنّها استطاعت أن تعيد تشكيل حياتها لتنسجم مع الحياة الغربية في طريقة الحياة والحديث واللباس .

حصلت على ليسانس الآداب من كلية راندولف ماكون للبنات عام ١٩١٤ ، ثمّ عملت مُدرّسة للفلسفة في نفس الكلية لمدة سنة واحدة ، وبعدها عادت إلى الصين ، للاعتناء بوالدتها المريضة . وفي الوقت نفسه ، قامت بتدريس اللغة الإنجليزية للطلاب الصينيين . كما استغلت وقت فراغها لدراسة المؤلفات الصينية بشكل أكثر عمقًا .

والجدير بالذكر أنَّ الاسم الحقيقي لهذه الكاتبة هو "بيرل سيدينستريكر"، ولكنها عندما تزوجت حملت اسم عائلة زوجها "جون لوسينج باك"، وهو خبير زراعي عيّنته هيئة الإرساليات البروتستانتية لتعليم الصينيين طرق الزراعة الأمريكية، وهكذا تحوّل اسمها إلى "بيرل باك".

سافرت باك مع زوجها في أنحاء الصين، وشاهدت عن قرب التّزايدات الاجتماعية في المجتمع الصيني، وتفكك الأسرة، والصراعات النفسية التي تسيطر على حياة الصينيين، ورأت مشاعر التمزق بين القديم والحديث، والصّدام بين النظام الأبوي الصّارم والحياة المتحررة للفرد. فقد انتشر في المجتمع الصيني التدخين على نطاق واسع، وازداد الاختلاط بين الجنسين، وانتشر الرقص الأمريكي، وبرزت فكرة التمرد ضد السّيطرة الأبوية، وصار الشابُّ يتخذ قرار الزواج بعيداً عن أسرته، وقد كانت الأسر الصينية تختار الزوجات لأبنائها، وتتولى تزويجهم. وفي ظل هذه الظروف، ظهرت الدعوات إلى الشيوعية، كرد فعل مضاد لفلسفة الحياة الغربية.

في عام ١٩٢٥، سافرت إلى أمريكا من جديد، لعلاج ابنتها كارول التي كانت تعاني من التخلف العقلي، ولكن تبين أنها ستظل مُعاقبة طيلة حياتها. وفي عام ١٩٣٣، كتبت باك مقالاً انتقدت فيه المنصرّين (المبشّرين) الذي يحرصون على زيادة أعداد الداخلين في دينهم عن طريق ابتزازهم واستغلال جهلهم وفقدهم، ودون مُراعاة ظروفهم الإنسانية.

أدى نشر المقال لاستقلاليتها من هيئة الإرساليات التبشيرية، فكان طلاقاً أبدياً بينها وبين المؤسسة التي عملت في صفوفها وانتمت إليها. وفي عام ١٩٣٥، طلقها زوجها جون لوسينج باك، وتزوجت في العام نفسه ريتشارد جون والش، رئيس شركة جون داي للطباعة والنشر، ورئيس تحرير مجلة آسيا، وأقامت معه في أمريكا حتى وفاته عام ١٩٦٠.

تعلمت باك الصينية قبل الإنجليزية، ثمّ تعلمت الإنجليزية، وهذا وفّر لها ثروة لغوية هائلة، وجعل أسلوبها الأدبي قوياً ومتناسكاً. وقد انكبّت على قراءة القصص منذ نعومة أظفارها، وهي كاتبة غزيرة الإنتاج. وقد لُقبت بالكاتبة الصينية لأن معظم كتاباتها مُستوحاة من الحياة في الصين. حصلت على جائزة بوليتزر (١٩٣٢) عن روايتها الأرض الطيبة، وحصلت أيضاً على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٣٨، لتكون بذلك أول كاتبة أمريكية تفوز بهذه الجائزة العالمية.

من أبرز رواياتها: الأرض الطيبة (١٩٣١). بيت منقسم (١٩٣٥). جناح المرأة (١٩٤٦). الموجة الكبيرة (١٩٤٨). رسالة من بكين (١٩٥٧). الموت في قلعة (١٩٦٥).

بيورنستيرن بيورنسون وكواليس المسرح

وُلد الكاتب النرويجي بيورنستيرن بيورنسون (١٨٣٢ _ ١٩١٠) في مدينة كفيكنه بمقاطعة هدمارك ، وتُوفِّي في باريس . يُعتَبَر رَكيْزَةً أساسية من رُكائِز الأدب النرويجي ، وأحد العُظماء الأربعة بين الأدباء النرويجيين ، مع هنريك إبسن ، ويوناس لي ، وألكسندر كيلاوند .

لقد عَشِقَ المسرح مُنذ نعومة أظفاره . وهذا العشق سيطرَ عليه ، فسخرَ حياته كاملةً للأدب المسرحي ، وإدارة المسارح . وفي عام ١٨٥٧ أصبحَ مديراً لمسرح برجن . وهذا مَكَّنَه من الاطّلاع على أسرار عالم المسرح عن قُرب ، والتعامل مع الممثلين والمخرجين والفنّيين . ولا شكَّ أن هذا الأمر أكسبه خِبرةً واسعة في مجال المسرح ، فصارَ مُلمّاً بأدق تفاصيل صناعة المسرحية بدءاً من الورق ، وانتهاءً بخشبة المسرح .

انتقلَ إلى مدينة كريستيانيا ، وهي ما تُعرَف اليوم بأوسلو ، عام ١٨٥٠ . وبدأَ دراسته في جامعة فريدريك الملكية عام ١٨٥٢ . وفي عام ١٨٥٥ ، دخلَ إلى الحياة الأدبية ، وصارَ جزءاً من منظومة العمل الأدبي ، فعملَ ناقداً مسرحياً وأديباً ومُحرِّراً في كُبريات الصُحف النرويجية . وأخذَ يعرض في مقالاته الصحفية أفكاره حول الإصلاح السياسي والاجتماعي ، داعياً للقيم الليبرالية والمُثل الوطنية . تولّى إدارة المسرح الوطني في بيرغن عام ١٨٥٧ خَلْفاً للكاتب المسرحي الشهير هنريك إبسن . وبسبب علاقاته الوثيقة مع الوسط الفني المسرحي ، قرَّرَ اختيار ممثلة لتكون شريكة حياته ، فتزوَّجَ الممثلة كارولين ريمرز في عام ١٨٥٨ . وتعلَّقَ بعالم المسرح أكثر فأكثر ، فأدارَ مسرح كريستيانيا في الفترة (١٨٦٥ _ ١٨٦٧) ، ثم أدارَ مسرحه الخاص في الفترة (١٨٧٠ _ ١٨٧٢) .

حصل بيورنسون على الإشباع الرُّوحي بسبب غرقه في كواليس المسارح ، ووصلَ إلى قناعة شخصية بأنّه قدَّم كُلَّ ما عنده في مجال إدارة المسارح ، ولم يَبَقَ لديه شيء يُقدِّمه . ولأنّه لا يُريد تكرارَ أفكاره في الإدارة ، أثرَ البحث عن عالمٍ آخر . وكان الحل يكمن في السَّفر . وقد أمضى جزءاً كبيراً من حياته خارج وطنه النرويج ، مُتنقلاً بين الدنمارك وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة ، وتُوفِّي في باريس عن عُمر يُناهز الثامنة والسبعين .

استلهمَ من نشأته الريفية أعماله الأدبية المُبكِّرة ، وقد طرَحَ فيها قيمَ الوعظ والإرشاد الممزوجة بالمعاني الوطنية . وهو بذلك كان يهدف إلى تكريس الشعور بالفخر والكبرياء بتاريخ

النرويج وإنجازاتها الفكرية وإسهاماتها الحضارية، وإيقاظ الروح الوطنية، ورفع معنويات أبناء بلده ، والتأكيد على الروابط المصرية التي تجمع النرويج في أيامه بنرويج الماضي . وبعبارة أخرى ، التشديد على مبدأ الأصالة والمعاصرة .

كانت باكورة أعماله الأدبية مسرحية تاريخية من فصل واحد، بعنوان "بين المعارك" (١٨٥٦). وهي مستوحاة من القصص التاريخية الإسكندنافية . ثم أصدر مجموعة من القصص حول الحياة الريفية عام ١٨٥٧ . ثم كتب مجموعة من القصص الطويلة منها " الولد السعيد " (١٨٦٠) ، التي اعتبرها النقاد أبرز الكتابات الإبداعية الرومانسية المتعلقة بالوطنية النرويجية . ثم كتب مسرحيتين في فترة متقاربة ، " المُحرَّر " (١٨٧٤) ، عرض فيها مشكلات مهنة الصحافة ، و " المُفلس " (١٨٧٥) ، وقد هاجم فيها الخداع في المعاملات التجارية . وهاتان المسرحيتان حققتا له شهرة عالمية ، وجعلتا كاتبًا مؤثرًا في الأدب الأوروبي . وهذا النجاح العالمي يعود إلى انسجام الأفكار الواردة في المسرحيتين مع النزعة الفكرية السائدة حينئذ ، والتي تُنادي بضرورة معالجة الأدب للقضايا المعاصرة ذات التأثير المباشر في حياة الإنسان والمجتمع . وكذلك فعلت المسرحيتان اللتان كتبهما بعد ذلك . " المَلِك " (١٨٧٧) ، و " النظام الجديد " (١٨٧٩) .

وقد عالج في أعماله المسرحية والروائية مشكلة عدم التسامح السياسي ، وضرورة حدوث التغيير الاجتماعي ، مُشيرًا إلى أن هذا التغيير يجب أن يبدأ من المدرسة .

والجدير بالذكر أن أعماله الأدبية لم تنحصر في مجال المسرح والرواية ، بل أيضًا خاض غمار الشعر . وتجربته الشعرية أنتجت مجموعة من القصائد ، جُمع أغلبها في ديوان " قصائد وأغانٍ " (١٨٧٠) . وهذا الديوان يحتوي على أشهر قصيدة له على الإطلاق ، وهي " نعم نُحبُّ هذه الأرض إلى الأبد " ، والتي تمَّ اختيارها _ فيما بعد _ لتكون النشيد الوطني النرويجي . وبالتالي ، اشتهر بيورنسون بأنه كاتب النشيد الوطني لبلاده . وهذا شرفٌ عظيمٌ لأيِّ شاعر .

قضى بيورنسون المرحلة الأخيرة من حياته في عمل دؤوب وترحال دائم ، يتحدَّث ويكتب _ بلا تعبٍ ولا مللٍ _ عن السلام والتفاهم الدولي . وكان لمسرحياته أثر كبير في تأسيس ما عُرف بالواقعية الاشتراكية . وقد حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٠٣ ، تقديرًا لإسهاماته الهامة في مجال الأدب عمومًا ، والمسرح خصوصًا . ولم تقف إنجازاته عند هذا الحد ، بل كان له دور بارز في مجال السياسة الدولية ، إذ إنَّه ساهم في إنهاء النزاع السويدي النرويجي ، وحلَّ الاتحاد الذي كان قائمًا بين الدولتين بشكلٍ سلمي في عام ١٩٠٥ .

بيير أبيلار والخدج المأساوي

وُلِدَ الفيلسوف الفرنسي بيير أبيلار (١٠٧٩ - ١١٤٢) قرب نانت بفرنسا . رسم له أبوه _ الذي كان من طبقة النبلاء _ طريقًا عسكريًا ، لكن أبيلار قرر أن يكون عالمًا ، فتنقّى دراسةً أدبية، واتّجه في حياته نحو دراسة المنطق، وصارَ تلميذًا لنصير الواقعية غيوم دي شامبو ثم مُعارضًا له. أنشأ أبيلار مدارس خاصة به في كل مكان من ميلانو وكورباي ، وأخيرًا في باريس، علّم فيها الجدل، وكان من حصيلة هذا التعليم كتبه " مداخل للمبتدئين "، و" الحواشي الصغرى على فورفوريوس "، و " الجدل " . وفي عام ١١١٢ قام بدراسة اللاهوت بإشراف أنسلم اللاني .

أصبح أبيلار أستاذًا لإلواز عام ١١١٣ ، وهي حفيدة أحد مسؤولي كاتدرائية نوتردام ، ونشأت قصة حب بين أبيلار والفتاة، وحملت منه. وفي أعقاب مولد طفلهما، عام ١١١٨ ، تزوّجا سرًّا . علّم فولبير، عم إلواز، بخبر حبهما وزواجهما السري، فاستشاط غضبًا. واستأجر في لحظة غضبه تلك مجموعة رجال هاجموا منزل أبيلار وخصّوه . وانفصل أبيلار وإلواز بعد الحادثة مباشرة. أصبح أبيلار راهبًا، والتحقّت إلواز بدير للراهبات . وقد ذاعت أسرار حبهما المأساوي من رسائلهما العديدة التي تبادلها . وما لبث أن عاد إلى التعليم في باركلييه ، إلى أن صارَ رئيسًا لدير سان جلد في بريتاني (١١٢٥ - ١١٣٢). وفي هذه المرحلة ألّف كتبه : " نعم ولا " ، و " اللاهوت المسيحي " ، و " المدخل إلى الإلهيات والأخلاق " . وفيها كذلك أصدر كتابه " قصة فاجعني " ، وكذلك مراسلاته الشهيرة مع إلواز . لم تكن النزعة العقلانية عنده أكثر تطرفًا ممّا هي عند أستاذه أنسلم اللاني ، إلا أن شخصيته وطريقته في الجدل ألّبتا عليه الخصوم، ممّا أثار غضب القِيّمين على اللاهوت، فأدى ذلك إلى إدانته من مَجْمَعَيْنِ كنسيين في كل من سوانسون (١١٢١) بخصوص الوحدة والثالث، وسانس (١١٤١) بسبب كتابه " المدخل إلى الإلهيات " . ولَمَّا احتكم إلى البابا أدانته من جديد، ومنعه من التعليم، فاعتزل في دير كلوني، ومات في عام ١١٤٢، ونُقل رُفاته فيما بعد ليُدفن مع إلواز في سانت مارسيل.

اعتقد أبيلار بنظرية الحقيقة المزدوجة، العقل والإيمان، وقال بإمكان وقوع التعارض بين كل من هاتين الحقيقتين. وكان مسعاه في استخدام المصادر الفلسفية للدفاع عن المسيحية وتوضيحها، هو مسعى أستاذه أنسلم ذاته . والإيمان عند أبيلار هو البداية، وليس ناتجًا عن الاستدلال، ومع هذا، فهو ليس قسريًا ولا أعمى. بل إنه يسعى لفهم ما لا يمكن أن يُدرك، ومن ثمّ

فإن حقائق الوحي يمكن أن يُبرهن عليها . أمّا تفسير أبيلار لموقف التصديق في الإيمان فهو تفسير تصوّري، ذلك أن توجّه أبيلار توجه جدلي. وقد أعجب أبيلار بالفلاسفة غير المسيحيين لتقيّدهم بالقانون الطبيعي، ورغب بحدسهم المسبق للأسرار المسيحية . وكان هذا من الأسباب التي جلبت عليه عداوة التقليديين الذين اعتبروا اللاهوت مادة للقراءة في الأديرة ، أكثر منه للجدل في قاعة المحاضرات . وقد عرض أبيلار في كتابه " نعم ولا " ١٥٨ مسألة لاهوتية ، ويزاؤها نصوص متعارضة لآباء الكنيسة، وذلك من أجل أن يبعث في النفوس الرغبة في الكشف عن وجه الحق فيها، ثم يحاول التوفيق فيما بينها. وقد كان تلامذته يطلبون منه أن يُقدّم لهم براهين فلسفية على العقيدة الدينية، لأنه يتمتع بالإيمان بما لا يفهم، ويبدو الكلام عبثاً ما لم يُشفع بما يجعله معقولاً . وإذا كان العقل _ كما يقول أبيلار _ لا يستطيع البرهنة على الأسرار الدينية، فإنه مع ذلك يمكنه أن يُقرّبها إلى الفهم عن طريق التشبيه والتمثيل . وقد اتخذ أبيلار موقفاً وسطاً بين اللاهوتيين الذين يرون أن التقسيمات الجدلية لا تصدق إلا على المحسوسات وحدها ، ويُمسكون عن تطبيقها على الوجود الإلهي ، وبين الجدليين الذين يسعون إلى تطبيق هذه التقسيمات ذاتها على الثالوث. وفي كتاب " الأخلاق " ، أو " اعرف نفسك " ، يؤكد أبيلار ذاتية النية ، ويرد إليها وحدها قيمة العقل الأخلاقي . وقد أدى هذا الموقف عنده إلى رفض عقيدة الخطيئة الأصلية . فالخطيئة لا يمكن إلا أن تكون شخصية ، والخلاص يمكن أن يأتي للإنسان قبل تجسّد المسيح، وبدون إيمان به . وهذا ما يمكن أن يُطلق عليه، النّزعة الطبيعية اللاهوتية . كان أبيلار رائداً للأفكار في الجدل فيما بعد، وربما يصدق ذلك على اللاهوت أكثر ممّا يصدق على الفلسفة. ومع أنه وضع معايير للدقة والصرامة المنهجية في الجدل، وأن هذه المعايير سوف تطبع المذهب المدرسي في العصر الوسيط بهذا الطابع، إلا أن منهجه في كتابه الشهير " نعم ولا " لم يكن جديداً . فقد عرّف القرن الحادي عشر في كتابات آباء الكنيسة مثل هذا اللون من التأليف. وطوّرتوما الأكوييني هذا المنهج نفسه في القرن الثالث عشر ، وبلغ به درجة عالية من الكمال . فقد ورث توما الأكوييني الصرامة العقلية عن أبيلار، لكنه قدّمها بدقة أعظم، وبيقين أكثر كمالاً. كان أبيلار فيلسوفاً لغوياً وشاعراً، وراهباً. وكان له تأثير كبير في نفوس معاصريه. وقد أسّس تلامذته من بعده مدرسة من الجدليين طبعت العصر الوسيط بطابعها . ومع أنه لم يؤسس مذهباً فلسفياً عامّاً إلا أن بعض الباحثين يعتبره أعظم شخصية فلسفية في العصور الوسطى، لأنه رجّح كفة العقل على النقل ، وكان مُبشّراً بالمذهب النقدي للفيلسوف الألماني كانت في الفلسفة الحديثة .

بيير بورديو وأنماط السيطرة الاجتماعية

وُلد الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو (١٩٣٠ - ٢٠٠٢) في جنوب فرنسا. درس الفلسفة في مدرسة المعلمين العليا في باريس ، ونال فيها شهادة الأستاذية في الفلسفة عام ١٩٥٤. وكان من بين مُعلّميهِ الفيلسوف الفرنسي ألتوسير، وكان الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا من الذين تخرّجوا في نفس الدورة .

بعد تجربة قصيرة له كأستاذ في إحدى الثانويات ، دُعِيَ من قِبَل المكتب النفسي للجيش في مدينة فرساي . ولأسباب تأديبية أُرسِل إلى الجزائر ، حيث أدى هناك القسم الأساسي من خدمته العسكرية . وخلال الفترة (١٩٥٨ - ١٩٦٠) درّس في كلية الآداب في الجزائر ، واهتم بالدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية ، وكتب بعد عودته إلى فرنسا مباشرة كتابًا بعنوان " سوسيولوجيا الجزائر " ، ثم أصدر كتابًا آخر بعنوان " أزمة الزراعة التقليدية في الجزائر " . وبدأ بعدها دراسة الفلسفة في السوربون ، ثم أصبح مديرًا لقسم الدراسات في مدرسة الدراسات العليا، ثم مديرًا لمعهد علم الاجتماع الأوروبي، كما انتُخب عام ١٩٨٢ لكرسي علم الاجتماع في الكوليج دو فرانس ، وهي أعلى هيئة علمية في فرنسا . بدأ نجمه يبرز بين المتخصصين انطلاقًا من الستينيات بعد إصداره كتاب "الوراثة" (١٩٦٤)، وكتاب " إعادة الإنتاج " (١٩٧٠) . وازدادت شهرته في آخر حياته بخروجه في مظاهرات ووقوفه مع فئات المحتجين والمضربين . اهتم بتناول أنماط السيطرة الاجتماعية بواسطة تحليل مادي للإنتاجات الثقافية يكفل إبراز آليات إعادة الإنتاج المتعلقة بالبنيات الاجتماعية، وذلك بواسطة علم اجتماع كُلّي يستنفر كل المعارف المنهجية المتراكمة للكشف عن البنى الخفية التي تُحدّد أنماط الفاعلية على نحو ضروري . ممّا جعل نُقاده ينعنون اجتماعياته بالاحتمانية، على الرغم من أنه ظلّ، عبر كتاباته وتدخلاته، يدفع عن تحليلاته مثل ذلك الوصف . انتقد بورديو تغاضي الماركسية عن العوامل غير الاقتصادية ، إذ إن الفاعلين المسيطرين ، في نظره، بإمكانهم فرض منتجاتهم الثقافية ، مثل ذوّقهم الفني أو الرمزية أو طريقة جلوسهم أو ضحكهم وما إلى ذلك. والعنف الرمزي (قدرة المسيطرين على إظهار المنتجات الرمزية على أنها شرعية) له دور أساسي في فكر بورديو .

يرى بورديو أن العلاقات الاجتماعية في المجتمعات الحديثة تنقسم إلى حقول، أي فضاءات اجتماعية أساسها نشاط مُعيّن ، مثل : الصحافة ، الأدب ، كرة القدم ، ... ، إلخ . يتنافس فيها

الفاعلون لاحتلال مواقع السيطرة . فمثلاً ، يريد الصحفي أن يشتغل في أوسع وأقوى جريدة ، وبعدها يُحاول أن يحصل على أعلى منصب في تلك الجريدة... إلخ. وعلى غرار التصور الماركسي، يبدو العالم الاجتماعي ، عند بورديو ، ذا طبيعة تنازعية .

إن " الهابتوس " من المفاهيم الأساسية في العمل النظري عند بورديو . ويتحدد باعتباره نسق الاستعدادات الدائمة والقابلة للنقل التي يكتسبها الفاعل الاجتماعي من خلال وجوده في حقل اجتماعي بالعالم الاجتماعي حيث يعيش. ويُترجم هذا المصطلح في العربية بلفظ التَّطْبَع أو السَّمَت.

ويلعب هذا المفهوم دوراً مركزياً في عمل بورديو النظري ، إلى جانب مفهومي الحقل والعنف الرمزي. والفاعل الاجتماعي يكتسب بشكل غير واع مجموعة من الاستعدادات من خلال انغماسه في محيطه الاجتماعي تُمكنه من أن يُكَيّف عمله مع ضرورات العيش اليومي . ظلّ بورديو يُؤكّد أن مكتسبات البحث العلمي يجب أن تُسلّط على تحليل شروط اشتغال الباحث نفسه بما هو ذات مُنتجة للمعرفة ، أي لا بد من ممارسة تفكير انعكاسي على ضوء نتائج العلم ، خصوصاً علم الاجتماع . ومن هنا تأتي ضرورة أن يقوم الباحث الاجتماعي بتحليل عمله وخطابه ونشاطه تحليلًا انعكاسيًا (ذاتيًا) .

ولعل أبرز تطبيق لهذا يوجد في كتاب " الإنسان الأكاديمي " الذي تناول فيه بورديو مجموع الشروط التي تُحدّد بروز واشتغال المتخصص كأستاذ جامعي أو مثقف أكاديمي . وتتمثل أهمية الانعكاسية في كونها تجعل الباحث يستعمل الاكتشافات المترتبة على ممارسته العلمية ليُغربل دوره ، وليكشف العوامل الناتجة عن تاريخه الشخصي ، التي تُؤثّر على ممارسته العلمية وتُشوِّش رؤيته للمجتمع بدون وعي منه في غالب الأحيان. ولذا يُعدّ التحليل الانعكاسي، باعتباره تحليلًا اجتماعيًا، شرطاً لا غنى عنه لكل مُمارسة علمية حقيقية .

أنتج بورديو أكثر من ثلاثين كتاباً ، ومئات من المقالات والدراسات التي تُرجّمت إلى أبرز اللغات في العالم ، والتي جعلته يتبوأ مكانة بارزة بين الأسماء البارزة في علم الاجتماع والفلسفة والفكر النقدي ، منذ نهاية الستينيات من القرن الماضي .

من أبرز مؤلفاته : في اجتماعيات الأشكال الرمزية (١٩٧٠) . الحس العملي (١٩٨٠) . درس في الدرس (١٩٨٢) . مسائل في علم الاجتماع (١٩٨٤) . قواعد الفن (١٩٩٢) .

تالكوت بارسونز ونظرية الفعل الاجتماعي

وُلد عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز (١٩٠٢ - ١٩٧٩) في كولورادو ، وتُوفّي في ميونخ . دَرس والده في مدرسة اللاهوت في جامعة ييل قبل أن يُعيّن قِسًا . وعند ميلاد تالكوت ، كان والده أستاذًا للغة الإنجليزية في كلية كولورادو ، ونائب رئيس الكلية . درس بارسونز في المرحلة الجامعية علمَ الأحياء والاجتماع والفلسفة في كلية آمريست ، وحصل على درجة البكالوريوس في عام ١٩٢٤ . أصبحت كلية آمريست كلية عائلة بارسونز بالتقليد ، حيث إن والده وعمّه فرانك التحقَا بها ، كما التحق بها أيضًا شقيقه الأكبر . في البداية كان بارسونز مُولعًا بمهنة الطب ، فقد ألهمه في هذا التوجه شقيقه الأكبر ، لذلك درسَ قَدْرًا كبيرًا من علم الأحياء ، وقضى فترة الصيف يعمل في معهد علوم المحيطات في معهد وودز هول لعلوم المحيطات بولاية ماساتشوستس . أصبح بارسونز واحدًا من القيادات الطلابية في آمريست ، وأخذ دورةً في الفلسفة الألمانية الحديثة مع أوتو مانني زورن ، الذي كان مُفسّرًا كبيرًا لفلسفة كانت . وأظهر بارسونز في وقت مُبكر اهتمامًا كبيرًا في موضوع الفلسفة ، الذي كان على الأرجح تبعًا لاهتمام والده باللاهوت ، الأمر الذي أثّر عليه بشكل عميق اجتماعيًا . بعد أن أنهى دراسته في آمريست ، درس في كلية لندن للدراسات الاقتصادية لمدة عام . وأثناء دراسته فيها ، التقى طالبة أمريكية تُدعى هيلين بانكروفت ، وقد تزوّجها في ٣٠ أبريل ١٩٢٧ . حصل بارسونز على الدكتوراة من جامعة هايدلبرغ في علوم الاجتماع والاقتصاد . وفي الفترة التي قضاها في هايدلبرغ ، عمل بارسونز مع ألفرد فيبر (شقيق عالم الاجتماع الألماني الشهير ماكس فيبر) ، وأيضًا مع عالم الاجتماع الشهير كارل مانهايم (مؤسس علم اجتماع المعرفة) . كان اللقاء الأكثر أهمية لبارسونز في هايدلبرغ هو لقاءه ماكس فيبر والاطلاع على أعماله ، الذي لم يسبق وأن سمع عنه قبل وصوله إلى هايدلبرغ . فقد أصبح فيبر بالغ الأهمية لبارسونز باعتبار ثقافته الناشئة في بيئة دينية ومتمحرة في آن واحد . السؤال عن دور الثقافة والدين في العمليات الأساسية من تاريخ العالم كان لُغزًا مُحيرًا لبارسونز وثابتًا في ذهنه . وكان فيبر الباحث الأول الذي قدّم لبارسونز جوابًا نظريًا مُقنعًا عن هذا السؤال . كان بارسونز يقرأ بتوسّع الأدب الديني ، وبخاصة الأعمال التي تُركّز على علم الاجتماع الديني . وكان - أيضًا - يقرأ في موضوع الكالفنية (نسبة إلى اللاهوتي الفرنسي جون كالفن) .

في عام ١٩٢٧، انضمَّ بارسونز إلى جامعة هارفارد كمحاضر في قسم الاقتصاد . وكان على خلاف مع بعض الاتجاهات السائدة في القسم ، حيث كانت تميل إلى الناحية الرياضية الحسابية عالية التقنية، لذا بحث بارسونز عن خيارات أخرى ، وقَدَّم دورات في "الأخلاقيات الاجتماعية" و"علم الاجتماع الديني" . وعلى الرغم من أن بارسونز دخل هارفارد من خلال قسم الاقتصاد ، إلا أن كُـل أنشطته واهتماماته الفكرية دفعت به نحو علم الاجتماع، على الرغم من أن جامعة هارفارد لم يكن لديها قسم علم اجتماع في تلك الفترة . ولكن كانت الجامعة تفكر في تأسيس هذا القسم، فقام بارسونز بإبراز نفسه بطرق مختلفة من خلال التزامه بالكتابة والتدريس ، حتى يكون مستعدًا للانضمام إلى قسم علم الاجتماع حين يتم تأسيسه. وحانت الفرصة لانتقال بارسونز إلى علم الاجتماع عام ١٩٣١ ، حين تم إنشاء أول قسم علم اجتماع في هارفارد على يد العالم الروسي بيتيرين سوروكين الذي هرب من الثورة الروسية ، وهاجر إلى أمريكا عام ١٩٢٣ .

يؤلف الفعل الاجتماعي بالنسبة إلى بارسونز الوحدة الأساسية للحياة الاجتماعية ، ولأشكال التفاعل الاجتماعي بين الناس، فما من صلة تقوم بين الأفراد والجماعات، إلا وهي مبنية على الفعل الاجتماعي، وما أوجه التفاعل الاجتماعي إلا أشكال للفعل التي تتباين في اتجاهاتها وأنواعها ومساراتها، ولهذا يُعدُّ الفعل عنده الوحدة التي يستطيع الباحث من خلالها رصد الظواهر الاجتماعية وتفسير المشكلات التي يعاني منها الأفراد، وتعاني منها المؤسسات على اختلاف مستويات تطورها. والفعل الاجتماعي بالتعريف، سلوك إرادي لدى الإنسان لتحقيق هدف مُحدد، وغاية بعينها، وهو يتكون من بُنية تضم الفاعل بما يحمله من خصائص وسمات تُميّزه عن غيره من الأشخاص، وموقف يُحيط بالفاعل ويتبادل معه التأثير، ومُوجَّهات قِيَمية وأخلاقية تجعل الفاعل يميل إلى ممارسة هذا الفعل أو ذاك ، والإقدام على ممارسة هذا السلوك أو غيره .

ولهذا يُلحَظ أن بارسونز يدرس الفعل الإنساني بوصفه منظومة اجتماعية متكاملة، يُسهم كُـل عنصر من عناصرها في تكوين الفعل على نحو من الأنحاء ، وهي مؤلفة من أربع منظومات فرعية تتدرج من المنظومة العضوية ، إلى المنظومة الشخصية ، فالاجتماعية ، فالثقافية والحضارية .

وتُسهم نظرية الفعل الاجتماعي التي عمل بارسونز على تطويرها في توضيح الكثير من القضايا الاجتماعية، ممَّا جعل هذه النظرية تأخذ موقعًا مُتقدمًا في دراسات علم الاجتماع في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي معظم دول العالم، ولا سيَّما الدول الأوروبية ، بالنظر إلى ما تحتويه من قدرات تحليلية تُمكن الباحث من معالجة الكثير من القضايا الاجتماعية وقضايا علم الاجتماع .

تريفيتان تودوروف والفكر النقدي الإنساني

وُلد الفيلسوف الفرنسي _ البلغاري تريفيتان تودوروف (١٩٣٩ _ ٢٠١٧) في مدينة صوفيا البلغارية . غادرَ إلى فرنسا لاجئًا سياسيًا عام ١٩٦٣ ، وعاشَ فيها حتى وفاته . كتب عن النظرية الأدبية ، وتاريخ الفكر ، ونظرية الثقافة واهتمَّ بالنقد الأدبي ، ولفت الأنظار من خلال كتابه الأول " نظرية الأدب ، نصوص من الشكلايين الروس " (١٩٦٥) . ثمَّ جاء كتابه " الأدب والدلالة " (١٩٦٧) الذي ساهمَ في شهرته كمُفكِّر وباحث ، وخوَّله الالتحاق بالمركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي عام ١٩٦٨ . ومن خلال هذه المؤسسة العريقة ، تكرَّست شهرة تودوروف ، وذاعَ صيته خلال عَقْد السبعينيات ، كواحد من أبرز أقطاب المدرسة البنيوية في النقد الأدبي .

رُكِّزت اهتمامات تودوروف التاريخية حول قضايا حاسمة مثل: غزو الأمريكيتين، ومعسكرات الاعتقال النازية، والستالينية. كما تناولَ موضوع التأثير السياسي على الحريات الفردية. وعمومًا ، يُعدُّ تودوروف واحدًا من أهم مُنظري الفكر النقدي ذي النِّزعة الإنسانية . عمل تودوروف أستاذًا زائرًا في عدة جامعات ، منها هارفارد ، وييل ، وكولومبيا . وحصل على جائزة الأكاديمية الفرنسية ، وجائزة أمير أستورياس للعلوم الاجتماعية . يُعتبر أعظم إسهام لتودوروف ، هو إنشاء نظرية أدبية جديدة ، عرضها في أكثر من كتاب ، وبالتحديد في كتابه " مدخل إلى الأدب العجائبي " (١٩٧٠) .

في كتابه " الحياة المشتركة " (٢٠٠١) ، أكَد على مقولة أن الإنسان كائن اجتماعي ، وتساءلَ عن عواقب هذا الإقرار العادي ، بعدم وجود أنا من دون أنت، وبالنسبة إلى الفرد، أين يكمنُ الإكراهُ في ألا يشهد سوى حياة مشتركة . وقد بيَّن أن الفلسفة تُحاذي التحليل النفسي ، والأعمال الأدبية تُساند الاستيطان ، كما بيَّن أن الكائن البشري مُحكوم بالنقص، وأنه يتوق إلى الاعتراف به ، وإن ذاته _ حتى في العزلة _ مصنوعة من العلاقات مع الآخرين . ووضَّح معنى السعادة من وجهة نظره : نحن سعداء لأننا نحب، ونحب لأننا لا نوجد من دون الحب، فسعادتنا تتوقف حصرًا على الآخرين ، الذين بيدهم أيضًا أدوات تدميرها .

معَ بداية الثمانينيات، ابتعد تودوروف تدريجيًا عن النقد الأدبي ، وأتجهت اهتماماته نحو مجالات الفلسفة وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وتاريخ الأفكار .

تميّزت مؤلفات تودوروف الفكرية بنزعة إنسانية قائمة على منظور نقدي ، يُناقش المسلّمات ، ويغوص في أعماق الفكر ، ولا يضرب على السطح . وقد دافع عن القيم الإنسانية في بعدها العالمي الشامل ، مُخالفًا بذلك دُعاة " النسبية الثقافية " (كلود ليفي شتراوس) .

لَمْ يَقم تودوروف بتعظيم النموذج الغربي وتمجيده . فقد حملت أعماله نقدًا واضحًا ومُعارضًا لهيمنة المركز الغربي ، الذي يُدير ظهره للقيم والثوابت والحقوق والمبادئ الإنسانية ، التي يزعم أنه حاميتها وحارسها ورافع لوائها في أنحاء العالم . فالغربُ يضرب بالقيم الإنسانية عُرض الحائط ، كلما تصادمت مع مصالحه الوقتية ، وتعارضت مع مكتسباته المادية الآنية .

وقد تنبّه تودوروف لهذا الأمر ، ورَكَز على نقد الحروب الاستعمارية الأوروبية في أكثر من كتاب ، ثُمَّ نَقَدَ _ لاحقًا _ الأنظمة الشمولية الدكتاتورية الغربية التي أفسدت النظام العالمي خلال النصف الأول من القرن العشرين .

ومَعَ بداية الألفية الجديدة ، وقف تودوروف ضد مشاريع الهيمنة الأمريكية، من خلال مجموعة من المؤلفات والكتابات .

عُرف عن تودوروف ابتعاده عن الشأن السياسي الآني ، وحرصه على عدم الخوض في الأحداث السياسية الراهنة. ومعَ هذا، فقد عارضَ بشدة وبشكل علني سياسات الهيمنة الأمريكية، من منطلق أن " فرض الخير بالقوة أخطر من كل الشرور " .

لذلك، عارضَ تودوروف تدخُلَ حلف الأطلسي لتفتيت ما تبقى من يوغسلافيا عبر فرض استقلال كوسوفو عن صربيا عام ١٩٩٩ . ودانَ الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ ، ونَدَّد بالتدخل الأطلسي في ليبيا عام ٢٠١١ بِحُجَّة نشر الديمقراطية .

وقد فسّر تودوروف النبرة النضالية غير المعهودة التي تميّزت بها مواقفه تلك، في حوار أدلى به لمجلة " لوبوان " الفرنسية ، عام ٢٠١٢ ، قائلاً : ((إننا (في الغرب) نشهد مُنذ عشرين سنة مَدًّا تبشيريًا يتمثل في الزعم بأننا نستطيع نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان، عبر فرضها بالقوة على الآخرين. وهذا، في نظري، أمر مُريب ومُثير للقلق)) .

من أبرز مؤلفاته : شاعرية النشر (١٩٧١) . فتح أمريكا (١٩٨٢) . حول التنوع الإنساني (١٩٩٣) . الأمل والذاكرة (٢٠٠٠) . الحديقة المنقوصة (٢٠٠٢) .

تشارلز بوكوفسكي والانتماء إلى المكان

وُلد الأديب الأمريكي تشارلز بوكوفسكي (١٩٢٠ _ ١٩٩٤) في ألمانيا ، لأُم ألمانية تزوّجت جندبًا أمريكيًا من أصل بولندي. وقال بوكوفسكي في كثير من الأحيان إنه طفل غير شرعي . والسجلات الزوجية في مدينة أندريك تُشير إلى أن والديه تزوّجا قبل شهر من ولادته .

هاجرت العائلة إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٢٣ ، واستقرت في بداية الأمر في بالتيمور بولاية ميريلاند ، نظرًا لتعثر أعمالها في ألمانيا نتيجة انهيار الاقتصاد الألماني بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، والارتفاع الكبير لمعدلات التضخم . وفي عام ١٩٣٠ انتقلت عائلة بوكوفسكي إلى لوس أنجلوس ، وهي المدينة التي نشأت فيها عائلة والده ، وكان الأب معظم الوقت عاطلاً عن العمل. ويذكر بوكوفسكي في سيرته الذاتية عن تصرفات والده ، وإذعان والدته للإهانة البدنية والنفسية تجاهها وتجاه أبنائه ، فكان يضرب أولاده ، ويثور عليهم لأقل خطأ ، وقد أثّر هذا على نشأة بوكوفسكي ، فكان شابًا خجولاً ومنعزلاً اجتماعيًا ، وضاعف من هذا الاتجاه إصابته بحالة متفاقمة من مرض حب الشباب، وكان أطفال الحي يسخرون من لكنته الألمانية وملابسه التي كان والده يجبره على ارتدائها .

بعد تخرّجه من مدرسة لوس أنجلوس العليا ، التحق بوكوفسكي بكلية مدينة لوس أنجلوس لمدة سنتين ، مع دورات في الصحافة والفن والأدب .

وفي ٢٢ يوليو ١٩٤٤ ، وفي أثناء الحرب العالمية الثانية اعتُقل بوكوفسكي من قِبَل وكلاء مكتب التحقيقات الفدرالي في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا حيث كان يعيش في ذلك الوقت، للاشتباه في التهرب من الخدمة العسكرية ، واختُجز لمدة ١٧ يومًا، ولكن فشله في الامتحان النفسي الذي كان جزءًا من دخوله العسكرية الإلزامية أعفاه من أداء الخدمة العسكرية واشترائه في الحرب . نشر بوكوفسكي قصة قصيرة في مجلة القصة، وهو في سن الرابعة والعشرين . ونتيجة فشله في اقتحام عالم الأدب ، أُصيب بوكوفسكي بخيبة أمل مع عملية النشر التي تأخذ وقتًا طويلاً، ولذلك ترك الكتابة لمدة عقد من الزمان تقريبًا. هذه السنوات الضائعة شكّلت الأساس لسيرته الذاتية في وقت لاحق، على الرغم من أن صحتها قابلة للتشكيك. وخلال جزء من هذه الفترة واصل معيشته في لوس أنجلوس، والعمل في مصنع مخلّل لفترة قصيرة، ولكن أيضًا أنفق بعض الوقت للتنجول ، وجاب الولايات المتحدة متنقلًا بين ساحليها الشرقي والغربي .

في أوائل عام ١٩٥٠، حصل بوكوفسكي على وظيفة في الخدمة البريدية في الولايات المتحدة الأمريكية لمدة ثلاث سنوات، قدّم بعدها استقالته .

وفي عام ١٩٥٧ ، تزوّج من الشاعرة باربرا فراي، وهي من قرية صغيرة في تكساس، ولكنهما انفصلا عام ١٩٥٩ ليستأنف بعدها بوكوفسكي كتابة الشعر والإدمان على الكحول .

بحلول عام ١٩٦٠ ، عاد بوكوفسكي إلى مكتب البريد في لوس أنجلوس، حيث بدأ العمل ككاتب مالي . وفي عام ١٩٦٢ ، تعرّض لصدمة نفسية بسبب وفاة حبيبته الأولى وأعظم حب في حياته . وقد حوّل الدمارَ داخله إلى سلسلة من القصائد والقصص التي تنعي وفاتها .

في عام ١٩٦٩ ، قبل بوكوفسكي عرضًا من دار النشر بلاك سبارو ، وترك عمل البريد، لتكريس نفسه للكتابة بدوام كامل . وقال قال في رسالة وجهها في ذلك الوقت : ((أنا واحد من خيارين ، أن أبقى في مكتب البريد وأصاب بالجنون ... أو البقاء هنا والكتابة وتجويع نفسي، لقد اخترتُ الجوع)) .

وفي أقل من شهر واحد، وبعد أن ترك الخدمة البريدية ، أنهى روايته الأولى " مكتب بريد " . نشر بوكوفسكي تقريبًا جميع أعماله الرئيسية في صحيفة بلاك سبارو . وكان أحد المؤيدين لدور النشر المستقلة الصغيرة ، فاستمر في تقديم القصائد والقصص القصيرة لعدد لا يُحصى من دور النشر غير المعروفة ، طوال حياته المهنية .

غالبًا ما كانت لوس أنجلوس موضوعه المفضّل . وفي مقابلة معه عام ١٩٧٤ ، قال : ((أنت تعيش في بلدة طويلة حياتك، وتعرف كل عاهرة في كل زاوية شارع، ونصفهن ممّن قد تغزلت بهن. لديك مخطط للأرض كلها. لديك صورة من أين أنت . لقد نشأت في لوس أنجلوس، وأشعر دائمًا بالانتماء الجغرافي والروحي الذي يجري هنا)) .

تُوفّي بوكوفسكي في سان بيدرو، كاليفورنيا بعد معاناة من مرض سرطان الدم عن عُمر يناهز الرابعة والسبعين ، وكان هذا بعد وقت قصير من انتهائه من روايته الأخيرة "اللب" .

وقد كُتب على ضريحه ما يلي : " لا تحاول " . وهي العبارة التي استخدمها بوكوفسكي في واحدة من قصائده ، وهي عبارة عن تقديم المشورة للكُتّاب والشعراء الطموحين .

وفي يونيو ٢٠٠٦ ، تمّ التبرع بأرشيف بوكوفسكي الأدبي من قبل أرملته ، إلى مكتبة هنتغتون في سان مارينو بولاية كاليفورنيا ، وتم عمل نُسخ من جميع منشوراته في جامعة ميتشيغان الغربية التي اشترت الأرشيف من دار النشر بعد إغلاقها في عام ٢٠٠٣ .

تشارلز ديكنز والطفولة البائسة

وُلد الروائي الإنجليزي تشارلز ديكنز (١٨١٢ - ١٨٧٠) في (لاندبورت بورتسي) في جنوب إنجلترا . يُعتبر بإجماع النقاد أعظم الروائيين الإنجليز في العصر الفكتوري . ولا يزال كثيرٌ من أعماله تحتفظ بشعبية حتى اليوم . تميّز أسلوبه بالدعابة الباردة والسخرية اللاذعة . صوّر جانبًا من حياة الفقراء ، وحمل على المسؤولين على المياتم والمدارس والسجون حملة شعواء . كان ثاني إخوته الثمانية . وعاش طفولته بائسة ، لأن أباه كان يعمل في وظيفة متواضعة ، ويعول أسرته كبيرة العدد، لهذا اضطر إلى الديون، ولم يستطع السداد، فدخل السجن . لهذا أُجبر على ترك المدرسة وهو صغير، وألحقه أهله بعمل شاق بأجر قليل ، حتى يُشارك في نفقة الأسرة . وكانت تجارب هذه الطفولة التعيسة ذات تأثير كبير في نفسه ، فتركت انطباعات إنسانية عميقة في أحاسيسه ، والتي انعكست فيما بعد على أعماله.وقد كتب ديكنز عن هذه الانطباعات والتجارب المريعة التي مرّ بها في أثناء طفولته، في العديد من قصصه ورواياته التي ألّفها عن أبطال من الأطفال الصغار الذين عانوا كثيرًا، وذاقوا العذاب ألوانًا، وعاشوا في ضياع تام بسبب الظروف الاجتماعية الصعبة التي كانت سائدة في إنجلترا في عصره . وقد تجلّت شخصيته القوية بوضوح . فعلى الرغم من المشقة التي كان يعاني منها في طفولته ، إلا أنه كان يستغل أوقات فراغه من العمل الشاق ، فينكب على القراءة والاطلاع على الكتب، كما كان يحرص على التجول وحيدًا في الأحياء الفقيرة في مدينة لندن ، حيث يعيش الناس حياة بائسة مُريعة ، وخارجة عن القانون في بعض الأحيان . تأثر ديكنز بالقوانين الليبرالية في عصره ، فوصف بيوت العمل التي نشأت وفق قانون الفقراء الإنجليزي لعام ١٨٣٤ ، في روايته الشهيرة " أوليفر تويست " وفي العديد من القصص والروايات التي كانت من إبداعاته . لقد وصف ديكنز هذه الأحياء الفقيرة بكل تفاصيلها، وبكل المآسي التي تدور فيها. وعندما وصل إلى سن العشرين تمكّنت الأسرة أخيرًا من إلحاقه بإحدى المدارس لإكمال تعليمه . وفي نفس الوقت ، كان يعمل مُراسلًا لإحدى الجرائد المحلية الصغيرة لقاء أجر طفيف أيضًا ، ولكنه لم يهتم بالأجر ، فقد تفانى في هذا العمل الصحفي الذي كان بمثابة أولى خطواته لتحقيق أحلامه . وكان بمثابة تمرين له على حرفة الأدب . وأتاح له هذا العمل الصحفي أن يتأمل أحوال الناس على مختلف مستوياتهم الاجتماعية والأخلاقية، فخرج بالعديد من التجارب الإنسانية والأخلاقية التي وسّعت آفاقه ومداركه الأدبية والحياتية .

نشر ديكنز أكثر من عشر روايات مهمة ، وعددًا كبيرًا من القصص القصيرة والمسرحيات . كما أنه كتب كُتُبًا غير خيالية .

في عام ١٨٣٦ ، أصدر ديكنز أولى رواياته الأدبية، والتي كانت بعنوان "مذكرات بيكويك" والتي لاقت نجاحًا ساحقًا ، وجعلته من أكثر الأدباء الإنجليز شعبيةً وشهرةً ، ثمَّ ازدادت شهرته في إنجلترا وخارجها عندما توالى أعماله في العالم بلغات مختلفة .

ومن أشهر رواياته التي اشتهرت عالميًا، وترجمت لعدة لغات، رواية "الآمال العظيمة" (١٨٦١) . وأصبحت محط أنظار السينمائيين ، ليصنعوا منها أكثر من ٢٥٠ عملاً مسرحيًا وتلفزيونيًا .

قضى ديكنز معظم حياته في كتابة المقالات ، وتأليف الروايات والقصص القصيرة ، وإلقاء المحاضرات . وكان يدعو باستمرار في أغلب أعماله إلى ضرورة الإصلاح الاجتماعي، وإلى تدعيم المؤسسات الخيرية والصحية التي ترعى الفقراء من الناس . ولقد آمنَ ديكنز بأن كل الأحوال المزرية والسيسة قابلة للإصلاح مهما كان مدى تدهورها، لهذا سَخَّرَ قلمه البليغ للدعوة إلى تخليص المجتمع البشري ممَّا يُحيط به من شرور وأوضاع اجتماعية غير عادلة .

بسبب شعبية روايات ديكنز وقصصه القصيرة ، فإن طابعها مستمرة بلا توقف . وقد ظهرت روايات ديكنز في الدوريات والمجلات بصيغة مُسلسلة أَوَّلًا ، وكان ذلك الشكل المفضَّل للأدب وقتها . وعلى عكس الكثيرين من المؤلفين الآخرين الذين كانوا يُنْهون رواياتهم بالكامل قبل نشرها مُسلسلة، فإن ديكنز كان غالبًا يُؤَلِّف عمله على أجزاء بالترتيب الذي يُريد أن يظهر عليه العمل . وأدَّت هذه الممارسة إلى إيجاد إيقاع خاص لقصصه يتميز بتتابع المواقف المثيرة الصغيرة واحدًا وراء الآخر لِيُبْقِيَ الجمهور مُتَشَوِّقًا ومُتَلَهِّفًا في انتظار الجزء الجديد .

من أبرز مزايا كتاباته: ١_ ابتكاراته المتواصلة لشخصيات فريدة. ٢_ الوصف الدقيق للشخصيات. ٣_ قوة إحساسه الاجتماعي وعاطفته الإنسانية خصوصًا الحزن والأسى. ٤_ تصوير الواقع بشكل جذاب للقارئ. ٥_ الوصف المفصَّل لمختلف الطبقات الاجتماعية. ٦_ النقد البناء وعكس مشكلات الشارع للمُساهمة في الإصلاح .

أمَّا أبرز عُيوب كتاباته فهي : ١_ العاطفية المفرطة . ٢_ المصادفات غير المحتملة ولا المنطقية. ٣_ التصوير المُبالغ فيه للشخصيات .

من أبرز رواياته: أوليفر تويست (١٨٣٩) . متجر الفضول القديم (١٨٤٠) . ديفيد كوبرفيلد (١٨٥٠) . المنزل الكئيب (١٨٥٢) . قصة مدينتين (١٨٥٩) . الآمال العظيمة (١٨٦١) .

تشيسلاف ميلوش ومساعدة اليهود

وُلد الشاعر والدبلوماسي البولندي تشيسلاف ميلوش (١٩١١ - ٢٠٠٤) في ليتوانيا . درس في جامعة وبلنو ، ثم انتقل إلى وارسو خلال الحرب العالمية الثانية ، حيث أصدرَ أنطولوجيا تضمُّ شعراء مُناهضين للنازية .

وخلال الاحتلال النازي لبولندا ، كان ميلوش ناشطاً في أعمال " منظمة الحرية الاشتراكية " التي تُؤيِّد الاستقلال . وقد قدَّم المساعدات لليهود وارسو ، وكان شقيقه أيضاً يُساعد اليهود في بولندا المحتلة من قِبَل النازية .

في عام ١٩٣١ سافر إلى باريس ، حيث تأثَّر بآبن عمِّه أوسكار ميلوش ، وهو شاعر يحمل الجنسية الفرنسية . وفي نفس العام شكَّل مجموعة تضمُّ بعض الشعراء الشباب .

في عام ١٩٣٤ ، نشر مجلداً يحتوي على أشعاره ، وذلك بعد حصوله على درجة القانون . وقضى سنةً أخرى في باريس للحصول على الزمالة . ولدى عودته ، عمل كمُعلِّق في إذاعة وبلنو . ولكنَّه واجهَ مشكلاتٍ بسبب آرائه ، وأفكاره ، ومُيوله السياسية .

كان ميلوش يكتب الشعر والمقالات باللغة البولندية ، كما أنه ترجمَ مزامير العهد القديم إلى اللغة البولندية .

بعد الحرب العالمية الثانية ، عمل ميلوش كمُحلِّق ثقافي لجمهورية بولندا الشعبية في واشنطن وباريس . حيث اختارَ أن ينشق عن نظام بلاده ، ويختار المنفى ملاذاً . وحصل على اللجوء السياسي في فرنسا . ووصفَ حياته في باريس بأنها صعبة . وقد ساندته الكاتبة الفرنسية ألبير كامو ، أمَّا الشاعر التشيلي بابلو نيرودا ، فقد وصفه بأنه " الرجل الذي هرب " .

في عام ١٩٥٣ ، نشر كتاب " الفكر الأسير " ، وهو دراسة تتمحور حول كيفية تصرُّف المثقفين في ظل نظام قمعي . وقد انتقدَ الستالينية وتواطؤ المثقفين في أوروبا الشرقية . وكثيراً ما تَمَّ الاستشهاد بهذا الكتاب من قِبَل المعلقين المحافظين في الولايات المتحدة ، وذلك خلال الحرب الباردة . وفي نفس العام ، حصل ميلوش على الجائزة الأدبية الأوروبية .

في عام ١٩٦٠ ، هاجرَ إلى الولايات المتحدة ، ودُعِيَ إلى جامعة بيركلي في كاليفورنيا ، لتقديم سلسلة من المحاضرات الأدبية والفكرية ، فقررَ البقاء فيها لِيُدَرِّس مادة اللغة السلافية وآدابها . وفي عام ١٩٧٠ حصل على الجنسية الأمريكية .

في عام ١٩٧٨، حصل على جائزة نيوستاد الدولية للأدب . وفي عام ١٩٨٠ حصل على جائزة نوبل للآداب . وبما أن أعماله كانت محظورة في بولندا من قبل الحكومة الشيوعية ، كانت هذه المرة الأولى التي يسمع العديد من البولنديين به . وبعد سقوط الستار الحديدي ، تمكّن من العودة إلى بولندا .

تميّز أسلوب ميلوش بالقوة الشعريّة والفخامة اللفظية ، وامتلاكه لخاصية اللغة ، وسيطرته على المفردات والمعاني . كما أن شعره قائم على المنطق الشعري والتأمل الفلسفي ، وهذا النوع من الشعر يهتم بالتفكير والتحليل العقلائي .

من أبرز أعماله الفكرية : أوروبا الأخرى (١٩٦٤) . أرض أولرو (١٩٨٥) . شهادة الشعر (١٩٨٧) . خلود الأدب (١٩٨٨) . من البلطيق إلى الباسيفيك (١٩٩٠) . وفي الشعر : قصائد " ١٩٣٤ _ ١٩٨٢ " (١٩٨٣) . ومن رواياته : الاستيلاء على السلطة (١٩٥٤) . على ضفاف إيسار (١٩٥٦) . وإيسار نهر ينبع من جبال الألب ، ويعبر ألمانيا والنمسا .

توما الأكويني والتمسك بمنطق أرسطو

وُلد الفيلسوف واللاهوتي الكاثوليكي الإيطالي توما الأكويني (١٢٢٥ - ١٢٧٤) في قصر روكاسيكا القريب من مدينة أكوينو (وإليها نسبته) الواقعة بين روما و نابولي . ينتمي إلى أسرة لومباردية من قرابة فريديك الثاني . بدأ توما دراسته في الخامسة من عُمره في دير مونت كاسين الشهير للرهبان البندكتيين ، ثم التحق بجامعة نابولي (١٢٣٩ - ١٢٤٤) لدراسة الفنون الحرة السبعة (النحو، المنطق، الخطابة، الهندسة، الحساب، الفلك، الموسيقى). وانضم إلى نظام الرهبنة الدومينيكانية في نابولي عام ١٢٤٤ رغم معارضة والده . تتلمذ توما على يد ألبرت الكبير في الفترة (١٢٤٥ - ١٢٤٨) في كولونيا وباريس ، وأسهم معه في تأسيس معهد ديني في كولونيا (١٢٤٨ - ١٢٥٢) . عادَ إلى جامعة باريس للدراسة، وحاضرَ بها حتى حصل على الدكتوراة في اللاهوت (١٢٥٦) . وعُيِّن بأمر من البابا ألكسندر الرابع (١٢٥٧) أستاذ اللاهوت في جامعة باريس، وظلَّ بها حتى عاد إلى روما (١٢٥٩) تلبيةً لرغبة البابا أوربانو الرابع . عاد ثانيةً إلى باريس ، ودرَّس في الجامعة لمدة أربع سنوات أخرى ، دخل خلالها في ثلاثة صراعات ، أولاً مع الأوغسطينيين أساتذة اللاهوت بالجامعة، بسبب اتجاهاته الأرسطية، ومع الأرسطيين ثانياً والرُّشديين اللاتين لتأويلاته لأرسطو ، وثالثاً مع المعارضين لحق الدومينيكيين والفرنسيسكيين في التدريس بالجامعة . وفي عام ١٢٧٢ استُدعي للتدريس بجامعة نابولي ، فأسَّس فيها معهداً لاهوتياً ارتاده العلماء من جميع أركان العالم، وتتلמד على يديه الكثيرون ، فانتشرت آراؤه في شتى أنحاء العالم .

تُوفِّي الأكويني وهو في طريقه لحضور المجمع الثاني في ليون، في دير فوسانوفة. ونُقل جُثمانه إلى جامعة باريس ثم إلى فوندي ، واستقر أخيراً في تولوز (جنوب فرنسا) عام ١٣٦٠ . وفي عام ١٣٢٣ أعلن البابا يوحنا الثاني والعشرون رَسَمَ الأكويني قَدِيْسًا . وأعلنه البابا بيوس الخامس (١٥٦٧) " دكتور الكنيسة الكاثوليكية " ، ثُمَّ خَلع عليه البابا ليو الثالث عشر (١٨٧٩) وصف " حامي أو راعي المدارس الكاثوليكية " ، ووجد الكاثوليك في التومائية أسلحة فلسفية يُحاربون بها الفلسفات الحديثة الإلحادية واللاأدرية . خَلَفَ توما وراءه ثروة ضخمة من الإنتاج الفلسفي واللاهوتي، كتب معظمها في العشرين عامًا الأخيرة من حياته الفكرية . وتبلغ مصنفاته ٩٨ كتابًا ، يصل بعضها إلى ثلاثة آلاف صفحة . ويمكن تقسيمها إلى خمس فئات من الكتابات:

أولاً : شروحات على الأسفار المقدسة . ثانياً: الشروحات الفلسفية أو اللاهوتية حول كتاب " الأحكام" للومباردي (١٢٥٤ _ ١٢٥٦) . كتاب " التثليث " لبويس (١٢٥٧ _ ١٢٥٨) . كتاب " الأسماء الإلهية" لديونيسيوس المجهول (١٢٦٠) . كتاب " العلل " (١٢٧١ _ ١٢٧٢) . وحول معظم كتب أرسطو في المنطق، والطبيعة، وما بعد الطبيعة، والأخلاق ، والسياسة ، وغيرها. ثالثاً : شروحات حول "المسائل المتنازع عليها" في الحقيقة، والشر، والقوة، وغيرها. رابعاً: رسائل صغيرة أو كُتَيِّبات حول مختلف المواضيع، مثل " في الوجود والماهية " (١٢٥٠ _ ١٢٥٦) . " في وحدة العقل الفعّال " (١٢٧٠) . خامساً : مؤلفات رئيسية كُبرى هُما الخلاصتان : " خلاصة الرد على الكفار أو الأمم " (١٢٥٩ _ ١٢٦٤) ، و " الخلاصة اللاهوتية " (١٢٦٦ _ ١٢٧٤) التي تُعدُّ أضخم إنتاج فلسفي لاهوتي له ، لِمَا تتَّسم به من تكامل فكري مُنسَّق .

اتَّخذ الأكويني من المنهج الأرسطي أساساً لأبحاثه فيها ، فيبدأ أولاً بتحديد المشكلة، ثم حصر أوجه الخلاف فيها، باستعراض شتى المشكلات والشكوك التي تُثار حَوْلها ، والعمل على الإجابة عنها بالأدلة المنطقية المقنعة . وتتَّسم فلسفته الواقعية بالانتقائية ، فقد أسَّس نظاماً فلسفياً خاصاً متأثراً بالأرسطية والرواقية ، إضافة إلى المسيحية والأفلاطونية المُحدثة والأوغسطينية، كما تأثر بما كتبه شيشرون وابن سينا وابن رشد وابن جبرول وابن ميمون من شُروح لأرسطو. لكن فلسفته العقلية تميَّزت باجتهاداته الخاصة بين عدد من التفسيرات والتأويلات ، فقد حملت طابع العبقريّة اللاتينية والإيطالية الميَّالة إلى الاجتهاد العقائدي، وتمثَّل ذلك بوضوح في موقفه من مشكلة الكُلِّيَّات. واتَّخذَ حيالها موقفاً مُخالفًا لأفلاطون وأبلار، وهو موقف "الواقعية المعتدلة"، فاعترف بوجود الكُلِّيَّات في " العقل الإلهي "، وفي الأشياء الجزئية ، وفي العقل الإنساني .

يُقسِّم الأكويني العلوم الفلسفية إلى نظرية وعملية، تشمل الأولى العلوم الطبيعية والرياضية والميتافيزيقية، التي تضمُّ الإستمولوجية والميتافيزيقا العامة واللاهوت الطبيعي ، وتحوي الثانية الفلسفة الأخلاقية والاقتصاد والسياسة، ويتخلل المنطق كل العلوم الفلسفية . ويتمسَّك الأكويني بمنطق أرسطو، فيبدأ بالاستقراء، ثم يتقدم على نهج استنباطي بَعْدِي كَشْفِي (عن طريق الاختراع)، أو استنباطي قَبْلِي تقويمي (عن طريق الحكم). وتتضمن فلسفته الطبيعية جميع العلوم التي تدرس الموجود المتغير: الطبيعة، الكون، علوم المعادن والنبات والحيوان والنفس ... إلخ . ويتَّخذ العِلْم الميتافيزيقي عند الأكويني طابعاً أرسطياً مسيحياً، وموضوعه عِلْم الموجود، وهو أول ما يُدرّكه العقل.

توماس بين ونقطة المسيحية

وُلد الفيلسوف والمُنظّر السياسي توماس بين (١٧٣٧ - ١٨٠٩) في ثينفورد بإنجلترا لأسرة فقيرة ، ممّا جعل حظه في الدراسة محدودًا. بدأ عمله في الثالثة عشرة من عُمره. وفي التاسعة عشرة من عمره، ارتاد البحر لفترة وجيزة. وفيما بعد اشتغل مُحصلاً جمركيًا في لندن، غير أنه فُصل من العمل. تزوّج بعد وفاة زوجته الأولى، ولكنه فُصل قانونيًا عن زوجته الثانية .

في عام ١٧٧٤ ، كان بين وحيدًا وفقيرًا. غير أنه حظي بصدقة بنجامين فرانكلين الذي كان حينها في لندن، ونصحه بالذهاب إلى أمريكا. هاجر بين إلى أمريكا عام ١٧٧٤ ، ووصل إليها ومعه رسائل توصية من فرانكلين . وسُرعان ما أصبح مُحرّرًا مُشاركًا في مجلة بنسلفانيا ، ثم بدأ يعمل من أجل قضية الاستقلال . وشارك في الثورة الأمريكية .

وفي عام ١٧٧٦ ، نشر مُذكرته "الفطرة السّوية " التي تتحدّث عن قضية المستوطنين الأوائل. وقد طالبت هذه المذكرة بالاستقلال الكامل عن بريطانيا ، وبإنشاء اتحاد فدرالي قوي. كما احتوت أيضًا على هجوم قوي على فكرة الملكية والمكانة الموروثة . وأكّد أن الثورة الأمريكية سوف تُمثّل بداية عهد جديد في تاريخ العالم . وقد قرأ تلك المذكرة جورج واشنطن ، وتوماس جفرسون ، وآخرون من القادة المستعمرين ، ونالت استحسانهم ، كما قرأها مئات الآلاف من المواطنين الأمريكيين العاديين. وبذلك حققت مذكرة " الفطرة السوية " أوسع انتشار تُحقّقه مذكرة في التاريخ الأمريكي حتى ذلك الحين .

عمل بين جنديًا في عام ١٧٧٦ ، وأصدر سلسلة من نشرات الدعاية لرفع الروح المعنوية لجيش الشوار وللمواطنين . وفي أبريل ١٧٧٧ ، أصبح سكرتيرًا للجنة الكونغرس للشؤون الخارجية. غير أن أمانته في فضح الممارسات المريبة لمندوب أمريكا في فرنسا ، سلاس دين، قد جلبت له الأعداء، وبذلك أُجبر على الاستقالة من منصبه . كان لكتابه " الحس العام " (١٧٧٦) أثر كبير في التعجيل بإعلان الاستقلال . وكذلك فعل عمله الآخر " الأزمنة الأمريكية " . وقد هاجم الدين و"الكتاب المقدّس " في كتابه " عصر العقل " في جزأين (١٧٩٤ - ١٧٩٥) .

لَمْ يقتصر دفاعه عن الشوار في الولايات المتحدة فَحَسْب، بل دافع أيضًا عن الثورة الفرنسية في كتابه "حقوق الإنسان" الذي انقسم إلى جزأين (١٧٩١ - ١٧٩٢) الذي هاجم فيه الحكومة الإنجليزية ، وساسة الإنجليز المناوئين للثورة الفرنسية ، ممّا أدّى إلى محاكمته، فهرب

إلى فرنسا عام ١٧٩٢ ، وانضمَّ إلى المؤتمر الوطني ، ولكنه لم يلبث أن سُجن في باريس، وكاد أن يُعدم بالمقصلة لاعتراضه على إعدام الملك، ولم يُفْرَج عنه إلا بواسطة السلطات الأمريكية .

كان بين مُعجَبًا بالمسيح كرجل فاضل ودود ، وكان مُقتنعًا أن الأخلاق والقيم اللتين بشرَ بهما وطبَّقهما كانتا خيَّرتين إلى أقصى حد، لكن حكاية كونه " ابن الله " ليست سوى خرافة مشتقة من خرافة شائعة بين الوثنيين . إذ يكاد كل الرجال المميَّزين الذين عاشوا في ظل الميثولوجيا الوثنية قد كرروا الزعم بأنهم أبناء الآلهة. لقد كان اتصال الأرباب (الآلهة) اتصالاً جنسيًا بالنساء رأياً شائعاً بين الناس . فالرب جوبيتر _ في زعمهم _ قد تعايش مع كثيرات عيشة الأزواج ، وعلى هذا فحكاية أن المسيح ابن الله ليست جديدة ولا غريبة ولا مُدهشة ولا فاحشة ، وإنما هي مُجرَّد فكرة كانت موجودة بالفعل ومُريحة ومُتماشية مع آراء وعقول غير اليهود، ولأنها كانت منتشرة بينهم فهم وَحَدَهُم الذين آمنوا بها . أمَّا اليهود الذين احتفظوا بالإيمان بإله واحد لا شريك له ، فكانوا يرفضون دائماً الميثولوجيا الوثنية ، ولم يُوافقوا على حكاية أن المسيح هو ابن الله . وعلى هذا ، فالميثولوجيا المسيحية ليست سوى الميثولوجيا الوثنية في شكل جديد . إنها لا تعدو كونها تَكَرَّاراً للميثولوجيا الوثنية . وفكرةُ التثليث أو وجود أرباب (أقانيم) ثلاثة التي ظهرت بعد ذلك ليست سوى تخفيض أو تنقيص للتعددية السابقة التي كانت تقول بوجود نحو عشرين ألف أو ثلاثين ألف رب. وقد حَلَّ تمثال مريم العذراء محل تمثال ديانا الإفسوسية ، وحَلَّ تطويب القديسين (التَّطويب: ضمَّ شخص إلى قائمة القديسين) محل تأليه أو تعظيم الأبطال . فالمؤمنون بالأساطير (الميثولوجيون) لديهم آلهة (أرباب) لكل شيء ، والمسيحيون المؤمنون بالأساطير عندهم قَدِيسون لكل شيء ، وأصبحت الكنيسة مزدحمة بهم كما كان البانثيون مُزدحماً بالآلهة ، والعقيدة المسيحية لا تختلف إلا قليلاً عن وثنية الميثولوجيين القدماء بعد تحويرها (أي العقيدة المسيحية) لتخدم أغراض السُّلطة والدَّخْل (الاقتصاد). وإن الميثولوجيا المسيحية قد أضفت على الشيطان شرفاً كبيراً. إنها تفترض أن الشيطان أجبرَ الله على إرساله ابنه المسيح ليُصلَّب ، ويُحرَّرَ الناس من الخطيئة . وبقيَ على العقل والفلسفة أن يُبطلا هذا الدَّجل المُبهم . وهذه هي الرؤية الدينية العامة لبين وتفاصيل عقيدته .

في عام ١٨٠٢ ، رتَّب الرئيس توماس جيفرسون لبين عودة إلى الولايات المتحدة . فوجد بين الناس يتذكرونه بسبب أفكاره عن الدِّين أكثر ممَّا يتذكرونه بسبب الخدمات التي قدَّمها للثورة الأمريكية . وفي آخر سنين حياته مرض ومات بنيويورك ودُفِن فيها ، بدون أيِّ تكريم ولا إشادة .

توماس ترانسترومر والشَّلَّ النصفِي

وُلد الشاعر السويدي توماس ترانسترومر (١٩٣١ _ ٢٠١٥) في ستوكهولم ، وقد ربّته والدته وهو ابنها الوحيد بعد أن هجرهما والده . وأتم فيها الثانوية ، وتخرّج من جامعة ستوكهولم باختصاص علم النفس في عام ١٩٥٦ ، وعمل باختصاصه في سجن للأحداث ، ثمّ مع أشخاص حصلت لديهم إصابات وخيمة في مكان العمل ، ومع مُدمنين على المخدّرات ، وقبل أن يصاب بسكتة كان اختصاصيّاً معروفاً في علم النفس .

يُعتبَر واحدًا من أكبر شعراء السويد في القرن العشرين ، وممّن يُشكّلون وجه الثقافة السويدية في العالم . وقد حصل على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠١١ ، " لأنه من خلال صوره المركّزة والشفافة ، يُتيح لنا نظرة جديدة إلى الواقع " . وهو الفائز رقم ١٠٨ بالجائزة ، وأول سويدي يفوز بها مُنذ ١٩٧٤ . وقال أمين أكاديمية نوبل: ((إن أعمال توماس تُعيد قراءة الذاكرة والتاريخ والموت بشكل أعمق)) . وقال إن اسمه كان مطروحاً في كل عام منذ ١٩٩٣ .

ترانسترومر عازف بيانو ماهر . بعد أن أصيب بسكتة في بداية تسعينيات القرن العشرين ترافقت بفالج في الجهة اليمنى من الجسم (شلل نصفي) وحبسة كلامية ، تعلم الكتابة بيده اليسرى وصار يعزف الموسيقى باليد اليسرى ، وقد ألّف بعض هذه الموسيقى مؤلفون معاصرون له خصيصاً . بدأ كتابة الشعر وهو في الثالثة عشرة . وعندما كان في الثالثة والعشرين من عُمره كطالب في قسم علم النفس بالجامعة ، أصدر أول مجموعة شعرية له بعنوان " سبع عشرة قصيدة " (١٩٥٤) ، نشرتها دار بونيه التي تُعدّ من أهم دور النشر في شمال أوروبا . وقد وصفت دار بونيه شعر ترانسترومر بأنه : " تحليل عميق للغز الهوية الفردية في مواجهتها متاهة التعدد في العالم " . وله حالياً أكثر من عشرة كتب شعرية ونثرية . ونثره يُشبه الشعر . وقبل أن ينشر شعره اشتهر كمترجم لشعر السرياليين الفرنسيين .

في عام ١٩٦٦ ، حصل على جائزة بيلمان التي أعقبتها مجموعة أخرى من الجوائز ، من بينها جائزة بونر للشعر وجائزة بترارك الألمانية وجائزة الأكاديمية السويدية . وفي عام ١٩٩٧ أطلقت مدينة فيستراس العمالية التي أقام فيها الشاعر ثلاثة عقود قبل عودته للعاصمة ستوكهولم في التسعينيات جائزة خاصّة أطلقت عليها اسم جائزة ترانسترومر . وبعد نشره لعشرة دواوين شعرية أصيب الشاعر بسكتة دماغية عام ١٩٩٠ ، أثّرت في قدرته على الكلام .

وبعد انقطاع دام لستة أعوام ، أصدر ديوان " حُزن الجندول " الذي باع ثلاثين ألف نسخة في الطبعة السويدية ، وهو توزيع مُذهل بالنسبة لديوان شعري . وبعد ذلك النجاح لم ينشر ترانسترومر أي شيء لمدة ثمانية أعوام ، قبل عودته لكتابة الشعر في عام ٢٠٠٤ وإصداره لمجموعة شعرية بأسلوب الهايكو الياباني ، تناول فيها جوانب من الطبيعة ودورة الفصول .

من أبرز مجموعاته الشعرية: سبع عشرة قصيدة (١٩٥٤) . الجنة نصف المكتملة (١٩٦٢) . نوافذ وأحجار (١٩٦٦) . رؤية ليلية (١٩٧٠) . للأحياء والأموات (١٩٨٩) .

توماس ريد والإدراك الفطري

وُلد الفيلسوف الأسكتلندي توماس ريد (١٧١٠ _ ١٧٩٦) في أبردين ، وتخرّج في جامعتها، ثم عُيّن أستاذًا فيها ، ثم في جامعة غلاسكو .

كان ريد متمرّسًا دينيًا ، ومعاصرًا لديفيد هيوم، ومن أوائل وأشدّ نُقّاده . وهو مؤسس مدرسة الإدراك الفطري في الفلسفة . حيث إنه وضع نظرية فلسفية تقوم على مبدأ " الإدراك الفطري " أو الحس العام في معالجتها للقضايا الإبستمولوجية والأخلاقية . وخلاصة نظريته أننا ندرك حقائق الأشياء الخارجية إدراكًا سليمًا بفطرتنا ، والمعرفة التي تجيء عن هذه الطريق واضحة بذاتها ولا تحتاج إلى برهان. أمّا فلسفته الخلقية فقائمة على أساس الضمير الذي يُدرك الفضيلة بحدس مباشر .

رفض المبتايزيقا كغيره من فلاسفة التجربة الإنجليز ، بحجة أن قضاياها غير قابلة للحل، واكتفى بفلسفة واقعية ضمّنها كتبه الثلاثة الرئيسية : ١ _ بحث في العقل البشري على مبادئ الذوق العام (١٧٦٣) . ٢ _ مقالات في قوى الإنسان العقلية (١٧٨٥) . ٣ _ محاولات في القوى الفاعلية (١٧٨٨) .

رأى ريد أن الإدراك الفطري يجب أن يكون هو القاعدة الأساسية التي تقوم عليها كل أشكال التحقيقات الفلسفية . اختلف مع هيوم الذي أكّد على أنه ليس من الممكن إطلاقًا التعرف على مُكوّنات عالم خارجي ، وذلك لأن المعرفة محدودة بأفكار في العقل . كما اختلف ريد مع جورج بيركلي القائل بأنه لا وجود لعالم خارجي ، وإنما هو مُجرّد أفكار عقلية . على العكس ، فإن ريد رأى أن الإدراك الفطري كفيّل بإثبات وجود عالم خارجي مستقل .

خلال أيام حياته ، ولمدة مُعيّنة في القرن التاسع عشر الميلادي، كان توماس ريد أكثر شهرة وصيتًا من ديفيد هيوم . أيّد ريد ودافع عن " الواقعية المباشرة " و " الواقعية الإدراكية الفطرية " كما أنه عارض وبشدة " نظرية المثل " التي رُوّج لها جون لوك، وديكارت .

قامت فلسفة ريد على نقد ومعالجة عيوب فلسفات لوك وبيركلي وهيوم، فعارض شكّة هيوم بيقين " الإدراك الفطري " أو " الحس المشترك " . ففي كتابه " مقالات في قوى الإنسان العقلية " والذي عرض فيه نظريته في المعرفة، رأى أن معتقدات الإدراك الفطري تستحق الثقة أكثر من حُجج الشكّ ، على الرغم من أهمية الشك بوصفه محاولة لتسليط الضوء على مبادئ المعرفة

التي يتم التسليم بها عادة ، إلا أن شكّية هيوم _ على سبيل المثال _ خطيرة جدًّا على الصعيد المعرفي، فمعتقدات الذوق الفطري _ كقوانين المنطق والسلوك _ يتضمَّنُها ومتأصلة في الطبيعة البشرية، إنها " صوت الطبيعة، هذا اليقين القاهر الذي عبثًا يحاول المرء معارضته " .
والذوق الفطري لا يُكتسب بالتربية، فهو قوة بديهية طبيعية يتعلم المرء بوساطتها الاستدلال السليم، وجميع مبادئه بيّنة بالفطرة ومقبولة عند جميع الناس ، وقضاياها نموذج للتعبير الواضح والصريح .

لقد ميّز ريد بين حقائق الإدراك الحسي والإدراك العقلي، فبيّن أن اليقين في الحقائق التجريبية يزداد فاعلية بفعل التجربة، أمّا يقين المبادئ العقلية فتأبّت لا يتغير، والمرء يُسلم بهذه الحقائق لأنها مشتركة بين الجميع .

ومن الحقائق البيّنة بالفطرة وعي المرء بإحساساته الخاصة التي تُفصّح عن موجود يُسمّى الأنا، والذاكرة تدل على وجود مُتّصل . ومبادئ الأخلاق مبادئ فطرية واضحة بذاتها، تقوم على الحس المشترك، فالخيرية والشرّية صفات قائمة في طبيعة الأفعال ذاتها، وأنها تُدرّك بحدس فطري يقيني مباشر ينفي حاجة الناس إلى حاكم مُطلق يقوم بتحديد الخير والشر والعودة إلى الضمير . الحاكم الخلقي على أفعال البشر ، بوصفه قوة فطرية يُشارك فيها الناس في كل زمان ومكان . وعن طاعة الضمير تنشأ السعادة، ولا تقوم بمجرد اللذة، فالطبيعة البشرية مؤلفة من عواطف ومشاعر ، لكنها تخضع في عملها لسيطرة العقل ، وحتى وجود الله لا يحتاج إلى بيّنة ، فإدراكه إدراك فطري .

سادت فلسفة توماس ريد ردحًا من الزمن ، وكانت منارة الفكر الأسكتلندي ، وذات تأثير واضح على الفلسفات الأخلاقية . وقد قُدِّر لفلسفة الإدراك الفطري، بعد أن خبت أنوارها في القرن التاسع عشر ، أن تنهض ثانية على يد الفيلسوف جورج مور ، خاصة في مقالته المشهورة " في الدفاع عن الذوق الفطري " .

توماس ستيرنز إليوت والأرض الخراب

وُلد الشاعر الإنجليزي من أصل أمريكي توماس ستيرنز إليوت "تي إس إليوت" (١٨٨٨-١٩٦٥) بمدينة سانت لويس في ولاية ميسوري . تخرّج من جامعة واشنطن بمدينة سانت لويس ، ثم التحق بجامعة هارفارد، وتخرّج فيها عام ١٩١٠ . ثم انتقل إلى باريس ، ودرس الأدب الفرنسي والفلسفة في جامعة السوربون . وعاد بعدها إلى جامعة هارفارد للدراسة العليا في الفلسفة وعلم النفس . ثم التحق بجامعة مابغ الألمانية عشية الحرب العالمية الأولى ، وسُرعان ما انتقل إلى جامعة أكسفورد لدراسة الفلسفة الإغريقية. كانت قصائد إليوت قليلة للغاية ، وهذا لا يتناسب مع مكانته العالمية . ومن الواضح أنه كان يُركّز على النوعية، فقد بنى شهرته العالمية على قصائد معدودة، وكان يكتب قصيدتين أو ثلاث في السنة . لكنّ هذه القصائد كانت مُدهشة ومُميّزة ، وكلُّ واحدة تُعتبر عَالَمًا شعريًا متكاملًا ، ومنظومةً أدبية فريدة بحد ذاتها .

في عام ١٩١٥ ، ظهرت أولى قصائده " أغنية حب ج. ألفريد بروفروك " في مجلة " شعر " الأمريكية . وفي نفس السنة ، تزوّج فتاة إنجليزية تُدعى فيفيان هيغ . اشتغل سنة بالتعليم ، ثم انتقل إلى العمل في مصرف لويد في لندن عام ١٩١٧ . وفي عام ١٩٢٧ أصبح من أتباع الكنيسة الأنكليكانية ، وحصل على الجنسية البريطانية . وفي عام ١٩٣٢ ، صار أستاذًا للشعر في جامعة هارفارد . تُوفيت زوجته عام ١٩٤٧ ، وبعدها بسنة حصل على وسام الاستحقاق وجائزة نوبل للآداب (١٩٤٨) . نشر إليوت مجموعته الشعرية الأولى " بروفروك وملاحظات أخرى " عام ١٩١٧ . وفي هذه المجموعة تتجلى تأثيرات الرمزية الفرنسية. وفي عام ١٩٢٢ ، نشر إليوت قصيدته " الأرض الخراب " ، وهي تُعدُّ بإجماع النقاد أعظم أعماله الشعرية على الإطلاق ، والقصيدة التي جلبت له الشهرة العالمية. وقد كُتبت في فترة انهيار زواج إليوت . إنها تُعبّر عن خيبة أمل جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، وانهياره الروحي، وانكساره المادي. وتُصوّر عَالَمًا كابوسيًا مليئًا بالخوف والضياع والموت. وفي هذا العالم المتهووي الذي ينتظر الخلاص، تنتشر الشكوك ، ويغيب اليقين ، وتتساقط المسلّمات ، ويُصبح الوجود الإنساني على المحك . وهي قصيدة حدائية واسعة التأثير ، لم يُفلت من تأثيرها أيُّ شاعر ، سواءً في الشرق أم الغرب . وقد أصبحت علامة فارقة في الأدب الحديث رغم غموضها، وغرابتها، وتشاؤمها، وكثرة رموزها وأساطيرها ، وتعدّد أساليب بنائها، إذ يتغيّر السارد بشكل مفاجئ.

والكلام ينتقل من النبوءة إلى السخرية . وتُعتبر " الأرض الخراب " من أهم وأصعب القصائد في تاريخ الأدب الإنجليزي والعالمي لعدة أسباب، منها: ١_ الاعتماد على عشرات الأعمال الأدبية . ٢_ وجود إشارات تضمينية إلى عشرات المؤلفين ، أغلبها فوق مستوى ثقافة القُرَّاء . ٣_ الحالة النفسية السوداء التي تُسيطر على ألفاظ القصيدة ومعانيها . ٤_ تحوُّل الكتابة إلى فلسفة شعرية قائمة بذاتها . ٥_ عدم تقديم حلول لقضية تدهور الحضارة الغربية . ٦_ تحتوي على أبيات بعدة لغات ، منها : الفرنسية والألمانية والإسبانية والهندية . وكأنَّ الشاعر يستعرض عضلاته اللغوية ، ويُريد إظهار معرفته بهذه اللغات لإبهار القارئ وصعقه ، وإحداث صدمة ثقافية في نفسه .

أتَّجه إليوت إلى كتابة المسرحيات الشعرية ذات الطابع الكوميدي . وغالبًا، تنتهي مسرحياته بنهايات تصالحية ، حيث لا غالب ولا مغلوب . وكان يشعر بعد كتابة " الأرض الخراب " برغبة في شكل أدبي جديد وأسلوب جديد .

قدَّم إليوت إسهامات مهمة في مجال النقد الأدبي ، خصوصًا النقد الحديث الذي دعا إليه في كُلِّ كتبه ومحاضراته . ورغم أنَّه قلَّل من عمله كناقد ، واعتبر أعماله النقدية كتابةً على هامش مشروعه الشعري ، إلا أنه يُعتبر من كبار النقاد في القرن العشرين .

ومشروع إليوت النقدي يقوم على عدة أفكار مركزية تُمثِّل أركان مدرسة النقد الحديث من وجهة نظره . من أبرزها: ١_ ضرورة أن يُفهم الفن ضمن سياق الأعمال الفنية السابقة. ٢_ محاكمة الفنان أو الشاعر بمقاييس الماضي . ٣_ القصيدة تعني ما تقوله لكنها تقترح وجود أحكام أخرى مبنية على تعدد القراءات المختلفة . ٤_ احتقار الرومانسيين خصوصًا الشاعر الإنجليزي شيلي ، والتركيز على الكلاسيكية والأفكار الدينية. ٥_ إحياء الاهتمام بالشعراء المبتاعين ، باعتبارهم الأكثر خبرة في عملية دمج الفلسفة مع الأحاسيس. ٦_ الاهتمام بمصطلح "المُعادل الموضوعي"، وهو مصطلح نقدي يُشير إلى الأداة الرمزية المستخدمة للتعبير عن المفاهيم المجردة كالعوطف . ٧_ ضرورة أن يصنع الشاعر شخصيته الفريدة من خلال عمله الشعري .

من أبرز أعماله الشعرية : الأرض الخراب (١٩٢٢) . الرجال الجوف (١٩٢٥) . أربعاء الرماد (١٩٣٠) . ومن أبرز مسرحياته: جريمة في الكاتدرائية (١٩٣٥) . لم شمل العائلة (١٩٣٩) . حفلة كوكتيل (١٩٤٩) . ومن أبرز كتبه النقدية : الغابة المقدسة (١٩٢٠) . ملاحظات نحو تعريف الثقافة (١٩٤٨) . في الشعر والشعراء (١٩٥٧) .

توماس كارلايل ومحاربة الأبطال

وُلد الكاتب الأسكتلندي توماس كارلايل (١٧٩٥ _ ١٨٨١) لأب فقير ، ولكن فقر هذا الأب لم يمنعه من إرسال ابنه إلى إحدى المدارس المعروفة عند الإنجليز بمدارس النحو . كان يحب الطبيعة ، ويحب القراءة ، وكان طفلاً ذكياً ، وقد ظهر تفوّقه منذ البداية، حتى إذا أكمل الخامسة عشرة ، دخل جامعة إدنبرة وتخرّج فيها ، ليعمل مُدرّساً للرياضيات . في عام ١٨١٩ ، عاد كارلايل إلى جامعة إدنبرة لدراسة القانون، ثم شرع بدراسة الأدب الألماني، وقد تأثر بفلسفة المثالية الألمانية أيّما تأثر، وقد صَبَّ جام اهتمامه على أعمال الفيلسوف الألماني فيخته . وقام بكتابة سلسلة من المقالات في مجلة فرايزر ، حيث ترجم عن مؤلفين ألمان ولا سيما غوته ، ليكون ذلك بداية لحياته الأدبية الحافلة، وكما ترجم عن حياة الشاعر الألماني شيلر.

أقام شَطراً كبيراً من حياته في مزرعة كريجنوتك في أسكتلندا ، وكان ذلك في عام ١٨٢٨ ، حيث كتب العديد من أعماله ، وبعضاً من مقالاته المتميزة. ونشأت بينه وبين الكاتب الأمريكي إمرسون صداقة عميقة . وفي عام ١٨٣٤ انتقل كارلايل إلى جزء من شاليسا ، وهي منطقة في لندن ، حيث عُرف هناك بحكيم شاليسا ، وأصبح عضواً في دائرة الأدب التي كانت تضمّ العديد من كُتّاب المقالات. وفي لندن، كتب كارلايل عن الثورة الفرنسية كتاب تاريخ عبارة عن مجلدين ، يضمّ بين دفتيه دراسة تاريخية تهتم باضطهاد الفقراء ، وقد حقق الكتاب نجاحاً مُبهراً.

بحلول عام ١٨٢١ ابتعد كارلايل عن الكتابة الدينية، وتركزت أعماله على الشؤون الحياتية. وُلدت أول محاولة روائية له " كرثرز وجونسون " ، ولكن كانت ولادتها مُعسّرة . وتلت هذه المحاولة ترجمة رواية الأديب الألماني غوته " سنوات تدريب فيلهلم مايستر " .

اهتزت لديه الثقة وانعدمت في شكل الرواية الواقعية ، وهكذا عمل على تطوير شكل جديد من الخيال الروائي . كما عمل على كتابة مقالات عن الأدب الألماني، وتشعّبت مقالاته إلى نطاق أوسع بشأن الثقافة الحديثة .

من أهم كُتب كارلايل " الأبطال وعبادتهم " (١٨٤١)، وهو دراسة أدبية وتاريخية للبطولة ، اختار كارلايل لعرضها وتحليلها أرقى النماذج الإنسانية _ حسب اختياره _ . البطل معبوداً في شخص أدون المعبود الأسكندنافي الأسطوري ، والبطل نبياً في شخص النبي محمد صلى الله عليه

وسلم ، والبطل شاعرًا في شخص دانتي أو شكسبير ، والبطل راهبًا في شخص مارتن لوثر زعيم الإصلاح الديني وجون نوكس زعيم المطهرين ، والبطل كاتبًا وأديبًا في شخص جونسون وروسو وبرنز ، والبطل ملكًا وحاكمًا في شخص كرومويل ونابليون الذي كان مُعاصِرًا لكارلايل .

وينعى كارلايل على قومه عداوتهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وجهلهم بحاله ، فيقول :
((لقد أصبح من العار على أي فرد من أبناء العصر أن يُصغى إلى ما يُقال من أن الدين الإسلامي باطل ، وأن محمدًا خَدَّاعٌ ومُزَوَّرٌ ، وآنَ لنا أن نُحارب ما يُشاع من تلك الأقوال السخيفة المخجلة .
فإن الرسالة التي أَدَّاهَا ذلك الرسول الكريم مازالت السراج المنير مدة ثلاثة عشر قرنًا)) اهـ .

كانت أعمال كارلايل بالغة التأثير أثناء العصر الفكتوري . ولانحداره من عائلة كالفنية متشددة فقد رغب والداه أن يصبح قِسًّا ، إلا أنه أثناء دراسته في جامعة إدنبرة ، فقد إيمانه المسيحي . وبالرغم من ذلك فقد ظَلَّت القيم الكالفنية معه طوال حياته . وهذا المزيج من اليقين على النمط الديني مع فقدان الإيمان بالمسيحية التقليدية ، زاد من جاذبية أعمال كارلايل للكثير من الفكتوريين ، الذين كان يُصارعون للتوافق مع التغيرات العلمية والسياسية ، التي هَدَّدت النظام الاجتماعي التقليدي . في عام ١٨٤٣ ظهر كتابه " الماضي والحاضر " ، الذي عالج فيه مشكلات ومواضيع سياسية ، إضافة إلى كتاباته السابقة حول موضوع الحقوق العامة ، وكيفية حصول الشعب على هذه الحقوق . وفي هذه الكتابات دعا كارلايل إلى ضرورة إيجاد طبقة حاكمة قوية وحكيمة ، وبعد سبع سنوات عاد كارلايل إلى هذه المواضيع السياسية في كتابه " الكرايس العصرية " .
ومن إنتاجاته الأدبية الناجحة : " رسائل أوليفر كرومويل وخطبه " (١٨٤٥) ، مُعَيِّرًا النظرة العامة السلبية السابقة إلى شخصية كرومويل وأخلاقه ، ثم كتابه عن " حياة جون ستيرلنج " (١٨٥١) ، لينصرف بعدها إلى تأليف كتابه الضخم " فردريك العظيم " ، الذي استغرق في تأليفه اثني عشر عامًا ، وطُبعت مجلداته في الفترة (١٨٥٨ _ ١٨٦٥) . وفي هذا العام ، مُنح لقب " رئيس جامعة إدنبرة " .

وفي عام ١٨٧٤ ، منحته الملكة فكتوريا _ عن طريق رئيس وزرائها دزرائيلي _ لقب لورد مُدَّة حياته ، لأنه كان _ كدزرائيلي _ بلا أولاد ولا ذُرِّيَّة ، غير أن كارلايل اعتذر بأدب عن قبول هذا اللقب ، مُوضِّحًا لرئيس الوزراء أن هذا اللقب لن يرفع من قَدْره شيئًا ، وأن الراتب الضخم الذي سيناله أمر لا يعنيه كذلك ، لأنه _ وهو في نهاية حياته _ لم يعد يحتاج شيئًا ذا بال .

توماس مان وقصة النازية

وُلد الروائي الألماني توماس مان (١٨٧٥ - ١٩٥٥) في مدينة لوبيك الألمانية التي تطل على بحر البلطيق ، وتُوفي في مدينة زيورخ السويسرية . ينتمي إلى عائلة برجوازية ، فقد كان أبوه من كبار التجار ، وعضواً في مجلس الشيوخ . أما والدته فكانت ابنة أحد أصحاب المزارع الكبرى في البرازيل . وأخوه الكبير هو الروائي هنريك مان .

لم يهتم بالحياة الدراسية ، وكانت المدرسة بالنسبة إليه سجنًا لا يُطاق ، فكبرها ، وهرب من أجوائها الخانقة ، ولم يحصل على شهادة الثانوية . وكانت سعادته مستمدةً من المسرح البسيط الذي أقامه أخوه هنريك في البيت .

عندما بلغ الخامسة عشرة من العمر تُوفي والده ، وقامت الأسرة بإغلاق الشركة التجارية التي تركها الأب ، وباعت البيت بما فيه من أثاث . واضطرت والدته البرازيلية إلى الاستقرار مع أولادها في مدينة ميونخ عام ١٨٩٣ . والتي كانت العاصمة الثقافية والفنية لألمانيا . وقد أكمل فيها الشاب توماس تعليمه ، وعمل لفترة بسيطة في شركة تأمين ، ثم عمل في مجلة أسبوعية كان يُصدرها أخوه . وفي تلك الفترة بدأ يكتب الشعر العاطفي متأثرًا بالشعراء الألمان الكبار : غوته وشيلر وهابنه .

سافر مع أخيه إلى إيطاليا ، وأقام فيها لمدة عامين ، وبدأ كتابة أولى رواياته " آل بودنبركس " . ثم عاد إلى ميونخ ، واستقر فيها بعد أن أدى الخدمة العسكرية . تزوج من كاتيا برنغشايم ، وهي امرأة أرستقراطية ، وبذلك صار ضمن أرقى العائلات في المدينة .

تُعتبر رواية " آل بودنبركس " (١٩٠١) من أكثر الكتب مبيعاً ، وهي تمثل اعترافاً عالمياً بموهبة هذا الكاتب ، وتكريساً أدبياً له ، وسبباً رئيسياً في حصوله على جائزة نوبل فيما بعد .

تُصوّر الرواية تراجع عائلة تجارية برجوازية من مدينة لوبيك الألمانية على مدى أربعة أجيال . وقد استلهم الكاتب الكثير من تاريخ عائلته . وقد بيع من الرواية حتى اليوم أكثر من أربعة ملايين نسخة باللغة الألمانية وحدها .

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ، كان مان أديباً مُكرّساً ومشهوراً . وقد استعاد نشاطه الأدبي بعد انتهاء الحرب ، فكتب روايته الشهيرة الجبل السحري (١٩٢٤) ، التي تُعتبر أهم رواية للمؤلف ، وأهم رواية كلاسيكية في الأدب الألماني في القرن العشرين ، وتُمت

ترجمتها إلى لغات عديدة. وقد احتلت المرتبة الأربعين في "كتب لوموند المئة للقرن " . وهو تصنيف كُتب صَمَّ عند إعداده مجموعة من الكتب يُعتَقَد أنها أفضل ١٠٠ كتاب صدر خلال القرن العشرين . وهذه الرواية حَقَّقَت للكاتب شهرة عالمية تُوجِّت بحصوله على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٩ . وعِنْدَمَا عَلِمَ بِفَوْزِهِ بجائزة نوبل، قال بلهجة مُتَكَبِّرَة: ((كُنْتُ أُنْتَظِر ذلك)) . وقد قَدِّمَ الجائزة لشعبه قائلاً : ((سأقدِّم هذه الجائزة العالمية التي تحمل بالصُدفة اسمي لشعبي ولبلدي)) . وقد تُرجمت كتب توماس مان إلى أكثر من أربعين لغة .

كان نجاح هتلر في الانتخابات عام ١٩٣٠ كارثةً مُدَوِّيةً في تاريخ ألمانيا، وشكَّلَ خطرًا حقيقياً على حياة عائلة (مان) الليبرالية . وقد طالب الكاتب بتشكيل جبهة من الديمقراطيين لمواجهة المتشددّين . وبعد وصول الحزب النازي إلى الحكم عام ١٩٣٣ ، أُجْبِرَ على مُغادرة ألمانيا . وقد سُحبت منه الجنسية عام ١٩٣٦ ، فعاش مُتَنَقِّلاً بين فرنسا وسويسرا ، ثُمَّ هاجرَ إلى الولايات المتحدة ، واستقرَّ فيها مَعَ عائلته حتى عام ١٩٥٢ . ثُمَّ عادَ إلى أوروبا ، واختارَ مدينة زيورخ لِيُنْهِيَ فيها حياته بهدوء .

لَمْ تكن حياة توماس مان مفروشةً بالورود . لقد عانى في طفولته ، وَكَرِهَ المدرسةَ ، وَلَمْ يحصل على شهادة الثانوية . كما أنَّ وفاة والده أفقدت العائلة توازنها الروحي ، وأثَّرتْ سَلْباً على وَضعها الاقتصادي ، حتى اضْطُرَّت إلى تغيير مكان إقامتها. وَلَمْ تستقر حياة الكاتب بعد زواجه وانضمامه إلى العائلات الراقية وشهرته الأدبية ، فقد تلقَّى صَدْمَةً هائلةً عِنْدَمَا انتحر ابنه كلاوس الذي كان يَتَمَتَّع بموهبة أدبية خاصة . ثُمَّ جاءت الأحداث السياسية لتزيد معاناته ، فقد طرده النازيون من بلاده ، واعتبروه خائناً ، وسحبوا منه الجنسية . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، عانى من المشكلات النفسية التي سَبَّبت له الاضطراب وعدم التوازن، إلا أنه نَجَحَ في قيادة المعركة السياسية وتطوُّير أعماله الأدبية . لُقِّبَ توماس مان بالسَّاحِر نظراً لإمكاناته الفكرية الهائلة ، وأسلوبه الأدبي المؤثِّر . وَتَمَّ اعتباره أحد أعمدة الأدب الألماني الحديث . وقامت أشهر الجامعات العالمية بتكريمه مثل جامعة أكسفورد البريطانية وجامعة برنستون الأمريكية. وبَقِيَ قَلْبُهُ مُعَلِّقاً بوطنه وشعبه رغم سنوات الغربة الطويلة .

من أبرز أعماله الأدبية : المهرَّج (١٨٩٨) . آل بودنبركس (١٩٠١) . الموت في فينيسيا (١٩١٢) . حُوِّلَت إلى فيلم سينمائي عام ١٩٧١ يحمل نفس الاسم . الجبل السحري (١٩٢٤) . المختار (١٩٥١) . البجعة السوداء (١٩٥٤) .

توماس مور والإعدام بالمقطلة

وُلد الفيلسوف الإنجليزي توماس مور (١٤٧٨ _ ١٥٣٥) في لندن . وهو قديس حَسَب الكنيسة الكاثوليكية الرومانية (تَمَّ رَسْمه قَدِيسًا في أيار / مايو ١٩٣٥) .

كان والده قاضيًا ، ورغب في إعداد ابنه ليكون محاميًا . بدأ بدراسته في أحسن المدارس خارج لندن ، ثم أعاده والده إلى لندن لدراسة القانون العام، وبعدها التحق بمعهد لينكولن لتدريب المحامين، وهو أحد أربع مؤسسات قانونية لتدريب الحقوقيين وإعدادهم للانتساب إلى مهنة المحاماة. كان مور مُحبًا للاطلاع ، ونهَمًا في القراءة ، واتجه إلى قراءة تاريخ الكنيسة وسير القديسين الأوائل خاصة، مما أثَّر في تكوينه وتحديد قناعاته. وخلافًا لرغبة والده ، تحوَّل مور من المحاماة إلى " خدمة الله " والكنيسة، فالتحق بأحد الأديرة، وأمضى فيه أربع سنوات ، ولتفضيله الزواج على حياة العزوبية ، مُتأثرًا بالرهبان الفرنسيسكان، قرَّر مور وقف حياته " لخدمة الله " مسيحيًا علمانيًا لا راهبًا . فخرج من الدير ، وتزوَّج .

عمل مور مُسَاعِدًا لرئيس الأساقفة مورتون ، وكان لهذا الفضل في تثبيت عقيدته المحافظة وتكامله . وذهب الشاب إلى أكسفورد وهو في الخامسة عشرة من عُمره، وسُرعان ما فُتِن بالأدب إلى درجة حملت والده على انتزاعه من الجامعة، لإنقاذه من أن يصبح أديبًا خاوي الوفاض ، وبعَث به لدراسة القانون في لندن ، وكانت أكسفورد وكامبردج لا تزالان تستهدفان إعداد الطلاب للعمل في سلك الكهنوت . وفي عام ١٤٩٩ ، التقى مور بأرازموس وافتتن بالمذهب الإنساني. وكانا يشتركان في كراهية الفلسفة الكلامية . وكانا يأملان في إصلاح الكنيسة من الداخل وتجنُّب تفكك أواصر الوحدة الدينية والتواصل التاريخي .

أصبح مور محاميًا ناجحًا في عام ١٥٠١ . وعُيِّن كنائب عُمدة لمدينة لندن (١٥١٠ _ ١٥١٨). وفي عام ١٥١٧ ، أصبح سكرتيرًا ومستشارًا للملك هنري الثامن . وفي عام ١٥٢٣ ، انتُخب كناطق باسم مجلس العموم . وفي عام ١٥٢٩ ، أصبح وزيرًا للعدل ، ولكنه استقال من منصبه في عام ١٥٣٢ ، حينما عارضَ طلاق هنري الثامن لكاثرتين ، ورفض الاعتراف به كرئيس للكنيسة الكاثوليكية الرومانية في إنجلترا . كما رفض قبول قانون السيادة. وفي عام ١٥٣٤ ، اتُّهم بالخيانة العظمى ، فسُجِن في برج لندن، حيث كتب " حوار الراحة ضد المحنة " . وفي ٦ يوليو ١٥٣٥ ، تَمَّ إعدامه عن طريق قطع الرأس .

في أول يوليو عام ١٥٣٥ ، قُدِّمَ لمحاكمة أخيرة . فدافع عن نفسه جيِّدًا ، ولكن حُكِمَ عليه بالإدانة لخيانة الدولة . وعندما ارتقى مِنْصَّةَ المِقْصَلَةِ ، طلب مِنْهُ المسؤول عن إعدامه الصفح والمغفرة ، فاحتضنه مور . وكان المَلِكُ هنري قد أصدر تعليمات بألا يسمح للسجين إلا ببضع كلمات . وطلب مور من المشاهدين أن يصلوا من أجله، وأن يشهدوا بأنه تعرَّضَ للموت في سبيل عقيدة الكنيسة الكاثوليكية .

عُلِّقَ رأس مور على جسر لندن . وسَرَتْ مَوْجَةٌ مِنَ الرُّعْبِ في إنجلترا التي أدركت وقتذاك قسوة المَلِكِ، التي أَصَرَ عليها، وسَرَتْ في أوروبا قُشْعِرِيَّةٌ مِنَ الفزع . وصاغ البابا بولس الثالث نشرة بابوية بحرمان المَلِكِ هنري الخارج على القانون مِنْ "زمانة العالم المسيحي"، وتحريم الصلوات الدينية في إنجلترا، ومنع كُلِّ تجارة معها، وحلَّ كُلِّ الرعايا البريطانيين من إيمانهم بالولاء للمَلِكِ، وأَمَرَهُمْ هُم وَكُلُّ الأُمراءِ النصارى بخلعه فَوْرًا . وَلَمَّا كان كُلُّ مَنْ شارل وفرانسيس لا يُرَجِّبان بهذه الإجراءات، فإن البابا حجز صدور النشرة البابوية حتى عام ١٥٣٨ . وعندما أصدرها، منع شارل وفرانسيس نَشْرَها في مملكتيهما، إذ لَمْ يرضيا التصديق على الادعاءات البابوية بوجود سُلْطَةٍ له على الملوك . وكان فشل النشرة البابوية إيذانًا بضعف السُلْطَةِ البابوية .

ترك مور كثيرًا من الآثار الأدبية والفلسفية والاقتصادية، من أهم هذه الآثار : " تاريخ المَلِكِ ريتشارد الثالث " الذي كتبه باللغتين اللاتينية والإنجليزية (١٥١٣ _ ١٥١٨) . ولكنه لَمْ يُنهِ كتابته. ومعَ هذا يُعَدُّ الكتاب في مقدمة كتب التاريخ الإنجليزية التي استقى منها المؤرِّحون اللاحقون المنهج والأسلوب. ويرى نُقَّادُ الأدب أن شكسبير مدين لكتاب مور هذا باستلهاام صورة الطاغية . أمَّا كتاب مور الذي يُعَدُّ مَعْلَمًا فلسفيًا واشتراكيًا كبيرًا فهو " اليوتوبيا " (١٥١٦) الذي كتبه بعد ضلوعه في المفاوضات التجارية الإنجليزية _ الفلمنجية . واليوتوبيا تسمية لمدينة مثالية خيالية. وفي هذا الكتاب، يصف مور المجتمع الذي يتمناه، وهو مجتمع "شيعوي" بمعنى أن المؤسسات فيه والسياسات تُدار إدارة عقلانية بعيدة عن المصالح الفردية والاقتتال على السلطة . وفي " اليوتوبيا"، يتحدث مور على لسان بَحَّارٍ وهمي (رَحَّالَةٌ) اسمه رافاييل هاينلوداي قائلاً: إن المجتمع الشيعوي هو العلاج الوحيد لمرض الأنانية في الحياة الخاصة والحياة العامة على السواء. وفي " اليوتوبيا " التعليم حكومي ومجاني ، وللمرأة حقوق مساوية للرجل، ولا وجود للملكية الخاصة أو حتى الفردية ، والناس يعيشون حياة هادئة بعيدة عن المشكلات . والجدير بالذكر أن مور في هذا الكتاب قد مهَّد الطريق لظهور الأفكار الاشتراكية ذات النزعة الإنسانية .

توماس هاردي ودراسة التناقضات الاجتماعية

وُلد الأديب الإنجليزي توماس هاردي (١٨٤٠ _ ١٩٢٨) في بوكهامبتون العليا ، شرق دوركاستر في دورست ، إنجلترا . كان والده معمارياً وبنّاءً محلياً . وكانت والدته ذات اطلاع فكري واسع ، وتولّت مهمة تعليم ابنها لغاية ذهابه إلى المدرسة في بوكهامبتون في سن الثامنة، كما ذهب طيلة سنوات إلى أكاديمية السيد لاسر للشبان الصغار في دوركاستر .

لَمْ تستطع عائلة هاردي تحمّل نفقات دراسته الجامعية، لذا توقف عن الدراسة في سن السادسة عشرة . قام بعدها بالتدرب لدى أحد المهندسين المعماريين ، قبل أن ينتقل إلى لندن عام ١٨٦٢ ليدخل كلية كينجز . تلقّى هاردي بعدها جوائز من المعهد الملكي البريطاني للمهندسين . لَمْ يشعر بالراحة في لندن، نظرًا للطبقة المنتشرة آنذاك، وقرّر أن يُكرّس نفسه للكتابة . أنهى هاردي عام ١٨٦٧ كتابة أولى رواياته " الرجل البائس والسيدة النبيلة " ، لكنه فشل في إيجاد ناشر للرواية . وقد عرضها على الأديب الفكتوري جورج ميريديث فقال إن تلك الرواية قادرة على أن تمنع هاردي من نشر أي عمل مستقبلاً بسبب الجدل السياسي الذي من شأنها أن تثيره ، وأخذًا بهذه النصيحة، قرّر هاردي ألا يحاول نشر الرواية أبدًا ، حتى إنه قام بتدمير مخطوطاته التي كتبها بيده لمحتوى هذا العمل. قام هاردي بعدها بكتابة روايتين جديدتين : " العلاجات الميؤوس منها " (١٨٧١)، و "تحت الشجرة الخضراء " (١٨٧٢) . ونُشرت كلاهما تحت اسم مجهول . وفي عام ١٨٧٣ ، كتب هاردي رواية "زوج من العيون الزرقاء " تصوّر علاقته مع زوجته الأولى. وقد نُشرت الرواية تحت اسم " توماس هاردي " .

في روايته " بعيدًا عن الحشد الصاخب " (١٨٧٤) ، تناول هاردي لأول مرة فكرة المنطقة الخيالية في غرب إنجلترا المسماة " ويسكس " ، وهو اسم إحدى المملكات الساكسونية القديمة تقع تقريبًا في نفس المنطقة من إنجلترا . حقّقت هذه الرواية نجاحًا سمح لهاردي بالتخلي عن عمله كمهندس، وأن يواصل مسيرته الأدبية . وخلال ٢٥ سنة القادمة سيقوم هاردي بكتابة ما يزيد عن عشر روايات . قُوبلت روايته " جود الغامض " (١٨٩٥) بردود فعل سلبية بسبب تناولها لمواضيع مثيرة للجدل تخص الدين والجنس والزواج . حتى إنها أثارت مخاوف زوجته الثانية من أن تتم قراءة الرواية كسيرة شخصية لزوجها. اضطرّ بعض الباعة لبيع الرواية في أكياس ورقية حتى لا يتم التعرف عليها، في حين قام رئيس أساقفة ويكفيلد بحرق نسخة من الرواية .

في عام ١٨٩٨ ، نشر هاردي أول كتاب أشعار ، تحت عنوان " أشعار ويسكس " ، وهي مجموعة أشعار كتبت على مدى ثلاثين عامًا. وخلال القرن العشرين قام هاردي بنشر كتاب شعري واحد فقط . كتب هاردي في أشكال شعرية مختلفة بما في ذلك الشعر الغنائي والهجاء والمونولوج الدرامي والشعر الحوارى. كما كتب أشعارًا عن حروب البوير والحرب العالمية الأولى. وكان لأشعاره تأثير عميق على شعراء الحرب الآخرين .

ورغم أن أشعاره في البداية لم تُحقّق نفس النجاح الذي حقّقته رواياته، إلا أن هاردي يُعتبر حاليًا واحدًا من أعظم شعراء القرن العشرين، وأشعاره أثّرت بشكل عميق على كثير من الكتّاب. يُعتبر هاردي واحدًا من أهم الكتّاب الواقعيين من العصر الفكتوري، وكان متأثرًا بالرومانسية، وقد قام بدراسة التناقضات الاجتماعية في حياة من يعيشون في إنجلترا الفكتورية، وانتقد أوضاع المجتمع الفكتوري ، كما انتقد الآراء والمعتقدات السائدة في ذلك العصر، خاصة فيما تعلق منها بالزواج، والتربية والدين . هذه المعتقدات التي خنقت حياة الناس ، وسبّبت لهم التعاسة والمعاناة، وكانت المحور الرئيسي لأعمال هاردي . كما عُرف أيضًا بوقوفه ضد القواعد الاجتماعية التي تُفصل مختلف طبقات المجتمع .

وأغلب أحداث أعمال هاردي تدور في ويسكس ، إقليم من نسج خيال الكاتب ، تُصارع فيه مجموعة من الشخصيات أقدراها وظروف الحياة .

في عام ١٩١٠ نال هاردي وسام ميريت، ورُشّح لنيل جائزة نوبل للآداب ، ولكنه لم ينلها. تُؤفّي هاردي بسبب مرض التهاب الجنبه ، ودُفِن في زاوية الشعراء في دير وستمنستر . وبعد وقت قصير من وفاته، أُحرقت رسائله وكتب ملاحظاته ، لكن ١٢ وثيقة نجت من عملية الحرق، تحتوي ملاحظات وقصاصات لقصص منشورة في الصحف تعود لعشرينيات القرن التاسع عشر، والأبحاث التي أُجريت حول هذه الأخيرة أكّدت أن هاردي استعملها في أعماله .

توماس هوبز والعقد الاجتماعي

وُلد الفيلسوف وعالم الرياضيات توماس هوبز (١٥٨٨ - ١٦٧٩) في ديربيشاير في إنجلترا. كان والده يعمل فيقارًا في شارلتون وويستبورت، وفيقار رتبة عسكرية معتمدة في الإمبراطورية البيزنطية. أمّا والدته، فقد تُوفيت وتركته، فحُرِمَ من حنانها. ولم يرَ والدته ولا يعرف عنها شيئًا، ولا حتى اسمها. وبعد فترة تزوّج الأب وأنجب أطفالًا من زوجته.

تلقى تعليمه في كنيسة ويستبورت مُنذ أن كان عُمره أربعة أعوام، ثم انتقل بعدها إلى مدرسة ميلمزبيري، ثم انتقل إلى مدرسة خاصة يديرها شاب تخرّج في جامعة أكسفورد.

كان هوبز تلميذًا يُشار إليه بالبنان. وقد درس الفلسفة في جامعة أكسفورد. وكان يبدو في الجامعة أن هوبز يتبع منهجًا تعليميًا خاصًا به، ولم يكن منجذبًا كثيرًا إلى التعليم الدراسي. ولم يُكْمَل شهادة الليسانس حتى عام ١٦٠٨، وهي سنة تخرّجه في الجامعة. صار بعدها مُربيًا خاصًا لشارل الثاني في منفاه في باريس عام ١٦٤٦، وهيّا له هذا المنصب فرصة السفر إلى أوروبا. يُعدُّ هوبز أحد أكبر فلاسفة القرن السابع عشر بإنجلترا، وأكثرهم شهرةً، خصوصًا في المجال القانوني، حيث كان بالإضافة إلى اشتغاله بالفلسفة والأخلاق والتاريخ، فقيهاً قانونيًا ساهم بشكل كبير في بلورة كثير من الأطروحات التي تميّز بها هذا القرن على المستوى السياسي والحقوقى. كما عُرف بمساهمته في التأسيس لكثير من المفاهيم التي لعبت دورًا كبيرًا، ليس فقط على مستوى النظرية السياسية، بل كذلك على مستوى الفعل والتطبيق في كثير من البلدان، وعلى رأسها مفهوم "العقد الاجتماعي" (نظرية اجتماعية تصف الحالة التي يكون فيها للجماعات البشرية سلطة عليا أو قيادة أو حاكم أو أي شكل من أشكال ممارسة السياسة أو السُّلطة). وأيضًا، يُعتبر هوبز من الفلاسفة الذين وظّفوا مفهوم الحق الطبيعي في تفسيرهم لكثير من القضايا المطروحة في عصرهم.

كان هوبز مُناصرًا للملكية المطلقة، ولكنه قام أيضًا بتطوير بعض أساسيات الفكر الليبرالي الأوروبي: حق الفرد، والمساواة الطبيعية بين جميع البشر، والشخصية الاعتبارية للنظام السياسي (التي أدّت لاحقًا إلى التمييز بين المجتمع المدني والدولة)، وهو أيضًا صاحب رأي أن جميع القوى السياسية الشرعية يجب أن تكون مُمثّلة وقائمة على قبول الشعب، والتفسير الحر للقانون الذي يمنح الناس حرية فعل ما لم ينص القانون على تجريمه صراحةً.

تُعتبر نظرية "العقد الاجتماعي" من أهم نظريات هوبز ، حيث إنه عاش في حقبة من الزمن كان فيها الإنسان ينتصر بالقوة فقط ، وكان يتنازل الضعيف عن كل حقوقه للسلطة من أجل الحماية . وكان هوبز يرى أن الإنسان عاش في مرحلة ما قبل المجتمع بحالة همجية لا أخلاقية ، تحت سطوة المصلحة الذاتية وانعدام القوانين ، فكان لا بُد له من إنشاء المجتمع حتى يُحقّق الإنسان مصالحه . كما أنه يرى الناس غير قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم ، لذا افترض أن الملكية المطلقة البعيدة عن الملكية الحاكمة باسم الإله ، والتي تمتلك سلطة مطلقة غير مُقيّدة ، قادرة على سن التشريعات والقوانين النازمة لحياة الناس .

كان هوبز عالياً في شبابه ، موفور الصحة نشيطاً في شيخوخته، ومارس لعب التنس حتى بلغ الخامسة والسبعين . وإذا لم يتيسّر ملعب التنس ، عمد إلى المشي لفترة طويلة في خفة وسرعة، حتى يتصبّب منه العرق، وعندئذ يدفع للخادم بعض النقود لتدليكه . وكان معتدلاً في أكله وشربه ، وامتنع عن أكل اللحم وشرب الخمر بعد السبعين .

لم يتزوَّج هوبز قط ، ولكن كان له ابنة من علاقة غير شرعية ، وقر لها سُبُل العيش الكريم بسخاء . وكان يقرأ قليلاً في سنينه الأخيرة . وفي الليل ، عندما كان يأوي إلى الفراش، والأبواب موصدة ، وهو واثق أن أحداً لا يسمعه ، كان يُعنيّ بصوت عال ، ليس لأن صوته رخم ، ولكن من أجل صحته ، حيث اعتقد أن الغناء يُفيد رئتيه ، ويؤدي إلى إطالة العمر .

ومهما يكن من أمر، فإنه أصيب منذ ١٦٥٠ بشلل ارتجافي في يديه، واشتدت به هذه العلة حتى كادت كتابته في ١٦٦٦ أن تكون غير مقروءة .

وعلى الرغم من هذا ، استمرّ هوبز في الكتابة ، وتحوّل من الفلسفة إلى الرياضيات، وهنا انزلق في غير ما حرص ولا حذر ، إلى خلاف مع عالم خبير هو جون واليس الذي انتقص من قيمة ادّعاء هوبز أنه كشف تربع الدائرة .

وفي ١٦٧٠ ، وهو في الثانية والثمانين نشر كتابه " بهيموث " ، وهو عبارة عن تاريخ الحرب الأهلية في إنجلترا ، كما كتب عدّة ردود على ناقيده ، وترجم إلى اللاتينية كتابه "لوايثان" ترجمة رائعة . وفي عام ١٦٧٥ ، كتب سيرة حياته نظماً باللاتينية، كما نظم في نفس العام الإلياذة والأوديسة شعراً بالإنجليزية ، وقال إنه لم يجد عملاً يُؤدّيه أفضل من هذا .

اشتدّ عليه الشلل، حيث انتشر في جسمه، ولم يعد قادراً على الكلام، وفي ٤ ديسمبر ١٦٧٩ ، فاضت روحه بعد أن تناول أسرار العقيدة ، أنكليكانياً مُخلصاً .

تونني موريسون ومأساة السود

وُلدت الروائية الأمريكية الزنجية توني موريسون (١٩٣١ _ ...) في أوهايو . فازت بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٣ عن مُجَمَّل أعمالها ، وجائزة بوليتزر عام ١٩٨٨ عن روايتها " محبوبة " (١٩٨٧) . تُرجمت أعمالها إلى مختلف لغات العالم ، ومن بينها العربية .

في بيان جائزة نوبل عن فوز الكاتبة موريسون بالجائزة ورد أن " رواياتها تمنح الحياة لجانب أساسي في الواقع الأمريكي " .

ورواياتها تُضيء جوانب مهمة من ذلك الواقع، لا سيَّما المتصل منه بحياة السود الأمريكيين . ففي رواية " محبوبة " مثلاً ، تُطارد الذكريات امرأة كانت في أسْر العبودية ، بما قاسته في تلك الظروف، وكيف أنها اضْطُرَّت لقتل طفلها لإنقاذه من مصير مُشابه .

وفي رواية " طفل القِطْران " (١٩٨١) ينفصل زَوْجان أسودان ، بعضهما عن بعض ، لعجزهما عن مقاومة تأثير الاختلاف الطبقي على علاقتهما .

كانت موريسون الطفلة الثانية من بين أربعة أطفال في عائلة تُقيم في أوهايو . وكان على السود أن يسافروا في قطارات منفصلة عن البيض .

وتقول موريسون إنها لا تستطيع أن تتذكر مكاناً لم يكن فيه تفرقة عنصرية . وبينما كانت والدتها تُربِّيها على مبادئ المساواة والحرية ، كان والدها يكره التعامل أو الاتصال بالبيض ، ويرتاب في كُل ما يقولونه ويفعلونه ، وكان يعتقد بعدم وجود أمل للسود في أي شيء .

تُعتبر موريسون قارئاً نهماً منذ طفولتها . ومن كُتَّابها المفضَّلين جين أوستن وليو تولستوي . وكان والدها يروي لها العديد من الحكايات الشعبية عن مجتمع السود بطريقة السرد القصصي ، والتي سَتَوَثَّر لاحقاً على أسلوبها في الكتابة .

في عام ١٩٤٩ ، التحقت موريسون بجامعة هاوارد . وفي عام ١٩٥٣ حصلت على بكالوريوس في الأدب الإنجليزي . وفي عام ١٩٥٥ نالت شهادة الماجستير من جامعة كورنيل .

تزوَّجت من المهندس المعماري الجامايكي هارولد موريسون عام ١٩٥٨ ، وتطلَّقت منه عام ١٩٦٤ ، بعد أن أنجبت منه طفلين .

عملت مُحَرِّرة كُتب منهجية ، ثُمَّ مُحَرِّرة في المقر الرئيسي لدار النشر راندوم هاوس ، حيث لعبت دوراً حيويّاً في دفع أدب السود إلى الواجهة .

بدأت موريسون كتابة الروايات الخيالية عندما كانت مشتركة مع مجموعة من الكتّاب والشعراء في جامعة هاوارد ، الذين كانوا يلتقون ويُناقشون أعمالهم . وفي إحدى المرات ، ذهبت موريسون إلى الاجتماع، وهي تحمل قصة قصيرة عن فتاة سوداء تتوق للحصول على عيون زرقاء. وقد طوّرت هذه القصة فيما بعد لتصبح روايتها الأولى التي تحمل عنوان " العين الأكثر زُرقة " نشرتها عام ١٩٧٠. كتبت موريسون هذه الرواية في الوقت الذي كانت تُربّي طفليها ، وتعمل في جامعة هاوارد. وفي عام ٢٠٠٠ اختيرت هذه الرواية كواحدة من مختارات نادي أوبرا للكتاب. وفي عام ١٩٧٥، رُشّحت روايتها "سولا" التي كتبتها عام ١٩٧٣ لجائزة الكتابة الوطنية ، أمّا روايتها الثالثة " نشيد سُلّيمان " (١٩٧٨) فقد اختيرت كتاب الشهر ، وحصلت على جائزة النقاد الوطنية .

تميّزت روايات موريسون بقوة البصيرة ، والمضمون الشعري الذي يمنح الواقع الأمريكي ملامحه الأساسية . كما ساهمت موريسون في إثراء وإغناء التراث الأدبي الأمريكي ، ولهذا منحتها مؤسسة الكتاب الوطنية في عام ١٩٩٦ ميدالية المساهمة المتميزة في الآداب الأمريكية . يتّسم أسلوب موريسون بلغة غنائية عذبة، وتشخيص حي، بالإضافة إلى القدرة على إقناع القارئ بقبول ما ليس عادياً كما لو كان عادياً مألوفاً .

وتُعتبر كتاباتها مع غيرها من الكتّاب الأمريكيين السود جزءاً من ظاهرة إبداعية بارزة ومتزايدة في الأدب الأمريكي المعاصر .

وعلى الرغم من أن رواياتها ركّزت على النساء السود ، إلا أنها ترفض أن يُوصف نتائجها الأدبي بأنه أدب يختص بالحركة النسوية . وبالإضافة إلى رواياتها ، ساهمت مع ابنها الذي يعمل رسّاماً في تأليف كتب للأطفال .

تيد هيوز ورهزية الغراب

وُلد الشاعر الإنجليزي تيد هيوز (١٩٣٠ - ١٩٩٨) في بلدة ميثولمرويد في مقاطعة يوركشاير. اسمه الحقيقي إدوارد جيمس هيوز. وهو الشاعر الرسمي للبلاط الملكي (١٩٨٤ - ١٩٩٨). درس في جامعة كامبردج، واهتم بالفلكلور والبيئة، وهذا يظهر جلياً في شعره. تزوج عام ١٩٥٦ الشاعرة الأمريكية سيلفيا بلاث، وانتقلا في العام التالي إلى العيش في الولايات المتحدة الأمريكية، وعادا بعد ذلك بوقت قصير إلى بريطانيا. وبعد انفصالهما انتحرت بلاث في عام ١٩٦٣ بعد معاناة نفسية طويلة جرّاء خيانة زوجها لها على الأصعدة كافة، وكان ذلك عشيّة بث القناة الثقافية الثالثة لشبكة بي بي سي مسرحية لزوجها.

وقد أُلقي اللوم عليه لانتحارها مع أنها كانت قد حاولت الانتحار أكثر من مرّة، حتى قبل زواجهما، فانقطع عن الكتابة سنوات، عاد بعدها إلى النشر، وتتابع دواوينه.

قال تيد هيوز قبل تولّيه منصب الشاعر الرسمي للبلاط: ((بالنسبة للكثيرين، نحن غير موجودين إلا في الكتب. أنا وزوجتي. تابعتُ على مدى الأعوام الثلاثين الأخيرة، بكثير من العجز والاستنكار، كيف تعفّنت حياتها وحياتي تحت طبقة من المغالطات والشائعات، والقصص المملّقة والشهادات الكاذبة والأساطير والخرافات الهراء. ورأيت بعيني كيف تمّ تحويل شخصيتينا المركبتين إلى شخصيتين عاديتين، بملامح باهتة وبسيطة صنعت خصيصاً لإرضاء نوع مُعيّن من القراء الطامحين للإثارة. هي المقدّسة الهشّة، وأنا الخائن القبيح)) .

كان ديوان " الصقر في المطر " (١٩٥٧) أول نتاج هيوز، وتلا ذلك دواوين عدّة أهمها: " أعياد الخصب " (١٩٦٠) الذي حظي باهتمام كبير. ثمّ نشر " قصائد مختارة " (١٩٦٢) بالمشاركة مع الشاعر توم غن. ويُعتَبَران معاً من المجدّدين في الشعر الإنجليزي الحديث.

تعددت اهتمامات هيوز في هذه الفترة، فنشر " وودوو " (١٩٦٧)، وهو مزيج من الشعر والنثر، واقتبس مسرحية " أوديب " (١٩٦٨). ثمّ نشر ديوان " الغراب " (١٩٧٠)، وهو الطير الذي يتكرّر مراراً في شعره رمزاً للعنف في الطبيعة.

ثمّ ابتكر لغة خاصة في مسرحية " أورغاست " (١٩٧١) في أثناء زيارة قام بها إلى إيران برفقة المخرج بيتر بروك الذي أخرجها للمسرح. كتب أيضاً كتباً للأطفال منها: " بقايا إلمت " (١٩٧٩)، عاد فيها إلى عالم طفولته.

نشط هيوز في التسعينيات من القرن الماضي، فنشر كثيرًا من الترجمات، وأصدر بالتعاون مع أدباء آخرين _ مثل شيموس هيني الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٥ _ العديد من الدواوين لشعراء آخرين .

كتب في النقد " شكسبير وإلهة الوجود " (١٩٩٢) . ثم نشر " قصائد مختارة جديدة " (١٩٥٧ _ ١٩٩٤) ، و " تعويذة المطر للدوقية وقصائد مناسباتية أخرى " (١٩٩٠) . وقبل أشهر من وفاته في لندن، كسر هيوز عقودًا من الصمت عن علاقته بزوجته المنتحرة، فكتب " رسائل عيد الميلاد " (١٩٩٨) ، في دحض الاتهامات التي وُجّهت إليه بسببها . يعتبر الثّقادُ هيوز من أعظم شعراء جيله . وفي عام ٢٠٠٨ ، أعطته جريدة التايمز البريطانية الترتيب الرابع في قائمة أعظم خمسين كاتبًا بريطانيًا مُنذ نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) . وفي عام ٢٠٠٩ ، تمّ تأسيس جائزة تيد هيوز لعمل جديد في الشعر بإذن من أرملته كارول هيوز ، وتمنح هذه الجائزة لشاعر على قيد الحياة من المملكة المتحدة على عمل يتّصف بالإبداعية أُتمّ في السنة نفسها . يجري تمويل الجائزة المالية ، وقدرها ٥٠٠٠ جنيه إسترليني، من إكرامية شاعر البلاط التي يتلقاها تقليديًا من الملكة .

تيودور أدورنو والمشاكل الثقافية

وُلد الفيلسوف الألماني تيودور أدورنو (١٩٠٣ - ١٩٦٩) في فرانكفورت، وتُوفي في سويسرا. كان والده يهوديًا ، وأُمُّه إيطالية كاثوليكية . واتَّخذ اسم والدته " أدورنو " بدلاً من اسم والده. كان أدورنو شغوفًا بدراسة الفن ، وخاصة الموسيقى . اتَّجه نحو دراسة الفلسفة ، مُتأثرًا في البداية بكتابات كانت. وفي جامعة فرانكفورت درس أيضًا علم النفس وعلم الاجتماع وتاريخ الفنون وعلم الموسيقى، وتعرَّف على ماكس هوركهايمر ووالتر بنيامين، وأنجزَ رسالة دكتوراة عام ١٩٢٤ حول فينومينولوجيا هوسرل، قبل أن ينتقل إلى النمسا لدراسة الموسيقى عام ١٩٢٥ . كان عضوًا رائدًا في مدرسة فرانكفورت للنظرية النقدية. وقد تأثَّر بأعمال فرويد ، وماركس، وهيجل ، في نقد المجتمع المعاصر . وتُعتبر نظريته حول المجتمع مزيجًا من أفكارهم ونظرياتهم . اشتغل بالتدريس في جامعة فرانكفورت في عام ١٩٣١ ، كما ارتبط بشكل وثيق بمعهد البحوث الاجتماعية .

بعد صعود النازيين في ألمانيا إلى الحكم ، وجد أدورنو نفسه ممنوعًا من التعليم والنشاط العام، مُهَدَّدًا في حياته، فهاجرَ إلى بريطانيا عام ١٩٣٤ أملًا في الحصول على وظيفة بجامعة أكسفورد ، وأعدَّ للغرض أطروحة دكتوراة ثانية حول هوسرل . ثم هاجرَ إلى أمريكا عام ١٩٣٨ . وخلال الفترة (١٩٤١ - ١٩٤٨) شارك في رئاسة مشروع بحث في جامعة كاليفورنيا حول التمييز الاجتماعي . وأصدر خلال هذه الفترة عدَّة أعمال من أهمها : " جدل الاستنارة " الذي أصدره بالاشتراك مع ماكس هوركهايمر عام ١٩٤٧. ويُعدُّ أهم أعمال مدرسة فرانكفورت، و" فلسفة الموسيقى الجديدة " (١٩٤٩) ، و " الشخصية المتسلطة " الذي كتبه أيضًا بالاشتراك مع عالم النفس الاجتماعي الأمريكي نفيث سانفورد عام ١٩٥٠ . وصدر هذا البحث الأخير تحت رعاية اللجنة الأمريكية اليهودية، فهو يتناول ظاهرة معاداة اليهود بالدرجة الأولى، ويُعتبر واحدًا من أهم الدراسات التجريبية (الإمبريقية) في علم الاجتماع الحديث .

ومن مؤلفاته الأخرى: " دراسات أخلاقية صغيرة" (١٩٥١)، و"رطانة الأصالة " (١٩٦٤)، و" ملاحظات عن الأدب " (في جزأين ١٩٥٨ و ١٩٦٩) .

تتمحور هذه الأعمال وأغلب كتاباته الغزيرة الأخرى حول المشاكل الثقافية والاجتماعية ودور الفرد في المجتمع . ويرى أدورنو أن ظهور العقل في عصر الاستنارة وتحرُّره من الأساطير لم يؤدِّ

بالضرورة إلى نتائج إيجابية، فقد تحوّل العقل نفسه إلى قوة غير عقلانية تسيطر على الطبيعة وعلى الإنسان، كما رأى أن المجتمعات الحديثة تطمس الفرد تمامًا ، وأن البشرية في طريقها إلى شكل جديد من أشكال البربرية ، وأن ما جرى في معسكرات الإبادة النازية لا يُعدّ انحرافًا عن مسيرة التاريخ والمجتمع، وإنما هو جزء عضوي من " تقدّمها نحو الجحيم " . وعلى عكس علم الاجتماع الأكاديمي التقليدي ، أكّد أدورنو أن الفاشية هي النتاج الطبيعي للرأسمالية، ولكنه في الوقت نفسه رفض جميع أشكال التسلط والديكتاتورية ، وانتقد بشدة نظام ستالين في الاتحاد السوفيتي، وآمن بإمكانية إقامة مجتمع يستند إلى العدل والمساواة . ويُعدّ كتابه " الجدل السليبي " (١٩٦٦) من أهم كتبه إذ يضم بعض أفكاره الكُلّية عن العصر الحديث والإنسان والكون ، ويُعدّ كتابه " النظرية الجمالية " نظريته في الفن ، حيث يطرح تصوّره بشأن استقلال العمل الفني ، وفكرته القائلة إن الأعمال الفنية الأصلية تميل إلى " الكُلّية " . لذلك ، فالفن هو الذي يُحيي الحق، ويُمثّل دور المعارضة الحقيقية والدعوة إلى الانعتاق في " حضارة الصناعة " .

عاد أدورنو إلى ألمانيا عام ١٩٥٣ ، وأصبح أستاذًا في علم الاجتماع في جامعة فرانكفورت ، ثم رئيسًا لمعهد البحوث الاجتماعية ، ولاقت فلسفته قبولًا كبيرًا لدى التيار اليساري الراديكالي بين الشباب الألماني، ولكنه هُوجِم فيما بعد بسبب انتقاده لاستخدام العنف .

يَرِدُ اسم أدورنو في كثير من المعاجم والموسوعات اليهودية باعتباره يهوديًا مع أنه وُلِدَ لأم كاثوليكية، ومن ثمّ فهو ليس يهوديًا من منظور الشرع اليهودي، كما أنه أسقط اسم والده بسبب نبرته اليهودية الفاقعة . أمّا من منظور الرؤية ، فرؤيته تعود إلى التقاليد النقدية الفلسفية الألمانية ، وإلى نقد حركة الاستنارة والترشيد الذي يُعدّ موضوعًا أساسيًا فيها . وهو عضو في مدرسة فرانكفورت التي تضم عددًا من المفكرين ذوي الأصول اليهودية والمسيحية ، ولا تظهر الموضوعات اليهودية في كتابات هؤلاء المفكرين مثل موضوع الإبادة النازية لليهود، إلا باعتبارها تعبيرًا عن شيء مهم وجوهري ووحشي في الحضارة الغربية الحديثة . وفي عام ١٩٧٧ ، تأسّست جائزة تيودور أدورنو في مدينة فرانكفورت ، وهي جائزة ألمانية تُمنح للإنجازات في مجالات الفلسفة ، والمسرح ، والموسيقى، والسينما. تُمنح الجائزة في ١١ سبتمبر من كل عام في ذكرى ميلاد أدورنو الذي قام بالتدريس في جامعة فرانكفورت لمدة ٢٠ عامًا . قيمة الجائزة خمسون ألف يورو . عُرف أدورنو بمقارنته النقدية ، وأساس هذه المقاربة قائم على الجمع بين التحليل الماركسي والفرويدي في آنٍ معًا للمجتمع الرأسمالي وثقافته .

تيودور مومسن وإخراجه التاريخ

وُلِدَ العالم الألماني تيودور مومسن (١٨١٧ _ ١٩٠٣) في مدينة غاردنغ في دوقية شلسفيغ التي كانت خاضعة للحكم الدنماركي، وتُوفِّيَ في مدينة شارلوتن بورغ . يصعب تصنيفه في مجال مُحدَّد بسبب تعدد مواهبه، وكثرة اختصاصاته. فهو كاتب وعالم آثار وصحفي وسياسي ومؤرخ.

نشأ مومسن في أسرة مثقفة ، فوالده قس بروتستانتي مُتبحِّر في علم اللاهوت. وقد شجَّع ابنه على مطالعة الكتب، والتعرف على الأدب الألماني، والاطلاع على النتاج الأدبي للكتاب الأجانب مثل : شكسبير وبايرون وهوغو .

درس الحقوق في جامعة كيل ، وتخصَّصَ في القانون الروماني ، وتعمَّقَ في دراسة فلسفة هذا القانون، وحصل على درجة الدكتوراة بامتياز عام ١٨٣٤. وهذا جعله مرجعاً في القانون الروماني، وصار كلامه حُجَّةً في هذا المجال .

كانت فترة الدراسة من أخصب فترات حياته، حيث تزامن مع أخيه تيكو ، والكاتب شتورم. ونشأت صداقة عميقة بين الثلاثة . وقد تجلَّت آثار هذه الصداقة في المجال الأدبي ، فنتج عنها عملان أدبيان مُشتركان . الأول : مجموعة حكايات خرافية . والثاني : أغاني الأصدقاء الثلاثة. وقد نُشرا معاً عام ١٨٤٣. وهذا يدل على أن حب التأليف كان مغروساً في كيان مومسن مُبكراً .

لقد كانت المشاركة في تأليف هذين الكتابين الإنجاز الأول (الفعلي) في حياة مومسن ، والخطوة الأولى في طريق الإبداع . أمَّا الإنجاز الثاني فهو حصوله عام ١٨٤٤ بسبب تفوقه على منحة علمية من ملك الدنمارك مدتها أربع سنوات لدراسة النقوش الأثرية الرومانية . وبما أنه اختار هذا المجال التاريخي الصارم ، فقد توجَّبَ عليه اختيار معهد الآثار في روما ليكون وطنه الجديد ، ومُنطلقاً لأبحاثه ، وحاضنة علمية لأفكاره .

إن منهج مومسن الفكري التاريخي المتميِّز ما كان ليَرى النور لولا أربعة عوامل : ١ _ استلهام فكرة العلاقة المتبادلة بين التاريخ والقانون من كتابات العالم سافيني ، أحد مؤسسي المدرسة التاريخية لدراسة القانون . ٢ _ استخدام منهج أستاذه أوتو يان في قراءة النقوش القديمة . ٣ _ دراسة النقوش اللاتينية وفَّق مبادئ فقه اللغة التاريخي . ٤ _ العمل تحت إشراف العالم الإيطالي بورغيزي .

إن هذه العوامل الأربعة جعلت منه عالماً مُتمكِّناً يُشار إليه بالبنان . وقد صار مُعلِّماً بارعاً في دراسة النقوش الكتابية ، ونجح نجاحاً باهراً في الربط بين التطورات التاريخية والتطورات القانونية . الأمر الذي قادَه وقادَ الباحثين مِن بعده إلى فهم أكثر عُمقاً للحياة في روما القديمة ، والوقوف على تفاصيل هذه الحياة وأسرارها ، وإخراجها من حَيَر الغموض والخفاء إلى الفضاء المكشوف . وهذا كُلُّه كَانَ تمهيداً للإنجاز العِلْمي الرئيسي في حياته ، ألا وهو " تاريخ روما " (١٨٥٤ _ ١٨٥٦) الذي صدر في ثلاثة مجلدات .

لقد انعكست أيديولوجية مومسن على حياته الشخصية والعملية ، فقد كَانَ ليبرالياً داعياً إلى وَحدة الأراضي الألمانية ، وتحررها من الهيمنة الأجنبية ، في ظل حكومة جمهورية تحترم حقوق المواطن ، وتدافع عن وجود الجماعة ، وتَبْسُط سيادتها على كامل التراب الألماني . وهذه الأفكار مرتبطة بشكل وثيق بالأحداث السياسية آنذاك . فقد كانت ألمانيا في أوج ثورتها البرجوازية عام ١٨٤٨ . وعُيِّن مومسن في نفس السنة أستاذاً للحقوق في جامعة لايبزيغ . وبعد سنتين ، جاء الوقتُ لكي يَدفع ثمن مواقفه مواقفهِ السياسية ، فلا يوجد موقف بلا ثمن . فقد تَمَّ استبعاده من الجامعة بسبب نشاطاته الثورية .

لقد أغلقت الجامعة أبوابها في وجهه، ووصل إلى طريق مسدود ، ممَّا جعله يَبْحَث عن طريق آخر . فحصلَ على كرسي القانون الروماني في جامعة زيورخ عام ١٨٥٢ . ثُمَّ على الكرسي نفسه في جامعة بريسلاو عام ١٨٥٤ . ثُمَّ على كرسي التاريخ القديم في جامعة برلين عام ١٨٥٨ . آمَنَ مومسن بأهمية انخراط المفكر في الحياة العامة ، وذلك لكي يتكرَّس مُثَقِّفاً عُضُوءاً ، مُندمجاً بقضايا مجتمعه وأُمَّتِه، وقادراً على قيادة التغيير من داخل مؤسسات صنع القرار ، رافضاً الاكتفاء بالتنظير مِنَ البُرج العاجي . وهذه القناعة تتجلى في انتخابه عضواً في أكاديمية العلوم البروسية . ولم يقف الأمر عند هذا الحد . فقد صارَ أيضاً نائباً في البرلمان المحلي البروسي (١٨٧٣ _ ١٨٧٩)، وفي البرلمان الألماني (١٨٨١ _ ١٨٨٤) .

تميّزت أبحاثه بالدقة العِلْمية واللغة الأدبية السلسة بعيداً عن الإنشاء والتنظير الاستعراضي . ومن أبرز أعماله : تاريخ روما . قانون دولة روما " ثلاثة مجلدات " (١٨٧١ _ ١٨٨٨) . وآخر إنجازاته العِلْمية هي قانون العقوبات الروماني (١٨٩٩) . وقد تُرجمت كُتبه إلى عدة لغات ، وصارت مراجع أكاديمية . وبسبب تميُّز أعماله ، تَمَّ الاعتراف به عالمياً، ومُنح جائزة نوبل للآداب عام ١٩٠٢ . وكأنها مكافأة نهاية الخدمة . ففي عام ١٩٠٣ رحل عن عالمنا .

جاء بريفيير والسَّهل المُمْتَنع

وُلد الشاعر الفرنسي جاك بريفيير (١٩٠٠ _ ١٩٧٧) في نويلي سور سين ، ونشأ في باريس . حصل على شهادة الدراسة الابتدائية ، ثم ترك المدرسة ، وذهب للعمل في أحد المتاجر الكبرى في باريس .

في عام ١٩١٨ ، تم استدعاؤه للخدمة العسكرية في الحرب العالمية الأولى . وبعد ذلك ، أُرسِل إلى الشرق الأدنى للدفاع عن المصالح الفرنسية هناك .

عندما كان بريفيير في المدرسة الابتدائية ، كان في البداية يكره الكتابة . وفي سنوات شبابه ، انتسب إلى الحركة السريالية ، وارتبطَ بصداقات متينة مع رموزها مِن شعراء وكُتَّاب وفنانين تشكيليين وغيرهم . إلا أنه رفض الانضمام إلى الحزب الشيوعي ، رغم إلحاح صديقه جورج سادول على ذلك . وفي عام ١٩٣٠ ، تمرّد على " دكتاتورية أندريه بریتون " ، وكتب نصًّا بعنوان " موت سيّد " ، أوضح فيه أسباب انفصاله عن الحركة السريالية .

غالبًا ما تكون قصائد بريفيير عن الحياة في باريس ، والحياة بعد الحرب العالمية الثانية . وقد اشتهر بريفيير في فرنسا والعالم الفرنكفوني ببساطة كلماته وسلاسة قصائده ، ممّا جعلها تُدرّس بكثافة في المناهج الدراسية لتلك الدول ، كما اشتهر بكتابته للقصص القصيرة وسيناريوهات الأفلام . وتُرجمت أعماله إلى عشرات اللغات .

كان بريفيير الشاعر الأكثر شهرة بين شعراء عصره ، وكانت قصائده الأكثر انتشارًا على مستوى القراء . وقد تميّزت بغنائية بسيطة وسلسلة ، لا تخلو من العمق والبلاغة .

قام بعض المطربين الفرنسيين البارزين بغناء قصائد بريفيير ، مِن بينهم : ماريان أوزوالد ، إيف مونتان ، وإديث بياف . بالإضافة إلى المطربين الأمريكيين لاحقًا : جوان بيز ونات كينج كول . وفي عام ١٩٦١ ، قام المغني وكاتب الأغاني الفرنسي سيرج غينسبور بتكريمه في أغنية خاصة . كانت قصائد بريفيير هي أساس الفيلم الوثائقي للمخرج يوريس إيفنز " السين الذي يلتقي بباريس " (١٩٥٧) ، حول نهر السين .

ارتبطَ بريفيير بعلاقة عمل طويلة مع بول غريموت . وقد كتبًا معًا سيناريوهات لعدد من أفلام الرسوم المتحركة ، بدءًا مِن "الجندي الصغير" (١٩٤٧) . وعملاً معًا حتى وفاة بريفيير ، بعد صراع مرير مع مرض السرطان .

والجدير بالذكر أن الشاعر السوري نزار قباني (١٩٢٣ - ١٩٩٨) قد سطا على إحدى قصائد بريفير ، ونسبها إلى نفسه . فهناك قصيدة لنزار قباني بعنوان " مع جريدة " ، وهذا نصُّها : ((أخرج من معطفه الجريدة / وعلبة الثقاب / ودون أن يلاحظ اضطرابي / ودونما اهتمام / تناول السكر من أمامي / ذوّب في الفنجان قطعتين / ذوّبني ذوّب قطعتين / وبعد لحظتين / ودون أن يراني / ويعرف الخوف الذي اعتراني / تناول المعطف من أمامي / وغاب في الزحام / مُخَلِّفًا وراءه الجريدة / وحيدة / مثلي أنا وحيدة)) .

وهذه القصيدة تتشابه إلى حد بعيد مع قصيدة بريفير ، التي هي بعنوان " غذاء الصباح "، وهذا نصُّها بعد الترجمة _ والترجمة ليست لي _ : ((وضع القهوة في الفنجان / ووضع الحليب في فنجان القهوة / ووضع السكر في القهوة بالحليب / وبالمعلقة الصغيرة حرَّكها / وشرب القهوة بالحليب / ووضع الفنجان / دون أن يُحدّثني / وأشعل سيجارة / وجعل دوائر من دخان / ووضع الدخان في المدخنة / ودون أن يُحدّثني / وضع قبعته على رأسه / ووضع معطفه الشتوي / لأن السماء كانت ماطرة / ثم راح دونما كلمة / ودون أن يرنو إليّ / وأنا أخذت رأسي بين يديّ / وبكيث)) .

نلاحظ التشابه الواضح بين القصيدتين. إذ إن جَو النص واحد، وسيناريو القصيدة واحد، والأفكار في القصيدة واحدة. والقاعدة الأدبية تقول إن اللاحق (نزار قباني) متأثر بالسابق (جاك بريفير)، وليس العكس. وهذه القضية تحدّث عنها شعراء وثقّاد كثيرون ، وليست من اكتشافي الشخصي، لكنني أريد تسليط الضوء على هذه القضية من أجل تحليلها وأخذ الدروس والعبر منها. إن الشاعر نزار قباني لديه إنتاج شعري غزير، ويملك في رصيده الأدبي عشرات المجموعات الشعرية، فما الذي يجعله يسطو على قطعة شعرية قصيرة لشاعر فرنسي؟! . لقد سقط نزار قباني في إغراء النص. فقد أغرته الكلمات البسيطة للشاعر الفرنسي، وأعجبه جو القصيدة البعيد عن التعقيد. وهذا الأمر أوقعه في الفخ الأدبي في بحثه عن صيد جديد. وحُب الامتلاك لدى نزار قباني جعله يرتكب هذه الخطيئة الشعرية . والجدير بالذكر أن قيام المطربة اللبنانية ماجدة الرومي بغناء قصيدة نزار قباني، قد سلّط الضوء على القصيدة، وجعل الكتاب العرب المطلعين على الأدب الفرنسي يكشفون هذه السرقة الواضحة، ويعقدون المقارنات بين القصيدتين .

من أبرز أعمال بريفير الشعرية : أقوال (١٩٤٦) . مشهد (١٩٥١) . أضواء الإنسان (١٩٥٥) . المطر والصّحو (١٩٥٥) . أشياء وأخرى (١٩٧٢) .

جاء دريدا ونظرية التفكيكية

وُلد الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا (١٩٣٠ - ٢٠٠٤) لعائلة يهودية في حي البيار بمدينة الجزائر . وفي سن العاشرة ، طُرد من المدرسة بعد أن أخبره أحد المعلمين بأن " الثقافة الفرنسية لم تُصنع لليهود القلّة " . ومن ثمّ ذهب إلى مدرسة يهودية . وفي التاسعة عشرة ، انتقل دريدا إلى باريس للدراسة في دار المعلمين العليا، قبل أن يصبح مساعداً للتدريس في جامعة هارفارد الأمريكية ثم في جامعة السوربون في باريس . وعُيّن عام ١٩٦٥ أستاذ فلسفة في دار المعلمين العليا ، حيث شغل منصب مدير دراسات. وواصل دريدا نشاطه التعليمي لفترة طويلة بين باريس وعدد من أبرز الجامعات الأمريكية منها جامعتا ييل وجون هوبكنز. التقى دريدا بسارتر، ولكن على المدى الطويل، كانت مجابهااته المبكرة ليست مع سارتر ، بل مع نيتشه وهايدغر اللذين كان لهما أكبر الأثر عليه . في أواخر الخمسينيات عمل على أطروحة الدكتوراة عن هوسرل، ولكن هذا المشروع لم يكتمل قط، وشرع في هذه الأثناء في استكشاف الطبيعة الغامضة لكل الكتابة حتى الفلسفية منها. ومثله مثل مُعاصريه القريبين في الحركة البنيوية وما بعد البنيوية _ التي كان ينتمي إليها بارت، لاكان، ألتوسير، فوكو _ كان دريدا تجسيدا للفيلسوف المقاوم ، وتمّ تقديره لنقده الناسف للقيم السلطوية الكامنة في المقاربة الأوثوكسية للأدب والفلسفة . أمّا بالنسبة إلى مُنتقديه، فقد كان عمله تافهاً، وغامضاً، ووهيمياً ، وحتى تخريبياً بشكل غريب .

تميّز دريدا في حقبة الاستعمار الفرنسي للجزائر ، بإدانتِه المتواصلة لسياسة فرنسا الاستعمارية في هذا البلد. وغادر الجزائر مع عائلته عام ١٩٦٢ . وغالباً ما كان يتحدث بعد رحيله عن الحنين إلى البلد الذي نشأ فيه .

لَفت دريدا أولاً انتباه جمهور أوسع في نهاية ١٩٦٥ ، عندما نشر مراجعتين طويلتين لكتبٍ عن تاريخ وطبيعة الكتابة، في مجلة نقد، وشكّلت هاتان المراجعتان عملَ دريدا الأساسي، ألا وهو كتابه " في علم الكتابة " . وفي عام ١٩٦٧ ، ألهمه هذا الأمر أن يضع مُقارنته في قراءة النصوص في ثلاثة كتب، هي : " في علم الكتابة " ، و " الكتابة والاختلاف " ، و " الكلام والظواهر " ، والتي تضمّنت دراسات مُطوّلة لفلاسفة من أمثال جان جاك روسو ودي سوسير وهوسرل وهايدغر وهيغل وفوكو وديكارت. وكذلك كلود ليفي شتراوس، وسيغموند فرويد، والعديد من الكُتّاب الأدبيين والمسرحيين . سافر دريدا على نطاق واسع ، وحصل على مجموعة من

المناصب الزائرة والدائمة . فقد كان مديراً للدراسات في كلية الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية في باريس . وشارك رفقة فرانسوا كاتليت وآخرين في عام ١٩٨٣ في تأسيس الكلية الدولية للفلسفة، وهي مؤسسة تهدف إلى توفير موقع للبحوث الفلسفية . وانتخب رئيساً أول لها .

كان دريدا كاتباً غزير الإنتاج ، فقد ألّف أكثر من أربعين كتاباً . وهناك عددٌ من النزعات المهمة التي تكمن وراء مُقاربة دريدا للفلسفة، وبشكل أكثر تحديداً للتقاليد الغربية للفكر. فمن خلال مُقاربة سَمّاها " التفكيكية "، افتتح دريدا بحثاً أساسياً في طبيعة التقليد الميتافيزيقي الغربي . يُعتبر دريدا مؤسس المذهب التفكيكي في النقد والفلسفة. وصلت شهرته حد العالمية لعمق أفكاره من جهة وصعوبتها، ما جعل منه علماً من أعلام القرن العشرين والتفكير ما بعد الحداثي .

تحدث نظرية دريدا " تفكيك البناء " التي لاقت رواجاً وأصداء واسعة في الولايات المتحدة والتي استندت إلى نصوص فلسفية كلاسيكية ، عن استقلالية المحتوى النصي الذي _ حسب هذه النظرية _ قد لا يفهمه كاتب النص نفسه . واعتبرت النظرية التي أثارت جدلاً واسعاً أن الاحتمالات التأويلية للنصوص، والتي قد يفهمها كل شخص بمفرده ، تدخل ضمن سياق المقاصد الأخرى للنص اللغوي ، بمعنى تفكيك المعنى الواحد إلى المتعدد المتفكك . وتشير هذه النظرية أيضاً إلى استخراجات نقدية للنص أيّاً كان في احتمالاته التأويلية. واجهت هذه النظرية معارضة كبيرة من مدارس البنيوية اللغوية، واعتبرها البنيويون اللغويون غير عقلانية وثنائية للمنطق، ووصفوها بالسخيفة، واتهموها بالمُهْمَة والغامضة . وفي بريطانيا لقيت نظرية دريدا أيضاً معارضة شديدة ، حيث قامت هيئة التدريس في جامعة كامبردج العريقة عام ١٩٩٢ بمظاهرة احتجاج ضد قرار رئاسة الجامعة منح دريدا دكتوراة فخرية . كما اعتبره الماركسيون أحد أعدائهم لمواقفه المناهضة لهم، وكانت السلطات التشيكوسلوفاكية قد وضعت دريدا رهن الاحتجاز عام ١٩٨٠ ، على خلفية محاضرة له عن نظريته اللغوية في براغ .

انتماء دريدا للهامش باعتباره يهودياً ، جعل أغلب دراساته تنصب على تفكيك المركزية الأوروبية، والانتصار لهذا الهامش بوصفه يكتسب مركزه "الأدنى" من موقع تقييم يمتلكه "المركز"، وهذا ما لا يراه دريدا صحيحاً. والكتابة لدى دريدا _ حسب أحد الباحثين _ ليست امتداداً خيطياً، أو ترابطاً نصياً أو صيغة نحوية، بل هي معارك داخل الكلمات والجمل. وفي فضاء النص ثمة حالات حروب وانتقام بين الكلمات، ممّا يُتيح لها المجال للصراع، وكأن القلم هو مُحرك عرائس، وكأن الكتابة لعبة وممارسة متناقضة أو متداخلة ، هذه هي حالة نص دريدا غير المكتمل دائماً .

جاءه لاكان والقراءة التفسيرية لفرويد

وُلد المفكر والطبيب النفسي جاك لاكان (١٩٠١ - ١٩٨١) في باريس ، وتُوفّي فيها . كانت أسرته غنية . اشتهر بقراءته التفسيرية لسيغموند فرويد ، ومساهمته في التعريف بالتحليل النفسي الفرويدي في فرنسا في الثلاثينيات ، وبالتغيير العميق الذي أحدثه في مفاهيم التحليل النفسي ومناهجه . درس لاكان الطب ، وحصل على دكتوراة الدولة عام ١٩٣٢ في أطروحة عبّرت عن سَعْيهِ إلى الربط بين الطب النفسي والتحليل النفسي . وكانت بعنوان " ذهان البارنويا (الذهان الهذائي) من حيث علاقته بالشخصية " .

خالط الأوساط الأدبية ولا سيّما السريالية منها ، وأسهم في عام ١٩٣٨ في تحرير مجلد الموسوعة الفرنسية التي كان يديرها عالم النفس هنري والون . انضمّ في العام نفسه إلى جمعية التحليل النفسي بباريس ، ولكن اهتمامه بالحياة الفكرية خصوصاً في باريس استمر طوال حياته . وقد استطاع خلال الخمسين عاماً التالية أن يجمع إلى مُمارسته للطب النفسي قراءات واسعة ومُدقّقة في أعمال فرويد ، وفي حقول الفلسفة والأدب واللغويات والرياضيات .

وفي عام ١٩٥٣ بدأ في إعطاء حلقات دراسية منتظمة في جامعة باريس ، أكسبته شهرة واسعة . ثمّ توطدت سمعته بعد نشر مقالاته في كتاب بعنوان " كتابات " (١٩٦٦) .

تعرّض لاكان طوال حياته الفكرية إلى أشد أنواع سوء الفهم وانعدام الثقة خاصة من قِبل الأوساط الطبية النفسية التي من المفروض أنه محسوب عليها ، الأمر نفسه ينطبق على موقف الوسط الثقافي الفرنسي بشكل عام . وكذلك هي وجهة نظر زملائه في البنيوية ، وهذا ما يزيد الحيرة والإرباك في تقييم الخطاب النفسي الجديد الذي أسهب لاكان في عرضه كثيراً . كان يتعمّد أن يسلك هذا النوع من السلوك الغامض ، وبالتالي فهو قد ذهب مختاراً إلى حيث عزلته الخاصة وترفعه المفهومي عن سواه ، وعدم الاستعانة بالوضوح الديكارتي الذي اعتادت المدارس الفلسفية الفرنسية الأخذ عنه والاقتداء به . أعاد لاكان تفسير أعمال فرويد مُتّكِّناً على علم اللغة البنيوي ، كما تطوّر لدى دي سوسير وياكوبسون وغيرهما . وقد اعتبر اللاوعي بنية لغوية ، وأعاد تفسير الكثير من مقولات فرويد حول الغريزة الجنسية من زاوية اللغة ، وعلاقة الدال بالمدلول عند دي سوسير . وإحدى أهم الإضافات التي قدّمها لاكان في تحليلاته النفسية ، اعتماده على اللغة بوصفها مرآة لـ اللاوعي ، ممّا أثّر بدوره في الدراسات اللغوية والأدبية .

والشعار الأساسي الذي أعلنه لاكان يتلخص في عبارة "العودة الى فرويد" تلك العودة النظرية المهمة التي حدثت لاكان آلياتها المعرفية من خلال التوكيد على منظومة اللغة في علاقتها باللاوعي ، واكتشاف أهمية "الدال" في قيادة الوعي الذاتي للشخصية الإنسانية ، والخروج بفرضية جديدة ، أطلق عليها " نظرية المرأة " أو جدلية النظرة والتشويء في المكوّن النفسي للفرد . إن أسلوب لاكان جعل منه عصيًا على الترجمة للغة الإنكليزية مثلاً، فضلاً عن اللغة العربية التي نُقلت له القليل من المقالات التي كُتبت بقلمه ، وعدد لا بأس به من المقالات التي كُتبت عنه . من المفروض أن أطروحات لاكان وأفكاره كانت جديدة بأن تجعل منه واحداً من أهم مفكري العصر ، ومن الناهضين بالخطاب النفسي التحليلي . لكن لاكان أخفق في تحقيق ذلك ، وتدهورت سمعته الطبية ، وتمّ التشكيك بعد ذلك في إخلاصه العلمي . ممّا دفع الرابطة الدولية للتحليل النفسي إلى اتخاذ قرار بتعليق عضويته وطرده منها في عام ١٩٥٩ .

تأثر لاكان تأثراً عميقاً بالفيلسوفين الألمانين هيغل وهايدغر ، ولكنه وجّه اهتمامه إلى أعمال فرويد، فأعاد قراءتها وتفسيرها، وكانت له مداخله مهمة في المؤتمر الرابع عشر لرابطة التحليل النفسي الدولية في مارينباد ، فقدّم نظريته المغايرة عن مرحلة المرأة ، وقد طرحها بوصفها مرحلة من مراحل نشوء الطفل ، يمر بها الطفل من الشهر السادس لولادته إلى الشهر الثامن عشر. وتقوم على ما يقيمه الطفل من اتحاد خيالي مع صورته المنعكسة على المرأة ، وما يرتبط بهذا الاتحاد من آثار معرفية تُسهّم في تطوّر عالم الطفل، وتؤسّس لتعرّفه على نفسه من حيث هو كائن مُتميّز . التقى في عام ١٩٤٩ كلود ليفي شتراوس ، وهو من رُوّاد البنيوية ، فاطّلَع لاكان بفضل شتراوس على هذا العلم (البنيوية) ، وتبنى بعض أفكاره . يفترض لاكان أن الأنا الأعلى هو " الرمزي "، مجال النظام والقانون ومكان الخطاب الأبوي، وأن الأنا هو المتخيّل مكان الوهم والحقيقة، والتغيّر، والهُو ليس له مكان إلا مجازاً ، ويُطلق عليه لاكان اسم الواقعي . أكّد لاكان أهمية اللغة ودورها الرئيسي في تكوين الشخصية، وبوصفها مرآة اللاشعور، ورأى أن لـ اللاشعور بنية لغوية بالدرجة الأولى ، وعنده أن جوهر اللغة لاشعوري ، وأن اللغة تُكوّن منطلق اللاشعور وماهيته، وحاول إدخال دراسة اللغة في نظرية التحليل النفسي ، فموضوع التحليل النفسي هو اللاشعور، وينبغي أن يُدرّس كما تُدرّس اللغة في ضوء علم اللسانيات، وقد انطلق في نظريته اللغوية من نظرية فرويد في اللاشعور، ولكنه أضفى على البنية اللاشعورية هذه طابعاً لغوياً. ونظريته إجمالاً تألّف حي بين علم النفس وعلم اللغة تحت شعار العودة إلى فرويد .

جاءه لُنْدُن والصراع الطبقي

وُلد الروائي الأمريكي جاك لُنْدُن (١٨٧٦ _ ١٩١٦) في سان فرانسيسكو ، وعاش مع أمّه بعد أن هجرهما والده ، وكانت والدته مُدرّسة موسيقى . وكان والده كاهنًا يمتهنّ التنجيم وقراءة الغيب، ولهذا يُعرّف لُنْدُن في الأدبيات الاشتراكية والماركسية بأنه يتحدّر من الشريحة البرجوازية الصغيرة ، ويعمل في خدمة الكادحين .

تجرّع لندن مرارة الحياة، وامتهن أعمالاً مختلفة، من صحافة، وعامل في المعامل ، والشرطة البحرية ، وقبطان سفينة ، وطالبًا ، ومُراسلاً صحفياً ، وعامل منجم وسواها .

انضمّ لندن إلى جماعة " الاشتراكيين العموميين " الذين شكّلوا حلقات دراسية لدراسة بيان الحزب الشيوعي، وكتابات ماركس وكانت ونيتشه وسبنسر . كما انتدبت أحزاب ومنظمات اشتراكية لتمثيلها في أعمال المجالس البلدية، وشارك في اجتماعات الاشتراكيين في أمريكا بخطاباته الثورية. وقد مات بسبب الإجهاد الشديد والمرض والإدمان على الكحول والانهيار الروحي، وقد بلغ ٤٠ عامًا ، ويقال إنه قد انتحر .

يُرَكِّز لندن في كتاباته على أن الصراع الطبقي بين العمال والرأسماليين أمر لا بد منه، وهو يُروّج طوال عمره للأفكار الاشتراكية ، والثورة العُمّالية القادمة . وكان ينتقد باستمرار النظام الرأسمالي، ويفضح القوانين اللاإنسانية الجائرة ، ويفضح صفات الرأسمالية وجشعها اللامحدود . وكان يدعو إلى تجديد روح الاشتراكية دومًا، وإلى حماية البيئة وجمال الطبيعة الواهبة لسعادة الحياة وبهجتها . لقد تنوّعت الثيمات في كتاباته التي اشتركت كلها في مُقارَبة مسألتي علاقة الإنسان بالطبيعة، وعلاقة الفرد بالمجتمع .

وقد كتب قصص مغامرات أبطالها حيوانات، مثل : رواية " الناب الأبيض " (١٩٠٥) . ويعتبر لندن أن رواية " أهالي قعر المجتمع " من أفضل كتاباته، وهي قصة مكتوبة وفق المدرسة الطبيعية عام ١٩٠٣ ، وتدور أحداثها في أحياء فقراء الصفيح في لندن .

أمّا رواية " القدم الحديدية " (١٩٠٨) ، والتي جعلته من أكثر الكُتّاب شعبية عند العُمّال والكادحين والمثقفين ذوي الاتجاهات الاشتراكية ، فهي تصوير لمستقبل البشرية ، ورواية هادفة، تُمثّل أحداثها ثورة المضطّهدين، ونضال العمال الدامي في أمريكا، وتُنبئ باقتراب ظهور الفاشستية في أوروبا .

وهذه الرواية تُعتبر اليوم إنجيل الاشتراكية والاشتراكيين . لقد صوّر لندن فيها حتمية انتصار الاشتراكية وحتمية انهيار الرأسمالية ، والصراع الرهيب الذي لا بد أن يدور بين مُعسكري التقدمية والرجعية، والأساليب الجهنمية التي تلجأ إليها الرأسمالية في صراعها من أجل البقاء.

يرى تروتسكي أن " القدم الحديدية " أفضل وثيقة توضح عملية تشكّل الفاشية، ويعتبرها إطاراً تحليلياً للمظالم التي تتعرض لها البشرية على يد الرأسمالية، وأن بطل الرواية يُمثّل مصير البشرية كلها ، وهي تعاني في عصر عبادة الريح وفظاعة الاستغلال . وثمة نُقّاد لا يستبعدون أن يكون الروائي جورج أورويل قد كتب روايته " ١٩٨٤ " ، تحت تأثير رواية " القدم الحديدية " .

أمّا روايته " ذئب البحر " (١٩٠٤) ، فهي رواية مُغامرة نفسية ، تدور أحداثها حول ناقد أدبي ينجو من تحطم سفينته في المحيط ، ليتم إنقاذه ويقع تحت هيمنة وولف لارسن ، وهو قبطان سفينة قوي وعديم الأخلاق .

لم يكن لندن كاتباً اشتراكياً يُدافع عن العدالة في سبيل مستقبل اشتراكي للبشرية فَحَسَب ، بل كان أيضاً مُبدعاً كبيراً في قصص المغامرات والطبيعة والحيوانات أيضاً .

وقد تركت كتاباته وأفكاره الثورية ومواهبه الإبداعية تأثيراً عظيماً على الأدب ، رغم التناقضات التي انتابته وأفكاره .

تمّ اعتباره مُحرّراً ومُعادياً للديمقراطية الأمريكية ، ومُنعت كتبه من التداول، وصُوِّدَت من المكتبات العامة .

ومع هذا ، فإن الجميع بمختلف مشاربهم الفكرية والسياسية مُتفقون على أن لندن كاتب عظيم ومُبدع كبير ، وظاهرة أدبية بارزة ظهرت في أمريكا في بدايات القرن العشرين .

جان بول سارتر ومازق الوجودية

وُلد الفيلسوف والأديب الفرنسي جان بول سارتر (١٩٠٥ _ ١٩٨٠) في باريس . كان والده يعمل بالجيش ، ونشأت والدته في عائلة من المفكرين والمدرّسين . لم يتعرّف سارتر إلى والده الذي مات بعد خمسة عشر شهرًا من ولادته ، ومع ذلك فقد كان حاضراً من خلال جدّه . وهو رجل ذو شخصية قوية ، قام بتربيته حتى التحق بالمدرسة العامة ، وهو في العاشرة من عُمره . اكتشف سارتر القراءة في مكتبة البيت الكبيرة ، وفضّلها على مُصادقة الأطفال في سنّه . وانتهت هذه الفترة السعيدة عام ١٩١٧ ، عندما تزوّجت والدته بمهندس بحري ، كان سارتر يُغضه كثيراً . بدأ حياته العملية أستاذًا . درس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية . وحين احتلت ألمانيا النازية فرنسا ، انخرط في صفوف المقاومة الفرنسية السرية . عُرف سارتر واشتهر لكونه كاتبًا غزير الإنتاج ، ولأعماله الأدبية وفلسفته المسماة بالوجودية ، والتحاقه السياسي اليسار المتطرّف .

لم يكن سارتر مؤلفًا مسرحيًا محترفًا ، وبالتالي فقد كانت علاقته بالمسرح عفوية طبيعية . وكان يفتقر إلى القدرة التي يتمتع بها المحترف بالربط بين أبطاله . كما كان يفتقر إلى قوة التعبير الشعري بالمعنى الذي يجعل المُشاهد يُلاحق العمق الدرامي في روح البطل . وقد تميّزت شخصياته بالانفصال عنه ، وبُدت وكأنها موضوعات جدال وحوار أكثر منها مخلوقات بشرية . تميّزت موضوعات سارتر الدرامية بالتركيز على حالة أقرب إلى المأزق أو الورطة . ومسرحياته " الذباب " ، " اللامخُرج " ، " المنتصرون " تدور في غرف التعذيب ، أو في غرفة في جهنم . أو تحكي عن طاعون مصدره الذباب . وتدور معظمها حول الجهد الذي يبذله المرء ليختار حياته وأسلوبها كما يرغب ، والصراع الذي ينتج من القوى التقليدية في العالم ، الذي يُوقع البطل في مأزق ، ويحاول محاصرته ، والإيقاع به ، وتشويشه ، وتشويهه . وإذا كان إدراك الحرية ووعيتها هو الخطوة الأولى في الأخلاقية السارتريّة ، فإن استخدامه لهذه الحرية وتصرفه بها (التزامه) هو الخطوة الثانية . فالإنسان قبل أن يعي حُرّيته ويستثمر هذه الحرية هو عدم أو مُجرّد شيء ، أقرب إلى الأشياء منه إلى الكائن الحي . إلا أنه بعد أن يعي حُرّيته يُمسي مشروعًا له قيمته المميّزة . في ستينيات القرن العشرين ، تدهورت صحة سارتر بسرعة . أحرق نفسه من خلال نشاطه الأدبي والسياسي الزائد ، ومن خلال استهلاكه للتبغ والكحول بكميات كبيرة .

وكان يوم ١٠ ديسمبر ١٩٦٤ ، هو اليوم الأكثر دَوْنًا في العالم ، عندما رفض سارتر جائزة نوبل للآداب ، فهو يعتبر أنه لا يستحق أي شخص أن يُكرّم ، وهو على قيد الحياة . كما رفض أيضًا وسام جوقة الشرف في ١٩٤٥ ، وندوة في كوليغ دو فرانس . كانت هذه التكريمات بالنسبة إليه تقييدًا لحريته ، لأنها تجعل من الكاتب مؤسسة . وظلّ هذا الموقف شهيرًا ، لأنه يوضّح مزاج المثقف الذي يُريد أن يكون مستقلًا عن السُلطة السياسية . بعدما وصل لآخر سنوات حياته ، اهتمّ سارتر " بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي " . وكان يُندّد بالأحوال المعيشية السيئة التي يعيشها الفلسطينيون ، " التي تُبرّر اللجوء للإرهاب " ، مُعترفًا بشرعية " دولة إسرائيل " .

وفي عام ١٩٧٦ ، قبل سارتر تكريمًا وحيدًا في حياته ، وهو الدكتوراة الفخرية من جامعة أورشلليم العبرية ، وقد تلقّاها من سفارة إسرائيل بباريس . لقد قَبِلَ هذه الجائزة فقط لأسباب سياسية ، " لخلق رابط بين الشعب الفلسطيني الذي اتّبنّاه وإسرائيل صديقتي " . تُوفّي سارتر في ١٥ أبريل ١٩٨٠ . وقد أثارَ خبر وفاته ضجة كبيرة . وفي ١٩ أبريل ١٩٨٠ ، هرعَ خمسون ألف شخص إلى شوارع باريس للسّير في موكب الدفن ، ولإعطائه التكريم المناسب لشخصه .

دُفن سارتر في مقبرة مونبارناس بباريس (الحي ١٤) في ١٤ أبريل ١٩٨٦ . ودُفنت عشيقتة سيمون دي بوفوار لاحقًا معه في نفس القبر . وُكِّت عليه " جان بول سارتر (١٩٠٥ _ ١٩٨٠) ، وسيمون دي بوفوار (١٩٠٨ _ ١٩٨٦) " . من أبرز أعماله الفلسفية : التَّخَيُّل (١٩٣٦) . تخطيط لنظرية الانفعالات (١٩٣٩) . الوجود والعدم (١٩٤٣) . الوجودية مذهب إنساني (١٩٤٦) . نقد العقل الجدلي (١٩٦٠) . ومن أبرز أعماله الأدبية : الغنيان (١٩٣٨) . الذباب (١٩٤٣) . الغرفة المغلقة (١٩٤٤) .

جان بياجيه وتطوّر تفكير الطفل

وُلد الفيلسوف وعالم النفس السويسري جان بياجيه (١٨٩٦ _ ١٩٨٠) في مدينة نيوشاتيل بسويسرا . كتب مقالته الأولى وهو في الثالثة عشرة من عُمره . كما نشر مقالات عن الرخويات اللاقورية في الخامسة عشرة . وفي الثانية والعشرين حصل على الدكتوراة في علم البيولوجيا . وفي عام ١٩٢١ ، عُيّن مديرًا للدراسات بمعهد جان جاك روسو في جنيف .

نشر بعد ذلك كتابين من أشهر كتبه: اللغة والفكر عند الطفل (١٩٢٣)، والحكم والاستدلال عند الطفل (١٩٢٤) . وقد أوضح بياجيه في هذين الكتابين كيف يتطور تفكير الطفل خلال المراحل العمرية المختلفة. لقد كرّس بياجيه حياته كلها التي زادت عن الثمانين عامًا لدراسة النمو العقلي عند الأطفال حتى أصبح هذا الاهتمام هو المميّز له بين علماء النفس المحدثين بصفة عامة، وعلماء نفس النمو بصفة خاصة. وقد اهتمّ بموضوعات أخرى كثيرة مثل: الدوافع والإدراك ، والتصرفات، والقيم عند الأطفال . ولكن اهتمامه بها كان لبيان ما بينها وبين الذكاء من روابط وعلاقات، أي إن اهتمامه بهذه الموضوعات لم يكن اهتمامًا لذاتها ، بقدر ما كان مُوجَّهًا لخدمة موضوعه الأساسي ، وهو دراسة تطور تفكير الأطفال وإنشاء نظرية في المعرفة التكوينية .

وقد طوّر نظرية التطور المعرفي عند الأطفال فيما يُعرف الآن بعلم المعرفة الوراثية . وأنشأ في عام ١٩٦٥ مركز نظرية المعرفة الوراثية في جنيف ، وترأسه حتى وفاته. يُعتبَر بياجيه رائد المدرسة البنائية في علم النفس . وأثّرت نظريته للتطور المعرفي في كثير من المجالات: علم نفس النمو، والتعليم والأخلاق، والفلسفة ، وعلم المقدمات ، والذكاء الاصطناعي. اعتقد بياجيه أن الأطفال يمرون بأربع فترات للنمو العقلي : فهم يكتسبون في فترة تكوّن الحواس معرفةً أساسية بالأشياء من خلال حواسهم وهي تستمر حتى سن الثانية . وخلال الفترة التحضيرية من حوالي الثانية إلى السابعة يُنمّي الأطفال مهارات مثل اللغة والقدرة على الرسم. وفي فترة العمليات الملموسة من حوالي السابعة إلى الحادية عشرة يبدؤون التفكير منطقيًا فيتعلمون _على سبيل المثال_ كيف يُنظّمون معرفتهم وكيف يُصنّفون الأشياء وكيف يُؤدّون مسائل التفكير. وأمّا فترة العمليات التشكيلية فتستمر من حوالي الحادية عشرة إلى الخامسة عشرة، وفي ذلك الوقت يبدأ الأطفال التفكير واقعيًا فيما يتعلق بالمستقبل، والتعامل مع المعاني المجردة . وهذه المعاني المجردة أفكار تتعلق بالصفات والخصائص المتصورة بصرف النظر عن الأشياء التي تُشير إليها .

كان بياجيه أستاذًا لعلم النفس بجامعة جنيف من ١٩٢٩م حتى وفاته . وزار أقطارًا كثيرة لشرح أفكاره، ولحضور المؤتمرات، وإلقاء المحاضرات. وظل ينتقل بين فرنسا وسويسرا لشغل مناصب متعددة . فقد عمل منذ عام ١٩٢٠ في مخبر بينه سيمون في باريس ، حيث كُلفَ بتقنين اختبارات الاستدلال والبرهنة. وفي عام ١٩٥٢ ، قسّم وقته بين كلية العلوم في جنيف وجامعة السوربون في باريس ، حيث تولى كرسي علم نفس الطفل . وبعدها ترأس الاتحاد العالمي لعلم النفس، وصار مديرًا لمركز علم تكوين المعرفة. وقد ترك التعليم الجامعي عام ١٩٧٣ ، إلا أنه ظل يتابع التأليف. اشتهر بياجيه بنظريته في تكون المعرفة (الإيستيمولوجيا) وتطورها . وقد رفض فيها كلاً من النظريتين الاختبارية والمثالية، وأحل مكانهما نظرية تقوم على فكرة الذات النشطة التي تُنظّم الصور الآتية من الوسط الخارجي في نسقٍ تخطيطي، يساعد على تمثّل الواقع ، وتكوين بُنى عقلية تتطور بصورة مستمرة ، بفعل العمليات التي يُجريها العقل في تعامله مع البيئة .

أعطى بياجيه أهمية للأمور البيولوجية ، إذ رأى أن الدماغ ينمو بحسب برنامج مسبق، ولذا ينبغي عدم دفع الطفل نحو تطور مستعجل . غير أنه لم يُغْمط التدريب والتفاعل الاجتماعي حقهما في التأثير في تطور الطفل . وعُرف بتفسيره الذكاء الذي عدّه شكلاً من أشكال التكيف المتقدم الذي يتطور بوساطة عمليتي الاستيعاب والتلاؤم اللتين يتم تجاوزهما باستمرار ، لتحقيق توازن آني لا يلبث أن يختل ، فتعاود العمليتان دورهما وهكذا . اتّبع بياجيه في دراساته الطريقة العيادية التي تعتمد على مقابلة الأطفال والحوار معهم، وعلى ملاحظتهم بصورة طبيعية مباشرة، بعيداً عن طريقة الدوائر المقنّنة التي تُخضع الأطفال لشروط دقيقة مُصنّعة تحُول دون عفويتهم .

لقد ترك بياجيه أثراً كبيراً في علم النفس عامة، وعلم النفس المعرفي وعلم نفس الطفل على وجه الخصوص . وتعدّ أعماله مصدراً غنياً للتربية، فقد انتقد طرائق التلقين السلبي في التعليم، والطرائق الحداثية، وشدّد على طريقة التعليم الفعّالة أو النشطة التي قال بها ، وتقوم على ضرورة الفعل الذي يمارسه الفرد في الأشياء ليكتشف خصائصها، وعلى العمليات العقلية التي يُضفي الفرد فيها خصائص على الأشياء ، لا تمتلكها الأشياء في ذاتها . وقد أثارت كتاباته ضجةً على النطاق العالمي، سواء للاتفاق معها، أو لنقضها والرد عليها، وأُعيدت التجارب التي قام بها على الأطفال حول اكتسابهم مفاهيم متعددة، وعلاقة ذلك الاكتساب بالتدريب والمرحلة العمرية التي يمرون بها. أنكر بياجيه أن يكون عالم نفس طفولة، كما يُعرّف غالباً، وفضّل أن يُقدّم نفسه بوصفه عالم نفس تكويني ، لأنه وقف حياته العلمية ، بطولها ، للبحث عن كيفية تكوّن المعرفة وتطورها .

جان جاك روسو وتربية النّفس

وُلد الفيلسوف والأديب السويسري جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨) في مدينة جنيف بسويسرا. كانت أسرته من أصل بروتستانتي فرنسي، وقد عاش في جنيف لمدة سبعين عامًا تقريبًا. تُوفيت أمه عقب ولادته مباشرة، تاركة الطفل لينشأ في كنف والده، الذي عُرف بميله إلى الخصام والمشاجرة. ونتيجة لإحدى المشاجرات عام ١٧٢٢، اضطر والد روسو إلى الفرار من جنيف. فتولى عم الصبي مسؤولية تربيته. في عام ١٧٢٨، هرب روسو من جنيف، وبدأ حياة من الضياع، ومن التجربة والفشل في أعمال كثيرة. كانت الموسيقى تستهويه، وظل لسنوات مترددًا بين احتراف الكتابة أو الموسيقى. وبعد وقت قصير من رحيله عن جنيف، وهو في الخامسة عشرة من عمره، التقى روسو بالسيدة لويز دي وارنر، وكانت أرملة غنية. وتحت تأثيرها، انضم روسو إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. ومع أنه كان أصغر منها باثني عشر عامًا، إلا أنه استقر معها بالقرب من مدينة شامبيري، في دوقية سافوي. وقد وصف سعادته بعلاقتها في سيرته الذاتية الشهيرة "اعترافات". ولكن العلاقة لم تدم، فقد هجرها روسو عام ١٧٤٠. وفي عام ١٧٤١، كان روسو في باريس يجري وراء الشهرة والثروة، وقد سعى إلى احتراف الموسيقى. وكان أمله يكمن في وضع نظام جديد للعلامات والرموز الموسيقية كان قد ابتكره. وقدم المشروع إلى أكاديمية العلوم، ولكنه أثار قديرًا ضيقًا من الاهتمام. وفي باريس، اتصل روسو بالفلاسفة، وهي جماعة من مشاهير كُتاب وفلاسفة العصر. وحصل على التشجيع المادي من مشاهير الرأسماليين. ومن خلال رعايتهم، خدم روسو أمينًا للسفير الفرنسي في البندقية خلال عامي ١٧٤٣ و ١٧٤٤. وقد كانت نقطة التحول في حياة روسو عام ١ٷ٤٩، حين قرأ عن مسابقة، تكفلت برعايتها أكاديمية ديجون التي عرضت جائزة مالية لأحسن مقال عن موضوع "هل إحياء النشاط في العلوم والفنون سيؤدي إلى الإسهام في تطهير السلوك الأخلاقي؟". وما إن قرأ عن المسابقة حتى أدرك المجرى الذي ستجّه إليه حياته. وهو مُعارضة النظام الاجتماعي القائم الذي كان يشعر بالاستياء منه كثيرًا، ما بين طبقة غنية تهتم بالبدخ والمظاهر والتفاخر، وطبقة كبيرة من الفقراء المُعْدَمين. وقرّر أن يُمضي بقية حياته في بيان الاتجاهات الجديدة للتنمية الاجتماعية. قدّم روسو مقاله إلى الأكاديمية تحت عنوان: "بحث علمي في العلوم والفنون" عام ١٧٥٠، حمل فيه على العلوم والفنون لإفسادها الإنسانية. ففاز بالجائزة، كما نال الشهرة التي

ظل ينشدها منذ أمد بعيد ولكنه كان يُفضّل الانعزال والتفكير. تتسم آخر أعمال روسو بالإحساس بالذنب وبلغه العواطف. وهي تعكس محاولته للتغلب على إحساس عميق بالنقص، ولاكتشاف هويته في عالم كان يبدو رافضاً له. وكان عمله الأخير _ الذي اتسم بالجمال والهدوء _ بعنوان " أحلام اليقظة للمتجول الوحيد " (١٧٨٢) الذي نُشر بعد وفاته .

كتب روسو شعراً ومسرحيات نظماً ونثرًا . كما أن له أعمالاً موسيقية من بينها " مقالات كثيرة في الموسيقى " والمسرحية الغنائية (أوبرا) ، ومعجم الموسيقى (١٧٦٧م) ، ومجموعة من الأغنيات الشعبية بعنوان " العزاء لتعاسات حياتي " (١٧٨١) ، فضلاً عن ذلك ، كتب روسو في علم النبات ، وهو علم ظلّ لسنوات كثيرة تتوق نفسه إليه .

كان روسو يؤكّد على استقلالية النّشء ، مع ضرورة أن يكون هذا مقترناً بتوجيه خفي بحيث تتفق ميول النّشء مع ما يُريده المعلم ، وأن يشعر النّشء بأنه هو صاحب الاختيار ، فلا توجد استجابة وتكريس إلا بالشعور بأن المرء حرّ فيما يتعلمه . وقد انتشرت طريقة روسو في تربية النّشء في الدول الأوروبية ، وهي تُعتبر حتى يومنا هذا الطريقة الأساسية في التعليم الحديث .

قام روسو بانتقاد المجتمع في رسائل عديدة . ففي رسالته " بحث في منشأ وأسس عدم المساواة " (١٧٥٥) ، هاجم المجتمع والملكية الخاصة باعتبارهما من أسباب الظلم وعدم المساواة. وفي كتابه "العقد الاجتماعي" (١٧٦٢) _ وهو علامة بارزة في تاريخ العلوم السياسية _ قام روسو بطرح آرائه فيما يتعلق بالحكم وحقوق المواطنين. وفي روايته الطويلة "إميل" (١٧٦٢) ، أعلنَ روسو أن الأطفال ينبغي تعليمهم بأناة وتفاهم . وأوصى بأن يتجاوب المعلم مع اهتمامات الطفل. وحذّر من العقاب الصارم ومن الدروس المملة، مع ضرورة توجيه أفكار الأطفال وسلوكهم.

كان روسو يعتقد أن الناس ليسوا مخلوقات اجتماعية بطبيعتهم، مُعلّين أن مَنْ يعيشون منهم على الفطرة ، معزولين عن المجتمع، يكونون رقيق القلب، خالين من أية بواعث أو قوى تدفعهم إلى إيذاء بعضهم بعضاً. ولكنهم ما إن يعيشوا معاً في مجتمع واحد حتى يصيروا أشراراً. فالمجتمع يُفسد الأفراد من خلال إبراز ما لديهم من ميل إلى العدوان والأنانية .

وفي كتاباته السياسية، رسم روسو الخطوط العريضة للنّظم التي كان يعتقد أنها لازمة لإقامة ديمقراطية يُشارك فيها كافة المواطنين. وكان يعتقد أن القوانين يتعيّن عليها أن تُعبّر عن الإرادة العامة للشعب. وأي نوع من الحكم يمكن أن يكتسب الصفة الشرعية ما دام النظام الاجتماعي القائم إجماعياً .

جان جينيه والتخلي عن الجريمة

وُلد الأديب الفرنسي جان جينيه (١٩١٠ _ ١٩٨٦) في باريس ، لأبوين لم يعرفهما . وحمل لقب أمّه غابريلا جينيه التي تخلّت عنه عند ولادته . وأصبح تحت وصاية قسم المساعدات العامة . وهي وكالة حكومية ، ولعله أمضى معظم طفولته في مَيتِم أو معهد خاص . ولكننا عملياً لا نعرف شيئاً عنه في سنواته الست الأولى . وفي عمر السادسة أو السابعة أُرسِل إلى منظمة مورفان في فرنسا ، لينشأ تحت رعاية عائلة فلاحية .

تميّز جينيه في مؤلفاته بأسلوب مميّز وغني ، حيث واجه في أعماله قضايا الإنسان أمام الشر والألم والشبقية من خلال شخصياته الخيالية ، التي تحمل تناقضات من خلال تصرفاتها وانفعالاتها ومشاعرها داخل عوالم " جحيمية " يُدعِخ خيال الكاتب في وصفها .

تحوّلت حياة جينيه إلى ظاهرة اجتماعية، إلى نوع من الخرافة . أو الأسطورة ممّا صعد ردود الأفعال النقدية تجاهها ، وبخاصة في فرنسا في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين .

وفي رأي سارتر : ((إن شعور الطفل جينيه بالفراغ الغريب ، والمعاناة ، والإحساس العميق بالعمّوز وعدم الاستقرار ، لِكُونِه طفلاً غير شرعي . وخاصة عندما كان يعيش في مجتمع ريفي تعتمد قيمه على ملكية الأرض والإرث الشرعي)) .

وفي العاشرة من عُمره أطلق مجموعة من الكبار على جينيه كلمة " لص " . كانت تجربة صاعقة جعلته يدرك فجأة أنها من " طبيعته الشريرة " ، وزاد من مأساة تلك التجربة قبوله إدانة الآخرين له ، وتسليمه بقبول ما يراه العالم " إنه شخص لا بد أن يكون رديئاً " . وتوجّه تدريجياً إلى ممارسة الشر والجريمة والقيام بعدة سرقات . وخلال الفترة (١٩٣٣ _ ١٩٤٢) عاش جينيه حياة الفقر والتشرد ، متنقلاً في عدة بلدان أوروبية ، وأمضى فترات متكررة في السجن ، وألقت به مغامراته إلى الإجمام . مارس السرقة ، وباع نفسه من أجل البقاء ، واتصل بأصحاب السوابق والساقطات والقَتلة ، الذين وظّفهم بعد ذلك نماذج لشخصياته ، وامتأّت حياته بالأحداث وتجارب السجن ، وأخذت تُلقِي بظلالها عليه .

بدأ الكتابة ، وأنتج معظم أعماله في زنزانة السجن . وبشكل خاص " الرّجل الذي حُكم بالإعدام " ، وهي قصيدته الطويلة التي نشرت عام ١٩٤٢ . وروايته الأولى " سيّدتنا ذات الأزهار " التي نُشرت أول مرة في مونت كارلو على نفقة شخص غير معروف .

كان كوكتو أول من اكتشف جينيه ، وأصبح مُعجَّبًا بأعماله الأدبية . وفي عام ١٩٤٢ ، التقى جينيه سارتر ، وتوطدت صداقة طويلة بينهما مبنية على عشق الحرية والاحترام المتبادل . ولولا المساعدة الأدبية والفكرية من سارتر ، فإن جينيه ما كان ليُحقّق نجاحه السريع والأمن المالي النسبي الذي بدأ يتمتع به في الخمسينيات .

وفي عام ١٩٤٨ ، حُكِم عليه بالسجن مدى الحياة ، لأنه اقترف عدة جرائم سرقة ولعدم إمكان إصلاحه . ولكن بتدخل من صحيفة " النضال " ومجموعة من الكُتّاب يقودهم كوكتو وسارتر مُنح العفو الرئاسي . وبعد إطلاق سراحه من السجن عام ١٩٤٨ ، قرّر جينيه التخلي عن الجريمة تمامًا .

وفي عام ١٩٧٠ ، انتقل جينيه إلى الولايات المتحدة متحدّثًا باسم الشُّود في كل مكان ضد العنصرية البيضاء . وفي الأول من أيار ١٩٧٠ ألقى خطابًا حادًا ضد الحكومة الأمريكية في حرم جامعة ييل .

كتب جينيه وطَبِع معظم أعماله الشعرية والنثرية خلال الفترة (١٩٤٤ _ ١٩٥٦) ، ونشر سيرته الذاتية بعنوان "يوميات لص" . كما نشر عدّة مسرحيات ، من أبرزها "الخادمات" (١٩٤٧)، و " جرس الموت " (١٩٤٨) .

بدأ جينيه الكتابة في عُمر الثانية والثلاثين ، أو الثالثة والثلاثين ، تَحَدّيًا ضد نزيل سجن آخر ، الذي كتب القصائد ، وحاول أن يُبرهن بها على موهبته للسُجناء الذين كانوا يحتقرونه .

وثقافته الأدبية الوحيدة مستمدة من روايات شعبية ، وقصص بوليسية حصل عليها من مكاتب السجن . وقد يكون تعلّم نظم الشُّعر من رينيه بوكسويل ، الشاعر الشعبي الذي كان جينيه يُساعده .

جان دو لافونتين والقصص الخرافية

وُلد الكاتب الفرنسي جان دو لافونتين (١٦٢١ – ١٦٩٥) في بلدة شاتو تيري في منطقة شامباين التي تقع في شمال شرق فرنسا. كان والده مسؤولاً عن حماية الغابات والممتلكات الحكومية في دوقية شاتو تيري . وكان لديه ثروة معقولة .

تلقى لافونتين— وهو الابن الأكبر لأسرته — تعليمه في المدرسة الثانوية الفرنسية ، وهي مدرسة لتعليم قواعد اللغة، في مدينة ريمز الواقعة في شمال شرق فرنسا. وفي أواخر أيام دراسته في المدرسة، التحق بأبرشية أوراتوري في مايو ١٦٤١ . ثم بالمعهد اللاهوتي في أكتوبر من نفس العام. ولكن أثبتت له إقامته القصيرة في هذه الأماكن أنه أخطأ اختيار المستقبل المهني الذي يجب أن يسلكه. ويبدو أنه اتَّجه بعد ذلك لدراسة القانون ، ويُقال إنه قد تم قبوله في مهنة مُحام. على الرغم من ذلك ، استقرت حياة لافونتين الأسرية في وقت مبكر من حياته . ففي عام ١٦٤٧ ، تنازل له والده عن منصبه — كمسؤول عن حماية الغابات والممتلكات الحكومية الخاصة بدوقية شاتو تيري — وقام بالترتيبات اللازمة لزواج ابنه من ماري هيريكار ، وهي فتاة في سن الرابعة عشر، منحتة عشرين ألفاً من الجنيهات، كما كان زواجه منها يعني توقع الفوز بإرث أكبر. لم تتضح معالم مستقبله الأدبي حتى ناهز الثلاثين من عُمره. ويُقال إن الأعمال التي قرأها للشاعر والناقد الفرنسي ماليرب كانت هي التي أطلقت شرارة الخيال الشعري في وجدانه ، ولكن لافونتين استمر في محاولات أدبية لا قيمة لها .

بلغ لافونتين الثالثة والأربعين من عُمره ، وكانت أعماله التي تم نشرها بالفعل قليلة الأهمية نسبيًا . وكان الكثير من أعماله يتم تداولها في نُسخ مكتوبة بخط اليد ، قبل أن تتم طباعتها بصفة منتظمة . في عام ١٦٨٢ ، كان لافونتين — الذي كان يناهز الستين عامًا في ذلك الوقت — قد أصبح واحدًا من أشهر الأدباء الفرنسيين .

يمكن تقسيم أعمال لافونتين إلى ثلاثة أقسام رئيسية : ١— القصص الخرافية، ٢— النوادر والحكايات، ٣— الأعمال الأخرى التي تتناول موضوعات متنوعة . ومن بين هذه الأقسام، يُعتبر القسم الأول هو المعروف منها عالميًا. أمَّا القسم الثاني فيعرفه فقط مُحبِّي الأدب الفرنسي، ودخل القسم الثالث من أعمال لافونتين في دائرة النسيان باستثناء بعض الأعمال القليلة التي تنتمي إليه .

تظهر براعة لافونتين في عمله " الخرافات " أكثر من أي نوع آخر من أعماله. وسار الكثيرون على نفس درب لافونتين في كتابة القصة الخرافية ، خاصةً ما يُحكى منها عن الوحوش ، وتدور على ألسنة الحيوانات .

كانت المجموعة الأولى عبارة عن ١٢٤ قصة من تلك القصص الخرافية . وقد ظهرت في ١٦٦٨ . وفيها احتذى لافونتين حذو من سبقوه في كتابة هذا النوع من الأعمال مقترباً جداً من أعمالهم ، ولكنه تحرّر من قيود الالتزام بأسلوبهم في المجموعات التالية ، وهي المجموعات التي تظهر فيها عبقريته الحقيقية .

ويجب أن يُنظر بعين الاعتبار إلى جرأة أفكاره السياسية بالإضافة إلى مهارته وطرحه لأفكاره عن الأخلاق . كذلك ، يتّضح في سياق سرده القصصي إداركه التام للطبيعة البشرية، وتمكنه الفني من صياغة أفكاره. وأحياناً، يتم الاعتراض على أن نظرة لافونتين للشخصية الإنسانية مظلمة بشكل غير مقبول .

لقد أصبحت أعمال لافونتين مشهورةً ومنتشرة ، وصارت كُتبه يتم تداولها بشكل واسع ، داخل فرنسا وخارجها ، لأغراض تعليمية للأطفال أو للكبار من الأجانب، بغرض تعليمهم اللغة الفرنسية .

يُعتبر لافونتين أشهر كاتب قصص خرافية (القصص التي تدور أحداثها على ألسنة الحيوانات والطيور) في تاريخ الأدب الفرنسي . يقول عنه فلوير إنه الشاعر الفرنسي الوحيد الذي استطاع أن يفهم تراكيب اللغة الفرنسية ، ويتمكن من استخدامها قبل عصر هوغو .

وقد قامت فرنسا في عام ١٩٩٥ بإصدار مجموعة من الطوابع البريدية احتفاءً منها بشخصية لافونتين ، ومجموعة أعماله المعروفة باسم " أساطير لافونتين " .

كذلك ، تم عرض فيلم عن حياته في فرنسا في أبريل من عام ٢٠٠٧ ، وكان بعنوان " جان دو لافونتين ، الجريء " .

جان راسين والتراجيديا الكلاسيكية

وُلد الأديب الفرنسي جان راسين (١٦٣٩ _ ١٦٩٩) في لا فيرتي ميلون ، وهي مدينة فرنسية صغيرة . ونشأ في دير بور رويال . وفي العشرين من عمره انتقل إلى باريس ، واستقر فيها حتى وفاته .

تُوِّفَت والدته وهو في الثالثة من عُمره ، ووالده وهو في الخامسة، وتعهدهته جدته الأرملة التي اصطحبته معها للعيش في كنف عمته الراهبة في دير بور رويال، الذي اشتهر بأنه معقل الجَنَسِينِيَّة (نسبة إلى المطران البلجيكي جانسينيوس الذي استوحى تعليماتها من أفكار القديس أوغسطين). وهي طائفة مسيحية متشددة دينياً متشائمة وسلفية، لم تتأقلم مع تطورات العصر، تَمَّت ملاحظتها من قِبَل الحكم الملكي المطلق في مرحلة لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر .

تأثرت شخصية راسين بهذا الوسط، وخاصة في ما يتعلق بمفهومي الخلاص والنعمة ، واكتسب هناك معارف في اللغات اليونانية واللاتينية والآداب. ويبدو أن موقفه من جماعة بور رويال كان مُلتبساً نوعاً ما، فقد كتب في نهاية حياته دراسة عنها، وأوصى بدفنه في مقبرة الدير مع أنه كان قد قطع علاقته نهائياً به منذ عام ١٦٦٦ . وكان ارتباطه بالقصر الملكي والملك لويس الرابع عشر وثيقاً في هذه المرحلة . وَسَمِيَ منذ عام ١٦٧٧ المؤرِّخ الرسمي للملك .

تبقى تفاصيل شخصية راسين نادرة، إذ ليس هناك من تفسير واضح لعلاقاته المضطربة مع مختلف الجهات التي انتمى إليها أو تعامل معها . وهناك دراسات عدَّة تُحاول سَبْر هذه الشخصية في دراسة الشخصيات الذكورية والأنثوية في مسرحه .

بدأ راسين كتابة الأدب والشعر منذ عام ١٦٥٨ ، ثم بدأ كتابة المسرح في فرقة موليير عام ١٦٦٤ ، وكتب في عامين مسرحيته " الطيبة " التي قَدَّمَتها فرقة موليير، ثُمَّ مسرحية " الإسكندر الكبير " ، التي قَدَّمَهَا إلى الفرقة المنافسة ، مِمَّا أدى إلى قطع علاقته نهائياً مع موليير .

بدأ نجاحه في المجال المسرحي منذ ذلك التاريخ ، فقد كتب في عشرة أعوام إحدى عشرة مسرحية وملهاة واحدة هي " المتقاضون " ، ثم توقف عن كتابة المسرح نهائياً بعد مسرحية " فيدرا" عام ١٦٧٧ . ولكن نزولاً عند رغبة مدام دي مانتونان المقربة من البلاط والكنيسة ، ومديرة مدرسة البنات الأرستقراطيات ، كتب راسين مسرحيتين لهما طابع ديني تربوي هما " إستر " عام ١٦٨٩ ، و" أتالي " عام ١٦٩١ .

يُعتبر راسين مؤسس المأساة الجديدة التي تقوم على تقليد القدماء ، وارتبط ارتباطاً مباشراً بالتيار الاتباعي الجديد الذي سادَ في فرنسا خلال القرن السابع عشر. ولهذا ابتعد عن طرح المشاعر الرقيقة والمُثل البطولية المرتبطة بتقاليد الفروسية والباروك، ليدخل أكثر في تحليل العنف والهواجس التي تعصف بالروح البشرية .

تعتمد مآسي راسين منطق البساطة والتجانس اللذين يطبعان المذهب الاتباعي عامة ، فبنى مسرحياته وفق مبدأ الوحدات الثلاث (المكان والزمان والفعل الدرامي)، ويمكن أن تُصنّف ضمن المسرح الفقير من حيث تسلسل الأحداث وغياب التعقيد ، لكنها تحمل غنى كبيراً في تحليل السلوك البشري ، وتُشير إلى قدرة كبيرة على تحليل النفس البشرية وأهوائها ، وحَوّل الصراع الموجود في المسرح اليوناني من كونه صراعاً خارجياً، إلى صراع داخلي يتم على مستوى العواطف والرغبات . وهو عندما يرسم المصير المأساوي للبطل يبتعد تماماً عن المنطق القدري المعهود في المسرح اليوناني والروماني، حتى عندما يقول إنه يستوحي مسرحياته من هذا الأدب، ليُحمّل مأساته بُعداً مبنياً على فكرة المسيحية الخالصة ، وعلى الشعور بالذنب أمام أي خرق للعالم الصارمة السائدة في تلك المرحلة .

كتب راسين عدّة مسرحيات من التاريخ الروماني ، مثل : " برتانيكوس " (١٦٦٩) ، وكذلك " بيرينيس " (١٦٧٠) التي حقّقت نجاحاً كبيراً ، وخاصة شعر الرثاء فيها . وأتبعها بمسرحية "بايزيد " (١٦٧٢) . وقد انتخب بعد ذلك عُضواً في الأكاديمية الفرنسية . وتابع نجاحه في المسرح عندما قدّم المأساتين " ميتريدات " (١٦٧٣) ، و"إيفيجيني " (١٦٧٤) التي يعود فيها إلى موضوعات المسرح اليوناني ، وخاصة أعمال أوريبيديس .

لم تنقطع شهرة راسين على مدى الزمن ، ومازال مسرحه يُقدّم باستمرار في فرنسا، وبمنظور جديد كل مرة، ويتنافس كبار الممثلين والممثلات على أداء أدوار مسرحياته ، وإلقاء المقاطع الشعرية التي تُميّز هذه النصوص لغوياً ، وتُمنح الممثل فرصة كبيرة لإثبات قدراته . إن جان راسين يُعدّ من أهم كُتّاب المسرح الفرنسي . كتب المأساة مُقلّداً القدماء إلا أنه أعطاها بُعداً فلسفياً دينياً مختلفاً عن المنظور اليوناني الروماني القديم، لذلك تُعتبر مسرحياته محطة هامة في تاريخ المأساة الاتباعية (التراجيديا الكلاسيكية) في القرن السابع عشر .

جان فرانسوا ليوتار وما بعد الحداثة

وُلد الفيلسوف الفرنسي جان فرانسوا ليوتار (١٩٢٤ _ ١٩٩٨) في فرساي العاصمة التاريخية لفرنسا. درس الابتدائية في مدرسة بوفون وولويس العظيم في باريس . ودرس الفلسفة في جامعة السوربون. وكانت أطروحته لدرجة الماجستير بعنوان " اللامبالاة كمفهوم أخلاقي " . بعد تخرُّجه شغل منصب بحثي في المركز القومي الفرنسي للبحث العلمي. وفي عام ١٩٥٠ ، شغل وظيفة مُدرِّس الفلسفة في قسنطينة شرق الجزائر ، وحصل على الدكتوراة في الأدب . بدأ ليوتار حياته السياسية ماركسيًا ، وانضم إلى جماعة تُعرَف باسم الاشتراكية في عام ١٩٥٤ والتي سعت إلى إخضاع الماركسية لنوع من النقد الذاتي الداخلي ، والمراجعة الفكرية الشاملة لبعض مقولاتها الأساسية ، باعتبار أن تحليل تروتسكي لظهور أنواع جديدة من الهيمنة في الاتحاد السوفييتي غير كاف .

وبذلك كان ليوتار فردًا من مجموعة واسعة من المثقفين الماركسيين والشيوعيين الذين انتقدوا وعبروا عن شجبهم للممارسات السياسية والمواقف الفكرية للحزب الشيوعي الفرنسي بعد الحرب العالمية الثانية .

عمل ليوتار مراسلاً للصحيفة الصادرة عن الجماعة نفسها في الجزائر ، وبذلك كان قريبًا جدًا من أحداث حرب الجزائر في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين. وكشفت مقالاته الصحفية آنذاك عن الفجوة الفكرية والسياسية بين الماركسية الأرثوذكسية وفكره السياسي والنظري .

مال ليوتار إلى المساءلة والتشكيك بالمبادئ الماركسية ، وكان اعتراضه ينصب على طريقة تعامل الحزب الشيوعي الفرنسي مع الحرب في الجزائر بوصفها ثورة البروليتاريا ضد الرأسمالية، بينما كانت في الواقع ثورة فلاحين ومزارعين ، لا علاقة للتحليل الماركسي للصراع الطبقي في المجتمع الصناعي الحديث بها . كما رفض ليوتار موقف الحزب الشيوعي من انتفاضة الطلبة في فرنسا عام ١٩٦٨ التي لعب فيها دورًا كبيرًا ، وجاء مساندًا للمؤسسات وللحكومة، وفي نفس الفترة أعلن خروجه على الماركسية بعد أن انفرط عقد جماعة الاشتراكية، التي تركها عام ١٩٦٤ ، وانضمَّ إلى جماعة يسارية أخرى ، وتركها أيضًا في عام ١٩٦٦ . ثم انشق نهائيًا عن الماركسية مع ظهور كتابه " الاقتصاد الليبرالي " في عام ١٩٧٤ .

درّس ليوتار الفلسفة في قسنطينة في الجزائر . وفي بداية السبعينيات بدأ ليوتار التدريس في جامعة باريس السابعة حتى عام ١٩٨٧ ، عندما أصبح أستاذاً فخرياً .

ألقي المحاضرات خارج فرنسا ، بصورة أساسية كأستاذ للنظرية النقدية في جامعة كاليفورنيا ، وكأستاذ زائر في عدد من الجامعات حول العالم من بينها : جامعة جون هوبكنز ، جامعة كاليفورنيا بيركلي . جامعة ييل ، جامعة ستوني بروك ، وجامعة كاليفورنيا بسانت ديجو ، وجامعة مونتريال في كوبيك بكندا ، وجامعة ساولو باولو البرازيلية . وهو أيضاً مدير مؤسس وعضو مجلس المعهد العالمي للفلسفة بباريس .

اشتهر ليوتار بأنه أول من أدخل مصطلح " ما بعد الحداثة " إلى الفلسفة والعلوم الاجتماعية ، وعبر عنها في أواخر سبعينيات القرن العشرين ، كما حلل صدمة ما بعد الحداثة على الوضع الإنساني . وساهم مع كل من جاك دريدا وفرانسوا تشالي وجيل دولوز في تأسيس المعهد العالمي للفلسفة .

إسهام ليوتار الرئيسي في الفلسفة هو نقده للحداثة ، وكتابته عن سقوط الأيديولوجيات الكبرى التي يُسمّيها السرديات الكبرى ، ومن خلالها ينتقد فكرة التنوير نفسه ، لأن كل هذه الأيديولوجيات من نتاج التنوير ، وكلها كان لها هدف واحد هو التحرر وتحقيق سعادة الإنسان ، ولكن يرى ليوتار أنها سقطت وفشلت فشلاً ذريعاً ، ويدعو للخروج من هذه الحداثة التي أدّت إلى الهولوكوست ، وهيروشيما ، وناغازاكي .

وُجّهت لجان فرانسوا ليوتار انتقادات تركز على أنه متشائم جداً بخصوص الحداثة ، ولا ينظر إلا للجزء الفارغ من الكوب ، مثل كل المفكرين ذوي الخلفية الماركسية الذين انتقدوا التنوير ، والحداثة خاصة ، مثل رواد النظرية النقدية ومدرسة فرانكفورت . فإذا كانت الأيديولوجيا الشيوعية قد سقطت ، فالديمقراطية الليبرالية لم تسقط ، ويرى كثيرون أنها الآن أقوى مما كانت عليه ، ولا يزال لديها الكثير لتقدّمه لصالح أهداف التنوير .

عاد ليوتار بصورة متكررة إلى مفهوم ما بعد الحداثة في مقالات ، تمّ جمعها بالإنجليزية تحت عناوين : شرح ما بعد الحداثة للأطفال ، ونحو ما بعد الحداثة ، وقصص ما بعد حداثيّة للأطفال . تُؤفّي ليوتار بينما كان يُجهّز نفسه لمؤتمر علمي حول ما بعد الحداثة والإعلام بصورة فجائية متأثراً بإصابته بمرض سرطان الدم (اللوكيميا) الذي تفاقم بسرعة شديدة ، وذلك في عام ١٩٩٨ ، وقد نُشر كتابه الذي لم يكتمل عن " القديس أوغسطين " في نفس العام .

جان ماري غوستاف لوكليزيو والعزلة الاختيارية

وُلِدَ الروائي الفرنسي جان ماري غوستاف لوكليزيو (١٩٤٠ _ ...) في مدينة نيس الفرنسية ، وقد قضى سنتين من طفولته في نيجيريا ، وقام بالتدريس في جامعات في بانكوك وبوسطن ومكسيكو سيتي . أَلَّفَ ما يزيد على أربعين عملاً . وفي عام ٢٠٠٨ ، فاز بجائزة نوبل للآداب عن أعماله طوال حياته ، وبصفته " مؤلف لمغامرات جديدة وشاعرية ، ومُتعة حسية . مستكشف للإنسانية خلف وتحت الحضارة الحاكمة " .

وكان قد اشتهر عام ١٩٨٠ ، بعد نشر رواية " الصحراء " ، التي اعتبرتها الأكاديمية السويدية تُقدِّم " صُورًا رائعة لثقافة ضائعة في صحراء شمال أفريقيا " .

تُعتبر رواية " الصحراء " واحدة من أهم روايات لوكليزيو ، وقد أحدثت طفرة هائلة في عالم الكتابة . وفازت الرواية بجائزة بول موروند الكبرى من أكاديمية اللغة الفرنسية في عام ١٩٨٠ .

وهذه الرواية عبارة عن قصتين مُتشابكتين: القصة الأقصر تحدث تحديدًا في الفترة (١٩١٠ _ ١٩١٢) . وتحدث عن آخر انتفاضة لقبائل الصحراء ضد الحماية الفرنسية على المغرب . والقصة الأطول هي قصة (لالا) ، وتحدث في وقت غير معلوم ، ولكن على ما يبدو بعد الحرب العالمية الثانية . وتصف حياتها في وقت مُبكر في مُدن الصفيح على حافة مدينة مغربية ساحلية غير مذكورة ، وخاصة صداقتها مع الحراطين (الأحرار أصحاب البشرة السوداء) ، والذين يأتون من القبائل الصحراوية مثلها . تروي القصة الوقت الذي قضته في مرسيليا ، وعودتها في نهاية المطاف إلى مدينة الصفيح ، حيث تلد طفلًا من الحراطين .

يُعتبر لوكليزيو مُتعدّد الهويات ومُتشابك الجذور بين الأب البريطاني الذي عمل طبيبًا عسكريًا في أفريقيا ، والأم الفرنسية من جُزر موريسشوس . وقد ظلَّ الروائي طيلة عقود يبحث في التباس الانتماء والهوية ، الذي وجد نفسه فيه . فقد اكتسب الجنسية الفرنسية من أمّه ، وأخذ الجنسية الإنجليزية من والده . وكان يشعر بأنه مُزدوج ، وهذا منحه شعورًا بالغربة . ولطالما رغب بالتخلص من هذا الشعور . لقد كان بحاجة إلى هوية مُحددة بشكل حاسم .

يرفض لوكليزيو الظهور في الإعلام ، فهو صامت ومُنعزل ومُتأمل ، ويعتبر الإنسان مجموعة من المكتسبات الثقافية ، والإرث العائلي ، والمتغيّرات الفكرية ، وتجارب العيش في بلدان وأوضاع مُتغيّرة ، وخيارات شخصية ، وكشوفات وأحلام مُتحقّقة أو متهاوية .

وقد صرّح في مؤتمر صحفي عقب فوزه بجائزة نوبل : ((أنا معنيّ بكتابة الروايات فَحَسْب ، الأدب شغفي الكبير ، والكتابة أهم وسيلة لمخاطبة العالم ، وليس علينا أن نُكثِر من الكلام أمام الإعلام ، لأن المرء قد يقول أشياء غير دقيقة)) .

يمتاز إبداع لوكليزيو بعمق إنساني ، وفيوض شعيرية دقّاقة ، وتجريب مُمتع ، ممّا جعل أعماله تُحقّق فنية في صياغاتها وتفردّها الأسلوبية الذي تجاوز ما أنجزته موجة الرواية الجديدة في فرنسا ، ليُحقّق الرواية المفتوحة على الشعر والوثيقة واليوميات والتجديد اللغوي .

احتفى لوكليزيو في معظم أعماله بمرحلة المراقبة التي تُشكّل وجدان المرء عبر الأخطاء والتجارب والمآزق والأحلام ، وجعل من الملاحظات وبخاصة الفتيات الغريبات المهاجرات بطولات للعديد من قصصه ورواياته .

يُعتبر لوكليزيو أن السمة الأساسية للرواية هي أنها غير قابلة للتصنيف ، لأنها تتناول كل شيء يمكن تصوّره. وبعبارة أخرى ، إن الرواية طراز أدبي يتشكل من خلطة مشتبكة من الأنواع الأدبية، وهي أقرب إلى كتلة مختمرة من الأفكار التي هي في النهاية انعكاس للعالم الذي تتصارع فيه أقطاب متعددة ومتنافرة .

كما أنه يُعتبر الثقافة الغربية المعاصرة كتلة متراصة واحدة الاتجاه والهدف ، فهي تضع أعظم قدراتها الممكنة في جانبيها الحضري والتقني ، وهي بهذا الفعل تمنع تشكّل وارتقاء أنماط أخرى من التعبير ، مثل القناعات الدينية البدائية والأحاسيس الفطرية .

وقد أدى هذا الحال _ حَسْب لوكليزيو _ إلى غض الطرف عن ذلك الجانب الخفي غير المستكشف وشديد الشراء من الكائن الإنساني تحت غطاء ثقل من ستار العقلنة . وإن إدراكه لهذه الإشكالية هو ما دفعه باتجاه البحث عن ثقافات أخرى في أماكن مختلفة من هذا العالم .

من أبرز رواياته : الحمى (١٩٦٥) . الطوفان (١٩٦٨) . العمالق (١٩٧٥) . صحراء (١٩٨٠) . الباحث عن الذهب (١٩٨٣) . الأفريقي (٢٠٠٤) . مُتلازمة الجوع (٢٠٠٨) .

جاو شينغجيان وجبل الروح

وُلد الكاتب الفرنسي من أصل صيني جاو شينغجيان (١٩٤٠ _ ...) في غنزهو في الصين. حصل على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٠ لمجموعة أعماله التي تتميز بأنها ذات صلاحية عالمية ، وذات رؤية لاذعة، وبراعة لغوية . الأمر الذي فتح طرقًا جديدة أمام الدراما والروايات الصينية. وهو أول كاتب " صيني " يُتَوَجَّع بهذه الجائزة العالمية .

وخلال حفل استلامه لجائزة نوبل ، أشاد شينغجيان بالحرية الأساسية للكاتب التي تتحدى السُلطة، وضرورة تثبيت مركزية الفرد في الحياة. وقد أزعج خطابُه السلطات الرسمية في الصين، التي احتجَّت على منحه الجائزة. وفي وقت لاحق، ربطت السلطات الصينية المؤلف بالأدب الفرنسي. تلقَّى تعليمه الأساسي في مدارس جمهورية الصين الشعبية ، وحصل على إجازة في اللغة الفرنسية عام ١٩٦٢ من معهد اللغات الأجنبية في بكين . ممَّا مَكَّنَه مِن اكتشاف موضوعات الأدب الغربي المعاصر وجماله الفني . خصوصًا الأدب الفرنسي الحديث .

وخاض شينغجيان في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، معارك فكرية انتهت به إلى الهجرة إلى فرنسا عام ١٩٨٧ ، حيث حصل على اللجوء السياسي ، ولم يحتفل به الغرب احتفاله بالكتاب الغربيين المنشقين، ومضى شبه مغمور، وامتنع الرسم ليكسب عيشه . وفي عام ١٩٩٨ حصل على الجنسية الفرنسية .

كان والده مصرفيًا ، وأُمُّه ممثلة هابوية . وهي التي دفعت ابنها إلى الاهتمام بفنون الأداء والكتابة في وقت مُبكر جدًا .

أثارت أفكاره التقدمية غضب الحزب الشيوعي الصيني. كما أن نظرياته الأدبية قامت على مواجهة عقيدة الدولة ، وانتقاد الواقعية الثورية التي نادى بها النظام . ممَّا عَرَّضَه إلى انتقادات عنيفة ، واتهامه بالخيانة ، وتَبَيَّنَ مشاريع مُناهضة للدولة والشعب .

كتب شينغجيان مسرحيات مُتأثِّرًا بِكُتَّاب مسرحيين عالميين ، مِن أمثال بريخت وبيكيت ، وأدانَ في مسرحياته سياسة القمع وتكميم الأفواه ، وقَدَّمَ هِجَاءً لاذعًا للمجتمع ، وشَنَّ حملة ضد التلوث الروحي . لذلك ، خضعت أعماله للرقابة ، وتَمَّ توصيف كتاباته بأنها ذات طابع تخريبي .

أثارَ شينغجيان جدلاً كبيرًا ، وجذبَ اهتمام الرأي العام العالمي، بسبب كتاباته ، واضطُرَّ إلى مغادرة بلاده إلى المنفى ، بعد أن تَمَّ اعتباره شخصًا غير مرغوب فيه على الأرض الصينية .

تُعتبر روايته " جبل الروح " (١٩٩٠) أشهر رواياته على الإطلاق ، وهي بمثابة أوديسة في ريف الصين ، حيث يُفتش الكاتب عن جبل على حدود الخيال والحقيقة . وخلال ترحاله الدائم يروي الأسرار والخفايا والحكم التي لا تزال حيّة في الأذهان .

وفي هذه الرواية العديد من القصص المتداخلة والشخصيات المتناقضة ، التي هي في الواقع مرايا لبعضها البعض . إنها عملية الهروب من المدينة ، والتخلي عن الحضارة الفاسدة ، ومحاولة الوصول إلى البلاد التي لا يمكن الوصول إليها . وتظهر تفاصيل التيه غير العادية ، والأساطير ، والأحلام ، والأسئلة الميتافيزيقية . وهذا السعي البشري للجدور والسلام الداخلي والحرية ، يُوسّع وجهات النظر ، ويُزغزع قناعات القارئ .

تعدُّ رواية " جبل الروح " حَجًّا وُجوديًا وروحانيًا ، ووثيقة أدبية لا تُشبه إلا نفسها. إنها سَفَران : سَفَر في الصين الأبدية ، وسَفَر داخلي يلتقي فيه الكاتب بجبل رُوحه من خلال تعدد الأصوات ، والأنواع الأدبية ، والتأمل في الذات . والجدير بالذكر أن هذه الرواية تُذكر الكُتّاب بمسعى الرومنطيقية الألمانية الهادف إلى خلق قصيدة كَوْنية .

كتب شينغجيان رواية "جبل الروح" في سبعة أعوام قبل هجرته ، ولم يَحْظَ إلا بدار نشر فرنسية صغيرة قبلت المخاطرة بنشرها . ويقول شينغجيان إن الأدب وُلِدَ ، أولاً من احتياج الكاتب إلى تحقيق ذاته ، وإن الحديث مع النَّفس هو نقطة بداية الأدب ، وإن الكاتب لا يُعبّر عن نفسه كناطق بلسان الشعب ، ولا كَمُجَسَّد للعدالة ، وإن الأدب لا يمكن أن يكون غير صوت فرد .

دافع شينغجيان عن الحداثة في الأدب ، ودعا إلى تطوير أشكال جديدة في الكتابة ، مثل : تيار الوعي ، والتخلي عن الحبكة ، وتحرير الأسلوب اللغوي من تأثير السياسة .

وبعد أن تُرجمت أعماله ، ونالت قبولاً واستحساناً في السويد ، تشجّع على خوض مغامرة الكتابة مباشرة باللغة الفرنسية ، فكانت أولى أعماله : مسرحية " على قارعة الحياة " .

من أبرز مسرحياته: إشارة الإنذار (١٩٨٢) . محطة الحافلات (١٩٨٣) . الرحلة (١٩٩٢) . على حافة الحياة (١٩٩٣) . المشي الليلي (٢٠١٠) .

ج. ل. رولينغ وإمبراطورية هاري بوتر

وُلدت الروائية البريطانية جوان رولينغ (١٩٦٥ _ ...) في جنوب جلوسيسترشير . تُعرف باسمها الأدبي ج.ك. رولينغ . اشتهرت بتأليفها سلسلة روايات هاري بوتر الفنتازية التي فازت من خلالها بالعديد من الجوائز، وبيع أكثر من ٤٠٠ مليون نسخة من الروايات. وأدرجت ضمن قائمة أكثر الكتب مبيعاً في التاريخ . وبُنيت عليها سلسلة من الأفلام التي بدورها صارت ضمن قائمة أعلى الأفلام دخلاً في العالم .

رولينغ هي امرأة متزوجة ، وأم لثلاثة أطفال . ذكرت مجلة فوربس في عام ٢٠٠٤ أن ثروتها تجاوزت مليار دولار . وبذلك تكون أول مليارديرة في العالم من الكاتبات. وفي أكتوبر ٢٠١٠ تم اختيارها كأكثر النساء تأثيراً في بريطانيا .

حصلت رولينغ على إجازة في الأدب الكلاسيكي من جامعة إكستر، وعاشت في فرنسا فترة بسيطة، عملت مع منظمة العفو الدولية، وانتهى بها المطاف إلى العمل في البرتغال كمعلمة ، حيث التقت بزوجها الأول ، وانتهت هذه الزيجة بالطلاق، ولجوء رولينغ إلى السفارة البريطانية لحمايتها من زوجها السابق. يرى الكثيرون أن إقامتها في البرتغال قد ألهمتها شخصية سالازار سليذرين الساحر الشرير صاحب الميراث المرعب، وأحد مؤسسي هوغوورتس في سلسلة هاري بوتر، والذي يُعتقد أن اسمه الأول مستمد من اسم الدكتور البرتغالي الشهير أنطونيو دي أوليفيرا سالازار . عادت رولينغ إلى بريطانيا، وهناك فُجعت بموت أمها، الأمر الذي أثر كثيراً على حالتها النفسية، فعاشت حالة من الإحباط الكبير، وأقامت في تلك الفترة مع أختها في منزل الأخيرة في إدنبرة . وفي عام ١٩٩٥ بدأت رولينغ بكتابة مغامرات الصبي الساحر هاري بوتر الذي تجلى لها أثناء رحلة في القطار من مانشستر إلى لندن . لم يتحمس الناشر كثيرًا لهذا الكتاب، والناشر الوحيد الذي قبل نشره رفض أن يكتب اسم رولينغ كما أرادت ، جوان رولينغ ، بل استخدم الحروف الأولى، لأنه اعتقد أن القراء سينفرون من قراءة كتاب أطفال كتبه امرأة . لكن الكتاب الأول " هاري بوتر وحجر الفيلسوف " نجح نجاحاً كبيراً ومُبهرًا، فتتالت الكتب، وحقق كل واحد منها أرقاماً مذهلة تزيد عن سابقه، وأُخرجت سبعة أفلام من السلسلة ذات الكتب السبعة . ولكن الجزء الأخير من سلسلة الكتب قُسم إلى جزأين في سلسلة الأفلام ، فكان مجموع الكتب ٧ ومجموع الأفلام ٨، فتكوّنت إمبراطورية هاري

بوتر الضخمة . يُعتَقَد أن كُتِب هاري بوتر قد باعت أكثر من ٤٠٠ مليون نسخة حول العالم، وكتاب الأمير الهجين وحده باع عشرة ملايين نسخة يوم صدوره. أصبحت رولينغ ثرية، تزوّجت من جديد، وأنجبت طفلين آخرين، وصارت واحدة من أكثر الشخصيات تأثيراً ونفوذاً . وبفضل رؤيا جاءت في قطار ، حوّلتها بموهبة فذة إلى سلسلة ناجحة بمختلف المقاييس .

تدين رولينغ بالمسيحية ، وحضرت اجتماع لرعايا كنيسة أسكتلندا في الوقت الذي كانت تكتب فيه هاري بوتر . كما عمّدت ابنتها في الكنيسة نفسها، إلا أن بعض المتدينين انتقدَ ترويج كتبها للسحر .

ذهبت رولينغ عدّة مرات إلى المحكمة، مرات كمدّعية، وأخرى كمدّعى عليها، فقد اتهمها كُتّاب آخرون بالاقتباس منهم، والسرقّة الأدبية، كما اتهمت هي كُتّاباً آخرين بالاقتباس عن سلسلتها، والسرقّات الأدبية، وخرق حقوق الملكية . خرجت رابحة من كل القضايا، فإمبراطورية هاري بوتر تضم مجموعة من أكثر الشركات نفوذاً في العالم . وعلامة هاري بوتر التجارية من أكبر العلامات التجارية المسجّلة في العالم .

تأثرت رولينغ تأثراً واضحاً بالعديد من المؤثّرات ، ومزجت في رواياتها عناصر كثيرة من الأساطير العالمية، كما أنها تأثرت بقوالب مَن سبقوها في مجال الكتب الخيالية . وتستلهم سلسلتها التراث الأوروبي الأسطوري ، كما تتأثر بالعديد من الأساطير الهندية ، والروسية مثل أسطورة كوشيه الذي لا يموت .

تتكوّن سلسلة هاري بوتر من :

- ١_ هاري بوتر وحجر الفيلسوف . صدر في ٣٠ حزيران ١٩٩٧ .
- ٢_ هاري بوتر وحُجرة الأسرار . صدر في ٢ تموز ١٩٩٨ .
- ٣_ هاري بوتر وسجين أزكابان . صدر في ٨ تموز ١٩٩٩ .
- ٤_ هاري بوتر وكأس النار . صدر في ٨ تموز ٢٠٠٠ .
- ٥_ هاري بوتر وجماعة العنقاء . صدر في ٢١ حزيران ٢٠٠٣ .
- ٦_ هاري بوتر والأمير الهجين . صدر في ١٦ تموز ٢٠٠٥ .
- ٧_ هاري بوتر ومُقدّسات الموت . صدر في ٢١ تموز ٢٠٠٧ .

جوتلوب فريجه وتأسيس علم الدلالات

وُلد الفيلسوف وعالم الرياضيات الألماني جوتلوب فريجه (١٨٤٨ _ ١٩٢٥) في فيسمار .
وتُوفّي في باد كلينن بألمانيا .
يُعتبر أشهر من اهتم بالفلسفة التحليلية ومنطق الرياضيات الحديثة . وكان لعمله تأثير كبير في تأسيس فلسفة القرن العشرين .
ويُعدُّ أحد مؤسسي المنطق الحديث ، وأحد أكبر فلاسفة المنطق بعد أرسطو . وقد ابتكر فريجه لغة اصطناعية بواسطة الرموز المنطقية .
درس في جامعة بينا (١٨٦٩) ، ثم درس في جامعة غوتنغن (١٨٧١) . وحصل على الدكتوراة في الرياضيات (الهندسة) من جامعة غوتنغن في عام ١٨٧٣ .
كان فريجه أستاذًا للرياضيات في جامعة بينا ، وحاول أن يبيّن نظامًا رمزيًا يُمكن الإنسان من التعبير عن أفكاره بلغة الرياضيات ، كما حاول أن يبيّن أن علم الحساب إنما هو امتداد لمُدركات منطقية وأن " العلم الرياضي لا يحتاج أبدًا إلى شيء غير ما سبق التسليم به في مجال المنطق الخالص " . وقد استفاد برتراند راسل من النتائج التي توصل إليها فريجه ، وطوّرها ، فقدم بذلك فائدة إلى الاتجاهات التحليلية والوضعية من خلال ما قدّمه في حقل التحليل اللغوي والمنطقي والرياضي . تعود شهرة فريجه إلى كتاب راسل " مبادئ الرياضيات " ، حيث قدّم المؤلف فيه تذيلاً ضمّنه أهم نظريات فريجه المنطقية ، فكان أول بحث منشور يكشف عن عبقرية فريجه وأصالته ، وبقيت أعماله حتى وقت قريب تُقرأ في الترجمة الإنجليزية أكثر ممّا تُقرأ في لغته الأصلية .
ساهم فريجه في تطوير جزء كبير من أبحاث المنطق الرياضي، وكان أحد دُعاة ما يعرف بالمذهب المنطقي ، وهو اتجاه يدعو إلى ردّ تصوّرات الرياضية الأساسية إلى تصوّرات منطقية خالصة ، والذي تبلور في صورته النهائية في كتاب راسل " مبادئ الرياضيات " الذي اشترك فيه مع وايتهيد . اهتم فريجه بالمنطق اهتمامًا خالصًا كاهتمامه بالرياضيات تمامًا ، فدرس المنطق التقليدي، واتّجه نحو إقامة منطق أكثر شمولاً ، فارتبطت الفلسفة عنده بالرياضيات والمنطق ، وكان هدفه إيجاد لغة صورية مثالية، تجنّبًا لشبهات اللغة العادية، تعتمد لغة المفهوم والرمز ، وخالية من أي مفهوم عياني أو تجريبي، كما سعى إلى استنباط المعاني الرياضية من الصور المنطقية في إطار المنطق العام، فأظهر أن الرياضيات الخالصة ليست إلا استمرارًا بالمنطق الاستنتاجي الصوري .

وقد أدى اهتمام فريجه بالمسائل المنطقية الصرفة، وخاصة دراسته لبناء الجمل والقضايا الحملية وماهية الصدق والمعاني والدلالات، إلى تأسيس ما سيُعرف لاحقاً بعلم الدلالات " السيمانطيقا " الصورية .

أصدرَ فريجه كتابه الأول " لغة المفاهيم " (١٨٧٩) . وعمد فيه إلى تطبيق النسق الاستنباطي على الرياضيات ، وإحالة علم الحساب إلى بناء صوري له حدوده الأولية وتعريفاته ومصادره ونظرياته المستنبطة . واستطاع فريجه بدقة تحليلاته المنطقية ودراسته للمنطق التقليدي وكشف عيوبه وخاصة في مسألة القضايا، أن يكشف لأول مرة في تاريخ المنطق اختلاف القضية الحملية عن القضية العامة، وتوصل إلى نقطتين مهمتين : الأولى أن القضية العامة شرطية متصلة، والثانية التمييز بين محتوى الحكم وتقريره. وقد أفضى هذا التمييز إلى موقف عام من المنطق ، أراد فيه تخلص المنطق والرياضيات من أي رواسب سيكولوجية اقترنت بهما .

ورأى فريجه في دراسته أسس وقوانين الحساب في كتابه " أسس علم الحساب " (١٨٨٤) أن الرياضيات تعمل وفق نسق استنباطي، وأن الحساب إنما هو نسق متطور من المنطق، فبذل جهوده لتعريف الأعداد تعريفات منطقية بحتة، رافضاً كل التعريفات السائدة آنذاك عن الأعداد. أسدت أعمال فريجه المنطقية خدمات جليلة للمنطقيين الجدد، وأخذ الاهتمام به يزداد بعد أن طوّر بعض العلماء رمزيته المنطقية .

وقد تأثر فلاسفة كثيرون بنظرية فريجه في حساب القضايا التي تُرادف المنطق الرياضي . وسعى فريجه في مذهبه المنطقي نحو وضع قواعد لنسق سيمائي . وإذا كان المطلوب عمومًا بناء رياضيات العقل البشري ، وتطهير المنطق من النزعة النفسانية، فإن أفكار ومفاهيم فريجه كانت بحق رائدة وأساسية ، تجعل من النسق المنطقي نسقاً مُحكماً يفي بأغراض البحث العلمي .

جورج إليوت والعلاقة بخير الشرعية

وُلدت الروائية الإنجليزية جورج إليوت " اسمها الحقيقي ماري آن إيفانز " (١٨١٩ _ ١٨٨٠) في قرية شيلفرز كوتن في مقاطعة ووركشر في إنجلترا ، لأسرة محافظة من أتباع الكنيسة الميثودية (المنهجية) .

انتمت إلى مدرسة " السيدة ولنغتون للبنات " عام ١٨٢٨ ، حيث تأثرت بإحدى الموجهات التي أسهمت في تعميق نشأتها الدينية ، لكنها اضطرت إلى ترك المدرسة ، واستكمال دراستها في البيت على يد أستاذة اختصاصيين ، بسبب مرض والدتها ووفاتها ، وقد كان لذلك بالغ الأثر في نفسياتها ، ومن هنا وجد الألم الناتج عن غياب عاطفة الأمومة من حياتها طريقه إلى رواياتها .

كانت نقطة التحول الرئيسية في مسار حياتها ، انتقالها مع أبيها من مسقط رأسها إلى بلدة كوفنتري عام ١٨٤١ . وقد أثمر انفتاحها على هذا العالم الجديد صداقات مع بعض المفكرين الراديكاليين (المتطرفين) ، مما أسهم في توسيع مداركها وأفق تفكيرها .

كان أحد معارفها الجدد شارلز هينيل ، صاحب كتاب " تساؤل حول أصل المسيحية " الذي نُشر عام ١٨٣٨ . وقد استحوذَ موضوع الكتاب على اهتمامها ، وأطلق التساؤلات في ذهنها حول الدين ، وتمخضت قراءاتها الكثيرة عن إعادة نظرها في معتقداتها الدينية ، وفقدان انتمائها الديني نتيجة ذلك ، واتخاذها موقف " اللادينية " . وأدّى موقفها هذا إلى تصدّع علاقاتها الأسرية .

وتدأركا منها للآثار السلبية لهذا التصدع ، توصّلت وأسرته إلى حل وسط ، تعيش إليوت بمقتضاه ازدواجية ، تحتفظ بأفكارها التحررية لنفسها ، وتمارس العبادات ظاهرياً فقط أمام الناس في الكنيسة أيام الآحاد .

كانت وفاة والدها عام ١٨٤٩ مبعثاً للخوف من الآثار السلبية التي يمكن أن يؤلدها غياب ما أسمته " التأثير الكابح " ، وخشيت أن تمتلئ الفجوة _ التي خلفها موته _ في كيانها بأفكار شيطانية ورغبات حسية . وانتقلت إلى لندن عام ١٨٥١ حيث شغلت منصب مساعدة رئيس تحرير دورية ذات اتجاه راديكالي تحمل عنوان " وستمنستر ريفيو " .

تعرفت على الناقد والكاتب الصحفي جورج هنري لويس ، عن طريق صديقها الفيلسوف هربرت سبنسر . وكان هذا منعطفاً مهماً في حياتها الشخصية والأدبية ، إذ ربطها بلويس علاقة غير شرعية ، لعدم قدرته على الزواج منها ، بسبب إسقاطه لحقه في الطلاق من زوجته الشرعية .

انطوى اختيار إليوت لعلاقة لا يُقيدها الزواج التقليدي على تحدّد صارخ للأعراف ، ممّا عرضها لحالة نفّي واحتقار من المجتمع الفكتوري والأسرة . وكان لويس مُلهماً لها وحافزاً على إبداعها ، وقد رأى بعضهم أن اختيارها لاسمه الأول واستخدامه اسماً مُستعاراً لها بدءاً من عام ١٨٥٧ ، يُشير إلى إعادة تعريفها الشخصي للعلاقة الزوجية ، وفسّر آخرون استخدامها لاسم رجل بأنه محاولة للهروب من الأحكام القاسية وغير الموضوعية التي يمكن أن يُطلقها مجتمع ذكوري على كاتبة تنتمي إلى الجنس الأنثوي . كان موت لويس عام ١٨٧٨ ضربةً قاسيةً أفقدتها الرغبة في الحياة ، إلا أنها ما لبثت أن تجاوزت الأزمة ، وتزوّجت من جون وولتر كروس ، وهو رجل أعمال ثري يصغرها بعشرين عاماً. شَعرت إليوت بالارتياح لكَوْن علاقتها بالجنس الآخر قد أخذت أخيراً صبغةً شرعيةً ، أمّا المجتمع الفكتوري الذي أقصى إليوت المُتَحَدِّية طويلاً ، فقد وجد صعوبة في قبول موقفها التقليدي الجديد. ودام زواجها ستة أشهر ، وانتهى بموتها ودفنها قرب لويس بعد أن رفضت السُلطات المعنية دفنها في زاوية الشعراء في كنيسة وستمنستر بسبب ماضيها السيئ. من أبرز رواياتها " آدم بيد " ، وهي باكورة إنتاجها الأدبي عام ١٨٥٩ ، وتتمحور الرواية حول تأثير الكنيسة الميثودية في الطبقات الدنيا. وفي هذه الرواية تعترف امرأة بقتل طفلها تحت تأثير سيدة مُتَدَيِّنة . وقد شهد عام ١٨٦٠ مولد روايتها الثانية " الطاحونة على نهر الفلوس " ، ويبدو فيها جلياً تأثير الفكر الدارويني على إليوت ، إذ تتناول الرواية موضوع معركة البقاء . وفي عام ١٨٦١ ، كتبت رواية " سايلاس مارنر " التي تنطوي على موعظة أخلاقية من سردها لقصة حائك بخيل يعيش على هامش بلدة ويعبد الذهب ويكُدِّسه ، ويخضع فيما بعد لامتحان قاس حين يُسرق ذهبه منه .

تكمن أهمية إليوت في اتباعها منهجاً واقعياً في تصوير البيئة ، وفي تناولها للحياة الريفية وكشفها عن عادات الأهالي وطباعهم وأنماط تفكيرهم وتطلعاتهم . والملاحظ أن رواياتها شديدة الإحساس بالمواقف ومُفعمّة بإنسانية بالغة ، كما تكتسب أعمالها أهمية من تحليلها لأثر المناخ الاجتماعي في الشخصية واعتمادها التحليل النفسي الدقيق . وتُركّز روايات إليوت بوجه عام على الصراع بين الواجب والرغبة الفردية ، وعلى سلسلة النتائج السلبية المترتبة على أي اختيار خاطئ ، وقد نحت بالرواية منْحَى جديداً من خلال تأكيدها على مسؤولية الإنسان عن أخلاقياته الخاصة ، وعن اختياراته التي يصنع بموجبها قَدَره . كانت إليوت رائدة المتمرّدات الخارجات على قوانين المجتمع ، ورغم الإعجاب بها وبرواياتها ، دَفعت ثمنًا باهظاً لتمرّدها ، وعاشت معزولةً ، لا تُزور ولا تُزار .

جورج أمادو والمُحاكمة المِجانيّة

وُلد الروائي البرازيلي جورج أمادو (١٩١٢ - ٢٠٠١) في مزرعة بالقرب من مدينة إتابونا الداخلية ، جنوب ولاية باهيا البرازيلية .

يُعتبر واحدًا من أهم كُتّاب البرازيل ، ومن أوسعهم شهرة . منذ أيام المدرسة بدأ الكتابة، وألّف مع عدد من أصدقائه في مسقط رأسه " جماعة الحداثة " .

في عام ١٩٣٥ ، أنهى دراسة الحقوق في ريو دي جانيرو ، ولكنه لم يتسلم شهادته ، لأنه قد دخل حينذاك عالم الأدب، وبدأ يشقُّ طريق النجاح بمجموعة من المؤلفات، منها " بلاد الكرنفال" (١٩٣١) ، و " كاكاو " (١٩٣٣) . و " عَرَق " (١٩٣٤) ، و " بحر ميت " (١٩٣٦) ، و " قباطنة الرمال " (١٩٣٧) .

صارَ أمادو _ بعد انتشار أعماله هذه _ الكاتب المفضَّل لدى شعبه . والسر في هذا النجاح هو تمسُّكه ببعض الأشكال الاتباعية ممزوجة بالصُّعْلَكة ، وطعم التقاليد العريقة في مسقط رأسه ، ولاية باهيا، التي كانت بحواضرها وريفها مسرح كل رواياته ، وكان أناسها أبطاله الدائمين .

انغمسَ في النضال السياسي منذ شبابه المبكر ، إذ انضمَّ إلى الحزب الشيوعي البرازيلي في عام ١٩٢٦ ، إلا أن ذلك لم يؤدِّ إلى صيغ أدبه بصيغة الأدب العقائدي ، إلا في كتاب " عالم السلام " (١٩٥١) ، وفي رواية " أقبية الحرية " المؤلفة من ثلاثة أجزاء ضخمة ، حيث تظهر القوة الإبداعية والقدرة على رسم الشخصيات ، وتصوير المواقف ، وتسرُّعه في الكتابة تحت تأثير المتطلبات الحزبية ، ولكن هذا التأثير يبدو أقل وضوحًا في رواية " فارس الأمل " (١٩٤٢) التي تناولَ فيها سيرة حياة القائد الشيوعي البرازيلي لويس كارلوس برستيس . وكذلك في الروايات الملحمية التي تتحدث عن الصراع بين الإقطاعيين والتُّجار في مناطق زراعة الكاكاو، كما في رواية " أراضي اللانهاية " (١٩٤٢) .

جعلت أنشطته اليسارية حياته صعبة للغاية في ظل النظام الدكتاتوري . وفي عام ١٩٣٥ ، اعتُقِل للمرة الأولى، وبعد عامين تمَّ حرق كتبه علنًا. وحُظِرَت أعماله في البرتغال ، ولكنه اكتسب شعبيةً كبيرة في بقية أوروبا .

في عام ١٩٤٦ ، انتُخبَ لعضوية البرلمان بعدد كبير من أصوات الناخبين . ولكن الحكومة العسكرية ما لبثت أن ألغت شرعية الحزب الشيوعي ، فاضطُرَّ إلى مغادرة وطنه، ليعيش مُتنقلاً

بين فرنسا وإيطاليا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتي، ولم يتمكن من العودة إلى بلاده إلا في عام 1952، وقد حصل في منفاه على جائزة ستالين للآداب، وأصبح عضوًا في الهيئة التي تمنح هذه الجائزة، وبدأت ترجمة كُتبه إلى لغات كثيرة.

عند عودته إلى البرازيل في عام ١٩٥٤، تخلى أمادو عن الحياة السياسية النشطة، تاركًا الحزب الشيوعي. وكرّس نفسه للأدب فقط.

كتب أمادو قبل عام ١٩٥٨ رواياتٍ ماركسية، تعكس تعاطفه مع ضحايا الظلم الاجتماعي، منها رواية "الأرض العنيفة" (١٩٤٢)، ثمّ كتب بدءًا من جابرييلا، الثوم والقرفة (١٩٥٨) بأسلوب أكثر حذقًا، حيث اعتمد على أسلوب الفكاهة الهجائية. ويعتبر الكثير من النقاد "مؤنًا كوينكاس ووتريل" (١٩٦٢) أروع رواياته.

تخلّى أمادو جزئيًا عن الواقعية والمواضيع الاجتماعية لأعماله المبكرة، حيث أنتج سلسلة من الروايات التي تُركّز بشكل رئيسي على الشخصيات الأنثوية، وتُشيد بفرح الحياة وجمالها، وجمال الطبيعة في مسقط رأسه.

وقد كان تصويره للعادات الجنسية في مسقط رأسه فضيحةً وإهانةً للمجتمع البرازيلي في خمسينيات القرن العشرين. وقد تلقى تهديدات كثيرة بسبب الإساءة إلى أخلاق نساء المدينة.

قام أمادو بإسهام مهم في الأدب البرازيلي، لكونه أول كاتب بارز يصف التراث الأفريقي العريض لأُمَّته. وقد هَيَّمنَ هذا الموضوع على روايته البارزة "خيمة المعجزات" (١٩٦٩).

يزيد عدد أعمال أمادو على الأربعين كتابًا، تُرجم معظمها إلى أكثر من ثلاثين لغة، وقد بدأت ترجمة أعماله إلى العربية منذ منتصف الخمسينيات، ولكن ما تُرجم منها حتى نهاية القرن العشرين، لا يزيد على النصف.

تُوفّي أمادو في ٦ آب / أغسطس ٢٠٠١، وانتشر رماده في حديقة منزله بعد أربعة أيام.

جورج أورويل والنقد السياسي

وُلد الروائي الإنجليزي جورج أورويل " اسمه الحقيقي إيريك بليك " (١٩٠٣ - ١٩٥٠) في إقليم البنغال في الهند لأب إنجليزي كان يعمل موظفًا في حكومة الهند البريطانية .

انتقل أورويل إلى إنجلترا عام ١٩١١ ، وانتسب إلى مدرسة داخلية في ساسكس ، ثم حصل على منحة دراسية مكنته من الانتساب إلى كلية إيتون ، وهي من أكثر المؤسسات التعليمية شهرة في بريطانيا . وقد ظهرت في مدة دراسته هناك (١٩١٧ - ١٩٢١) بوادر اهتماماته بالكتابة .

نشر كثيرًا من المقالات في مجلة الكلية ، وتبلور في المدة ذاتها بعض ملامح بُنيته النفسية التي تجلّت فيما بعد في كتاباته ، إذ ظهرت فيها بوادر التمرد وغرابة الأطوار .

اعتذر عن قبول منحة تُمكنه من استكمال دراسته الجامعية ، وقرّر السفر إلى بورما عام ١٩٢٢ ، والانخراط في سلك الشرطة الإنجليزية _ الهندية .

كانت تجربته في بورما مُنعطفًا مهمًا في حياته ، إذ بدأ بعد مدة وجيزة من وجوده هناك يتعاطف مع الأهالي ، وأبى أن يكون أداة في يد السُلطة الاستعمارية ، وما لبث أن عبّر عن رفضه سلوك تلك السُلطة باستقالته من وظيفته في نهاية عام ١٩٢٧ .

عاد إلى إنجلترا يحمل عداً للقوى الإمبريالية ، ورفضاً لأسلوب الحياة البرجوازية ، وبدأ يصف نفسه آنذاك بالفوضوي . ومع بداية الثلاثينيات ، انتهج الاشتراكية ، وتعزّزت لديه القناعة بأن مجتمعًا تسوده المساواة هو وَحدَه المرتع الخصب للحرية .

حاول أورويل التكفير عن شعور بالذنب ، منشؤه الحواجز العرقية والاجتماعية المبنية على فوقية المستعمر التي تحُول دون أي اختلاط بالشعوب الواقعة تحت الاحتلال ، بانتحاله شخصية متشرد وانغماسه في حياة الفقراء والمضطهدين من أهالي إنجلترا وفرنسا .

في عام ١٩٣٦ ، سافر إلى إسبانيا لكتابة المقالات والتحقيقات الصحفية حول الحرب الأهلية الدائرة هناك ، وسرعان ما شعر بضرورة الدفاع عن الديمقراطية ، فانضمَّ إلى صفوف الجمهوريين المناهضين للفاشية ، وأصيب إصابة بالغة في حنجرته لازمته آثارها بقية حياته .

عاد أورويل من إسبانيا عام ١٩٣٧ ، يحمل عداً للفاشية والشيوعية ، أمّا ميوله الاشتراكية فقد ازدادت رسوخًا . ولمّا نشبت الحرب العالمية الثانية ، التحق أورويل بالقسم الهندي في هيئة الإذاعة البريطانية ، وكتب كثيرًا من البرامج حول الحرب والعلاقة بين السياسة والأدب .

في عام ١٩٤٣، أصبح عضوًا في هيئة تحرير صحيفة تريبيون ذات الاتجاه اليساري ، وكتب عدّة مقالات في زاوية تحمل عنوان " كما أحب " ، وتشمل موضوعات سياسية وأدبية ونقدية . وقد تُوفّي بمرض السُّل في لندن .

كانت كتابات أورويل وثيقة الصلة بطبيعة حياته الشخصية وبمواقفه السياسية، وقد سعى من خلالها إلى تحقيق توازن بين الحقيقة والخيال الأدبي .

شهد عام ١٩٤٥ مولد روايته " مزرعة الحيوان " ، وهي رواية هجائية تُوظف الخيال الجامح " الفنتازيا " أداةً للنقد السياسي والاجتماعي. وتتخذ الرواية من الفكر الماركسي مُنطلقًا لها ، وتقوم على دراسة العلاقة بين الطبقة المستغلة والطبقة المستغلة ، وعلى حث الأخيرة على الثورة للحصول على فائض القيمة .

اختتم أورويل مسيرته الكتابية عام ١٩٤٩ ، برواية " ١٩٨٤ " التي تنطوي على رؤية مستقبلية أشبه بالنبوءة ، وتُحذّر من الآثار السلبية للدولة الشمولية ذات النظام السياسي المبني على إخضاع أفرادها لدكتاتور ، ومُصادرة أفكارهم ، وانتهاك حُرُماتهم . وترسم الرواية صورة قاتمة للحال التي يمكن أن تؤول إليها البشرية إذا ما تُرك زمام السُّلطة في يد الدكتاتوريين ، وتعرّضت الاشتراكية لعمليات تشويه .

تكمن أهمية أورويل في رؤيته الثاقبة للمشهد السياسي والاجتماعي المعاصر ، وفي مواكبته لروح عصره ، واهتمامه بالقضايا العامة ، وفي نزعه الإنسانية التي تُملي عليه ضرورة مُناصرة المضطَّهدين ، والإصرار على وجوب الارتقاء بجميع مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية ، بدوًا من بريطانيا ، وانتهاؤه بالعالم أجمع . ويستمد إسهامه في الحياة الأدبية قيمته من التزامه وصدقهِ وشعوره بالمسؤولية تجاه صنّاع التاريخ المعاصر . ويرى أورويل أنه لا وجود لأدب غير سياسي في العصر الحديث الذي تزدهم فيه المخاوف وتتصارع الأضداد ، كما يؤكد العلاقة الوثيقة المتبادلة بين مضمون العمل الروائي واللحظة التاريخية التي يُؤكّد فيها ، وقد هدف أورويل إلى جعل الكتابة السياسية فنًا وأدبًا ، وأكّد مرارًا على الشروط التقنية في كتاباته، ورأى أن إحدى مهمات الكاتب تتلخص في ضرورة شَحْذ وُعي الجماهير لِمَا يجري خارج دائرة حياتها الضيقة ، وفي وجوب تجريب تقنيات جديدة من أجل تحقيق هذه الغاية .

من أبرز رواياته: أيام بورما (١٩٣٤). ابنة القسيس (١٩٣٥) . الخروج إلى الهواء (١٩٣٩).

ومن أبرز كتبه الوثائقية: الطريق إلى رصيف ويجان (١٩٣٧) . الحنين إلى كاتالونيا (١٩٣٨).

جورج بايرون والمغامرات الطائشة

وُلد الشاعر الإنجليزي جورج غوردون بايرون ، أو اللورد بايرون (١٧٨٨ _ ١٨٢٤) في مدينة لندن بإنجلترا ، وعاش حياته في أسكتلندا . وحين أصبح في سن السادسة عشرة ، ورث لقب " اللورد " . ثم انتقل إلى إنجلترا ودرس في جامعة كامبردج .

يُعتبر اللورد بايرون من أشهر الشعراء الرومانسيين الإنجليز ، والأديب الرومانسي الوحيد الذي تَمَتَّعَ بالشُّهرة في حياته وبعد مماته . ينتمي لطبقة النبلاء الغنية المُرفَّهة ، وعاش حياةً راغدةً ومُنعمَةً . وهذا ما جعله مُختلفًا عن معظم الأدباء الإنجليز المعاصرين الذين عاشوا حياة البؤس والشقاء ، كما انعكس ذلك على أدبهم ونصوصهم .

وُلد في لندن ، إلا أنه عاش معظم سنواته العشر الأولى مع أمّه في أسكتلندا بعد وفاة والده ، فأساءت إليه بكثرة تدليلها له ، وتعنيفها إيّاه إلى درجة تعييره بالعاهة التي وُلد بها .

كان عاطفيًا ومُتألقًا من الناحية العقلية ، لكنه لم يكن مُستقرًا . وفي سن العشرين من عُمره قرأ الفلسفة ، فأحب سبينوزا ، وفضّل عليه هيوم ، وأعلن شكّه في كل شيء ، مع عدم نُكرانه أي شيء ! . ولم يكن ميّالًا للديمقراطية ، فلم يكن يثق في الجماهير ، وكان يخشى أن تؤدي الثورة إلى دكتاتورية أسوأ من دكتاتورية الملك أو البرلمان . وكان يرى بعض المزايا في حُكم الأرستقراطيين بالمؤلّد ، ويتطلع إلى أرستقراطية نظيفة عاقلة مُدرّبة تتّسم بالكفاءة .

دخل مجلس اللوردات في سن الحادية والعشرين ، غير أنه قُوبِلَ مُقابلة باردة أثّرت في نفسه ، إلى درجة أنه عزم على الرحيل من إنجلترا . فغادرها بعد أيام قليلة من دخوله المجلس ، وهنا بدأ عهد التنقل ، إذ ارتحل أولاً إلى إسبانيا ، ومن ثمّ إلى اليونان وألبانيا التي وصفها في النشيد الأول والثاني من أسفار " شيلد هارولد " . ثمّ سافر إلى تركيا ، وأقام في أسطنبول فترةً من حياته ، حتى تحدّث عنها في ملحمتة الكبيرة " دون جوان " . حياته الحافلة بالمغامرات الطائشة لا تقل جنوبًا عن شعره ، حيث إنه افترق عن زوجته بعد الشائعات التي راجت في إنجلترا عن ارتكابه مُحرّمًا مع أخته غير الشقيقة . وعلى إثرها غادر بايرون إنجلترا نهائيًا في عام ١٨١٦ م . وعندما أدانه المجتمع الإنجليزي لإطلاقه العنان لشهواته أو لفشله في إخفائها ، أعلن الحرب على النفاق الإنجليزي أو بعبارة أخرى تظاهر الإنجليز بالفضيلة ، وراح يهجو الطبقات الغليا المكوّنة من قبيلتين قويتين ، وأدان استغلال أصحاب المصانع للعمال ، بل ودعا أحيانًا للثورة .

سافر إلى إيطاليا ، وفيها أمضى حياةً مُطلقةً من كل قيد ، تمتلئ بالعريضة والمجون . وشارك في الحياة السياسية الإيطالية كراديكالي مُتطَرِّف يميل إلى الجمهورية ضد الملكية القائمة آنذاك . هاجر أخيراً إلى اليونان بعد حياة صاخبة في إيطاليا ، وشارك مع اليونانيين في الحرب القائمة مع الأتراك ، غير أن الحالة الصحية في مدينة مسولنجي اليونانية كانت سيئة ، فأصيب بالحمى ، وتوفي فيها عام ١٨٢٤ في سبيل وطن غير وطنه ! .

في عام ١٨٠٧ ، صدر أول ديوان شعري لبايرون باسم " ساعات الكسل " ، غير أنه هُوجِم في مجلة إدنبرة هجوماً قاسياً ، فَرَدَّ على هذا الهجوم بقصيدة كبيرة أطلق عليها اسم " الشعراء الإنجليز والنقاد الأسكتلنديون " ، هاجم فيها كل الشعراء والنقاد الذين انتقدوا ديوانه ! . ثمّ تتابعت أعماله مثل الجاورر ، وعروس أيبندوس ، ولارا، وحصار كورنث، وفالبيرو دوق البندقية ، والسماء والأرض ، والقرصان ، والكثير من المسرحيات التي لم تكتمل ، لكن يجب الإشارة والحديث عن أهم أعماله على الإطلاق ونقطة الانطلاق الحقيقية لبايرون . وهي أسفار شيلد هارولد ، وملحمة دون جوان .

في عام ١٨١٢ ، نشر بايرون النشيد الأول والثاني من " أسفار شيلد هارولد " ، فَلَقِيَ رواجاً هائلاً ، وسطع اسمه في سماء الشعر الإنجليزي ، حتى قال : ((لقد استيقظت ذات صباح فوجدت نفسي مشهوراً)) . ترمي القصيدة إلى تصوير أسفار وأفكار إنسان يبحث عن السعادة في البلاد الأجنبية ، بعد أن ملأه الملل والاشمئزاز من حياة كلها عريضة .

ومن أشهر أعماله الشعرية: " ملحمة دون جوان " . ودون جوان شخصية أسطورية في التراث الإسباني ، وهو زير النساء الذي أصبح اسمه مُرادفاً لمن يمتهن إغواء النساء والإيقاع بهن . وعلى هذه الأسطورة ، بنى اللورد بايرون ملحمة الساخرة " دون جوان " .

عدد أبيات هذه الملحمة ١٦٠٦٤ في ستة عشر نشيداً. صنع اللورد بايرون في هذه الملحمة بطلاً ملحمياً من شخصية أسطورية ، لها نقاط ضعف تذهب به إلى تقاليد الملحمة الهزلية، وتخرج به عن تقاليد الملحمة الكلاسيكية .

وأهم العناصر في هذه الملحمة تتمثل في الأسلوب الذي يحكي بايرون به القصة ، حيث يتغير بصفة مستمرة، مُتَرَاوِحاً بين القوة والرقّة، وجامعاً بين السخرية والاستهزاء بالذات والثقة بالنفس، مُعَبِّراً عن غضبه _ أي بايرون _ إزاء وسائل الخداع ومظاهر القسوة التي يمارسها الناس نحو بعضهم بعضاً ، وهذا الاتجاه هو القوة الرئيسية خلف جميع أشعاره .

جورج برنارد شو وهماهة التناقضات

وُلد الكاتب المسرحي الأيرلندي جورج برنارد شو (١٨٥٦ _ ١٩٥٠) في دبلن ، لعائلة بروتستانتية من الطبقة المتوسطة. وعندما بلغ الخامسة عشرة ، ترك المدرسة ليعمل موظفًا . كان نباتيًا لا يأكل اللحم إطلاقًا ، كما أنه لم يشرب الخمر في حياته، لأن والده كان سكيرًا ، وهذا الأمر شكّل صدمة له .

انتقل إلى لندن حين أصبح في العشرينيات ، وعاش في فقر مُدقع . لذلك صارت مكافحة الفقر قيمةً مركزية في كتاباته . كما أنه انخرط في العمل السياسي ، وانضم إلى الجمعية الفابية (وهي جمعية تهدف إلى نشر المبادئ الاشتراكية بالوسائل السلمية) .

قام برنارد شو بتشقيف نفسه بنفسه ، فاستمر بالقراءة ، وأخذ يتردّد على المتحف البريطاني ، وتعلّم اللاتينية والفرنسية ، وقد اعتبر أن المدارس سجون ومُعتقلات ، كما أنه كان مُعاديًا لحقوق المرأة، ومُناديًا بالمساواة في الدّخل ، ومُتسامحًا مع الأديان ، مع أنه _ فكريًا _ كان من اللادينيين. والمفارقة العجيبة هي أن برنارد شو لاديني ، ومع هذا كان مثله الأعلى هو النبيّ محمدًا صلّى الله عليه وسلّم ، فقد كان يرى أن حياة الجهاد التي عاشها النبيّ هي الحياة المثالية التي أراد هو نفسه أن يعيشها . وبلغ به الإعجاب أن حاول كتابة مسرحية " محمد " من أجل نشر تعاليمه الدينية ، والكفاح في سبيل حرية الرّأي ، والخلاص من التعصب الأعمى واستبداد السّلطة . وقد قامت الرقابة في البلاط الملكي برفض تمثيل النبيّ محمد على خشبة المسرح ، خوفًا من ردود الأفعال ، وحزمًا على رضا السفير التركي لدى بريطانيا في ذلك الوقت .

ولم يقف التناقض في حياة برنارد شو عند أفكاره الدينية ، بل شَمِلَ أيضًا أفكاره السياسية ، فقد تحدّث في كثير من الأحيان بشكل إيجابي عن الدكتاتوريات من اليمين واليسار ، وأعرب عن إعجابه بموسوليني وستالين على حدّ سواء ، رغم ما بينهما من عداوة وتناقض أيديولوجي صارخ . يُعتبر برنارد شو أحد أشهر الكتاب المسرحيين في العالم ، وهو الكاتب الوحيد في التاريخ الذي حازَ على جائزة نوبل للآداب (١٩٢٥)، وجائزة الأوسكار لأحسن سيناريو (عن سيناريو بحماليون في عام ١٩٣٨) .

وقد فجّر برنارد شو مفاجأة من العيار الثقيل ، حين رفض جائزة نوبل حين أُعلنَ فَوْزه به ، ولكنه قبلها بعد ضغوطات كثيرة ، وقال : ((إن وطني أيرلندا سيقبل هذه الجائزة بسرور ، ولكنني

لا أستطيع قبول قيمتها المادية. إن هذا طوق نجاة يُلقَى به إلى رجل وصل فعلاً إلى بر الأمان ، ولم يُعدْ عليه من خطر)) . وقد تبرّع بقيمة الجائزة لإنشاء مؤسسة تُشجّع نشر أعمال كبار مؤلفي بلاد الشمال باللغة الانجليزية .

ظل برنارد شو يكتب المسرحيات لمدة نصف قرن . ومنهجه في الكتابة المسرحية هو اعتماد الواقعية الجديدة في الدراما ، وذلك باستخدام الأفكار الأدبية لنشر المبادئ السياسية والاجتماعية والدينية . وتجاوز عدد مسرحياته الطويلة والمتوسطة ٥٠ مسرحية ، وتم إخراج عدد كبير من هذه المسرحيات أثناء حياته في أهم العواصم العالمية. وقد تُرجمت أعماله الكاملة إلى اللغة العربية ، وصدرت على شكل أجزاء ، كما صدرت كل مسرحية على حدة .

من أشهر مسرحياته : المال ليس له رائحة (١٨٩٢) . البطل والجندي (١٨٩٤) . تلميذ الشيطان (١٨٩٦) . رجل وسوبرمان (١٩٠٣) . بجماليون (١٩١٢) . بيت القلوب المحطّمة (١٩١٩) . سلّة التفاح (١٩٢٩) . الملياردير (١٩٣٤) .

جورج بيركلي وإنكار وجود المادة

وُلد الفيلسوف الأيرلندي والأسقف الأنكليكاني جورج بيركلي (١٦٨٥ _ ١٧٥٣) في ديسارت كاسل في مقاطعة كيلكني في أيرلندا . وفي سن الخامسة عشرة التحق بكلية ترينتي في دبلن . وفي سن العشرين أسس ناديًا لدراسة "الفلسفة الجديدة"، ويقصد بها جون لوك . ادعى بيركلي أنه لا يوجد شيء اسمه مادة على الإطلاق ، وما يراه البشر ويعتبرونه عالمهم المادي لا يعدو أن يكون مجرد فكرة في " عقل الله " . وهكذا فإن العقل البشري لا يعدو أن يكون بيانًا للروح . قلّة من فلاسفة اليوم يمتلكون هذه الرؤية المتطرفة، لكنّ فكرة أن العقل الإنساني هو جوهر، وهو أكثر غُلُوًا ورُقْيًا من مجرد وظائف دماغية، لا تزال مقبولة بشكل واسع . آراء بيركلي هُوجمت ، وفي نظر الكثيرين نُسِفَت تمامًا .

في عام ١٧٠٩ ، نشر بيركلي أول أعماله الرئيسية " مقال نحو نظرية جديدة للإبصار " . وفيه ناقش حدود الإبصار البشري ، وقال إن الأشياء المرئية ليست أشياء مادية ، بل هي مُجرّد ضوء ولون . وقد غَطَّت هذه الفكرة على عمله الفلسفي الرئيسي " دراسة تتعلق بمبادئ المعرفة البشرية " (١٧١٠) التي استُقبِلت بشكل سيّئ، فأعاد كتابتها على شكل حوار، ونشرها بعنوان " ثلاث حوارات بين هيلاس وفيلونوس " (١٧١٣) .

في هذا الكتاب، آراء بيركلي تمّ عرضها على لسان فيلونوس (باليونانية : مُحب العقل) ، بينما هيلاس (باليونانية : المادة) جسّدت مُعارض بيركلي ، وبالذات جون لوك .

جادل بيركلي ضد مبدأ إسحق نيوتن الفراغ المطلق . وقد كانت حُججه مُمهّدة لوجهات نظر مآخ وآينشتاين . وفي عام ١٧٣٢ ، نشر بيركلي " ألسيفرون " ، دفاع عن العقائد المسيحية ضدّ المفكرين الأحرار . وفي عام ١٧٣٤ ، نشر " المُحلّل "، وهو نقد وضعي لأسس الحساب المتناهي، الذي كان مؤثرًا جدًّا في تطوّر الرياضيات والتحليل الهندسي الميكانيكي .

في عام ١٧٢٤ عُيّن بيركلي رئيسًا لكاتدرائية دري . وفي ١٧٢٨ أبحر بناءً على وعد من الحكومة بإمداده بمعونة مالية _ إلى برمودا لِيُنشئ فيها كلية "لتقويم عادات الإنجليز في مزارعنا في الغرب (المستعمرات) ، ونشر الإنجيل بين الأمريكيين الهمجين " . وبعد وصوله انتظر ورود المعونة المالية الموعودة ، وقُدّر لها عشرون ألف جنيه ، ولكن لم يصل منها شيء . وهناك أَلَفَ كتاب "الفيلسوف الصغير" ليضع حدًّا لكل الشكوك الدينية .

وبعد ثلاث سنوات من توقعات لا فائدة منها ، عاد إلى إنجلترا . وفي عام ١٧٣٤ عُيِّنَ أسقفًا في كلوين . وقد جعلته إحدى النساء الثريات مُنَفِّذًا رئيسيًا لوصيتها ، وتركت له نصف ثروتها .

وفي عام ١٧٤٤ ، نشر رسالة غريبة " مزايا ماء القطران " الذي قدّمه إليه هؤلاء " الهمجيون " الذين سبق ذكرهم ، والذي أوصى به الآن علاجًا للجذري .

لَمْ يصمد أحد أمام بيركلي في إثبات عدم واقعية الواقع ، وفي جهوده لاستعادة الإيمان الديني وتطهير البلاد من مادية توماس هوبز ، التي كانت تُلوّث إنجلترا وتُفسدُها .

قَلَبَ بيركلي الفلسفة رأسًا على عَقِب . وكانت مُغامرته الفلسفية محفوفة بالمخاطر . ورُبَّمَا شكَّ بيركلي في نفسه وارتاع حين وجد هيوم وكانت ، يقتبسان من مبادئه الدينية التَّقيّة الورعة نقدًا للعقل ، لَمْ يترك أيّة تعاليم أساسية في المسيحية إلا زرع أركانها .

كان لبيركلي أثر واضح في بريطانيا وألمانيا في القرن الثامن عشر ، وكان الأثر أقل في فرنسا ، ولكنه تعاطم في أفكار أتباع " كانت " في القرن التاسع عشر . وحتى في يومنا هذا ، لَمْ تُصدِر الفلسفة الأوروبية بُعد قرارًا حاسمًا حول وجود العالم الخارجي .

لقد كانت هذه الفترة في حقيقتها أزهى فترات الفلسفة الإنجليزية . وإن الناقوس الذي كان فرانسيس بيكون قد دقّه لدعوة المفكرين للعمل بعضهم مع بعض ، كان قد سُمع بعد أن خمد أوار الحرب الأهلية . وكان هوبز جسرًا فوق هذا الفراغ ، وكانت إسهامات نيوتن العلمية هي الرافعة التي حرّك عليها اللاهوت . وكان لوك القمّة التي تحدّرت منها مسائل الفلسفة الحديثة في رؤية صافية واضحة . ومن هذا الرباعي الإنجليزي الذي سرعان ما أغراه هيوم الحكيم الغريب بالإثم ، دخل إلى فرنسا وألمانيا تأثير قوي .

لَمْ يكن المفكرون الفرنسيون في تلك الفترة على نفس القدر من العمق والأصالة مثل الإنجليز ، ولكنهم أكثر لمعانًا وإشراقًا . والرقابة الأشد صرامة أرغمتهم على إفراغ همّهم في الشكل ، ووضع حكمتهم في الرّقة والطَّرَف .

ثمّ جاء فولتير إلى إنجلترا عام ١٧٢٦ . ولمّا عاد حمل في جعبته أفكار نيوتن ولوك . وبعد ذلك علّم إنجلترا وفلسفتها أسلحة لتمحو ضلالة الخرافة والغموض والجهل . ويمكن القول مجازًا إن قابلة (داية) إنجليزية سهرت على ولادة الاستنارة الفرنسية .

جورج سانتِيَانَا وأنواع الوجود

وُلد الفيلسوف الإسباني جورج سانتِيَانَا (١٨٦٣ _ ١٩٥٢) في مدريد . وكان والده موظفًا بسيطًا .

رحل سانتِيَانَا مع والدته إلى بوسطن في الولايات المتحدة عام ١٨٧٢ ، ودرس في المدرسة اللاتينية هناك، ثم في جامعة هارفارد التي تخرّج فيها بتفوق عام ١٨٨٦ . بعد عامين قضاهما في جامعة برلين، عاد إلى هارفارد لاستكمال الدكتوراة وصار عضوًا في هيئتها التدريسية عام ١٨٨٩ . لقد نشأ وتعلّم في الولايات المتحدة من عُمر الثامنة ، ويُعرّف نفسه على أنه أمريكي ، مع أنه كان يملك جواز سفر إسبانيًا صالحًا ، وكان مواطنًا إسبانيًا أيضًا طوال حياته .

كتب باللغة الإنجليزية ، ويُعتَبَر بصفة عامة رجُل الخطابات الأمريكي. وفي سن الثامنة والأربعين غادر سانتِيَانَا منصبه في هارفارد ، وعاد إلى أوروبا بشكل دائم . ولم يرجع إلى أمريكا إطلاقًا . لم تأسره زخرفة الحياة الأمريكية، ولم ينقطع عن زيارة إسبانيا وبعض دول أوربا والشرق. ومع تفوقه في التدريس والتأليف والعمل مع أقرانه ، إلا أن الولايات المتحدة ، ونيوانجلند (معقل التّطهرية) بوجه خاص ، كانت أبعد ما تكون عن طبيعته وفكره .

وفي أوج نجاحه في حياته الأكاديمية، وبعد وفاة والدته في أثناء زيارة قاما بها لإسبانيا، وعلى الرغم من العروض المغرية من جامعته ، قرّر البقاء في أوروبا والتخلي عن الولايات المتحدة نهائيًا، كما رفض أيضًا عرضًا للعمل في جامعة أكسفورد ، وتفرّغ للتأمل والتأليف، واستقر في روما بدءًا من عام ١٩٢٤ .

كانت الفلسفة النظرية محور فكر سانتِيَانَا في حقبة ما بين الحربين العالميتين ، وكان كتابه " الرّبيبة والإيمان الروحي " إنجازًا كبيرًا من حيث الدقة في الصّنع والعمق في التحليل، وتعبيرًا عن فكر سانتِيَانَا أكثر من أي كتاب آخر ، وبداية لمرحلة النضج في فلسفته . شرح فيه رؤيته حول التوصل إلى الإيمان عن طريق الحس . وقد طوّر هذه الأفكار في كتابه الأهم الذي يتكوّن من أربعة مجلدات " أنواع الوجود " (١٩٢٨ _ ١٩٤٠)، وهو دراسة في الأنطولوجيا (علم الوجود)، ويأخذ بيد قارئه، بلغة سهلة جذابة، عبر موضوعات كانت تُربك قُرّاء غيره من الفلاسفة . وهو يحذو حذو أرسطو في التركيز على الدور الرئيسي للمادة (الطبيعة) ، وكونها سابقة على كل شيء ، وعليها يقوم الإيمان الروحي أو الحسّي .

ويُركّز أيضًا على كون المعرفة قائمة على فرضية وجود الروح ، إذ إن من الممكن التعالي عن الأمور المادية والوصول إلى حالة تأملية في أي من الماهيات والتحرر من قيودها ، وهذا ما يُسمّيه " الحياة الروحية " . وربما كانت هذه النظرية مركزية أيضًا ، لا في فلسفة سانتيانا فَحَسْب ، بل على صعيد حياته الشخصية أيضًا ، ومن هنا كان عزوفه عن مظاهر الحياة المادية .

كتب سانتيانا رواية واحدة هي " البيوريتاني الأخير " (١٩٣٥) ، حازت على رضى النُّقاد، وسيرته الذاتية في " أشخاص وأمكنة " في ثلاثة مجلدات (١٩٤٤ _ ١٩٥٣) ، وتحليلاً لدور الإنسان وللتناقضات في المجتمع الأمريكي في " الهيمنة والقوة " (١٩٥١) .

وكان يعمل في ترجمة شعر الإيطالي لورنزو دي مديتشي ، عند وفاته (بسرطان المعدة) في روما ، حيث دُفِن في مقبرتها الإسبانية .

رأى سانتيانا أن الحقيقة مُطلقة ، إلا أن آفاق الإنسان المحدودة تُشوِّهها، وقال بنسبية الخير والشر، وفقًا لطبيعة الأشخاص، ويكوّن الفلسفة فنًا للتعبير عن الرؤى في القضايا الإنسانية الكبرى. وقد اتَّخذ من المادية الجدلية مذهبًا فلسفيًا له . وكان معتزلاً للعالم الواقعي ، ويعيش في عالمه الخاص (عالمه المثالي) .

حصل على درجة فخرية من جامعة وسكنسون عام ١٩١١ . وحصل على وسام بنسون من الجمعية الملكية للآداب (١٩٢٥) .

جورج سيميل والتفاعلات الاجتماعية

وُلد الفيلسوف الألماني جورج سيميل (١٨٥٨ – ١٩١٨) في برلين . وأتم دراسته الثانوية فيها، وتابع دراسته الجامعية بدراسة التاريخ والفلسفة في جامعة برلين، وحينها تأثر بعدد من أساتذة الفلسفة والتاريخ والأنثروبولوجيا إلى أن أكمل دراسة الدكتوراة في الفلسفة عام ١٨٨١ . وفي أثناء ذلك اطلع على الكثير من الدراسات التي لها صلة بحقول الفلسفة والاجتماع وعلم النفس والتاريخ، وتخصّصَ بقسم منها، وجمع الحقائق والمعلومات عن أصولها ومناهجها ونظرياتها ومضامينها وأبعادها الأكاديمية والتطبيقية .

وعلى الرغم من هذا الاطلاع الواسع على ألوان شتى من العلوم والمعارف، غير أنه لم يخلُ من السلبية على صعيد حياته المهنية، حيث عُيّنَ محاضرًا في جامعة برلين ، وبقي هكذا مدة خمسة عشر عامًا دون أن يُفلح في أن يرقى إلى مرتبة أستاذ ، وقد عزى دارسو سيميل ذلك إلى عدم تخصصه، وكتابته في عدد كبير من الموضوعات باختصاصات عدّة، في التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، الأمر الذي جعل أساتذته في الجامعات يُشكّكون في علميته، غير أن ذلك لم يَمْنعه من الحصول على شهرة علمية كبيرة في أوساط الطلبة والقُرّاء من المتخصصين وغير المتخصصين، من أمثال ماكس فيبر وإدموند هوسرل .

كما أن شهرته لم تقتصر على الداخل الألماني ، بل تعدّت الحدود إلى خارج ألمانيا، كإنجلترا وفرنسا وإيطاليا، وتحديداً بعد ترجمة بعض مؤلفاته وأبحاثه إلى الإنجليزية والفرنسية والإيطالية . يُعتَبَر سيميل من أبرز أقطاب فلسفة الحياة، التي ظهرت في ألمانيا اتجاهاً مثاليًا ذاتيًا في الفلسفة، إذ كان ظهورها مؤثّرًا في أزمة الفلسفة البرجوازية، المبنية على مفهوم الحياة، بوصفها المبدأ المطلق للانتهائي للعلم، فالحياة تُدركُ حدسيًا، وهي مُمكنة البلوغ بالعاطفة وخاصة الدينية منها . لقد تصوّرَ سيميل الحياة على أنها الإرادة العاطفية الداخلية ، أو العَرَض اللاعقلاني للقوى الروحية، وتنبع أهمية هذا الاتجاه الفلسفي، الذي مثّله شوبنهاور ونيتشة ودلتاي وسيميل، من كونه المصدر الأيديولوجي للفلسفة الوجودية. طرح سيميل منهجًا لتحليل التفاعلات الإنسانية في كتابه " علم الاجتماع الشكلي "، الذي اقترح فيه أن الإنسان يستطيع عزل شكل التفاعلات الإنسانية عن مضامينها، فهو يبحث عن مفتاح منهج الظواهر الاجتماعية في نفسية الأفراد ، أو في النفس الجمعية (التفاعل النفسي بين الأفراد) .

ومن منهجه هذا يظهر جلياً ارتباطه بالدراسة السيكلوجية في علم الاجتماع . وقد أسهم سيميل مع نيتشه ودانتي في تطوير الألوان والأطياف المثالية من المذهب الأنثروبولوجي الذي يتجاهل طبيعة الإنسان الاجتماعية ، ويفهمه فهمًا مُجَرَّدًا من العلاقات الاجتماعية الموضوعية ، فالفاعل بين الوجود المادي والوجود الروحي يبقى قائمًا إلى أن يبلغ وحدة كُليّة الوجود .

فَيَقْدُرُ ما تكون الظواهر مُدركة عن طريق الحواس ، اعتمادًا على أسس علم الاجتماع والحاجات الاجتماعية إلى الدين والفن والقيم والتأمل الفلسفي وتحقيق أغراض عملية، شروطها البقاء وتطور الحياة المتصلة بالجنس البشري كُله ، فإن الحياة الدينية _ من وجهة نظره _ تُفسّر الوجود بأكلمه .

يعتقد سيميل أن علم الاجتماع يجب عليه دراسة أنواع الحياة الاجتماعية، وليس محتوياتها بَغية اكتشاف قوانين المجتمع التي تُفسّر العلاقة المشتركة بين الأفراد والجماعات .

وقد اكتسب سيميل شهرة كبيرة بين علماء الاجتماع الألمان لِدِقَّتِهِ، وعُمُقِ دراساته في تحليل الظواهر والتفاعلات الاجتماعية ، وقضى حياته مُسلِّطًا الضوء عليها بكافة أبعادها وجوانبها .

أسهم جورج سيميل _ في إغناء نظريته وتطويرها _ في جملة النقاط الرئيسية التالية :

- ١ _ دراسته للتفاعلات الاجتماعية التي تنعكس في حقل الميكروسوسولوجيا وديناميكية الجماعة .
- ٢ _ دراسته لأنواع العمليات الاجتماعية .
- ٣ _ تحليله العلمي للمجتمع .
- ٤ _ دراسته للعلاقة بين عقلانية العلم والنظام الرأسمالي .

جورج صاند وكثرة الفضائح

وُلدت الروائية الفرنسية جورج صاند (١٨٠٤ _ ١٨٧٦) في باريس لعائلة أرستقراطية .

اسمها الحقيقي هو : أورور دوبان .

كان والدها ضابطاً في عهد الإمبراطورية ، واختار زوجته من الطبقة الشعبية ، فتزوجها سراً ، وعاش في صراع حتى وافته المنية عام ١٨٠٨ ، الأمر الذي وَلَدَ لدى طفله شعوراً بالاقتناق ، وكان السبب في تمردّها ، كما وصفته في ما بعد عند الحديث عن طفولتها .

تَلَقَّت تعليمها في نوهان ، جنوب غرب فرنسا ، وعاشت في كنف جدتها ، ثم أَدخلت دَيْرًا في باريس (١٨١٧ _ ١٨٢٠) . وعادت بعدها إلى نوهان ، وتزوجت عام ١٨٢٢ ، وزُرِقت طفلين ، ولكن سرعان ما انفصلت عن زوجها ، لتعيش حياتها بحرية كاملة ، مُثيرة فضائح في علاقاتها مع بعض المشاهير ، كالشاعر ألفرد دي موسيه ، والموسيقيار شوبان .

ووسط أزمات نفسية قاسية ، كانت تبحث عن طريقها ، فوجدته مع الكاتب جول صندو ، الذي أوحى لها باسمها المستعار ، وكتبا معاً رواية " روز وبلانش " .

شهد عام ١٨٣٢ بداية نتاج أدبي زاخر ، إذ كتبت صاند روايتها " إنديانا " . ثُمَّ " فالنتين " (١٨٣٢) ، و " ليليا " (١٨٣٣) . وقد وصفت صاند في هذه الروايات الهوى الذي عصف بها ومشاعرها ، وما كانت تحمله من تمرد على الأحكام المسبقة التي كان يُطلقها المجتمع .

ثُمَّ سَلكت اتجاهًا آخر ، متأثرة بتصوف وإنسانية الأديب القس لامنيه والاشتراكي لورو ، فحملت روايات هذه المرحلة نفحات اشتراكية وصوفية ، منها : " موبرا " (١٨٣٧) ، و " رفيق درب في جولة فرنسا " (١٨٤٠) ، و " كونسويلو " (١٨٤٢) ، و " طَحَّان أنجييو " (١٨٤٥) ، و " خطيئة السيد أنطوان " (١٨٤٧) .

عندما استقرَّت في نوهان ، أولت اهتمامًا بالقرويين ، ووصفت حياتهم في رواياتها : " بركة شيطانية " (١٨٤٦) ، و " فاديت الصغيرة " (١٨٤٩) ، و " عازفو المِزمار " (١٨٥٣) .

ثُمَّ انصرفت إلى تدوين ذكرياتها في " قصة حياتي " (١٨٥٤) ، إلا أنها عادت من جديد عام ١٨٦١ إلى الرواية الخيالية والعاطفية في " المركيز فيلمير " .

حاولت_ في نهاية حياتها_ أن تُحقِّق حُلُمها الإنساني في نوهان ، فاتَّجهت نحو الأعمال الخيرية، ووجد القرويون فيها (سَيِّدة نوهان الطيبة) .

أبدعت صاند في كتابة الرواية المثالية ، التي كانت ترجمةً لمشاعرها وأفكارها وآرائها. وأرادت عند تغيير موقفها الأدبي من الرومانسية (الإبداعية) إلى الاشتراكية والإنسانية أن تسير على خطى الشعارين لامارتين وهوغو ، وتكون الناطقة باسم الشرائح الشعبية .

لَمْ تكتب في إطار الفن للفن ، أو في إطار الواقعية الداعية للتشاؤم ، بل كانت كتاباتها هادفة مُدافعة عن شريعة القلب ، وعن الواقع الأمل الذي يُقدّم صورة جميلة متألفة .

وقد زُخِرَتْ روايتها " بركة شيطانية " _ على سبيل المثال _ بمشاعر وجدت أرضيتها لدى أهل القرى وسط طبيعة هادئة ومناخ عطر ، وهي تحكي قصة الأرملة جيرمان وأطفاله الثلاثة ، الذي فُكّر في الزواج ثانيةً بعد إلحاح قريبه. وفي طريقه لرؤية أرملة تسكن في الجوار ، طُلِبَ منه أن يصطحب ابنة أرملة فقيرة تُدعى ماري ، كما وجد على طريقه أيضاً بيبير الصغير ، وعندما أسدل الليل ستاره تاه الثلاثة في غياهبه حول بركة شيطانية قيل إنها مسحورة . وتابع جيرمان طريقه عند بزوغ الفجر، وشاهد الأرملة فنفر من الزينة والبهرجة التي أحاطت نفسها بها، فقارنها بماري الصغيرة التي سحرته بهدونها وطيبتها وعنايتها ببيبير الصغير ، وربطته بها عاطفة صادقة بسيطة ، فقرّر أن لا يقترب من زوجة سواها .

وفي روايتها " عازفو المزممار " ، تصف صاند أثر الموسيقى وسلطانها في النفوس البسيطة . كانت صاند على قناعة بأن القرويين يَسْتَشْفُونَ الأمور ويفهمونها أكثر ممّا يتوقعه المرء. كما ميّزت الحطّابين ، ووصفتهم بأنهم صادقون مُتعاونون وأصحاب وُد ، رغم خُشونة مهنتهم . تتميز كتابات صاند بالعاطفة المفرطة ، وبميل أسلوبها إلى التفخيم المبالغ فيه . وكانت حياتها حافلةً بالنشاط الفكري والدعوة للحركات النسائية بوجه خاص ، وقد أثارت دهشة معاصريها عندما ارتدت أزياء رجالية ، ودخّنت السيجار . وقد تعرّفت على كبار الكُتّاب في عصرها . كانت صاند ابنة الثورة الفرنسية . تَمَثَّلَ فيها كُل ما في الثورة مِن تحرُّر وانطلاق وتفاؤل واستبشار ، وتطلع نحو المستقبل . وكان أسلوبها سهلاً لا تَكُلّف فيه .

جورج لوكاش والبُنْيوية التوليدية

وُلد الفيلسوف المجري الماركسي جورج لوكاش (١٨٨٥ - ١٩٧١) في بودابست (عاصمة المجر) ، لعائلة يهودية ثرية ألمانية الأصل . بدأ فيلسوفًا مثاليًا ، وانتهى فيلسوفًا ماركسيًا مُحدَّدًا وناقداً. انتسب إلى الحزب الشيوعي المجري عام ١٩١٨ وتولى فيه أمانة الشؤون الثقافية لجمهورية المجالس المجرية الفتية . يعتبره معظم الدارسين مؤسس الماركسية الغربية في مقابل فلسفة الاتحاد السوفيتي . أسهم بِعدة أفكار ، منها " التَّشْيُّؤ " و " الوعي الطبقي " . وكان نقده الأدبي مؤثّرًا في مدرسة الواقعية الأدبية ، وفي الرواية بشكل عام باعتبارها نوعًا أدبيًا . خدم لفترة وجيزة كوزير للثقافة في المجر بعد الثورة المجرية (١٩٥٦) التي قامت على الرئيس ماتياش راكوشي . بينما كان لوكاش يدرس في قسم اللغات بالجامعة في بودابست، انضم إلى حركات اشتراكية متعددة، وتواصل مع المعارض إرفن تسابو الذي ينتمي إلى أحد مدارس الفكر اللاسلطوي وأطلع تسابو الطالب لوكاش على كتابات الفيلسوف الفرنسي الثوري جورج سيرويل الذي كانت آراؤه ونظرياته في تلك الفترة في أوجها ، وكانت أفكارًا حديثة ، وضد الوضعية .

قضى لوكاش وقتًا طويلاً في ألمانيا ، وتعرّف على العديد من مُثقفِيها وكُتَّابها . ذهب إلى برلين بغرض الدراسة في عام ١٩٠٦ . وذهب مرة أخرى في عامي ١٩٠٩ و ١٩١٠ ، وتعرّف هناك على عالم الاجتماع الألماني جورج سيميل . وفي مدينة هايلدبرغ في عام ١٩١٣ ، تعرّف على عالم الاجتماع المعروف ماكس فيبر وأصبحا صديقين. ثم تعرّف على الفيلسوف الماركسي إرنست بلوخ ، ثم على الشاعر ستيفان جورج. كان لوكاش في ذلك الوقت منتميًا إلى النظام المثالي المأخوذ عن مثالية الفلاسفة الألمان . وهذا النظام كان متأثرًا بفلسفة كانت، والتي هيمنت على جامعات ألمانيا لوقت طويل. وقد ألّف لوكاش كتابين في ذلك الوقت هما : " الروح والجسد " (١٩١٠) و " نظرية الرواية " (١٩١٦) . عاد لوكاش إلى مدينته بودابست في عام ١٩١٥ ، وكان يُدير صالونًا ثقافيًا أو حلقة ثقافية تُدعى حلقة الأحد أو حلقة لوكاش. يتحدث فيها بالمقام الأول عن الموضوعات الثقافية والنقدية في أعمال الروائي الروسي دوستوفسكي ، الذي كان مُستحوذًا على اهتمامات لوكاش في فترة إقامته في هايلدبرغ في ألمانيا .

ويُعَدُّ كتابه " التاريخ والوعي الطبقي " (١٩٢٣) وثيقةً لفلسفة التاريخ الماركسي . جابه لوكاش الوضعية المُستحدثة بعنف وشِدَّة ، ويلاحظ في تفكيره تجريبية أساسية تظهر واضحة في

غمار الدراسة النظرية ، ولا سيَّما في كتابيه : علم الجمال (١٩٧٢ _ ١٩٧٦) ، والأنطولوجيا " علم الوجود " (١٩٧٢). حيث تلتحم معطيات الحياة العامة مع الواقع لتقوم بدور منهجي حاسم. ويُناقش لوكاش في كتابه " علم الجمال " مكانة المبدأ الجمالي في إطار فعاليات الإنسان العقلية، ويرى أن هذه الفعاليات ليست كياناتٍ نفسية ، بل هي لغة مختلفة يُنظَّم الإنسان بموجبها أفعالَ العالم الخارجي ، وردود أفعاله التي يتعرَّض لها دومًا للدفاع عن ذاته وكيانه الداخلي .

ويؤكد لوكاش أن الفن في معناه الأنطولوجي (الوجودي) ، هو إعادة تكوين عملية يستوعب الإنسان في خضمها حياته الذاتية في إطار المجتمع والطبيعة، بما في ذلك من مشكلات ومبادئ، المحرَّضة منها والعائقة، لذا فالفن عنده لا ينفصل أنطولوجيًا عن نشوئه، كما يؤكد أن الفن ليس له منشأ واحد، وأن جوهره إيجاد التضاد بين ما يتحلى بقيمة، وبين ما لا يتحلى بقيمة ، وأن التساؤل عن المفيد وغير المفيد، عن الملائم وغير الملائم ، يؤلِّد مفهوم القيمة .

يُعدُّ لوكاش واحدًا من أبرز مُنظِّري النقد الماركسي وممارسيه ومُطوِّريه، ويتَّضح ذلك من الكيفية التي وظَّف فيها ما يُعرف بالواقعية الاشتراكية في دراساته، خاصة ما كتبه حول الرواية في كتابه " دراسات في الواقعية الأوروبية " . ويرى لوكاش أن الواقعية تسعى إلى تناول شمولي للإنسان يأخذ في الحسبان الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية من دون أن يتجاهل البُعد الداخلي الذاتي .

ويرفض لوكاش رفضًا تامًّا استغراق الأديب في مُعاناته وتجربته الذاتية مهما كانت صادقة أو أصيلة، خشية ازدياد تفاقم التمزق في التناسق الفني . ويقول عن الرواية إنها " ملحمة البرجوازية في العصر الحديث " ، وكان قَوْلُه مُحصِّلًا لدراسة مُعمَّقة تقصَّت علاقة الفن بالسياسة والتركيب الاجتماعي الاقتصادي الثقافي . ويُعتَبَر كتابه " تحطيم العقل " (١٩٥٢) ذروة مؤلفات لوكاش، وقد صدر في جزأين كبيرين، كان الأول حول بدايات اللاعقلانية الحديثة من شيلنغ إلى نيتشه، والثاني حول اللاعقلانية الحديثة من دلناي إلى توينبي . وتتراكب موضوعات الكتاب ضمن خط السيرورة التاريخية من الرِّدة الإقطاعية أو نصف الإقطاعية والرومانسية ضد الثورة الفرنسية إلى الفاشية ، من النضال ضد الجدل المثالي وفكرة التقدم البرجوازية إلى النضال ضد الماركسية والثورة البروليتارية . لا يمكن إنكار ما قدَّمه لوكاش للفكر السياسي من إضافات وعناصر جديدة. فهو يُعدُّ بالنسبة لخصومه أو مُؤيِّديه أهم مفكر ماركسي منذ ماركس، بل يعتبره البعض أهم فيلسوف في النصف الأول من القرن العشرين . لقد كان له تأثير حاسم على كارل مانهايم وكارل كورتس ومارتن هايدغر على وجه الخصوص ، ويُعتَبَر من مُؤسَّسي تيار البنيوية التوليدية .

جورج مور والنزعة الحدسية

وُلد الفيلسوف البريطاني جورج إدوارد مور (١٨٧٣ _ ١٩٥٨) في لندن لأسرة متوسطة. كان أبوه طبيباً متقاعدًا .

أثر مور في كثير من الفلاسفة البريطانيين المعاصرين ، رغم إقلاله من الكتابة. ودافع عن نظريات الفطرة السليمة ، وشجّع على دراسة اللغة العادية أداة للفلسفة .

تلقى تعليمه في كلية دولويتش . وفي عام ١٨٩٢ ، التحق بكلية ترينتي في جامعة كامبردج لدراسة العلوم الأخلاقية . وأصبح مُدرّسًا للفلسفة العقلية والمنطق في جامعة كامبردج (١٩٢٥ _ ١٩٣٩). ولمدة ثلاثين عامًا تقريبًا، كان يُحرّر مجلة العقل، وهي مجلة فلسفية . من أبرز مؤلفاته : " مبادئ علم الأخلاق " (١٩٠٣) ، وطرح فيه مفهوم مغالطة المذهب الطبيعي .

والمذهب الطبيعي مذهب يَرُدُّ الأشياء عامةً إلى الطبيعة وحدها ، ففي ضوءها يقوم بتفسير الظواهر كُلِّها مُستبعدًا كُلَّ مُؤثّر يُجاوز عالم الطبيعة . فالحياة الأخلاقية مثلاً في تصوّره امتداد للحياة البيولوجية ، والمثل الأعلى تعبير عن حاجات الفرد وغرائزه. وسلوك الإنسان ومصيره عامة رهينا للتأثر بعاملين طبيعيين هما : الوراثة والبيئة . ويقع هذا المذهب تحت تأثير نظرية داروين التي تُؤكّد انتماء الإنسان كُليّة إلى نظام الطبيعة ، وتنفي صلته بعالم ما وراء الطبيعة .

والمذهب الطبيعي في الأدب يهدف إلى معالجة الموضوعات، وتسجيل الحالات الجديرة بالدراسة طبقاً للقوانين العلمية، التي تحكم الإنسان ، وتُكسبه أنواع سلوكه وأفعاله للوصول إلى الحقيقة . يُعتَبَر مور أحد مُؤسّسي التقليد التحليلي في الفلسفة . وقاد مسيرة الابتعاد عن المثالية في الفلسفة البريطانية، وأصبح معروفًا تمامًا بتأييده لمفاهيم الحس السليم ، ومساهماته في الأخلاق ، ونظرية المعرفة ، والميتافيزيقا ، و " شخصيته الاستثنائية وشخصيته الأخلاقية " .

عُرف مور بالدفاع عن الأخلاق غير الطبيعية، وتأكيد على الفطرة السليمة في الأسلوب الفلسفي. وقد كان محط إعجاب بين الفلاسفة الآخرين. ولكن مور _ على عكس زميله برتراند راسل _ غير معروف في الغالب اليوم خارج الفلسفة الأكاديمية . مع أنه يُقال إن تأثيره على راسل أكبر من تأثير راسل عليه. تشتهر مقالات مور بأسلوبها الواضح والسّلس ، ومنهجيتها القائمة على حل المشكلات الفلسفية. وكان مور ينتقد الفلسفة الحديثة ، لاعتقاده أنها تتناقض بشكل صارخ مع التطورات الدراماتيكية في العلوم الطبيعية منذ عصر النهضة .

أكد مور أن الحُجج الفلسفية يمكن أن تُعاني من الارتباك بين استخدام مصطلح في حُجّة مُعيّنة وتعريف هذا المصطلح في جميع الحُجج . وسمّى هذا الارتباك المغالطة الطبيعية .

على سبيل المثال ، قد يدّعي أحدهم أنه إذا كان لشيء ما خصائص مُعيّنة ، فإن هذا الشيء "جيد". وقد يُجادل آخرون بأن الأمور " السارة " هي أشياء " جيدة " . وقد يقول البعض إن الأشياء " المعقدة " هي أشياء " جيدة " . يُؤكّد مور أنه حتى لو كانت هذه الحجج صحيحة ، فإنها لا تُقدّم تعريفات لمصطلح " جيد " .

كان أحد أهم إنجازات مور في تطوّره الفلسفي هو ابتعاده عن المثالية التي هيمنت على الفلسفة البريطانية ، ودفاعه عن ما اعتبره " حسًا " . وفي مقالته " الدفاع عن الحس المشترك " (١٩٢٥) ، جادل ضد المثالية والشكوك تجاه العالم الخارجي .

حاول مور كشف أسس التحليل الأخلاقي ومشكلاته . ووفق مور فإن المشكلة الرئيسية في قضية الأخلاق هي مشكلة تحليل " الخير " وتحديدده . فكيف نعتبر شيئاً ما خيراً ، وشيئاً آخر شراً؟ . وما هي الأشياء الخيرة ؟ .

يرى مور أن " الخير " فكرة بسيطة لا أجزاء لها ، ولا يمكن تحليلها وتفتيتها إلى أجزاء . فالخير صفة بسيطة ، وكل تعريف له هو مغالطة طبيعية ، لأن كل تعريف له هو صفة " لا طبيعية " . فالخير لا يُحلّل ، بل يُدرّك بالحدس ، لذلك يُعتبر مور مؤسس النّزعة الحدسية في علم الأخلاق .

جورج هربرت ميد ومقدم نشر الكتب

وُلد الفيلسوف الأمريكي جورج هربرت ميد (١٨٦٣ _ ١٩٣١) في جنوب هيدلي ، ماساتشوستس . تَمَّت تربيته في عائلة بروتستانتية من الطبقة المتوسطة . كان والده قسًّا سابقًا من نسل المزارعين ورجال الدين ، ثم تقلد منصب كبير في اللاهوت في كلية أوبرلين . أمّا والدته ، فقد شغلت منصب رئيس كلية ماونت هوليوك في جنوب هادلي ، ماساتشوستس ، في عام ١٨٧٩ . التحق ميد بكلية أوبرلين ، وتخرّج في عام ١٨٨٣ بدرجة البكالوريوس . على مدى السنوات الثلاث التالية بعد التخرج ، عمل ميد مساحًا للأراضي لشركة ويسكونسن المركزية للسكك الحديدية . وفي خريف ١٨٨٧ ، التحق ميد بجامعة هارفارد ، حيث كانت اهتماماته الرئيسية هي الفلسفة وعلم النفس . وفي عام ١٨٨٨ ، غادر ميد جامعة هارفارد بعد حصوله على شهادة البكالوريوس فقط . وانتقل إلى لايبزيغ بألمانيا للدراسة مع عالم النفس فيلهلم فونت .

وعلى الرغم من عدم الانتهاء من درجة الدكتوراة ، استطاع ميد الحصول على وظيفة في جامعة ميتشيغان في عام ١٨٩١ . وفي عام ١٨٩٤ ، انتقل ميد مع ديوي إلى جامعة شيكاغو ، حيث دُرّس هناك حتى وفاته .

خلال مسيرته الفكرية التي امتدت لأكثر من ٤٠ عامًا ، كتب ميد دائمًا ونشر العديد من المقالات ومراجعات الكتب في كل من الفلسفة وعلم النفس . ومع ذلك ، لم ينشر أي كتاب . ولكن بعد وفاته ، قام العديد من طلابه بتجميع وتحرير عدّة مجلدات من سجلات دورة علم النفس الاجتماعي الخاصة بميد في جامعة شيكاغو ، ومذكراته ، وأوراقه العديدة غير المنشورة .

والمجلدات هي : محاضرات كاروس (١٩٣٠) . فلسفة الحاضر (١٩٣٢) . العقل والذات والمجتمع (١٩٣٤) . حركة الفكر في القرن التاسع عشر (١٩٣٦) . فلسفة القانون (١٩٣٨) . أبرز ما تم نشره لميد من الأوراق البحثية هو "اقتراحات لنظرية التطبيقات الفلسفية" (١٩٠٠) " الوعي الاجتماعي ووعي المعنى " (١٩١٠) . "ما هي الأشياء الاجتماعية التي يجب أن يفترضها علم النفس " (١٩١٠) . " آلية الوعي الاجتماعي " (١٩١٢) . " النفس الاجتماعية " (١٩١٣) . " المنهج العلمي وتفكير الفرد " (١٩١٧) . "الحساب السلوكي للرمز الكبير" (١٩٢٢) . " تكوين الذات والتحكم الاجتماعي " (١٩٢٥) . " واقع الهدف من وجهات نظر " (١٩٢٦) . " طبيعة الماضي " (١٩٢٩) .

رُكِّزَ ميد على تطوير الذات والموضوعية في العالم ضمن المجال الاجتماعي، وقد أصرَّ على أن "عقل الفرد لا يمكن أن يتكون إلا في وجود العقول الأخرى المحيطة ذات المعاني المشتركة". وأهم ركيزتين لعمل ميد _ والتفاعلية الرمزية بشكل عام _، هما فلسفة البراغماتية والسلوك الاجتماعي .

وهناك أربعة مبادئ أساسية للبراغماتية : ١ _ بالنسبة للبراغماتيين فإن الواقعية غير موجودة في العالم الحقيقي، ولكن " يتم إنشاؤها وَفْقًا لنشاطنا نحن تجاه العالم المحيط " . ٢ _ يتذكر الناس ويبينون معارفهم حول العالم على ما هو مفيد لهم ، ومن المرجح أن يُغيِّروا ما لم يعد يعمل أو يفيد. ٣ _ يُحدِّد الأشخاص المؤثرات الاجتماعية والبدنية التي يواجهونها في العالم وَفْقًا لاستخدامهم لها. ٤ _ إذا أردنا أن نفهم الجهات الفاعلة ، يجب أن نبنّي هذا الفهم على ما يفعله الناس فعلاً .

أما التفاعل الرمزي فهو يقوم على ثلاثة مبادئ: ١ _ التركيز على التفاعل بين الإنسان والعالم . ٢ _ النظر إلى كُل من الإنسان والجماعات والعالم على أنها عمليات ديناميكية وليس هياكل ثابتة. ٣ _ قدرة الإنسان على تفسير العالم الاجتماعي .

كان ميد شخصية مهمة في الفلسفة الاجتماعية في القرن العشرين . وكان أحد أكثر أفكاره تأثيراً هو نشوء العقل والنفس من خلال عملية الاتصال بين الكائنات الحية، والتي تَمَّت مناقشتها في بحث " العقل والذات والمجتمع " ، والمعروفة أيضاً باسم السلوك الاجتماعي .

وبالنسبة لميد ، فإن العقل ينشأ من فعل التواصل الاجتماعي. وقد كان مفهوم ميد للفعل الاجتماعي ذا صلة ليس فقط بنظريته الذهنية، بل أيضاً بجميع جوانب فلسفته الاجتماعية .

إن نظريته عن " العقل والذات والمجتمع " هي في الواقع فلسفةُ الفعل من وجهة نظر العملية الاجتماعية التي تنطوي على تفاعل العديد من الأفراد ، تماماً مثل نظريته في المعرفة والقيم ، والتي تنطوي على فلسفة الفعل من وجهة نظر الشخص الذي يتفاعل مع البيئة .

والجزء الأخير من نظرية ميد الاجتماعية هو العقل باعتباره نتاج الفرد للعملية الاجتماعية . ويقول ميد : ((الذات هي عملية اجتماعية)) . وهذا يعني أن هناك سلسلة من الإجراءات التي تستمر في العقل للمساعدة في صياغة الذات الكاملة .

يُعتَبَر ميد هو الفيلسوف الأمريكي الرئيسي ، ومن أبرز مؤسسي البراغماتية . كما قدَّم مساهماتٍ كبيرة في فلسفات الطبيعة، والعلوم، والتاريخ، والأنثروبولوجيا .

جورج هيغل وفلسفة التاريخ

وُلد الفيلسوف الألماني جورج هيغل (١٧٧٠ - ١٨٣١) في شتوتغارت في المنطقة الجنوبية الغربية من ألمانيا ، لعائلة تنتمي إلى البرجوازية الصغيرة . كان والده موظفًا في الدولة البروسية . وكانت أمّه ابنة مُحامٍ في المحكمة العليا .

دخل هيغل المدرسة في سن الثالثة . وحين دخل المدرسة اللاتينية في سن الخامسة ، كان بالفعل يعرف الأبجدية اللاتينية التي سبق أن علّمته أمّه إياها . في سن السادسة ، التحق بمدرسة متقدمة في شتوتغارت . وفي فترة المراهقة كان هيغل قارئًا نهمًا ، وكان ينسخ مقاطع طويلة ممّا يقرأ . وكانت أطروحة هيغل للتخرج من الثانوية بعنوان " حالة ركود الفن والمعرفة في تركيا " .

بعد أن أنهى هيغل دراساته الثانوية في مدينته الأصلية شتوتغارت ، انتقل عام ١٧٨٨ إلى مدينة توبينغن، ودخل كلية الإلهيات الشهيرة. وهناك، درس التاريخ وفقه اللغة الألمانية والرياضيات بصحبة صديقه " هولدرلين " الذي سيصبح شاعرًا كبيرًا فيما بعد. وقد نشأت بينهما صداقة حميمة وعميقة، وصديقه الآخر " شيلنغ " الذي سيصبح فيلسوفًا. وكانوا يتشاركون الغرفة نفسها .

أتمّ هيغل تعليمه في كلية توبينغن شتيفت ، وحصل على الشهادة اللاهوتية . ثمّ عمل مُدرّسًا خصوصيًا مُدّة ثلاث سنوات لدى أسرة أرستقراطية في برن . وفي تلك الفترة ، ألّف كتابه الذي عُرف فيما بعد باسم " حياة يسوع " . وكان عنوانه الأصلي " إيجابيات الدين المسيحي " .

توتّرت علاقته بالأسرة التي كان يعمل لديها ، فعرض عليه صديقه " هولدرلين " العمل مُدرّسًا عند أسرة أخرى في فرانكفورت. وفي تلك الفترة بالذات كان لهولدرلين تأثير كبير على فكر هيغل. أثناء عمله في فرانكفورت ، كتب هيغل مقالات مثّل: " شذرات عن الدين والحب " ، و " روح المسيحية ومصيرها " . ولم تُنشر هذه الأعمال في حياته . ومقال آخر بعنوان " أقدم نظام للمثالية الألمانية " الذي يُعتقد أنه كتبه عام ١٧٩٧ ، لكنه لم يُنشر إلا عام ١٩٢٦ .

في عام ١٨٠١ ، انتقل هيغل إلى بينا (تبعد ٣٠٠ كم عن فرانكفورت) بتشجيع من صديقه " شيلنغ " الذي كان بروفيسورًا في جامعة المدينة . عمل هيغل في الجامعة مُحاضرًا مُتعاونًا (بدون راتب) بعد أن قدّم أطروحة دكتوراة في علم الفلك . وفي تلك السنة ، نشر هيغل كتابه الأول " الفرق بين فيخته وشيلنغ في النظام الفلسفي " . وكان هيغل يحاضر عن المنطق والميتافيزيقا، وشارك في تقديم فصلين دراسيين مع صديقه شيلنغ .

في عام ١٨٠٥ ، قامت الجامعة بترقية هيغل إلى منصب بروفيسور (لكن دون راتب) ، بعد أن أرسل هيغل رسالة إلى وزير الثقافة غوته ، احتجَّ فيها على ترقية الجامعة لخصمه فرايز جاكوب فريدريش . كذلك حاول هيغل التَّوسُّط ليحظى بمنصب في الجامعة الناشئة (جامعة هايدلبرغ) ، لكنه لم يُفلح . في حين أن خصمه " فرايز " قد عُيِّنَ في تلك الجامعة أستاذًا دائمًا براتب كامل . ساءت أوضاع هيغل المالية ، واضطرَّ إلى الإسراع في إنجاز الكتاب الذي سيقدِّم فيه نظامه الفلسفي . وبينما كان يضع اللمسات الأخيرة لكتابه " ظواهرية الروح " ، غزا نابليون بروسيا في أكتوبر ١٨٠٦ . ولم يستطع هيغل إخفاء إعجابه بنابليون واحترامه له .

يُعتبر هيغل أحد أهم الفلاسفة الألمان ، ويُنظر إليه على أنه أهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي . طوَّر المنهج الجدلي الذي أثبت من خلاله أن سير التاريخ والأفكار يتم بوجود الأطروحة ثم نقيضها ثم التوليف بينهما. وكان هيغل آخر بُناة المشاريع الفلسفية الكبرى في العصر الحديث . وكان لفلسفته أثر عميق على معظم الفلسفات المعاصرة . يمكن وصف فكر هيغل بأنه بناء وتطوير داخل نطاق التقاليد الأفلاطونية التي تشمل أرسطو وكانت وغيرهما . وما يُميِّز هؤلاء الفلاسفة أنهم يعتبرون الحرية والجبر الذاتي كلاهما حقيقي ، وله آثار وجودية هامة للروح أو العقل . هذا التركيز على فكرة الحرية جعل أفلاطون يأتي بفكرة أن الروح لها وجود أسمى أو أكمل من وجود الكائنات الجامدة .

كان مشروع هيغل الفلسفي الرئيسي هو أن يأخذ التناقضات والتوترات في المجتمع والثقافة والفلسفة ، ويضعها في سياق وحدة عقلانية شاملة . وقد سمَّى هذه العملية " الفكرة المطلقة " ، أو " المعرفة المطلقة " . وطبقًا لهيغل ، إن الخاصية الرئيسية في هذه الوحدة أنها تتطوَّر وتظهر على شكل التناقض والسُّلب . ويكون للتناقض والإنكار طبيعة حركية دائمة في كل مجال من مجالات الحقيقة : الوعي . التاريخ . الفلسفة . الفن . الطبيعة . المجتمع .

وهذه الجدلية هي ما تُؤدِّي إلى تطوير أعمق حتى الوصول إلى وحدة " عقلانية " تتضمن تلك التناقضات كمراحل وأجزاء ثانوية ضمن كُل تطوُّري أشمل . وهذا الكُل عقلي ، لأن العقل وحده هو القادر على تفهُّم كُل هذه المراحل والأجزاء الثانوية كخطوات في عملية الإدراك . وقد اعتبرت فلسفة هيغل أن الميزة الأساسية للإنسان هي " الوعي بالذات " ، وأن هذه السَّمة " تجعله قادرًا على الارتداد إلى ذاته ، وهي نفسها جوهر الفكر الذي يعني الانعكاس أو الارتداد " . واستعمل هيغل مفهوم " الوعي " لتأسيس فلسفة شمولية للتاريخ الذي هو المنتج الأهم للعقل الإنساني .

جوزويه كاردوتشي وتمجيد الشيطان

وُلد الأديب الإيطالي جوزويه كاردوتشي (١٨٣٥ - ١٩٠٧) في بلدة فال دي كاستيلو شمال غربي إيطاليا ، وتُوفِّي في مدينة بولونيا .

انتقلت أسرته إلى فلورنسا عام ١٨٤٥ . تلقى تربية دينية لدى مُربِّين خاصِّين ، ثم تابع دراسته ، ودخل دارَ المعلمين العليا في مدينة بيزا عام ١٨٥٦ لنيل الماجستير . شهدت بداية حياته مآسي عدَّة ، منها : وفاة والده الطبيب ، وانتحار شقيقه ، إضافة إلى ضائقة مادية تفاقمَت بزواجه . يُعتبَر أول إيطالي يفوز بجائزة نوبل للآداب (١٩٠٦) .

عَلِمَ في إحدى المدارس الثانوية ، وعُرف بأخلاقه الرفيعة . وقد عَرَض عليه وزيرُ التربية في أول حكومة شهدتها إيطاليا بعد توحيدها منصب أستاذ للأدب الإيطالي في جامعة بولونيا ، فتولَّى المنصب عام ١٨٦٠ . وقد تفرَّغ للتدريس والكتابة النقدية والنشر ، وبقي فيه حتى تقاعده عام ١٩٠٤ . وقد لفت انتباهَ الوزير بقصائده التي نشرها عام ١٨٥٧ ، وحملت نفحةً إبداعية رومانسية صادرة من القلب ، إلا أن كاردوتشي ابتعدَ عن هذا المجال ، وانضمَّ إلى أنصار المذهب الكلاسيكي في الأدب ، الذين كانوا يعملون في مجلة " المُلْحَق " ، ويهدفون إلى نُصرة اللغة الإيطالية ، والوقوف ضد التيار الإبداعي الأوروبي .

وَرِثَ كاردوتشي عن والده الفكرَ الشوري الحر ، وكان يحلم بإنجازات حقيقية تُساهم في توحيد إيطاليا وتأسيس الحكم الجمهوري . وبدأ تمردَه على الدِّين والمجتمع ، فاتَّخَذَ موقفًا مُعاديًا للوضع الدِّيني والحالة الاجتماعية ، رافضًا السُّلطة الكنسية المهيمنة على المجتمع . فنظَّم أنشودة " إلى الشيطان " (١٨٦٥) . و " جدال شيطاني " (١٨٦٩) . وقد وضع فيهما فكرته الشخصية حول الشيطان ، وأَنَّهُ يُمَثِّل العِلْمَ وتقدم الفكر البشري في وجه الجهل والخرافات .

تابعَ كاردوتشي الأحداثَ السياسية منذ الاستقلال ، وعاشَ ظروفَ توحيد البلاد ، وانتقال العاصمة إلى فلورنسا ، ونهاية الحُكم البابوي الاستبدادي ، وخسارة حزب اليمين ، ووصول اليسار إلى الحكم عام ١٨٧٦ . وكان في هذه الفترة عضوًا جمهوريًا عاملاً ، ومُنِع من التعليم ، إلا أن حياته تغيَّرت بالكُلِّية في عام ١٨٧٨ ، فقد التقى الملكة الشابة مرغريتا ، وتَغَنَّى بجمالها في إحدى قصائده . وقد أدَّى هذا اللقاء _ إضافةً إلى تغيُّر المسار السياسي العام والحزن الذي أصابه بعد وفاة والدته وابنه _ إلى تقربِه من السُّلطة .

وهذا ساعده في الفوز بمقعد في مجلس الشيوخ عام ١٨٩٠. فتراجع عن مواقفه العدائية، وخفف من لهجته الحادة. وبدأ يميل إلى التوازن والاعتدال، مع المحافظة على الثوابت التي يؤمن بها، وهي حُبُّه للوطن ، وحُبُّه للشعر ، ونظرته التَّساؤمية للحياة .

أصدرَ كاردوتشي عدَّة مجموعات شعرية ، من أبرزها : " جوفينيليا " ، " هجائيات " ، " قوافٍ جديدة " ، " قصائد همجية " . وله أيضًا كتابات نثرية ، من أهمَّها : " اعترافات ومعارك " .

كتب كاردوتشي الشعرَ في فترة كان النشر فيها أقرب إلى التيار الواقعي . وحاولَ جاهداً أن يرفع من شأن الشعر قائلاً : ((إن لغة الشعر أدبية ورفيعة المستوى ، وقراءتها نُخبوية)) .

وأظهرَ في كتابه " هجائيات وإيودات " انفتاحاً نحو الشعر الحديث ، إلا أن لغته المصقولة لم تُسعفهُ كثيراً في وصف الحاضر ، الذي اعتبره مناخاً فاسداً انتشرَ فيه الرياء والجحود ، وكثُرَ فيه اللاأخلاقون .

وقد تغنَّى بالأُمجاد الغابرة ، ورأى في الثورة الفرنسية حَدَثاً عظيماً في التاريخ المعاصر ، وكان يسعى إلى بناء حاضر إيطالي مثالي . كما أنه عُرِف بِسَعْيِهِ الدؤوب من أجل تحديث قوالب الشعر، فخرجَ عن التناغم التقليدي الذي يستند إلى تناوب المقاطع القصيرة والطويلة في البيت الشعري ، ولجأ إلى تشديد النَّبر بما يُحدِث تناغماً بين الأبيات .

جوزيبي أونغاريتي والاختراقات الشعرية

وُلد الشاعر الإيطالي جوزيبي أونغاريتي (١٨٨٨ _ ١٩٧٠) في الإسكندرية بمصر ، وتُوفِّي في ميلانو بإيطاليا .

تنحدر أسرته من أصول توسكانية . تُوفِّي والده أثناء أعمال الحفر بقناة السويس ، ونشأ في رعاية والدته ومُربيته النوبية . التحق أونغاريتي بالمدرسة السويسرية بالإسكندرية، وعاش بالمدينة حتى عمر الرابعة والعشرين، قبل أن ينتقل إلى باريس بفرنسا، ومنها لروما التي استقر بها فترة مؤسسًا التيار الشعري المغلق الهرمسي . بعدها سافر للبرازيل بصحبة أسرته، قبل أن يعود مُجددًا إلى إيطاليا مع الحرب العالمية الثانية . وكان دائم الترحال والأسفار .

حضر أونغاريتي في الكوليج دو فرانس محاضرات الناقد الأدبي الفرنسي غوستاف لانسون ، ومحاضرات جوزيف بدييه أستاذ أدب العصر الوسيط ، كما واطب في جامعة باريس على حضور محاضرات الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون . وقد تردّد أونغاريتي خلال مُدّة إقامته في باريس على أكثر الأوساط الثقافية والفكرية والفنية الطليعية نشاطًا آنذاك . كما اطلع على أعمال ثلّة من الشعراء الفرنسيين الذين أثّروا تأثيرًا بالغًا في مسيرته الشعرية، مثل : بودلير ومالارمي ورامبو .

نفخ أونغاريتي في بواكير إنتاجه روحًا جديدة في الشعر الإيطالي، وانطلق صوته غريبًا عن قضايا الشعر الإيطالي السائد آنذاك ، وتلّو أسلوبًا شعريًا جديدًا في مناه ومعناه .

نظم أونغاريتي ستة دواوين شعرية ، جمعها في خمسة مجلدات ، وهي على التوالي :

١- " غبطة الغرقى " . نظمته خلال الفترة (١٩١٤ _ ١٩١٦) . ويحتوي بين دفتيه على ديوان صغير بعنوان "المرفأ الغائر" . وصف أونغاريتي في ديوانه هذا أهوال الحرب وآسيتها، وعبر فيه عن فرحة البقاء بعد انتهائها . ويُلَمَس في هذا الديوان شفافية التشاؤم البطولي الذي يطبع بطابعه مجموعة قصائد الديوان .

٢- " الشعور بالزمن " . نظم قصائده خلال الفترة (١٩١٩ _ ١٩٣٧) . عبّر فيه عن ضيقه بالعيش وتبرّمه به، واستحوذ فكرة الموت وهاجسه على نفسه، فبحث عن وطن حقيقي ضائع ومختبئ في ليل الزمان السحيق . كما بحث عن "البراءة الأولى" . وتُظهِر هذه الأحاسيس كُلُّها أن جرح النفي والاعتراب الذي كان يشعر به على الدوام لم يندمل عنده . وقد زاد من حِدّة اغترابه عن وطنه آنذاك معارضته للفاشية وأفكارها ، فشَدَّ الرحال من جديد وسافر إلى البرازيل،

ليُدْرَس فيها الأدب الإيطالي الحديث خلال الفترة (١٩٣٧ _ ١٩٤٢) . وقد بحث أونغاريتي في ديوانه هذا عن أسلوب أكثر إتقاناً ، وعن شكل شعري أكثر اتباعية .

٣_ "الألم". نظم قصائده خلال الفترة (١٩٣٧_١٩٤٦) . وقعت أحداث جسام تركت بصماتها المأساوية على قصائد هذا الديوان. فقد تُوفِّي ولده ، وأدمى قلبه احتلال النازيين لروما ، فصبَّ أحزانه في قصائد فيها نواحٌ يُمزَّق القلوب .

٤_ " الأرض الموعودة " . نظم قصائده خلال الفترة (١٩٤٧ _ ١٩٥٠) . لقد شعر أونغاريتي طيلة حياته أنه منفي في الأرض ، وهائم على وجهه ، ودائم التنقل والترحال، يحثُّ السير أبداً نحو آفاق جديدة. فقد وُلِد في مصر التي تعجُّ بشتى الأساطير، وبالسَّحر الذي يفتن الغرب. وبقي طوال حياته داعياً لهذه الازدواجية التي تجري في عروقه بين أصله الإيطالي ومولده المصري. ٥_ " صراخ ومناظر " . وهو آخر دواوينه. نظم أشعاره خلال الفترة (١٩٥٠ _ ١٩٥٤) .

أمَّا في مجال النشر، فقد كتب أونغاريتي مجلدات كثيرة عن ذكرياته. كما كتب مقالات ودراسات شرح فيها تجربته في الهرب من " قلق العصر " عن طريق الصفاء التقني في النظم الشعري، واللوذ بالأحلام، والتلاشي في الأحاسيس. وهذه كلها منابع للخلاص الإنساني يمكن أن يبلغ الشَّعر فيها شأواً بعيداً لا يخلو من غموض وانسجام . كما كتب أونغاريتي دراسات في التصوير والمصورين.

شعر أونغاريتي بأكمله وبعمقه مرآة لسيرته الذاتية والمناسبات التي عاشها. فهو لم يترك مناسبة أو تجربة إلا ونظم فيها شعراً . ويُعدُّ هذا الشَّعر اعترافات متلاحقة، لكنه تمالك فيها نفسه، وكبح جماحها من شطط الحقيقة وخفاياها اللاذعة أحياناً .

يُعتبر أونغاريتي رائداً من رواد المدرسة الهرمسية أو الإبهامية التي اختارت الإبهام والغموض منهجاً لها . وشعره رصينٌ ، دقيق المعنى والفكرة، ليس فيه تكلفٌ، وليس فيه حشو ولا إسفاف، وهو يُعيد القارئ في شعره إلى ماضٍ بعيد، ماضي ما قبل الولادة ، ماضي الإنسان البدائي، فيصل بذلك في شعره إلى مرحلة الأسطورة .

كان أونغاريتي أحد المساهمين البارزين في الأدب الإيطالي خلال القرن العشرين ، وقد حصل على جائزة نيوستاد الدولية للأدب عام ١٩٧٠ . وهي جائزة تمنحها جامعة أوكلاهوما كل عامين، وتُعدُّ ثاني أعظم جائزة أدبية في العالم بعد جائزة نوبل للآداب .

جوزيف روديارد كبلينغ وتأثير الاستعمار

وُلد الأديب البريطاني جوزيف روديارد كبلينغ (١٨٦٥ - ١٩٣٦) في بومباي بالهند ، التي كانت آنذاك جزءاً من الإمبراطورية البريطانية ، وكان والده فناناً وعالمًا . وقد تعهّد الخدم الهنود كبلينغ بالرعاية ، فدرس على أيديهم اللغة الهندوستانية (وهي تسمية قديمة للغة الأردية ، كان يستخدمها الإنجليز خاصةً) ، ثم درس اللغة الإنجليزية .

وعندما بلغ الخامسة ، أرسله أبواه إلى المدرسة في هامبشاير بإنجلترا ، وعاشَ مع وصيّ عامله بقسوة بالغة أثّرت في الطفل سلباً ، وقد عبّر كبلينغ عن تجارب طفولته النعيسة في بعض قصصه . وفي سن الثانية عشرة التحق بكلية الخدمات المتحدة في ديفون بإنجلترا . وكانت هذه المدرسة قد أنشئت بشكل خاص لتعليم أبناء الضباط العسكريين ، الذين لم يكونوا قادرين على الالتحاق بالمؤسسات التعليمية ذات التكاليف المرتفعة .

وكتب كبلينغ عن هذه المدرسة في مجموعة قصصية بعنوان " ستولكي وشركاه " (١٨٩٩) . وقد تحمّل التخويف والنظام الصارم في المدرسة ، وأقام صداقات ، وطوّر قدراته الأدبية . وفيما بعد اعتبر كبلينغ هذه المدرسة نموذجاً لتدريب قادة المستقبل البريطانيين .

وعندما بلغ سن السابعة عشرة ، رفضَ عرض والديه لإلحاقه بالجامعة ، وعادَ إلى الهند ، وعمل مُوظفًا في صحيفة الجازيت التي كانت تصدر في لاهور (في باكستان الآن) . وعلى الرغم من ضغوط الوظيفة ومتاعبها ، بدأ كبلينغ في كتابة القصائد والقصص القصيرة . ونشر العديد من أعماله الأدبية في الجريدة التي يعمل فيها .

وفي عام ١٨٨٩ ، سافرَ إلى إنجلترا للعمل مراسلاً للجريدة ، وبعد وصوله بوقت قصير نشرت جريدة التايمز اللندنية ذات الشهرة العالمية في ذلك الوقت نقدًا امتدحت فيه كتاباته . وقد كان هذا النقد أول وأهم اعتراف به ككاتب . وفي عام ١٨٩٢ ، انتقلَ إلى الولايات المتحدة ، وكتب هناك روايةً بالاشتراك مع صديقه الأمريكي بالستير . لكن كتابهما لم يعرف طريق النجاح . وفي نفس العام تزوّج كبلينغ مِن أخت صديقه بالستير . وعاش الزوجان في فيرمونت إلى أن انتقلا إلى إنجلترا سنة ١٨٩٦ . يُعتبر كبلينغ من أهم كُتّاب القصة القصيرة ، وتُعَدُّ قصص الأطفال التي كتبها من كلاسيكيات الأدب العالمي . وتبرز في رواياته موهبته السردية القائمة على النقاط اللحظية ، والتصوير الفني الدقيق . وقد شملت موهبته الأدبية النشر والشعر معًا .

تتناول معظم أعمال كبلينغ الأولى عَظْمَة الإمبراطورية البريطانية، والإشادة بالجنود البريطانيين، وتصوير عُمَال الحكومة كأبطال ، ووصفهم بأنهم ناشرو العدل والازدهار والحضارة في البلاد البعيدة ، وتمجيد النَّزْعَة الاستعمارية التي كانت تُمثِّل العقيدة السياسية لبريطانيا . وهذه المبادئ تتجلى في مجموعاته القصصية : حكايات بسيطة من التلال (١٨٨٨) ، جنود ثلاثة (١٨٨٨) ، وقصص أخرى (١٨٨٩) . وقد استغل مهارته الأدبية ومعرفته بالهند لجعل كتاباته مُقْنَعَة ومتماسكة .

كتب كبلينغ أول رواية له : " الضوء الذي خبا " (١٨٩٠) بعد عودته إلى إنجلترا من الهند بوقت قصير . ولم يَنَلْ هذا الكتاب شهرةً كبيرةً ، لكنه أظهر أن كبلينغ قادر على الكتابة بتعاطف عن قضايا لا علاقة لها بالإمبراطورية البريطانية . والرواية تتحدث عن جندي فَنَّان شاب ، يُواجه العمى المتوقع، وفقدان حُب امرأة . ويُقَدِّم على الانتحار عن طريق تعريض نفسه لنيران العدو عَمْدًا .

وحَقَّق كبلينغ شهرةً عالميةً ، وكسب جمهورًا كبيرًا من القُرَّاء بقصصه التي كتبها للأطفال . وأشهر مجموعاته القصصية على الإطلاق كتاب الأدغال (١٨٩٤) الذي يصف مغامرات ماوكلي ، الطفل الهندي الذي يضيع في الأدغال ، ويعيش مع عائلة من الذئاب ، وبعد مرور السنوات ، يعود ليعيش مع البشر . وقد جعل كبلينغ الأدغال تبدو عالمًا سياسيًا واجتماعيًا متكاملًا .

تعرَّض كبلينغ لحملة من الرفض والكراهية ، وساءت سُمعته ، وصارَ شخصًا غير مرغوب فيه ، لأن الكثيرين أخذوا يُعارضون الاستعمار ورموزه ، وبدأت شهرة هذا الكاتب تنطفئ بين النُّقاد بعد عام ١٩١٠ . لقد خسر الكثير من شعبيته بسبب تأييده للتوسُّع الاستعماري البريطاني . وعارضه آخرون بسبب وقوفه ضد منح المرأة حق التصويت .

بقي كبلينغ يكتب إلى ثلاثينيات القرن العشرين ، ولكن بوتيرة أقل ، ودون نجاح يُذكر . وقد تُوفِّي عن عمر يناهز السبعين عامًا ، ولم يتمكن من استعادة شعبيته التي حقَّقتها في شبابه . وقد أُحرق جُثمانه ، ودُفن رماد جثته في رُكن الشعراء .

يُعتَبَر كبلينغ أصغر فائز بجائزة نوبل للآداب (١٩٠٧) . وأول كاتب باللغة الإنجليزية يحصل عليها .

من أبرز أعماله الأدبية : النور الذي خبا (١٨٩٠) ، كتاب الأدغال (١٨٩٤) ، البحار السبعة (١٨٩٦) ، القادة الشجعان (١٨٩٧) ، عمل اليوم (١٨٩٨) .

جوزيف كونراد وقلب الظلام

وُلد الأديب الإنجليزي، البولندي الأصل جوزيف كونراد (١٨٥٧ _ ١٩٢٤) في بيرديشيف، التي كانت آنذاك تابعة لبولونيا (بولندا) ، لكنها الآن مدينة أوكرانية . كان أبوه شاعرًا ومترجمًا، وكان أمُّه من عائلة ثرية نبيلة، وقد قرأ كونراد الفتى مع أبيه ترجمات بولونية وفرنسية للروايات الإنجليزية . تَوَرَّط أبوه في نشاطات سياسية ضد السُّلطة القيصريَّة ، وكان مصيره النفي مع عائلته إلى فولوغدا في شمال روسيا . وفي أثناء هذه الرحلة أُصيب كونراد بذات الرئة ، ولم تلبث والدته أن تُوفيت عام ١٨٦٥ ، ثم لحق بها والده في عام ١٨٦٩ .

تُعتبر روايته " قلب الظلام " (١٨٩٩) من أشهر أعماله ، وقد عبّر فيها عن العلاقة بين الطبيعة والإنسان ، كما أنه كشف عن عواطف الإنسان ومشاعره الخفية . وقد أثارت هذه الرواية خيال مخرجين سينمائيين ونُقَّاد بارزين، مثل فرانسيس فورد كوبولا الذي بنى على أساسها فيلمه الشهير عن الحرب الفيتنامية " القيامة الآن " (١٩٧٩) . إن الرواية تكشف خفايا النفس البشرية ، فبطل الرواية مارلو يبدأ رحلة طويلة في نهر أفريقي كبير للوصول إلى قلب القارة ، ويُسيطر على السكان المحليين بوسائل بربرية .

لقد رسم كونراد الطبيعة كشبكة من المشاعر التي تُحيط بنا وتُسيّر حركاتنا ، وهي متمتعة بحياة خاصة بها ، ومن الصعب أن نجد في داخلنا قوة حقيقية للسيطرة عليها . وكونراد كان يعرف هذه العلاقة بين الإنسان والطبيعة، فقد عايش الأدغال والبحار منذ سن مبكرة . وتَيتَّم بعد ولادته، وعندما كان في العاشرة من عُمره ، وجد نفسه على متن سفن تجارية بَحَّارًا بين بَحَّارتها . وَمِن ثَمَّ أُتيح له أن يُصبح بَحَّارًا على سفن تجارية إنجليزية . ما مكَّنه في عام ١٨٨٦ من الحصول على الجنسية البريطانية . وظلَّ يخوض غِمار البحار حتى عام ١٨٩٤ ، حيث تقاعد مُنصرَفًا الى الكتابة، فأنجز حتى رحيله ثلاثين كتابًا ، وصف في معظمها مغامراته في البلدان والبحار والقارات ، أو استوحاها بأسلوب غرائبي ، وهذا ساهم في تحقيق رواياته نجاحًا ما بعده نجاح . وكان هدف كونراد الدائم فيها البحث عن حقيقة الإنسان وعلاقته بالكون ، ولكن في قالب روائي مُشَوِّق دائمًا . استكشف في أعماله الضعف والاضطراب الأخلاقي الكامنين في النفس البشرية ، وصوَّر الخطر الكامن في مظاهر الطبيعة من بَحَّار وعواصف وأدغال ، وكفاح الإنسان في مواجهتها ، فضلًا عن اهتمامه بقضايا التفرقة العنصرية والاستعمار .

عاش كونراد في كنف خاله الذي غنيّ بتعليمه، وخلف لديه أثرًا باقياً. كان تلميذًا مُشاكسًا ومُتمردًا. وتمكّن من إقناع خاله بالسماح له بالعمل في البحر، فسافر إلى فرنسا، حيث أمضى بضع سنوات أتقن خلالها اللغة الفرنسية وعَمَلَ الْبَحَّارَ، والتحق بالبحرية التجارية الفرنسية بحارًا مُتَدَرِّبًا، فقام بثلاث رحلات إلى جزر الهند الغربية، كما كوّن في أثناء إقامته في فرنسا علاقات شتّى، وتعرف من خلال أصدقائه البوهيميين على الدراما والأوبرا والمسرح، وتعمّقت صِلاته بالعُمَال الذين التقاهم على متن السفن، فكوّنت تجاربه معهم خلفية ذلك الوصف الحي الذي اشتهرت به رواياته.

كانت الكتابة بالنسبة إليه مُحمّلة بالألم والمصاعب، ولم يكتب إلا بالإنجليزية لغته الثالثة، التي تعلّمها على كِبَر بعد البولونية والفرنسية. وقد عانى من الفقر والمرض والشعور بالعزلة. من أعمال كونراد الأولى روايته "حماقة أليماير" التي أمضى خمس سنوات في العمل عليها قبل أن تُنشر عام ١٨٩٥، وهي تُصوّر ألمانيًا مُشرّدًا يتخبط في الأنهار والغابات. ويبدأ فيها كونراد استخدام أسلوب التكرار في مؤلفاته، حيث يكون الراوي غالبًا رئيس بحارة متقاعد، ورأى بعض النقاد أنه يُمثّل الأنا البديل لكونراد، ويُسيغ على أعماله صفة السيرة الذاتية. أمّا "زنحي السفينة نرجس" (١٨٩٧)، فهي قصة معقدة عن عاصفة تهبّ عند رأس الرجاء الصالح، وعن بحار أسود يُلْقُهُ الإبهام والغموض. أمّا روايته الشهيرة "لورد جيم" (١٩٠٠)، فيكتشف فيها مفهوم الشرف الشخصي من خلال أفعال وعواطف رجل يقضي حياته في محاولة للتكفير عن فعل جبان، كان قد اقترفه وهو ضابط شاب عند تحطّم إحدى السفن. تُشكّل مؤلفات كونراد جسرًا يصل بين التقليد الأدبي، ومدارس الكتابة الحداثيّة الناشئة. وإذا نُظِرَ إلى مؤلفاته من منظور خلفيته البولونية واختياره اللاحق للإنجليزية وسيلة للتعبير، فإنها تُشكّل مادة أدبية مُدهشة من حيث قيمتها الأدبية والنفسية الرفيعة.

ومع كَوْن البحر والسفن موضوع كونراد الأثير، لكنهما والظواهر الطبيعية كافة لا تُشكّل جوهر أعماله الذي يتجلى في اكتشاف القوى الغامضة التي تقف خلف الشجاعة والخوف، خلف الخير والشر، وخلف الكائنات التي تعيش أنواعًا من العزلة بفعل قوى خارجية، تُزَيِّن لها الوصول إلى شيء من الراحة، ولكنها تُلقِي بها في الاضطراب العميق. رفض كونراد لقب النبالة الذي عُرضَ عليه عام ١٩٢٤، كما رفض درجات الشرف التي قُدِّمَتْ له من خمس جامعات، وتُوفِّيَ في بلدة بشوبزبورن في مقاطعة كينت الإنجليزية إثر نوبة قلبية.

جوزيه ساراماغو ومُعَاداة الفاتيكان

وُلد الروائي البرتغالي جوزيه ساراماغو (١٩٢٢ _ ٢٠١٠) لعائلة من الفلاحين الذين لا يمتلكون أرضاً في قرية صغيرة تبعد ١٠٠ كم شمال لشبونة . وعلى الرغم من كونه تلميذاً جيّداً ، إلا أنه انتقل إلى مدرسة مهنية، وهو في الثانية عشرة من العمر لعجز أهله عن دفع تكاليف دراسته . وبعد تخرّجه ، عمل ميكانيكي سيارات لمدة عامين . وفيما بعد أصبح مُترجماً ثم صحفياً .

لَمْ يُحَقِّق ساراماغو الشُّهرة ، وَلَمْ يُعَرَفْ عالمياً حتى بلغ السَّتين ، بالتزامن مع نشر روايته الرابعة " بالتازار وبوليميندا " (١٩٨٢) . تدور أحداثها في محاكم التفتيش خلال القرن الثامن عشر في لشبونة، وتحكي قصة حُب بين جندي مُشوَّه وعِرافة شائبة ، كما أنها تحكي عَنْ قِس مُتمرد يحلم باختراع آلة للطيران . وعندما تَمَّت ترجمة هذه الرواية في عام ١٩٨٨ ، لفتت أنظار القُرَّاء حول العالم . وفازت بجائزة أدبية برتغالية . انضمَّ ساراماغو إلى الحزب الشيوعي البرتغالي في عام ١٩٦٩ ، وظل عُضُواً فيه حتى نهاية حياته . وقد كان باعترافه الشخصي مُتشائماً . وأثارت آراؤه الكثير من الجدل في البرتغال ، وبخاصة بعد نشر روايته " الإنجيل يرويه المسيح " (١٩٩١) . وثار غضب المُتديِّنين الكاثوليك في البلاد بعدما صَوَّرَ ساراماغو المسيح، وبشكل خاص الإله بأنه عُرضة للخطأ ، وأيضاً من البشر القاسين . لذلك قامت حكومة البرتغال المحافظة بمنع أعمال ساراماغو من المنافسة على إحدى الجوائز الأدبية، بِخُجَّة أنها تُسيء للمجتمع الكاثوليكي . ونتيجة ذلك ، انتقل مع زوجته إلى إحدى جُزر الكناري .

أسلوب ساراماغو التجريبي كان غالباً يَتَمَيَّز بِالْجُمْل الطويلة ، والتي قد تتجاوز في بعض الأحيان الصفحة الكاملة . استخدمَ نظام الفترات الزمنية بشكل قليل ، واختارَ بدلاً من ذلك دَفْقاً من الفقرات المسترسلة غير المقيَّدة ، تصل ما بينها علامة الفاصلة . الكثير من الفقرات في كتاباته كانت تمتد لصفحات دُون أي توقف لإجراء أي حوار . وفي أعماله كثيراً ما تتم الإشارة لمؤلفاته الأخرى . وفي رواية " العمى " (١٩٩٥) ، تخلى ساراماغو عن استخدام الأسماء تماماً . وكان يُشير لكل شخصية عن طريق ذِكر بعض صفاتها الفريدة أو المميَّزة لها . وهذا مثال على أسلوب ساراماغو الذي يُرَكِّز بشدة على موضوعات الهوية والغاية في كل أعماله . ويمكن اعتبار بعض مؤلفاته أمثولات، تستعرض عادةً أحداثاً تاريخية من وجهة نظر مختلفة تُرَكِّز على العنصر الإنساني ، ويمكن وصف ساراماغو بأنه جزء هام ومؤثّر في تشكيل أساسيات الثقافة الغربية .

بيعت أكثر من مليوني نسخة من أعماله في البرتغال وَحَدَهَا ، وَتَمَّت ترجمة أعماله إلى خمس وعشرين لغة . وبما أنه كان أحد مُؤيِّدي الشيوعية اللاسلطوية ، فإنه كان عُرضة للنقد مِن قِبَل بعض المؤسسات مثل الكنيسة الكاثوليكية ، والاتحاد الأوروبي ، وصندوق النقد الدولية ، والتي عارضهم ساراماغو في كثير من القضايا .

روايات ساراماغو تطرح عادةً سيناريوهات مُدهِشة. ففي روايته "الطوف الحجري" (١٩٨٦) فإن شبه الجزيرة الإيبيرية تنفصل عن بقية أوروبا ، وتُبحر في المحيط الأطلسي . وفي رواية " العمى " (١٩٩٥) نجد دولة بكاملها لا نعلم اسمها ، تُصاب بوباء غامض وهو العمى . أمَّا روايته " سنة موت ريكاردو ريس " (١٩٨٤) الشخصية الوهمية للشاعر فرناندو بيسوا تلتقي بالشاعر وتحاوِّره عامًّا كاملاً رغم كَوْن الشاعر نفسه مَيِّتًا .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن روايته " انقطاعات الموت " (٢٠٠٥) تجري أحداثها في بلد ينقطع الموت فجأة عن كُل قاطنيه ، لنرى التبعات الروحية والسياسية المترتبة على هذا الأمر . يطرح ساراماغو موضوعات جادة ، ويتعاطف مع الوضع الإنساني ، والعزلة الناتجة من حياة المدن الحديثة . الشخصيات في أعماله تُعاني في حاجتها للتواصل مع الآخرين ، وتكوين العلاقات والترابط كمجتمع واحد. وأيضًا حاجتهم للاستقلالية، وإيجاد الغاية والكرامة خارج البنى السياسية. كان ساراماغو مُلحدًا. واعتقد الكثير من الناس أنه كان مُعاديًا بشكل كامل للدين في مؤلفاته. وَجَّهَتْ له الكنيسة الكاثوليكية الكثير من النقد في مناسبات كثيرة بسبب محتوى بعض رواياته . تَمَّ إعلان فوز ساراماغو بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٨ . وجاء الإعلان بشكل مفاجئ لساراماغو ، لأنه كان على وشك السفر إلى ألمانيا لحضور معرض فرانكفورت للكتاب . أشادت لجنة نوبل " بالأمثولات والحكايا الرمزية التي تفرضها مُخيِّلته، بالإضافة للتعاطف والسُّخرية في أعماله " ، بالإضافة لاتباعه " الأسلوب التشكيكي الحديث " فيما يتعلق بالحقائق الرسمية .

شكَّك الفاتيكان في فوز ساراماغو لأسباب سياسية، على الرغم من عدم تعليقهم على المحتوى الأدبي أو الجمالي في أعماله . وقد ردَّ ساراماغو بِقوله : ((إن الفاتيكان يمكن ترويعه بسهولة، خاصة من الناس المتواجدين بالخارج. وعليهم أن يُركِّزوا على صلواتهم ويتركوا الناس بسلام . أنا أحترم أولئك الذين يؤمنون ، لكن ليس لديَّ أدنى احترام لهذه المؤسسة)) .

تَمَّ إحراق جثته في لشبونة ، ودُفِنَ رماده في ذِكْرَى وفاته ، في ١٨ يونيو ٢٠١١ تحت شجرة زيتون تبلغ من العُمر مئة سنة ، وتتواجد في الساحة التي تقع أمام مؤسسة جوزيه ساراماغو .

جوستاف فلوبر ومدام بوفاري

وُلد الروائي الفرنسي جوستاف فلوبر (١٨٢١ _ ١٨٨٠) في مدينة روان الفرنسية ، لأب يعمل طبيبًا. التحق بالمدرسة مُتأخِّرًا ، حيث تجاوز عمره العاشرة ، وكان ذلك سببًا في نزعة الخجل التي لازمته . دأبت خادمة الأسرة على إشباع خياله بالكثير من القصص والحكايات ، فلمَّا التحق بالمدرسة بدا ميله واضحًا إلى دراسة التاريخ، وشغف بقصصه .

كان فلوبر يكتب دون علم أبيه الطبيب الذي كان يريد أن يجعل ابنه جراحًا بارعًا مثله، لكن فلوبر صرح والده بعد حصوله على شهادة الثانوية بعدم رغبته في دراسة الطب، فاقترح الأب عليه أن يكون محاميًا ، وقرَّر إرساله إلى باريس ليدرس القانون .

لَمْ يلبث فلوبر أن ضاق بالقانون والجامعة وباريس ، وصمَّم على أن يحترف الأدب، وانكب على قراءة كتاب " دون كيخوتي " لثيربانتس . وقد صار هذا الكتاب المنبع الأول لفلسفته .

بعد وفاة والده في عام ١٨٤٥ وأخته الوحيدة كارولين التي كان يُحبها حبًّا جَمًّا ، انتقل إلى الضيعة التي اشتراها والده على ضفة نهر السين تدعى " كرواسيه " ، وظل هناك حتى نهاية حياته. ألزَم نفسه بنظام وعادات صارمة ، حيث كان يستيقظ في العاشرة صباحًا ، ويبدأ بمطالعة الصحف والرسائل الواردة إليه ، ثم يتناول غداءً خفيفًا في الحادية عشرة ، ويقضي الساعتين التاليتين مُتكاسلاً في الشرفة أو جالسًا في جناحه يقرأ ، وفي الساعة الواحدة ينكب على الكتابة حتى الساعة السابعة مساءً ، ثم يتناول عشاءه ، ويقوم بجولة في الحديقة، ثم يعود بعدها ليستأنف الكتابة حتى ساعة متأخرة من الليل .

كانت تنتاب فلوبر نوبات صرع غامض لازمه طوال حياته ممَّا جعله يعزف عن الزواج ، ولكنه أحب أكثر من مرة ، وكانت أولى حبيباته فتاة إنجليزية تدعى " هنرييت كوليه " . وكان أبوها مُلحِقًا بحريًا لبلاده في فرنسا . ثُمَّ أحب السيدة " إليزا شلي سنجر " التي كانت تكبره بتسع سنوات ، وكان يصحبها مع زوجها وطفلهما في النزهات والرحلات، إضافة للشاعرة السيدة "لويز كوليه" التي حظيت بمكانة مرموقة في الأوساط الأدبية لجمالها وليس لموهبتها الأدبية ، وكانت حينها في الثامنة والثلاثين من العمر وهو في الخامسة والعشرين ، وقد تركته حينما اعتذر عن الزواج منها . وأخيرًا ، حبيبته " جوليت دروييه " التي أحبها طوال حياته ، والتي رسم ملامحها على شخصية " إيما " بطلة روايته الشهيرة " مدام بوفاري " (١٨٥٦) .

ينتمي فلوير إلى المدرسة الواقعية في الأدب ، وعادةً ما يتم النظر إلى روايته " مدام بوفاري " بأنها أول رواية واقعية . وعلى خلاف الكتّاب الرومانسيين الذين يعتمدون على الخيال والعواطف المتقدمة في التعبير الأدبي، تميّز فلوير بقدرته على الملاحظة الدقيقة، والاستعانة بالعقل والرؤية الموضوعية . ففي رواية " مدام بوفاري " يُصوّر فلوير التطورات الطارئة على بطة الرواية (إيما بوفاري) من ناحيتين السيكولوجية والأخلاقية ، ويُصوّر طبائع وأمزجة عدد من الشخصيات الأخرى ، وكلها نماذج عادية تحيا في الواقع الاجتماعي وتنتمي إلى الطبقة الوسطى ، ولها اهتماماتها وأهدافها ومشاريعها العادية .

إن فلوير روائي وفنان واقعي بامتياز ، وهو قادر على رصد الطبائع البشرية ومعرفتها معرفة عميقة على خلاف الرؤية الفلسفية التي تؤدي بالفيلسوف عادة إلى معرفة الإنسان ودوافعه وحوافره . وفلوير لم يكن فيلسوفًا ، بل روائيًا وفنانًا واقعيًا .

ومما تّصف به رواية (مدام بوفاري) ميلها إلى التعالي الذاتي على الطريقة الرومانتيكية ، والتطلع إلى المستقبل والنفور من الحاضر الذي يتّصف بالافتقار الى الفاعلية ، فنجد أن زواج " إيما " من الطبيب " شارل بوفاري " أدى إلى زيادة إحساسها بالفراغ ، ورغبتها في الانعتاق من القيد الاجتماعي الذي يُكبّلها ، ويمنع روحها من التعالي والارتقاء .

والواقع أن " شارل بوفاري " على درجة كبيرة من المحدودية على كل المستويات الفكرية والشعورية . وفي آخر الرواية ، تصل " إيما بوفاري " إلى نهايتها التراجيدية ، فتقرّر بناء العلاقة الغرامية التي تنوق إليها روحها المتعطشة للحب، وهو ما يؤدي بزوجها " شارل بوفاري " إلى الموت حزناً وكمدًا على زوجته الراحلة ، هذا مع علمه بخياناتها المتكررة . وقد امتازت هذه الرواية بواقعيته ، وزوعة أسلوبها ، وأثارت قضية الأدب المكشوف .

يُعتبر فلوير مثالاً أعلى للكاتب الموضوعي، الذي يكتب بأسلوب دقيق ، ويختار اللفظ المناسب والعبارة الملائمة .

من أشهر رواياته : مدام بوفاري (١٨٥٦) . سالامبو (١٨٦٢) . تجربة القديس أنطونيوس (١٨٧٤) .

جول فيرن والتنبؤات العلمية

وُلِدَ الأديب الفرنسي جول فيرن (١٨٢٨ - ١٩٠٥) لأبوين برجوازيين في جزيرة فيدو قُرب نانت في فرنسا . ونشأ هناك على حُب البحر والتلذذ بروايات البحّارة القادمين إلى البر عبر المرفأ المجاور . كان والده قاسيًا وانضباطيًا إلى أقصى الحدود ، فما كان من الفتى _ وهو في الحادية عشرة من العمر _ إلا أن حاول الهرب ملتحمًا كَبَحَّار ياحدى السُفن ، ولكن والده علم بأمر واسترده من القبطان وشدّد مراقبته عليه ، فاضطرّ الفتى _ كما اعترف لاحقًا _ إلى حصر أسفاره بالخيال ثُمَّ تدوينها على الورق .

حين أنهى فيرن دراسته في نانت ، أرسله والده إلى باريس كي يدرس المحاماة ، المهنة التي اختارها له رغمًا عنه ، وهناك كان يُنفق كل ما تيسّر له من النقود في شراء القصص . وفي عام ١٨٥٧ ، اقترنَ فيرن بأرملة شابة كانت في نفس الوقت أمًّا لطفلين ، وكي يتمكن الشاب من تأمين قُوت عائلته عمل كمحاسب ، وراح يستغل أوقات فراغه في كتابة القصص القصيرة والمسرحيات .

كتب فيرن أولى رواياته : " خمسة أسابيع في منطاد " (١٨٦٣) ، ولاقى صعوبة في قبولها لدى الناشرين أول مرة . لكن أحدهم قبلها أخيرًا ، فلاقت عند صدورها نجاحًا لم يكن بالحسبان . وبعد هذا اشتهر فيرن، وتابَعَ الإبداع ، فصدرت له روايات أخرى مثل : " من الأرض إلى القمر " (١٨٦٥) . " عشرون ألف فرسخ تحت الماء " (١٨٧٠) ، وهي أشهر رواياته على الإطلاق . " حول العالم في ثمانين يومًا " (١٨٧٣) .

يُعتَبَر فيرن بشكل عام مؤلفًا أدبيًا كبيرًا في فرنسا ومعظم دول أوروبا ، حيث كان له تأثير واسع على الأدب الطليعي وعلى السريالية . وتختلف سُمعته بشكل ملحوظ في المناطق الناطقة بالإنجليزية ، وكثيرًا ما يُوصَف بكاتب أدب الخيال أو أدب الأطفال .

فيرن هو ثاني أكثر كاتب تُترجم رواياته في العالم منذ عام ١٩٧٩ ، وكان الترتيب بين الكُتّاب باللغة الإنجليزية أجاثا كريستي ووليم شكسبير . ويُقال إنه رُبّما كان الأكثر ترجمةً خلال الستينيات والسبعينيات . وفي الإنجليزية ، يُسمّى فيرن " أب الخيال العلمي " .

إن قيمة فيرن الأدبية تكمن قبل كل شيء في كونه أول كاتب للخيال العلمي الحديث، فهو في رائعته " من الأرض إلى القمر " ، تنبأ بإطلاق ثلاثة رُؤاد إلى القمر تمامًا كما حصل بعد ذلك

بقرون تقريبًا ، حين أصبح الرائد الفضائي نيل أرمسترونج أول أنسان يطأ سطح القمر . وفيرن أيضًا تكلم عن الكهرباء والغواصات والاختراعات الحديثة قبل أن تدخل حيز الوجود بعشرات السنين . أغلب موضوعات الأعمال الأدبية لفيرن ، كانت تدور حول المخترعات العلمية التي ظهرت خلال القرن التاسع عشر ، بالإضافة إلى المخترعات الخيالية التي كان يتنبأ بها ويتوقع ظهورها لخدمة الإنسانية . ومن المعروف أن الأعمال الأدبية التي تدور حول المخترعات ، أو حول الرحلات ، أو حول المغامرات المثيرة ، تُعتبر توليفة محبوبة وجذابة للقراء .

وعلى الرغم من نشوب حرب ١٨٧٠ ، إلا أن فيرن لم يتوقف عن الكتابة ، وانتقل إلى مدينة أميان (مسقط رأس زوجته) في عام ١٨٧٢ .

ومن يونيو إلى أغسطس عام ١٨٧٨ ، أبحر فيرن من لشبونة إلى الجزائر على متن مركبة سان ميشيل الثالث ، ثم إلى أسكتلندا ثم النرويج ثم بعد ذلك أيرلندا في عام ١٨٨٠ . وعمل أيضًا جولة كبيرة في البحر الأبيض المتوسط برفقة زوجته عام ١٨٨٤ .

في عام ١٨٨٦ ، أتى جاستون (ابن أخ جول فيرن) وطلب منه مالا ، وأطلق عليه رصاصتين من مُسدّسه . الأولى أخطأته ، ولكن الثانية أصابته في ساقه ، وأصبح بعد ذلك أعرج .

وفي عام ١٨٨٨ ، انتُخب كعضو في المجلس البلدي (يساري معتدل) في أميان ، وخدم فيه خمس عشرة سنة . وفي عام ١٩٠٠ ، أُصيب بالماء الأزرق في عينه (تَكَثَّف في عدسة العين يمنع الإبصار) . وفي بداية عام ١٩٠٣ ، ترأس جماعة الإسبيرانتو في أميان ، وكان مدافعًا جيدًا عن هذه اللغة العالمية الجديدة ، ووعد أصدقاءه بكتابة رواية تصف أهمية لغة الإسبيرانتو (هي لغة مُصطنعة اخترعها لودفيغ أليغر زامنهوف كمشروع لغة اتصال دولية سهلة عام ١٨٨٧) .

ولكنه تُوُفِّي قبل أن يُكْمِلها ، فأخذ ابنه ميشيل المسودة وأكملها ، ولكن الشكل النهائي للرواية لم يكن يُشير إلى الإسبيرانتو .

في عام ١٩٠٥ ، أُصيب بمرض السكر . وتُوُفِّي في ٢٤ مارس من نفس السنة في منزله قلعة لونغوفيل ، وهي تُدعى اليوم بقلعة جول فيرن .

العديد من كُتب فيرن نُشرت بعد وفاته ، عن طريق ابنه ميشيل الذي أخذ على عاتقه مسؤولية تنقيح مخطوطات والده ونشرها .

لقد تُوُفِّي فيرن في أول القرن الذي تحققت فيه كل تنبؤاته .

جوليا كريستيفا والتجسس على المثقفين

وُلدت المفكّرة والأديبة جوليا كريستيفا (١٩٤١ _ ...) في مدينة سليفن ببلغاريا ، لأبوين مسيحيين . كان والدها هو محاسب الكنيسة .

درست كريستيفا وشقيقتها في مدرسة فرنكوفونية تُديرها راهبات . تعرّفت كريستيفا على أعمال ميخائيل باختين في هذا الوقت في بلغاريا . وذهبت للدراسة في جامعة صوفيا ، وقد حصلت على زمالة بحث في الدراسات العليا ، مكّنتها من الانتقال إلى فرنسا في ديسمبر ١٩٦٥ . واصلت تعليمها في العديد من الجامعات الفرنسية . وفي ٢ أغسطس ١٩٦٧ ، تزوّجت من الروائي فيليب سوليرز .

رغّزت كريستيفا على سياسة اللغة ، وتدرّبت على التحليل النفسي . ويمكن النظر إلى عملها الفكري على أنه محاولة لتكييف نهج التحليل النفسي مع النقد في مرحلة ما بعد النبوية . وتُجادل كريستيفا بأن الأنثروبولوجيا وعلم النفس ، أو العلاقة بين المجتمع والموضوع ، لا تُمثّل بعضهما البعض ، بل تتبع نفس المنطق : بقاء المجموعة والموضوع .

اعتُبرت كريستيفا مؤيّدة رئيسية للنسوية الفرنسية مع سيمون دي بوفوار . وكان لكريستيفا تأثير ملحوظ على النسوية والدراسات الأدبية النسوية في أمريكا وبريطانيا، وكذلك على القراءات في الفن المعاصر ، على الرغم من أن علاقتها بالأوساط النسائية والحركات النسائية في فرنسا كانت مشيرة للجدل . قامت كريستيفا بعمل توضيح لأنواع الحركة النسوية في كتاب " أمراض الأرواح الجديدة " (١٩٩٣) . وتُعتبر مواقفها في بعض الأحيان رافضة للحركة النسوية تمامًا .

حَسَب رأي كريستيفا ، لا يكفي تشريح بنية اللغة من أجل إيجاد معناها الخفي . يجب أيضًا أن يُنظر إلى اللغة من خلال موضوعات التاريخ والخبرات النفسية والجنسية الفردية . وهذا النهج ما بعد البنيوي كان له أثر واضح في تتبُّع مصادر اللغة وتطبيقاتها على أرض الواقع .

كتبت كريستيفا عددًا من الروايات التي تُشبه القصص البوليسية . وقد بنّت في رواياتها أفكارها المتأصّلة في مشاريعها الفكرية النظرية . وتكشف شخصياتها عن نفسها بشكل رئيسي من خلال الأدوات النفسية ، ممّا يجعل نمطها من الخيال يُشبه العمل الذي قام به دوستوفسكي .

إن أعمال كريستيفا الخيالية استعارية في الغالب ، تقترب من السّير الذاتية في بعض المقاطع ، كما أنها تتعامل مع اكتشافات مُبكرة للأسئلة المتعلقة بتقاطع اللغة والثقافة والأدب .

من الأمور الصادمة ما أوردته مجلة نوفيل أوبس الفرنسية عن تواطؤ كريستيفا مع النظام الشيوعي في بلدها الأصلي بلغاريا، والمقصود بالتواطؤ قبولها التعامل عام ١٩٧١ مع جهاز أمن الدولة " دارجافنا سيغورنوست "، للتجسس على الجالية البلغارية في فرنسا، والمثقفين الفرنسيين، ورفع تقارير عنهم .

وقد نشرت اللجنة البلغارية المكلفة بفتح الأرشيف الشيوعي وثائق حول أنشطة كريستيفا ، لا تقبل الشك . إذ إن اسمها مُدرَج ضمن قائمة طويلة ممن قبلوا التعامل مع مخابرات نظام صوفيا البائد، مع اسم حركي شأن كل الجواسيس هو " صايينا " . ورغم عدم وجود أي وثيقة بخط يدها، فإن التقارير تثبت قبولها هذا العمل (١٩٧١-١٩٧٣) ونقلها تقارير شفوية عن المثقفين الفرنسيين ، وعن المنظمات اليسارية ، وعن موقف الإعلاميين من القضية الفلسطينية .

ويرى المحللون أن كريستيفا قدّمت إلى فرنسا ، وانتفعت بمنحة دراسية، وهو ما لم يكن في متناول أي كان ما لم يحُز موافقة المصالح البلغارية المختصة التي كانت تراقب عن كثب مُهاجريها لا سيما أولئك الذين يتركون عائلاتهم في بلد المنشأ .

في عام ١٩٦٩ ، صدر كتاب كريستيفا " سيمياء " . كما أن كتابها " ثورة في اللغة الشعرية " (١٩٧٤) عبّر عن مساهمة كبيرة في المشهد الفلسفي . وفي كتاباتها عن " الذات المتكلمة " تُورد أسماء مثل دريدا ، هُوسرل ، فرويد ، دي سوسير .

تقترح كريستيفا في كتابها " سيمياء " قراءة جدولية للنصوص، ويتعلق الأمر هنا باكتشاف الفونيمات (الحروف) المنتشرة في النص، والتي يُشكّل اصطفاؤها الخطي (الزماني) الكلمة _ الموضوع. وهي فيه تعتمد التحليل النفسي ، إذ إن ظهور الكلمة المُحتجّة يُعبّر عن عودة المسكوت عنه ، والمغيّب ، والغائر في اللاوعي .

إن علاقة السيميائي بالرمزي عند كريستيفا ، هي علاقة جدلية تتجسّد من خلال ما يُؤدّيه كل منهما من وظيفة في الخطاب، سواء كان نظرية أو نصّاً سرديّاً أو شعريّاً، قد يجد أحدهما نفسه مُستلباً من الآخر، إلا أنهما يعملان مُتعاضدين ولا يُقصي أحدهما الآخر، وهذا يبدو جليّاً من خلال التاريخ الطويل لمصطلحي (السيميائي والرمزي) .

وهي أيضاً تُحاول أن تُقارب الرمزي من خلال علاقة الدال (الكلمة) بالمُدلول (التّصوّر) ، حالها حال دي سوسير عندما تجمع الإشارة اللغوية لديه بين الملفوظ والفكرة ، إلا أن الإشارة اللغوية كما هو معروف اعتباطية عنده ، بينما العلاقة رمزية لدى كريستيفا .

جوناثان سويفت والأهراض العقلية

وُلد الأديب والأسقف الأيرلندي جوناثان سويفت (١٦٦٧ _ ١٧٤٥) في دبلن (عاصمة أيرلندا) لوالدين بروتستانتين من أصل إنجليزي . أمّا أبوه فقد مات قبل ولادته . لا يُعرف عن طفولته إلا القليل ، ولكن يبدو من بعض المصادر أن أمّه عادت إلى إنجلترا بينما بقي هو مع عائلة أبيه في دبلن ، حيث اعتنى عمّه بتربيته . في عام ١٦٨٦ ، حاز سويفت على البكالوريوس من جامعة ترينتي في دبلن ، وبدأ دراساته للماجستير ، إلا أنه اضطر إلى ترك الجامعة بسبب أحداث الثورة التي اندلعت في بريطانيا ١٦٨٨ .

في هذه السنة ، سافر سويفت إلى إنجلترا حيث دبرّت أمّه له منصب مساعد شخصي لوليام تمبل الذي كان من أهم الدبلوماسيين الإنجليز ، غير أنه قد تقاعد من منصبه عندما وصل سويفت إليه ، واهتم بكتابة ذكرياته . مع مرور ثلاث سنوات لعمله كمساعد لتمبل ، تعزّزت ثقة تمبل بمساعدته حتى أرسله إلى ملك بريطانيا وليام الثالث لترويج مشروع قانون كان تمبل من مؤيديه .

في عام ١٦٩٤ ، عاد سويفت إلى أيرلندا ، ورُسم قسيساً أنكليكانياً ، وعُيّن في كنيسة صغيرة صغيرة بالقرب من بلفاست . وهناك وقع في غرام امرأة ، وعرض عليها الزواج ، ولكنها أمهلتها حتى تتحسن صحتها ويزداد دخله . ولمّا لم يُطَق صبراً على هذه العزلة القاتلة في أبرشية ريفية ، هرب منها عام ١٦٩٦ ، وعاد أدراجه إلى تمبل ، وظل في خدمته حتى مات هذا الأخير .

كان سويفت نفسه نظيفاً إلى حد التزمّت . ومع ذلك فإن كتابات هذا الكاهن الأنكليكاني تُعدّ من أفحش ما كُتب في الأدب الإنجليزي . إن تبرّمه بالحياة جعله يقذف بأخطائه في وجه زمانه . ولم يبذل أي جهد في إرضاء الناس ، ولكنه بذل كل الجهد في أن يُسيطر ويتحكم ، لأن السيطرة خفّفت من شعوره الخفي بعدم الثقة بنفسه . وكان غَضُوباً عند الشّدّة ، مُتَغَطِّراً فظاً وقت الرخاء والنجاح . وأحبّ السُلطة أكثر ممّا أحبّ المال .

كان آخر مظهر لقسوة الحياة على سويفت ، هو اختلال قواه العقلية يوماً بعد يوم . وازداد بُخله وجشعه ، حتى وسط أصدقائه . فكان يَبخل بالطعام على ضيوفه ، وبالنيبذ على أصدقائه . وازدادت نوبات الدُّوار عنده سوءاً ، فما كان يدري في أية لحظة ينتابه هذا الدوار ليَجعله يترنح ويتلوى من الألم . وقد رفض أن يضع النظارات على عينيه ، فضعف بصره ، وترك القراءة . ومات بعض أصدقائه ، ونأى بعضهم بنفسه عنه ، اجتناباً لحدّة طبعه واكتسابه .

كتب سويغت إلى أحد أصدقائه : " كثيرًا ما فكرتُ في الموت، ولكنه الآن لا يغيب عن ذهني أبدًا " . وبدأ يتلهف عليه . واحتفل بيوم ميلاده كيوم حُداد وحُزن . وقال إنه ليس هناك رجل عاقل يرغب في استعادة شبابه . وفي أعوامه الأخيرة ، كان يُودّع زائريه دَوْمًا بقوله : " سَعِدْتُم مساءً، أرجو ألا أراكم ثانيةً " ! .

ظَهَرَت أعراض الجنون التام عليه في ١٧٣٨ . وفي ١٧٤١ عُيِّنَ بعض الأوصياء ليتولوا شؤونه، ويُراقبوه حتى لا يُلحِق بنفسه أي أذى في نوبة من نوبات العنف والجنون التي تصيبه . في عام ١٧٤٢ ، عانى ألمًا شديدًا من التهاب في عينه اليسرى التي تَوَزَّمت حتى صارت في حجم البيضة . وأحاط به خمسة من الأتباع ليَحُولُوا بينه وبين فَقْء عينه بيده . وقضى عامًا لا ينطق ببنت شفة . وأوصى بكل ثروته البالغة ١٢ ألف جنيه لبناء مستشفى للأمراض العقلية . وبعد وفاته ، دُفِنَ في كاتدرائيته ، ونُقِشَ على ضريحه عبارة اختارها بنفسه : " حيث لا يعود السخط المرير يُمزِّق قلبه " .

من مؤلفاته المشهورة : حرب الكتب (١٧٠٤) . خرافة مغطس (١٧٠٤) ، وهو كتاب ساخر عن تاريخ المسيحية ، وانفصالها إلى طوائف حاقدة . اقتراح متواضع (١٧٢٩) ، ويتضمَّن سُخرية حادة تتناول المجاعة في أيرلندا ، ويقترح على السُّلطات الإنجليزية تشجيع الأيرلنديين على أكل أطفالهم لمكافحة المجاعة . رسائل تاجر الأقمشة (١٧٢٤ - ١٧٢٥) ، وهي سلسلة نشرها باسم مستعار ، ودعا فيها الأيرلنديين إلى مُقاطعة العملات المعدنية الإنجليزية ، إذ حصل صانعها الإنجليزي الامتياز مقابل رِشوة .

أما أهم مؤلفاته وأشهرها على الإطلاق ، فهي " رحلات جلوفر " (١٧٢٦) ، وهي رواية فلسفية عن أربع رحلات ، قام بها طبيب إنجليزي بارد الأعصاب إلى أقصى أرجاء الأرض ، مُرتحلًا بين مجتمعاتٍ شديدة التناقض والاختلاف ، مُوغلاً في نقدٍ شديدٍ لبُنية المجتمع البريطاني حينها .

لقد قصد سويغت من خلال هذه الرواية أن تكون أداة نقد فلسفي ، وتغيير اجتماعي ، ولكن الرواية انتهت على غير قَصده، وتحوَّلت إلى قصة شديدة الشعبية للأطفال ، يتعلمون منها التعاطف وتقبُّل الآخر وقَبول الاختلاف . ووضعته في مكانة _ لم يتوقعها في حياته _ ككاتب الأطفال الكلاسيكي البريطاني الأول .

جون تولكين وسيّد الخواتم

وُلد الروائي الإنجليزي جون تولكين (١٨٩٢ - ١٩٧٣) في مدينة بلومفونتين في أورانج فري ستيت (دولة أورانج الحرة _ مقاطعة فري ستيت الحالية في جنوب أفريقيا) . كان أبوه مديرًا لأحد البنوك البريطانية في بلومفونتين . وعندما بلغ تولكين الثالثة ، اصطحبته أمّه ، هو وأخاه الأصغر ، إلى إنجلترا في زيارة عائلية . غيّر أن الأب تُوفّي في جنوب أفريقيا ، مُتأثرًا بالحمى قبل أن يلحق بهم ، تاركًا الأسرة بلا دخل . ممّا جعل الأم تنتقل بهما للعيش مع والديها في كينغز هيث في برمنغهام . وقد تأثرت كتابات تولكين بمشاهداته وتجاربه في تلك البلاد . أشرفت الأم بنفسها على تعليم ابنيها ، وكان رونالد (وهو الاسم الذي كان يُعرف به تولكين في محيط العائلة) تلميذًا مجتهدًا ، فعَلِمَت أمّه علم النبات ، ونَمَت فيه الإحساس بالجمال في النباتات . كما كان تولكين يحب دروس اللغات ، وقد بدأت أمّه في تعليمه مبادئ اللاتينية في سن مبكرة . تحوّلت والدته تولكين إلى الكاثوليكية عام ١٩٠٠ ، رغم المعارضة العنيفة من جانب عائلتها المعمدانية ، التي توقفت عن مساعدتها ماليًا . وفي عام ١٩٠٤ ، وعندما كان تولكين في الثانية عشرة من عمره ، تُوفّيَت الأم متأثرة بداء السكري في إحدى ضواحي برمنغهام وهي في حوالي الرابعة والثلاثين من عمرها ، إذ لم يكن الإنسولين قد استُخدِم في علاج السكري بعد . كانت والدته قُبيل وفاتها قد أوصت أن يتولى الوصاية على ابنيها القاصرين أحد قساوسة كنيسة برمنغهام الكاثوليكية .

في عام ١٩١١ ، التحق تولكين بكلية إكستر (إحدى كليات جامعة أكسفورد) ، حيث درس في البداية الكلاسيكيات (الأدب واللغة والثقافة الإغريقية والرومانية) ثمّ تحوّل فيما بعد إلى دراسة اللغة الإنجليزية ، حيث تخرّج عام ١٩١٥ .

في عام ١٩١٦ ، اشتركت المملكة المتحدة في الحرب العالمية الأولى ، فتطوّع تولكين للخدمة العسكرية ، وأُعطيَ رتبة ملازم ثانٍ . وتدرّب لمدة سنة تقريبًا مع الكتيبة الثالثة عشرة (احتياط) . وفي ٢٧ أكتوبر ١٩١٦ ، أصيب تولكين بِجُمَي الخنادق ، ممّا حدا بالقيادة إلى اعتباره غير صالح للقتال ، فأُعفيَ من الخدمة ليعود إلى إنجلترا في ٨ نوفمبر ١٩١٦ . وقد عادَ ضعيفًا ومُنْهَكًا ليقضي ما تبقى من فترة الحرب مُتنقلًا بين المستشفيات والأعمال الإدارية في الجيش ، إذ حُكِم عليه بعدم الصلاحية للخدمة العسكرية العامة .

وأثناء فترة نقاهته ، في كوخ في غريت هايوود بمقاطعة ستافوردشاير ، شرع تولكين في تأليف " كتاب الحكايات الضائعة " ، الذي بدأ بقصة "سقوط غوندولين " .

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، كانت أول وظيفة مدنية يلتحق بها تولكين هي العمل في قاموس أكسفورد الإنجليزي ، حيث كان عمله الأساسي هو البحث في تاريخ وأصول المفردات ذات الأصل الجرمانى .

وفي عام ١٩٢٠ ، التحق بالعمل في تدريس اللغة الإنجليزية بجامعة ليدز . وفي عام ١٩٢٤ ، رُقِّي إلى درجة أستاذ بالجامعة . وأثناء عمله بجامعة ليدز قام بوضع كتاب " مفردات الإنجليزية الوسيطة " . وفي عام ١٩٢٥ ، عاد إلى جامعة أكسفورد أستاذًا لكرسي اللغة الأنجلوسكسونية . تُعتبر " سيّد الخواتم " أبرز أعمال تولكين على الإطلاق ، وهي رواية خيالية ملحمية فانتازية . بدأت كتنمة لكتابه السابق " الهوبيت " ثم تطورت إلى قصة أكبر بكثير ، كُتبت على مراحل في الفترة (١٩٣٧ _ ١٩٤٩) ، وكثير منها كُتب خلال الحرب العالمية الثانية . ونُشرت في الأساس في ثلاثة مجلدات في العامين ١٩٥٤ و ١٩٥٥ ، وأعيد طبعها منذ ذلك الحين مرّات كثيرة ، كما تُرجمت إلى عشرات اللغات ، لتصبح واحدة من أكثر الأعمال الأدبية انتشارًا في القرن العشرين . تقع أحداث " سيّد الخواتم " في أرض تُدعى الأرض الوسطى . وتحكي القصة عن شعوب مثل الهوبيت ، البشر والأقزام والسحرة والأورك والآلف وغيرها ، وتتمحور حول خاتم السُلطة الذي صنعه سيد الظلام سورون . تتقدّم القصة بدءًا من المقاطعة عبر الأرض الوسطى متتبعه حملات حرب الخاتم . وتتبع القصة الرئيسية سِتّة ملحقات تُزوّد القارئ بخلفية لغوية وتاريخية حول الأحداث .

والجدير بالذكر أن أفلام سيّد الخواتم والهوبيت ، قد أثارت شغف الجماهير لمؤلفات تولكين على نطاق عالمي . وقد قام بإخراجها المخرج النيوزيلندي بيتر جاكسون .

حظي تولكين خلال السنوات التي تلت تقاعده (١٩٥٩ _ ١٩٧٣ عام وفاته) بشهرة واسعة ورواج أدبي كبير ، وقد راجت مؤلفاته وأدرّت عليه أرباحًا كبيرة جعلته يُبدي الندم على عدم التقاعد مُبكّرًا .

منحته الملكة إليزابيث الثانية وسامَ الإمبراطورية البريطانية من رتبة قائد ، وقُلّد الوسام في قصر بكنغهام في ٢٨ مارس ١٩٧٢ .

جون درايدن «الهجاء القاسي»

وُلِدَ الأديب الإنجليزي جون درايدن (١٦٣١ - ١٧٠٠) في مدينة نورثامبتونشاير . يُعْتَبَر أحد أشهر شعراء وأدباء إنجلترا خلال عصره ، لكن لم يقتصر على الشُّعر فقط ، بل أبدع في مجالات أخرى كالتمسرح والنقد الأدبي والترجمة ، وكان كاتباً لامعاً خلال عصر عودة الملكية . كان درايدن تابعاً للمذهب الكاثوليكي الروماني ، ومن أشد الناس دفاعاً عن الدين والكنيسة الكاثوليكية ، وكتب قصيدة " الظبية والنمر " (١٦٨١) دفاعاً عن دينه ومعتقداته .

تلقَّى درايدن دراسته بدايةً في مدرسة وسمنستر ، ثم التحق بكلية ترينتي بمدينة كامبردج ، وحصل على ليسانس الآداب في عام ١٦٥٤ ، وانتقل بعد ذلك إلى العاصمة لندن . وشرع في الكتابة الأدبية في أواخر الخمسينيات من القرن السابع عشر . وكانت كتابته مُقتصرة على الشُّعر والمسرح والنقد . وفي البداية ، شغل درايدن وظيفة الكتابة في حكومة كرومويل ، وقد أُعْجِبَ بشخصيته ممَّا جعله يكتب عنه قصيدة طويلة عند وفاته . اهتمَّ درايدن بكتابة الشُّعر في بداية أعماله لأغراض عدَّة ، من أبرزها توفير الدَّخل المالي . حيث كتب عدَّة قصائد في مواضيع كثيرة من بينها السياسة . فقد كتب قصيدة رَحَّبَ فيها بعودة الملكية عام ١٦٦٠ . وكان أول من تقلَّد منصب شاعر البلاط الملكي عام ١٦٦٨ . وفي عام ١٦٧٠ ، تَوَلَّى منصب المؤرخ الملكي .

في أول ديسمبر ١٦٦٣ ، تزوَّج درايدن من ليدي إليزابيث هوارد ابنة إرل بيركشير ، وفُوجئ الناس وأُصيبوا بالدهشة من سيدة ذات مكانة و ثراء تزوَّج من شاعر ، ولكنها كانت في سن الخامسة والعشرين ، وفي خطر من قُوات الأوان ، كما كان أخوها سير روبرت هوارد المتلهَّف على التأليف والكتابة ، قد ضمن تعاون درايدن معه في رواية " الملكية الهندية " التي أخرجها عام ١٦٦٤ ، في مشاهد بالغة البذخ ، مع نجاح عظيم .

في مجال المسرح ، كتب درايدن تقريباً ٢٧ مسرحية ، من أشهرها : " كُلُّهُ من أجل الحب " ، و " الزواج على المودة " . لكن في الحقيقة ، لم يستمتع بكتابة المسرحيات ، وإنما كانت فقط من أجل الحصول على بعض المال . كان درايدن يستخدم قصائده للهجوم على خصومه ومُنَافسيه ، سواءً كانوا سياسيين أم أدباء . وهذا كان مألوفاً في القرن السابع عشر ، وهذا المجال هو الذي أكسب درايدن قوة عظيمة ، فقد كتب قصائد عدَّة هاجمَ فيها أعداء البلاط ، منها : قصيدة " مال فليكنو " ، وقصيدة " الميدالية " ، ومضمون هذه الأعمال الشعرية أنه تناولَ فيها

خُصوم المَلِك بالسُّخرية والازدراء . وقد سادَ درايدن عصره في مجال الهجاء ، وأرهَب خصومه . وفي عام ١٦٨٨ ، فَقَدَ المَلِك جيمس الثاني عَرْشَه ، وتولى البروتستانتان وليم وماري منصب المَلِك المخلوع . رَفَضَ درايدن أداء قَسَم الولاء للمَلِك الجديد، وتخلّى عن المناصب التي كان يشغلها في الحكومة، وكرّس معظم وقته في الترجمة لِئَوْفَر دَخْلًا مَالِيًا . ومن أشهر ما ترجم : شعر فرجيل ، عام ١٦٩٧ . كتب درايدن في مجال النقد الأدبي ، وَرَكَّزَ على هذا الأمر كثيرًا . وأهم وأفضل أعماله في هذا المجال مقال حول الشَّعر المسرحي عام ١٦٦٨ ، والذي عَبَّرَ فيه عن إعجابه الكبير بشكسبير .

كان درايدن يعتقد أن الإنسان جزءٌ من المجتمع الذي يمتدُّ بجذوره إلى العهد الإغريقي والروماني القديم. وكان يعتقد أيضًا أن الآداب والفنون لها قيمتها كمُؤثَّرات حضارية. وتأسيسًا على هذه المعتقدات ، تناولَ في كتاباته القضايا الكبيرة ذات الأبعاد الاجتماعية والسياسية والإنسانية . كان درايدن رجلاً ودودًا كريماً مُستعدًّا لمُد يد المعونة وكَيْل المديح. ولكن نجاحه وغروره وإفراطه في التحدث عن نفسه وتوكيداته الخلافية ، كُلُّها جلبت عليه عداوات كثيرة. واحتمل درايدن لبعض الوقت حملاتهم عليه، دون رد علني منه . ولكن في عام ١٦٨١ ، جَمَعَ أعداءه في إطار واحد ، وهجَّاهم بلسان حاد ، وبألذع هجاء عُرف في اللغة الإنجليزية . ولم تعرف إنجلترا مِن قَبْل مثل هذا الهجاء اللاذع الذي لا يَرَحَم، الذي يُرَكِّز كل التَّشويه والتَّجريح في سطر واحد. ووافته المنية في أول مايو ١٧٠٠ ، وشهدت جنازته اضطرابًا شديدًا ، وتنازعت الشَّيْع المتنافسة على جُثمانه . وأخيرًا ، وُوري التراب إلى جانب تشوسر في كنيسة وستمنستر .

إن درايدن شخصية مكروهة ، لأن كل الظواهر تقول إنه كان انتهازيًا نفعيًا مُتَقَلِّبًا . فقد امتدَح كرومويل في فترة الحماية ، وكالَ المديح لشارل الثاني وعشيقاته ، وأثنى على البروتستانتية في عهد ملك بروتستانت ، وأطرى الكاثوليكية في ظل ملك كاثوليكي ، والتمسَ موارد كسب المال بكل الطرق ، وجلب على نفسه عداوة كثير من الناس ، مِمَّا لا بد معه أن يكون ثمة شيء يكرهه الناس فيه . وجارى كل منافسيه في إباحية رواياته وتحرُّرها من كل القيود، وفي تورُّعه في شعره . وبلغت قُوَّته في الهجاء مبلغًا يستدر العطف على ضحاياه . ولكن لا جدال في أنه كان أعظم الشعراء الإنجليز في جيله . وكتب معظم شعره في المناسبات، وقَلَّمَا حفظ الزمن شِعْرًا نُظِم للمناسبات. ولكن هجاءه لا يزال حيًّا ، لأن أحدًا غيره لم يستطع أن يَأْتِيَ بِمثل هذا الهجاء الذي صَوَّرَ الشخصيات في ازدراء عنيف واحتقار قاسٍ وسُّخرية لاذعة .

جون دون وتأسيس الشعر الميتافيزيقي

وُلد الشاعر الإنجليزي جون دون (١٥٧٢ - ١٦٣١) في لندن ، لعائلة كاثوليكية في الوقت الذي كانت فيه الكاثوليكية غير قانونية في إنجلترا . كان والده الأمين العام لشركة تجار الحديد في لندن . وقد تُوفي عام ١٥٧٦ ، وترك لزوجته مسؤولية تربية الأطفال .

رُتبت عائلة دون لدراسته بواسطة اليسوعيين ، رغم الأخطار الواضحة ، إذ إن كثيرًا من أقارب دون أُعدموا أو تم نفيهم لأسباب دينية. قدّم اليسوعيون لدون معرفة عميقة بدينه ، الأمر الذي جَهّزه لصراعات دينية أيديولوجية في زمنه .

كان دون طالبًا في قاعة هارت ، الآن كلية هرتفورد ، أكسفورد ، من سن ١١ عامًا. بعد ثلاث سنوات في جامعة أكسفورد تمّ قبوله في جامعة كامبردج ، حيث درس لمدة ثلاث سنوات أخرى . وكان غير قادر على الحصول على شهادة بسبب كاثوليكيته ، حيث إنه لا يمكن أن يُؤدّي قَسَم التفوّق المطلوب من الخريجين .

في عام ١٥٩١ ، تمّ قبوله باعتباره طالبًا في مدرسة تافيس القانونية، وهي واحدة من الهيئات التابعة للمحكمة في لندن .

وفي عام ١٥٩٢ ، انضمّ إلى هيئة لنكولن، وهي واحدة من هيئات المحاكم ، حيث كان يشغل منصب المشرف على الاحتفالات الملكية .

أثناء وبعد دراسته، أنفق دون جزءًا كبيرًا من ميراثه الكبير على الأدب والسفر . وقد سافر في جميع أنحاء أوروبا . وأظهرت قصائده الأولى معرفة متقدمة بالمجتمع الإنجليزي مقرونة بانتقادات حادة، فقد انتقد مثلاً الفساد في النظام القانوني وانهيار القيم الأسرية .

اشتهر دون بالشعر الميتافيزيقي ، وهو نوع من الشعر انتشر بصورة كبيرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، قام دون بتأسيسه ، وتأثر به عدد كبير من الشعراء . وهذا الشعر يتناول مواضيع غيبية ، أو تشبيهات غير معتادة ، مع مناقشة بعض الأفكار الغريبة .

والشعراء الميتافيزيقيون مجموعة ضعيفة الارتباط من الشعراء الغنائيين البريطانيين في القرن السابع عشر، تشاركوا الاهتمام بالشؤون الميتافيزيقية، وطريقة مُعيّنة في تحرّيبها . أُعطي عنوان " الميتافيزيقيون " لهم لاحقًا بواسطة صمويل جونسون في كتابه " حياة كاولي " .

لَمْ يُشكِّل هؤلاء الشعراء أنفسهم مدرسةً في حياتهم، وَلَمْ يبدؤوا حركة أدبية. وَلَمْ يعرف مُعظمهم بَعْضَهم البعض، وَلَمْ يقرؤوا حتى لبعضهم البعض .
يمتاز أسلوبهم عامةً بالذكاء، والجدال العميق، والأخيلة الميتافيزيقية، وصيغ غير مألوفة للتشبيه والمجاز ، والتعقيد ، والحس الدرامي ، واستخدام الصور والتراكيب اللغوية والبلاغية الغريبة المبتكرة ، والتأمل الفلسفي في مواضيع الحب والدين والوجود الإنساني .
تأثر العديد من الشعراء الميتافيزيقيين، خصوصاً جون دون، بالحركة الأفلاطونية الجديدة. وواحد من أهم الأفكار الأفلاطونية المؤثرة في الشعر الميتافيزيقي ارتباط كمال جمال المحبوبة بكمال جمال الوجود الأبدي .

ويعتبر دون أستاذًا في الاستعارة الميتافيزيقية ، وهي استعارة مُوسَّعة تجمع بين الأفكار المختلفة، وتستخدم الصور المدهشة . كما يُعتبر واحدًا من أبرز الشعراء الإنجليز في القرن السابع عشر ، وكاتبًا لامعًا ما تزال قصائده الغزلية وتأملاته الظرفية الساخرة والمريرة حتى يومنا تُثير الاهتمام . وكان بالإضافة إلى ذلك كاهنًا، وُصفت مواعظه بأنها كانت أفضل مواعظ القرن . فهي حقًا تفيض بالحكمة والنصح والإرشاد العمليين ، تُرضي النفس والفكر في آنٍ واحد .
وُصفت أعمال دون بأنها مهمة وواقعية وجديرة بالتقدير ، واتَّسمت بأسلوبها الحسِّي ، ومنها سوناتا، شعر الحب ، والقصائد الدينية ، والقصائد الساخرة، والمراثيات، والأغاني ، والهجاء، والخطب . وتتَّسم لغته بالحيوية والمجاز وتعبيراته بالابتكار ، مقارنةً بأشعار مُعاصريه .
وعلى الرغم من مواهبه الشعرية العظيمة، عاش في فقر لعدة سنوات، واعتمد اعتمادًا كبيرًا على أصدقائه الأثرياء. وفي عام ١٦١٥ أصبح هو كاهن الكنيسة الأنغليكانية . وفي عام ١٦٢١ تَمَّ تعيينه عميد كاتدرائية سانت بول في لندن .

جون ديوي وفلسفة التربية والتعليم

وُلد الفيلسوف وعالم النفس الأمريكي جون ديوي (١٨٥٩ _ ١٩٥٢) بمدينة برلنجنون في ولاية فيرمونت الأمريكية . تلقى تعليمه في جامعة فيرمونت ، ثم انتقل إلى جامعة جون هوبكنز ، وحصل على شهادة الدكتوراة في الفلسفة عام ١٨٨٤ . وفي عام ١٨٩٤ انتقل ديوي إلى جامعة شيكاغو التي كانت قد تأسست وقتئذٍ ، وعُيِّن فيها رئيسًا لقسم الفلسفة وعلم النفس والتربية .

يُعتبر ديوي من زعماء الفلسفة البراغماتية ، ومن أوائل المؤسسين لها . ويُقال إنه هو من أطال عُمر هذه الفلسفة ، واستطاع أن يستخدم بلياقة كلمتين قريبتين من الشعب الأمريكي هُما العلم والديمقراطية . كما يُعتبر ديوي من أشهر أعلام التربية الحديثة على المستوى العالمي . وارتبط اسمه بفلسفة التربية ، لأنه خاض في تحديد الغرض من التعليم ، وأفاض في الحديث عن ربط النظريات بالواقع من غير الخضوع للنظام الواقع والتقاليد الموروثة مهما كانت عريقة . فهو الأب الروحي للتربية التقدمية أو التدريجية ، وهو من أوائل الذين أسسوا في أمريكا المدارس التجريبية بالاشتراك مع زوجته في جامعة شيكاغو (١٨٩٦ _ ١٩٠٤) . وهو فيلسوف قبل أن يكون عالمًا في مجال التربية والتعليم . والتعليم التقدمي أو التدريجي هي حركة نمت وتطورت من محاولات إصلاح التعليم الأمريكي بين أواخر القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين ، وتعود جذورها إلى فلاسفة عصر النهضة ، وبالأخص الفيلسوف التربوي جان جاك روسو ، وكذلك يوهان بستالوزي وفريدريك فروبل . وهذه الظاهرة قد احتضنت وشملت المجالات الزراعية والاجتماعية والتعليمية ، وقد طالت هذه النظريات التعليمية التطور الصناعي الجديد أيضًا . وتؤكد نظرية التعليم التقدمي على استمرارية إعادة بناء الخبرة الحياتية ، وتضع تربية الطفل في مركز الاهتمام .

ذكر ديوي أن على المدرسة أن تعكس مستوى التطور الاجتماعي ، وقد أحدثت هذه النظرية تأثيرًا دائمًا على المدارس الأمريكية . ومن الجدير بالذكر أنه ظهرت حركات تعليمية مشابهة في أوروبا ومتأثرة بأفكار ديوي ، وهو أيضًا تأثر ببعض أساليب التربية الأوروبية مثل أسلوب الصف المفتوح ، ونظريات الإصلاح التربوي الذي دعت إليه المربية الإيطالية ماريا مونتسوري ، والتي تأثرت بأفكارها دور الحضانة السويدية ، ولا زال تأثيرها ساري المفعول إلى هذه اللحظة .

كان ديوي يطمح لبناء مجتمع ديمقراطي وفلسفة علمية لوضع توازن فيه قيمة الفرد مع قيمة الجماعة والمجتمع . ويرأي ديوي ، إن النظام الصحيح هو الذي يُحقق المرونة بعلاقة الفرد

بالمجتمع الذي ينتمي اليه ويعيش فيه، وقد تجلت عبقرية ديوي في ربطه ربطاً واعياً بين التربية والمجتمع والحياة. لقد أكد ديوي على العلاقة الوثيقة بين التقدم العلمي والنظام الديمقراطي، وقد استفادت أمريكا من أفكار ديوي في موضوع التربية وجذب العقول واستقطاب كل علماء الأرض. ويُعتبر ديوي أن الفلسفة هي سلطة تشريعية مهمتها نقض القيم الحاضرة، واقتراح قيم جديدة تواكب التغيرات الحاصلة في الحياة. ومن مهمة الفلسفة أيضاً تفسير نتائج العلم الاختصاصي.

رأى ديوي أن الحياة قد تطوّرت وأصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً صناعياً، ويجب أن تكون المدرسة مجتمعاً صغيراً تدبُّ فيها الحياة. وكان ديوي يدعو إلى التربية المستمرة التي لا تتوقف عند سنٍّ مُعيّن. فالتربية هي من المهد إلى اللحد، وليست جرعة تُعطى مرة واحدة وإلى الأبد، بل هي بحاجة إلى الاستمرار، لأن العلم لديه دائماً شيء جديد يُوافينا به.

ونظرة ديوي نحو التربية تركز على التعلم من خلال العمل وحل المشاكل بطريقة سيكولوجية دون جرح مشاعر الطلاب، وأن المدرسة هي مختبر وليست قاعة محاضرة. ويرفض ديوي نظرية جون لوك التي ترى أن "الإنسان يُولد وعقله صفحة بيضاء خالية من الكتابة". فالعلاقة الصحيحة — برأي ديوي — قائمة على التفاعل، وهذا يعني أن طريقة التدريس الملائمة هي التي تعتمد على الحوار وحل المشكلات والتعلم الذاتي.

والفكر الحقيقي لديوي يبدأ من موقف إشكالي من عُقدة أو عقبة تعترض مجرى التفكير، فالطبيعة تتغير باستمرار، وتفتني وتزداد ثراءً، وتُغيّر الفكر معها، وهكذا فإن العملية مستمرة، فلا حقائق مُطلقة، ولا المعرفة ثابتة، فكل شيء يعتبره التغير.

لقد وضع ديوي كتاباً سمّاه "كيف نُفكّر؟ وكيف نحل المشاكل؟". ووضع خمس مراحل لحل أي مشكلة وهي: ١_ الشعور بالمشكلة. ٢_ تعريف المشكلة وتحديدّها. ٣_ وضع الفرضيات واقتراح الحلول. ٤_ التحقق من التجربة أي اختبار الفرضيات. ٥_ الوصول إلى النظرية والتعميم.

لقد كانت حياة ديوي تعجُّ بالنشاط والحركة، حيث تعدّى تأثيره الولايات المتحدة الأمريكية وامتدَّ إلى بقية العالم، فترجمت كتبه إلى لغات عديدة، واستشارته الحكومة الروسية عقب ثورتها، ليضع نظامها التعليمي على أسس تقدُّمية، وزار مُحاضراً كلاً من اليابان، والصين، وتركيا، والمكسيك. وكانت لنظرياته وطرائقه أعمق الأثر في توجُّه التربية في سائر الأمم الناطقة باللغة الإنجليزية والمتأثرة بثقافتها.

جون راسكين ونشر الحس الفني

وُلد الكاتب الإنجليزي جون راسكين (١٨١٩ - ١٩٠٠) في لندن لعائلة برجوازية . كان والده تاجرًا غنيًا آمن له تربية وتعليمًا رفيعًا، وكان يرافقه إلى المعارض الفنية، ممّا شجّع ميوله إلى الرسم والقراءة وخاصة الكتابات الاتباعية (الكلاسيكية) والإبداعية (الرومانسية) التي أصبحت، إلى جانب قراءته للكتاب المقدس ، وتجواله الواسع في أوروبا ، أساس ثقافته الأدبية والفنية . بدأ راسكين الكتابة حول موضوعات هي من صُلب اهتمامه كالطبيعة والشعر وفن العمارة في مجلة التاريخ الطبيعي خلال الفترة (١٨٣٤ - ١٨٣٦) ، وحول شعر "الهندسة المعمارية" في المجلة المعمارية خلال الفترة (١٨٣٧ - ١٨٣٨)، وكتب أيضًا قصائد قلّد فيها بايرون وقصصًا للمناسبات .

دخل جامعة أكسفورد في السابعة عشرة من عُمره، وحصل في أثناء دراسته على جائزة للشعر عام ١٨٣٩ ، ممّا مكّنه البدء بجمع رسوم أبرز المصورين الإنجليز في ذلك الوقت. وعند انتهاء دراسته عام ١٨٤٢ قام برحلة إلى إيطاليا كتب في أثناءها الجزء الأول من " المصوّرون الحديثون " (١٨٤٣)، دفاعًا عن المصوّرين الإنجليز، مُعالِجًا موضوع صِدق الحس الفني في تصوير الطبيعة. قام راسكين بزيارة لشمال إيطاليا في عام ١٨٤٥ ، وأخذ بجمال طبيعتها ، ودرس عن كتب أوابدها المعمارية ومنحوتاتها القروسطية ، ممّا شكّل لديه انطباعًا لا يُمحى، وكانت الصور القلمية التي رسمها في هذه الرحلة من أفضل ما أنتج . ثم كتب الجزء الثاني من " المصوّرون الحديثون " (١٨٤٦)، ومصاييح هندسة العمارة السبعة (١٨٤٩) ، وحجارة البندقية (١٨٥١-١٨٥٣) في ثلاثة أجزاء ، وتلا ذلك الجزآن الثالث والرابع من " المصوّرون الحديثون " (١٨٥٦) . كان هذا النتاج الغزير في فترة زواج راسكين من يوفيميا غراي ، التي كان قد أهداها كتابه " ملك النهر الذهبي " (١٨٥١) ، ونُشر بعد عشر سنوات من كتابته ، إلا أنها حصلت على الطلاق عام ١٨٥٤ ، وتزوَّجت صديقه الفنان جون ميليه .

عمل بعد ذلك في التعليم في كُلية العُمل، وفي إنشاء متحف أكسفورد للتاريخ الطبيعي، وفي تشجيع الفنانين والأدباء ، وفي إلقاء المحاضرات في طُول البلاد وعرضها لتنمية الحس الفني العام . إلا أنه كان ناقدًا خشنًا بدأت آراؤه في السياسة والاقتصاد تطفئ على فنّه، كما في خطابه "الاقتصاد السياسي للفن " عام (١٨٥٧)، وكذلك تمرده على القيم الموروثة عبر تربيته

الدينية البرجوازية، فكتب حول توزيع الثروة وقانون العرض والطلب وعلاقة الرأسمال باليد العاملة ،
وهاجم جون ستوارت ميل وغيره في كتابه " حتى هذه النهاية " (١٨٦٠) .
كتب راسكن أيضًا مجموعة مقالات مثيرة للجدل ، حول لا إنسانية الأوضاع المادية
والاجتماعية للطبقة العاملة ، أثارت حفيظة الكثيرين ممن حوله .
وفي " مقالات حول الاقتصاد السياسي " (١٨٦٢ _ ١٨٦٣) ، و " أخلاقيات التراب "
(١٨٦٦) ، أعلن الحرب على روح عصره، الذي تميّز بالمادية والأنانية، في محاولة للرجوع إلى
القيم والأخلاق. وفي خضم هذا النشاط السياسي والاجتماعي، نشر الجزء الخامس من "
المصوّرون الحديثون " (١٨٦٠) ، منهيًا بذلك شهادته الفنية على عصره .
تدهورت صحة راسكن النفسية ، ومع ذلك صار أستاذًا للفنون الجميلة في جامعة أكسفورد
بدءًا من عام ١٨٦٩ ، ولعقد من الزمن ، متابعًا اهتمامه بأوضاع العمال .
ولمّا كانت الرسائل الوسيلة المفضلة للتعبير لديه ، فقد كتب مجموعة منها إلى العمال : "
الزمن والمد " (١٨٦٧) ، وأخرى بعنوانها الغريب " فورس كلافيغرا " ، الذي كان شعارًا لجمعية
" القديس جورج " التي أسسها راسكن بهدف الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي الشامل، وكانت
استمرارًا لتحديّه أصحاب العمل والأوضاع الراهنة .
عانى راسكن من الانهيارات العصبية المتكررة ، ومن خيبة الأمل في العلاقات العاطفية
والاجتماعية ، إلا أنه كان الناقد الفني والاجتماعي الأبرز ، وكان فاعلاً في آخرين ممن عاصروه
أمثال شو وبروست .
ومع تدهور صحته إلى الحضيض في آخر سنوات حياته، ومع التناقض والغموض وانعدام
التوازن في تفكيره ، فقد كتب أفضل إنتاجه في ما يُشبه السيرة الذاتية "أحداث ماضية " خلال
الفترة (١٨٨٥ _ ١٨٨٩) اعتمادًا على يومياته . وتوفي بعد صمت دام عقدًا من الزمن في
بلدة كونستن في منطقة البحيرات الإنجليزية .
لقد تعددت مواهب راسكن ، فقد كان كاتبًا وشاعرًا وناقدًا فنيًا ومفكرًا اجتماعيًا ، وصاحب
خبرة طويلة في إظهار ونشر الفن القوطي ، وتوطيد دعائم الحس الفني . وله العديد من المؤلفات
والأعمال الأدبية والفنية ، وكان لكتاباته وفنه أثر كبير في العصر الفكتوري .

جون رولز ونظرية العدالة

وُلد الفيلسوف الأمريكي جون رولز (١٩٢١ - ٢٠٠٢) في بالتيمور، ميريلاند . التحق بمدرسة كالفرت في بالتيمور لمدة ست سنوات ، قبل أن ينتقل إلى مدرسة كينت ، وهي مدرسة إعدادية أسقفية في كونيتيكت .

بعد التخرج في عام ١٩٣٩ ، التحق رولز بجامعة برنستون ، حيث تخرّجَ بامتياز مع مرتبة الشرف . وخلال السنتين الأخيرتين له في برنستون ، أصبح مهتمًا للغاية باللاهوت ومذاهبه . حصل على درجة البكالوريوس في الآداب في عام ١٩٤٣ ، وجُنّد في الجيش في فبراير من ذلك العام خلال الحرب العالمية الثانية . وعمل كجندي مُشاة في المحيط الهادئ ، وحصل على نجمة برونزية، وتحمّل حرب الخنادق المكثفة في الفلبين، وشهد مشاهد مُروّعة، وهناك فقد إيمانه المسيحي.

بعد استسلام اليابان ، تَمّت ترقية رولز إلى رتبة رقيب ، لكنه أُصيب بخيبة أمل مع عواقب الانفجار النووي في هيروشيما . وعصى رولز أمراً عسكرياً لتأديب جندي زميل ، معتقداً أنه لا يوجد ما يُبرّر العقوبة ، فتَمّ تخفيض رُتبته ، وغادر الجيش في يناير ١٩٤٦ بعد خدمته العسكرية ، وأصبح مُلحدًا . وبعدها ، عاد رولز إلى جامعة برنستون لمتابعة الدكتوراة في الفلسفة الأخلاقية.

بعد حصوله على الدكتوراة من جامعة برنستون في عام ١٩٥٠ ، درّس فيها حتى ١٩٥٢ . ثم حصل على منحة فولبرايت لجامعة أكسفورد . وبعد عودته إلى الولايات المتحدة ، شغل منصب مساعد ثم أستاذ مشارك في جامعة كورنيل . وفي عام ١٩٦٢ أصبح أستاذًا للفلسفة في جامعة كورنيل ، وسُرعان ما وصل إلى منصب ثابت في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا . وفي نفس العام انتقل إلى جامعة هارفارد . نادرًا ما كان رولز يُجري مقابلات ، وكان لديه تلثم ، و " رُعب يُشبه رُعب الخفاش من الأصواء " . وفي عام ١٩٩٥ ، عانى من سكتة دماغية الأولى، ممّا أعاق بشدة قدرته على مواصلة العمل. ومع ذلك استطاع أن يُكَمّل كتابًا بعنوان " قانون الشعوب " وهو البيان الأكثر اكتمالاً لوجهات نظره حول العدالة الدولية . تُؤفّي في ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٢ ، ودُفِن في مقبرة جبل أوبورن في ولاية ماساتشوستس. نشر رولز ثلاثة كتب رئيسية. الأولى "نظرية في العدالة". ركّز على العدالة التوزيعية ، وحاول التوفيق بين المطالب المتنافسة لقيم الحرية والمساواة . والثاني " الليبرالية السياسية " تناول مسألة كيفية تقسيم المواطنين بسبب خلافات دينية وفلسفية مستعصية

يمكن أن تدعم نظام ديمقراطي دستوري. الثالث "قانون الشعوب"، ركّز على مسألة العدالة العالمية. يُعتبر كتابه " نظرية في العدالة " (١٩٧١) أهم كُتبه على الإطلاق. وقد عُدّل عام ١٩٧٥ لأجل ترجمته ، وعُدّل كذلك عام ١٩٩٩ .

يحاول رولز في هذا الكتاب حل مشكلة عدالة التوزيع (التوزيع العادل اجتماعيًا للأغراض في المجتمع) باستخدام نسخة مُعدّلة من الأداة المعروفة بالعقد الاجتماعي . تُعرّف النظرية الناتجة بعبارة "العدالة بِكُونِها إنصافًا"، والتي اشتق منها رولز مبادئه في العدالة: مبدأ التحرر ومبدأ الفرق. يُحاجج رولز لأجل توفيق مبدئي بين التحرر والعدالة، حيث يُراد منه أن يُطبّق على الهيكل الأساسي لمجتمع جيّد التنظيم . ومن الضروري تقدير ظروف العدالة ، ووضع اختيار مُنصف لأطراف العلاقة في تلك الظروف . ويُتطلع إلى مبادئ العدالة لتوجه سلوك الأطراف .

ينتمي رولز لتقليد العقد الاجتماعي ، إلا أن للعقد الاجتماعي وفق رولز رؤية مختلفة عن تلك التي للمفكرين السابقين. بشكل خاص، يقترح رولز ما يقول إنها مبادئ العدالة الناتجة عن استخدام أداة مُصنّعة يُسمّيها " الوضع الأصلي " ، والذي فيه يُقرّر الجميع مبادئ العدالة من وراء غطاء الجهل . هذا الغطاء يحجب عن الناس بالضرورة كل الحقائق عن أنفسهم بحيث لا يمكنهم تفصيل المبادئ حسب منافعهم .

رأى رولز أن عدم التساوي الاقتصادي يجب أن يخضع لشرطين: ١_ أن يحصل لمواقع ووظائف مفتوحة للجميع ، وبشروط تضمن المساواة في الفرص . ٢_ أن يعود هذا الفرق الاقتصادي بالنفع على أقل أفراد المجتمع استفادة .

يُعتبر رولز من مُنظري ومؤسسي الليبرالية الاجتماعية ، حيث اهتم بالعدالة الاجتماعية . والبعض يعتبره أعظم فيلسوف سياسي في القرن العشرين . ويقول الفيلسوف الإنجليزي جونانان وولف إنه " قد يكون هناك نزاع حول الفيلسوف السياسي الثاني الأكثر أهمية في القرن العشرين ، ولكن لن يختلف أحد على أن الفيلسوف الأول الأكثر أهمية هو جون رولز " .

جون ستيوارت ميل وحرية الفرد

وُلِدَ الفيلسوف الإنجليزي جون ستيوارت ميل (١٨٠٦ _ ١٨٧٣) في لندن، ونشأ في رعاية أب يُقدّر العلم ، ويحرص على اكتساب المعارف . فقد كان والده فيلسوفًا ومؤرخًا وصاحب إسهامات في علم الاقتصاد، وهو ما كان له بالغ الأثر في حياة ابنه البكر جون ، وتشكيل ميوله نحو الفلسفة والاقتصاد في سن مبكرة .

تلقى ميل تعليمه على يد والده الذي كان صارمًا معه ، فلم يكن يحظى بأوقات الفراغ للعب مثل أقرانه . وحتى عندما كان يأخذه والده للتنزه مشيًا على الأقدام في الهواء الطلق، فإن الصغير كان عليه أن يعرض ما قرأه بالأمس ، ويناقش أباه في ما فهم منه ، وما استغل على فهمه .

بدأ ميل تعلّم اللغة الإغريقية في سن الثالثة، وحينما بلغ الثامنة من عمره كان قد انتهى من قراءة كتب العديد من المؤلفين الإغريق ، كما شرع في تعلم اللاتينية ، وتكفّل بتعليمها لإخوته الصغار ، وتمكن من دراسة الجبر والهندسة الإقليدية والمنطق . وفي سن الثالثة عشرة ، اشتغل ميل بدراسة الاقتصاد السياسي ، واطّلع على أمهات الكتب في هذا المجال . وبفضل هذا التعليم الصارم والمُضني استطاع _ كما يقول هو عن نفسه في سيرته الذاتية _ أن يسبق أقرانه بربع قرن ، لكن الثمن الذي دفعه مقابل ذلك كان باهظًا، فقد حُرِمَ من طفولته، وترك ذلك أثرًا عميقًا في شخصيته. بنى ميل قناعاته الفلسفية على أفكار المذهب النفعي ، الذي أسسه الفيلسوف الإنجليزي جيريمي بنتام ، وهو مذهب في فلسفة الأخلاق يبنى فكرة الخير والشر والتمييز بين الصواب والخطأ انطلاقًا من مآلات الأفعال وعواقبها من حيث المنفعة والمتعة التي يُحقّقانها . وقد ورث ميل تأثره بالمذهب النفعي من والده الذي كان يرى في بنتام أبا روحياً له من الناحية الفكرية . لكنه _ على عكس والده _ لم يجمد على أفكاره ، بل أعاد صياغة الكثير منها طوال حياته، حتى يُحدث نوعًا من التوافق بينها ، وبين القواعد الأخلاقية التي تعارفَ عليها الناس والمنتشرة بينهم منذ زمن . لم يكن ميل ثوريًا بطبعه ، وكان يُحب أباه ويُعجّب به أيّما إعجاب، وكان مقتنعًا بصحة مُعتقداته الفلسفية، ووقف مع بنتام ضد النزعة اليقينية، وكُل ما كان يُقاوم مسيرة العقل والتحليل والعلم التجريبي، وكان يُجاهر باستمرار بأن السعادة هي الغاية الحميدة للوجود البشري ، وكان ما يخشاه ويمقته، ضيق الأفق ، وسحق الأفراد من قبل وطأة السُلطة ، أو العادة ، أو الرأي العام، لذلك وقف بحزم ضد عبادة النظام .

التحق ميل بشركة الهند الشرقية (البريطانية) عام ١٨٢٣ ، فعمل بها مراقبًا ، ثم كبيرًا للمراقبين ، إلى أن حُلَّت سنة ١٨٥٨ ، وهو ما مكَّنه من الاستفادة من معاش مريح أعانه على التفرغ بعد ذلك للكتابة .

وفي عام ١٨٦٥ ، انتُخب ميل نائبًا عن دائرة وستمنستر في مجلس العموم البريطاني، وكانت تلك فرصة بالنسبة له للإسهام في النقاشات السياسية والاقتصادية في ذلك العصر .
في عام ١٨٦٧ ، عُيِّنَ عميدًا للجامعة الأسكتلندية في سانت أندروز ، لكنه _ ونظرًا لعدم تجديد انتخابه لعضوية البرلمان البريطاني _ آثر الهجرة والاستقرار في مدينة أفينيون الفرنسية، حيث يرقد جثمان زوجته .

يُعتَبَر ميل من رموز المذهب النفعي في الفلسفة وأحد أقطاب المدرسة الكلاسيكية في الاقتصاد. كما يُعتَبَر من أهم الفلاسفة الذين كتبوا عن الحرية ، وانتصروا للفرد في وجه سطوة المجتمع ، وطفغان الأغلبية ، الذي لا يقل خطورة في نظره عن أي شكل آخر من الطغيان السياسي . وكانت كتاباته التي خصَّصها لهذا الموضوع بمثابة مُرافعة فكرية عن الحرية، أجهَد نفسه فيها لدحض كل الآراء التي تُبرِّر تقييد المجتمع لحرية الفرد دون أي وجه حق لمجرد الاعتقاد في صواب رأي الجماعة.

ويرى ميل بهذا الصدد أن رأي الأغلبية ليس بالضرورة صحيحًا، ومن الممكن أن يُخطئ الناس وإن كانوا أكثرية ، لأن كثرة العدد ليست سُلطة منطقية . ويؤكد أن السبيل الوحيد لإدراك صواب رأي من عدمه ، هو عرضه على محكمة الدليل والبرهان .

وفي مجال الاقتصاد السياسي ، رأى ميل أن توزيع المِلْكِيَّة مسألة ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار التطوُّر التاريخي لكل مجتمع، وأن تخضع لِمَا تقتضيه مصلحة هذا المجتمع ، ودافع عن توزيع الأراضي بين الناس بشكل يُؤمِّن عدالة أكبر . كما برَّر تدخل الدولة من أجل تحقيق هذا المطلب إذا اقتضى الحال . وقد قرأ البعض أفكار ميل حول المِلْكِيَّة كنوع من الميول نحو الاشتراكية المثالية، لكن تقديسه للحرية السياسية والاقتصادية على حد سواء، وإيمانه بحرية المبادرة والمنافسة يجعلانه على مسافة كبيرة من الاشتراكية ، ويُفَنِّدان ذلك الزعم .

من أبرز مؤلفاته : نظام المنطق (١٨٤٣) . مبادئ الاقتصاد السياسي (١٨٤٨) . عن الحرية (١٨٥٩) . الحكومة التمثيلية (١٨٦١) . " المذهب النفعي " (١٨٦٣) .

جون شتاينبك والطبقة الكاحدة

وُلد الروائي الأمريكي جون شتاينبك (١٩٠٢ - ١٩٦٨) في وادي ساليانس في كاليفورنيا ، لعائلة من الطبقة الوسطى المحافظة . وكان الابن الثالث ، والدُّكر الوحيد بين أربعة أطفال . تَنقَّل والده بين وظائف مُتعددة لإعالة أسرته . أمَّا والدته فكانت مُعلِّمة . اقتنع والداه بأهمية تثقيف أطفالهما ، فارتادوا المسرح بصُحبتهُم ، واقتنوا كثيرًا من الأعمال الأدبية .

عُرف في شبابه بذكائه وخجله الذي يعود إلى نشأته بين ثلاث شقيقات . وهذا الأمر جعله مُنطويًا على نفسه ، يعيش في عالمه الخاص مع أفكاره وأحلامه وذكرياته بعيدًا عن الناس . ظهر اهتمام شتاينبك بالقراءة والكتابة في سن مُبكرة، إذ بدأ مُحَرِّرًا لصحيفة مدرسته الثانوية، وكتب فيها عدة مقالات وقصصًا قصيرة نالت إعجاب أساتذته . وقد قَرَّرَ في الرابعة عشرة من عُمره أن يُصبح كاتبًا ، فكان يحبس نفسه في غرفة نومه لكتابة القصائد والقصص . كما كان مُحبًّا لوطنه ، وشديد الانتماء إلى مسقط رأسه ، وقد ذكَّره كثيرًا في كتاباته .

في عام ١٩١٩ التحق شتاينبك بجامعة ستانفورد لدراسة الأدب الإنجليزي تحت ضغط والديه، بدون رغبة شخصية . وقد كانت سنواته الدراسية كابوسًا مُرعبًا ، وحصل على نتائج مُتدنية ، إلى أن رسب نهائيًا عام ١٩٢٥ ، وترك الجامعة بدون شهادة . وبعد تركه للجامعة ، بحث جاهدًا عن وظيفة لكسب قُوت يومه ، فعمل ككاتب حر ، ثم عمل في نيويورك في قطاع البناء ثم مراسل صحيفة . وعاد إلى كاليفورنيا ليعمل حارس مبنى . وفي تلك الفترة كتب روايته الأولى " كأس من ذهب " (١٩٢٩) ، والتقى زوجته الأولى ، عِلْمًا بأنه تزوج ثلاث مرات في حياته .

رَكَّز شتاينبك جهوده في الكتابة ، معتمدًا على راتبه المتواضع ودعم زوجته ، وكتب روايتين لم يُكتب لهما النجاح . وفي عام ١٩٣٥ ، كتب رواية " شقة تورتيلا " بأسلوب فُكاهي ، وتناول فيها تفاصيل الحياة في إحدى مناطق كاليفورنيا . وقد حَقَّقت نجاحًا باهرًا لتدفعه إلى الشهرة . وبعدها ، استخدم أسلوبًا أكثر جِدَّةً وصرامةً في الكتابة ، وهذا يتَّضح في رواية " فئران ورجال " (١٩٣٧) والمجموعة القصصية " الوادي الطويل " (١٩٣٨) .

تُعتبر رواية " عناقيد الغضب " (١٩٣٩) أشهر روايات شتاينبك على الإطلاق . وهي رواية ملحمة تحكي قصة أجيال من عائلة كبيرة وفقيرة من أوكلاهوما ، وسعيها لإقامة حياة جديدة في كاليفورنيا في فترة الكساد العظيم (وهي أزمة اقتصادية حدثت في عام ١٩٢٩ ، ومرورًا بِعَقْد

الثلاثينيات، وبداية عَقْد الأربعينيات ، وتُعتبر أكبر وأشهر الأزمات الاقتصادية في القرن العشرين . وقد بدأت الأزمة مع انهيار سوق الأسهم الأمريكية في ٢٩ أكتوبر ١٩٢٩ ، والمسَمَّى بالثلاثاء الأسود)، لكنَّ هذه العائلة تكتشف أن كاليفورنيا ليست أرض الأحلام ، وأن الحياة فيها أشد قسوة ، وذلك بعد تعرُّض العائلة للخداع والاستغلال. وموضوع الرواية هو الصراع من أجل العيش ، ضمن الإطار السياسي الاجتماعي الإنساني .

تُصوِّر الرواية الغضبَ والقلق الذي أصاب المواطن الأمريكي خلال تلك الفترة . وقد بيع حوالي ١٠ آلاف نسخة من الرواية أسبوعيًا ، وهذا النجاح قادَ شتاينبك إلى الفوز بجائزة بوليتزر عام ١٩٤٠ . وبعد هذا النجاح الكبير ، عمل شتاينبك كمراسل حرب لصحيفة نيويورك هيرالد تريبيون خلال الحرب العالمية الثانية .

كما اشتهرت له رواية " اللؤلؤة " (١٩٤٧) التي أصبحت جزءًا من المناهج الدراسية ، بسبب موضوعها الأخلاقي الوعظي ، إذ تتحدَّث عن غطاس مكسيكي فقير ، يصطاد لؤلؤة ثمينة تُغيِّر مجرى حياته ، فيبدأ الناس بالاهتمام بابنته المريضة بسبب اللؤلؤة ، ويُسيطر الطمع عليه ، فيخسر ابنته في النهاية ، ويرمي اللؤلؤة في البحر إلى غير رجعة .

استخدم شتاينبك مسقط رأسه والرحلات التي قام بها خلفيَّة لأهم رواياته ، فركَّز على الطبقة الكادحة من العمال المكسيكيين الموسمين ، ليُثير يقظة الشعب الأمريكي تجاه الفقراء البائسين الذين يُهاجرون من ولاية إلى أخرى طلبًا للرزق ، فيقعون فريسةً في معسكرات تجميع المهاجرين ، حيث يتم استغلالهم كأيدٍ عاملة رخيصة، ولكنهم يتمكنون بتعاونهم وتماسكهم من التغلب على محنتهم . وُصف شتاينبك بأنه كاتب اجتماعي وواقعي ، يُسلِّط الضوء في كتاباته على التماسك العائلي والاجتماعي ، والاحتجاج الاجتماعي والسياسي ، وتأثير البيئة بكل أشكالها في الإنسان . فاز بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٢ ، وأعلنَ في خطاب تسلُّمه للجائزة هدفه كروائي بقوله : ((إن المهمة الأساسية للكاتب لم ولن تتغيَّر ، فواجبه أن يُظهر أخطاءنا المؤلمة ، وفشلنا في التركيز على أحلامنا الجريئة ، بهدف الإصلاح)) .

يُعتبر شتاينبك واحدًا من أكثر الروائيين الأمريكيين شعبيَّة وشهرة ، وكان لأعماله تأثير عميق في مجتمعه. وحُوِّلَت مُعظَم رواياته إلى أفلام سينمائية لاقت نجاحًا كبيرًا. حيث حُوِّلَت رواية " عناقيد الغضب " إلى فيلم شعبي في ١٩٤١ . وحُوِّلَت رواية " شرق عدن " (١٩٥٢) إلى فيلم في عام ١٩٥٥ ، مِن بطولة الممثل جيمس دين .

جون غلزورثي وقيود المجتمع

وُلد الأديب البريطاني جون غلزورثي (١٨٦٧ - ١٩٣٣) في عائلة ثرية ، ودرس القانون في جامعة أكسفورد . وبعد تخرجه في عام ١٨٩٠ ، رفض العمل في مهنة المحاماة أو سلك القضاء ، وأدار ظهره لشهادته الجامعية .

بدأ غلزورثي حياته الجديدة بعيداً عن تخصصه الجامعي ، وقرّر أن يُصبح رَجُلَ أعمالٍ ، فسافرَ إلى الخارج من أجل عقد الصفقات التجارية، وتوسيع الأنشطة المالية لعائلته الأرستقراطية . وخلال هذه الرحلات التقى بال كاتب جوزيف كونراد ، وكان هذا اللقاء المصيري نقطة التَّحول الحاسمة في حياة غلزورثي . لقد صارا رفيقين في السَّفَر ، جَمَعهما حُبُّ الرحلات البحرية ، وعشق الأدب . وفي الواقع ، إنَّ الصداقة بينه وبين كونراد هي التي قادته إلى عالم الكتابة . في عام ١٨٩٥ ، بدأ علاقة غرامية سرّية مع زوجة ابنه عمّه ، وكانت هذه العلاقة سبباً أساسياً في طلاقها من زوجها . وقد تزوّجها غلزورثي في عام ١٩٠٥ ، وبقياً معاً حتى وفاته .

نشر عدداً قليلاً من القصص القصيرة تحت اسم مستعار ، ثم تحوّل إلى الكتابة المسرحية . وكانت مسرحيته " صندوق الفضة " (١٩٠٦) أول مسرحية ناجحة له . لمع اسمه بين أوساط القُرّاء ، وصارَ النُّقاد يُتابعونه باهتمام شديد . ثُمَّ تحوّل إلى كتابة الروايات . وقد لقيت كتاباته حفاوةً بالغة ، وصارَ موضع تقدير ، وتمَّ تكريسه كاتباً موهوباً جنباً إلى جنب مع أبرز الكُتّاب في تلك الفترة مثل جورج برنارد شو .

إن المبادئ الأساسية في كتابات غلزورثي المسرحية والروائية تتمحور حول الأسرة ومشكلاتها الروحية وأزماتها الاجتماعية في المجتمع المادي القاسي ، وكيفية التعامل مع الطبقة المتوسطة على وجه الخصوص . وفي كتاباته يُظهر تعاطفاً واضحاً مع شخصياته ، ويُسلط الضوء على مواقفهم الانعزالية ، ويكشف حالات الغرور الإنساني ، ويُوضّح القواعد الأخلاقية التي تحيط بالإنسان والمجتمع . كما أنه نشر في كتاباته المبادئ السياسية والاجتماعية مثل : إصلاح السُّجون ، وحقوق المرأة ، ومعارضة الرقابة ، والرفق بالحيوان . وانتقد قسوة النظام الطبقي الإقطاعي في إنجلترا .

وقد تحدّى غلزورثي المُثل العُليا للمجتمع، وقام بتصوير المشكلات الأسرية في أعماله الأدبية. فقد صوّر المرأة في الزواج غير السعيد ، وبَيّن مشاعرها مع زوجٍ تكرهه . وهذا الأمر كان

من المحظورات الاجتماعية في العصر الفكتوري (نسبة إلى الملكة فكتوريا) . إذ إن المجتمع في ذلك العصر كان مَحْكُومًا بقوانين اجتماعية صارمة ، ولم يكن أحد يجرؤ على كسر العادات والتقاليد. وقد أرادَ الكاتب تَسْلِيْطَ الضوء على وضع المرأة في المجتمع ، وبيان حقوقها المسلوبة، وأحلامها الضائعة ، وخضوعها لِسُلْطَةِ الأمر الواقع .

انْتُخِبَ كأوّل رئيس لنادي القلم الدولي في عام ١٩٢١ ، وحصل على وسام الاستحقاق في عام ١٩٢٩ بعد أن رفض لقب فارس ، وحصل على جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٣٢ . وكان مريضًا جدًّا، فلم يتمكن من حضور حفل تسليم الجائزة. وتُوفِّيَ بعد ستة أسابيع بالسكتة الدماغية. وقد أُحْرِقَتْ جُثَّتُهُ وَفَقَّ وصيته ، وأقامت الحكومة البريطانية نُصْبًا تذكريًّا له .

من أبرز أعماله الأدبية : الإخوة (١٩٠٩) . ثوب المهرج (١٩١٠) . زهرة الظلام (١٩١٣) . شجرة التفاح (١٩١٦) . الهروب (١٩٢٦) .

جون كالفن والطغيان باسم الدين

وُلد عالم اللاهوت الفرنسي جون كالفن (١٥٠٩ - ١٥٦٤) في نويون بمقاطعة بيكارديا في شمال شرقي فرنسا ، لأسرة كاثوليكية .

استوطن في جنيف (سويسرا) ، وأراد أن يجعل منها مدينة مثالية، فأسس دولة ذات حكومة دينية جزئياً، أخضع فيها السلطات العلمانية للكنيسة ، وعمل على تطبيق النظام بطريقة صارمة، فصار " الدكتاتور " الفعلي للمدينة عام ١٥٤١، وحصل على جنسية مدينة جنيف قبل وفاته بأربع سنوات .

كان أبوه مندوباً كنسياً مُكَلَّفًا بالإشراف على ممتلكات الكنيسة في نويون، أرسله وهو في الرابعة عشرة من عمره إلى باريس لدراسة اللاهوت ، فدرس في كلية المارش ، وتعلّم اللاتينية ، ثم التحق بكلية مونتغو في باريس (١٥٢٣ - ١٥٢٧) ، وقُبِدَ اسمه بالصيغة اللاتينية يوهانس كالفيوس. انكبَّ على قراءة كتاب " الأقوال " لبطرس اللومباردي، وبعض مؤلفات آباء الكنيسة، خاصة أوغسطين ويوحنا الدمشقي (الذهبي الفم) .

دفعه والده إلى العزوف عن اللاهوت، ودراسة القانون المدني في أورليان عام ١٥٢٨، فدرسه، وتشربَ المناهج الحقوقية الجديدة ، واكتسب معرفة عميقة بالقانون الروماني، وحصل على درجة " اليسانس " في القانون عام ١٥٣٢ . عاد بعدها إلى باريس لدراسة الأدب الكلاسيكي، وتحوّل هناك فجأة إلى البروتستانتية عام ١٥٣٤ ، فنزل عن امتيازاته الكهنوتية ، لينضوي تحت لواء الإصلاح الديني، وصار من أشد أتباع لوثر، وأصبحت حياته في باريس عُرضة للخطر، فسافر إلى بازل (سويسرا) عام ١٥٣٥ ، حيث عاش تحت اسم مستعار " ماريانوس لوكانيوس " ، وتابع نشاطه فيها ، وأنجز كتابه الرئيسي " أسس الدين المسيحي " باللاتينية (١٥٣٦) ، وحقّق نجاحاً كبيراً بوصفه المتن المعتمد لحركة الإصلاح الديني الفرنسي، دافع فيه عن العقيدة البروتستانتية

التي اضطرَّه الملك فرنسوا الأول _ ملك فرنسا _ كثيراً من مُعتقّيها . استقرَّ في جنيف، وعمل هناك مستشاراً مع غيوم فاريل (١٤٨٦ - ١٥٦٥) الزعيم الروحي لأنصار حركة الإصلاح الديني، وتعاونَ معه على تنظيم كنيسة إصلاحية فيها. ثم أصدر أوامر لتنظيم مجتمع جنيف دينياً، وأدخل قواعد متشددة في الدين، فأخضع تنظيم الكنيسة والعبادة والتعليم واعتراف الإيمان لرقابة مجالس المدينة. فنار أهل المدينة عليه، وطرده مجلس المدينة (١٥٣٨).

استقر في ستراسبورغ أهم المراكز البروتستانتية الأوروبية ، حيث أمضى ثلاث سنوات، عمل فيها على تعميق معارفه اللاهوتية، وبناء تصورات الكهنوتية، فوضع طقوساً جديدة ، اعتمدتها فيما بعد كنائس جنيف وفرنسا البروتستانتية . عُيِّن أستاذاً في المدرسة العليا، فعَلَّمَ إنجيل يوحنا ورسائل بولس الرسول ، وتمكَّن بفضل أهل ستراسبورغ من الاتصال بالبروتستانتية الألمانية ، فالتقى ميلانتون عام ١٥٣٩ في فرانكفورت، في المناقشات التي جرت لإعادة توحيد الكنيسة .

وعندما تفاقم الوضع في جنيف، ولحق الكنيسة بعض الخلل والاضطراب، عاد كالفن إليها عام ١٥٤١ ، بإلحاح من مجلس المدينة ، ورغبة منه في تحويل جنيف إلى مركز للديانة البروتستانتية . فصار واعظاً ومُعلِّماً وراعياً لكنيسة جنيف الإصلاحية، واشتد في الأوامر والنواهي الدينية وتطبيقها

حتى بات طاغية مُستبدّاً باسم الدين، تميَّز بالقسوة والصرامة والتعصب تجاه جميع العقائد الدينية الأخرى، وارتكب جرائم بشعة في حق حرية الضمير عند الأفراد ، كان أبرزها أمره بإحراق الطبيب واللاهوتي الإسباني ميشيل سرفيتوس لإنكاره عقيدة التثليث وألوهية المسيح .

ترك كالفن وراءه نتائجاً ضخماً تعاضم تأثيره، وامتد إلى ما وراء جنيف، لُتَسَمَّى باسمه الكنائس البروتستانتية في أوروبا وأمريكا قاطبة . فقام بتأليف الكتب ، وحرَّر رسائل مهمة تتضمن تعليقات حول " العهد القديم " و " العهد الجديد"، وعددًا كبيراً من الرسائل والكتيّبات الخاصة ، حول مختلف مظاهر الإصلاح . ويبقى أهم أعماله على الإطلاق كتابه " أسس الدين المسيحي " الذي ضمَّنه رأيه في " الوصايا العشر " وعقيدة الحواريين والعشاء الأخير والطقوس الدينية كالتعميد ، وهاجم فيه الطقوس الزائفة، كما أضاف فصلاً عن الحرية المسيحية وسلطة الكنيسة والسلطة المدنية . وامتاز الكتاب بعرضه المنطقي والشمولي لفكر الإصلاح الديني ، وبكماله الأدبي وتلاحم أفكاره وترتيبها. فترجمه كالفن إلى الفرنسية، ثم أجرى عليه تنقيحات متواصلة ضمَّنها حصيلة تأملاته وتجاربه ، ليخرج بصورته المثلى، وهكذا تضخَّم الكتاب حتى صار سِفْراً في أربعة مجلدات. كان أتباع كالفن يؤمنون إيماناً شديداً بأن كل إنسان له عمل في الدنيا يقوده إلى مكانه في الآخرة . وأطلقوا على هذا المبدأ اسم مبدأ " النداء " ، أي إن لكل إنسان نداء في هذه الدنيا إذا لبَّاه فهو سيقوده إلى تحقيق هدفه في بلوغ مكانة تُرضي الله في الآخرة .

يُعتَبَر كالفن أحد أبرز زعماء حركة الإصلاح الديني. وهو مؤسس المذهب الكالفني المنتشر في سويسرا وفرنسا. وهو من الفلاسفة النادرين الذين استطاعوا أن يُطَبِّقوا ما أنتجوه من الفلسفة.

جون كيتس والرومانسية الضائعة

وُلد الشاعر الإنجليزي جون كيتس (١٧٩٥ _ ١٨٢١) في مورجيت في لندن . لم يتمكن والداه من تحمل تكاليف دراسته في مدارس راقية ، لذلك أُرسِل في صيف ١٨٠٣ إلى مدرسة عادية قريبة من منزل جدّيه ، وعاش في عائلة فقيرة جدًّا في لندن ، وأُصيب بمرض السُّل باكراً ، وهو المرض الذي أودى بحياته عام ١٨٢١ . وقد أُعْجِبَ بالإغريق وحَيَّاهم بصفتهم مُلهميه .

لم يَحْظَ في حياته إلا بالتجاهل والاحتقار من قِبَل النُّقاد والشعراء الآخرين . مات أبوه وعُمره ثماني سنوات فقط ، وهجرت أمه المنزل ، وتزوَّجت بعد شهرين فقط من موت زوجها ، وعهدت بأولادها لجدتهم ، إلا أنها عادت إليهم عند طلاقها ، وأُصيب بمرض السُّل ، فقام كيتس على العناية بها حتى وفاتها في ١٨١٠ . وهكذا أصبح كيتس حَسَّاسًا جدًّا إلى حد المرض . ولم يعد يثق بالحياة ومصائبها ، وأصبح يُعاني من القلق الوجودي ، ولم يجد أمامه إلا الكلمات كعزاء .

وبالتالي ، أصبح كيتس شاعرًا رغمًا عنه . يُعْتَبَر من شعراء المدرسة الرومانسية ، ومن أهم رُوّادها الإنجليز . ورغم أن أعماله لم تُنشر إلا قبل أربع سنوات من وفاته ، وأن حصيلة الشعرية كانت بشكل أساسي نتاج ست سنوات فقط ، ورغم أن قصائده لم تلفت نظر النُّقاد آنذاك ، إلا أنه يُعْتَبَر اليوم من أكثر الشعراء دراسةً . وتُعد سلسلة الأغنيات القصيرة التي كتبها كيتس في وقتنا الحالي تُحْفًا فنية ، ولا تزال من أكثر الشعر الإنجليزي انتشارًا . وتُعتبر رسائل كيتس عن نظريته الجمالية في القدرة السلبية أكثر الرسائل المُحتفَى بها لأي كاتب .

تعرّف كيتس على إيزابيلا جونز في مايو ١٨١٧ ، حين كان يُمضي إجازة في إحدى القرى الصغيرة . وكانت إيزابيلا امرأة جميلة وموهوبة وواسعة الاطلاع . ومع أنها لم تكن من صفوة المجتمع ، إلا أنها كانت مُقتدرة مَالِيًّا . وقد صارت هذه الشخصية الغامضة جزءًا من محيط كيتس .

لاحقًا ، أحب كيتس امرأة تُدعى " فاني براون " ، تغنّى بها في قصائد مؤلمة ، وزيادةً على ذلك ، فقد انهال عليه النُّقاد شتيمًا واستهزاء . وكان من الممكن أن يقتلوا رغبة الشعر فيه . ولكن نقدهم قَوَّى عزيمته مثلما فعلت المصائب والمحن . كان كيتس شديد الإحساس بمراسي العالم ، وبؤس الوضع البشري ، كيف لا وهو الذي عاش حياته القصيرة في المآسي والفواجع ، ولم يستطع أن يتزوج المرأة التي أحبها حتى درجة الجنون بسبب مرضه . لقد حرّمته الحياة من كل شيء سوى الشعر . وقد قال عنه أحد النُّقاد إنه مع شكسبير في الصف الأول من الشعراء ! .

في عام ١٨١٩ ، نشر كيتس قصيدته الرائعة " المرأة الجميلة بلا شفقة " ، وفيها يتحسّر على المرأة التي أحبها ، ولم يستطع أن يتزوجها ، ويقول فيها : ((أيتها النجمة الساطعة / هل أستطيع أن أثبت مثلك في مدار وأستريح ؟)) .

وعلى الرغم من أن قصائده لم تنل استحسان النقاد أثناء حياته ، إلا أن سمعته نمت بعد وفاته. وفي نهاية القرن التاسع عشر أصبح من أكثر شعراء اللغة الإنجليزية شعبية . وكان له تأثير كبير على مجموعة متنوعة من الشعراء والكتّاب. حتى إن الكاتب بورخيس قال إن أول لقاء مع كيتس يُمثّل تجربة أدبية أهم من حياته .

عانى كيتس من مرض السل كثيراً، فنصحّه الأطباء بتغيير الجو الإنجليزي إلى جو أكثر دفئاً ، فرحل إلى إيطاليا، إلا أن إقامته فيها لم تدم سوى بضعة أشهر . وتُوفّي في روما ، ودُفن في مقبرة البروتستانت . وكان طلبه الأخير أن يُدفن تحت شاهد قبر لا يحمل أيّ اسم أو تاريخ ، ويُكتب عليه الكلمات التالية : ((وهنا يقبع شخص اسمه مكتوب على الماء)) .

جون لوك وروح التسامح

وُلد الفيلسوف الإنجليزي جون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤) في رينغتون في إقليم سومرست، وتعلّم في مدرسة وستمنستر ، ثم في كلية كنيسة المسيح في جامعة أكسفورد ، حيث انتُخب طالباً مدى الحياة ، لكن هذا اللقب سُحِب منه في عام ١٦٨٤ بأمر من الملك . وبسبب كراهيته لعدم التسامح عند اللاهوتيين في هذه الكلية ، لم ينخرط في سلك رجال الدين . وبدلاً من ذلك، أخذ في دراسة الطب ، ومارس التجريب العلمي ، حتى عرف باسم " دكتور لوك " .

كان والده مُحامياً ، ناصرَ مع شيء من التضحية قضية البرلمان، وشرح لابنه نظريتي سيادة الشعب والحكومة النيابية ، وبقي لوك مخلصاً لهذه الدروس مؤمناً بها ، ومُعترفاً بفضل والده عليه . في عام ١٦٦٧ ، أصبح طبيباً خاصاً لأسرة أنتوني آشلي كوبر الذي صار فيما بعد الإيرل الأول لشفانسيري ، ووزيراً للعدل ، ولعب دوراً خطيراً في الأحداث السياسية العظيمة التي وقعت في إنجلترا (١٦٦٠ - ١٦٨٠) . وقد لعبت علاقة لوك باللورد آشلي دوراً كبيراً في نظرياته السياسية الليبرالية. وكان اللورد آشلي يتمتع بنفوذ كبير في إنجلترا، إذ كان يُمثّل المصالح السياسية لرؤوس الأموال التجارية في لندن ، وتحت تأثير اللورد آشلي ، كتب لوك في عام ١٦٦٧ مقالاً خاصاً بالتسامح ، راجع فيه أفكاره القديمة الخاصة بإمكانية تنظيم الدولة لكل شؤون الكنيسة .

اعتقد الكثيرون لمدة طويلة أن لوك كتب أشهر مقالتيه سياسيتين نُشرتَا في عام ١٦٩٠ ، بعنوان " مقالتان عن الحكومة " تأييداً لثورة ١٦٨٨ الكبرى . وهناك وجهة نظر تقول إن المقاليتين مُوجّهتان ضد فيلمر (المنظر السياسي الإنجليزي الذي دافع عن الحق الإلهي للملوك) ، وليس ضد " هوبز " ، كما كان يُفكّر البعض .

هاجر لوك إلى هولندا عام ١٦٨٣ ، بسبب ملاحقة البوليس له ، وذلك لاتصالاته الوثيقة باللورد آشلي ، الذي كان مُعارضاً للقصر ، وبقي هناك حتى عام ١٦٨٩ . وفي هولندا ، كتب لوك عدّة مقالات منها : مقال خاص بالفهم البشري ، وبعض الأفكار عن التربية ، وأخرى عن التسامح . وعندما جاءت الثورة الكبرى، استطاع لوك العودة إلى إنجلترا. وقد رفضت الجامعات القديمة فلسفته الحسّية وآراءه الليبرالية. ومع ذلك فقد انتشرت شهرته في أنحاء العالم .

لم يتزوج لوك قط ، مثل كل فلاسفة عصره تقريباً ، ونصحوه بالالتحاق بإحدى وظائف الكنيسة، ولكنه رفض الفكرة .

في عام ١٦٨٧ ، اشترك لوك في مؤامرة لإحلال وليم الثالث محل جيمس الثاني على عرش إنجلترا . فلمّا نجحت هذه المؤامرة ، أبحرَ لوك إلى إنجلترا (١٦٨٩) على نفس السفينة التي أفلّت الملكة المقبلة ماري . وفي إنجلترا التي تَوَلَّى فيها أصدقاء لوك مقاليد الحكم ، تقلّد الفيلسوف عدّة مناصب رسمية . ففي عام ١٦٩٠ كان مُفَوَّض الاستئناف ، وفي الفترة (١٦٩٦ _ ١٧٠٠) ، كان مُفَوَّض التجارة والزراعة .

كان لوك قد بلغ السابعة والخمسين من العمر حين عاد من منفاه . ولم يكن قد نشر سوى بعض مقالات قليلة الشأن ، ولم يكن يَعْرِف عن اشتغاله بالفلسفة إلا نفر قليل من أصدقائه . وما هي إلا سنة واحدة ، هي "سنة العجائب" حتى دفع إلى المطبعة ثلاثة كتب سَمَت به إلى مصاف الشخصيات البارزة الكبرى في عالم الفكر في أوروبا .

ظهرت " رسالة عن التسامح " في مارس ١٦٨٩ ، في هولندا ، ثم تُرجمت إلى الإنجليزية في الخريف . وأعقبها في ١٦٩٠ " رسالة ثانية عن التسامح " . وفي فبراير ١٦٩٠ أصدر مَقَالِيَه عن "الحكم المدني" ، وهما حجر الزاوية في النظرية الحديثة للديمقراطية في إنجلترا وأمريكا ، وبعد شهر واحد أخرج كتابه " بحث في العقل الإنساني " ، وهو أعظم المؤلفات أثرًا في علم النفس الحديث . كان تأثير لوك شاملاً وعميقاً في علم النفس قَدَر تأثيره في نظرية الحكم المدني . وظلّ يكتب رسالته عن العقل الإنساني منذ عام ١٦٧٠ ، ويتميّز هذا البحث بأنه دفع به إلى المطبعة بعد عشرين عامًا قضاها في مراجعته وتنقيحه .

عرّف لوك " العقل " بأنه " قوة الإدراك الحسّي " ، ولكنه يستخدم الإدراك الحسي ليشمل:
١ _ إدراك الأفكار في عقولنا . ٢ _ إدراك معاني الألفاظ . ٣ _ إدراك التوافق أو التناظر بين الأفكار . ولكن ما هي الفكرة ؟ . إن لوك يستخدم هذا الاصطلاح ليعني : ١ _ تأثير الأشياء الخارجية على حواسنا (الإحساس) أو : ٢ _ الوعي الداخلي بهذا التأثير (الإدراك الحسي) ، أو : ٣ _ صورة الفكرة أو الذكرى المتصلة بها (الفكرة) ، أو : ٤ _ الحركة التي تجمع صوراً منفردة كثيرة ، لِتَكُون مفهومًا عامًّا أو مُجَرَّدًا أو شاملاً لمجموعة من الأشياء المتشابهة .

واصلَ لوك حملته من أجل التسامح حتى غابت شمس حياته . وقبل موته كان قد وصل في مجال الفلسفة إلى مكانة لم يصل إليها نيوتن في مجال العلوم .

وقد انتشرت كتبه ، وانتقلت عن طريق الطبقات والترجمات العديدة إلى فكر أوروبا المتعلّمة المثقفة .

جون لو كاريه والجاسوسية في الحرب الباردة

وُلد الكاتب الإنجليزي جون لو كاريه (١٩٣١ _ ...) في بول ، دورست ، إنجلترا . اسمه الحقيقي : ديفيد جون مور كورنويل .

بدأ لو كاريه دراسة اللغات الأجنبية في جامعة بيرن، سويسرا خلال الفترة (١٩٤٨-١٩٤٩) ثم انضمَّ إلى سلاح الاستخبارات في الجيش البريطاني في عام ١٩٥٠ . وكانت وظيفته هي مقابلة الناس الذين عبروا الستار الحديدي إلى الغرب ، من أجل أن جمع معلومات استخباراتية منهم . عاد بعد سنتين إلى المملكة المتحدة ، ودرس في جامعة أكسفورد .

بالإضافة إلى الدراسة، كان يعمل سرًّا لجهاز الأمن البريطاني ، ويتجسَّس على مجموعات أقصى اليسار . تخرَّج في جامعة أكسفورد عام ١٩٥٦ ، ثم عمل أستاذًا للفرنسية والألمانية في كلية إيتون في بيركشاير لمدة عامين . وأصبح ضابطًا في جهاز الأمن البريطاني عام ١٩٦٠ ، ونُقِل إلى جهاز الاستخبارات الخارجية البريطانية .

عمل لو كاريه في السفارة البريطانية في بون وهامبورغ (ألمانيا) حتى عام ١٩٦٤ . لكن هويته كُشِفَتْ لجهاز المخابرات في الاتحاد السوفييتي ، من قِبَل ضابط مخابرات بريطاني منشق ، فترك جهاز الاستخبارات ، وقرَّر أن يُصبح روائيًّا .

نشر روايته الأولى " دعوة للموتى " (١٩٦١) تحت اسم مستعار " جون لو كاريه " ، وهو الاسم الذي كان يستخدمه حين عمل لحساب جهاز الاستخبارات البريطانية في أوروبا . والرواية عبارة عن قصة جواسيس من ألمانيا الشرقية ، يُمارسون نشاطهم في بريطانيا .

خلال حياته المهنية ، كتب لو كاريه أكثر من عشرين رواية . تَمَّ تحويل العديد منها إلى أفلام ناجحة . وتُرَكِّز كثير من رواياته على التشويق والتجسس والبيئات السياسية في عصر الحرب الباردة .

تُعتَبَر روايته " الجاسوس الذي جاء من البرد " (١٩٦٣) أفضل أعماله على الإطلاق ، وقد أصبحت من أكثر الروايات مبيعًا على مستوى العالم . وكثير من النُّقاد يعتبرونها واحدة من أعظم روايات التجسس على الإطلاق . وهي تُرَكِّز على الصراع الداخلي بدلاً من الصراع الخارجي .

استغل لو كاريه تجربته خلال الحرب الباردة في أجهزة الاستخبارات لخلق عالم خيالي، وشديد الغموض ، ومرتبطة بفساد المؤسسات .

تتميّز روايات لو كاريه بسرد مغامرات الموظفين السياسيين الذين هم على بينة من الغموض الأخلاقي لعملهم . وتستعرض رواياته النواحي النفسية والعاطفية للشخصيات ، وتخوض في الأحداث الدرامية المتسارعة .

وهذه المواضيع تتكرّر في رواياته من أجل معرفة الخير من الشر . تمامًا كما في العالم الحقيقي . والغموض الأخلاقي للسياسة هو الدرس الأكثر أهمية ، الذي يؤخذ من أعمال لو كاريه . يُعتبر لو كاريه واحدًا من أكثر الكُتّاب تأثيرًا في عصرنا . وقد ساهم في تحليل السياسة ضمن فترة الحرب الباردة ، وتوضيح الغموض الأخلاقي الذي يُحيط بمصائر الأفراد والجماعات . من أبرز أعماله : الجاسوس الذي جاء من البرد (١٩٦٣) . مُصلح خياط جندي جاسوس (١٩٧٤) . البيت روسيا (١٩٨٩) . خيَّاط بنما (١٩٩٦) . البستاني المخلص (٢٠٠١) .

جون ماكسويل كويتزي ولعنة الاستعمار

وُلد الروائي الجنوب أفريقي جون ماكسويل كويتزي (١٩٤٠ _ ...) في كيب تاون . كان والده مُحامياً وموظفاً حكومياً في بعض الأحيان . حصل على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٣ ، بسبب أشكاله الأدبية التي لا حصر لها ، وتصويره لمشاعر الغربة داخلياً وخارجياً ، وتركيزه على الطبيعة الأخلاقية للعمل . وحسب تقرير لجنة نوبل : ((فإن شخصيات كويتزي تنتصب خلف نفسها في اللحظات الحاسمة ، لاثثة بلا حراك ، عاجزة عن المشاركة في ما تقوم به هي نفسها من أفعال . غير أن السلبية ليست ذلك السديم القاتم الذي يتلغ الشخصية فَحَسْب ، بل هي أيضاً الملاذ الأخير المفتوح أمام الكائنات البشرية وهي تتحدى نظاماً قمعياً ، عن طريق الحيلولة دون إخضاع نفوسها لما يُبَيِّته ذلك النظام . وفي استكشاف الضعف والهزيمة ينجح كويتزي في التقاط الومضة المقدسة داخل الإنسان)) .

أصبح كويتزي ثاني كاتب جنوب أفريقي يفوز بالجائزة بعد نادين غوردنيمير . وقد قدّم مساهمة استثنائية في مجال الأدب ، ووضع جنوب أفريقيا على الساحة العالمية . بدأ حياته الروائية عام ١٩٧٤ ، ونشأ في بيت يتحدث الإنجليزية رغم أصوله الهولندية ، وهو يتحدث اللغتين بطلاقة . يُعتبر أول كاتب يفوز بجائزة بوكر الأدبية البريطانية المرموقة مرتين . درس كويتزي في كلية سانت جوزيف ، وهي مدرسة كاثوليكية في إحدى ضواحي كيب تاون . وحصل على البكالوريوس في الآداب مع مرتبة الشرف في اللغة الإنجليزية عام ١٩٦٠ . وحصل على الدكتوراة من جامعة تكساس عام ١٩٦٩ .

ومنذ عام ١٩٦٨ ، سعى إلى الإقامة الدائمة في الولايات المتحدة ، وهي عملية لم تنجح في النهاية ، ويرجع ذلك جزئياً إلى تورطه في الاحتجاجات ضد الحرب في فيتنام . من المعروف أن كويتزي يحب الغزلة والانعزال والابتعاد عن الناس ، ويتجنب الدعاية لنفسه وأعماله ، وهو يتمتع بالانضباط الذاتي كالرهبان ، والتفاني في العمل . إنه لا يُدخن ، ولا يأكل اللحوم ، ويسير مسافات طويلة للحفاظ على لياقته .

هاجم كويتزي سياسة الفصل العنصري في بلاده، وتحدث عن محدودية الفن في مجتمع جنوب أفريقيا ، حيث انتشار العلاقات المشوهة بين البشر ، واعتبر الأدب في بلاده هو أدب العبودية ، وأدب أقل من الإنسان تماماً ، وهو بالضبط نوع الأدب الذي يكتبه الناس في السجن .

ودعا حكومة جنوب أفريقيا إلى التخلي عن سياسة الفصل العنصري . كما عبّر كويتزي عن مَيْله القوي والطاغي إلى تضمين الرواية في التاريخ ، وقراءة الروايات بوصفها استقصاءات تخيلية في القوى والظروف التاريخية الحقيقية .

وأيضاً ، اعتبار الروايات التي لا تُؤدّي هذا الاستقصاء في ما يُعدّ قوى وسياقات تاريخية حقيقية ، بمثابة روايات تفتقر إلى الجِدّة . وهذا الأمر شديد الأهمية ، لأن تاريخ جنوب أفريقيا مكتوب على نَحْوٍ مُتَحَرِّبٍ تماماً للأبيض ، ومُتَحَيِّزٍ للمُسْتَعْمِر .

إن روايات كويتزي تسعى إلى تدوين مرحلة الاستعمار العريضة ، الذي لا يُشكّل تاريخ جنوب أفريقيا سوى بعض فصولها ، فالوضع الجنوب أفريقي مُجرّد شكل واحد لمرحلة تاريخية واسعة ذات علاقة بالاستعمار .

لَمْ ينتمِ كويتزي إلى أي حزب سياسي ، وَلَمْ يُعلن عن تَوَجُّه سياسي مُحدّد ، مع أنه أشار إلى السياسة في عمله . وقد كتب عن طفولته وماضيه ، ومشاهد العنف والقسوة التي شاهدها في مجتمعه القائم على العنصرية والظلم والاضطهاد والتمييز حسب اللون والعرق .

مِنْ أبرز رواياته: في قلب البلاد (١٩٧٧) . في انتظار البرابرة (١٩٨٠) . إليزابيث كوستيلو (٢٠٠٣) . طفولة يسوع (٢٠١٣) .

جون ميلتون والفردوس المفقود

وُلد الشاعر الإنجليزي جون ميلتون (١٦٠٨ _ ١٦٧٤) في إحدى ضواحي لندن ، ونشأ في بيئة يغلب عليها طابع التدين الممتزج بِقَدْر كبير من الالتزام، وكذلك عُرف عن هذه الأسرة حبها الشديد للعلم . ويذكر التاريخ أن جدّه عانى الكثير في عصر الملكة إليزابيث ، وذلك بسبب اعتناقه للمذهب الكاثوليكي . ومن المعروف أيضًا أن أباه كان شغوفًا بالموسيقى ، فضلاً عن كونه مؤلفًا ومُلَحِّنًا موهوبًا ، وربما كان حب ميلتون للموسيقى نابعًا من التصاقه الدائم بأبيه، وبذلك امتدت روافد العطاء من الأب للابن . ولاشك أن الموسيقى تركت بصماتٍ لا يمكن تجاهلها _ على آراء ميلتون ، حيث كان يرى أنها وسيلة مهمة لجعل الشعر أكثر فاعلية وتأثيرًا .

عاش ميلتون حياة مليئة بالمتاعب والمآسي المفجعة ، فقد كانت المصائب تأتي تَباعًا ، الواحدة تلو الأخرى، حيث فقد ابنه الأصغر في سنة ١٦٥٢ ، ثُمَّ ما لبث أن فقد زوجته في العام نفسه، وبعد ذلك يستمر مسلسل الأحزان حيث يفقد بصره في العام نفسه، وبعد أربع سنوات يتزوج مرة أخرى ، ويفقد زوجته الثانية وطفلتها الرضيعة . وفي سنة ١٦٦٣ يخوض ميلتون غمار تجربة جديدة حيث يرتبط بإحدى السيدات ، ويظل يتخبط في هذه الحياة حتى وفاته .

كان مُهْتَمًّا بكتابة المقالات والقصائد . قصيدته الأكثر شهرة "الفردوس المفقود" ، التي تُعتبر من أعظم الأعمال الشعريّة في اللغة الإنجليزية . تلقى ميلتون تعليمه في كامبردج في الفترة (١٦٢٥ _ ١٦٣٢) . وكان طيله حياته شخصية نشطة في القضايا السياسية والدينية . وخلال الحرب الأهلية الإنجليزية أصبح في صف أوليفر كرومويل المعارض للحكم الملكي . واستطاع الفرار من عقوبات حتمية بعد رجوع الحكم الملكي في عام 1660 .

بعد إصابته بالعمى في عام 1652 ، كرّس نفسه لكتابة قصيدة "الفردوس المفقود" التي تحكي قصة الشيطان وهبوط آدم وحوّاء . وبعد أربع سنوات نشر قصة انتصار المسيح على إغراءات الشيطان في "استرداد الفردوس" ، والدراما "عذاب شمشون" .

في عام ١٦٣٨ قام ميلتون برحلة حج مُدعّمة بوثائق إلى روما بهدف الاتصال برجال الطبقة المستنيرة ، وتبادل الأفكار معهم ، وكان قد اجتمع أيضًا مرات عديدة بغاليليو خلال خضوعه للإقامة الجبرية . وكان لرحلته إلى إيطاليا أبلغ الأثر في نضوجه الأدبي ، فلم يكن مجرد زائر جاء كي يستمتع بجزء من وقته في ربوع هذه البلاد ، ولكنه كان أشبه ما يكون بسفير لثقافته .

وقد كان محظوظًا أكثر من أي مسافر آخر ، لأنه كانت لديه القدرة على التحدث بطلاقة باللغة اللاتينية ، مما أتاح له فرصة ذهبية للاحتكاك بالأدباء والفنانين الإيطاليين، حيث شارك في كثير من المناقشات الفلسفية والأدبية التي كانت تدور رحاها في ذلك الوقت .

كان ميلتون مؤلعا بالحرية ، وأولاه اهتمامًا كبيرًا ، وكان يقول إن الكفاح من أجل الحرية يتمثل في لغة التمرد ، وربما كان في ذلك متأثرًا بالأفكار السائدة في عصره حيث كانت حياة الفرد المسيحي عبارة عن صراع تقليدي يتم بين ثايا النفس البشرية التي كانت أشبه ما تكون بميدان للقتال . وطرفا المعركة هما المسيح والشيطان، وكانا يتصارعان من أجل الفوز بهذه النفسية البشرية. ويرى ميلتون أن العقل الذي منحه الله للإنسان تظهر آثاره في قدرة الإنسان على الاختيار، ومن هنا ، فإن الفضيلة تعتمد على مدى قدرة الإنسان على تبني اختيارات صحيحة .

إن ميلتون يهتم في كتاباته بالتأثيرات المختلفة للحرية ، والدليل على ذلك هو أن الهيكل الرئيسي في قصيدته " الفردوس المفقود " يتمثل في الطغيان . وفي هذه القصيدة يرى الشيطان أن كلمة الخضوع تعني الاحتقار ، وبهذا أصبح سجيناً لهذه الفكرة التي أصبحت الشغل الشاغل له ، وبذلك أثرت كثيراً في قراراته . فأصبح ينظر لنفسه أنه شخصية مُحْتَقَرَة ، كما كان المجتمع ينظر إليه على أنه قائد مهزوم . ويعتقد ميلتون أن الفرد الصالح قادر على أن يقوم باتخاذ قرار منطقي وعقلاني في كل لحظة، وفي أي موقف يتعرض له في حياته اليومية . ويتضح ذلك جلياً أيضاً في " الفردوس المفقود". ومن الطبيعي أن تكون معظم شخصياته تعكس نجاحاً منقطع النظير في مقاومة الإغراءات بنجاح، والقدرة على تبني اختيار بين اتجاهين متناقضين (الخير والشر) .

وهذا الموضوع يشغل جزءاً كبيراً من مساحة أعماله الأدبية ، ولاشك أن اختياره للشعر المُرسَل في " الفردوس المفقود " يبدو أكثر من مجرد اختيار جمالي ، فهو يرى أن الحرية مثل الجنة ، تَمَّ فقدانها ، ولكن يمكن استعادتها مرة أخرى .

تأثر ميلتون إلى حد كبير بالنظرة الدينية للمرأة ، فلم يُقدِّم الحب الجسدي كما فعل غيره، فقد كان بعيداً كل البعد عن التصوير الجسدي، وهذا ربما يكون متناقضاً مع ظروف عصره . ومن الواضح من كتاباته أنه لم يستخدم ألفاظاً مثيرة في تجسيد تأوهات العاشقين المعذبين .

كان ميلتون صاحب مدرسة أدبية في الشعر ، ويعتبره النقاد من بين عظماء الشعر الإنجليزي، لدرجة أنهم وضعوه جنباً إلى جنب مع شكسبير، وهذا خير دليل على موهبته الأدبية الفذة وقدراته الكبيرة في هذا المجال.

جيرمي بنتام ومبدأ النفعية

وُلد الفيلسوف الإنجليزي جيرمي بنتام (١٧٤٨ – ١٨٣٢) في لندن . عُرف مُنذ صِغره بِذكاء خارق ، فقد تمكَّن من تعلُّم اليونانية واللاتينية، ولم يتخطَّ بعد عامه الرابع ، ولُقِّب بِـ " الفيلسوف " مُذ كان في الخامسة من عُمره .

حصل على شهادة الماجستير من جامعة أكسفورد عام ١٧٦٦ ، ليكون أصغر مُتخرِّج عرِفته الجامعات الإنجليزية في ذلك الوقت . وكان من المفترض أن ينصرف إلى مهنة المحاماة، إلا أنه اهتمَّ بالكيمياء أكثر، وشرع في إرساء مذهب فلسفي عُرف باسم " النفعية " ، وهو ما تجلَّى في كتاباته انطلاقاً من "شذرة حول الحُكم" (١٧٧٦) ، الذي أكَّد فيه أن الحُكم لا يُبرِّره إلا منفعته . وكان لمواقفه فيه تأثير كبير في الإصلاحات التي شهدتها التشريع الإنجليزي آنذاك . وبالإضافة إلى هذا ، فقد سعى إلى إدخال تعديلات وإصلاحات على قوانين العقوبات والقانون الدستوري ، وعمل على إقامة التشريع على أسس علمية . وتجلَّى ذلك في كُتبه اللاحقة، وفي مقالاته التي نشرها خاصة في مجلة وستمنستر التي كان له دور فعَّال في إنشائها (١٨٢٣ – ١٨٢٤) ، ودعا من خلالها إلى الإصلاح الدستوري ، وإصلاح حالة السجون في إنجلترا . ومن روسيا ، أرسلَ بنتام عام ١٧٨٧ إلى إنجلترا مبحثه " دفاع عن الرِّبَا " ، وعارض الإدانة اللاهوتية للربا (الفائدة) . ففي مجال الاقتصاد ومجال السياسة يجب أن يُترك الفرد حُرّاً في تنفيذ ما يراه وَفْق أحكامه على أن يكون هذا في صالح المجتمع .

كان لترجمة كتاباته إلى الفرنسية صدى كبير في فرنسا ، وخاصة كتابه " مقدمة في مبادئ الأخلاق والتشريع " (١٧٨٩) ، أي بعد صدوره بالإنجليزية بثلاثة أعوام ، إذ منحته الجمعية الوطنية الفرنسية عام ١٧٩٢ ، لقب " مواطن فرنسي " تكريمًا له . وفي هذا الكتاب ، عرض بنتام نظريته الأخلاقية في المنفعة ، وقوامها مبدأ السعادة القصوى ، أو القُدْر الأكبر من السعادة ، وهو مطلب فردي وجماعي في آن ، فالكل يبحث عن أكبر قُدْر من السعادة . وانطلاقاً من تحليله للعلاقة بين ثنائية اللذة والألم من جهة ، والعقل والمنطق من جهة أخرى، وبين المنفعة الفردية والمنفعة الجماعية، انتهى بنتام إلى تأكيد شمول المنفعة الجماعية للمنافع الفردية، وإثبات قيام السعادة الإنسانية القصوى على المراعاة العامة للقانون وقواعده المعتبرة لمبدأ المنفعة . فَمِثْل هذا القانون كفيل بتحقيق الانسجام والتناغم بين صالح الفرد والصالح العام .

لقد كان كتابًا صعبًا مُدَعَّمًا بصرامة بمئات التعريفات لدرجة تترك القارئ غير المختص مُشَوَّشًا، لكن بنشام كان يأخذ على عاتقه عملاً عقلياً مُجْهِدًا ، فقد كان يهدف إلى إحلال الأخلاق الطبيعية محل اللاهوت، وإقامة السلوك والقانون على أسس قوامها صالح المجموع أو الوطن أكثر من إقامتها على أسس قوامها إرادة السُّلطة التنفيذية أو مصالح طبقة من الطبقات، وتحرير القانون والسلوك من فروض الدِّين من ناحية ، ومن الأحلام الثورية من ناحية أخرى . وهذه الأسس الجديدة _ لكلٍّ من الأخلاق والقانون _ قامت على مبدأ النفعية : فائدة الفعل للفرد ، وفائدة العادة للجماعة ، وفائدة القانون للشعب ، وفائدة الاتفاقات الدولية للجنس البشري .

ذهب بنشام إلى أن كُلَّ النُّظم تسعى لتحقيق السعادة وإبعاد الألم . وعَرَّف السعادة بأنها ترضية، وعَرَّف الألم بأنه إزعاج سَوَاء للبدن أو النفس . والنفعية هي ميزة تحقيق السعادة أو اجتناب الألم ، والسعادة هي استمرار الشُّرور . والنفعية لا تحتاج لِقْصُرِها على الفرد ، فقد تكون _ جُزئيًّا أو أساسًا _ للأسرة أو المجتمع أو الدولة أو الجنس البشري . وقد يجد الفرد (من خلال غرائزه الاجتماعية) السعادة أو تجنُّب الألم، في ربط ما يُرضيه بما يُرضي الجماعة التي ينتمي إليها. وبالتالي، إن الهدف النهائي والمَحْك الأخلاقي لكل الأعمال والقوانين ، هو مدى إسهامها في تحقيق أكبر قَدْر من السعادة لأَكْبَر عدد .

لَمْ يَدَّعِ بنشام أنه أصل هذه الصيغة النفعية . لقد أعلن بصراحته المعتادة أنه وجد أساسها في كتاب جوزيف بريستلي " مقال عن المبادئ الأساسية للحُكم " (١٧٦٨) .

في إنجلترا ، أدان المحافظون مبدأ النفعية ، باعتباره مبدأ غير وطني وغير مسيحي ، وأنه مبدأ مادي . ودافعَ بعض الكُتَّاب ذاكرين أن أفعالاً كثيرة _ مثل الحب الرومانسي والأبوي والتضحية بالنفس وتبادل المساعدة _ لا تنطوي على حسابات واعية يارضئ الذات (أو إشباع رغبات الذات) ، واعتري الفنانون الإحباط للحُكم على أعمالهم الفنية بمقياس المنفعة . لكن الجميع فيما عدا الموظفين الحكوميين ، وافقوا على أن النفع الذاتي هو خُلُق كل الحكومات وسياساتها إذا نَحْنُنا جانِبِي الادِّعاء والخداع .

وبينما كان بنشام يُحْتَضَر، كان يُفَكِّر في جعل جُشته مفيدة لأَكْبَر عدد من الناس ، فأوصى بتشريح جشته في حضور أصدقائه . وحدث هذا بالفعل، وبعد تشريحها مُلِئَتْ جُمجمته بالشمع ، وطُيِّت به، وتَمَّ إلباس هيكله العظمي الملابس الداكنة التي اعتاد بنشام ارتداؤها، ووُضِعَ بشكل مُتَّصِب في صندوق رُجَاجي في الكلية الجامعية في كامبردج ، ولا يزال موجودًا حتى الآن .

جيرروم ديفيد سالينغر والحارس في حقل الشوفان

وُلد الروائي الأمريكي جيرروم ديفيد سالينغر (١٩١٩ _ ٢٠١٠) في مانهاتن ، في مدينة نيويورك . كان والده يهوديًا من أصل بولندي ، وعمل في مجال بيع الجبن . وقامت والدته بتغيير اسمها إلى ميريام ، وتحولت إلى اليهودية .

درس سالينغر في المدارس الحكومية في الجانب الغربي بمانهاتن . ثم انتقل إلى مدرسة مكبري الخاصة في الصف التاسع والعاشر . مثل العديد من المسرحيات المدرسية ، وأظهر موهبة درامية رغم مُعارضة والده لأن يصبح ابنه مُمثلًا . التحقَ بأكاديمية وادي فورغ العسكرية في وين الواقعة في بنسلفانيا . وهناك كتب قصصه في عُرفته على مصباح ضئيل . ثم التحق بجامعة نيويورك عام ١٩٣٦ ، وغادر الربيع التالي . وفي الخريف ذاته دفعه والده لتعلم تجارة اللحوم . وأُرسل ليعمل في شركة في فيينا (عاصمة النمسا) ، وغادرها قبل وقوعها في أيدي النازيين بشهر . في آذار ١٩٣٨ ، درس في كلية أورسينوس في بنسلفانيا لفصل دراسي واحد فقط . وفي عام ١٩٣٩ حضر درسًا مسائيًا للكتابة في جامعة كولومبيا . بدأ سالينغر في عام ١٩٤١ يُرسل قصصًا لمجلة نيويورك ، والتي رفضت عدّة قصص له ، من بينها: " غداء لثلاثة " ، و " أنا ذهبت للمدرسة مع هتلر " . لكنها قبلت قصته " عصيان ماديسون " وهي قصة عن مراهق غير مُبالٍ بأحداث ما قبل الحرب . خلال حملة النورماندي ضد ألمانيا النازية ، التقى سالينغر بإرنست همنغواي ، الكاتب الذي تأثر به ، والذي عمل كمراسل حرب في باريس . وقال سالينغر إن لقاءهما كان من ذكرياته الإيجابية عن الحرب . كما عمل كمُستجوبٍ لأسرى الحرب ، نظرًا لتفوّقه في الفرنسية والألمانية . عانى سالينغر من صدمة نفسية سيئة بعد الحرب . وأُدخل المستشفى للعلاج النفسي بعد حادثة سقوط برلين . وقد أخبر ابنته في إحدى المرات أن " المرء لا يتخلص أبدًا من رائحة اللحم المحترق في أنفه مهما عاش " . وقد دارت بعض أعماله حول هذه التجربة . في أواخر الأربعينيات اعتنق سالينغر الزّن (طائفة من البوذية اليابانية) . وفي عام ١٩٤٨ ، أرسل قصته " يوم مثالي لسماك الموز " إلى مجلة نيويورك ، التي كانت سببًا في شهرته . في الأربعينيات ، تحدّث سالينغر مع الكثيرين حول رواية عن هولدن كولفيلد ، بطل قصة " عصيان ماديسون " . وقد نُشرت في ١٦ تموز ١٩٥١ تحت عنوان " الحارس في حقل الشوفان " .

كانت الرواية في الأصل مُوجَّهة للقُرَّاء البالغين، لكنها أصبحت ذات شعبية كبيرة بين القُرَّاء المراهقين بسبب محاورها الرئيسية مثل : اليأس والعزلة خلال مرحلة المراهقة . تُرجمت الرواية إلى أغلب لغات العالم ، وبلغت مبيعاتها أكثر من ٦٥ مليون نسخة حول العالم. ويُباع منها حوالي رُبع مليون نسخة سنوياً . وقد أصبح بطل الرواية " هولدن كولفيلد " رمزاً لتمرد المراهقة . وتُعالج الرواية قضايا مُعقَّدة مثل : الهوية والانتماء والخسارة والعلاقات والعزلة . وفي عام ٢٠٠٥ ، وضعت مجلة التايم الرواية ضمن قائمتها لأفضل مئة رواية مكتوبة بالإنجليزية مُنذ عام ١٩٢٣ .

تدور الرواية بشكل أساسي حول المراهق هولدن كولفيلد (١٧ عاماً) . يزدري مجتمعه، ويرى أن الأفراد جميعاً غارقون في نوع من الزيف والغباء. يتعرض كولفيلد للطرْد من مدرسة بنسي الداخلية، بسبب رسوبه في كل المواد عدا الإنجليزية. هكذا تبدأ الرواية، حيث يمر هولدن عبر مجموعة من المواقف التي تُعطي فكرة عامة عن أفكاره. فيلتقي بعدد من الأفراد، منهم مُدرِّس التاريخ المُسن، فتيات وفتيان في مثل عُمره. ومُدرِّس الإنجليزية الشاب الذي درَّسه سابقاً، كل هذا بعد تركه مدرسة بنسي قبل الموعد المسموح له بعدة أيام، حيث يقيم بفندق متحاشياً لقاء والديه قبل معرفتهما بنياً طرده من المدرسة .

خلال الفترة (١٩٦١ _ ١٩٨٢) كانت الرواية أكثر الكتب الخاضعة للرقابة في المكتبات والمدارس الثانوية في الولايات المتحدة. تَمَّ منع الكتاب في مدارس إسكوه الثانوية عام ١٩٧٨ ، واعتُبر كجزء من " مؤامرة شيوعية شاملة " . وفي عام ١٩٨١ ، كانت الرواية أكثر الكتب خصوصاً للرقابة وثاني أكثر الكتب تدريساً في مدارس الولايات المتحدة في آنٍ واحد .

مِن أهم الانتقادات الموجهة للرواية، استخدام هولدن للألفاظ النابية بشكل متكرر، والإيحاءات الجنسية، وازدراء الدين ، وتقويض القيم العائلية والقواعد الأخلاقية ، وكوْن كولفيلد قدوة سيئة، وتشجيع التمرد ، والترويج للتدخين وشرب الكحول والكذب . وقد تراوحت ردود الأفعال حول الرواية ، من الإعجاب الشديد إلى التَّحفظ على جُرأتها بالنسبة لذلك الوقت .

يظهر المراهقون في أغلب أعمال سالينغر. ممَّا جعله مُفضَّلاً لهذه الفئة مِن القُرَّاء . يستخدم سالينغر تقنيات: الحديث الداخلي، والخطابات، والمكالمات الهاتفية، ممَّا يُظهر موهبته في بناء الحوار. لقد عُرف سالينغر بروايته " الحارس في حقل الشوفان " التي صنعت مجده الأدبي ، وشُهرته العالمية. وعلى الرغم من وجود أعمال أدبية أخرى له ، إلا أنه يُمكن اعتبار هذه الرواية هي بيضة الديك . والجدير بالذكر أن سالينغر لم ينشر أي عمل أدبي بعد عام ١٩٦٥ .

جيفري تشوسر وحكاياته كانتربري

وُلد الشاعر الإنجليزي جيفري تشوسر (١٣٤٣ - ١٤٠٠) في مدينة لندن ، لعائلة من الطبقة الوسطى. عمل كمراقب للجمارك (١٣٧٤ - ١٣٨٦). ثم عمل ككاتب لأشغال الملك (١٣٨٩ - ١٣٩١). يُعتبر أبرز الشعراء الإنجليز في العصور الوسطى، قبل عهد شكسبير، وأكبر الشعراء الهزليين في تاريخ الأدب الإنجليزي. لُقّب بأب الشعر الإنجليزي.

كان في شعره ينتقد أسلوب المُثل الرفيعة. وانتقد الكنيسة في عمله المعروف باسم " حكايات كانتربري " ، وذلك بتصويره للراهب والناسك والداعي للمُثل أمام الكنيسة.

كان مُلمًا بالكلاسيكية اللاتينية واللاهوت والفلسفة والفلك والقانون المدني ، وكان يُتقن اللغات الفرنسية والإيطالية واللاتينية. وكان أول شاعر إنجليزي يقوم باستعمال الوزن الملحمي في شعره. وعُرف بغزارة إنتاجه وتنوّعه ، لذلك يُعدّ من مؤسّسي الأدب الإنجليزي واللغة الإنجليزية في فترة انتقال إنجلترا من العصور الوسطى إلى العصر الحديث الذي بدأ في عصر النهضة.

عمل في البلاط الملكي منذ يفاعته ، فقد كان والده تاجرًا من الطبقة المتوسطة ، وكانت له علاقات جيدة في البلاط ، وسعى لإدخال ابنه إليه ليضمن له تعليمًا جيّدًا.

التحق بالجيش بالإنجليزي في فرنسا مع الملك إدوارد الثالث، وعُيّن عضوًا في البرلمان عن كنت، كما عُيّن مديرًا للجمارك في ميناء لندن ، وصار المسؤول الأول عن المصارف والموائى في البلاط. يُقسّم إنتاج تشوسر الأدبي إلى ثلاث مراحل أساسية : مرحلة التأثر باللغة الفرنسية وآدابها التي يُقدّر أنها استمرت حتى ١٣٧٢. ومرحلة التأثر باللغة الإيطالية وآدابها (١٣٧٣). والمرحلة الثالثة التي ساد فيها تأثير اللغة الإنجليزية على كتاباته (١٣٨٦). وأرسى بها قواعد اللغة الإنجليزية الحديثة. ويعتبر النقاد هذا التقسيم ضروريًا لفهم تطور أدب تشوسر ، من حيث تأثره باللغة والموضوعات والأجناس الأدبية الفرنسية والإيطالية حتى توجّهه بعدها للتركيز على اللغة الإنجليزية وعلى موضوعات تخص مجتمعه، ليضع بهذا أنماطًا جديدة شكّلت أسس الأدب الإنجليزي. وتتداخل هذه المراحل فيما بينها ، خاصة في المرحلة الثالثة.

وعلى سبيل المثال ، تُظهر " حكايات كانتربري " — على انتمائها إلى المرحلة الإنجليزية — تأثرًا واضحًا بالنماذج الشعرية الفرنسية والإيطالية ، التي تمتلئ بالهجاء والحكايات العاطفية. وكتب تشوسر في هذه المرحلة أول قصيدة طويلة بعنوان " كتاب الدوقة " (١٣٦٩).

ابتكر تشوسر أسلوبه المتميز باستخدامه للمكان والمشهد اللذين يُضفيان طابع الحلم على القصيدة ، ويبدعه شخصيات واقعية ذات بُعد نفسي عميق ، بالإضافة إلى مزج الرثاء بالرؤيا . تعلم تشوسر من الأدباء الإيطاليين التقنية والبنية السردية في الشعر ، وأهمية إعطاء الشخصيات تفرُّداً وعمقاً درامياً . وأدرك جمالية القوافي وتنوع النغمات فيها ، والتعبيرات القريبة من الكلام الشعبي . واتضح كُل هذا في تطور أسلوبه وقوافيه . كتب تشوسر أهم قصائده في المرحلة الثالثة من إنتاجه الأدبي ، حين بدأ يُعالج موضوعات تخص التراث والمجتمع في إنجلترا ، وحين بدأ يُطوّر إنجليزية عصره إلى حد كبير باتجاه الإنجليزية الحديثة. حتى إن عباراته وجملته بدأت تُستخدم في حديث الناس اليومي . وتمخضت هذه المرحلة عن أشهر قصائده " حكايات كانتبري " ، التي يلمس القارئ فيها تغيراً ملحوظاً عما سبقها من كتاباته ، فيما يخص اللغة والأسلوب الأدبي والموضوعات وثقافة المجتمع وتقاليده وقضاياها ، خاصة في ظل الوعي الوطني الجمعي ، الذي سادَ بعد حرب المئة عام بين إنجلترا وفرنسا ، وتحول المجتمع الإنجليزي من النظام الإقطاعي إلى البرجوازي ، وهجرة الفلاحين إلى المدن .

وتتحدث " حكايات كانتبري " عن فريق من الحُجَّاج الذين يجتمعون في لندن ، وينطلقون معاً في سفر طويل إلى مزار (القديس توماس بيكيت) في كانتبري ، ويتفقون على أن يروي كُلُّ منهم قصة في طريقي الذهاب والعودة إلى لندن . ومع عدم توافق عدد القصص مع عدد الحُجَّاج ، ومع أن تشوسر لم يكتب عن طريق العودة ، إلا أنه أظهر من خلال القصص المروية حقائق كثيرة عن المجتمع الإنجليزي . واستطاع في هذه القصيدة الطويلة أن يُدليَ بدُلوه الزاخر من معرفته الواسعة بالمجتمع الإنجليزي بسلبياته وإيجابياته وتناقضاته ، ومن اطلاعه وخبرته العميقة بالنفس البشرية وتعقيداتها . ويُصوّر تشوسر هذه الملامح بكثير من روح السخرية الطريفة التي جعلت من " حكايات كانتبري " مرجعاً شعبياً مُحَبَّباً ، تُوازي في أهميتها " ألف ليلة وليلة " في الأدب العربي . وقد نجح تشوسر في اختياره للحُجَّاج شُخُوصاً ، إذ أتاحَ له هذا تنوعاً في الشخصيات والقصص المروية ، التي شملت طيفاً واسعاً من الأنماط الأدبية (المواعظ الدينية ، والحب العذري ، والحكايات الرمزية ، وحكايات الحيوانات الرامزة ، والأساطير) .

عالج تشوسر واقع الحال في مجتمعه ، من خلال رسمه لشخصيات متنوعة ذات فردية وعمق نفسي . وقد قدَّر تشوسر جميعُ من جاء بعده من الأدباء والقُرَّاء على حد سواء ، كُلٌّ حسب ذوقه وتوجهاته . وكانَ أولُ من دُفِنَ في زاوية الشعراء في مقبرة العظماء في دير وستمنستر في لندن .

جيل دولوز وتاريخ الفلسفة

وُلد الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز (١٩٢٥ - ١٩٩٥) في باريس لعائلة من الطبقة المتوسطة . عاش أغلب حياته في باريس .

اهتمَّ بوجه خاص بدراسة تاريخ الفلسفة ، وتأويل نماذج متعددة منه يعتبرها على غاية من الأهمية مثل فلسفات كانت ونيشه وبرغسون وسبينوزا .

تُمثِّل فلسفة جيل دولوز إلى جانب فلسفتي دريدا وفوكو تقليدًا مستقلًا في التفكير المعاصر يريد أن يقطع مع الهيغلية والماركسية والبنوية .

أسَّس دولوز تقاليد جديدة في الفلسفة، ويُعتَبَر واحدًا من أهم مُجدِّديها . وكان له موقفه الخاص الذي ينطلق فيه من كَوْن الفلسفة ليست إبلاغية، وتأملية، ولا استبطانية، وإنما هي خلاقَة، وثَّورية بطبيعتها ، لأنها لا تنقطع أبدًا عن ابتكار مفاهيم جديدة ، والمفهوم بالنسبة لدولوز هو الذي يمنع الفكرة من أن تكون مجرد رأي، ونقاش، وثرثرة .

يقول دولوز عمَّا تعنيه له الفلسفة : ((الفلسفة تعني دائمًا استكشاف مفاهيم جديدة، وأنا لم أشعر قط بأي نوع من القلق بخصوص تجاوز الميتافيزيقا، وموت الفلسفة، وأعتقد أن للفلسفة وظيفة تظل دائمًا فاعلة في الحاضر، وتتمثل في ابتداع مفاهيم جديدة ، ولا أحد يمكنه أن يقوم بذلك مكانها)) .

دَخَلَ دولوز المجال العملي مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، عندما عمل أستاذًا للفلسفة في المعاهد الثانوية، ثُمَّ أستاذًا مساعدًا في جامعة السوربون، ثم باحثًا في مركز البحوث والدراسات الاجتماعية الذي ظل فيه حتى عام ١٩٦٤ .

في عام ١٩٦٢ ، تعرَّف على ميشيل فوكو ، وأُعْجِب فوكو بدولوز أيضًا إعجاب حتى إنه قال بعد أن أصدر كتابيَّه " التكرار والاختلاف " ، و " منطق المعنى " بأن القرن العشرين سيكون قرنًا دولوزيًا ، نسبة إلى دولوز .

ومن المراحل المهمة في حياة دولوز كانت لحظة لقائه بفيليكس غيتاري ، حيث عملا معًا في مجال البحوث الفلسفية ، وكان لهما مؤلفات مشتركة أبرزها " ما الفلسفة ؟ " . ويقول دولوز عن تلك التجربة : ((فيليكس غيتاري وأنا لم نتعاون مثلما يتعاون شخصان . كُنَّا بالأحرى مثل جدولين يلتقيان ليُكوِّنا معًا جدولًا ثالثًا الذي هو نحن)) .

تأثر دولوز كثيرًا بعدد من الفلاسفة ، كان أبرزهم سيينوزا وسارتر ، وألّف كتابًا حول فلسفة سيينوزا ، وكذلك قام بتأليف كتب عن فلاسفة آخرين بغرض تأويل نصوصهم الفلسفية ، خاصة الذين كان لهم تأثير كبير في الفكر الإنساني .

عانى دولوز من أمراض الجهاز التنفسي منذ صغره . وأصيب بالسُّل في عام ١٩٦٨ ، وخضع لعملية جراحية في الصدر (إزالة الرئة) . وعانى من أعراض تنفسية حادة بشكل متزايد بقية حياته . وفي ٤ نوفمبر ١٩٩٥ ، انتحر ، حيث رمى نفسه من نافذة شَقَّتْهُ .

قبل وفاته ، أعلن دولوز عن نيته في تأليف كتاب بعنوان " عَظْمَة ماركس " . وخلف وراءه فصلين من مشروع غير مكتمل بعنوان " التجمع والتعدد " . وقد نُشر هذان الفصلان على هيئة مقالات .

تنقسم أعمال دولوز إلى مجموعتين : كتب تُفسّر أعمال فلاسفة آخرين ، وكتب تتحدّث عن الاختلاف ، والحس ، والأحداث ، والشيزوفرنيا (الفُصام) ، والسينما والفلسفة .

في أعماله الأخيرة (١٩٨١ حتى وفاته) ، يُميّز دولوز بين الفلسفة والفنون والعلوم ، ويوضّح هذه التخصصات الثلاثة المتميزة عبر تحليل الواقع بطرق مختلفة . فالفلسفة تخلق مفاهيم ، والفنون تخلق مجموعات نوعية جديدة من الإحساس والشعور ، وتنتج العلوم نظريات كمية تستند إلى نقاط مرجعية ثابتة مثل سرعة الضوء أو الصفر المطلق .

يصف دولوز التاريخ بأنه تمثيلية وصيغة من " الرغبة في الإنتاج " ، وهو مفهوم ذو علاقة بالفكر الماركسي في العمل ، والدولة القومية (مجتمع السيطرة المستمرة) ، والرأسمالية . كما يفترض وجود مجتمع منفصل (الهيئة الاجتماعية التي تأخذ فائض الإنتاج) .

وفي كتابه التكرار والاختلاف (١٩٦٩) انتقد دولوز جميع الفلسفات التي سعت إلى إلغاء الاختلاف وكأنه شر ، عن طريق إخضاعه لمبدأ التوحيد والهوية الأعلى ، ومن هذا المنظور ينتصر ضد أفلاطون للسفسطائيين ، لأنهم حملة الاختلاف . والسفسطائية مذهب فكري فلسفي نشأ في اليونان إبّان نهاية القرن السادس قبل الميلاد . وقد ظهر السفسطائيون كمُمثّلين للشعب ، وحاملين لفكره وحرية منطقته ، ومذهبه العقلي ، وهذا جعلهم يتعرّضون للهجوم والنفي والقتل . لقد كانوا يخدمون مصلحة الضعفاء والمساكين والفقراء ، فقُتِل أغلب قادتهم ، وشُرِد الباقيون .

من أبرز مؤلفاته : نيتشه والفلسفة (١٩٦٢) . فلسفة كانت النقدية (١٩٦٣) . الاختلاف والمعاودة (١٩٦٨) . منطق المعنى (١٩٦٣) .

جيمس جويس ورواية هوليس

وُلد الأديب الأيرلندي جيمس جويس (١٨٨٢ - ١٩٤١) لعائلة من الطبقة الوسطى في زيورخ في سويسرا . وُضع وهو في السادسة من عُمره في مدرسة داخلية يُشرف عليها رُهبان يسوعيون . وقد جعلته التربية القاسية يعتاد على النظام ، ويتزوّد بدراسة علمية وأدبية غنية أفادته في كتاباته . لكنّ التزمّت الشديد في تلك التربية زرّعت في نفسه بذور التمرد والتحدي ، وأدّت في شبابه إلى زعزعة إيمانه ، وكره دائم لرجال الدين .

التحق جويس بجامعة دبلن، وقرّر أن يصبح أديباً. وفي عام ١٩٠٢ ، انتقل إلى باريس، فرنسا. كانت حياته صعبة، وملية بالمشكلات الاقتصادية بسبب إنفاقه المستهتر ، والمرض الذي أصاب عينيه ومعدته ، والتشتت الأسري بسبب والده الماجن ، والاكتئاب الحاد بعد إصابة ابنته الكبرى بمرض عقلي ، والتنقل المستمر في جميع أنحاء أوروبا بحثاً عن وظيفة أو مكان للعمل .

اتّسمت مرحلة شبابه بالسمعة السيئة ، حيث ارتبط بعلاقة غير شرعية مع إحدى النساء ، وأنجب منها. وقد كان الجيران يتهايمسون عن سر تلك العلاقة ، فكثيراً ما كانوا يُشاهدونه مُتساجراً معها بسبب حالات السكر وتردده على بيوت الدعارة، كما كان يُصرّح لها بذلك بنفسه . ويسبب كُرهه لرجال الدين ، رفض جويس مؤسسة الزواج بأكملها .

ومن أبرز الشخصيات التي دعمت جويس معنوياً ومالياً ، وقدرت موهبته ، رغم أسلوب حياته السيئ ، الشاعر الأمريكي عزرا باوند ، الذي كان له دور أساسي في تعريف الناس بجويس وكتاباته . وناشرة " عوليس " الأولى سيليفا بيش ، والبريطانية هارييت شوويفر التي كانت تُموّله، وتحثه دوماً على الكتابة حتى وفاته في زيورخ . مع العون المالي المقدّم من أصحابه ، أمضى سبع سنين في كتابة رواية " عوليس " (١٩٢٢) المثيرة للجدل، التي مُنعت في البداية في الولايات المتحدة وبريطانيا . واليوم ، تُعتبّر تلك الرواية من أعظم كتب اللغة الإنجليزية في القرن العشرين. وكان صاحب اتجاه أدبي معروف باسم "تيار الوعي".

عانى جويس من صعوبات كثيرة في نشر كتبه . واستغرق الأمر أكثر من ثماني سنوات لإيجاد ناشر لروايته " الدبلنيون " يكون على استعداد لتحمل مخاطر نشر كتاب يحمل من الصور الأدبية والعبارات ما يكفي لتعرضه للملاحقة القضائية . وهكذا، استغرق الأمر أكثر من عشر سنوات

لإعادة نشر " عوليس " بعد طبعها الأولى في باريس، قبل أن تصبح متاحة بحرية في العالم الناطق بالإنجليزية . ولم يكن جويس على عدااء مع الرقابة فقط ، بل مع مجموعة من النخبة المغرورة في المجتمع الأدبي نفسه مثل فرجينيا وولف، التي كتبت في مذكراتها أنها وجدت في " عوليس " : ((كتابًا أميًا ومستهترًا ... كتابًا بقلم رجل عامل علّم نفسه بنفسه)) . وقد كتب أحد النقاد عن جويس : ((هو ليس تمامًا من دون موهبة ، لكنه دَجَّال أدبي إلى أقصى الحدود)) .

وعلى الرغم من الانتقادات الكثيرة ، تمّ تصنيف رواية جويس " يقظة فينيغان " الصادرة عام ١٩٣٩ ، كأصعب وأعقد رواية في تاريخ الآداب الإنسانية ، بما تحمله من أسلوب فريد من نوعه في مُحاكاة الطبيعة البشرية ، وقد استغرق في تأليفها قرابة سبع عشرة سنة ، لتخرج في النهاية ضمن ألف صفحة مليئة بالألغاز اللغوية . أمّا رواية " عوليس " فحققت نجاحًا منقطع النظير . وفيها يعتمد جويس البنية الهوميرية للإلياذة ليني ملحمة معاصرة تُسجّل تحركات البطل " ليوبولد بلوم " داخل مدينة دبلن خلال يوم واحد فقط يحمل تاريخ ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٠٤ ، والذي لا تزال مدينة دبلن تحتفل به حتى اليوم تحت مسمى " يوم بلوم "، علماً أنه هو تاريخ اللقاء الأول بين جويس وعشيقته . من خلال خط سير " بلوم " يُسجّل جويس تحركات المئات من سكان دبلن، وهم يسيرون في الشوارع، يلتقون بعضهم بعض، يتعارفون ويتحدثون في المطاعم والحانات. تحركات ونشاطات تبدو عشوائية وعفوية بمثابة سجل يومي لأحداث المدينة، ولكن في الواقع لا شيء عشوائياً مع جويس الذي يكشف في كتاباته العمق المتخفي وراء الأشياء التي تبدو عفوية وغير مُتعمدة . تُعتبر رواية " عوليس " من أبرز الأعمال في الأدب الحداثي ، حتى إنها اعتُبرت " نموذجاً وإجمالاً للحركة بأكملها " . ويُشير العنوان _ الذي اقتُبس من اللاتينية _ إلى " عوليس " ، وهو بطل أوديسة هوميروس، ويفتح المجال لعدة موازنات بين شخصيات وأحداث ملحمة هوميروس وبين شخصيات وأحداث رواية جويس . ويبلغ طول رواية " عوليس " حوالي ٢٦٥ ألف كلمة، ويستخدم جويس فيها قاموساً يصل إلى ثلاثين ألف مفردة (تشمل أسماء الأعلام وصيغ الجمع ومختلف تصريفات الأفعال) . ومنذ نُشرت الرواية دار حولها الكثير من الجدل والانتقادات، من بينها حظر الرواية لفترة لاتهامها بالإباحية . ومما يجعل الرواية ذات قيمة عالية في تاريخ الأدب الحداثي ، استخدامها تقنية تيار الوعي، وبُنيته المحكمة ، وثراؤها في تجسيد الشخصيات وحس الفكاهة. وتصدّرت الرواية سنة ١٩٩٨ قائمة أفضل ١٠٠ رواية باللغة الإنجليزية في القرن العشرين .

جيمس فينيمور كوبر والحياة الهندية في أمريكا

وُلد الروائي الأمريكي جيمس فينيمور كوبر (١٧٨٩ – ١٨٥١) في برلغتون بولاية نيو جيرسي ، لوالدين ينتميان إلى جماعة الصاحبيين (الكويكرز) المناهضين للعنف والحرب . كان أبوه قاضيًا ، وعضوًا في مجلس النواب الأمريكي (الكونغرس)، وحصل على ثروة كبيرة بتطوير واستصلاح مساحات من الأراضي في ولاية نيويورك، صارت لاحقًا قرية كوبرزتاون ، فانتقلت العائلة إليها عندما كان كوبر طفلًا، وترعرع هناك في أحضان الطبيعة .

انتسب إلى جامعة ييل ثم طُرد منها قبل أن يستكمل دراسته بسبب سوء سلوكه ، حيث قام بمزحة خطيرة بتفجير باب طالب آخر. فأرسل إلى أوروبا ليتأهل لمهنة بحرية. وفي عام ١٨٠٨ أصبح ضابطًا في الأسطول البحري الأمريكي ، ثم استقال واستقر في مزرعته في كوبرزتاون .

كتب كوبر روايته الأولى " التائي " (١٨٢٠)، مُقلدًا أسلوب الكاتبة الإنجليزية جين أوستن، الذي كان رائجًا آنذاك . وعلى الرغم من فشل الرواية ، فقد وجد كوبر المهنة المناسبة، فكتب روايته الثانية " الجاسوس " (١٨٢١) التي أوجد فيها شخصية هارفي بيرش جاسوس الثوار الأمريكيين . زادت رواية " الرُّؤاد " (١٨٢٣) في شهرته ، وعُدَّت بداية لسلسلة " الجوارب الجلدية " التي صارت من معالم أدب المغامرات الأمريكي، وتحكي عن الأمريكي ساكن الغابات ناتي بمبو الذي كان يحكم صداقته مع الهندي الأحمر تشينغا تشغوك الوسيط بين الغزاة المستوطنين البيض والهنود الأحمر أصحاب البلاد الأصليين . كتب أيضًا " صيَّاد الغزلان " (١٨٤١) التي تصف شباب بمبو. وتُعتبر " آخر رجال الموهيكان " (١٨٢٦) ، أفضل رواياته على الإطلاق ، وكثيرًا ما تُسمَّى رائعته . وتجري أحداثها في أثناء الحروب بين فرنسا وبريطانيا من أجل السيطرة على أمريكا الشمالية . ويصف كوبر في " البراري " (١٨٢٧) أيام بمبو الأخيرة صيَّادًا في سهول الغرب الأوسط الأمريكي الشاسعة التي وجد نفسه فيها، بعد أن استهلك المستوطنون البيض الغابات في الشرق الأمريكي. كتب كوبر نوعًا جديدًا من الروايات الرومانسية عن حياة البَحَّارة ، منها " الرُّبَّان " (١٨٢٤) و " القُرَّصان الأحمر " (١٨٢٧) . وقد كان كتاب " أفكار الأمريكيين " (١٨٢٨) أول أعماله النقدية، أراد به دحض ما عدّه قيم أمريكا الزائفة ، وقد تعرَّض بسببه إلى نقد شديد في أوروبا وأمريكا على حد سواء . كتب أيضًا " رسالة إلى مواطنيه " (١٨٣٤) ، و " تاريخ بحرية الولايات المتحدة الأمريكية " (١٨٣٩) .

كتب كوبر قصته الرمزية السياسية " مونيكنز " (١٨٣٥)، وعبر فيها عن نظره إلى الحكومة والمجتمع ، بالإضافة إلى روايته " نحو الوطن " ، و " الوطن كما وجدته " (١٨٣٨) ، اللتين عكستا خيبة أمله بأمريكا وقبولنا بالنقد أيضًا .

ونتيجة لذلك عاش بقية حياته يعاني الإحباط والقلق، ومع ذلك استطاع أن يستعيد شيئًا من شعبيته بما نشره لاحقًا، وخاصة " مُكتشف الطريق " (١٨٤٠) التي تُعد آخر روايات " الجوارب الجلدية "، و " رأسًا على عقب " (١٨٥٠)، وهي مسرحية سخر فيها من الأفكار الاشتراكية .

كان لكوبر أسلوبه الطنان الذي سخر منه مارك توين في مقالته الشهيرة " أخطاء فينيمور كوبر الأدبية " (١٨٩٥) . وقد بدأ النقاد الحداثيون اكتشاف التركيب الداخلي المعقد في أسلوبه الذي جعل كُتّابًا مثل غوته وبلزاك وكونراد ، يُعجبون به . وأعيد تقييمه ، وعُدَّ فنّانًا جَدِّيًا ومُبدعًا في مادة رواياته التي تُعبّر عن فهم عميق للحالة الإنسانية .

لقد صنعت روايات كوبر الرومانسية التاريخية عن الحياة الهندية في بداية التاريخ الأمريكي ، شكلاً مميزًا من الأدب الأمريكي ، وهذا هو السبب الرئيسي في شهرته وريادته الأدبية .

جين أوستن وطبقة مُلاك الأراضي

وُلدت الروائية الإنجليزية جين أوستن (١٧٧٥ - ١٨١٧) في أبرشية ستيفنتون ، لأب يعمل كاهنًا أنكليكانيًا ، وأم أرستقراطية .

اشتهرت أساسًا بست روايات رئيسية ، تُوضّح وتنقد وتُعلّق على حياة طبقة مُلاك الأراضي البريطانيين، في نهاية القرن الثامن عشر . روايتها الأكثر نجاحًا خلال حياتها هي " كبرياء وهوى ". وتكشف حبكة الدرامية عادة اعتماد النساء على الزواج ، سعيًا وراء مركز اجتماعي ، ومن أجل الحصول على دخل ثابت .

ما زالت رواياتها الرئيسية تُنشر حتى الآن على الرغم من أن بداية نشرها كانت دون اسمها ، ولم تجلب لها سوى القليل من الشهرة أثناء حياتها. ثم حدثت مرحلة انتقالية مهمة لشهرتها ككاتبة بعد وفاتها باثني وخمسين عامًا، أي في عام ١٨٦٩ ، عندما نشر ابن أخيها سيرتها الذاتية ، فقدّمها إلى جمهور أعرض، فزادت شعبيتها وقاعدتها النقدية بشكل كبير. وشهدت الفترة (١٨٧٠ - ١٩٣٠) ارتفاعًا مُضاعفًا في شهرة أوستن ، من خلال ترجمة أعمالها إلى لغات مُتعددة .

في بداية عام ١٧٨٧ ، بدأت أوستن بكتابة قصائد وقصص ومسرحيات لمتعتها الخاصة ولعائلتها . لاحقًا جُمِعت نُسخ مُنقّحة مُكوّنة من ٢٩ عملاً من تلك الأعمال الأولية في ثلاث مُفكرات معروفة الآن باسم " الصّبا " . وقد كتبت أوستن عملاً بعنوان " التاريخ " حاكت فيه كتابات تاريخية شهيرة ، بالأخص " تاريخ إنجلترا " الصادر عام ١٧٦٤ .

ظَلّت أوستن تحيا في منزل العائلة ، وتشارك في الأنشطة التقليدية للنساء اللواتي في سنّها ومستواها الاجتماعي . مارست العزف على البيانو ، وساعدت أمها وأختها في الإشراف على الخدم، وساعدت الأقارب أثناء الولادة أو الاحتضار .

في عام ١٧٩٣ ، بدأت أوستن في كتابة مسرحية قصيرة " سير تشارلز جرانديسون " . وفي الفترة (١٧٩٣ - ١٧٩٥) كتبت الرواية الرسائلية " السيدة سوزان " التي اعتُبرت من أكثر رواياتها عمقًا . وبعد الانتهاء من رواية " السيدة سوزان " ، كتبت أوستن روايتها " إلينور وماريان " . ثم بدأت العمل على روايتها " الانطباعات الأولى " في ١٧٩٦ . أنهت أوستن النسخة الأولية في أغسطس ١٧٩٧ ، ولاحقًا صار اسم الرواية " كبرياء وهوى " .

في ديسمبر ١٨٠٢ تلقت أوستن عرض الزواج الوحيد في حياتها ، من أحد الشباب الأغنياء . وافقت في البداية من أجل المال ، ثم سحبت موافقتها . نشرت أوستن رواية " العقل والعاطفة " في عام ١٨١١ ، وكانت الآراء مُشجَّعة ، وصارت الرواية منتشرة وسط النقاشات ، وبيعت الطبعة كُلها . وقد أعطت أرباح أوستن من مبيعات الرواية استقلالاً مادياً ونفسياً .

في بداية عام ١٨١٦ ، أُصيبت أوستن بالمرض ، وبدأت تشعر بالنعب . تجاهلت المرض في البداية ، واستمرت في العمل ، وشاركت في الأنشطة العائلية المعتادة . وبحلول منتصف العام ، تراجعت صحتها بوضوح لها ولعائلتها، وبدأت حالة طويلة وبطيئة وغير مستقرة من التدهور الذي أدى لوفاتها في العام التالي . أجرى أخوها هنري اتصالاته بالكهنة ، لترتيب دفنها في الممر الشمالي من بهو كاتدرائية وينشستر .

في أكتوبر ١٨٣٣ ، نُشرت الطبعة الأولى المُجمَّعة من أعمال أوستن . ومنذ ذلك الوقت استمرت رواياتها في الطبع باستمرار . وعلى الرغم من أن روايات أوستن كانت دوماً رائجة ، قلَّل من شأنها باحثو الأدب الإنجليزي ، حتى قام مجموعة من النقاد بإعادة تقييم أعمالها في منتصف القرن العشرين ، واعترفوا بأهميتها في تطوير الرواية الإنجليزية .

عجزت روايات أوستن عن الالتزام بمبادئ أدب المدرسة الرومانسية الفكتورية ، من ناحية العاطفة القوية التي يُقدِّمها عرض رائع للصوت والألوان في أسلوب الكتابة ، لذلك فضَّل معظم نقاد وقراء القرن التاسع عشر كتب تشارلز ديكنز وجورج إليوت .

أنتجت إحدى الشركات أعمالاً قائمة على روايات أوستن . وخلال منتصف القرن التاسع عشر ، نشر أفراد من عائلة أوستن نهايات لرواياتها غير المكتملة . وبحلول عام ٢٠٠٠ كان هناك ما يزيد على مائة مؤلَّف مطبوع مبني على روايات أوستن . وأول فيلم تمَّ إنتاجه عن رواية لأوستن كان " كبرياء وهوى " عام ١٩٤٠ . وفي عام ١٩٩٥ ، ظهر عملاقان على روايات أوستن ، الأول هو فيلم " العقل والعاطفة " للمخرج أنج لي ، وقد حازت بسببه كاتبة السيناريو والنجمة إيما تومبسون على جائزة الأوسكار . وثاني عمل هو مسلسل قصير من إنتاج البي بي سي بعنوان " كبرياء وهوى " . وفي عام ٢٠٠٥ ، ظهر إنتاج بريطاني لفيلم " كبرياء وهوى " .

من أشهر رواياتها : العقل والعاطفة (١٨١١) . كبرياء وهوى (١٨١٣) . مانسفيلد بارك (١٨١٤) . إيما (١٨١٥) . دير نورثانجر (١٨١٨) . إقناع (١٨١٨) ، " نُشرَنا بعد وفاتها " .

جيورجيوس سفريس والانقلاب العسكري

وُلد الشاعر اليوناني جيورجيوس سفريس (١٩٠٠ - ١٩٧١) في مدينة سميرونا (إزمير حالياً) على الساحل الغربي من تركيا، وتُوفِّي في العاصمة اليونانية أثينا. اسْمُهُ الحقيقي جيورجيوس سفريادس . تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي في مَسَقَط رأسه ، وأتم المرحلة الثانوية في أثينا ، عندما انتقلت إليها عائلته نتيجة أحداث الحرب العالمية الأولى .

في عام ١٩١٨ ، هاجرت عائلته إلى باريس ، حيث درس سفريس القانون في جامعتهَا ، واهتمَّ بشكل أساسي بالأدب العالمي. عاد إلى أثينا عام ١٩٢٥ ، وعُيِّن في العام التالي موظفًا في وزارة الشؤون الخارجية، وابتدأت حياته في السِّلْك الدبلوماسي، الذي أمضى فيه سنوات طويلة وناجحة. عمل في سفارة بلاده في لندن (١٩٣١ - ١٩٣٤) ، وفي ألبانيا (١٩٣٦ - ١٩٣٨) . أمَّا في سنوات الحرب العالمية الثانية ، فقد رافق الحكومة اليونانية الحرة إلى المنفى في جزيرة كريت ومصر وجنوب أفريقيا وإيطاليا ، إلى أن عاد عام ١٩٤٤ إلى أثينا المحرَّرة .

ثمَّ عمل ثلاث سنوات في سفارة بلده في أنقرة (١٩٤٨ - ١٩٥٠) ، وفي لندن مرَّةً ثانية (١٩٥١ - ١٩٥٣) ، ثمَّ عُيِّن سفيرًا لليونان في بيروت ، مع امتداد صلاحياته إلى سوريا والأردن والعراق (١٩٥٣ - ١٩٥٦) . انتقل بعدها سفيرًا لبلده في بريطانيا (١٩٥٧ - ١٩٦١) ، وكان هذا آخر المناصب التي شغلها قبل تقاعده . لقد أعلنَ اعتزاله للعمل الدبلوماسي ، واعتكفَ في أثينا مُركِّزًا على عمله الأدبي والشَّعري .

تلقى سفريس كثيرًا من الشهادات التقدير والجوائز، ودرجات دكتوراة الشرف من جامعات كامبردج (١٩٦٠) ، وأكسفورد (١٩٦٤) ، وسالونيكى (١٩٦٤) وبرنستون (١٩٦٥) .

كوَّنت رحلات سفريس المتعددة ، وإقاماته الطويلة في كثير من العواصم ، خلفيةً غنية الألوان لمعظم إبداعاته الشَّعرية والنثرية، التي تمحورت موضوعاتها حول الغربة والرحيل والتجوال والموت. في مرحلته الإبداعية المبكِّرة التي تضم ديوان " مُنْعَطَف " (١٩٣١) وديوان " العقل الشَّبقي " (١٩٣١) ، والجُب (١٩٣٢) ، يظهر تأثره واضحًا بتيار الرمزية الفرنسية والسريالية. وتُمثِّل قصائد كل ديوان من هذه الدواوين حلقة شعرية مترابطة مضمونًا ، ومنفصلة شكلاً . أمَّا ديوانه " تقرير حياة أسطورية " (١٩٣٥) ، فيُعتَبَر ذروة مرحلة التَّضج الفني ، ويُمثِّل من حيث الشكل استمرارًا للدواوين السابقة ، وهو حلقة شعرية مؤلفة من ٢٢ قصيدة ، تستلهم رحلات التَّيه

والضياع من ملحمة هوميروس " الأوديسة " ، ولكن من دون بطلها عوليس . وتدل لُغتها الشعريّة على خروج سفريس من أسر الرمزية والسريالية إلى شعر يوناني أصيل . ويكشف التحليل النقدي العميق عن تمثّل سفريس للصّورية لدى تي . إس . إليوت وعزرا باوند على نحو إبداعي ، ولهذا يُعدّ هذا الديوان بحق محطة رئيسية في تاريخ الشعر اليوناني الحديث .

اتّكأ سفريس في قصائد هذا الديوان على مجموعة أسماء من أبطال الملحمة ، رابطاً فيما بينها بإسقاطات على أحداث معاصرة، ولا سيّما ما يتعلق بمصير مسقط رأسه (سميرنا) الذي أثر فيه أكثر من أي شيء آخر ، حسب تعبيره . أمّا البنية الكلية لحلقة القصائد فهي ليست روائية ولا ملحمة بل غنائية ، وقد بقيت موضوعات وهواجس هذا الديوان تشغل الشاعر في ديوان " كتاب التمارين " (١٩٤٠) . وإلى جانب الشعر ، نشر سفريس كتابين ، تناولَ فيهما ماهية الإبداع الشعري . الأول بعنوان " حوار حول الشعر " (١٩٣٩) ، والثاني بعنوان " محاولات " (١٩٦٢) . كما ترجم مجموعة من القصائد عن الإنجليزية والفرنسية، نشرها في مجموعة حملت عنوان " نُسخ " (١٩٦٥) . وفي عام ١٩٦٣ ، نال سفريس جائزة نوبل للآداب ، " لتميُّز شعره الغنائي الذي قُرض بمشاعر دافقة وعميقة، تُعبّر عن ثقافة العالم الهلّيني، الذي مزج بين الشرق والغرب " . والجدير بالذكر أن تعبير الهلّينية يُطلق على واحدة من الحضارات التي عرفتها بلاد اليونان في تاريخها، وهي الحضارة الثانية في الترتيب الزمني بعد الحضارة الإيجية (٢١٠٠ - ١٠٠٠ ق.م) ، وقبل حضارة العصر الهلنستي (٣٣٢ - ٣٠ ق.م) ، وهي واحدة من التسميات التي أطلقها المؤرخون المعاصرون على هذه الحضارة اعتماداً على ما أطلقه اليونانيون القدامى على أنفسهم تيمناً بجدهم الأسطوري هيلين . وقد أصبح سفريس شاعر اليونان الأول ، فقد أدخل اللغة اليونانية إلى العالمية ، حيث حمّل حكمة اليونان القديمة وتاريخها وشعرها ، وأكّد للجميع أن اليونان القديمة لا تزال حاضرة بتراتها رغم مرور القرون ، وبذلك يكون قد ربط بين الماضي العريق والحاضر المُعاش . في عام ١٩٦٧ ، استولى الجيش اليوناني على السُلطة في انقلاب عسكري ، وتمّ إنشاء مجلس عسكري حكم اليونان حتى عام ١٩٧٤ ، ومارست السُلطة الحاكمة القمع والاعتقال والتعذيب . وقد عبّر سفريس عن موقفه المناهض للسُلطة من خلال كلمة بثتها هيئة الإذاعة البريطانية في آذار/ مارس عام ١٩٦٩ ، وأُرسلت منها نسخة لكل صحف أثينا . وقد استنكر سفريس في كلمته ممارسات السُلطة العسكرية الحاكمة ، وطالب برحيلها ، غير أنه تُوفي في ٢٠ أيلول من عام ١٩٧١ ، دون أن يشهد نهايتها .

حنّة أرندت والأنظمة الشمولية

وُلدت المُفكِّرة والمُنظِّرة السياسية من أصل ألماني حنّة أرندت (١٩٠٦ _ ١٩٧٥) لعائلة علمانية من يهود ألمانيا في مدينة ليندن (وهي الآن جزء من هانوفر). نشأت في كونسبرج وبرلين. انجذبت أرندت لدراسة الفلسفة مُنذ صغرها ، ثم درستها بشكل نظامي في جامعة ماربورغ مع مارتن هايدغر ، والذي دخلت معه في علاقة طويلة، رومانسية وعاصفة .

وصول النازيين إلى الحكم في ألمانيا عام ١٩٣٣ ، شكّل نقطة تحول مركزية في حياة أرندت دفعها إلى الابتعاد عن الفلسفة بمفهومها النظري البحت، والتوجه إلى العمل السياسي بشكل عملي. وفي صيف عام ١٩٣٣ اعتقلت المخابرات النازية أرندت، ثم أطلقت سراحها فيما بعد .

نجحت هذه " اليهودية الألمانية المطاردة من قِبَل النازيين " ، على حد تعبيرها، في الهروب من براثن النازية إلى باريس ثم إلى نيويورك. حيث عملت صحفية، ومُراجعة لغوية، ومُحاضرة جامعية. وبدأت عملها السياسي الحقيقي، فسعت لاستكشاف أصول الأنظمة الشمولية من خلال وضع الشكليات الأكثر بروزاً للأنظمة الكليانية وهما النازية الألمانية والستالينية الروسية تحت المجهر ، في كتابها الموسوعي " أصول الشمولية " إدراكاً لخطورة هذه النظم ، والأهم خطورة الاعتقاد بأنها أصبحت تنتمي إلى الماضي . أكّدت أرندت على التحدي الذي تُثيره هذه الأيديولوجيات باعتبارها تُشكّل انشاقاً لظاهرة جديدة جذرياً تُجبر كل الباحثين على القيام بمراجعة كاملة لأدوات التحليل العلمي المعهودة، علاوة على أنها انعطافة نكوصية لم يشهدها تاريخ الفكر الأوروبي قبل ذلك . وفيما بعد ، وضعت أرندت كل طاقتها وموهبتها في خدمة المنظمات اليهودية العاملة في نيويورك، التي أخذت على عاتقها إنقاذ ما يمكن إنقاذه من يهود أوروبا ، والعمل على إقامة وطن لليهود على أرض فلسطين التاريخية. لكنها انفصلت عن هذه المنظمات لاحقاً، وبدأ هذا الابتعاد إبّان الخلاف الذي نشب داخل الحركة الصهيونية حول التحالفات التي من الممكن عقدها بين ما أُطلقَ عليه أنصار "الواقعية السياسية" (هرتزل) وأنصار "المثالية الأدبية" (لازار).

وقفت أرندت بجانب الأخير، لأن السياسة الواقعية الوحيدة تنحصر في سياسة تحالف مع الشعوب المتوسّطة الأخرى التي تُعزّز الوضع المحلي اليهودي في فلسطين ، والتي تُؤمّن تعاطفاً حقيقياً مع الجيران . رأت أرندت أن أحد مصادر العمى الصهيوني الخاص بما تُسمّيه "المسألة العربية" يكمن في الاتجاه نحو الواقعية السياسية، أي الاندراج في لعبة القوى العظمى. وبهذا

المعنى لا تكون هذه السياسة سوى سياسة تُلغى معناها بسبب تقربها ممَّن يَمتلك قوة أكثر ، لذلك فهي " غير مُبصرة للواقع " الضروري للفعل. ورأت أرندت أن " إنجازات اليهود في فلسطين هي مصدر الشرعية ونقطة التقاء محتمل مع العرب " .

تعتقد أرندت أن السُّلطة من أكثر الظواهر التباسًا، وهذا يجعلها أكثر عُرضة لسوء الاستخدام ويمكن استخدامها على المستوى الشخصي ، كما يمكن استخدامها على مستوى المؤسسات . والإبقاء على السُّلطة يتطلب احترامًا مُعيَّنًا للشخص أو المؤسسة المعنية ، والعدو الأكبر للسُّلطة هو الاحتقار ، أمَّا الخطر الأكبر الذي ينسف التسلط فهو الاستهزاء .

غالبًا ما تسعى الحركات الشمولية_ برأي أرندت_ إلى تنظيم الجماهير، وتُفلح في ذلك، لكنها تتساءل : كيف ظهرت هذه الجماهير وكيف أصبحت كذلك ؟ وتجب إن عبارة "الجماهير" تنطبق على الناس، الذين عجزوا، لسبب أعدادهم المحضة، أو لسبب اللامبالاة، أو للسينين المذكورين معًا عن الانخراط في أي من التنظيمات القائمة على الصالح المشترك ، أكانت أحزابًا سياسية، أم مجالس بلدية، أم تنظيمات مهنية أم نقابية. توجد الجماهير، وجودًا بالقوة، في كل البلدان، وتُشكّل غالبية الشرائح العريضة من الناس الحيايين واللامبالين سياسيًا، والذين نادرًا ما يُصوّتون، ولا ينتسبون إلى أي حزب. لقد أدرك زعماء الشمولية بيقين تام هذا الأمر، وعملوا كل ما بوسعهم كي يُجزّئوا المجتمع ويَحرموا الإنسان من العلاقات الاجتماعية المتوارثة عن الماضي، ويعزلوا الناس بذلك عن بعضهم البعض. والمبدأ الأساسي في النظام الشمولي يكمن في استخدام الرعب والإرهاب كأدوات اعتيادية وواسعة الاستخدام لقيادة الجماهير. ولتحقيق هذا الهدف، يُعاد إنتاج مناخ الحرب الأهلية. ويُعمَّم الإرهاب دون أي سبب واضح، أو استفزاز مسبق، وتكون ضحاياه من غير المذنبين إطلاقًا. والإرهاب هو تحقق قانون الحركة ، إذ يقضي هدفه الرئيسي في جعل قوة الطبيعة أو التاريخ تنتصر على الجنس البشري برُمته . وفي هذا السياق يُصبح الإرهاب هو الشرعية . ويسود منطق العبث على منطق العقل السليم. يحل الواقع المزيف الموهوم المركَّب صناعيًا مكان الواقع القائم فعليًا . ومن هذه الزاوية ، تُعتبر العلاقة المتينة بين الحقيقة والقوة الخاصة الثابتة للشمولية. القوة هنا تُحدّد الحقيقة . وتسعى الشمولية من حيث المبدأ لتجفيف الوقائع والأحداث ، وتكون بذلك قد قضت على إمكانية الاتفاق بشأنها. لا عجب أن النازية أنكرت بإصرار وحدة البشر كمُمثّلين للجنس البشري الواحد ، وذلك كان ضروريًا كما يقول جورج أورويل : من أجل الكذب التمهيدي المدعو لخلق ليس المستقبل فَحَسْب، وإنما الماضي .

خايننتو بينافينتي والشذوذ الجنسي

وُلد الأديب الإسباني خايننتو بينافينتي (١٨٦٦ _ ١٩٥٤) في مدريد . كان أبوه طبيب أطفال مشهورًا ، وهذا دفع الكاتب فيما بعد إلى كتابة أعمال مسرحية خاصة بالأطفال . بدأ دراسة الحقوق في جامعة مدريد ، ولكن مَوَت والده عام ١٨٨٥ كان المنعطف الرئيسي في مسيرته ، الذي غيّر مسار أفكاره وحياته إلى الأبد . فقد ورث عن والده ثروة طائلة ، فترك دراسته الجامعية ، ولم يعد بحاجة إلى العمل لكسب قُوت يومه . وتفرّغ تمامًا للأدب والسّفر . زارَ فرنسا والأرجنتين وتشيلي وروسيا ومصر ومناطق كثيرة من العالم . وبسبب كثرة أسفاره ، صارَ خبيرًا بتقاليد المسارح الأوروبية والعالمية .

كان بينافينتي مُولعًا بالمسرح منذ طفولته ، وامتاز مسرحه بالسُّخرية اللاذعة الممزوجة بالنقد الاجتماعي ، كما ظهرت في مسرحياته التّزعة البوهيمية ، والميول الواضحة نحو الفوضى في العلاقات الاجتماعية . واهتمّ بالأفكار الكوميديّة في الفن، وهذا الاتجاه المسرحي كان سائدًا في فرنسا ، ونقله بينافينتي إلى إسبانيا ، كما نقل كثيرًا من المذاهب الفنية الأجنبية ، وأدخلها في صميم المسرح الإسباني .

تصادمت أفكاره مع نظام الحُكم (السُّلطة السياسية)والكنيسة الكاثوليكية (السُّلطة الدينية) ، فقد كان ملكيًا ليبراليًا ناقدًا للاشتراكية . وعلى الصعيد الشخصي ، كان شاذًا جنسيًا ولم يتزوج مُطلقًا . لذلك خضعت أعماله للرقابة خلال فترة ما بعد الحرب الأهلية (١٩٣٦ _ ١٩٣٩) . كما مُنعت بعض أعماله من العرض ، خصوصًا في السنوات الأولى لحُكم الجنرال فرانكو ، بسبب كونه أحد المؤسّسين لرابطة أصدقاء الاتحاد السوفييتي .

نشر في عام ١٨٩٤ عملاً أدبيًا بعنوان " عُش الغريبة " ، لكنه لم يلقَ نجاحًا . ويعود سبب فشله إلى أن الجمهور والنُّقاد لم يستوعبوا المفاهيم التجديدية التي كانت غريبةً آنذاك . وفي عام ١٨٩٦ ، بدأ يُهاجم في أعماله الأدبية الطبقة العُليا من المجتمع ، ولكن حِدّة النقد بدأت تضعف تدريجيًا ، إلى أن انتهى إلى العتاب اللطيف في أعماله اللاحقة مثل " غداء للحيوانات المفترسة " عام ١٨٩٨ .

كانت علاقته بالمرأة شديدة الغرابة، فهو يُصرّح أنّه لم يحب امرأةً في حياته ، ومع هذا ، يُظهر تعاطفًا بالغًا مع المرأة في مسرحياته ، ويتعامل معها على الورق بكل رقة ونعومة .

وقد أحبَّ في شبابه المبكر لعبة سيرك ، وكتب لها أشعارًا ، لكنه أنكر هذا الحب ، وزعم أنه كتب أشعاره لصديق كان يُحبُّه .

يُعتبر بينافينتي المجدد الحقيقي في المسرح الإسباني بسبب أسلوبه السلس، ومهاراته الفنية . ومع أن مسرحياته لم تشتمل على صراعات درامية عظيمة ، ولا على عذابات مأساوية ، إلا أنه حافظ على الوسطية في الطرح ، وكثيرًا ما وقع في السطحية والابتذال .

أوجد نوعًا من المسرح الجديد القائم على السخرية الذكية ، والنقد اللاذع للأرستقراطية الغارقة في العيب والمادية والنفاق ، فقد فضح عيوب الطبقة العليا في إسبانيا في ذلك الوقت ، وتناول مشكلات الطبقة الريفية في المجتمع .

وكانت مسرحياته تأريخًا لإسبانيا بعد سقوط المستعمرات. وامتازت مسرحياته بالرؤية الواقعية، حيث أدرك أهمية أن يكون العمل الدرامي جاذبًا للجمهور ، ومُحقِّقًا لأحلامهم ورغباتهم ، فحاول جاهدًا أن يجمع في مسرحياته بين الذوق الجماهيري وذوق النقاد .

وقد حازت مسرحياته على إعجاب الجمهور الذي حرص على الإقبال عليها ومتابعتها ، وأثنى بعض النقاد على أعماله ، وأشادوا بها ، كما حصل على جوائز كثيرة لا حصر لها . لذلك كان — بلا منازع — زعيمًا للثورة في المسرح الإسباني . وقد لخص بينافينتي فلسفته الحياتية بقوله : ((إذا لم يمر الشغف والجنون ، ولو لمرة واحدة في حياة المرء ، فما نفع هذه الحياة ؟)) .

يُعدُّ بينافينتي من أبرز المجددين في المسرح الإسباني في القرن العشرين . وبالإضافة إلى كونه كاتبًا مسرحيًا ، فقد كان سيناريست ومخرجًا سينمائيًا .

أصبح عضوًا في الأكاديمية الملكية الإسبانية عام ١٩١٣ ، وأهله إبداعه للحصول على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٢ .

كتب في حياته أكثر من ١٧٠ مسرحية ، من أهمها : عُش الغريبة (١٨٩٤) ، المجتمع الراقى (١٨٩٦) ، زوجة المحافظ (١٩٠١) ، ليلة السبت (١٩٠٣) ، خريف الورد (١٩٠٥) ، سيدة البيت (١٩٠٨) ، حيوات متشابكة (١٩٢٩) .

خوان رامون خيمينيث والأمراض النفسية

وُلد الشاعر الإسباني خوان رامون خيمينيث (١٨٨١ _ ١٩٥٨) في بلدة موغير الواقعة في جنوب غرب إسبانيا. درس أول أعوامه فيها، ثم انتقل إلى قادس (مدينة إسبانية ساحلية في جنوب الأندلس)، ليدرس في المدرسة اليسوعية. وهناك تعرّف على أسماء المواهب الناشئة في عالم الأدب، وكتب عدّة قصائد ، لكنه لم ينشر منها شيئاً .

حصل خيمينيث على تشجيع كبير من قِبَل الأدباء ، وهذا جعله ينتقل إلى مدينة مدريد ، ويتواصل مع شعراء العاصمة . حيث نشر أول مجموعاته الشعرية مُتأثراً بأجواء حركة الحداثة في الشعر والأدب. وفي تلك الفترة أُصيب بأعراض حادة مُتعلّقة بأمراض نفسية ، أجبرته على العودة إلى بلدته موغير. وفي العام نفسه تُوفي والده، ممّا أدّى إلى ازدياد مرضه، وغرقه في الأحزان، وشُعوره بالوحشة والوحدة في هذا العالم. وبعد هذه الانتكاسة المرضية، سافر إلى فرنسا للعلاج والنقاهة، وهناك قرأ لشعراء الحركة الرمزية الفرنسية، وقد ظهر تأثيرهم بوضوح في كتبه الشعرية.

سيطرت الأمراض النفسية على حياة خيمينيث ، وألقت بظلالها على كتاباته . وهذه القضية انتبه إليها النقاد والباحثون، فصارت أغلب الدراسات النقدية عنه ، لا بُدّ أن تتناول تأثير الأمراض النفسية في كتاباته وحياته الشخصية . وقد خضع خيمينيث لعلاج طبي مستمر في مصحة نفسية ، حتى شعر بالاستقرار النسبي، وعاد إلى مسقط رأسه (بلدة موغير) في عام ١٩٠٥ . وأثناء ذلك ، نضج فكره بشكل واضح ، واستطاع تطوير أدواته الشعرية ، وتحسين مستوى كتاباته. فظهرت روايته وأشهر أعماله " بلاتيرو وأنا" (١٩١٤). وهي معروفة بالعربية "حماري وأنا". وهي رواية مكتوبة بطريقة السّرْد باستخدام الشعر الغنائي ، يتحدث فيها الكاتب بطريقة شعرية عن حياة وموت الحمار " بلاتيرو " ، وتتكون من ١٣٨ نصّاً قصيراً .

التقى خيمينيث بحب حياته ، وهي فتاة مهتمة بالأدب تُدعى " ثنوبيا كامبروني " ، وصارت هي الأمل الوحيد في حياته. ولم تكن العلاقة بينهما رومانسية وحالمة ، ولم يكن طريقهما مفروشا بالورود. لقد كان طريق التقائهما صعباً، وذلك بسبب الفارق العمري بينهما، ومعارضة عائلة الفتاة. كما أن الفتاة لم تكن متحمسة للزواج من رجل انعزالي ، وشاعر مُصاب بحالات جنون وأمراض نفسية وأوهام لا حصر لها . ولكنّ اللقاءات المتكررة بينهما ، والنقاط الثقافية المشتركة ، قد أزالَت العقبات في طريقهما ، وسهّلت ارتباطهما الرسمي ، وتمّ زواجهما في عام ١٩١٦ .

أمضى خيمينيث شهر العسل مع زوجته في الولايات المتحدة ، وَلَخَّصَ أحداث رحلته إلى نيويورك في ديوان "يوميات شاعر حديث الزواج" (١٩١٧). الذي كان يُشبه اليوميات بمزيج من الشَّعر والنثر، تطرَّق فيه لموضوع في غاية الأهمية، وهو اعتبار نيويورك رمزًا للعصر الصناعي الجديد. مع اندلاع الحرب الأهلية الإسبانية عام ١٩٣٦ ، اختار خيمينيث وزوجته الهروب إلى الولايات المتحدة ، بعد أن سهَّل لهما أحد المسؤولين السفر بجوازات دبلوماسية . في البدء ، أقاما في نيويورك، ثُمَّ تَوَجَّها إلى بورتوريكو، ثُمَّ استقرَّ في كوبا لأكثر من ثلاث سنوات. وكان خيمينيث مُتَحَمِّسًا للجمهورية الإسبانية ، لذلك لم يرجع إلى بلده خلال فترة الدكتاتورية . ويظهر موقفه السياسي واضحًا في إعداد كتاب متعاطف مع الجمهورية الإسبانية بعنوان " الحرب في إسبانيا " . والذي لم يتمكن من نشره . وقد تحدَّث فيه عن معتقداته السياسية الداعمة لنظام الجمهورية . خلال هذه الفترة ، عمل في أكثر من جامعة ، وكتب العديد من المقالات النقدية في الشعر الإسباني والأمريكي اللاتيني ، وتَمَّ جمعها بعد وفاته ، وصدرت في كتابين . كما عمل أستاذًا زائرًا في الولايات المتحدة والأرجنتين حتى عودته النهائية عام ١٩٥١ إلى بورتوريكو ليستقر فيها بسبب تدرُّي وضعه الصحي. اشتدَّت وطأة مرضه، وبدأ يمر بحالات مَرَضِيَّة عصبية مُتَكَرِّرَة . وكما يُقال: المصائب لا تأتي فرادى . فقد أُصيبت زوجته بالسرطان . وعلى الرغم من علاجها المتكرر ، إلا أن المرض قضى عليها لتموت بعد ثلاثة أيام من إعلان فوز خيمينيث بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٦. وهي التي بذلت كُلَّ جهد ممكن خلال سنوات طويلة من أجل التعريف بزوجها في الأوساط الأكاديمية لجائزة نوبل. وبعد رحيلها، ازداد الوضع الصحي لخيمينيث سوءًا ، ليرحل عن العالم في ١٩٥٨ ، ويُدفن في منفاه الأخير في بورتوريكو بعيدًا عن بلاده التي أَحَبَّها ، ولم تعرف قيمته . يُعْتَبَر خيمينيث شاعرًا مُجدِّدًا ، آمنَ بالحداثَة الشَّعرية والتجديد في الأوزان والأنماط ، وتمتاز تجربته الشَّعرية الحداثية بالحرية والتحرر والسَّعي نحو الجمال . كانت قصائده الأولى ضعيفة بسبب اعتمادها على الشكل وتغيب المضمون ، وامتلائها بالعناصر السَّوداوية ، واعتمادها على حبكة لغوية قائمة على التَّكلف والتَّصنع التعبيري والأناقة الهشَّة . ولكنه استطاع تطوير نَفْسِه ، وطَرَأ على إنتاجه الأدبي تغيير جذري ، حيث تخلَّى عن التَّكلف والاصطناع ، واعتمد على البساطة والأصالة اللغويتين .

من أبرز أعماله: الحداثق البعيدة (١٩٠٤). الأوراق الخضراء (١٩٠٩) . المتاهة (١٩١٣). بلايرو وأنا (١٩١٤) . الخلود (١٩١٨) .

خوان رولفو وتأسيس الواقعية السحرية

وُلد الكاتب المكسيكي خوان رولفو (١٩١٧ - ١٩٨٦) في سايولا ، إحدى أفقر مناطق المكسيك ، وتُوُفِّيَ في مدينة مكسيكو .

عندما بلغ رولفو السادسة من عُمره أصبح يتيم الأب، وبعد ذلك بأربع سنوات لقيت والدته حتفها . وفي عام ١٩٢٩ ، تم نقله إلى سان جابريل حيث عاش هناك مع جدته، وبعد ذلك عاش بملجأ لويس سيلبا، المعروف حاليًا بمعهد لويس سيلبا ، بمدينة جوادالاخارا .

بدأ دراسته الابتدائية عام ١٩٢٤ . وفي عام ١٩٣٣ ، التحق بجامعة جوادالاخارا . وفي عام ١٩٣٤ ، بدأ رولفو كتابة أعماله الأدبية . يُعتَبَر الكاتب المكسيكي الأشهر ، والأب الروحي للواقعية السحرية في أدب أمريكا اللاتينية .

عمل رولفو في شركة لبيع الإطارات ، وفي مشاريع الري ودائرة الهجرة ، وكتب للسينما ، لكنه جعل من المدينة التي وُلد فيها محورًا لأحداث قصصه . وقد حَقَّق رولفو شهرة عالمية بفضل مجموعته القصصية " السهل يحترق " (١٩٥٣) ، التي تُرجمت إلى عدَّة لغات ، وكان له تأثير حاسم في مسار أدب أمريكا اللاتينية . وكان لظهور روايته " بيدرو بارامو " (١٩٥٥) دور كبير في التعريف باتجاه الواقعية السحرية ، وهي من أشهر مدارس الكتابة في أمريكا اللاتينية .

يُعتَبَر رولفو من أهم الكتاب العالميين في القرن العشرين على الرغم من قِلَّة إنتاجه القصصي، وتُضاهي قامته الأدبية الكاتب الأرجنتيني بورخيس . وترجع شهرة رولفو إلى مقدرته على المزج بين الواقع والخيال، حيث قدَّم في أعماله أحداثًا لها علاقة بمجتمعه ، بجانب شخصيات تُقدِّم وتُعكس نمطية المكان والمشاكل الاجتماعية والثقافية ، وذلك بعد مزجها بالعالم الخيالي .

شارك رولفو في مجلة مكسيكو في عام ١٩٣٠ . وفي عام ١٩٤٥ ، نشر قصتين في مجلة بان في مدينة جوادالاخارا، وهما: قد أعطونا الأرض ، وماكاريو .

وفي عام ١٩٤٦ ، نُشرت ماكاريو في مجلة أمريكا . وكتب رولفو روايته " ديك من ذهب " خلال الفترة (١٩٥٦ - ١٩٥٨) ، والتي ظلَّت غير منشورة حتى عام ١٩٨٠ .

تُعتَبَر روايته " بيدرو بارامو " من أبرز أعماله على الإطلاق . وهي عمل أدبي ثمين بالنسبة لكثير من الأدباء كبورخيس ، الذي قال : ((إن " بيدرو بارامو " واحدة من أفضل الروايات في الأدب الإسباني ، بل الأدب العالمي ككل)) .

وقد قال الروائي الكولومبي الشهير ماركيز عن رولفو : ((كتاباته المنشورة مجتمعة لا تتجاوز ٣٠٠ صفحة ، لكنها كما أعتقد تُماثل ما نعرفه من أعمال سوفوكليس ، عددًا واستمرارية)) . وعن رواية " بيدور بارامو " قال ماركيز إنها عبّدت طريقه لبناء رائعته " مئة عام من العزلة " . وقد قالت سوزان سونتاغ عنها أيضًا : ((إن رواية رولفو لا تُعتبر فقط من الروايات الرائدة في القرن العشرين ، ولكنها تُعتبر أيضًا من الأعمال الأكثر تأثيرًا في نفس القرن)) .

تَمَّ وضع رواية " بيدور بارامو " في قائمة أهم مئة كتاب في تاريخ الأدب العالمي قاطبةً، وعدّها نقاد وكتّاب أمريكا اللاتينية أفضل رواية في القرن العشرين ، وفي تاريخ رواية أمريكا اللاتينية، وهي تسبق حتى روايات أخرى مهمة وأكثر شهرة مثل " مئة عام من العزلة " للكولومبي ماركيز .

ورواية " بيدور بارامو " و هو اسم بطل الرواية ، ومعناه " الأرض القاحلة " ، تجري أحداثها في قرية " كومالو " ، وفيها شخص " هو الراوي " الذي جاء إليها يبحث عن والده الذي قيل له إنه يعيش فيها. وهذه الرواية أدهشت القُرّاء ، ولا تزال تُسجّل أرقامًا كبيرة في المبيعات بكل اللغات.

لقد كان رولفو مسافرًا لا يَكل ولا يَمَل ، وشارك في العديد من المؤتمرات واللقاءات العالمية. وفي عام ١٩٧٦، تَمَّ اختياره عضوًا في المجمع اللغوي المكسيكي، وقد حصل رولفو على جائزة أمير أستورياس في إسبانيا عام ١٩٨٣ .

خورخي بورخيس وكراهية الجمال

وُلد الأديب الأرجنتيني خورخي بورخيس (١٨٩٩ - ١٩٨٦) في بوينس آيرس . وتُوفّي في جنيف . يُعتَبَر من أبرز كُتّاب القرن العشرين . وواحدًا من أعظم الذين كتبوا باللغة الإسبانية في تاريخها . وبالإضافة إلى الكتابة ، كان شاعرًا وناقدًا ، وله عدة رسائل .

كان والده مُحامياً ، وأستاذًا لعلم النفس ، وكان مصدرًا للإلهام الأدبي لابنه . أمّا والدته ، فقد تعلّمت الإنجليزية من زوجها ، وعملت مُترجمة .

أُجبر والده على التقاعد في سن مبكرة نتيجة لتدهور بصره ، وهي نفس الحالة التي أصابت ابنه فيما بعد ، لتنتقل العائلة إلى جنيف لتلقي العلاج مِن قِبَل أخصائي عيون هناك ، بينما كان بورخيس وأخته نورا يدرسان في المدرسة . وفي جنيف تعلّم اللغة الفرنسية حيث واجهته بعض الصعوبات في البداية ، كما تعلم بنفسه اللغة الألمانية وتخرج في كلية جنيف عام ١٩١٨ .

في عام ١٩٢١ ، عاد بورخيس مع عائلته إلى بوينس آيرس ، وبدأ مشواره الأدبي ككاتب ، بنشر قصائد ومقالات في مجلات أدبية . كانت أولى مجموعات بورخيس الشعرية تحت عنوان " حماس بوينس آيرس " (١٩٢٣) .

في عام ١٩٣٣ ، عُيّن بورخيس كمُحرّر في الملحق الثقافي في جريدة " كريتিকা " . وفي السنوات اللاحقة عمل بورخيس كمستشار أدبي لإحدى دور النشر ، وكتب عمودًا أسبوعيًا في صحيفة " إل هوجار " التي ظهرت في الفترة (١٩٣٦ - ١٩٣٩) .

تُوفّي والد بورخيس في عام ١٩٣٨ ، وكانت هذه صدمة عنيفة في حياته ، وجاءته الصدمة الثانية في ليلة عيد الميلاد عام ١٩٣٨ ، فقد أُصيب بورخيس بجرح بالغ في رأسه في حادث ، وكاد أن يموت خلال علاجه بسبب تقيّح الدم . وقد جاءت قصته القصيرة " الجنوب " (١٩٤٤) بناءً على هذه الحادثة . وأثناء تعافيه من الإصابة بدأ الكتابة بأسلوب أصبح مشهورًا به ، وظهرت أول مجموعة قصصية له " حدائق الممرات المتشعبة " (١٩٤١) . وبالرغم مِن تقبّلها الحسن لدى الجمهور ، لم تنجح هذه المجموعة القصصية في حصد الجوائز الأدبية التي كان العديد يتوقعها لها .

فقد بورخيس عمله ، وبدأ بصره يضعف بالتدريج ، فأصبح غير قادر على إعالة نفسه ككاتب ، فبدأ عملاً جديدًا كمُحاضر عام . ورغم وجود بعض الاضطهاد السياسي ، إلا أن بورخيس كان

ناجحًا إلى حد معقول ، وأخذت شهرته تزداد بين الناس حتى عُيِّنَ في منصب رئيس جمعية الكتاب الأرجنتينيين عام ١٩٥٠ ، وكأستاذ للإنجليزية والأدب الأمريكي (١٩٥٠ - ١٩٥٥) في الجمعية الأرجنتينية للثقافة الإنجليزية . في عام ١٩٥٥ ، عُيِّن بورخيس من قِبَل الحكومة العسكرية كرئيس للمكتبة العامة . وكان بورخيس عندها قد فقد بصره تمامًا . وفي العام التالي ، حصل على الجائزة الوطنية للأدب ، وعلى أول دكتوراة فخرية له من جامعة كويو . وفي الفترة (١٩٥٦ - ١٩٧٠) تقلَّد بورخيس منصب أستاذ للأدب في جامعة بوينس آيرس ، والعديد من المناصب المؤقتة في جامعات أخرى . ومع كونه غير قادر على القراءة ولا الكتابة ، (ولم يتعلم القراءة بنظام بريل) ، كان بورخيس يعتمد على والدته التي كان دائمًا على علاقة قوية بها ، والتي بدأت العمل معه كمساعدته الشخصية . بدأت شهرة بورخيس العالمية في الستينيات . ففي عام ١٩٦١ ، حصل على جائزة "فورمتر" بالمشاركة مع صموئيل بيكيت . ولمَّا كان هذا الأخير مشهورًا عند مُتَكلمي الإنجليزية ، في حين أن بورخيس غير معروف عندهم ، أخذ الفضول يدور حول هذا الكاتب المغمور الذي شارك الجائزة مع بيكيت . وقد قامت الحكومة الإيطالية بمنحه لقب " قائد " تكريمًا له ، كما عيّنته جامعة تكساس لسنة واحدة . وقام بورخيس بجولة لإعطاء المحاضرات في الولايات المتحدة . ثم ظهرت أول ترجمة لأعماله بالإنجليزية عام ١٩٦٢ . ومنحته الملكة إليزابيث الثانية وسام الإمبراطورية عام ١٩٦٥ . في عام ١٩٦٧ ، أرادت أمُّه التي كانت تُناهز التسعين عامًا آنذاك ، أن تجد امرأةً ترعى ابنها بعد وفاتها . لذلك فقد قامت والدته وأختها نورا بترتيب زواج بورخيس من امرأةٍ ترملت حديثًا ، غير أن الزواج لم يكن كاملاً فلم يُجامعها ، وقد عبَّر عن رأيه ذاك بقوله : ((المرايا والجماع أمران مقيتان ، لأنهما يُضاعفان عدد الرجال)) .

قام بورخيس بسرقات أدبية وانتحالات كثيرة ، وأشهر ما عُرف عن انتحالاته ترجع إلى أعماله الأولى عندما كان يعمل مُترجمًا وناقِدًا يكتب بشكل منتظم في الصحيفة الأرجنتينية "إل هوجار" . فقد نشر خلال هذه الفترة عددًا كبيرًا من الأعمال المترجمة بالإضافة إلى أعمال خاصة به أخذت طابعًا شبيهًا بأعمال مثل تلك التي قدَّمها إمانويل سويدنبورغ ، ومثل كتاب " ألف ليلة وليلة " ، والتي كان يُقدِّمها على أنها ترجمات لِمَا قد مرَّ به أثناء قراءته . وقد جُمع العديد من هذه الأعمال المُنتحلة في كتاب " التاريخ العالمي للعار " . وتابع بورخيس هذا النمط من الانتحال في عدة مراحل من حياته الأدبية ، كما هو الحال على سبيل المثال عندما انتحل ثلاث قطع قصيرة ونسبها لنفسه ضمن قصته " إل ماتريرو " .

خوسيه إتشيفاراي وهجرة العلوم

وُلد الأديب وعالم الرياضيات الإسباني خوسيه إتشيفاراي (١٨٣٢ _ ١٩١٦) في مدريد، لأسرة تنتمي إلى أصول باسكية . حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٠٤ بالاشتراك مع الكاتب الفرنسي فرديريك ميسترال .

درس إتشيفاراي الهندسة ، ولمع فيها ، ثم عمل مُدرّسًا لعلوم التقنيات المتعددة بين مدريد وباريس . ثم قام بتدريس الفيزياء الرياضية . وقد عُيّن في بلاده وزيرًا عقب ثورة ١٨٦٨ في إسبانيا ضد حكم الملكة إيزابيل الثانية ، لكنه ترك الحكم بعد انتهاء الثورة ، وهرب إلى فرنسا . ثم عاد في ثمانينيات القرن التاسع عشر مرة أخرى إلى مدريد ، وعمل وزيرًا للمالية . وأصبح عضوًا في الأكاديمية العلمية ، بالإضافة إلى عضويته في الأكاديمية الملكية للغات .

وهذه السيرة قد تكون مناسبة للحصول على جائزة نوبل عن إنجازات علمية ، لكن الشغف الحقيقي لإتشيفاراي كان المسرح . فهو حُبّه الأول منذ طفولته المبكرة .

وفي عام ١٨٧٤ عُرضت مسرحيته الأولى " بطاقة من الشيكات " ، وذلك باسم مستعار هو " خوسيه هياسكا " وذلك أثناء عمله وزيرًا للأشغال العامة . وربما يكون هذا هو السبب لاختيار اسم مستعار . فالأفكار الواردة في المسرحية قد تُؤثّر على حياته السياسية ومنصبه الحكومي ، لذلك آثر اختيار اسم مستعار يَحْتَيّ وراءه ، وذلك لحماية مسيرته السياسية من أي تأثير سلبي أو ردود فعل غاضبة. تُمّ تتابعت مسرحياته، ومنها : " جنون أم ظاهرة صحية " (١٨٧٧) ، " صدر الموت " (١٨٧٩) ، " الموت على الشفاه " (١٨٨٠) . وهي جميعًا منشورة باسمه الحقيقي ، وقد بلغ إنتاجه ٦٤ مسرحية ، وكتابين مُترجمين .

تنتمي مسرحياته إلى الرومانسية الجديدة ، والميلودراما الاجتماعية . وقد صيغت هذه المسرحيات في إطار من الحيوية الدرامية ، وبلاغة اللغة ، وسلاسة الحوار . بالإضافة إلى فقر التحليل النفسي ، والالتزام الأيديولوجي . والموضوعات الرئيسية في هذا المسرح كانت تتمحور حول الحب ، والشرف ، والدين ، والتعصب ، والروح .

ويقول برنار سيسه أحد المتخصصين في الأدب والبحث الإسباني : ((إن مسرح هذا المؤلف قد عرف كيف يكسب جمهوره ، رغم أن أغلب جمهور مسرحيته " بطاقة من الشيكات " كانوا من أبناء الطبقة الراقية ورجال الفكر)) .

وقد كان إتشيجاراي محظوظاً وهو يرى عمالقة المسرح الإسباني يقومون بأداء شخصياته،
مثل: أنطونيو فيكو ، رفائيل كالفو ، إلزا مندوثا ، ماريا جوريرو .
وتنتمي أعماله الأولى إلى المسرح التاريخي مثل مسرحيته " زوجة المنتقم " و " قبضة السيف " .
وهي مسرحيات عن الحب الضائع ، الذي تنسال الدماء بسببه ، فتتأثر الجثث ، ويصيب العار
الأطفال ، فينتحرون وينتحبون .

ومسرحية " صدر الموت " تُبرز قضية الموت حرّاً ، وذلك في عصر محاكم التفتيش . وفي
مسرحية " جنون أم ظاهرة صحية " نرى رجلاً من أبناء العامة ، وقد صُدم في ابنته عندما أُحِبَّت
رجلاً لا ينتمي إلى طبقتها الاجتماعية . لذلك يذهب وراء هذا الرجل ليتقصى أصله ، حتى يعرف
أنه ابن لخادم قديم . ولا يسعى الرجل إلى إفشاء السر ، لكن يكفيه أنه قد عرفه . ومثل هذه
المسرحية وغيرها مليئة بالتناقضات والمواقف المتباينة .

أمّا مسرحية " جاليه الأكبر " المنشورة عام ١٨٧٩ فهي أهم أعماله . ويقال إنه قد حصل
على جائزة نوبل من أجلها . وهي من ثلاثة فصول ومُصاغة شعراً ونشراً . وتقع أحداثها
في مدريد في القرن التاسع عشر . والبطل إرنستو هو المتحدث الرسمي باسم المؤلف ، يتكلم عن
أبرز مظاهر الحياة في تلك الآونة . وإرنستو هو ربيب للنيل خوليان . وهناك مواجهة دامية بين
إرنستو وبين أخيه بالتبني سفيرو ، خاصة بعد أن يموت الأب في ظروف غامضة . ووسط قصة
حب تربط بين إرنستو والفتاة تيودورا تدور مجابهة بين الأخوين .

وقد اتفقت جميع آراء نقاد المسرح أن هذه المسرحية كانت بمثابة نقطة التحول في المسرح
الإسباني . ورغم المسرح الدرامي الذي برع فيه خوسيه إتشيجاراي ، إلا أنه كتب أيضاً مسرحيات
كوميديّة مثل " ناقد مبتدئ " التي كتبها عام ١٩٠١ ، وتُعتبر مثل هذه الأعمال الكوميديّة بمثابة
محاولات عابرة في حياة الكاتب . فقد كان خوسيه مُعجّباً كثيراً بمسرح هنريك إبسن ، حيث
تدور الأحداث غالباً وسط أروقة العالم البرجوازي الذي تُهدّده مشاكل تنخر فيه . لذلك ، فاللغة
في هذه المسرحيات خاصة جداً في مفرداتها ، وتخلط بين العظمة والبساطة .

خوليو كورتاثار ورواية الحيلة

وُلد الأديب الأرجنتيني خوليو كورتاثار (١٩١٤ _ ١٩٨٤) في مقاطعة إكسيل، جنوب بروكسل عاصمة بلجيكا . حصل على الجنسية الفرنسية . كان أبوه أرجنتيني الجنسية ، ويعمل موظفًا بسفارة الأرجنتين في بلجيكا ، ومسؤول عن التمثيل الدبلوماسي التجاري بين البلدين . عندما أتم كورتاثار أربعة أعوام عادت العائلة إلى الأرجنتين ، وقضى باقي طفولته في بانفيلد، جنوب بوينس آيريس، بجانب والدته وأخته الوحيدة ، بعد أن قام أبوه بهجرهم .

لَمْ يعيش كورتاثار طفولة سعيدة، فقد كان طفلًا مُتَوَعِّك الصحة، وقضى وقتًا طويلًا من طفولته مريضًا في فراشه ، ولذلك كان الكتاب خير جليس له . وكانت أمّه صاحبة الفضل الأول في عشقه للقراءة ، وتحوُّله إلى أحد أفضل كُتّاب أمريكا اللاتينية فيما بعد . كان يقضي أيامه في القراءة بنهم، حتى إن أحد الأطباء نصحه بأن يُقلِّل من القراءة وأن يخرج أكثر لرؤية الشمس واستنشاق الهواء . بعد أن أتم دراسته الأساسية في إحدى مدارس بانفيلد ، بدأ الدراسة عام ١٩٢٨ في مدرسة المعلمين " ماريانو أكوستا " ، والتي وصفها فيما بعد بأنها من أكثر المدارس السيئة التي يمكن تخيلها ، وحصل هناك على لقب مُدرِّس اعتيادي عام ١٩٣٢ ، والذي مكَّنه من مزاولة مهنة التدريس . بدأ كورتاثار يدرس الفلسفة في جامعة بوينس آيريس ، ونجح في العام الأول، لكنه أدرك أنه لا بد أن يستخدم لقبه كمُعَلِّم الذي حصل عليه من قَبْل، من أجل أن يعمل ويُساعد أمّه، فقام بالتدريس في منطقة بوليفار ، ثم في تشييليكوي . عاش خلال ذلك في غرف منعزلة في بنسيونات، وكان يقضي كل أوقات فراغه في القراءة والكتابة . في عام ١٩٣٨ ، نشر أول مجموعة شعرية له بعنوان " الوجود " تحت الاسم المستعار خوليو دينيس . وانتقل في عام ١٩٤٤ إلى منطقة كويوبمندوسا ، وقام بإلقاء محاضرات في الأدب الفرنسي في جامعة بوينس آيريس . وفي نفس العام نشر أول قصة له بعنوان " الساحرة " في مجلة البريد الأدبي .

عندما فاز خوان دومينجو بيرون في الانتخابات الرئاسية في عام ١٩٤٥ ، قدّم كورتاثار استقالته من الجامعة ، قبل أن يرى نفسه مُجْبَرًا على أن يستقيل كما فعل الكثير من زملائه . عاد كورتاثار إلى العاصمة بوينس آيريس ، وهناك بدأ بالعمل في المجلس الأرجنتيني للكتاب . وفي نفس ذلك العام ، قام بتجميع أول مجموعة قصصية له " الضفة الأخرى " . بعد ذلك بعام ، نشر قصته " المنزل المسروق " في مجلة خوليات بوينس آيرس التي كان يرأسها بورخيس .

استطاع كورتاثار في عام ١٩٤٨ أن يحصل على لقب مترجم للإنجليزية والفرنسية ، بعد أن درس في مدة تسعة أشهر ما كان يستغرق دراسته عادة ثلاث سنوات . وقد جعله الجهد الشديد الذي بذله لتحقيق ذلك يُعاني من بعض الأعراض العصائية أو الذهانية ، مثل: البحث عن صراصير في الطعام . ولكنه استطاع التغلب على هذه الحالة . وفي عام ١٩٤٩ قام بنشر القصيدة الدرامية " الملوك " ، وهي أول عمل قام بتوقيعه باسمه الحقيقي ، وتمّ تجاهله من قِبَل النُّقاد . وفي خلال صيف ذلك العام قام بكتابة أول رواية له " اللهو " ، والتي تم نشرها في عام ١٩٨٦ بعد موته .

قام في عام ١٩٥١ بنشر مجموعة قصصية بعنوان " مُصارع الوحوش " المكوّنة من ثماني قصص والتي منحتة تقديراً كبيراً في الأرجنتين . وفي عام ١٩٥١ حصل على منحة من الحكومة الفرنسية، وانتقل إلى فرنسا ، وقرّر الاستقرار هناك بقية حياته .

في عام ١٩٦٣ ، ظهرت رواية " الحجلة " (لعبة القفز) التي حقّقت أفضل المبيعات ، وتُعدّ من أهم أعمال أدب أمريكا اللاتينية . وهي خلاصة تجربة حياة كاملة تمّت كتابتها تحت إغراء نقل هذه التجربة إلى الكتب ، ذلك كان ردّ كورتاثار لدى سؤاله عمّا تمثّله له رواية الحجلة . وهي واحدة من بين الأعمال التي يتميَّز أسلوبها بالتنوع ، حتى وصل إلى الأسلوب السريالي في بعض الأجزاء . واعتُبر ذلك نوعاً من الغرابة ، لأن السريالية الأدبية لم تكن قد انتشرت بعد ، أو اكتسبت جماهيرية .

يُعتبر كورتاثار واحداً من أكثر كُتّاب القرن العشرين تجديدًا وأصاله . وهو ما يسترو القصة القصيرة والنثر الشعري والسرد القصير بشكل عام . وقد كتب مجموعة من الروايات التي بدأت أسلوباً جديداً لصناعة الأدب المكتوب باللغة الإسبانية، مُبتعداً بذلك عن النماذج الكلاسيكية ، وذلك من خلال سرّد يخلو من خَطِيئة الزمن ، واستخدام شخصيات ذات سلوك ذاتي وعمق سيكولوجي ، وتلك العناصر قليلاً ما كانت تظهر في الأعمال القصصية والروائية المختصة بهذه الفترة . ونتيجة لاستخدامه هذا الأسلوب غير المعتاد ، نجد أن محتوى أعماله يمحو كل الفواصل بين عالم الحقيقة والخيال ، وذلك عادةً ما يرتبط بالسريالية .

استخدم كورتاثار العاصمة الفرنسية لتدور فيها أحداث بعض رواياته . والجدير بالذكر أن كورتاثار عاش أيضاً في الأرجنتين وإسبانيا وسويسرا . وتأتي رواية الحجلة على رأس أعماله الأدبية . تُوفّي كورتاثار بعد معاناته مع سرطان الدم ، وتمّ دفنه في مدافن مونتبارناس في نفس القبر الذي ترقد به زوجته كارول .

داريو فو والمسرح الساخر

وُلد الكاتب المسرحي الإيطالي داريو فو (١٩٢٦ _ ٢٠١٦) في منطقة لومبارديا شمال إيطاليا بمنطقة عمّالية مُعادية للفاشية . حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٧ .

يُعتبر من أيقونات المسرح الاحتجاجي الغاضب . تناولت مسرحياته قضايا العمّال والبسطاء ، ومُنع من دخول بلدان عدّة بينها الولايات المتحدة، بسبب توجّهُه الاشتراكي وانتقاداته لواشنطن . كما حوِّرَ داخل بلده وخارجها من طرف المتضرّرين من مسرحه الساخر ، وانتقاداته اللاذعة .

تابعَ دراسته في مجال الهندسة المعمارية ، غير أن عشقه للمسرح تحوّل به بعيداً عن مجال الهندسة . وقد نشأ وترعرع مع مسرح الشارع ، ودشّن مساره المسرحي منذ خمسينيات القرن العشرين ، حيث ألّفَ بعض المسرحيات التي غلب عليها الطابع الارتجالي والاحتجاجي .

ويقول المتخصّصون إن أعمال داريو فو ذات النّفس النقدي الاحتجاجي مُستوحاة من تراث الكوميديا المُرتجّلة ، إلى جانب تجارب حديثة بينها تجربة الكاتب الألماني بريخت .

وناقشت مسرحياته قضايا سياسية شهيرة بينها : حرب فيتنام ، واغتيال الرئيس الأمريكي جون كينيدي ، والقضية الفلسطينية ، إلى جانب قضايا المافيا والفساد .

تزوَّج الممثلة فرانكا رامه عام ١٩٥٤ ، وشكّلَ برفقتها ثنائياً شهيراً ، وأسّسا معاً عدّة فرق مسرحية بينها : " لا كومونه " ، و " المشهد الجديد " . وسبّبت وفاتها عام ٢٠١٣ أزمة كبيرة له .

اشتهر داريو فو بتوجهه الاشتراكي ، وتبنيّه لقضايا العمّال . وما لبث أن اختير لتنشيط برنامج تلفزيوني عام ١٩٥٦ ، بعد سيطرة اليسار على الحكومة ، غير أن أصحاب مصانع اللحوم سارعوا إلى المطالبة بمنعه من الظهور على التلفزيون بعد توجيهه انتقادات لاذعة لهم ، إثر تفجّر سلسلة فضائح كان من أبرزها : تعليق لحم بشري لسيدة جاءت تزور قريباً لها بأحد المصانع ، فسقطت في آلة لتقطيع اللحم .

وبعد شدّ وجذب داخل المحاكم ، نجح أصحاب المصانع في استصدار حُكم يمنع داريو فو وزوجته من الظهور على التلفزيون لمدة أربعة عشر عاماً .

قدّم داريو فو أعمالاً مسرحية كثيرة ، حظيت باهتمام كبير من أهل الفن ، لعل من أهمّها : " الوصية السابقة : يجب أن لا تسرق أقل من ذلك " ، و " دائماً اللوم على الشيطان " ، و " الفتاة الكبرى " . وتُعتبر مسرحية " السر الكوميدي " من أبرز أعمال داريو فو .

وَمُنْذَ عام ١٩٦٩ ، قَدَّمَ أَلْفَ عَرَضٍ مِنْهَا ، أَحَدُهَا عام ١٩٨٦ بِنْيُورْكَ ، وَهِيَ الْمَسْرُحِيَّةُ الَّتِي أَثَارَتْ غَضَبَ الْفَاتِيكَانِ الَّذِي وَصَفَهَا بِأَنَّهَا " أَكْثَرُ عَمَلٍ مَسْرُحِي فِيهِ كُفْرٌ وَإِلْحَادٌ " . وَهَذَا لَيْسَ غَرِيبًا ، إِذْ إِنَّ دَارِيو فُو شَخْصِيًّا كَانَ مُلْحِدًا .

وَقَدْ مُنِعَ دَارِيو فُو لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْ دُخُولِ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ لِتَوَجُّهِهِ الْاِشْتِرَاكِي وَانْتِقَادَاتِهِ لَوَاشَنْطُنْ ، وَلَمْ يَنْتَهِ الْمَنْعُ سِوَى عام ١٩٨٤ ، كَمَا تَمَّ اتِّهَامُهُ أَيْضًا بِتَأْيِيدِ الْعَنْفِ ، وَهِيَ التَّهْمَةُ الَّتِي نَفَيْتَ عَنْهُ لَاحِقًا .

وَقَدَّمَ دَارِيو فُو أَيْضًا : " مِنْ الطَّارِقِ ؟ إِنَّهَا الشَّرْطَةُ " ، وَ " لَا يُمَكِّنُنَا إِلَّا نَدْفَعُ .. لَنْ نَدْفَعُ " (١٩٧٤) . وَقَدْ تَحَدَّثَتْ عَنْ إِضْرَابَاتِ الْمَوَاطِنِينَ فِي مُدُنِ الْجَنُوبِ الْإِيطَالِي .

وَاشْتَهَرَ أَيْضًا بِمَسْرُحِيَّةِ " مَوْتٌ مُفَاجِئٌ لِفَوْضُوِي " (١٩٧٠) الَّتِي تُعْتَبَرُ نَمُودَجًا فِي السُّخْرِيَّةِ الْسُّودَاءِ الْهَادِفَةِ ، كَمَا قَدَّمَ أَيْضًا " قِصَّةُ نَمْرٍ " (١٩٧٨) ، وَ " مِيدِيَا " ، وَ " الْقِصَّةُ الْقَدِيمَةُ نَفْسُهَا " ، وَ " امْرَأَةٌ عَرَبِيَّةٌ تَتَكَلَّمُ " ، وَهِيَ مَسْرُحِيَّةٌ أَلْفَهَا بَعْدَ زِيَارَتِهِ لِمَخِيْمِ فِلَسْطِينِي بِلَبْنَانَ ، حَيْثُ بَعَثَتْ إِلَيْهِ سَيِّدَةُ بَشْرِيطُ تَحْكِي فِيهِ قِصَّتَهَا ، فَأَنْتَجَ مَوْنُولُوجًا تُؤَدِّيهِ زَوْجَتُهُ ، مُسْتَلْهِمًا مَا جَاءَ فِي الشَّرِيْطِ ، وَسُرْعَانِ مَا تَحَوَّلَتِ الْقِصَّةُ إِلَى مَسْرُحِيَّةٍ بَعْتَوَانَ " فَدَائِيُونَ " (١٩٧٢) .

وَلَعِبَ دَارِيو فُو أَدْوَارًا هَامَةً فِي أَكْثَرِ مِنْ ٧٠ مَسْرُحِيَّةٍ ، جَمَعَتْ بَيْنَ الْكُومِيْدِيَا وَالتَّرَاجِيْدِيَا وَالنَّقْدِ السَّاخِرِ ، حَاكِيًا مِنْ خِلَالِهَا مُعَانَاةَ وَمَشْكَالَاتِ الشُّعُوبِ .

تَمَيَّزَ دَارِيو فُو بِقُدْرَتِهِ الْفَائِقَةِ عَلَى الْارْتِجَالِ ، وَتَنَاوَلَ الْقَضَايَا الْيَوْمِيَّةَ بِكَثِيرٍ مِنَ السُّخْرِيَّةِ الْاِلْدَاعَةِ الَّتِي تَشْدُ انْتِبَاهَ الْمَشَاهِدِينَ . وَقَدْ تُرْجِمَتْ مَسْرُحِيَّاتُهُ إِلَى ٣٠ لُغَةً .

وَأُعْلِنَ يَوْمَ الْخَمِيْسِ ١٣ أَكْتُوبَرِ / تَشْرِينِ الْأَوَّلِ ٢٠١٦ وَفَاةَ دَارِيو فُو ، عَنْ عُمُرٍ نَاهِزِ التَّسْعِينَ عَامًا ، بَعْدَ أَنْ قَضَى فِي مَسْتَشْفَى " سَاكُو مِيلَانُو " ١٢ يَوْمًا جَرَاءَ مُعَانَاتِهِ مِنْ مَشْكَالَاتٍ فِي الرِّئَةِ .

وَأَعْرَبَ رَئِيسُ الْوُزَرَاءِ الْإِيطَالِي مَاتِيُو رِيْنِزِي عَنْ حُزْنِهِ الشَّدِيدِ وَأَسْفَهُ لِفَقْدَانِ إِيْطَالِيَا أَحَدِ أَهَمِّ رَكَائِزِهَا الثَّقَافِيَّةِ ، مُوَضِّحًا أَنَّ " نَقْدَهُ السَّاخِرَ وَبَحْثَهُ وَعَمَلَهُ فِي التَّصْمِيمِ الْمَسْرُحِيِّ وَأَنْشِطَتِهِ الْفَنِيَّةِ الْمَتَعَدِّدَةِ سَتُظَلُّ إِرْثًا عَالَمِيًّا لِعَظَمَةِ إِيْطَالِيَا " .

دانتى أليغييري والكوميديا الإلهية

وُلد الشاعر الإيطالي دانتى أليغييري (١٢٦٥ - ١٣٢١) في مدينة فلورنسا لعائلة متوسطة الشراء من النبلاء والأشراف، وكان يُشير إلى ذلك في كتاباته بفخر . ولم يُقدّم تاريخ الأدب الإيطالي أيّة تفاصيل حول طفولته ونشأته ، وبقيت المرحلة الأولى من حياته محاطة بالغموض . فقدَ والدته وهو في الثالثة عشرة، ووالده قبل بلوغه العشرين . وكان يحب الرسم والموسيقى، واختار الطب والفلسفة ، إلا أنه أولى اهتمامه للأدب والشعر ، وكانت صلاته وثيقة مع أدباء عصره. بدأ دانتى نشاطه عام ١٣٠٠ وسط صراع سياسي واجتماعي بين البابوية والملكية . فقد تقاسمت مدينة فلورنسا شريحتان : شريحة البيض ، وتضم الأرستقراطيين والبرجوازيين المؤيدين لحكومة ديمقراطية ، وشريحة السود ، وتضم أغلبية العائلات الكبرى والحزب المناهض للديمقراطية. تقرّب دانتى من البيض الذين رفضوا تدخّل البابا بونيفاتشو الثامن في شؤون المدينة الداخلية. وذهب دانتى بمهمة رسمية إلى روما ، للتفاوض مع البابا ، مُدافعاً عن مصالح الملك ، وساعياً إلى الفصل بين السلطين السياسية والدينية ، وعَلِمَ قُبيل عودته ، وهو في العاصمة في كانون الثاني ١٣٠٢ ، بإدانته وعزله من مهامه مدة عامين ، وتَمَّ اتهامه بتحريض العدو السياسي ، وبقي مُلاحقاً منفياً حتى وفاته . ورفض دانتى — عندما سعى بعضُهم إلى التسوية — تقديم أيّة تنازلات ، فصدرت بحقه عقوبة الموت حرقاً مع أولاده الثلاثة .

اقتَرَن اسم دانتى باسم قصيدته الشهيرة " الكوميديا الإلهية " ، وله مؤلفات أخرى لا ترقى إلى مستوى قصيدته هذه . أولها " حياة جديدة " (١٢٩٢ - ١٢٩٣) ، وهي مزيج من الشعر والنثر، في إطار رواية استوحاها من مؤلفات كتبت باللغة اللاتينية في العصور الوسطى . ونظم أيضاً مجموعة قصائد تحت عنوان " قوافي " . أمّا مؤلّفه " المأدبة " (١٣٠٣) ، فقد عكف فيه على دراسة الفلسفة والأدب القديم ، وأظهرَ تعطشاً للمعرفة لا حدود له .

أمّا قصيدته الشهيرة التي تُوصَف بأنها رائعته " الكوميديا " ، التي أُضيفت إليها صفة " الإلهية " لاحقاً عام ١٥٥٥ ، عند صدور طبعة البندقية ، فقد استغرق في نظمها ما يزيد على خمسة عشر عاماً ، وأنجزها قبل وفاته بمدة قصيرة . وهي قصيدة تضم مئة أنشودة مُكوّنة من ١٤٢٢٩ بيتاً ، في ثلاثة أجزاء تحمل عناوين " جهنم " ، " المَطْهَر " ، " الفردوس " . وتُمثّل الإدانة والجزاء والنعيم. ويتألف كل جزء من ٣٣ قصيدة ، بعدد مُتساوٍ من الأبيات ، مُضيفاً أنشودة في المقدمة ،

ليصل إلى المئة رمز الكمال . وبطلها هو دانتي نفسه التائه عند مُفترق الطرق وسط غابة مُظلمة تمتلئ بالذنوب. ويصف في هذه القصيدة عالمًا أبدع في تَخْيُّله ، فيه مكان للخير ، وكذلك للشر، الذي يراه الشاعر نتيجة العجرفة المفرطة في سلوك أول ملاك تمرّد على حكمة الرب . ويرى دانتي أن مصدر الشر هو الإنسان ذاته، إذ يقول في " المطهر " وفي القصيدة السادسة عشرة : ((إذا كان العالم الحالي منحرفاً وضالاً ، فابحثوا عن السبب في أنفسكم)) ، لأن الإنسان يبحث دومًا عن مصدر الشر فيما حوله ، مُنَزَّهًا نفسه ، ومُلَقِّيًا المسؤولية على السماء. وتكمن المأساة_ في رأي دانتي _ في العقول النائمة ، فالمدانون في " جهنم " هم أولئك الذين فقدوا القدرة على التفكير والإدراك والفهم. وهو عندما ينظر إلى أعماق الإنسان يرى أن قلبه يأكله الحسد والبخل والطمع. ويتصوّر دانتي موقع " جهنم " بعيدًا عن الإله الذي يُشعُّ نورًا، ويتصوّر " المطهر " جزيرة صغيرة وسطها غابة تنبض بالحياة ، وترمز إلى فِرْدَوْس الإيمان على الأرض ، وهو يصبو في قرارة نفسه إلى رحلة ارتقاء روحي نحو الكمال ، إلى العالم الآخر ، بهدف التقرب إلى الخير الأعلى والسكينة الدائمة. فالحقيقة الإلهية في نظر دانتي واحدة وإن اختلفت الديانات ، حقيقة أعلنها الأنبياء ، وأولهم موسى. وكان دانتي يؤمن بوجود إله واحد أبدي يُحرِّك ولا يتحرك ، وبأن هذه الحقيقة موجودة في الكتب السماوية ، ويمكن لأي إنسان أن يكشفها إن أعمل عقله ، وكان في الوقت ذاته يدافع عن طبقة حاكمة نبيلة تصل إلى السُلطة بالعلم والفضيلة . ولا يزال دانتي يتمتع بشهرة عالمية ، وتعود أهمية " الكوميديا الإلهية " بعد ما يزيد عن ستة قرون إلى أنها أظهرت فكر أبناء فلورنسا ، أكثر المدن الإيطالية أهمية آنذاك ، وأكثرها نفوذًا على الصعيد الديني ، إضافة إلى أن نفحة أفلاطونية فاحت منها في القرن الرابع عشر، ممّا تجلّى في قصائد دانتي خاصة. كما تميّزت " الكوميديا " بأسلوب سلس وبسيط أبرز قدرة الشاعر على بناء صرح أدبي من صروح العصور الوسطى، شبّهه النقاد بكاتدرائية تحيطها رهبة لا تزال تُقلق الإنسان وتذكّره بنهايته .

والجدير بالذكر أن " الكوميديا " بقيت في طيّ النسيان ما يزيد على ثلاثة قرون، ثم خرجت في القرن التاسع عشر لترى النور من جديد ، وسط مناخ أوروبي حر ورومانسي .

وقد أظهرَ المستشرق والباحث الإسباني القس بلاثيوس في رسالة الدكتوراة التي ناقشها تحت عنوان " علم الآخرة الإسلامي في الكوميديا الإلهية " عام ١٩١٩ ، أن رؤى جهنم والفِرْدَوْس في " الكوميديا " مُقتَبَسَة من الإسراء والمعراج . وأثارت هذه الرسالة تساؤلات حول مدى اطلاع دانتي على مؤلفات ابن عربي ، أو رؤية المعريّ في " رسالة الغفران " .

دوريس ليسينغ والتמוד الأنثوي

وُلدت الروائية البريطانية دوريس ليسينغ (١٩١٩ _ ٢٠١٣) في مدينة كرمانشاه في بلاد فارس (إيران حاليًا) ، حيث عمل أبوها هناك كموظف في البنك الفارسي الملكي .

انتقلت العائلة بعد ذلك إلى مستعمرة بريطانية في روديشيا الجنوبية (زيمبابوي حاليًا) عام ١٩٢٥ ، حيث امتلكت مزرعة ، إلا أنها لم تُدر أرباحًا بعكس توقعات العائلة .

ارتادت ليسينغ مدرسة دومينيكان كوفيننت الثانوية حتى بلغت الثالثة عشرة من العمر، حيث أكملت تعليمها بنفسها بعد ذلك. ولَمَّا بلغت الخامسة عشرة من عُمرها، استقلت عن مَنْزِل أسرتها وعملت كممرضة . وبدأت من ذلك الوقت قراءاتها في مجالي السياسة وعلم الاجتماع، وكان ذلك أيضًا حين بدأت أولى محاولاتها في الكتابة .

لقد أظهرت ليسينغ الطفلة تمرُّدها المبكر على القيود الاجتماعية ، فتركت دير الراهبات حيث كانت تتلقى تعليمها والمدرسة نهائيًا ، وأعلنت رفضها لأعراف المجتمع البرجوازي الذي كانت تنتمي إليه . ودخلت بعد ذلك عالم الطبقة الكادحة ، فعملت مُريّة أطفال ، وعاملة في مقسم هاتفٍ ثم سكرتيرة . وسُرعان ما تزوّجت للمرة الأولى ، وكان ذلك من فرانك وسدوم، الذي أنجبت منه طفلين، قبل أن تنتهي تلك الزيجة عام ١٩٤٣ . انضمت ليسينغ بعد طلاقها إلى نادي كُتب اليسار، وهو أحد نوادي الكُتب الشيوعية، والذي تعرّفت فيه على جوتفريد ليسينغ، والذي سُرعان ما أصبح زوجها الثاني بمجرد التحاقها بالمجموعة، وأنجبت منه طفلًا واحدًا قبل أن تنتهي تلك الزيجة أيضًا ، وذلك في ١٩٤٩ . واتجهت ليسينغ من فوروا إلى لندن، ساعية وراء أحلامها الشيوعية ومشوارها الأدبي . وقد تركت طفليها الأوّلين من زواجها الأول مع أبيهما في جنوب أفريقيا ، واصطحبت معها الابن الأصغر. وقد علّقت ليسينغ على ذلك فيما بعد بأن قالت إنها شعرت في ذلك الوقت أنه لا خيار أمامها ، كما قالت : ((لطالما ظننتُ أن ما فعلته هو أمر في غاية الشجاعة. فلا شيء أكثر إملالاً لامرأة مثقفة من أن تقضي وقتها بلا نهاية مع أطفال صغار . فلقد شعرتُ أنني لستُ أصلح الناس لتربيتهم ، وأني لو كنتُ قد استمررتُ، لانتهى بي الأمر كمدمنة للخمر أو كإنسانة مُحَبَّطة مثلما حدث لأمي)) .

ظَلَّت ليسينغ لمدة طويلة قريبة جدًّا من الفكر الشيوعي، وعُرفت بنشاطها في الحزب الشيوعي البريطاني ، إلى أن هجرته عام ١٩٥٦ ، بعد قمع الاتحاد السوفيتي لثورة بودابست

بالمجر. نتيجة للتنوع الحضاري الذي تعرّضت له ليسينغ خلال حياتها، فقد تمكّنت من استخدامه بفعالية في كتاباتها، والتي كانت تتحدث في الغالب عن المشاكل والأحداث في تلك الفترة الزمنية .

حصلت ليسينغ على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٧. وقد وصفتها لجنة التحكيم السويدية بأنها " كاتبة أخضعت بشكوكها وحسّها المتّقد وقدرتها على الابتكار حضارةً منقسمة للفحص والتمحيص". وتُعتبر المرأة الحادية عشرة التي تحوز على الجائزة في فئة الآداب ، وأكبر الفائزين عُمرًا في هذه الفئة .

تُعتبر روايتها " مذكرات من ذهب " (١٩٦٢) أشهر رواياتها على الإطلاق . وقد حازت على الجائزة الفرنسية للآداب عام ١٩٧٦ ، وهي لا تُعتبر رواية بالمعنى الكلاسيكي. وليسينغ نفسها ترى أن الرواية يجب أن يكون لديها بُعد اجتماعي . " فالقضية لا تقتصر على رواية قصة بل هي أيضاً نقل للخبرة " .

الرواية تتناول قصة (أنا وولف) ، وهي كاتبة شيوعية تعيش مع ابنها في لندن إبّان الخمسينيات من القرن العشرين، يعرف كتابها شهرةً كبيرة تجني من ورائها أموالاً كثيرة، ممّا يُصيبها بعقدة ذنب، فتصبح عاجزة عن الكتابة ، وتصبُّ كل اهتمامها على مذكراتها اليومية التي تُسجّل فيها كل خواطرها ومواقفها اليومية .

القصة ترسم بصفة عامة معالم المجتمع البريطاني مع كل تناقضاته وتحولاته التي انعكست على المرأة بصفة خاصة في هذه الحقبة من الزمن. كما تعالج الرواية أزمة منتصف العمر التي تجعل الإنسان يتخلى يائساً عن أوهام شبابه .

القارئ يخرج مُرهقاً من قراءته لهذه القصة، لأن ليسينغ تبني أحداث الرواية بمجموعة حكايات متفرقة وغامضة ، ممّا يجعل القارئ يعجز في البداية عن الدخول في قلب القصة . وهو في ذلك رهينة لكتابة تحليلية مُحيرة ، تدور في حلقة مفرغة حتى يكشف أخيراً أنه أَلَمَ بكل أطراف القصة.

من أبرز رواياتها: العُشب يُغني (١٩٥٠). زواج ملائم (١٩٥٤). موجة من العاصفة (١٩٥٨) . مُحاط بالأرض (١٩٦٥) . مدينة بأربع بوابات (١٩٦٩) . من أبرز مجموعاتها القصصية : عادة الحب (١٩٥٧) . رجل وامرأتان (١٩٦٣) . شتاء في يوليو (١٩٦٦) . قصة رجل لا يتزوَّج (١٩٧٢) . لندن تحت الملاحظة (١٩٩٢) .

ديريك والكوت وأعماله التحرش الجنسي

وُلد الشاعر والكاتب المسرحي الكاريبي ديريك والكوت (١٩٣٠ - ٢٠١٧) في سانت لوسيا، إحدى جُزر الهند الغربية . تنحدر عائلته من أصول مُختلطة ، فأجداده لأبيه أوروبيون بيض، وأجداده لأُمّه أفارقة سُود ، ممّا يعكس التاريخ الاستعماري المعقّد للجزيرة ، الذي ترك تأثيرًا واضحًا في شعره .

كانت والدته مُعلّمة وخبّاطة ، تحبّ الفنون ، وتقرأ الشعر . ووالده كان رسّامًا وشاعرًا ، وتُوفّي في سن الحادية والثلاثين ، بينما كانت زوجته حاملًا بابنها ديريك .

اقترضَ تكلفة طباعة ديوانه الأول من أمّه ، حيث ذهب إليها وأخبرها أنه يُريد نشر مجموعة شعرية، تُكلّف طباعتها تقريبًا مئتي دولار. وقد شعرت أمّه بالضيق لأنها كانت مُجرّد مُعلّمة وخبّاطة. وقد أعطته المال ، وتمّت طباعة الكتاب ، ووعدها بأنه سيبيعه لأصدقائه ، ويُعيد لها المال .

تلقّى تعليمه الجامعي في جامعة الكوليدج في جُزر الهند الغربية ، وعشق اللغة الإنجليزية ، ورسم حياته ككاتب وشاعر ، مُتأثرًا بشعراء الحداثة الإنجليز مثل : تي إس إليوت وعزرا باوند .

بعد التخرج ، انتقل والكوت إلى ترينيداد عام ١٩٥٣ ، حيث عمل ناقدًا ومُعلّمًا وصحفيًا ، ثمّ ذهب للعمل في جامعة بوسطن في الولايات المتحدة ، لتدريس الأدب والكتابة الإبداعية ، وأسسَ هناك مسرح بوسطن للمؤلفين المسرحيين ، وعقد صداقة أدبية مع الشاعرَيْن : الروسي جوزيف بروودسكي والإيرلندي شيموس هيني ، اللذين كانا يعملان في بوسطن .

تعبّر أشعاره ومسرحياته اهتمامه بالهوية الوطنية لجزر الهند الغربية ، وآدابها ، والصراع بين الميراث الأوروبي والثقافة الوطنية . كما أنه يركّز على قضية اكتشاف منطقة البحر الكاريبي وتاريخها في سياق الاستعمار وما بعد الاستعمار . وفي هذا السياق يتجلى الاختيار بين الوطن أو المنفى ، وتُضخّ المفاضلة بين تحقيق الذات والخيانة الروحية للوطن .

ويمزج والكوت في مسرحياته الشعرَ بالنثر ، ويستخدم مفردات لغة التفاهم اليومي الشائعة في منطقة البحر الكاريبي . أمّا قصائده فهي في معظمها غنية بالتلميحات الكلاسيكية ، وهي تتناول الطبيعة في كلّ من أوروبا ومنطقة الكاريبي بقدرٍ مُتساوٍ من الوضوح .

تُعتبر قصيدته الملحمية " أوميروس " (١٩٩٠) ، أعظم إنجازات والكوت الشعرية ، وكانت سببًا رئيسيًا في حصوله على جائزة نوبل للآداب (١٩٩٢) . وهو ثاني كاريبي يحصل على هذه

الجائزة العالمية بعد سان جون بيرس . وقد وصفت لجنة نوبل عمل والكوت بأنه " مهرجان الشعريّة عظيم اللّمعان ، يمتاز برؤية تاريخية نتيجة تعدد الثقافات " . ومن المفارقات اللافتة للنظر أن يتزامن حصول والكوت على الجائزة مع الذكرى نصف الألفية لوصول كريستوفر كولومبس إلى الأرض الجديدة (الأمريكيّين) . فالشاعر والكوت له انتماءات وطنية قوية . وقد أوضح مراراً وتكراراً أن الهنود في الأمريكيّين يُحاولون استعادة هويتهم التي عمل الاستعمار على طمسها . يُعتبر والكوت أفضل مَنْ كُتب باللغة الإنجليزيّة من خارج منطقتها ، فهو يجمع بين الرقة والرصانة في الأسلوب ، كما يمتاز بأناقة الأسلوب وروعته ، والإحساس اللغوي المرفه ، وتنوّع موضوعاته الشعريّة ، مع تنقُّله بين مختلف الثقافات التي تُعتبر عنصراً جوهريّاً من سيرة حياته .

في عام ١٩٨٢ اتُّهمت طالبة في جامعة هارفارد والكوت بالتحرش الجنسي في سبتمبر ١٩٨١ . وزُعمت أنها بعد رفضها ، أُعطيت علامة " C " فقط . وفي عام ١٩٩٦ ، تمّ اتهامه بالتحرش الجنسي ، وتمّ التوصل إلى تسوية .

في عام ٢٠٠٩ ، كان والكوت مُرشّحاً قوياً لمنصب أستاذ الشعر في جامعة أكسفورد ، وسُحب ترشيحه لهذا المنصب بسبب اتهامات ضده بالتحرش الجنسي في الفترة (١٩٨١ - ١٩٩٦) .

من أبرز مجموعاته الشعريّة : في ليل أخضر (١٩٦٢) . المنبوذ وقصائد أخرى (١٩٦٥) . مملكة التفاح النجمي (١٩٧٩) . منتصف الصّيف (١٩٨٤) . طائر البِلشون الأبيض (٢٠١٠) . من أبرز مسرحياته : الطبول والألوان (١٩٥٨) . حلم على جبل القرد (١٩٦٧) . يا بابل (١٩٧٦) . ذكري (١٩٧٧) . الجزيرة مليئة بالضوضاء (١٩٨٢) . البائع المتجول (٢٠٠٢) .

ديفيد هيربرت لورانس والكتابات الجريئة

وُلد الأديب البريطاني ديفيد هيربرت لورانس (١٨٨٥ - ١٩٣٠) في قرية إيستوود بمقاطعة نوتنجهام شاير بالمنطقة الوسطى من إنجلترا ، لأسرة عاملة متوسطة الحال . كان أبوه من عُمال المناجم . أمّا أمّه فكانت على قَدْر من التعليم والثقافة بخلاف والده ، حيث عملت في التدريس لفترة قبل زواجها . لم تُعجبها حياة المناجم فدفعته ابنها إلى التعليم، وقَدّمت كثيرًا من التضحيات لأجل ذلك . وكان لها كبير الأثر في نشأتها ابنها وبُنيته الجسدية والنفسية .

بعد حصوله على منحة دراسية في مدرسة نوتنجهام الثانوية ، انتسب إلى جامعة يوفورستي كولدج في المدينة وتأهّل للتعليم . وكان لتعرّفه على فريدا ويكلي زوجة أستاذه في الجامعة ، وهي ألمانية ومن عائلة فون ريشتهوفن النبيلة ، ومن ثمّ هروبهما إلى ألمانيا، أثر باقي في حياته ، إذ تزوّجا عام ١٩١٤، وجابا جميع أصقاع الأرض معًا ، واستقرّا في أماكن متعددة ، وكانت علاقتهما خلفية العديد من رواياته. وعاد إلى بلده إنجلترا خلال الحرب العالمية الأولى ، مع أنه لم يُحبها بسبب عدم تقبّل الناس لكتاباتهِ ، وعدم فهمهم لها . وتُوفّي في مصح لمرضى السّل في مدينة فنس الفرنسية . انفصلت أمّه عن والده بعد صراعات ونزاعات عديدة، ذكرها بصورة أدبية في روايته " أبناء وعُشّاق " (١٩١٣) مزجها بما يُصيب الأبناء من قلق عاطفي وتمزّق جراء هذه الصراعات القائمة في جو المنزل . استأثر لورنس بحب والدته بعد وفاة أخيه الأكبر، فارتبط بها ارتباطاً وثيقاً أثّر على حياته اللاحقة، وأصبح مُمزّقاً بين حُبّه لوالدته التي لا ترغب في التنازل عنه ، والفتاة الصغيرة التي أحَبّها ورغب في الزواج منها ، والتي انتهت لصالح أمّه . ذكر ذلك في الجزء الأخير من روايته " أبناء وعشاق " .

كان ينشر أعماله باسم د.ه. لورنس. ويُعتبَر أحد أهم الأدباء البريطانيين في القرن العشرين. تعدّدت مجالات إبداعه من الروايات الطويلة إلى القصص القصيرة والمسرحيات والقصائد الشعرية والكتابات النقدية . من أشهر أعماله " عشيق الليدي تشاترلي " (١٩٢٨) . كتب في أدب الرحلات ، وترجم أعمالاً عديدة من اللغة الفرنسية إلى الإنجليزية، وله لوحات عديدة مرسومة، وكان التأثير السلبي للحضارة الحديثة على الجوانب الإنسانية للحياة وتجريد هذه الحياة من البُعد الإنساني ، هو محور أغلب أعمال لورانس . ويرى بعض النُقّاد أن لورانس أسرف في سَوادِيته ، وكذلك في الاعتماد على المشاهد الجنسية الفجّة في توصيل أفكاره .

بدأ لورانس حياته الأدبية بكتابة الشعر والقصة القصيرة . أمّا روايته الأولى فكانت "الطاووس الأبيض" ثم توالى أعماله الروائية ، وكان أول عمل روائي كبير يُقدّمه هو " أبناء وعشاق " . أمّا آخرها فرواية " عشيق الليدي تشاترلي" . والتي أثارت ضجة كبيرة نظرًا لجرأتها في تصوير العلاقات الجنسية ، ولم تُنشر الرواية كاملةً في إنجلترا إلا مع بداية الستينيات .

استمر لورانس بالكتابة حتى أواخر أيام حياته بالرغم ممّا كان يُعانيه من مرض وآلام . فقد كان شاعرًا وكاتبًا مسرحيًا وناقداً من الطراز الأول وروائيًا في المكانة الأولى . ترك ثلاثة مجلدات من الشعر ، وخمس مسرحيات ، وأربعة كتب في أدب الرحلات ، وما يملأ مجلدًا كبيرًا في النقد الأدبي، ومجلدين من المقالات العامة، عبّر فيهما عن كثير من آرائه في الحياة هُما: " التحليل النفسي واللاوعي"، و"التخيّل واللاوعي" . وله عشر روايات طويلة ، وسبع روايات قصيرة . كتب لورنس كثيرًا قبل نشره روايته " أبنائ وعشاق " التي لم تنجح تجاريًا إلا أنها ضمنت له الشهرة، وكانت أولى رواياته الناضجة . عالج فيها العلاقات العائلية والغرامية للشخصية الرئيسية فيها، وهو الشاب بول موريل، المتحدّر من أسرة بسيطة في مدينة إنجليزية تعيش على مناجم الفحم، وعلاقته بأبيه وأمه، والنساء إجمالاً، إضافة إلى المشكلات التي ترافق التطور الصناعي والاقتصادي . والرواية هي سيرة لورنس الذاتية. تلت ذلك أولى مجموعاته الشعرية " قصائد حُب وغيرها " (١٩١٣) ، وأولى مجموعات القصص القصيرة " الضابط البروسي وقصص أخرى " (١٩١٤) .

بدأت التعقيدات في حياة لورنس بالظهور مع روايته " قوس قزح " (١٩١٥) التي منعتها الرقابة بسبب الإباحية . ولا عجب في ذلك في مجتمع كان لا يزال يقوم على القيم الفكتورية المتمتة . وتابع لورنس في " نساء عاشقات " (١٩٢١) التي هاجمتها الصحافة الإنجليزية بشدة . كان لكتاباتهِ الجريئة هذه _ على الرغم من سلباتها كافة _ أثر تثقيفي مهم في جيل ما بين الحربين العالميتين . لم يكن هدف لورنس في هذه الروايات، التي تعرّضت وكاتبها للانتقاد والتشهير والاضطهاد والملاحقة، الإباحية لذاتها، بل سبّر أغوار العلاقة الزوجية بأبعادها كافة، وإلقاء الضوء عليها على نحو مباشر وصريح. وثيمته الأساسية فيها هي نقد المجتمع الصناعي الذي شلّ في رأيه _ قدرة الإنسان على إقامة علاقات حسيّة طبيعية .

عاش لورنس حياة عاصفة، وكان طوباويًا يبحث عن الكمال، متعدد الوجوه والاهتمامات، وعبقريًا فذاً ، إلا أن ذلك لم يظهر دائماً في كتاباته ، وربما كان جُهره بآرائه فيها، ومحاولاته الإرشاد والإصلاح في مجتمع فكتوري محافظ هو السبب في كُبت تلك العبقرية .

ديفيد هيوم والإلحاد الفلسفي

وُلد الفيلسوف الأسكتلندي ديفيد هيوم (١٧١١ _ ١٧٧٦) في إدنبرة، لأب يعمل مُحامياً. تُوفّي أبوه وهو في الثالثة، وربّاه عمّه جورج الذي كان راعي كنيسة مُتشدّداً . في عام ١٧٢٢ ، التحقَ هيوم بمدرسة إدنبرة التي أصبحت فيما بعد جامعة شهيرة. ودرس فيها علم الفيزياء الذي كان يُسمّى آنذاك بالفلسفة الطبيعية، وتعرّف فيها على نظرية نيوتن، وتلقى تعليمًا راقياً في الآداب الكلاسيكية اللاتينية التي ساهمت في تشكيل فكره الفلسفي . عمل بالتجارة لفترة وجيزة في بريستول، لكن الحياة التجارية لم تكن تستهويه، ففضّل السفر متنقلاً في أوروبا وخاصة فرنسا، ثم استقر لفترة في مدينة لافيش غرب فرنسا حيث كتب أحد أهم مؤلفاته وهو " رسالة في الطبيعة البشرية / جُزآن " (١٧٣٩) . وعاد إلى لندن سنة ١٧٣٧ لينشر الكتاب، لكنه لم يحظَ بالنجاح الذي كان يتوقعه منه، وهذا هو السبب في أنه أعاد وضع فلسفته في صورة أبحاث أصغر هي : " بحث في الفهم الإنساني " (١٧٤٦) ، و " بحث في مبادئ الأخلاق " (١٧٥١) .

تعرّف هيوم بعد عودته إلى لندن على هتشسون الفيلسوف الأسكتلندي الذي كان يشغل منصب أستاذ الفلسفة بجامعة غلاسكو ، وكان هتشسون أستاذ آدم سميث المفكر الاقتصادي الشهير ، حيث تعرّف عليه هيوم عن طريقه . وفي سنة ١٧٤٦ عمل هيوم سكرتيراً لدى الجنرال سانت كلير، وصحبه معه في مهام دبلوماسية إلى فيينا بالنمسا وتورينو بإيطاليا . تقدّم هيوم لنيل وظيفة أستاذ للفلسفة بجامعة غلاسكو سنة ١٧٤١ ، لكن طلبه قد رُفِض نظراً لتشدّد المتدينين هناك. وعاد سنة ١٧٥١ للتقدم لنفس الجامعة، فأخفق في نيل الوظيفة أيضاً ، ممّا جعله يبحث عن وظيفة أخرى وهي محافظ مكتبة كلية المحامين في جامعة إدنبرة سنة ١٧٥٢ . وهناك تمكن من الاطلاع على الكتب والوثائق والسجلات التي مكّنته من تأليف كتابه عن تاريخ إنجلترا ، الذي استغرق منه الفترة (١٧٥٤ _ ١٧٦١) . وفي هذا الكتاب اتّبع هيوم طريقة جديدة غير مسبوقة في كتابة التاريخ، إذ بدأ بالأحداث متنقلاً إلى الأقدم .

وفي الفترة (١٧٦٣ _ ١٧٦٦) شغل هيوم منصب سكرتير السفارة الإنجليزية في باريس، وهناك تعرّف على أشهر الفلاسفة الفرنسيين . وبعد أن عاد إلى لندن سنة ١٧٦٦ طلبت منه الكونتيسة الفرنسية بوفلور أن يُوفّر لجان جاك روسو مكاناً للإقامة في إنجلترا بعد أن طردته مدينة

جنيف . واستجاب هيوم لطلبها واصطحب معه روسو إلى لندن، لكن حياة المدن الكبيرة لم تكن تروق لروسو، فوَفَّرَ له هيوم بيتًا في الريف . وهناك شَبَّ نزاع بينهما، كان سببه اختلاف آرائهما ومزاج روسو السُّوداوي والكئيب ونفسيته الميَّالة إلى الشك في كل شيء ووساوس الاضطهاد والمطاردة . وقد كان هيوم أحد الأصدقاء المقربين من " فلاسفة الموسوعة " ألد أعداء روسو . وأخيرًا شكَّ روسو أن الحكومة البريطانية تريد قتله عن طريق هيوم، فهرب من إنجلترا إلى فرنسا .

في سنة ١٧٦٧ ، صار هيوم وكيلاً للوزارة . وفي سنة ١٧٦٩ عاد إلى إدنبرة مسقط رأسه في أسكتلندا، حيث قضى فيها السنوات الباقية من حياته، وصادقَ فيها آدم سميث الذي تأثر بأفكار هيوم في كتابة عمله الأساسي "ثروة الأمم" سنة ١٧٧٦ . وفي نفس هذه السنة تُوفِّيَ هيوم . اشتهر هيوم كمؤرِّخٍ بدايةً، لكن الأكاديميين في السنوات الأخيرة رَكَّزوا على كتاباته الفلسفية . وكان كتابه " تاريخ إنجلترا " مرجعًا للتاريخ الإنجليزي لسنوات طويلة .

كان هيوم أول فيلسوف كبير في العصر الحديث يطرح فلسفة طبيعية شاملة تألفت جُزئيًا من رفض الفكرة السائدة تاريخيًا بأن العقول البشرية نسخ مُصَغَّرة عن " العقل الإلهي " . وعارضَ حُجَجَ وجود الإله ، كما رفض الديانات والمسيحية وكُتبها كدليل على وجود خالق . وبدلاً من ذلك ، رأى أن أفضل ما يمكن القيام به تطبيق المبادئ التجريبية من أجل دراسة ظاهرة العقل البشري .

أطلقَ هيوم على وحدات الخبرة الحيوية الفعَّالة اسم المُدْرَكَات الحِسِّيَّة، أمَّا وحدات الخبرة الأقل حيوية وفعالية ، فقد أطلق عليها اسم المعتقدات أو الأفكار . فالكلمات والمدرجات لها معانيها عند الشخص إذا كانت لها علاقة مباشرة بوحدة الخبرة هذه . وكانت كل وحدة من الخبرة منفصلة متميزة عن بقية الوحدات الأخرى جميعها ، على الرغم من أن الوحدات عادةً ما تُمارَس وتُجَرَّب على أنها مرتبطة بعضها ببعض .

كان هيوم يرى أن العقل الإنساني ليس سوى ملكة مُنظَّمة لِمَا يتلقاه الإدراك من انطباعات على المستوى المعرفي ، أو ما تتلقاه النفس الإنسانية من لذة وألم . وهذا الدور التنظيمي المحدود للعقل يجعل للانفعال الأولوية القصوى لدى هيوم ، فلا يمكن للشيء الذي يقتصر دوره على التنظيم أن يكون مُوجَّهًا ، أو دافعًا للسلوك، بل إن العقل نفسه لدى هيوم يُعَدُّ ملكة في خدمة الانفعال، حيث تُضفي شيئًا من العقلانية والتبرير العقلاني المنطقي لدوافع وتوجهات ليس لها أدنى علاقة بالعقل بل تنتمي كلها إلى الانفعال . ويُصِرُّ هيوم على أن العقل ليس له أي دور في حياة البشر وسلوكهم . كما أن دوره منعدم في مجال الاعتقاد .

رابندرانات طاغور وصدمة الأحزان

وُلد الأديب الهندي رابندرانات طاغور (١٨٦١ – ١٩٤١) في القسم البنغالي من مدينة كالكوتا لأسرة ثرية من طبقة البراهما التي تمتلك سلطةً دينيةً مُقدَّسة . وهذه الأسرة النبيلة (آل طاغور) كانت رائدة العمل الاجتماعي والفكري ، وسعت جاهدةً لربط المفاهيم الهندية التقليدية بالثقافة الغربية . لقد حفر طاغور اسمه في تاريخ الأدب العالمي بأحرف من ذهب . فكان أول آسيوي يفوز بجائزة نوبل للآداب في عام ١٩١٣ . وهذا يعني أنه فتح أنظار العالم على أدباء القارة الآسيوية وأعمالهم الإبداعية ، وأخرج الأدب الآسيوي من العتمة إلى دائرة الضوء .

لم يحصل طاغور على تعليم نظامي في أيّة مدرسة ، لكنه تلقى تعليمه في البيت على أيدي مُعلِّمين خُصوصيين تحت إشراف مباشر من أسرته العريقة ، التي تعتنى بتعليم أبنائها أشد العناية ، وتحرص على تزويدهم بالمعارف والثقافة ، حفاظًا على المكانة الدينية والفكرية للأسرة ، وحرصًا على وزنها الاجتماعي . وقد درس التاريخ والعلوم الحديثة وعلم الفلك واللغة السنسكريتية (لغته الأم) وآدابها واللغة الإنجليزية . وعندما بلغ السابعة عشرة من العمر ، أرسله والده إلى إنجلترا لدراسة الحقوق ، حيث التحق بكلية لندن الجامعية ، لكنه فقد شغفه بالدراسة ، فانقطع عنها ، وعاد إلى وطنه دون أن ينال أيّة شهادة .

بدأ مسلسل الأحزان مُبكرًا في حياة طاغور ، ففي الرابعة عشرة من عُمره ، تُوفيت والدته . وبقي موتها جرحًا عميقًا في نفسه لا يُفارقُه . وفي عام ١٨٨٣ ، تزوّج طاغور وهو في الثانية والعشرين بإحدى قريباته التي كانت في العاشرة من العُمر . وقد أحبّها حبًّا شديدًا ، وتغرّل بها في أشعاره . وكان هذا الحب تعويضًا له عن فقدان أمّه التي لم يُقدّر على نسيانها . وكانت سعادته مع زوجته محاولةً لنسيان أحزانه العميقة . لكنّ هذه السعادة لم تدم . فبعد زواجه بسنة أقدمت شقيقته على الانتحار ، وهذه الفاجعة سببت له صدمةً هائلة ، وأدخلته في الحزن والاكتئاب . وكما قيل : المصائب لا تأتي فرادى ، فبعد سنوات قليلة ، تُوفيت زوجته وهي في مُقتبل العُمر ، ولحق بها ابنه وابنته وأبوه في الفترة (١٩٠٢ – ١٩١٨) . وهذا الغياب الشامل أفقده صوابه ، وسبب له آلامًا عنيفة ، وجروحًا عميقة . لقد شعر أنه زهرة تذبل شيئًا فشيئًا ، أو شجرة تتساقط أوراقها ورقةً ورقةً . لقد أحسّ أنه يموت تدريجيًا . ولكن ، بسبب تربيته الدينية والفكرية ، استطاع التماسك ، والوقوف على قدميه . وفي الأمثال : الضربة التي لا تقتلك تُحييك وتزيدك قوة .

لقد قاده مؤثُّ أفراد أسرته واحدًا تلو الآخر إلى المحبة الإنسانية بمفهومها الواسع بدلاً من التمسك بالحب الفردي الخاص . ولم يعد يتعلّق بالأشياء ، لإيمانه بأن الفراق أمرٌ حتمي ، وأن الموت هو نهاية الأشياء . وهذه الفلسفة العميقة منحته القدرة على تحويل الألم إلى فرح ، والنظر إلى الحياة على أنها قيمة مُقدَّسة أعلى من الأحزان والآلام .

مضى طاغور إلى الحياة الأدبية ، واعتبرها الحياة الحقيقية للفرد والمجتمع ، وانطلق إلى عالم الشعر الذي رأى فيه الصفاء والنقاء ، فنشر عددًا من الدواوين الشعرية توجَّها في عام ١٨٩٠ بديوانه " ماناسي " الذي شكَّل قفزةً نوعية في تجربته الشعرية ، والشعر الهندي عامةً . ثم انتقل إلى البنغال الشرقية (بنغلاديش حاليًا) لإدارة ممتلكات العائلة . وبقي فيها عشر سنوات .

وكانت هذه الفترة من أخصب فترات حياته على المستوى الإبداعي ، فقد اكتشف الطبيعة من جديد ، واحتكَّ مع القرويين البسطاء ، وكتب القصص القصيرة من وحي معاناتهم اليومية ، وأحلامهم الضائعة ، وفقرهم ، وجهلهم ، وأمراضهم ، دون أن يُخفي تعاطفه معهم . وقد نجح في التقاط صور المعاناة ومزجها بزُوح الدُّعابة . وهذه التقنية في الكتابة يمكن تسميتها بالكوميديا السوداء . لقد كان طاغور طاقةً أدبيةً جبارة ، قدَّم للتراث الإنساني أكثر من ألف قصيدة شعرية ، وخمسة وعشرين مسرحية ، وثمانين روايات ، ومئات الأغاني ، اثنتان منها صارتا النشيد الوطني للهند وبنغلاديش . وقد ساهم ظهور ديوانه " قربان الأغاني " باللغة الإنجليزية في عام ١٩١٢ ، وانتشاره في أوروبا في حصوله على جائزة نوبل بعد عام واحد فقط (١٩١٣) .

لقد دُهل الغربيون من مستوى شعره ، وفُوجئوا بالصور الشعرية ذات الجمال الصوفي النابع من الثقافة الهندية . وكان أول أديب شرقي يفوز بالجائزة . وفي عام ١٩١٥ نال وسامَ الفارس من ملك بريطانيا جورج الخامس ، لكنه خلعه في عام ١٩١٩ بعد قيام القوات البريطانية بارتكاب مجزرة راح ضحيتها أكثر من ٤٠٠ متظاهر هندي .

ترتكز فلسفة طاغور على ثلاثة مبادئ : الأول _ رفض التعصب بين الطوائف والأديان في الهند . الثاني _ محبة الإنسانية جمعاء بدلاً من الحب الفردي والخاص . الثالث _ إيمانه بالكفاح المسلح ضد الاحتلال البريطاني ، وهذا كان سبب خلافه مع الزعيم الروحي الهندي غاندي الذي اعتمد على الزهد وبساطة العيش ، وقد اعتبر طاغور هذا الأمر تسطيحًا لقضية المقاومة .

من أبرز أعماله الأدبية : قربان الأغاني (١٩١٢) ، ملك الغرفة المظلمة (١٩١٤) ، الأحجار الجائعة (١٩١٦) ، دورة الربيع (١٩١٩) ، الهارب (١٩٢١) .

والفد والدو إمرسون وفلسفة التعالي

وُلد الفيلسوف والأديب رالف والدو إمرسون (١٨٠٣_١٨٨٢) في بوسطن في شمال شرقي الولايات المتحدة . دخل جامعة هارفارد في سن مبكرة. ومع أنه لم يتفوق ، ولم يجد متعة في المواد الدراسية ، إلا أنه برز في كتاباته ، ووجد مُتعة في الآداب واللغات . كان منطويًا على نفسه، قليل الكلام ، كثير التأمل ، واسع القراءة ، مُمضيًا معظم وقته في التفكير في القضايا الإنسانية والفلسفية والروحية ، وفي بلورة موقفه إزاءها . عمل بعد تخرُّجه في التعليم، إلا أن المهنة لم ترق له، فتركها وعاد إلى الجامعة لدراسة اللاهوت. وفي هذا الوقت بدأ بإلقاء المواعظ في الكنائس، ثم أصيب بمرض في عينيه وبالسُّل، فتغيَّب عن الدراسة بعض الوقت ، وعانى من مخاوف نفسية سببها المرض . نبغ إمرسون في مواعظه الدينية ، ونال إعجاب الكثيرين، وإن لم يفهم مواعظه الكثير من الحضور، إلا أن الجميع أجمعوا على أسلوبها الرفيع . وكان يعتقد أن المسيحية الحقة تعتمد على التأمل والغوص في أعماق الذات والاتصال بالروح ، وليس على الأفعال الجسدية والشعائر . وقد حصل بينه وبين المشرفين على كنيسة الموحِّدين التي فضَّلها على غيرها مُشادَّة حول هذا الموضوع أدَّت إلى استقالته منها عام ١٨٣٢ تمسُّكًا برأيه. سافر إمرسون في السنة ذاتها إلى أوروبا، حيث التقى الشاعرَيْن الإنجليزيين وردزورث وكولردج ، واطَّلَعَ على إنتاجهما . كما قابل توماس كارلايل ، وأقام معه صداقة حميمة دامت طوال حياته . استقر في بلدة كونكورد لدى عودته إلى أمريكا في العام التالي ، وانكبَّ على إلقاء المحاضرات والكتابة لكسب العيش . كان إمرسون من مؤسِّسي حركة فلسفة التعالي التي قال بها الفيلسوف الألماني كانت . وقد جاءت هذه الفلسفة ردًّا على عقلانية القرن الثامن عشر وماديته ، فأشرف على تحرير مجلَّتها "الاتصال" لمدة عامين . ناصرَ حقوق المرأة ، وناذى بتحرير السُّود من العبودية، كما عارض الحرب التي شنتها أمريكا ضد المكسيك ، إذ عَدَّها شكلاً من أشكال الاستعمار . كتب إمرسون الشُّعر والنثر قبل دخوله الجامعة وأثناء دراسته، وحاكى في معظم هذا الإنتاج النماذج التي كان يطلُّع عليها ويُعجَّب بها. أمَّا إنتاجه الجاد فقد بدأ بعد تخرُّجه، فكتب المواعظ والمحاضرات التي كان يُلقِيها ، والتي ألَّفت النواة الفكرية والفلسفية لمعظم كتاباته اللاحقة . وتعدُّ محاضراته " رجل العلم الأمريكي " (١٨٣٧) من أهم ما قدَّمه. وقد نادى فيها باستقلال أمريكا الفكري ، وباعتمادها على نفسها في

بَلُورَة ثقافة خاصة بها . أمّا أكثر مُحاضراته إثارة للجدل بين معاصريه فهي " خطاب " ، التي ألقاها في عام ١٨٣٨ في خَرِيْجي قسم اللاهوت في الجامعة، وأعلن فيها حربه على ما أسماه بالمسيحية التاريخية ، التي وصفها بأنها ديانة رجعية تُعنى بالطقوس والقُشور ، وتضع وسيطاً بين المخلوق والخالق ، مُؤكِّداً على ضرورة نبذها ، والاستعاضة عنها بتصور يقوم على احترام أكبر للنفس البشرية وقدراتها ، وعلى إيجاد علاقة مباشرة ما بين النفس البشرية والذات الإلهية .

كان أول ما نُشر من مؤلفاته مقاله المطوّل " الطبيعة " (١٨٣٦) الذي يُعدُّ عُصارة فكره ودستوراً لحركة التعالي . ظهرت له بعد ذلك سلسلة " مقالات " ، المجموعة الأولى عام ١٨٤١ ، والثانية عام ١٨٤٤ . قدّم فيهما شرحاً مُفصّلاً لتلك الآراء التي وردت في " الطبيعة " .

وفي عام ١٨٥٠ ، أصدرَ مقالات " رجال نموذجيون " . قدّم فيها مجموعة من عُظماء الأدب والفلسفة أمثال أفلاطون ، وشكسبير . ومن أهم فصول هذا العمل الفصل الخاص بالفيلسوف الفرنسي مونتيني الذي يُعدُّ أحد المفاتيح الأساسية لفكر إمرسون نفسه . وانتهى من كتابه " السمات الإنجليزية " (١٨٥٦) ، و " مسيرة الحياة " (١٨٦٠) الذي يتضمن أشهر مقالاته " القدر " ، التي تُمثّل فكر إمرسون وأسلوبه في مرحلة النضوج .

بدأ حديثاً التركيز على جانب كان مُهملاً من أعمال إمرسون هو شعره ومذكراته . وكان النُّقاد يَرَوْنَ شعره أقل جُودة من نثره ، إلا أنه كان في الواقع شاعراً حتى في مؤلفاته النثرية ، وإن لمقالاته من الخصائص الأسلوبية ، كالصور والتشبيهات ، والسلاسة التعبيرية والعدوية في الإيقاع والنغم ما يجعل لها في نفس القارئ تأثيراً كئاثراً . ويرى كثير من النُّقاد أن الشعر الأمريكي الحديث بدأ في الواقع عند إمرسون ، وليس عند ويطمان ، كما يظن الكثيرون . وكان ديوانه الأول " قصائد " قد ظهر في عام ١٨٤٧ . أمّا مُذكراته فتسرد بالتفصيل الأحداث المهمة في حياته وقراءاته وتأملاته وانطباعاته التي منها ستنبثق معظم نصوصه الأخرى .

عاش إمرسون في زمن طغت فيه الاهتمامات المادية والتوجهات العلمانية على المسائل الروحية ، وكان ذلك رد فعل إزاء تشدُّد الحركات الروحانية في القرن السابع عشر . لذا فقد اهتمَّ إمرسون بتشخيص الداء الذي شكى منه عصره وبوصف الدواء ، فوجد أن الداء يكمن في ابتعاد الإنسان عن ذاته الحقّة ، التي هي الروح ، وإهماله لها وسَعْيِهِ وراء شهواته الجسدية وحاجاته المادية ، وأمّا الدواء فيتمثل في ترك تلك الشهوات والتخفيف من هيمنة الجسد والإكثار من الزهد والتأمل .

راينر ريلكه وزمن العُزلة

وُلد الشاعر النمساوي راينر ريلكه (١٨٧٥ - ١٩٢٦) في مدينة براغ ، وتُوفّي في فالمون بالقرب من مونترو في سويسرا . يُعدُّ أحد أهم شعراء اللغة الألمانية في القرن العشرين . ومع أنه يحمل الجنسية النمساوية ، لم يشعر بالانتماء إلى موطن مُحدّد ، بل إلى أوروبا والعالم .

كان والده ضابطاً في الجيش النمساوي، وكذلك عمُّه الذي منحه القيصر لقب فارس ، فصار مع ذريته من النبلاء . أمّا والده فقد اضطرَّ - بسبب المرض - إلى التخلي عن المستقبل الواعد ، والقبول بوظيفة عادية في دائرة السكك الحديدية ، ممّا أدى إلى فشل حياته الزوجية . وقد كانت والدة ريلكه من عائلة شديدة الثراء ، ومُقرّة من البلاط القيصري .

نزولاً عند رغبة عائلته، دخل ريلكه معهد التربية العسكرية ، وتعلّم فيه خلال الفترة (١٨٨٦ - ١٨٩١) ، ثم انتقل لمدة سنتين إلى المعهد التجاري ، وبدأ إثر ذلك بتلقّي دروس خصوصية ، تحضيراً للشهادة الثانوية التي درس بعدها - بناءً على رغبته - تاريخ الفن والأدب والقانون في براغ ثم ميونخ ثم برلين ، حيث تعرّف على عدد كبير من الأدباء والفنانين .

تُعتبر حياة الشاعر ريلكه وأعماله مثلاً جليّاً على إقصاء الفنان ، في حقبة اتّسمت بتوالي الأزمات الاقتصادية ، والنمو الرأسمالي ، والتوسع الاستعماري . وبالتالي ، فإن أعماله الشعرية والنثرية ورسائله ، جاءت تعبيراً عن إحساسه الحياتي العميق بالاغتراب ، وانكفاء الفكر والحياة الروحية ، وانعزالها عن العالم الخارجي . ممّا ولّد حالة من الحساسية المفرطة التي أنتجت بدورها انطوائية صعبة . وجاء هذا التعبير في لغة يتغلغل جمالها في نفس القارئ ، مع إتقان فني تجديدي رفيع المستوى ، جعل أعماله خالدة مثل نتاج كبار الشعراء عبر التاريخ .

إن ريلكه - الذي جعل من وجوده مادةً شعرية - لم يُتابع تقاليد الحركة الرومانسية الإبداعية فحسب ، بل وضع نفسه عن وعي وقصد في حالة تعارض مع سوق النشر والابتدال البرجوازي ، وفي مواجهة مكننة الحياة وتشبيها وتصغيرها ، وضد اغتصاب الموجودات واستغلالها بالأساليب الحديثة حينذاك . وكذلك ضد العدوانية ، وتبلّد الإحساس ، والخواء الفكري .

كان يميل إلى تكريس عُزلة الذات، ورفض السلطات الاجتماعية ، وكان يهرب من مواجهتها نحو أعماق الذات الآمنة . وقد بدأ حياته الأدبية في ميدان الشعر متأثراً بـ " الأسلوب الشاب " الذي ساد أوروبا فنيّاً أواخر القرن التاسع عشر ، وكانت قصائده تدل على حساسيته تجاه

الإيقاعات الحسية في اللغة . وفي ديوانه " كتاب الساعات " (١٩٠٥) ، يتناول الشاعر تجربته في روسيا وانطباعاته المبكرة عن باريس . ويهيمن على قصائده الشعور بوحدة الوجود الذي يربط الذات بالعالم والإله ، كما تُعبّر هذه القصائد في الوقت نفسه عن وعي ريلكه الحاد بالدمار القادم للعالم ، وسيادة الانعزالية والخواء . وقد تحققت مخاوفه الرؤيوية هذه باندلاع الحرب العالمية الأولى . ومع ذلك ، بقي لديه بصيص أمل ببقية التآخي بين البشر .

أما الكتاب الذي أوصل الشاعر إلى الشهرة في أوساط الجيل البرجوازي الشاب ، فهو مجموعة القصائد النثرية " طريقة حب وموت كورنت كريستوف ريلكه " (١٩٠٦) ، التي يسرد فيها _ استناداً إلى جذر تاريخي يعود إلى مطلع القرن السابع عشر _ قصة الفارس الذي وجد الحب والموت معاً ، في أثناء حملة ضد العثمانيين . وعبر القصائد النثرية الست والعشرين ، يظهر الحب والموت في مختلف تجلياتهما ، إلا أن موضوع الموت يبقى مُهيمنًا . ويرى النقاد أن هذا العمل ينتمي إلى النثر الشعري أكثر منه إلى السرد الملحمي ، وذلك لغلبة التأملات الذاتية فيه ، والاشتغال المكثف على اللغة . وقد زعم الشاعر في غير مناسبة ، أنه ينحدر من نسل ذلك الفارس. إن ديواني " قصائد جديدة " (١٩٠٧) ، و " الجزء الثاني للقصائد الجديدة " (١٩٠٨) يُوثّقان مرحلة التحول الفني الجذري لدى ريلكه ، من الذات إلى الموضوع ، الذي سيصير محور اهتمام القصيدة بدلاً من الإنسان وإحساساته . وهنا ، تراجع الذاتية الشعرية لصالح الرؤية الموضوعية الشئئية للواقع .

كتب ريلكه رواية وحيدة ، احتلت مكانة بارزة في سياق تطور فن الرواية في القرن العشرين ، وهي " يوميات مالتيه لاوريد بريغه " (١٩١٠) ، التي تسرد بأسلوب المذكرات ، تجارب وتأملات شاعر دنماركي في الثامنة والعشرين من عمره في باريس . وعبرها تتسرّب تطورات ريلكه نفسه منذ نشأته في براغ إلى تجارب رحلاته إلى روسيا وإسكندنافيا، ولا سيما علاقته بالمدينة الهائلة باريس ، بلحظاتها المفزعة والكريهة التي استنزفت الكثير من طاقته حتى تغلّب عليها . ولا تخضع أحداث الرواية للتتابع الزمني المعهود ، بل إلى التداعي الحر والمتداخل للذكريات والمشاهدات .

والجدير بالذكر أن ريلكه يُسمّى " الشاعر الذي قَتَلَتْهُ وردة " . ففي أحد صباحات تشرين الأول من العام ١٩٢٦ ، خرج ريلكه إلى حديقة مقرّه السويسري كي يقطف _ كعادته _ بعض ورودها . لم يكتفِ عندما جَرَحَتْ يَدَهُ إحدى الأشواك ، ولم يخف حين ظهرت لديه في المرحلة نفسها بؤادر اللوكيميا (سرطان الدم) . استسلم بعد أقل من شهرين ، ووافته المنية .

رفائيل ألبرتي والجمع بين الرسم والشعر

وُلد الشاعر الإسباني رفائيل ألبرتي (١٩٠٢ _ ١٩٩٩) في بويرتو دي سانتا ماريا قرب قادش . كانت عائلته من أصل إيطالي تحترف صناعة النبيذ في قادش . وكان يعيش طفولته بشكل حُر حتى تَمَّ قبوله في الكلية اليسوعية سان لويس غونزاغا ، حيث تلقى تربية صارمة وتقليدية . بدأ جو الانضباط يتعارض مع روح الشاب المتحررة ، وهذا أدى إلى ضعف أدائه الأكاديمي ، فتم طرده في عام ١٩١٦ بسبب سوء السلوك . ولم يتجاوز السنة الرابعة من المدرسة الثانوية . في عام ١٩١٧ ، انتقل إلى مدريد مع عائلته ، وقرَّر متابعة مهنته كرسَّام ، وبرهنَ بأعماله عن قدرة كبيرة على التقاط الجمالية الطبيعية . واستطاعَ عرض أعماله في أتنيو دي مدريد . وفي عام ١٩٢٠ ، تُوفِّي والده . وقد كتب أمام جُثته الممدَّدة أبياته الأولى . يُعدُّ ألبرتي من أشهر الشعراء السرياليين في إسبانيا وأكثرهم إنتاجًا . وكان الشعر عنده تعبيرًا عن المشاعر الإنسانية التي تجمع السعادة والألم، والهناء والعذاب، والسخط والإعجاب . تأثر ألبرتي بالشعراء الغنائيين في القرن الخامس عشر، وحذا حذو الشعراء الذين اختاروا الشعر الشعبي . وكان يهدف إلى رفع الأدب الإسباني إلى مصاف الآداب العالمية . وقد جمع بين هوائيتي الرِّسم والشَّعر، فجاءت لوحاته شعرية وقصائده تصويرية ، واتَّسمت كتاباته بالأصالة والعفوية والصدق .

توجَّه ألبرتي في الخامسة عشرة من عُمره إلى مدريد ، وانكبَّ على التصوير باحثًا عن أستاذ له في متحف برادو . وتلقى مبادئ الشعر والموسيقى العصرية عن زُواها .

واكبَ شعره تجربته الشخصية ، وكان لنشأته بين اليسوعيين وتأثره بالكاثوليكية أثر في كتابه " الرجل الذي لا تسكنه الأرواح " . وحازت قصائده الأولى التي تناولت قصة حياته في " بحار على اليابسة " (١٩٢٥) على الجائزة الوطنية للآداب . وأصبح شخصية بارزة في الشعر الغنائي الإسباني . أمَّا كتابه " فجر المنتور " (١٩٢٨) فكان مثالاً للشعر الشعبي التقليدي .

أراد ألبرتي أن ينهض بالشعر مقتدياً بأستاذه غونغورا فكتب "الجير الحي" (١٩٢٦_١٩٢٧) . وفي كتابه " مواعظ " (١٩٢٩ _ ١٩٣٠) تحدَّى مجتمعه الذي رأى فيه مصدرًا للشر .

انتهت أزمته النفسية بزواجه والتزامه السياسي الكامل ، إذ تفرَّغَ لأدب النضال . وأحيا عند اندلاع الحرب الأهلية في عام ١٩٣٦ ، الأنشودة التقليدية التي تجمع بين السرد الملحمي

البطولي والكتابة المساوية والنشيد الحماسي . وخلال فترة الحرب الأهلية ، كان ألبرتي عضوًا في تحالف المثقفين لمناهضة الفاشية . وبالنسبة إليه ، أصبح الشعر السلاح اللازم لهز الضمائر ووسيلة لتغيير العالم . اشترك ألبرتي مع الجمهوريين في الحرب الأهلية الإسبانية، وهرب إلى فرنسا بعد الحرب. ساعده صديقه الشاعر بابلو نيرودا على الذهاب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، فالأرجنتين حيث استقر .

كتب مجموعته الشعرية " بين القرنفل والسيف " (١٩٤١) ، وظلّت ذكرى وطنه تلازمه . عاش ألبرتي من لوحاته، في حين كان الشعر هوايته المحببة إلى نفسه كما تشهد مجموعته " أناشيد وأغانٍ على الشاطئ " (١٩٥٤) ، وبقي شعره حتى عام ١٩٣٠ تعبيرًا عن الذات ، إذ إن موضوع إسبانيا في ظل حكم بريمو دي ريبيرا لم يستهوه . وكان الأدباء في ذاك العصر يجابهون المشكلات السياسية والاجتماعية بحدّة ، إضافة إلى خضوعهم لرقابة صارمة .

وقف ألبرتي أعماله خلال الفترة (١٩٣٠ - ١٩٣١) على خدمة قضية الطبقة الكادحة ، فانضمّ إلى الحزب الشيوعي ، ومثّلت كتاباته المسرحية صراعه مع قوى الشر ، ومع مجتمع الآلة العدائي الطبقي . وقد عرّف ألبرتي أعماله بأنها تمثيلية دينية لا تحوي أسرارًا، فيها تصرخ الشخصية المسرحية حاقدة على حياتها ، مُنكرة حرية الإرادة والاختيار لدى الإنسان .

وعالج الشاعر موضوع ثورة الإنسان على القوى العمياء ، التي تفرضها القيم السياسية والاجتماعية والأخلاقية والدينية مُعرقلة تكامل شخصيته ، وخُلصَ إلى أن البشرية تعيش مأزقًا ، وأن الماركسية هي المخرج .

نال ألبرتي جائزة لينين الدولية عام ١٩٦٥ ، والميدالية الذهبية للسلام من الاتحاد السوفيتي السابق عام ١٩٨٣ ، وجائزة ثيربانتس عام ١٩٨٣ .

بعد وفاة الجنرال فرانكو عام ١٩٧٥ ، وإصدار الملك خوان كارلوس عفواً عاماً عن السياسيين عام ١٩٧٧ ، عاد ألبرتي إلى بلده، ثم انزوى في بلدته بويرتو دي سانتا ماريا الساحلية، حيث تُوفّي فيها عام ١٩٩٩ .

روبرت ساوذي وانطفاء الشمعة

وُلد الشاعر الإنجليزي روبرت ساوذي (١٧٧٤ _ ١٨٤٣) في بريستول . وكان ابنًا لتاجر أثواب وأقمشة . ومن بين هذه البيئة التجارية ، كانت خالته غالبًا ما تدفعه إلى التهذب بسلوكيات المجتمع الأرستقراطي . وتمَّ إرساله في الرابعة عشرة من عُمره إلى مدرسة وستمنستر الراقية في لندن ، وفيها قرأ سرًّا أعمال فولتير وروسو وجييون وغوته . كما كتب بعض الشعر الملحمي وقطعًا نظرية ثورية . وأثارت مهاجمته للعقاب البدني في مجلة مدرسية بعنوان " الضارب بالسياط " مدير المدرسة ، ففصله من المدرسة وهو على وشك التخرج ، لكن ساوذي استطاع بطريقة أو أخرى أن يتقدم إلى كلية باليول في أكسفورد في ديسمبر سنة ١٧٩٢ . وهناك واصل أعماله السَّرية ، فكتب ملحمةً شعرية امتدَّح فيها الثورة الفرنسية ، واشتغل بالدراما الشعرية .

سافر ساوذي إلى إسبانيا والبرتغال ، ثم عاد إلى إنجلترا عام ١٧٩٦ ، فدرس القانون ، ووجد عملاً كصحفي ، وكان لديه الوقت الكافي لكتابة ملاحم لم يُكتب لها الخلود ، بالإضافة إلى بعض القصائد القصصية البسيطة مثل " معركة بلنهايم " (١٨٠٣) . وأقامَ في جريتاهول في كزويك ، مُستعينًا بإعانة مالية قوامها ١٦٠ جنيهًا إسترلينيًا .

وفي هذه الأثناء _ في كُلِّ من جريتاهول ولندن _ كان ساوذي يعول زوجته إديث وبناته الخمس وابنه ، الذي أحبه حُبًّا يفوق الوصف ، والذي وافته المنيَّة وهو في العاشرة من عُمره . كان ساوذي يُنفق على كُلِّ هؤلاء من حِصاد كتاباته المتقنة . وبعد انتقال كولردج إلى مالطة تولى ساوذي رعاية أولاد كولردج وزوجته . وحتى وردزورث كان أحيانًا يعتمد عليه .

إن حرص ساوذي على إرضاء ذوي المال والسلطة جعل بايرون يشنُّ عليه حربًا علنية في عام ١٨١٨ ، وتمَّت القطيعة الكاملة مع الجميع عندما استطاعت مجموعة من الأشخاص الحصول على مخطوطة مسرحية " وات تيلور " ، وهي دراما راديكالية كان ساوذي قد كتبها في عام ١٧٩٤ ، وتركها مخطوطةً لم يطبعها ، وقاموا بنشرها _ سعداء بما فعلوا _ في عام ١٨١٧ .

عاد ساوذي إلى جريتاهول ومكتبته وزوجته التي كانت قد اقتربت من الجنون أكثر من مرة ، وفي عام ١٨٣٤ ، فقدت عقلها تمامًا وماتت في عام ١٨٣٧ . أمَّا ساوذي نفسه فقد تخلَّى عن معركته مع المناوئين له في عام ١٨٣٤ ، ومن ثمَّ جعل وردزورث أميرًا للشعراء رغم معارضته هو نفسه (أي وردزورث) ، وقد حظي هذا التعيين بموافقة عالمية .

كا ساوذي واحدًا من " شعراء البحيرة " ، وأمير الشعراء لثلاثين عامًا (١٨١٣ _ ١٨٤٣) .
ورغم أن شهرته قد خبت منذ زمن بعيد بسبب شهرة مُعاصريه وأصدقائه وردزورث وكولردج ، إلا
أن أشعار ساوذي ما زالت تحظى بِقُدْر من الشعبية .

وساوذي هو أيضًا كاتب رسائل جَزَل ، وباحث في الأدب ، وكاتب مقالة ، ومؤرّخ ، وكاتب
سِير ذاتية . والتراجم التي كتبها تتضمّن حياة وعمل كل من جون بونيان ، وجون ويزلي ، ووليام
كاوبر ، وأوليفر كرومويل ، وهوريشيو نيلسون (وهو نائب أدميرال إنجليزي . اشتهر بمشاركته
بمعركة النيل ومعركة طرف الغار . ويُعد أحد أبرز القادة العسكريين في تاريخ المعارك ، وفقد
إحدى عينيه في معركة النيل) . وقد لاقت ترجمة هوريشيو نيلسون نجاحًا كبيرًا ، فنادرًا ما تَمَّ
إيقاف طباعتها مُنذ نشرها في عام ١٨١٣ ، وتَمَّ اقتباسها لعمل الفيلم البريطاني " نيلسون " عام
١٩٢٦ .

لقد كانَ ساوذي باحثًا معروفًا في الأدب البرتغالي ، والأدب الإسباني ، والتاريخ ، وقد ترجم
العديد من الأعمال من اللغتين البرتغالية والإسبانية إلى الإنجليزية . وألّف كتابًا بعنوان " تاريخ
البرازيل " ، وآخر بعنوان " حرب شبه الجزيرة الأيبيرية " .
وأكثر أعماله الأدبية شهرةً وانتشارًا هي قصة " الدببة الثلاثة " للأطفال . والتي نُشرت بدايةً
في مجموعته القصصية " الطبيب " .

روبرت ستيفنسون وجزيرة الكنز

وُلد الأديب الأسكتلندي روبرت ستيفنسون (١٨٥٠-١٨٩٤) في إدنبرة، عاصمة أسكتلندا. درس الهندسة، وهي مهنة أبيه، في جامعة إدنبرة، لكنه لم يكن مُهتَمًا بالموضوع. وفي عام ١٨٧١ غيّر دراسته إلى القانون. وتخرّج في الجامعة عام ١٨٧٥، ولكن صيته ككاتب موهوب ومحبوب غلب على مهنته.

يُعتبر ستيفنسون من أعظم الأدباء الإنجليز في أواخر القرن التاسع عشر، وهو رومانسي المذهب. وكان شاعرًا، وكاتب رحلات، ومقالات، ومؤلف للعديد من روايات المغامرات المحبوبة لدى قُرّاء الأدب في معظم أنحاء العالم.

عانى من صحة ضعيفة طيلة حياته، بسبب إصابته بمرض السُّل، لكنه عاش حياة سفر ومغامرة. وبعد الجامعة، زار فرنسا وبلجيكا والولايات المتحدة وكتب عن هذه الرحلات. وقع في حب امرأة أمريكية، وتزوَّجا بعد أن انتهى زواجهما الأول. عادا إلى أسكتلندا ثمّ ذهبا إلى سويسرا. في عام ١٨٨٨، أبحرا إلى جزر المحيط الهادي. وخطَّطا لرحلة قصيرة، لكن ستيفنسون لم يعد إلى أوروبا. اشترى منزلاً في جزيرة (ساموا) من أجل صحته، وصارت وطنه الدائم، وعاش هناك مع عائلته حتى موته الفجائي. ودُفِن جُثمانه في قمة جبل "فيا" في هذه الجزيرة أيضًا.

كان زواجه بداية لأعظم فترة إنتاجية في حياته، فقد نشر بعد زواجه مُعظم إنتاجه الذي حقّق له شهرة واسعة في إنجلترا وأمريكا على السواء، فكتب إلى جانب قصائده الشعرية وكتب الرحلات مجموعة من الروايات والقصص التي تُعدّ من كلاسيكيات أدب الأطفال واليافعين، لذلك عدّه النُّقاد مُبتكر الكتابة لهما، دون أن يتعد عن عالم الكبار، فكتب: الدكتور جيكل ومستر هايد وجيم هوكنز وحديقة أشعار الطفل عام ١٨٨٥. والمخطوف عام ١٨٨٦، والسهم الأسود عام ١٨٨٨، وكاتريون عام ١٨٩٣.

وبسبب اعتلال صحته، فإنه كان مُضطرًا دائمًا للقيام برحلات إلى بعض المناطق والبلاد الأخرى الأكثر دفئًا، كي يُخفّف من أثر نوبات مَرَضه، فذهب في أول رحلة إلى فرنسا في سبتمبر عام ١٨٧٣، فكانت بداية لكتابة أدب الرحلات، إذ ألّف في ذلك "رحلة داخلية" (١٨٧٨)، و"سفرات مع حمار" (١٨٧٩)، و"دراسات طريفة عن الكتب والرجال" (١٨٨٢). ورحلاته تُعدّ أنموذجًا لأسلوبه الجذاب السّلس.

أصبح ستيفنسون مشهورًا حين كتب " جزيرة الكنز " ، أول عمل قصصي طويل له . وهي رواية مغامرات ، تروي قصة " قراصنة وذهب مدفون " . وقد نُشرت في كتاب أول مرة عام ١٨٨٣ ، غير أنها كانت تُنشر في الأصل على هيئة حلقات في مجلة الأطفال " الفتيان الصغار " خلال الفترة (١٨٨٠ - ١٨٨٢) .

أتت فكرة " جزيرة الكنز " من لعبة لعبها الكاتب مع الصغير لويد أوزبورن ابن زوجته . وتُعتبر أعظم روايات ستيفنسون على الإطلاق . وقد استوحى أحداثها من حكاية كنز مدفون ، رسم أول خيالاتها في ذهنه ، وهو يُخطِّط لجزيرة خيالية لِيُسَلِّي بها ابن زوجته في يوم عطلة .

وحين صدرت روايته ، وكان ينشرها على حلقات ، أسماها في البدء " طاهي البحر " ، فلم تُقابل بما كان يُؤمل أن تنال من نجاح ، فأعاد طبعها بعد أن استبدل اسمها بـ " جزيرة الكنز " . وفي حين كانت تُنشر في مجلة أطفال من قُبل ، صارت بعد ذلك مجلدًا تامًا .

وأحداث الرواية تُروى على لسان الصبي " جيم هوكنز " الذي كان يعيش مع أمّه في منزل صغير عُرف باسم " أمير البحر بنبو " بالقرب من البحر . وفي يوم يدخل النزل قبطان سفينة قديم يدعى " بيلي بونز " ليقيم فيه عدة أيام . وقد كان هذا القبطان يمتلك خريطة سرّية لجزيرة نائية أودع فيها الكابتن " فلنت " الرهيب كنزَه .

تتوالى الأحداث ، ويموت القبطان " بونز " ، وتقع الخريطة بيد " جيم " الذي يُسلّمها بدوره إلى الطبيب " ليفزي " ، فيجمع هذا الأخير كوكبة من الرجال ويركبون متن سفينة في رحلة طويلة بحثًا عن الكنز ، وكانوا اختاروا طاقم بحّارة للسفينة قبل إقلاعهم ، ولكن لسوء حظهم فقد كان معظم البحارة قراصنة غدارين ، كان هدفهم من الرحلة الاحتفاظ بالكنز ، ولذلك يجد " جيم " ، والطبيب و السيّد " ترلاوني " المالك أنفسهم مُحاطين بشرذمة من القتلّة، وهم في غرض البحر . إن أحداث الرواية الشّيقة تتركز على أربعة أسس : ١ - جزيرة نائية . ٢ - كنز مدفون .

٣ - سفينة في غرض البحر . ٤ - رجال يتربّصون ببعضهم الدوائر .

روبرت فروست وسحر الطبيعة

وُلد الشاعر الأمريكي روبرت فروست (١٨٧٤ - ١٩٦٣) في مدينة سان فرانسيسكو .
تُوِّف والده الذي كان يعمل صحفياً من مرض السُّل ، وهو في الحادية عشرة من العمر ، وبعدها
انتقلت عائلته إلى لورانس في ولاية ماساتشوستس .

بدأ فروست دراسته في معهد درت موت عام ١٨٩٢ ، لكنه ترك الدراسة فيه قبل أن يُكَمِّل
الفصل الأول ، وعاد إلى ماساتشوستس ، وهناك عمل في التدريس وبعض الأعمال المؤقتة
الأخرى . في عام ١٨٩٤ باع فروست منظومته الشعرية الأولى " فراشتي " لأسبوعية في نيويورك
مقابل خمسة عشر دولاراً . وبعد هذا النجاح طلب يد صديقه ألبينور مريام للزواج ، لكنها رفضت
بسبب رغبتها في إكمال دراستها . بعدها سافر فروست مُحَبَّطاً إلى النهر الكبير في فرجينيا ، لكنه
لم يلبث أن عاد وتزوَّج صديقه التي كانت سندا له طيلة حياتهما معاً ، وأنجب منها ستة أولاد ،
أربعة منهم ماتوا خلال حياته . عمل فروست وزوجته في التدريس حتى عام ١٨٩٧ . بعد ذلك بدأ
فروست دراسته في جامعة هارفارد ، إلا أنه ترك الدراسة فيها بعد عامين ، وبعد أن وُلد له الولد
الثاني ، لأنه رأى أن الجامعة تحدُّ من أفقه . اشترى له جدُّه مزرعة في ولاية نيوهامبشير ، وهناك
مكث فروست تسعة أعوام من حياته لم يُحَقِّق خلالها نجاحاً في العمل الزراعي ، لكنه كتب خلال
تلك الفترة أشعار كثيرة أصبحت مشهورة .

تتميَّز أشعار فروست بالأسلوب البسيط والمباشر والسُّلِس ، وقد قيل إنه حوَّل لغة البسطاء
إلى شعر ، وهو يُكثِّر من وصف مناظر منطقة نيوانجلند التي قضى فيها أغلب فترات حياته .
معظم أشعاره موزونة على هيئة منظومات غنائية ، إذ إن فروست سَخِرَ من أسلوب الشعر
الحر ، الذي مارسه الكثير من أبناء جيله من الشعراء الأمريكيين . ويُعرَف فروست بأسلوبه البسيط
والمباشر ، وبأوصافه المثيرة للمشاعر لمناظر نيوانجلند شمال شرق الولايات المتحدة .
يُعتَبَر فروست في نظر الكثيرين كواحد من أهم شعراء اللغة الإنجليزية . وقد فازَ خلال حياته
بأربع جوائز بوليتزر . كما شارك في مراسم تنصيب الرئيس جون كينيدي .

كتب فروست الشعر بدءاً من عام ١٨٩٠ ، ولكن لم يَتَيَسَّر له أن ينشر إلا عدداً قليلاً من
قصائده . وبالحاح من زوجته رحل إلى إنجلترا عام ١٩١٢ ، حيث كانت بوادر الشعر الحديث قد
بدأت بالظهور . وكان جيرانه هناك أعلام الشعر الإنجليزي .

في أثناء إقامته في إنجلترا ، نشر فروست ديوانه الأول " إرادة صبي " (١٩١٣) ، ثم ديوانه الثاني " شمال بوسطن " (١٩١٤) ، اللذين لقيًا نجاحًا باهرًا . وأُعيدت طباعتهما في الولايات المتحدة، التي عاد إليها الشاعر عام ١٩١٥ ، بعد نشوب الحرب العالمية الأولى في أوروبا ليستقر في مزرعته في نيوهامبشر، وصار الشاعر المقيم في كلية أمهرست . وتنازلت دواوينه في الظهور ، فكان ديوان "استراحة على الجبل" (١٩١٦) و"قصائد مختارة" (١٩٢٣) ، و " نيوهامبشر " (١٩٢٣) .

ونشر فروست في الفترة (١٩٤٢ _ ١٩٤٧) عددًا من المجموعات الأخرى ، حصل عن أولها " الشجرة الشاهدة " (١٩٤٣) على جائزة بوليتزر للمرة الرابعة . وقد تضمّنت هذه الدواوين كلها خلاصة خبرته وفكره وتأملاته حول كُنه الوجود ، وعبرَ فيها عن السكينة ، وأهمية رؤية الوجود بشكل واضح .

ومع تمكن فروست من الأدب الكلاسيكي، الشعري منه خاصة، فقد اعتمد لغة الحديث اليومية مُهذَّبًا إيّاها، ومُتناوَلًا موضوعات تمسُّ حياة الإنسان العادي كما في قصيدة " دفن منزلي "، والتي تتحدّث عن بعض ما يتعرّض له الشاعر من مآسٍ في حياته ، من مرض أفراد عائلته ، ثم موتهم الواحد تلو الآخر . وقصيدة " الجدول المنساب نحو الغرب " التي عبّر فيها عن رؤية للوجود قد يشوبها بعض الأسى ، إلا أنها لم تكن يومًا متشائمة، وعبرَ فيها أيضًا عن حب فائق للطبيعة بشعر وصفي مليء بالإحساس ، إلا أنه في الوقت ذاته تأمّلي يبحث في الوضع الإنساني . كان فروست من الشعراء الانتقاليين الذين توسّطوا بين القديم والحديث . لم يلحق بركب الحداثة كما فعل باوند وإليوت ، ومع ذلك فقد كان من أبرز المجددين في الشعر الأمريكي . وعند وفاته في بوسطن كان الشاعر الأرفع مكانةً ، وقارئ الشعر الأكثر جمهورًا في هارفارد ، وفي كبريات الجامعات الأمريكية الأخرى .

روجيه غارودي وفتح السياسة الصهيونية

وُلد الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي (١٩١٣ _ ٢٠١٢) بمدينة مرسيليا الفرنسية لأب ملحد ، وأم كاثوليكية . واعتنق البروتستانتية وهو في الرابعة عشرة من العمر . حصل بسبب تفوقه على منحة الدولة في جميع مراحل التعليم، ودرس في كل من جامعة مرسيليا وجامعة " إيكس أون بروفانس "، ونال درجة الدكتوراة عن النظرية المادية في المعرفة، من جامعة السوربون بباريس عام ١٩٥٣ ، ودكتوراة ثانية من جامعة موسكو عام ١٩٥٤ . عاش تجارب فكرية مختلفة، فقد رثته والدته على المسيحية الكاثوليكية في الوقت الذي كان فيه أبوه ملحدًا. تبنّى الفكر الشيوعي، وأصبح واحدًا من رموزه داخل الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي التحق به وهو في العشرين من عمره، وظلّ فيه حتى طُرِد منه عام ١٩٧٠ لانتقاده اللاذع للغزوالسوفييتي لتشيكوسلوفاكيا(١٩٦٨). انتقل بعدها للجهة الأخرى، وأعلن إسلامه عام ١٩٨٢ . صار واحدًا من دُعاة حوار الأديان ووحدتها مع إيمانه بأن الإسلام هو دين المستقبل، وهو عنوان كتاب له قال فيه: ((أظهر الإسلام شمولية كبرى في استيعابه لسائر الشعوب ذات الديانات المختلفة، فقد كان أكثر الأديان شمولية في استقباله للناس الذين يؤمنون بالتوحيد، وكان في قبوله لأتباع هذه الديانات في داره منفتحًا على ثقافتهم وحضاراتهم)) . عُيّن غارودي عام ١٩٣٧ أستاذًا للفلسفة، وزاوج بين مهنة التدريس والبحث العلمي ، بعدما أسس المعهد الدولي للحوار بين الحضارات في باريس . شارك في حركة المقاومة ضد النازيين في فرنسا بداية أربعينيات القرن العشرين ، فاعتقلته حكومة فيشي الموالية للنازيين، ونُقل إلى مدينة الجلفة جنوب الجزائر في الفترة (١٩٤٠_١٩٤٢). انتُخب عام ١٩٤٥ نائبًا في البرلمان الفرنسي، ونال عضوية مجلس الشيوخ (١٩٤٦_١٩٦٠) . حيث ترأس اللجنة الثقافية الوطنية، وتوجّه في الستينيات إلى عالم الأديان من خلال عضويته في الحوار المسيحي الشيوعي . وجرب الجمع بين الكاثوليكية والشيوعية فلم يجد نفسه فيهما، وبدأ يميل منذ السبعينيات إلى الإسلام الذي أعلن اعتناقه إيّاه في المركز الإسلامي بجنيف عام ١٩٨٢ ، وغَيّر اسمه من روجيه إلى " رجاء " . ألّف بعد هذا التحوّل كتبًا عديدة منها "الإسلام يسكن مستقبلنا" فدُعِيَ إلى عشرات المؤتمرات والندوات والمنتديات ، خاصة بعدما كشف في عدد من كتبه حقيقة الحروب التي

خاضها وبخوضها الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ومنها كتاب "أمريكا طليعة الانحطاط"، فتعزّزت مع مرور السنوات شعبيته في العالم العربي والإسلامي . كما ناصر قضايا عربية وإسلامية كقضية فلسطين ، وواجهة الصهيونية بشراسة خاصة بعد مجزرة صابرا وشاتايلا في لبنان عام ١٩٨٢، حيث أصدر بيان إدانة لها وقّعه معه الأب ميشيل لولون، والقس إيتان ماتيو، ونُشر في جريدة لوموند الفرنسية يوم ١٧ يونيو/حزيران من العام نفسه بعنوان "معنى العدوان الإسرائيلي بعد مجازر لبنان".

شَنَّ عليه الإعلام الموالي لإسرائيل والصهيونية حملة شعواء، وصوّره على أنه عنصري ومُعادي للسامية، وقاطعته صحف بلاده، إلا أنه لم يتراجع عن مواقفه، وفي مرحلة هامة من تاريخ الرجل أصدر كتاب "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية" عام ١٩٩٥. وشكّك في الرواية الصهيونية للهولوكوست، فحكمت عليه محكمة فرنسية عام ١٩٩٨ بالسجن سنة مع وقف التنفيذ، وغرّمته ١٢٠ ألف فرنك فرنسي (٥٠ ألف دولار)، متهمة إياه بالعنصرية، وبإنكار جرائم ضد الإنسانية. وقال قال غارودي في هذا الصدد : ((اليهودية ديانة أحترمها، أمّا الصهيونية فهي سياسية أحاربها)) .

أنشأ في مدينة قرطبة الإسبانية متحفًا للتراث الأندلسي للاحتفاء بتجربة التعايش الإيجابية بين أتباع الديانات أيام الحكم الإسلامي في الأندلس . ألف غارودي عشرات الكتب، وكانت البداية برواية "البارحة واليوم" عام ١٩٤٥، ثم كتاب "الشوعية ونهضة الثقافة الفرنسية" . ومن أشهر كتبه "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية" ، و"فلسطين أرض الرسائل السماوية"، و"الأصوليات المعاصرة: أسبابها ومظاهرها"، و"محاكمة الصهيونية الإسرائيلية"، و"كيف نصنع المستقبل؟"، و"الإسلام وأزمة الغرب"، و"الإرهاب الغربي"، و"المسجد مرآة الإسلام" .

حصل غارودي على جوائز عديدة، منها ميدالية الشرف لمقاومته الفاشية الهتلرية في الفترة (١٩٤١ - ١٩٤٤) ، وجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٥ .

آمنَ غارودي بأن الإسلام دين المستقبل ، وانتقدَ الإرهاب الغربي ، وواجه الفكر الصهيوني بالصدر العاري ، وبشجاعة عزَّ نظيرها . وقد تُوفِّي غارودي يوم ١٣ يونيو/حزيران ٢٠١٢ في صاحبة شامبيني سيرمارن الباريسية، ولم يعثر أصدقاؤه ومحبه على قبر له ، لأن أسرته _حسب روايات عديدة _ قرّرت إحراق جثمانه وعدم دفنه على الطريقة الإسلامية ، وهو الأمر الذي فسّره كثيرون بأنه تم بضغوط جهات خافت منه حيًا وميتًا .

روجيه مارتين دوغار ورفض العنف

وُلد الروائي الفرنسي روجيه مارتين دوغار (١٨٨١ - ١٩٥٨) في نويي سور سين ، وهي بلدية فرنسية في إقليم هوت دو سين (مرتفعات السين) في منطقة إيل دي فرانس، تقع على حدود مدينة باريس على الضفة اليمنى لنهر السين .

يُعتبر من أبرز الروائيين الفرنسيين في النصف الأول من القرن العشرين . حصل على جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٣٧ .

كانت عائلته ثرية ، وفيها الكثير من المحامين والقضاة . بدأ مسيرته الأدبية شاعراً يكتب القصائد العاطفية ، لكن حياته انقلبت رأساً على عقب في السابعة عشرة من العمر ، حين قرأ _ بعد مشورة والده _ رواية " الحرب والسلام " للروائي الروسي الشهير تولستوي . وهذا الأمر نقله من عالم الشعر إلى عالم الرواية .

حصل في عام ١٨٩٨ على شهادة في الفلسفة ، لكنه انقطع عن عالم الفكر والأدب بسبب أدائه للخدمة العسكرية عام ١٩٠٢ . وفي عام ١٩٠٦ تزوج من ابنة محامٍ، وبعدها قرّر أن يصبح كاتباً . وقد سمح له وضعه المادي أن يتفرغ للأدب .

شارك كجندي في الحرب العالمية الأولى. وبعد انتهائها، بدأ في كتابة ملحمة "أسرة تيبو" ، وهي رواية ضخمة تتكون من ثمانية مجلدات (وتشتمل على آلاف الصفحات) ، وقد نُشرت في الفترة (١٩٢٠ - ١٩٤٠) . وتضم الكثير من ذكريات الطفولة الخاصة بالكاتب .

وهي رواية تتمتع بشعبية جارفة في الوسط الأدبي الفرنسي . وفي هذه الرواية الضخمة، تبرز معاني الحب والسلام في مواجهة الكراهية والحرب .

وتدور أحداث الرواية حول ابني آل تيبو أنطوان وجاك ، اللذين تلقيا تربيةً قاسيةً من قبل الأب ، وتعرضا لنفس الظروف الأسرية والبيئية ، حيث إنهما عاشا في عائلة برجوازية تدين بالكاثوليكية ، وتعتمد على الصرامة والحزم في التعامل مع الأبناء. ومع هذا ، سار كل واحد منهما في طريق مختلف ، فقد أصبح أنطوان طبيب أطفال ناجحاً ونزيهاً ، أمّا جاك فصار متمرّداً على المجتمع ، وثائراً على تقاليده .

لقد سلّط الكاتب الضوء على الطبقة الاجتماعية ، والبرجوازية الباريسية ، سواء الكاثوليكية أم البروتستانتية . وكشّف أهمية قيمة التّضحية في مجتمع ما بعد الحرب العالمية الأولى .

وقد ذهب أبعد من هذا ، حين دعا إلى التآخي الألماني الفرنسي ، والمضي قُدُمًا في مسيرة السلام ، ورفض أشكال العنف ، مهما كانت الأسباب .

ومع أن دوغار يُعتبر وريثًا للرواية الواقعية التقليدية في القرن التاسع عشر ، إلا أنه استطاع صناعة أوصاف جديدة للرواية ، تتعلق بتفاصيل السرد والعلاقات النفسية بين الشخصيات ، كما أنه اهتمّ بالسياق التاريخي للأحداث ، وحاولَ تحليل التاريخ وفُوق المشاعر الإنسانية الداخلية ، وتقنيات علم النفس . وأيضًا حاولَ تحليل العلاقة بين الدّين والحداثة ، في ظل الفصل بين الكنيسة والدّولة الفرنسية .

كتب دوغار الكثير من نصوص السيرة الذاتية ، ودوّن يومياته منذ الحرب العالمية الأولى ، ووصف حياته العائلية الصعبة ، كما وصف علاقات الصداقة التي قامت بينه وبين مجموعة من الأدباء ، ودكّر مشكلات الحياة الأدبية وتقلباتها . وجمعت الرسائل التي تبادلها مع كبار الكتّاب الفرنسيين مثل : أندريه جيد ، وألبير كامو ، إلى جانب المراسلات العامة .

تُوفّي دوغار في عام ١٩٥٨ ، ودُفن في مدينة نيس الفرنسية .

من أبرز أعماله الأدبية: المهزلة (١٩١٣) . الثقة الأفريقية (١٩٣١) . الصامت (١٩٣٢) .

تيسو (ثمانية مجلدات ١٩٢٠ _ ١٩٤٠) . الأعمال الكاملة "مع مقدمة كتبها ألبير كامو " (١٩٥٥) .

رودلف أوكن ونقد الاشتراكية

وُلد الفيلسوف الألماني رودلف أوكن (١٨٤٦ _ ١٩٢٦) في مقاطعة أورييتش الألمانية ، وتُوفِّي في ميّنا .

تُوفِّي والده عندما كان طفلاً ، فقامت أمّه برعايته والإشراف على تعليمه . درسَ في جامعة غوتنغن (١٨٦٣ _ ١٨٦٦) . من أبرز أساتذته الذين تلقَّى العِلْم على أيديهم : عالم اللغويات والفيلسوف فيلهلم رويتر ، والأستاذ هيرمان وتز ، والأستاذ أدولف تراند الذي ساهمَ في تدعيم النظرة التاريخية للفلسفة الأخلاقية .

حصل أوكن على شهادة الدكتوراة في فقه اللغة الكلاسيكية والتاريخ القديم من جامعة غوتنغن في عام ١٨٦٦ ، واهتم بالجانب الفلسفي من اللاهوت . وبعد عدّة سنوات أصبح مُحاضراً في جامعة بازل .

بقي أوكن في جامعة بازل حتى عام ١٨٧٤ ، ثمّ عمل مُحاضراً في جامعة ميّنا . وهي إحدى أشهر الجامعات الألمانية وأكثرها عراقية ، ومن أشهر خريجيها الفيلسوف الألماني شوبنهاور ، والفيلسوف الألماني كارل ماركس ، وعالم الفيزياء النمساوي شروودنغر . بقي أوكن مُحاضراً في جامعة ميّنا حتى تقاعده في عام ١٩٢٠ .

وفي الفترة (١٩١٣ _ ١٩١٤)، شغل منصب محاضر زائر في جامعة نيويورك . وخلال الحرب العالمية الأولى ، اتَّخذَ _ مثل الكثير من زملائه الأكاديميين _ موقفاً قوياً ضد الحرب . وقد وقَّع في عام ١٩١٤ (العام الذي اندلعت فيه الحرب العالمية الأولى) على بيان المثقفين الألمان . ورأى أن الحرية تتحقق بالعلم وبمجتمع السلام ، فالعلم يُوقِّر سيطرة الإنسان على الطبيعة بتعاون العلماء ، ومجتمع السلام يكون بتعاون البشر ووقف صراعهم .

تزوَّج أوكن في عام ١٨٨٢ ، وأنجبَ وَلَدَيْنِ وَبَنَاتًا . وقد أصبحَ ابنه والثر مفكراً اقتصادياً شهيراً . أمّا ابنه الثاني أرنولد ، فقد أصبحَ عالماً كيميائياً .

حصل أوكن على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٠٨ ، بعد أن كان قد تمَّ ترشيحه من قِبَل عُضْوٍ في الأكاديمية السويدية . وقد بيَّنت لجنة نوبل سبب منحه الجائزة: " تقديرًا لبحثه الجاد عن الحقيقة ، وامتلاكه القدرة على اختراق الفكر ، وأُفقه الواسع ، والدفع والقوة في عَرْض أفكاره ، التي ساهمت في تكريس مثالية فلسفة الحياة " .

إن فلسفة أوكن فلسفة حياة . والحياة في نظره أنظمة عضوية ومؤسسية ، ووظيفة الفلسفة شرح أنظمة الحياة ، وإظهار معانيها ، ثم اختيار أفضلها . وبما أن الحياة عملية تطور ، فلا يمكن حجزها في فلسفة أو نظام .

وعندما تُحطَّم الحياة الحواجز المُنشأة ، تظهر الحاجة إلى فلسفة جديدة ، أو نظام للحياة جديد أكثر شمولاً . والفلسفة الجديدة لا تولد إلا بالعمل الحي الجاد ، وبالتركيز على الحياة ومعرفة الخير والشر فيها .

والحياة في الإنسان وعي ذاتي ، وهي تتجاوز حدود الفرد لترتبط كل الكائنات الواعية . وبهذا التجاوز ، تصبح حياة روحية مستقلة تصل الإنسان بالحقيقة المطلقة ، والجمال والخير المطلقين . انتقد أوكن المذهب الطبيعي الذي يفرض حدوداً زائفة على روح الإنسان . ومع أن المذهب الطبيعي هو نتيجة تأثير العلم في حياة الإنسان ، إلا أن هذا المذهب يصبح شديد الخطورة إذا قُبِدَ طاقات الإنسان بالطبيعة وحدها . لذلك أؤكد أوكن على الاستقلال الروحي الذي يُعطي الأولوية للكل ، الذي يُؤلف الفرد جزءاً منه من دون ذوبان فيه .

كما انتقد أوكن الاشتراكية من ستة وجوه : ١_ عجزها عن إضفاء وحدة على حركة الحياة . ٢_ عجزها عن إدراك حاجة الإنسان إلى حياة جَوَّانية . ٣_ حصرها اللحظة المهمة لحياة الإنسان في الحاضر . ٤_ اختزالها الإنسان في معادلة رياضية . ٥_ حصرها الإيمان في المذهب الطبيعي ، ممَّا وَلَّدَ صراع الإنسان ضد أخيه الإنسان . ٦_ إجهاض طبيعة الإنسان الحقيقية بسبب تحديد الإنسان بالمصطلحات الاقتصادية .

يُعدُّ أوكن من أعمدة " فلسفة الحياة " ، ويحتل مكانة رفيعة في تاريخ الفلسفة ذات الطابع الروحي الحياتي .

من أبرز مؤلفاته : وحدة الحياة الروحية (١٨٨٨) . النضال من أجل المحتوى الروحي من الحياة (١٨٩٦) . توما الأكويني وكانت (١٩٠١) . فلسفة التاريخ (١٩٠٧) ، مدخل إلى فلسفة حياة الروح (١٩٠٩) .

رودلف كارناب والبناء المنطقي

وُلد الفيلسوف الألماني من أصل يهودي رودلف كارناب (١٨٩١ - ١٩٧٠) في رونسدورف بالقرب من بارمن في ألمانيا ، وتُوفي في كاليفورنيا .

درس في جامعتي فرايبورغ وينا (١٩١٠ - ١٩١٤) حيث تخصص في الفيزياء والرياضيات والفلسفة. وتأثر كثيراً في يينا بأستاذه فيلسوف المنطق فريجه. وحصل في عام ١٩٢٩ على الدكتوراة من الجامعة نفسها برسالة عنوانها " المكان : إسهام في نظرية العلم " ، وكان لراسل وفيتغنشتاين أعظم الأثر في تكوينه الروحي، وكذلك لجماعة فيينا التي كانت تُبشّر بفلسفة علمية تهدف إلى توحيد العلوم ، وتصطنع منهج التحليل المنطقي ، فصار من شخصياتها البارزة وعضواً نشطاً فيها .

دُرّس منطق العلوم في جامعة فيينا (١٩٢٦ - ١٩٣١) ، ثم الفلسفة الطبيعية في جامعة براغ الألمانية (١٩٣١ - ١٩٣٥) .

هاجر على أثر تحوّل ألمانيا للنازية إلى الولايات المتحدة في نهاية عام ١٩٣٥ ، حيث عُيّن أستاذاً للفلسفة في جامعتي شيكاغو (حتى عام ١٩٥٢) و كاليفورنيا (١٩٥٤ - ١٩٦١) .

تقوم أصالة كارناب في اتجاهه المنهجي الذي يصوغ به نسقاً تقنياً يُطبّقه على بعض مسائل الفلسفة بهدف حلّها، فقد سعى في كتابه الرئيسي " البناء المنطقي للعالم " إلى تطبيق المنهج المنطقي الذي طبّقه راسل على الموضوعات الرياضية، كي يُنحّي جانباً الميتافيزيقا ، ويُنفّي دور الفلسفة كعلم كُليّ، انطلاقاً من رفض كل عنصر تركيبي قَبلي في المعرفة، واعتقاداً بأن القضايا العلمية دائماً بعدية، تستمد معناها من النسق المنطقي الذي تندرج فيه، فيرد الفلسفة إلى تحليل منطقي للغة العلم يقوم على المنطق الرياضي . ويذهب إلى أن المعرفة النظرية التي يقوم عليها هذا التحليل تُمثّل مزيجاً من التجريبية المثالية في تفسير المنطق والرياضيات ، فالمفهوم الفلسفي للوضعية الجديدة في مذهبه متداخل مع دراسات نظرية المنطق والتحليل القائم على المنطق ومنهج البحث العلمي .

ويمكن تمييز مرحلتين أساسيتين في تطور فكر كارناب بصدد طبيعة المنهج المنطقي : الأولى هي مرحلة الاهتمام بالبناء اللفظي، حيث الاهتمام بالبناء اللفظي المنطقي للغة العلم ، والثانية هي مرحلة الاهتمام بالمدلول اللفظي ، حيث يهتم منطق لغة العلم بالمعنى والمدلول .

وبتأثير أبحاث كارل بوبر ، سعى كارناب إلى تصحيح فهم تركيب المعرفة التجريبية، بوضع تصوّر جديد لمعيار المعنى التجريبي، وقواعد خاصة به. وتمكنَ بهذا أن يُفَرِّق بين القضايا التجريبية التي يمكن التحقق من صدقها وتخضع لمبدأ التحقق ، أي بالإمكان اختبارها أو التثبت منها ، وهي قضايا علمية، وبين القضايا الميتافيزيقية وما شابهها التي لا يمكن التحقق من معناها تجريبياً، ولا تقوم على معطيات حِسِّية ، ويصفها بأنها قضايا فارغة أو أشباه قضايا لا معنى لها .

ويُبيِّن كارناب أن الخلافات في الفلسفة ترجع إلى سوء فهم ، أو سوء تحليل التصورات الفلسفية، وعنه ينجم الخلط بين الأحكام المصوغة بلغة الموضوع ، والأحكام المصوغة بعبارات اللغة الشارحة أو لغة ما وراء اللغة، فيؤدّي ذلك إلى خلافات بين الآراء أو المذاهب الفلسفية حول بعض المسائل. لذلك يقترح كارناب ترجمة وتأويل العبارات الفلسفية شبه الموضوعية ، من شكلها المادي إلى الشكل الصوري بإعادة صياغتها في عبارات تركيبية .

يُعتبر كارناب أحد أبرز زعماء الفلسفة التجريبية المنطقية أو الوضعية المنطقية .

من أبرز أعماله : البناء المنطقي للعالم (١٩٢٨) . التركيب المنطقي للغة (١٩٣٤) .

المعنى والضرورة (١٩٤٧) . الأسس المنطقية للاحتمال (١٩٥٠) .

رولان بارت وعلم العلامات

وُلد الفيلسوف والناقد الفرنسي رولان بارت (١٩١٥ _ ١٩٨٠) في شيربورج بفرنسا ، وتُوفِّيَ في باريس . كان والده ضابطاً في البحرية ، تُوفِّيَ في إحدى المعارك بعد عام من ولادته . انتقل بارت بعد ذلك مع والدته إلى باريس لبدأ تعليمه ، وفي أثناء ذلك عانى مرضاً في الرئة اضطره إلى مغادرة باريس والإقامة في مصحات ، ورغم ذلك حصل على الثانوية ثم الإجازة في الآداب .

انْتدب إلى بوخارست عام ١٩٤٨ للعمل في مكتبة قبل أن يصبح مُدرِّساً . ثم انتقل إلى جامعة الإسكندرية (١٩٤٩) ، ثم انصرفَ إلى دراسة دي سوسير ورومان ياكوبسون . عاد في عام ١٩٥٠ إلى فرنسا ، ليعمل في الإدارة العامة للعلاقات الثقافية في وزارة الخارجية. حصل على منحة في المركز الوطني للبحث العلمي ، وعيِّنَ عام ١٩٦٠ مديراً للأعمال في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا .

ذاعَ صيته فسافر إلى اليابان لإلقاء محاضرات ، ثم إلى المغرب للتدريس في جامعة الرباط . وعادَ بعد ذلك إلى المدرسة التطبيقية للدراسات العليا ، ثم سافر إلى الصين . وصارَ عُضواً في الكوليج دو فرانس (١٩٧٦) ، وحصل على لقب أستاذ . تُوفِّيَ إثرَ حادث سيارة . جاءت كتابات بارت في أغلب الأحيان مقالات، منها ما جُمعَ في كتب في أثناء حياته ، ومنها ما جُمعَ بعد وفاته. ومن أعماله : " أساطير " (١٩٥٧) ، و " لذة النص " (١٩٧٣) .

كان بارت مُتبحِّراً في علم السُّلالات (أنثروبولوجيا) ، وناقداً أدبياً ولغوياً وعالم اجتماع. بدأ بقراءة الروايات والمسرحيات الاتباعية (الكلاسيكية). وقادته قراءة نيتشه إلى الاهتمام بالعصور القديمة في المسرح الإغريقي، فأسسَ بمساعدة صديق له مجموعة "المسرح القديم" لتشجيع الأنشطة المسرحية بعد أن أخفق في كتابة الرواية والمسرحية .

قرأ لجان بول سارتر وألبير كامو ، فوجدَ نفسه في مسيرة الالتزام الأدبي والاجتماعي ، إضافة إلى تأثره بالاتجاه الماركسي من صديق له حين كان في المصححة. وقد أراد بارت أن يفهم العلاقة التي تربط التاريخ والمجتمعات بالأدب . تابع بارت دراسة اللغة وعلاقتها بالمجتمع ، فقرأ دي سوسير ، وتعمَّقَ في السيميولوجيا (علم العلامات) ، وكتب مجموعة من المقالات باسم " أساطير " تتعلق بموضوعات وأحداث للبرجوازية الصغيرة من مفهوم دلالي .

حلَّل بارت روايات ومسرحيات مختلفة لإقناع القُراء باتجاهات جديدة في الأدب. ويلاحظ أنه كان يجمع بين اتجاهين : الأول هو إعجابه الواضح بالأدب الاتباعي ، والثاني هو تَبَيُّه للاتجاهات الأدبية الجديدة . جمع في كتابه " حول راسين " (١٩٦٤) بين الحداثة والتقليد ، إذ إنه حلَّل مسرح راسين بطرق حديثة نفسية وُنْبيوية . ورغم أن هذه التجربة بقيت محدودة جدًّا ، إلا أن خلافاً عميقة نشأت بينه (كُمُثِّل لأنصار الحداثة) وبين أنصار التقليديين ويُمثِّلهم ريمون بيكار ، وهو أستاذ في جامعة السوربون ، ومختص في مسرح راسين . بعد أن حلَّل بارت الوضع التاريخي والاجتماعي للكتابة أو الأدب في كتابه " الكتابة في درجة الصفر " (١٩٥٣) انتقل إلى البحث عن دلالات اللغة، وذلك في كتابه "مقالات نقدية" (١٩٦٤) الذي يدور حول نقاط ثلاث أساسية: البحث عن جوهر اللغة، علم الدلالة والأدب، النُبيوية والأدب. أمَّا كتابه " عناصر السيميولوجيا " (١٩٦٥) فهو علامة مهمة في كتاباته، فقد ثَبَّتَ دعائم هذا العلم ، ونقله إلى القارئ بأسلوب تعليمي .

أراد بارت تجاوز الطرائق التقليدية والحديثة المتَّبعة مِن قِبَل اللغويين، وكان هدفه التَّميُّز ورفض التقليد ، وأراد أن يلمع في مجال الأدب واللغويات، وحكم عليه الاختصاصيون بأنه يميل كثيرًا إلى الأدب عند تعرُّضه لموضوع لغوي . وكانت هذه الانتقادات أحد الأسباب الرئيسية التي دفعته إلى قَبول عرض التدريس في جامعة الرباط في المغرب ، وأدى ذلك أيضًا إلى ابتعاده عن التحليل النُبيوي إلى التحليل الأدبي للقصة . وابتعد شيئًا فشيئًا عن التأثير الضاغط لـ دي سوسير ممَّا جعله يكتسب شخصية مستقلة ميَّزته في المرحلة التالية .

باءت محاولات بارت لكتابة رواية بالإخفاق ، وبدلًا من ذلك كُتِب " مقتطفات من أحاديث العشق " (١٩٧٧) ، وهي تتألف من أجزاء نصية صُوِّرت أحاديث المحبين وأفكارهم وخلَّتْها. وفي عام ١٩٧٩ دوَّن بعض الملاحظات بهدف كتابة رواية ، ولم يتحقق هذا المشروع ، بل نتج عنه الصحيفة اليومية " أمسيات باريس " ، ركَّز فيها على وظيفة الشخصية الروائية أكثر من تركيزه على مُواصفاتها . لقد صارت اللغة والكتابة عند بارت وسيلة اتصال ، وتعبيرًا عن الوجود في آن واحد . ويتَّضح ذلك مِن عدَّة مقالات تطرح مسألة اللغة والوجود الاجتماعي .

دافع بارت عن الاتجاهات الجديدة في الكتابة مثل الرواية الجديدة. وقد اعتُبر حامل لواء المدافعين عن النقد الأدبي الحديث ، وهو في الوقت ذاته مُتحمِّس ومُحلِّل للأدب الاتباعي ، ويُعتَبَر أيضًا مِن أهم واضعي دعائم النقد السيميولوجي والنقد النُبيوي .

رومان رولان ورفض الحروب

وُلد الأديب الفرنسي رومان رولان (١٨٦٦ _ ١٩٤٤) في بلدة كلاميسي من أسرة ريفية برجوازية عريقة . تلقى تعليمه في مسقط رأسه ، ثم انتقل إلى باريس عام ١٨٨٦ ، والتحق بمدرسة النورمال العليا. وأكمل دراسته حتى حصل على شهادة الدكتوراة في الآداب عام ١٨٩٥ ، وكان موضوعها " أصول المسرح الغنائي الحديث". ثُمَّ عُيِّن أستاذًا لتاريخ الفن في مدرسة النورمال العليا. وبعد ذلك تَمَّ تعيينه أستاذًا في جامعة السوربون العريقة، حيث أدخل مادة تاريخ الموسيقى ، وبقي في الجامعة حتى عام ١٩١١ .

بدأ حياته الأدبية بكتابة عدد كبير من المسرحيات، ولم يكن هذا الأمر عفويًا أو صدفةً، بل كان عن إصرار مسبق وتخطيط دقيق ، وتنفيذًا للأفكار المسيطرة على عقله ، والتي تتعلق بضرورة تجديد الفن المسرحي وَفْق الفلسفة التي شرحها في سلسلة مقالات كتبها بعنوان "مسرح الشعب " عام ١٩٠٠ . وقد ارتبط اسمه بالمسرح الشعبي الذي دعا إليه ، ونظَّر له . ومع أن رولان لم يكن أول من طرح مفهوم " مسرح الشعب " ، إلا أنه مارس دورًا مهمًا في تثبيت فكرته وتطبيقها. إن المنهج الفكري لهذا الكاتب يقوم على دراسة حياة العظماء الذين رأى فيهم قُدوةً سامية ، ومَثَلًا أعلى ، واعتبرهم النموذج الرفيع الذي يجب أن يصل إليه الفرد، لذلك كتب عن بيتهوفن وتولستوي وغاندي وغيرهم ، وقد كان صديقًا شخصيًا لغاندي .

أما فلسفته الإبداعية فتقوم على تحرير المسرح من برجوازيته ، ورفض المسرح الكلاسيكي . لذلك رفض فكرة توجُّه المسرح البرجوازي إلى النخبة ، وشدَّد على أهمية استعادة الطابع الاحتفالي الجماعي ، وتحويل العرْض المسرحي إلى احتفال ثوري وتظاهرة شعبية. وقد آمنَ بأن الفن المسرحي هو انعكاس لأفكار العصر المُعاش. كان في مقالاته مُتجَرِّدًا من الوطنية العمياء والقومية العنصرية، فلم يتأثر بالحماسة الخادعة التي كانت تنتشر في الأمم الأوروبية المتحاربة في الحربين العالميتين . وكان دائم السخرية من المفكرين ورجال الدِّين الذين خَدَعُوا أبناء جلدتهم، وخانوا المبادئ النبيلة، وقد كان بإمكانهم تأدية مهمتهم الإنسانية الإصلاحية في الحياة على أكمل وجه . وقد اعتبره الكثيرون من الثُّقاة كاتبًا عالميًا ، يحمل همًّا إنسانيًّا عامًّا ، وفكرًا كونيًّا ، فلم يكتب لأُمَّة مُعيَّنة ولا لشعب خاص . بل كتب للعالم أجمع ، ونظر إلى الأمم والشعوب كعائلة إنسانية واحدة ، لا تُمَزَّقُها حدود ، ولا تُفَرِّقُها لهجات .

كان رولان واحدًا من أكثر المثقفين اليساريين تأثيرًا في فرنسا وأوروبا في فترة ما بين الحربين العالميتين ، وقاد مجموعة من التظاهرات الأممية التي رفضت الحرب والفاشية ، ودعت إلى السلام العالمي ، والأخوة بين البشر . وقد رفض الحروب بشكل قاطع . وعندما قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ، كان موجوداً في جنيف ، وكتب عددًا من المقالات ، وطالب فيها بحقن الدماء ، وعودة السلام ، وإنقاذ أرواح الشباب الأبرياء الذين يُقتلون ضمن لعبة يمارسها السياسيون . وهذا الموقف المعارض للحرب سبّب له الكثير من المتاعب ، وأكسبه عداوة شريحة واسعة من أبناء وطنه ، وأثارت الصحافة القومية الرأي العام ضده . كما استنكر الوحشية الألمانية التي أحرقت بلدة لوفان البلجيكية في رسالة وجهها للكاتب الألماني هاوبتمان .

ولم يكتفِ بهذا، بل هاجم النازيين أيضًا في الحرب العالمية الثانية التي اندلعت عام ١٩٣٩ ، واعتبر النظام النازي عدوًا للإنسانية والتاريخ والحضارة ، وقائمًا على امتهان كرامة الشعوب ، واحتقار الحياة الإنسانية ، وتدمير منجزات الحضارة ، مُبَيِّنًا أن الفكر الألماني الذي مجّده ، ولا يزال يُمجّده ، هو الفكر الذي يدعو إلى المساواة بين الأمم . وهذا الموقف الحاسم أثار حفيظة النازيين ، وجعلهم يُصنّفون هذا الكاتب كعدو ، فتمّ وضع اسمه في القائمة السوداء . لذلك ، بمجرد دخول النازيين فرنسا ، تمّ القبض عليه ، وأُرسل إلى معسكرات الاعتقال في ألمانيا ، ممّا عجل بموته بعد أسابيع من تحرير فرنسا .

رفض رولان الأفكار القومية العنصرية التي سيطرت على أوروبا في النصف الأول من القرن العشرين ، وكان يأمل أن يرى أوروبا موحّدة تحت شعار السلام والتحرر الفكري الإنساني . وقد طالب فرنسا وألمانيا باحترام حقوق الإنسان أثناء الحرب العالمية الأولى في منشوره " خارج المُعترك "، وطرح موقفه الرفض للصراع الأوروبي _ الأوروبي في مجموعة من المقالات .

يُعتبر رولان أحد أبرز قادة الفكر المدافعين عن السلام العالمي وحقوق الإنسان . وقد حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩١٥ ، تقديرًا لأعماله الأدبية التي تمتاز بالمثالية النبيلة ، والقيم الإنسانية ، والشعور الوجداني ، والمحبة بين الشعوب .

من أبرز مسرحياته : الذئاب (١٨٩٨) ، انتصار العقل (١٨٩٩) ، دانتون (١٩٠٠) ، انتصار الحرية (١٩١٧) .

ومن أبرز كتبه التي تتناول سيرة المشاهير: حياة بيتهوفن (١٩٠٣) ، حياة تولستوي (١٩١٣) ، المهاتما غاندي (١٩٢٦) .

رومان ياكوبسون وعلم الصوتيات

وُلد العالم اللغوي الروسي رومان ياكوبسون (١٨٩٦ _ ١٩٨٢) في موسكو ، ودرس في معهد اللغات الشرقية فيها، وتخرَّج أيضًا في جامعتها عام ١٩١٨ . شهد عام ١٩٢٠ تقلبات سياسية عارمة في روسيا، فانتقل ياكوبسون إلى براغ كعضو في البعثة الدبلوماسية السوفيتية لإتمام دارسته العليا . وقد انغمس في الحياة الأكاديمية والثقافية في تشيكوسلوفاكيا حينها، وأقام علاقات وثيقة مع عدد من الشعراء والشخصيات الأدبية في التشيك. غادرَ براغ مع الاحتلال النازي إلى البلدان الإسكندنافية ، حيث درَّس في جامعات كوبنهاغن وأبسالو وأوسلو أستاذًا زائرًا، ثُمَّ غادرَ أوروبا نهائيًا في عام ١٩٤١ إلى أمريكا ، حيث نشط في جامعات كولومبيا وهارفارد (١٩٤٣ _ ١٩٦٧). وكانت وفاته في مدينة بوسطن . أصبح ياكوبسون مستشارًا في الجمعية الدولية للغة العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية . وانتقل عام ١٩٤٩ إلى جامعة هارفارد ، حيث بقي هنالك حتى تقاعده. وقد عمل في العُقد الأخير من عمره في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا ، حيث حصل على الدكتوراة الفخرية فيها. وقد تحوَّل ياكوبسون في الستينيات إلى التركيز على تقديم نظرة أشمل للغة ، وبدأ جهوده للكتابة حول علوم التواصل بشكل عام . نشأ ياكوبسون في مسقط رأسه في روسيا لعائلة ميسورة من أصل يهودي ، وقد نمت لديه اهتمامات باللغة مُنذ نعومة أظفاره. وقد كان في مرحلة الدراسة أحد البارزين في الدائرة اللغوية في موسكو ، وشارك في أنشطة جماعة الطلائع في الفن والشعر . كانت الحالة اللغوية في ذلك الوقت منصبة على منهج النحويين الجدد الذين كانوا يُؤكِّدون على أن الدراسة العلمية الوحيدة الممكنة للغة تتمثل في دراسة تاريخها وتطوُّر مفرداتها خلال الزمن (وهو المنهج التاريخي الذي وضعه دي سوسير). إلا أن ياكوبسون كان قد اطلَّع في تلك الفترة على أعمال اللغوي دي سوسير، ونجح في تطوير منهج ركَّز فيه على أن بُنية اللغة هي التي تؤدي وظيفتها الأساسية ، وذلك من أجل تناقل المعلومات بين مستخدمي اللغة . كان ياكوبسون عالمًا موسوعيًا في توجُّهه، وتدل أسماء مؤلفاته على تنوع اهتماماته ومجالات بحثه، فقد كتب في موضوعات شتى وبلغات مختلفة . كتب بالفرنسية " ملاحظات حول التطور الفونولوجي للغة الروسية مقارنة مع تطور اللغات السلافية الأخرى " (١٩٢٩) . وكتب بالروسية " خصائص علاقة القرابة اللغوية الأوراسية " (١٩٣١) ، وبالألمانية " لغة الأطفال " (١٩٤١) ، و " عُيوب النطق والقوانين الصوتية العامة " (١٩٤١) .

بعد استقراره في الولايات المتحدة ، كتب بالإنجليزية " خطوات تمهيدية نحو تحليل الكلام " (١٩٥٢) بالتعاون مع آخرين . كما وُضع بالاشتراك " أسس اللغة " (١٩٥٦) . نُشر أيضًا " شعر النحو ونحو الشعر " (١٩٦٨) . وكتب بالاشتراك " شكل صوت اللغة " (١٩٧٩) .

ابتعدَ ياكوبسون مع حلقة براغ عن مفهومات دي سوسير ، من حيث دراسة وظيفة الكلام مؤسسًا بذلك للفونولوجيا (علم الصَّوتيات) . وإليه تُنسب أول صياغة لتعريف الصوتيم ، أو الوحدة الصوتية الأصغر . كما أسَّس أيضًا في الولايات المتحدة للمرحلة التالية من تطوُّر هذا العلم ووضع مبادئه ، كما بحث في نظرية تواصل لسانية مُعتمدًا على أسس نظرية التواصل . وبحث في الشَّعر والدراسات السلافية والتقاليد والعادات ، مُؤكِّدًا بذلك علاقة اللغة الوثيقة بالثقافة والأنثروبولوجيا الثقافية .

يُفرِّق ياكوبسون بين الوظائف التواصلية التي يرتبط كل منها بأحد عناصر عملية التواصل ، ويكون أحد هذه العناصر حاضرًا دائمًا في نص من النصوص ، وعادةً ما يكون ذلك مرتبطًا بطبيعة النص . ففي النص الشعري مثلاً تكون الوظيفية شِعْرية ، فيكون عنصر الرسالة هو العنصر الأساسي . ويُشير ياكوبسون بشكل عام إلى أن الشَّعر يمزج بين الشكل والمحتوى .

وقد كان لأعمال ياكوبسون أثر عميق على الدراسات النفسية لأعمال جاك لاكان ، وفلسفة جورجيو أجامبين .

كتب ياكوبسون مقالة مهمة ومفصلية في نظرية الترجمة أسماها "حول الجوانب اللغوية للترجمة" حيث فرَّق فيها بين ثلاثة أشكال للترجمة ، وهي :

- ١_ الترجمة ضمن اللغة الواحدة : وهي عبارة عن إعادة صياغة العبارات ضمن اللغة نفسها .
- ٢_ الترجمة بين لغتين مختلفتين : وهي نقل الرسالة من لغة إلى لغة أخرى .
- ٣_ الترجمة إشارة لغوية إلى أخرى غير لغوية : وهي ترجمة الرسالة اللغوية إلى نظام غير لغوي من الإشارات .

كما أشار في مقالته هذه إلى فكرة تعرَّضَ لها الكثير من الباحثين بالبحث والمناقشة ، حيث قال إنه يمكن التعبير عن جميع الخبرات التي نعيشها ونشعر بها وجميع أشكالها في أي لغة من اللغات .

يُعتَبَر ياكوبسون من رُوَّاد المدرسة الشَّكلية الروسية . وقد كان أحد أهم علماء اللغة في القرن العشرين ، وذلك لجهوده الرائدة في تطوير التحليل التركيبي للغة والشعر والفن .

ريمون آرون وتعبيريه عن علم الاجتماع

وُلد الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي ريمون آرون (١٩٠٥ _ ١٩٨٣) في باريس ، وتُوفّي فيها .

حصل على شهادة الفلسفة من مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٢٨ ، واحتل المرتبة الأولى في دورته ، بينما رسب سارتر في العام نفسه .

في بداية عام ١٩٣٠ ، سافر آرون الى ألمانيا لدراسة الفلسفة ، وشهد لبضعة أشهر الانتصار الأول للاشتراكيين القوميين في أيلول/سبتمبر ١٩٣٠ . ووجد أن النازية ليست جنوناً مؤقتاً فقط ، بل إنها يمكن أن تقود الى معانقة أوروبا . ولم يكن حدسه واضحاً ، حسب قول رفيقه سارتر الذي أقام في ألمانيا في نهاية ١٩٣٠ .

رُكِّز في فكره على نفي ما هو خارج الوجود المادي ، وما يقع خارج نطاق الخبرة والمعرفة ، واهتم كذلك بالمجتمع الصناعي الحديث ، ورأى أن العامل الأساسي في حركة المجتمعات ليس هو الصراع الطبقي فَحَسْب ، بل هناك صراع النظم السياسية الذي رأى أن تأثيره أعظم بكثير من الصراع الطبقي . كما تطرق كذلك في كتاباته الى العلاقات الدولية والتناقضات الفلسفية والنواقص في الديمقراطية الغربية .

عُيِّن آرون أستاذاً لعلم الاجتماع في جامعة السوربون عام ١٩٥٦ ، وأصبح عضواً في المجمع الفرنسي عام ١٩٦٣ ، ثم أستاذاً في الكوليج دو فرانس عام ١٩٧٠ . قام بدراسة مقارنة لنظامي الإنتاج : النموذج السوفييتي والنموذج الغربي ، على أساس ثلاث فئات من المظاهر : اقتصادية واجتماعية وسياسية .

كان كتابه " ثمانية عشر درساً في المجتمع الصناعي " (١٩٦٣) مُخَصَّصاً لمعالجة الجانب الاقتصادي ، في حين كان كتاب " صراع الطبقات " لمعالجة الجانب الاجتماعي ، وكتابه " الديمقراطية والتسلط " لمعالجة المظاهر السياسية . وتبع الكتب الثلاثة كتاب رابع هو " مراحل التفكير الاجتماعي " ، حدّد فيه آرون صيغة التفكير في علم الاجتماع .

يرى آرون أنه من الصعوبة تعريف ميدان علم الاجتماع بسبب اختلاف وجهات النظر حول ما هو اجتماعي ، ولتوضيح ذلك يلجأ الى مقارنة موضوعات علم الاجتماع بموضوعات العلوم الاجتماعية الأخرى ، كالاقتصاد السياسي وعلم النفس والتاريخ .

فالاقتصاد السياسي مثلاً _ كما يرى آرون _ يعالج موضوعات قابلة للانعزال عن الواقع الشامل، أو منعزلة عنه، ولذلك فإن لهذا العلم منهجه الخاص .

أما علم الاجتماع فإنه يرمي إلى أن يكون علماً خاصاً مختلفاً عن علم الاقتصاد ، لأنه لا يوافق على عزل أيّة ناحية من نواحي الواقع الاجتماعي . فالأسرة، والطبقة الاجتماعية، والعلاقة بين أقسام الواقع السياسي وغيرها، هذه كلها تحمل في مضمونها، ومن بعض الوجوه ، النواحي الاجتماعية كافة . ولا يمكن دراسة الطبقات الاجتماعية _ كما يرى آرون _ ما لم يتم إدراك النواحي الاقتصادية والسياسية والدينية في الوقت نفسه ، ويبرز علم كل واحدة من هذه الجوانب أو الظواهر، كأنها مطبوعة بطابع الكل الاجتماعي الشامل ، فهي ظاهرة اجتماعية تابعة من الكل .

ويتناول علم الاجتماع _ بنظر آرون _ ثلاثة موضوعات أساسية، يجدها واضحة عند ماكس فيبر ودوركايم. وهي : ١ _ تحديد ما هو اجتماعي وتحليله. وقد برز ذلك عند دوركايم من خلال تحديده لنوعية الظاهرة الاجتماعية. ٢ _ تعيين الخصائص المرتبطة بكل بنية أو بكل البنى الاجتماعية. ٣ _ وضع تصنيف للبنى الاجتماعية في سياق مجرى التاريخ .

وتتفاعل الجوانب الاقتصادية والسياسية في فكر آرون لتؤلف موقفاً ملتبساً تجاه قضية العلاقة بين الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المختلفة في العالم، فيرى أن الصراع الأيديولوجي سيضعف إزاء تطور أنظمة الإنتاج الصناعية ، وما تُفرزه من علاقات اجتماعية تجعل في النهاية أشكال الحكم والإدارة في المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي متقاربة .

من أبرز مؤلفاته : مدخل إلى فلسفة التاريخ (١٩٣٨) . أفيون المثقفين (١٩٥٥) . صراع الطبقات (١٩٦٤) . مراحل الفكر السوسيولوجي (١٩٦٧) . الثورة المفتقدة (١٩٦٨) .

رينيه ديكارت وزمامة الفلسفة الحديثة

وُلد الفيلسوف وعالم الرياضيات الفرنسي رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠) في مدينة لاهاي إن تورين . يرجع أصل أسرته إلى هولندا. ينتمي ديكارت إلى أسرة من صِغار النبلاء حيث عمل أبوه مُستشارًا في برلمان إقليم بريطانيا الفرنسي. وكان جده لأبيه طبيبًا، وجده لأمه حاكمًا لإقليم بواتيه. في عام ١٦٠٤ التحق ديكارت بمدرسة لافلشي، وهي تنتمي إلى طائفة دينية تُسمّى باليسوعية. وقد تلقى ديكارت فيها تعليمًا فلسفيًا راقيًا يُعد من أرقى الأنواع في أوروبا، وبدأ فيها ديكارت في تعلم الأدب، والمنطق، والأخلاق ثم الفلسفة ، وأخيرًا الرياضيات والفيزياء . ونالَ إجازة الحقوق من جامعة بواتيه ، حيث تخرّج ديكارت في الكلية عام ١٦١٢ . وحصل على شهادة الليسانس في القانون المدني والمدني عام ١٦١٦ . وعلى عادة النبلاء في ذلك العصر ، نصحه أبوه بالالتحاق بالجيش الهولندي ، إذ كان هذا الجيش أفضل جيوش أوروبا نظامًا وخبرة، وكان يُشكّل مدرسة حربية لكل من أراد أن يتعلم فن الحرب. وبالفعل رحل ديكارت إلى هولندا عام ١٦١٨ ، وتعرّف هناك على طبيب هولندي يُدعى إسحق بيكمان ، وكان مُتبحّرًا في العلوم ، وشجّعهُ على دراسة الفيزياء والرياضيات وعلى الربط بينهما، وكانا يمارسان معًا طريقة جديدة في البحث تُطبّق الرياضيات على الميتافيزيقا ، وتُردّ الميتافيزيقا إلى الرياضيات، وقد كان لهذه الطريقة أبلغ الأثر في تطوّر ديكارت الفكري ، وفي تشكيل فلسفته ، إذ إن منهجه ومذهبه الفلسفي لن يختلف كثيرًا عن طريقة البحث هذه. تطوّر للخدمة في الجيش الهولندي عام ١٦١٨ ، وخاض معه عدّة معارك. وفي عام ١٦٢٢ ، عاد ديكارت إلى فرنسا، وصفّى جميع أملاكه ليستثمر الأموال في تجارة السندات المالية ، وقد أمّنت له دخلاً مريحًا لبقية حياته . وفي الفترة (١٦٢٨ _ ١٦٤٩) عاش ديكارت حياة علمية هادئة في هولندا، وألّف فيها معظم مؤلفاته، والتي أحدثت ثورة في مجالي الرياضيات والفلسفة . غادر ديكارت هولندا عام ١٦١٩ ، وذهب إلى ألمانيا ، وهناك اكتشف الهندسة التحليلية التي اشتُهر بها ، ووضع يده على قواعد منهجه الفلسفي. وفي عام ١٦٢٠ بدأ في السفر متنقلاً بين العديد من المدن الأوروبية لمدة تسع سنين ، وفيها باع أملاكه التي ورثها عن أمّه ، وعرض عليه أبوه أن يشتري له وظيفة حاكم عسكري فرفض ديكارت ، وأثر أن يعيش حياة العزلة . وفي عام ١٦٢٨ ، غادرَ فرنسا إلى هولندا حيث قضى فيها فترة كبيرة من حياته. والذي جعله يُفضّل هولندا أنها كانت آنذاك من أقوى وأغنى الدول الأوروبية وأكثرها

ازدهاراً في العلوم والفنون. وفي عام ١٦٢٩ ، بدأ ديكارت في كتابة رسالته " العالم " ، وفيها يبحث في الطبيعة على أساس النتائج التي توصل إليها كوبرنيكوس وكبلر وغاليليو في النظام الشمسي، ودوران الأرض حول الشمس. لكن حدث أن أدانت محكمة التفتيش والكنيسة الكاثوليكية في روما العالم الإيطالي غاليليو عام ١٦٣٣ خوفاً من أن تؤدي آراء غاليليو الجديدة إلى سقوط الاعتقاد القديم بأن الأرض ثابتة في الكون والنجوم والكواكب تدور حولها ، وعندئذ خشي ديكارت أن يكون مصيره نفس مصير غاليليو، فلم يكمل الرسالة، وكاد أن يحرق أوراقها، وعزم على ألا يكتب أي شيء على الإطلاق. ممّا أدى إلى توقف ديكارت عن نشر بعض أفكاره. وفي عام ١٦٤٣، أدانت جامعة أوترخت الهولندية الفلسفة الديكارتية . أدرك ديكارت أنه لا يمكن أن يتوقف عن الكتابة نهائياً ، وهو الفيلسوف الذي بدأ صيته ينتشر، وعندما أحس أن الناس يتشوقون لمعرفة فلسفته عكف على الكتابة مرة أخرى، وأخرج ثلاث رسائل تدور كلها حول الموضوعات الرياضية والطبيعية، وهي عن انكسار الأشعة والأنواء الجوية والهندسة، وقدم لها بمقال صغير وهو " مقال عن المنهج " عام ١٦٣٦ . وبلغ حد خوف ديكارت أن طبع الكتاب دون أن يكتب اسمه على الغلاف. قرّر ديكارت أن يضع مذهباً للفلسفة ويطبّقه على الميتافيزيقا ، فأخرج عام ١٦٤١ كتاب " التأملات في الفلسفة الأولى " الذي أهداه إلى الأميرة إليزابيث البلاتينية التي راسلها كثيراً، وأخذ يشرح لها فلسفته ويناقشها في أمور الأخلاق والسياسة. وعندما داعت شهرته وضع له ملك فرنسا راتباً سنوياً يُقدَّر بثلاثة آلاف جنيه عام ١٦٤٧، لكنه لم يتلقَ منه شيئاً إذ آثر حياة العزلة. وفي عام ١٦٤٨ ، تعرّف على ملكة السويد كريستينا التي ناقشته طويلاً في فلسفته عبر سلسلة من الرسائل، وأصرّت على دعوته للسويد ليكون عوناً لها في إدارة الحكم وشؤون البلاد كمستشار، وعندما قبل الدعوة سافر إلى ستوكهولم عاصمة السويد في أواخر عام ١٦٤٩ . وكانت الملكة تتردد عليه طويلاً لمناقشته في فلسفته، لكن الطقس البارد للسويد لم يكن مناسباً لصحته، فأصيب بالتهاب رئوي، ورفض نصائح الأطباء، وآثر أن يعالج نفسه بنفسه، وعندما اشتد عليه المرض تُوفي في ١١ فبراير عام ١٦٥٠ .

لُقّب ديكارت بـ " أبو الفلسفة الحديثة"، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده هي انعكاسات لأطروحاته، التي ما زالت تُدرّس حتى اليوم. كما أن لديكارت تأثيراً واضحاً في الرياضيات، فقد اخترع نظاماً رياضياً سُمّي باسمه وهو " نظام الإحداثيات الديكارتية " ، الذي شكّل النواة الأولى للهندسة التحليلية . وهو صاحب المقولة الشهيرة : " أنا أفكر ، إذاً أنا موجود".

رينيه شار وصعقة الشعر

وُلد الشاعر الفرنسي رينيه شار (١٩٠٧ _ ١٩٨٨) في ليسل سور لا سورغ ، جنوب فرنسا ، وتُوفِّي في باريس . كان مُحبُّوه وعُشَّاقه يصفونه بالشاعر الصاعق .

كان أصغر إخوته الأربعة . ومُنذ صباه عشق العواصف والرمود . وكان يحب النار ، ويقول إن النار هي " دليله الأعلى " . وفي الحادية عشرة من عُمره ، أحس بطاقة الشعر تتفجّر في داخله . وفي نفس هذه السن فقد والده ، لكنه لم يشعر بحزن كبير جرّاء موته ، واعتبر موته أمرًا عاديًا ، لأن الشعر كان مسيطرًا عليه بشكل كامل .

لم يكن مهتمًا بدراسته ، وترك المدرسة مبكرًا ، وأخير والدته أن لا شيء يَعْنِيه مُنذ الآن غير الشعر . ثم أخذ يُطالب عائلته التي كانت تملك العديد من مقالع الجبس بنصيبه من الميراث . وقد تسبّب هذا الأمر باندلاع معركة عنيفة بينه وبين شقيقه الأكبر . وأمام حُزن أمّه الأرملة ودموعها، انسحب شار مِمّا سَمّاه فيما بعد بـ " جو التراجيديا الإغريقية " .

اشتهر شار في فرنسا والعالم الفرنكفوني بقصائده التي تُصنّف كأعمال إبداعية بمفاهيم كبيرة أهمها التوحد والتركيز والتُّسلُّ والتَّشَفُّف والإيثار والمقاومة الحقيقية التي تنحو نحو الفعل ، مِمّا منحها كثافة فلسفية عميقة . وتُرجمت أعماله إلى عشرات اللغات .

انضمَّ شار إلى الحركة السريالية التي ظهرت عِقب الحرب العالمية الأولى ، وكانت شكلاً من أشكال التمرد والاحتجاج على فظاعات هذه الحرب وآفاتها ومآسيها التي جرّتها على الإنسانية .

بعد أن تعرّف عليه بول إيلوار في منطقته التي كانت معزولة ، ولفتته موهبته الفدّة ، أقنعه بالسفر إلى باريس ، حيث أمكنه التعرف إلى فرسان هذه الحركة ، وعلى رأسهم مؤسّسها أندريه بريتون . غير أن انضمام شار إلى هذه الجماعة كان عابراً ، إذ رغم تحمّسه في البداية لمشروعهم، ومساهمته في المقاومة ، ابتعد بمحض اختياره عن رفاق دربه السرياليين ، كي يغمس في شعره .

ومُنذ عام ١٩٤٥ ، نذر شار حياته للشعر ، وتفرّغ له ، وأخلص له الشعر بأن جعله من أجمل الأصوات الشعرية عالمياً . ومن أجل مواجهة صعوبة الحياة وقسوتها في المدينة الكبيرة ، وتوفير قُوت يومه ، كان _ بين وقت وآخر _ يبيع لوحات أصدقائه الفنانين ورسوماتهم .

تميّز شار بأسلوبه المتفرد الذي لم يُنافسه فيه أيُّ من مُعاصريه . وقد كان صديقاً لأهم وأشهر المعاصرين له من الفنانين مثل : بيكاسو ، وبراك ، وجياكوميتي ، وميرو .

في عام ١٩٢٧ ، قدّم شار تعريفه الخاص للشّعر : ((كُلّ شعر لا بُد أن يُؤلّد حرّاً ، ومجنوناً قليلاً ، مجنوناً و متمرداً في الأيدي التي تأتي به إلى العالم)) .

في عام ١٩٢٩ ، تفاقمت الأزمة الاقتصادية في أوروبا ، وامتألت شوارع المدن الكبيرة بالعاطلين عن العمل ، والفقراء ، والمحتاجين ، واليائسين ، والغاضبين . وبدأت تلوح علامات حرب جديدة مُدْمِرة . وفي ١٥ ديسمبر / كانون الأول من نفس العام ، أصدرت مجلة " الثورة السريالية " ، التي كان يرأس تحريرها أندريه بريتون شعاراً جديداً يتضمّن الدعوة إلى أن تكون " السريالية في خدمة الثورة " . وقد تحمّس شار لهذا البيان ، والتصقّ بالحركة السريالية ، واعتنق أفكارها وأطروحاتها الأدبية والسياسية والاجتماعية والفنية .

عند اندلاع الحرب العالمية الثانية، انضمّ شار إلى حركة المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي، ليصبح أحد كبار قادتها في جنوب البلاد . وقد كتب إلى أحد أصدقائه قائلاً : ((على هذه البلاد أن تخرج من جمودها، ومن أفكارها المسبقة المتسمة بالبلاهة والغباء ، ومن شيخوختها المعقّية عليها. علينا الذهاب قُدماً إلى الأمام ، وعلينا أن نصبح قُساة كي نتصر)) . خلال الحرب ، وعلى مدى أربع سنوات ، لم يكتب شار قصيدة واحدة ، إلا أنه كان يُسجّل انطباعاته في كل فرصة تُتاح له. وفيما بعد ، جمع تلك الانطباعات ضمن كتاب " أوراق هينوس " (١٩٤٦) . وعندما قرأه إيلوار ، كتب إلى صاحبه قائلاً : ((هذا الكتاب الصغير عمل عظيم وهائل . لقد غرست في الأرض سيقاً سيظل هناك أبداً الدهر)) .

بعد نهاية الحرب ، عاد شار إلى باريس . وقد أجبرته المصاعب المادية التي كان يُواجهها في ذلك الوقت على السكن في فندق صغير في الحي اللاتيني .

وفي مطلع الخمسينيات ، صار شار واحداً من أكبر شعراء فرنسا . وعندما احتدّت المعارك بين سارتر وكامو ، ساند الأخير . وعندما توفّي كامو في حادث سيارة رثاه بصورة مؤثرة . من أبرز أعماله: مطرقة بدون معلم (١٩٣٤) . خزانة لدرب تلاميذ (١٩٣٧) . في الخارج، الليل محكوم (١٩٣٨) . غضب وسر غامض (١٩٤٨) . الليلة الطلسمية (١٩٧٢) .

زيجمونت باومان والحادثة والهولوكوست

وُلد الفيلسوف البولندي زيجمونت باومان (١٩٢٥ _ ٢٠١٧) في بوزنان ، بولندا ، لأبوين بولنديين ، يهوديين بالاسم . اتَّجهت عائلته شرقًا إلى الاتحاد السوفييتي بعد الاحتلال النازي لبولندا في عام ١٩٣٩ . خدم باومان في الجيش البولندي الأول الذي كان بقيادة سوفيتية كمُدْرَس في العلوم السياسية . شارك في معارك كولبرج (كولوبرزيغ حاليًا) وبرلين . وفي مايو ١٩٤٥ ، مُنح الصليب العسكري للشجاعة (ميدالية على شكل صليب تُمنح تكريمًا) .

اعتنق باومان الشيوعية أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن الأمر سرًّا . وقد اعترف بأنه كان على خطأ عندما التحق بالمخابرات العسكرية في عمر التاسعة عشرة ، رغم أن وظيفته مكتبية غير فعَّالة ، ولم يُخبر عن أي أحد . وخلال عمله في فيلق الأمن الداخلي ، درس باومان بدايةً علم الاجتماع في أكاديمية وارسو للعلوم الاجتماعية . ثم ترك علم الاجتماع ، ودرس الفلسفة في جامعة وارسو . والجدير بالذكر أن علم الاجتماع قد أُلغي بشكل مُؤقت من المناهج الدراسية البولندية باعتباره حقلاً معرفيًا برجوازيًا .

تَمَّت ترقية باومان إلى رتبة رائد ، عندما تمَّ تسريحه من العمل بشكل مُخزٍ مُفاجئ في عام ١٩٥٣ ، بعدما توجَّه والده إلى السفارة الإسرائيلية في وارسو طلبًا للهجرة إلى إسرائيل . كان باومان لا يُشاطر والده توجُّهه وميله الصهيوني ، بل كان معاديًا له وبشدة ، وهذا الأمر جعله يبتعد عن الوالد مُؤقتًا .

خلال الفترة التالية التي لم يعمل بها ، أكمل باومان دراسة الماجستير . وفي عام ١٩٥٤ ، أصبح محاضرًا في جامعة وارسو ، حيث استقر بها إلى عام ١٩٦٨ . وخلال وجوده في قسم الاقتصاد في جامعة لندن ، وعندما كان روبرت ماكينزي المشرف عليه ، جهَّز باومان دراسته عن الحركة الاشتراكية البريطانية ، التي أصبحت فيما بعد كتابه الأول في مجال تخصصه . نُشر الكتاب باللغة البولندية عام ١٩٥٩ ، وتمَّ تنقيحه وترجمته إلى الإنجليزية في طبعة ظهرت عام ١٩٧٢ . استمرَّ باومان في نشر كتب أخرى ، منها كتاب " علم الاجتماع للحياة اليومية " باللغة البولندية عام ١٩٦٤ ، والذي وصل إلى شريحة شعبية كبيرة في بولندا .

عُرف باومان بأنه ناقد للحكومة الشيوعية البولندية . ولهذا السبب لم يحصل على لقب الأستاذ حتى بعد أن اكتمل تأهيله لهذا . لكن بعد أن أوجد مُعلِّمه السابق جوليان هوفيلد منصب

نائب مدير اليونيسكو لقسم دراسات علوم الاجتماع في باريس عام ١٩٦٢ ورث باومان كرسي هوفيلد. وكان على باومان أن يتخلى عن جنسيته البولندية حتى يستطيع الخروج من بلده، فذهب أولاً إلى الكيان الصهيوني ليدرس في جامعة تل أبيب، قبل أن يجد له كرسيًا في قسم علم الاجتماع في جامعة ليدز ، حيث أصبح فيما بعد رئيسًا للقسم. ومنذ ذلك الوقت، كانت كتب باومان تُنشر باللغة الإنجليزية على وجه الحصر، وهي لغته الثالثة، حيث ذاع صيته بعد ذلك بشكل سريع . في نهاية التسعينيات، كان باومان عاملاً مؤثرًا في حركة مُضادة للعولمة . وفي مقابلة له عام ٢٠١١ مع مجلة بولندية " بوليتكا"، انتقد باومان إسرائيل بقوله إن إسرائيل لم تكن مهمة إطلاقًا بالسلام، بل كانت تستخدم الهولوكوست كعذر لشرعنة أفعالها المتوحشة .

نشر باومان أكثر من خمسين كتابًا ، ولديه أكثر من مئة مقال . وأغلب كتاباته كانت تحوي على مواضيع متشابهة مثل: العولمة. الحداثة وما بعد الحداثة. المادية (الاستهلاكية). النظام الأخلاقي. في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات نشر باومان عدّة كتب تحدثت عن العلاقة بين الحداثة والبيروقراطية والعقلانية والإقصاء الاجتماعي .

اتّبع باومان فرويد عندما نظر للحداثة الأوروبية كمُقايسة ، وقال إن المجتمعات الأوروبية قبلت بالتفريط بشيء من الحرية مقابل الحصول على فوائد زيادة الحماية الفردية .

تحدّث باومان عن الحداثة، والتي وصفها بالشكل "الصلب"، حيث حاولت أن تزيل خوف وتوجّس الشخصية البشرية عن طريق التحكم بالثروات، وتطبيق السالام الوظيفية، ووضع القوانين والتنظيمات، وذلك لتجنب الفوضى .

في كتابه " الحداثة والهولوكوست " (١٩٨٩)، تحدّث عن خطر الشعور بمثل هذه المخاوف . كما تحدّث عن الاستبداد والتنوير . وكان يرى أن الهولوكوست لا يجب أن تُعتبر جزءًا من تاريخ اليهود ، ولا نوعًا من الرجوع إلى بربرية ما قبل الحداثة. وبشكل ما، يرى باومان أن الهولوكوست لها علاقة عميقة بالحداثة . وفي تحليلات باومان يذكر أن اليهود أصبحوا غرباء بشكل أكبر في أوروبا. والسبب في ذلك كما صوّره ، هو مُحاولات المجتمعات الأوروبية تجاوز الطبيعة السيئة غير المريحة لهم ، والتي هي مزروعة في أصل اليهود كعنصر أساسي في طبيعتهم .

وفي كتابه " الحداثة والازدواجية " (١٩٩١) وضع باومان نظريته عن شخصية الإنسان غائبة الملامح بتقديم الشخصية المجازية " الغريب " . وحاول أن يُعطي عددًا من الاختلافات التي تحاول المجتمعات الحديثة تَبْنِيها تجاه هذه الشخصية الغريبة .

سالفاتوري كوازيمودو ومقاومة الفاشية

وُلد الشاعر الإيطالي سالفاتوري كوازيمودو (١٩٠١ - ١٩٦٨) في مدينة موديكّا بالقرب من صِقْلِيّة ، لأب يعمل موظفًا بالسكك الحديدية . درس الرياضيات والهندسة في مدينة باليرمو ، وأكمل دراسته الهندسية بروما عام ١٩١٩ ، ثم عمل كمهندس في هيئة حكومية لمدة عشر سنوات . كان شِعْرُهُ غارقًا في الإبهام والغموض والتعقيد ، ولكنه اتَّجه بعد الحرب العالمية الثانية إلى مناقشة القضايا الاجتماعية المعاصرة . وفي عام ١٩٤١ ، حَظِيَ بمقعد لتدريس الأدب الإيطالي في أحد المعاهد . كما أنه دُعِيَ إلى الإسهام في المجلة الأدبية (سولاريا) التي صدرت في فلورنسا خلال الفترة (١٩٢٦ - ١٩٣٦) . وكان لها دور كبير في تجديد الأدب الإيطالي ، وتحديث الأساليب الأدبية ، والتعريف بالآداب الأخرى وكتّابها . وقد نشرت هذه المجلة ديوانه الشعري الأول " مياه ويابسة " (١٩٣٠) الذي جعل كوازيمودو رائدًا من رواد مدرسة الإبهام في الشعر ، وزعيمًا لتيار شعري مُوغل في الرمزية . كان كوازيمودو في بداية حياته من أنصار الفكر اليساري ، وكان عضوًا في الحزب الشيوعي حتى تحرير بلاده من الحكم الفاشي . وكان مُقاومًا عنيدًا للفاشية ، وألهمته المقاومة قصائد أكثر وضوحًا ومباشرةً . ورَكَزَ على المأساة التاريخية للإنسان المعاصر الذي يبحث عن الحرية ، ويكتشف أنها صعبة المنال . وقد تَغَنَّى بالأحلام الوردية الضائعة، والعصر الذهبي المقترن بالأساطير والذكريات .

وغدا شعره تأملًا دقيقًا في الحزن والدمار اللذين جلبتهما الحرب على الإنسانية . وندّد في كثير من قصائده بظلم الحكم الفاشي ، وبشاعة الحروب ، وآثام الإيطاليين . كما أضحت قصائده تتسم ببساطة اللغة ، وواقعية الصور والمجازات . وهذا يتناسب مع عالم الخراب والضياع والضحايا والحروب والكوارث . ومن الأمور اللافتة أن كوازيمودو كان يُقارن الجسد الإنساني بالطبيعة ، ويرى فيه مُكوّنات الأرض من ماء وتراب . لكنَّ وصفه للطبيعة يُظهر تشاؤمه ونظرتة السّوداوية للحياة ، حيث تظهر قوى الطبيعة في أعماله بشكل مُخيف ورهيب . فالرياح تُصبح مُهلكة ، والغيوم دموية ، ويتحوّل المطرُ إلى قاتل . وهذه الصور الرهيبة تتجلى في مؤلفاته " الأخضر الزائف والصحيح " (١٩٥٦) . و " أرض لا نظير لها " (١٩٥٨) . وفي العام نفسه ، مُنح جائزة فياريتجو (أكبر جائزة أدبية إيطالية) . ثمَّ ازدادت شهرته العالمية بعد فوزه بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٩ عن أعماله الشعرية الغنائية المعبرة عن الحياة المأساوية في عصرنا الحالي .

يُشكّل كوازيمودو إلى جانب الشاعرَيْن مونتالي وأونغاريتي الثالوث الشعري الذي طَوَّر الشعر الإيطالي في القرن العشرين ، كما أسهم في إحياء اللغة الإيطالية ، وفاق نضالهُ الشعري نضالهُ السياسي .

وفي يونيو ١٩٦٨ ، أثناء وجوده في أمالفي (جنوب شرق مدينة نابولي) لمناظرة ، أُصيب بنزيف في المخ . وتُوفّي في مستشفى نابولي . ودُفن في المقبرة التذكارية بميلانو .
من أبرز دواوينه الشعرية : مياه ويابسة (١٩٣٠) . المزمّار المغمور (١٩٣٢) . أريج الكافور (١٩٣٣) .

ومن أبرز كُتبه الفكرية : الروح فعل خالص (١٩٣٧) . فلسفة الفن (١٩٤٩) .

سان جون بيرس والغربة الأدبية

وُلد الشاعر والدبلوماسي الفرنسي سان جون بيرس (١٨٨٧ _ ١٩٧٥) في إحدى جُزر الأنْتِيل . اسمه الحقيقي ألكسي سان ليحي . انتقل إلى فرنسا في ١٨٩٨ للدراسة بمدينة بوردو . وفي عام ١٩١٤ ، التحق بوزارة الخارجية ، حيث تولى عدة مناصب دبلوماسية في بكن وواشنطن ، ثُمَّ ترقَّى إلى منصب السكرتير العام لوزارة الخارجية .

عاش بيرس حياة الغربة والترحال الدائم، وهذا الأمر جعله يتعد في الرؤية الفكرية ، والمعالجة الشعْرية . وهذا سبب تَمَيُّزه عن مُعاصريه من شعراء النصف الأول من القرن العشرين مثل : لوركا ، وكفافيس ، وماياكوفسكي .

لقد حَوَّلته الغربة إلى إنسان عائش في الأحلام والذكريات ، وصار يرى الأمور من منظور فلسفي مُتميِّز ومُختلف عن الآخرين . كما أنَّ الترحال الدائم جعله يلتقي بأشخاص مختلفين دينياً وعِرقياً وفكرياً ، كما ساهم في تَعَرُّفه على عادات الشعوب وثقافتها . ولا شكَّ أن هذا الانفتاح على الحضارات في الشرق والغرب ، ساهم بشكل كبير في توسيع ثقافته ، وإبعاده عن النظرة الأحادية الضيقة، وزيادة خِبرته العملية. وهذا انعكس إيجاباً على مستواه الفكري وإبداعه الشعري. لقد كان بيرس شاعرًا شديد الحساسية والتميز . يمتلك إحساسًا بالرفعة والعُلُو . وعلى الرغم من كثرة أسفاره ، واختلاطه بكثير من الناس أثناء ترحاله الدائم، إلا أنه كان دائم العودة إلى نفسه ، ولا يعيش إلا مع ذاته . كان معتزلاً بصورة دائمة ، وغائبًا باستمرار .

والغزلة والاعتزال والغياب ، كلها قيم فكرية ذات تأثير هائل في حياته الشخصية ، وواضحة في شعره وأفكاره. لقد انعكست تفاصيل حياته الشخصية على أشعاره. وصار مَتْنه الشعري أشبه بوصفة سحرية، وخليط من الأحلام الضائعة، والذكريات البعيدة ، والبشر الراحلين في الزمان والمكان . وكأنَّ الشاعر يُقدِّم للبشرية خطاباً شعرياً مترامي الأطراف ، ونمطاً صعباً وعسيراً على الفهم ، يمتلأ بالصياغات اللغوية الغامضة ، ويتحرَّك ضمن صوت مُقنَّع وأفكار لا نهائية .

صاغ بيرس خطاباً شعرياً شديد التعقيد على الصعيدين اللغوي والفكري ، وكأنه خطاب من العالم القديم لأحد الخطباء الرومان ، تَمَّ إعدادُه ليلقى على الأمراء وعلية القوم . وهذا يدل على أن الشاعر كان نُخبوياً إلى أبعد درجة ، ولم يكن معنياً بالوصول إلى الناس ، أو تحقيق جماهيرية ونجومية بينهم . لقد آمنَ أن الشعر مِرآة الرُّوح الغامضة ، وفن نُخبوي سِرِّي لا علاقة للعوام به .

يمتاز شعر بيرس بغنائية ذات طبيعة ملحمية ، لا نظير لها بين مُعاصريه . كما أنه يُعتبر أكبر مُجدّد في الشّعر الفرنسي . فعلى المستوى التقني ، نجده يتخلى عن البيت الشّعري ، ليؤسّس المقطع الشّعري المتكامل الذي يُشبه الفقرة ، كما أنه تخلى عن محور الشّعر الفرنسي التقليدي ، وراح يكتب الشّعر على شكل إيقاعات متتالية ، ذات موسيقى خاصة بها .

إن الغربة روحياً ومكانياً تتجلى بكل وضوح في أدق تفاصيل حياة الشاعر . فقد وُلد في أرض غربية (إحدى جُزر الأنْتيل) . وتقلّد مناصب دبلوماسية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية في بلاد بعيدة . ثم عاش حياة الاغتراب منذ الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة الأمريكية . وكل هذا التشرّد في المدن والبلاد والجغرافيا ، لم يفصله روحياً عن العالم ، ولم يُؤثّر سلّياً على حساسيته الشّعريّة، ومرجعيتَه الفكرية. فقد نشر ديوانه الشّعري الأول "مدائح " عام ١٩١١ تحت اسمه الحقيقي. وبعدها يصمت لمدة ثلاثة عشر عاماً، مع انقطاع عن الوسط الشّعري الفرنسي، باستثناء صديقيه الشاعر بول كلوديل ، والكاتب فكتور سيغالين الذي كان دليله لمعرفة العالم الآسيوي مُمثلاً بالمجال الثقافي الصيني .

وهذا الابتعاد جعله بمعزل عن التأثير بالتيارات الشّعريّة في عصره كالسريالية ، والشّعر الملتزم النضالي. وقد كان كثيراً ما يسخر من السرياليين ، ويعتبرهم عائشين في الأوهام والخديعة البصرية. وفي عام ١٩٢٤ ، أصدر ديوانه الشّعري الثاني " صداقة الأمير " تحت اسم سان جون بيرس ، وهو الاسم الأدبي الذي اختاره لنفسه ، ليتخفى وراءه طيلة حياته الأدبية .

وفي العام نفسه ، نشر قصيدته الأشهر " آنا باز " التي كرّسته شاعراً عالمياً . و " آنا باز " ليس اسماً لفنّانة كما يُخيّل إلى البعض . بل هو تعبير إغريقي قديم يعني " رحلة إلى داخل الذات " .

وبعدها يصمت مرةً أخرى لمدة ثمانية عشر عاماً ، ثم يُصدر قصيدته " منفى " التي نشرها في ثلاث مدن في آنٍ معاً: شيكاغو، وبوينس آيرس ، ومرسيليا ، كما ظهرت بباريس في طبعة سرّية .

ثم نشر بشكل متتابع : " قصائد إلى الغريبة " (١٩٤٣) ، ويتلوها بقصيدة " أمطار " (١٩٤٣) . ثم قصيدة " ثلوج " (١٩٤٤) ، ويتلوها بقصيدة " رياح " (١٩٤٦) . وفي عام ١٩٥٣ ، جمع كل هذه القصائد المطوّلة في كتاب واحد عنوانه (أعمال شِعريّة) .

وكل هذه الإنجازات الشّعريّة ذات الطبيعة الملحمية المتفرّدة ، ساهمت في فوزه بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٠ .

سان سيمون والاشتراكية المسيحية

وُلد الفيلسوف الفرنسي كلود هنري سان سيمون (١٧٦٠ _ ١٨٢٥) في باريس، وتُوفي فيها . كانت أسرته من النبلاء ، وكان جدُّه " كونت " مقاطعة سان سيمون . ما لبثت أسرته أن افتقرت ممَّا أثَّر في نشأته وتكوين شخصيته خارجًا على التقاليد ، ورافضًا مجتمع النبلاء . زعم سيمون أنه تلقى تعليمه تحت إشراف كل من دالمبير وروسو ، ولكن لا يوجد دليل على ذلك . ومن المحتمل أن يكون قد اختلق هذه الخلفية الفكرية .

مع انتصار الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ، تخلى سيمون عن لقب نبيل ، واختار لنفسه لقب الدرويش انسجامًا مع قناعته من جهة، ولتلاءم مع النظام الجديد، من جهة أخرى . عمل في التجارة مُدَّة من الزمن ممَّا وفَّر له ثروة غير قليلة ، لكنه بدَّدَها بسخاء ، واضطرَّ في عام ١٨٠٧ للعمل كاتبًا في إحدى جمعيات التسليف ، ليكسب عيشه ، كما مدَّ له أحد خدمه السابقين يد العون. وبعد وفاة خادمه عانى سيمون من صعوبات كثيرة أثَّرت في تحديد اتجاهاته في الكتابة، وكذلك في مواقفه السياسية المتشددة . وفي عام ١٧٩٨ ، في عهد حكومة المديرين ، عاد سيمون إلى مقاعد الدراسة ، حيث تابع بنهم شديد دروسًا في الطب والبوليتيك ، كما بدأ طموحه نحو الكتابة يستأثر بكل اهتمامه . أصدر في عام ١٨٠٣ أول كُتبه المهمة " رسائل من ساكن في جنيف إلى مُعاصريه "، انتقد فيه الثورة مُشيرًا إلى أن النظام القديم قد تهلَّم ، ولا بُد من بناء مجتمع جديد لا يقوم على المذهب الكاثوليكي أو على فلسفة كانت. كان سيمون يطمح إلى إقامة سُلطة روحية فوق الحكومات تتمثل في العلم الذي يجب أن يتحوَّل إلى دين يحل محل الكاثوليكية ، ويتمثل في دولة أُممية فوق القوميات ، عُدَّت في عام ١٩٢٠ مُلهمة إقامة عُصبة الأمم . وفي عام ١٨١٤ ، نشر بمشاركة تلميذه وأمين سرِّه أوغسطين تييرى كتابه " إعادة تنظيم المجتمع الأوروبي "، دعا فيه إلى قيام نظام برلماني في كل دولة على شاكلة ما كان قائمًا في بريطانيا العُظمى ، وكذلك إلى قيام برلمان أوروبي فوق كل البرلمانات الأوربية الوطنية (وهذه الفكرة تحققت أيضًا في الربع الأخير من القرن العشرين). كان يُعالج في مقالاته المنشورة في مجلة " الصناعة " القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، إذ دعا فيها إلى قيام حزب وطني يعتمد على المنتجين في مواجهة أرستقراطية النبلاء الذين كانوا يعيشون بلا أي عمل . وفي عام ١٨١٩ نشر كتابًا سُمِّي فيما بعد " الحكمة " منحه الشهرة ، وجَرَّ عليه مُلاحقة السُلطات ، كان

يؤكد فيه على ضرورة العاملين وأهميتهم للأمة مهما كانت أعمالهم في الحقول أم في المصانع ، في حين كان يرى أن لا فائدة للأمة في أولئك الذين لا ينتجون سواء كانوا نبلاء أم رجال كنيسة أم ضباطاً أم قضاة. ومع أن سيمون وُصِفَ بميوله الاشتراكية ، إلا أنه لم يكن في تعاليمه ضد الرأسمالية بصورة كاملة، إذ أعطى دوراً مهماً للمالكيين المستثمرين في الصناعة والزراعة والتجارة ، كما شدد على دور المصرفيين في تنشيط الاقتصاد الوطني .

عانى سيمون من شدة الإحباط، فحاول في ٩ آذار ١٨٢٣ الانتحار بعبارة ناري في رأسه، مما أدى إلى فقدانه إحدى عينيه . وفي الفترة (١٨٢٣ _ ١٨٢٤) نشر في أربعة مجلدات كتابه "عقيدة الصناعيين" بمشاركة أوغست كونت . وفي هذا الكتاب طوّر سيمون أفكاره الاشتراكية ، فلم يعد يؤمن بالنظام البرلماني . كما أشار بوضوح إلى الدور المتنامي للطبقة العاملة في صفوف الصناعيين (كان سيمون يعدّ المالكيين أصحاب المؤسسات أيّاً كان مجال نشاطها من الصناعيين)، مضيفاً أنه يوجد في صفوف الطبقة العاملة أشخاص قادرون على إدارة المؤسسات . وتُمكن مضاعفتهم بالتعليم . وهكذا بدأت نظريته نحو تنظيم المجتمع تتغير ، وبدأ يرى دور العمال يتصاعد في التنظيم الاجتماعي . وفي نيسان ١٨٢٥ نشر كتابه " المسيحية الجديدة " الذي يعدّ انعطافاً في فكره الاجتماعي والسياسي . أكّد في هذا الكتاب أن " هدف المجتمع يجب أن يكون تحسين مصير الطبقة الأكثر عدداً والأشد فقرًا".

وبذلك يكون سيمون قد قفز من مُنَاداته بالمجتمع الصناعي إلى القول بالمجتمع الاشتراكي، غير أنه لم يتوافر له الوقت الكافي ، لتطوير فكرته عن المجتمع الاشتراكي. فقد تُوفّي بعد شهر واحد من نشر كتابه الأخير. لكن تلامذته ومُرِيديه تابعوا مسيرته من بعده وطوّروا مقولاته الاشتراكية، فكان بذلك " للسانسيمونية " أثر بارز في تطوير الفكر السياسي والاقتصادي والاجتماعي . تضمّنت السانسيمونية أفكاراً اشتراكية كثيرة حتى عدّها بعضهم المقدمة الطبيعية للبيان الشيوعي. وقد كتب أحد أتباع سيمون يقول : ((ما زال الإنسان حتى الآن يستغل الإنسان : الأسياد يستغلون العبيد، النبلاء يستغلون العامة، والعاطلون يستغلون المشتغلين، وكذلك السادة يستغلون الخدم. هذا هو تاريخ الإنسانية حتى يومنا هذا)) .

لقد كان سيمون مصلحاً اجتماعياً ، وأحد مؤسّسي الاشتراكية المسيحية. ونادى بالأخوة بين البشر ، وبضرورة التنظيم العلمي للصناعة والمجتمع . ومن أشهر أتباع سيمون ، أوغست كونت ، والمهندس فرديناند دي لسبس الذي قام بحفر قناة السويس في مصر .

ستندال والتحليل النفسي الواقعي

وُلد الروائي الفرنسي ستندال (١٧٨٣ - ١٨٤٢) في مدينة غرونوبل . اسمه الحقيقي ماري هنري بيل . فقد أمه وهو في السابعة من عُمره، وقد بقيَ هذا الأمر مُؤثّرًا في مجمل حياته . ويجد النقد النفسي في روايات ستندال إرجاعات كثيرة إلى هذا الفقدان، وخاصة في الحنين المَرَضِي إلى إيطاليا التي جاءت منها أمّه، وإلى شجر البرتقال المزهر الذي يُذكر بالريف . انتقل ستندال وهو في السادسة عشرة إلى باريس ، ليدرس في مدرستها المركزية، لكنه سرعان ما تحوّل عنها إلى السلك العسكري، فانتسب إلى حامية إيطاليا في الجيش الفرنسي، وحصل على رتبة ملازم، وبدأ بكتابة يومياته . وفي هذه اليوميات ، كما في رسائل ستندال المتكررة إلى حبيبته " بولين "، انتقاد لاذع للمجتمع الفرنسي الذي صار محافظًا، لأنه بقي مجتمعًا ملكيًا، ولأن ثورة ١٧٨٩ التي كان هدفها تغيير التقاليد البالية في المجتمع أخفقت في تحقيق مشروعها. وقد أفقد هذا النُكوص الاجتماعي ستندال ثقته ، ودفعه نحو التطلع إلى أدب جديد قادر على تحليل ما آلت إليه الأوضاع ، فوجد ضالته في المسرح ، وهو الشكل الأدبي الأكثر رواجًا في ذاك الوقت . وإلى هذه المرحلة ينتسب عدد من محاولاته المسرحية مثل : " الرّجلان " ، و " لوتيليه " ، التي نسجها على منوال مسرحية " طرطوف " لموليير .

ترافق الوعي بإخفاق المشروع الثوري مع اضطراب وجودي عميق عانى منه الشاب ستندال، ونتج عن التناقض بين الحب الذي كان يلقاه في عائلته مقترنًا بالعفة والرغبات المقموعة، وبين حُب بنات الهوى الذي تتحول معه النساء إلى شيء مُستحوذ عليه ، فاقد لإنسانيته . وكاد هذا الاضطراب أن يكون ثابتًا لدى ستندال ، وتجلى في شخصية البطل النبيل صاحب القِيم التي كانت عاجزة دَوْمًا عن تحقيق رغباتها، لكنها حافظت على تأجُّج عاطفتها، في حين اقترنت الشخصيات الانتهازية والأنانية بشخصيات نسائية أسيرة رغباتها وسهلة المنال .

انقطع ستندال في الفترة (١٨١٠ - ١٨١٤) عن الكتابة، ليتفرغ للبحث عن مكانة اجتماعية، فسافر إلى ألمانيا موظفًا في البعثة العسكرية، وشارك من هناك في الحملة العسكرية على روسيا، كما سعى جاهدًا للحصول على وظيفة مُقرّر في مجلس الدولة، ثم صار بارونًا. وفي عام ١٨١٥ بدأ بالتوقيع باسم ستندال، ونشر في باريس عددًا من الكتب الناجحة مثل : " تاريخ التصوير في إيطاليا " . ثم نشر عام ١٨٢٢ دراسته الشهيرة " عن الحب " التي أطلقَ فيها نظريته

المعروفة باسم " البُلُورَة " ، التي تعني تلك الحالة النفسية التي ينسب فيها المحب إلى محبوبه أفراده وأحلامه وكأنها مصدر الكمال وغايته. وفي عام ١٨٢٥، بعد أن أصدر كتابين عن راسين وشكسبير كتب بحثًا بعنوان " حول مؤامرة جديدة ضد الصناعيين " ، أطلقَ فيه مصطلح " الطبقة المفكّرة " ، عارضَ فيه الرأسمالية البرجوازية والأرستقراطية صاحبة الامتيازات. وتتميز كتاباته في هذه المرحلة بالانتقاد المتزايد لفرنسا ، التي فقدت أصالتها ، ولخلافها الدائم مع بلد أحلامه إيطاليا . تحوّل ستندال نحو الكتابة الروائية، وكان ذلك قطيعة وقفزة نوعية في مسيرته الأدبية ، إذ كان يعتبر الرواية جنسًا أدبيًّا مُبتَدَلًا وسهلاً تنقصه الأصالة. لكنه وجد أن بمقدور الرواية أن تُظهر الفردية والخصوصية، وهو ما لم تكن الكتابة النفسانية الطاغية على كتاباته الشخصية قادرة على الإحاطة به . فكتب روايته الأولى " آرمانس " (١٨٢٧) ، ثم روايته الأشهر " الأحمر والأسود " (١٨٣٠) ، لكنها لم تحظَ بالنجاح المأمول ، لأن ستندال جعل من بطل روايته ثوريًّا يرفض المُراءاة والانتهازية، ممّا لم يتفق والأخلاق السائدة آنذاك . وفي السنة نفسها عاد ستندال إلى إيطاليا موظفًا في السلك الدبلوماسي ، وبدأ كتابة " الحوليات الإيطالية " التي اعتمد فيها على مخطوطات قديمة . وبدأ كتابة روايته الثالثة " لوسيان لوفان " التي لم تكتمل .

في الفترة (١٨٣٦ _ ١٨٣٩) أقام ستندال في الريف الفرنسي الذي خصّص لوصفه كتابًا كاملاً بعنوان " مذكرات سائح "، ثم أصدر عام ١٨٣٩ روايته الثالثة والأخيرة " دير بارما " . وفي عام ١٨٤٢، إثر نوبة صرع حادة، تُوفّي ستندال في باريس مجهولاً لا يكاد يعرفه أحد من مواطنيه. يُعتبر ستندال أحد أبرز وجوه الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر (قرن الثورة الصناعية والثقافية معًا) . اتّسمت أفكاره ذات الطابع الرومانتيكي بسخرية بارعة، وبنفاذ نادر إلى أعماق النفس البشرية، وبُزوع واضح إلى النقد الاجتماعي . وتكمن أهمية أدب ستندال في التحليل النفسي الواقعي للشخصيات. وكانت علاقته بالثقافة الإيطالية مصدرًا لإغناء تجربته، كما كان اهتمامه بالموسيقى مصدرًا آخر لهذه التجربة، حيث كتب عن أهم العازفين في عصره .

يُعتبر إلى جانب الروائي بلزاك مؤسس الرواية الواقعية . وإن كان لقب " ستندال " قد طغى في شهرته ، في ميدان الكتابة الروائية، على الاسم الأصلي للكاتب، فإن هذا الأخير قد أخذ بالمقابل حظه الوافر من الشهرة في ميدان الكتابة الشخصية (المراسلات واليوميات والأبحاث والملاحظات). بل ثمة مصطلح أدبي " البليّة "، اشتق من هذا الاسم في نهاية القرن التاسع عشر، للدلالة على تيار نقدي يبحث في العمل الأدبي (روايات ستندال خاصة) .

ستيفن كينغ وزمالة أديب الربيع

وُلد الكاتب الأمريكي ستيفن كينغ (١٩٤٧ _ ...) في مدينة " مين " . عاش بدون أب في صِغره . فقد ذهب أبوه بِعُذر أنه سوف يشتري علبه سجائر ، ثم هرب لترك عائلته وحدها ، ولتبدأ رحلة انتقاله مع والدته عبر الولايات المتحدة . أخذت الأم تعمل طاهية في مؤسسة لذوي الاحتياجات الخاصة ، بينما تفرغ كينغ للدراسة ولهوايته الأثيرة (القراءة) .

التحق بالمدرسة ، وتخرج فيها ليلتحق بجامعة " مين " . ويُذكر عنه أنه كان طالبًا نشيطًا في تلك الفترة، إذ انضم لاتحاد الطلاب، وأخذ يكتب سلسلة مقالات أسبوعية في مجلة الكلية تحت اسم " بوصلة مين " هاجم فيها الحرب ضد فيتنام ، رافضًا أن تدخل أمريكا حربًا لا حق لها فيها . واصل نشاطه هذا حتى تخرج في الجامعة عام ١٩٧٠ ، ليتحول من طالب إلى مُدرّس في الجامعة. وحصلت تغيرات في صحته منها ارتفاع ضغط الدم وضعف البصر وثقب في طبلي الأذن. وقد تعرّف في الجامعة على زوجته التي أخذ يعمل من أجلها طوال فترة دراسته في محل للملابس، وأخذ يبيع بعض القصص القصيرة للمجلات ، حتى تمكن من الزواج منها في عام ١٩٧١ ، ثم بدأ في نشر كتبه ورواياته التي لاقت شهرة كبيرة بين أوساط عُشاق الرُعب .

أول قصة قصيرة باعها كينغ لإحدى المجلات ، كانت " الأرض الزجاجية " في عام ١٩٦٧ ، لكن أول رواية كتبها كانت " كاري " ، والتي تحدثت عن فتاة غريبة الأطوار تمتلك قدرة تحريك الأجسام عن بُعد، وكان يكتب هذه الرواية كوسيلة لقتل وقت الفراغ لديه، لكن حين عرضها على إحدى دور النشر في ربيع ١٩٧٣ قامت الدار بنشرها على الفور، وأمام آراء النقاد المنبهرة بهذه الرواية، عرض عليه مدير تحرير الدار ترك مهنته في الجامعة كمدرّس، والتفرغ للكتابة تمامًا .

لكن الصعوبات بدأت في مطار د كينغ ، إذ اضطر للانتقال بعائلته إلى جنوب " مين " بعد أن أُصيبت والدته بالسرطان، وظلّ يراعاها طيلة النهار، بينما كان يقضي الليل في غرفة صغيرة في جراج المنزل، يكتب في روايته الثانية التي أسماها "العودة الثانية" قبل أن يُقرّر تغيير اسمها إلى " حشد سالم " ، وفيها يحكي عن قرية من مصاصي الدماء يقوم بزيارتها رجل وطفله الوحيد. و حين انتهت الرواية تُوفيت والدته، فعاد كينغ ينتقل بعائلته، وعاد لتفرغه التام للكتابة ، لينتهي في أوائل ١٩٧٥ من روايته " الصمود " ، و " منطقة الموت " . أخذت روايات كينغ تتلاحق بغزارة غير مسبوقة ، وهي روايات من القطع الكبير ، ولا يقل عدد صفحات الرواية عن ٧٠٠ صفحة .

كتب كينغ رواية " البريق " (١٩٨٠) والتي تتحدث عن كاتب مجنون يقضي الشتاء مع عائلته في فندق مهجور ، ثم رواية " كريستين " التي تتحدث عن سيارة مسكونة ، ثم بدأ في جمع قصصه القصيرة لينشرها في مجموعات قصصية من أشهرها " وردية الليل " ، ثم " أربع دقائق بعد منتصف الليل " . ومع النجاح المتواصل، قرّر المخرج الشهير برايان دي بالما تحويل رواية " كاري " إلى فيلم سينمائي . وقد حظي الفيلم بنجاح مذهل . وهكذا دخل كينغ عالم السينما من أوسع أبوابه . ومع توالي رواياته، توالى أفلامه، فقام المخرج ستانلي كوبريك عام ١٩٨٠ بتحويل رواية " البريق " إلى فيلم كابوسي مخيف . وهكذا أصبح كينغ علامة مُميّزة للرعب، سواءً على مستوى الروايات أم الأفلام ، حتى إن النقاد أخذوا يلقبونه " ملك الرعب " ، وبدأت الملايين تنهال عليه ، فبنى قصره الخاص في مدينته الأثيرة " مين " . وغالبًا ما تدور أحداث رواياته في هذه المدينة . وأخذ يكتب بلا توقف، ثم قرّر استغلال وقته، فتعلم الإخراج، ليقوم هو أيضًا بتحويل قصصه إلى أفلام، لكنها لم تكن بجودة كتابته، فتفرغ لإخراج الحلقات التلفزيونية. ثم في عام ١٩٩٤ قام المخرج فرانك دارابونت بتحويل إحدى قصص كينغ إلى واحد من أشهر الأفلام في تاريخ السينما على الإطلاق تحت اسم " وداعًا شاوشانك " . وكانت هذه نقلة تاريخية في حياة كينغ . وهذا الفيلم لم يكن له أي علاقة بالرعب، لكنه كان يعكس قدرة كينغ وتمكنه كأديب من طراز خاص . ومع النجاح تتوالى الملايين ، وقد ذكر كينغ نفسه أن رصيده يزداد بمقدار عشرة ملايين دولار أسبوعيًا من أرباح إعادة طبع رواياته. وقد باع أكثر من ٣٠٠ مليون نسخة حتى الآن. وترجمت رواياته إلى أكثر من ٣٥ لغة . أي إنه لم يتحول إلى كاتب ، بل إلى ظاهرة تستأهل الدراسة . وقد كان أدب الرعب يُصنّف على أنه أدب للتسلية ، فارتقى كينغ بأدب الرعب ليقف به إلى جوار كُبار الكُتّاب، بروايات تجاوزت ٤٠ رواية ، وعدد لا ينتهي من القصص القصيرة والمجموعات القصصية ، والسيناريوهات التلفزيونية . وقد نال عشرات الجوائز حتى الآن من الجمعيات النقدية على مستوى العالم، لكن أهم جائزة كانت ميدالية الاستحقاق التي قدّمها له جمعية الكتاب الوطنية، لإسهامه الذي لن يُنسى للأدب، وكان ذلك عام ٢٠٠٣ . وبهذه الجائزة تُوجّج كينغ كواحد من أهم وأشهر كُتّاب القرن العشرين على الإطلاق .

وقصص كينغ تتضمن شخصيات غير متميزة، كعائلات الطبقة الوسطى أو أطفال أو في الكثير من الأحيان مؤلفين. شخصيات قصص كينغ منخرطة في الحياة اليومية، لكن مؤثرات وتدخّلات فوق طبيعية وظروف غير عادية تقوم بتحويل مسار حياتهم ، وتشكيل أحداث القصة الدرامية .

ستيفان زفايغ والعناق الأخير

وُلد الأديب النمساوي ستيفان زفايغ (١٨٨١ _ ١٩٤٢) في فيينا (عاصمة الإمبراطورية النمساوية المجرية) لعائلة يهودية غنية معروفة بصناعة الغزل والنسيج. وماتَ مُنتحرًا في بتروبوليس في البرازيل .

درسَ الفلسفة في جامعة فيينا ، وفي عام ١٩٠٤ حصل على درجة الدكتوراة . ولم يكن للدين دور مركزي في تعليمه . وقد وصف نفسه بأنه كان " يهوديًا بالصُدفة " . ومع هذا ، لم يتخلَّ عن دينه اليهودي ، وكتب مرارًا وتكرارًا عن مواضيع ذات طابع يهودي . وكانت له علاقة صداقة قوية مع هرتزل (مؤسس الصهيونية) .

في ذروة مسيرته الأدبية (١٩٢٠ _ ١٩٣٠) ، كان يُعتبر من أبرز كُتّاب أوروبا ، وواحدًا من أكثر الكُتّاب شعبية في العالم . وعُرف بمقاومة النازية ، والوقوف ضدها .

وقد اشتهر بدراساته العميقة التي تتناول حياة المشاهير من الأدباء أمثال : تولستوي ، ودوستويفسكي ، وبلزاك ، ورومان رولان ، فيتناول الشخصية بحيادية ، ويكشف حقيقتها كما هي دون رُتوش . وفي الوقت نفسه يُميط اللثام عن حقائق مجهولة أو معروفة على نطاق ضيّق ، في حياة هؤلاء المشاهير الذين ذاع صيتهم .

كتب زفايغ العديد من المسرحيات والروايات والمقالات . وصدر له عمله الذي تناول فيه سيرته الذاتية " عالم الأمس " بعد انتحاره.

حصل على الجنسية البريطانية بعد تَوَلَّى النازيين للسلطة في ألمانيا . وعاش مُتنقلًا في أمريكا الجنوبية مُنذ عام ١٩٤٠ .

قرَّر زفايغ التخلص من الحياة ، وهو يشهد انهيار السَّلم العالمي، وويلات الحرب العالمية الثانية، فشعر بخيبة شديدة ، وتوترت أعصابه المرهفة ، فأقدم على فعلته دون وَجَل ، ولم ينسَ أن يشكر حكومة البرازيل حيث انتحر ، على حُسن الضيافة والرعاية ، علَّمًا أن الراحل كان قد حصل على الجنسية البريطانية قبل انتحاره بمدة وجيزة .

في يوم ٢١ فبراير عام ١٩٤٢ ، جلسَ في بيته الفخم ، يُودِّع معارفه بريديًا ، ويشرح لهم أسباب انتحاره ، وكتب يومذاك ١٩٢ رسالة وداع بما في ذلك رسالة إلى زوجته الأولى ، وبعد ذلك دخل زفايغ وزوجته الثانية إلى غرفة النوم ، وابتلعا في لحظة واحدة العشرات من الأقراص

المنومة ، وتعانقا بحنان وطال العناق . وفي اليوم التالي اقتحم خدم المنزل غرفة النوم ، لتأخرهما بالاستيقاظ المعتاد ، ليجدوا الأديب وزوجته قد فارقا الحياة في عناق أبدي ، ودون إثارة ضجة ، ولم ينس الأديب أن يُعطي كلبه المدلل جرعة كبيرة من المنومات، فنام بدوره أمام باب غرفة النوم. وهذا النوع من الانتحار يُسمى " الانتحار الشائي " ، وهو الرغبة في الموت مع شخص آخر ، تربطه به عواطف ساخنة ووشائج متينة . وقد كان زفايع مُتَسَرِّعًا في اتخاذه لقرار إنهاء حياته ، نتيجة حساسيته المفرطة وسليبيته ، ولو انتظر عدّة سنوات ، لشهد بنفسه عودة السّلم العالمي ، واندحار النازية والفاشية معًا .

وقد تحوّل منزله في البرازيل في وقت لاحق ، إلى مركز ثقافي ، ويُعرف الآن باسمه .
من أبرز أعماله: ليلة رائعة (١٩٢٢) . رسالة من امرأة مجهولة (١٩٢٢) . سقوط القلب (١٩٢٧) . أربع وعشرون ساعة في حياة امرأة (١٩٢٧) . الشمعدان المدفون (١٩٣٦) .

ستيفان مالارميه والكتابة للنخبة

وُلد الشاعر الفرنسي ستيفان مالارميه (١٨٤٢ - ١٨٩٨) في باريس ، وتُوفّي في فالان إحدى ضواحيها . فقد والدته وهو في الخامسة ، فتولى تربيته وشقيقته الصغيرة جدّاه لوالدته . وبعد زواج والده الموظف الإداري ، وُضع في مدرسة داخلية حتى نهاية دراسته الثانوية . وقد تألّم كثيراً لفقد شقيقته عام ١٨٥٧ ، ووالده عام ١٨٦٣ .

يُعتبر مالارميه من رواد الرمزية ، وكان شاعرًا رمزيًا كبيرًا ، ألهم العديد من المدارس الفنية الثورية في مطلع القرن العشرين ، مثل الدادائية ، السريالية ، والمستقبلية .

كان مالارميه حاليًا في طفولته ، وأحب الشعر ، وبدأ نظمَه قبل بلوغه العشرين ، وأدهش قُرّاءه بسلامة لغته وجودة أسلوبه . وأغرم وهو في العشرين بفتاة ألمانية كانت تكبره ببضع سنوات ، ثم سافرا إلى بريطانيا وتزوّجا عام ١٨٦٣ ، حيث حصل على شهادة تأهيل لتعليم اللغة الإنجليزية . كان الزواج له واجبًا أراد أن يتفرّغ بعده للشعر الذي يتطلب _ في رأيه _ تضحية وتفانيًا . واكتشف مع نزوح شخصيته أن مهنة التدريس التي بدأ يُزاولها في مناطق مختلفة من فرنسا تبعث فيه الكآبة ، التي لم تتلاش في عُش الزوجية ، كما أن ولادة طفله عام ١٨٦٤ لم تمنحه السعادة ، إضافة إلى أن رتابة الحياة وتفاقتها _ كما يقول _ زادت من حزنه وتشاؤمه .

وجد مالارميه نفسه _ عندما عُيّن مُدرّسًا في باريس في خريف عام ١٨٧١ _ في وسط أدبي وفني واسع ، فأشبع هوايته الأدبية والموسيقية ، وفتحت أمامه أبواب أوصلته إلى الشهرة . ولم يمتنع عن مواكبة ذوق العصر في التوجه نحو أسلوب أدب الانحطاط .

فقد مالارميه في عام ١٨٧٩ طفله أناتول ذا السبع سنوات ، فزادت عزله، وبقيت نخبة قليلة إلى جانبه . وبما أنه لم يكن يبحث عن الكسب المادي أو الشهرة لُقّب بشهيد الشعر . وتميّز شعره بالأصالة . وطبيعته المغلقة وتفكيره العاطفي أوصلاه إلى تيار الهرمسية المُتّسم بالغموض والانغلاق . وشعره مُحاط بالغموض ، ولا يعرف القارئ أين تبدأ قصيدته وأين تنتهي . وقد اكتفى بنخبة من القُرّاء فقط ، ولجأ إلى الإضمار والإيجاز والتعقيد . وكان يختار كلمته لا لمدلولها بل لجرسها مُتحدّثًا بالرموز والإيحاء ، لذلك نال إعجاب الرمزيين . كما أنه لم يترك شيئًا للمصادفة ، فبدت كلماته متماسكة ومتناغمة بإحكام ، وكأنها معزوفة من دون آلة موسيقية . وتخيّل قواعد لعبة خاصة به لنظم أبياته بفكر علمي رفيع ، وبالتالي يُؤخذ عليه قطيعته مع القارئ العادي .

كان مالارميه مُعجَّبًا بأعمال فكتور هوغو الشعرية، ولكنه في الوقت نفسه أراد أن يتجاوز مفهوم الشَّعر التقليدي الذي لم يشهد تطورًا كبيرًا منذ القرن السادس عشر. واتَّجه إلى مفهوم جديد مُبتكَر كانت ثمرته الدراما الشعرية " هيرودياذ " ، وقصيدة ريفية أخرى تحت عنوان " بعد ظهيرة إله الريف الأسطوري " ، تيمَّ نشرها عام ١٨٧٦ . وتميَّزت هاتان القصيدتان بالتناقض الشديد ، حيث كانت بطلة الأولى هيرودياذ فائقة الجمال، وكانت تُمثِّل الرغبة الحسّية المفقودة في بحثها عن الطهارة الخالصة ، بينما كان يُمثِّل إله الريف الرغبة الحسّية الشهوانية غير المُشبَّعة . وله أيضًا ، قصيدة نثرية في عشرين صفحة ، نشرها عام ١٨٩٧ ، تحت عنوان " رمية النرد لا تُلغي أبدًا مُصادفة الحظ " .

ستيفن سبندر والحرية الفردية

وُلد الشاعر والناقد الإنجليزي ستيفن سبندر (١٩٠٩ _ ١٩٩٥) في لندن ، لأب كان يعمل صحفياً ليبرالياً ومُحاضراً جامعياً .

درس في جامعة لندن ، ثم تابع دراساته العليا في جامعة أكسفورد ، حيث ارتبط بمجموعة من الشعراء الذين نالوا شهرةً فيما بعد مثل : أودن ، وسسيل دي لويس ، ولويس مكنيس .

لَمْ تكن هذه جماعة مُنظمة ، لكنها أظهرت تأثيراً كبيراً بالأحداث التي سادت في ثلاثينيات القرن العشرين ، ومنها الركود الاقتصادي ، وظهور النازية، وحملات التطهير الستالينية، والحرب الأهلية الإسبانية، والأحداث التي أدت إلى الحرب العالمية الثانية .

قام بعد الحرب بعدة زيارات للولايات المتحدة ، حيث حاضرَ ودَرَسَ في جامعاتها . وفي عام ١٩٧٠ ، عُيِّن أستاذًا للغة الإنجليزية في جامعة لندن .

انعكست أحداث تلك الحقبة في أشعار سبندر ، شأنه شأن أفراد مجموعة الشعراء الذين ارتبط بهم ، إذ تبنوا نمطاً من الأفكار الماركسية التي كانت المحرك الأساسي في أشعارهم . لكن سبندر تبنّى في مراحل لاحقة مبادئ ليبرالية تُعبّر عن روح فردية، وعن الدّعوة للحرية في التعبير . وأخذت كتاباته تُركّز على مواضيع مُستقاة من الشعراء الإبداعيين (الرومانسيين) في القرن التاسع عشر، وتدور حول الحب والصدقة والتغيير والموت، وظلّت تحتفظ بأسلوب شخصي صادق .

نشر مجموعته " قصائد " في عام ١٩٣٣ ، التي تحمل نفساً سياسياً ثورياً ، مُستوحى من الاحتجاج الاجتماعي . وفي عام ١٩٣٦ ، أصبح عُضواً في الحزب الشيوعي لبريطانيا العظمى .

نشر في عام ١٩٥٥ مجموعة من أشعاره ، التي كتبها في الفترة (١٩٢٨ _ ١٩٥٣) تحت عنوان " قصائد مجموعة " . وما لبث أن نشر مجموعة أخرى بعنوان " قصائد مختارة " عام ١٩٦٤ .

وبالإضافة إلى كتاباته الشعرية ، التي أصبحت قليلة نسبياً في مراحل لاحقة من حياته ، ركّز سبندر على الموضوعات النقدية ، وقضايا الظلم الاجتماعي ، والنضال الطبقي .

وفي كتابه " صناعة القصيدة " (١٩٥٥) يتحدّث عن تأثيره بشعراء أوروبيين مرموقين مثل ريلكه ، ولوركا .

حملت سيرة سبندر الذاتية التي نشرها عام ١٩٥١ عنوان " عالم داخل عالم " ، وهي سجل قيّم للآراء الفكرية الحماسية التي سادت في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين .

وفي كتابه " صراع الحديث " (١٩٦٣) ، وصف التحولات في الذوق الأدبي مع نشر القصائد المبكرة للشاعرين تي . إس . إليوت ، وعزرا باوند .

كان سبندر قد كتب أيضاً القصة القصيرة ، ونشر مجموعة منها تحت عنوان " الصَّبار المحترق " (١٩٣٦) ، إضافة إلى رواية تحمل عنوان " الابن المتخلف " . وكتب مسرحية شعرية بعنوان " مُحَاكَمَة قاض " (١٩٣٨) .

شارك في تحرير مجلات أدبية مرموقة مثل مجلتي " هورايزن " ، و " إنكاونتر " التي ترك العمل فيها حين تبين له أنها تُموَّل سراً من المخابرات المركزية الأمريكية .

بدأ سبندر العمل على رواية في عام ١٩٢٩ ، والتي لم تُنشر حتى عام ١٩٨٨ ، تحت عنوان " المعبد " . وتدور أحداثها حول شاب يُسافر إلى ألمانيا ، ويجد ثقافة مفتوحة أكثر من إنجلترا ، خاصةً حول العلاقات بين الرجال ، وتظهر توقعات مُرعبة للنازية التي ترتبط بشكل مُربك بالانفتاح الشديد الذي تُعجَّب به الشخصية الرئيسية .

والجدير بالذكر أن سبندر يشعر بِقُربه من الشعب اليهودي ، فقد كانت والدته نصف يهودية (كانت عائلة والدها من اليهود الألمان الذين تحوَّلوا إلى المسيحية) . كما أن زوجته الثانية التي تزوّجها في عام ١٩٤١ كانت أيضاً يهودية .

وفي ١٦ يوليو ١٩٩٥ ، تُوفِّي سبندر بسبب نوبة قلبية في وستمنستر ، لندن ، في سن السادسة والثمانين . ودُفِن في مقبرة القديسة ماري في كنيسة بادينغتون غرين في لندن .

سقراط وأسباب قبوله للإعدام

وُلد الفيلسوف اليوناني سقراط (٤٦٩ ق.م _ ٣٩٩ ق.م) . تعلَّم أسس الفلسفة على يد بارمينيدس . ووفقًا لما ذكره " أفلاطون " ، اسم والد " سقراط " هو " سوفرونيسكوس " ، واسم والدته هو " فيناريت " ، وكانت تعمل قابلة (داية) . وعلى الرغم مما ورد عن وصفه بأن شكله كان غير جذاب وأنه كان قصير القامة ، تزوّج سقراط من " زانثيبي " التي كانت تصغره في السن بكثير . وأنجب منها ثلاثة أبناء .

يُعتبر سقراط أحد مؤسسي الفلسفة الغربية . لم يترك كتابات ، وجُل ما نعرفه عنه مُستقى من خلال روايات تلاميذه عنه . ومن بين ما تبقى لنا من العصور القديمة . تُعتبر " حوارات أفلاطون " من أكثر الروايات شموليةً وإلمامًا بشخصية سقراط .

ووفق " حوارات أفلاطون " ، فقد أصبح سقراط مشهورًا بإسهاماته في مجال علم الأخلاق . وإليه تُنسب مفاهيم السخرية السقراطية والمنهج السقراطي . ولا يزال هذا المنهج مُستخدمًا في مجال واسع من النقاشات ، كما أنه نوع من البيداغوجيا (علم التربية) التي بحسبها تطرح مجموعة من الأسئلة ليس بهدف الحصول على إجابات فردية فحسب ، وإنما كوسيلة لتشجيع الفهم العميق للموضوع المطروح .

إن سقراط الذي وصفه أفلاطون ، هو من قام بإسهامات مهمة وخالدة في مجالات المعرفة والمنطق ، وقد ظل تأثير أفكاره وأسلوبه قويًا ، حيث صارت أساسًا للكثير من أعمال الفلسفة الغربية التي جاءت بعد ذلك .

يُلَقَّب سقراط أحيانًا بأنه أكثر الرجال حكمة في العالم القديم ، فبعد أن عمل في الفن وقتًا قصيرًا ، تحوّل إلى الفلسفة ، وصار مشهورًا كمفكر على جانب كبير من الأصالة والإبداع . وقد ابتدع طريقة للتحقيق والتعليم هي كناية عن سلسلة من الأسئلة تهدف إلى الحصول على تعبير واضح ومتناسك عن شيء يُفترض أنه مفهوم ضمّنًا من كل البشر . وكان دائم السعي وراء الحقيقة والاهتمام بجعل مشاكل الحياة المعقدة أسهل على الفهم . ولتحقيق هذه الغاية كان مُضطّرًا إلى مناقشة الكثير من المعتقدات والتقاليد المسلّم بها . الأمر الذي أكسبه الكثير من العداوات .

من غير الواضح كيف كان سقراط يكسب قُوت يومه . ويبدو أن النصوص القديمة أشارت إلى أن سقراط لم يكن يعمل . وقد ذُكر أن سقراط كان يتقاضى مالاً مقابل تعليم الطلاب وإدارة

مدرسة سوفسطائية مع " كريفون " . في حين أن أفلاطون ذكّر إنكار سقراط الصريح لقبول أيّة أموال مقابل تعليم الطلاب . في حياة بيريكليس كان سقراط في أمان، لأن هذا السياسي الكبير كان معجباً به كثيراً ، ولكن بعد وفاته شرع أعداء سقراط في الضغط عليه كي يسحب معظم ما قاله، ولكن لم يقبل بذلك، واستمر بالعمل في الخط الذي رسمه، وما كان يعتقد أن الحاجة تدعو إلى مناقشته . وأخيراً حُكِم عليه بتهمة إفساد الشباب . وحُكِم عليه بالموت بتجرع سُم الشوكران القاتل . وقد انتقده صديقه " كريتو " لِتَخْلِيهِ عن أبنائه عندما رفض مُحاولَة الهروب قبل تنفيذ حُكْم الإعدام عليه . وَوَقَفًا لِمَا جاء في رواية " زينوفون " ، ألقى سقراط عن عمد دفاعاً جريئاً أمام هيئة المحلفين، لأنه كان يعتقد أن من الأفضل له أن يموت. ويواصل "زينوفون" حديثه ليصف دفاع سقراط ، والذي يُوضّح قسوة العهد القديم ، وكيف كان سقراط سعيداً لأنه سيهرب من هذه القسوة بإعدامه . كما يُفهم ضمناً من وصف " زينوفون " أن سقراط تمنى أيضاً الموت ، لأنه كان يعتقد فعلياً أن الوقت المناسب قد حان لأن يفارق الحياة .

ويتفق أفلاطون وزينوفون على أن سقراط كانت لديه الفرصة للهروب ، حيث كان بإمكان أتباعه أن يُقدّموا رشوة لحراس السجن ، لكنه اختار البقاء لعدة أسباب هي : ١ _ كان يعتقد أن الهروب قد يشير إلى خوفه من الموت ، وهو الخوف الذي اعتقد بأنه لا وجود له لدى أي فيلسوف حقيقي . ٢ _ لو هرب من أثينا، لن تلقى تعاليمه أي نجاح في مدينة أخرى ، لأنه سيستمر في مُحاورَة كُل مَنْ يقابلهم ، وسَيُثير استياءهم بالطبع . ٣ _ وافق عمداً على أن يعيش بالمدينة ويخضع لقوانينها ، وهو قد أخضع نفسه ضمناً لاحتمالية أن يتهمه أهل المدينة بارتكاب بالجرائم وأن يُدان من قِبَل هيئة المحلفين . ولو قام بما يُنافي ذلك، فهذا يعني أنه يخرق العَقْد الاجتماعي الذي وقّعه مع الدولة، وبالتالي سَيُسبّب ضرراً لها، ومثل هذا التصرف يُنافي المبادئ التي ينتهجها سقراط.

لقد ذكّر أحدهم أن سقراط كان نبياً للآلهة الإغريق القدامى . وكانت الصفات الظاهرة للأنبياء التي اتّصف بها " سقراط " موضع جدال. كما من الممكن أن يُنظر بسهولة لإشارة سقراط المستمرة لِمَهْبط الوحي ، وكيف أنه قام بدور المرشد الأخلاقي له عن طريق الحيلولة دون قيامه بأفعال غير أخلاقية، كإشارة للوحي أو كبديل له. وغالباً ما يُشير سقراط إلى الإله بصيغة المفرد ، لا بصيغة الجمع، كما أنه رفض بشدة هيكل البانثيون الإغريقي المكرّس للآلهة من الذكور والإناث، ولم يستشهد بهم إلا كأمثلة لتوضيح ما يتصفون به من ضلال وخطأ في التفكير .

سكوت فيتزجيرالد والحياة الباذخة

وُلد الروائي الأمريكي فرنسيس سكوت فيتزجيرالد (١٨٩٦ - ١٩٤٠) في مدينة سانت بول، إحدى مدن ولاية مينسوتا. وقد صادفَ شهر مولده الشهر الذي نُظِم فيه النشيد الوطني للولايات المتحدة، وهكذا أطلقت العائلة على وليدها اسم (فرنسيس سكوت) تيمُّناً باسم ناظم كلمات النشيد (فرنسيس سكوت كي) .

كان والده يُدير متجرًا لبيع الأثاث، وأجبره كساد تجارته عام ١٨٩٧ على الانتقال والعائلة إلى نيويورك، حيث عمل بائعًا. لكنه عاد إلى سانت بول بعد تسريحه من العمل عام ١٩٠٨. وهو العام نفسه الذي التحق فيه هذا الابن الوحيد بأكاديمية سانت بول، وهو في سن الثانية عشرة، لتتولى عائلة والدته التي كانت من العائلات الغنية معظم مصاريف دراسته.

في عام ١٩٠٩، نُشرت له أول قصة بعنوان " لغز رهن ريموند " في مجلة أكاديمية سانت بول، وهي قصة ذات مستوى متواضع، حاكي فيها أسلوب قصص شارلوك هولمز.

في عام ١٩١٣، تمكّن فيتزجيرالد من التسجيل في جامعة برنستون، لكنه أخفق في تحصيله لِمَا حفلت به دراسته بمشكلات أكاديمية وعدم مُبالاة، وربما كان من أسباب ذلك الإخفاق افتتانه أثناء تلك الفترة بفتاة في السادسة عشرة من عُمرها، تنحدر من عائلة غنية. وقد ردّته لتواضع حال أسرته المعيشي.

في عام ١٩١٧، التحقَ بسلاح المشاة برتبة ملازم ثان، بينما كانت الحرب العالمية الأولى على وشك الانتهاء، فلم يتم إرساله إلى جبهات القتال في فرنسا، وإنما أُرسل إلى مُعسكر فورت ليفنورث في ولاية ميسوري، حيث عاودَ الكتابة في ما تيسّر له من وقت الفراغ.

بعد تسريحه من الخدمة العسكرية عام ١٩١٩، انتقل فيتزجيرالد للعيش في نيويورك، ليعمل مع إحدى وكالات الإعلان.

في عام ١٩٢٠، نشرَ روايته الأولى " هذا الجانب من الجنة "، فأصبحَ شخصية أدبية مرموقة، فتيسّر له دخل مادي كافٍ مَكَّنَه من إقناع حبيبته زيلدا بإتمام مراسم الزواج في نيويورك. وقد كان نشر الرواية يعني النجاح الباهر والمال والشهرة، فعاشا حياة باذخة مترفة.

في عام ١٩٢٤، غادرَ فيتزجيرالد وزيلدا بيتهما في لونغ آيلند، ليحطَا الرِّحال على الريفييرا الفرنسية، ولم يعودا إلى الولايات المتحدة ليستقرا تمامًا حتى عام ١٩٣١.

وأثناء إقامتهما في فرنسا أصبحا يُمثَّلان الجيل الضائع للمغتربين الأمريكيين في باريس ، حيث أنجز فيتزجيرالد كتابة رواية " غاتسبي العظيم " (١٩٢٥) في غضون خمسة أشهر . ورغم أن هذه الرواية تُعتبر أروع ما كتبه هذا الروائي على الإطلاق ، إلا أن جمهور القُراء لم يحتف بها عند صدورهما ، ممَّا سرَّع في تدهور حياته الشخصية .

وكشهرته وزيلدا في نوادي المجتمع الراقي في نيويورك وباريس ، فقد اشتهرا أيضًا بإسرافهما في الشراب ، ورغم أن فيتزجيرالد كان يكتب وهو صاِح ، إلا أنه كان يتمادى في انحرافه أكثر فأكثر مع مرور الأيام . وهذا كان أحد أسباب نشوب الخلاف وتكرار الشجار بين الزوجين .

وحسب أحد الباحثين ، فإن إسراف فيتزجيرالد في الشراب أكسبه سُمعة سيئة دفعت الكثير من الصالونات الأدبية إلى عدم الاهتمام بمؤلفاته . وأوقعه الإسراف في مُعاقرة الخمر في مشكلات مالية ، زادها إخفاق أعماله الأدبية الأخرى .

أُصيبت زوجته زيلدا بانهيار عقلي عام ١٩٣٠ ، بينما كان فيتزجيرالد يُصارع إدمانه على الكحول ، الذي أعاق قُدرته على الكتابة . وبُغية الحفاظ على نمط حياته الباذخة ، اضطر إلى قضاء معظم وقته في كتابة القصص القصيرة التي كانت موضع طلب من المجلات التي ازدهرت صناعتها في ذلك الحين .

في عام ١٩٣٤ ، نشرَ فيتزجيرالد روايته " الليلة الناعمة " ، وباعَ مجموعات من قصصه القصيرة إلى إحدى الصحف ، فحصل على أموال كثيرة مكَّنته من الذهاب إلى هوليوود لكتابة سيناريوهات أفلام للسينما عام ١٩٣٧ . وهناك ، تعرَّف على ناقدة سينمائية تُدعى شيلا جراهام ، وقد ساعدته على استئناف الإنتاج الإبداعي . وأمضى معها آخر سنوات حياته .

ألهمت هذه التجربة كتابة آخر رواياته وأكثرها نُضجًا " حُب التاجر الأخير " . لكنه تُوفي قبل أن يُتمَّها . ورغم ذلك فإن عبقريته في إبداع هذه الرواية دفعت النُّقاد إلى إعادة تقييم موهبته ، والاعتراف به كواحد من أكثر الكُتَّاب الأمريكيين إبداعًا في القرن العشرين .

تُعَدُّ كتاباته نموذجًا مثاليًا لكتابات عصر الجاز ، وهو المصطلح الذي صاغه بنفسه . وقد كتب أربع روايات : هذا الجانب من الجنة ، والجميلة والملعون ، وغاتسبي العظيم ، والليلة الناعمة ، إضافة إلى روايته الخامسة التي لم تكتمل وهي " حُب التاجر الأخير " والتي نُشرت بعد وفاته . كما كتب أيضًا العديد من القصص القصيرة التي تعالج موضوعات الشباب وتقدُّم العمر واليأس . كما مُثِّلَت رواياته في أفلام سينمائية ، أشهرها " غاتسبي العظيم " عام ٢٠١٣ .

سلمى لاغرلوف وروحانية القدس

وُلدت الروائية السويدية سلمى لاغرلوف (١٨٥٨ - ١٩٤٠) في قرية تابعة لمقاطعة فارملاند في شمال السويد البارد. وقد عانت من عَيْب خَلْقِي فِي وَرْكهَا، سَبَبَ لَهَا الشَّلَل ، ثُمَّ تعافت منه بعد ذلك، ولكنها بَقِيَتْ تعاني عَرَجًا بسيطًا. وعلى الرغم من هذه الإعاقة إلا أنها عاشت طفولة سعيدة. بدأت حياتها كمُعَلِّمة في بلدة لاند سكرونا في الفترة (١٨٨٥ - ١٨٩٥) . ولمع اسمها في عالم الأدب لأول مرة بعد أن نشرت روايتها الأولى "ملحمة غوستا برلغ" عام ١٨٩١ ، والتي بَشَّرَتْ بالنهضة الرومنطيقية في الأدب السويدي .

وفي عام ١٨٩٥ ، قَرَّرَتْ ترك مهنة التدريس ، والتفرغ للأدب . وقامت برحلة إلى فلسطين في مطلع القرن العشرين ، وأقامت في القدس. وقد انبهرت بالمكان ، وتأثَّرت بالأجواء الروحانية، وأثَّرت فيها هذه الزيارة التاريخية ، التي كانت أشبه ما تكون بالحج المقدَّس . وعندما عادت إلى بلادها ، أصدرت كتابًا تضمَّن انطباعاتها عن هذه البقعة الفريدة من العالم .

وقد قَرَّرَتْ الأكاديمية السويدية منحها جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٠٩ ، تقديرًا لإبداعاتها في تصوير مشاعر النَّفْس الإنسانية ، والنظرة الروحية ، والخيال الحي المفعم بالحيوية ، والنابض بالمثالية النبيلة . وفي عام ١٩٢٨ ، حصلت على الدكتوراة الفخرية في الآداب من جامعة جريفس فالد الألمانية . وقد تمَّ تحويل منزلها الذي عاشت فيه إلى متحف يضم مقتنياتها .

تدور أحداث غالبية أعمالها الأدبية في مقاطعة فارملاند(على الحدود السويدية_النرويجية) . ومع هذا ، فإن رحلاتها إلى خارج بلادها قد ألهمَتْها العديد من الأعمال ، مثل عجائب المسيح الدَّجال (١٨٩٧) التي تدور أحداثها في جزيرة صِقْلِيَّة . كما أن زيارتها لفلسطين ألهمتها كتابة رواية القدس (١٩٠١) ، التي حُوِّلَتْ إلى فيلم سينمائي لاقى استحسانًا عالميًا .

اندمجت لاغرلوف مع الطبيعة بشكل واضح ، فكتبت عن الكهوف ، واستلهمت الأساطير التي كانت تستمع إليها وهي صغيرة ، وعاشت في أجواء الملاحم الشعبية ، واستحضرت أغاني المزارعين البسطاء ، واعتمدت على توظيف التراث الإسكندنافي ، وكشفت عن صراع الإنسان مع نفسه ، وأبرزت ميوله ورغباته ومشاعره كالحب والكراهية والطمع . واستخدمت في كتاباتها الحيوانات والأقزام ، والأبطال الخارقين. وعاشت في أجواء الثقافة التراثية الشعبية المشتملة على ثنائية (خير الطبيعة / الأرواح الشريرة) .

وعلى الرغم من كثرة أعمالها الأدبية ، إلا أن رواية " مغامرات نيلز المدهشة " (١٩٠٦) تظل أعظم أعمالها على الإطلاق . وسبب كتابة هذه الرواية هو أن هيئة المعلمين الوطنية قد كلفت الكاتبة لاغرلوف بتأليف كتاب جغرافيا للمدارس السويدية في عام ١٩٠٢ . وقد قضت لاغرلوف عدّة سنوات تَبَحْث في المناظر الطبيعية ، وتدرس حياة الحيوانات والنباتات ، وتُحلّل تفاصيل الحياة الريفية ، وتبحث في الأساطير السويدية. وقامت بمزج هذه العناصر في قصة نيلز ، ذلك الصبي الذي عُوقِب بسبب سوء معاملته للحيوانات من قِبَل قِرم المزرعة ، فصارَ قِرمًا صغيرًا. ممّا جعله قادرًا على مُحَادَثَة الحيوانات ، والتعامل معها ، ثُمَّ صار يسافر عبر أراضي السويد على ظهر إوَرّة كبيرة . وخلال هذه الرحلة يتعرف على السويد ، وجغرافيتها ، وتاريخها ، وتراثها الشعبي ، وحكاياتها الأسطورية . وقد حَقَّق الكتاب نجاحًا ساحقًا في أنحاء العالم ، وتُرجم إلى أكثر من ثلاثين لغة منها اللغة العربية ، وتمّ تحويله إلى مسلسل كرتوني للأطفال . وقد عززَ الرمزية في الأدب المحلي والعالمي على حدّ سواء . وفي عام ١٩٩٢ ، قرّرت الحكومة السويدية وضع صورة الصبي نيلز خلف العملة السويدية (فئة ٢٠ كرونا) ، وسلمى لاغرلوف في الأمام ، اعترافًا بمكانة هذه الكاتبة ، وتخليدًا لذكراها وإنجازاتها .

ساهمت لاغرلوف في الحراك الاجتماعي ، والدفاع عن قضايا مجتمعتها وحقوق المرأة . فدعمت حق المرأة في الانتخاب ، كما ألقت العديد من المحاضرات التي تدعم حقوق المرأة في السويد .

وفي نهاية حياتها ، أصبحت نظرتها للعالم والإنسان سوداوية ، وانعزلت في بيتها القديم ، ولم تعد تختلط بالناس . وقد تُوفيت في عام ١٩٤٠ ، وهي تعمل على كتابة رواية جديدة .

تُعتبر أول امرأة في التاريخ تفوز بجائزة نوبل للآداب (١٩٠٩) . وهي أول كاتبة سويدية تفوز بهذه الجائزة العالمية التي بدأت بمنح جوائزها منذ العام ١٩٠١ . وهذا يعني أنها فتّحت باب الجائزة أمام أدباء بلدها. وقد أصبحت في عام ١٩١٤ عضوًا في الأكاديمية التي تمنح جوائز نوبل التي يتبنّاها بلدها السويد . فصارت بذلك أول كاتبة تحصل على جائزة نوبل وعضوية الأكاديمية . كما يُنظر إليها كواحدة من أبرز الكاتبات في الأدب السويدي الحديث .

من أبرز أعمالها : ملحمة غوستا برلنغ (١٨٩١) ، روابط خفية (١٨٩٤) ، عجائب المسيح الدجال (١٨٩٧) ، القدس (١٩٠١) ، كنز السيد آرنز (١٩٠٤) ، مغامرات نيلز المدهشة (١٩٠٦) ، ذكريات من طفولتي (١٩٣٠) .

سلمان رشدي وفتوى إهدار الدم

وُلد الروائي البريطاني سلمان رشدي (١٩٤٧ _ ...) في مومباي بالهند . كان الابن الوحيد لوالده الذي يعمل محامياً، وهو خريج جامعة كامبردج، وتحوّل إلى رجل اعمال. أمّا والدته فمُدْرسة. تلقى رشدي تعليمه في مدرسة كاتدرائية جون كونن في مومباي، قبل أن ينتقل إلى مدرسة الرجبي الداخلية في إنجلترا ، ثمّ درس التاريخ في الكلية الملكية في جامعة كامبردج . تُعتبر رواية " غريموس " (١٩٧٥) الأولى لرشدي ، ولكنها لم تحظَ بأي اهتمام أو شهرة . أمّا الرواية التي أخذت الحيز الواسع من الشهرة والتقدير ، فهي روايته الثانية " أطفال منتصف الليل " (١٩٨٠) التي حصل رشدي بسببها على جائزة بوكر الإنجليزية الهامة . وبها دخل رشدي تاريخ الأدب، وتُعتبر اليوم أهم أعماله الأدبية على الإطلاق . وعلماء الأدب الإنجليزي أشاروا إلى أن رواية " أطفال منتصف الليل " أثّرت بشكل كبير على شكل الأدب الهندي _ الإنجليزي ، وتطوره خلال السنوات .

بعد هذا النجاح ، جاء رشدي برواية جديدة بعنوان " العار " (١٩٨٣) . وبعد هذه الرواية أصدر عمل جديد بُني على تجربة شخصية، وهو " ابتسامة جكوار " (١٩٨٧) ، ثم أعمال أخرى كثيرة .

نشر أشهر رواياته " آيات شيطانية " عام ١٩٨٨ ، وحازَ عنها على جائزة "ويتيرد" لكن شهرة الرواية جاءت بسبب تسببها في إحداث ضجة في العالم الإسلامي ، فقد تمّ اعتبارها مُهينة لشخص رسول الإسلام محمد ، عليه الصلاة والسلام . وأدى ذلك إلى حدوث ضجة كبيرة في دول العالم الإسلامي ، لأن الرواية تعرّضت لشخص الرسول محمد بالإسفاف، استناداً إلى بعض روايات الحديث الباطلة .

ووفق الرواية ، فإن الرسول محمداً (ماهوند في الرواية) ، قام بإضافة آيات في القرآن لتبرير وجود آلهة ثلاثة كانت مُقدّسة في مكة حينها . وحسب الرواية ، فإن الرسول محمداً قام بحذف وتغيير هذه الآيات بتبرير أن الشيطان نطق على لسانه هذه الآيات. وهذا ما أثار الغضب في العالم الإسلامي ، الأمر الذي أدى إلى منع ترجمة وبيع الكتاب في اللغة العربية .

وفي ١٤ فبراير ١٩٨٩ ، صدرت فتوى بإهدار دم الروائي سلمان رشدي عن قائد الثورة الإيرانية الخميني من خلال راديو طهران ، الذي قال فيه : ((يجب إعدام سلمان رشدي)) .

وفي ٣ أغسطس ١٩٨٩ ، فشلت محاولة لاغتياله بواسطة كتاب مُفَخَّخ، حاول تمريره عنصر من " حزب الله " يُدعى مصطفى مازح . انفجرَ الكتاب بشكل مبكرٍ ممَّا أدى إلى مقتل الأخير وتدمير طابقين من فندق بادينغتون . ولهذا السبب عاش رشدي مختفياً عن الأنظار والحياة العامة لمدة عشر سنوات .

في الفترة اللاحقة لهذه الفتوى ، تلت موجه كبيرة من الهجمات والتهديدات لدور الطباعة والنشر والترجمة. والكثير من المترجمين وأصحاب دور الطباعة تعرَّضوا للتهديد أو القتل على أيدي جماعات إسلامية . والكثير من المكتبات حُرقت أو تَمَّ تفجيرها . وأُقيمت مسابقات بين بعض المجاميع لإحراق أكبر عدد ممكن من هذه الرواية .

وأعلن رجل الدين الإيراني أحمد خاتمي، في عام ٢٠٠٧ أن الفتوى بإهدار دم الكاتب البريطاني سلمان رشدي ، التي أصدرها الخميني في عام ١٩٨٩ بسبب كتابه " آيات شيطانية " ، لا تزال سارية ، مُؤكِّداً أنها " غير قابلة للتعديل " .

وفي يونيو ٢٠٠٧ منحت ملكة بريطانيا رُشدي لقب " فارس "، ممَّا أثار ضجة جديدة في العالم الإسلامي. أدَّى ذلك إلى توجيه الانتقادات من بعض الدول الإسلامية لهذا الحدث، حيث اعتبرته إيران "ضد الإسلام" ، أمَّا في باكستان فقد أدان المجلس الوطني الباكستاني هذا القرار ، وطالب بريطانيا بسحب هذا التكريم فوراً ، وقام أعضاء مجلس العلماء بمنح أسامة بن لادن لقب " سيف الله " .

سنكلير لويس وإدمان الكحول

وُلد الروائي الأمريكي سنكلير لويس (١٨٨٥ _ ١٩٥١) في ولاية مينسوتا . وفي سن الحادية والعشرين عاشَ فترةً قصيرةً في هيليكن هول ، وهو مركز مجموعة اشتراكية في ولاية نيو جيرسي . وفي عام ١٩٠٨ تخرّج من جامعة ييل ، ثمّ عمل صحفياً . وفي عام ١٩١٤ نشر أولى رواياته " صاحبنا السيد رن " ، والتي تُمثّل سردًا ساخرًا بشكل لطيف عن موظف من نيويورك يذهب في رحلة إلى أوروبا ، ويقوم بمغامرات رومانسية ساذجة .

انتقل لويس إلى العاصمة واشنطن ، وكُرّس نفسه للكتابة . وقد كتب أربع روايات ، لكنّه لم يُحقّق نجاحًا كبيرًا . وفي عام ١٩١٦ ، بدأ التحضير لروايته الجديدة " الشارع الرئيسي " التي تتحدّث عن الحياة الواقعية في بلدة صغيرة . وقد أكملها في منتصف عام ١٩٢٠ ، ونشرها في نفس العام ، ولاقت نجاحًا كبيرًا ، وأثارت تعاطفًا هائلًا مع أفكارها ، وحقّقت له شهرةً سريعة .

أحدثت الرواية ضجةً هائلة في المجتمع الأمريكي، وكان صدورها حدثًا مثيرًا في التاريخ الثقافي الأمريكي . وكانت التوقعات الأكثر تفاؤلًا أن تبيع الرواية ٢٥ ألف نسخة في الأشهر الستة الأولى ، لكنها باعت ١٨٠ ألف نسخة . وفي غضون بضعة سنوات ، قدّرت المبيعات بمليونَي نسخة . وصار الكاتب من الأغنياء .

وجّهت الرواية نقدًا قويًا لبلادة الذهن ونقص الثقافة في بلدة أمريكية صغيرة ، كما أنّها سخّرت من ضيق التفكير والرضا عن الذات لدى سُكّانها . وقد كُتبت الرواية بعناية فائقة ، وتعرّضت لأدق التفاصيل ، وأظهرت معاناة بطلة الرواية وجهودها الضائعة من أجل تحسين مدينتها، وإيقاظها من سباتها العميق . والكاتب يركّز على مبدأ غياب الأمل في التغيير ، واستحالة تحقيق نهضة أخلاقية في مجتمع مادي استهلاكي .

واصل لويس سلسلة نجاحاته الأدبية ، فأصدر في عام ١٩٢٥ رواية " أروسميث " ، التي تصف خيبة أمل طبيب شاب مثالي في صراعه مع الفساد والحسد وحب الذات والأذى . فازت الرواية بجائزة بوليتزر للعام ١٩٢٦ . وقد رفضها لويس لاعتقاده أنه كان من الواجب أن يحصل على الجائزة قبل ذلك .

وفي روايته " إلمر جنتري " (١٩٢٧) يسخر لويس من النفاق الديني والتزمت في بلاد الغرب الأوسط .

وكانت روايته دورسورث (١٩٢٩) آخر أعماله الجيدة على المستوى الفني . وهي تتحدث عن التناقضات بين الحياة الأمريكية والحياة الأوروبية، وتصف مصاعب زواج رجل أعمال أمريكي مشهور خلال جولته الأوروبية .

وفي عام ١٩٢٨ تزوج لويس من دوروثي طومسون (١٨٩٤ - ١٩٦١) وهي مراسلة أجنبية شهيرة ، وكاتبة عمود صحفي . وانتهى زواجهما بالطلاق عام ١٩٤٢ .

حقّق لويس شهرةً عالمية بسبب رواياته ، التي هاجم فيها أشكال الضعف في المجتمع الأمريكي، وكشف عوالم الرياء والنفاق . وهذا أهّله للفوز بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٣٠ ، ليكون أول أمريكي يفوز بهذه الجائزة .

وقد مُنحت له الجائزة لقدرته الفائقة على رسم الشخصيات، ووصف الأحداث بدقة وعمق ، مع الطرافة والفكاهة ، واستخدام أساليب لغوية جديدة . كما يمتاز الكاتب بنقده للرأسمالية الأمريكية المادية في الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين . وقد تمّ تكريمه بعد فوزه بالجائزة ، وذلك بوضع اسمه على طابع بريد تذكاري ضمن سلسلة الأمريكيين العظماء .

والمضحك المبكي أنّ الكاتب لم يُعْتَرِ عليه خلال مراسم جائزة نوبل ، ليتسلّم جائزته من يد ملك السويد ، ووُجد نائمًا في دُورة المياه التابعة لدار (الكونسرتو) ، وهو في أسوأ حالات السكر ، وقد أُغْلِقَ عليه باب المرحاض ! .

بعد فوزه بجائزة نوبل . كتب لويس أكثر من عشر روايات ، لكنّ مستواها الفني ضعيف . فهي روايات تُصوّر الواقع بصورة ضحلة وساذجة . يعتبره النقاد في وقتنا الحالي فنّانًا دقيق الملاحظة، يمتاز بأسلوب وصفي بارع ، لكنّه ليس مُبدعًا حقيقيًا لافتقاره إلى الأسلوب الأدبي الرفيع .

إنّ المشكلة الرئيسية في حياة لويس هي إدمانه على الكحول . وقد نصحه الأطباء بالتوقف عن الشُّرب إذا كان يُريد أن يعيش . لكنّه لم يتوقف . وتُوفِّي في رُوما من إدمان الكحول في عام ١٩٥١ . وتمّ حرق جُثته ، ودُفن رُفاته في مسقط رأسه .

من أبرز رواياته: صاحبنا السيد رن (١٩١٤) . الهواء مجاني (١٩١٩) . الشارع الرئيسي (١٩٢٠) . باييت (١٩٢٢) . أروسميث (١٩٢٥) . إلمر جُنْثري (١٩٢٧) . دورسورث (١٩٢٩) .

سورين كيركغارد والمعرفة ضد الكنيسة

وُلد الفيلسوف الدنماركي سورين كيركغارد (١٨١٣ - ١٨٥٥) في كوبنهاغن . نشأ على المذهب البروتستانتي ، وكان لوالده بالغ الأثر فيه ، فقد ربّاه تربية دينية مُترَمِّمة " مليئة بخوف الله ، وبالريبة إزاء العالم " . قوامها صورة " المسيح المصلوب " والإحساس بالذنب .

عاش حياة ترف ومرح، وكان كثير التردد على المقاهي ، وعلى حلقات المناقشة، واشتهر بخفة ظله ، وبراعته في المحاوره ، مع أنه كان يخترن إحساسًا عميقًا بالكآبة والحزن .

درس كيركغارد اللاهوت في جامعة كوبنهاغن لمدة طويلة (١٨٣٠ - ١٨٤٠) . ومع ذلك فقد لعب اللاهوت دورًا ثانويًا في حياته ، وحل محله الأدب والمسرح والسياسة والفلسفة وحياة ماجنة اتخذت جزئيًا شكل التحدي للأفكار المسيحية المتشددة والكثيية التي غلبت على الحياة في بيته . ولكن بعد الصحوة الدينية عام ١٨٣٨ ، و وفاة والده في العام ذاته، عاد كيركغارد مرة أخرى لدراسة اللاهوت . وحصل على شهادة الدكتوراة عام ١٨٤١ ، عن أطروحة بعنوان " تصوّر التّهمك المسند باستمرار إلى سقراط " ، ونشر كتاباته الأولى تحت أسماء مستعارة ، حاملة لأبعاد رمزية، وكانت في مجملها أعمالاً ذات طابع فلسفي وأدبي ونفسي، ثم توجّه اهتمامه إلى الظاهرة الدينية، ونشر كتبه فيها باسمه، ولم يتوان عن توجيه النقد لسلطة الكنيسة التي كانت تسير في نظره على خلاف ما تدعو إليه المسيحية الحقيقية ، وسعى إلى وضع الأسس الإنسانية (بالمعنى الفلسفي) للديانة المسيحية . ركّزت فلسفة كيركغارد على أهمية الفردية والذاتية، فكانت بمثابة الرد على فلسفة هيغل، فالحقيقة عند كيركغارد هي دائمًا ذاتية، حتى في الأخلاق كان كيركغارد يؤيّد الفردية والنسبية الأخلاقية. وكان يعتقد أن حياة الإنسان هَشَّة، لأنها مرتبطة بتقلبات الحياة، وليست حياة الإنسان إلا سلسلة من الخوف والقلق والشك واليأس .

تركت أعمال كيركغارد أثرًا مهمًا في فلاسفة الوجودية، أمثال هايدغر و كارل بارت وياسبرز. وكيركغارد معدود من جيل رؤّادها ومؤسسيها . هذا فضلاً عن كَوْن تحليلاته للظاهرة الدينية شكّلت رافدًا مهمًا لمدارس العلاج النفسي الحديثة، وخاصة مدرسة رولو ماي في أمريكا .

في صيف ١٨٤٠ ، خطب كيركغارد فتاة تدعى ريجين أولسن تصغره بتسع سنوات. ولكن انطلاقًا من الحس الديني لديه ، وتكريس حياته منذ الطفولة لله ، فإنه لم يتمكن من الزواج من ريجين . وأنهى الخطبة ، وانفصل عنها في أكتوبر ١٨٤١ .

تركت هذه العلاقة الغرامية الحزينة أثراً عميقاً بداخله طوال حياته ، ودفعته إلى تأليف كتاب " إمّا / أو " ومقالتين تثقيفيتين نُشرت في يوم واحد في عام ١٨٤٣ .

في مطلع عام ١٨٣٨ ، قام كيركغارد بنشر أول كتبه " من أوراق شخص ما زال على قيد الحياة " ، الذي يُمثّل تحليلاً نقدياً لرواية هانز كريستيان أندرسن " مُجرّد عازف " .

انقسمت المنشورات الفلسفية والنفسية والدينية والمسيحية التي ألّفها وحملت نحو أربعين عنواناً ، إلى مرحلتين : (١٨٤٣ - ١٨٤٦) و (١٨٤٧ - ١٨٥١) . تضمنت المرحلة الأولى عناوين مؤلفات مثل : " الخوف والارتعاش " ، و " مفهوم القلق " ، و " شذرات فلسفية " ، و " اختتام الملاحق غير العلمية " ، حيث يستعرض العمل الأخير الفترة الانتقالية بين المرحلتين .

أمّا المرحلة الثانية المسيحية فتضمّنّت مؤلفات مثل : " أعمال الحب " ، و " الخطابات المسيحية " و " السقم حتى الموت " ، و " مُمارسات المسيحية " . كُّل ذلك إضافة إلى المجالات ، وما يقرب من ٦٤ مُفكّرة ومُذكّرة ، احتفظَ بها كيركغارد في الفترة (١٨٣٣ - ١٨٥٥) ، حيث انطوت على نظرة ثاقبة للطريقة التي يتّبعها في العمل (في الكواليس) .

يصف كيركغارد في أعماله الإمكانات المختلفة للوجود ، وخاصة في مراحلها الثلاث الرئيسية والتي يُطلق عليها اسم " نطاقات الوجود " . وهذه النطاقات هي الجمالي والأخلاقي والديني ، حيث يبيّن كيركغارد قُصورها فيما يتعلق بكل ما هو مسيحي حقّاً . اعتبر كيركغارد نفسه أديباً مُتديّناً مهمته " عرض المسيحية على الآخرين " . فقد أراد " تنقية الجو العام " بالتخلص من أوهام الحواس وجميع مظاهر النفاق ، وإيجاد سبيل للعودة إلى " مسيحية العهد الجديد " . استناداً لهذه الخلفية ، شَنّ في سنواته الأخيرة هجوماً على مسؤولي الكنيسة والمسيحية التي يُبشّرون بها رسمياً .

بدأ كيركغارد معركته مع الكنيسة في أواخر عام ١٨٥٤ ، وذلك من خلال مجموعة من المقالات الصحفية ، وواصلها بذكاء حاد وآراء متطرفة ونزعة صحفية في منشوراته الشخصية .

في أكتوبر ١٨٥٥ سقط مَغشياً عليه في الشارع ، وقد تمكّن منه الإنهاك والمرض ، وتَمّ نقله إلى المستشفى حيث تُوفّي بعدها بخمسة أسابيع .

نالت أعماله شهرة عالمية بعد الحرب العالمية الأولى ، وأصبح مصدر إلهام عظيم لجدلية اللاهوت والفلسفة الوجودية ، وفلسفة الحوار والوجودية اللاهوتية . وكان لفلسفته تأثير حاسم على الفلسفات اللاحقة ، لا سيّما فيما سيُعرّف بالوجودية المؤمنة (التي يُمثّلها كارل ياسبرز وبول ريكور) مُقارنةً بالوجودية الملحدة (التي يُمثّلها مارتن هايدغر وجان بول سارتر) .

سوفوكليس والتجديد المسرحي

وُلد الكاتب المسرحي اليوناني سوفوكليس (٤٩٦ ق.م _ ٤٠٥ ق.م) في بلدة كولونوس، وتُوفّي في أثينا. يُعتَبَر أحد آباء المسرح الإغريقي، وواحدًا من أعظم ثلاثة كُتّاب تراجيديا إغريقية، مع أسخيلوس ويوريديس .

كان والده أحد كبار تُجّار العبيد ، ويمتلك ورشة لصناعة الأسلحة والأدوات المعدنية، ممّا وفّر لسوفوكليس تعليمًا شاملاً، تضمّن أيضًا الموسيقى والرياضة . وإثر انتصار اليونانيين على الفُرس في معركة سلاميس (٤٨٠ ق.م)، قاد سوفوكليس احتفالات الفتيان بالنصر .

شارك في تمثيل عدة أدوار مسرحية في المسابقات السنوية ، إلى أن اشترك في مسابقة خريف عام ٤٦٨ ق.م ، بمسرحية من تأليفه، وفاز بها أول مرة بالجائزة الأولى على أستاذه أسخيلوس، وذلك برعاية (ثلاثة أجزاء مترابطة ذات موضوع مأساوي ، وجزء رابع ساخر) .

انتُخب عام ٤٤٣ ق.م مديرًا لبيت مال حلف أثينا البحري. وبعد نجاح عرض مسرحيته " أنتيغونه " (٤٤٢ ق.م) عيّنهُ صديقه الحاكم بركليس مع المؤرخ هيرودوت في " مجلس القادة العشرة " المسؤول عن شؤون الدولة العسكرية والسياسية .

بتكليف من مجلس المدينة أدخل سوفوكليس عام ٤٢٠ ق.م عبادة أسكليوس (إله الطب) إلى أثينا، وكتب بهذه المناسبة نشيدًا خاصًا ابتهاجًا وتبجيلًا للإله الجديد. وتقلّد مُنذ عام ٤١٣ ق.م عدّة مناصب عُليا بصفته خبيرًا . وعلى نقض أسخيلوس ويوريديس لم يُعادر سوفوكليس أثينا، حيث تُوفّي قبل سنتين من هزيمتها المروّعة أمام إسبرطة في حرب البيلوبونيز . وقد رفعه شعب أثينا إلى مرتبة البطل المُبجّل .

تُفيد وثائق أثينا بأن سوفوكليس ألّف ١٢٥ مسرحية، لم يبقَ من نصوصها سوى سبع مآسٍ (تراجيديا) وأربعمئة سطر من المسرحية الساخرة " كلاب الصيد " . أمّا المسرحيات المتبقية فهي حَسَب التسلسل الزمني لتاريخ عرضها في المسرح : ١- " أياس " التي يعرض فيها نتيجة الصراع بين الإنسان الذي يعميه غضبه وتكبره وبين إرادة الآلهة. فعندما يدرك أياس أن لا مخرج له من ذنبه تجاه الآلهة أو لاستعادة كرامته المهدورة، ينتحر . ٢- " أنتيغونه " . يسقط الملك كريبون في عزلة مُطلقة بعد أن أدرك متأخرًا أنه السبب في فقدانه جميع مَن يُحب، نتيجة تكبره على قوانين الآلهة ومعارضتها بقانونه البشري . ٣- " نساء تراخيس " . تنتحر ديانيرا زوجة هرقل ، لأن العبادة

المغمّسة بدم الوحش الخرافي نيسوس ، التي أرسلتها إلى زوجها ظناً منها أنها ستعيده إليها، تقتله، فتتحقق بذلك نبوءة قديمة لا مهرب منها . ٤ _ " أوديب ملكاً " . يُقدّم سوفوكليس نموذجاً فريداً للمسرحية التحليلية، التي تُفكّك بأسلوب تشويقي لُغز وقع قبل بدء زمن المسرحية، وهو هنا مقتل لا يوس ملك طيبة . إن أوديب يصير ملك المدينة ويتزوج ملكتها ، ويتبيّن باستقصاءاته فيما بعد أنه من حيث لا يدري قد حقّق النبوءة التي هرب من وجهها ، فقتل أباه لا يوس، وتزوَّج من أمّه يوكاسته، ممّا أدى إلى انتحار زوجته / أمّه، وقيامه بفقء عينيه اللتين لم تريا الحقيقة. ٥ _ "إلكترا". تُعدّ نموذجاً نادراً للمسرحية الدائرية، إذ يتطابق بناء مشاهد الجزء الأول مع بناء مشاهد الثاني، مع الحفاظ على تصاعد حالة التوتر منذ المشهد الأول حتى ما قبل الأخير، الذي يُشكّل الدّورة الثانية للأفعال. وعلى نقىض مُعالجتي أسخيلوس ويوريديس للموضوع نفسه، فإن أورست وإلكترا هنا لا يُعاقبان من قبل الآلهة على قتل الأم. كان سوفوكليس نحو عام ٤٠٩ ق.م شَيْخاً طاعناً في السن، وكان موضوع الساعة بين المثقفين حينذاك هو البرهان على أن التربية المكتسبة أبقى وأكثر فعالية من الفطرة . وكان جواب سوفوكليس هو مسرحية : ٦ _ " فيلوكتيت " . بطلها الفعلي ليس صاحب العنوان ولا أوديسيوس، وإنما نيوبتوليموس ابن أخيل ، الذي لم تكن له هذه الأهمية في مُعالجتي أسخيلوس ويوريديس . ومن ثمّ فإن الكاتب قد عالج مادة أسطورية معروفة ومطروقة ليناقش موضوعاً اجتماعياً بالغ الحساسية في زمنه. أمّا النص الأخير : ٧ _ " أوديب في كولونوس ". فقد عرضه ابن أخيه بعد وفاة سوفوكليس بخمس سنوات، وهنا يعود إلى موضوعه الأثير ليرهن على أن أوديب الشاب لم يكن مذنباً، فها هي الآلهة تستقبله في معبدها شَيْخاً ثم ترفعه إلى عليائها. لا تكمن أهمية سوفوكليس في إبداعه الأدبي والفكري فَحَسْب ، بل كذلك في التجديدات العملية على صعيد العرض في المسرح . فالحقوة في مسرحياته وعروضه صار عددها ١٥ شخصاً ، وأضعف تأثيرها الغنائي كما كان لدى أسخيلوس، ليجعلها جزءاً عضويّاً من الفعل المسرحي ، كما أضاف الممثل الثالث ، فأغنى بذلك المشهد والفعل والحوار، ممّا أدّى إلى شبيه انقلاب في بناء المسرحية عمّا كانت عليه قبله . ثم إنه تخلى عن وحدة موضوع الثلاثية مُركّزاً على استقلالية موضوع كل جزء على حدة .

وأكثر ما يلفت النظر عند تحليل مسرحياته فكريّاً ، هو تأكيد دور العقل في سلوك الإنسان ومواجهته مصيره، من دون أن يتخلى عن الموقف الديني التقليدي. والجدير بالذكر أن سوفوكليس قد نال الجائزة الأولى ٢٤ مرّة في المسابقات المسرحية الأثينية (نسبة إلى أثينا) .

سول بيلو والتأثيرات الدينية

وُلد الأديب الأمريكي سول بيلو (١٩١٥ - ٢٠٠٥) في حي فقير للمهاجرين في ضاحية من ضواحي مدينة مونترال الكندية ، لِمُهَاجِرِينَ يهوديين روسيين . حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٧٦ ، " لفهمه الإنسان وتحليله الفصيح للثقافة المعاصرة الممزوجة في عمله " ، حسب تقرير لجنة الجائزة . كان والده يعمل تاجرًا للبصل المصري . وكانت والدته مُتدبِّنة جِدًّا ، وَلَمْ يُوقِّق الوالد في تجارتها ، فَفَرَّرت العائلة التُّزوح إلى أمريكا ، واستقرَّت في مدينة شيكاغو حين كان عُمر الكاتب تسع سنوات .

بدأت محاولاته في الكتابة بوقت مُبكر ، وَلَمْ يُوافق والده على ذلك . وقال له مرَّةً ساخراً : ((أنتَ تكتب ومن ثَمَّ تشطب)) . وعندما بلغ العشرين من عُمره سأله والده : ((هل تعتبر الكتابة وظيفة ؟)) . لكنه وجد تشجيعاً من والدته التي تُؤقِّت وهو في السابعة عشرة . في عام ١٩٣٣ ، التحق بجامعة شيكاغو . وبعد سنتين انتقل إلى شمال غربي أمريكا ، لأن الجامعة هناك أرخص . وفي عام ١٩٣٧ ، حصل على شهادة بالأنثروبولوجي وبعلم الاجتماع ، وشكَّل هذان الاختصاصان الأساس لأعماله الروائية . وقال : ((كُل مرَّةً أعمل على أطروحتي تستحيل إلى قصة)) .

قبل أن يُنهيَ دراسة الماجستير ترك جامعة وسكنسن ، وعاد إلى شيكاغو . وفي نهاية الثلاثينيات ، انتقل إلى مدينة نيويورك ، وحاول كتابة الرواية والقصة ، ولكن من دُون أي نجاح ، وبدأ في كتابة عُروض للكتب . وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية رفض دخول الجيش بسبب إصابته بالفتق ، ومن ثَمَّ التحق بِمُشاة البحرية ، وأثناء فترة تدريبه قُصفت هيروشيما بالقنبلة الذرية . أثناء الخدمة العسكرية كتب روايته الأولى " رَجُل مُتَحَيِّر " ، وعندما بلغ الثلاثين من عُمره كتب روايته الثانية " الضحية " حول معاداة السامية . وقد كتبها تحت تأثير الكاتب الروسي دوستويفسكي . وَلَمْ تُسجَل كلا الروايتين أيَّ حضور أدبي ، بسبب ضعف البناء الروائي ، وتأثرهما المفرط بأسلوب الرواية الأوروبية .

في نهاية أربعينيات القرن الماضي ، حصل على منحة دراسية في باريس ، وبعد فترة طويلة من التَّسكع والتفكير في مستقبله كتب روايته الثالثة "مغامرات أوجي مارش" ، التي استوحى شخصيتها

من صديق الطفولة جوكي. وعندما نشرها عام ١٩٥٣ ، دخلت في قائمة الأكثر مبيعاً، ووصفه النقاد بالصوت الجديد في الرواية الأمريكية ، نظراً لأسلوبه المتدفق الذي يُشبه موسيقى الجاز ، ولغته المختلطة من اليديش (لغة يهود أوروبا) والإنجليزية، والقريبة من لغة الشاعر والت ويتمان. في روايته الرابعة " هندرسون ملك المطر " ، شعر بأنه قد سَيطر على أدواته الإبداعية ، وتبعها عام ١٩٦٤ بروايته الخامسة " هيرزوغ " . وقد حصلت الرواية على جائزة الكتاب الوطني . وبعد ذلك كتب مسرحية " المحلل الأخير " التي لاقت فشلاً ذريعاً عند عَرْضها في مسرح برودواي ، كما هو الحال مع بضع مسرحيات أخرى كتبها فيما بعد .

في عام ١٩٦٩ ، كتب روايته " كوكب السيد ساملر " ، وهي عن رجل ينجو من المحرقة النازية ، ويعيش في نيويورك ، يجتُرُّ تاريخه وماضيه . وحصل بيلو على جائزة الكتاب الوطني للمرة الثانية عندما نشر روايته " هدية هامبولت " ، والتي كانت واحدة من أنجح رواياته . وقد حصل في عام ١٩٧٥ على جائزة بوليتزر . ومَهَّدت هذه الرواية الطريق للحصول على جائزة نوبل للآداب ، وقد وصفها الأكاديمية السويدية قائلة : " إنها تفيض بالأفكار وتؤمض بالسُّخرية ، وهي كوميديا مرحة وتنفّذ بالرحمة " .

بعد نوبل كتب رواية قصيرة ومجموعة قصص قصيرة ، ثم كتب رواية طويلة استوحاها من حياة صديقه البروفسور آلن بلوم صاحب كتاب " انغلاق العقل الأميركي " ، الذي مات بمرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) . وأطلق على الرواية اسم " رافيلشتاين " . وقد وصفها حينها الكاتب جوناثان ويلسون في " نيويورك تايمز بوك ريفيو " بالرواية العظيمة التي تتحدث عن صداقة الرجل الأمريكي .

تُلاحظ الناقدة الأمريكية كاكوتاني بأن أدب سول بيلو ظلَّ مَدِيناً لدراسته الأولى للتوراة والإنجيل ، ولقراءته لمسرحيات شكسبير ، ول كبار كُتَّاب روسيا من القرن التاسع عشر . وتقول : ((إن أعمال بيلو القوية تستمد تقاليدها من الوجودية الأوروبية، ومن الأخلاقيين الروس ، ومن الدماء الأمريكية الحمراء ، من أجل خلق عالمه الروائي المتميز)) .

من أبرز رواياته : اغتنم الفرصة (١٩٥٦) . مذكرات موسي (١٩٦٨) . عميد الكلية وزمهرير الشتاء (١٩٨٢) . حادث سَطُو (١٩٨٩) . منبع الحب الحقيقي (١٩٩٧) .

سولي برودوم ومحاربة الرومانسية

وُلد الشاعر الفرنسي رينه سولي برودوم (١٨٣٩ - ١٩٠٧) في باريس . يُعتبر أحد المجددين الكبار في الشعر في القرن التاسع عشر . وقد دخل التاريخ من أوسع أبوابه باعتباره أول من فاز بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٠١ .

بدأ حياته بدراسة العلوم الطبيعية من أجل تحقيق حلمه الشخصي بأن يُصبح مُهندسًا . وبالفعل، حصل على دبلوم الهندسة . لقد اختار مجالاً دراسياً بعيداً عن الأدب ، رُبما لاعتقاده أن الهندسة مهنة مضمونة تدرُ دخلاً ثابتاً ، بعكس الأدب الذي يُعتبر مُجازفة ، ومهنة غير ثابتة قد تعجز عن توفير المتطلبات المادية لحياة كريمة. لذلك نظر إلى الهندسة كمهنة مستقبلية ، ومركز اجتماعي، ومصدر دخل. أمّا الأدب (والشعر خصوصاً) فهو هواية شخصية. ولاحقاً، سيَنجحه إلى الفلسفة، ثم إلى الشعر. وهكذا، يكون قد جمع بين الحاجات المادية والحاجات الروحية .

وعلى الرغم من اهتماماته العلمية ، والتزامات مهنته ، إلا أنه ظل وفياً للأدب وعاشقاً له ، ومُتابعاً للأحداث الجارية في الوسط الأدبي ، ومُطّلعاً على الأسماء الجديدة ، ومُراقباً للصراعات الأدبية التي تُعتبر مؤشراً على حياة الوسط الأدبي ، وحيويته ، ودوره المركزي الفعّال في المجتمع. وفي ذلك الوقت كان الصراع على أشده بين البرناسية الوليدة وأنصار الرومانسية. والبرناسية هي مذهب أدبي فلسفي لا ديني يرفض المذهب الرومانسي في الأدب . أمّا الرومانسية فهي مذهب وجداني في الكتابة الأدبية، كان له حضور قوي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في أوروبا.

عارضَ برودوم الرومانسية بشكل واضح ، وساندَ البرناسيين ، ورأى أنهم على حق ، وأن مذهبهم هو التجسيد الحقيقي للمعنى والوعي ، والضمانة الأكيدة لمستقبل الأدب . وفي الحقيقة، كان هذا الأمر مُتوقَّعاً بسبب الخلفية الفلسفية لهذا الشاعر ، فالفلسفة هي الوعي الشمولي الحارس لإنجازات العقل البشري، والتطبيقُ الفكري على أرض الواقع .

أمّا المذهب الرومانسي في الأدب ، فهو _ حسبَ نظرة برودوم _ تجسيد للعواطف الساذجة، والمشاعر السطحية ، وتلاعب بالكلمات الرقيقة . ووفق هذه الرؤية ، تمَّ تصنيف الرومانسية كمذهب أدبي سطحي وهلامي ، قائم على القشور ، وعاجز عن الوصول إلى رُوح المعنى ، وغير قادر على إصابة كبد الحقيقة . وهذه الرؤية يعتنقها كثير من الفلاسفة والمشتغلين بالفلسفة . وهذه

التفاصيل المعرفية تبرز بشكل واضح في مشروع برودوم الشعري ، وتتلخص في تقديمه لنفسه ، حيث إنّه قد أعلن أن هدفه هو خلق شعر علمي للأزمة المعاصرة. ومع أنه كان ينتهج الأسلوب العاطفي في كتبه الأولى ، إلا أنه انتقل بشكل تدريجي إلى الأسلوب الشكلائي عن طريق الاهتمام بالمواضيع الفلسفية والعلمية . وقد تميّز شعره بالصدق والصفاء والحنين والروح الفلسفية العميقة. ومع أنه صار عضوًا فاعلاً في جماعة البرناسيين، والشاعر الرسمي لها، إلا أنه ابتعد عن التأطير الحزبي الضيق ، وراح يصنع عالماً شعرياً خاصاً به ، له خصائص شخصية ومُتفردة . وقد لقي تشجيعاً كبيراً من الكاتب الفرنسي الشهير فكتور هوغو . وهذا أعطاه دفعة معنوية إلى الأمام . تمّ انتخاب برودوم في عام ١٨٨١ عضواً في الأكاديمية الفرنسية ، التي تُعتبر واحدة من أعرق المؤسسات الفكرية في العالم ، وتضم نخبة العلماء والمفكرين والأدباء ، الذين تركوا بصمات واضحة في تاريخ الفكر الإنساني .

كان تكريمه في وطنه تمهيداً لتكريمه عالمياً ، حيث مُنح جائزة نوبل للآداب عام ١٩٠١ ، ليكون أول شخص في التاريخ يحصل على هذه الجائزة . وقد رصد القيمة المالية للجائزة لإنشاء جائزة للشعر . لقد كرّس حياته للشعر ، ولم يخله الشعر . فقد منحه المجد الأدبي ، والشهرة العالمية ، وخلود الذكر إلى الأبد .

وقالت أكاديمية نوبل التي منحتة الجائزة : ((إنّ أعماله تنم عن تكوينه الشعري الخاص الذي يُعطي دليلاً على المثالية النبيلة والكمال الفني،الذي يُعدّ مزيجاً نادراً من صفات القلب والعقل)). في نهاية حياته ، ساءت حالته الصحية ، وأصيب بحالة من الشلل ، وهذا أجبره على الابتعاد عن الناس ، واعتزال الحياة الأدبية والاجتماعية ، والعيش في عزلة تامة بعيداً عن الأنظار . وقد تُوفي في عام ١٩٠٧ ، ودُفن في باريس .

من أبرز مؤلفاته : أبيات وقصائد (١٨٦٥) . مصائر (١٨٧٢) . ثورة الزهور (١٨٧٤) . الحنان دون جدوى (١٨٧٥) . العدالة (١٨٧٨) .
ونُشرت له مؤلفات بعد وفاته، من أبرزها : حُطام السفن (١٩٠٨) .

سومرست موم وعلاقته بالمخابرات

وُلد الروائي الإنجليزي سومرست موم (١٨٧٤ - ١٩٦٥) في باريس لأبوين إنجليزين . كان والده يعمل مستشاراً قضائياً للسفارة البريطانية في باريس . وبعد وفاة والديه ، أُرسِل إلى إنجلترا ، ودخل في رعاية عمّه الذي كان قِسّاً وراعي كنيسة .

كانت إنجليزته سيئة ، لأن لغته الأولى كانت الفرنسية ، إضافة إلى قامته القصيرة التي ورثها عن والده . وهاتان المشكلتان كانتا مصدر تعاسته ، وسبب تأتأة لازمتها طوال حياته .

عاش موم حياة بائسة تعيسة ، سواءً في كنف عمّه أم في المدرسة التي قرّر مُغادرتها ، والسفر إلى ألمانيا لدراسة الأدب والفلسفة واللغة الألمانية في جامعة هايدلبرغ ، لكنه سرعان ما عادَ إلى إنجلترا ، وتنقّل في عددٍ من الأعمال قبل أن يُصبح طالباً للطب في لندن ، حيث وجد مادة روايته الأولى " ليزا من لاميث " (١٨٩٧) ، وقُدِّرَ كبيراً من مادة رواية السيرة الذاتية " العبودية البشرية " مع أن هذه الرواية لم تُنشر إلا في عام ١٩١٥ ، وصارت واحدة من أهم الروايات الإنجليزية الواقعية في أوائل القرن العشرين . وقد شجّع نجاح روايته الأولى على ترك مهنة الطب ، والانصراف إلى الأدب . وقد حقّق موم شهرةً كبيرة ، وذاعَ صيته بأعماله الأدبية المختلفة ، حتى إنه عُرضت له في عام ١٩٠٨ أربع مسرحيات في الوقت ذاته على مسارح لندن . وتأثرت له حياة الكاتب أن يُسافر ويعيش في أمكنة متعددة ، مثل : إسبانيا وإيطاليا وفرنسا . وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى ، التحقَ بوحدة إسعاف تابعة للصليب الأحمر البريطاني ، كانت تعمل في فرنسا . كان موم مُصاباً بداء السّل الرئوي الحاد ، والذي منعه من استكمال أكبر مخاطرة في حياته ، حيث كان جاسوساً للمخابرات البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى ، بالتعاون مع المخابرات الأمريكية . وقد أوضح أنه كان يتلقى الأوامر من كولونيل لا يتذكر اسمه . وقد اختاره الكولونيل ، بسبب قوة اتصالاته وعلاقاته ، ولأن عمله كمؤلف روايات يُبرِّز له تحركاته الكثيرة في القارة الأوروبية ، كما أنه يُتقن عدة لغات أوروبية . وكانت مهمته عبارة عن العمل كجاسوس داخل روسيا أثناء الثورة الروسية (البلشفية) على القيصر ، واستلام البلاشفة للحكم ، وعلى رأسهم لينين . وتتلخص مهمته في جمع المعلومات لمصلحة المخابرات البريطانية بخصوص السلام الأحادي بين روسيا وألمانيا ، والذي كان الشعب يُنادي به ، ووافقهم عليه الحزب الشيوعي ، وكانت هذه " ثورة السلام والخبز " . ومن خلال موم ، تبيّن للبريطانيين والأمريكيين أن لينين قد

وصل إلى روسيا من خلال عملية "القطار الحديدي" التي نفذتها ألمانيا ، وكان على لينين توقيع اتفاقية السلام . وكان لموم أهمية كبرى في إيصال هذه المعلومات ، فبادرت المخابرات البريطانية لسحب موم من المنطقة ، وشن غارات على روسيا ، لإجبارها على استكمال الحرب . وبعد ذلك تم عزل موم من اللعبة الاستخباراتية . وعلى إثر ذلك كتب روايته المشهورة " كنتُ جاسوسًا " ، والتي حققت مبيعات هائلة، وكذلك حققت صدمة كبرى للسوفييت . وبعد ذلك اتجه موم للكتابات الإباحية والمبتذلة، مما أدى إلى انحطاط قيمته الأدبية .

من أخطر المراحل في حياة موم هي وصوله إلى مرحلة الإلحاد، فقد كان يبحث في روايته " حافة السكين " (١٩٤٣) عن الله ، وهذا يرجع إلى نشأته الدينية المتشددة والمتناقضة في نفس الوقت . فقد كان عمه راعي الكنيسة ياحدى قُرى إنجلترا ، وكانت أفعاله مليئة بالكذب ، وكان يكره ابن أخيه ، ففقد موم الثقة به وبكنيسته . وذات يوم ، مرَّ موم أمام الكنيسة ، وقلبه ممتلئ إيمانًا ، ودعا الله أن يُزيل عُقدة التأثّر عن لسانه، وكانت هذه عُقدة نفسية عنده تُثير سُخرية الأطفال، وسُخرية رجال الكنيسة الذين يُعلّمونه، وذهب فأغمض جفنيه وهو مطمئن إلى أنه سيصحو في الصباح وقد استُجيب دعاؤه ، وجعل يتكلم فإذا بلسانه كما كان . وقد هُيئ له حينها أن الإيمان بالله بلا جدوى ولا معنى. كما أنه سمع قساوسة البروتستانت في إنجلترا يقولون إن الكاثوليك يقولون إن البروتستانت سيدخلون النار . ووفق اعتقاد موم ، فإن أولئك وهؤلاء مؤمنون شديداً بالإيمان ! . وهكذا ، فقد مُوم إيمانه ، ووصل إلى الإلحاد .

لاقت قصص موم ورواياته رواجًا وإقبالاً كبيرين ، حتى اعتبره البعض أكثر الأدباء الإنجليز شعبيةً بعد تشارلز ديكنز . لكن كثيرًا من النقاد لم يهتموا به، واعتبروا قصصه سطحية وضعيفة . كان موم قادرًا على نقل أعقد المشاعر والعلاقات بواقعية مذهلة ، فلغته سهلة ، ومليئة بالمشاعر والانفعالات . والجدير بالذكر أنه كان من أشهر كُتّاب بداية القرن العشرين ، ومن أكثر الكُتّاب ربحًا في الثلاثينيات من القرن العشرين .

وقد اشتهر بكثرة كتاباته التي تنوّعت بين الروايات والقصص والمسرحيات والكتب السياسية، كما أنه امتازَ بأنه كاتب واقعي، يستمد قصصه من الحياة، ومن ملاحظته للناس في أسفاره ورحلاته الكثيرة. وتتميّز رواياته وقصصه القصيرة ببراعتها السردية ، وبساطة أسلوبها ، وسُخريتها اللاذعة. من أبرز أعماله: ليزا من لامبث (١٨٩٧). الساحر (١٩٠٨). العبودية البشرية (١٩١٥). القمر والبنسات الستة (١٩١٩) . الزوجة الدائمة (١٩٢٧).

سيرجي يسينين وبلاد الأوباش

وُلد الشاعر الروسي سيرجي يسينين (١٨٩٥ - ١٩٢٥) في كونستانتينوفو ، وانتحرَ في لينينغراد (بطرسبرغ لاحقًا) وهو في الثلاثين ، ومع هذا كان لديه من الوقت ما كفاه لكتابة عدد كبير من النصوص الشعرية وغير الشعرية ، بعدما نزع من الريف الذي وُلد وترعرع فيه إلى موسكو، حيث خاض النضال السياسي، وحقق دراسة جامعية متألفة جعلت أشعاره مليئة بالفولكلور الروسي. كذلك كان لديه من الوقت ما يكفيه ليتزوج أربع مرات متتالية، وأنجب أربعة أطفال من ثلاث نسوة (زوجتين وعشيقة) ، ما جعل حياته مصدر إلهام لكثير من المؤلفين .

تُعتبر " بلاد الأوباش " أهم قصائده على الإطلاق ، وتُمثّل وصيته الأدبية ، غير أن الأوباش في هذا النص ليسوا الحكومة التي كان يسينين مُعاديًا لها ، ولا رجال السُلطة الظاهرين أو السّريين، فالشاعر ما كان ليجرؤ على إطلاق هذا الوصف على سادة البلاد . فالأوباش بالنسبة إليه هم الآخرون : اللصوص الحقيقيون، وقطاع الطرق ، والعابثون سرقة وفسادًا في بلاد تعمّها الفوضى .

كتب يسينين " بلاد الأوباش " خلال الفترة (١٩٢٢ - ١٩٢٣) ، أي قبل موت لينين ووصول ستالين إلى السُلطة . ولكن في زمن كان من الواضح أن لينين لم يعد صاحب الكلمة الفصل في السياسة السوفييتية، وفي وقت كان الحس الثوري بدأ ينحدر لحساب مساع خرقاء لبناء دولة تُهمّل كل القيم التي كانت الثورة تدعو لتحقيقها . وكانت تلك السنوات صعبة ، ليس فقط على الصعيد الفكري او على صعيد الآمال الثورية . بل كذلك على صعيد الحياة العامة للناس العاديين. وهذا العمل الشعري الطويل الذي اشتغل عليه يسينين طوال عامين، لم يكتمل قط ، كما أن ما كتبه منه لم يُنشر كُله خلال حياته . وقد نُشر ما أنجزه من " بلاد الأوباش " بعد صدور أعماله الكاملة عام ١٩٢٧ ، كاشفًا لِمَن كان لا يزال يتساءل عن دوافع انتحار الشاعر ، عن بعض تلك الدوافع ، أو عن خلفياتها على الأقل .

في ذلك النص الشعري، رسم يسينين صورة شديدة الضراوة والمرارة لمعظم سمات الحياة اليومية الروسية خلال تلك الحقبة ، التي تلت مباشرة الحرب الأهلية بين " الأحمر " و " البيض " . حيث كانت الحكومة عاجزة عن ضبط الأمور ، ولم يكن في وسعها بُعْدُ أن تمتلك من الإمكانيات ما يُخلّصها من ذلك الفساد والفوضى والانهايار ، الذي يُرافق عادةً كُل مرحلة انتقالية في كل أُمَّة،

أي عمليات السرقة والنهب التي يُمارسها محترفون ينتمون الى عصابات مُنظمة، وهؤلاء المحترفون هم الشخصيات الرئيسية في هذا النص الشعري. ويبدأ النص بحوار يدور بين مُفوّضين من أهل الحكومة ، أحدهما هو تشيكتسوف، المفوض المكلف بحفر خط سكة حديد في منطقة الأورال، والثاني زميل له. وغاية هذا الحوار هي أن يرسم لنا بقدر كبير من الواقعية والمرارة ذلك الوضع البائس اليائس الذي يعيشه الشعب، الذي هو أصلاً _ بحسب الحوار _ شعب كسول ورجعي الأفكار . وبعد مشهد الحوار التمهيدي هذا، يجعلنا الشاعر نشهد عملية نهب قطار، عن طريق أفراد عصابة قوية وشرسة يتزعمها اللص نوماخ، الذي سرعان ما يُقدّمه إلينا يسينين بصفته شاعرًا ولصًا في الوقت نفسه . ويُؤكّد لنا يسينين أن نوماخ هذا لا يمكنه أن يجد سبيلاً لحياته خلال تلك الحقبة الصعبة إلا عبر ركوب المخاطر. وفي مشهد آخر، يُطالعنا شرطي صيني هو ليسا تشن، يأخذ على عاتقه مهمة مطاردة نوماخ، غير أن هذا سرعان ما يُفلت منه بحيلة تُثير الإعجاب. ثم نكتشف أن نوماخ، خارج إطار أعمال السرقة والنهب وقطع الطرقات، إنما يسعى الى تأسيس حركة مضادة للثورة تتألف من كل أولئك اليائسين الذين هم على شاكلته، ولم يبقَ لهم إلا ان يُجازفوا لاستعادة حياتهم وأوضاعهم. واللافت هنا هو أن يسينين لم يخترع شخصية نوماخ، بل هو استقاها من صفات لص حقيقي كان واسع الشهرة ومُطارداً من الجميع في ذلك الحين . وكان معروفًا بأفكاره المعادية للسوفييت . والطريف أن يسينين جعل اللص يتكلم دائماً عبر استخدام صور شعرية ومجازات مدهشة ، وعبر استخدام لغة راقية ، ولا سيّما حين يعالج في حديثه مواضيع كان يحلو ليسانين أن يعالجها في نصوصه الأخرى، مثل حب الطبيعة ، ونعي التأخي بين البشر ، والإيمان بالماضي . وهذا يُشير بوضوح إلى أن اختيار يسينين للصوص وشاعر رجعي التفكير بطلاً لهذه القصيدة، لم يكن عبثاً، بل كان مُحَمَّلاً بشتى أنواع المعاني والدلالات ، ما جعل دارسي أعمال يسينين وحياته يعتبرون "بلاد الأوباش " وصيته السياسية ورسالته الانتحارية . وبالرغم من أن الدولة قد أقامت جنازة مهيبه له ، إلا أن معظم كتاباته كانت محظورة من الكرملين ، أثناء حُكم ستالين وخروتشوف . و فقط في عام ١٩٦٦ ، أُعيد نشر معظم أعماله .

يُعتبر يسينين من أشهر الشعراء الروس في القرن العشرين، وعُرف بأنه شاعر حسّاس ومتدين، وقد لاقى الكثير من التضييق بسبب تدينه في ظل الثورة البلشفية . وكانت نهايته تراجيدية ، فقد انتحرَ في ليلة ٢٧ ديسمبر ١٩٢٥ ، في غرفة بفندق " إنغليتيير " في بطرسبرغ ، وهو في أوج فُتوته وإبداعه .

سيغريد أوندست و الخيانة الزوجية

وُلِدَت الأديبة النرويجية سيغريد أوندست (١٨٨٢ _ ١٩٤٩) في الدنمارك . ولكنَّ عائلتها انتقلت إلى النرويج عام ١٩٢٤ . وفي عام ١٩٤٠ هربت من النرويج إلى الولايات المتحدة ، بسبب مُعارضتها للنازية ، والغزو الألماني للنرويج . ولكنها عادت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. حصلت على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٨ ، بعد النجاح الكبير لروايتها " أولاف أودنسن " (١٩٢٥ _ ١٩٢٧) .

نشأت في مدينة (كريستيانيا) التي سُمِّيت فيما بعد أوسلو ، وصارت عاصمة النرويج . والدها كان عالم آثار ، وأمها ابنة مُحامٍ دنماركي . وقد عاشت في مناخ عائلي يَسوده القلق والاضطراب وغياب الإيمان ، لأنَّ والدَيها كانا مِنَ الملحدين . كان لوالدها تأثير كبير عليها ، فقد وجَّهها نحو أساطير التاريخ الإسكندنافي. وشكَّل مَوْتُهُ وهي في الحادية عشرة من العمر صدمةً كبيرةً لها، وأثَّر سلبًا على الوضع الاقتصادي للعائلة ، ممَّا دفعها إلى التخلي عن الأمل في التعليم الجامعي . وفي سن السادسة عشرة ، حصلت على وظيفة سكرتيرة في شركة هندسية لتساعد عائلتها ماديًا . وعندما بلغت الخامسة والعشرين ، انضمت إلى اتحاد المؤلفين النرويجيين .

بدأت الكتابة الروائية في مطلع شبابها، حيث إنها كتبت روايةً عن العصور الوسطى للدنمارك ، ولكنَّ دور النشر رَفَضَتْهَا ، ولم تقنع بموهبتها وأسلوبها . وبعد عامين من هذه الحادثة ، كتبت روايةً أخرى ليس لها علاقة بالعصور الوسطى ، وإنما تصف حياة امرأةٍ واقعيةٍ . وقد رُفِضَتْ مِنْ قِبَل الناشرين في بداية الأمر ، ثُمَّ تَحَمَّسَ لها أحد الناشرين بعد صعوباتٍ كثيرة ، فوافق على طباعتها . وهذه الرواية هي " السيدة مارتا أولي " (١٩٠٧) ، وكانت الجملة الافتتاحية فيها على لسان بطلة الرواية : ((كُنْتُ خائنةً لِرُؤُوجِي)) . وهذه الجملة الصادمة أثارت زوبعةً في المجتمع النرويجي ، وأحدثت فضيحةً هائلةً ، وحَقَّقَتْ شهرةً واسعة للكاتبة وهي في الخامسة والعشرين ، وأصبحت قادرةً على العيش من كتاباتها .

انتشرت هذه الرواية بين القُرَّاء بسرعة فائقة ، ونجحت بشكل أسطوري ، لأنها كشفت العلاقات المستورة في المجتمع ، والتي ينبغي أن تظل طَي الكتمان . وقَضَحَت الرواية نِفاقَ المجتمع المتغطّي بالفضيلة والطهارة ، والذي يَحْصُرُ مَعْنَى الشرف في جسد المرأة ، وأظهرت عواطفَ المرأة وحاجاتها المعنوية والجسدية ، وأثارت عاصفةً مِنَ الأسئلة المتعلقة بالصراع بين

الإنسان وأشواقه الروحية، وَحَدَّرَتْ مِنْ مَوْتِ الْأَحَاسِيْسِ وَالدَّكْرِياتِ، وَضِياعِ الْإِنْسَانِ فِي الْفَرَاغِ الْعَاطِفِيِّ الْمَوْحِشِ، وَأَظْهَرَتْ تَنَاقُضَاتِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَخَيْرَةَ الْإِنْسَانِ بَيْنَ الْمَبَادِي وَالْغَرَائِزِ .

وَفِي عَامِ ١٩١١ ، أَصْدَرَتْ رِوَايَةَ " جِينِي " ، وَهِيَ بِمِثَابَةِ سِيرَةِ ذَاتِيَّةٍ ، حَيْثُ تَتَحَدَّثُ فِيهَا عَنْ رَحْلَتِهَا إِلَى إِيطَالِيَا بَعْدَ نَجَاحَاتِهَا الْهَائِلَةِ فِي عَالَمِ الْأَدَبِ ، وَقِصَّةِ الْحُبِّ الَّتِي جَمَعَتْهَا بِالرَّسَامِ سَفَارِسْتَادِ الَّذِي تَزَوَّجَتْهُ وَانْفَصَلَتْ عَنْهُ فِيمَا بَعْدَ كَيْ تَنْفَرِّغَ لِكِتَابَاتِهَا وَتَرْبِيَةِ أَطْفَالِهَا .

ثُمَّ جَاءَتْ رِوَايَتُهَا الْمَلْحَمِيَّةُ " كْرِيسْتِين " (١٩٢٠ - ١٩٢٢) ، الَّتِي تَقَعُ فِي ثَلَاثَةِ مَجْلَدَاتٍ ، وَتَتَحَدَّثُ عَنْ الْحَيَاةِ فِي الدُّوَلِ الْإِسْكَندَنَافِيَّةِ فِي الْعَصُورِ الْوَسْطَى ، وَتَدُورُ أَحْدَانُهَا فِي مَحِيطِ نُرُويْجِي كَاثُولِيكِي مَنْدَمَجٍ مَعَ الْمَشَاعِرِ الْإِنْسَانِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ . وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ أَثَّرَتْ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ عَلَى الْحَيَاةِ الشَّخْصِيَّةِ لِلْكَاتِبَةِ ، إِذْ إِنَّهَا قَدْ اعْتَنَقَتْ الْكَاثُولِيكِيَّةَ عَامَ ١٩٢٤ ، أَيْ بَعْدَ كِتَابَةِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ . وَهَذَا فَاقَمَ غُرْبَتَهَا ، لِأَنَّ الْغَالِبِيَّةَ السَّاحِقَةَ مِنْ سَكَانِ النُّرُويْجِ مِنَ الْبُرُوتْسْتَانَتِ .

اُكْتُوتِ الْكَاتِبَةُ بِنَارِ السِّيَاسَةِ ، وَقَامَتْ بِالتَّبَرُّعِ بِقِيَمَةِ جَائِزَةِ نُوبَلٍ لِدَعْمِ الْمَجْهُودِ الْحَرْبِيِّ لِفِنْلَنْدَا (وَهِيَ دَوْلَةٌ إِسْكَندَنَافِيَّةٌ) فِي عَامِ ١٩٤٠ ، وَذَلِكَ بَعْدَ غَزْوِ الْإِتِّحَادِ السُّوفِيَّيْتِي لِفِنْلَنْدَا فِيمَا عُرِفَ بِحَرْبِ الشِّتَاءِ . ثُمَّ أُجْبِرَتْ عَلَى الْهَرُوبِ بَعْدَ غَزْوِ أَلْمَانِيَا لِلنُّرُويْجِ فِي نَفْسِ الْعَامِ ، فَهَرَبَتْ إِلَى السُّوَيْدِ وَأَمْرِيكََا ، وَشَجَّعَتْ مِنْ هُنَاكَ الْمَقَاوِمَةَ النُّرُويْجِيَّةَ ضِدَّ الْإِحْتِلَالِ النَّازِي . وَقَدْ انْتَقَدَهَا هِتْلَرُ بِشِدَّةٍ مِنْذَ عَامِ ١٩٣٠ ، وَقَامَتْ النَّازِيَّةُ بِحُظْرِ مُؤَلَّفَاتِهَا . وَقَدْ قُتِلَ ابْنُهَا الْبِكْرُ أُنْدَرَسُ (الْمَلَاظِمُ الثَّانِي فِي الْجَيْشِ النُّرُويْجِي) وَهُوَ فِي السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ فِي اشْتِبَاكِ مَعَ الْقُوَاتِ الْأَلْمَانِيَّةِ .

عَادَتْ إِلَى النُّرُويْجِ بَعْدَ التَّحْرِيرِ عَامَ ١٩٤٥ ، وَتُؤَفِّقَتْ بَعْدَ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ . وَحُطِّبَتْ بِتَكْرِيمٍ هَائِلٍ . فَقَدْ سُمِّيتْ فُؤُوهَ عَلَى سَطْحِ كَوْكَبِ الزُّهْرَةِ بِاسْمِهَا . وَوُضِعَتْ صُورَتُهَا عَلَى الْعُمْلَةِ النُّرُويْجِيَّةِ فَتَةً ٥٠٠ كُرُونَةٍ . وَقَامَتْ السُّوَيْدُ بِوَضْعِ صُورَتِهَا عَلَى الطُّوَابِعِ فِي عَامِ ١٩٩٨ ، بِاعْتِبَارِهَا رَمْزًا لِحُرِّيَةِ الدُّوَلِ الْإِسْكَندَنَافِيَّةِ .

إِنَّ الْأَفْكَارَ فِي كِتَابَاتِهَا تَدُورُ حَوْلَ أَرْبَعَةِ مَبَادِي رِئِيسِيَّةٍ : ١ _ الْعِلَاقَاتُ الْإِشْكَالِيَّةُ بَيْنَ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ ، وَبَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ . ٢ _ الْإِعْجَابُ بِتَقَاوِفِ الْقُرُونِ الْوَسْطَى الْمَسِيحِيَّةِ لِلدُّوَلِ الْإِسْكَندَنَافِيَّةِ . ٣ _ الصَّرَاعُ النَّفْسِي فِي دَاخِلِ الْإِنْسَانِ وَمَشْكَالَاتِهِ الْجِنْسِيَّةِ . ٤ _ اعْتِمَادُ الْكَاثُولِيكِيَّةِ كَمَرْجِعَةٍ لِلْأَفْكَارِ وَالْمَجْتَمَعِ .

سيغموند فرويد وتأسيس علم التحليل النفسي

وُلد المفكر وطبيب الأعصاب النمساوي سيغموند فرويد (١٨٥٦ _ ١٩٣٩) في بلدة فرايبورغ الواقعة في تشيكيا حالياً . وكانت حينذاك تابعة للإمبراطورية النمساوية، وتُؤفّي في لندن . وهو سليل عائلة يهودية برجوازية . وقد كان والده تاجر أصواف . أمّا والدته فكانت ذات تربية يهودية تقليدية، فلَقّنت بِكرها أصول اليهودية وشعائرها ، في حين كانت مربيته تشيكية كاثوليكية ناطقة بالألمانية تأخذه معها دائماً إلى القدّاسات الكنسية. وقد انعكست هذه الازدواجية في أولى دراساته حول الدّين التي نشرها عام ١٩٠٧ بعنوان " سلوكيات قسرية وممارسات دينية " .

كان فرويد في الرابعة من عمره حينما اضطُرت عائلته، بسبب مضايقات دينية وتجارية، إلى الهجرة إلى مدينة لايبزيغ في ألمانيا ، ثم إلى العودة بعد مُدة قصيرة إلى فيينا عاصمة الإمبراطورية، حيث عانى وعائلته من المضايقات الدينية، لدرجة أنه فقَدَ احترامه لوالده نتيجة خضوعه لاضطهاد " الغالبية المُضَلَّلَة " . وعلى الرغم من ذلك كان فرويد دائماً الأول في صفوفه الدراسية، فدخل الجامعة وهو في السابعة عشرة ليدرس الطب. وقد أُعْجِبَ بنظرية داروين في " النشوء والارتقاء " وجعلها مبدأه العام في تفسير الظواهر الحياتية ، وتتلّمذ مُدة ست سنوات على يد العالم إرنست بروكّه القائل إنه لا يوجد في الجهاز العضوي من عمليات قابلة للتفسير سوى الكيمياء والفيزيائية، فطَبّق فرويد هذا المبدأ على العمليات النفسية كافة . حصل عام ١٨٨١ على درجة الدكتوراة في الطب، لكنه لم يكن قادراً مادياً على افتتاح عيادة خاصة ، فتابع العمل في الجامعة في قسم التجارب والتحليل المخبرية، لكن المردود كان ضعيفاً، فقبل نصيحة بروكّه ووساطته للعمل في قسم الأمراض العصبية في مستشفى خاص في فيينا، كما حصل على فرصة التقدم للدكتوراة الثانية التي أهّلته للتدريس في الجامعة، وكان موضوع الأطروحة في ميدان أسباب وعوارض الأمراض العصبية. وافتتح عيادته التخصصية العصبية، وطَرَدَ مُربيته التي حَمَلَهَا مسؤولية بعض اضطراباته العصبية، وتزوَّج من اليهودية مارتا برنايز التي التقاها قبل أربع سنوات ، وكتب لها ٩٠٠ رسالة، موافقاً على عَقْدِ قران يهودي رسمي ، ولكن من دون الشعائر التقليدية المرافقة . وكانت زيجة ناجحة بثلاثة أبناء وثلاث بنات . عالج فرويد بعض المرضى في تلك المرحلة بالكوكايين، وحينما ثبت إخفاق العلاج فقَدَ فرويد فرصة الحصول على منصب أستاذ بكرسي في الجامعة . فقَدّم له أستاذه بروكّه منحة إلى باريس مدة خمسة شهور للتدرب على طريقة طبيب

الأعصاب الفرنسي جان شاركو في معالجة حالات الهستيريا بالتنويم المغناطيسي . وعند عودته إلى فيينا لم تلقَ هذه الطريقة قبولاً في الأوساط الطبية، لكنه استخدمها مع مرضاه مُطَوَّرًا إياها نحو طريقة التداعي الحر ، حتى توصل إلى صياغة " نظرية الكبت " ، ثم طريقة التطهير (١٨٨٩ _ ١٨٩١) وهي أساس التحليل النفسي . وقد استمر فرويد بالعمل في عيادته، ونشر مقالاته وكتبه، وفي الجامعة حيث مُنح في عام ١٩٠٢ مرتبة أستاذ فوق العادة ضَمِنَتْ له راتباً تقاعدياً معقولاً . ومنذ عام ١٩٠٨ صار مساعده الأول الطبيب النفسي السويسري كارل غوستاف يونغ . وفي عام ١٩٢٤ أُصيب فرويد بسرطان في سقف الحلق، فأُجري له حتى وفاته أكثر من ثلاثين عملاً جراحياً من دون جدوى. وعندما احتل النازيون النمسا عام ١٩٣٨ أقنعه أصدقاؤه بالهروب إلى إنجلترا . وفي أيلول/سبتمبر عام ١٩٣٩ أقنع فرويد طبيبه الإنجليزي الخاص بإعطائه جرعة زائدة من المورفين ، يُنهي بها حياته ، فوافقَ الطبيب . لم ينظر فرويد إلى أفكاره على أنها نهائية وتامة ، فقد استمر طوال حياته يُعدّل فيها، ومع ذلك وُجِّهَتْ انتقادات إلى نظريته من أهمها : ١ _ تركيزه على الدافع الجنسي . ٢ _ عدم إعطاء وزن مناسب للتأثيرات الاجتماعية والثقافية في مفهومه للشخص . ٣ _ هناك كثير من المصطلحات التي أتى بها فرويد ولا يمكن التحقق منها ، مثل الهو، الليبيدو، الأنا العليا . ٤ _ افتقاره إلى الموضوعية والدقة والاتجاه العلمي في الأسس التي بنى عليها أفكار التحليل النفسي ، وإن ثمة قُصُوراً خطيراً في الخطوات التجريبية التي استخدمها فرويد في إثبات صدق فرضياته . ٥ _ وقوعه ، كما يرى السلوكيون، في أخطاء منطقية ولا سيَّما في قوله إن الذكور في السنوات الأربع الأولى من عُمرهم يميلون إلى الأم أكثر من ميلهم إلى الأب. وعلى الرغم من الأخطاء التي وقع فيها فرويد، فإن نظريته في التحليل النفسي لم تمت، فما زال حتى اليوم بعض علماء النفس والطب النفسي يُؤيِّدون أفكاره في التحليل النفسي، وقد استخدم المؤرخون أسلوبه في التحليل النفسي في تحليل شخصيات تاريخية بارزة مثل هتلر ، ونيكسون . وفي الوقت نفسه أيد العلماء السلوكيون أفكارَ الفرويدية الجديدة التي هي بمنزلة تعديل لنظريات فرويد في التحليل النفسي وتنقيحها . وعارضوا فرويد في بعض أفكاره ، أو انفصلوا عنه بسبب مُبالغته في تقدير أهمية الحياة الجنسية للإنسان ، وركَّزوا على التأثيرات الثقافية والاجتماعية، وأن الناس يَرْتُون اللاشعور الجمعي الذي يجمع ذكريات الأجداد وعلاقاتهم وخبراتهم ، وأكَّدوا النسق الاجتماعي والاختلاف الثقافي وتأثير ذلك في الشخصية الإنسانية ، وأعطوا الحرية والعدالة والحقيقة معانٍ وأهمية كبيرة في التحليل النفسي .

سيلفيا بلاث والاختناج الحاد

وُلدت الأديبة الأمريكية سيلفيا بلاث (١٩٣٢ _ ١٩٦٣) في بوسطن . وماتت مُنتحرةً في لندن . كان والدها مهاجرًا ألمانيًا عمل أستاذًا في علم الحشرات . تُوفِّي وهي لا تزال في الثامنة من عمرها، فتركت وفاته أثرًا عميقًا في نفسها. تلقت بلاث تعليمها في كلية سميث التي عملت أستاذة فيها لاحقًا ، وفي جامعة كامبردج البريطانية. تزوّجت من الشاعر الإنجليزي تيد هيز عام ١٩٥٦. نشرت روايتها الأولى " الناقوس الزجاجي " قبل شهر واحد من إقدامها على الانتحار ، بعد إصابتها باكتئاب شديد جرّاء خيانة زوجها لها .

صدرت أول مجموعة شعرية لبلاث بعنوان " العملاق " (١٩٦٠) ، بالإضافة إلى أجمل مجموعات الشعرية " آريل " التي عالجت فيها بجرأة الحالات النفسية التي تتجتاح عقل الإنسان وتملكه . وقد كتبت أكثر قصائدها وهي في خِصَم مُعاناتها (الفقدان والمرض) . ومن أشهر أعمالها قصيدة " أبي " التي يظهر فيها تأثرها بفقدان أبيها، وتجمع فيها صورة الأب والزوج في شخص واحد يتمنّع بالسّطوة والقسوة ، فكانت تُفرّغ مشاعر الغضب والألم لفقدان والدها وخيانة زوجها في صُور مؤثرة مُروّعة . وفي هذه القصيدة، كما في شعرها عامة، يُعبّر ألمها الشخصي عن آلام الإنسانية جمعاء. عاشت بلاث المأساة قبل أن تكتبها متأثرة بالشاعر بيتس الذي كان يرى أن الإنسان لا يعيش الحياة إلا إذا خبر مآسيها، واستخدمت في كتاباتها أكثر الصور سوداوية كالتعذيب والاختناق والتلاشي والدمار. ولعل صورة الناقوس الزجاجي أكثر هذه الصور تكرارًا في شعرها، وما سَحَرها في الناقوس الزجاجي هو تعرّجاته وتشوّهاته، وكذلك فكرة السجن والشفافية. وصوّرت بلاث بطلّة روايتها " الناقوس الزجاجي " مسجونة تحت هذا الناقوس الذي يكشف ضعفها ويخنقها. كتبت بلاث قصائد تعكس خبرتها الشخصية مثل " السيدة لازاروس " التي استلهمتها من محاولاتها المتكررة للانتحار ، و"زنايق التوليب " التي صوّرت فيها أيامها في المستشفى بعد خضوعها لعملية جراحية، كما كتبت عن هوايتها في تربية النحل التي ورثتها عن والدها في " لقاء النحل " ، و " وصول علبة النحل " . وكتبت أيضًا تصف الطبيعة المحيطة بمنزلها الريفي في ديفون في " رسالة في تشرين الثاني " ، وهناك قصائد أخرى كتبها لطفليها بأسلوب مؤثّر وب عاطفة جيّاشة مثل قصيدة " أغنية الصباح " . وقد نُشر الكثير من قصائدها بعد موتها في مجموعات مثل " عبور المحيط " ، وآخر مجموعاتها " أشجار الشتاء " (١٩٧١) .

كتبت بلات مجموعة قصص قصيرة ومقطوعات نثرية تحت عنوان " جوني بانيك وكتاب الأحلام المقدس " (١٩٧٧) ، ومجموعة رسائل كتبها لوالدتها بعنوان " رسائل للأهل " (١٩٧٥) . وقد جمع زوجها هيوز أهم قصائدها ، وقدم لها في " مجموعة القصائد " ، نُشرت في عام ١٩٨١ ، ونالت عليها جائزة بوليتزر (١٩٨٢) لتصبح أول شاعرة تفوز بهذه الجائزة بعد وفاتها. كما اشتهر " كتاب السرير " ، وهو قصص مرحة للأطفال اختلف فيه أسلوبها عن قصائدها السوداوية . تميّز شعر بلات بالتطرف والحساسية والجرأة ، وهو يُعبّر عن الألم البشري ممزوجًا بنوع من الجنون ، إذ تستحضر في قصائدها مشاعر الغضب والألم ، وتثور ، وتطلق لخيالها العنان ، فتحضر " شياطينها الداخلية " كما تُسمّيها . وتسبر أغوار النفس البشرية بصور مرئية حسيّة ، وتصدم القارئ وتهز مشاعره . ويعتبر أنصار الحركة النسوية بلات نموذجًا للمرأة المعذّبة الغاضبة في عالم يُسيطر عليه الذكور ، كما أنها شاعرة المرأة الحديثة . ولا يزال الجدل يدور حول أحداث حياتها وانتحارها ، وعن كتاباتها وتراثها .

كتبت بلات من سن الثامنة . وفي الجامعة تخصصت في اللغة الإنجليزية ، وفازت بجميع الجوائز الكبرى في الكتابة والبحوث العلمية . وقامت بتحرير مجلة الجامعة ، وعند تخرّجها فازت بجائزة جلاسكوك لكتاباتها في العملين الأدبيين : " المحبوبان " ، و " المتجول على البحر " . وفي وقت لاحق ، كتبت لمجلة إسكواش . وكان لها عُقد مع مجلة نيويورك ، ومن هنا انطلقت سمعتها الأدبية . وصف لها الدكتور هووردر مضادات الاكتئاب قبل بضعة أيام من انتحارها ، وقد كان صديقًا مُقرَّبًا لها ، وعاش بِقربها ، وكان يعلم أنها عُرضة للخطر مع طِفْلَيْهَا ، فقد كان يزورها بشكل يومي ، وكافح لدخولها للمستشفى ولكن بدون جدوى . عندما فشل قام بترتيب قُدموم مُمرّضة لها . جادل بعض المعلقين بأن فعالية العقاقير الطبية تستغرق فترة تصل إلى ثلاثة أسابيع ، وبالتالي وصفة هووردر لم يكن لها فائدة ، ويقول الآخرون إن طبيب بلات حدّرها ألا تأخذ العقاقير التي قد تُسبب تدهور حالتها . كان من المقرّر أن تصل الممرضة في الساعة التاسعة صباحًا في يوم ١١ فبراير ١٩٦٣ ، لمساعدة بلات في رعاية طِفْلَيْهَا ، وعند وصولها لم تستطع دخول الشقّة ، وفي النهاية حصلت على المساعدة من أحد العمّال . وَجَدَا جُثّة بلات . ماتت مسمومةً بأول أكسيد الكربون بعد أن حشرت رأسها في الفرن . وضعت مناشف مُبلّلة تحت الأبواب لتكون حاجزًا بين المطبخ وبين غرفة طِفْلَيْهَا . في حوالي الساعة الرابعة ونصف في الصباح المبكر ، وضعت رأسها في الفرن الذي كان قيد التشغيل . كان عمرها ثلاثين سنة .

سيمون دي بوفوار والوجودية النسوية

وُلدت المفكرة الفرنسية سيمون دي بوفوار (١٩٠٨ _ ١٩٨٦) في باريس . كان والدها محامياً يطمح أن يكون ممثلاً ، ووالدتها ابنة رجل أعمال غني وكاثوليكي متدين . كانت دي بوفوار أثناء طفولتها ملتزمة دينياً ، وكانت تنوي أن تكون راهبة حتى خاضت أزمة الإيمان في عمر الرابعة عشرة ، ممّا حدا بها لتكون ملحدة بقية حياتها . وكانت مفكرة منذ عُمر مُبكر بفضل تشجيع والدها الذي كان يتباهى قائلاً : ((سيمون تُفكّر كرجل)). وبعد أن اجتازت امتحان البكالوريا في الرياضيات والفلسفة في عام ١٩٢٥ ، درست الرياضيات في معهد سينت ماري . ودرست بعد ذلك الفلسفة في جامعة السوربون ، وقد كتبت أطروحتها عن ليبنتز . عملت دي بوفوار بدايةً مع موريس ميرلو بونتي وكلود ليفي شتراوس ، حين كان الثلاثة يُنهون متطلبات مهنة التدريس في نفس المدرسة الثانوية . ورغم أنها لم تنضم لمدرسة الأساتذة العليا ، إلا أنها حضرت هناك بعض الفصول للتحضير لاختبار الفلسفة . وتُعد هذه المؤسسة واحدة من أعرق المؤسسات الفرنسية التعليمية، هدفها هو رفد الجمهورية الفرنسية بنمط جديد من المتعلمين يكونون قادرين على الاستقراء بصورة مغايرة للنمط المألوف .

وخلال دراستها للفلسفة هناك قابلت بوفوار طلاب تلك المدرسة ، ومن بينهم جان بول سارتر . ومنحت هيئة التحكيم سارتر المرتبة الأولى بدلاً من بوفوار التي حازت على المرتبة الثانية . وقد كانت في الحادية والعشرين ، وبذلك هي أصغر شخص يجتاز الامتحان في التعليم الفرنسي في ذلك الوقت .

ارتبط سارتر وبوفوار بعلاقة في أكتوبر ١٩٢٩ ، وطلبها سارتر للزواج منه . وقالت بوفوار في نهاية حياتها : ((الزواج كان مستحيلاً)). لذلك ، ارتبطا بعلاقة مدى الحياة . اختارت بوفوار أن لا تتزوج أبداً، ولم تسكن سويًا مع سارتر . ولم تُرزق بأطفال . وهذا منحها الفرصة للتفوق أكاديمياً ، والانضمام إلى الحقل السياسي ، والسفر والكتابة والتدريس .

اعتاد كل من سارتر وبوفوار أن يقرأ أعمال بعضهما البعض، لذلك احتدمت النقاشات حول مدى تأثير كل منهما على أعمال الآخر ، خاصة تلك التي تختص بالوجودية ، مثل : كتاب سارتر " الوجود والعدم"، وكتاب " المدعوة " لبوفوار . وعلى كل حال ، فإن الدراسات الأخيرة لأعمال بوفوار باتت تُركّز على تأثير كتاب آخرين إضافة إلى سارتر مثل ليبنتز وهيغل .

بدأت بوفوار وظيفتها كمعلمة في مدرسة ثانوية في مارسيليا عام ١٩٣١ ، ثم انتقلت إلى ليسبي بير في روين . وعُرفت بوفوار بعلاقتها الشاذة مع فتيات قاصرات من خلال عملها كمعلمة واللواتي عرّفتن إلى سارتر. وقد سببت طبيعة تلك العلاقات الكثير من الجدل حول سيرتها الذاتية. وفي عام ١٩٤٣ تمّ توقيف بوفوار عن مهنة التدريس نظرًا لاتهام طالبتها ناتالي سوروكين ذات السبعة عشر عامًا بإغوائها في عام ١٩٣٩ .

نشرت دي بوفوار روايتها الأولى " المدعوة " في عام ١٩٤٣ . وهي عبارة عن وقائع خيالية لعلاقتها الجسدية هي وسارتر مع أولقا كوزاكيوكز وواندا كوزاكيوكز . أولقا هي واحدة من طالباتها في مدرسة روين الثانوية، والتي قامت بوفوار بالتدريس فيها خلال الثلاثينيات. وأُغرمت تدريجيًا بأولقا. حاول سارتر أن يحصل على ود أولقا، ولكنها أنكرته، فكوّن علاقة مع أختها واندا بدلاً منها . وحتى وفاته كان سارتر لا يزال يدعم واندا . صنعت بوفوار في هذا الرواية التي تدور أحداثها قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية شخصية واحدة من علاقة أولقا وواندا المعقدة .

كتبت بوفوار مقالها الفلسفي الأول عام ١٩٤٤. ثم تابعت اكتشاف الوجودية من خلال مقالها الثاني "أخلاقيات الغموض" في عام ١٩٤٧، والذي قد يكون الدخول الأهم للوجودية الفرنسية. نشرت بوفوار رواية " المثقفون " في عام ١٩٥٤ ، والتي بفضلها حازت على الجائزة الأدبية الأعلى في فرنسا " جائزة غونكور " .

خلال السبعينيات أصبحت بوفوار ناشطة في حركة تحرير النساء الفرنسيات . وقد وقّعت على بيان في عام ١٩٧١ يدعو إلى جعل عمليات الإجهاض عمليات قانونية في فرنسا . وفي عام ١٩٧٤ تمّ الإقرار بقانونية الإجهاض في فرنسا .

تُوّفيت بوفوار جرّاء مُعاناتها من الالتهاب الرئوي. ودُفنت بجانب سارتر في باريس. ومنذ وفاتها أخذت سُمعتها تنمو . خصوصًا في المجال الأكاديمي ، فقد اعتُبرت أُمًّا للحركات النسوية لِمَا قبل ١٩٨٦ . وكان هناك وعي ملحوظ تجاهها كمفكرة فرنسية وجودية .

وتحلّل النقاشات المعاصرة تأثير كل من سارتر وبوفوار على بعضهما البعض . واكتشف بعض العلماء تأثير بعض من مقالاتها وأطروحاتها الفلسفية المبكرة على فكر سارتر فيما بعد .

ورغم أنها لا تعتبر نفسها فيلسوفة ، إلا أن لها تأثيرًا ملحوظًا في النسوية والوجودية النسوية. ويُعتبر كتابها " الجنس الآخر " (١٩٤٩) من أشهر كُتبها على الإطلاق . وهو عبارة عن تحليل مُفصّل حول اضطهاد المرأة ، وبمثابة نص تأسيسي للنسوية المعاصرة .

سينيكا الأصغر والفلسفة الرواقية

وُلد الفيلسوف الروماني سينيكا الأصغر (٤ ق. م. – ٦٥ م) في قرطبة في إسبانيا. يُلقَّب بـ سينيكا الفيلسوف أو الأصغر ، تمييزاً له عن والده الخطيب الشهير . تزوج في سن باكراً ، ومات ابنه الوحيد طفلاً . أقام مُدة في مصر (١٦ م – ٣١ م) ضيفاً لدى خالته زوجة غايوس غالريوس حاكم مصر الروماني . تعلَّم في صباه النحو والخطابة ، وحينما استهوته الفلسفة تتلمذ على يد الفلاسفة الفيثاغوريين، وبوحي منهم صار نباتياً . وكان صديقاً مُقرَّباً من الفيلسوف ديميتريوس ، فتشرب منه الفلسفة الكلية ، كما تشرب الفلسفة الرواقية من أستاذه أثالوس . اشتهر سينيكا كاتباً وخطيباً خلال حُكم غايوس كاليغولا (٣٧ م – ٤١ م) الذي حقد عليه لأنه أبدى في مجلسه ذكاءً أكثر ممَّا يجب ، ثم اتهمه بالزنى بأخت الإمبراطور يوليا ليفيلا ، ونفاه إلى جزيرة كورسيكا ، حيث بقي حتى استدعته القيصرية أغريينا عام ٤٩ م ، للإشراف على تربية نيرون ابنها من زوجها الأول. ولمَّا تُوجَّ نيرون قيصرًا، صار سينيكا مستشاره الأول حتى عام ٦٢ م. أي إنه كان المسؤول عن كثير من شؤون الإمبراطورية وأحداثها حتى فقد حظوته وهيمته على القيصر الشاب، فاستأذنه باعتزال الحياة السياسية والتخلي له عن ممتلكاته كافة، فقبل نيرون الشق الأول ورفض الثاني ، حتى عام ٦٥ م حين اتهمه بالتآمر عليه ، وأجبره على الانتحار ، وصادر ممتلكاته . يُعدُّ سينيكا واحدًا من أبرز الدُّعاة إلى الفلسفة الرواقية، وقد وقف جُل كتاباته الفلسفية والمسرحية من أجل هذا الهدف. ومن بين أعماله النثرية ما يُعرف باسم " المحاورات " ، وهي في الواقع مقالات في الأخلاق ، قصيرة نسبيًا ، وتدل عناوينها على مضامينها ، مثل : " عن العناية الإلهية " ، و " عن صمود الحكيم " ، و " عن الغضب " ، و " عن الحياة السعيدة " ، و " عن الرحمة " و " المسائل الطبيعية " ، وغيرها . ومن أعماله المهمة " الرسائل الأخلاقية " (٤١ م – ٦٢ م) وهي عمليًا دراسات في المسائل الأخلاقية صيغت على شكل رسائل، مُوجَّهة إلى صديقه لوسيليوس حاكم صقلية . ومن أطرف كتابات سينيكا الهجائية مقالته الطويلة " مسخ الإنسان إلى نبات القرع " ، التي ترتبط بمبدأ تناسخ الأرواح في الفكر الفيثاغوري ، أو مقالته " سخرية من موت كلاوديوس " التي تستخف بفكرة تأليه كلاوديوس بعد وفاته .

تحتل أعمال سينيكا النثرية مكانة مرموقة بين كتب تاريخ الفلسفة، لأنها تُعدُّ المصدر الرئيسي للفكر الرواقي، أمَّا أسلوبه فيعكس كل سمات أدب عصره، وإن كان يتفرد بخصائصه المميزة.

اعتنق سينيكا مذهب وحدة الوجود لدى الرواقيين، فاعتبر العالم كلاً مادياً وعقلياً واحداً، وأوضح بصورة أساسية المشكلات الأخلاقية التي إذا ما عولجت على نحو سليم، تمكّن الإنسان من بلوغ السعادة والأمن والخير، لهذا كان سينيكا يدعو إلى الأخوة والمحبة بين الناس، فاشتهرت مقولته " كن محبوباً من الجميع حياً، ومأسوفاً عليه ميتاً ". وكان يُحارب أيضاً الانفعالات، ويدعو إلى لغة العقل المتزن، فالرجل الحكيم هو الذي يسمو على الغضب متجاوزاً تجارب الحياة القاسية. ولم يهتم سينيكا بالميتافيزيقا، وفصلها عن ميدان الأخلاق، فأتجه إلى الناحية العملية، أي الحكمة العملية للحياة، وانصرف نهائياً عن الأسس النظرية الأولى التي قامت عليها الأخلاق الرواقية، فاهتم بالحياة الشعبية، لأنه وجد فيها ما يلائم مزاجه وطبيعته الخاصة.

أمَّا سينيكا المسرحي، فقد كتب تسع مسرحيات مأساوية (تراجيدية)، لم تُعرف تواريخ تأليفها بدقة، إذ لم يُعرض أي منها على مساح روما أو غيرها فتُعرف وتشتهر. ولم يكن في نية مؤلفها أن تُعرض، بل أن تُقرأ في جلسات الجدل الفكري من قبل أحد الحضور.

وكان غرض سينيكا من مسرحياته تجسيد أفكاره الفلسفية والأخلاقية الرواقية في شخصيات تخوض صراعات درامية حادة بين قوتين: العقل والحكمة من طرف، والعاطفة الجامحة والغريزة من طرف آخر، فتكتسب الأفكار بذلك حيوية الحياة وفعاليتها. فالتعبير الأدبي أكثر طلاوة على الأذن، وأشد نفاذاً إلى العقل، وأعمق تأثيراً في القلب، من النصوص الفلسفية التي لا يصل إلى فحواها إلا الضالعون في لغتها، وسينيكا لا يهتم بهؤلاء قدر اهتمامه بعامة الناس.

كان سينيكا مثل كبار مثقفي عصره ضليعاً في اللغة اليونانية وثقافتها، ولا سيما على صعيد الفلسفة والأدب والمسرح، ومن هنا فإن مصادر مآسيه بلا استثناء يونانية، إمّا من الملاحم الكبرى والأساطير الكثيرة ذات التأويلات المتعددة، وإمّا من النصوص المسرحية التراجيدية مباشرة.

تشمل أعمال سينيكا الموجودة ١٢ مقالة فلسفية، و ١٢ رسالة ومقالة، ورواية ساخرة، وتسع روايات مأساوية. وتكشف رواياته المأساوية موضوعات استعملها الروائيون الإغريق. ولكنها ميلودرامية انفعالية، عتيقة وملينة بلغة البلاغة. وتُركّز على الفكرة الرواقية القائلة " إن المصيبة تنتج عندما تُحطَّم العاطفة العقل ". وكانت الروايات ذات أثر واسع على الدراما التراجيدية في إيطاليا، وفرنسا وإنجلترا في العهد الإليزابيثي.

شارل بودليير وأزهار الشر

وُلد الشاعر الفرنسي شارل بودليير (١٨٢١ - ١٨٦٧) في باريس . تُوفِّي والده الشري وهو في السادسة من العمر ، فتزوَّجت أمُّه من ضابط كبير صار فيما بعد سفيراً لبلاده ، وترك هذا الزواج في نفس الطفل شرخاً عميقاً لم يقدِّر على التعافي منه ، خصوصاً أنه وُضع في مدرسة داخلية، وفقد حنان الأم ، وهذا وَلَدَ عنده تمرُّداً وعناداً ، فانصرفَ إلى المطالعة .

وعندما صار شاباً ، مأل إلى الشعر ، وبرز بين أقرانه في هذا المجال، لكنه كان ماجناً مُبدِّراً ، وهذا دفع أسرته _ بتوجيه من زَوْجِ أمِّه _ إلى الحد من استهتاره ، وجعل أمر الإنفاق عليه من الشروة الطائلة التي تركها له والده مُنوطاً بموافقة وصي شرعي، وكان هذا بخيلاً لم يهتم باحتياجات الشاعر الشاب الأنيق ومشاعره ، وقلبه المعلق بامرأة ماجنة أتعبت بشهواتها ونزواتها، فعاش الشاعر حياةً مليئة بالألم والحزن ، وأصيب بمرض الزُّهري ، ومُنِيَ بالحرمان والفقر حتى وفاته .

بسبب هذه الحياة المضطربة القائمة على الحب الضائع والخيبة والمرض ، استوحى بودليير قصائد ديوانه الشهير " أزهار الشر " (١٨٥٧) . وأحدث عند نشره ضجةً هائلةً بين بعض فئات المجتمع الفرنسي المحافظة ، وأقيمت على الشاعر وناشره دعوى قضائية ، بِحُجَّة أن بعض قصائد الديوان تُنافي الأخلاق الحميدة ، وتصطدم بثوابت المجتمع ، بما تضمَّنته من جُرأة فاضحة في وصف الشهوة ومفاتن الجسد . وحكمت المحكمة على الشاعر بدفع غرامة مالية ، وإزالة ست قصائد من الديوان ، مع منع إعادة نشرها .

لقد ترك حُكم المحكمة في نفس الشاعر ألمًا وخيبةً وحسرةً ، لكنَّه صَنَعَ شهرةً كبيرةً لهذا الديوان على مستوى فرنسا . وظلَّ بودليير يُتابع نشاطه الأدبي ، ونشر مؤلفات في النقد الفني لفتت الأنظار إليه .

بدأ بودليير كتابة قصائده النثرية عام ١٨٥٧ ، عَقِبَ نشر ديوانه " أزهار الشر " . وكان راغباً في إيجاد شكل شعري يُمكنه استيعاب العديد من تناقضات الحياة اليومية في المدن الكبرى . وقد وَجد بودليير ضالته في " البلاد " ، وهو النص الذي يُشبه الموال القصصي في العربية ، وهو الشكل الذي استوحاه وردزورث وكولردج في ثورتها على جمود الكلاسيكية .

وفي عام ١٨٦١ ، بدأ بودليير في محاولة لتدقيق اقتراحه الجمالي وتنفيذه ، فكتب هذه القصائد التي تُمثِّل المدينة أهم ملامحها ، وتُعتبر مَعِينًا لا ينضب من النماذج والأحلام .

يُعتَبَرُ بودلير من أبرز شعراء القرن التاسع عشر ، ومن رموز الحداثة في العالم . وكان شعره مُتَقَدِّمًا على شعر زمنه ، فلم يُفْهَمَ جَيِّدًا إلا بعد وفاته . وكان يرى أن الحياة الباريسية غنية بالموضوعات الشعرية الرائعة ، وهي القصائد التي أُضيفت إلى " أزهار الشر " في طبعته الثانية عام ١٨٦١ ، تحت عنوان لوحات باريسية .

إن أبرز ما قدَّمه بودلير في أدبه وحياته معًا ، هو ذلك الصراع القائم بين الخير والشر . وعندما كانت تُسيطر عليه مشاعر الاكتئاب وكراهية الحياة ، كان يلجأ إلى الحشيش والخمر . لقد كانت رُوح بودلير قلقَةً ، وهذا القلق تَحَوَّلَ إلى رؤية شعرية ، تمتزج فيها الأصوات والألوان والروائح ، لتصنع رِيشة أدبية محتوية على الأفكار الإبداعية والخواطر الشفافة .

ووفق وجهة نظر بودلير ، ينبغي أن يَنفِذَ الشاعر المُلهَمُ إلى جميع العلاقات القائمة بين الإنسان والطبيعة . وعليه أن يسبح في بحر الرموز المنسجمة ، التي تفتح له آفاقًا من المعرفة لأسرار الكون . فيصبح الشعر قادرًا على الإيحاء والإيماء .

وقد كان ديوان " أزهار الشر " تعبيرًا عن ثورة الشعر الفرنسي ، والشعر الأوروبي كُلِّه ، بعد أن تُرجم إلى معظم اللغات . وصارَ عام ١٨٥٧ فاتحةً لعصر جديد في الشعر ، وتأثَّرَ بهذا الديوان عدد كبير من الشعراء الرمزيين مثل : مالارميه ورامبو .

واستطاع بودلير أن يفتح حُدود الشعر على بعضها البعض ، ويصنع صُورًا شعرية رائعة وفريدة . وقد لَمَسَ جميع الشعراء في شعره سِحْرًا وإبداعًا وتجديدًا ، ولا تزال الدراسات النقدية تكشف عن أسرار شعر بودلير ، وتُوضِّح جمالياته الرمزية .

ولا تزال آثار بودلير في النقد الفني مجالًا خصبًا لكثير من الآراء والأفكار والخواطر ، التي تُبَيِّنُ ذائقة الفنية الناضجة الواعية ، وتكشف روائع اللوحات الفنية وعبقريتها إبداعها .

شارل ساندرز بيرس، وتأسيس الفلسفة البراغماتية

وُلد الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرز بيرس (١٨٣٩ _ ١٩١٤) في كامبردج بولاية ماساتشوستس. كان والده أستاذًا في علم الفلك والرياضيات بجامعة هارفارد . وكانت والدته ابنة سيناتور قوي النفوذ ، وكانت العائلة تحتل مكانة مرموقة في مجتمع نيو إنجلاند .

درس في جامعة هارفارد ، وحصل على الماجستير في الرياضيات والبيكالوريوس في العلوم الكيميائية . وإثر تخرُّجه ، عمل في إدارة مسح الأراضي الأمريكية ، وفيها تقلَّب في عدد من المناصب في الفترة (١٨٦١ _ ١٨٩١) . وضمت له هذه الوظيفة الإغفاء من التجنيد في جيش الاتحاد خلال الحرب الأهلية (١٨٦١ _ ١٨٦٥) . هذا فضلاً عن كونه ، وَجَد مُتَسَعًا من الوقت لمتابعة أبحاثه، التي اتَّخذت وجهة فلسفية تحت تأثير اطلاعه على كتابات الفيلسوف كانت . وفرضَ نفسه من هذه الناحية، وهو ما أَقْلَهُ لِيُدْرَس الفلسفة في جامعة هارفارد، وعَمِلَ مُحَاضِرًا في المنطق (١٨٧٩ _ ١٨٨٤) في جامعة جونز هوبكنز ، وشارك في تحرير عدد من المجلات المختصة. وفي عام ١٨٨٧، انتقلَ مع زوجته الثانية إلى بنسلفانيا ، حيث بقي إلى أن تُوفِّيَ عام ١٩١٤ بسبب السرطان. نشرَ كتابًا واحدًا " بحوث في القياس الضوئي " (١٨٧٨)، وأشرف على نشر مجموعة أعمال بعنوان "دراسات في المنطق" (١٨٨٣) . نشرَ بيرس طوال حياته عددًا من المقالات، تَمَّ تجميعها إثر وفاته، ونَشَرها في ثمانية مجلدات ، تحت عنوان "مجموعة أبحاث شارل س. بيرس". ومن هذه المقالات، نذكر أَوَّل محاولة فلسفية مهمة له ، أرسى من خلالها دعائم الذرائعية، وهي "كيف نجعل أفكارنا واضحة" (١٨٧٨)، وكذلك "دراسات في المنطق" (١٨٨٣)، و"الهندسة المعمارية للنظريات" (١٨٩٠)، و"ما الذرائعية؟" (١٩٠٥)، و"نشأة الذرائعية" (١٩٠٥) .

يُعتَبَر بيرس مؤسِّس الفلسفة الذرائعية (البراغماتية) مع وليم جيمس. كما يُعتَبَر إلى جانب دي سوسير أحد مؤسِّسي السيميائيات المعاصرة . وقد تركَّزت الفكرة الأساسية للبراغماتية على أن العقل لا يُدرك غايته، إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة المفيدة، والمعيار الوحيد للحقيقة هو فعاليتها ونجاحها. والبراغماتية في المعرفة هي القول إن القانون العلمي (أو القاعدة العلمية) لا يكون إلا عند التطبيق في ظروف عملية بصورة ناجحة ونافعة، وهو مضمون ما سُمِّيَ بقانون بيرس : ((قيمة فكرة ما تكمن في نتائجها العملية)) . وفي

العقود الأخيرة، أُعيد اكتشاف فكره، بحيث صار أحد كبار المجددين ، خصوصًا في منهجية البحث وفلسفة العلوم. عانى بيرس نفس مأساة جون ستوارت ميل، فقد علّمه والده وأثقل كاهله بافتراض تَمَتُّع ابنه بالعقرية . وقد ورث بيرس عبئًا آخر أكبر تَمَثَّلَ في ألم العصب الثلاثي التوائم (ألم الوجه المزمن العشوائي)، علاوة على كونه أعسر. ولكنه تغلب على كونه أعسر بنجاح . ومع ذلك ، فقد كان لإرثه المرضي عواقب خطيرة. كان يتناول الأفيون للتغلب على نوبات الألم الحاد المتكررة، وأدمن المورفين . كل هذا بالإضافة إلى غروره النابع من إيمانه الراسخ بقدراته المتميزة ، الذي أسهم في عدم قدرته على الانسجام مع المجتمع التقليدي، وأفشل كل محاولات خلق حياة مهنية غير تلك التي أتاحها له نفوذ والده. وكان بيرس مُتَعَطِّشًا للتقدير والنجاح، لكن غروره منعه من تحقيق حلمه. في عام ١٨٧٦ التقى بيرس بالسيدة جوليت بورتالاي الغامضة في حفل راقص بفندق بريفورت بنيويورك ، ونشأت بينهما علاقة عاطفية علنية . وكان بيرس قد تزوّج من هارييت فاي في عام ١٨٦٢ . ونظرًا لشخصيتهما المتنافرتين صَعَبَتِ المراس ، تعرّضت علاقتهما الزوجية لتوتر متزايد، إلى أن انهارت بلا رجعة . وحين شغل بيرس منصبه في جامعة جونز هوبكنز في عام ١٨٧٩ ، كان يعيش مع جوليت وهو لا يزال متزوجًا من هارييت. وقد أثار هذا الأمر فضيحة أذكت نيرانها الشائعات المشاركة بالفعل حول إدمانه المخدرات، وغطرسته وغروره، وسلوكه المنحرف، وخياناته الزوجية السابقة. ويبدو أن بيرس كان غير مُدرك للخطر المتزايد، حيث كتب إلى أحد أقاربه مُخبرًا إيّاه أنه متأكد من أنه سيحصل قريبًا على ترقية لدرجة الأستاذية . لكنه في عام ١٨٨٣ طُرد من منصبه الجامعي . وسُرعان ما تغيّرت حياته إلى الأسوأ، وباتت مُتزايدة الصعوبة . قضى بيرس ما تبقى من حياته في عُزلة، في بلدة ميلفورد الصغيرة في ولاية بنسلفانيا . وكان غرضه من التقاعد هناك هو إكمال مجلدات تضم كل اكتشافاته الفلسفية الكبيرة على مدار ثلاثين عامًا، ولكن تلك الكتب العظيمة لم تخرج إلى النور . فقد دفعته الصعوبات المالية المتزايدة إلى تكريس الكثير من وقته وجهده لكتابة مقالات نقدية حول الكتب الفلسفية والعلمية لعامة القُرّاء . خلال السنوات الأخيرة من حياته ، أفعده المرض عن العمل تمامًا ، فعاش على المعونات التي كان أخوه الأصغر هربرت وقليل من أصدقائه يُقدّمونها له .

تُوفِّي بيرس في التاسع عشر من أبريل عام ١٩١٤ . وقد قامت جوليت التي عاشت بعده عشرين عامًا بالاحتفاظ برماده في وعاء فضي فوق رف المدفئة إلى أن تُوفِّيت، ودُفِن معها رماد بيرس في قبرها في ميلفورد .

شارلوت برونتي وتحرير المرأة أدبيًا

وُلدت الأديبة الإنجليزية شارلوت برونتي (١٨١٦ - ١٨٥٥) في ثورنتون ، يوركشاير . وهي الأكبر بين الأخوات برونتي الثلاث اللواتي تُعتبر رواياتهن من أساسيات الأدب الإنجليزي . في أغسطس ١٨٢٤ ، تمَّ إرسال شارلوت مع شقيقاتها إلى مدرسة بنات القساوسة كوان بريدج في لانكاشير . أثَّرت الظروف المتردية للمدرسة على صحة الفتيات ، فما لبثت الأختان ماريا وإليزابيث أن أُصيبن بمرض السُّل ، وماتتا به في يونيو ١٨٢٥ ، بعد وقت قصير من إرسالهن إلى المدرسة ، وأعاد الأب شارلوت إلى المنزل لكي تعيش فيه مع العائلة . في منزل القسيس الكائن في هاوورث ، بدأت شارلوت وأختها إميلي وآن بنسج حكايات عن سكان ممالك خيالية والتأريخ لحياتهم ونضالاتهم . كانت كتاباتهن مُحكَّمة ومُعقَّدة ، ولا يزال جزء من هذه المخطوطات محفوظًا بحال جيدة .

أكملت شارلوت تعليمها في رو هيد (١٨٣١ - ١٨٣٢) ، وهناك قابلت رفيقات حياتها اللواتي لم ينقطعن عن تبادل الرسائل . وكتبت في هذه الفترة روايتها " القزم الأخضر " (١٨٣٣) تحت اسم ليسلي . عادت شارلوت إلى هذه المدرسة فيما بعد كمُعَلِّمة (١٨٣٥ - ١٨٣٨) . وفي عام ١٨٣٩ ، عملت كمُربيَّة خاصة لدى عدد من العائلات في يوركشاير ، وظلَّت في هذه المهنة حتى عام ١٨٤١ .

في مايو ١٨٤٦ ، نشرت شارلوت وإميلي وآن مجموعة مشتركة من القصائد تحت أسماء مستعارة : كيور ، إليس وأكتن بيل . رغم أنه تمَّ بيع نسختين فقط من الكتاب إلا أن الأخوات واصلن الإنتاج الأدبي ، وبدأن بكتابة رواياتهنَّ . وقد استخدمت شارلوت الاسم (كيور بيل) عندما نشرت أول روايتين لها .

وكتبت شارلوت فيما بعد : ((في مُعارضة للدعاية الشخصية ، أخفينا أسماءنا الأصلية خلف كيور ، إليس وأكتن بيل . اخترنا هذه الأسماء الغامضة على ضوِّء رغبة في استخدام أسماء ذكورية مسيحية بشكل إيجابي ، حيث لم نكن نودُّ أن نُعلن أننا نساء ، لأنه في ذلك الوقت كان سيتم التعامل مع طريقة كتاباتنا وتفكيرنا على أساس أنها " أنثوية " . كان لدينا انطباع قوي أن مؤلفاتنا سيُنظر إليها باستعلاء ، حيث لاحظنا كيف يُستخدم النُّقاد في بعض الأحيان أسلوب مهاجمة الشخصية كوسيلة عقاب ، وأسلوب الغزل كمكافأة ، وهو ليس بالمدح الحقيقي)) .

وَفِعْلاً ، حَكَمَ النُّقَادَ عَلَى رِوَايَتِهَا بِأَنَّهَا خَشَنَةٌ ، وَكَانَتْ هُنَاكَ تَسْأُؤَلَاتٌ حَوْلَ هَوِيَّةِ (كِيُور) وَعَمَّا إِذَا كَانَ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً .

تُعْتَبَرُ رِوَايَةُ " جِين إِير " (١٨٤٧) أَشْهَرَ أَعْمَالِ شَارْلُوتْ بَرُونْتِي عَلَى الْإِطْلَاقِ . وَهِيَ سَبَبُ شُهْرَتِهَا وَمَجْدِهَا الْأَدْبِيِّ . وَقَدْ نَجَحَتْ الرِّوَايَةُ نَجَاحًا بَاهِرًا ، وَهَذَا مَا جَعَلَ نَاشِرَ الرِّوَايَةِ يُقْنِعُ شَارْلُوتْ بِزِيَارَةِ لَنْدُنَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ، حَيْثُ كَشَفَتْ عَنْ هَوِيَّتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ ، وَبَدَأَتْ بِالتَّحَرُّكِ فِي أَكْثَرِ مِنْ دَائِرَةِاجْتِمَاعِيَّةٍ ، وَسُرْعَانَ مَا كَوَّنتْ صَدَاقَاتٍ فِي الْوَسْطِ الْأَدْبِيِّ .

وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ بِمِثَابَةِ شَرَارَةٍ فِي مَجَالِ حَرَكَةِ تَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ الْأَدْبِيَّةِ . وَالشَّخْصِيَّةُ الرَّئِيسِيَّةُ جِين إِير فِي الرِّوَايَةِ ، كَانَتْ مُوَازِيَةً لِشَخْصِيَّةِ شَارْلُوتْ نَفْسِهَا ، فَهِيَ امْرَأَةٌ قَوِيَّةٌ ، وَوَاتِقَةٌ بِنَفْسِهَا . فِي يُونِيُو ١٨٥٤ ، تَزَوَّجَتْ شَارْلُوتْ بِآرْثَرِ بِيْل نِيْكُولز ، مُسَاعِدِ الْوَلَدِهَا ، وَحَمَلَتْ بَعْدَهَا بَوَقْتٍ قَصِيرٍ . بَدَأَتْ صَحَّتُهَا بِالتَّدهُورِ سَرِيعًا خِلَالِ هَذَا الْوَقْتِ ، وَوَفَّقًا لِعَاسِكَل (أَوَّلُ كَاتِبَةٍ لِسِيرَةِ شَارْلُوت) : ((كَانَتْ قَدْ هَاجَمَتْهَا مَشَاعِرُ غُثْيَانٍ دَائِمٍ وَتَعَبٍ مُتَكَرِّرٍ)) .

تُوَفِّيَتْ شَارْلُوتْ ، مَعَ ابْنِهَا الَّذِي لَمْ يُولَدْ بَعْدَ ، فِي ٣١ مَارَسِ ١٨٥٥ . ذَكَرَتْ شَهَادَةُ وِفَاتِهَا أَنَّ سَبَبَ الْوَفَاةِ هُوَ السُّلُّ (الدَّرَنُ) ، وَلَكِنْ الْعَدِيدُ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ يُرَجِّحُ أَنَّ يَكُونُ سَبَبُ الْوَفَاةِ نَاتِجًا عَنِ الْجَفَافِ وَسُوءِ التَّغْذِيَّةِ ، بِسَبَبِ الْإِفْرَاطِ فِي الْقِيَاءِ الشَّدِيدِ مِنْ غُثْيَانِ الصَّبَاحِ أَوْ التَّقْيُّوِّ الْحَمَلِيِّ . ذُفِنَتْ شَارْلُوتْ فِي الْمَدْفِنِ الْعَائِلِيِّ فِي كَنِيسَةِ " الْقَدِيسِ مَائِكِل وَجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ " فِي هَاوَارْث ، غَرْبِ يُورْكْشَاير ، إِنْجَلْتِرَا .

مِنْ أَهْمِّ رِوَايَاتِهَا : جِين إِير (١٨٤٧) . شِيرْلِي (١٨٤٩) . فَالِيْت (١٨٥٣) . الْبَرُوفْسُور (١٨٥٧) _ بَعْدَ وِفَاتِهَا _ .

أَمَّا أَعْمَالُهَا الشَّعْرِيَّةُ فَهِيَ : قَصَائِدُ بِقَلَمِ كِيُور ، إِيْلِسْ وَأَكْتِنِ بِيْل (١٨٤٦) . قَصَائِدُ مُخْتَارَةٌ مِنْ آلِ بَرُونْتِي ، شِعْرٌ لِكُلِّ إِنْسَانٍ (١٩٩٧) .

شموئيل يوسيف عجنون ودعم الصهيونية

وُلد الكاتب اليهودي الإسرائيلي أوكراي الأصل شموئيل يوسيف عجنون (١٨٨٨ - ١٩٧٠) في مدينة بوتشاتش جنوب أوكرانيا. اسمه المختصر " شاي عجنون ". حاز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٦ ، مُناصفة مع الكاتبة اليهودية السويدية نيلي زاكس .

كان أبوه مؤهلاً لمنصب حاخام ، لكنه تنازلَ عن هذا المنصب ، واشتغل كتاجر فراء . تلقى عجنون التعليم الأساسي من أهله ، ولم يُسجَل في أية مدرسة . وعندما كان في الثامنة من عُمره ، تمكّن من الكتابة بلُغتي اليديشية والعبرية. وفي سن الخامسة عشرة ، نشر أول قصيدة له باليديشية. وفي السنة اللاحقة ، نشر أول قصيدة بالعبرية .

في الفترة (١٩٠٦ - ١٩٠٧) ، عمل مساعداً لمحرر الصحيفة اليهودية البولندية باللغة اليديشية " الموقظ اليهودي " ، ونشر بعض أعماله الأدبية الأولى .

تأثر عجنون بأفكار الحركة الصهيونية التي شاعت في المجتمعات اليهودية الأوروبية في بداية القرن العشرين ، فهاجرَ إلى فلسطين في عام ١٩٠٧ ، وعاش في يافا والقدس ، وغيّر أسلوب حياته ، وصار علمانياً لفترة مُعيّنة ، ولكنه اعتنق أسلوب الحياة الديني من جديد في فترة لاحقة . في عام ١٩٠٨ ، نشر قصة " عجونات " (النساء المخدولات) باللغة العبرية ، واستخدم اسم عجنون لأول مرة نسبةً إلى عنوان القصة . وصار هذا الاسم يُرافقه كاسم مُستعار مُنذ نشر هذه القصة . وفي عام ١٩٢٤ ، صار اسماً رسمياً له .

ترجمت قصة " عجونات " إلى اللغة الألمانية في عام ١٩١٠ . وفي عام ١٩١٢ ، نشر عجنون أول رواية له بعنوان " وبصير المُعَوَّج مستقيماً " (العنوان مأخوذ من سفر إشعياء في التوراة). في عام ١٩١٣ ، هاجرَ عجنون إلى ألمانيا ، حيث تعرّف إلى السيدة إستير ماركس ، وتزوَّجها في عام ١٩٢٠. وفي ألمانيا، التقى عجنون رَجُل الأعمال اليهودي زلمان شوكن الذي أصبح ولياً له. وكان شوكن يملك داراً للنشر . وفي عام ١٩٣٩ ، اشترى صحيفة هآرتس الصادرة في تل أبيب، فكان يُعيل عجنون ، وينشر كتبه وقصصه .

وفي ألمانيا ، تعاونَ عجنون مع الفيلسوف اليهودي النمساوي مارتن بوبر (الذي هاجر إلى القدس في عام ١٩٣٨) في جمع ونشر حكايات شعبية من الطوائف اليهودية الحاسيدية . والحاسيديم هي حركة روحانية اجتماعية يهودية نشأت في القرن السابع عشر .

في عام ١٩٢٤ ، فقد عجنون مخطوطاته في حريق اشتعل في منزله الألماني . وفي نفس السنة ، قرّر العودة إلى القدس ، حيث استقرّ وأمضى سائر حياته . وقد عاش في حارة تليوت المقدسية الواقعة في الجزء الجنوبي من المدينة . وفي عام ١٩٢٩ ، اندلعت اشتباكات عنيفة بين العرب واليهود . وفي هجوم من قبل عرب مقدسين على حارة تليوت ، دُمّرت مكتبة عجنون ، وفقد الكثير من مخطوطاته للمرّة الثانية .

في الفترة (١٩٣١ - ١٩٤٥) ، نشر عجنون أشهر رواياته ، وهي :
١- " طلعة العروس " . تحكي قصة رجل يهودي في محافظة غاليتسيا البولندية ، يتجوّل بين القرى اليهودية ليجد عريسًا لابنته .

٢- " حكاية بسيطة " . تتناول حياة اليهود في مدينة بوتشاتش (مسقط رأس عجنون) .
٣- " أمس وأوّل من أمس " . تتناول حياة اليهود في فلسطين في بداية القرن العشرين .
تتميّز لغة عجنون بأسلوب فريد من نوعه ، ومتأثر بطبقات مختلفة في تاريخ اللغة العبرية ، ولكنّه متأثر بشكل خاص بلغة الميشناه ، ممّا يمثّل تحدّيًا أمام الناطقين باللغة العبرية الحديثة ، المتعوّدين غالبًا على اللغة الأشبه بلغة التّوراة . وهناك معجم خاص بلغة عجنون ، أصدرته جامعة بار إيلان (وهي جامعة عامة في إسرائيل تأسّست عام ١٩٥٥ ، وتقع في مدينة رمات غان) .
فاز عجنون مرّتين بجائزة بياليك للآداب من بلدية تل أبيب في ١٩٣٤ و ١٩٥٠ ، ثمّ فاز مرّتين بجائزة إسرائيل للآداب (أرفع جائزة تُمنح لعلماء وأدباء من مواطني "الدولة") في ١٩٥٤ و ١٩٥٨ .

وفي عام ١٩٦٦ ، قرّرت الأكاديمية السويدية أن تمنحه جائزة نوبل للآداب مُنصفًا مع الكاتبة اليهودية السويدية نيلي زاكس .

تُوفّي عجنون في القدس ، وترك وراءه مخطوطات كثيرة كان يُحضّرُها للنشر . فاعتنت ابنته (أمونا يارون) بتحرير مخطوطاته ونشرها . وقد زاد عدد كُتبه الصادرة بعد وفاته على ما نشره في حياته . وسلّمت عائلته أرشيفه الشخصي للمكتبة الوطنية الإسرائيلية في غفعات رام (تلة الشيخ بدر) بمدينة القدس . وبقيت مكتبته الشخصية في منزله ، الذي أصبح مفتوحًا أمام الجمهور .

شيموس هيني وأنقسهاماته بلاده

وُلد الشاعر الأيرلندي شيموس هيني (١٩٣٩ - ٢٠١٣) في مزرعة والده الواقعة في شمال غرب بلفاست (عاصمة أيرلندا الشمالية) . وكان يُقيم في دبلن حتى وفاته . هو الابن الأكبر لتسعة أطفال لعائلة كاثوليكية في مجتمع زراعي . حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٥ ، بسبب " أعمال الجمال الغنائي والعمق الأخلاقي الذي يمدح المعجزات اليومية والماضي الحي " . بدأ هيني كتابة الشعر حين كان طالباً في الجامعة ، وكان شعره في الغالب انعكاساً لتجاربه الشخصية ، وانعكاساً للوضع في مسقط رأسه أيرلندا الشمالية .

نشر بعض المحاولات الشعرية أثناء دراسته الجامعية باسم مُستعار . وفي عام ١٩٦٣ عُيِّن مُحاضراً في الأدب الإنجليزي . وكان هيني أستاذاً في جامعة هارفارد في الفترة (١٩٨١ - ١٩٩٧) . وفي عام ١٩٩٦ شغل منصب قائد الفنون والآداب .

تَنَسَّم لُغته الشعرية بالعُنفوانية ، والإغراق في الموسيقى اللغوية ، إضافة إلى المضامين الإنسانية الشاملة . واللغة لدى هيني هي أبرز معالم شعره ، حيث يتجلى ذلك في امتلاكه لخاصية اللغة الإنجليزية ، من خلال تركيبات مُتشابكة ومُعقّدة . ومع مرور الوقت ، تحوَّلت قصائده إلى الإيجاز والتكثيف ، كما هي حال الأمثال التي تختزل التجارب الإنسانية في سُطور قليلة .

يقوم شعر هيني على وصف النِّزاعات السياسية في بلاده ، والاختلافات العرقية بين المواطنين، ووصف حياة الناس وأصواتهم المستمدة من عوالمهم النفسية . كما يبرز في شعره موضوع الاغتيالات ، والإعدام خارج نطاق القانون ، والتفجيرات . وكل هذا ضمن منظومة شعرية متماسكة تعتمد على اختيار الألفاظ المناسبة والمعاني المدهشة .

قام هيني بتشديد عالمه الشعرية اعتماداً على الطفولة والحياة الزراعية والسياسة والثقافة في أيرلندا الشمالية ، واستحضار إسهامات الشعراء الآخرين في الماضي والحاضر . إن هيني يغوص في أعماق اللغة، ويفحص هياكلها، وينتقي ألفاظها، ويحلل معانيها ، في محاولة منه لاحتواء الخيال، وتفعيل سلاح البلاغة ، وتغذية الروح ، واستلهام الحكمة المعتمدة على البصيرة النافذة .

أثّر هيني على مجموعة واسعة من الشعراء . وبعض النقاد يعتبره أعظم شاعر أيرلندي بعد وليم بتلر بيتس . وقد ترك هيني بصمة مهمة في تاريخ الشعر المكتوب بالإنجليزية ، فهو يُعدُّ شاعراً مُجدِّداً ، وذلك بسبب إعادة اكتشاف أبعاد اللغة ، ورمزياتها ، وغنائية عناصرها ومكوّناتها .

صارَ هينِي بالنسبة لكثير من الشعراء مقياساً ومثلاً أعلى ، ولا يمكن لأحد أن يحل محله .
وتعتمد شهرته بشكل أساسي على الموضوعات التي عالجهها ، والتي تتعلق بأيرلندا الشمالية
الحديثة، بمزارعها وريفها ومُدنّها التي يسودها الصراع، وثقافتها، واللغة التي يُسيطر عليها الحكم
الإنجليزي.

وقد تناول المشكلات والصراعات السياسية التي عصفت بالبلاد ، وكثيراً ما كانت تتّسم
بالعنف. وحاولَ أن يرى تلك المشكلات في سياقها التاريخي من منظور إنساني .
من أبرز مجموعاته الشعرية : موت رَجُل واقعي (١٩٦٦) . باب نحو الظلام (١٩٦٩) .
الخروج شتاءً (١٩٧٢) . الشمال (١٩٧٩) . تَحْيُلُ أشياء (١٩٩١) . الضوء الكهربائي
(٢٠٠١) .

صمويل بيكيت ومسرح العبث

وُلد الكاتب المسرحي الأيرلندي صمويل بيكيت (١٩٠٦ _ ١٩٨٩) في دبلن ، وتُوُفِّي في باريس . والده كان مهندسًا معماريًا ، ووالدته كانت تعمل في مجال التمريض . كان واحدًا من الكتّاب المشهورين في القرن العشرين . كما أنه يُعتَبَر من أهم الحداثيين ، لأنه كان يسير على خُطى جيمس جويس . كما أنه كان متأثرًا بالكتّاب العُظماء الذين أتوا مِن بَعْدِهِ . وبالإضافة إلى ذلك ، يُعدُّ بيكيت الكاتب الأهم في التيار الأدبي المسَمَّى " مسرح العبث " . كُتِبَ أكثر أعماله باللغتين الفرنسية والإنجليزية ، ثُمَّ ترجمها بنفسه إلى لغات أخرى . تُعتَبَر مسرحيته " في انتظار غودو " أكثر أعماله شهرةً وانتشارًا . وتمتاز أعماله بأنها بسيطة وجوهرية . ووفقًا لبعض تفسيراته ، كُلّما كتب أعماله وُفِّقًا للإنسان المعاصر ، مَالَ إلى التشاؤم . وقد شَرَحَ هذا التشاؤم بأسلوب " الفكاهة السوداء " في تلك الأعمال التي أتى بها في صورة الإيجاز والاختصار . حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٩ تكريمًا له على أعماله التي كَوَّنَها بشكل جديد في أنواع الروايات في الأدب المسرحي ، كما أنه نسَّقَ عَرْضَ أعماله بناءً على " فقر الإنسان المعاصر " .

تلقَّى تعليمه في اللغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية في جامعة ترينتي في دبلن . وبعد أن حصل على الليسانس في الخطوط الجوية البريطانية ، أتمَّ تعليمه في جامعة كامبل في بلفاست . بدأ العمل في مدرسة المعلمين العليا في باريس . وقد تعرَّفَ على الكاتب الأيرلندي المشهور جيمس جويس من خلال أحد أصدقائه المقربين . وكان هذا التعارف ذا تأثير خاص على الشاب بيكيت ، حيث أصبح مساعدًا لجويس في أعمال كثيرة وهامة للغاية . في أثناء هذه الفترة ، نُشر بيكيت أوَّل مقالة قصيرة له " الافتراض " في مجلة أدبية " المحطة " ، كما حصل على جائزة أدبية صغيرة ، تكريمًا له على شعره .

عاد بيكيت إلى جامعة ترينتي محاضرًا في عام ١٩٣٠ ، ثُمَّ ترك الجامعة في نهاية الفترة الدراسية في ديسمبر ١٩٣١ . كان بيكيت شخصية انطوائية ، الأمر الذي لا يُناسب مهنة التدريس ، التي تحتاج إلى مُخالطة الناس ومواجهتهم ، فخلقت عنده اضطرابات سلوكية وانحرافات مزاجية . وقد تزايد هذا الأمر نتيجة شكوى الطلاب من مواقفه الإجبارية لهم ، وقلة مادته العلمية المقدَّمة لهم ، بالإضافة إلى كثرة إنذار المديرين له .

وفي عام ١٩٣١، أنهى بيكيت وظيفته في تخصصه الأكاديمي، وغادر الجامعة ، وبدأ حياته السياحية بالرحلات في أوروبا . ظلَّ في لندن لفترة ، ينشر مقالات نقدية عن الكاتب الفرنسي مارسيل بروست . وقد خضع في لندن للعلاج الذي استمرَّ عامين تأثرًا بوفاة والده .

كانت " أحلام المرأة العادية " (١٩٣٢) أوَّل روايات بيكيت، إلا أنه تنازلَ عن نشر الكتاب بسبب النقد السلبي من الناشرين له . وبالرغم من عدم نشره لهذه الرواية ، إلا أنها كانت مرجعًا هامًا لبيكيت في كثير من الأشعار ، ولمجموع قصص سَمَّاها " علاقات بلا عشق " ، التي تُعتبر أول كتاب تمَّ نشره لبيكيت في عام ١٩٣٣ .

أحبَّ بيكيت اللغة الفرنسية التي تُدَّكره " برائحة الغربة " ، وكتب بالفرنسية أيضًا من أجل " التخلص من تلقائية استخدام اللغة الأم كاستخدام جوهري " .
يُمكن تقسيم أعمال بيكيت إلى ثلاثة أقسام :

أولاً _ الأعمال الأولى : التي كانت مستمرة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ .
ثانيًا _ المرحلة المتوسطة: التي أنتجت أفضل آثاره والتي عُرفت في الفترة (١٩٤٥ _ ١٩٦٠) .

ثالثًا _ المرحلة الأخيرة : التي ظهرت في الفترة (١٩٦٠ _ ١٩٨٩ سنة وفاته) . وفي هذه المرحلة امتازت كتابات بيكيت بالنضج الفني والأدبي ، وبالقصر في الكتابة .
كان بيكيت يهتم كثيرًا بفن الحداثة (الفنون البصرية) والذي كان يكتبه بالإنجليزية . الأمر الذي كان سببًا في مهاجمته من قبل النقاد ، لأنه كان مُعاديًا فيها للواقعية . وقد استطاع ضبط الحالة الاجتماعية للبشرية ، الأمر الذي مهَّد الطريقَ لفتح مسرحياته ورواياته التي تخلَّصت من المواضيع التقليدية .

كانت جميع حقوق النشر لمسرحيات بيكيت محفوظة من قبل ابن أخيه ، المخرج المسرحي (إدوارد بيكيت) الذي اشتهر بتنظيمه الصارم للكيفية التي ستُعرض بها المسرحيات للجمهور ، فلا يسمح بالإخراج الضعيف ، الذي لا يتوافق مع قوانين المسرح في مسرحيات بيكيت .
من أبرز مسرحياته : في انتظار غودو (١٩٥٢) . نهاية اللعبة (١٩٥٧) . الأيام السعيدة (١٩٦٠) .

من أبرز رواياته : علاقات بلا عشق (١٩٣٤) . ميرفي (١٩٣٨) . واط (١٩٤٥) .

صمويل جونسون وتاريخ النقد الأدبي

وُلد الأديب الإنجليزي صمويل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤) في بلدة ليتشفيلد ، شمال لندن . التحقَ بعد إنهاء دراسته الثانوية بجامعة أكسفورد، وقضى فيها سنة واحدة ، اضطر بعدها إلى تركها لفقره . وبالإضافة إلى الفقر المدقع ، عانى جونسون في صِغره مرضاً في الدم ، سبب له مشكلات نفسية أدت إلى سَوادوية مُفرطة ، ممَّا انعكسَ في مُجمَل مؤلفاته .

له إسهامات هامة في الأدب الإنجليزي . ويُعتَبَر من أشهر رجالات الأدب في إنجلترا ، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . كتب في كل الأجناس الأدبية ، وكان له مِن السُّلطة والنُفوذ والمكانة ، ما جعل تلك المرحلة في تاريخ الأدب الإنجليزي تُدعى " عصر جونسون " نسبةً إليه .

تزوَّج إليزابيث هنري بورتر ، وهي أرملة تكبره بعشرين سنة، وأنشأ بمساعدتها مدرسة صغيرة قُرب ليتشفيلد ، لكنه فشل في اجتذاب عدد كافٍ من الطلاب، كما فشل في التعليم والقضاء ، فاحترف الكتابة ، كَوْنها الشيء الوحيد الذي يُتقنه . كتب جونسون كمًّا هائلاً من الترجمات ، وعُرفَ بمراجعات بعض الكتب . كان أول كُتبه " رحلة إلى الحبشة " (١٧٣٥) ، وهو ترجمة عن اللاتينية لقصص الرحلات التي قام بها أحد الآباء اليسوعيين البرتغاليين إلى إثيوبيا . وكتب أيضاً مجموعة مقالات لمجلة " الجنتلمان " ، أهمها " حوارات مجلس ليليوت الأعلى " ، سخر فيها من عبثية الحياة السياسية والبرلمانية في إنجلترا . وكتب بعض المداخلات السياسية، منها " ضرائب لا استبداد " (١٧٧٥) ، التي اتُّهم بأنه كتبها لُمُمالأة السُّلطة الحاكمة، خصوصاً بعد قبوله راتباً تقاعدياً من الملك جورج الثالث، مُتناسياً قَوْلَه المأثور " إن الراتب أجر تدفعه الدولة لمستخدميها لقاء خيانتهم للوطن " ، ومُتجاهلاً هجومه العنيف على سياسة تَبَنِّي الأغنياء للكَتَّاب الشباب ، الذين يُصبح همُّهم الأول إرضاء أولياء نعمتهم . وهذه الكتابات لا تخرج عن الخط السياسي والفكري ، الذي التزمه جونسون طوال حياته .

جَسَدَ جونسون فلسفته بمختلف الأشكال الأدبية، شِعْراً، كما في أشهر قصائده " حماقة الأُماني الإنسانية " (١٧٤٩) . حيث ينتقد فيها قدرة البشر اللامحدودة على خداع الذات والهروب من مواجهة الواقع المؤلم . ونشراً ، كما في رواية " قصة راسيلاس ، أمير الحبشة " (١٧٥٩) . حيث يكتشف الأمير الإثيوبي إخفاق كل الأنظمة الفكرية والسياسية والاجتماعية ، وعجزها عن تحقيق السعادة الإنسانية ، فيقتنع أن جوهر الحياة الإنسانية واحد ، لا يتغيَّر

باختلاف الزمان والمكان . وجسدها أيضًا في مجموعة المقالات النقدية التي نشرها في مجلة "رامبلر" (١٧٥٠ _ ١٧٥٢) ومجلة " آيدلر " (١٧٥٨ _ ١٧٦٠) ، التي يُجمع النقاد على أنها أفضل كتابات جونسون ، من حيث مُلاءمة الشكل الفني لأسلوبه الفخم والرصين ، ومن حيث نجاحه في سبر أغوار النفس البشرية ، وتعرية الألم والشك الكامنين في جوهر الوجود .

تتبع أهمية جونسون في تاريخ الأدب الإنجليزي من أعماله النقدية ، التي طوّر بها المقالة الأدبية القصيرة، ومن نشره " مسرحيات ولیم شكسبير" (١٧٦٥) مع تحقيق مُعظم الشروحات والقراءات النقدية المتوفرة آنذاك لأعمال شكسبير المسرحية ، وكتابة " المقدمة " الشهيرة التي تُعتبر فتحًا في تاريخ النقد الأدبي في إنجلترا . ويُعتبر كتابه " حياة الشعراء الإنجليز " (١٧٧٩ _ ١٧٨١) آخر وأهم أعمال جونسون النقدية، ويتناول فيه إبداعات وسير كبار الشعراء، ويقع في عشرة مجلدات. ويُشكّل الكتاب تاريخًا أدبيًا لتلك الفترة ، ولا تزال آراؤه مثار جدل في إنجلترا حتى يومنا الحالي . ويرى كثيرون في جونسون رائدًا للنقد الأدبي الحديث .

يؤكد جونسون في مقدمته لمسرحيات شكسبير أن " من يُفكر بطريقة عقلانية ، لا بُدَّ أن يُفكر بطريقة أخلاقية أيضًا " ، الأمر الذي دفعه إلى إطرأء " واقعية " شكسبير ، من حيث الحوار والشخصيات، وقُدْرته على مُحَاكاة الطبيعة البشرية بدقة وأمانة ، واكتشاف جوهر الحياة الإنسانية ، وتجسيده فنيًا بأسلوب لا يُضاهى . ولكنه _ من جهة أخرى _ هاجم شكسبير لغياب " البُعد الأخلاقي " في مُجمل أعماله ، إذ غالبًا " ما يُكافأ المذنب ، ويُعاقب البريء ، ويُضخى بالفضيلة على مذهب التسلية والإمتاع " . وبهذا كان آخر من تجرأ على نقد شكسبير .

ومن الأعمال التي صنعت مكانة جونسون الأدبية: "معجم اللغة الإنجليزية" (١٧٤٦ _ ١٧٥٥) الذي يُعدُّ أول محاولة لشرح معاني المفردات ، وتبيان استخداماتها المختلفة عن طريق الاستشهاد بمقولات كبار الكتّاب والأدباء الإنجليز . وجاء هذا المعجم ليُحدّد المعايير اللغوية والثقافية التي تضمن للإنجليزية بقاءها وتطورها وحمايتها من هيمنة اللغة الفرنسية .

تمتاز كتابات جونسون النقدية بمسحة شخصية آسرة ، وقوة ملاحظة هائلة ، ودقة تعبير ، وتدقق للمشاعر والأحاسيس . وهذه العوامل أكسبتها قيمة فنية خالدة ، بغض النظر عن المعيار النقدي الذاتي ، والجائر أحيانًا .

وبعد مُعاناة طويلة من مرض الاستسقاء (تجمّع السوائل في التجويف البطني الذي يكون مفصولًا عن الصدر والحجاب الحاجز) ، تُؤفّي جونسون ، ودُفن في كنيسة وستمنستر في لندن .

صمويل كولردج والبَحَار العجوز

وُلد الشاعر الإنجليزي صمويل تيلر كولردج (١٧٧٢ _ ١٨٣٤) في بلدة أوتري في مقاطعة ديفونشير .

كان مُنذ طفولته قارئاً نهماً . التحق بجامعة كامبردج ، إلا أنه لم يُتم دراسته فيها بسبب حياته العاصفة وفكره المتوقّد النائر المتعاطف مع مبادئ الثورة الفرنسية .

تعرّف على الشاعر وردزورث وأخته دوروثي عام ١٧٩٥ ، وكان ذلك مُحرّضاً لعبقرية الشاعرَيْن الكبيرين ، وزارا معاً ألمانيا ، حيث بقي كولردج للدراسة في جامعة غوتنغن ، واطَّلَعَ على مؤلفات كبار الفلاسفة الألمان ، وعلى فكر التعالي ، والإبداعية الألمانية . وهذا أثرٌ بوضوح في فكره وشعره .

زار العديد من بلدان أوروبا ، وعمل في مجالات مختلفة ، إلا أنه استقرّ أخيراً في إنجلترا ، وصارع المرض والإدمان على الأفيون . وثُفِّقَ في هايجيت ، بالقرب من لندن .

عمل كولردج على تأسيس صحف دورية عديدة ، إلا أن أيّاً منها لم يدم أكثر من بضعة شهور . وكان أول إنجاز أدبي له ديوان "قصائد حول موضوعات مختلفة" (١٧٩٦) ، ثمّ " قصائد " (١٧٩٧) ، إلا أن إنجازه الأبقى هو الذي تمخّض عن تعاونه مع وردزورث عامي ١٧٩٧ و ١٧٩٨ ، في ديوان " قصائد غنائية " (١٧٩٨) ، الذي ضمّ قصيدة " البَحَار العجوز " . وتروي القصيدة حكاية عودة بحّار من رحلة طويلة حافلة بالصعوبات ، بسبب قتله طائر بغير وجه حق ، فتحل اللعنة على سفينته ويموت جميع زملائه ، ويظل البحّار وحيداً إلى أن يتوصل إلى التوبة ، ويكتشف قيمة كل شيء حي فيحصل على المغفرة والخلاص . وتُمثّل هذه القصيدة خلاصة الفكر الإبداعي . ويعتبر التُّقاد هذه القصيدة أفضل وأكمل نص خيالي إبداعي في الشعر الإنجليزي .

تتميّز قصائد كولردج بالروح الشفافة ، والرؤية الإبداعية النافذة ، والأسلوب المتألق المبهّر . وينقل الشاعرُ القارئ إلى عالم خيالي مسحور ، يقع ما بين الحلم واليقظة في شعر غنيّ بالقوافي الاستهلاكية والداخلية ، وبالجناس والطباق .

أمّا في مجال النقد ، فقد كتب " السيرة الأدبية " (١٨١٧) ، التي ضمّنها خلاصة فكره حول الشعر ، والخيال والمخيّلة ، وأثرهما في العمل الإبداعي . كما تحدّث عن ضرورة إيقاظ العقل من " سبات الاعتياد " ، ورؤية الكون بمنظار مُتحرّر من هذا الاعتياد القاتل للإبداع .

كان كولردج مأخوذاً بالمسرح ، فكتب في عام ١٧٩٧ مسرحية " أوسوريو " ، إلا أنه تمّ رفضها ، فأعاد كتابتها ، وقُدِّمت على مسرح دروري لين ، تحت عنوان " تأنيب الضمير " عام ١٨١٣ ، فَحَقَّقَتْ نجاحاً لا بأس به .

وكان أيضاً أبرز نقّاد شكسبير ، على الرغم من بعض المآخذ عليه في ذلك . ويُعتَبَر كولردج من المؤسسين للنقد الشكسبيري في القرن التاسع عشر ، خاصةً فيما يتعلق بتحليله الشخصيات الرئيسية .

يحتل كولردج مكانة رفيعة في تاريخ الأدب والنقد الإنجليزي ، من حيث رؤيته الإبداع " كُلاًّ عُضُوباً " ، ورؤيته الخاصة في الأجناس الأدبية القائمة على خلق التوازن بين العام والخاص ، وعلى التوفيق بين الأضداد ، وعلى دور الخيال الرئيسي في كل ذلك .

صمويل هنتنغتون وصدام الحضارات

وُلد المفكر الأمريكي صمويل هنتنغتون (١٩٢٧ - ٢٠٠٨) بمدينة نيويورك، من أب عمل ناشراً لصحيفة ترويجية للفنادق ، وأم احترفت كتابة القصص .

تابع دراسته الثانوية في "ستيفسنت هاي سكول"، وتخرّج عام ١٩٤٦ في جامعة يال، بولاية كونتيكت، وحصل على درجة الماجستير في جامعة شيكاغو عام ١٩٤٨، ودكتوراة الفلسفة في جامعة هارفارد عام ١٩٥١ .

عمل خلال الفترة (١٩٥٩ - ١٩٦٢) مديراً مساعداً في "مركز الدراسات للحرب والسّلم" بجامعة كولومبيا الأمريكية، وتولى مرتين منصب أستاذ كرسي بقسم الحكومة بجامعة هارفارد في فترتي (١٩٦٧ - ١٩٦٩) و (١٩٧٠ - ١٩٧١) ، واستمر في التدريس بالجامعة لمدة ٥٨ عاماً قبل تقاعده عام ٢٠٠٧ .

عمل أيضاً رئيساً للجمعية الأمريكية للعلوم السياسية (١٩٨٦ - ١٩٨٧) ، ومديراً لمركز هارفارد للشؤون الدولية (١٩٧٨ - ١٩٨٩) .

أسّس هنتنغتون عام ١٩٧٠ رفقة صديقه وارن ديميان مانشل مجلة " فورين بوليسي " بهدف منح الفرصة لوجهات نظر جديدة آنذاك حول السياسة الخارجية الأمريكية في فترة الحرب الأمريكية في فيتنام ، وساهم في الإشراف على التحرير فيها حتى عام ١٩٧٧ .

أسّس معهد "جون أولان " للدراسات الإستراتيجية ، وتولى منصب مديره (١٩٨٩-١٩٩٩) كما ترأّس " أكاديمية هارفارد للدراسات الدولية والمناطق " (١٩٩٦ - ٢٠٠٤) .

عُرف بتأييده للحزب الديمقراطي ، حيث تولى عام ١٩٦٨ منصب مستشار في السياسة الخارجية لهوبرت هامفري في حملته الانتخابية للرئاسة عام ١٩٦٨ . واشتغل عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٨ مُنسّقاً للتخطيط الأمني بمجلس الأمن القومي في إدارة الرئيس جيمي كارتر، ثم عُيّن عام ١٩٨٠ في اللجنة الرئاسية للإستراتيجية المندمجة طويلة الأمد . وتركّزت مجالات أبحاثه حول الحكومة الأمريكية ، وتحليل عمليات إرساء الديمقراطية ، والسياسات العسكرية والإستراتيجية، والتقاطع بين العسكر والحكومة المدنية ، والسياسات المقارنة ، والتطور السياسي .

اشتهر بأطروحته حول " صدام الحضارات " ، التي يرى من خلالها أن " صراعات ما بعد الحرب الباردة لن تكون بين الدول القومية لعوامل سياسية أو اقتصادية أو أيديولوجية، لكن توقع

أن تظهر مواجهات حضارية لأسباب دينية وثقافية ". وحذر هنتغتون في بحث له بعنوان "مقاربات نحو سياسة بعيدة عن الضغوط " أنجزه عام ١٩٧٣ من مخاطر التحول السياسي السريع للحكومات الجديدة نحو الليبرالية، مقترحاً أن تُمدد تلك الحكومات فترتها الانتقالية نحو الديمقراطية الكاملة .

واشتهر أيضاً بتحليله للعلاقة بين العسكر والحكومة المدنية، وأنجز في هذا الصدد بحثاً بشأن الانقلابات العسكرية التي تشهدها بعض الدول، كما حلل التنمية السياسية والاقتصادية في العالم الثالث، والمخاطر التي تُشكلها الهجرة المعاصرة على الولايات المتحدة .

عُرف هنتغتون بأنه محافظ يُراهن على الواقع ، ويؤمن بأهمية ووزن الثقافة في الحياة السياسية، خصوصاً في موضوع الهوية، حيث يعتقد أن المستعمرين الأوائل في أمريكا هم من وضعوا أسس المجتمع الأمريكي بالارتكاز على مبادئهم وثقافتهم الإنجليزية البروتستانتية التي قامت عليها أمريكا.

وُجّهت لهنتغتون اتهامات بالعنصرية وكرهية الأجانب ، بسبب دفاعه عن رأي يقول "إن الولايات المتحدة هي الأمة الوحيدة ذات الثقافة الأنجلوسكسونية والبروتستانتية " . كما اعتبرت عدّة انتقادات له أن نظرية صدام الحضارات " أساس نظري لِشُرْعنة عدوان الغرب بقيادة الولايات المتحدة على الصين والعالم الإسلامي " .

أنجز أكثر من تسعين بحثاً ، منها ١٧ كتاباً ، بعضها بالمشاركة مع آخرين ، أبرزها " صدام الحضارات ، وإعادة تشكيل النظام العالمي " (١٩٩٦) ، والذي تُرجم إلى ٣٩ لغة عالمية ، و " الجندي والدولة، النظرية والسياسات في علاقات العسكري والمدني " (١٩٥٧) .

شارك عام ١٩٦٤ مع الأكاديمي زيبغنيو برجنسكي في تأليف كتاب "القوة السياسية، الولايات المتحدة، الاتحاد السوفييتي " ، كما ألّف عام ١٩٦٩ كتاب " النظام السياسي في تغيير المجتمعات"، وأيضاً "الموجة الثالثة، إرساء الديمقراطية في نهاية القرن العشرين" عام ١٩٩١ ، وكتاب "من نحن ، تحديات الهوية القومية " عام ٢٠٠٤ .

تُوفّي يوم ٢٧ ديسمبر / كانون الأول ٢٠٠٨ ، بجزيرة مارثاز فينيارد ، بولاية ماساتشوستس الأمريكية .

محزرا باوند وتأييد الهاشية

وُلد الشاعر الأمريكي عزرا باوند (١٨٨٥ - ١٩٧٢) في ولاية آيداهو في المنطقة الشمالية الغربية من الولايات المتحدة . وكان طفلاً وحيداً لعائلته ، وكان والده يعمل مُسجلاً في مكتب الأراضي العامة .

درس الأدب المقارن في جامعة بنسلفانيا في الفترة (١٩٠٠ - ١٩٠٥) . ولكنه غادر أمريكا إلى أوروبا عام ١٩٠٨ ، لأنه كان عاجزاً عن التأقلم مع المجتمع الأمريكي .

تزوَّج باوند من دورثي شكسبير ابنة العشيق السابقة لوليام بتلر بيتس . وقد أسهم بيتس وباوند في بدايات الحداثة الإنجليزية، وانخرطا في حركات عديدة أثَّرت في مستقبل الشعر الإنجليزي.

ترك باوند إنجلترا مع بداية الحرب العالمية الأولى . وبحلول عام ١٩٢٤ كان باوند قد استقرَّ بصفة دائمة في إيطاليا مع عائلته . وخلال الحرب العالمية الثانية ، كان أحد أشهر مُؤيدي نظام موسوليني ، بل وكان مُنظراً لدول المحور (ألمانيا ، إيطاليا ، اليابان) . لذلك لم يكن غريباً أن تُلصق به تهمة الخيانة لبلده الأم أمريكا بسبب كتاباته وخطاباته الإذاعية .

وفي نهاية المطاف ، قُبضت عليه قُوَّات إيطالية مُساندة للحلفاء ، وتمَّ تسليمه إلى الولايات المتحدة التي حاكمته بتهمة الخيانة، لكن المحكمة قضت بأنه غير مُذنب لأنه مجنون . وعندها ، عارض الكثيرون هذه الفكرة، وأُعيد النظر في قضيته، وحُكم عليه بالسجن ١٢ عاماً في مُستشفى إليزابيث للأمراض العقلية .

وبعد إطلاق سراحه بضغوطات من كُتَّاب العالم ، عاد إلى إيطاليا ، حيث عاش حتى وفاته عام ١٩٧٢ . وعندما سُئل عن رأيه في بلده بعد إطلاق سراحه ردَّ قائلاً : ((أمريكا مستشفى مجانين كبير !)) .

كان شاعراً وموسيقياً وناقداً أدبياً من الطراز الأول . وقد انضمَّ إلى الحركة الحداثية للشعر الأمريكي في بدايات القرن العشرين . وكان لا يزال ينتمي آنذاك إلى الحركة التصويرية ، وهي حركة أدبية انخرطت في التجريب الشعري عن طريق استخدام لغة غنائية ، وكانت مُتأثرة بأداب الشرق الأقصى والشعر الياباني على وجه الخصوص .

التقى باوند أثناء الحرب العالمية الأولى بالشاعر الكبير وليام بتلر بيتس في أيرلندا، وأصبح سكرتيراً له ، وبعدئذٍ تعلم اللغة اليابانية، واهتمَّ بالشعر الغنائي السائد في الشرق الأقصى.

وفي عام ١٩١٥ ، بدأ بكتابة رائعته الأدبية " كانتوس " أي : أناشيد . وقد اشتغل عليها طيلة حياته كلها . وقد نُشرت هذه الكتب باسم بيسان كانتوس (١٩٤٨) . ومُنحت له جائزة بولينجن في عام ١٩٤٩ مِن قِبَل مكتبة الكونغرس ، ممَّا أثار جدلاً هائلاً . و يرجع ذلك بشكل كبير إلى الحملة التي قام بها زملاؤه مِن الكُتَّاب . وكتب همغووي : ((أفضل ما كتبه باوند ، وهو الكانتوس ، سيستمر ما دام هناك أي أدب)) .

كان باوند يبحث عن البدائية والعفوية والبراءة والصِّدق في شعر الأمم التي لم تُفسدها الحداثة الصناعية ، كما حدث لمجتمعات أوروبا وأمريكا . والفكرة الأساسية لديه هي أن العلاقات الكائنة بين الأشياء أهم مِن هذه الأشياء بالذات . ولكن ليس كل الناس يَرَوْنَهَا . وَحَدَه الشاعر الكبير يراها .

يُعتَبَر باوند من أعظم شعراء الحداثة في تاريخ الأدب الإنجليزي . ولا يُمكن إنكار تأثيره على الشعر . وكان مِن أوائل مَنْ استخدموا الشعر الحر . كما لعب دوراً عظيماً في اندلاع الثورة الشعرية الحديثة التي أثَّرت على الأدب الإنجليزي كُلِّه في القرن العشرين . وتمرُّده الشعري كان مُتوازياً مع تمرُّده النفسي والشخصي . فقد اشْتُهِر باحتقاره للعادات والتقاليد السائدة في المجتمع ، وميَّله إلى الاستفزاز والخروج على المألوف . وكان باوند يعتقد أن الأموال الضخمة التي جمعتها الكنائس المسيحية ينبغي أن تُوزَّع على الفنانين والشعراء والفلاسفة والعلماء الذين يكتشفون قوانين العالم ، ويُقدِّمون خدمات جليلة للبشرية . فهم أحقُّ بها من المطارنة والكرادلة والباباوات والإقطاعيين العاطلين عن العمل . وكان مِن أتباع الفيلسوف الصيني كونفوشيوس ، وكان باوند يعتقد أن الدولة الفاشية التي أسَّسها موسوليني في إيطاليا هي تجسيد للدولة المدنية التي حَلَّم بها كونفوشيوس .

غابرييل غارسيا ماركيز والواقعية السحرية

وُلد الروائي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز (١٩٢٧ - ٢٠١٤) في أراكاتاكا في كولومبيا. قضى معظم حياته في المكسيك وأوروبا. يُعتبر من أشهر كُتّاب الواقعية السحرية، وتُعتبر روايته (مئة عام من العزلة) العمل الأكثر تمثيلاً لهذا النوع الأدبي.

حصل ماركيز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٢ تقديرًا للقصص القصيرة والروايات التي كتبها، والتي تجمع بين الخيال والواقع في عالم يعكس حياة وصراعات قارة أمريكا اللاتينية. اجتاز ماركيز المرحلة الأولى من الدراسة الثانوية في المدرسة اليسوعية سان خوسيه. ومنذ عام ١٩٤٠، نشر قصائده الأولى في المجلة المدرسية. وأكمل دراسته في بوغاتا بفضل المنحة التي حصل عليها من الحكومة. واستقر من جديد في المدرسة الثانوية في بلدية ثيباكيرا، على بعد ساعة من العاصمة، حيث اختتم دراسته الثانوية.

بعد تخرجه عام ١٩٤٧، انتقل إلى بوغاتا لدراسة القانون بجامعة كولومبيا الوطنية. قرأ رواية (المسخ) لفرانز كافكا، وألهمته كثيرًا. وعلى الرغم من شغفه بالكتابة، إلا أنه استمر في دراسة القانون عام ١٩٤٨ إرضاءً لوالده. وانتقل ماركيز إلى جامعة قرطاجنة، وبدأ العمل كمراسل لصحيفة اليونيفرسال. وفي عام ١٩٥٠، ترك مجال المحاماة ليتفرغ للصحافة.

بدأت شهرة ماركيز العالمية عند نشره لروايته (مئة عام من العزلة) في عام ١٩٦٧. وفي أسبوع واحد، بيعت ثمانية آلاف نسخة، وُصولاً إلى بيع نصف مليون نسخة خلال ثلاث سنوات. كما تمت ترجمتها إلى أكثر من عشرين لغة، وحازت أربع جوائز دولية. وإضافة إلى شهرته الواسعة التي اكتسبها من مؤلفاته، فإن وجهة نظره تجاه الإمبريالية الأمريكية أدت إلى اعتباره شخصاً مُحَرِّبًا. ولسنوات عدّة، تمّ رفض إعطائه تأشيرة الدخول إلى الولايات المتحدة من قِبل سلطات الهجرة. ولكن بعد انتخاب بيل كلينتون رئيسًا للولايات المتحدة، تمّ رفع الحظر المفروض عليه، وأكد كلينتون أن (مئة عام من العزلة) هي روايته المفضّلة.

يُلاحظ في أعمال ماركيز ولعه الشديد بعرض الهوية الثقافية الأمريكية اللاتينية، وخصوصًا ملامح عالم منطقة الكاريبي، ومحاولته تفكيك القواعد الاجتماعية الراسخة في هذا الجزء من العالم. وقد اهتم أيضًا بالعزلة والوحدة والغموض المتمم والمشاعر الإنسانية المتضاربة، وهذا يعود إلى التأثير الشديد بالروائي الأمريكي وليام فوكنر، الذي اعتبره ماركيز أستاذًا له.

ارتبط اسم ماركيز بالواقعية السَّحرية ، حيث يُعدُّ الشخصية البارزة والمحورية لهذا النوع الأدبي ، الذي يقوم على وصف العناصر المليئة بالأحداث الفانتازية والأساطير ، جنبًا إلى جنب مع الأنشطة اليومية والروتينية . ويعتبر ماركيز أن الخيال ما هو إلا أداة لتوظيف الواقع ، وأن أيَّ عمل روائي ما هو إلا تمثيل مُشَقَّر للواقع . نالت أعماله العديد من الدراسات النقدية، بعضها على نطاق واسع وذات مغزى ، حيث كان يتمُّ تناول الموضوع والمحتوى السياسي والتاريخي . ورُكِّزت بعض الدراسات الأخرى على المحتوى الأسطوري، وسمات الشخصيات، والبيئة الاجتماعية، والبنية الأسطورية ، والإسقاطات الرمزية. أشادَ العديد من الباحثين بأسلوب ماركيز وإبداعه الخاص. وعلى سبيل المثال ، قام الشاعر التشيلي بابلو نيرودا الحائز على جائزة نوبل للآداب، بتناول عمله (مئة عام من العُزلة)، واصفًا إيَّاه بأنه ((أعظم إنجاز في تاريخ اللغة الإسبانية مُنذ كتابة ثيربانتنس لروايته " دُون كيشوت " في بدايات القرن السابع عشر)) .

وفي نفس الوقت ، انتقدَ بعضُ النقاد ماركيز لافتقاره إلى الخبرة الكافية في الساحة الأدبية ، وأنه فقط يكتب عن تجاربه الشخصية والخيال . لذلك ، قرَّروا أن أعماله ليست لها قيمة . وعلى الرغم من هذا ، فلا يمكن لأيِّ شخص أن يُنكر الدور الذي لعبه ماركيز في تجديد وإعادة الصياغة والسياق ، في الأدب والنقد في كولومبيا بوجه خاص ، وفي القارة الأمريكية اللاتينية بوجه عام .

وتلعب السياسة دورًا هامًا في أعمال ماركيز ، حيث يستخدم العديد من النماذج المجتمعية ، ذات الطابع السياسي من مختلف الدول ، لإبراز وجهة نظره ومعتقداته . كما ظهرت الدكتاتورية في بعض أعماله كنوع من تمثيل النظام السياسي .

من أبرز أعماله الصحفية : نصوص ساحلية (١٩٨١) . من أوروبا وأمريكا (١٩٨٣) . مَجَانًا (١٩٨٤) . ملاحظات صحفية (١٩٩١) .

سيناريوهات الأفلام السينمائية : الاختطاف (١٩٨٢) . إيرينديرا البريئة (١٩٨٣) . سيرته الذاتية : عَشْتُ لأروي (٢٠٠٢) .

من أبرز رواياته: ليس للكولونيل مَنْ يُكاتبه (١٩٦١) . في ساعة نحس (١٩٦٢) . مئة عام من العُزلة (١٩٦٧) . خريف البَطْرِيرْك (١٩٧٥) . الحب في زمن الكوليرا (١٩٨٥) .

غابرييلا ميسترال وانتحار الحب

وُلدت الشاعرة التشيلية غابرييلا ميسترال (١٨٨٩ _ ١٩٥٧) في قرية فيكونا القريبة من جبال الأنديز . تُعتبر أول امرأة من أمريكا اللاتينية تفوز بجائزة نوبل للآداب (١٩٤٥) . اسمها الحقيقي لوسيلألكاياغا ، أمأ " غابرييلا ميسترال " فهو اسم مستعار اتَّخذته من اسمي الشاعرين المفضَّلين لديها ، وهما الإيطالي غابرييل دانونزيو ، والفرنسي فرديريك ميسترال . كان والداه من أصول هندية . وكان والدها بوهيميًا ، ومُدمنًا على الكحول . وقد تخلَّى عن الأسرة عندما كانت في الثالثة من عمرها . ومع هذا بقيت تُحب والدها ، وتُدافع عنه .

عاشت مكسورة ومُمزَّقة ، لأنها لم تشعر بحنان الأب . وهذا الأمر جعلها تبحث عن حُب من نوع آخر . وقد وَجدت قلبها مع موظف حكومي يعمل في خطوط السكة الحديدية ، والتقت به ، وتبادلا العواطف الجيَّاشة . لكنَّ حياة هذا الموظف انتهت بصورة مأساوية ، فقد ثبتت عليه تهمة الاختلاس ، فما كان منه إلا أن أطلق الرصاص على نفسه ، وقد تركت هذه الحادثة تأثيرًا عميقًا في كتاباتها ، وشكَّل انتحاره صدمة هائلة في حياتها ، وسيطر على تفكيرها ، حتى إنها حَوَّلت انتحاره إلى أشعار بعنوان " قصائد الموت " .

ومن السُّخرية أن يكون انتحاره هو ميلادها الأدبي ، فقد بدأت شهرتها ككاتبة بعد فوزها بجائزة تشيلي في الأدب عام ١٩١٤ عن مجموعتها " قصائد الموت " التي كتبها من وَحي انتحار حبيبها . وقد شغل هذا الحدث الجميع في ذلك الحين ، لأنها المرة الأولى التي تُمنَح هذه الجائزة لكاتبة غير معروفة في الوسط الأدبي . وما أثار دهشة الجميع أنها لم تحضر لاستلام الجائزة ، وقد اتَّضح السبب فيما بعد ، وهو أنها لم تجد في خزانة ملابسها سوى بدلة واحدة ، لا تليق بحضور أكبر حفل أدبي تشهده تشيلي . وهذه الحادثة المضحكة المبكية ، تُسلِّط الضوء على جزء كبير من معاناتها ، فهي القروية الفقيرة ، التي تعبت كثيرًا لإعالة أسرته بعد رحيل الأب . وهي المرأة الانطوائية العاشقة التي تألمت لانتحار حبيبها . وكل هذه المشكلات في حياتها الشخصية دفعتها إلى عدم الزواج ، لكنها بقيت مسكونة بهاجس الأمومة طيلة حياتها ، وهذا يتَّضح في قصائدها وأغانيها . وفي عام ١٩٢٠ ، التقت بـ بابلو نيرودا ، وكان حينها في السادسة عشرة من عُمره ، وعرَّفته على أعمال الشعراء الأوروبيين . وقد أثَّر هذا اللقاء كثيرًا في حياة بابلو نيرودا ، الذي صارَ فيما بعد واحدًا من أكبر شعراء القرن العشرين .

وفي عام ١٩٢٢، نشرت مجموعتها الشعرية " كآبة " ، وقد حَقَّقت شهرةً عالمية ، وكانت مواضيعها تتحدث عن المسيحية والموت ، وكانت قصائدها أقرب إلى تراتيل الصلاة .

عاشت في فرنسا وإيطاليا في الفترة (١٩٢٥ _ ١٩٣٤) ، وعملت في جمعية التعاون الفكري التابعة لِعُصبة الأمم . وقد عيّنتها الحكومة التشيلية سفيرة حُرّة مُمثّلة للثقافة الأمريكية اللاتينية . وبعد ذلك ، عُيِّنت قنصلاً فخرياً مُمثّلاً لتشيلي في البرازيل ، وإسبانيا ، والبرتغال ، وأمريكا . وخلال الحرب العالمية الثانية، عندما كانت في البرازيل، جمعتها علاقة صداقة مع الكاتب النمساوي زفايغ وزوجته اللذين انتحرا عام ١٩٤٢. وقد شكَّلَ هذا الأمر صدمةً جديدةً في حياتها. يعتمد أسلوبها الأدبي على البلاغة والتدفق والسلاسة ، وإظهار قيمة الأمومة بصورة شعرية قادرة على طرد شبح الوحدة، ومواجهة اليأس والفرغ. كما تُركِّز في قصائدها على حُب الأم، وعشق الطبيعة ، ومشاعر الحزن ، والذكريات الشخصية المؤلمة ، ومعاونة الأطفال الفقراء .

وقد اشترطت في وصيتها أن يُخصَّص جزء من ثمن بيع كُتُبها في أمريكا الجنوبية للأطفال الفقراء في مسقط رأسها ، حيث قضت أجمل أيام طفولتها .

سيطر هاجس الموت على تفكيرها طيلة حياتها ، وصارت تعتبر الحياة رحلة غامضة تؤدي إلى الموت، والتحرر نهائيًا من العالم. وقالت ذات مرّة : ((فكما للجسد رُوح، كذلك هو الفنان إلى الناس)). وكانت هذه العبارة ذات تأثير في نفوس قُرَّائها ، حتى إنها نُقِشت على قبرها بعد مماتها . وقد تلَقَّت خبر فوزها بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٤٥ أثناء وجودها في العاصمة البرازيلية ، حيث كانت تعمل قنصلاً لبلدها. وتزامن خبر فوزها مع نبأ انتحار ابن أخيها في سن الثامنة عشرة، والذي قامت برعايته ، واعتباره ابنًا لها . وقد صدمها هذا الخبر الأليم ، وكأنَّ مسلسل الانتحار لا يُريد أن يُفارق عالمها .

وقالت في خطاب استلامها للجائزة : ((إنني في هذه اللحظة ، وبضربة حظ غير مُستحقة، أعلنُ أنني الصوت المباشر لشعراء عِرقي ، وأني الصوت غير المباشر للألسن الإسبانية والبرتغالية النبيلة. نبتهج اليوم لدعوتنا إلى مهرجان الحياة الشمالية الإسكندنافية ، ومواكبتها لقرون من الفنون الفلكلورية والشعر)) .

من أبرز أعمالها الأدبية: قصائد الموت (١٩١٤). كآبة (١٩٢٢). أغاني الأطفال (١٩٢٤). السُّحب البيضاء (١٩٣٠) . تالا (١٩٣٨) .

غاستون باشلار وفلسفة العلوم

وُلد الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار (١٨٨٤ _ ١٩٦٢) في منطقة بار سور أوب ، وتُوفّي في باريس . عمل في بداية حياته موظفًا في مصلحة البريد في باريس، ثم درس الفلسفة ونال درجة الدكتوراة من كلية الآداب (جامعة باريس) عن رسالة بعنوان " المعرفة التقريبية " . شغل كرسي تاريخ الفلسفة والعلوم في السُوربون في الفترة (١٩٤٠ _ ١٩٤٥) .

يُعتبر باشلار واحدًا من أهم الفلاسفة الفرنسيين، وهناك مَنْ يقول إنه أعظم فيلسوف ظاهري، وربما أكثرهم عصريّة أيضًا . فقد كرس جزءًا كبيرًا من حياته وعمله لفلسفة العلوم ، وقدم أفكارًا متميزة في مجال الإستمولوجيا (فرع من فروع الفلسفة . تهتم بطبيعة ومجال المعرفة ، أو نظرية المعرفة العلمية، وتعني البحث في إمكان المعرفة ومصادرها وطبيعتها) . وتُمثّل مفاهيم باشلار في العقبة المعرفية ، والقطيعة المعرفية ، والجدلية المعرفية ، والتاريخ التراجعي ، مساهماتٍ لا يمكن تجاوزها . وقد تركت آثارها واضحةً في فلسفة مُعاصريه ومَن جاء بعده .

برز باشلار كواحد من أهم وأشهر المتخصصين بفلسفة العلوم ، حيث درس بعمق الوسائل التي يحصل بها الإنسان على المعرفة العلمية عن طريق العقل ، ولكنه فاجأ الجميع عندما ظهر كتابه " التحليل النفسي للنار " (١٩٣٨) ، حيث تحوّل تمامًا من منهجه المعروف في فلسفة العلم إلى موضوع جديد حتى في مجال التحليل النفسي ، حيث الإنسان هو ميدان التحليل النفسي للمادة . ومن أجل فهم ظاهرية باشلار ، ينبغي القول إن الفكرة الرئيسية في الظاهراتية ، كما أوجدها إدموند هوسرل ، هي قُصدية الوعي ، أي إن الوعي يتّجه دائمًا إلى موضوع ، ويُؤكّد مقولة : ((لا يوجد موضوع من دون ذات)) . كما يُؤكّد المنهجُ الظاهراتي على الامتناع عن الحكم فيما يتعلق بالواقع الموضوعي ، وعدم تجاوز حدود التجربة المحضة (الذاتية) ، ويُؤكّد على عدم اعتبار موضوع المعرفة موضوعًا واقعيًا تجريبيًا واجتماعيًا ، بل مُجرّد وعي مُفارق (مستقل عن التجربة والمعرفة المحدّدة ، أي ميتا فيزياء) . إلا أن ظاهرية باشلار ولا سيّما في دراسته للخيال الشعري (المرحلة الثانية من حياته) ليست متشددة إلى هذه الدرجة ، فهو خلافًا للظاهراتية التقليدية ، يرى أن هنالك واقعًا موضوعيًا له شروط موضوعية ، تصلح قوانين العلم لدراسته . وربما تكمن ميزة باشلار الرئيسية وجاذبية فكرة في امتلاكه ذهنًا حُرًا لا تُقَبّده أي من المواصفات ، سواء في اختيار موضوعاته أم في مُعالجاته .

وبعد أن اهتم باشلار بفلسفة العلوم في الجزء الأول من حياته ، تَحَوَّلَ إلى دراسة التخيل الشعري وفلسفة الجمال والفن ، إذ ابتدأها مع " التحليل النفسي للنار " ، وأنهاها بكتابه الأخير " شاعرية أحلام اليقظة " (١٩٦٠) . وفي الجزء الثاني من حياته ، أصبح الموضوع الرئيسي عند باشلار ، هو التخيل أو عمل المخيلة، بعد أن كان العقل ، وأصبح يسعى إلى القيام بدراسة فلسفية شاملة للإبداع الشعري ، واستسلم لدافع لا يُقاوم للتواصل مع القوى التي تخلق المعرفة ، لا التي تُحصِّلها . والمجال الوحيد الذي يأمل أن يرى فيه تلك القوى، وهي تعمل، هو الشعر ، لذلك كتب مجموعة الكتب في الجزء الثاني من حياته ، طَبَّقَ فيها منهجه هذا .

إن أحد أهم الأسباب التي تدعو للاهتمام بهذا الفيلسوف، اهتمامه بالإبداع الشعري والجمالي عمومًا، واعتباره التخيل الشعري ذا أهمية فلسفية كبيرة . وفي كتابه الأخير "شاعرية أحلام اليقظة " دعوة كبيرة إلى التخلص من جميع القيود التي تحدُّ من تذوقنا للإبداع عمومًا، وللشعر خصوصًا. وباشلار هنا يتجاوز جميع نظريات التحليل النفسي للأدب والنظريات البنيوية وما بعدها، والتي انتشرت واحتلت مكانة كبيرة في الفكر والثقافة .

يرى باشلار في الخيال بِشَقِّهِ العِلَمي والشاعري أساسًا لِمَا يُسمِّيهِ الفلسفة المفتوحة ، وهي فلسفة تتوسط (المثالية والمواصفائية والصورية) التي تعلوها، والواقعية والاختيارية والوضعية التي تأتي تحتها . وهي فلسفة يُطلق عليها باشلار أسماء مختلفة منها : العقلانية التطبيقية والمادية التقنية.

نقد باشلار التحليل النفسي عمومًا ، والفرويدية خصوصًا ، وهو يرى أن التحليل النفسي الذي يبقى في منطقة الانفعالات الحادة ، لا يجعله قادرًا على دراسة الخيال والصورة الشعرية، كما أن اللاوعي لا يتشكل فقط من الأحداث الرَضِيَّة والمرضِيَّة كما يُصوِّره فرويد ، لأن اللاوعي يتشكل _ أيضًا _ من أحلام وتأملات الطفل وأحلام يقظته .

ومع ذلك ، فإن باشلار يستخدم مفهوم التحليل النفسي لمعالجة مسائل تتعلق بالمعرفة العلمية، كما أنه يَمنح الطفولة أهمية قصوى. وعلى الرغم من ابتعاده عن منهج التحليل النفسي الفرويدي، فإنه كثيرًا ما يُقابل أفكاره بأفكار فرويد .

من أبرز مؤلفاته : بحث في المعرفة التقريبية (١٩٢٨) . العقل العلمي الجديد (١٩٣٤) . تكوين العقل العلمي (١٩٣٨) . العقلانية والتطبيقية (١٩٤٨) . المادية العقلانية (١٩٥٣) .

غراتسيا ديليدا والتحليل النفسي

وُلدت الأديبة الإيطالية غراتسيا ديليدا (١٨٧١ - ١٩٣٦) في جزيرة سردينيا لأسرة من الطبقة المتوسطة. كان والدها مُزارعًا وعمدة القرية. عاشت حياتها في بيئة اجتماعية وُدّية وحيوية. فقد كان والدها يستقبل الكثير من الضيوف في مزرعته ، ممّا جعلها تتعرّف على نماذج مختلفة من الشخصيات ، وتطلّع على تفاصيل العلاقات الاجتماعية التي صارت فيما بعد أحداثًا في رواياتها . تزوّجت في سن مُبكّرة ، وهاجرت إلى روما في أوائل القرن العشرين . لكنها لم تنقطع عن مسقط رأسها الذي يُعتبر البيئة الخصبة لأعمالها الروائية . ومع أن بيئة رواياتها محلية ومعزولة عن العالم ، إلا أن التحليل النفسي الدقيق للشخصيات جعلها كاتبةً عالميةً ، وساهم بشكل فعّال في انتشار أعمالها في أنحاء العالم . فالمشاعر الإنسانية واحدة في كلّ الأمم والشعوب .

لم تتلقَ تعليمًا نظاميًا في المدارس الرسمية . لكنها علّمت نفسها بنفسها ، واعتمدت على الشئف الذاتي ، وقراءة الأعمال الأدبية للأدباء الروس والإيطاليين ، والتفاعل مع الحكايات الشعبية عن تفاصيل الحياة الريفية في جزيرة سردينيا ، وكفاح الفلاحين من أجل توفير المتطلبات الأساسية للحياة . تُعتبر ديليدا من أهم الروائيات الإيطاليات ، وتنتمي أعمالها إلى المدرسة الطبيعية . وقد كتبت أكثر من خمسين رواية ، وفازت بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٦ ، لكتابات المستوحاة من حياة الفلاحين في جزيرة سردينيا ، وتعاطفها مع مشكلات الإنسان وأزماته الحياتية والمصرية ، لتكون أول إيطالية تفوز بهذه الجائزة .

لم تكن عائلتها داعمةً لرغبتها في الكتابة ، فظهرت كاتبة يتعارض مع القواعد الاجتماعية للنظام الأبويّ ، لذلك قامت ديليدا في بداياتها بالكتابة تحت اسم مستعار ، احترامًا لتقاليد العائلة والمجتمع الذي نشأت فيه .

تركّز في أعمالها الروائية على تصوير الحقائق القاسية في حياة الإنسان ، وإظهار أنماط الحياة الصعبة ، وإبراز التقاليد الشعبية ، وانتقاد القيم الاجتماعية التي تجعل الناس ضحايا لظروفهم الحياتية . كما يظهر في كتاباتها الأثر المأساوي للغواية والخطيئة بين البسطاء .

ترجمت أعمالها إلى الكثير من اللغات الأوروبية . كما أن رواية " رماد " (١٩٠٤) حُوّلت إلى فيلم سينمائي عام ١٩١٦ . وهذه الرواية تحكي قصة طفل غير شرعي كان سببًا في انتحار أمّه .

يقوم أسلوب ديليدا الأدبي على أربعة أركان : —

الأول : إظهار العنصر العاطفي النَّفسي الذي يصنع النبض الدرامي في السَّرد .

الثاني : التركيز على فكرة المأساة في حياة الناس ، وذلك بتسليط الضوء على المشاعر الإنسانية المتناقضة ، والأحاسيس الاجتماعية المختلفة .

الثالث : التركيز على فكرة الخطيئة وإغراء الجسد ، وتصوير الخطيئة كعقبة في طريق المجد الإنسانيِّ والتَّسامي الأخلاقيِّ .

الرابع : كشف التفاصيل الاجتماعية المتعلقة بالفقراء وعاداتهم ، اعتماداً على القصص الشعبية والطابع الفلكلوري لجزيرة سردينيا ، مع إظهار العُمق النَّفسي للطبيعة البشرية، وهذه القيمة الفنية تقترب من أسلوب الروائي الروسي الشهير دوستوفسكي .

واصلت ديليدا الكتابة بكل نشاط بعد حصولها على جائزة نوبل ، فأصدرت مجموعتين قصصيتين هما " بيت الشاعر " و " شمس الصيف " . وامتازت قصصها بالنظرة المتفائلة إلى الحياة رغم إصابتها بسرطان الثَّدي ، وصوَّرت الحياة على أنها جميلة وهادئة بكل ما فيها من المعاناة .

والإنسان والطبيعة — وَفَقَ منظور الكاتبة — يتَّحدان كي يتَغَلَّبا على الصعوبات والآلام النَّفسية والجسدية .

وفي كتاباتها الأخيرة ، يبرز موضوع الزُّهد في الأمور الدُّنيوية ، وأن الإيثار أعظم الصفات الإنسانية التي تُقَرِّب الإنسانَ مِنَ اللَّهِ . وهذا الموضوع ليس غريباً عن كتاباتها ، فكلُّ رواياتها تتحدَّث عن الإيمانِ بِاللَّهِ ، وقُدرة الإنسان على التَّغير والتَّغيير .

من أبرز أعمالها : كوكب الشرق (١٨٩٠) . النفوس الشريفة (١٨٩٥) . بعد الطلاق

(١٩٠٢) . الحب الحديث (١٩٠٧) . في الصحراء (١٩١١) . الغرقى في الميناء (١٩٢٠) .

خاتم الحب (١٩٢٦) . بيت الشاعر (١٩٣٠) .

غراهام غرين وكراهية أمريكا

وُلد الكاتب الإنجليزي غراهام غرين (١٩٠٤ - ١٩٩١) في بلدة برغمستيد بالقرب من لندن. كان والده مديرًا لمدرسته التي حاول الهرب منها ، فأُرسل إلى لندن للعلاج لدى طبيب نفسي آواه في منزله ، وعدَّ تلك الفترة أسعد أيام حياته . درس لاحقًا في جامعة أكسفورد ، وبعد تخرُّجه تحوَّل عن الكنيسة الأنكليكانية نحو العقيدة الكاثوليكية ، ثُمَّ تزوَّج عام ١٩٢٧ فتاةً من المحيط ذاته . عمل في أثناء الحرب العالمية الثانية في وزارة الخارجية البريطانية ، ومكَّنه ذلك من معرفة بلدان كثيرة ، صارت لاحقًا مسرحًا لأحداث رواياته . وقد عمل قبل ذلك مُحرِّرًا في صحيفة التايمز ، إلا أنه تركها عام ١٩٣٠ ليتفرَّغ للكتابة . تتَّصف غالبية مؤلفاته بصيغة الرواية البوليسية ، مثل : " قطار إسطنبول " (١٩٣٢) ، المعروفة بعنوانها الأكثر شهرة " قطار الشرق السريع " ، والتي ذاعت شهرته بسببها ، ووصفها بأنها تسلية . ومع هذا ، فإن نزعة دينية بدأت بالظهور لدى طرَّقه موضوعات الإيمان والصراع بين الخير والشر ، والخيارات المتاحة أمام الإنسان ، والمفارقات التي يتَّصف بها هذا الوضع (الشرط) الإنساني فيما أسماه غرين " الغربة المخيفة للعناية الإلهية " . وتظهر هذه النظرة القدرية واضحةً في روايات مثل : صخرة برايتون (١٩٣٨) ، و " العميل السري " (١٩٣٩) التي عالَجَ فيها موضوع اليأس في ظروف الحرب الأهلية الإسبانية ، و " وزارة الخوف " (١٩٤٣) ، و " الرُّجل الثالث " (١٩٥٠) ، التي كتبها للسينما أصلاً ، وصارت مسلسلًا تلفزيونيًا ، حول الحب والجاسوسية في أوروبا ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وأيضًا في " عميلنا في هافانا " (١٩٥٨) في كوبا ما قبل الثورة. كتب أولى رواياته المهمة " السُّلطة والمجد " (١٩٤٠) ، وحكى فيها قصة القس المكسيكي السَّكير ، الملتزم والخائن في آن معًا ، والتحوُّلات التي تطرأ على حياته ، والصراع الذي يُعانيه ، والضغوط المادية والروحية التي يتعرَّض لها ، والخيارات التي يُواجهها ، ممَّا أثار حفيظة الكنيسة الكاثوليكية فأدانته .

وبالنهج ذاته كتب " صُلب المسألة " (١٩٤٨) حول رئيس الشرطة في مدينة أفريقية ، وملايسات حياته ومواقفه من الحياة والحب ، وأخيرًا الموت (الانتحار) . وأيضًا " نهاية العلاقة " (١٩٥١) ، حيث لا يمكن للإيمان أن يصير مخرجًا ، أو مهربًا للشخصيات ، بل هو " صُلب المسألة " تمامًا كما هو الحب . وتكمن في أحد تقارير غرين الصحفية حول فيتنام نواة روايته " الأمريكي الهادئ " (١٩٥٥) . ففي أثناء طيرانه مع طيار فرنسي فوق دلتا نهر هناك ، يقوم الطيار

بقصف قارب ينساب بسلام فوق سطح النهر ، وقتل رُكَّابه ، للتخلص من شعوره بالرتابة والملل . وفي ذلك المثال الأوضح لعبثية الوجود والفعل المجاني . وتُعتبر رواية " القنصل الفخري " (١٩٧٣) من أفضل روايات غرين ، وتستحضر عصر الفوضى والاختطافات السياسية في أمريكا اللاتينية في سبعينيات القرن العشرين .

كان غرين شغوفاً بالترحال والمخاطر والمغامرة ، حتى طغى ذلك على حياته وكتاباته ، التي شملت الأنواع الأدبية كافة . والمحيط المثالي في أغلب رواياته هو المناطق (الساخنة) مجازاً وحقيقةً . والعالم هو مسرحه ، من كوبا إلى المكسيك ، مروراً بالأرجنتين ، ومن أوروبا إلى آسيا ، مُروراً بأفريقيا ، وهو محيط البلاد الاستوائية ، حيث الحر والحرب والفقر والفساد والصراع من أجل البقاء، والحفاظ على الإيمان، ومواجهة الجنون، حيث تظهر الأحاسيس الإنسانية الدفينة إلى السطح . وصف غرين نفسه في مرحلة متأخرة من حياته بأنه " ملحد كاثوليكي " ، و " كاثوليكي يكتب وليس كاتباً كاثوليكيّاً " ، كذلك رفض تسميته بالكاتب الوجودي ، بالرغم من كثير مما يربطه بالوجودية : ((أنا أشعر بالضيق ، إذن أنا موجود)) .

تميّز غرين بشخصية متفردة في حياته الخاصة وفي أدبه ، الذي أضفى عليه عناصر التشويق والإثارة ، إضافة إلى الحكمة المحكمة والبناء الروائي الممتن ، وتمتّع بالرغم من واقعيته ببعد رمزي وميتافيزيقي . وقد عبّر عن أسلوب عمله وطريقة تكوينه لشخصياته في يوميات كتبها في أثناء رحلة في أفريقيا بعنوان " بحثاً عن شخصية " (١٩٦١) ، وهو بحث مستمر عن الأفضل ، ومن أجل اكتشاف الذات .

كانت لغرين سياسة خارجية مستقلة عن الخط الرسمي لبلاده ، فقد صعد حكومته حين ظهر إلى جانب الرئيس الكوبي فيدل كاسترو . وعُرف بعدائه المعلن للولايات المتحدة الأمريكية وما تُمثّله ، وباحتقاره لرؤسائها الذين رأى فيهم تجسيدا للشر في العالم . وكانت له نظرية خاصة في الولاء والخيانة ، إذ تعاطف مع بعض الجواسيس الذين تجسّسوا لصالح الاتحاد السوفيتي (سابقاً) ، ورفع في أدبه من أهمية الجاسوس ، إذ يعزو الخيانة إلى المحيط والضغط الخارجية ، وهو تقليد أخذته عنه آخرون كتبوا في النوع الأدبي ذاته ، ويزعم بعض دارسيه أن ذلك كله لم يكن سوى غطاء لعمله في الاستخبارات البريطانية .

يُعتبر غرين أحد أهم الكتّاب الإنجليز المحدثين ، وأغزرهم إنتاجاً ، وأكثرهم انتشاراً . وعبّر في رواياته عن موقفه من السُلطة والهيمنة والدّين والسياسة .

نجرهارت هاوبتمان وفلق المصير

وُلد الأديب الألماني نجرهارت هاوبتمان (١٨٦٢ _ ١٩٤٦) في بلدة أوبر ، وهي منتجع صحي معروف في منطقة شليزيا ، وتُوفّي في المنطقة نفسها (في بولونيا حاليًا) . يُعتبر من أهم أدباء الحركة الطبيعية في ألمانيا . وقد حصل على جائزة نوبل للآداب في عام ١٩١٢ .

كان والده يمتلك فندقًا ومطعمًا يُديرهما مع زوجته . وقد صار أخوه الأكبر كارل أديبًا معروفًا . وكان هاوبتمان منذ طفولته شخصية قلقة للغاية ، وشديدة الاضطراب ، لا يعرف الاستقرار ، ولا يدرك الهدف من حياته ، ولا يعرف الغاية من وجوده . وهذه الفوضى الشاملة قادته إلى ترك المدرسة قبل امتحانات الشهادة الثانوية ، وتحول في عام ١٨٧٨ إلى المعهد الزراعي .

وفي الفترة (١٨٨٠ _ ١٨٨٥) درس النحت والتاريخ والرسم والتمثيل بشكل متقطع ، دون أن يتم أي فرع من هذه العلوم والفنون . ولم يحصل على أية شهادة تؤهله للعمل في أي مجال . وفي ظل هذا الضياع ، قام برحلة عبر بلدان شمالي البحر الأبيض المتوسط ، من أجل كسر الروتين في حياته ، وتحطيم الفوضى التي تحيط به من كل الجوانب . واستقر بضعة أشهر في روما .

وفي عام ١٨٨٥ ، تعرّف في برلين على الشابة الثرية والجميلة ماري تينمان ، فتزوجا واستقرّا في منزل على بحيرة إركنر خارج برلين . وقد كان هذا الزواج هو المنعطف المصيري الذي غيّر حياة هاوبتمان إلى الأبد . فهذا الشاب الضائع في متاهة الحياة بلا بوصلة ، والغارق في القلق والفوضى بلا هدف ، استطاع أن يجد حُبَّ حياته ، واكتشاف جدوى وجوده في شخصية زوجته التي أحبّها ، واعتمد على ثروتها ، من أجل التفرغ للكتابة الأدبية . وقد كانت أموال زوجته هي حجر الزاوية في مشروعه الإبداعي . ولولا أموالها لَبَقِيَ تائهًا ومُتَسَكِّعًا في الدروب ، ومنسيًا في هذا العالم .

وصل هاوبتمان إلى حالة الهدوء والصفاء الذهني والمصالحة مع الذات ، فلم يعد يُفكّر في تحصيل قُوت يومه . وهذا جعله يتفرّغ للكتابة ، ويُركّز على مشروعه الإبداعي الشخصي بعيدًا عن ضغوطات الحياة المادية . فاتّصل في عام ١٨٨٨ بمجموعة أدبية من أتباع المذهب الطبيعي ، وهو مذهب في الفن والأدب ، نشأ في فرنسا عام ١٨٨٠ ، وتميّز بالنزوع إلى تطبيق مبادئ العلوم الطبيعية وأساليبها على الأدب والفن ، وبخاصة النظرة الداروينية إلى الطبيعة . وقد صار هاوبتمان أبرز مُمثلي المذهب الطبيعي في المسرح والرواية .

وبعد هذا الشَّوط الطويل الذي قطعته هاوبتمان ، رجع إلى قلقه وخيرته واضطرابه ، وسيطرت عليه حالة انعدام الاستقرار ، إذ إنه بدَّل مَنْزله خمس مرات ، وتنقَّل بين برلين وشليزيا وشاطئ بحر الشمال ، وسافر إلى عدد من الدول الأوروبية عدة مرات ، كما زار الولايات المتحدة في عام ١٩٢٣ في جولة محاضرات واسعة عن الثقافة الألمانية بمناسبة مرور قرن على وفاة غوته .

لم يهتم هاوبتمان بالفكر السياسي ، لكنه كان مُعارضًا للنظام الملكي الفلهلميني (نسبة إلى سلالة الملك فلهلم المستبد) ، ومؤيِّدًا للفكر الجمهوري . أمَّا في الفترة النازية ، فقد انسحب من الحياة العامة ، واعتزل الناس ، ولزم بيته ، وفضَّل عدم التصادم مع النازيين ، وقد أخذ عليه الديمقراطيون واليساريون هذا الموقف السلبي المُهادن .

كان هاوبتمان مهتمًا بقضايا عصره ، مثل قضية المنبوذين اجتماعيًا واقتصاديًا ، والمضطهدين في الظروف الصعبة ، والذين يحاولون جاهدين تحرير أنفسهم من القيود الذاتية ، والقيود التي فرضها عليهم المجتمع ، ويدافعون عن كرامتهم وحقوقهم الإنسانية المسلوقة .

وفي مجال المسرح ، حقَّق هاوبتمان نجاحًا عالميًا وتأثيرًا هائلًا . وقد اعتمد على الصدق في تصوير مشكلات الواقع وصراعاته ، والتركيز على جوهر هذه المشكلات ، من دون ترهُّل في البنية الفنية ، أو ثرثرة لغوية لا فائدة منها .

كان في مسرحياته الطبيعية ملتزمًا بالقضايا الاجتماعية ، ومؤمنًا بالفكر الثوري دون الارتباط بحزب سياسي أو أيديولوجية فكرية ضيقة . أمَّا في مسرحياته التي تنتمي إلى الرومانسية الجديدة ، فهي ذات طابع حكائي خُرافي ، تغيب فيها الصراعات الاجتماعية ، ويختفي مبدأ إدراك القوى المحركة لها . لذلك فقد الكاتب تأثيره ، وعجز عن بناء مسرحيات متماسكة فنيًا .

من أبرز مسرحياته: قبل شروق الشمس (١٨٨٩) . المصالحة (١٨٩٠) . التَّسَّاجون (١٨٩٢) . معطَف القُنْدُس (١٨٩٣) .

أمَّا أبرز رواياته : جزيرة الأم العظيمة (١٩٢٨) ، الناس والروح (١٩٣٢) ، مغامرة شبابي (١٩٣٧) .

غوتفريد ليبنتز والتمهيد للفلسفة التحليلية

وُلد الفيلسوف وعالم الرياضيات الألماني غوتفريد ليبنتز (١٦٤٦ _ ١٧١٦) في لايبزيغ بولاية سكسونيا . كان والده أستاذًا للفلسفة الأخلاقية في جامعة لايبزيغ . ورث الصبي فيما بعد مكتبة والده الشخصية . وقد مكّنته هذه المكتبة من دراسة مجموعة واسعة من الأعمال الفلسفية واللاهوتية المتقدمة ، تلك التي لم يكن ليتمكن من قراءتها حتى سنوات دراسته الجامعية . وقد كانت غالبية كتب والده باللغة اللاتينية ، وهذا أدى إلى إتقانه اللاتينية في سن الثانية عشرة .

يشغل ليبنتز موقعًا هامًا في تاريخ الرياضيات وتاريخ الفلسفة . أسّس ليبنتز علم التفاضل والتكامل بشكل مستقل عن إسحاق نيوتن ، كما أن رموزه الرياضية ما زالت تُستخدم بشكل شائع منذ أن تم نشرها والتعريف بها. وقوانينه مثل: " قانون الاستمرارية " و "قانون التجانس الفائق" ، كشفت بُعد نظره ، ولم يتم العمل بها في علم الرياضيات حتى القرن العشرين. كما أنه كان أحد أكبر مُنتجي الآلات الحاسبة الميكانيكية، وبينما كان يعمل على إضافة عمليتي الضرب والقسمة لحسابة باسكال، كان الأول في التعريف بآلة الحساب الدولابية الهوائية، كما أنه اخترع "عجلة ليبنتز" والتي استخدمت في المتر الحسائي ، وهي أول آلة حاسبة تم صنعها وإنتاجها بشكل تجاري، كما أنه عدّل النظام الرقمي الثنائي ، وهو النظام التي تقوم عليه الحواسيب الرقمية .

أمّا ما يخص الفلسفة ، فقد عُرف عن ليبنتز "تفاؤله" كاستنتاجه بأن هذا الكون هو أكمل خلق الله ، بحيث لا يمكن أن يوجد أكمل منه . كما أنه كان ، بالإضافة إلى رينيه ديكارت وباروخ سبينوزا، أحد أعمدة الفلسفة العقلانية خلال القرن السابع عشر الميلادي . عمله الفلسفي مهّد الطريق للمنطق الحديث والفلسفة التحليلية ، وكان أيضًا مُتعلّقًا بإرث الفلسفة المدرسية القروسطية، والتي يقوم الاستنتاج _ أو الاستنباط _ فيها ، من خلال استعمال العقل والعمل به على المبادئ الأولية والبدهيّات ، وليس على الدليل التجريبي .

قام ليبنتز بمساهمات كبيرة في علم الفيزياء والتقنية ، كما أنه تنبأ بأفكار ظهرت لاحقًا في الفلسفة . وله إسهامات هائلة في نظرية الاحتمال، والبيولوجيا، والطب، وعلم الأرض، وعلم النفس، واللغويات، وعلم المعلومات. أُلّف في الفلسفة، والسياسة، والقانون، والأخلاق، واللاهوت، والتاريخ، وفلسفة اللغة. وهذه المساهمات العريضة كانت منشورة ومُوزَّعة ما بين دوريات وعشرات الآلاف من الرسائل والمخطوطات . كتب بلغات عدّة أهمها : اللاتينية، والفرنسية، والألمانية .

يَظهر تفكير لينتز الفلسفي مُجَزَّأً ، لأن كتاباته الفلسفية تتكوَّن بشكل رئيسي من العديد من القطع القصيرة : مقالات المجلات ، والمخطوطات التي نُشرت بعد وفاته بفترة طويلة ، والعديد من الرسائل إلى العديد من المراسلين. وقد كتب أطروحتين فلسفيتين طويلتين فقط .
قدَّم لينتز نفسه كفيلسوف في خطابه حول الميتافيزيقا ، الذي ألَّفه عام ١٦٨٦ . ولم يُنشر حتى القرن التاسع عشر .

وفي عام ١٦٩٥ ، دخل لينتز في الفلسفة الأوروبية بمقال صحفي بعنوان " النظام الجديد لطبيعة وتوصيل المواد " .

قام بتأليف مقالاته الجديدة عن التفاهم الإنساني ، وهو تعليق مُطوَّل على مقالة جون لوك (١٦٩٠) حول فهم الإنسان . ولكن عند معرفته بوفاة لوك في عام ١٧٠٤ فقد الرغبة في نشر هذه المقالة .

التقى لينتز مع سينيوزا في عام ١٦٧٦ ، وقرأ سينيوزا بعض كتاباته غير المنشورة ، ومنذ ذلك الحين يُشبهه في الاستيلاء على بعض أفكار سينيوزا . وفي حين كان لينتز مُعجَبًا بعقل سينيوزا القوي ، فقد كان رافضًا لاستنتاجات سينيوزا ، خاصةً عندما كانت لا تتفق مع العقيدة المسيحية . وعلى عكس ديكارت وسينيوزا ، كان لينتز يملك تعليمًا جامعيًا شاملاً في الفلسفة . تأثر بأستاذه في لايبزيغ جاكوب توماسوس ، الذي أشرف أيضًا على أطروحته الجامعية في الفلسفة . كما قرأ لينتز بفاغ الصبر فرانسيسكو سواريز ، وهو يهودي إسباني يحظى بالاحترام والتقدير حتى في الجامعات اللوثرية .

يرتبط اسم لينتز بالتعبير " دالة رياضية " (١٦٩٤) التي كان يصف بها كل كمية مُتعلِّقة بمنحنى ، مثل : ميل المنحنى ، أو نقطة معينة على المنحنى .

ويُعتبر لينتز مع نيوتن المؤسَّسين لعلم التفاضل والتكامل . وقد طوَّر لينتز مفهوم التكامل وقاعدة الجداء (تُدعى أيضًا قانون لينتز) ، وهي قاعدة تُستخدم لحساب التفاضل لجداء توابع قابلة للمُفاضلة ، كما طوَّر المفهوم الحديث لمبدأ حفظ الطاقة .

غونتر غراس وأعماله مُعاداة السامية

وُلد الأديب الألماني غونتر غراس (١٩٢٧ - ٢٠١٥) في مدينة دانتسيف الحرة المعروفة حالياً بـ "غدانسك" ، لأب بروتستانتي ألماني وأم كاثوليكية ألمانية من أصول بولندية . وكانت مدينة دانتسيف الحرة وقتها تخضع لإدارة دولية ضمن أراضي بولندا عملاً باتفاقيات فرساي التي أنهت الحرب العالمية الأولى ، لكنها ضُمَّت إلى بولندا بعد الحرب العالمية الثانية . تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في غدانسك ، وفي نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٤٤ تطوَّع للعمل في سلاح الغوّاصات الألماني، ثُمَّ ألحق بوحدة قتالية أخرى خلال الحرب العالمية الثانية، حيث وقع في أسر القوات الأمريكية التي احتجزته في معسكر للأسرى ، ثُمَّ أطلقتها عام ١٩٤٦ ، أي بعد عام من انتهاء الحرب .

درس فن النحت في مدينة دوسلدورف الألمانية لمدة سنتين (١٩٤٧ - ١٩٤٨) ، ثم أتم دراسته الجامعية في مجمع الفنون في دوسلدورف وجامعة برلين (١٩٤٦ - ١٩٥٦) . وقد أكمل دراسته العليا في جامعة برلين للفنون لغاية عام ١٩٥٦ . عمِل غراس بعد الحرب في منجم في ألمانيا الغربية، ومُزارعاً بعد تعُدُّر عودته إلى مدينته التي باتت خاضعة للبولنديين والسوفييت ، قبل أن يُكمل دراسته الجامعية والدراسات العليا . عمِل نَحَّاتًا ومُصمِّمًا ومُؤلِّفًا، ثُمَّ تولى خلال الفترة (١٩٨٣ - ١٩٨٦) رئاسة أكاديمية برلين للفنون .

يُعَدُّ غراس _ الذي انتقد سياسات إسرائيل النووية وبيعها غواصات ألمانية الصُّنع _ أحد أهم الأدباء الألمان . وقد نالت روايته "الطفل الصفيح" شهرة عالمية كبيرة بعد نشرها عام ١٩٥٩ ، وترجم هذا العمل الأدبي إلى لغات عالمية كثيرة من بينها العربية . وهذه الرواية هي جزء من ثلاثيته المعروفة بـ "ثلاثية دانتسيف" وتضم أيضاً روايتي "القط والفأر" (١٩٦١) و "سنوات الكلاب" (١٩٦٣) . ومن رواياته المشهورة أيضاً "متوبيتي" (١٩٩٩) ، و "مشية السرطان" (٢٠٠٢) . كتب مسرحيتين، أولاهما "الطهارة الأشرار" (١٩٥٦) و "الفيضان" (١٩٥٧) ، وأصدر أربع مجموعات شعرية في أعوام ١٩٥٦ و ١٩٦٠ و ١٩٦٧ و ١٩٧١ .

عُرِفَ بمواقفه المساندة للقضايا الإنسانية في العالم، ونُشر في عام ٢٠١٢ قصيدة تنتقد إسرائيل وتتهمها بتهديد السَّلم العالمي، وهو ما أغضب حكومة الكيان الصهيوني ، وأثار جدلاً

إعلاميًا واسعًا . وقد تعرّضَ إلى موجة انتقادات بعد نشره لهذه القصيدة النثرية التي تحمل عنوان " ما ينبغي أن يُقال " ، قال فيها إنّ إسرائيل من خلال تحضيراتها لضرب المنشآت النووية في إيران تُمثّل تهديدًا للسلام العالمي ، ولدَرءَ هذا التهديد يجب التكلم الآن ، وأنه سيَم من نفاق الغرب فيما يتعلق بإسرائيل ، وأهوال النازية ليست ذريعة للصمت .

شَنّت وسائل الإعلام الألمانية، مثل دي فيلت ودير شبيغل ، حملة عليه تتهمه بمعاداة السامية مُدكِّرةً بأنه خدم في شبابه في قوات إس إس (وهي منظمة كانت تابعة إلى الحزب النازي الألماني ، أنشئت عام ١٩٢٥ ، وكُلِّفت بمهمة حماية أدولف هتلر) . وقد طرح غراس في قصيدته أن إيران وإسرائيل كليهما يجب أن تخضعا لرقابة دولية على أسلحتيهما النووية .

قُبِّل وفاته، أعرب غراس عن مخاوفه إزاء انجراف العالم إلى نوع جديد من الحرب، وقال في تصريحات لصحيفة "نويه فيستفيلشه" الألمانية : ((نسمع في الفترة الأخيرة تحذيرات متكررة من حرب عالمية ثالثة . أتساءل أحيانًا ما إذا لم تكن تلك الحرب قد بدأت بالفعل بطريقة مختلفة تمامًا عمّا عهدناه في الحربين العالميتين الأولى والثانية)) .

وأشار عميد الأدباء الألمان إلى أن أشكالاً جديدة من الحروب قد تطورت حاليًا، مُضيفًا أنه يمكن عبر الإنترنت وحده عرقلة أنظمة وإدارة حروب اقتصادية ، وقال : ((هذا يحدث بالتوازي مع نزاعات حربية تقليدية ، مثل التي نشهدها في أوكرانيا وسوريا وأماكن أخرى)) .

حوَلّت رواية " الطبل الصفيح " — التي تختصر أهم أحداث القرن العشرين من منظور أوروبي — إلى فيلم سينمائي عام ١٩٧٩ ، أخرجه فولكر شلندروف ، وكوفئ الفيلم بجائزتي أوسكار .

حصل غراس على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٩ لِدَوْرِهِ في إثراء الأدب العالمي ، خصوصًا في ثلاثيته الشهيرة "ثلاثية دانتسيغ"، بالإضافة إلى جوائز محلية كثيرة ، منها : جائزة كارل فون أوسيتسكي عام ١٩٦٧ ، وجائزة الأدب من مجمع بافاريا للعلوم والفنون عام ١٩٩٤ . وفي عام ٢٠٠٥ حصل على شهادة الدكتوراة الفخرية من جامعة برلين .

تُؤَفِّي في إحدى العيادات في مدينة لوبيك الألمانية عن عُمر يُناهز الثامنة والثمانين .

فرانز فانون واستخدام العنف الثوري

وُلد الفيلسوف والطبيب النفسي فرانز عمر فانون (١٩٢٥ _ ١٩٦١) في فور دو فرانس ،
جُزر المارتنيك في الكاريبي ، التي كانت آنذاك مستعمرة فرنسية ، وهي الآن مقاطعة فرنسية .
كان والده واحداً من سلالة العبيد الأفارقة ، وعمل كعامل جُمركي . وكانت والدته من منطقة
الألزاس . كانت عائلة فانون من الطبقة المتوسطة الاجتماعية والاقتصادية . وكانت قادرة على
تحمل رسوم أعرق مدرسة ثانوية في جُزر المارتنيك ، حيث درس فانون .
خدم خلال الحرب العالمية الثانية في جيش فرنسا الحرة، وحاربَ ضد النازيين . التحقَ
بالمدرسة الطبية في مدينة ليون ، وتخصَّصَ في الطب النفسي ، ثم عمل طبيباً عسكرياً
في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الفرنسي . عمل رئيساً لقسم الطب النفسي في مستشفى البلدية _
جوانفيل في الجزائر، حيث انخرط مُنذ ذلك الحين في صفوف جبهة التحرير الوطني الجزائرية .
وعالج ضحايا طرفي الصراع على الرغم من كونه مواطناً فرنسياً .
وفي عام ١٩٥٥ ، انضمَّ فانون كطبيب إلى جبهة التحرير الوطني الجزائرية . غادرَ سراً إلى
تونس ، وعمل طبيباً في مستشفى منوبة ، وصار رئيس تحرير صحيفة " المجاهد " الناطقة باسم
الجبهة ، حين كانت تصدر من تونس . كما تولى مهمات تنظيمية مباشرة ، وأخرى دبلوماسية
وعسكرية ذات حساسية فائقة . وعُرف بنضاله من أجل الحرية وضد التمييز والعنصرية .
وفي عام ١٩٦٠ ، صار سفير الحكومة الجزائرية المؤقتة في غانا .
يُعتبر أحد أبرز من كتب عن مُناهضة الآخرين في القرن العشرين . وقد ألهمت كتاباته ومواقفه
كثيراً من حركات التحرر في أرجاء العالم ، ولعقود عديدة . آمنَ فانون بأن مقاومة الاستعمار تتم
باستعمال العنف فقط من جهة المقموع، فما أخذَ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة .
أول كُتب فانون " بشرة سوداء ، أقنعة بيضاء " (١٩٥٢) ، وهو دراسة نفسية للمشاكل التي
يواجهها السود بسبب العنصرية . وأيضاً ، تحليل للآثار النفسية السلبية للقهر الاستعماري الذي
يُعاني منه السود . وكانت المخطوطة في الأصل أطروحة للدكتوراة . وكانت هذه الأطروحة ردّاً على
العنصرية التي عانى منها فانون أثناء دراسته الطب النفسي في جامعة ليون .
أمّا كتابه " مُعدَّبو الأرض " (١٩٦١) ، فهو الذي أطلق شهرته . وفي هذا الكتاب يرى
فانون أن باستطاعة الجزائريين الحصول على الاستقلال عن طريق العنف الثوري وَحْدَهُ .

نُشر هذا الكتاب _ مع مقدمة لجان بول سارتر _ قبل فترة قصيرة من وفاة فانون. وفيه يُدافع الكاتب عن حق شعب مُستَعْمَر في استخدام العنف للحصول على الاستقلال .
بالإضافة إلى ذلك ، حدّد العمليات والقوى المؤدية إلى الاستقلال الوطني. وتم حجب كتابه من قِبَل الحكومة الفرنسية .
كانت أعمال فانون مؤثرة للغاية في دراسات ما بعد الاستعمار، والنظرية النقدية، والماركسية. وكان معنيًا بعلم النفس الاستعماري ، والعواقب البشرية والاجتماعية والثقافية لإنهاء الاستعمار. ألهمت حياة وأعمال فانون حركات التحرر الوطنية وغيرها من المنظمات السياسية في فلسطين وسريلانكا وجنوب أفريقيا والولايات المتحدة .
إن مساهمات فانون في تاريخ الأفكار متعددة . وهو مؤثّر ليس فقط بسبب أصالة فكره ، ولكن أيضًا بسبب تفوّق انتقاداته ، ودقّة طروحاته ، ومنهجه العلمي المتناسك .
وقد طوّر تحليلًا وجوديًا اجتماعيًا عميقًا لقضية العنصرية ، ممّا أدى به إلى تحديد شروط العقلانية في الخطابات المعاصرة عن الإنسان ومشكلاته وأحلامه .
تُوفّي فانون عن عُمر يُناهز السادسة والثلاثين بمرض سرطان الدم (اللوكيميا) ، وقد سافر للعلاج في الاتحاد السوفييتي ، ودُفن في مقبرة مُقاتلي الحرية الجزائريين .

فرانز كافكا ورحلة الكوابيس

وُلد الأديب التشيكي فرانز كافكا (١٨٨٣ - ١٩٢٤) في براغ، التي كانت آنذاك جزءًا من الإمبراطورية النمساوية المجرية، لعائلة ألمانية من الطبقة الوسطى تنحدر من أصول يهودية أشكنازية. لم يتوقع أن يصبح كاتبًا عالميًا، ولم يتخيل في يوم من الأيام أن تصبح مؤلفاته من عيون الأدب العالمي. فالقليل من كتاباته نُشرت أثناء حياته، ولم تستقطب انتباه القُرَّاء. والكتاباتُ القليلة تعني أنه لم يكن حريصًا على نشر أعماله، ونيل الشهرة والمجد الأدبي. كما أنه طُلب من صديقه المقرب ماكس برود أن يُتلف كل كتاباته بعد موته. وهذا يعني أنه غير مقتنع بها، ويرى أنها لا تستحق النشر، ولا فائدة من اطلاع القُرَّاء عليها. وبالطبع، لم يستجب صديقه لهذا الطلب، ونشر أعماله بعد موته، وصنع مجد كافكا الأدبي إلى الأبد.

ونظرة كافكا إلى أعماله الأدبية تحمل فلسفةً جلد الذات ومُعاقبتها، لذلك لم يُرد أن ترى أفكاره النور. فقد كانت الكتابة بالنسبة إليه عملاً شخصيًا، وحوارًا ذاتيًا، وتفرغًا للمشاعر على الورق. كتب لنفسه، كتب كإنسان مجروح ومكسور، ولم يكتب كصاحب مدرسة أدبية، أو زعيم تيار فكري. وهذا الانكسار المسيطر على حياته الشخصية وأعماله الأدبية، ينبع من غربته الروحية واغترابه العاطفي، وعُزلته الوجدانية، فهو يشعر على الدوام أنه خارج الزمان والمكان، ولا ينتمي إلى العناصر المحيطة به. فهو تشيكي المولد، يهودي الديانة، يكتب ويتكلم بالألمانية. وهذا الأمر يحمل في طياته بذور العزلة والغربة، فالتشيك يُعتبرونه ألمانيًا، والألمان يُعتبرونه يهوديًا. ومع أنه تشيكي المولد لا يكتب باللغة التشيكية، ومع أنه يهودي الديانة لا يكتب باللغة العبرية. وهذه الغربة المتفاقمة جعلت منه شخصًا خجولًا ومُعَدَّبًا، وأدخلته في صدام مع والديه، فصارت علاقاته الاجتماعية متوترة تمتاز بالقلق والخوف، ولم تكن أزماته الاجتماعية إلا انعكاسًا لأزماته الروحية. درس كافكا الكيمياء والحقوق والأدب في الجامعة الألمانية في براغ عام ١٩٠١. وحصل على الدكتوراة في الحقوق عام ١٩٠٦. لكنه عمل موظفًا صغيرًا في مؤسسة للتأمينات العمالية عام ١٩٠٨، وعانى من التناقض الصارخ بين مهنته التي تُشكّل مصدر رزقه، وبين قضاياه الفكرية وشؤونه الأدبية.

وهذه الأزمة تُضاف إلى أزماته المتكاثرة، التي انتقلت إلى إنتاجه الأدبي. فالكتابة الأدبية عند كافكا هي هروب من الذات والواقع، وتحويل الأحلام إلى كوابيس، وإظهار للجانب

المأساوي في الحياة ، وتسليط الضوء على المعاناة والألم والحزن، وإبراز المنحى السّوداوي في داخل الشخصيات وخارجها. لذلك استحق كافكا لقب "رائد الكتابة الكابوسية" .

وهذا اللقب يتّضح معناه إذا عَلِمْنَا أن روايات كافكا تنتهي دائماً بموت البطل مع اختلاف أسلوب الموت . فبطل رواية " المسخ " (١٩١٥) يموت ، وبطل رواية " المحاكمة " (١٩٢٥) يُعدم ، وبطل رواية " القلعة " (١٩٢٦) يُقتل .

انهارت حياة كافكا، وانكسر عالمه الواقعي، فحاول إحياء نفسه من جديد في أعماله الأدبية ، وسعى إلى بناء عالمه الخاص على الورق. هذا العالم الافتراضي المحكوم بقانون الأحران والآلام ، والذي يظهر في الألفاظ الكنيية والمعاني الصادمة .

لَخَصَ كافكا فلسفة إنتاجه الأدبي بالكامل في بداية رواية " المسخ " ، حيث يقول عن أحد الشخصيات : ((استيقظ جريجور سامسا ذات صباح بعد أحلام مزعجة ، فوجد نفسه قد تحوّل في فراشه إلى حشرة هائلة الحجم)) . هذا هو السطر الأول في الرواية ، ويُبرز نظرة كافكا إلى أنساق الحياة ، وتفاصيل المشاعر الإنسانية ، وفلسفة العلاقات الاجتماعية. فالإنسانُ في نظر كافكا _ هو شخص مسحوق منبوذ لا قيمة له ، تطحنه قسوة الحياة المادية ، وكلّ الذين يُحيطون به لا تربطهم به أية علاقة، إلا علاقة المنفعة والمصلحة ، في ظل الغياب التام للمشاعر الإنسانية. وهذه النظرة السّوداوية للإنسان والمجتمع والعالم ، متجذرة في نفسية كافكا الذي عانى من طفولة تعيسة رغم ثراء أبيه. فأبوه كان شخصاً مُستبدّاً سحق شخصية ابنه، ولم يستطع الابن أن يُفكّل من كابوس أبيه ، فعاش الابن حائراً بين مشاعر الاحترام التي يجب أن يحملها تجاه أبيه ، وبين مشاعر الكراهية والحقد بسبب سيطرة أبيه المطلقة وشخصيته الطاغية .

شعر كافكا بأن أباه رجل غريب لا يُمثّل له بِصلة ، ولم يشعر بالدفء والحنان في بيته ، وأحس بالعزلة والاعترا ب بين أفراد عائلته ، فسعى جاهداً إلى بناء علاقات عاطفية مع النساء ، لعله يجد تعويضاً عن حرمانه الروحي ، وانكساره الجسدي، وخيبات الأمل الكثيرة في حياته .

بحَث عن الحب والحنان خارج البيت ، لأنه لم يجدهما داخل البيت . ولكن هذه العلاقات العاطفية باءت بالفشل ، ولم يستطع كافكا أن يُتوّج أية علاقة بالزواج . وهذه القضية تُشير بوضوح إلى عدم قدرته على إتمام الأمور ، ونقطة الضعف هذه لم تُؤثّر على مشاعره الإنسانية وعلاقاته الاجتماعية فحسب ، بل أيضاً أثّرت على إنتاجه الأدبي . فأغلب أعماله الأدبية غير مُكتملة ، وهذا يعني أنه عاجزٌ عن إيجاد نهايات منطقية لقصصه ورواياته. لقد كانت أعماله الأدبية

__ كنفاصيل حياته _ أسئلة بلا إجابات ، ومساحات مفتوحة على كل الاحتمالات والكوابيس والكوارث . لم يسيطر على مسار الأحداث على الورق ، ولم يسيطر على تفاصيل حياته في الواقع . وفي هذا إشارة واضحة إلى التشويش الرهيب في ذهنه ، والقلق الوجودي الذي يسيطر على أعصابه ، والخوف الكامن الذي يَشُلُّ قدرته على التفكير والتخطيط للأمور .

كان خائفًا من كل شيء. خافَ من الزواج (الارتباط)، فانهارت علاقاته النسائية ، وخافَ من تقديم نفسه بين أفراد عائلته ، فصارَ ظلاً باهتًا لشخصية أبيه القوية ، وخافَ من أكل اللحوم ، فصارَ نباتيًا ، وخافَ من الأمراض ، فأصابه السُّل الذي دَمَّرَ حياته ، وأنهاها في ٣ حزيران / يونيو ١٩٢٤ . وكان في الحادية والأربعين من العُمر .

استمرت أزمات كافكا بعد موته، فقد تعرَّضت كتاباته للحرق على يد هتلر ، وتَمَّ اعتباره يهوديًا خائنًا ، ومثالاً للعبث والتشاؤم والضياع والسوداوية ، لكنَّ أحدًا لم يُلْمِ هتلر على فعلته ، لأن كافكا شخصيًا كان قد أحرق أغلب كتاباته .

ومن السخرية أن نقول : إن هتلر قام بتحقيق وصية كافكا التي لم يُحَقِّقها صديقه المخلص ماكس برود ، وهي حرق كتاباته ! .

فرانس إيميل سيلانبا وحتمية القَدَر

وُلد الكاتب الفنلندي فرانس إيميل سيلانبا (١٨٨٨ _ ١٩٦٤) في بلدة هَمينكيرو ، بالقرب من مدينة تامبِرِه ، جنوبي فنلندا ، وتُوفِّي في هِلْسِنكي . كان والداه مُزارِعَيْن . وعلى الرغم من الفقر المدقع الذي كانت تعيش فيه عائلته ، إلا أنه عاش طفولة سعيدة، كما تَمَكَّنَت عائلته من إرساله إلى المدرسة . وفي عام ١٩٠٨ ، بدأ يدرس العلوم الطبيعية في جامعة هِلْسِنكي ، وهذا الأمر أثَّرَ بشكل واضح على أفكاره وأحلامه وعوالم الكتابة في ذهنه ، كما أنَّه غيَّرَ نظرته إلى الحياة والكون، وجعله يتعاطف مع الفقراء والمسحوقين والمنبوذين في المجتمع. وقد ترك الدراسة في عام ١٩١٣ قبل تخرجه بسبب مشكلاته الأسرية، وتكالب الأمراض عليه ، وكثرة ديونه ، وعدم استطاعته التَّكْيِف مع حياة المدينة . لقد كانت المدينة وحشًا يُطارده ، وكابوسًا يُسيطر عليه ، ويُقضي على أحلامه ، ويُدمِّر مشاعره ، فقد رأى فيها وحشية النظام الاستهلاكي المادي ، حيث تَغيب الأحاسيس الدافئة بين الناس، وتبرز المصالح الشخصية، والحياة العملية الخالية من العواطف. عاد سيلانبا إلى الريف الذي نشأ فيه ، بعد اكتسابه العلم والمعرفة ، واتَّساع آفاقه ، وإطلاعه على مؤلفات كبار الأدباء الإسكندنافيين والعالميين الذين أثَّروا فيه بشكل واضح ، وغيروا كثيرًا من أفكاره ، وساهموا في إعادة تشكيل نظام حياته . ثم تزوج ، وعمل لفترة قصيرة في دار نشر قريبة من العاصمة هِلْسِنكي . ساهمت حياة الريف في استعادة صحته وتوازنه النفسي ، وبدأ الكتابة عن هذه البيئة التي أحبَّها وعرفها جيِّدًا ، وخالط أهلها ، وأدرك أحزانهم وأفراحهم ، وأطلع على أحلامهم وخبائثهم. وفي عام ١٩١٦ صدرت له أول رواية بعنوان " الحياة والشمس " . وهي قصة حب عادية في ليالي الصيف ضمن البيئة الفنلندية ، كما أنها تبحث عن دور الإنسان في هذا الوجود ، وعلاقته بعناصر الطبيعة ، ووظيفته المركزية في الكون . شكَّلت الحرب الأهلية الفنلندية (١٩١٨) صدمةً هائلةً بالنسبة للكاتب، وخطَّمت معنوياته ، وهشَّمت أحاسيسه ، وأفقدته الثقة بنفسه ، وبدَّلت نظرته إلى عناصر الوجود ، فصارَ يُعتبر الحياة الجائرة نوعًا من العبث والوهم والأحلام الضائعة . وهذه الأفكار صارت المبادئ الأساسية في رواياته اللاحقة . ففي رواية " الإرث المتواضع " (١٩١٩) ، يموت البطل في الحرب بين الأطراف المتناحرة، مع أنَّه واقف على الحياد، ولم يشارك في الحرب، وليس له أية علاقة بالأطراف المتناحرة. وهذه الفلسفة تنبع من النظرة القَدَرية للكاتب ، حيث الإنسان مَحْكوم بحتمية القَدَر ، ولا يَمْلِك أن يُغيِّر شيئًا في

حياته ، لأنه لا يتحكم بمساره ومصيره . فالأمر مفروض على الإنسان الذي ليس له ناقة ولا جمل في حياته. وهذه النظرة التي تُكرّس عَجَزَ الإنسان، وعدم قُدرته على رسم حياته، إنما هي نزعة تشاؤمية تُجَرِّد الإنسان من قُدرته على التغيير. وقد جاءت هذه النزعة كردة فعل نابعة من صدمة الحرب الأهلية بين أبناء البلد الواحد . وفي زمن الصراعات والحروب ، يفقد الكثير من الناس قيمة اليقين، وتُصبح المسلّمات في موضع الشك والتساؤل والتشاؤم ، نتيجة القلق ، وكثرة القتل، وانهيار الحياة الإنسانية ، وانتشار الخراب ، وسقوط مُنجزات الحضارة . نشر سيلانبا الكثير من الأعمال الأدبية ، من أبرزها رواية " النوم في الشباب " (١٩٣١) التي تتحدث عن خادمة يتيممة مُفعمة بالحياة والحيوية ، إلا أن حياتها تنتهي بشكل مأساوي بعد إصابتها بمرض السُّل. أمّا في روايته " طريق رَجُل " (١٩٣٢)، فقد رَكَّزَ على مراحل تطور شاب فلاح ، وأظهر أهمية العلاقة العضوية بين الإنسان والطبيعة ، وبين الفلاح وأرضه . وفي عام ١٩٣٤ ، قدّم الكاتب أفضل مؤلفاته على الإطلاق، وهي رواية "ناس ليالي الصيف"، المكتوبة بلغة وصفية وغنائية شديدة الدقة . وفي هذه الرواية ، تتجلى النظرة الحتمية إلى الإنسان والكون ، حيث القدر المحتوم ، والأحاسيس الدافئة ، والحياة المفعمة بالعواطف ، والشخصيات البسيطة والمعقّدة ، وتفاصيل الحياة الصغيرة ، والقضايا الوجودية الكبرى . وعموماً ، يُصوّر الكاتب في أعماله الأدبية سُكان الريف الذين يعيشون مُتّحدين مع الأرض، رافضين التخلي عنها ، ويكشف عن واقعهم المأساوي ، ويُبرز حياة البؤس التي يعيشونها . ودائماً، شخصياته تأتي من الطبقات المتدنية في المجتمع ، حيث تتكرّس المعاناة الحقيقية في سبيل توفير لقمة العيش ، وينتشر الظلم والاضطهاد والحقد الاجتماعي والتفاوت الطبقي. وتواجه الشخصيات مصيرها المحتوم بكثير من السلبية أو اللامبالاة الهادئة، بحثاً عن الأمل الكاذب، أو الراحة النفسية الوهمية ، أو لحظات السعادة العابرة. وفي عام ١٩٣٩ ، حصل سيلانبا على جائزة نوبل للآداب " لفهمه العميق لحياة الفلاحين في بلاده ، وتصوير مشاعرهم وأحلامهم ، وطريقتهم في الحياة ، وعلاقتهم العضوية مع الطبيعة " ، ليكون بذلك أول كاتب فنلندي يحصل على هذه الجائزة العالمية. وفي عام ١٩٤١ ، طلق سيلانبا زوجته ، وعانى من مشكلات صحية ناتجة عن إدمان الكحول ، لكنه عاد في عام ١٩٤٣ إلى الحياة العامة ، وصار يُلقي أحاديث في الإذاعة ، أحدثت صدى هائلاً بين المستمعين ، ولاقت شعبية كبيرة. من أبرز رواياته: الحياة والشمس (١٩١٦). أحب بلدي (١٩١٩). اعتراف (١٩٢٨). النوم في الشباب (١٩٣١). طريق رَجُل (١٩٣٢). ناس ليالي الصيف (١٩٣٤).

فرانسوا رابليه والإبداع اللغوي

وُلد الكاتب الفرنسي فرانسوا رابليه (١٤٩٤ - ١٥٥٣) في شينونيه ، وتُوفّي في باريس . كانت عائلته غنية . التحق بسلك الرهبان الفرنسييسكان في عام ١٥٢٠ . وحصل على إجازة في الطب عام ١٥٣٠ من جامعة مونبلييه . ومارسَ الطب ، وقام بتدريسه خلال الفترة (١٥٣٢ - ١٥٤٦) . قام رابليه في عام ١٥٣٢ بنشر كتابه " بانثا غرويل " . وهو استمرار لعمل شعبي شهير، صدر دون اسم مُؤلّف تحت عنوان " قصة العملاق غارغانتوا " . وبينما حافظ رابليه على الإيقاع الشعبي للعمل، فقد أضاف الكثير من المواد التي تعكس مستوى فكريًا رفيعًا، وأظهر مواهب فذة، باعتباره كاتبًا ساخرًا ومؤلفًا . وقد أدانت السوربون - وهي الكلية اللاهوتية بجامعة باريس - كتاب " بانثا غرويل " بتهمة البداءة .

وفي عام ١٥٣٤ ، قام رابليه بنشر " غارغانتوا " ، أي صياغته الخاصة للأحداث التي سبقت " بانثا غرويل " . وقد أدانت السوربون كذلك هذا الكتاب ، الذي يظهر فيه الراهب الأب جان المولع بالإزعاج . وفي عام ١٥٤٦ ، أصدرَ رابليه الكتاب الثالث الذي أدانته السوربون لِمَا احتواه من هرطقة. ونشر الكتاب الرابع في جزأين (١٥٤٨ و ١٥٥٢) . وربما كان رابليه قد ألّف أجزاء من الكتاب الخامس ، وقد ظهر هذا العمل بعد وفاته .

في عام ١٥٣٢ ، نشر رابليه كتاب " رسائل ماناردي الطبية " ، الذي ضمَّ خبرته وتجاربه المكتسبة في الطب والحياة ، ثم نشر " وصية كرسبيدوس " ، وهي وصية قيل إنها مُزوَّرة ببراعة ، وهي تحمل إعجاب رابليه بالعصور القديمة وميراث الإمبراطورية الرومانية . ابتكر رابليه بإبداعه اللغوي العديد من الكلمات، ظل بعضها في صُلب اللغة الفرنسية . وبسبب حيويته وتفاؤله وأسلوب سرّده البهيج ، وقدرته على الاستغراق في المرح والأفكار ، صار من أعظم الكُتّاب الفرنسيين ، وأقربهم إلى القلوب .

جمع رابليه بين ممارسة الطب ودراساته الأدبية ، ثم عمل مساعد تحرير لأحد الطُّبّاعين ، ونشر عدّة نصوص يونانية ، وترجم حكّم أبقرات إلى اللاتينية. ثُمَّ توجّه إلى تيار الدراسات الإنسانية الذي كان يومها في عنفوان تدفقه في ليون .

في عام ١٥٤٩ ، حصل رابليه على وظيفة قسيس لأبرشية مودون الواقعة إلى الجنوب الغربي من العاصمة . ويبدو أنه وُكِّل إلى أتباعه أداء واجبات وظيفته الدينية واكتفى بالانتفاع بإيرادها.

لقد اعتزّت فرنسا برابليه أشد الاعتزاز . وحين تصلّبت عادات المجتمع الفرنسي في القرن السابع عشر ، وطغت الأشكال الكلاسيكية، فقد رابليه بعض مكانته في ذاكرة الأُمّة .

و حين تغيّرت اللغة الفرنسية استعصى فهم رابليه على القُرّاء الفرنسيين في القرن التاسع عشر، ولعله اليوم أكثر شعبية في البلاد الناطقة بالإنجليزية منه في فرنسا .

يُعتبر رابليه أحد أعظم الكتّاب على مستوى العالم، وكذلك أحد مُؤسّسي أسلوب الكتابة الأوروبي الحديث .

تُوفّي رابليه في باريس . ويقال إنه كتب وصيته قبل موته، وجاء فيها: ((أنا لا أملك شيئاً، عليّ قَدْر كبير من الديون ، والباقي أُعطيه للفقراء)) .

لقد كُرّم رابليه أعظم تكريم . وسُمّيت باسمه جامعة في مدينة تور في فرنسا . وسُمّي كُويكب (٥٦٦٦ رابليه) باسمه تكريمًا له .

والجدير بالذكر أن الروائي الفرنسي لوكليزيو ، عندما فاز بجائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٨ ، قال : ((إن فرانسوا رابليه هو أعظم كاتب للغة الفرنسية على الإطلاق)) .

وهذا يدل على المكانة الرفيعة لهذا الكاتب، ودوره المركزي في تاريخ الأدب الفرنسي خاصةً، والأدب العالمي عامةً .

فرانسواز ساجان والحياة الفوضوية

وُلدت الروائية فرانسواز ساجان _ اسمها الحقيقي فرانسوا كواريه _ (١٩٣٥ _ ٢٠٠٤) في عائلة (كواريه) الصناعية الثرية في بلدة كاجرك جنوب غربي فرنسا. أمّا اسمها الفني المستعار (ساجان) فقد أخذته من إحدى شخصيات الأديب الفرنسي مارسيل بروس .

مدحتها جريدة لوفيغارو على الصفحة الأولى بوصفها " وحش صغير آسر ". واشتهرت ساجان بالمواضيع العاطفية القوية لشخصيات ثرية وبرجوازية ضائعة . وتعدّ من أبرز الشخصيات الأدبية في النصف الثاني من القرن العشرين ، بسبب موضوعاتها وأسلوب حياتها الشخصية .

كان والدها مهندساً يُدير شركة للكهرباء . أمّا والدتها فقد كانت امرأة مرحة ، مُقبلة على ملذات الحياة بلا تحفظ . لذلك ، لم تكن تهتم بالشؤون المنزلية ، وتربية أطفالها .

كانت ساجان تلميذة ذكية ولا معة ، لكنها بسبب طيشها المفرط طُرِدَت مِن عِدَّة مدارس ، وقضت عدة سنوات في مدرسة دير كاثوليكي حتى حصلت على الشهادة الثانوية .

في عام ١٩٥٣ أخفقت في امتحان القبول في جامعة السوربون نتيجة انجرافها وراء الحياة الصاخبة في ملاهي الحي اللاتيني في باريس . ولم تكن معنية إلا بقراءة الكتب وكثرة المطالعة .

كانت رواية " غاتسبي العظيم " للأمريكي فيتزجيرالد من أحب الروايات إلى نفسها . وتحت تأثير هذه الرواية شرعت في كتابة روايتها الأولى " صباح الخير أيها الحزن " (١٩٥٤) . وعندما سمع والدها بذلك نهىها قائلاً : ((لا تضعي اسم العائلة على غلاف كتابك !)) . لذلك ، ابتدعت اسمًا فنيًا هو (ساجان) .

لقد هزّت هذه الرواية المجتمع البرجوازي الفرنسي، وصارت في بضعة شهور إحدى أكثر الروايات مبيعًا وشهرةً على المستوى العالمي .

انزعج الفاتيكان من جرأة هذه الأدبية الشابة ذات الشعر القصير والجسد النحيف ، لذلك طالب بـ " إبعاد هذا السُّم عن أفواه الشباب " .

لم تخرج الكاتبة في روايتها على التقاليد الكلاسيكية للكتابة الروائية ، على الرغم من هيمنة تيار (الرواية الجديدة) على الوسط الأدبي الفرنسي، إلا أن موضوعها تمحور حول تجربة مراهقة في السابعة عشرة، بين أبيها وعشيقتيه المتباينتين وجارها الحبيب، في أجواء البرجوازية المترفة التي يُهيمن على حياتها الملل والكآبة .

وأسلوب الكتابة في التعبير عن المشاعر الدفينة والسطحية، الحميمية واليومية، هو ما لفت الأنظار إلى موهبتها وجِدَّتِها لدى جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية الذي لم تجذبه أو تؤثر فيه تجارب الواقعية الاشتراكية أو تيار العبث، ولا الرواية الجديدة التي كانت تشغل عالم النقد والنخبة الثقافية. وهذا ما أسبغ على أدب ساغان سمة الشعبية والرواج في أوساط القُرَّاء العاديين، الذين انجذبوا أيضاً إلى أسلوب حياتها النَّزَق المتطرف، والخارج على أيَّة تقاليد اجتماعية مرعية على الصُّعد كافة.

وَقَّعت ساغان على البيان السياسي المعارض لممارسات فرنسا في الجزائر، كما شاركت في مظاهرات الطلبة عام ١٩٦٨ جَنَّباً إلى جنب مع مشاهير الأدباء والفنانين اليساريين، إلى جانب نزواتها، المتقاربة زَمَنِيًّا، على صعيد تعاطي الكحول والمخدَّرات وقيادة السيارات الرياضية بتهوُّر، ثم الاعتراف بالأزمة، وطلب المساعدة للخروج منها، ثم العودة للاستغراق في الكتابة.

كتبت ساغان ما يزيد على أربعين عملاً أدبيًّا بين الرواية والمسرحية، كما كتبت أيضاً السيناريو السينمائي والتلفزيوني، وكلمات الأغاني، والقصص القصيرة، كما حُوِّل عدد من رواياتها إلى أفلام رائجة، سواء ما أُنتج منها في فرنسا أم في هوليوود. وتُرجمت رواياتها إلى عدة لغات.

تُعالج ساغان في معظم رواياتها علاقات الحب المضطربة والقلقة في الأوساط الاجتماعية البرجوازية، أمَّا في مسرحياتها الكوميدية الساخرة اللاذعة التي تمتاز بجمال ورشاقة وذكاء الحوار، فإنها تُقدِّم شخصيات من الشرائح الأرستقراطية والبرجوازية المترفة التي تُعاني الوحدة والكتابة والحزن والملل في أجواء مُلتبسة تُعْري دواخلها.

اضْطُرَّت ساغان _ بسبب الديون الهائلة _ إلى بيع مجوهراتها، والهدايا الثمينة التي تلَقَّتها من المشاهير. وكانت حقوقها من الكتب تذهب مباشرة إلى الضرائب. وفي السنوات الأخيرة من حياتها ازدادت متاعبها الصحية والنفسية. والذين زاروها وجدوا أنفسهم أمام امرأة مُحطَّمة مُنهارة، تمشي بِبطء، وتحدِّث في الدِّين والمواضيع الفلسفية. وقد تُوقَّفت ساغان في إحدى مستشفيات النورماندي بسبب قصور في عمل القلب والرئتين، تاركَةً وراءها دُيونًا بلغت مليون يورو. وعلى الرغم من المشكلات السلوكية والقضائية والضرائبية التي عانتها ساغان مع السُّلطات الفرنسية، فقد قال جاك شيراك في تأييدها: ((لقد كانت ساغان شخصية بارزة في حياتنا الأدبية)).

من أشهر رواياتها: صباح الخير أيها الحزن (١٩٥٤). ابتسامة ما (١٩٥٦). هل تحبين برامز؟ (١٩٥٩). السُّحب العجيبة (١٩٦١). حارس القلب (١٩٦٨).

فرانسوا موريالك والكتابة الأخلاقية

وُلد الأديب الفرنسي فرانسوا موريالك (١٨٨٥-١٩٧٠) في مدينة بوردو التي تُمثّل مسقط رأسه ومصدر إلهامه في آنٍ معاً، لعائلة من الطبقة البرجوازية العليا العاملة في صناعة النسيج. تُوفّي والده ، وهو في الثانية من عمره، فتولّت أمّه تربيته تربية دينية صارمة . بعد حصوله على إجازة الآداب من جامعة مدينته، انتقل موريالك إلى باريس، والتقى الشاعر المحافظ مورييس بارّس الذي أعجب بتجاربه الشعرية، ففتح أمامه أبواب الأوساط الأدبية ، واستقر في العاصمة حتى وفاته .

لُقّب في طفولته بـ " كوكو ذو العين الجميلة " بعد إصابة جفنه الأيسر ، ممّا سبّب له آلاماً ومعاناة أجبرت أهله على نقله إلى مدرسة أخرى تحت إدارة الرهبان، والتي أمضى فيها ستة أعوام. بدأ موريالك إنتاجه الأدبي شِعْراً ورواية ، فصدرت أولى رواياته " الطفل المُكبّل بالقيود " (١٩١٣) ، بعد سنة واحدة من صدور مجموعته الشعرية الأولى " وداعاً للمراهقة " .

التحقّ بالجيش في الحرب العالمية الأولى ، وانقطع عن الكتابة عدة سنوات ، ليعود بعد ذلك ويُصدر كثيراً من الأعمال التي جعلت منه واحداً من أكثر الروائيين رواجاً في فترة ما بين الحربين . غلب على أعماله في تلك الفترة هاجس الإيمان والخوف من الخطيئة ، أمّا موضوعاتها فكانت تدور غالباً حول قضايا مثل التّدينّ والغيرة والضياح والبحث عن الوجود الإلهيّ .

انتُخب عضواً في المجمع العلمي الفرنسي عام ١٩٣٣ ، وكان هذا دافعاً له للجرأة في الكتابة الأدبية ، حيث تجلّت في التّخلي عن العوالم الضيّقة ذات الشخصيات النمطية والقليلة، والانفتاح على النمط الدارج في الكتابة الروائية آنذاك ، والقائم على تعدد الشخصيات وتعقيدها . ورغم هذا التّغير في التقنيات ، إلا أن أفكاره لم تتغيّر ، وبقيت الموضوعات متمركزة حول القضايا الدينية كالفضيلة والخطيئة .

وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية ، التحقّ موريالك بفصائل المقاومة ضمن مجموعة الكاثوليكيين الأحرار .

وأصدرَ سرّاً عام ١٩٤٣ مجموعة من المقالات التحليلية السياسية في " الدفتر الأسود " ، وقد وقّعه بالاسم المستعار (فوريز) .

وعلى الرغم من تحوّل طبيعة كتابته ، بقيت تُهيمن على موريالك هواجسه الدينية الموروثة من الطفولة التي تدور حول فكرة حتمية انتصار الفضيلة على الخطيئة ، وحول أهمية الإيمان .

دافع عن القيم الروحية والدينية، وملاً كتاباته بمواقف إنسانية وأخلاقية، وصلت حدّ وقوفه ضد احتلال بلاده للجزائر والمغرب ، واتّخذ مواقف مساندة للمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي ، وأيّ استعمار استخدم العنف في السيطرة على الشعوب .

تركزت رواياته على فئات الطبقة الوسطى في مسقط رأسه بوردو . عكس تناوله لموضوعي الخطيئة والحب في رواياته معتقداته ، بوصفه مسيحيًا من طائفة الرومان الكاثوليك . كما تكشف رواياته عن أسرار الوجود الإنساني، وطبيعة القضاء والقدر والخطيئة الإنسانية ، وعن إيمانه بأن الله عادل غفور . وتتميز رواياته بلغتها الجميلة ذات البعد النفسي.

كتب موريك روائع القصص في عصره ، وألّف مسرحيات قدّمت الأصالة والواقعية في أعمال درامية راسخة . كما كان صحفيًا متميزًا، حيث أمضى حياته ملتزمًا بقضايا عصره ، وناضل سياسيًا ، ونطق بالحق دفاعًا عن الشعوب المغلوبة. نظّم العديد من الأبيات، وكتب قصائد أثيرت بها الساحة الثقافية، وألّف الكثير من المؤلفات ليصبح مؤلّف القرن العشرين كما نعتته الكثيرون .

حصل موريك عام ١٩٥٢ على جائزة نوبل للآداب . وبتحقيقه هذا الإنجاز ، خرج من نطاق بلاده إلى المستوى العالمي . وقد أوضح تقرير لجنة الجائزة أن موريك لم يكن روائيًا كاثوليكيًا ، أي مُتديّنًا، وإنما كاثوليكيًا يكتب الرواية .

بعد فوزه بجائزة نوبل ، تخلى عن الكتابة الأدبية ، ليتحول إلى كاتب صحفي واسع الشعبية . وفي عام ١٩٦٢ أصدر كتاب " ما أؤمن به " الذي ضمّنه عرضًا لمُجمل أفكاره في الفلسفة والسياسة والأخلاق . وقد أطلق عليه لقب " الكاتب الأخلاقي " . وكان الهدف من إطلاق هذا اللقب ، توضيح دور هذا المؤلف في ترسيخ الأهداف الأخلاقية التي تتجلى في " مُناجاة الله والاعتراف بعظمته والتدليل عليها، ليس من منطلق ديني تعليمي فحسب ، ولكن من منظور الكون والحياة كذلك ، ومن مُعجزات لا يُقدّر أن يفعلها إلا الله " .

تُوفّي موريك في ١ سبتمبر/ أيلول عام ١٩٧٠ ، بعد أن ترك بصمةً مؤثّرةً في تاريخ الأدب ، بإنجازاته والتزاماته ، فقد ساند المظلوم ووقف إلى جانبه . وكما قال يَوْمًا : ((ربّما كنت الشخص الوحيد الذي يستطيع اليوم أن يقول ما يعتقد أنه الحق غير آبه بأية أوامر أو تعليمات)) ، مُعترفًا بذلك بحق كل إنسان في التعبير بحرية عن وجوده من منطلق روحي وأخلاقي .

من أبرز رواياته: لحم ودم (١٩٢٠) . قبلة للمجدوم (١٩٢٢) . صحراء الحب (١٩٢٥) . وكر الأفاعي (١٩٣٢) .

فرانسيس بيكون وانحطاط الفلسفة

وُلِدَ الفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) في لندن . كان والده حامل أختام الملكة ، وخاله لورد بُرلي الوزير الأول في بلاط الملكة إليزابيث . دَرَسَ الحقوقَ في جامعة كامبردج ، وانتُخِبَ عام ١٥٨٤ لمجلس العموم . وعُيِّنَ عام ١٥٩٨ مُستشارًا للملكة . وصارَ في عام ١٦٠٧ مُحامياً عاماً ثم نائباً عاماً . ثُمَّ حَمَلَ كوالده لقب " حامل أختام الملك " عام ١٦١٧ . وبما أنه لم يكن له وَرَثَةٌ ، فقد انقرضت ألقابه وامتيازاته بوفاته . سَقَطَ بيكون فجأةً مِن قِمة مجده ، حين اتُّهِمَ بالرشوة عام ١٦٢١ ، وسُجِنَ لذلك مُدَّة وجيزة ، وجُرِّدَ مِن وظائفه العامة ، ومُنِعَ مِن دخول لندن والبلاط ، فقضى بقية عُمره في العمل الفلسفي والأدبي حتى وفاته في لندن . عُرِفَ بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على " الملاحظة والتجريب " . وهو مِن الرُّواد الذين انتبهوا إلى غياب جدوى المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس . كان بيكون مُلتزماً بتعاليم الكنيسة الأنكليكانية ، كما كان مُناصرًا للملك و" حقه الإلهي " ضد البرلمان ، وحاربَ أَقربَ أصدقائه ومُعارضيه والمحسنين إليه خلال كَوْنِهِ مُحامياً ونائباً عاماً . وفي الوقت ذاته ، كانت مؤلفاته نتاج رُوح حُرَّة وفكر وقاد . وكان منهجه هو الفصل بين المعرفة والإيمان الديني ، والفصل بين الكنيسة والدولة ، ممَّا يُوحِي إلى بعض التناقض الكامن في نفسه .

لَمْ يَكُنْ بيكون أبرز سياسيِّ عصره فَحَسَبَ ، بل كان أيضًا أبرز مُفكرِّه وكُتَّابه . فقد كَتَبَ في الفلسفة والأدب والعلوم . وكانت في ذهنه أفكار لإصلاح المعرفة الإنسانية ، وتطويرها تطويرًا جذريًا . وعُنوان أحد مؤلفاته : " التجديد العظيم " (١٦٢٣) ، الذي كان ترجمةً لاتينية عن الإنجليزية لعمله الكبير " تقدُّم المعرفة " (١٦٠٥) . وفي هذا دلالة إلى المخطَّط الكبير الذي كان يُساوره ، ويتعرَّض فيه إلى دور الميتافيزيقا (وراء الطبيعة) في منهجية البحث العلمي . وقد طوَّر هذه الأفكار في كتابه " الأداة الجديدة " (١٦٢٠) ، الذي أظهر فيه تمرُّدًا على الفكر وفلسفة أرسطو ، وطريقة الاستقراء في البحث العلمي . ممَّا سَيَظْهَرُ أثره لاحقًا لدى المفكرين الإنجليز . وبسبب انغماسه في الحياة السياسية ، وحياة البلاط ودسائسها ، ظلَّ بيكون بعيدًا عن التطور العلمي المعاصر ، وحدَّدَ في كتابه " أتلانتس الجديدة " (١٦٢٥) معالم المدينة الفاضلة ، وروح التنوير الفكري الإنساني التي يجب أن تسود ، ممَّا مهَّدَ لقيام الجمعية الملكية في لندن .

كتب بيكون أيضًا في التاريخ الإنجليزي: "مقالات أو منشورات مدنية وأخلاقية" (١٥٩٧) ، وكتب " تاريخ هنري السابع (١٦٢٢). وكتب كذلك قصصًا طريفة بعنوان " أمثال حديثة وقديمة " (١٦٢٤) . يتميز أسلوب بيكون بِقَصَرِ العبارة ، وكثافة الفكرة ، وجزالة اللفظ ، مما يجعل كتابته مُفَعِّمة بالحكمة والتبصُّر . وكان يستخدم صُورًا شِعْرية ليس للزينة فقط ، بل أيضًا لتعزيز فكرة يَطرَحها، أو لإضفاء حيوية على اللهجة الخِطابية ، حتى إن العديد من عباراته صارت حِكمًا وأقوالًا ماثورة. كان بيكون رائد الفلسفة والأدب والمنهج العلمي في إنجلترا ، ومن أعلام النشر الإنجليزي. وفي الوقت ذاته لم يتخلَّ عن اللاتينية التي كان يَعتبرها الوعاء الحافظ لكل ذي قيمة. يُعتَبَر بيكون هو حلقة الاتصال بين الماضي والحاضر ، لأنه يرى أن الفلسفة قد أصابها الجمود، واعتراها الخمود، في حين أن الفنون الآلية كانت تنمو وتتكاثر وتزداد قوة ونشاطًا على مَر الزمن. وأدرك أن انحطاط الفلسفة يرجع إلى عدَّة عوامل ، من أبرزها : ١ _ النهضة الأوروبية خَلَقَتْ رُوحًا أدبية جعلت الناس يهتمون بالأساليب والكلمات ويُهْمِلون المعاني . ٢ _ اختلاط الدِّين بالفلسفة، واعتماد الناس في أحكامهم على الأدلة العقلية وأخذهم بأقوال السابقين دون نظر في صحتها من عَدَمه. ٣ _ انحراف رجال الفلسفة، إذ إنهم ساهموا في انحطاط الفلسفة ، حيث خرجوا بها عن موضوعها ، واعتمدوا فيها على الثروة الكاذبة . ٤ _ تعصُّب الناس وتمسُّكهم بالعادات القديمة والعقائد الموروثة . ٥ _ عدم التثبت في دراسة الأمثلة والطفرة في الوصول إلى نتائج . وقد أدرك بيكون أن العيب الأساسي في طريقة التفكير لدى فلاسفة اليونان والعصور الوسطى هو الاعتقاد بأن العقل النظري وَحْدَهُ كفيل بالوصول إلى العلم، ورأى أن الداء كله يكمن في طرق الاستنتاج القديم التي لا يمكن أن تؤدي إلى حقائق جديدة، فالنتيجة مُتضمنة في المقدمات. لذلك ، ثارَ بيكون ضد تراث أفلاطون وأرسطو بأسره ، وظهر له بأن الفلسفة المدرسية شيء مَلِيء بالثرثرة، غير واقعي ومُمل للغاية، كما أنها لم تُؤدِّ إلى نتائج، وليس هناك أمل في تقدم العلوم خطوة واحدة إلا باستخدام طريقة جديدة تؤدي إلى الكشف عن الجديد ، وتُساعد على الابتكار لِمَا فيه خير الإنسانية. وقد حَمَلَ الفلسفة التقليدية وزرَ الجمود العلمي والقحط العقلي ، واستغربَ عجزها عن الإسهام الفاعل في رفاهية الإنسان وتقدمه وسعادته . وقد اعتقد بيكون أنه وجد الطريقة الصحيحة في الصيغة الجديدة التي وضعها للاستقراء، ويقصد به منهج استخراج القاعدة العامة (النظرية العلمية) أو القانون العلمي من مُفردات الوقائع ، استنادًا إلى الملاحظة والتجربة .

فرانسييس فوكوياما ونهاية التاريخ

وُلد المفكر الأمريكي فرانسييس فوكوياما (١٩٥٢ _...) في حي هايد بارك بمدينة شيكاغو، لأسرة من أصول يابانية ، ونشأ في بيئة محافظة .

هرب جد فوكوياما من الحرب الروسية اليابانية عام ١٩٠٥ إلى الولايات المتحدة ، وافتتح متجرًا في لوس أنجلوس بكاليفورنيا قبل أن يشمله الاعتقال الإداري الذي استهدف الأمريكيين اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية اشتباهاً في ولائهم لليابان التي كانت آنذاك محاربة لأمريكا. أمّا والده فلم يطله الاعتقال لأنه حصل على بعثة دراسية في جامعة نبراسكا .

حصل والده على الدكتوراة في علم الاجتماع من جامعة شيكاغو ، حيث قام بتدريس الدراسات الدينية، أمّا والدته فوُلدت في كيوتو باليابان، وهي ابنة مؤسس قسم الاقتصاد في جامعة كيوتو ، وأول رئيس لجامعة مدينة أوساكا . قَدِمَت أمُّه إلى الولايات المتحدة وتعرّفت على والده خلال الدراسة الجامعية ، وانتقلت العائلة لاحقًا إلى مانهاتن بمدينة نيويورك ، حيث عاش فرانسييس فوكوياما سنواته الأولى قبل الانتقال إلى بنسلفانيا عام ١٩٦٧ .

ساعدت فوكوياما طبيعة عمل والده في التعرف على النخبة الفكرية في عصره، وتحديد مساره الأكاديمي ، فتخرج من قسم الدراسات الكلاسيكية في جامعة كورنيل، حيث درس الفلسفة السياسية على يد ألن بلووم . وحصل على الدكتوراة من جامعة هارفارد، حيث تخصصَ في العلوم السياسية، وكان موضوع رسالته التي نال بها درجة الدكتوراة عن السياسة الخارجية السوفييتية .

عمل فوكوياما أستاذًا للاقتصاد السياسي، ومديرًا لبرنامج التنمية الدولية بجامعة جونز هوبكنز الأمريكية. وقد اشتغل سابقًا في كلية السياسة العامة بجامعة جورج ماسون . نال عضوية جهاز التخطيط السياسي لوزارة الخارجية الأمريكية بوصفه عضوًا نظاميًا متخصصًا في شؤون الشرق الأوسط، وعضوية البعثة الأمريكية للمحادثات الإسرائيلية المصرية حول الحكم الذاتي الفلسطيني خلال الفترة (١٩٨١ _ ١٩٨٢). انتمى فوكوياما إلى معسكر المحافظين الجدد في أوج قوتهم، فكان أحد مُوقَّعي رسالة مُوجَّهة للرئيس الأمريكي الأسبق جورج دبليو بوش عقب أحداث ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١، تطالبه بإسقاط نظام الرئيس العراقي الراحل صدام حسين .

جمع فوكوياما في مسيرته العلمية والعملية بين التنظير السياسي والتدريس الأكاديمي والجانب العملي ، فشغل وظائف عديدة أكسبته الكثير من الخبرة والثقافة ، وكان مُهتَمًّا بالبحث العملي،

ودراسة التطور الاقتصادي في المجتمعات البشرية ، وعمل لمدة طويلة مستشارًا للبنك الدولي في نيويورك ، والعديد من المؤسسات والأجهزة الأخرى . في عام ١٩٨٩ ، نشر فوكوياما في دورية " ناشونال إنترست " مقالةً حفرت حروفها في تاريخ النظريات السياسية الحديثة . وتحت عنوان " نهاية التاريخ " كتب يقول : ((إن تاريخ الاضطهاد والنظم الشمولية قد ولى وانتهى بغير رجعة مع انتهاء الحرب الباردة وهدم سور برلين، لتحل محله الليبرالية وقيم الديمقراطية الغربية)) .

ما أجمَلَه فوكوياما في مقاله،فصله في كتاب أصدره عام ١٩٩٢ بعنوان "نهاية التاريخ والإنسان الأخير " ، حيث أضاف وشرح نظريته المثيرة للجدل في كتابه الذي اكتسب شهرةً عالمية واسعة، وبلغ عدد طبعاته أكثر من عشرين طبعة مختلفة ، وكان في قائمة أكثر الكتب مبيعًا .

انطلق فوكوياما في كتابه الذائع الصيت من حيث انتهى ماركس وهيجل ، اللذين صوّرا التاريخ على أنه معركة جدلية بين النماذج والأطروحات الأيديولوجية المتناقضة . وخلص في كتابه إلى أن التاريخ يوشك أن يصل إلى نهايته بانتهاء الاتحاد السوفييتي ، وتفكك المعسكر الشيوعي ، واندثار حلف وارسو . وراح يُشَرِّ بميلاد عصر جديد يحصل فيه توافق عالمي واسع حول المثل الديمقراطية . ومنذ عام ٢٠٠٤ ، انقلب فوكوياما على مواقفه السابقة، وأصبح من منتقدي الغزو الأمريكي للعراق، ووجّه انتقادات لاذعة للمحافظين الجدد ، وأعلن تنصُّله التام منهم .

وفي عام ٢٠٠٦ ، أصدر فوكوياما كتابًا آخر بعنوان " أمريكا على مفترق طرق: الديمقراطية، السُّلطة ، وميراث المحافظين ". شَدَّد فيه على أن الديمقراطية هي مُحَصِّلَة مسار طويل في أبعاده التاريخية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، ولا يمكن حَسَب نظره بالتالي تبسيط مسألة الانتقال الديمقراطي في دول العالم غير الغربي . وحدَّد فوكوياما ثلاثة مرتكزات اعتبرها أساسية لأي نظام ديمقراطي، وهي وجود دولة قوية تتمتع بالهبة اللازمة، وتكريس سُلطة وسيادة القانون، إضافة إلى مسؤولية الدولة أمام محكوميه . وقال : ((إذا أردنا أن نفهم كيفية نشأة هذه المرتكزات الثلاثة، فإننا قد نفهم ما يفصل بين الصومال والدنمارك)) .

انتقد فوكوياما في كتابه بشدة تنامي نفوذ جماعات المصالح (اللوبيات)، الأمر الذي حوّل حسب رأيه الدولة الفدرالية الأمريكية إلى دولة بلا عضلات في مواجهة الأمراض التي تتخبط فيها. من أبرز مؤلفاته : نهاية النظام (١٩٩٧) . رأس المال الاجتماعي والمجتمع المدني (٢٠٠٠). الثورة المعلوماتية والحيوية (٢٠٠٠). بناء الدولة (٢٠٠٤) . أصول النظام السياسي (٢٠١١).

فرانشيسكو بتراركا ودراسته الكلاسيكيات

وُلد الشاعر الإيطالي فرانشيسكو بتراركا أو بترارك (١٣٠٤ _ ١٣٧٤) في أريتسو . قضى طفولته في أماكن متعددة بسبب نفي والده . درس في كاريينترا بتوجيه الأديب داباتو ، وهو صديق والده .

درس بتراركا في كلية الحقوق في بولونيا ، لكنه قطع دراسته بعد وفاة والده عام ١٣٢٦ ، وترك الكلية نهائياً ، وقرّر أن يُكرّس نفسه لدراسة الكلاسيكيات التي كان دائم الشغف بها . ولكي يُكرّس وقته كاملاً لهذه الدراسة ، كان يجب عليه أن يجد مصدراً للدخل يسمح له بالحصول على مكسب مريح ، فانضمّ عام ١٣٣٠ إلى رئيس أساقفة كنيسة لومبيز ، وقد سمح انضمامه ووجوده بين الشخصيات ذات القوة والتأثير في البلاد الرومانية بالحصول على الثقة التي كان مُحتاجاً إليها لبدأ دراسته. وأيضاً، سمح له بتوسيع معرفته الثقافية والسياسية الأوروبية . وعلى الرغم من مكانة بتراركا الاجتماعية وشأنه الديني ، إلا أنه كان له أطفال من نساء غير معروفات . وهذه نقطة سوداء في تاريخه الشخصي ، وجلبت له الكثير من النقد .

أقام بتراركا (١٣٥٠ _ ١٣٥١) بشكل دائم في بادوفا . وقد عكف على إنجاز مشروعاته الأدبية ، مثل " رسائل حميمية " ، والأعمال الروحية التي بدأ بتراركا في كتابتها قبل عام ١٣٤٨ . من أبرز أعماله : " أفريقيا " . تمّ تأليفها في الفترة (١٣٣٩ _ ١٣٤٢) ، ثم بعد ذلك تمّ تعديلها وتنقيحها . إن " أفريقيا " قصيدة ملحمية تتناول الحرب البونيقية الثانية ، التي قادها سكيبيو الأفريقي بوجه خاص . لم يكتمل هذا العمل . حيث إنه يتكون من تسعة كتب . وكان من المفترض أنه كان سيتكوّن من اثني عشر كتاباً وفقاً لنموذج الإنياذة لفرجيل .

ومن أبرز كتبه " مشاهير الرجال " ، حيث يتكون من ست وثلاثين سيرة ذاتية لمشاهير الرجال مكتوبة في نشر لاتيني ، وتمّ تحرير هذا العمل انطلاقاً من عام ١٣٣٨ . وتمّ إهداء هذا العمل إلى فرانشيسكو الأول سيّد بادوفا في عام ١٣٥٨ . وكان القصد الأولي للكاتب أن يتناول العمل حياة شخصيات روما التاريخية ، بدءاً من رومولوس وصولاً إلى تيتوس ، لكنه توقف عند نيرون . ثمّ أضاف بتراركا بعد ذلك شخصيات من كل العصور ، بدءاً من آدم _ عليه الصلاة والسلام _ إلى هرقل . لم يكتمل العمل ، وواصله صديق وتلميذ بتراركا من بادوفا ، لومباردو ديلا سينا ، ووصل إلى حياة تراجان .

ومن كُتبه المهمة " أشياء لا تُنسى " . يحتوي هذا الكتاب على مجموعة من الأمثلة التاريخية والقصصية النثرية المكتوبة باللاتينية بقصد التربية الأخلاقية . بدأ في كتابة هذه الأمثلة تقريباً في عام ١٣٤٣ في بروفس .

يُعتبر "سري الخاص" واحداً من أشهر أعمال بتراركا، وتمّ تأليفه في الفترة (١٣٤٧ - ١٣٥٣) . ورغم ذلك ، أُعيد فيه النظر فيما بعد . نُظّم الكتاب في ثلاثة كتب ، في صورة حوار خيالي بين الكاتب نفسه و (سانت أوغسطين) ، وذلك في حضور سيدة صامته ، والتي تُمثّل الحقيقة . يُعدّ هذا العمل شكلاً من أشكال الفحص للضمير البشري ، الذي تتواجه فيه موضوعات الشاعر الحميمية . وطوال الأحداث لا يبدو أن بتراركا نادم على خطاياهِ . وفي نهاية الفحص لم يتحسن ولم يشعر بالذنب ، وبالتالي ظهر شكل أرق الرّوح الذي كان يُميّز حياة بتراركا .

أمّا عمله " حياة الوحدة " ، فهو عمل ذو طابع ديني وأخلاقي ، تَمّت صياغته في عام ١٣٤٦ . مجّد الكاتب الوحدة في هذا العمل . وكانت الوحدة هي إحدى الموضوعات المحبّبة في العصور الوسطى ، لكن التأمل لم يكن من وجهة نظر دينية صارمة ، لأن صرامة الحياة الرهبانية تتعارض مع عُزلة المفكر الدؤوب الذي يُكرّس نفسه للقراءة والكتابة في أماكن منعزلة وهادئة . وتُعدّ عزلة الباحث في إطار الطبيعة التي تُعزّز تركيزه، هي الشكل الوحيد للوحدة التي نجح بتراركا في تحقيقها .

ومن أعماله " سَكينة رجال الدين " . كُتب العمل في الفترة (١٣٤٧ - ١٣٥٦) . ويُعدّ العمل تمجيداً للحياة الرهبانية، وتمّ إهداؤه إلى الأخ جيرارد . ويُمجّد هذا العمل أيضاً الوحدة ، خاصةً المقرونة بقواعد الرّهبة ، والتي تمّ وصفها بأنها أفضل حالة في الحياة على الإطلاق .

ومن أعماله أيضاً " مزامير الاعتراف " . وقد كُتب هذا العمل عام ١٣٤٧ . وهو مجموعة لسبع صلوات ، تستند إلى النموذج الأسلوبي واللغوي لمزامير داود في التوراة . وفي هذا العمل يطلب بتراركا العفو والصفح عن خطاياهِ ، ويطمح إلى مغفرة من الرحمة الإلهية .

فرجيل وملحمة الإنياذة

وُلِدَ الشاعر الروماني بوبليوس فرجيليوس مارو، أو فرجيل (٧٠ ق.م _ ١٩ ق.م) بالقرب من مانتوفا بإيطاليا .

كان والد فرجيل كاتب محكمة ، فادَّخَرَ مِنْ راتبه ما يكفي لشراء ضَيْعة وتربية النحل فيها، وقضى الشاعر طفولته في هذه البيئة الهادئة . لذلك ظَلَّت الأشجار الظليلة والمياه الغزيرة عالقَة بخياله بعد أن شَبَّ وترعرع، ولم يكن يحس بالسعادة الحقة إلا بين تلك الحقول والمجاري المائية. ولَمَّا بلغ الثانية عشرة مِنْ عُمُرِهِ، أُرْسِلَ إلى المدرسة في كرمونا . ثُمَّ أُرْسِلَ في الرابعة عشرة إلى ميلان. وفي السادسة عشرة إلى روما ، حيث درس البلاغة ، وما يَتَّصِلُ بها من الموضوعات. تُعْتَبَر قصيدته الشعرية " الإنياذة " أشهر أعماله على الإطلاق ، وهي ملحمة مِنْ الشَّعر الحماسي باللاتينية.وقد نُشِرت بعد وفاته بسنتين، واعتُبرَت الملحمة الوطنية للإمبراطورية الرومانية. كَتَبَ فرجيل الإنياذة في القرن الأول قبل الميلاد (٢٩ ق.م _ ١٩ ق.م) . وتروي القصة الأسطورية للبطل إنياس ، الطروادي الذي سافر إلى إيطاليا ، حيث أصبح أصلَ الرومان. أول ستة مِنْ كتب الإنياذة الاثني عشر ، تحكي قصة ترحال إنياس من طروادة إلى إيطاليا ، والنصف الثاني من القصيدة مُخصَّص لحرب الطرواديين المظفَّرة على اللاتين ، الذي تحت اسمهم سينضوي إنياس وأتباعه الطرواديُّون لاحقًا .

شمل مشروع الملحمة أيضًا وصف أخلاق الرومان ، والسَّعي لبثَّ حُب الفضائل القديمة في قلوب الرومان ، وتصوير البطل في صورة الإنسان الذي يُعظَّم الآلهة، ويخضع لها ، ويدعو إلى الإصلاحات والمبادئ الأخلاقية .

كان فرجيل يكتب هذه الملحمة على مهل ، مُخْلِصًا في عمله . حيث يُنمِّلِي بضعة أسطر في صدر النهار ، ثُمَّ يُعيد كتابتها . ولم تتم الملحمة ، ولم تُرَاجَع المراجعة الأخيرة . تُؤفِّي فرجيل قبل إكماله للقصيدة ، والتي كانت بحجم اثني عشر كتابًا . وبالرغم مِنْ اعتبارها كاملة، تحتوي القصيدة على الكثير من الجمل غير المكتملة . أشهر ترجمة للقصيدة كانت بواسطة جون درايدن ، وهو شاعر إنجليزي عاش في القرن السابع عشر . وتُقَارَن الإنياذة كثيرًا بإلياذة وأوديسة هوميروس . لم تَتَضَح حياة فرجيل بشكل كبير ، ولكنه كان مشهورًا ، ولديه أصدقاء كثيرون مِنْ بينهم الإمبراطور أغسطس .

بحلول عام ٣٧ ق . م ، كان اسم فرجيل على كل لسان في روما . فقد نشر مختارات شعرية قبل ذلك الوقت ، وتَقَبَّلَهَا أهل روما بقبول حسن ، وكانت إحدى الممثلات قد أنشدت أبياتها على المسرح ، وصَفَّقَ لها الحضور تصفيقًا حارًّا مليئًا بالحماسة والإعجاب .

وموضوع القصائد هو وصف الرّعي على نمط قصائد ثيوقريطس . ونجد فيها أحيانًا ألفاظها نفسها ، وهي جميلة الأسلوب والتوقيع ، وأنغامها أجمل الأنغام السُّدَّاسِيَّة الأوزان ، التي استمعت لها روما في تاريخها كله ، وهي مليئة بالحنان التأملي ، والحب التَّخيلي . وذلك أن الشاب وإن قضى شطرًا كبيرًا من حياته في العاصمة ، قد انفصل عنها زمنيًا يكفي لأن يجعله يُمجِّد حياة الريف ، ويعتبرها المثل الأعلى للحياة الحقَّة . وكان من أثر شعره أن أصبح كل إنسان يَسُرُّه أن يتخيَّل نفسه راعيًا يسير مع قطعانه على السُّفوح صاعدًا أو نازلًا ، ويُحطِّم قلبه بالحب وصَد الحبيب .

مَجَّد فرجيل في شعره المناظر الريفية ، كما مَجَّد مناظر الرّعي ، واتَّخذها هي الأخرى مَثَلًا أعلى للحياة ، ولكنه هنا لم يكن مُقلِّدًا ، فقد استمع من قبل إلى أغاني الخطاب الشهوانية ، وشهد بعينيه النحل القلق يحوم حول الأزهار، وعرف يأس المزارعين الذي خسروا أراضيهم في تلك الأيام.

عندما كان فرجيل في الثالثة والثلاثين من عُمره ، كان يبدو وقتئذ رجلًا ريفيًّا سمجًا ، شديد الحياء إلى حد يجعله يتلعثم إذا تكلَّم . يتجنَّب الظهور في أي مكان عام يمكن أن يعرفه الناس فيه ويُشيروا إليه . لا يُطيق مجتمعات روما الراقية الحديثة المليئة بالعبث والثرثرة والمظاهر الخادعة . وفوق هذا ، فقد كان فرجيل مُعتل الجسم ، يشكو شكوى مستمرة من الصداع وأمراض الحلق، واضطرابات المعدة والبصاق الدموي الكثير . ولم يتزوَّج فرجيل قط .

فرجينيا وولف ورسالة الانتحار

وُلدت الروائية الإنجليزية فرجينيا وولف (١٨٨٢ _ ١٩٤١) في لندن ، باسم " أدلين فرجينيا ستيفن " .

كان والدها ليزلي ستيفن مُؤرِّخًا مرموقًا، وكاتبًا، وناقدًا ، ومتسلق جبال. وكان المحرِّر المؤسِّس لمعجم السير الوطنية، وهو عمل تأثرت به لاحقًا وولف في سيرتها الذاتية التجريبية. تعلمت وولف على يَدَي والدَيْها في بيت مثقف ومتربط . كان كِلا الوالدين قد تزوَّج وترمَّل مُسبقًا، وبالتالي كان البيت يجمع أطفالاً من الرِّباجات الثلاث . تزوَّجت وولف في عام ١٩١٢ من ليونارد وولف ، الناقد والكاتب الاقتصادي .

تُعَدُّ من كُتَّاب القصة المؤثِّرين. كانت روايتها الأولى ذات طابع تقليدي " الليل والنهار " (١٩١٩) . واتَّخذت فيما بعد المنهج المعروف بمجرى الوعي أو تيار الشعور ، كما في "غرفة يعقوب" (١٩٢٢) ، و " السيدة دالواي " (١٩٢٥) ، و " إلى المنارة " (١٩٢٧) ، و " الأمواج " (١٩٣١) . ولها روايات أخرى ذات طابع تعبيرى، منها رواية " أورلاندو " (١٩٢٨) .

اشتغلت بالنقد، ومن كتبها النقدية " القارئ العادي " (١٩٢٥) ، و " موت الفراشة ومقالات أخرى " (١٩٤٣) . وكتبت القصة القصيرة ، وظهرت لها مجموعة قصصية بعنوان " الاثنين أو الثلاثاء " (١٩٢١) . وقد انتحرت غرقًا مخافة أن يصيبها انهيار عقلي .

بعد أن أنهت روايتها " بين الأعمال " التي نُشرت بعد وفاتها ، أُصيبت وولف بحالة اكتئاب حادة، وزادت حالتها سوءًا بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وتدمير منزلها في لندن، والاستقبال البارد الذي حَظِيَتْ به السيرة الذاتية التي كتبتها لصديقها الراحل (روجر فراي) ، حتى أصبحت عاجزة عن الكتابة .

تُعتَبَر وولف سَيِّدة الرواية الإنجليزية الحديثة ، ومن أهم الرموز الحداثية في أدب القرن العشرين . وقد صدرت كتب كثيرة عن حياتها وكتاباتاتها . ولا أحد يُقارَن بها من حيث إسهامها في تطوير الرواية والنقد الإنجليزيين .

وجدت ضالتها مُنذ عام ١٩٢٢ ، في تيار الوعي الذي جَرَّبته في روايتها " غرفة يعقوب " . واستبدلت بالسردية التقليدية التدفق العفوي للأفكار في وصف الحياة الداخلية لشخصياتها . وقد تميزت أغلب كتاباتها بصفة رُؤيوية تكاد تصدم القارئ .

تنجلى قوة وولف الأدبية في ثراء لغتها وشاعريتها، فرواياتها خالية تقريباً من الأحداث، ومن الحكمة التقليدية، لكنها تعتمد على تداعيات شخوص الرواية وذاكرتهم. فعلى سبيل المثال، تقوم رواية "السيدة دالواي" على استرسال السيدة دالواي في أفكارها بينما هي تُحضّر لحفلة عشاء في منزلها. أمّا "إلى المنارة" فتقوم الرواية كلها على قيام أفراد عائلة بنزهة عادية، و استرسال كل فرد منهم في أفكاره الخاصة أثناء ذلك. وفي إحدى رواياتها، تستخدم لغتها لتتقمص مشاعر كلب منزلي تجاه أصحابه، وشعوره بالود أو الكره أو الغيرة تجاه أفراد العائلة التي يمتلكه. في ٢٨ مارس ١٩٤١، ارتدت وولف معطفها، وملأته بالحجارة وأغرقت نفسها في نهر (أوس) القريب من منزلها. ووُجدت جثتها في ١٨ أبريل ١٩٤١. ودُفن زوجها رُفاتها تحت علم في حديقة مونكس هاوس.

في رسالة انتحارها كتبت لزوجها: ((عزيزي، أنا على يقين بأنني سأجن، ولا أظن بأننا قادران على الخوض في تلك الأوقات الرهيبة مرة أخرى، كما ولا أظن بأنني سأعافي هذه المرة، لقد بدأت أسمع أصواتاً، وفقدت قدرتي على التركيز. لذا، سأفعل ما أراه مناسباً. لقد أشعرتني بسعادة عظيمة، ولا أظن أن أي أحد قد شعر بسعادة غامرة، كما شعرنا نحن الاثنين سوياً إلى أن حل بي هذا المرض الفظيع. لستُ قادرة على المقاومة بعد الآن، وأعلم أنني أفسد حياتك، وبدوني ستحظى بحياة أفضل. أنا متأكدة من ذلك، أترى؟، لا أستطيع حتى أن أكتب هذه الرسالة بشكل جيد، لا أستطيع أن أقرأ. جُل ما أريد قوله هو أنني أدين لك بسعادتي. لقد كنتُ جيّداً لي وصبوراً عليّ. والجميع يعلم ذلك. لو كان بإمكان أحد ما أن يُنقذني فسيكون ذلك أنت. فقدت كل شيء عدا يقيني بأنك شخص جيّد. لا أستطيع المضي في تخريب حياتك، ولا أظن أن أحداً شعر بالسعادة كما شعرنا بها)) _ انتهت الرسالة _.

هذه الرسالة المؤلمة والمؤثرة ينبغي تحليلها بشكل تفصيلي ودقيق، والوقوف على ألفاظها ومعانيها والأفكار الكامنة بين السطور:

[١] ((عزيزي، أنا على يقين بأنني سأجن)) : إن الكاتبة تحمل مشاعر الحب والاحترام تجاه زوجها، وتُدرّك تماماً أنه الشخص المخلص لها، والقادر على تفهّم معاناتها. إنها مُتأكّدة أن الجنون مصيرها، وأنها تفقد قواها العقلية شيئاً فشيئاً، وهذا يدل على حجم الاضطراب في داخلها، والانهايار الشامل في أعصابها، وكأنها تسير إلى الجنون برجلَيْها، دُون وجود أي أمل. إنه ذهاب بلا عودة.

[٢] ((ولا أظن بأننا قادران على الخوض في تلك الأوقات الرهيبة مرة أخرى)) : لا تستطيع الكاتبة العودة إلى الماضي ، وعقارب الساعة لا تعود إلى الوراء . لقد تعذبت كثيرًا في السابق ، وتعذب زوجها معها . وقد فقدت القدرة تمامًا على تكرار التجربة السابقة ، لأنها في حالة انهيار كامل ، ولا تريد تكرار العذابات السابقة.

[٣] ((كما ولا أظن بأنني سأتعافى هذه المرة)): من الواضح أن هذه المرة مختلفة عن المرة السابقة. فالكاتبة غير مُقتنعة بإمكانية شفائها ، ولا تظن أنها ستتعافى من مرضها الذي يُهيمن على عقلها وبدنها .

[٤] ((لقد بدأتُ أسمع أصواتًا، وفقدتُ قدرتي على التركيز)) : إنها تغرق في الوسواس والهواجس والهلاوس. هناك أصوات تتردد في داخلها ، وتسمعها بوضوح . وهذه الأصوات الداخلية تُهيمن على عقلها ، وتمنعه من التفكير ، لذلك فقدت قدرتها على التركيز ، لأن الجبهة الداخلية مُنهارَة ، ومعنوياتها مُحطمة ، وإرادتها مكسورة ، وبالتالي ، لا تستطيع أن تواجه الحياة (الجبهة الخارجية) ، ولا تقدر على التعامل مع الناس .

[٥] ((لذا ، سأفعل ما أراه مناسبًا)) : بعد انهيارها الشامل ، وانكسارها الكامل ، اتخذت قرارها الشخصي عن قناعة ، وبدون ضغوطات. لقد فقدت الأمل، وخسرت معركتها مع الحياة ، لذلك ، ستفعل ما تراه مُناسبًا لحياتها ، وهو وضع حد لحياتها ، والإقدام على الانتحار . وهذا هو الحل الوحيد _ وَفْق تفكير الكاتبة _ .

[٦] ((لقد أشعرتني بسعادة عظيمة)) : لا تريد الكاتبة أن تكون وحيدة . إنها تُخاطب زوجها ، وتعترف بأهميته في حياتها ، وتُقدّر دوره الكبير في إسعادها ، وجعل حياتها مُفعمَة بالجمال والفرح والتفاؤل ، وهذه المشاعر الجيّاشة لا تُنسى ، وهي مزروعة في ذهن الكاتبة ، وتُمثّل مصدرًا للطاقة الإيجابية في حياتها .

[٧] ((ولا أظن أن أي أحد قد شعر بسعادة غامرة ، كما شعرنا نحن الاثنين سويّة إلى أن حل بي هذا المرض الفظيع)) : إنها تعود بالذاكرة إلى الوراء ، إلى السعادة والهناء والحب والتوافق بينها وبين زوجها . كانا أسعد زوجين _ وَفْق تقييمها لحياتها الزوجية _ ، وقاما ببناء آمال عريضة على المستقبل الذي كان يبدو مُشرقًا وسعيديًا ، إلى أن هاجمها هذا المرض المرعب فجأةً ، ودُمّر كيانهَا ، وأحَالَ حياتها إلى جحيم لا يُطاق . لقد نسف هذا المرض القاسي كل مشاعر السعادة ، وحطّم كُلّ الآمال بلا رحمة . وهكذا ، انتهى معنى حياتها الزوجية .

[٨] ((لستُ قادرة على المقاومة بعد الآن)) : هذا هو إعلان الاستسلام ، والتسليم بالأمر الواقع . لقد رفعت الراية البيضاء أمام المرض الفظيع ، ولم تعد قادرة على مُقاومته . لقد خسرت إرادتها وقدرتها أمام هذه المشكلة الرهيبة .

[٩] ((وأعلم أنني أفسد حياتك)) : تتعذّب الكاتبة بسبب زوجها ، وتُحمّل نفسها المسؤولية ، وتعتبر نفسها السبب في إفساد حياة زوجها . ووفق هذه الرؤية ، فإن زوجها ضحية لها . وهي تُريد أن تُريحه منها ، كي يشعر بالسعادة والهناء . تُريد أن تُضخّي بنفسها من أجله . تعتبر وجودها حجر عثرة في طريق زوجها ، لذلك قرّرت أن تريح نفسها من طريقه ، وترك له الحياة كي يستمتع بها . ما ذنبه كي تنهار حياته بسبب زوجته ؟ .

[١٠] ((وبدوني ستحظى بحياة أفضل . أنا متأكدة من ذلك)) : هذه قمة التضحية _ وفق منظور الكاتبة _ ، عليها أن تُنهي حياتها كي يحظى زوجها بحياة أفضل ، وهي متأكدة من ذلك . إنها تحب زوجها وتحترمه ، ولا تُريد أن يدفع ثمن بقائه معها . تُريد أن تدفع الثمن وخدّها ، وأن تُضخّي بحياتها من أجل راحة زوجها .

[١١] ((أترى ؟ ، لا أستطيع حتى أن أكتب هذه الرسالة بشكل جيّد ، لا أستطيع أن أقرأ)) : إن عجز الكاتبة عن الكتابة بشكل جيّد هو انتحار معنوي لها ، وبقي عليها أن تُحوّله إلى انتحار حقيقي على أرض الواقع . إنها عاجزة عن الكتابة والقراءة ، وهي الكاتبة العالمية الشهيرة . هذا يعني أنها دخلت في نفق مُظلم ، ولا يوجد ضوء في آخره ، وبما أنها فقدت القدرة على الكتابة والقراءة ، فلا معنى لحياتها ، ولا جدوى من بقائها ، لأنها كانت تستمد شرعية وجودها من الكتابة والقراءة . والآن ، سقطت هذه الشرعية إلى الأبد .

[١٢] ((جُل ما أريد قوله هو أنني أدين لك بسعادتي)) : تتمسّك بزوجها حتى آخر لحظة ، وتعترف بأنه سبب سعادتها في الحياة ، وأنها مدينة له بالمشاعر الجيّاشة ، والأحاسيس الجميلة . تُريده أن يعرف _ قبل رحيلها النهائي _ أنها تعترف بفضله ودوره المركزي في حياتها ، وهي تُقدّر مكانته في حياته ، ولا تُنكر تضحياته من أجلها ، وهي الآن تُريد وضع حد لهذه التضحيات ، كي تتعذّب وخدّها ، وتتركه للسعادة والهناء في الطريق الذي سيمشيهِ وخدّه بدونها .

[١٣] ((لقد كُنْتُ جيّدًا لي وصَبُورًا عليّ . والجميع يعلم ذلك)) . تُعدّد صفاته الرائعة وأخلاقه الحميدة . كان جيّدًا بالنسبة إليها ، وساعدها في حياتها ، ولم يُسبّب لها أيّة مشكلة . كان رفيقًا لها في السراء والضراء ، قاسمها لحظات السعادة ، ومدّ لها يد العون في فترات التّعاسة ، وما

أكثرها !. وكان صبوراً عليها ، ولم يُضايقها . تَحَمَّل جميع مشكلاتها الذهنية بصدر رحب ، ولم يُشعرها بنقصها ولا مرضها . ووقف إلى جانبها كي تقف على رجليها بقوة وثبات ، وتحرّر من كل مشكلاتها وأزماتها ووساوسها ، وهذا هو معنى الرجولة الحقيقي .

[١٤] ((لو كان بإمكان أحد ما أن يُنقذني فسيكون ذلك أنت)) : لقد أنقذها زوجها من أزماتها السابقة ، وساندها في أصعب الظروف ، ولكن الأمور وصلت إلى نقطة اللاعودة ، ولو كان هناك مُنقذ ومُخلص فسيكون زوجها ، ولكن القضية حُسِمَت ، وانتهى الموضوع . وهي الآن تمشي وحيدة إلى الموت بلا مُنقذ ولا طوق نجاة .

[١٥] ((فقدتُ كل شيء عدا يقيني بأنك شخص جيّد)) : زوجها هو الاستثناء . فقدت ثقتها بكل العناصر من حولها ، وخسرت كُل شيء . والشيء الوحيدُ الثابت في قلبها ووجدانها هو اليقين التام بأن زوجها شخص جيّد ، عاملها بحب واحترام وتقدير ، وهي لَن تنسى له هذا المعروف في طريقها إلى الانتحار .

[١٦] ((لا أستطيع المضيّ في تخريب حياتك)) : تُحاول الكاتبة إيجاد مُبرّر لتصميمها على الانتحار . إنها تعتبر نفسها عقبة في طريق زوجها ، ونقطة سوداء في صفحته ، فقد دُمّرت حياته ، وزرعت الخراب في تفاصيل وجوده ، وعليها أن تُكفّر عن هذه الخطيئة بالتخلص من نفسها ، كي تصبح حياة زوجها بلا مشكلات .

[١٧] ((ولا أظن أن أحداً شعر بالسعادة كما شعرنا بها)) : هذه العبارة هي السطر الأخير في الرسالة التي أقرب ما تكون إلى وصية قبل الموت ، أو استعادة للذكريات قبل الوداع . إنها تُلخّص حياتها مع زوجها بأنها قمة السعادة ، التي لا تظن أن أحداً وصل إليها . ومشاعرُ السعادة كانت تملأ حياتهما . أمّا الآن ، فقد انتهى كُل شيء ، ويجب وضع نقطة في نهاية السطر . إن الكاتبة قرّرت الانتحار ، وهذا القرار لا رجعة فيه ، وها هي تكتب النهاية بملء إرادتها ، ودون ضغط من أحد . ولكل بداية نهاية . وهذه هي النهاية المأساوية .

فردريك ميسترال وإحياء اللغة

وُلد الأديب الفرنسي فردريك ميسترال (١٨٣٠ _ ١٩١٤) في مدينة مايان البروفانسية لعائلة ثرية، وأبوين يرجع أصولهما إلى طبقة النبلاء، وتُوُفِّيَ في مسقط رأسه. تزوّج لكنه لم يُرزَق بأولاد. لا يُمكن حصر ميسترال في دائرة الشعر والمسرح ، لأنه كان منخرطاً بشكل كامل في الحراك الاجتماعي، وعضواً فاعلاً في الحركة الثقافية ، وهذا الأمر جعل منه مفكراً عضوياً مرتبطاً بقضايا مجتمعه ، لا ينفصل عنها ، ولا يتهرَّب من الاستحقاقات الاجتماعية . لذلك ليس غريباً أن يقود عملية إحياء اللغة الأوكسيتانية (لغة أهل بروفانس في القرن التاسع عشر) . وهو أيضاً كان شخصية مهمة في حركة فليبيريج التي هدفت إلى إحياء ثقافة بروفانس .

التحق بالمدرسة عند بلوغه سن التاسعة. درس الحقوق في إيكس (عاصمة بروفانس القديمة) خلال الفترة (١٨٤٨ _ ١٨٥١) . ثم انطلق يُطالب باستقلال مقاطعة بروفانس مدافعاً عن لغتها ، ووصفاً إيّاها بأنها " اللغة الأدبية الأولى لأوروبا المتحضرة " . وقد اعتمد _ لتغذية النزعة الاستقلالية _ على إعادة إحياء اللغة المحلية ، واستخدام الشعر لإشعال الروح القومية .

وعندما كان يتابع تحصيله العلمي في الحقوق ، درس تاريخ المقاطعة ، التي كانت فيما مضى دولة مستقلة . وبتشجيع من والده اتخذ قراراً حاسماً بإحياء شعور الانتماء الوطني ، الذي عبّر عنه بمفهوم العِرْق ، والذي عرّفه ميسترال بأنه ذاك الذي يتجلى عند شعب مرتبط برابط اللغة ، ومتجذر في وطن وتاريخ . والجدير بالذكر أنه لم يعمل في مجال الحقوق ، بل كرّس حياته لكتابة الشعر . لقد منح الشعرَ حياته بأكملها ، فأعطاه الشعرُ المجد الأدبي والشهرة الواسعة ، وصارَ أهم شعراء بروفانس .

ارتبط ميسترال بالشاعر جوزيف روماني، وعملاً معاً من أجل إحياء اللغة البروفانسية. وبدعم الشاعر الفرنسي ألفونس دو لامارتين ومساندته، أسّسا حركة الشعر العامي ، التي سمحت بتنشيط اللغة الأوكسيتانية . كتب ميسترال العديد من الأعمال الأدبية بلغة بروفانس ، مثل : قصيدة الحصاد (١٨٥٩) التي تمّ إعدادها لتكون أوبرا، كما نشر عدّة مجموعات شعرية، وقاموساً لغوياً، بالإضافة إلى ترجمة سفر التكوين ، وهو أحد أسفار التوراة .

وأعظم أعماله الأدبية (ميرايو)، وهي ملحمة شعبية بلغة بروفانس ، نشرها في عام ١٨٥٩ ، وتعتبر من روائع الأدب العالمي . وقد استغرقت كتابتها ثمانية أعوام من العمل المتواصل ، واعتمد

فيها طريقة مُبسّطة لضبط الإملاء ، بُغية تسهيل إعادة إحياء اللغة البروفانسية . وقد عُرفت هذه الطريقة الإملائية في الكتابة بالميسترالية نسبةً إليه، وهي تختلف اختلافاً جذرياً عن الطريقة التقليدية في الكتابة الموروثة عن شعراء التروبادور . (تروبادور هو شاعر أو موسيقي عاش في القرون الوسطى، وكان يُؤدّي أدواراً ، أو يُخصّص شخصاً لتأدية هذه الأدوار ، مُنشِداً أشعار ألفها عند الملوك والسلاطين في الجنوب الشرقي لفرنسا وسرقسطة في مملكة أراغون وضواحيها بالخصوص . أصل هذا النوع الموسيقي هو أندلسي، اسم الكلمة مُشتق من طرب وكلمة دور . وكانوا يعزفون الموسيقى متنقلين بين القصور ، يعني كانوا يدورون من قصر إلى آخر) .

وتحكي (ميراو) قصة حب جمعت الشاب فانسان بالجميلة البروفانسية ميري . واستطاع ميسترال عبر هذا العمل طرح لغته ، كما أنه جعل القارئ يُشاركه في مخزونه الثقافي عن تلك المنطقة من فرنسا .

وفي عام ١٨٦١ ، حازَ على جائزة الأكاديمية الفرنسية . وفي عام ١٨٦٧ نشر قصيدة كالدو، كما أصدرَ كتاب بعنوان " جزيرة الذهب " ، ضمَّ عددًا من القصص والقصائد . استطاع ميسترال بأعماله الأدبية ، إعادة مكانة اللغة البروفانسية ، فقد رفعها إلى قمة الشعر الغنائي . كما كتب مذكراته ، وألّف القصة والمسرحية ، وانهلك في وضع معجم لهذه اللغة العزيزة على قلبه .

حظيت أعماله بأعلى درجات التقدير ، ونالت أرفع الجوائز . وفي عام ١٩٠٤ حصل على جائزة نوبل للآداب بالاشتراك مع جوزيه إيشيغاري . وقد علّلت اللجنة ذلك " بسبب عفويته المنعشة ، قريظه الرائع والفني الذي يعكس بأمانة تامة المناظر والحياة القروية في موطنه ، وأيضاً بسبب نشاطه كباحث للغة بروفانس " .

وقد خصّصَ قيمةَ الجائزة المالية لإنشاء متحف أرلتان في مدينة آرل جنوبي فرنسا ، حيث أُقيم له تمثال تقديرًا لجهوده ، وتخليداً لذكراه .

فرديناند دي سوسير وتأسيس علم اللغة الحديث

وُلد العالم اللغوي فرديناند دي سوسير (١٨٥٧ _ ١٩١٣) في جنيف ، وهو سليل أسرة ذات إنجاز رصين في مجال العلوم الطبيعية ، لكن بيكتيت (عالم اللغة وصديق الأسرة) وجَّهه ، وهو في سن مبكرة ، إلى الدراسة اللسانية ، فتعلَّم دي سوسير الألمانية والإنجليزية واللاتينية ، بالإضافة إلى الفرنسية . وعندما بلغ سن الخامسة عشرة ، أضاف إليهم معرفته باليونانية .

في عام ١٨٧٥ ، التحق دي سوسير بجامعة جنيف كي يدرس الطبيعة والكيمياء ، كما هو التقليد المتبع في عائلته . وبعد قضاء سنة في هذه الدراسة ، تيقَّن أن مجاله العملي الصحيح هو دراسة اللغة ، وليس شيئاً آخر ، ومن ثَمَّ أقنع والديه أن يُرسله إلى جامعة لايبزغ . وقد كانت هذه الجامعة مقرّاً لحركة عُرفت باسم " مدرسة فقهاء اللغة الجدد " . وهي حركة ذات نزعة تاريخية مقارنة ، استفاد منها دي سوسير كثيراً في أفكاره وآرائه . وقد قضى دي سوسير في لايبزغ أربع سنوات إلا ثمانية عشر شهراً قضاها في برلين . نشر فيها عام ١٨٧٨ مُذكرةً من أربع مقالات عن " النظام البدائي لحروف اللين في اللغات الأوروبية والهندية " . يصل حجمها إلى ٣٠٠ صفحة .

في عام ١٨٨٠ ، أعدَّ دي سوسير أطروحته من أجل الحصول على درجة الدكتوراة ، وكانت بعنوان " استخدام حالة الإضافة في اللغة السنسكريتية " . وقد حصل عليها بامتياز . ثمَّ رحل في العام نفسه إلى باريس ، وحقَّق هناك نجاحاً ملحوظاً ، حيث قام بتدريس كُل من اللغة السنسكريتية والقوطية ، والألمانية الراقية القديمة ، وغيرها من اللغات أيضاً في " المدرسة العملية للدراسات العليا " . بالإضافة إلى نشاطه في " جمعية باريس اللغوية " . ممَّا كان له إسهامه في إنشاء جيل جديد من علماء اللسان الفرنسيين لم يكن موجوداً قبل مجيئه . وفي عام ١٨٩١ عادَ إلى سويسرا ، ومُنح في جامعة جنيف كرسي الأستاذية للغة السنسكريتية والنحو المقارن ، وتزوَّج وأنجب ولدين ، ونادراً ما خرج للسفر ، وتناقصت كتابته تدريجياً ، وبدأ أنه يعيش حالة من العزلة المريحة . لكن في عام ١٩٠٦ ، إثر تقاعد زميله جوزيف وريشيمر ، وافقَ دي سوسير على أن يخلفه في كرسي " الألسنية العامة " . ومن ثَمَّ ألقى ثلاث مجموعات من المحاضرات ، كان تاريخها على النحو التالي : (١٩٠٦ _ ١٩٠٧) و (١٩٠٩ _ ١٩١٠) و (١٩١٠ _ ١٩١١) . ولم يجمع دي سوسير هذه المحاضرات في كتاب ، ولم ينشرها هو ، خاصة مع مرضه في صيف عام ١٩١٢ ، ثمَّ وفاته في الثاني والعشرين من فبراير عام ١٩١٣ .

لم يقم دي سوسير بتأليف أي كتاب ضمّنه نظريته في اللسانيات، فقرّر طلابه بعد وفاته تجميع المحاضرات التي ألقاها في جامعة جنيف في الفترة (١٩٠٧ - ١٩١٠)، ونشروها بعنوان "محاضرات في اللسانيات العامة" (١٩١٦). وهذا الكتاب هو الوحيد الذي خلّد ذكره، حيث يحتوي على محاضرات في النقد، بالإضافة لعلم اللغة التاريخي المقارن. ويُعتبر هذا الكتاب أشهر آثار دي سوسير، وقد نُقل إلى اللغة العربية بترجمات متعددة ومُتبينة. والجدير بالذكر أن مذكرات الطلبة نفسها لم تكن مُتاحة للقراء حتى عام ١٩٦٧.

إن القضية الجوهرية التي استرعت انتباه دي سوسير، والتي اهتم بها منذ كتاباته الأولى، هي قضية العلمية والرغبة في الانضباط والمنهجية، والوصول إلى نتائج دقيقة مستقرة في مجال الدراسات اللغوية. لذلك ظلّ دي سوسير لفترة طويلة مُشتغلاً قبل كل شيء بالتصنيف المنطقي للحقائق اللغوية، وتصنيف وجهات النظر التي تعالج هذه الحقائق، وهو يرى في وجهات النظر هذه نقصاً شديداً لا يتناسب وما يتّسم به الموضوع اللغوي من تنوّع وتباين.

وهناك رأي مُفاده أن دي سوسير بكل ما توصّل إليه من أفكار في محاضراته، لم يكن على قناعة بأنه نجح تماماً في حل المشكلات الجوهرية التي تعترض سبيل البحث في الدراسات اللغوية، وإلا كان قد أُلّف في ذلك كتاباً ينشره هو بنفسه. وهذا يدل على ضرورة النظر إلى أفكار دي سوسير في محاضراته، باعتبارها مُجرّد إيماءات لما يُريده هو حقاً في مجال "الألسنية"، وليس كل ما يجب أن يكون فيها.

يُعتبر دي سوسير بمثابة الأب للمدرسة البنيوية في علم اللسانيات. فيما عدّه كثير من الباحثين مؤسس علم اللغة الحديث، ومن أشهر علماء اللغة في العصر الحديث.

اتّجه بتفكيره نحو دراسة اللغات دراسةً وصفية، باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية، وكانت اللغات تُدرس دراسةً تاريخية، وكان السبب في هذا التحول الخطير في دراسة اللغة، هو اكتشاف اللغة السنسكريتية.

كان دي سوسير مُساهمًا كبيرًا في تطوير العديد من نواحي اللسانيات في القرن العشرين. وكان أول من اعتبر اللسانيات كفرع من علم أشمل يدرس الإشارات الصوتية. اقترح دي سوسير تسميته "السيمولوجيا". ويُعرّف حاليًا بالسيميوتيك أو علم الإشارات.

فرناندو بيسوا والأسماء المستعارة

وُلد الشاعر البرتغالي فرناندو بيسوا (١٨٨٨ _ ١٩٣٥) في لشبونة . وتُؤفّي فيها بسبب مرض تَلْئِف الكبد بسبب إدمان الكحول .
يُوصَف بأنه واحد من أهم الشخصيات الأدبية في القرن العشرين ، وواحد من أعظم شعراء اللغة البرتغالية ، كما أنه تَرَجَم من اللغة الإنجليزية والفرنسية .
تُؤفّي والده في عام ١٨٩٣ ، وكان بيسوا حينها في الخامسة من عمره . تزوّجت والدته مرة ثانية وانتقلت مع عائلتها إلى جنوب أفريقيا ، حيث ارتاد بيسوا مدرسة إنجليزية .
وحين كان في الثالثة عشرة من عُمره عاد إلى البرتغال لمدة عام ، ثم عاد بشكل دائم في عام ١٩٠٥ .

تلقى الشاب بيسوا تعليمه المبكر في مدرسة القديس يُوسُف ، وهي مدرسة كاثوليكية تُدار من قِبَل الرهبان الأيرلنديين والفرنسيين . انتقل إلى مدرسة ديربان الثانوية في أبريل عام ١٨٩٩ ، وأصبح يتحدث الإنجليزية بطلاقة ، ويكنُ للأدب الإنجليزي الاحترام والتقدير .
خلال امتحان القَبُول ، الذي عُقد في ذلك الوقت من قِبَل جامعة رأس الرجاء الصالح (جامعة كيب تاون لاحقًا) في نوفمبر ١٩٠٣ ، حصل على جائزة الملكة فكتوريا التذكارية .
درس في جامعة لشبونة لفترة قصيرة ، وبدأ بنشر أعماله النقدية والنثرية والشعرية بعد فترة وجيزة من عمله كمترجم إعلاني .
في عام ١٩١٤ ، وجد بيسوا أبداله الرئيسية الثلاثة (أسماء المستعارة) ، وهو العام الذي نشر فيه أول قصيدة له .

بعد وفاة بيسوا عُثر على حقيبة تحوي على أكثر من ٢٥ ألف مخطوطة عن موضوعات مختلفة منها الشعر، الفلسفة، النقد، وبعض الترجمات والمسرحيات، كما أنها تحتوي على خرائط لأبداله، وهي اليوم محفوظة في مكتبة لشبونة الوطنية ضمن ما يعرف بأرشيف بيسوا .
اشتهر بيسوا بأبداله الأدبية ، والتي يصل عددها إلى ٨٠ شخص تقريبًا . هؤلاء الأبدال شخصيات قام بيسوا باختراعها ومنحها أسماء ، وميّز آراء كل منها السياسية والفلسفية والدينية .
وقد قام كل من هؤلاء الأبدال بالكتابة أو الترجمة أو النقد الأدبي . أشهر أبداله: ألبرتو كاييرو، ريكاردو ريبس، ألفارو دي كامبوس .

في عام ١٩١٢ ، دخل بيسوا العالم الأدبي بمقال نقدي ، نُشر في إحدى المجلات الثقافية . وفي عام ١٩١٥ ، أنشأت مجموعة من الفنانين والشعراء _ ومنهم بيسوا _ المجلة الأدبية " أورفيو " ، التي أدخلت الأدب الحديث إلى البرتغال .

في سنواته الأولى ، تأثر بيسوا بالشعراء الكلاسيكيين الإنجليز الكبار مثل : شكسبير ، وميلتون ، كما تأثر برموز الشعر الفرنسي مثل : بودلير ومالارمي . وفي وقت لاحق ، تأثر أيضًا بالحدثيين ، مثل : بيتس ، وجيمس جويس ، وتي . إس . إليوت .

خلال الحرب العالمية الأولى ، كتب بيسوا إلى عدد من الناشرين البريطانيين ، من أجل طباعة إحدى المجموعات الشعرية الإنجليزية (لم تُنشر في حياته) ، لكن طلبه رُفض .

وفي عام ١٩١٨ ، نشر بيسوا في لشبونة مجلدين صغيرين من الشعر الإنجليزي ، وقد استقبلته الصحافة الأدبية البريطانية دون حماسة . وبعدها قام بيسوا مع بعض أصدقائه بتأسيس دار نشر .

من الناحية السياسية ، وُصف بيسوا نفسه بأنه " مُتحفّظ على النمط البريطاني ، أي ليبرالي في داخل المحافظين ، ومُناهض للرجعية تمامًا " ، وأنه ملتزم ارتباطًا وثيقًا بالفردانية في تربيته . ووصف علامته القومية بأنها " صوفية ، عالمية ، ليبرالية ، ومُناهضة للكاتوليكية " . وصنّف نفسه ضد الشيوعية والاشتراكية والفاشية والكاتوليكية .

كتب بيسوا كُتبيًا صغيرًا في عام ١٩٢٨ داعمًا للدكتاتورية العسكرية ، ولكن بعد تأسيس الدولة الجديدة في عام ١٩٣٣ ، أصبح بيسوا مُستاءً من النظام، وكتب بشكل حاسم ضد سالازار (دكتاتور البرتغال) خاصةً ، والفاشية بشكل عام .

وفي بداية عام ١٩٣٥ ، تمّ حظر بيسوا من قبل نظام سالازار ، بعد أن كتب دفاعًا عن الماسونية .

من أبرز أعماله : كتاب اللاطمأنينة . أناشيد ريكاردو ريبس . لستُ ذا شأن . الباب وقصص أخرى . قصائد ألفاردو دي كامبوس . راعي القطيع والقصائد الأخرى .

فرنر فون هايدنستام وفرح الحياة

وُلد الشاعر السويدي فرنر فون هايدنستام (١٨٥٩ _ ١٩٤٠) في منطقة أولشمار المحلية في بلدية أسكيرسند ، مقاطعة أوريبرو بالسويد ، لعائلة من النبلاء .
يُعتبر من أعمدة الأدب السويدي . التحق بالأكاديمية السويدية عام ١٩١٢ ، وحصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩١٦ .
تمتلى قصائده بالبني الشعورية الإنسانية ، وبرز فيها المسار النثري مع الفرح العظيم بالحياة وللحياة . وهذه القصائد مُشربة في بعض الأحيان بحب تاريخ السويد وتعظيمه، وممزوجة بالذكريات الآتية من المناظر الطبيعية ، ومُعتمدة على الجوانب المادية للطبيعة .
كانت القصيدة في حياة هايدنستام عالمًا من الأحاسيس والمشاعر المرتبطة بالواقع المعاش ، وهذا الواقع يتحول إلى شعور غامض لذيد ، له انعكاسات على طبيعة الوجود الإنساني بِرُمته .
وتقديمُ النثر في الإطار الشعري دليلٌ على التمازج المعرفي ، واختلاط الأنماط الإبداعية في بؤفة واحدة ، وهذا يُساعد على تحقيق الهدف الفكري المرسوم في ذهن الشاعر .
كما أن قيمة الفرح المنتشرة في أعمال الشاعر ، هي تعظيم للحياة بكل أحلامها وآمالها وذكرياتها . وهذا الفرح ليس ساذجًا أو تفاؤلاً أعمى ، بل هو احتفال بالحياة باعتباره القيمة الوجودية الكبرى ، والفرصة الوحيدة الممنوحة للإنسان كي يَني الحضارة ، ويصنع التاريخ .
درس هايدنستام تاريخ اللوحات الفنية في أكاديمية ستوكهولم، ولكنه سرعان ما غادر بسبب سوء حالته الصحية . ثم سافر إلى أوروبا وأفريقيا والشرق . نشر مجموعته الشعرية الأولى " الحج " في عام ١٨٨٨ . وهي عبارة عن مجموعة من القصائد مستوحاة من تجاربه في الشرق ، ورحلاته المتعددة ، وجولاته في الأمكنة والأزمنة المختلفة . وهذه التجربة الشعرية تُمثّل تحليًا عن المذهب الطبيعي الذي كان مُهيمنًا على الأدب السويدي .
يُظهر حُب هايدنستام للجمال في قصيدته الطويلة " هانز " من مجموعة (قصائد / ١٨٩٥) .
وفي عام ١٨٩٧ قدّم سلسلة من الصور التاريخية للملك تشارلز الثاني عشر مُحاطًا بالفرسان المخلصين له ، وهذا العمل يُظهر عاطفة قومية قوية ، كما أنه يربط بين التاريخ الوطني وتاريخ الملوك ، وكأن التاريخين شيء واحد ، لا ينفصلان . وهذا يُشير إلى الفكر القومي العميق الذي يعتنقه الشاعر .

وفي عام ١٩٠٥ ، قدّم قصة ملحمة عن زعماء السويد في العصور الوسطى . وفي هذا دلالة واضحة على أهمية فكرة القائد الرمز في قيادة الجماهير والبلاد إلى التقدم والازدهار .

وفي عام ١٩١٠ احتدمَ الجدل في الصحافة السويدية بين عدد من الأدباء السويديين بسبب موضوع تدهور البروليتاريا في الأدب . وانقسم الأدباء السويديون إلى معسكرين متضادين ، وقد ساهم هايدنستام في هذه المعركة الأدبية ، فألّف كُتَيْبًا يشرح وجهة نظره في موضوع انحطاط وسقوط فلسفة البروليتاريا في الأدب .

جمع هايدنستام إنتاجه الفلسفي ، ونشره في عام ١٩١٥ . وهو يشتمل على موضوعات فلسفية تتمحور حول البنية الطبقية البشرية، والرُّقْيَ الإنساني، وماهية العزلة، وطبيعة العلاقات الاجتماعية .

من أبرز أعماله : صُور من السَّفر (١٨٨٨) ، تشارلز (١٨٩٧) ، الملك ونشطاء حزبه (١٩٠٢) ، الغابة (١٩٠٤) .

فريدريش شيلر وروح التاريخ

وُلد الشاعر والكاتب المسرحي الألماني فريدريش شيلر (١٧٥٩ - ١٨٠٥) في مارباخ الواقعة على نهر النيكار في جنوب ألمانيا ، وتُوفِّي في مدينة فايمار . يُعتَبَر هُوَ وغوته المؤسَّسَين للحركة الكلاسيكية في الأدب الألماني . كان شيلر الولدَ الوحيد لأبيه الذي كان طبيباً في الجيش وأُمّه التي كانت مُتدبِّنة ، فزرعت في نفس ابنها حُب الدين والأخلاق والمُثل العليا . وكان لديه خمس أخوات . التحقَ شيلر في طفولته وصباه بمدرسة القرية في لورش ، ثم بالمدرسة اللاتينية في لودفيغسبورغ. وبعد أن أنهى دراسته فيهما ، أرادَ دراسةَ علم اللاهوت ، ولكن أمله خاب ، حيث فُرضَ على شيلر الدخول إلى الأكاديمية العسكرية التي أُسِّست لتكون مهمتها تخريج الضباط والجنود والقادة. التحقَ بها شيلر عام ١٧٧٣ ، واختارَ في البداية أن يدرس القانون ، ولكنه تحوَّل في عام ١٧٧٥ إلى دراسة الطب . وقد بدأ يكتب في هذه الفترة محاولات شعرية ومسرحية ، ونشر من هذه المحاولات الأولى في الكتابة قصيدته " المساء " .

بدأ شيلر في عام ١٧٧٧ في كتابة مسرحيته الأولى " اللصوص " ، تحت تأثير أفكار عصر التنوير. وفي هذه المسرحية يتجسّد الرفض المطلق للسلطة المطلقة ، والنزوع نحو الحرية الإنسانية من الاضطهاد والظلم الاجتماعي. وبذلك ، أصبح شيلر من الممثّلين الأساسيين لأفكار حركة العاصفة والاندفاع المُسمّاة " روعي طائفة إلى الحرية " .

كان العرض المسرحي الأول لمسرحية شيلر " اللصوص " في ١٣ يناير ١٧٨٢ في مانهايم ، والذي نجح نجاحاً أسطورياً، جعل من شيلر بين ليلة وضحاها من ألمع الشخصيات الأدبية في ألمانيا. وحين أصدرَ الدُوق كارل أويجين قراراً بمنع كتابات شيلر ، لِمَا فيها من التحريض على الطغيان والاستبداد والدعوة إلى الحرية ، قرّرَ شيلر الهروب مع صديقه صانع آلات الكمان شترايشر إلى مانهايم . وهناك بدأ شيلر كتابة مسرحية جديدة " فيسكو " ، والتي اكتملت ، وعُرضت في عام ١٧٨٤ . وأصابَت شيلر في هذه الفترة أزمة مالية ونفسية ، لكنه نجح في اجتيازها بفضل عمله في صحيفة " تاليا " . وكان وسط الأزمات المادية التي تُلاحقه، يريد أن يستقر مادياً ليتفرغ لأعماله ، فارتحل إلى فايمار ، بعد أن دعاه الدوق إلى المجيء إليها في عام ١٧٨٤ . وفي فايمار ، التقى شيلر بغوته ، الذي ربطت بينهما صداقة عميقة، كانت من أشهر الصداقات في التاريخ الأدبي . تأثر شيلر بأفكار غوته ، كما تأثر غوته بأفكار شيلر. وفي فايمار

وجد شيلر المكان الذي كان يتمناه، فهناك الصداقات الأدبية والأحاديث مع نبلاء الأسرة الملكية. وفي هذه الفترة كتب شيلر واحدة من أروع قصائده، التي لَحَّنَهَا بيتهوفن فيما بعد في سِمفونيته الناقصة "إلى السعادة". وفيها يُمجِّد شيلر الرغبة الإنسانية الجارفة نحو السعادة، رغم الآلام التي تُكبِّل رُوح الإنسان .

وفي تلك الفترة ازداد اهتمام شيلر بالتاريخ، الذي يعتبره المنبع الحقيقي للتجارب الإنسانية . ومن كتابات شيلر التاريخية : " تاريخ سقوط الأراضي الواطنة من الاحتلال الإسباني". وقد أصبح أستاذًا للتاريخ في جامعة بينا عام ١٧٨٧ ، وذلك بتوصية خاصة من غوته . وكانت محاضراته الأولى بعنوان " ما المعنى والهدف من دراسة التاريخ العالمي ؟ " .

اهتمَّ شيلر بالفلسفة ، وتأثر بفلسفة كانت . وله كتابات فلسفية حول الفن والأدب . ومن هذه الكتابات الفلسفية : " عن الشعر الحسَّاس والشَّعر الفطري " . وكتب شيلر المسرحيات التاريخية التي تعكس اهتمامه العميق والمتجذر بالتاريخ . فكتب الثلاثية المسرحية " فالنشتاين " التي تدور حول شخصية فالنشتاين أحد القادة العسكريين. وكتب في سنة ١٨٠٠ مسرحية " ماريا ستيوارت " حول ملكة أسكتلندا ماريا ستيوارت وصراعها مع أختها ملكة إنجلترا إليزابيث .

وكتب في سنة ١٨٠١ مسرحية " عذراء أورليان " حول كفاح جان دارك الفرنسية ، ثُمَّ كانت آخر أعماله " فِلِهلم تل " حول شخصية أحد الثوار في سويسرا .

تنطلق أعمال شيلر بصورة عامة (الشعرية منها والبحثية) من رُوح المرحلة التاريخية ، ومن المسائل الشائكة التي طرحها على الأدب ، كمسألة الصراع الحاد والمتفاقم بين النظام الإقطاعي الأرستقراطي المستبد والنظام البرجوازي المنفتح ، الذي بدأ يُرسِّخ أقدامه على معظم مستويات الحياة ، خصوصًا الاقتصادية والثقافية ، وكمسألة الثورة الفرنسية ونتائجها بالنسبة لألمانيا . كما تنطلق أعماله من فهم تنويري مثالي ومتفائل لوظيفة الأدب ، وتأثيره في حركة المجتمع وبناء الوعي. تتَّسم قصائد شيلر المبكِّرة بزخمها الشعوري حيال قضية الفناء والموت ، لا سِيَّما في مجموعته " قصائد مختارة لعام ١٧٨٢ " . إلا أن قصائده اللاحقة تكتسب بُعدًا فلسفيًا ، بالفتاة إلى العصر الإغريقي مع تصوُّر إنسانية جميلة متجانسة ، كما في ديوانه " آلهة اليونان " (١٧٨٨) . وفي بحوثه الفلسفية الجمالية ، طوَّر شيلر مفهومه عن التربية الجمالية للإنسان عن طريق الشعر الحديث ذي الوظيفة الاستشرافية الإنسانية ، وعن طريق الإمكانات الشعرية التي تنطوي عليها الأجناس الأدبية التراثية .

فريدريش هولدرلين وعالم الجنون

وُلد الشاعر الألماني فريدريش هولدرلين (١٧٧٠ _ ١٨٤٣) في مدينة صغيرة اسمها (لاوفن) تقع على ضفاف نهر النيكار . يُعتبر من أشهر الشعراء في تاريخ الأدب الألماني . كان والده مُعلِّمًا في الدَّير ، وكانت والدته ربَّة بيت متواضعة الثقافة، رأت أن تُلحقه بالمدرسة الكنسية المجانية التي ستُؤهِّله لسلك الكهنوت البروتستانتي .

تلقَّى تعليمًا دينيًّا في مدارس دينية متعددة . وفي عام ١٧٨٨ ، التحق بمعهد مدينة توبنغن الديني لدراسة علم اللاهوت تحقيقًا لرغبة أمِّه المتدينة . وكان يلجأ إلى عالم الآداب هروبا من المحيط العام في المعهد ، الذي كانت تُسوده وتحكمه قواعد صارمة وعادات متشددة . تركت الثورة الفرنسية أثرًا عميقًا في كتاباته ، سواءً الأدبية منها أم الفلسفية التي وضعها بالاشتراك مع زملائه في المعهد مثل : هيغل وشيلنغ .

لم يعمل هولدرلين واعظًا دينيًّا ، وإنما أراد أن يكسب قُوته كمُدَرِّس خصوصي . وفي عام ١٧٩٦ ، عمل في منزل المصرفي ياكوب غونتارد في مدينة فرانكفورت ، حيث وقع في حُب أم تلاميذه زوزيت غونتارد ، والتي جسَّدها في شخصية (ديوتيميا) في روايته (هيريون) فيما بعد ، وكان هذا تيمُّنًا بالكاهنة ديوتيميا ، التي أعلمت سُقراط عن قُدسية الحب في " وليمة " أفلاطون . وقد اضطرَّ هولدرلين إلى مغادرة المنزل بعد افتضاح علاقته مع هذه السيدة (زوجة المصرفي) . أثَّرت الأوضاع السياسية المضطربة في إنتاجه الأدبي بشكل مثير . وفي الفترة (١٧٩٧ _ ١٧٩٩)، ظهر الجزء الأول من روايته " هيريون " . واشتغل على مسرحيته " موت إمبيدوقلس " (١٧٩٨ _ ١٨٠٠) .

أصيب هولدرلين بانهيار عصبي بعد تلَقُّيه خبر وفاة زوزيت غونتارد ، وأُخِضِر إلى إحدى مستشفيات مدينة توبنغن ، حيث تم تشخيص حالته الصحية كمرض عقلي . كان وقع الصدمة على هولدرلين هائلًا، فاهتزَّ كيانه ، وفقد توازنه العقلي ، وتخلَّى عن عمله ، وعادَ مشيًّا على الأقدام من بورودو حتى توبنغن . وعلى الرغم من أزمته النفسية الشديدة، استمر هولدرلين بنظم الشَّعر ، والترجمة من اللغة الإغريقية .

عاش هولدرلين إلى حين وفاته في بيت نجار ، كان قد تكفَّل برعايته ، وخصَّص له مكانًا على نهر النيكار أطلق عليه " صومعة هولدرلين " .

يعود السبب في هذا المصير المأساوي للشاعر الوطني والإنساني هولدرلين إلى بحثه اليائس عن مخرج من النظام الملكي الاستبدادي المهيمن حينذاك ، والضاغط على الإنسان البالغ الحساسية على نَحْو مقلق . وكان هولدرلين يتوق إلى نظام اجتماعي مثالي وجده في العالم الإغريقي القديم .

يُمَجِّد هولدرلين في أشعاره الأولى المسمّاة " أناشيد توبغن " المُثُل الإنسانية الإغريقية ، مثل الجمال والحب والحرية والصداقة . كما رَحَّب في أعماله بالتغيرات السياسية التي شهدتها عصره . وشكَّلت ثنائية (الطبيعة والجمال) جوهر كتاباته الشعرية .

وفي العديد من أناشيده المتحررة من أوزان الشعر الكلاسيكية ، يرتبط عالم تجاربه الفردية مع صورة التاريخ المتحوّل الذي عاصره بشكل وثيق . وكغيره من مثقفي عصره المتأثرين بالمذهب الكلاسيكي ، سعى هولدرلين إلى المُثُل العليا ، أو المثال الأعلى الذي يتجلى حَسَب رأيه في تحقيق الانسجام المنشود بين "الإله" و"الإنسان" و"الطبيعة" على أرض اليونان القديمة .

وتظل رواية "هيريون" غير المُكتملة أبرز تجسيد لأفكار هذا الشاعر الكلاسيكي . والجدير بالذكر أن أعمال هولدرلين لم تلقَ الاهتمام الكافي والاعتراف الكامل ، إلا في القرن العشرين .

كان هولدرلين يحتقر أبناء ثقافته ، غير تجاهله للتيارات الأدبية والفكرية التي أخذت بالازدهار في ألمانيا مع ظهور فلسفة كانت ، حيث فضّل الرجوع إلى الماضي ، والاستفادة من الإرث الفني عند اليونانيين القدامى . وعلى الرغم من أن إنتاج هولدرلين الأدبي لم يكن غزيرًا ، إلا أن صوته الشعري الصافي يُعتَبَر من أسس الشعر الحديث في أوروبا . سعى هولدرلين إلى تجديد مجتمعه ثوريًا . وتجلى ذلك بوضوح في إبداعه الشعري والروائي والمسرحي ، وكذلك في كتاباته النظرية غير المُكتملة . ومع هذا ، فقد أضافت كثيرًا إلى جوهر الفكر الكلاسيكي الألماني ، بتركيزها على مسؤولية الأديب تجاه مجتمعه ، وعلى ضرورة تربية الأجيال الجديدة إنسانيًا ، من أجل تفتُّح الذات الفردية بجميع إمكانياتها الإبداعية والعلمية باتجاه المستقبل المتغيّر .

في مرحلة إبداعه الأخيرة ، اتَّسمت قصائده بالغموض الناتج عن تصوّره لارتباط مصير الفرد المأساوي بانهيار الوطن . وقد عبّرت هذه القصائد عن فلسفة التاريخ عند هولدرلين في صور شعرية جريئة ، في حين تأثرت قصائده اللاحقة بأزمته العقلية ، فلم يفهمها أحد ، لولا بعض الصور الواقعية المحسوسة . ويرى نقّاد الأدب والباحثون في اللغة أن اللغة الألمانية قد بلغت ذروتها في شعر هولدرلين ، وكذلك في نثره الإيقاعي الغنائي الذي يُعبّر عن الحنين والرتاء .

فريدريك إنجلز ومُساهمة ماركس

وُلد الفيلسوف الألماني فريدريك إنجلز (١٨٢٠ _ ١٨٩٥) في مدينة بارمن ، وهي جزء من مدينة فوبرتال حاليًا في ألمانيا ، ونشأ في كنف عائلة ثرية تمتلك مصانع في ألمانيا وإنجلترا . ترك إنجلز المدرسة قبل أن يُتم عامه السابع عشر ، وقبل أن يحصل على شهادة التعليم الثانوي ، لكنه كان شغوفًا بالعلم ، وتمكّن من الاطلاع _ بالموازاة مع عمله في التجارة _ على مؤلفات كبار الفلاسفة والمفكرين الاقتصاديين .

وأثناء وجوده في برلين خلال الفترة (١٨٤١ _ ١٨٤٢) من أجل أداء الخدمة العسكرية ، التحق بالجامعة بصفته طالبًا مُستمعًا ، واهتمَّ بشكل خاص بالفلسفة وعلم اللاهوت .

تعرّف إنجلز على فلسفة هيغل أثناء وجوده في برلين ، وانضم إلى مجموعة الهيجليين الشباب . ثم تأثر بعد ذلك بأعمال الفلاسفة الجدد النقيدين من أمثال : أرنولد روجه ، وفريدريش شتراوس ، ولودفيغ فيورباخ ، وبرونو باور . لكن التأثير الأكبر في تفكير إنجلز كان من نصيب كارل ماركس الذي تعرّف عليه في باريس في طريق عودته إلى ألمانيا عام ١٨٤٤ ، وتوطدت علاقتهما بالنظر إلى نشاطهما ونضالهما المشترك في سبيل نصره العُمال وتحقيق الشيوعية .

انتقل إنجلز بعد أن ترك المدرسة وبلغ عامه الثامن عشر إلى مدينة بريمن ، من أجل العمل في تجارة والده واكتساب الخبرة في مجال التصدير . وبعد عام قضاه في هذا المجال ، اشتغل بكتابة المقالات لفائدة الصحف ، ونشر ما يناهز خمسين مقالة في الفترة (١٨٣٩ _ ١٨٤٢) .

وبعد خروجه من ألمانيا ، أسّس رفقة ماركس لجنة المراسلات الشيوعية في العاصمة البلجيكية بروكسل عام ١٨٤٦ ، وأخذ على عاتقه مسؤولية تنظيم العُمال الألمان انطلاقًا من باريس ، وذهب إلى لندن بهدف الترويج للماركسية أملاً في إقناع المجموعات الشيوعية بتبني أفكارها . شغل إنجلز مقعدًا في المجلس العام للاتحاد الدولي للعُمال عام ١٨٧٠ ، ومنصب مستشار في الحزب الاشتراكي الألماني عام ١٨٧٤ .

عاين إنجلز أوضاع العُمال عن قُرب عندما سافر عام ١٨٤٢ إلى إنجلترا للعمل في مصنع لغزل القطن في مانشستر ، امتلك والده حصة فيه . ونشر مقالة تحمل عنوان "وضعية الطبقة العاملة في إنجلترا"، عبّر فيها عن حجم المأساة الاجتماعية التي تعيشها هذه الطبقة ، وتساءل عمّا إذا كان اندلاع ثورة في إنجلترا أمرًا مُحتملًا .

اعتقد إنجلز أن وقوع الثورة في إنجلترا أمر حتمي ، وأن المصالح هي التي ستجعلها تتحقق لا المبادئ ، وأنها ستكون ثورة اجتماعية لا سياسية .

وكتبَ مقالة نُشرت في فبراير/شباط ١٨٤٤ تحت عنوان "مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي"، تناولَ فيها نظريات الاقتصاد السياسي السائدة في عصره بالنقد، واقترح إلغاء الملكية الخاصة والمنافسة نظرًا لمساوئهما الاجتماعية .

حازت هذه المقالة على إعجاب ماركس الذي كان يُعدها مفخرة لإنجلز، ووصفها بأنها مقالة ممتازة في نقد المقولات الاقتصادية السائدة .

تشارك إنجلز مع ماركس في كتابة بيان الحزب الشيوعي، وقدما مسودته إلى المناقشة في المؤتمر الأول للشيوعيين الذي عُقد في لندن صيف ١٨٤٧ . وطلب المؤتمر منهما اعتماد هذه المسودة من أجل صياغة وثيقة نهائية يلتزم بها جميع الشيوعيين، وهي المعروفة الآن بـ "البيان الشيوعي" (نُشر على شكل كتاب عام ١٨٤٨) .

وتتمثل الفكرة الأساسية لهذا البيان في أن وجود الطبقات في المجتمع هو نتيجة لمراحل تطور الإنتاج، وأن طبقة "البروليتاريا" (العمال) التي تَن تحت مُعانة الاستغلال هي التي يقع على عاتقها مسؤولية النضال من أجل اعتاقها، وهي وحدها تستطيع تحقيق التحول التاريخي إلى مجتمع المساواة الذي تنعدم فيه الطبقات . وعمل إنجلز بعد وفاة ماركس على نشر الجزأين الثاني والثالث من كتاب "رأس المال" . بعد أن أعاد تحرير وتنقيح المخطوطات التي تركها ماركس . وفي ٥ أغسطس ١٨٩٥، تُوفي إنجلز في لندن. وقد كان بعد صديقه كارل ماركس (المُتوفى عام ١٨٨٣) أبرز عالمٍ ومُربٍّ للبروليتاريا المعاصرة في العالم المتمدن بأسره . ومنذ أن جمع المصير ماركس وإنجلز، أصبح عمل حياة الصديقين عملاً مشتركاً . وقد كان ماركس وإنجلز أول من بيّن أن الطبقة العاملة تُؤكّد بالضرورة مع مطالبها من النظام الاقتصادي الحالي الذي مع البرجوازية ، يصنع ويُنظّم البروليتاريا بصورة حتمية. وبيّن أيضاً أنه ليست المحاولات الطيبة التي يقوم بها هؤلاء أو أولئك الأشخاص الكرماء هي التي ستُحرّر الجنس البشري من الكوارث التي تضغط عليه في الوقت الحاضر ، بل النضال الطبقي الذي تخوضه البروليتاريا المنتظمة .

من أبرز مؤلفاته : وضعية الطبقة العاملة في إنجلترا (١٨٤٥) . مبادئ الشيوعية (١٨٤٧) .

حرب الفلاحين في ألمانيا (١٨٥٠) . أصل الأسرة والملكية الخاصة والدولة (١٨٨٤) .

فريدريك جيمسون وتحليل الاتجاهات الثقافية

وُلد الفيلسوف الأمريكي فريدريك جيمسون (١٩٣٤ _ ...) في كليفلاند ، ولاية أوهايو . وهو أيضًا ناقد أدبي أمريكي ومُنظّر سياسي ماركسي . ويُعتَبَر من أفضل المعروفين في مجال تحليل الاتجاهات الثقافية المعاصرة ، فقد قام بوصف ما بعد الحداثة على أنها مكانية الثقافة تحت ضغط الرأسمالية المنظّمة . يعمل حاليًا أستاذًا في برنامج الأدب والدراسات الرومانسية في جامعة ديوك .

إن أفضل كتب جيمسون المعروفة هي : " ما بعد الحداثة: المنطق الثقافي للرأسمالية المتأخرة" ، و " اللاوعي السياسي " ، و " الماركسية والشكل " .

تخرّج جيمسون في جامعة هارفارد عام ١٩٥٤ ، ثم سافر لفترة قصيرة إلى أوروبا ليدرس في فرنسا وميونخ وبرلين . حيث درس هناك التطورات الجديدة في الفلسفة الأوروبية بما فيها بروز البنيوية. ثم عاد إلى الولايات المتحدة في العام التالي للحصول على درجة الدكتوراة من جامعة ييل . كان واضحًا من خلال أطروحة الدكتوراة التي قدّمها جيمسون ، والمنشورة في عام ١٩٦١ بعنوان " سارتر : أصول الأسلوب " أثر أستاذه أورباخ الجلي في فكره، حيث كان أورباخ منغمسًا في العُرف اللغوي الألماني من خلال أعماله حول تاريخ الأسلوب التي حلّلت الشكل الأدبي ضمن التاريخ الاجتماعي ، والتي سيأتي جيمسون فيما بعد ليتابعها من خلال اختبار ترابط الشعر والتاريخ واللغة والفلسفة في أعمال سارتر . ركّزت أعمال جيمسون على العلاقة بين أسلوب كتابة سارتر والمواضيع السياسية والأخلاقية في فلسفته الوجودية . أمّا المظاهر الماركسية العَرَضِيَّة في أعمال سارتر، فقد علّق عليها في نهاية هذا الكتاب (أطروحة الدكتوراة) .

واهتمام جيمسون بسارتر قاده إلى دراسة مُكثِّفة للنظرية الماركسية في الأدب . وقد بقي العمل الأدبي والنقدي للماركسية الغربية غير معروف إلى حد كبير في الأكاديميات الأمريكية في نهاية خمسينيات وبداية ستينيات القرن الماضي. إن انتقال جيمسون نحو الماركسية كان مدفوعًا أيضًا من خلال التواصل السياسي المتزايد مع اليسار المُخَدَّث والحركات السلمية . وكان جيمسون مشغولًا في توضيح الترابط الماركسي فيما يتعلق بالاتجاهات الفلسفية الأدبية .

قام جيمسون بدراسة البديل الأساسي للتحليل الماركسي الذي كان سائدًا في أوروبا، والمتمثل بالنظرية البنيوية في اللغة والأدب .

وبعد الانتقال إلى جامعة كاليفورنيا في عام ١٩٦٧ ، نشر كتابيّه: " الماركسية والشكل: نظريات الأدب الديالكتيكية للقرن العشرين " (١٩٧١) ، و"سجن اللغة:الحساب النقدي للبنوية والشكلانية الروسية " (١٩٧٤). وحاول كلا الكاتبين إبراز الاتجاه الأدبي السائد والحياة الأكاديمية التي فهمها جيمسون على أنها نزعة باتجاه الانعزال عن الواقع .

أتى التاريخ ليلعب دوراً رئيسياً متزايداً في تأويل جيمسون لكل من القراءة (الاستهلاك) والكتابة (الإنتاج) للنصوص الأدبية ، حيث تميّز بتحمسه الشديد للفلسفة الهيغلية الماركسية بنشر كتاب " اللاعقلانية السياسية : سرد بوصفه فعلاً رمزياً اجتماعياً " (١٩٨١) .

إضافةً إلى عمله الفلسفي الصارم، حاول جيمسون من خلال تحليله لِمَا بعد الحادثة أن يُظهرها ذات أرضية تاريخية ، لذا فقد رفض بوضوح أي معارضة أخلاقية لِمَا بعد الحادثة كظاهرة ثقافية، وتابع إصراره على النقد الذاتي الهيغلي .

خلال التسعينيات ، طوّر جيمسون أفكاره من خلال " بذور الوقت " (١٩٩٤) ، وأيضاً من خلال " بريخت والمنهج " (١٩٩٨) الذي كان تحليلاً للبيئة السياسية والاجتماعية المحيطة بحقبة بريخت السياسية .

معظم أعمال جيمسون الحالية مُوزّعة بين " حفريات المستقبل " التي هي دراسة في اليوتوبيا (المدينة الفاضلة) والخيال العملي، صدرت في جامعة موناخ، مالبورن/أستراليا في ديسمبر ٢٠٠٥ ، و " الأوراق الحداثيّة " (٢٠٠٧) ، وهو مجموعة من المقالات التي انتُظرت طويلاً حول الحادثة .

الدراسة الإيطالية الأولى عن أعمال جيمسون كتبها ماركو غاثو ، ونُشرت في عام ٢٠٠٨ ، بعنوان " فريدريك جيمسون . الماركسية المُحدّثة ، الديالكتيك ونظرية الأدب " في ١٦ أيلول ٢٠٠٨ .

أُعْلِن رسمياً عن تسلم جيمسون جائزة هولبرج التذكارية الدولية ٢٠٠٨ ، التي تبلغ قيمتها المادية ٤.٦ مليون كرونة نرويجية (٦٤٨٠٠٠ دولار) ، سلّمها لجيمسون تورا آسلاند وزيرة التربية والبحث النرويجية في بيرجن في ٢٦ تشرين الثاني ٢٠٠٨ .

فريدريك شلايرماخر وفلسفة الهرمنيوطيقا

وُلد الفيلسوف الألماني فريدريك شلايرماخر (١٧٦٨ - ١٨٣٤) من عائلة بروتستانتية . تعلم بالمدرسة الإكليريكية للإخوة المورافيين في باري، وكان شديد الانزعاج من انضباط هذه المدرسة . درس في جامعة هال في الفترة (١٧٨٧ - ١٧٨٩) ، ولم يُخفِ انزعاجه وضيقة من عقلايتها ، وهو ما أدخله في متاهة وحيرة انتهتا به إلى نبذ العقائد الدينية كافة ، واعتبار كل تدخل للعقل في مجال الإيمان نوعاً من الانحراف. ومع ذلك، فقد اجتازَ في عام ١٧٩٠ بـبرلين الامتحان اللاهوتي لختام الدراسة ، ورُسم قسّاً ، ثُمَّ عُيّن واعظاً مساعدًا (١٧٩٤) ، فمرشدًا روحياً (١٧٩٦) في مستشفى المحبة ببرلين .

ذاع صيته نتيجة كتابه " خُطَب في الدين " (١٧٩٩) الذي أثار سجلاً واسعاً، ومُؤاخذات جمة ، تولى شلايرماخر الإجابة عنها في كتابه " مُناجاة النفس " (١٨٠٠) .

قام بالتعاون مع شليغل، بترجمة آثار أفلاطون ، ثُمَّ استكملها بمفرده في الفترة (١٨٠٤ - ١٨١٠) في خمسة مجلدات . وكان لتقديمه لها أثر فلسفي كبير .

كتب في هذه الفترة كتابه " نقد الأخلاق السابقة " (١٨٠٣) . وسُمّي أستاذاً فوق العادة لعلم اللاهوت بجامعة هال ، وأقبل على دروسه جمع غفير ، إلا أن الجامعة اضطرت إلى تعليق دروسه بعد هزيمة إينا ، فعاد إلى برلين ، حيث ساهم في تأسيس الجامعة الجديدة ، وعمل أول مُدرّس لعلم اللاهوت بها عام ١٨١٠ . وانخرط في عملية الإصلاح العقلي والأخلاقي .

انتُخب شلايرماخر عام ١٨١١ عضواً بأكاديمية العلوم البروسية .

عُرف عنه محاولته التوفيق بين الانتقادات الموجهة إلى التنوير، وبين المسيحية البروتستانتية التقليدية . كما أصبح مؤثراً في تطوّر النقد العالي ، ويشكّل عمله جزءاً أساسياً في مجال علم التأويل الحديث . وكان له أثر عميق على الفكر المسيحي في وقت لاحق ، وأيضاً له تأثير واسع في المذهب البروتستانتي . يُعتبر شلايرماخر " أب علم اللاهوت الحديث " ، وزعيماً مُبكرًا للمسيحية الليبرالية ، وحركة الأرثوذكسية الجديدة في القرن العشرين، والتي في العادة يُنظر إليها على أنها بقيادة كارل بارت . اعتبر شلايرماخر " أن أساس الوجود اللامتناهي هو الله، حيث تلتقي عنده جميع المتناقضات " . وعلى عكس هيغل . فهو لا يقبل بأن تكون قوانين الجدل كُلية، " فالجدل لا يُعبر إلا عن وحدة المعرفة " .

يُعتبر شلايرماخر من أبرز العلماء في مجال الهرمينوطيقا (علم التأويل أو التفسيرية) ، وهي مدرسة فلسفية تشير إلى تطوُّر دراسة نظريات التفسير ، وفن دراسة وفهم النصوص في فقه اللغة واللاهوت والنقد الأدبي . ويُستخدَم مصطلح " هرمنوطيقا " في الدراسات الدينية للدلالة على دراسة وتفسير النصوص الدينية . وفي الفلسفة ، هي المبدأ المثالي الذي من خلاله تكون فيه الحقائق الاجتماعية رموزاً أو نصوصاً ، والتي يجب أن يتم تفسيرها بدلاً من وصفها أو إيضاحها . وقد تمَّ اشتقاق المصطلح من اسم الإله اليوناني هيرميز ، والذي نسب إليه الإغريق أصل اللغة والكتابة ، واعتبروه راعي الاتصال والتفاهم بين البشر .

أمَّا في مجال علم اللاهوت ، فيمكن تعريف الهرمينوطيقا بفن تأويل وترجمة " الكتاب المقدَّس " ، فالتأويل هو " العلم الديني بالأصالة والذي يُكوِّن لبَّ فلسفة الدين " ، ويقوم عادةً بمهمتين متميزتين تمامًا هما : البحث عن الصحة التاريخية للنص المقدَّس عن طريق النقد التاريخي ، وفهم معنى النص عن طريق المبادئ اللغوية .

ينظر معظم مؤرِّخو الهرمينوطيقا المُحدِّثون إلى العمل الذي قدَّمه شلايرماخر على أنه الفعل الذي دفع بالهرمينوطيقا من دائرة الاستخدام اللاهوتي ، ليكون علمًا أو فنًا لعملية الفهم وشروطها في مستوى تحليلها للنصوص ، ومن ثمَّ نقل التأويلية من وضع الاحتكار الوظيفي إلى وضع المشاعية الأداتية ، عبر الارتقاء بها إلى درجة علم يؤسِّس عملية الفهم ، و بالتالي عملية التفسير . والهرمينوطيقا ارتبطت بالشعر والرواية ، ومن ضوابطها إتقان الحديث عن الآخرين ، وحُسن التقديم والمهارة في تأويل نقاط الاتفاق بين سائر الشعراء . ومن ثمَّ يكون الهرمينوطيقي كرجل اختصاص مُتقن لحقله المباشر له ، وهو ما يختلف به عن الفيلسوف بما هو باحث عن الكلِّي ، وإن كان هذا التحيُّز المعرفي لا يفصله عن الفيلسوف حال الاتحاد في قيمة الحب ، من حيث كونها قيمة فنية كُلِّية مُشتركة . ممَّا يجعل الهرمينوطيقي بقواعده مُمارسًا لفعله البحثي وفَّق نسق ضابط الاستغراق . وحين يكتسب معرفةً بفن الكلِّية ، يكون بحثه عن الجيِّد والرديء أمرًا واحدًا بعيِّنه .

إن تاريخ الهرمينوطيقا عريق جدًّا في الثقافات الإنسانية . قد تناسلت مناهجه وأساليبه التي كانت تُركِّز على البحث عن المعنى الأصلي إلى البحث عن أثر النص .

من أبرز مؤلفاته : الإيمان المسيحي طَبَقًا لمبادئ الكنيسة الإنجيلية (١٨٢١ _ ١٨٢٢) .
الجدل (١٨٣٦) . الأخلاق الفلسفية (١٨٣٦) . دروس في علم الجمال (١٨٤٢) .

فريدريك شيلنغ وجدل الأنا

وُلد الفيلسوف الألماني فريدريك شيلنغ (١٧٧٥ _ ١٨٥٤) في ليونبرغ في إقليم فورتمبيرغ، لأب قسيس، وتعلّم ليكون قسيسًا، فدرس اللاهوت في المدرسة الأكليركية في "توبنغن". وكان زميلاه في الدراسة هيغل وهولدرلين، وجمع بينهم حبهم للثورة الفرنسية ولل فلسفة، وخاصة فلسفة إسبينوزا، وكانت، وفيخته.

حصل على الدكتوراة في عام ١٧٩٥، وعُيّن أستاذًا للفلسفة في جامعة "ينا" عام ١٧٩٨، وصار زميلًا وصديقًا لفيخته (مُثله الأعلى في الفكر والفلسفة)، واشترك مع هيغل في إصدار مجلة فلسفية. وتأثر بمثالية فيخته الذاتية، وبمثالية كانت.

في عام ١٨٠٣، غادر جامعة "ينا"، ليدرس في جامعة فورتسبورغ (التي تم افتتاحها حديثًا). وفي عام ١٨٠٩، ماتت زوجته مُلهمة حياته كارولين، فكأنها أخذت معها نصف حيويته. وتزوج مرة أخرى (١٨١٢). وراح يكتب بشكل متقطع، ولكنه لم ينشر شيئًا بعد عام ١٨٠٩، فقد أصبح هيغل في هذه الفترة هو سيّد الفلسفة بلا منازع، ولا أحد يجرؤ على تحدّيه.

لم يشعر شيلنغ بالراحة لفترة طويلة، بسبب احتكار هيغل لكل ألقاب الفلسفة وأمجادها. ورغم أن شيلنغ عاش بعد موت هيغل ثلاثة وعشرين عامًا، إلا أن تلاميذ هيغل ظلوا بعد موته يقسمون بينهم تراث أستاذهم (الديالكتيكية) بين الشيوعية ورد الفعل.

وفي عام ١٨٤١، وجّه الملك فريدريك وليم الرابع الدعوة لشيلنغ لشغل كرسي الفلسفة في جامعة برلين، وكان الملك يأمل أن يستطيع شيلنغ المحافظ وقف الاتجاه الراديكالي. لكن شيلنغ لم يستطع جذب تلاميذه، واندفعت الأحداث في طريقها للثورة، فكان لا بد من التخلي عن الفلسفة. ومع هذا، فقد صاغ وردزورث أفكار شيلنغ الحيّة عن وحدة الوجود في أشعار فخمة، وعزا إليه كولردج أهم انتصارات ثورة كانت في الفلسفة. وبعد موت شيلنغ بنصف قرن، قال هنري برغسون (باعت المذهب الحيوي من جديد): ((إن شيلنغ واحد من أعظم الفلاسفة في كل العصور)). ولو كان هيغل قد سمع هذا الكلام لاعترض عليه.

تنقسم فلسفة شيلنغ إلى مرحلتين، ومن المؤرخين من يقسمها إلى أربع مراحل، وكل مرحلة تتعارض مع سابقتها، لدرجة أن شيلنغ يبدو متناقضًا مع نفسه، لكنها في الواقع مترابط منطقيًا، وإن بدا أنها تفتقد إلى التناسق والتكامل.

كان في المرحلة الأولى واقعاً تحت تأثير مثالية فيخته الذاتية ، وكان يحاول أن تكون له فلسفته، وبدأها بمقالات تناول فيها فكرة " الأنا " ، وقارنَ بين إسبينوزا وفيخته، وتميّزت كتاباته بالطابع الرومانسي والبلاغة وطلاوة الأسلوب، وكشفت عن حُبّه الكبير للجمال. ثم بدأت تتكوّن فلسفته الخاصة ، فكان أهم مؤلفاته في هذه المرحلة " في النفس العالمية " ، و"رسم أول لمذهب فلسفة الطبيعة " ، و "فكرة العلم الطبيعي النظري " .

وفي مرحلة متأخرة من نشاطه الفكري، أظهرَ اهتماماً بالفلسفة الدينية، وتحوّلت فلسفته _ كما كان يدعوها _ من الفلسفة السلبية إلى الفلسفة الإيجابية ، فنشرَ كتابه " الفلسفة والدين " ، وأنتجَ في هذه المرحلة كتابيه " فلسفة الميثولوجيا " ، و "فلسفة الوحي " اللذين نُشرا بعد وفاته . كان تفكير فيخته الفلسفي يتمحور حول "جدل مفهوم الأنا "، وقد آمنَ شيلنغ بهذا المبدأ في مراحل تفكيره الأولى، ثم ما لبث أن تحرّرَ منه ليصطنع نظرية عامة يقف فيها جدل " اللاأنا " أو الطبيعة في مواجهة جدل " الأنا " عند فيخته . فالطبيعة لا تقل أهمية عن " الأنا المطلق " ، وهي حقيقية مثله ، وليست صادرة عنه ، فالتفكير لا يعني إحداث موجود ، وإنما صورة الموجود . قال شيلنغ : ((إن الطبيعة عقل منظور ، والعقل طبيعة مُختفية)) . وآمنَ أن جوهر الطبيعة هو المادة، وحقيقة الأنا هي الرُّوح ، وما المادة سوى رُوح أو فكر في حال الطبيعة، وليست الرُّوح إلا مادة تنتظم . وبمعنى آخر ، إن الطبيعة جَمعاء ما هي إلا كائن عضوي يضم مراتب ودرجات مختلفة تبلغ ذروتها بالإنسان ، وكل درجة تُمثّل انعكاساً لقوة واحدة هي النفس أو الروح العالمية ، المبدأ الذي يُنظّم الكون . وما الفلسفة وتاريخها، في نظر شيلنغ، سوى "رحلة ملحمية للروح "، تبدأ فيها الروح بطريقة جدلية، بشكل غير واعٍ، وتنتهي في مسيرة تُكوّن وعيها الذاتي بالاستيلاء، بوعي كامل، على حقيقتها الجوهرية التي تتمثل في المعرفة الفلسفية للعالم .

وهنا تبرز معالم مثالية شيلنغ الموضوعية التي تبدأ بالسؤال : بأي صورة يؤدي تطوّر الطبيعة الروحانية غير الواعية إلى ظهور الوعي ؟. كيف تنشأ الذاتية من الموضوعية ؟. وتنتهي بالسؤال : كيف تصبح الذاتية موضوعية؟. والإجابة تُشكّل جوهر المعرفة الإنسانية ، التي تتخذ من " الأنا " وفعليها الداخلي " الحدس العقلي " نقطة انطلاق للفلسفة .

نظرَ شيلنغ إلى الفن كمثّل أعلى ، تتحقق فيه وحدة هوية الشعور واللاشعور، الفكر والطبيعة، العارف والمعروف . ويُصبح الفن أساساً للفلسفة الحقة ، وفيه تختفي تناقضات الوجود ، ويظهر اتحاد ما يبدو مُنفصلاً في الفكر ، وفي الطبيعة .

فريدريك نيتشه وفلسفة السوبرمان

وُلد الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠) في روكن ، قرب مدينة لايبزيغ ، بروسيا ، ومات في فايمار . ينتمي إلى أسرة من القساوسة ، لكنه كان شديد الإلحاد، وجعله محور كتاباته . تيمّم باكراً من والده، فتولّت تربيته نساء العائلة اللواتي أسرفن في تدليله وملاطفته . وقد قضى طفولة سعيدة ، وكان تلميذاً مُهذباً صادقاً مطوعاً حتى أُطلق عليه اسم القسيس الصغير. أرادت أمّه قسّاً كأبيه ، فالتحق وهو في الثانية عشرة من عمره بمدرسة بفورتا ، لكنه عدل عن ذلك بعد أن فقد إيمانه في الثامنة عشرة من عمره، ومرّ بمرحلة من الشك والتشتت، خرج منها بالتحاقه بجامعة بون ثم بجامعة ليبزيغ (١٨٦٤ - ١٨٦٩) . سُمّي نيتشه عام ١٨٦٨ أستاذ فقه اللغة اليونانية (الفيلولوجيا) في جامعة بال بسويسرا ، بعد أن مُنح درجة الدكتوراة ليتم التعيين طبقاً للوائح ، ولقّت الأنظار إليه نشره عدة مقالات في مجلة ريتشل .

ولمّا نشبت الحرب بين ألمانيا وفرنسا (١٨٧٠) ، تطوّر في الجيش . ولأنه أصبح مواطناً سويسرياً كان عليه أن يكتفي بالعمل ممرضاً في الخدمة العسكرية . وبعد أن تدهورت صحته أُعفي من الخدمة، وأُعيد إلى بال . ولم يشف من الأمراض التي أصابته في أثناء تجنيده، فاضطر إلى الاستقالة من الجامعة عام ١٨٧٩ . وقد رصدت له الجامعة راتباً جيّداً يحيا منه. وقد قضى الأعوام العشرة التالية متنقلاً بين سويسرا وإيطاليا، مُواصلًا عمله التأليفي، وكان في معظم الأحيان منعزلاً لا يعترف به أحد . وانتهى به المرض عام ١٨٨٩ إلى الشلل الكلي والجنون، فأرسل إلى المستشفى العقلي في بال وبيننا ، ثم أُعيد إلى أمّه في ناومبرغ عام ١٨٩٠ . ولمّا ماتت تعهّده أخته في فايمار عام ١٨٩٧ ، وباشرت نشر كتبه ، وظلّت ترعاه إلى حين وفاته .

تأثّر نيتشه بالنزعة التشاؤمية لشوبنهاور ، والنزعة الجمالية عند الموسيقار فاغنر ، لكنه سرعان ما انقلب على شوبنهاور، واعتنق مبدأ الحياة، كما انفصل عن نزعة فاغنر الفنية. تميّزت فلسفة نيتشه باستيعابها أفكار الرومانسية الفلسفية والعدمية ومُعاداة السلمية . وكذلك نقدها للدين ومبادئ الأخلاقية والنفسية والمادية والمثالية الألمانية، فكانت إلهاماً للمدارس الوجودية وما بعد الحداثة . تناثرت آراء نيتشه في مختلف كتبه التي كان أهمها : " مولد المأساة " (١٨٧٢)، وهو أول كتاب له ، وموضوعه التشاؤم والثقافة اليونانية . وقد كتبه بأسلوب شعري وجداني غنائي عكس آيات الفن اليوناني .

ولا شك أن أهم كتبه من الناحية المذهبية كتاب "هكذا تكلم زرادشت" (١٨٨٣-١٨٨٥) ويُعتبر هذا الكتاب من عيون الأدب العالمي ، بل أبلغ ما كُتب في مجال الفلسفة. ألّفه بأسلوب شعري تَكُون من صُور جيّاشة شابهت صُور المفكرين الرومانسيين، وتغنّى فيه بقيم الحياة على حساب قيم المعرفة. وكان مطمح نيتشه أن يكون كتابه بديلاً " للكتاب المقدّس " وبشارة بالأزمنة الجديدة. فالثقافة الحديثة بحاجة لأن تُؤسّس على قيم غير تلك التي تُلهّم المسيحية ومذاهب التشاؤم والعقلانية والأخلاقية والاشتراكية . وزرادشت البطل الذي بشرّ به نيتشه هو الإنسان القوي الذي يُحطّم ألواح القيم القديمة ، ويعتمد على مبدأ إرادة القوة الذي وجد فيه نيتشه مفتاح أسرار الحياة كلها ، لأن الحياة ليست غريزة وجود النوع وبقائه ، فليس صحيحاً أن الكائنات تتوق إلى البقاء، وأن الحياة إرادة حياة كما يقول شوبنهاور، وإنما الحياة تتوق إلى الازدهار والانتشار والغزو، فهي إرادة قوة وليست إرادة حياة. فلا بد للفرد من أن ينتصر على نفسه، وأن يُثري نفسه بالعلم والفلسفة وأن يسيطر على الطبيعة ، ويُعبر عن انتصاراته بالفن .

اختص نيتشه ببلاغته العنيفة في هدم المسيحية وسحقها، ونادى بضرورة نسف القيم الدينية جميعاً، وتحطيم كل ما يمكن أن يؤمن به الإنسان ، لأن الإيمان نفي للخلق ، ولأن التقليد هو رفض الإنسان لأن يكون ذاته . وهكذا ، مهّد نيتشه لمجيء " الإنسان الأعلى وتمجيده " ، فأعلن " موت الإله " حتى يُصبح الإنسان أسمى الكائنات جميعاً . جاهر نيتشه بتطبيق نتائج قانون بقاء الأقوى في مجال الأخلاق، ونهض بهذا الدور، وأقامه على أساس بيولوجي، بعد أن قوّض داروين الأساس الديني للأخلاق الحديثة، لكنه أبقى على الأخلاق القديمة. وكانت مهمة نيتشه إقامة الأخلاق على أساس جديد، وانتهى إلى توكيد القوة والكبرياء والأنانية، وأحلّها محل الطيبة والمسكنة وإنكار الذات . لقد هدم نيتشه التصور المألوف للقيم الأخلاقية ، حين تصوّر المثل الأعلى ماثلاً في إرادة القوة، وتتجلى في توكيد الذات والسيطرة على الآخرين، وابتغاء السعادة الفردية، والوصول إلى الإنسان الأعلى و " السوبرمان " الذي يُمثّل صلابة الخلق وشجاعة الرأي ، ويُمجّد الألم والقسوة ، ويحتقر الدعة والصبر والتواضع والتعاطف.

كان نيتشه واحداً من أعظم الشخصيات المصرية في التاريخ الروحي للغرب، فقد ارتبط اسمه بنقد جذري للدين والفلسفة والعلم والأخلاق ، ذلك أنه رأى أن الإنسانية قد عاشت حتى عصره على عبادة الأصنام، أصنام في الأخلاق ، وأصنام في السياسة ، وأصنام في الفلسفة، فكانت مهمته الكشف عن هذه الأصنام وتحطيمها في كل ميدان من هذه الميادين الثلاثة .

فكتور هوغو وذاكرة البؤساء

وُلد الأديب الفرنسي فكتور هوغو (١٨٠٢ - ١٨٨٥) في بيزنسون في منطقة فرانش كونته. وكان الابن الثالث والأخير لوالده ، الذي كان يعمل ضابطاً في الجيش الفرنسي ، في زمن نابليون. نشر عام ١٨٢٢ ديوانه الأول ، فقرأه الملك لويس الثامن عشر ، فأعجب به ، وخصّص للشاعر راتباً شهرياً .

عينَ الملك لويس فيليب _ الذي حكم في الفترة (١٨٣٠ - ١٨٤٨) _ هوغو عضواً في مجلس الأعيان عام ١٨٤٥ . وأُعلنت الجمهورية الثانية . وتمَّ انتخاب نابليون الثالث رئيساً للجمهورية وهو ابن أخ نابليون الأول ، وناصبه هوغو العداء ، فأراد نابليون الثالث اعتقاله ، فهرب هوغو من باريس عام ١٨٥١ في شهر كانون الأول إلى بروكسل عاصمة بلجيكا ، وألّف كتاباً ضد نابليون الثالث أسماه "نابليون الصغير" ، فطلبت فرنسا من بلجيكا إبعاد هوغو من أراضيها ، فأبعدته إلى إحدى الجزر البريطانية في بحر المانش وهي جزيرة جرتسي .

ألّف رواية " البؤساء " عام ١٨٦٢ ، أي عندما بلغ الستين من عُمره ، وكان يُقيم في إحدى الجزر البريطانية ، وتُرجمت الرواية مباشرةً إلى تسع لغات .

تُوفيت زوجته عام ١٨٦٨ ، وكان قد تزوّجها عام ١٨٢٢ ، أي أمضى برفقتها ستة وأربعين عاماً. ونشبت حرب بين بروسيا وفرنسا، وانتصرت بروسيا عام ١٨٧٠، ودخلت قوّاتها باريس، وأُعلنت الجمهورية الثالثة عام ١٨٧٠ . وأمضى هوغو في المنفى تسعة عشر عاماً (١٨٥١ - ١٨٧٠) . احتفلت فرنسا بمرور ثمانين عاماً على ميلاد الشاعر، وتقبّل التهاني، وكان إلى جانبه حفيده وحفيده، وزاره إمبراطور البرازيل، وكانت وصيته ألا يحضر جنازته كاهن، وتُوفّي عام ١٨٨٥ ، وحزنت فرنسا عليه كثيراً . ودُفن في مقبرة العظماء .

يُعتبر هوغو من أبرز أدباء فرنسا في الحقبة الرومانسية ، وتُرجمت أعماله إلى أغلب اللغات المنطوقة . وهو مشهورٌ في فرنسا باعتباره شاعراً في المقام الأول ثم روائياً. كما اشتهر في حقبته بكونه ناشطاً اجتماعياً ، حيث كان يدعو إلى إلغاء حكم الإعدام . وكان مؤيداً للنظام الجمهوري في الحكم ، وأعماله تَمَس القضايا الاجتماعية والسياسية .

اشتهر هوغو حول العالم ، وتمَّ تكريم ذكره بعدة طُرُق. فمثلاً ، وُضعت صورته على الفرنك الفرنسي . واقتُيست روايته " البؤساء " للعديد من الأعمال التلفزيونية والسينمائية والمسرحية .

أصدرَ هوغو ١٢ مسرحية ، مِن أبرزها : مسرحية كرومويل (١٨٢٧) . وقد كتبها عندما بلغ الخامسة والعشرين مِن عُمره . وكرومويل سياسي إنجليزي، قاد ثورة ١٦٤٩ ، التي قُتِلَ فيها ملك الإنجليز شارل الأول ، وأصبحت أمور الدولة بيد كرومويل، وأعلنَ نفسه مَلِكًا على بريطانيا ، ووافقَ البرلمان على ذلك، وكان سَيَتَوَجَّح في كنيسة وستمنستر، إلا أنه اكتشف مؤامرة تُدَبَّر ضِدَّه ، فراجع عن اعتلاء العرش مُدَّعِيًا مُحَافَظَته على قوانين الجمهورية .

ومسرحية إيرنابي (١٨٢٩) . تجري الأحداث في إسبانيا في مطلع القرن السادس عشر ، إذ وقع أحد الأمراء الألمان في حُب امرأة إسبانية جميلة ، وكان قلبها يهوى أحد قُطَاعِ الطرق ، وهو شاب اسمه إيرنابي .

ومسرحية ريبوالاس (١٨٣٨) . تجري أحداثها في مدريد عاصمة إسبانيا في القرن السابع عشر . إذ قامت علاقة بين الملكة وبين أحد حُدَّامِها، الذي لَم يَكْتَفِ بذلك بل قام بقتل المَلِكِ وشرب السُّم مُنتَجِرًا ، وبكته المَلِكَةُ أكثر مِنَّا بكت زوجها المَلِكِ .

كما أصدرَ هوغو مجموعة من الروايات والقصص ، وأكثرها شُهْرَةً وأهميَّةً رواية " البؤساء " (١٨٦٢) . وقد كتب هوغو مقدمة قصيرة لهذه الرواية، يرى أنه مادام هناك فقر في كل زمان ومكان، فهناك فائدة لِمِثْلِ هذه الروايات، حالة الفقر يمكن تحمُّلها، أمَّا حالة البؤس فلا يمكن تحمُّلها.

تُعَدُّ " البؤساء " مِن أشهر روايات القرن التاسع عشر، حيث تصف وتنتقد الظلم الاجتماعي في فرنسا بين سقوط نابليون عام ١٨١٥ ، والثورة الفاشلة ضِد المَلِكِ لويس فيليب عام ١٨٣٢ . وتصف البؤساء حياة عدد من الشخصيات الفرنسية طوال القرن التاسع عشر الذي يتضمَّن حروب نابليون . وتُعَرِّض الرواية طبيعة الخير والشر والقانون ضِمن أحداث سرديَّة أخَّاذة ، تظهر فيها معالم باريس، والفلسفة، والقانون ، والعدالة ، والدِّين ، وطبيعة الرومانسية ، والحب العائلي . ومن بين الروايات التي أصدرها هوغو : " عُمَّال البحر " (١٨٦٦) . كما له مجموعة من الدواوين الشعرية والمؤلفات التاريخية . وتُشَبِّه أفكاره أفكار الروائي الروسي تولستوي ، فكلاهما أوصى بعدم الصلاة على جُثمانه ، وكلاهما وجَّه للطقوس الكنسية الكثير من الملاحظات، وكلاهما عاش حياةً طويلة تجاوزت الثمانين عامًا ، وكلاهما حارب السُّلطات . تولستوي حارب القيصر الروسي ، أمَّا هوغو فحارب نابليون الثالث .

فلاديمير ماياكوفسكي وخيبة الأمل

وُلد الشاعر الروسي فلاديمير ماياكوفسكي (١٨٩٣ _ ١٩٣٠) في بلدة " بغدادي " في جورجيا . وهي البلدة التي سُميت باسمه فيما بعد . كان أبوه يعمل حارسًا أو مشرفًا على الغابات . وكانت أمُّه ابنة عسكري تهوى الشعر والرسم . أتقن اللغتين الجورجية (بحكم الدراسة) والروسية الأصلية (بحكم العائلة) .

في سِنِّي تعليمه الأولى ، أحس بالاغتراب ، واصطدم بالفوارق الطبقية بينه وبين زملائه ، أبناء الموظفين الروس المتعجرفين ، ومن يومها أحس بالاضطهاد الطبقي . وفي عام ١٩٠٥ بدأ يتعرَّف على الكتابات الثورية العلنية والسرية ، والتي كانت تأتي بها أخته (لودميلا) من موسكو حيث كانت تدرس . وبشكل تلقائي وطبيعي ، وجد نفسه مُنضمًّا إلى الحلقة الماركسية في المدرسة العليا في بلدة كوتايسي . وفي تشرين الأول عام ١٩٠٥ اشترك في أول مظاهرة سياسية .

ب وفاة والده ، انقلبت حياة الأسرة رأسًا على عَقِب . وبقيت الأسرة ، دون أي مصدر رزق يُذكر ، سوى عشرة روبلات (تقاعد الأب) ، فاضطُرَّت الأم للرحيل إلى موسكو . ومُنذ تلك اللحظة أحس ماياكوفسكي ذو الثلاثة عشر عامًا بالمسؤولية الكبيرة ، كونه " رجل " الأسرة الوحيد . وقد عانت الأسرة في موسكو من الفقر المدقع ، وواجهت صعوبات الحياة بدون مساعدة .

التحق ماياكوفسكي في موسكو بالمدرسة الثانوية ، وهناك انضم إلى حزب العمل الاشتراكي ، وشارك بقوة في الدعاية السياسية بين عُمال موسكو ، وهذا كان سبب اعتقاله للمرة الأولى في ٢٩ آذار ١٩٠٨ ، في مبنى المطبعة السرية للحزب ، لكن صغر سنه شفع له ، فأُفرجوا عنه ليوضع تحت رقابة الشرطة . بعدها التحق بكلية الفنون التطبيقية . وعلى الرغم من الرقابة الصارمة ، بقي ناشطًا ، يقوم بتوزيع المنشورات السياسية ، فاعْتُقل في شتاء ١٩٠٩ للمرة الثانية ، لمدة أربعين يومًا . أيضًا ، شفع له صغر سنه ، فأُطلقوا سراحه .

وبعد ستة أشهر ، أي في صيف ١٩٠٩ ، اعْتُقل للمرة الثالثة ، حين اشترك في عملية تهريب ثلاث عشرة سجينًا سياسية من السجن . لكن في هذه المرة سُجن قُرابة العام في زنزانة انفرادية . تُعدُّ " غيمة في سروال " أهم قصائد ماياكوفسكي وأشهرها . بدأها عام ١٩١٤ . وكان عنوان القصيدة الأصلية " الحوار الثالث عشر " . لكن الرقابة لم توافق على هذا العنوان ، فاضطُرَّ لتغييره إلى " غيمة في سروال " قاصدًا التهكم على الرقابة والسخرية منها .

حدّد ماياكوفسكي بنفسه مغزى القصيدة ومضمونها ، فكتب : ((فليسقط حُبُّكم . فليسقط فُتُكم . فليسقط نظامكم . فلتسقط ديانتكم)) . أربع صرخات لأربعة مقاطع . خرج ماياكوفسكي عن المألوف، فحطّم الوزن والقافية ، وحافظ على الإيقاع ، مُستفِزاً مشاعر الجماهير مُحَرِّضاً لها . في أثناء تجوال مجموعة من الشعراء في أرجاء روسيا، يُلقون قصائدهم الثورية. فجأةً وقع ماياكوفسكي في مدينة أوديسا بحب فتاة جميلة ، وهذه الفتاة بالإضافة إلى جمالها، كانت فتاة مثقفة، وذكية، وتهتم بكل جديد، ومعاصر، ويبدو أن الشاعر المتميّز المجدّد قد جذبها، وكانت علاقة حب بينهما. ولكن لم يستمر هذا الحب طويلاً، فالحبيبة التي وقع الشاعر في غرامها تخلت عنه بسرعة لتتزوج من رجل ثري . وهذا جعل الشاعر ينقم أكثر على المجتمع البرجوازي، وقيمه المزيّفة وعلاقاته التجارية ، إذ يعتبر أن الشراء والمجتمع البرجوازي ، هما اللذان حرّماه من حبيبته ، وانتزعاها منه. وفي رأيه أنه لا يمكن أن تقوم علاقة إنسانية متكافئة في أحضان المجتمع البرجوازي . تنبأ ماياكوفسكي في قصيدته " غيمة في سروال " بالثورة التي ستنتصر عام ١٩١٦ ، لكنها تأخرت لعام ١٩١٧ ، وتنتصر الثورة التي بشر بها، ونذر نفسه لها، وتنبأ بها .

فجّر ماياكوفسكي كل طاقاته ومواهبه، وعمل في كل الاتجاهات، من أجل ترسيخ مبادئ الثورة الاشتراكية الفتية، فشارك في كل نشاطات الحزب، وألقى القصائد الحماسية في منظمات الشباب والعُمّال والفلاحين . لكنه اصطدم بالمتسللين إلى الحزب والمتسلقين والانتهازيين والبيروقراطيين ، الذين استلموا مناصب في جهاز الحزب والحكومة .

لقد آلم ماياكوفسكي. وهو شاعر الثورة، التي ضحّى من أجلها بكل شيء، أن يرى نفسه مُحَاَصَراً من الجهات المسؤولة في الحزب والدولة، وآلمه أكثر أن بعض أصدقائه سكتوا عن المهازل التي تُرتكّب بحق شاعر الثورة . فمن جهته، كشاعر، وثوري، وشيوعي، وإنسان، لم يستطع مهادنة الانتهازيين، وذوي المنافع الشخصية ، فكتب مسرحياته الناقدة اللاذعة ، وقصائده التي تفضح هؤلاء البيروقراطيين الذين كرّسوا الروتين القاتل الذي يَشُلُّ العقل والتفكير. حوَصِر ماياكوفسكي من كل الجهات، فحاول الرحيل إلى باريس، حيث تقيم حبيبته تانيا ياكلوفلوفا، فمنعه المتنفّذون من الخروج بكل الطرق. وعندما عرفت تانيا بذلك، تزوّجت من الفيسكونت دوبليه، ممّا زاد ذلك من عذابه وآلامه . إن عدم السماح له بالسفر ، وفقدان الحبيبة ، سرّعا في يأسه وإحباطه . وقد أحكموا الطوق حوله ، وشدّدوا الرقابة أكثر ، وأحس أنه مُحَاَصَر من كل الجهات .

فما كان منه إلا أن أطلق النار على نفسه بمسدس كان بحوزته في ١٤ نيسان ١٩٣٠ .

فلاديمير نابوكوف ورواية لوليتا

وُلد الكاتب الروسي_الأمريكي فلاديمير نابوكوف (١٨٩٩ - ١٩٧٧) في سانت بطرسبرغ بروسيا لعائلة أرستقراطية ، وتُوفّي في مونترو بسويسرا . كان أبوه أحد كبار رجال القانون الروس في عصره ، وجَدُّه وزير سابق من العهد القيصري . وقد تلقى نابوكوف مع إخوته تعليمًا ثلاثي اللغات بالروسية والإنجليزية والفرنسية ، كما وقع في سن مبكر تحت تأثير أستاذه للأدب الروسي الشاعر والناقد فاسيلي هيبوس . ومع قيام ثورة أكتوبر الاشتراكية ١٩١٧ ، التحق نابوكوف للدراسة بجامعة كامبردج ، حيث درس العلوم واللغات والأدب الوسيط، وتخرّج فيها عام ١٩٢٢ ، وهو تحصيل شكك الكاتب ذاته في أهليته له . وفي نفس العام تفرّغ للأدب بعدما اغتال عُملاء سوفيت والدّه ، وترجم إلى الروسية عددًا من الروايات الأوروبية .

ظَهَرَت أُولَى رواياته " ماشينكا " عام ١٩٢٥ . وفي عام ١٩٢٦ ، ظهرت مسرحيته المعادية للسوفييت " رجل سوفييتي " ، وأتبعها بروايته " الملك ، السيدة ، الخادم " (١٩٣١) . وكانت هذه الفترة أخصب فترات عطاء نابوكوف الإبداعي حيث نشر عمله "الغلطة" (١٩٣٢)، ثم عاد عام ١٩٣٤ ونشر أعمالاً مُلفتة للانتباه مثل "سباق مجنون" ، و"دعوة للعذاب" . وفي هذه الأخيرة عداء شديد للحُكم السوفييتي . وفي عام ١٩٣٨ كتب _ لأول مرة _ روايةً باللغة الإنجليزية هي " سيرة سياستيان نايت الحقيقية " . وفي عام ١٩٣٩ ، غادرَ إلى أمريكا للعمل بجامعة ستانفورد ، ثم درّس الأدب الروسي بجامعة بوسطن وهارفارد ، كما نشر عام ١٩٤٤ دراسةً مُعمّقة عن الكاتب الروسي غوغول . ولمّا حصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٤٥ ، تمّ تعيينه في جامعة كورنيل ، وبدأ في كتابة سيرته الذاتية التي ظهرت عام ١٩٥١ بعنوان " من الشاطئ الآخر " . في عام ١٩٥٥ ، نشرَ روايته " لوليتا " التي مُنعت أول الأمر في أمريكا . وفي عام ١٩٥٨ ، أصبحت هذه الرواية كتاب الجيب في أمريكا ، وباع حقوق تحويلها إلى فيلم بمبلغ ١٥٠ ألف دولار . وتفرّغ في هوليوود عام ١٩٦٠ لكتابة سيناريو لهذا الفيلم إلا أنه سافرَ لأوروبا عام ١٩٦٢ . لم تلقِ كتابات نابوكوف باللغتين الروسية والإنجليزية كبيرَ اهتمام إلا مع نشره رواية " لوليتا " التي ضمنت له الثروة والشهرة العالمية . وتحكي الرواية قصة همبرت همبرت _ وهو أستاذ جامعي في منتصف العمر _ وقيامه باغواء أو اغتصاب ابنة زوجته دولوريس هيز التي تبلغ من العمر ١٢ عامًا ، وتبعات ذلك والذل والاحتقار الذي عاناه . و " لوليتا " هو لقب دولوريس الخاص .

وموضوع " اغتصاب الطفولة " بأبعاده النفسية الفرويدية والسادومازوخية ، هو ما جعل الرواية مشهورة ، لا لعمقٍ فيها، بل لهذا الموضوع الذي جذب جمهور القراء العريض في خمسينيات القرن العشرين ، ويعتبرها بعض النقاد مؤلفاً مُشوَّهاً . كان السردُ في رواية " لوليتا " ذاتياً بحثاً ، حيث يروي همبرت مقاطع مُجزأة من ذكريات ، مُوظفاً في ذلك أسلوباً نثرياً متطوراً ، في الوقت الذي يحاول فيه كسب تعاطف القارئ من خلال صدقه وأحزانه، على الرغم من أنه قبل نهاية القصة وصف نفسه بأنه مهووس حَرَمَ دولوريس من طفولتها. حَقَّقَت الرواية مكانةً كلاسيكية ، وأصبحت إحدى أفضل وأشهر الأمثلة المثيرة للجدل في أدب القرن العشرين . ودَخَلَ الاسمُ الثقافة الشعبية لوصف الفتاة التي تنضج جنسياً قبل الأوان. تَمَّ إنتاج الرواية كفيلم سينمائي عام ١٩٦٢ ، ثم أُنتج سينمائياً عن طريق مُخرج آخر في عام ١٩٩٧ . كما عُرضت أكثر من مرّة على خشبة المسرح. أُدرجت رواية " لوليتا " في قائمة تايمز لأفضل ١٠٠ رواية باللغة الإنجليزية . وقد احتلت المرتبة الرابعة في قائمة المكتبة الحديثة لعام ١٩٩٨ لأفضل مئة رواية. كما أُدرجت في قائمة أفضل مئة كتاب في كل العصور. أمّا روايات نابوكوف " دليل قاطع " (١٩٥١) التي أعاد كتابتها ، ونَشَرَهَا لاحقاً بعنوان " تَكَلَّمِي يا ذاكرة " (١٩٦٧) ، و " بنين " (١٩٧٧) التي تُعدُّ أفضل ما كُتِبَ ، فتروي أحداثاً من سيرته الذاتية. وتُعد قصصه القصيرة باللغة الروسية التي تُرجمت لاحقاً تحت إشرافه إلى الإنجليزية أيضاً من أفضل نتاجه، ومنها مجموعات "دزينة نابوكوف" و " تحطيم الطغاة " (١٩٧٥) ، و " قصص فلاديمير نابوكوف " (١٩٩٥) . والجدير بالذكر أن نابوكوف قد ترجم كتاب بوشكين الضخم " يفغيني أونيفن " عام ١٩٦٤ ، مع تعليقاته وشروحاته . تتفاوت آراء نُقاد نابوكوف ودارسيه، فبعضهم يرفع من شأنه، ويتعامل مع نتاجه الإبداعي بإيجابية . وهناك آخرون يحثقرون نتاجه ، ويَروُن أنه فقدَ هويته الروسية وذلك " التقليد الشعري الروسي العريق " ، وفي الوقت ذاته لم يتمكن من اللغة الإنجليزية ، ولم يتكيّف مع الاغتراب، ويَروُن أيضاً أنه لا يمكن الأخذ على محمل الجد روايةً مثل " آدا " (١٩٦٩) ، وهي أطول روايات نابوكوف وأعقدها، في حين يرى آخرون فيها " رائعة " الكاتب . كُتِبَ نابوكوف أعماله الأولية باللغة الروسية ، وبعدما اشتهر عالمياً أصبح يكتب رواياته بالإنجليزية . وعُرفت أعماله بِكونها مُعقّدة ، حيث إن حبكة القصص والكلمات المستخدمة فيها كثيرة التعقيد، وتتميّز كتاباته بأسلوب مزاجي ، وصعوبة مُصطنعة ، وبادعاء العمق ، والتفاخر بما لا يملك، والإعجاب بكل شيء شائع ، وازدراء الآخر . ومع هذا ، لا يمكن إنكار شهرته الواسعة وشعبيته بين مواطنيه الروس في المهجر .

فلهلم دلتاي وفلسفة الحياة

وُلد الفيلسوف الألماني فلهلم دلتاي (١٨٣٣ - ١٩١١) في بيبش في أسرة دينية . ودرس اللاهوت والفلسفة في جامعتي هايدلبرغ وبرلين . خَلَفَ لوتسه بجامعة برلين ، وتأثَّرَ بفلسفة كُلِّ من كانت وهغل وشلايرماخر ، وبالتجريبية البريطانية . وأطلقَ على فلسفته اسم " فلسفة الحياة " .

والحياة التي يقصدها دلتاي هي الحياة الإنسانية بكل تعقيداتها المعروفة ، وهي مُركَّبٌ من هذا العدد الذي لا حد له من الحَيَوات الفردية التي تُؤَلَّفُ الواقع الاجتماعي والتاريخي لحياة الإنسانية كُلِّها ، والتي تدخل فيها آمال الأفراد ومخاوفهم وأفكارهم وأفعالهم والمؤسسات التي يقيمونها ، والقوانين التي يَستَرشدون بها ، والديانات التي يعتنقونها ، وكل الأعمال الفنية والأدبية والمذاهب الفلسفية والنظريات العلمية . والحياة بهذا المعنى هي موضوع الفلسفة الوحيد .

يُوصَفُ دلتاي بأنه تجريبي مُتَشَدِّد ، فهو لا يؤمن بوجود أي شكل مُتعالٍ أو محايد للحياة ، ولا يعتقد بوجود حياة خارج هذه الحياة ، ولا بوجود شيء في ذاته . وهو يرى أن الفيلسوف جزء من الحياة ، ولا يمكنه فهم الحياة إلا من داخلها ، وكل التجارب والأفكار من الحياة ، فلا وجود لمعايير مُطلقة خارج التجربة . والحياة عند دلتاي كُلُّ مُنظَّمٍ له معناه . والفيلسوف يبدأ بالمعاني التي يُعطيها الناس للحياة ، ويُشاركهم المبادئ التي يستخدمونها في تنظيم خبراتهم ، ويُسمِّيها دلتاي " مقولات الحياة " على طريقة " مقولات كانت " . وهي : مقولة الباطن والظاهر الداخلي والخارجي ، ومقولة الكل والجزء ، ومقولة الغاية والوسيلة ، ومقولة النمو والتطور ، ومقولة القيمة ، ومقولة الهدف ، ومقولة المعنى . لكن دلتاي يرفض الاستنباط المتعالي ، ويعتبر المقولات تعميمات تجريبية . وهي تُمارس تأثيرها تحت المستوى الشعوري ، إذ يُضفي الإنسان على خبرته معنى يستخدم المقولة التي يتحقق بها ذلك ، فيُنظَّم ويُووَلُّ الحياة شعوريًا بهدوء وروية .

يرى دلتاي أن الديانات والأساطير والأمثال والأعمال الفنية والأدبية ليست إلا تأويلات ، وليست المبادئ الخلقية والمؤسسات والقوانين إلا صياغات لتقسيمات وغايات مُتَوَخَّاة . وفلسفة الحياة الحقة هي التي تقوم على أوسع معرفة ممكنة بالحياة ، وهي المعرفة التي تتيحها العلوم الإنسانية التي يُسمِّيها دلتاي العلوم الروحية ، وهي مجموع الدراسات التي تبحث في حقيقة التاريخ والمجتمع . وتشمل علومًا هي علم النفس والتاريخ والاقتصاد وفقه اللغة والنقد الأدبي والدين المقارن وفلسفة التشريع ، وكلها دراسات موضوعها الإنسان وأفعاله ومبتكراته .

كان الرصد التاريخي أو نقد الفهم التاريخي موضع اهتمام دلّاي، فقال بثلاثة مبادئ ، أسماها بالتاريخية . المبدأ الأول: إن كل ما هو إنساني جزء من العملية التاريخية ، وينبغي تفسيره تاريخياً، فالإنسان تاريخي في جوهره ، بمعنى أن للإنسان بُعداً أساسياً هو التاريخ ، فينبغي دراسة العقل الإنساني من زاوية التاريخ ، لأن الإنسان يعيش في الزمان ، ويتحدد بأحوال وظروف تختلف باختلاف العصور . والثاني: إن المؤرّخ لا يمكن أن يفهم هذه العصور إلا بتصور آراء الناس الذين عاشوا فيها وآمنوا بها. والثالث: إن المؤرّخ في فهمه لهذه العصور وتفسيراته لها محدود بثقافة عصره، فحياة الإنسان تاريخية، وعالم الإنسان هو عالم التاريخ، واتّساقاً مع هذه التاريخية يرفض دلّاي المبادئ المطلقة والقيم المطلقة ، ويُعوّل على فعالية الفلسفة، وقدرتها على تحليل ودراسة آلية عمل وعي الإنسان، لأنها تنفرد بمنهجها المميّز وهو منهج الفهم، الذي يقوم على أساس ميل الإنسان الدؤوب لتكون له رؤية أو فلسفة شاملة ، يستطيع بها تأويل الواقع وربط صورته بمبادئه هو نفسه ومعانيه وقيمه التي يُصدر بها أفعاله ، فيمكنه بذلك فهم الحركات الاجتماعية، والمذاهب الفلسفية، لهذا دعا دلّاي إلى فكر تأويلي يُوحّد ما بين الفلسفة والتاريخ .

كان لفلسفة دلّاي تأثيرها البعيد في الفكر الألماني المعاصر، فقد ظهرت عدة محاولات تهدف إلى تحليل منظومة هيغل المثالية، في ضوء تحليل دلّاي للزمانية، منها محاولة هايدغر في تحقيقه لكتاب " نظرية الوجود عند هيغل " . كما أنها شغلت حيزاً في الفكر الفلسفي ، وأثّرت في فلسفة التأويل.

يُعتبر دلّاي من أبرز نُقاد الوعي التاريخي في الفلسفة المعاصرة ، ومن الفلاسفة الأكثر نفوذاً في فلسفة الحياة . وقد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالحركة التاريخية أو بفلسفة التاريخ ، التي اعتبرها فلسفة للفهم ، التي هي أداة للكشف عن الحياة في الحياة .

وتفكير دلّاي يركز بشكل أساسي على قبوله للنظرية القائلة إن الفلسفة تنشأ من مشكلة الحياة اليومية ، وقبوله بأن الفلسفة يجب أن ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمعرفة الحياة .

ومن أهم ثوابت فكر دلّاي : الوعي بتاريخية الوجود البشري ، إذ إن الإنسان تاريخي لأنه يعيش في الزمان ، ولا يتحدد وجوده _ في نهاية المطاف _ إلا بالميلاد والموت ، ويتألف من سلسلة حلقاتها " ماضٍ وحاضر ومستقبل " . والعلاقة بين الأفراد تاريخية أيضاً، وهكذا ، فإن عالم الإنسان هو عالم التاريخ .

فواديسواف ريمونت وحياته الريهن

وُلِدَ الأديب البولندي فواديسواف ريمونت (١٨٦٧ _ ١٩٢٥) في قرية كوبيل فيلكي بوسط بولندا ، وكانت في ذلك الوقت واقعة تحت السيطرة الروسية . تعلَّم القراءة والكتابة على يد قس محلي في القرية . ثم تلقى تعليمًا نظاميًا في المدارس . أرسله والده إلى وارسو (عاصمة بولندا) في عام ١٨٨٥ ، من أجل تعلُّم إحدى المهن ، وذلك في رعاية شقيقته الكبرى وزوجها . وقد تعلَّم مهنة الخياطة ، لكنه رفض العمل كخياط ، وهذا أزعج عائلته بشدة ، لأنها شعرت أن مستقبله في خطر . أحبَّ العمل في المسارح ، والسفرَ مع الفرق المسرحية ، فعمل ممثلًا متجولًا ، لكنه لم ينجح في هذا المجال ، ولم يستطع جمع الأموال . ورجع إلى أهله مُفلسًا . وبفضل والده ، استطاع الحصول على وظيفة عامل في السكك الحديدية . وقد هرب مرّتين من هذه الوظيفة . المرة الأولى في عام ١٨٨٨ ، حيث سافر إلى باريس ولندن . والمرة الثانية ، هرب من أجل الانضمام إلى إحدى الفرق المسرحية . لكنه فشل في إثبات نفسه كممثل بسبب انعدام الموهبة ، فعادَ إلى الوطن مرة أخرى . استقرَّ في وارسو ، وقرَّر أن يتفرَّغ للكتابة ، فعمل كمُراسل لإحدى الصُّحف ، وزار عدَّة عواصم أوروبية ، مِن بينها برلين وبروكسل ولندن ، وسافر إلى الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى . بدأ ريمونت في كتابة القصص القصيرة ، وزار مكاتب التحرير في مختلف الصحف والمجلات ، وقد اهتمَّ بعض المسؤولين بكتاباته ، واقتنعوا بإمكانياته الأدبية . في عام ١٨٩٤ ، ذهب في رحلة إلى الحج إلى شيستوشوا (ثالث أكبر موقع حج كاثوليكي في العالم) ، وقد كتب تفاصيل هذه الرحلة الروحية في كتابه " الحج إلى جبل الثَّور " الذي نُشر في عام ١٨٩٥ ، ويُعتبَر هذا الكتاب تجسيدًا لأدب الرحلات في صورته الكلاسيكية . لم يستطع الأدب أن يُوفِّر له مصدر دخل ثابتًا ، فعاشَ حياةً فقيرة ، ولم يتمكن من ممارسة هوايته في السَّفر بسبب غياب الموارد المالية . لكنه في عام ١٩٠٠ ، حصل على أربعين ألف روبل (العملة الروسية) ، كتعويض من مؤسسة السكك الحديدية ، وذلك بعد تعرُّضه لحادث خطير وإصابته بجروح بالغة . وأثناء رحلة العلاج ، تعرَّف على إحدى النساء ، وتزوَّجها في عام ١٩٠٢ بعد أن قام بدفع قيمة فسخ زواجها السابق . وقد استغل التعويض المالي الذي حصل عليه لتحقيق طموحه بأن يُصبح أحد ملاك الأراضي ، فاشترى عقارات في عام ١٩١٢ ، لكنه فشل في إدارتها .

كتب ريمونت العديد من الروايات ، أشهرها على الإطلاق رواية " الفلاحون " التي نشرها عام ١٩٠٤ ، وكتبها أثناء فترة إقامته في منطقة النورماندي الواقعة في شمال فرنسا ، وهي الرواية التي نال عنها جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٤ . وهذه الرواية الضخمة التي تقع في أربعة مجلدات ، تُجسّد فلسفة الكاتب في حياته ، فقد عارض آراء المفكرين الذين آمنوا بالتصنيع ، وانتقل من حياة المدينة إلى حياة الريف ، وصار الريف هو الركيزة الأساسية في أعماله القصصية . وهذا يُشير إلى قناعة الكاتب بأهمية العودة إلى الطبيعة ، وأن الأرض هي مستقبل الإنسان ، وليس الآلة الصناعية ، وعلى الإنسان العودة إلى التراب بإرادته قبل أن يعود إليه رغم أنه (بالموت) .

لقد رفض ريمونت الثورة الصناعية ، واعتبرها خطراً حقيقياً على وجود الإنسان وأحلامه وذكرياته . فهذه الثورة حوّلت الإنسان إلى آلة بلا مشاعر ، تكافح من أجل البقاء على قيد الحياة في مجتمع استهلاكي متوحش ، ليس لديه وقت للمشاعر الإنسانية ، والأحاسيس الحياتية . وقد مزج هذه الأفكار بالسخرية ، وخلطها بشريعة الغاب ، حيث تغيب الأفكار النبيلة ، وتنهار الأخلاق ، وتتساقط المشاعر ، وينقلب الإنسان على نفسه ، ويُقاتل أخاه الإنسان من أجل التصنيع الوحشي والتّحضر الزائف ، ويتم قتل الإنسان والطبيعة معاً .

اهتمّ ريمونت في كتاباته بالواقع المادي والعادات والسلوك والثقافة الروحية للشعب . وكان يستخدم لهجة الفلاحين البولنديين في الحوار والسرد ، وكان حريصاً على إظهار إيقاع الحياة اليومية مع البساطة الصارمة والأحلام الضائعة . وكانت كتاباته مرجعاً للتجربة الإنسانية والحياة الروحية العميقة ، ولم يكن لديه أفكار عقائدية أو تعليمية ، فلم يهتم بالمذاهب الفكرية ، وإنما اهتمّ بطبيعة الحياة ، وأفكار الناس ، والإحساس بالواقع المُعاش .

كان آخر مؤلفات ريمونت بعنوان " نطحة " ، ونُشر عام ١٩٢٤ ، ويصف فيه تمرّد الحيوانات في المزرعة من أجل المساواة ونيل حقوقها ، كما يصف ما يحدث في المزرعة من اعتداء وإرهاب دموي . والقصة كناية عن الثورة البلشفية (١٩١٧) . وقد مُنِع الكتاب في بُولندا الشيوعية في الفترة ما بين (١٩٤٥ - ١٩٨٩) ، جنباً إلى جنب مع رواية جورج أورويل الشهيرة " مزرعة الحيوان " التي نُشرت في بريطانيا عام ١٩٤٥ . ومن غير المعروف ما إذا كان أورويل قد تأثّر بأجواء رواية ريمونت الممنوعة .

من أبرز أعماله : المُخادع (١٨٩٦) . أرض الميعاد (١٨٩٨) . الفلاحون (١٩٠٤ - ١٩٠٩) . الحالم (١٩١٠) . مصّاص الدماء (١٩١١) . نطحة " الثورة " (١٩٢٤) .

فولتير وأسلوب النقد

وُلد الأديب والفيلسوف الفرنسي فولتير (١٦٩٤ _ ١٧٧٨) في باريس . اسمه الحقيقي فرانسوا ماري آروويه . وكان الأخ الأصغر لخمسة من الأطفال ، والطفل الوحيد الذي عاش منهم . كان والده يعمل مُوظَّفًا رسميًا صغيرًا في وزارة المالية . وكانت والدته تنحدر من أصول نبيلة . تلقى فولتير تعليمه في إحدى مدارس اليسوعيين (١٧٠٤ _ ١٧١١) ، حيث تعلم اللغة اللاتينية ، كما أصبح في فترة لاحقة من حياته بارعًا في اللغتين الإسبانية والإنجليزية .

عندما أنهى فولتير دراسته ، كان قد عقد العزم على أن يصبح كاتبًا بالرغم من أن والده كان يريد أن يصبح ابنه محامياً . ولكن فولتير _الذي تظاهر بأنه يعمل في باريس في مهنة مُساعد مُحامٍ_ كان يقضي معظم وقته في كتابة الشعر الهجائي . وعندما اكتشف والده الأمر أرسله لدراسة القانون ، ولكن هذه المرة في المقاطعات الفرنسية البعيدة عن العاصمة .

استطاع والد فولتير أن يحصل لابنه على وظيفة سكرتير السفير الفرنسي في هولندا ، حيث وقع فولتير في هوى لاجئة فرنسية ، ونجح والده في إحباط محاولتهما للفرار معًا ، والتي ألحقت الخزي به ، وتم إجبار فولتير على العودة إلى فرنسا مرةً أخرى .

دارت معظم السنوات الأولى من حياة فولتير في فلك واحد وهو باريس . ومنذ تلك السنوات المبكرة _ وما تلاها من سنوات عمره _ دخل فولتير في مشكلات مع السلطات بسبب هجومه المتحمّس على الحكومة وعلى الكنيسة الكاثوليكية . وقد أدّت به هذه الأنشطة إلى تعرّضه للسجن والنفي لمرات عديدة .

قام فولتير بكتابة أول أعماله المسرحية "أوديب" في سجن الباستيل ، وكان نجاح هذه المسرحية هو أول ركائز شهرته الأدبية . ويعتبر الكثيرون أن اتخاذ لاسم "فولتير" الذي جاء بعد الفترة التي تمّ فيها سجنه في الباستيل ، علامة على انفصاله الرسمي عن عائلته وماضيه .

تعلم فولتير الدرس من مُناوشاته السابقة مع السلطات ، وابتعدَ عن كل ما يُسبّب له الأذى الشخصي، وتخلّصَ من أيّة مسؤولية قد تُعرّضه للخطر . وواصلَ كتاباته، ونشر بعضًا من مسرحياته بالإضافة إلى بعض القصص القصيرة .

كتب فولتير مقالاً يعرض السيرة الذاتية للملك تشارلز الثاني عشر ، وهو المقال الذي يُعتَبَر بداية لكتابات فولتير التي انتقد فيها التّعصب . وقد جعله ذلك المقال مُؤرّخًا للبلات الملكي .

في عام ١٧٥١ ، انتقل إلى مدينة بوتسدام ليعيش إلى جوار فريدريك الأكبر (ملك بروسيا) الذي كان صديقًا مُقَرَّبًا منه ومُعْجَبًا بأدبه . وقد قام الملك بدعوته بشكل متكرر إلى قصره ، ثم منحه مُرتَبًا سنويًا يبلغ عشرين ألف فرنك .

وفي عام ١٧٦٤ ، نشر فولتير أكثر أعماله الفلسفية أهمية التي ينتقد فيه الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وغيرها من المؤسسات ، وهو " المعجم الفلسفي " .

في سنوات عمره المبكرة ، ظهرت موهبة فولتير الشعرية ، وكتب عدّة قصائد . ثُمَّ توجّه إلى القصص النثرية ، وكانت قصته المعروفة باسم " الساذج " (١٧٥٩) تهاجم التفاؤل الديني والفلسفي . بينما كان عمله " الرجل ذو الأربعين دينارًا " يهاجم بعض الأساليب الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في ذلك العصر . أمّا روايته " صادق " (١٧٤٧) وغيرها من أعماله ، فقد هاجم فيها الأفكار التي يتم تناقلها عبر الأجيال والخاصة بالقيم والمبادئ التي تقوم عليها العقيدة الأرثوذكسية، وكان هدفه من هذه الكتابات هو السُّخرية من " الكتاب المقدس " .

وفي هذه الأعمال ، يتّضح أسلوب فولتير الساخر البعيد عن المبالغة ، ويتّضح بوجه خاص التحفظ والبساطة في المعالجة اللفظية لهذه الأعمال. ويمكن اعتبار روايته القصيرة " الساذج" بوجه خاص ، هي أفضل النماذج على أسلوبه الأدبي .

تتشترك كتابات فولتير الأدبية مع أعماله الأخرى ، في استخدامها بوجه عام لأسلوب النقد، بالإضافة إلى التنوع في الموضوعات التي يتناولها. فقد كان يسبق كل أعماله الأساسية ، سواء التي كتبها في قالب شعري أم نثري، تمهيدٌ يمكن اعتباره نموذجًا لنبرة السخرية اللاذعة التي تُميّز أعماله، والتي لم تمنعه من استخدام تلك اللغة العادية المستخدمة في أحاديث الناس . وقد كان فولتير كاتبًا غزير الإنتاج. قام بكتابة أعمال في كل الأشكال الأدبية تقريبًا ، فقد كتب المسرحيات والشعر والروايات والمقالات والأعمال التاريخية والعلمية ، وأكثر من عشرين ألف رسالة .

وبسبب انتقاده المعروف للكنيسة الذي رفض أن يتراجع عنه قبل وفاته، لم يتم السماح بدفن فولتير وفقًا للشعائر الكاثوليكية . وعلى الرغم من ذلك، فقد تمكن أصدقاؤه من دفن جثمانه سرًّا في إحدى الكنائس الكبيرة في مقاطعة شامباين ، قبل أن يتم الإعلان رسميًا عن قرار منع الدفن .

وقد تم تحنيط قلبه ومُخه بشكل منفصل. وفي يوليو ١٧٩١ ، اعتبرته الجمعية الوطنية الفرنسية واحدًا ممّن بشرّوا باندلاع الثورة الفرنسية ، وتَمّت استعادة رُفاته للاحتفاظ به في مقبرة عُظماء الأُمّة ، تكريمًا له .

فيديادار نيبول والعنصرية الدينية

وُلد الروائي البريطاني فيديادار نيبول (١٩٣٢ - ٢٠١٨) في شاغواناس ، قُرب مرفأ إسبانيا في ترينيداد . يُعرَف باسم (ف. س. نيبول) . ينتمي إلى أسرة هندوسية هاجرت من الهند . كان جدُّه يعمل في قطع قصب السُّكر . وكان والده يُزاوِل مهنة الصحافة والكتابة . حصل على جائزة نوبل للأدب عام ٢٠٠١ . في سن الثامنة عشرة غادر نيبول إلى إنجلترا، حيث حصل على شهادة في الأدب عام ١٩٥٣ من جامعة أكسفورد. وقد أقام مُنذ تلك الفترة في إنجلترا ، لكنه خصَّص قِسطاً كبيراً من وقته لرحلات إلى آسيا وأفريقيا وأمريكا . كَرَسَ حياته للكتابة الأدبية ، وعمل في منتصف الخمسينيات صحفياً ، لصالح هيئة الإذاعة البريطانية (بي . بي . سي) .

في لقاء مع جريدة "الموندو" الإسبانية واسعة الانتشار، شَنَّ نيبول هجوماً عنيفاً على الإسلام والمسلمين دعا فيه إلى إجبار المملكة العربية السعودية ودول عربية وإسلامية ، كمصر والجزائر وباكستان _ على حَـد قَوْلِه _ ، على دفع تعويضات العمليات التي وقعت في نيويورك وواشنطن في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ . وأنه يتَّعَيَّن على المملكة العربية السعودية دفع التعويضات عن كل عملية "إرهابية" نفَّذها متطرفون إسلاميون على حد قوله . كما اتهم نيبول العرب بأنهم "يريدون أن يمدُّوا صمت الصحراء إلى كل مكان، فهم أُمَّة جاهلة لا تقرأ، وهم يقفون ضد الحضارة ، وإن المسلمين بشكل عام شعوب مليئة دائماً بالحق، ويعتقدون أنه لا سبيل إلى التعايش مع شعوب أخرى إلا بالقوة " . وهاجم كذلك العمليات الاستشهادية التي يقوم بها فدائيون فلسطينيون ضد الاحتلال الصهيوني لفلسطين قائلاً : ((إن الأمر يتعلق بمتطرفين يحلمون بدخول الجنة)) .

يرفض نيبول أن يكون مُتأثراً بأي كاتب آخر ، ويقول إنه اعتمد على نفسه فقط في تكوينه الأدبي ، ولم يأخذ من غيره شيئاً ، وكُل ما قدَّمه كان جديداً . أمَّا الكاتب الأثير لديه الآن فهو موباسان ، وقد اكتشفه مُتأخراً كما يقول . وفي عام ١٩٥٥ ، حمل نيبول أولى رواياته للناشر . وكان قد اشترى كتاباً لسومرست موم " لكي أعرف ماذا يمكن أن يُعلِّمني أستاذ الرواية ، بحيث تكون لديَّ إمكانية أن أُعيد كتابة روايتي قبل تسليمها للناشر ، ولكن لم يحدث أي شيء " .

ويؤكِّد نيبول على أنه " رجل يطفو " ، والرجل الذي يطفو ، ينبغي أن يبحث لنفسه عن أرض ، وبما أن الكُتَّاب الأوروبيين لديهم مادتهم الخاصة، فإنه يجب أن يجعل السؤال المائل أمامه دائماً، باعتباره مُهاجراً طامحاً، من بلدة بعيدة ومختلفة : ((ما هي المادة الخاصة بي أنا ؟)) .

خَصَّصَ نيبول أولى الدراسات الخمس التي صمَّمها كتابه الأخير " شعب الكاتب " لرفيقه الشاعر الكاريبي الشهير ديريك والكوت . وهذه هي المرة الأولى التي يكتب فيها نيبول عن رفيقه والكوت. في دراسته يتحدث نيبول عن ديوان يضم ٢٥ قصيدة نشرها والكوت عام ١٩٤٩ على نفقته الخاصة . يبدأ نيبول بتذكر الحماس الذي يُثيره نشر كتاب من أديب محلي في جزر الهند الغربية. ووالكوت هو النموذج الذي يُقدِّره نيبول أفضل تقدير في الأدب . يقول نيبول عن والكوت : ((لقد تأثرت بشدة عندما قرأتُ مناظر طبيعية وصفها قلم موهوب موهبة كبيرة . إنني عندما قرأتُ هذه القصائد أدركتُ لماذا كان بوشكين على هذا القدر من الأهمية بالنسبة للروس)). إن نيبول يعتبر هذا الديوان الصغير عزيزاً على قلبه ، لأنه يُمثِّل له ذكريات لا تُنسى لفترة من فترات حياته . ولكن في منتصف الدراسة يُقرِّر نيبول أن الشاب المتألق قد تحوَّل إلى شيء أقل تألقاً من وجهة نظره : " صوت أسود جديد جميل في الولايات المتحدة . نقلوه من الجزر لكي يُدرِّس في الجامعات الأمريكية " . وبعد إعادة تحليل هذا العمل لوالكوت وصل نيبول إلى نتيجة مُفادها أنه أصبح ينضم إلى تراث أدب الشكوى والغضب ضد البيض . وهو التعبير المهدَّب عن عُقدة الاضطهاد التي يُتهم بها الكتَّاب الذين لا يُكفُّون عن الشكوى من العنصرية . وفجأة انضم والكوت إلى جيش الكتَّاب الذي ينهلون من " الأفكار نفسها المتواترة عن السود، عن العذابات التي يغرقون فيها دائماً " . وفي كتاب نيبول يذكر عدداً كبيراً من الكتَّاب، من كامو إلى كويتزي، والذين " وقعوا جميعاً في فخ القضايا العنصرية ، مع ما يترتب على ذلك من الميل إلى الظهور بالمظهر المثالي " .

لَمْ يسكت والكوت على هذا الهجوم، وردَّ عليه، برِّقة شاعر، وبضراوة مُلاكم، إذ إنه يُثني عليه ثناء كبيراً، وعلى أسلوبه الجميل في الرواية، ولكن والكوت انتفض فجأة لِيُسدِّد له لكمة انتقادية صميمة ، فهو يتَّهمه صراحة بالعنصرية ، ويُدين " خصومته للزُّنوج " .

في الأعوام الأخيرة ، كان نيبول مثار ضجَّة في الصُّحف العالمية ، بسبب هجومه على بعض الكتَّاب . والسبب المتكرَّر لنقده العنيف للأعمال الأدبية التي ظهرت مؤخراً لبعض كبار الكتَّاب، هو عجزهم عن التجديد ، وانغلاقهم في أطر جاهزة يسجنون فيها إبداعهم .

نُشِرَ له العديد من الروايات وكتب الرحلات ، منها : عامل التَّدليك المتصوِّف (١٩٥٧) . شارع ميغيل (١٩٥٩) . منزل السيد بيسواس (١٩٦١) . المحاربون (١٩٧٥) . في مُنعطف النهر (١٩٧٧) . وهي الرواية الوحيدة المنشورة له باللغة العربية .

فيديريكو غارثيا لوركا والإعدام رميًا بالرصاص

وُلد الشاعر الإسباني فيديريكو غارثيا لوركا (١٨٩٨ - ١٩٣٦) في غرناطة . كان والده مُزارعًا ثريًا ، وأُمّه مُعلّمة ، أخذت على عاتقها تعليمه النُطق والكلام ، لأنه وجد فيهما صعوبة في أول حياته، كما أنه لم يستطع المشي حتى الرابعة من عُمره بسبب مرض خطير أصابه عَقِب الولادة. في الوقت الذي لا بُدَّ فيه من إلحاق لوركا بالمدرسة، انتقلت الأسرة إلى غرناطة ، وهناك تلقى ما يتلقاه أترابه الذين في مستواه الاجتماعي من الثقافة العادية حتى بلغ سن الجامعة، فبدأ دراسته الجامعية في جامعة غرناطة دون أن يُتِمّها . ثُمَّ التحق فيما بعد بجامعة مدريد ، ولكنه لم يُنجز دراسته فيها أيضًا ، إذ لم يكن مَيَّالاً إلى الدراسات الأكاديمية . وكانت اهتماماته مُتّجهة دائماً إلى خارج مدرجات الجامعة ، وقد وجد نَفْسَه أسعد حالاً في المقاهي وأحاديث الأصدقاء والتجوال في ريف غرناطة ، أو بساتينها القريبة ، وفي الكشف عن العديد من الثقافات والتقاليد التي كَوّنت منطقة الأندلس ، وفي التعرف على العجر الذين صاروا الموضوع الأساسي لأكثر أعماله الأدبية .

أثناء إقامة لوركا في غرناطة ، طُبِع أول كتاب نثري له " انطباعات ومناظر " (١٩١٨) . وهو حصيلة عدد من الرحلات في إسبانيا .

ثم بدأ التجوال بين غرناطة ومدريد . وخلال عشر سنوات تعرّف على أصدقاء أصبحوا من المشاهير ، وملاً ذِكْرهم الآفاق ، منهم سلفادور دالي وبابلو نيرودا . طُبِع أول ديوان شعر له " كتاب الأشعار " عام ١٩٢١ ، ذُون أن يُشير كثيراً من الانتباه . وقد كان لوركا مُعرّضاً عن نشر أعماله ، وكان على أصدقائه الأدباء أن يقوموا بالعديد من المحاولات ليحتالوا للفوز بإحدى قصائده لنشرها في دَوْرِيّاتهم .

ومع أنه لم ينقطع عن نظم الشَّعر ، إلا أن ديوانه " أغاني " لم يظهر حتى عام ١٩٢٧ ، وقد استطاع بما له من قوة الشخصية أن يُؤثّر في الشعراء الآخرين من قبل أن تظهر أعماله الهامة . كان لوركا أحد أفراد ما عُرف باسم " جيل ٢٧ " . ويعتبره البعض أحد أهم أدباء القرن العشرين . وهو واحد من أبرز كتاب المسرح الإسباني في القرن العشرين . وتُعَدُّ مسرحيته " عُرس الدم " أشهر أعماله المسرحية. في حين أن قصيدته " شاعر في نيويورك " هي أشهر أعماله الشَّعرية.

أُعْدِم لوركا مِن قِبَل الثوار القوميين وهو في الثامنة والثلاثين من عُمره ، في بدايات الحرب الأهلية الإسبانية ، في ١٩ أغسطس ١٩٣٦ .

في عام ١٩٢٠ ، عُرض فصل من مسرحيته " رُقية الفراشة المشؤومة " في مدريد .
وأما أولى مغامراته المسرحية الناجحة ، فكانت المسرحية النثرية التاريخية " ماريانا بنيدا " التي قُدِّمت في مدريد عام ١٩٢٧ .

شهد العام التالي ظهور أكثر دواوين لوركا شعبية " حكايا عجرية " الذي لاقى نجاحًا كبيرًا في إسبانيا ، وجميع البلاد الناطقة بالإسبانية . إذ إنه لم يكن يكتب كغالبية شعراء عصره للخاصة ، بل كان يقول: ((أريد للصور التي أستمدّها من شخصياتي أن تفهمها تلك الشخصيات نفسها)) .
وقد كان حريصًا أن يفهمه كل إنسان ويُحِبُّه مِن خلال شِعْره ، وهذا ما حققه بلا شك . وحتى الذين ليس لهم ميول أدبية يفهمونه ، وإن لم يفهموا تمام الفهم ، فهم على الأقل يشعرون بما يقوله الشاعر .

بعد ذلك ، سنحت للشاعر لوركا فرصة الارتحال إلى الولايات المتحدة، فوصل إلى نيويورك عام ١٩٢٩ ، وأصيب بخيبة أمل من الحضارة الأمريكية المختلفة تمامًا عن الحضارة الإسبانية، ليعود بعدها إلى الوطن ، ويصدر مجموعته الشعرية " شاعر في نيويورك " التي ألبسته ثوبًا مُغايرًا لِرجل اختلفت اهتماماته وتفكيره .

أعطى الحاكم المدني لِرَغرناطة الأمرَ بتنفيذ حُكم الإعدام بحق لوركا ، وأُعْدِم رَميًا بالرصاص بتهمة كُونه جمهوريًا ومثلي الجنس ، وذلك في الأيام الأولى من الحرب الأهلية الإسبانية .
وقد جرى إعدامه على التلال القريبة من رَغرناطة، ولكن جسده _ كما تنبأ في إحدى قصائده _
لم يُعثر عليه : ((وعرفتُ أنني قُتِلْتُ / وبحثوا عن جُثتي في المقاهي والمدافن والكنائس / فَتَحُوا البراميل والخزائن / سرقوا ثلاث جُثث / ونزعوا أسنانها الذهبية / ولكنهم لم يجدوني قَط)) .

فيسوفا شيمبورسكا ولجنة الشيوعية

وُلِدَت الشاعرة البولندية فيسوفا شيمبورسكا (١٩٢٣ - ٢٠١٢) في مدينة "كورنيك" الواقعة في وسط بولندا . ومنذ عام ١٩٣١ ، وهي تسكن بالمدينة البولندية الأثرية " كراكوف" (عاصمة بولندا القديمة) . حصلت على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٦ ، لأن " أشعارها استطاعت بدقة متناهية أن تُجسّد الحقائق الذاتية والتاريخية في صورة تشرذمات بشرية " . تناولت أعمال شيمبورسكا موضوعين أساسيين هما : الحرب والإرهاب . ونافست مبيعات أعمالها في بولندا أهم الأدباء .

تستخدم شيمبورسكا دائماً أساليب أدبية مثل الطّباق والسُّخرية والتناقضات والتصريح المقتضّب ، لإلقاء الضوء على الوسواس والمواضيع الفلسفية . وقصائدها القصيرة غالباً ما تستحضر إشكاليات وجودية كبيرة تلمس من خلالها مواضيع ذات قيمة أخلاقية، وتعكس حالة الإنسان كفرد وكعضو في المجتمع . ويتميّز أسلوبها بالاقتضاب والتأمل في بواطن الأشياء وروحها الفُكاهية .

حقّقت شهرتها اعتماداً على عدد قليل من القصائد . وهي معروفة بالخيال ، ويُقدّرُها الجميع في الأوساط الأدبية البولندية . وقد تحوّل بعض إنتاجها إلى أعمال موسيقية ، وترجمت كتاباتها إلى لغات أوروبية ، بالإضافة إلى اللغات العربية والعبرية واليابانية والصينية . استمرّت في دراستها عن طريق الدروس الخصوصية ، وقت اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وعملت في السّكك الحديدية ، وقاومت بشدة فكرة انتقالها إلى ألمانيا ، لتعمل بنظام للمهاجرين يُشبه السُّخرة . وفي تلك الفترة ، بدأت عملها كفنانة ، فكانت ترسم الصور الموضّحة للكتب التعليمية باللغة الإنجليزية .

في عام ١٩٤٥ ، درست شيمبورسكا اللغة والأدب البولندي ، ثُمَّ غيّرت مجال دراستها إلى علم الاجتماع . وفي الجامعة بدأت تظهر موهبتها ككاتبة في الأوساط المحلية . وفي نفس العام ، نشرت أولى قصائدها " أبحث عن العالم " في إحدى الجرائد اليومية، واستمرت في نشر قصائدها في مختلف الجرائد والمجلات . وفي عام ١٩٤٨ ، اضطرّت إلى ترك دراستها دون الحصول على شهادتها ، بسبب ظروف مادية صعبة . كان من المفترض لأول كتبها أن يُنشر في عام ١٩٤٩ ، ولكن الرقابة لم تُصرّح به زاعمةً أنه لا يتماشى مع المناخ الاشتراكي . وبالرغم من ذلك ، استمرّت

شيمبورسكا في مديح لينين وستالين والشيوعية في كتاباتها ، مثل قصيدتها التي سَمَّتها " لينين " في أول مجموعة شعرية لها . وكانت تُدعى " وهذا الذي نحيا من أجله " . وقد انضمت الشاعرة لحزب العمال البولنديين المتحدين ، ولكنها ككثير من المفكرين البولنديين تَحَلَّت عن أفكارها الشيوعية ، ولكنها لم تترك الحزب حتى عام ١٩٦٦ .

في عام ١٩٥٣ ، انضمت لفريق مجلة مُتخصّصة في النقد الأدبي، تُسمى " الحياة الأدبية " . وعملت فيها حتى عام ١٩٨٣ . وخلال عام أصبح لها عمود خاص للنقد الأدبي اسمه " قراءة غير مُلزمة " ، والكثير من أبحاثها في تلك الفترة نُشِرَ في صورة كُتب . كما شاركت في العديد من المجلات الأخرى ، وكانت تُركّز جهودها على مُعارضة النظام الحاكم .

تُوصَف شيمبورسكا بأنها شاعرة التفاصيل والتناقضات بامتياز فضلاً عن كونها شاعرة الجزالة الشعرية ، والسهل الممتنع . وقد حَفرت على مدى خمسين عاماً صَوْتَهَا الخاص في الشعر البولندي المعاصر . والكتابة لدى شيمبورسكا عمل شاق دؤوب دقيق ومعاناة حقيقية، يُقابلها متعة الكتابة التي سَمَّتها الشاعرة في واحدة من أجمل قصائدها بـ " بهجة الكتابة " . ومقابل المخاض ثَمّة وليد ينتظر .

ورغم قلة قصائدها ، إلا أنها شكّلت ظاهرة في الشعر البولندي الحديث . حيث اعتمدت على البساطة والعمق الفكري ، وتوليد صور شعرية غير عادية ، وتكوين صياغات لغوية مُتفردة ومُدْهشة . وفي شعرها تكون الكلمة وسيلة لا غاية .

قصيدة شيمبورسكا تُدافع عن نفسها فَنِّيًّا وفكرِيًّا . اللفظ في خدمة المعنى ، والمعنى يتجلى في اللفظ . إنها طرفان في خدمة قضية واحدة اسمها القصيدة . وهكذا ، يصبح الفصل بينهما غير مرئي تمامًا ، بل يمكن أن نقول إنه غير وارد . والشئ ذاته يحدث لدى الشاعرة على صعيد آخر ، فلا يمكن بناء قصيدة بمعزل عن الفكر والفكرة على السواء . وأيضًا لا يمكن فصل بنية القصيدة عن سياقها الشعري والجمالي ورشاقها الشعرية . حتى السخرية الشائعة في شعرها تُعتبر عُنصرًا ضمن مشروع فني، الهدف منه خدمة القضية الشعرية والقضية الفكرية ، وقد تتداخل السخرية أحيانًا في تشكيل الإطار العام لمعمارية القصيدة .

من أبرز مجموعات الشعرية : لماذا نحيا ؟ (١٩٥٢) . أسئلة نسألها (١٩٥٤) . الملح (١٩٦٢) . كل حال (١٩٧٢) . العدد الكبير (١٩٧٦) . ناس على الجسر (١٩٨٦) .

فيليب روث والرواية اليهودية الأمريكية

وُلد الروائي الأمريكي فيليب روث ميلتون (١٩٣٣ - ٢٠١٨) في نيو جيرسي في أمريكا ، وهو الابن الثاني لعائلة يهودية هاجرت إلى أمريكا من منطقة غاليتسيا في أوكرانيا .

تلقى روث تعليمه في مدارس نيويورك العامة ، وحصل على درجة البكالوريوس من جامعة باكنيل ، وعلى الماجستير من جامعة شيكاغو ، ولم يكمل دراسته لنيل درجة الدكتوراة . عمل بتدريس اللغة الإنجليزية ، ثم قام لاحقاً بتدريس الكتابة الإبداعية في جامعتي أيوا وبرنستون ، وتقاعد من مهنة التدريس في عام ١٩٩٢ ، ليتفرغ نهائياً للكتابة . اشتهر مع بدايات عام ١٩٥٩ عندما كتب رواية " وداعاً كولومبوس " . وهي صورة عن الحياة اليهودية الأمريكية ، والتي حصل بسببها على الجائزة الأمريكية القومية للكتاب والرواية . كما حصل على الميدالية الذهبية للرواية عام ٢٠٠١ ، وهي أعلى تكريم أدبي تمنحه الأكاديمية الأمريكية للفنون والآداب .

يُعتبر روث أهم كاتب في الولايات المتحدة في جيله ، فقد حصل مرتين على جائزة الكتاب الوطني ، ومرتين على جائزة النقاد الوطنية للكتاب ، وثلاث مرات على جائزة " قلم فوكنر " ، كما حصل على جائزة بوليتزر عام ١٩٩٧ . وفاز بجائزة " أمير أستورياس " عام ٢٠١٢ .

وكان اسم " فيليب روث " يتردد دائماً للحصول على جائزة نوبل للآداب ، إلا أنه لم يحصل عليها . وهو ينتمي إلى ما يُسمّى بالمدرسة اليهودية للرواية الأمريكية .

يرى بعض النقاد أن أعمال روث تعكس حالات الهلع والخوف والهواجس ، ومظاهر البؤس والشقاء التي تعاني منها مجتمعاتنا الحالية . وكانت لجنة التحكيم لجائزة أمير أستورياس قد أشادت بـ " كتابته السلسلة والرفيعة ، وبشخصيات رواياته وأحداثها وحبكها التي تُشكّل رؤية شاملة للواقع المعاصر الذي يتخبّط في صراع دائم بين العقلانية والعواطف " .

كما نوهت اللجنة بـ " مستواه الأدبي ونظرة العميقة للواقع المعاش ، هذه النظرة التي تقف حيزاً بين ما هو عقلائي وعاطفي حيال الاضطرابات التي تُميّز الأزمنة الحاضرة " .

من أعمال روث المبكّرة " وداعاً كولومبوس " . وهو كتاب يتضمن عدّة قصص حول حياة اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية ، حقّق به الكاتب نجاحاً أدبياً كبيراً ، ثم جاءت كتبه الأخرى مثل : " الهروب " (١٩٦٢) ، الذي يُعالج فيه إشكالية احتضار شاب يهودي يتصارع أو يتأرجح بين العقل والعاطفة ، ثم روايته الشهيرة " شكوى برتنوي " التي تحوّلت إلى فيلم عام ١٩٧٢ .

ومن أعمال الروائية المهمة : " الحيوان المُحتضر " . وتبدو هذه الرواية كأنها سيرة ذاتية يرويها رجل في السبعين من عُمره، يغوص بذاكرته في صلاته وعلاقاته بالنساء اللواتي مَرَزَنَ به في حياته . وتُعالج هذه الرواية إشكالية الجسد والجنس في حياة الإنسان المعاصر . وعلى الرغم من وضع الكاتب كلمة "الحيوان" في عنوان كتابه، إلا أنه لا تتم الإشارة البتّة إلى أي حيوان داخل الرواية . وقد يكون ذلك رمزًا خفيًا للشهوة الحيوانية والغريزة الفوضوية لدى شخص الرواية . امتاز روث بغزارة إنتاجه الأدبي ، فقد ترك أكثر من ثلاثين كتابًا مُتنوّعًا بين الرواية والقصة القصيرة والمقالة .

غلبت على أدب روث ملامح سوداوية ، وسيطرت على كتاباته نزعة تشاؤمية . وقد عالج في كتاباته القضايا الوجودية والمسائل الجنسية، وغاص في تفاصيل المجتمع ، وأسرار النفس البشرية.

وقد قال روث في إحدى المقابلات الصحفية : ((إن خلق سيرة مُزيّفة، وتاريخ مُزيّف، وتلفيق وجود نصف خيالي خارج دراما حياتي ، هو حياتي . لا بُد من وجود متعة في هذه الحياة . وهذه هي متعتي)) .

فيليب لاركن وكراهية الشهرة

وُلد الشاعر الإنجليزي فيليب لاركن (١٩٢٢ _ ١٩٨٥) بمدينة كوفنتري ، وكان طفلاً انطوائياً وشديد الانعزال ، بسبب ضعف بصره وتلعثمه في الحديث . وكانت سعادته الوحيدة في مكتبة والده الكبيرة .

درس الأدب الإنجليزي في جامعة أكسفورد ، وتخرّج في عام ١٩٤٣ . وعمل أمين مكتبة بعد التخرج ، واستمر في هذا الوظيفة حتى بلغ الستين من عمره ، لأنها أتاحت له التواجد بين الكتب ، ووفّرت له الوقت الكافي للقراءة والكتابة .

أصدر لاركن ديوانه الأول " سفينة الشمال " (١٩٤٥) . وفي العام التالي، أصدر روايته الأولى " جيل " . وفي العام التالي أصدر روايته الثانية " فتاة في الشتاء " . كان في البداية غزيراً في الإنتاج ، ولكنه لم يلفت الانتباه إليه . وقد تعلّم من هذه التجربة الاقتصاد في الكتابة ، والتركيز على النوع (الكيف) ، وليس الكم ، لذلك صار أقل الشعراء الإنجليز إنتاجاً .

كانت بدايته الحقيقية في عام ١٩٥٥ ، حين أصدر ديوان " الأقل تعرّضاً للخداع " ، والذي ساهم بشكل كبير في انتشار اسمه وشهرته . ويرى بعض النقاد أن السبب في هذا يرجع إلى تطوّره وخروجه من عباءة الشاعر الكبير وليام بتلر بيتس ، فقد حاول تقليده في ديوانه الأول، لكنه امتلك الخبرة الفنية واللغوية في ديوانه الثاني، كما تجاوز تجاربه الذاتية، وانفتح على الواقع والتاريخ في هذا الديوان، الذي يراه البعض أصدق تعبير عن مُعاناة الشعب الإنجليزي بعد الحرب . استدعى الشاعر كذلك مشاهد تاريخية لإنجلترا في القرن التاسع عشر، وهي مشاهد تُذكر بروايات " تشارلز ديكنز " ، عن بؤس الفقراء واستعباد الطبقة العاملة .

في قصيدة " الأقل تعرّضاً للخداع "، يفتتح بقصة تعرّض سيدة فقيرة للاغتصاب، يُناقش من خلال الواقعة فكرة سلسلة القهر التي يسعى فيها المظلوم إلى قهر شخص أضعف منه، وتشير القصيدة إلى أن المرأة الفقيرة تقع في نهاية سلسلة القهر .

وفي عام ١٩٦٤ ، أصدر ديوانه الثالث " أعراس العطلة المسيحية " الذي ضم ٣٢ قصيدة، من بينها عدد من أعظم قصائده وأشهرها . وقد حقّق الديوان نجاحاً كبيراً ، ومنحه شهرة عالمية . نفدت الطبعة الأولى خلال شهرين فقط ، ثم نفدت عدّة طبعات أخرى في وقت قياسي في بريطانيا والولايات المتحدة .

أظهر الديوان مهاراته الفنية العالية، وسيطرته الكبيرة على اللغة، وقدرته على صياغة الرموز، وإثارة المشاعر . وتعرض القصيدة التي تحمل اسم الديوان مشاهد من الريف الإنجليزي، يرصدها راكب قطار ، قبل أن ينتبه إلى حشد من الناس على إحدى المحطات في وداع عريس وعروس يستقلان القطار . ويُمثّل سُقوط المطر في نهاية القصيدة رمزًا للأمل والخصوبة ، إلا أن القصيدة تُوجي باشمئزاز الراكب الوحيد (المعزول عن العالم) من العروسين ، أو من فكرة الزواج نفسها . والقصيدة تعكس فكرة لاركن عن الزواج والحياة عمومًا، فقد رفض الحب والزواج طوال حياته، واعتبر الأسرة مؤسسة فاشلة، وثارت أزمة بعد وفاته بسبب خطابات أرسلها إلى أحد أصدقائه، تكشف عن احتقاره للمرأة . ويُرجع بعض النقاد هذا الموقف إلى طفولته التعيسة، رغم تشجيع والده له على القراءة .

لَمْ يكتب لاركن عن فترة طفولته ، كما فعل أغلب شعراء إنجلترا في ذلك الوقت ، إلا أن هناك إحياءات قوية في قصائده عن طفولته التعيسة، وقسوة أبويه . لقد عاش لاركن حياة التُسَاك، بعيدًا عن الناس طوال حياته، وَلَمْ يتزوج أو يظهر في مناسبات اجتماعية أو أدبية ، وَلَمْ يقرأ قصائده على الجمهور، وَلَمْ يُجب عن أسئلة الصحفيين إلا نادرًا ، وَلَمْ يكن لديه أصدقاء من الوسط الأدبي ، وَلَمْ يُعرف عنه ممارسة هواية أو رغبة في السفر إلى الخارج .

حرص لاركن على الابتعاد عن الشهرة والأضواء طوال الوقت ، واقتصرت حياته على عمله في مكتبة جامعة " هال "، وكتابة الشعر فقط، حتى إنه رفض لقب أمير شعراء بريطانيا بعد وفاة جون بيتجمان عام ١٩٨٤ ، حتى لا يُضطر للظهور في المناسبات العامة ووسائل الإعلام .

في عام ١٩٧٤ ، أصدر لاركن ديوانه الرابع " نوافذ عالية " . ضَمَّ الديوان قصيدته الأشهر على الإطلاق " هكذا يكون الشعر " . وفي عام ٢٠٠٩ ، استشهد أحد القضاة بأربعة أبيات من هذه القصيدة في حثيات حُكمه في قضية بشأن حضانة طفل بعد طلاق والديه ، وهذا دليل على مدى تغلغل هذه القصيدة في وجدان الجمهور ، كما تضم القصيدة أبياتًا شهيرة يُشَبَّه فيها فرحة الميت بالقبر بفرحة البَحَّار حين يعود إلى اليابسة، وفرحة الصياد عند عودته من التلال. يُعتَبَر لاركن واحدًا من أهم شعراء بريطانيا في النصف الثاني من القرن العشرين، وأكثرهم تعبيرًا عن الشعب الإنجليزي بعد الحرب العالمية الثانية. اختارته مجلة التايمز كأعظم كاتب في بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية، وظهر اسمه في قائمة أهم مئة شاعر في تاريخ البشرية. والعجيب أنه حصل على هذه المكانة الرفيعة رغم زهده في الشهرة، وانعزاله عن المجتمع الأدبي، وقلة إنتاجه الإبداعي .

فيودور دوستويفسكي والعذاب الإنساني

وُلد الروائي الروسي فيودور دوستويفسكي (١٨٢١ - ١٨٨١) في موسكو . بدأ قراءته الأدبية في عُمرٍ مُبكرٍ من خلال قراءة القصص الخيالية والأساطير لكتاب روس وأجانب . والده كان طبيبًا جراحًا متقاعدًا ، مُدمنًا على الكحول ، وسريع الإنفعال . أمّا والدته فقد تُوفيت عندما كان عُمره خمس عشرة سنة . وفي نفس الوقت ترك المدرسة والتحق بمعهد الهندسة العسكرية . وبعد تخرُّجه عَمِل مُهندسًا واستمتع بأسلوب حياةٍ باذخ ، وكان يُترجم كُتبًا في ذلك الوقت أيضًا ليحصل على دخل إضافي .

في مُنتصف الأربعينيات كُتب روايته الأولى " المساكين " التي أدخلته في الأوساط الأدبية في سانت بطرسبرغ حيث كان يعيش . وقد أُلقي القبض عليه عام ١٨٤٩ ، لانتمائه إلى مجموعة أدبية سرّية تُناقش الكتب الممنوعة التي تنتقد النظام الحاكم في روسيا . وحُكِم عليه بالإعدام ، ولكن تمَّ تخفيف الحكم في اللحظات الأخيرة من تنفيذه ، فقضى أربع سنوات في الأعمال الشاقة ، تلاها ست سنوات من الخدمة العسكرية القسرية في المنفى .

في السنوات اللاحقة ، عَمِل دوستويفسكي كصحفيٍّ في العديد من المجلات الأدبية ، وعُرفت تلك الأعمال بـ " مذكرات كاتب " ، وهي عبارة عن مجموعة مُجمّعة من مقالاته خلال الفترة (١٨٧٣ - ١٨٨١) . وقد واجه صعوباتٍ مالية بعد أن سافر لبلدان أوروبا الغربية ، ولعب القمار . ولبعض الوقت، اضطر دوستويفسكي للتسوّل من أجل المال ، لكنه في نهاية المطاف أصبح واحدًا من أشهر الكُتّاب والمؤلفين حول العالم وأكثرهم تقديرًا واحترامًا. وقد تُرجمت كتبه لأكثر من مئة لغة. رواياته تحوي فهمًا عميقًا للنفس البشرية، كما تُقدّم تحليلًا ثاقبًا للحالة السياسية والاجتماعية والروحية لروسيا في القرن التاسع عشر ، وتتعامل مع مجموعة متنوعة من المواضيع الفلسفية والدينية . وشخصياته دائمًا في أقصى حالات اليأس ، وعلى حافة الهاوية . والعديد من النقاد اعتبروه أحد أعظم النُفسانيين في الأدب العالمي. وهو أحد مؤسسي المذهب الوجودي ، حيث تُعتبر روايته القصيرة " الإنسان الصرصار " أولى الأعمال في هذا التيار .

عَبّر دوستويفسكي عن أفكاره الفلسفية والدينية والنفسية من خلال كتاباته . وتحكي قصصه مواضيع عن الانتحار والفقر والخداع والأخلاق .

مواضيعه النفسية حكى فيها عن الأحلام ، وعلاقة الأب وابنه . وتظهر في كثير من أعماله نواحي تكوين المجتمع الروسي الفوضوي في ذلك الوقت .

وأعماله المبكرة تُظهر المجتمع من خلال الطبعانية والواقعية الأدبية . ويسبب تأثره الكبير بالكتاب الذين قرأ لهم ، كان كثيراً ما يقتبس منهم ، وأسلوبه مُشابه لهم لحد كبير . أدّى ذلك لاتهامه بالسرقة الأدبية في أعماله المبكرة . ولكن مع مرور الوقت أصبح لديه أسلوب خاص به . ودائماً ما تُوصف أعمال دوستوفسكي بكونها فلسفية ، على الرغم من قوله إنه ضعيف في الفلسفة. ومن غير المعروف ما إذا كان دوستوفسكي يؤمن بالأفكار الفلسفية التي طرحها أو لا . وربما أورد هذه الأفكار من أجل انتقادها ، فقد كان عقله فناناً أكثر من كونه عقلياً ومنطقياً . أحد أساليب فيودور الكتابية هي البولفونية ، وهي تعني تعدد الرؤاة والأصوات في الرواية الواحدة ، كُلٌّ منهم بوجهة نظره الخاصة .

لم تكن دائماً جميع ردود الفعل حول أعمال دوستوفسكي إيجابية . عدد من النقاد ينظرون إلى أعماله باعتبارها نفسية وفلسفية بشكل كبير جداً ، بدلاً من كونها فنية أدبية . ووجد آخرون أن القصة بذاتها مُفككة وغير مُنظمة وفوضوية . واعترض آخرون بكونها أعمالاً نفسية متطرفة ، وأنه يدخل في التفاصيل كثيراً ، وأن أسلوبه مُتكرر ومُستفيض ، ويُقتصر إلى التوازن وضبط النفس .

كان دوستوفسكي مُصاباً بالصرع . وأوّل نوبة أصابته عندما كان عُمره تسع سنوات . ونوبات الصرع كانت تصيبه على فترات متفرقة في حياته. وهذا الأمر أثر عليه سلباً طيلة حياته ، وسبب له مُعاناة حقيقية .

من أبرز رواياته : بيت الموتى (١٨٦٢) . الجريمة والعقاب (١٨٦٦) . المقامر (١٨٦٧) . الأبله (١٨٦٨) . الأخوة كرامازوف (١٨٨٠) . وقد تمّ تعريبها ، ومُثّلت في فيلم عربي باسم " الأخوة الأعداء " .

قسطنطين كفافيس ومحمد نشر الأشعار

وُلد الشاعر المصري اليوناني قسطنطين كفافيس (١٨٦٣ _ ١٩٣٣) في الإسكندرية بمصر . اسمه الحقيقي كونستنتينوس بيترو كفافيس . يُعتَبَر واحدًا من أعظم الشعراء في الأدب اليوناني في القرن العشرين .

كانت عائلته غنية من القسطنطينية. انتقلت للاستقرار في الإسكندرية عام ١٨٥٠ حين افتتح والده متجرًا للاستيراد والتصدير . وبسبب وفاته عام ١٨٧٠ اضْطُرَّت العائلة إلى الانتقال إلى ليفربول في إنجلترا ، حيث تلقى كفافيس تعليمه الأساسي باللغة الإنجليزية .

وفي عام ١٨٨٢ ، عادت العائلة إلى الإسكندرية ، وتابعت حياتها السابقة فيها . وخلال أحداث ١٨٨٥ _ المرتبطة بنضال الحركة الوطنية في مصر ضد الاحتلال البريطاني _ رجعت العائلة إلى موطنها في القسطنطينية . ولكن شعور كفافيس بالانتماء إلى الإسكندرية دفعه إلى العودة إلى الإسكندرية ، والاستقرار فيها حتى وفاته . وفي أثناء هذه المدة ، قام الشاعر بِعِدَّة رحلات إلى أثينا وباريس ولندن، وعمل في الصحافة إلى أن حصل على وظيفة في وزارة الأشغال العامة المصرية بسبب إتقانه الإنجليزية والفرنسية ، إلى جانب العامية المصرية ولغته الأم، واستمر في هذه الوظيفة ثلاثين عامًا ، أقام في أثناءها علاقات اجتماعية واسعة، وارتبط بصداقات عديدة في الأجواء الثقافية مُتعدِّدة الجنسيات والتَّوجَّهات في الإسكندرية .

أطلقَ كفافيس على نفسه لقب " الشاعر العجوز " مُقَارِنًا نفسه بأناتول فرانس الذي أنجز أهم أعماله بعد أن تخطى الخامسة والأربعين، إذ إن كفافيس لم يصل إلى صوته الخاص والمتفرد إلا بعد مُروره بأزمة " التمحيص الفلسفي " التي استمرت خلال الفترة (١٩٠٣ _ ١٩٠٤) .

كان كفافيس كثير القراءة في الأدب الإنجليزي والفرنسي ، وخاض في الرومانسية والبرناسية والرمزية . وقصائده _ باللغة اليونانية _ في الثمانينيات والتسعينيات تحمل بصمات شيلي وكيثس وهوغو، إلى جانب الرومانسيين اليونانيين، إلا أن تأثير الرمزية كان الأقوى . ففي قصيدته " تراسل حَسَب بودلير " يميل كفافيس إلى فكرة بودلير عن التراسل والتزامن الحسِّي .

أمَّا في قصيدته " البَنَّاوون " فيُقلِّد بودلير في رفضه مثال التطور الإنساني . ويتجلى التزامه بالرمزية وبحركات أدبية أخرى، كالجمالية والباطنية في قصائد عِدَّة في عَقْد التسعينيات ، وكذلك في قصته القصيرة " في وضع النهار " .

تأثر كفافيس بمدارس شعرية مختلفة، واهتمَّ بالتاريخ مُبَكَّرًا ، لا سيَّما منه البيزنطي والأوروبي . وبدأ وهو في الخامسة عشرة بتصنيف قاموس تاريخي، وعندما تقدم به العمر والتجربة الشعرية أطلق على نفسه لقب " شاعر تاريخي " . وقد تبنَّى الآراء التاريخية التي تُحيي دور بيزنطة في الوعي القومي لليونان الحديثة ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وفي هذه الأجواء ، كتب كفافيس مجموعة قصائده البيزنطية ذات الصبغة القومية ، التي نبذها لاحقًا، بعد تحوُّله إلى الواقعية والنضج الشعري .

لَمْ ينشر كفافيس في حياته أيَّة مجموعة أو ديوان ، بل كان ينسخ بعض قصائده الجديدة ويوزِّعها على أصدقائه المقربين للاطلاع وتبادل الآراء .

أمَّا المجموعة الشعرية التي صدرت بعد وفاته، في عام ١٩٣٥ في الإسكندرية ، فهي تضم ١٥٤ قصيدة ، ربَّها ، وحرَّرها الشاعر بنفسه قبل وفاته .

يمكن تقسيم هذه القصائد إلى ثلاثة أنواع : القصائد الفلسفية التي تُحرِّض على التفكير ، والقصائد التاريخية ، وقصائد اللذات . مع العلم أن الحواجز بين هذه الأنواع بسيطة .

تمتاز قصائد النوع الأول بصفة التعليمية والإرشادية . وهي تتضمن بعض قصائده الشهيرة مثل " المدينة " ، و " إيثاكا " .

أمَّا قصائد النوع الثاني فتعود موضوعاتها إلى المرحلة الهلنستية والرومانية من العصر الكلاسيكي التي وجدها الشاعر ملائمة لشخصياته التاريخية أو المتخيَّلة التي يُحرِّكها بكامل حريته، إلا أن بيزنطة لا تغيب كُليًّا عن هذه الأجواء التاريخية .

وبدءًا من عام ١٩١٧ ، تنطبع قصائد هذا النوع بعنصر سياسي ، بالمعنى الشمولي العام ، وتكتسب أهميتها من تناولها موضوعات دينية وفلسفية أخلاقية .

وكانت أول قصيدة جريئة في النوع الثالث " أفكار خطيرة " قد نُشرت عام ١٩١١ ، في السنة التي يعتبرها كفافيس فاصلاً حاسماً في مسيرته الشعرية .

أمَّا القصائد اللاحقة الأكثر بساطة من حيث البنية واللغة، فهي لا تتناول موضوعات جنسية شبقية ، إلا ما بعد عام ١٩١٨ .

لَمْ يُعرَف كفافيس في العالم الغربي ، ولم تُكتشف أهميته ، إلا بعد أن نشر صديقه فورستر مقالةً عن شعره بالإنجليزية عام ١٩١٩ . أمَّا أول ترجمة لأشعاره إلى الإنجليزية فقد نُشرت عام ١٩٥١ . وفي أواخر السبعينيات صدرت بالعربية ترجمة لبعض أشعاره .

كارل بارت واللاهوت الجدل

وُلد عالم اللاهوت السويسري كارل بارت (١٨٨٦ - ١٩٦٨) في مدينة بازل بسويسرا، لأب قسيس. تعلم في برن وبرلين وماربورغ، ثم درس علم اللاهوت عام ١٩٠٤. وفي عام ١٩٠٩ صارَ واعظاً في كنيسة جنيف، ثم قسيساً في كنيسة سافنيل (١٩١١). وهناك هزّت مشاعره عواصف الحرب العالمية الأولى، وولدت لديه شعوراً بالأسى لانهاية الحضارة. ورأى أن الحروب رفض لسلطان الله، وغدوان على خلقه.

في عام ١٩١٩ أصدر الطبعة الأولى من كتابه "شرح الرسالة إلى رومية"، فكان الكتاب سُلماً ارتقى عليه بارت إلى كرسي مادة الإصلاح الديني اللاهوتي في جامعة غوتنغن (١٩٢١)، ثم في جامعة مونستر (١٩٢٥)، وجامعة بون (١٩٣٠ - ١٩٣٥). ولَمَّا طُرد من ألمانيا، عاد إلى بازل، وعمل أستاذاً في جامعتها، إلى أن أُجبل على المعاش عام ١٩٦٢، وتوفي في بازل. نشأ بارت في مرحلة ازدهار الفكر الإنجيلي الحر، وتأثر بآراء الوجوديين، كما تأثروا هم بآرائه، واقتبسوا منها في كتاباتهم. وأولع بلاهوت شلايرماخر، الذي كانت تعتبره جماعة اللاهوت الحر أباً لها. وهو أول من حاول تحرير الدين من مضامين الفلسفة، ومناهجها، وعمل على بلورة الفكر الإنجيلي التحرري. إلا أن بارت بعد تقدّمه في المعرفة، عمل على التخلص من كل ما علق في كُتبه وآرائه من أفكار الوجوديين واللاهوتيين الأحرار، وهاجم آراء شلايرماخر طوال ربع قرن. بدأ بارت في عام ١٩٢١ بإصدار سلسلة من الأبحاث تحت عنوان "العقائد المسيحية"، متأثراً بكالفن ورفاقه من رجال الإصلاح الديني. وصدر هذا العمل في اثني عشر مجلداً، تناول فيها خمسة موضوعات هي: ١- مبدأ كلمة الله. ٢- مبدأ وجود الله. ٣- مبدأ الخليقة. ٤- مبدأ المصالحة. ٥- مبدأ الفداء.

ونُشرت هذه المجلدات تباعاً، وطُبِع الجزء الخامس منها بعد وفاته، فكانت ذات منحى جديد مخالف لِمَا ورثه بارت عن اللاهوتيين الأحرار أو الوجوديين، ويُرهاناً على قدرته في استيعاء أفكاره من "الإرادة الإلهية". واتفق مع اللاهوتيين الكاثوليك في النظر إلى "عقيدة التسويغ" التي يراها إعلاناً للعدالة الإلهية، بوساطتها تُدرك قوة كلمة الله.

عمل بارت على تنقية الأفكار اللاهوتية من الشوائب التي لحقتها من اللاهوت الأبوي، والطبيعي، والحر، في ضوء الفكر الإصلاحية في القرن السادس عشر.

يَربو إنتاج بارت على ٥٠٠ كتاب ومخطوطة ، ومئات المحاضرات والعِظات ، أهمها :
١_ شرح الرسالة إلى رومية (١٩١٩ _ ١٩٢٢) . ٢_ العقائد المسيحية . ٣_ مبادئ الرُّوح
الْقُدُس . وقد نشره بالتعاون مع أخيه الفيلسوف هاينريش (١٩٣٠) وغيرها الكثير . كَتَبَ
بالألمانية وبالفرنسية التي أَحَبَّها . وَتُرْجِمَت كُتِبُه إلى كثير من اللغات . عاش بارت مرحلة تطوّر
اقتصادي وصناعي مهمة ، وأُرْغِم على الخوض في معالجة مشكلات الْعَمَال مع أصحاب العمل ،
لأن أبناء أبرشيته كانوا مِنْ عَمَال المصانع . وَلَمَّا حاولت النازية السيطرة على الكنيسة وقف بارت
في وجهها ، ورفض يمين الولاء لها ، ودعا إلى عقد مؤتمر بارمن في ١٠ أيار ١٩٣٤ ، الذي صدر
عنه إقرار كُتِبَه بارت ، وجاء فيه : ((إن الكنيسة المسيحية مُتحررة من أي سُلطان أرضي ، والسيادة
فيها لله وحده ، وشريعته المهيمنة على كل الشرائع)) . وأقر بكنهوت جميع المؤمنين ، ومساواتهم
أمام الله . وعلى الكنيسة أن تحترم جميع الناس . ثم خُتِم المؤتمر بدعوة المسيحيين في ألمانيا
إلى الاتحاد في مواجهة النازية ، فأُذْخِل المعتقلات ، وطُرد من ألمانيا عام ١٩٣٥ . وَلَمَّا هُزِمَت
ألمانيا عام ١٩٤٥ ، وقُسِّمَت إلى أربع مناطق ، وَلَمْ يكن ثمة مَنْ يتحدَّث باسم الشعب المغلوب
على أمره ، انبرى بارت يناضل في سبيل بلاده ، ويُسمع الحلفاء وغيرهم ((أن انتصارهم كان
بمَعونة الله على الهتلرية والاستبداد ، لا على الشعب)) .

بسبب كَوْن بارت بروتستانتيًا ، فقد اتخذ " الكتاب المقدس " مصدرًا أساسيًا لكل أفكاره ،
ورفض قانونية الوُحْي العام في الطبيعة ، والتقاليد في الكنيسة الغربية ، واللاهوت الأبوي الروماني .
ورأى أن الخلاص هبة مجانية لكل الناس ، ومرجو من الجميع لأن رحمة الله واسعة تحيط بالعالمين .
حاول بارت أن يتخلص من الفلسفة ، فبدأ كأنه يعارضها ، ولا يكثر بالفلاسفة وما يكتبون .
لكنه من جهة أخرى لا يُعاكس الفلسفة كما وضعها كبار المعلمين أمثال : أفلاطون وكانت . بل
حاول تكميلها ليضعها في خدمة مقاصد الإنجيل والأخلاق المسيحية .

كثير من العلماء يعتبرون بارت من أهم مفكري القرن العشرين . وقد وصفه البابا بيوس الثاني
عشر بأنه أهم عالم لاهوت ظهر مُنذ توما الأكويني . وقد تخطى تأثير بارت الساحة الأكاديمية
إلى الثقافة العامة ، ليصل به إلى الظهور على غلاف مجلة التايم في ٢٠ أبريل ١٩٦٢ .

ومُنذ أن عمل راعي أبرشية ، فقد رفض بارت أن يتدرب على اللاهوت الليبرالي ، الذي غلب
على بروتستانتية أوروبا في القرن التاسع عشر . وبدلاً من ذلك ، فقد بدأ مسارًا لاهوتيًا جديدًا ،
ووضع أسس الْعِلْم المعروف باسم " لاهوت الجدل " ، أو " لاهوت الكلمة " .

كارل بوبر وفلسفة المنهج العلمي

وُلد الفيلسوف النمساوي _ الإنجليزي كارل بوبر (١٩٠٢ _ ١٩٩٤) ، لأسرة نمساوية. كان أبواه يهوديين بالأصل، لكنهما تحوَّلا إلى الديانة المسيحية، إلا أن بوبر يصف نفسه باللاأدري. كان أبوه حاصلاً على درجة الدكتوراة وكذلك أخواه ، وكان مُحامياً وأستاذاً للقانون في جامعة فيينا . حرص الأب على تنشئة ابنه ، وحفَّزه على قراءة الكتب الفلسفية الكلاسيكية ، وناقشه في قضايا اللائتناهي والماهية والجوهر . أمَّا أمُّه فكانت عازفة ماهرة على البيانو .

درس بوبر الرياضيات، والتاريخ، وعلم النفس، والفيزياء ، والموسيقى ، والفلسفة ، وعلوم التربية. وفي عام ١٩٢٨ ، حصل على درجة الدكتوراة في مجال مناهج علم النفس الإدراكي . وفي عام ١٩٣٠ تزوَّج، وبدأ كتابة أول أعماله ، الذي نُشر في صورة مختصرة بعنوان " منطق البحث " (١٩٣٤). وفي طبعة كاملة عام ١٩٧٩ بعنوان " المشكلتان الرئيستان في النظرية المعرفية " . هاجر إلى نيوزيلندا عام ١٩٣٧ ، حيث قام بالتدريس في عدَّة جامعات هناك ، وألَّف كتاب " المجتمع المفتوح وأعداؤه " (١٩٤٥) ، والذي اكتسب من خلاله شهرةً عالمية ككاتب سياسي. وفي الفترة (١٩٤٩ _ ١٩٦٩) عمل أستاذاً للمنطق والمناهج العلمية بجامعة لندن . وحصلَ في عام ١٩٦٥ على لقب سير .

في عام ١٩٢٠ ، ترك بوبر منزل والديه على الرغم من توسلاتهما ، كي يستقل بنفسه ، وكي لا يُشكَّل عبئاً عليهما . فقد أصبح أبوه شيخاً جاوز الستين فقدَ كل مُدَّخراته في التضخم المالي الذي استشرى في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وأقام بوبر في مبنى قديم لمستشفى عسكري مهجور . عمل بغير أجر في عيادة النَّفساني ألفرد أدلر ، وبأجور زهيدة في أعمال أخرى، كتدريس أو تدريب طلبة أمريكيين ، أو كمساعد نَجَّار .

لَمْ يكن بوبر يُدخِّن أو يحتسي الخمر . كان يأكل قليلاً ، ويرتدي ثياباً متواضعة. المتعة الوحيدة التي لَمْ يستطع التخلي عنها آنذاك هي التردد على حفلات الموسيقى السِّمفونية ، وكانت التذاكر رخيصة لأنه كان يستمتع واقفاً. وبخلاف العمل الاجتماعي من أجل الأيتام والموسيقى، اهتم بوبر في بداياته بالفلسفات السياسية اليسارية، وأمضى خلال مراهقته ثلاثة أشهر ماركسياً، لكنه انقلب بحماسة إلى الاشتراكية الديمقراطية . وأصبح في النهاية داعيةً لِمَا يُمكن تسميته: ليبرالية مُعدَّلة ، ليبرالية النصف الثاني من القرن العشرين ، التي اقترنت باسم بوبر .

تستند فلسفة بوبر بأسرها إلى أن الخاصية المنطقية المميّزة للعلم التجريبي ، هي إمكان تكذيب عباراته ، وقابليته المستمرة للمواجهة مع الواقع والوقائع ، للنقد والمراجعة واكتشاف الأخطاء، وبالتالي التصويب والاقتراب أكثر من الصدق . آمن بوبر أن فلسفة العلم هي منطق قابليته مستمرة للتقدم ، بحيث تكون قواعد البحث العلمي قواعد مباراة هي من حيث المبدأ بلا نهاية . أمّا العالم الذي يُقرّر أن العبارات العلمية أصبحت لا تستدعي أي اختبارات أخرى ، ويمكن اعتبارها متحققة بصورة نهائية ، فإنه ينسحب من المباراة . لذلك ، لا حاجة إلى منطق للتبرير والتحقق أو المواءمة ، بقدر الحاجة إلى منطق للكشف والتقدم المستمر .

لاحظ بوبر أن كل فلاسفة العلم منذ جون ستيوارت ميل، بل كل فلاسفة المعرفة التجريبية منذ ديفيد هيوم حتى إرنست ماخ والوضعي والأداتي على السواء ، ينظرون إلى المعرفة العلمية بوصفها حقائق مُثبتة مُؤسّسة فينشغلون بتبريرها ، وصمّم بوبر على إحراز الخطوة الأبعد ، وأكّد أنه على عكسهم جميعاً ، لا يُعنى البتّة بتبرير المعرفة العلمية أو حدود صدقها وصحتها ، بل يُعنى فقط بمشكلة نمو المعرفة وكيفية تقدّمها ، فيصوّب الأنظار إلى منطق الكشف العلمي واللحظة الدراماتيكية الكبرى المتمخضة عن الجديد ، لحظة التكذيب والتفنيد ، في إطار من المعالجة المنطقية المنهجية بالغة الدقة والإحكام ، بحيث كانت النظرة البوبرية أقدر من سواها على طرح المعرفة العلمية بوصفها قابلة للاختبار البين ذاتي (الموضوعي)، كمعرفة ديناميكية متحركة لا ثبات ولا جمود فيها . ويرى بوبر أن المعرفة على العموم والمعرفة العلمية على الخصوص ، بناءً متماسك طبيعته الصيرورة ، والتقدم المستمر . فلا تكون نظرية العلم نظرية في تبريره ، بل في أسلوب هذه الصيرورة أو كيفية التقدم المستمر والأسلوب والكيفية ، وهذا ما يُعرف بالمنهج العلمي . ومن ثَمَّ تكون نظرية العلم أو فلسفة العلم هي نظرية المنهج العلمي ، وهي ذاتها منطق الكشف العلمي .

استطاع بوبر أن يُقدّم صياغةً دقيقة لمنطق الكشف العلمي في أعقد وأدق تفصيلاته . وكان من الطبيعي أن تشتهر فلسفته الرائدة للعلم في إطار نظرية منهجية . وتتفق الأطراف المعنية على أن كارل بوبر هو فيلسوف المنهج العلمي الأول بلا مُنازع . وفي نهايات القرن العشرين يقول واحد من علماء الفيزياء النظرية بتعبير بليغ : ((إن كارل بوبر هو المُفرد العَلم الذي يُشار إليه بالبنان حين طرح السؤال عن المنهج العلمي)) . كما قال عالم الفلك الإنجليزي سير هيرمان بوندي: ((إن العلم ببساطة ليس شيئاً أكثر من منهجه ، وليس منهجه شيئاً أكثر ممّا قاله بوبر)).

كارل شبيتلر وتعدّد الألفة

وُلد الأديب السويسري كارل شبيتلر (١٨٤٥ _ ١٩٢٤) في بازل بسويسرا . كان يكتب بالألمانية. حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩١٩ ، علماً بأن الجائزة قد حُجبت عام ١٩١٨ . كان والده موظفًا كبيرًا في الدولة ، أراد توجيه ابنه نحو دراسة الحقوق للحصول على منصب حكومي رفيع . تلقى شبيتلر تعليمه المدرسي في مدينة بازل (مسقط رأسه) . وفي سن الثامنة عشرة بدأ بدراسة الحقوق بلا رغبة ولا قناعة، فهذا التخصص كان متعارضًا تمامًا مع ميوله . وكما كان متوقعًا ، ترك دراسة الحقوق مما أدّى إلى الخصام مع والده . وبدأ يدرس اللاهوت في زيورخ ، ثم تابع هذه الدراسة في مدينة هايدلبرغ الألمانية .

كانت نظرة شبيتلر الفلسفية إلى الحياة غارقة في السوداوية، متأثرًا بأستاذه ياكوب بوركهارت في معهد التربية في بازل. كما توطّدت الصداقة بينه وبين الكاتب فيدمان، وكانت الرسائل بينهما من أهم مصادر التطور الفكري والفني عند شبيتلر .

أمّا التأثير الأكبر فقد كان بالفيلسوف الألماني شوبنهاور الذي حوّل طالب اللاهوت شبيتلر إلى متشائم وملحد . وبدلاً من أن يصبح قسيسًا ، صارَ عدوًا للمسيحية ورافضًا لها . وقد غادر إلى روسيا ليصبح مُعلّمًا لأبناء الطبقة البرجوازية . وبعدها عاد إلى وطنه صحفيًا .

كان عشقه لروسيا والحياة الاجتماعية فيها شديد الوضوح . وهذا العشق يتجلى في كتابه " إيماجو " الذي كان بمثابة سيرة ذاتية . وقد تحدّث فيه عن كرم الشعب الروسي، والترحيب الحار والاستقبال الحافل وحُسن الضيافة . وهذه القيم قد أنسته مرارة الغربة . وفي مقابل هذا المديح ، أعربَ عن مشاعر التذمر وضيق الأفق والغرور في وطنه سويسرا .

عَمِلَ مُحرِّرًا في عدة صحف ، منها الملحق الأدبي لصحيفة زيورخ الجديدة ، ثم ترك عمله عام ١٨٩٢ ، كي يتفرَّغ للكتابة بشكل كامل . حصل خلال مسيرته الأدبية على التكريم والإشادة، حتى إنه قد كُرمَ مع الكاتبين الألمانين الكبيرين توماس مان وهرمان هسّه . وحصل على لقب فارس في فيلق الشرف الفرنسي . اهتمَّ شبيتلر بالأساطير اليونانية ، ونُيِّتها الرمزية ، وانعكاساتها على الحياة الاجتماعية. كما جمع أعماله الصحفية في مجلّدين هما : " رموز أدبية " ، و "حقائق ضاحكة " . ثم صدرت له مجموعة قصصية بعنوان " الملازم كونراد " . أمّا محاولاته في مجال المسرح فقد باءت كلها بالفشل .

ويظل العمل الأبرز في مسيرته الفكرية ، كتابه " ربيع أولمبي " حول الميثولوجيا (الأساطير) اليونانية بأجزائه الأربعة، وهي : " الصعود إلى السماء " ، " هيرا العروس " ، " أوج الزمان " ، " النهاية والتحول " .

صدرت هذه الأعمال خلال الفترة (١٩٠٠ _ ١٩٠٥) . وتناول فيها الخلاف بين زيوس _ كبير الآلهة _ وأبولو وهيرا ، إضافة إلى قصص أخرى تدور حول آلهة اليونان . ومن الواضح أن الفكر التشاؤمي الإلحادي المسيطر على شيتلر قد قاده إلى موضوع تعدد الآلهة عند اليونان ، وكأنه ينتقم من المسيحية . فالمسيحية تؤمن بالمسيح إلهًا مصلوبًا . أمّا شيتلر _ الذي بدأ حياته دارسًا لعلم اللاهوت _ فقد رفض هذه العقيدة. وعاد إلى الماضي السحيق كي يبيّن أفكاره على تعدد الآلهة ، وكأنه يؤسس دينًا وثنيًا مُضادًا للمسيحية . أمّا سيرة حياته فقد جاءت في كتابه " إيماجو " الذي اشتمل على قصة حُبّه لابنة عمّه ، وقد عرض في سيرته العلاقة بين الفن والحياة .

إن الأعمال الفكرية والأدبية للكاتب شيتلر قائمة على الرؤية التشاؤمية السوداوية ، والإحساس البطولي الملحمي. فقد رفض علم اللاهوت، وأدار ظهره للمسيحية ، وصار يُقدّم نفسه باعتباره الشاعر الملحمي ، واقتنع بأن وجوده محصور في المجال الأدبي لا الديني . من أبرز أعماله : الفراشات (١٨٨٩) ، الأمثال الأدبية (١٨٩٢) ، مقالات (١٨٩٨) ، أغاني العُشب (١٩٠٦) .

كارل شميت وتأييد الدكتاتورية

وُلد الفيلسوف الألماني كارل شميت (١٨٨٨ – ١٩٨٥) في بلتنبرغ في وستفاليا. ينحدر من أسرة كاثوليكية تنتمي إلى طبقة البرجوازية الصغيرة .

درس في برلين ، وميونخ ، وستراسبورغ . حيث حصل على شهادة الدكتوراة في مجال نظرية الدولة . وبدايةً من عام ١٩٢٨ ، انتقل للتدريس في جامعة برلين ، التي أَلَفَ فيها أهم كتبه . وهناك بدأ بتوجيه سهام نقده لجمهورية فايمار الديمقراطية، وخاصة لنظامها الدستوري الليبرالي التعددي ، حيث رأى فيه إضعافاً لسلطة الدولة . كما وصل نقده إلى ذروته في كتاباته حول الديمقراطية البرلمانية التي رأى فيها " طريقة حكم برجوازية متقدمة " .

بدأ شميت في عام ١٩٣٠ دفاعه الفلسفي عن نظام سياسي قائم على مبدأ الرئاسة الدكتاتورية. وفي عام ١٩٣٣ ، احتفى بصعود هتلر إلى سُدة الحكم ، ورأى في هذا الحدث دستوراً مُؤَقَّتاً لثورة عامة ، ومقدمة لنظام قانوني جديد . وقد انضمَّ في أول مايو/ أيار من ١٩٣٣ إلى صفوف الحزب النازي. وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنه طالب في مؤتمر الحزب حول اللاسامية، والمنعقد في أكتوبر عام ١٩٣٦ بحذف أسماء الكُتَّاب اليهود من الأدبيات القانونية، إلا أنه وبسبب علاقاته القديمة مع اليهود تمَّ تجريده من كل مناصبه ليحتفظ فقط بمنصبه كأستاذ في جامعة برلين .

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية وهزيمة النازيين، تمَّ سجنه لفترة قصيرة، لينسحب بعد ذلك من الحياة العامة ، ويعود إلى بلدته الأصلية بلتنبرغ بعد أن تمَّ طرده من منصبه الجامعي. لم يندم شميت عمّا قام به يومًا ، ولم يتراجع بطريقة صريحة عن أفكاره النازية . ولحد اليوم مازال نقده لليبرالية ذا تأثير وصدى كبيرين في الأوساط اليمينية المحافظة . وحتى يومنا هذا مازال يُنظر إليه _ بجانب إرنست يونغر وأرنولد جهلن _ كأحد الأسس الفكرية للنظام النازي، ومن هذا المنظور اعتبره الفيلسوف كارل بوبر " عدُوًّا لَدُوًّا للمجتمع الليبرالي المفتوح " .

يُعتبر شميت أحد أهم الفلاسفة الألمان وأكثرهم إشكالية في القرن العشرين . لكن ذلك لا يعني أن فلسفة وفكر هذا "العقل الخطر" _ وَفَقًا لوصف جان ويرنر أستاذ الفكر الأوروبي في جامعة أكسفورد _ قد طواها النسيان، فشبحه مازال يُلقى بظلاله على الفكر والسياسة الدولية، لأنه يُعدُّ من أكبر نُقاد الفلسفة الليبرالية في القرن الماضي ، ومن أهم الفلاسفة الذين ناقشوا إشكاليات السياسة والدستور ومعضلة الحريات العامة، كما شمل تأثيره اليمين واليسار الأوروبي

على حد سواء. وعلاوة على ذلك يُعتبر شميت أحد المُمَهِّدين فكريًا لأطروحات المحافظين الجدد ، اللذين يلعبون دورًا رئيسيًا في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية . لقد شغل شميت الفلاسفة وما زال . البعضُ يعتبره مفكرًا رجعيًا لأنه ساند النظام النازي بعد وصوله إلى سُدة الحكم في عام ١٩٣٣ . ومنهم من يرى فيه واحدًا من أهم المفكرين السياسيين في القرن العشرين، لأن أفكاره ودقة تعبيراته لا تزال حيّة حتى الآن .

عاش شميت عُمرًا مديدًا حيث قارب المئة سنة، وتأثر كثيرًا بهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ومعاهدة فرساي. ولعل الدافع الخفي لفلسفته جاء بمثابة رد فعل عنيف على تلك الهزيمة. يقول شميت : ((إن السياسة هي قبل كل شيء القدرة على استكشاف العدو)) . وهي تركز في نظره على التفريق الصارم بين الصديق والعدو، وهذا يعني أنه لا يمكن فهم السياسة إلا على أساس الصراع بين القوميات المختلفة ، وهو صراع قد يصل إلى مرحلة الحرب أولاً . ومن المعروف أن الحرب تُمثل التحدي الأخطر في مجال السياسة لأنها مسألة حياة أو موت، وهذا ما تنساه أو تتناساه الليبرالية، ولهذا السبب ينتقدها شميت، فالليبرالية هي في نظره حرية الإنسان في أن يحيا حياة رديئة. الليبرالية تظل في نظره أيديولوجية المساومة وتمييع المواقف والمحافظة على السلام بأي ثمن .

تُمثل السياسة في نظر شميت "قَدَر الإنسان " لأنه حيوان خطر بطبيعته. وهو يُبلورها في نظرية السيادة التي يُعرفها على أنها "القدرة على الحسم في الحالة الاستثنائية التي يمر بها أحد الشعوب" . ويضيف بأن القائد السياسي لا تُعرف أهميته وقدرته الحقيقية إلا في حالة الخطر الأعظم، أي الحالة الاستثنائية التي تستدعي اتخاذ قرار خطير كقرار الحرب مثلاً . ووفقًا لذلك يجب على القائد أن يتمتع بصفات لاهوتية، ومن هنا نتج مصطلح السياسي أو السياسة كعلم مُقدَّس، لأن القرارات الناتجة عنها تحسم مصير البشر والمجتمع .

إن السياسة يجب أن تُفهم في نظر شميت ككفاح . وقد آمنَ بأن الكفاح هو الأداة الوحيدة الكفيلة بتوحيد الشعب. وهنا يلتقي شميت بوضوح مع الأيديولوجية النازية، ناهيك عن دفاعه عن مفهوم الأمة النقية عرقياً، ورؤيته لليهود كخطر على الشعب لألماني، وهو يُعيد ذلك إلى التناقض الديني الذي رأى فيه التربة الخصبة لقيام تناقض سياسي يستحيل تجاوزه على أرض الواقع .

أفكار كهذه مهّدت الطريق فكريًا لإبادة الملايين من البشر ، ولا تزال هذه الأفكار المتطرفة تُحيط بالجنس البشري من كل الجوانب .

كارل غيلوروب وعقدة النقص

وُلد الشاعر الدنماركي كارل غيلوروب (١٨٥٧ _ ١٩١٩) في روهولت في منطقة زيلاند الدنماركية . يُعتبر أول دنماركي يفوز بجائزة نوبل للآداب في عام ١٩١٧ . وقد تقاسم الجائزة مع مواطنه هنريك بونتوبيدان .

كانت عائلة غيلوروب مثقفة وذات مكانة اجتماعية ، فوالده كاهن مُتعمّق في علم اللاهوت ، وله أتباع يُؤمنون بكلامه ، ويشقون بأفعاله . وهذا المناخ الديني لم يكن معزولاً عن المجتمع ، بل كان مناخاً ممتلئاً بالقيم الوطنية والعاطفية ذات التّزعة المثالية .

في سن الثالثة عشرة ، حدثت الانعطافة الكبرى في حياة غيلوروب ، فقد تصادم مع عقيدته ، وثار على الميراث الروحي لعائلته ، وتمردّ على خلفيته الفكرية ، وتخاصم مع بيئته التي نشأ فيها . وصار من أتباع الكاتب برانديس الذي يكتب روايات جريئة حول الجنس المشاع والإلحاد . ومع مرور الوقت ، بدأ غيلوروب يراجع حساباته متأثراً بأصوله الاجتماعية وخلفيته الدينية . وهذه المراجعة الفكرية بدأت تدريجياً ، وانتهت برفض تام لخط سير الكاتب برانديس .

وبعد القطيعة الشاملة بينه وبين أستاذه ومُلهمه ، استعاد غيلوروب المناخ الديني ، والجو العاطفي ، والبُنية الوجدانية ، ووجد نفسه مُنجذباً إلى الثقافة الألمانية باعتبارها الثقافة المركزية العالية ، صاحبة الحضور الطاغي أوروبياً وعالمياً ، بعكس الثقافة الدنماركية التي تُعتبر ثقافة محلية ، لا وزن لها خارج حدود الدنمارك .

أحسّ غيلوروب بأنه ينتمي إلى بُنية ثقافية مُتدنيّة ، وسيطرت عليه عُقدة الشعور بالنقص ، فأراد الانتماء إلى أمة ذات مكانة عالمية ، لذلك اختار ألمانيا وطناً له على الصعيدين الروحي والمادي ، ولم يجد أية عقبة في طريقه ، فقد كانت زوجته ألمانية . وهذا سهّل عليه الأمر .

في عام ١٨٩٢ ، استقرّ في ألمانيا ، وصار يُصنّف نفسه كمواطن ألماني . وهذا الأمر جعل أبناء شعبه ينظرون إليه كخائن وعميل ، وصار مكروهاً في بلاده ، ومنبوذاً من قِبل اليمين واليسار في الدنمارك . كان انتماءه الجديد إلى ألمانيا حقيقياً لا مصلحياً ، فقد آمنَ بأهداف الإمبراطورية الألمانية بشكل كامل ، وتشربّ العواطف الألمانية بشكل تام لا لبس فيه . وهذا الأمر تجلّى بوضوح في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ _ ١٩١٨) ، إذ إنّه اقتنع تماماً بأهداف ألمانيا في الحرب ، وتبنّى وجهة نظرها كاملةً غير منقوصة .

كتب غيلوروب الشَّعر والرواية والمقالة . ومن أهم أعماله المبكِّرة رواية (المتعلِّم الألماني) التي تشير إلى حدَّة الصراع الفكري . إذ إنها تحكي قصة شاب ينتقل إلى الإلحاد بعدما كان عالمًا دينيًا ومُثَقَّفًا . وقد تكون هذه الرواية المبكِّرة بمثابة السيرة الذاتية للكاتب مع تغيير أسماء الشخصيات والأمكنة . ومن المعلوم أن الرواية الأولى لأي كاتب هي بمثابة سيرته الذاتية ، وتجربته الشخصية ، مع الاختلاف في مقدار الواقع والخيال .

كما أنه تأثَّر بالبوذية بشكل واضح ، واحتلَّت الثقافة الشرقية جزءًا كبيرًا من حياته وتكوينه الفكري والأدبي . وهذا التأثير يبرز في روايته " الحاج " (١٩٠٦) ، وهي تحكي رحلة ابن تاجر هندي من الازدهار الدنيوي والشهوات الجسدية إلى الرهينة والانقطاع عن الدنيا ، مُرورًا بالتقلبات الفكرية والعقبات الاجتماعية . وبعد تجاوز التحديات ، يلتقي براهب غريب ومجهول ، كان في الحقيقة بوذا .

من أبرز أعماله الأدبية : سنة واحدة من التشرد (١٨٨٥) ، مينا (١٨٨٩) ، على الحدود (١٨٩٧) ، الغصن الذهبي (١٩١٧) .

كارل ماركس وإنهيار الرأسمالية

وُلِدَ الفيلسوف الألماني كارل ماركس (١٨١٨ _ ١٨٨٣) في مدينة ترير التابعة يومئذ لمملكة بروسيا ، الواقعة شرق ألمانيا حاليًا ، وهو الابن الثاني في أسرة ميسورة الحال تنتمي إلى الطبقة الوسطى ، وتتكون من تسعة أبناء .

ينحدر والده من عائلة يهودية ضمت العديد من الحاخامات وتُجَار مزارع الكروم . اضطر الأب إلى اعتناق البروتستانتية عام ١٨١٦ ، من أجل التمكن من ممارسة مهنة المحاماة بعد صدور قوانين تمنع توظيف اليهود في الوظائف العمومية في ألمانيا، وحول اسمه من "هرشل" إلى "هاينريش" . أمّا الأم فتتحدّر من عائلة يهودية هولندية ، وقد بقيت على يهوديتها حتى وفاة والدها الحاخام ، ثمّ اعتنقت المذهب اللوثري عام ١٨٢٥ . تلقى ماركس تعليمه الثانوي بمدينة ترير ، وانتقل إلى بون عام ١٨٣٥ لدراسة القانون ، ثمّ إلى برلين في مارس ١٨٣٦ لدراسة التاريخ والفلسفة بجامعة فريدريش فيلهلم، وشرع في إنجاز أطروحته للدكتوراة عام ١٨٣٩ حول الفلسفة الإبيقورية، وعمل على دراسة جوانب الاختلاف بين الفيلسوفين ديموقريطس وإبيقور. وقد تخرج بدرجة الدكتوراة عام ١٨٤١ من كلية الفلسفة بجامعة بينا، وهي من أعرق الجامعات الألمانية .

تأثّر ماركس في بداية حياته الجامعية بالفلسفة الهيجلية (نسبة إلى الفيلسوف الألماني هيجل) ، حيث كان يتردد على حلقات الهيجليين الشباب في برلين، لكنه ما لبث أن تأثر أثناء إعداداته لرسالة الدكتوراة بالفلسفات المادية، وكانت النزعة الإلحادية ونقد الدين يطبعان نقاشاته الفلسفية مع صديقيه موزس هس وبرونو باور المتأثرين بأعمال الفيلسوف المادي فيورباخ .

تعرّف ماركس بعد ذلك في فترة إقامته في باريس على أفكار الاشتراكيين الفرنسيين ، وساهم كل ذلك في تحوله من المثالية الهيجلية إلى المادية، ومن الديمقراطية الثورية إلى الشيوعية الثورية. عمل ماركس مُحرّرًا في صحيفة الراين ، وتولى رئاسة تحريرها في أكتوبر/تشرين الأول ١٨٤٢ ، لكن الجريدة مُنعت من الإصدار في بداية ١٨٤٣ ، ثم عمل بعد ذلك بسنوات مراسلاً لصحيفة " نيويورك تريبيون " ، وقضى الجزء الأهم من حياته في التأليف والكتابة .

تولى رئاسة فرع الرابطة الشيوعية في بروكسل عام ١٨٤٧ ، وأسّس جمعية العمّال الألمان بالمدينة نفسها، وعمل بمعية صديقه فريدريك إنجلز على صياغة بيان الحزب الشيوعي بتكليف من المؤتمر الثاني للرابطة الشيوعية ، الذي عُقد بلندن نهاية نوفمبر / تشرين الثاني ١٨٤٧ .

أسَّسَ الجمعية الدولية للعمَّال (الأُمَمِيَّة الأولى) عام ١٨٦٤ لأجل توحيد صفوف الحركة العمَّالية بأوروبا، وسهر على صياغة رسالتها الافتتاحية، وترأسها في الفترة (١٨٦٦ _ ١٨٧٢) .

بعد نيل درجة الدكتوراة في الفلسفة وتجربة قصيرة في مجال الصحافة، بدأ اهتمام ماركس بدراسة الاقتصاد السياسي أثناء إقامته في باريس عام ١٨٤٣، وقد اطلَّع في هذه الفترة على كتابات أهم المفكرين في هذا المجال مثل آدم سميث ، وديفيد ريكاردو، وجون ستوارت ميل .

أنتج ماركس عدَّة أدوات نظرية وتحليلية، وصاغ جُملة من المفاهيم في إطار نقده للمجتمع الرأسمالي ، ودعوته إلى ضرورة الثورة البروليتارية بُغية التحول إلى الاشتراكية ، وسَّغِه في التأكيد على أن هذا التحول حتميَّة تاريخية بالإضافة إلى كونه ضرورة . وقد تحدَّث عن مفهوم الصراع الطبقي في البيان الشيوعي، واعتبر تاريخ أي مجتمع هو تاريخ صراعات طبقية ، بسبب تضارب المصالح بين الطبقات الاجتماعية ، ورأى أن رَحَى هذا الصراع داخل المجتمع الرأسمالي تدور بين أصحاب الرأسمال المُضطَّهدين والعمَّال المُضطَّهدين .

صاغ مفهوم المادية الجدلية انطلاقًا من مفهومي الجدلية عند هيغل والمادية عند فيورباخ ، ووظَّفه لكي يُقدِّم تصوُّرًا ماديًّا للتاريخ الإنساني، وشرح مفهوم الاغتراب (الاستلاب) الاقتصادي، الذي يؤدي بدوره إلى اغتراب اجتماعي وسياسي للإنسان، وَفَّقًا لأطروحاته . كما قدَّم مفهومه الخاص عن القيمة ، والذي طَوَّره انطلاقًا من مفهوم القيمة عند الاقتصاديين الكلاسيكيين ، وابتكر مفهومَي فائض القيمة وتراكم الرأسمال اللذين جعلاه يتنبأ بعدم قابلية النمط الاقتصادي الرأسمالي في الاستمرار ، وحتمية تحوُّل المجتمع الإنساني إلى النمط الاشتراكي في الإنتاج .

اعتبر ماركس أن فائض القيمة (الذي يُعرِّفه بأنه قيمة العمل الفائض الذي يستمر العامل في أدائه بعد أن يكون قد أنتج قيمة أجره الذي يتقاضاه) هو استغلال لطبقة العمَّال من طرف طبقة الرأسماليين . وأوضح عواقب استثمار أصحاب الرأسمال للجزء الأكبر من فائض القيمة في مراكمة المزيد من أدوات وعناصر الإنتاج على النمط الرأسمالي، حيث تُؤدِّي هذه الدينامية إلى تراكم الرأسمال، ومن ثَمَّ إلى مُضاعفة القدرات الإنتاجية باستمرار، ممَّا يُفضي إلى حالة من فرط الإنتاج ومُيل مُعدَّل الربح إلى الانخفاض ، وتنشأ بذلك أزمات دورية نتيجة لِمَا يَعتبره تناقضًا داخليًّا للرأسمالية يُؤدِّن بانهيائها ، وَفَّقًا لرأيه. من أبرز مؤلفاته: الأيديولوجيا الألمانية (١٨٤٥) .

بؤس الفلسفة (١٨٤٧). مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي (١٨٥٩). رأس المال (ثلاثة مجلدات: ١٨٦٧، ١٨٨٥، ١٨٩٤) . المجلدان الثاني والثالث نُشِرا بعد وفاته من قِبَل صديقه إنجلز .

كارل مانهايم وتأسيس علم اجتماع المعرفة

وُلد عالم الاجتماع المجري كارل مانهايم (١٨٩٣ - ١٩٤٧) في مدينة بودابست المجرية. وتُوفّي في لندن . كان والده يعمل في قطاع النسيج ، وكانت والدته ألمانية . درس في جامعة بودابست ، وحصل على شهادة الدكتوراة في الفلسفة في عام ١٩١٤ ، وحضر محاضرات الفيلسوف الألماني جورج سيميل. وفي عام ١٩٢١ ، تزوّج أستاذة علم الاجتماع يوليسكا كارولني لانغ ، التي عُرفت لاحقًا باسم " جوليا لانغ " .

في عام ١٩٢٤ ، بدأ العمل تحت إشراف عالم الاجتماع الألماني ألفريد فيبر ، شقيق عالم الاجتماع الشهير ماكس فيبر . وفي عام ١٩٢٦ ، قُبِل ترشيح مانهايم للتدريس في كلية العلوم الاجتماعية في هايدلبرغ . وقد نافس مانهايم علماء آخرين للحصول على المنصب ، أحدهم كان الفيلسوف والتر بنيامين . وخلال الفترة (١٩٢٩ - ١٩٣٣) شغل مانهايم منصب أستاذ علم الاجتماع والاقتصاد السياسي في جامعة غوته في فرانكفورت .

في عام ١٩٣٣ ، طُرد مانهايم من عمله لأنه يهودي، وفُقد أحكام القانون النازي لتطهير الخدمة المدنية من اليهود . فَرَّ مانهايم من النظام النازي ، واستقر في بريطانيا ، حيث عمل محاضرًا في علم الاجتماع في كلية لندن للاقتصاد ، في إطار برنامج لمساعدة الأكاديميين المنفيين . في يناير ١٩٤٦ ، تمَّ تعيينه في منصب أستاذ علم الاجتماع الأول في معهد التربية والتعليم، وهو المنصب الذي شغله حتى وفاته في لندن .

وخلال وقته في إنجلترا، لعب مانهايم دورًا بارزًا في الحياة الثقافية ، وحصل على نفوذ واسع من خلال تحريره لسلسلة " روتلج " واسعة النطاق في العلوم الاجتماعية .

يمكن تقسيم حياة مانهايم الفكرية إلى ثلاث مراحل رئيسية : ١- المجرية (حتى ١٩١٩) .
٢ - الألمانية (١٩١٩ - ١٩٣٣) . ٣ - البريطانية (١٩٣٣ - ١٩٤٧) .

تحوّل مانهايم من الفلسفة إلى علم الاجتماع ، وبحث في جذور الثقافة . وركّزت مقالاته على علم اجتماع المعرفة الكلاسيكي . ويُشير مانهايم إلى الطبقة الاجتماعية والموقع الجغرافي والجيل باعتبارها أكبر العوامل المحددة للمعرفة .

حاول مانهايم إجراء تحليل شامل لهيكل المجتمع الحديث ، عن طريق التخطيط الاجتماعي الديمقراطي والتعليم ، ودَرَسَ قضايا الديمقراطية والنظام الليبرالي للرأسمالية .

يُعتبر مانهايم من مؤسسي علم الاجتماع الكلاسيكي ، ويُعدُّ مؤسس علم اجتماع المعرفة . والهدف الخاص لعلم اجتماع المعرفة هو تحليل العلاقات بين التمثيلات العامة للواقع وخلفيتها المكوّنة من الظروف التاريخية والاجتماعية . والتعارض بعد ذلك بين الأيديولوجيا واليوتوبيا يأتي من حقيقة أن الأولى تميل إلى إضفاء الشرعية على الوضع الراهن ، في حين أن الثانية هي أكثر ابتكارًا ونقدًا ، وتهدف إلى التغيير والتغلب على ما هو قائم .

يُعتبر كتاب " الأيديولوجيا واليوتوبيا " (١٩٢٩) أهم كُتب مانهايم على الإطلاق ، وقد قال فيه إن الأيديولوجيات هي الطبيعة الحقيقية لأي توافق في الآراء ، وتُحقّق اليوتوبيا (المجتمع الفاضل المثالي) . وهذه الأيديولوجيات تُؤثّر على نظريات الفلسفة وحتى التاريخ .

يُقدّم مانهايم في الكتاب مراجعة تاريخية للأيديولوجيا واليوتوبيا . ويتناول المفاهيم وتعريفاتها ومُعضلة الوعي الزائف والانتقال من نظرية الأيديولوجيا إلى سوسيولوجيا المعرفة . كما يتطرّق لعلاقة النظرية الاجتماعية بالممارسة السياسية ، ويُحلّل طبيعة المعرفة السياسية ، ويُناقش مشكلة " الأنتلجنسيا " (النخبة المثقفة) ، وهم طبقة اجتماعية تشارك في عمل ذهني مُعقّد يهدف إلى التوجيه والنقد ، أو لعب دور قيادي في تشكيل ثقافة المجتمع وسياسته .

ويتناول مانهايم مشكلة الواقع والتغيّرات التي طرأت على العقلية اليوتوبية في الأزمنة الحديثة، حيث يرى مانهايم أنها مرّت بأربع مراحل : طقوسية ، وليبرالية إنسانية ، ومُحافظة ، وشيوعية اشتراكية . كما يتناول "سوسيولوجيا المعرفة" من حيث تعريفاتها وأقسامها إلى جانب النتائج العلمية لسوسيولوجيا المعرفة، والدور الإيجابي لها، ويختتمه بمختصر لتاريخ البحث التاريخي الاجتماعي . تُوفّي مانهايم في لندن ، وأُحرقت جُثته . ووُضع رمادها في قنينة، خُلِطت لاحقًا برماد جُثة زوجته . وكانت تلك القنينة موضوعة مقابل قنينة رماد جثة فرويد ، إلا أن الأخيرة نُقلت لاحقًا .

كارل ماي والمغامرات الخيالية

وُلد الكاتب الألماني كارل ماي (١٨٤٢ - ١٩١٢) في إرنستال ، في مقاطعة سكسونيا الألمانية لعائلة نسّاج كبيرة وفقيرة .

تمكّن من الدراسة والحصول على رخصة للتعليم ، إلا أنه ما لبث أن دخل السجن بتهمة السرقة فأُلغيت رخصته . قرأ في فترات سجنه المتقطعة _ والطويلة أحياناً _ كثيرًا من كتب الرحلات في الغرب الأمريكي ، ويبدو أنه تأثر بما قرأه من كتابات جيمس فينيمور كوبر الذي كتب كثيرًا عن ذلك .

كتب ماي لدى خروجه من السجن في عام ١٨٧٤ قصصًا قصيرة مُسلسلة في الدوريات، وأخذت شهرته تتصاعد. وكان أول كتبه " في الغرب البعيد" (١٨٨٠) حيث ظهرت شخصياته الرئيسية التي تكرّرت في عدد من الروايات، مثل: وينيتو ، وشاترهاند العجوز ، وهما صديقان . وتابعت مؤلفاته ، فظهرت روايات " عبر الصحراء " (١٨٩٢) ، و " من بغداد إلى إسطنبول " (١٨٩٢) ، وأهمها " وينيتو " (١٨٩٣) في ثلاثة مجلدات، ثم " كنز البحيرة الفضية " (١٨٩٤) . وبعد رحلات قام بها إلى أمريكا والشرق ، كتب الحكاية الرمزية الخرافية " أرضتان وجنستان " (١٩٠٩) حول التّوق إلى السلام والخلاص ثم كتب سيرته الذاتية في " حياتي وكفاحي " (١٩١٠) التي تُذكّر بهتلر الذي كان من أكبر المعجبين بمؤلفاته ، إضافة إلى آخرين، مثل آينشتاين وهِسّه . كتب ماي أغلب نتاجه _ الذي كان مسرحه عالمًا بعيدًا غريبًا عنه _ من دون أن يغادر مسقط رأسه، لذا فهو ممتلئ بالمغالطات ، إلا أن ذلك لا يُقلل من قيمته. فمؤلفاته زهيدة الكلفة حافلة بالخيال والرومانسية، وتستقطب القُراء من البالغين وبافعين بهدف التسلية نظرًا لسهولة قراءتها وشخصياتها البسيطة ، إذ ليس هناك سوى الخير والشر والأسود والأبيض ولا شيء بينهما .

وتشدّ موضوعاتها الغريبة القارئ، مثلما شدّت _ في ذلك الوقت _ عروضُ بغالو بيل الجمهور الأمريكي والأوروبي ، وقَدّمت الهندي الأحمر وكأنه تحفة أثرية، ومثل أفلام فالنتينو الصامته التي قدّمت حياة الصحراء وشيوخ القبائل ومغامراتهم بطريقة رومانسية آسرة ، ولو كانت غريبة .

كتب ماي أكثر من سبعين كتابًا ، وتعدّ مؤلفاته الأوسع انتشارًا لهذا النوع من الكتابة، فقد بيع منها ما يزيد على مئة مليون نسخة ، وجنى من وراء ذلك ثروة طائلة مكّنته من شراء منزل كبير في مدينة رادبويل ، أطلق عليه اسم " فيلا شاترهاند " ، حيث تُؤفّي .

تُرجمت مؤلفات ماي إلى نحو ثلاثين لغة، ونُقل كثير منها إلى شاشة السينما، وهناك متحف ودار نشر باسمه في مدينة بامبرغ ، كما يُقام مهرجان كارل ماي سنويًا في مسقط رأسه . ويُعدُّ من أكثر كُتّاب المغامرات غزارة في الإنتاج ، وقد ظل على مدى عقود من أكثر الكُتّاب شعبية. وقد اشتهر من خلال قصص الرحلات التي غالبًا ما كانت في الشرق والولايات المتحدة والمكسيك . وقد حوّل الكثير من أعماله إلى أفلام ، أو إلى مسلسلات إذاعية أو كوميدية . وقد اعتبرته اليونيسكو واحدًا من الكُتّاب الألمان الأكثر ترجمة إلى لغات العالم .

كتب ماي قصصًا وروايات مُتخيّلة حول الغرب الأمريكي ، وسُكّانه الهنود الحمر ، وعن الصحراء والعرب الذين يقطنونها . وهو مبتكر شخصيات " وينيتو " الهندي الأحمر ، و"شاترهاند" العجوز الكشاف الأبيض ذي الأصل الألماني ، الذي يُمثّل الكاتب ، وأيضًا شخصية الحاج ألف عمر بن الحاج أبي عباس بن الحاج داود الجسارة ! .

كارلو جولدوني والملهاة الإيطالية الحديثة

وُلد الكاتب المسرحي الإيطالي كارلو جولدوني (١٧٠٧ _ ١٧٩٣) في مدينة البندقية ،
وثُفِّي في باريس . يُعتَبَر مُؤسِّس الملهاة الإيطالية الحديثة ، ومن آباء الكوميديا الحديثة . ويضعه
نُقَّاد اليوم بين نخبة كُتَّاب المسرح الأوروبي .

كان والده طبيبًا . تلقى جولدوني تعليمه الابتدائي في المدرسة اليسوعية في بيروجيا ، وتابعه في
المدرسة الدومينيكانية الوعظية في ريميني . وبسبب جفاف أجوائها هرب منها جولدوني مع فرقة
مسرحية جَوَّالة ، فنقله والده إلى بافيا ، حيث درس الحقوق مدة ثلاث سنوات في جامعته ، وطُرد
بسبب كتابته مسرحية هزلية تعرَّضَ فيها لنساء عائلات معروفة في المدينة .

تابع دراسة الحقوق في جامعة مدينة مودينا ، وحصل على الدكتوراة عام ١٧٣١ من جامعة
بادوفا ، وبدأ العمل عام ١٧٣٢ في قصر العدالة في مسقط رأسه ، لكنه هرب من الدائنين ومن
زواج غير مرغوب فيه ، وفَرَّ مُعَدِّمًا إلى ميلانو ، حيث عمل وصيفًا لسفير جمهورية فينيسيا ، ثم
أمين سرِّه في كريمبا ، حيث أقاما نتيجة العمليات العسكرية الفرنسية ضد النمسا . وحينما اختلفا
في الرأي غادر جولدوني إلى فيرونا ، ليلتقي بفرقة سان صموئيل المسرحية الفينيسية ، التي أرجعته
معها إلى موطنه ليتعاقد مع صاحبها غريمانني على أن يصير مؤلف الفرقة .

وفي عام ١٧٣٤ ، عرضت الفرقة مأساته التاريخية " بليساريو " التي حقق بها الخطوة الأولى
على طريق حُلْمه في إصلاح المسرح ، إذ تخلى في نصِّه هذا عن عناصر الأقنعة والموسيقى
والأغاني ، معتمدًا على عوالم الشخصيات الداخلية وقوة حواراتها . وعندما لاقى العرض نجاحًا
مُدَوِّيًا تشجَّع جولدوني على المضي قدمًا في مشروعه .

خلال الفترة (١٧٤١ _ ١٧٤٣) شغل جولدوني منصب قنصل جمهورية جنوا في فينيسيا
من دون أن يتخلى عن علاقته بالمسرح والكتابة له ، ولا سيَّما في جنس الملهاة ، مُحاولًا ابتكار
البديل الأدبي المقنع والناجح لعروض الملهاة المرتجلة التي تسرَّب الجمود إلى مفاصلها فأنهكها ،
ولا سيَّما أنها كانت تستند دائمًا إلى سيناريو " حكاية " وليس إلى نص أدبي .

كتب عام ١٧٤٣ " المرأة اللطيفة " ، و " خادم سيِّدين " (١٧٤٦) ، و " الأرملة الماكرة "
(١٧٤٨) ، و " الفتاة الشريفة " (١٧٤٩) ، و " الزوجة الصالحة " (١٧٤٩) ، و " أسرة
جامع الأنثيكات " (١٧٥٠) .

عمل جولدوني خلال الفترة (١٧٤٥ - ١٧٤٨) محامياً في بيزا ، هرباً من دائني أخيه الأصغر ، ثم عاد إلى فينيسيا ، وبقي فيها حتى عام ١٧٦٢ .

ظهر الجزء الأول من نصوصه الكوميدية عام ١٧٤٨ ، فشكّل محطة جديدة على طريق العودة إلى النص المسرحي المدوّن ، عوضاً عن السيناريو الموجز المعتمد في العروض المرتجلة . أدّت غزارة الإنتاج في الموسم الواحد إلى ضعف مستوى مسرحياته الفني والأدبي ، ولم يستطع جولدوني متابعة برنامجه الإصلاحي إلا في قلة من نصوصه ، إذ صار يستلهم موضوعات تاريخية أجنبية ليبتكر بحرفيته العالية نصوصاً تجمع بين التراجيديا والكوميديا ، وتلبّي تطلعات الجمهور وأصحاب المسرح .

تُعتبر " صخب في كيوتجا" (١٧٦١) إحدى أهم مسرحيات جولدوني الدرامية الكوميدية، لما فيها من حذق وطرافة وإنسانية في رسم الشخصيات وعلاقاتها على الصعيد النفسي والاجتماعي والاقتصادي ، فصارت من أفضل المسرحيات العالمية التي تُقدّم في مواسم المسرح العالمية . في عام ١٧٨٧ ، نُشرت مذكراته الكاملة بالفرنسية، ثم صدرت أعماله الكاملة بالإيطالية في أربعة وأربعين جزءاً (١٧٨٨ - ١٧٩٥) .

حاول جولدوني أن يُعيد النظام إلى المسرح الإيطالي ، إذ وجد أحوال المسرح تُعرقل كل تطور منشود . أمّا أعمال جولدوني فهي العديد من المسرحيات التي تتخذ فن الكوميديا إطاراً لها، وسعى من خلالها إلى إلغاء الأقنعة ، ومهاجمة كل الرذائل التي يعاني منها المجتمع .

كارلوس فوينتس وتعليمه المتكثفات

وُلد الروائي المكسيكي كارلوس فوينتس (١٩٢٨ _ ٢٠١٢) في بنما سيتي . كان والده دبلوماسياً ، ومُستشاراً ثقافياً للمكسيك في الولايات المتحدة الأمريكية . يُعدُّ فوينتس واحداً من أهم كُتّاب أمريكا اللاتينية في نهاية القرن العشرين في الرواية والمقال . تمَّ ترشيحه لنيل جائزة نوبل للآداب في عدّة مناسبات .

أمضى فوينتس طفولته وصباه في أماكن كثيرة من القارة الأمريكية : واشنطن ، مكسيكو سيتي ، بيونس آيرس ، ريو دي جانيرو . وكان يقضي أيضاً فترات الصيف ، وهو يدرس في مدينة مكسيكو حتى لا يفقد لُغته أو تاريخ بلده. وعندما أتمَّ السادسة عشرة، سافر إلى المكسيك، والتحقَ بالمدرسة الإعدادية في المركز الجامعي المكسيكي. وتخرَّجَ في كلية الحقوق بالجامعة الوطنية المستقلة في مكسيكو ، وحصل أيضاً على شهادة في الاقتصاد من المعهد العالي للدراسات الدولية بجنيف .

شغل مناصب إدارية في بلده المكسيك. ثمَّ عُيِّنَ سفيراً لبلاده في فرنسا (١٩٧٥ _ ١٩٧٧). ثمَّ استقال من منصبه احتجاجاً على تعيين الرئيس المكسيكي السابق أوردرات سفيراً للمكسيك في إسبانيا ، لمواقفه الفاشية ومجازره ضد أبناء بلده .

تتميّز كتابات فوينتس بتأثرها بأجواء الجدل حول هوية المكسيك وسُكَّانه ، وقد ذهب هواجسه كُلُّها في اتجاه انتمائه إلى بلده . وتتميز أعماله في مجموعها بكثافة وتعقيد يجعلان بعضها في كثير من الأحيان عسير الفهم ، بالإضافة إلى تضمُّنها نزعة ثقافية مع استثناءات قليلة، عن القوالب الكلاسيكية للواقعية التقليدية، حيث كانت الواقعية السحرية _ التي مثَّلت تياراً واتَّجَاهاً عامّاً في أمريكا اللاتينية احتكره الجيل القديم من كُتّاب الشعر والرواية _ بدأت تتسلل إلى الإبداع السردي للجيل الجديد من الكُتّاب . صدر لفوينتس في بداياته مجموعة " الأيام المقنَّعة " (١٩٥٤) ، وهي عبارة عن مجموعة قصص سرّالية . أتبعها برواية " المنطقة الأكثر شفافية " (١٩٥٨) ، صوِّرَ فيها نموذجاً حيّاً من سكان العاصمة مكسيكو سيتي وشخصياتها الذين عاشوا فيها منذ ثورة عام ١٩١٠ . بعد ذلك، أصدر رواية " الضمير الحي " (١٩٥٩) ، غاص فيها في واقع شخصية قروية من شخصيات روايته السابقة بأسلوب قصصي أكثر مباشرة وتوازناً مع الواقع . وتعتبر روايته " موت أرتيميو كروز " (١٩٦٢) أهم إنجازاته الروائية .

يرى فوينتس أن أعماله تدور في دائرة الحداثة، ويقول: "إن السخرية تنسف الطبقية والتراتبية".
مؤكدًا بأن القضية ليست عدم الفهم بقدر ما هي الفرق بين الأدب الكلاسيكي الكبير الذي قام
على الوضوح كما هو الحال عند هوميروس، حيث يكون الجميع أبطالاً وآلهة يتكلمون لغة واحدة
باستثناء حوريات البحر، وبين الأدب الحديث الذي يقوم على التعبير عن الالتباس، وسوء التفاهم
(وليس انقطاع الاتصال) .

ويرى أن " الرواية تفوق باقي الفنون الأدبية قدرةً على توضيح سوء التفاهم ، والروائي المعاصر
يحاول أن يستكشف سوء التفاهم هذا ويُعبّر عنه، بحيث يفعل ذلك انطلاقاً من الاختلاف، وليس
من الوحدة التي ستكون مُزيّنة حتماً ، وعليه تُقبّل هذه التعددية في واقعه " .
يعتبر النقاد أن فوينتس قد ساهم في تأسيس " الابتكار الكلامي والنقد اللغوي "، كما أنه يميل
إلى الغرائبي المضحك، والرعب والتدنيس. كما عُرف عنه هواية تحطيم المقدّسات لدى الناس.
يقول فوينتس عن كتابه (الأيام المقتنعة) : ((يصعب عليّ أن أتصوّر عالماً طبيعياً ، فمنذ
الطفولة نضع على وجوهنا أقنعة)) .

وعندما يتحدث عن القناع والكذب يقول: ((لا أستطيع أن أتصوّر وأتمثّل الأدب دون كذب ! .
وأذكر أن دوستوفسكي علّق على رواية دون كيخوتي ، بأن مؤلفها أنقذ الحقيقة بواسطة الكذب .
والحق أنه لولا هذا العنصر الأساسي في رواية دون كيخوتي ، لَمَا استطاع ثيربانتس أن يقول لنا
الحقيقة . إن الكذب غير المقبول في الحياة العامة أو الحياة السياسية يمكن قبوله في الأدب
كعنصر خُلِق . وهو هنا يتخذ اسماً آخر : الخيال)) .
لَمْ يكن فوينتس بعيداً عن المجتمع المكسيكي . وكان مُهتّماً بزمن القطيعة مع الحضارة
الهندية الأمريكية أثناء الاحتلال الإسباني .

" والمفارقة أن المنتصرين الحقيقيين كانوا الهنود الأمريكيين وليسوا الإسبان، خاصة في
المكسيك والبيرو ، فالهنود تغلبوا على الهزيمة، وعاشوا حياة شبه سرّية كما وصفت ذلك في
روايته الأولى : المنطقة الأكثر شفافية / ١٩٥٨ . وظلّوا يَحْمِلون ثقافتهم الهندية حتى غرسوها
في قلب الثقافة المهيمنة " .

كارل ياسبرز والاتصال الوجودي الإنساني

وُلد الفيلسوف الألماني كارل ياسبرز (١٨٨٣ - ١٩٦٩) في أولدنبورغ بألمانيا، لعائلة ثرية محافظة متأثرة بالثقافة السياسية التحررية لألمانيا الشمالية ، صبغت أفكاره بطابع ديمقراطي تحرري وبنفحة دينية متشددة . وتُوُفِّيَ في بازل بسويسرا .

حَظِيَ برعاية خاصة من ذويه بسبب مرضه منذ الطفولة بالرئتين ثم بنقص التروية . وهذا أثر بصورة مباشرة في توجهه الفكري نحو العلوم الإنسانية، فاهتمَّ مُنذ الصغر بالفلسفة، وكان يخشى من اتخاذها حرفة في الحياة ، فتوجَّه إلى دراسة علم النفس وطب الأمراض العقلية ، وحصلَ على الدكتوراة من جامعة هايدلبرغ عام ١٩٠٨ . وعُيِّنَ أستاذًا لعلم النفس عام ١٩١٦ ، ثم أستاذًا للفلسفة عام ١٩٢١ في الجامعة نفسها ، إلى أن أقصته الحكومة النازية عن التدريس في الجامعة بدعوى أن زوجته يهودية ، ولم يعد إلى الجامعة إلا بعد انتهاء الحرب عام ١٩٤٥ .

لم يكن ياسبرز يهتم بالسياسة ولا الأحوال الاجتماعية، بل كان يُرَكِّز كل تفكيره في البحث العلمي في ميدان العلوم النفسية والأمراض العقلية. وتفاادت أعماله النقاشات السياسية، وركزت على الجوانب الفلسفية ، إلى أن جاءت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ، فأدرك أهمية المشكلات السياسية والتاريخية والاجتماعية في حياة الإنسان . وأحس بمرارة ذلك ولا سيما بعد أن اشتد الخلاف بينه وبين هايدغر الذي أعلن صراحة دعمه للنازية ، ثم جاء إيقافه عن التدريس في الجامعة بسبب زوجته ، وارتباطه بسياسيين وفلاسفة تحرريين أمثال ماكس فير . فكتب عمله السياسي "الشرط الروحي للعصر" (١٩٣١)، ينتقد فيه الديمقراطية البرلمانية، ويُعزِّز انتماءه الفكري لماكس فير بغرض حفظ النظام السياسي في ألمانيا، ويُعلن _ خلافاً لهايدغر _ معارضته للاشتراكية الوطنية. بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) ، وانهيار النظام الاشتراكي الوطني (النازية) ، استعادَ ياسبرز مجده، وأدى دورًا هامًا في العملية السياسية الألمانية، فبرز _ بوصفه فيلسوفًا وأستاذًا مُربِّيًا للأجيال _ نصيرًا قويًا لقضايا التربية الديمقراطية السياسية والمبادئ الأخلاقية المدنية . ساعده على ذلك كتاباته وبرامجه الإذاعية والتلفزيونية ، ولا سيما كتابه " مسألة إحساس الألمان بالذنب " (١٩٤٦) عن اضطهاد اليهود ، متمثلًا التجربة من خلال عذاب زوجته . كما سعى إلى إعادة بناء العملية التعليمية في جمهورية ألمانيا الاتحادية، فنادى بإصلاح الجامعة، وركز على ضرورة نشر الثقافة المدنية الديمقراطية في جميع أنحاء ألمانيا .

يُعتبر ياسبرز من أغزر الفلاسفة الوجوديين المعاصرين إنتاجًا ، وأوضحهم تفكيرًا ، وأوسعهم اهتمامًا بالعلوم الإنسانية . وتربو مؤلفاته على الثلاثين ، وبعضها يزيد على ألف صفحة ، وأهمها : " علم النفس المرضي العام " (١٩١٣) ، و " سيكولوجيا النظرات في العالم " (١٩١٩) . وهو الكتاب الذي ينتقل به ياسبرز من علم النفس إلى الفلسفة ، ويصفه بأنه كتاب وجودي أصيل ، أسس ياسبرز فيه أنماطًا ونماذج للمواقف النفسية والعقلية شبيهة بنماذج فيير المثالية ، في محاولة لتحليل جوهر الحياة العقلية الإنسانية ، أو وجهات النظر العالمية ، وبناء مذهب معرفي وجودي مُنظَّم . وكتابه الضخم " الفلسفة " في ثلاثة مجلدات (١٩٣٢) ، وهو أروع ما كتب أو تُحفته ، تأثر فيه بفلسفة هيغل في عملية المعرفة والإدراك والوعي الإنساني ، في محاولة لإعادة بناء المثالية الكانتية من منظور التجربة والحرية . و " العقل والوجود " (١٩٣٥) ، و " فلسفة الوجود " (١٩٣٨) .

إن الفكرة المركزية في مؤلفات ياسبرز هي مشكلة الاتصال الوجودي الإنساني ، وفيها أولى ياسبرز أهمية كبرى للشروط الاجتماعية والأخلاقية لسلامة الإنسانية ، مُوضِّحًا دور المجتمع والدولة في توفير الشروط الملائمة للتعارف المتبادل ، الذي يفترض ممارسة الحرية شرطًا للحوار . يقوم منهج ياسبرز الفلسفي على الوصف الفينومينولوجي (الظاهراتي) ، واكتساب الخبرات وتحليلها ، ثم استخلاص التعميمات الفلسفية منها لكونها مصدر المعلومات الوحيد عن الواقع . فهو يقتفي أثر أستاذه كيركغارد ، فيقصر وصفه على الخبرات المباشرة ، وهي معطيات حسّية وتجارب من نوع آخر ، كالحب والقلق والأمل واليأس ، ويبدأ البحث في معاني الوجود . يرى ياسبرز أن بإمكان الإنسان اكتشاف طبيعة ذاته وإمكانياتها التي تكشف له وجوده ، وتقوده نحو الحقيقة الأصلية التي تنبع منها أفكار الإنسان وأفعاله ، وهذه الحقيقة هي الوجود الماهوي أو الذاتي ، فالوجود الذاتي تجربة الحرية الكاملة التي لا يتسم بها إلا الإنسان ، وهو تجربة إمكانيات لا تنتهي . أمّا الوجود الموضوعي المتحقق أو " الآنيّة " ، فهو بُعد الزمني ، ويمكن تأمله نظريًا . ويؤكد ياسبرز أن الإنسان هو الحقيقة الأساسية التي يمكن إدراكها في العالم ، فهو يتّصف بالحضور والحياة . وبالإمكان وحده يصبح كل ممكن واقعًا . فالإنسان عقل ووجود ذاتي ، والعقل دون الوجود حقيقة فارغة لا تؤدي في النهاية إلا إلى خواء عقلي ونزعة عدمية ، في حين أن الوجود الذاتي دون العقل مُجرّد دافع غير معقول . لهذا فإن إهمال الوجود الإنساني أو اغفاله معناه الغرق في العدم . وعليه فإن البحث الحقيقي للإنسان عن ذاته هو المصدر الحقيقي لفهم الأمراض النفسية والعقلية خاصة حين يصطدم الفرد بالمجتمع ، ويخفق في تحقيق نوع من التكيّف معه .

كارل يونغ وتأسيس علم النفس التحليلي

وُلد عالم النفس السويسري كارل يونغ (١٨٧٥ - ١٩٦١) في بلدة كيسول من مقاطعة ثورغاو بسويسرا . كان والده قسيسًا كالفينيًا في الكنيسة الإنجيلية بسويسرا . وكانت أسرة يونغ عريقة في المجال الديني ، وكذلك جده لأُمّه ، لذلك كانت الكنائس والمقابر هي مكان طفولته . كان طفلًا غريبًا ، ولم يكن له إخوة وأخوات ، لذلك لم يكن أمامه سوى أن يتخيّل ألعابًا ، ويلعبها مع نفسه . وكان يونغ في طفولته الأولى شديد الحساسية ، ويميل للعزلة واللعب منفردًا .

نشأ يونغ في مدينة بازل ، والتحق بمدرستها ، لكنه ترك المدرسة لإصابته بالصرع بعد سقوطه على الأرض، وما إن شُفي من هذا المرض حتى عاد إلى المدرسة، واحتل المرتبة الأولى في الرياضيات، وكان يميل للعلوم ، خاصة الجيولوجيا والحيوان والحفريات ، وكان شديد الاهتمام بالعقائد الدينية المختلفة والحضارات الإنسانية والآثار ، خاصة ما تعلق باليونان ومصر وعصور ما قبل التاريخ ، مع ميل واضح للتأمل والتفكير . ودرس الطب في مدينة بازل، وتخرّج طبيبًا .

بدأ يونغ التدريب على ممارسة الطب النفسي عام ١٩٠٠ ، وذلك عندما أصبح مساعدًا في مستشفى برجولزلي للأمراض العقلية ، وهي مصحة ملحقة بجامعة زيورخ ، وكانت تحت إدارة الدكتور إيوجين بلولو . استمرت أبحاث يونغ تحت إشراف هذا الدكتور ، إلى أن تطوّر يونغ في هذا المجال . ولم يكد عام ١٩٠٠ يدخل حتى أصبح يونغ كبير الأطباء ، ومحاضرًا في كلية الطب بجامعة زيورخ . وفي عام ١٩٠٢ توجه يونغ إلى باريس ، ودرس عند جانيت فترة من الزمن ، ارتقى خلالها إلى رتبة طبيب رئيسي .

نشر يونغ عددًا من المقالات أكسبته شهرة واسعة، وكانت قد منحتها جامعة كلارك الأمريكية درجة الدكتوراة الفخرية . وكان في غضون ذلك يقوم بإرساء قواعد الطب النفسي التحليلي، ووثّق تجربيًا ما ذهب إليه سيغموند فرويد نظريًا ، ممّا جعله يُقابله شخصيًا في عام ١٩٠٧ ، وأثمر هذا اللقاء عن صداقة دامت عدّة سنوات . وكان فرويد يطمع أن يخلفه على عرش التحليل النفسي ، ولكن آراء يونغ وتجديداته أدّت إلى القطيعة بينهما ، خصوصًا مع وجود اختلافات نظرية في التحليل النفسي .

وفي عام ١٩١١ ، أصبح يونغ أول رئيس لجمعية التحليل النفسي الدولية التي أنشأها هو بنفسه . وفي عام ١٩٣٠ منحته الجمعية الألمانية لعلم العلاج النفسي رئاستها الفخرية .

اعترف يونغ في عام ١٩٠٦ أثناء دراسته للغة المبكر وتجارب تداعي الكلمات بأنه مدين للاكتشافات التي أحدثها فرويد . ولكنه كان غير متحمس لطريقة فرويد في العلاج النفسي ، وإصراره على النشاط الجنسي الطفولي المبكر . وظهر الخلاف بينهما علناً في محاضرات يونغ في فورد هام (نيويورك) عام ١٩١٢ . في الفترة (١٩١٣ - ١٩١٩) بحث يونغ في أعماق اللاشعور لديه، وتجادل مع ذاته فلاحظ ظهور نماذج شعورية مختلفة، وشعر أنه يتدخل في العمليات الفردية ويكتشف نفسه، وكان يعاني بعض الانفعالية (القلق الانفعالي) مُعتقداً أن هذه الأعراض تُشبه الأمراض التي أصابت فرويد. وفي عام ١٩٤٤ ، أنشئ كرسي أستاذية لعلم النفس الطبي خصيصاً ليونغ في جامعة بازل ، بيد أن سوء صحته حال بينه وبين شغل منصب الأستاذية .

على الرغم من أن نظرية يونغ في الشخصية هي بالدرجة الأولى نظرية في التحليل النفسي بسبب تأكيدها العمليات اللاشعورية ، إلا إنها تختلف عن نظرية فرويد ، إذ كانت أبرز سمات نظرة يونغ إلى الإنسان وأكثرها تمايزاً أنها تجمع بين الغائية والعلية ، فالسلوك الإنساني لا يقوم فقط على تاريخ الشخص الفردي والعنصري (العلية) ، وإنما أيضاً يقوم على الأهداف والطموحات المختلفة (الغائية) ، وكل من الماضي والمستقبل يقودان سلوك الفرد في الحاضر .

يتكون بناء الشخصية الكلية عند يونغ من عدد من الأنظمة المنفصلة والمتفاعلة، وأهم هذه الأنظمة: ١- الأنا: هي العقل الشعوري. تتكون من مجموعة من المُدركات الشعورية والذكريات والأفكار والوجدانات، فهي مركز إدراك الفرد. ٢- اللاشعور الشخصي: يبدأ اللاشعور الشخصي في التكوّن منذ الميلاد من الخبرات التي يكتسبها الفرد في حياته، وهذه الخبرات كانت في البداية شعورية ثم فقدت طابعها الشعوري ، وصارت لاشعورية بسبب عوامل الكبت والنسيان .

٣- اللاشعور الجمعي : يرى يونغ أن هناك لاشعوراً جمعياً مُشتركاً ومشاعاً بين البشر جميعاً ، وإن تفاوتت درجاته، ويرجع شيوع اللاشعور الجمعي إلى تشابه العقل في جميع أجناس البشر، ويرجع هذا التشابه إلى التطور المشترك ، إذ يوجد بداخل كل منّا قَدْر ما من هذا اللاشعور الجمعي، وإن كان هذا القَدْر يختلف من فرد إلى آخر، فكأن اللاشعور الجمعي هو المخلفات النفسية التي ورثناها عن أسلافنا من البشر . ٤- القناع : استعار يونغ فكرة القناع من مصطلحات المسرح وقصد بها في نظريته أن لكل منّا قناعاً شخصياً يبدو به أمام الناس، وغالباً ما يكون مُغيّراً لحقيقته التي يعرفها هو عن نفسه ، فكأنه يظهر بشخصية مُعيّنة اتفاقاً مع تقاليد المجتمع ، وتُمثّل ما يرتضيه الناس .

كازورو إيشيغورو والنهائيات المفتوحة

وُلد الروائي الياباني البريطاني كازو إيشيغورو (١٩٥٤ _ ...) في نجازاكي باليابان، وانتقلت أسرته للعيش في إنجلترا عام ١٩٦٠، حتى يعمل والده في قطاع البترول في البحر الشمالي . وذهب لمدرسة ستوتون الابتدائية ، ثم مدرسة النحو لمقاطعة وكونج في سوري . وبعد الانتهاء من الدراسة قام بالسفر إلى أمريكا وكندا . وفي عام ١٩٧٤، بدأ الدراسة في جامعة كنت، وتخرج عام ١٩٧٨ بعد الحصول على الليسانس في اللغة الإنجليزية والفلسفة . وبعد قضاء عام في كتابة الأدب أكمل دراسته في جامعة إيست أنجليا ، حيث حصل على درجة الماجستير في الفنون في الكتابة الإبداعية عام ١٩٨٠ . وحصل على الجنسية البريطانية عام ١٩٨٢ .

يُعدُّ واحدًا من أشهر مؤلفي الأدب المعاصرين في العالم المتحدّث بالإنجليزية ، وحصل على أربعة ترشيحات لجائزة بوكر الأدبية ، ونالها عام ١٩٨٩ عن روايته " بقايا النهار " . وفي عام ٢٠٠٨، صنّفت صحيفة التايمز إيشيغورو في المرتبة الثانية والثلاثين ضمن قائمتها لأعظم خمسين مؤلفًا من عام ١٩٤٥ .

وفي عام ٢٠١٧، تَمَّ منحه جائزة نوبل للآداب . وقالت لجنة الجائزة : ((إن الكاتب إيشيغورو كشف في رواياته المشحونة بالعواطف ، عن الهاوية الكامنة تحت شعورنا الوهمي بالتواصل مع العالم)) .

اشتهر الكاتب البريطاني بروايته "بقايا النهار"، التي تحوَّلت فيما بعد لفيلم سينمائي ناجح من بطولة أنتوني هوبكنز وإيما تومسون .

اهتمَّ إيشيغورو بالماضي والذكريات ، كما تناول موضوع الخيال العلمي والأفكار المستقبلية . روايته " لا تدعني أرحل " ، تحمل صفات الخيال العلمي ، والنغمة المستقبلية ، لكن أحداثها تدور في الثمانينيات والتسعينيات .

وروايته " مَن لا عزاء لهم " تدور أحداثها في مدينة لم يُذكر اسمها . و" بقايا النهار " تدور في منزل كبير في القرية ، يملكه لورد إنجليزي في الفترة المحيطة بالحرب العالمية الثانية . و" فنان من العالم الطافي " تدور أحداثها في مدينة يابانية خلال فترة إعادة الإعمار ، بعد استسلام اليابان عام ١٩٤٥ .

ويكون فيها الروائي (الشخصية المركزية في الرواية) مُجْبَرًا على الاتفاق مع دوره في الحرب العالمية الثانية ، ويجد نفسه في موضع الملامة من قِبَل الجيل الجديد ، الذي يَتَّهمه بِكَونه جزءًا من السياسة اليابانية الخارجية ، ومُجْبَرًا على مواجهة تقاليد وعادات العالم الحديث الممثل في حفيده .

كُتبت الرواية باستخدام ضمير المتكلم ، ويُعبّر الراوي عن فشله . وتقنية إيشيغورو تسمح للشخصيات بالكشف عن فشلها ضمنيًا خلال السرد . والقارئ يتعاطف مع الراوي مع معرفة أخطائه .

ودائمًا تنتهي روايات إيشيغورو دون حل الصراع . والقضايا التي تواجهها شخصياته تُدْفَن في الماضي ، وتظل بلا حلول ولا إجابات شافية .

وبالتالي دائمًا تنتهي الروايات بنبرة من الإذعان الحزين . وتقبل شخصياته الماضي ، وكيف صاروا ، ويكتشفون أن هذا الإدراك يُسبب الراحة ونهاية العذاب النفسي .

من أبرز رواياته : منظر شاحب من التلال (١٩٨٢) . فنان من العالم الطافي (١٩٨٦) . بقايا النهار (١٩٨٩) . لا تدعني أرحل (٢٠٠٥) .

كاميلو خوسيه ثيلا والسروقة الأدبية

وُلد الأديب الإسباني كاميلو خوسيه ثيلا (١٩١٦ - ٢٠٠٢) في مقاطعة لاكورونا بغاليسيا ، وتُوفّي في مدريد . حارب إلى جانب الدكتاتور فرانكو في الحرب الأهلية الإسبانية ، ولكنه أصبح أحد مُنتقديه فيما بعد .

شملت كتاباته الرواية والقصة القصيرة والحكايات والأسفار والمقالات والشعر والمسرحية واللغويات . عمل كاتبًا صحفيًا في أبرز الصحف الإسبانية ورئيس تحرير لمجلات أدبية .

حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٩ ، وقالت الأكاديمية السويدية إنها تمنح الجائزة : ((لأبرز شخصية في التجديد الأدبي الإسباني خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية)) .

كما حصل على جائزة ثيربانتس عام ١٩٩٥ ، التي هي أشهر وأهم جائزة إسبانية . ولكنه قبل الفوز بها ، وصفها قائلاً : ((إذا لم يمنحوني جائزة ثيربانتس فهذا يدخل ضمن التقاليد الإسبانية ، مثلما يُقتل آل كينيدي في أمريكا . إنها جائزة مُغطاة بالفضلات)) .

وحين فاز بجائزة نوبل ذهب لاستلام جائزته تُرافقه صديقه ماريانا كاستانيو التي تصغره بأربعين سنة قبل أن يتزوجها فيما بعد ، تاركًا زوجته في البيت . كما لم يترك في وصيته أموالاً لابنه .

طُرد ثيلا من أربع مدارس ، وله آراء صادمة حول الشذوذ الجنسي ، وقد أصدر كتابين عن التعبيرات الجنسية والسُّوقية ، هما : " القاموس السري " (١٩٦٨) ، و " دائرة معارف الشهوة " (١٩٧٦) .

التحق ثيلا بكلية الطب بجامعة "كومبلوتنسي" بمدريد في عام ١٩٣٤ ، ولكنه كان يغادر حلقاتها الدراسية ليحضر مُستمعًا في كلية الفلسفة والآداب لمحاضرات الأدب الإسباني المعاصر التي كان يلقيها الشاعر الكبير بيدرو ساليناس .

انفجرت الحرب الأهلية عام ١٩٣٦ ، فترك ثيلا الدراسة ، وشارك في الحرب إلى جانب قوات الجنرال فرانكو ، الدكتاتور الذي حكم إسبانيا بعد انتهاء الحرب . ثم عاد إلى الجامعة بعد الحرب ليدرس الحقوق عام ١٩٤٠ ، وشهد هذا العام نشر كتاباته الأولى .

كان يمينيًا مُحافظًا ، ولهذا انضمَّ إلى القوات اليمينية التي كانت تحت قيادة الجنرال فرانكو وجُرح أثناء الحرب . وبعد بضعة أعوام من ذلك رفض دكتاتورية فرانكو ، واتَّخذ موقفًا مُستقلًا ومُستفِرًا للسلطات .

عُيِّنَ في عام ١٩٤٧ رئيسًا لنادي مدريد الأدبي ، واستقال قبل أن يُباشِر عمله احتجاجًا على إعدام أحد الشخصيات الفوضوية في آذار من العام ذاته . وَرَدًا على موقفه هذا ، نشر بعض أنصار فرانكو وثيقة قديمة تُثبت تعامله مع جهاز القمع الفاشي ، ممَّا جعل الكثيرين يتهمونه بخيانة قناعاته . وقد أثَّرت هذه الحادثة على حياته لمدة طويلة .

استقرَّ ثيلا مُنذ مُنتصف الخمسينيات في جزيرة مايوركا، حيث أصدر مجلة أدبية بعنوان " أوراق القديس أرمادانس "، وعمل مُديرًا لها حتى عام ١٩٧٩، وسمح فيها بظهور كتابات لكثير من الأدباء الإسبان ، الذين عاشوا في المنفى خلال عهد دكتاتورية فرانكو . وتَمَّ اختياره لعضوية الأكاديمية الملكية للغة الإسبانية عام ١٩٥٧ . وعمل على إصدار مؤلفاته التي تميَّزت بالتجديد اللفظي أكثر مِن تميَّزها بالشخصيات والحبكة . واعتمدَ فيها على تشويه الواقع بخلق شخصيات متطرفة وعنيفة، وربطها ببيئتها العائلية والاجتماعية .

في المرحلة الانتقالية نحو الديمقراطية في إسبانيا ، بعد وفاة الدكتاتور فرانكو عام ١٩٧٥ ، كان ثيلا ضمن الأعضاء الذين عيَّنهم الملك خوان كارلوس بمجلس الشيوخ ، في أول فترة برلمانية في عهد الديمقراطية الإسبانية الحديثة، وشارك في مُراجعة نص الدستور الذي وضعه مجلس النواب الإسباني، ليكون بذلك من المساهمين في بداية عصر الديمقراطية في بلاده .

ظَهَرَت أولى رواياته الكبرى " عائلة باسكوال دوارتي " عام ١٩٤٢ ، ورغم نجاحها الجماهيري الواسع، إلا أنها واجهت مشاكل مع الكنيسة، ممَّا أدَّى إلى حظر نشر الطبعة الثانية منها في إسبانيا، فيما جرى نشرها في الأرجنتين . وتُعتبر هذه الرواية من أبرز رواياته ، وأكثرها مبيعًا ، ومن أكثر الروايات الإسبانية ترجمةً إلى اللغات الأخرى أيضًا . وكان نجاح هذه الرواية هو الذي منحه الشهرة ، وقد ظهر فيها أسلوبه الخاص الذي ميَّز أكثر مؤلفاته .

بدأ كتابة أشهر رواياته " خلية النحل " عام ١٩٤٤ ، ونُشرت في الأرجنتين عام ١٩٥١ ، إلا أن الرقابة حظرتها في إسبانيا ، لأنها كانت تصف الحياة البائسة لمجموعة من الأشخاص بمدير ، في السنوات التالية مباشرة للحرب الأهلية .

يُعتبر ثيلا كاتبًا مُثيرًا للجدل بقوة ، والجدل مستمر حوله حتى بعد وفاته . فهو _ على الرغم من إصداره مئة أثر أدبي _ مُتَّهَم بسرقة إحدى الروايات التي أوصلته إلى المحكمة . فقد ادَّعت كارمن فورموسو أنه سرق روايتها " كارمن ، كارميلا ، كارمينا "، ونشرها تحت عنوان " صليب سان أنريس " . وقد مات ، ولا تزال القضية مفتوحة .

كلود سيمون والرواية الجديدة

وُلِدَ الأديب الفرنسي كلود سيمون (١٩١٣ _ ٢٠٠٥) في أنتاناناريفو (عاصمة مدغشقر) لأب عسكري . وتُوفِّيَ في باريس . كان يهتمُ كذلك بالرسم والتصوير الفوتوغرافي . حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٥ .

يُعتَبَرُ كلود سيمون من أبرز من أبرز كتاب الرواية الجديدة الفرنسية . تُوفِّيَت والدته وهو في العاشرة من العمر . وفي العام التالي فَقَدَ والدَه على جبهة القتال ، فَرَّثَه جَدُّهُ في منطقة بيرينيان جنوب فرنسا ، ويُعتَبَرُ الى جانب كُتَّاب آخرين أمثال : ألان روب وناثالي ساروت ، من مُؤسَّسي جماعة أدبية عُرفت باسم الرواية الجديدة .

في عام ١٩٣٦ ، انضمَّ إلى الجمهوريين في إسبانيا . وانتسب إلى فرقة الخيالة عام ١٩٣٩ ، ووقع في الأسر خلال الحرب العالمية الثانية . وفي عام ١٩٤٠ تَمَكَّنَ من الفرار من مُعتَقَل في ألمانيا، وعندما وصل إلى فرنسا الحرة تَحَوَّلَ إلى زراعة الكروم .

صَدَرَت روايته الأولى " المخادع " بعد الحرب عام ١٩٤١ . تلتها ثلاث روايات أخرى قبل أن يُصَبَّحَ معروفاً خارج فرنسا مع " طريق الفلاندر " (١٩٦٠) ، ويُصَيَّبُ الشُّهُرة مع رواية " تاريخ " (١٩٦٧) ، حيث يتداخل الواقع مع الذاكرة والحلم . وتُشكِّلُ الروايتان الأخيرتان مع رواية " القصر " الصادرة عام ١٩٦٢ ، والتي تدور وقائعها على خلفية الحرب الأهلية الإسبانية ثلاثية بناها الكاتب على ذكرياته .

وفي عام ١٩٨٥ ، مُنِحَ كلود سيمون جائزة نوبل للآداب . يَعْتَرِفُ سيمون بأن كتاباته الأولى لم تكن بالجودة المطلوبة . لكنَّ إحدى مخطوطاته وصلت أواسط الخمسينيات إلى ألان روب الذي كان قد نشر روايتين انقسم حولهما النقاد الفرنسيون . وكان ألان روب مُستشاراً أدبياً لدى منشورات (مينوي) . وهكذا بدأت أعمال كلود سيمون ترى النور ، لدى دار النشر هذه التي ظلَّ وُفِّيَّاً لها طوال حياته .

نالَ سيمون جائزة صحيفة " الإكسبرس " عام ١٩٦٠ ، عن روايته " طريق الفلاندر " ، ثُمَّ جائزة مديتشي عام ١٩٦٧ عن كتابه " حكاية " . ومع خُلُول السبعينيات، لم تُعَدَّ جماعة الرواية الجديدة تستشير النقاد بكتاباتهما المثيرة المستفزة ، وتَفَرَّقَ شَمْلُها ، لكن كلود سيمون وألان روب وناثالي ساروت واصلوا نشر روايات خارجة عن المألوف .

ورغم توقُّف الجماعة عمليًّا ، إلا أن العشرات من الدراسات جَرَّت حولها ، والكثير من الأطروحات الجامعية ، داخل فرنسا وخارجها. وكان سيمون في مركز تلك الدراسات.

وفي عام ١٩٨٥ بعد أن نشر كتابه " الجيورجيون " ، حاز سيمون على جائزة نوبل للآداب عن مُجَمَّل أعماله. وقد أثار إعلان الجائزة استغراب طائفة واسعة من مواطنيه الذين لم يكونوا قد سَمِعوا باسمه . بل سَارَعَ صحفيون فرنسيون إلى طلب معلومات عنه من زملاء لهم في الولايات المتحدة ، كي يكتبوا عن الروائي الفرنسي الذي نال هذه الجائزة المرموقة .

يُعتَبَر سيمون أحد كبار كُتَّاب الذاكرة ، حيث اعتمدت أعماله الروائية على المزج بين ما هو سردي وما هو تاريخي ، ونجدها تجمع بين العذوبة والفوضى ورونق ذكريات الماضي .

حينَ سُئِل سيمون عن مصطلح (الرواية الجديدة) والذي حسبه النقاد عليه ، لم يكن مُتَحَمِّسًا لِتَبَنِّي هذا المصطلح ، وقال إنَّ ما أنجزه من إبداع روائي ، إنما كان ترجمةً حرفية لرؤية مُغايرة للواقع ، ولتداعيات الحدث اليومي . ولم يكن مُهْتَمًّا بنمط مُعَيَّن للكتابة الروائية ، بل هو التطلع لإنتاج نص فيه من ثراء الخصوصية الفنية ، ما ينتمي إليه دون سواه .

المُتَمَعِّن في كتابات سيمون الروائية ، يجد أن الحدث يَتَّسع ، ويتشابك ضمن وحدة درامية متكاملة .

والجدير بالذكر أن سيمون كان من المُغْرَمِينَ جدًّا بالرسم ، بل إن هَوَاه الأول في الفن كان مُتَّجِهًا إلى الرسم ، وظلَّ يُمارس طوال حياته هواية التصوير الفوتوغرافي وفن الكولاج ، ولا تخلو نصوص رواياته من كلام على رُسومات كبار الرُسامين .

من أبرز رواياته : الغش (١٩٤٦) . طقوس الربيع (١٩٥٤) . القصر (١٩٦٢) . درس الأشياء (١٩٧٥) . الدعوة (١٩٨٧) . حديقة النباتات (١٩٩٧) .

كلود ليفي شتراوس والمنهج البنوي

وُلد الفيلسوف الفرنسي كلود ليفي شتراوس (١٩٠٨ _ ٢٠٠٩) بمدينة بروكسل في بلجيكا ، وتُوفي بمدينة باريس في فرنسا .

نشأ في جو مليء بالفنون والثقافة والأدب، فهو ابن فنان وحفيد حاخام . في عام ١٩١٤ ، وخلال نشوب الحرب العالمية الأولى ، انتقل مع أبويه إلى الإقامة في فرساي. ويبدو أنه كان طفلاً مُتَوَحِّدًا ، يميل إلى التفكير والتأمل الذاتي والقراءة . حيث اعتاد أن يصرف وقته في السير وحيدًا، يتأمل الطبيعة ، ويلتقط منها أغراضًا مختلفة من الأحجار والنباتات التي تُفيد في صناعة الفسيفساء، ويرى إن هذه العادات كانت هي الأصل في اهتمامه العميق بالجيولوجيا، مما كان له تأثيره اللاحق في منهجه البنوي .

في الفترة (١٩٢٧ _ ١٩٣٢) ، كان شتراوس طالبًا في جامعة باريس ، حيث حاز على إجازة في القانون والفلسفة ، واشتملت قراءاته في هذه المرحلة على أعلام المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع. لكنه لم يدرس العلوم إلا في مرحلة متأخرة . وبعد أن درس القانون لفترة قصيرة في جامعة باريس ، ابتدأ العمل مُدرِّسًا في الليسيه . لكنه سرعان ما تركه ليترحل إلى البرازيل عام ١٩٣٤ ، بعد أن عُرض عليه منصب أستاذ لعلم الاجتماع في جامعة ساو باولو ، إذ رأى في هذا المنصب فرصة للقيام برحلات للدرس الميداني في أدغال البرازيل .

وفي عام ١٩٣٩ ، استقال من جامعة ساو باولو ، وحصل على منحة من الحكومة الفرنسية للقيام ببعثة دراسية أوسع نطاقًا إلى وسط البرازيل ، حيث قام بدراسة عدد من القبائل البدائية، فكانت هذه الدراسة مُمهِّدة لأفكاره التي تطورت فيما بعد . وفي عام ١٩٤٠ ، عاد إلى فرنسا للخدمة العسكرية ، ولكنه تركها ورحل إلى الولايات المتحدة بعد سقوط باريس عام ١٩٤١ ، حيث تولى في نيويورك منصبًا في الكلية الجديدة للبحث الاجتماعي عام ١٩٤٣ . وقد أتاح له فترة الإقامة هناك الفرصة لكتابة أطروحته في الدكتوراة " البنى الأولية للقرابة " . وإقامة علاقة صداقة مع رومان ياكوبسون الذي قاده إلى الاهتمام بعلم اللغة البنوي، فأسهم بمقال عن " التحليل البنوي في علم اللغة والأنثروبولوجيا " ، نشره عام ١٩٤٥ في مجلة حلقة نيويورك . وفي الفترة (١٩٤٦ _ ١٩٤٧) عمل في الملحق الثقافي في الولايات المتحدة . إلا أنه عاد إلى فرنسا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، إذ لم تعرض عليه الكلية الجديدة وظيفة ثابتة .

في عام ١٩٥٠ ، أصبح مدير الدراسات في المعهد التطبيقي للدراسات العليا في جامعة باريس (مختبر الأنثروبولوجيا الاجتماعية) . وفي هذا العام أيضاً سافر إلى باكستان الشرقية للقيام برحلة بحث ميداني. وقد تَمَّ اختياره لكرسي الأنثروبولوجيا الاجتماعية في الكوليج دو فرانس (١٩٥٩). وفي ١٩٦٤ نال وسام جوقة الشرف . وفي هذه المدة من حياته وما بعدها ، ألَّف شتراوس مجموعة من المؤلفات، وكتب العديد من المقالات التي نشرها في المجالات العالمية، والتي ضمَّها فيما بعد إلى مؤلفاته ، حيث تناول فيها دراسة الكثير من الظواهر وفَّق المنهج البنيوي . يُعدُّ شتراوس أهم البنيويين المعاصرين، وأكثرهم شهرة، بل إن البنيوية ترتبط باسمه ارتباطاً مباشراً ، وهذا ما جعل الباحثين يُطلقون عليه عدد من الألقاب التي تُشير إلى مدى تأثيره وتأثره بالبنيويين والبنيوية عموماً ، فَلَقَّبَ بعميد البنائيين، أو شيخ البنيويين، أو البنيوي الأول، أو رائد البنيوية المعاصرة ، أو أكبر مهندسي الفكر في العصر الحديث ... إلخ . وهذا الاهتمام من قِبل الباحثين به ، يرجع إلى استعماله المنهج البنيوي في كافة المجالات التي تطرَّق إليها بالبحث ، وخصوصاً في مجال الأنثروبولوجيا ، وتمسُّكه بهذا المنهج ، فهو لم يحاول كغيره من البنيويين أن يتجاوز هذا المنهج في دراساته وبحوثه ، أو أن يرفض إطلاق صفة البنيوي عليه كما فعل غيره. إن لنشأة شتراوس وتربيته وإعداداته العلمي أثرًا كبيرًا في اتساع أفقه ، وتنوُّع اهتماماته والمصادر التي استلهم منها منهجه البنيوي. فذكرياته عن الطبيعة جعلته قريبًا من علم الجيولوجيا، وعشقه للموسيقى والفن كان تأثيره واضحًا في بحوثه ودراساته ، وخصوصاً فيما يتعلق بالأساطير ، فضلاً عن دراسته للفلسفة والقانون ، واتجاهه الاجتماعي والأنثروبولوجي ، كل ذلك جعله يبحث عن منهج جديد في البحث قادر على معالجة كافة المجالات ، وهو المنهج البنيوي ، حَسَب اعتقاد شتراوس ، ذلك المنهج الذي يبحث عن الحقيقة التي تكمن وراء الوقائع الملاحظة.

اشتق شتراوس المقاربة البنيوية من علم اللغة البنيوي، وهو علم يدرس اللغات من خلال بُنية أصواتها وكلماتها . واستخدم المذهب البنيوي لدراسة العلاقات العائلية وأساطير الهنود الحمر، في الشمال والجنوب الأمريكي، وحتى طُرُق الطهي، والأساطير عبر العالم . وهي بالنسبة إليه تحولات من أسطورة إلى أخرى. فأساطير المجتمعات في هذا العالم قد تبدو مختلفة، لكن إذا كان للأساطير بُنية واحدة ، فإنها يمكن بالفعل أن تُعبّر عن الشيء نفسه .

من أبرز مؤلفاته : العرق والتاريخ (١٩٥٢) . مداريات حزينة (١٩٥٥) . الفكر البري (

١٩٦٢) . الأسطورة والمعنى (١٩٧٨) . طريق الأقنعة (١٩٧٩) .

كلية ستيلز لويس والاهتمام بالأساطير

وُلد الكاتب الأيرلندي كليف ستيلز لويس (١٨٩٨ _ ١٩٦٣) في بلفاست. يُعرف باسمه الأدبي الشهير "سي. إس. لويس". كان والده محامياً، والدته ابنة كاهن كنيسة أيرلندا الإنكليكانية. عندما كان صبيًا، كان لويس مفتونًا بمجسمات الحيوانات. سقط في حب قصص "بياتريكس بوتر". وكثيرًا ما كتب قصصه الخاصة عن الحيوانات. هو وشقيقه وارني صنعا عالم بوكسن، الذي تسكنه وتديره الحيوانات. أحب لويس القراءة، وكان منزل والده مليئًا بالكتب.

تعلم لويس من قبل مُدرّسين خصوصيين قبل أن يتم إرساله إلى مدرسة ينيارد في واتفورد، هيرتفوردشاير في عام ١٩٠٨، بعد وفاة والدته بمرض السرطان. وكان شقيقه قد التحق هناك قبل ثلاث سنوات. لم يمض وقت طويل حتى تم إغلاق المدرسة بعد ذلك نظرًا لعدم وجود التلاميذ، وتحوّلت إلى مستشفى للأمراض النفسية.

التحق لويس بعد ذلك بكلية كامبل في شرق بلفاست، نحو ميل من منزله، لكنه غادر بعد بضعة أشهر بسبب مشاكل في التنفس. وبعد ذلك أرسل إلى المدينة الصحية منتجع مالفيرن، حيث حضر المدرسة الإعدادية "بيت شيربورج". وكان خلال هذا الوقت قد تخلى عن الإيمان المسيحي الذي عاشه في طفولته، وأصبح ملحدًا، يهتم بالأساطير والسحر والتنجيم. وفي سبتمبر ١٩١٣، التحق لويس بكلية مالفيرن.

عندما أصبح مراهقًا، كان لويس مندهشًا من الأساطير والأغاني القديمة (الأدب القديم من الدول الإسكندنافية المحفوظ في الملاحم الأيسلندية). وهذه الأساطير كثفت اشتياقه الداخلي الذي دعاه في وقت لاحق "الفرح". نشأ أيضًا على حب الطبيعة وجمالها الذي جعله يتذكر قصص الشمال، وقصص الشمال جعلته يتذكر جمال الطبيعة.

انتقلت كتاباته في سن المراهقة بعيدًا عن حكايات بوكسن، وبدأ باستخدام أشكال فنية مختلفة، بما في ذلك الشعر الملحمي والأوبرا، لتصبح اهتمامه الجديد الذي حصل عليه في الميثولوجيا الإسكندنافية والعالم الطبيعي. درس لويس الأدب اليوناني والأساطير، مما ساهم في تفعيل مهارات التفكير والمناقشة لديه. وفي عام ١٩١٦، حصل لويس على جائزة المنحة الدراسية بجامعة أكسفورد. وقبل أن يُسمح له بحضور أكسفورد، تم تجنيد لويس في الحرب العالمية الأولى. وخبرته وسط أهوال الحرب أثبتت قناعته بالإلحاد.

اختبرَ لويس صدمة ثقافية مُعينة عند وصوله إلى إنجلترا ، وكتبَ في " أتعجب من الفرح " :
(لا يوجد رجل إنجليزي سوف يكون قادرًا على فهم انطباعاتي الأولى عن إنجلترا . اللهجات الإنجليزية الغربية التي كُنتُ مُحاطًا بها ، تبدو مثل أصوات الشياطين . ولكن ما كان أسوأ هي المناظر الطبيعية هناك . لقد صنعتُ خلافًا مُنذ ذلك الوقت ، ولكن في تلك اللحظة كُنتُ أكنُّ بداخلي كراهيةً لإنجلترا التي استغرقت سنوات عديدة للشفاء منها) .

تنوّعت اهتمامات لويس بين أدب القرون الوسطى، وعلم العقائد في المسيحية، والنقد الأدبي، والبعث الإذاعي ، والعلاقة الافتراضية بين الخير والشر، بالإضافة إلى سلسلة الأطفال الشهيرة التي كتبها " سجلات نارنيا " ، وكتب خيالية أخرى ، مثل : رسائل سكروتيب ، وثلاثية الفضاء .

كان لويس صديقًا حميمًا للكاتب تولكين ، مؤلف " سيّد الخواتم " . وكان كلاهما شخصيتين بارزتين في الكلية الإنجليزية في جامعة أكسفورد ، وفي المجموعة الأدبية غير الرسمية في أكسفورد التي كانت معروفة بالإنكليز .

وحسب مذكراته تحت عنوان " مفاجأة الفرح " ، كان لويس قد تعمّد في كنيسة أيرلندا عند الولادة ، ولكنه ارتدّ عن إيمانه في سن المراهقة. وبفضل تأثير تولكين وغيره من الأصدقاء، رجع لويس إلى المسيحية في الثلاثين من عُمره، وأصبح عضوًا عاديًا في كنيسة إنجلترا . وقد أثرَ تحوُّله الديني تأثيرًا عميقًا على عمله ، وجلبت له إذاعاته في زمن الحرب العالمية الثانية بشأن المسيحية شهرة واسعة .

في عام ١٩٥٦ ، تزوّج لويس من الكاتبة الأمريكية جوي جريشام، التي كانت أصغر منه بسبع عشرة سنة والتي تُوفيت بعد أربع سنوات بسبب السرطان في الخامسة والأربعين من عُمرها. وتُوفّيَ لويس بعد ثلاث سنوات من وفاة زوجته ، بسبب أزمة قلبية ، قبل أسبوع واحد من عيد ميلاده الخامس والستين. وكانت التغطية الإعلامية بسيطة، نظرًا لتزامن وفاته مع اغتيال الرئيس الأمريكي كينيدي ، ووفاة الكاتب ألدوس هكسلي .

تمّت ترجمة أعمال لويس إلى أكثر من ثلاثين لغة ، كما تمّ بيع ملايين النسخ منها عبر السنين. وكانت " سجلات نارنيا " الأكثر مبيعًا ، وتمّ تعميمها في أشكال مسرحية وتلفزيونية وإذاعية وسينمائية .

كنزابورو أوي ومُناهضة الأسلحة النووية

وُلد الروائي الياباني كنزابورو أوي (١٩٣٥ _ ...) في محافظة إهيمه في جزيرة شيكوكو . حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٤ ، بسبب " صناعة عالم مُتخيل حيث تتكثف الحياة والأسطورة لتشكيل صورة مُثيرة للقلق من المآزق الإنساني اليومي " . وعندما حصل عليها أعلن توقفه عن الكتابة ، مُعلِّناً بأن ابنه من ذوي الاحتياجات الخاصة أصبح صَوْتَهُ .

كُرِّسَ أوي جُزءًا كبيرًا من خطاب استلامه لجائزة نوبل عن مواطنه ياسوناري كاواباتا (أول ياباني يفوز بجائزة نوبل للآداب) ، قائلاً إن غموض قصائد كاواباتا خاضع لتأثير الرهبان البوذيين في العصور الوسطى ، الذين كانوا مصدر إلهام لكاواباتا . وبدلاً من الشعور بالتقارب الروحي مع مواطنه كاواباتا ، قال إنه يشعر بتقارب أكبر مع الشاعر الأيرلندي وليام بتلر بيتس الذي كان له تأثير على كتاباته وحياته .

يُعتبر أوي شخصية كبيرة في الأدب الياباني المعاصر . كما أن رواياته وقصصه القصيرة ومقالاته المتأثرة بقوة بالأدب الفرنسي والأمريكي والنظرية الأدبية، تتعامل مع القضايا السياسية والاجتماعية والفلسفية ، بما فيها الأسلحة النووية، والطاقة النووية، وعدم التوافق الاجتماعي ، والوجودية .

ويُعدُّ أحد أبرز مُمثلي جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية في الأدب الياباني ، على نحو يتضح في الكتابة ، كما من أفكاره وموضوعاته القصصية وغيرها .

لفت أوي انتباه الوسط الأدبي عام ١٩٥٧ بعمل قصصي عنوانه " معطاًؤون هم الموتى " . وكانت روايته الأولى " أطفُف البرعم وذمّر الدُّرْبَة (١٩٥٨) لَقِيَتْ إعجاباً واسع النطاق . ثم نال جائزة قِيَمَة بالنسبة لكاتب شاب على قصة له نُشرت عام ١٩٥٨ أيضاً . إلا أن روايته " جيلنا " (١٩٥٩) لم تنل نفس التقدير .

انشغل أوي بعد ذلك بالنشاط السياسي حيث كان ضمن اليسار الجديد، وألّف في هذا السبيل عملاً بعنوان " مسألة شخصية " (١٩٦٤) ، تناول فيه مشكلات الشباب في مرحلة ما بعد الحرب ، مُتَّخِذاً من شخصية ابنه هيكاري الذي وُلِدَ مُعاقاً ، محوراً ورمزاً لإعاقة أشمل .

من أعمال أوي الأخرى الروايتان : " علّمنا كيف نتجاوز جنونا " (١٩٦٩) ، و " استيقظ أيها الإنسان الجديد " (١٩٨٣) ، ودراسة للأساطير الإقليمية نشرت عام ١٩٨٦ .

وصدرت له بالإنجليزية مجموعة من المحاضرات التي ألقاها في السويد والولايات المتحدة بعنوان " اليابان الغامضة وأنا " (١٩٩٥) . منها محاضرته في ستوكهولم (عاصمة السويد) ، والتي عبّر فيها عن شعوره بتحوّل اليابان إلى بلد غامض ، يغترب عن تراثه وانتمائه الثقافي القاري في محاولته لمواكبة ركّب الحضارة الغربية .

عُرف أوي بالتزامه المزدوج بمبدأين لم يحدّ عنهما ، وهما : الوصف الدقيق لمشاعر وخلجات الروح البشرية ، والتّمسك بالمبادئ السياسية التي قامت عليها نهضة اليابان في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وقد شارك في حملات سلمية مُناهضة للأسلحة النووية ، وألّف كُتُبًا عن القصف الذّري لهيروشيما وناغازاكي .

وفي أعقاب كارثة فوكوشيما النووية عام ٢٠١١ ، حتّ أوي رئيس الوزراء الياباني على وقف خطط إعادة تشغيل محطات الطاقة النووية والتخلي عنها . وقال إن اليابان تتحمل مسؤولية أخلاقية في هذا المجال .

كنوت هامسون ودعم النازية

وُلد الكاتب النرويجي كنوت هامسون (١٨٥٩ - ١٩٥٢) في منطقة لوم النرويجية ، لأسرة ريفية فقيرة. عاش طفولته قاسية في رعاية عمّه . وهذه الطفولة البائسة دفعته إلى ممارسة مهنة بسيطة لكسب قُوت يومه . سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية على أمل أن يبدأ حياته من جديد ، ويُودّع حياة البؤس والشقاء . لكنه أُصيب بخيبة أمل كبيرة . فقد تعرّف على الحياة الأمريكية بكل جوانبها ، واعتبرها حياةً ماديةً مُضادّةً للروح ، وغارقة في الاستهلاكية ، وسائرة ضد الإنسان والطبيعة . كما أنه لم يقتنع بالديمقراطية الأمريكية ، واعتبرها مُزيّفة وخادعة . يُعتبر هامسون واحدًا من أبرز الروائيين العالميين في النصف الأول من القرن العشرين . وقد حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٠ .

في عام ١٨٩٠ ، أصدر هامسون روايته " الجوع " التي حقّقت نجاحًا عالميًا ساحقًا ، وجلبت له الشهرة والمجد الأدبي . وتروي مغامرات شاب جائع ، تصطدم مشاعره بالواقع الصعب ، ويشعر بأنه ضائع في مدينة صاخبة وقاسية . ومع أنه يحاول الحفاظ على تماسكه ومظهره الخارجي المحترم ، إلا أن انهيار وضعه الذهني والجسدي ، يكشف حالته السيئة . وقد كانت هذه الرواية بمثابة سيرة ذاتية للكاتب ، حيث عرض فيها تجربته الشخصية بشكل غير مباشر . وقد أدان في هذه الرواية الحضارة المادية المتوحّشة التي تقتل الروح في الإنسان ، وتُدمر الطبيعة ، وتُفسد الحياة الإنسانية ، وتجعلها عبئًا ثقیلاً على كاهل الإنسان . وكانت جميع رواياته في مسيرته الإبداعية الطويلة تتمحور حول مبدأ " فضح المادية القاسية التي لوثت الحياة الإنسانية " .

والغريب في الأمر ، أن هامسون المدافع عن التّزعة الإنسانية ضد المادية المتوحّشة ، قد أيّد هتلر أثناء الحرب العالمية الثانية ، ودعم النازية بكل طاقته . فقد اعتبر هتلر هو الزعيم المُخلّص القادر على إقامة المجتمع الجديد المتحرّر من كل الأمراض التي جلبتها الحضارة المادية . كما أنه اعتبر النازية هي الخلاص الروحي لأزمة الفرد في المجتمع الاستهلاكي المضاد للإنسان والطبيعة . عانى هامسون في حياته كثيرًا. فقد أُصيب بعض أفراد عائلته بالجنون ، كما أن طفولته البائسة وفترة شبابه القاسية تركتا في نفسه جروحًا عميقة . ولم يستطع التخلص من آثار هذه الجروح طيلة حياته، حتى بعد حصوله على جائزة نوبل، ونيل الشهرة العالمية، والمجد الأدبي. كان شديد الإعجاب بنيتشه ، ورأى في فلسفته القوة الإنسانية ، والأنا العليا ، وفكرة " السوبرمان " .

وربما أراد هامسون_ الذي عانى من الضعف والفقر والجوع والحرمان _ أن يُعزِّي نفسه بهذه الفلسفة ، وأن يبحث فيها عمّا ينقصه . لقد اعتبرَ فلسفةً نيتشه انتقام الضحية من العالم المادي القاسي ، وتعويضاً شخصياً له عن سنوات الفقر والجوع والمرض .

كان هامسون فخوراً بأصوله الريفية ، وكان يتباهى أمام الناس بجذوره العائلية الضاربة في أعماق الرِّيف . كما أنه حاولَ جاهداً أن يُؤسِّس في أعماله الأدبية ما سَمَّاه " الرومانسية الزراعية" المعادية لصخب المدينة الحديثة ، وقسوة الحضارة المادية ، وقلق الإنسان الوجودي .

وعلى الرغم من هذه المشاعر الدافئة تجاه الإنسان، والأحاسيس العميقة الرامية إلى تخليص الإنسان من مأزق الحياة المادية الاستهلاكية، إلا أنه قد سقط بصورة مرعبة في المجال السياسي. فقد أيدَ النازيين الذين جاؤوا إلى السُّلطة في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين ، وراح يَحُثُّهم على ضرورة حماية النرويج من " الخطر البريطاني " . وحين اندلعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، دعا أهل النرويج إلى مساندة النازيين، وتقديم كل أشكال الدعم لهم . وقد بدأ بنفسه ، فلم يتردّد في مقابلة غوبلز (وزير الدعاية النازية) ، كما أنه التقى الزعيم النازي هتلر شخصياً .

كان دعم النازية عقيدة راسخة في قلب هامسون ، اعتنقها بكامل إرادته ، دون ضغط أو إكراه . وحتى بعد سقوط النازية ، وانهيار الدولة الألمانية ، وانتحار هتلر . قال هامسون مُمجِّداً " القائد هتلر " : ((لقد كان مُصلِحاً استثنائياً ، ومصيره التاريخي جعله يصطدم بفترة تاريخية اتَّسمت بعنف لا مثيل له . وهذا العنف هو الذي كان سبباً في سقوطه)) .

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، تَمَّت محاكمة هامسون ، وأُودِعَ في مصحَّة الأمراض العقلية . ومع هذا ، لم يستسلم ، ولم يُغيِّر أفكاره ، ولم يعتذر عن مواقفه . بل كتب خطاباً للدفاع عن نفسه ، وتبرير أفكاره ومواقفه . وهذا الخطاب (المُرافعة الأخيرة) جاء بعنوان شعري جذّاب : " على الدروب حيث ينبت العشب " .

أصيب هامسون في حياته بنوبات عصبية حادة . وفي آخر حياته ، اشتدَّت عليه هذه النَّوبات، ولم يَعدُ يَعْرِف ما يَقول وما يَفْعَل. وهذا الأمر فرض عليه غُزلةً قاسية . وكان أهل بلاده يعتبرونه خائناً للوطن وعميلاً للاحتلال الأجنبي . أمّا رواياته التي كتبها ، فلا تزال حتَّى يومنا هذا ، تأسر ملايين القُرَّاء في أنحاء العالم ، وتفتتهم بالأسلوب الأدبي الجذاب ، والأفكار العميقة .

من أبرز أعماله الأدبية : الجوع (١٨٩٠) . أسرار (١٨٩٢) . لعبة الحياة (١٨٩٦) . الحالمون (١٩٠٤) . تحت ستار الخريف (١٩٠٦) . نمو التربة (١٩١٧) .

كولن ولسون والدَّجَلُ الفكري

وُلِدَ الكاتب الإنجليزي كولن ولسون (١٩٣١ _ ٢٠١٣) في مدينة ليسستر الإنجليزية ، لعائلة فقيرة من الطبقة العاملة .

تأخَّرَ في دخول المدرسة ، وتركها مُبَكَّرًا في سن السادسة عشرة ليساعد والده . عمل في وظائف مختلفة ، ساعدته بعضها على القراءة في وقت الفراغ .

نشر كتابه الأول (اللامنتمي) عام ١٩٥٦ ، وهو في سن الخامسة والعشرين . تناول فيه عُزلة المبدعين من شعراء وفلاسفة عن مجتمعهم وعن أقرانهم ، وتساؤلاتهم الدائمة . وعزا ذلك إلى الرغبة العميقة في إيجاد دين موضوعي وواضح يمكن له أن ينتقل إلى الآخرين ، دون أن يقضوا حياتهم في البحث عنه .

كان الكتاب ناجحًا جدًا ، وحَقَّقَ أصداء نقدية قوية، وجعل من الشاب الفقير ولسون نجمًا في دوائر لندن الثقافية ، وصارت أخباره الخاصة تصدر أعمدة النجمة الصحفية .

أثَّرَ ذلك على ولسون كثيرًا ، وصار يَتَّخِذُ موقفًا من الصحفيين والنُّقاد ، الذين سُرعان ما بادلوهُ نَفْسَ الموقف ، وهاجموا كتابه على أساس أنه " مُزَيَّف " وملئ بالنفاق . ورغم ذلك ، لا يزال يُنظرُ إلى الكتاب على أنه ساهمَ بشكل أساسي في نشر الفلسفة الوجودية على نطاق واسع في بريطانيا .

نُظِرَ إلى ولسون على أنه ينتمي إلى مجموعة " الشباب الغاضبين " . وهم مجموعة من الشباب المثقف المتمرد ، قدَّموا عدَّة أعمال مسرحية في الخمسينيات، رغم أن قليلًا جدًا منهم كان ولسون يرتبط بهم من الناحية الفعلية .

كتابته الثاني " الدين والتمرد " (١٩٥٧)، قُوِّبَ بهجوم شديد من النُّقاد الذين كرَّروا وصفه بالمزَيَّف والكذاب . كذلك ظلَّ النقاد معَ مُعظم كُتبه التالية ، لكن الرواج التجاري ظلَّ مُلَازِمًا لمُعظم كُتبه التي نالت هجوم النقاد أو لأمبالاتهم .

واصلَ ولسون الإنتاج دون اهتمام لهجوم النُّقاد ، وقد تنوَّعت موضوعات كُتبه بين الفلسفة، وعِلْم النفس الإجرامي، والرواية .

في الفلسفة ، أكملَ سلسلة اللامنتمي : عصر الهزيمة (١٩٥٩)، قوة الحلم (١٩٦١) . أصول الدافع الجنسي (١٩٦٣) . ما بعد اللامنتمي (١٩٦٥) .

في الرواية ، كتب عدّة مؤلفات روائية ، منها : طقوس الظلام (١٩٦٠) . ضياع في سوهو (١٩٦١) . رجل بلا ظل (١٩٦٣) . القفص الزجاجي (١٩٦٦) . طفليات العقل (١٩٦٧) . والجدير بالذكر أن عدد مؤلفات ولسن يزيد الآن على مئة كتاب . وقد ألفت عنه عدّة مؤلفات نقدية .

يقول كولن ولسون : ((اللائمتي هو الإنسان الذي يدرك ما تنهض عليه الحياة الإنسانية من أساس وإه ، وهو الذي يشعر بأن الاضطراب والفوضوية أكثر غمقًا وتجذرًا من النظام الذي يؤمن به قومه . إنه ليس مجنونًا ! . هو فقط أكثر حساسية من الأشخاص المتفائلين صحيحي العقل . مشكلته في الأساس هي مشكلة الحرية . هو يريد أن يكون حرًا ، ويرى أن صحيح العقل ليس حرًا ، ولا نقصد بالطبع الحرية السياسية ، وإنما الحرية بمعناها الروحي العميق . إن جوهر الدّين هو الحرية، ولهذا، غالبًا ما نجد اللائمتي يلجأ إلى مثل هذا الحل إذا قيضَ له أن يجد حلًا !)) . ومن الغريب أن ولسون قد حقّق شهرة كبيرة في العالم العربي ، لأنه يكاد لا يكون معروفًا في بلدان أوروبية عديدة ، ولم يُعترف به ككاتب جاد وحقيقي .

اتّجه بعد كتاباته الأدبية إلى الكتابة عن التصوف والسّحر وعالم ما بعد الموت . ويُصنّف ولسون في الغرب باعتباره كاتبًا دجّالًا .

تميّزت حياة ولسون الشخصية بتعدد العلاقات التي أقامها في كل محيط عمل أقام فيه ، ولعل أبرز ما ميّز أسلوبه في التفكير فكرة تبدو شاذة ، وهي أنه يجب على المبدع أن يُوفّر جميع متطلباته وحاجاته الطبيعية كي يتمكن من الانطلاق في عالم الإبداع ، لذلك لا تكاد تجد كاتبًا له إلا وفيه ذكر لموضوع الجنس ، ولو تلميحًا . وهذا يتّضح في حياته العملية ، فقد تعدّدت علاقاته مع عدّة نساء ، وتزوَّج أخيرًا بالفتاة جوي الذي وصف تأثره بها في سيرته الذاتية . وهذا الزواج "الناجح" جاء بعد تجربة زواج فاشلة مع مُمرّضة أكبر منه في السن .

عمومًا ، كولن ولسون من الأدباء الأنجليز الذين تعمّدوا وصف تأثير حياتهم اليومية على كتاباتهم . وقد أسّس دون إرادة فعلية منه لمذهب فلسفي جديد ، هو مذهب " الفلسفة الروائية " التي تبرز خاصّة في روايته " طقوس في الظلام " .

كونفوشيوس والقيم الأخلاقية الشخصية

وُلد الفيلسوف الصيني كونفوشيوس (٥٥١ ق.م _ ٤٧٩ ق. م) في منطقة زو ، بالقرب من تشيوفو الحالية بمقاطعة شاندونغ في شرق الصين . وكان اسمه عند ولادته " كونك فو دزه " ، وكان أتباعه وتلاميذه يدعونه كونك المعلم .

مات أبوه وهو طفل ، فعاش مع أمّه في فقر شديد . وعندما كبر عمل موظفًا في الحكومة . ثم اعتزل العمل الحكومي، وبعدها أمضى ستة عشر عامًا من عُمره يعظ الناس، متنقلاً من مدينة إلى أخرى . وقد التفّ حوله عدد كبير من الناس، ولمّا بلغ الخمسين من عُمره ، عاد إلى العمل في الحكومة. ولكن استطاع بعض الحاقدين عليه أن يطرده من الحكومة ، فترك لهم البلاد كلها. وأمضى بعد ذلك ثلاثة عشر عامًا مُبْشِرًا مُتَجَوِّلاً . ثم عاد ليقيم في بلده في آخر حياته .

كان كونفوشيوس يعمل بعد الفراغ من المدرسة كي يُعيل والدته ، وقد تعوّد في طفولته تلك الرزاة التي هي من خصائص كبار السن، والتي لازمتها في كل خطوة خطاها طوال حياته .

تزوَّج في التاسعة عشرة من عُمره، ولكنه طلق زوجته وهو في الثالثة والعشرين، ويظهر أنه لم يتزوج بعدها . ولمّا بلغ الثانية والعشرين من عُمره، بدأ يشتغل بالتعليم، واتخذ داره مدرسة له، وكان يتقاضى من تلاميذه ما يستطيعون أداءه من الرسوم مهما كانت قليلة. وكانت الموارد التي يشملها برنامجه ثلاثاً : التاريخ ، والشعر ، وآداب اللياقة .

يُعتبر كونفوشيوس أول فيلسوف صيني ينجح في إقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعي والأخلاقي . وفلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية ، وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقاً لمثل أخلاقي أعلى . وقد كانت تعاليمه وفلسفته ذات تأثير عميق في الفكر والحياة الصينية والكورية واليابانية والتاوانية والفيتنامية . ويُلقَّب بنبيّ الصين .

كان كونفوشيوس محافظاً في نظرتة إلى الحياة ، فهو يرى بأن العصر الذهبي للإنسانية كان في الماضي . لذلك ، كان يحنُّ إلى الماضي ، ويدعو الناس إلى الحياة فيه . ولكن الحكام في زمانه لم يكونوا على رأيه ، لذلك لقي بعض المعارضة. وقد اشتدت هذه المعارضة بعد وفاته ببضع مئات من السنين ، عندما حكم الصين ملوك أحرقوا كتبه ، وحرّموا تعاليمه ، ورأوا فيها نكسة مستمرة، لأن الشعوب يجب أن تنظر أمامها ، بينما هو يدعو الناس إلى النظر إلى الوراء ، ولكن ما لبثت تعاليم كونفوشيوس أن عادت أقوى ممّا كانت ، وانتشر تلاميذه وكهنته في كل مكان .

استمرت فلسفة كونفوشيوس تتحكم في الحياة الصينية قرابة عشرين قرنًا ، أي من القرن الأول قبل الميلاد حتى نهاية القرن التاسع عشر بعد الميلاد . وإيمان أهل الصين بفلسفته يعود إلى سبين: ١_ أنه كان صادقًا مخلصًا. ٢_ أنه شخص معقول ومعتدل وعملي. وهذا يتفق تمامًا مع المزاج الصيني، بل هذا هو السبب الأكبر في انتشار فلسفته في الصين. وهو بذلك كان قريبًا منهم، فلم يطلب منهم أن يغيروا حياتهم ، وإنما أكد لهم كل ما يؤمنون به ، فوجدوا أنفسهم في تعاليمه . ولكن هذه الفلسفة انحسرت تمامًا عن الصين، بعد أن تحولت إلى الشيوعية ، وأنجحت الصين نحو المستقبل ، وانتزعت نفسها من هذه الديانة، وذلك بالبعد عن الماضي ومسالمة الناس في الداخل والخارج. ولكن تظل فلسفة كونفوشيوس هي التي حققت سلامًا وأمنًا داخليًا أكثر من عشرين قرنًا للصين . وقد فشلت الكونفوشوسية في ترك أثر يُذكر خارج الصين .

تواجه الباحثين صعوبات ضخمة في سعيهم لفهم كونفوشيوس ، تتجلى فيما أضفاه الصينيون على شخصيته من أساطير ، وحاكوه من أقاصيص . وتُضفي الروايات الصينية القديمة هالة من التقديس على شخصية كونفوشيوس حتى يكاد أن يُنسب إليه تأليف جميع ما أنتجه الفكر الصيني في جميع عصوره ، فهي تعزو إليه تأليف ما يُعرف في الفلسفة الصينية " بالمراجع الستة" وتشمل كتب : التغيرات . الأناشيد . السجلات التاريخية . الطقوس . حَوَلِيَّات الربيع والخريف. الخريف. وقد أثبتت الدراسات العلمية أنه لم يُؤلفها، لكنه استخدمها في تثقيف مريديه، وكان أول من استعان بها في تعليم جمهرة الناس. ويُروى أنه لَمَّا مات كونفوشيوس أقاموا له الهياكل وعبدوه على سُنَّتِهِم في عبادة أرواح الأسلاف الصالحين ، وأوشكوا أن يتخذوا عبادته عبادة رسمية ، أي حكومة على عهد أسرة " هان " في القرن الثاني قبل الميلاد، وأوجبوا تقديم القرابين والضحايا لذكراه في المدارس ومعاهد التعليم ، وكانت هياكله في الواقع بمثابة مدارس يؤمُّها الناس لسماع الدروس كما يؤمُّونها لأداء الصلاة ، ولم تزل عبادته قائمة إلى أوائل القرن العشرين ، وخصَّوه في عام ١٩٠٦ بمراسم " الإله الأكبر شانج تي " إله السماء ، لأنه في عُرْفِهِم " نِد السماء " ، ومَن لم يؤمن اليوم بربوبيته من الصينيين المتعلِّمين ، فله في نفسه توقير يقترب من التأليه ، وقد جعلوا يوم ميلاده عيدًا قوميًا يَحْجُونَ فيه إلى مسقط رأسه .

وكثيرًا ما وُصِف كونفوشيوس بأنه أحد مُؤسَّسي الديانات . وهذا تعبير غير دقيق إن لم يكن خاطئًا ، فمذهبه ليس دينًا . فهو لا يتحدث عن إله أو السماوات. وإنما مذهبه هو طريقة في الحياة الخاصة والسلوك الاجتماعي والسلوك السياسي .

لوبي دي فيغا وارتجال الأشعار

وُلد الأديب الإسباني لوبي دي فيغا (١٥٦٢ - ١٦٣٥) في مدريد ، وتُوُفِّي فيها . ينتمي إلى عائلة متواضعة أصولها تعود لوادي كاريديو في جبل كانتابريا . وأبوه كان يعمل مُطَرِّزًا للشباب . بدأت موهبة دي فيغا مُنذ صغره . أتقن قراءة اللاتينية والقشتالية في وقت مبكر جدًا من طفولته حيث كان في الخامسة من عُمره فقط، وفي العُمر ذاته بدأ بنظم الشُّعر . وفي الثانية عشرة من عُمره التفت لكتابة المسرحيات، ومن المحتمل كَوْن أولى أعماله " العاشق المخلص " ، والتي أكَّد دي فيغا أنه تفانى في كتابة هذا العمل . موهبته العظيمة كانت السبب في التحاقه بمدرسة الشعراء والموسيقى في مدريد .

يُعتَبَر دي فيغا الأكثر غزارة في الأدب الإسباني ، فقد كان يتمتع بقدرات مذهلة على ارتجال الأشعار قبل أن يتعلم الكتابة . كان حالة استثنائية في عالم الأدب وفي حياته الخاصة، فأُطلق عليه لقب " عنقاء العباقرة الإسبان " ، وأُطلقَ عليه مُعاصره ثيربانتس لقب " وحش الطبيعة " . وهو لقب ينطبق على قدراته الإبداعية وسيرته الحياتية على السواء، ذلك أنه عاش حياة مغامرات صاخبة، فبعد أن درس في طفولته في مدرسة يُديرها الرهبان اليسوعيون ، انتقل لتلقّي العلم في جامعة ألكالا (١٥٧٧ - ١٥٨١) ، لكنه لم يتمكن من نيل شهادته ، ربما بسبب سلوكه غير المنضبط وحبّه للنساء ، ما جعله غير صالح للكهنوتية ، هذا ما دفع أولياء أمره للتوقف عن دفع تكاليف دراسته ، لذلك لم يحصل دي فيغا على درجة البكالوريوس ، وكان عليه أن يعمل لكسب قُوت يَوْمه ، فعمل في كتابة المسرحيات والمقطوعات الأدبية . وشارك في حملات عسكرية ، وتطوَّع في الأسطول الإسباني الملقَّب بـ " الأرمادا الذي لا يُقَهَّر " .

أحبَّ إيلينا أوسوريو ، التي ذكرها في أشعاره بلقب فيليس ، ولكنه حين علم أن هناك مَنْ حلَّ محله في حب إيلينا، هجا العشيق بأشعار جارحة، مثلما هجا والد إيلينا، فحكم عليه بالنفي أربع سنوات خارج مدريد وستين آخرين خارج حدود مملكة قشتالة . وعندما وصله العفو الذي كان يتلهف إليه في عام ١٥٩٥ ، رجع إلى مدريد، وانتقل فورًا للعمل في خدمة دوق ألبا ، وعاش معظم الوقت في بلدة ألبا دي تورمس ، في أجواء راقية وشاعرية . ثم انتقل بعد ذلك للعمل في خدمة المركز دي ماليكا ، ودوق سِسَّا الذي كان منغمسًا في اللهو والملذات، وكان لعلاقة دي فيغا به نتائج وخيمة . وبسبب نفوذ هذا الأخير عُيِّن الشاعر ضمن أسرة محكمة التفتيش . ويبدو

أن دي فيغا أحسَّ بالندم في السنوات الأخيرة من حياته ، ومرَّ بأزمة دينية حادة بسبب ما اقترفه من ذنوب، فحاول إصلاح حياته، وانضمَّ إلى " أخوية عبيد السر الأقدس " ، وعيَّن أسقفًا ، بل إن البابا أوربانو الثامن منحه لقب دكتور في اللاهوت، وتفرَّغ لمنزله الذي ما لبث أن انهار، فقد ماتت زوجته مجنونة وعمياء ، ثم مات ابنه في حادث غرق سفينة، وفرت ابنته مع عشيق يعمل في البلاط، فامتألت حياة دي فيغا باليأس والقنوط وتأنيب الضمير، فكان يمارس عقاب الذات بالجلد، ظنًا منه بأنه يُكفِّر بذلك عن ذنوبه وخطاياها .

كان دي فيغا رجلاً واسع الثقافة الأدبية ، وحالة استثنائية من الحيوية وسيلاً متدفقاً من الإبداع . كتب في كل الأجناس الأدبية التي كانت معروفة في زمانه باستثناء رواية الصَّلَكة .

ومع أن وفرة أعماله المسرحية المذهلة (يُقال إنه أَلَفَ أكثر من ١٨٠٠ عمل مسرحي) ، قد طغت على جوانب إبداعه الأدبي الأخرى ، إلا أن له مؤلفات واسعة في الشعر لا تقل ضخامة وأهمية عن مسرحه، بل إن أعماله الشعرية كانت من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها وتصنيفها . وهو واحد من أفضل الشعراء الغنائيين في الشعر الإسباني ، وتبدي حساسيته الغنائية في القصائد التي كتب كلماتها لُغْنَى .

وله قُدْر كبير من القصائد القصصية والوصفية المطوّلة ، منها ما هو تاريخي ملحمي، مثل : " دراغونتيا " (١٥٩٨) التي يتغنّى فيها بمغامرات القرصان الإنجليزي فرانسيس دريك وهزيمته وموته ، و " تاج مأساوي " (١٦٢٧) حول موت ماريا ستيوارت ومصيرها المأساوي . وقصص شعرية أخرى مُستوحاة من تقاليد مدريد الشعبية والدينية والتاريخية، مثل : " إيسيدرو " (١٥٩٩) وهي قصيدة مخمّسات مُترعة بالورع الديني الشعبي، ويتغنّى فيها بالقديس إيسيدرو الفلاح، شفيع مدريد ، ومثلها قصيدة " عذراء ألمودين " (١٦٢٣) .

وهناك أشعار يُحاكي فيها الشعر الملحمي الإيطالي في عصر النهضة، مثل : جمال أنخيليك (١٦٠٢) ، و " غزو أورشليم " ، وصوّر فيها عالم الحروب الصليبية . كما نظم قصصاً شعرية ذات موضوعات أسطورية ، إضافة إلى ملحمة تهكمية يروي فيها مغامرات قِطْنين مُغرَمين بقطة طائشة ، وهي بعنوان : " الملحمة القِطِيَّة " (١٦٣٤) .

تُوفِّي دي فيغا في ٢٧ أغسطس (آب) عام ١٦٣٥ ، وكتب مئتا مؤلف في مديحه ، ونُشر في مدريد وفينيسيا . وحصلت أعماله خلال حياته على شهرة أسطورية .

لودفيغ فيتغنشتاين ومنطق اللغة

وُلد الفيلسوف النمساوي لودفيغ فيتغنشتاين (١٨٨٩ _ ١٩٥١) في فيينا بالنمسا، لأسرة ثرية ومثقفة . برزت عنده ميول أدبية وموسيقية منذ الصغر، شَغِف بالرياضيات والفلسفة . غادر النمسا إلى إنجلترا بعد دراساته الأولى ، وانتسب لجامعة مانشستر عام ١٩٠٨ طالباً للهندسة . وفي عام ١٩١١ ، كانت بداية حياته الفلسفية، إذ التحق بجامعة كامبردج، وتتلّمذ على يد كُلٍ من برتراند راسل وجورج مور. ثُمَّ حصل على درجة الدكتوراة عام ١٩٢٩ عن كتابه " الرسالة المنطقية الفلسفية " الذي عُدَّ عملاً فلسفياً أصيلاً، وصفه راسل بأنه "حدث مهم في عالم الفلسفة"، ونال فيه شهرة واسعة . ومن أشهر مؤلفاته " الكتاب الأزرق والبنّي "، وهو عبارة عن محاضرات نشرها تلاميذه بعد وفاته، وكتاب " المباحث الفلسفية " ، وألّفه على مرحلتين . انتهى من القسم الأول منه عام ١٩٣٦ ، ومن القسم الثاني عام ١٩٤٨ . ونُشر عام ١٩٥٣ بعد وفاته .

تنقسم حياته الفلسفية إلى فترتين . في الأولى كتب رسالته المشهورة في المنطق " الرسالة " متأثراً بنظرية راسل " الذرية المنطقية " ، فحصر وظيفة الفلسفة بتحليل اللغة فقط، ورأى أن هذه اللغة تخضع لجملة من القواعد المنطقية هي بمنزلة " الصياغة المنطقية للغة " .

وفي الفترة الثانية ، بدأ فيتغنشتاين بنقد " الرسالة " وتطويرها إلى "بحوث فلسفية"، وفيها رفض أي أثر للفلسفة في تقديم تفسيرات للعالم وما يدور فيه . وعلى الرغم من التحول الذي طرأ على أفكاره الفلسفية الأولى التي وردت في " الرسالة " الثانية ، فقد ربط اللغة بالأنشطة الاجتماعية لا بالوقائع، وبقي متمسكاً بموقفه من أن الفلسفة تحليل للغة بهدف إزالة الغموض عنها. ففي " الرسالة " ينظر فيتغنشتاين إلى الفلسفة نظرة ضيقة بوصفها منطقاً للغة العالم التجريبي، كما وتبلور في لغة العلم، فيَقَدِّم نظرية عامة في توضيح علاقة اللغة بالعالم ، يذهب فيها إلى أن المهمة الأولى للغة هي تعزيز الوقائع، مفترضاً نوعاً من التقابل بين بناء " الجملة " التي تُؤلّف بُنية اللغة العادية ، وبين " الواقعة " التي تُشكّل بُنية العلم . فالعالم يتكون من مجموعة من الوقائع لا الأشياء ، التي يمكن أن يُعبّر عنها في جُمْل لغوية، والواقعة هي الجملة التي يُمكن أن تُؤلّد واقعة أخرى أبسط منها ، أو تنحل بوساطة التحليل المنطقي إلى واقعة أخرى (جملة أخرى) أكثر بساطة منها. والوقائع تنقسم إلى وقائع مُركّبة ووقائع بسيطة، يُسمّيها فيتغنشتاين " الوقائع الذرية " ، وهي تُمثّل الحد الذي تقف عنده عملية التحليل، ومنها تتشكل الوقائع المركّبة .

وهذه الوقائع هي وقائع لفظية رمزية ينتقل فيها فيتغنشتاين من عالم الوقائع الفعلية إلى عالم الوجود اللفظي القائم على العبارات الوصفية. هذا العالم تتحول فيه صفات الأشياء إلى مجرد علاقات تقوم بين الألفاظ والأسماء، شَرَطُ أن يُفْهَم أن ما يعنيه بالاسم : تمثيل رمزي لموضوع بسيط هو أشبه " بالثُّقُط الرياضية " ، ويكتسب معناه فقط عند دخوله في جملة أو قضية تصف حالة الموضوعات في الواقع. واللغة في تعبيرها عن الروابط التي بين الأسماء إنما تستحضر العالم الخارجي، كما هو ماثل في الأذهان، وهذا الاستحضار يُسمَّيه فيتغنشتاين " تصويرًا " أو " صورة الوقائع ". ولتوضيح ذلك يرى أن القضية الأولية ، وهي جملة تتألف من أسماء لا تقبل التحليل إلى قضايا أخرى ، صورة للواقعة الذرية التي تتكون من شيئين بسيطين يدخلان في علاقة مُعَيَّنة، فإذا قِيلَ مثلاً إن " القلم فوق الطاولة "، فإن هذه القضية تصوير لواقعة ذرّية تتألف من شيئين هما القلم والطاولة وعلاقة فوق. والقضية تُصوّر لغويًا الواقعة، وكيفية ترابط عناصرها في الواقع .

ومعيار صدق أي قضية يكمن في أنها تُصوّر الأشياء والعلاقة القائمة بينهما، وعملية التصوير هذه تتبع منطقًا مُعَيَّنًا يُسمَّيه فيتغنشتاين بالصورة المنطقية . والأشياء في العالم تتربط فيما بينها بعلاقات مثلما تتربط عناصر الصورة ، والشئ المشترك بين الواقعة والصورة هو البناء أو الشكل المنطقي الذي يجمعهما، ولكن هذا الشكل المنطقي المشترك للصورة والواقعة لا يمكن شرح معناه، فهو غير قابل للوصف في قضايا، بل يمكن إظهاره والكشف عنه كما هو موجود بالفعل .

فَمِن الممكن شرح عناصر الصورة وكيفية ترابطها، ولكن لا يمكن وصف ما تعنيه الجملة ذاتها، ومع ذلك يمكن فهمها، لأن القضية وحدها تتطوي على معنى يتقرّر بوجود الواقعة التي تقابلها ، وتجعل منها صورة للواقع . ويُعتبر فيتغنشتاين في تحليله المنطقي للغة، أن اللغة العادية إذا صيغت بنظام منطقي كامل قائم على فكرة البسائط أو "الواقعة الذرية "، فمن الممكن تجنّب الوقوع في غموض التعبير والخلط والإبهام. واستنادًا إلى ذلك فإن مشكلة الفلسفة، حسب فيتغنشتاين، ناتجة عن "سوء فهم منطق اللغة ". لكن فيتغنشتاين في كتابه الأخير " مباحث فلسفية " يُقدِّم فهمًا للمعنى ووظيفة اللغة، مُغايرًا لِمَا أتى عليه في "الرسالة "، فلم يعد المعنى يُمثّل الموضوعات التي يُشير إليها، بل أصبح معنى الكلمة ينحصر في الطريقة التي تُستخدم بها تلك الكلمة. وأصبح السؤال عن تحليل قول ما ، هو في الواقع محض سؤال عن الطريقة التي يُستخدم فيها القول في سياق ما أكثر مما يكون السؤال عما يعنيه هذا القول. وقد استمرت فلسفة فيتغنشتاين التحليلية في منهج التحليل المنطقي للغة، وازدهرت من خلال فلاسفة الوضعية المنطقية .

لودفيغ فيورباخ والدفاع عن المادية

وُلد الفيلسوف الألماني لودفيغ فيورباخ (١٨٠٤ - ١٨٧٢) في مدينة لاندسهوت بولاية بافاريا الألمانية . وتُوفِّي في رايبنبرغ . كان أبوه من مشاهير رجال القانون . وقد رُقِّيَ إلى مصاف النبلاء عام ١٨٠٨ . اشتهر فيورباخ بنقده للمسيحية والدين عامةً ، وتأثيره الحاسم في التطور الفكري لماركس وإنجلز، وبتوجيهه الحركة الراديكالية الألمانية في خمسينيات القرن التاسع عشر ، وكان قد درس اللاهوت في هايدلبرغ والفلسفة في برلين . وكان تلميذًا لهيغل ، ثم صار أبرز معارضيه . حصل فيورباخ على شهادة الدكتوراة من جامعة إرلانغن، ودرَّس فيها خلال الفترة (١٨٢٩ - ١٨٣٢) . لكنه فُصل من الجامعة، بعد اكتشاف أنه مؤلف كتاب " أفكار حول الموت والخلود " (١٨٣٠) ، وكان قد نشره باسم مُستعار . واعتزل الحياة العامة . لَقِيَ كتابه " جوهر المسيحية " (١٨٤١) رواجًا منقطع النظير ، ثم تلاه بكتابين متكاملين " قضايا تمهيدية لإصلاح الفلسفة " (١٨٤١) و " مبادئ فلسفة المستقبل " (١٨٥١ - ١٨٥٧) . وفي عام ١٨٤٥ ، تخلى فيورباخ عن النَّزعة الإنسانية ، واتَّجه نحو النَّزعة الطبيعية في كتابه " جوهر الدين " . وفي عام ١٨٥٧ ، قام بنشر آخر مؤلفاته " نَسَب الآلهة تبعًا للمصادر القديمة الكلاسيكية والعبرانية والمسيحية " . اهتم فيورباخ بالاشتراكية العلمية بعد قراءة كتاب كارل ماركس " رأس المال " ، وانتسب إلى الحزب الاشتراكي الديمقراطي، لكنه لم يعتنق المادية الديالكتيكية والتاريخية .

كان فيورباخ هيغليًا في بداياته ، وقد رأى في مضمون الفلسفة الهيغلية ومنهجها خلاصًا من ثنائية ديكارت وكانت ، وذاتية فيخته ، وتجريبية لوك وبيركلي وهيوم . وأعاد ترتيب أفكاره وفهمه لفلسفة هيغل في كتابه " إسهام نحو نقد فلسفة هيغل " (١٨٢٨ - ١٨٢٩) ، أكَّد فيه مبدأ الحِسِّيَّة ، بمعنى تجسيد الأفكار وإدراكها حِسِّيًّا ، وتحوُّل الفكر المطلق عنده إلى الوجود الواقعي ، والحقيقة مستمدة من الحواس ، لأن الفلسفة عنده ليست الروح المحضة أو العقل المحض، إنما وجود الإنسان الحقيقي، ولا يمكن فهم الطبيعة إلا على أساس الإنسان .

تعمَّق فيورباخ في الدِّين ، وكانت فلسفته دينية تعني الإنسان . واعتبرَ الدين وظيفةً أبديةً للروح الإنسانية ، ومهمة الفلسفة البحث في المشكلات الدينية. والدين عنده بما في ذلك المسيحية، هو الوعي باللامتناهي . ويرى فيورباخ أن الله مرآة تنعكس صفات البشر فيها . وأن ينسب الإنسان طبيعته السامية إلى الله، ليس إنكارًا لوجود الله، بل على العكس، تعزيز فكرة التوافق

والاكتمال بين الله والإنسان، فالإنسان قد خُلِقَ لِهَا لِنَفْسِهِ عَلَى صُورَتِهِ يَحْمِلُ مَلامَحَهُ تَمَامًا، ووضعه في عَالَمٍ مُتَسَامٍ طَبِيعَةً سَامِيَةً لَهُ . والاعتقاد في الله نتيجة ضعف الإنسان وفقره ، وعملية إسقاط الصفات الإنسانية على الله ، هي ما يُقَصِّدُ بِهَا الاغتراب الديني بأوسع معانيه .

ولا يريد فيورباخ هدم الأساس الديني لبناء الإنسان من الداخل، إنما كان هدفه إعادة الأساس الديني إلى أعماق الإنسان، وفرَّق فيورباخ بين الدين واللاهوت، فالدين تعبير عن ماهية الإنسان، أمَّا اللاهوت فيضع هذه الماهية في الغيبات، ويُخفي بذلك حقيقة الدين . وموضوع الوعي الديني هو موضوع للشعور : التعاطف والمحبة ، تلك المحبة التي دعت إليها المسيحية في بدايات تشكيلها، وهذا التعاطف هو الأساس الذي نشأ عليه الدين . وبغض النظر إذا كان فيورباخ مُلْحِدًا أو مؤمنًا ، فهو يتجاوز المعتقدات الشخصية ، ويبحث فيما وراءها . ويرى أن هناك عنصرين أساسيين في المعتقدات الدينية : العنصر الكُلِّي الإنساني المتمثل بالحب والأخوة ، والعنصر الفردي الأناني اللاهوتي . لم يرفض فيورباخ المسيحية، إنما أراد العودة إلى المسيحية الأصلية . والطبيعة أصل الدين وموضوعه الأساسي، فالدين مرتبط بتبعية عُلْيَا وجود الإنسان مع كائن مختلف عنه وأكثر كمالًا، ويُمَثِّلُ تشخيصًا لمظاهر الطبيعة التي تُثير في الإنسان أعلى درجات الخوف . ويصبح الفرق بين المسيحية وديانات الشعوب البدائية وعبدة الأوثان، هو أن المسيحيين لا يعترفون بمظاهر الطبيعة التي تثير الخوف الديني في نفوسهم وتحوِّل إلى آلهة خاصة، إنما يُفسِّرونها على أنها صفات الله، فهم لا يقيمون الصلاة لآلهة الشر خوفًا من أن تُسبِّبَ لهم الأذى والدمار ، إنما يقومون بالصلاة والابتهاال إلى الله عندما يعتقدون أنه غاضب عليهم، أو أن هناك احتمالاً أنه سوف يغضب عليهم.

ويرتبط الدين بالخوف من الموت أيضًا، وهذا ما يُطْلَقُ عَلَيْهِ فيورباخ اسم "الشعور بالتناهي والمحدودية " ، أي وعي الإنسان بأنه سوف ينتهي يومًا . ويُفسَّرُ فيورباخ بذلك العلاقة بين الموت والدين، ويُسَخَّرُ العواطف الإيجابية كالحب والسعادة والامتنان والتبجيل لخدمة الدين، فالآلهة التي تُدْمَرُ الأشجار والحيوانات والإنسان هي نَفْسُهَا التي تبعث الحياة في الحقول ، وبذلك يصبح مصدر الخير هو مصدر الشر نفسه ، ومصدر الخوف هو مصدر السعادة . ويحاول الإنسان الجمع بين الضدين في شعور واحد ، فيتولد عنده الشعور بالتبعية كمصدر أساسي للدين . وهذا الشعور هو الشعور الحقيقي والشمولي الذي يُفسَّرُ الأساس السيكولوجي للدين . إن غضب الطبيعة وحقيقة الموت هو ما أقنع الإنسان بوجود الله ، وأقنعه بتبعيةه للقوى المطلقة .

لورن دالمبير وكتابة الموسوعة

وُلد الفيلسوف وعالم الرياضيات الفرنسي لورن دالمبير (١٧١٧ _ ١٧٨٣) . كان ابنًا غير شرعي لسيدة صالون هي مدام دي تينسن من الفارس ديتوش كانون. تُرك دالمبير بعد ولادته على عتبة كنيسة سان جان لورن في باريس . ومنها أُعطيَ اسمه عند تعميده . ومع أن مدام دي تينسن والفارس ديتوش لم يعترفا به ابنًا لهما ، إلا أن ديتوش أعطاه إلى زوجة زجاج لترعاه، وخصّه بإيراد سنوي يفي حاجاته ، وعاش دالمبير حياته وهو يُعامل هذه المرأة على أنها أمّه فعلاً . وقد أتاح له نفوذ " أبيه " الفارس الالتحاق بمدرسة الجُنسينيين (أتباع حركة أخلاقية مسيحية متشددة) . وأتمّ دراسته فيها ، وحوّل اسمه إلى " دالمبير " لسهولة النطق .

كان مُعلّموه قد وجّهوه في البدء إلى دراسة اللاهوت ، ولكنهم لمسوا لديه نفورًا شديدًا منه، فأحالوه إلى دراسة القانون ، وصار محاميًا عام ١٧٣٨ ، ولكنه لم يُمارس المهنة قط، إذ تحوّل إلى دراسة الطب عامًا واحدًا ، ثم تفرّغ لدراسة العلوم الرياضية .

بدأ دالمبير نشاطه العلمي في عام ١٧٣٩ حين ألقى في أكاديمية العلوم الباريسية أول بحث له، ولم يلبث أن غدا أحد أعضائها بعد عامين من ذلك التاريخ . وفي عام ١٧٤٣ ، نشر بحثه المهم " مبحث في الديناميك " ، ضمّنه المبادئ المعروفة باسمه ، ومنها تطبيق قانون نيوتن الثالث عن الحركة ، على الأجسام المتحركة والثابتة . وتوالى بعد ذلك دراساته الأخرى في الرياضيات .

انتُخب دالمبير عام ١٧٥٤ عضوًا في الأكاديمية الفرنسية ، وكان له فيها نشاط بارز ، وكان فريدريك الثاني قيصر بروسيا قد دعاه عام ١٧٥٢ ليصبح رئيسًا لأكاديمية برلين ، ولكن دالمبير اعتذر عن قبول المنصب ، واكتفى بزيارة قصيرة قام بها إلى بلاط القيصر عام ١٧٥٥ ، كما أقام مُدّة في جنيف بصحبة فولتير (١٧٥٦) . وفي عام ١٧٦٢ تلقّى دعوة من كاترين الثانية إمبراطورة روسيا، ليكون مُعلّمًا لولي العهد، ولكنه اعتذر عن قبول هذا العرض حرصًا على صحته وحُبّه للحياة الثقافية في باريس . كان دالمبير إلى جانب نشاطه العلمي والموسوعي يعيش حياة اجتماعية نشطة، ويتردد على الصالونات المعروفة في باريس، وقد اشتهر بِطُرْفه وبراعته في الحديث. وكانت من جُملة أنشطة دالمبير الأخرى كتاباته في الفلسفة والأدب والتاريخ والموسيقى وغيرها. ومن أهم ما كتبه في هذه المجالات كتابه الذي نُشر في وقت مبكر "متفرقات في الأدب

والتاريخ والفلسفة". وفيه مقالة مهمة عن "رجال الأدب". ومنها كذلك كتابه "عناصر الموسيقى" (١٧٥٢). آمنَ دالمبير بسيادة العقل والطبيعة ومناهضة المعتقدات القديمة ومؤسساتها ، وكان يميل إلى مذهب الشك ، ومؤيداً للمفكرين المتحررين من سطوة الدين . لكنه كان حذراً وغير صريح في مُعارضة رجال الدين، وداعياً إلى تطوير المجتمع ومفاهيمه، مُنادياً بالتسامح وحرية الرأي. وكان من أنصار الملكية المستتيرة التي تعتمد على الأرستقراطية المثقفة، ويدعو _ كما هو شأن معاصريه من المفكرين والفلاسفة في عصر التنوير _ إلى تحلي المجتمع بأخلاقيات جديدة محل الأخلاقيات المسيحية.

وقد كان العلم _ وفق دالمبير _ هو المصدر الوحيد للمعرفة ، لذلك فقد أوجب أن يَعْمَ الشعب وينتفع به الجمهور. ومن هذا المنطلق تحمَّس دالمبير للكتابة في الموسوعة التي كان العمل قد بدأ فيها عام ١٧٤٥ بإشراف الفيلسوف دنيس ديدرو ، ومعاونة دالمبير الذي تولى الإشراف على تحرير المقالات المتعلقة بالعلوم والرياضيات ومراجعتها . وقد أسهمَ دالمبير في كتابة كثير منها كما كتب مقالات في موضوعات أخرى ، وبذل جهده ووقته في الدفاع عن مشروع " الموسوعة ". وقد كتب تقديمًا ، وردَّ على مُنتقدي الموسوعة ، خصوصًا " اليسوعيين " الذين وصفوا كل من شارك في كتابتها بالكفر ومناهضة الملكية .

تعرَّض العمل في الموسوعة لانتقادات وصعوبات ومشكلات كثيرة ، أدَّت إلى فقدان دالمبير للُرغبة في المشاركة فيها ، حتى تخلى عن منصبه فيها منذ عام ١٧٥٨ ، واكتفى بمراجعة ما يُنشر فيها من مقالات في الرياضيات والعلوم ، كما ركَّز اهتمامه العلمي على بحوثه في الرياضيات ، فشر في الفترة (١٧٦١ _ ١٧٨٠) ثمانية مجلدات من مؤلَّفه " الرياضيات " .

انتُخب في عام ١٧٧٢ أمينًا عامًا مدى الحياة للأكاديمية الفرنسية ، وقد برهن على جدارته فيها، وكان من مهامه متابعة كتابة " تاريخ أعضاء الأكاديمية " الذي اشتمل على تراجم أعضائها الموتى خلال الفترة (١٧٧٢ _ ١٧٠٠) .

لقد وَضع مُعاصرو دالمبير هذا الفيلسوف والعالم في المكانة الثانية بعد فولتير ، ومع أن دالمبير أسهمَ إسهامًا كبيرًا في تطوير العلوم الرياضية ، إلا أن أعماله الأدبية والفلسفية قد مَنعته من الحصول على مكانة رفيعة ، بسبب تردُّده في التعبير صراحةً عمَّا يُؤمن به ، ولم يَمْنعه ذلك من استلهاهم المُثل العليا لفلسفة العلوم ووَحدة المعرفة ، ووضعه المبادئ العامة التي مَكَّنت من إيجاد الروابط بين مختلف فروع المعرفة .

لوي ألتوسير والشرح الجديد للماركسية

وُلد الفيلسوف الفرنسي لوي ألتوسير (١٩١٨ - ١٩٩٠) في مستعمرة الجزائر الفرنسية في بلدية بئر مراد راييس الواقعة بجانب مدينة الجزائر . سُمِّيَ باسم عمِّه الذي قُتل في الحرب العالمية الأولى . بعد وفاة والده، انتقل ألتوسير مع أمِّه وأخته الصغيرة إلى مارسيليا حيث قضى بقية طفولته . انضمَّ عام ١٩٣٧ إلى منظمة الشبيبة الكاثوليكية . وجُنِّد للجيش في الحرب العالمية الثانية بعد احتلال فرنسا ، وسُجن في معسكر ألماني لأسرى الحرب . في المعسكر ، التقى بجاك مارتن ، وبدأ بالانتقال نحو الفكر الماركسي . قضى ألتوسير في المعسكر باقي سنوات الحرب ، وساهمت هذه التجربة بإصابته بنوبات من الاضطراب النفسي لاحقًا . بعد الحرب استطاع ألتوسير أن يبدأ تعليمه في مدرسة الأساتذة العليا ، لكنه كان بوضع صحي سيِّئ نفسيًّا وجسديًّا . وعام ١٩٤٧ تلقى علاجًا بالتخليج الكهربائي . ومنذ تلك الفترة عانى ألتوسير من أمراض عقلية حتى وفاته . أبدت المدرسة تفهمًا لحالته وسمحت له بالسكن في غرفة خاصة في عيادة المدرسة . سكن ألتوسير أغلب سِنِّي حياته في مدرسة الأساتذة العليا ، باستثناء فترات دَخَلَ فيها المستشفى . حصل على شهادة في الفلسفة عام ١٩٤٨ ، وما لبث أن أصبح منذ ذلك الحين مُعيدًا في المعهد العالي للمعلمين . وانضمَّ في العام ذاته إلى الحزب الشيوعي الفرنسي ، في فترة بدأ فيها العديد من المثقفين بفقدان ثقتهم بالحزب . في نفس السنة اجتاز ألتوسير امتحانات قبول المعلمين في سلك التعليم الحكومي في فرنسا في موضوع الفلسفة كاتِبًا أطروحة عن هيغل ، ممَّا سمح له أن يصبح مُعلِّمًا في مدرسة الأساتذة العليا . وكان من بين طلابه الفيلسوفان ميشيل فوكو وألان باديو . وفي عام ١٩٤٦ التقى ألتوسير بهيلين ريثمان ، ثورية من أصل لاتفي _ يهودي . كانت تكبره بثمانٍ سنوات . ومنذ ذلك الحين صارت شريكة حياته حتى قام بقتلها في ١٦ نوفمبر ١٩٨٠ خَنَقًا، بعد فترة من الاضطراب العقلي . لم يكن هنالك شهود ، وهنالك جدل على الظروف ، ادَّعى البعض أن القتل كان مُتعمَّدًا، بينما ادعى الآخرون أنه كان حادثًا . زعم ألتوسير أنه لا يتذكر ما حدث قائلاً إنه بينما كان يدلك عُنق زوجته اكتشف أنه خنقها . قُرِّرَ أن ألتوسير لا يتحمل المسؤولية القانونية عن أعماله، ولم يُحاكَم ، بل أُدخِل إلى مستشفى سانت آن النفسي ، وبقي في المستشفى حتى عام ١٩٨٣ . بعد خروجه من المستشفى انتقل إلى شمال باريس حيث عاش منعزلاً، فلم يلتقِ سوى بِقَلَّة من الأشخاص . وقد استمر بالكتابة إلا أنه لم ينشر سوى القليل من الأعمال أهمها ترجمته الذاتية " المستقبل يدوم إلى الأبد" . لا تزال العديد من مواقف ألتوسير

النظرية مؤثرة على الفلسفة الماركسية. وفي مقدمة مجموعته عن ماركس يقول إن هناك انقطاعاً معرفياً بين كتابات ماركس المبكرة وبين المتأخرة التي كانت ماركسية حقاً. وقد بينت مقالة التوسير "الماركسية والإنسانية" وجود توجه إنساني في "النظرية الماركسية"، مُنتقداً فكرة "الطاقة الكامنة الإنسانية" التي يطرحها أحياناً ماركسيون، مُعتبراً إياها نتاج أيديولوجية برجوازية. يُعتبر التوسير أحد أهم المنظرين الماركسيين في القرن العشرين. وقد بنى أطروحته على الأسس النظرية للماركسية. منها تأثيرات الإمبريقية (التجريبية) على النظرية الماركسية، والتوجهات الاشتراكية الإنسانية والإصلاحية التي بانّت في انحرافات الأحزاب الشيوعية الأوروبية. بالإضافة، إلى مشكلات عبادة الشخصية، وعبادة الأيديولوجية نفسها. وَضَعَ التوسير خطة لعمله الفكري الذي استغرق كل حياته، كما وضع أسساً فلسفية لتحديد "النظرية الماركسية" مكنته من فهم ماركس فهماً خاصاً، فقد رأى أن مؤلفات ماركس الشاب وليدة تأثير هيغل، وأن حياة ماركس الفكرية كانت محاولة مستمرة للخروج من هذا التأثير، وأنها لم تصل إلى تحقيقها واستقلالها إلا بكتابه "رأس المال". لهذا رأى التوسير أنه لا بد من فصل مؤلفات ماركس الشاب عن "رأس المال"، والنظر إلى هذا الكتاب على أنه عمدة الماركسية، وأن ما عداه من مؤلفات ماركس ليس ماركسياً إلا بقدر ما يوافق مضمونه مضمون "رأس المال". أدّت هذه النظرة إلى الماركسية بالتوسير إلى مخالفة خط الحزب الشيوعي الفرنسي، وما لبثت أن أدخلته في نزاع سياسي، كان من حصاده نص تقدّم به إلى المؤتمر الثاني والعشرين للحزب عام ١٩٧٧، ثم نص آخر تقدّم به بعنوان "ما لا يمكن له أن يستمر أبداً في الحزب الشيوعي" (١٩٧٨). يُحاول التوسير شرح ماركس شرحاً جديداً. وهو يرى أن ماركس لم يكن ماركسياً بالفطرة بل أصبح كذلك بعد مسيرة تتّبع طويلة للفكر الاشتراكي، قادته إلى تبني تلك الآراء الثورية التي توجّها كتابه "رأس المال". ويُلح التوسير على نقطتين في فهم ماركس وشرحه، أولاً أن الجدل الماركسي ليس استمراراً للجدل الهيغلي، وأن هناك قطيعة معرفية بينهما. وثانياً أن ماركس يُعطي المادة أولوية فلسفية، فما يجب تحليله هو الوقائع المادية من حيث هي مادية، ويجب دراستها دراسة علمية. قسّم التوسير فكر ماركس إلى مرحلة أيديولوجية انتهت عام ١٨٤٥ ومرحلة علمية بدأت بانتهاء المرحلة الأيديولوجية. ويضع التوسير القارئ هنا أمام طورين ماركسيين مختلفين: أحدهما أيديولوجي يُعنى بما هو إنساني وفلسفي وأنثروبولوجي، وثانيهما علمي يُعنى بالدراسة النظرية البنيوية التي تقوم على مفهومات علمية دقيقة. وهو يعتقد أن هذه المرحلة الأخيرة هي التي تُمثّل الماركسية.

لويجي بيرانديلو وفلسفة التشاؤم

وُلد الأديب الإيطالي لويجي بيرانديلو (١٨٦٧ - ١٩٣٦) في قرية غريجنتي في جزيرة صِقْلِيَّة، وتُوفِّي في روما . كان شاعراً وقاصّاً ومسرحيّاً وباحثاً . ينتمي إلى أسرة برجوازية ، كان رجالها من المناضلين السياسيين الوطنيين . وقد حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٣٤ . كان أبوه من رجال الصناعة ، يَمْلِك مَنجَمًا للكِبْرَيْت، وهذا وَفَّر للكاتب حياةً مُريحَةً في كنف الأسرة. حصل على درجة الإجازة في الأدب من جامعة بون الألمانية برسالته التي كتبها عن اللهجة العامية في صقلية .

وفي عام ١٨٩٤ تزوّج ابنةَ شريك أبيه ، إلا أن هذا الزواج كان تَعْيِيسًا بسبب غيرة زوجته نتيجة مغامرات زوجها العاطفية . امتلأت حياته بالمشكلات ، وهذا الأمر ضاعفَ شعور الكاتب بالشقاء ، كما أن زوجته أُصيبَت بمرض عقلي بعد سنوات ، وسيطَر الشَّلُّ الجزئي على جسمها . وقعت له في عام ١٩٠٤ كارثة اقتصادية ، حيث دَمَّرَ فيضان هائل مَنجَم والده ، فأثَّرت على حياته الاجتماعية والعقلية والنفسية. لقد انهارَ الوضع الاقتصادي لأسرته ، وأفلسَ والده ، فاضطُرَّ بيرانديلو إلى العمل في التعليم مُدَرِّسًا خصوصيًا للغة الإيطالية ، في أحد المعاهد العليا مُقابل أجرٍ متواضع جدًّا .

اقتحم عالمَ الكتابة، وتفرَّغَ للأدب بشكل كامل ، ووجد نَفْسَه في الكتابة المسرحية ، واشتُهر بمسرحياته الفلسفية . تعكس معظم أعماله نظريته المتشائمة للحياة ، إذ إنها تُوضِّح صعوبة معرفة حقيقة الناس . فالإنسان عاجزٌ عَن معرفة نَفْسِه . وبالتالي ، لا يَسْتَطِيع معرفة حقيقة الآخرين . حظي بيرانديلو بأول اعتراف أدبي في عام ١٩٠٤ ، حين نشر قصته " الراحل ماتيا باسكال " التي تُعالج التناقض الصارخ بين المظهر والمَخْبَر . وقد تحوَّلت مسرحيته " ولكن أفضل " (١٩٢٠) إلى فيلم سينمائي ، وقد سرت إشاعات حول علاقة له بالممثلة (مارتا آبا) ويُقال إن موسوليني سأله مرَّة : ((لماذا لا تُضاجعها ؟))، فثار بيرانديلو ، وقال إنَّ هذا الرجل مبتذل . كتب أكثر من ٤٤ مسرحية . ومسرحياته المسماة بالمسرحيات الفلسفية " أنت على حق " ، و " ست شخصيات تبحث عن مؤلف "، و " هنري الرابع " ، التي كُتبت خلال الفترة (١٩١٧ - ١٩٢٤)، جلبت انتباه الناس والعالم . وتتساءل معظم مسرحيات بيرانديلو : ما الواقع ؟ ، وما الحقيقة ؟ .

وأشهر مسرحياته: " ست شخصيات تبحث عن مؤلف " (١٩٢١) ، وهي تمثيلية وهمية عن ستة أشخاص يزعمون أنهم شخصيات في مسرحية ليس لها مؤلف يُوجّه أفعالهم .
وتُتهم مسرحية " هنري الرابع " (١٩٢٢) بمعرفة شخصية رجل يدّعي الجنون . وهي تناقش أفكار الغربيين عن حقيقة الجنون وحقيقة المؤلف .
وفي مسرحية " كُلُّ بطريقته الخاصة " (١٩٢٥) ، يَخْدَع رَجُلٌ مَنْ حَوْلَهُ مِنَ النَّاسِ ، كي يتحاشى الإحساس بالذنب على تصرّفه .
وتحكي مسرحية " كما تهواني " (١٩٣٠) عن راقصة تتمنى أن تحيا حياة امرأة جميلة تُشبهها .

استطاع بيرانديلو أن يؤسس تيارًا جديدًا في الأدب الإيطالي ، بما قدّمه من أعمال أدبية مؤثرة ، وهذا سبب منحه جائزة نوبل للآداب (١٩٣٤) . كما أنه يمتاز بغزارة الإنتاج ، وهذا يعود إلى حادثتين في حياته . الحادثتان الأولى _ ميلاده فوق تراب صقلية البائسة في الجنوب الإيطالي ، حيث تعارض مستوى المعيشة بين الشمال الغني والجنوب الفقير . والحادثة الثانية _ صحوة فلاح صقلية خلال الفترة (١٨٩٣ _ ١٨٩٤) التي بدّرت في نفسه بذور الحركة الاشتراكية التي انعكست على كتاباته ، فصار مُنحازًا للفقراء والمهمّشين رغم ماضيه البرجوازي وانتمائه إلى عائلة ثرية .

إنّ إبداع بيرانديلو في الرواية والمسرح يُعالج فكرةً فلسفية مركزية تتمحور حول التناقض بين حركة الحياة وثبات الصورة . فمن أجل استمرار الحياة لا بُدَّ لها من التآكل ، ولكي تتشكّل الحياة لا بُدَّ أن تكون لها صورة ثابتة ، فيكون الصراع الدائم حسب تعبير بيرانديلو : " بين ضرورات الحياة الديناميكية ومتطلباتها الستاتيكية (الساكنة) " .

كما أنه اهتمّ بمشكلة الحقيقة، فتناولها في عدّة مسرحيات، وعالجها من زوايا مختلفة ، وربطها بالحياة اليومية للناس ، واعتبرها مسألة فلسفية بحثية .
من أبرز أعماله الأدبية : القديم والشباب (١٩١٣) ، قواعد اللعبة (١٩١٨) ، الملابس العارية (١٩٢٢) ، واحد لا أحد ومئة ألف (١٩٢٦) ، ديانا (١٩٢٧) .

لوييس أراغون ومحيمون إلزا

وُلد الشاعر الفرنسي لوييس أراغون (١٨٩٧ _ ١٩٨٢) في باريس . أمضى طفولته تحت رعاية والدته التي انفصلت عن والده وهو رضيع ، لينمو وهو يُشاهدها منصرفة إلى قصص العشق التي كانت تعيشها بشغف كبير .

وفي مطلع ثلاثينيات القرن الماضي، انتصر للشيوعية، وزار الاتحاد السوفيتي مُعبراً عن إعجابه بتجربته الاشتراكية، ومادحاً الدور التاريخي لستالين ، غاضاً الطرف عن ملاحقته للمثقفين والمعارضين ، وعن قتله للكثيرين منهم، أو إرسالهم إلى معسكرات سيبيريا الرهيبة . وقد ظلَّ أراغون وفياً للشيوعية حتى نهاية حياته .

كما أراغون عضواً في أكاديمية غونكور . ويُعتبر من رُوّاد النقد الأدبي والفني الواقعي . وقف بقوة إلى جانب شعوب فيتنام والجزائر ، كما وقف إلى جانب مصر أثناء العدوان الاستعماري . اشترك في تأسيس مجلة الآداب الفرنسية ، ويُعدُّ مؤسس اللجنة الوطنية للكتاب، وهي الجهة الثقافية في فرنسا . تزعم المدرسة السريالية في الشعر والأدب خلال الفترة (١٩٢٠ _ ١٩٣٠) . تحوّل عن السريالية بعد التقائه بزوجته إلزا تريوليه ، واعتناقه الفلسفة الاشتراكية ، ثم انضمامه إلى العمل الحزبي في عام ١٩٣٢ .

كان أراغون خلال الفترة (١٩٣٢ _ ١٩٣٩) من أقوى المناضلين ضد الفاشية والحرب . وقد أدار الحركة الثقافية والأدبية النقدية في فرنسا بوصفه رئيس تحرير الآداب الفرنسية ، ومدير دار الناشرين الفرنسيين المتحدين ، ونائب رئيس اللجنة الوطنية للكتاب . يُعتبر أراغون من أهم الشعراء الفرنسيين وأبرزهم على الإطلاق ، وخاض معارك عديدة شعرية وثقافية وفكرية وسياسية وغيرها .

اشتهر أراغون بقصائد الحب الرائعة التي خصّصها لزوجته الروسية إلزا، والتي ضمّها ديوانه الكبير " عيون إلزا " ، والذي يظهر فيه شغفه بالشعر العربي الوجداني ، وبالحضارة العربية الإسلامية المتجسّدة بالخصوص في جانبها الأندلسي المتميّز بالرّقة واللطفة وحب الحياة . عُيّن أراغون في الثلاثينيات من القرن الماضي، أي خلال فترة صعود النازية في ألمانيا، والفاشية في إيطاليا، رئيساً للاتحاد العالمي للكتاب الثوريين خلال المؤتمر الذي انعقد في موسكو نهاية عام ١٩٣٠ .

وقد قبل بهذا المنصب ، لأنه كان يُريد الحصول على الاعتراف للحركة السريالية بأنها القوة الثورية الحقيقية الوحيدة ، والتي كانت هذه الحركة تطمح إلى الحصول عليه منذ سنوات عديدة . ارتبط اسم أراغون باسم زوجته " إلزا " التي هام بها عشقاً ، وأحبها بجنون ، وكتب عنها عدّة مجموعات شعرية : نشيد إلى إلزا (١٩٤١) . عيون إلزا (١٩٤٢) . إلزا (١٩٥٩) . معجنون إلزا (١٩٦٣) . وهي لم تكن حبيبة فحسب ، بل كانت أيضاً زوجته ومعشوقته ، التي ألهمته كتابة أجمل القصائد وأعذبها وأرقها .

التقى أراغون إلزا تريوليه في عام ١٩٢٨ في مقهى في مونبارناس، وتزوّجا في عام ١٩٣٩ وبقياً معاً ٤٢ سنة . وإلزا هي كاتبة من أصل روسي تنحدر من عائلة شاعر الثورة الروسية مايكوفسكي . وهي أول امرأة تفوز بجائزة غونكور الأدبية الرفيعة من فرنسا عام ١٩٤٥ . يقول أراغون : ((إلزا التي شاركتني الحياة والمستقبل . شاركتني الآلام والعذاب . إلزا التي شاركتني كلّ ما في الحياة من نبضات . كانت هي مستقبلي . وكانت هي شعري . وكانت هي حروف المعرفة والمستقبل في حياتي)) .

كما قدّمت إلزا كل جهدها لمساعدة زوجها أراغون للاستمرار في عمله وإنتاجه الإبداعي ، حيث كانت تصنع المجوهرات والحلي للصالونات الباريسية . وفي نفس الوقت ، كانت حريصة على الكتابة والنشر باللغة الروسية .

وفي عام ١٩٥١ ، قرّر الزوجان أن يتركا الحياة الباريسية الصاخبة . واشترى أراغون منزل " لي مولان " الواقع على وادي " ريمارد " ، وأهداه إلى زوجته ليكون لها منزلاً في فرنسا بعد أن غادرت موطنها الأصلي (روسيا) كتكريم لها، وللتخفيف عن حياة الغربة التي كانت تعيشها، ولهذا المنزل تاريخ طويل يمتد إلى القرون الوسطى، وكان يُشكّل حتى قيام الثورة الفرنسية جزءاً من ملكية الأمير روهان روشفور .

وفي المبنى القديم، قام الزوجان بإنشاء صالة لاستقبال الفنانين والأدباء في إطار تكريس الإبداع وعرض لوحات الفنانين ، وربما كان ذلك تعويضاً عن حياة اليتم التي عاشها أراغون .

لويس فرديناند سيلين ولغة الشارع

وُلد الروائي الفرنسي لويس فرديناند سيلين (١٨٩٤ _ ١٩٦١) في كوربفوا ، وتُوُفِّي في مودن (الضاحية الجنوبية لباريس) . كان اسمه الأصلي ديتوش، لكنه حين صار كاتبًا استعار اسم سيلين من إحدى قريباته لجعله اسمه الأدبي .

درس الطب ، ولم يكن يهتم بالأدب ، ومارسَ الطب ، حتى وجد يومًا أن لديه من التجارب ما يحسُن به أن يرويّه . وقد عبّر في كتاباته دائمًا عن موقف فاشي مع خليط من البؤس والعدمية والسوداوية . وفكره العدمي يتميّز بنبرة من السُّخرية ، وأخرى من الملحمية في آنٍ واحد .

دخل الشهرة الأدبية من بابها الواسع بعد نشره روايته الأولى " سَفَر إلى آخر الليل " (١٩٣٢) حيث ينتقد بنمطه الأدبي الفريد رعب الحرب، وقسوة الرأسمالية، وإلى حدٍّ ما الاستعمار، من خلال الشخصية الرئيسية للرواية " فرديناند باردامو " المستوحاة من التجارب الشخصية لسيلين . وهذه الرواية تروي قصة باردامو ، الطبيب الفوضوي الهارب من كل شيء، الذي يُعبّر عن نفور ويأس من الإنسانية ذاتها بهجائه اللاذع للمجتمع وقيمه الزائفة . ولعلَّ موقف المؤلف هذا يُفسّر التفكك في أسلوبه ، وفي استخدامه للألفاظ والصور السوقية بفظاظتها وفُحشها . ويرى بعضهم أن لهذا الكتاب تأثيرًا واضحًا في عدّة كُتّاب من أمثال جان بول سارتر وريمون كينو ، وأن مؤلّفه كان رائدًا في أسلوب الكتابة ، الذي أُطلقت عليه تسمية " الأدب الأسود " .

نشره لمقالات مُعادية لليهود في الثلاثينيات ، وتعاونته الفكري مع المحتل الألماني وحكومة فيشي أثناء الحرب العالمية الثانية ضد "الخطر اليهودي على فرنسا " جلب له متاعب جَمّة (قضائية، ومالية ، وإدارية) بعد الحرب . ووُسم بالجنون والخيانة والقذارة . وفي الخمسينيات عاش سيلين وحيدًا مع زوجته في ضاحية باريس، في غُزلة عن الدوائر الأدبية الباريسية حتى وفاته . ولكن من دُون أن يُقلّل هذا من قيمته الأدبية الكبيرة . وأيضًا ، لم تمنعه غُزله من نشر ثلاث قصص : من قصر لآخر (١٩٥٧) . شمال (١٩٦٠) . ريغودون (١٩٦٩) بعد وفاته . حيث يروي من خلالها حيثيات فراره مع فُلول حكومة فيشي في نهاية الحرب ، عبر ألمانيا ثم إلى الدنمارك . في عام ١٩٣٦ أصدر سيلين روايته " موت بالدين " المكتوبة بالهَج ذاته، وبالنظرة المتشائمة عَينها . ومع ذلك، ثمة في هذه الرواية وفي معظم رواياته الأخرى مساحات شعرية واسعة، يُمضي القارئ فيها عبر بساطين الطفولة على أنغام موسيقى ناعمة عذبة .

ومن كتاباته الأخرى "كُلِّفَ بخسة لقتل بالجملة" (١٩٣٨) ، و " مدرسة الجثث " (١٩٣٨) التي أخذ فيها موقفًا متشددًا من اليهودية العالمية ، التي رأى أنها تحاول السيطرة على مراكز النفوذ في كل مكان . وقد يُوَضَّح هذا المنحى في تفكير سيلين موقفه من الاحتلال النازي لفرنسا عام ١٩٤٠ ، والذي يجزم البعض بأنه تجاوز الالتباس إلى حد التعاون مع النازيين . وصدر له في ظل الاحتلال كتاب " المواقف الحرجة " (١٩٤١) ، ورواية " فرقة غينبول " (١٩٤٣) .

غادر سيلين فرنسا مع انسحاب الجيوش النازية منها، وأقام لبعض الوقت في قرية سيغمارينغن الألمانية، ثم لجأ إلى الدنمارك فأودع السجن فيها ، لكنه عاد في نهاية المطاف إلى فرنسا عام ١٩٥١ .

قدّم سيلين في أدبه صورة للإنسان مُغرقة في التشاؤم . فقد رأى أن " الحقيقة في هذه الدنيا إنما هي الموت " . ومن ثمّ فهدف الإنسان هو النجاة بِجُلْدِهِ لا أكثر ، وكل الوسائل مشروعة لكي يحافظ على بقائه ، بما في ذلك أكثر الوسائل اللاأخلاقية : الكذب والخيانة والجبن . ولأننا لم نختر أن نكون ما نحن ، وعلى ما نحن ، يتعيّن أن نقبل أنفسنا كما نحن ، فاسدين ، ومنافقين ، أنانيين ، كاذبين ، وقبل وفوق كل شيء ، جبناء بلا حدود " .

طرح سيلين في وجه أصحاب اللغة الأدبية القِيَمين على العبارة المصقولة الحسنة ، لغة مُغايرة مُؤلَّفة من مصطلحات خاصة ، يتداولها اللصوص والسُّوقَة والحثالة فيما بينهم ، بأسلوب مُفكَّك ، إنما يفيض بابتكارات لفظية ، وكان بذلك أول كاتب حديث انتهك الممنوعات في اللغة الأدبية ، وداس على المحرّمات في التعبير ، فكتب " كما يتكلم الناس " مُرتقيًا باللغة اليومية إلى المنزلة الأدبية . إلا أن هذه اللغة ، التي لا تتطابق مع أصول حُسن الكلام ، والمحشوّ بالأخطاء والثروة ، لغة حية ناقلة للانفعال والإحساس .

لم تكن كتابته نَسْخًا للغة المحكية كما هي ، بل كان يُخضعها للمُعالِجة ويُفكِّكها ، وعندما لا يجد ضالته يخترعها ، ومن هنا تميّزه .

يُعتبر سيلين واحدًا من أكثر الكُتّاب تأثيرًا في القرن العشرين ، ومن أكثر الكُتّاب الفرنسيين ترجمةً . وقد ابتدع أسلوبًا لغويًا خاصًا ، مُتَّقَنًا للغاية ، رغم اعتماده على لغة الشارع الباريسي .

لويس كارول والكتابة للأطفال

وُلد الكاتب وعالم الرياضيات والمصوّر الفوتوغرافي الإنجليزي لويس كارول (١٨٣٢ - ١٨٩٨) في ديرسيري شيشاير بإنجلترا . اسمه الحقيقي تشارلز لوتويدج دودسن . كان كارول باعتباره الأكبر بين ١١ طفلاً في أسرته ، ماهراً في تسلية نفسه وإخوته . وقد نشؤوا جميعاً في أحد بيوت الرهبان ، فوالدهم كان رجل دين . كان يُصنّم ويصنع ألعاباً في صِغره ، وتميّز في الرياضيات في صباه فحصل على العديد من الجوائز الأكاديمية. وفي عامه العشرين حصل على منحة دراسية بكلية كريست تشيرش بجامعة أكسفورد، وتخرّج فيها عام ١٨٥٤، وعمل مُحاضراً في الرياضيات في الكلية نفسها عام ١٨٥٥، وقضى معظم حياته في هذه المهنة. وتم ترسيمه شماساً (من ألقاب الكنيسة) في كنيسة إنجلترا عام 1861 .

أشهر عملين ألفهما الكاتب هما : مغامرات أليس في بلاد العجائب (١٨٦٥) ، وتتمتته " عبّر المرأة " (١٨٧١) . ويقرأ الكثيرون في مختلف أرجاء المعمورة هذين الكتابين . وتُرجم الكتاب الأول الذي يُسمّى عادةً " أليس في بلاد العجائب " إلى أكثر من ثلاثين لغة ، من بينها العربية . كما أُعدّ هذا الكتاب على طريقة بريل ، حتى يستطيع المكفوفون قراءته والاستمتاع به . كان كارولا خجولاً ، لكنه وجد متعته في كتابة قصص الأطفال . وألّف الكتابين لإمتاعهم ، غير أن البالغين أيضاً يتمتّعون بالدُّعابة والشخصيات الخيالية والمغامرات الواردة في القصص . وغني العلماء بدراسة الكتابين للتوصل لمعاني أشياء بدت وكأنها بلا معانٍ . كان كارول يتلنّث أثناء حديثه ، ولكنه وجد نفسه طليق اللسان في حديثه مع الأطفال، وكان يستمتع بصحبته . وابتدع شخصية (أليس) لِيُسَرِّي عن فتاة صغيرة تدعى أليس ليديل ، ابنة عميد كلية كريست تشيرش .

في ٤ يوليو ١٨٦٢ ، ذهب كارول في رحلة تجديد على نهر إيزيز مع أليس ليديل واثنين من شقيقاتها، وبدأ في حكاية قصة أليس في ذلك اليوم. وفي وقت لاحق، كتب القصة وأطلق عليها اسم مغامرات أليس تحت الأرض، ثم وسّع القصة فظهرت في حجمها الذي نُشر في عام ١٨٦٥ . تحكي قصة أليس في بلاد العجائب مغامرات فتاة صغيرة في عالم خيالي تحت الأرض. وتهبط أليس في بلاد العجائب بعد سقوطها في حفرة أثناء تعقبها لأرنب ، وتلتقي بالعديد من

الشخصيات الغريبة ، مِن بينها : قِطّة شيشاير ، وصانع القبعات المجنون ، وملكة القلوب ،
والسلحفاة الزائفة . وقد حازت القصة على شعبية واسعة ، ممّا شجع كارول على إصدار الجزء
الثاني منها " عَبْر المرأة " ، وأضافت هذه القصة شخصياتٍ جديدة، مِن بينها: التنين المرعب ،
والتوأمان السخيفان تويدل دم وتويدل دي ، والقط والنجار . ورَسَم السَّير جون تيل رسومات
توضيحية لكلا الكتابين ، وأصبحت رسوماته شهيرة شهرة القصة نفسها .

وعند وفاة كارول ، أصبح كتابه " أليس في بلاد العجائب " أشهر كتب الأطفال في إنجلترا .
وبحلول عام ١٩٣٢ ، أصبح أحد أشهر كتب الأطفال في العالم .

كتب كارول أيضًا قصة خيالية بعنوان " سيلفي وبرونو " في قالب شعري ونثري في جُزأين عام
١٨٨٩ و ١٨٩٣ . وتحكي قصيدة له بعنوان " اصطيد سناك " (١٨٧٦) قصة مصرفي وخبّاز
وقُنْدَس وقارع ناقوس وشخصيات أخرى طريفة خلال البحث عن سناك ، وهو حيوان لا وجود له
، وتُعتَبَر هذه القصيدة تجسيدًا لقدراته الرائعة في مجال الهراء الأدبي .

كتب كارول عدّة كتب في الرياضيات تحت اسمه الحقيقي منها : مذكرات حوّل أول كتابين
لأوكليد (١٨٦٠) . كوربوسا ماثيماتيكاً في جزأين (١٨٨٨) و (١٨٩٤) . وبجانب هذا ، كان
كارول مُصَوِّرًا بارعًا .

عمل كارول ضمن مجال الرياضيات في فروع الهندسة الرياضية ، والجبر الخطي ، وجبر
المصفوفات والمنطق الرياضي ، والرياضيات المُسلّية . وكتب عددًا من الكتب مستخدمًا اسمه
الحقيقي .

طوّر أفكارًا جديدة في مجال الجبر الخطي (أول برهان مطبوع لمبرهنة روشيه _ كابيلي) ،
والاحتمالات ، ودراسة الانتخابات . ولم يتم نشر بعض أعماله إلا عَقِب وفاته . ومن الناحية
المادية ، فقد أعانه عمله مُحاضرًا رياضيًا في كلية كنيسة المسيح بجامعة أكسفورد .

حظيت أعماله الرياضية باهتمام مُتجدّد خلال أواخر القرن العشرين ، وأُعيد تقييم مُساهمات
كارول في المنطق الترميزي .

ليو تولستوي وتعظيم النبي محمد

وُلد الروائي الروسي ليو تولستوي (١٨٢٨ - ١٩١٠) في مقاطعة تولا، والتي تقع على بُعد ١٣٠ ميلاً جنوب مدينة موسكو . وكان نبيلًا ، ووالده هو الكونت نيكولاس تولستوي ، وأُمّه الأميرة ماريا فولكونسكي، وكانت أسرة والدته من سلالة روريك (أول حاكم ورد اسمه في التاريخ الروسي) .

تُوِّفِيَتْ والدته عندما كان عمره سنتين ، وقامت إحدى قريباته بمساعدة والده في تربيته وإخوانه، وقضيا معًا حياة سعيدة، ولكن تُوِّفِي والده في صيف عام ١٨٣٧ .

في أيلول ١٨٤٤، قُبِل تولستوي طالبًا في جامعة كازان ، كلية اللغات الشرقية، قسم اللغتين التركية والعربية. وقد اختار هذا الاختصاص لسببين: الأول، لأنه أراد أن يصبح دبلوماسيًا في منطقة الشرق العربي . والثاني ، لأنه مهتم بآداب شعوب الشرق .

وعلى الرغم من أن تولستوي كان شغوفًا بالقراءة منذ طفولته، إلا أنه لم يستطع التركيز في دراسته عندما أصبح طالبًا . ومع ذلك فقد انغمس تمامًا في الحياة الاجتماعية بالجامعة . وبعد أن فشل في امتحانات السنة الأولى، قرر أن يُغيّر اتّجاهه ويدرس القانون ، وكانت البداية في ذلك أكثر تبشيرًا بالنجاح ، ولكن ما إن حَلَّ عام ١٨٤٧، حتى كان تولستوي قد قرّر ترك الدراسة دون أن يحصل على شهادته الجامعية .

شارك في بعض المعارك ضد جيش الميردين بقيادة الإمام شامل . وفي تلك المرحلة أَلَف ثلاثة كتب ، وهي : الطفولة (١٨٥٢) . الصِّبا (١٨٥٤) . الشباب (١٨٥٧) .

بعد تقاعده من الخدمة العسكرية ، سافر إلى أوروبا الغربية وأعجب بطرق التدريس هناك . ولمّا عاد لمسقط رأسه بدأ في تطبيق النظريات التربوية التقدمية التي عرفها ، فقام بفتح مدرسة خاصة لأبناء المزارعين ، وأنشأ مجلة تربوية شرح فيها أفكاره التربوية ، ونشرها بين الناس .

اختلط تولستوي بالمزارعين وتعلّم أساليبهم في العمل ، ودافع عنهم ضد المعاملة السيئة من جانب مُلاك الأراضي . وتزوج في عام ١٨٦٢ من الكونتيسة صوفيا أندريفيا ، التي كانت زوجة مُتفهِمة ومُحِبّة لخدمته . تُعَدُّ روايته " الحرب والسلام " (١٨٦٩) من أشهر أعمال تولستوي، وتتناول مراحل الحياة المختلفة، كما تصف الحوادث السياسية والعسكرية التي حدثت في أوروبا في الفترة (١٨٠٥ - ١٨٢٠)، وتناول فيها غزو نابليون لروسيا عام ١٨١٢ .

ومن أشهر رواياته أيضًا : " أنا كارنينا " (١٨٧٧) ، التي عالج فيها قضايا اجتماعية وأخلاقية وفلسفية في شكل مأساة غرامية ، كانت بطلتها أنا كارنينا .

تعمّق تولستوي في القراءات الدينية ، وقاوم الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا ، ودعا للسلام وعدم الاستغلال ، وعارض القوة والعنف في شتى صورهما . ولم تقبل الكنيسة آراءه التي انتشرت بسرعة كبيرة ، فكفّرته وأبعدته عنها ، وأعلنت حرمانه من رعايتها . وأعجب بآرائه عدد كبير من الناس ، وكانوا يزورونه في مقرّه بعد أن عاش حياة المزارعين البسطاء تاركًا عائلته الثرية المترفة .

كفيلسوف أخلاقي ، اعتنق تولستوي أفكار المقاومة السلمية النابذة للعنف ، وتبلّور ذلك في كتاب " مملكة الرب داخلك " (١٨٩٤) ، وهو كتاب فلسفي يؤكّد على أن السّلم والصّلح هما طريق السلام ، وينبذ العنف (الكفاح المسلّح) . وقد أثر هذا الكتاب على مشاهير القرن العشرين كالمهاتما غاندي ومارتن لوتركينغ ، في نضالهما الذي اتّسم بسياسة المقاومة السلمية النابذة للعنف . كان تولستوي يحترم الأدب العربي والثقافة الشعبية العربية ، فعرف الحكايات العربية منذ طفولته ، وعرف حكاية " علاء الدين والمصباح السّحري " ، وقرأ " ألف ليلة وليلة " ، وعرف حكاية " علي بابا والأربعون حرامي " ، وحكاية " قمر الزمان بنت الملك شهرمان " .

وكان تولستوي مُعظّمًا للنبيّ محمد عليه الصلاة والسلام ، ومُعجّبًا به ، ويكنّ له احترامًا خاصًا . وقد قال عنه : ((يكفي محمد فخراً أنه خلّص أُمَّةً ذليلة دموية من مخالب شياطين العادات الذميمة ، وفتح أمام وجوههم طريق الرّقي والتّقدم ، وأن شريعة محمد ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة)) .

كانت الثلاثون سنة الأخيرة من حياة تولستوي مليئة بالقلق المتزايد ، فقد كان يبحث للعثور على إجابة عن مشاكل البشرية ، وكان يريد مساعدة الفقير والضعيف ، وأعلن الثورة على العنف والحرب ، وعلى رياء الرجال المحيطين به ، واصطدمت مثله العليا بتقاليد أسرته . وأخيراً قرّر الهرب من موطنه ، وقد لحقت به ابنته بعد ذلك ، ولكن هروبه من مسكنه وأسرته أثر على صحّته التي كانت سيئة بعض الوقت ، وحتى في شيخوخته كان متماسكًا ، وقوي الذاكرة . تُوفّي تولستوي في قرية استابو (في محطة القطار) حين هرب من بيته وحياة الترف . وأصيب بالالتهاب الرئوي في الطريق . ودُفن في حديقة الضيّعة التي كان يملكها . ولم يتم دفنه وفق الطقوس الدينية الأرثوذكسية ، لأنه رفض أن يُدفن حسب تعاليم الكنيسة ، أو أن يُوضَعَ صليب على قبره ، لأنه كان كاشفًا لزيّف رجال الدّين والكنيسة وقتها بعدم مُناصرتها للفقراء ، والوقوف مع القياصرة والظلم .

ليو شتراوس وإلهام المحافظين الجدد

وُلد الفيلسوف الأمريكي من أصل ألماني ليو شتراوس (١٨٩٩ - ١٩٧٣) في مدينة كيرفهاين في ألمانيا لأبوين يهوديين مُتَدَيِّين . هاجر لاحقًا من ألمانيا إلى الولايات المتحدة. وقضى معظم حياته العملية كأستاذ في العلوم السياسية بجامعة شيكاغو، حيث علّم عدّة أجيال من الطلبة، ونشر خمسة عشر كتابًا . يعتبره البعض الملهم لأيديولوجيا المحافظين الجدد ، التي تسود داخل الحزب الجمهوري الأمريكي . تعمّق شتراوس في فلسفة كانت ، برفقة إرنست كاسيرير ، ودرس أعمال فلاسفة الظواهر مثل: هوسرل وهايدغر . وفي فترة لاحقة، ركّز شتراوس دراساته على النصوص اليونانية لأفلاطون وأرسطو، مُتَّبِعًا آثارهم في الفلسفة الإسلامية واليهودية ، وحضّ على تطبيق أفكارهم في النظرية السياسية المعاصرة .

عاش شتراوس في عزلة طويلة ، وأمضى وقتًا طويلاً داخل المؤسسات الأكاديمية في أمريكا الشمالية، ورغم ذلك فقد كان يُعلن بصراحة شديدة كراهيته للديمقراطية الليبرالية على حد سواء . وقد حاول أتباعه كثيرًا إخفاء هذه الحقيقة ، والحقيقة أن الصورة التي تمّ رسمها لشتراوس باعتباره وطنيًا أمريكيًا يعيش الحرية هي صورة وهمية ، وبعيدة عن الحقيقة .

كان شتراوس يميل بقوة نحو السّرية ، لأنه كان يؤمن بأن الحقيقة قاسية جدًا بحيث لا يمكن لأي مجتمع أن يتحمّلها ، وأن أنصار الحقيقة سوف يتعرضون للاضطهاد من جانب المجتمع وبخاصة المجتمعات الليبرالية ، لأن الديمقراطية الليبرالية أبعد ما تكون عن قول الحقيقة، كما يراها شتراوس.

ينظر شتراوس إلى الفلسفة السياسية باعتبارها نسقًا معياريًا . وهذه المعيارية تنبع من كون الفلسفة تُمثّل القول العملي لِمَا ينبغي أن يكون عليه الإنسان ، وذلك عندما يُدبّر شأنه السياسي . ويجعل شتراوس مفهوم الفضيلة هو مدار الفلسفة السياسية التقليدية، وما سواها ليس بفلسفة سياسية معيارية، ما دامت لا تجعل الفضيلة الغاية الطبيعية للإنسان . ويُشخّص شتراوس الأزمة السياسية للحدّثة في أزمتين : الأولى _ اختزال المشكلة السياسية والأخلاقية في المشكلة التقنية. والثانية _ اصطناعية مفهوم الطبيعة لدى المُحدّثين ، ممّا حوّل الطبيعة لأداة للسيطرة ، ومُعبّأة بالفوضى، بدلاً من كونها نظامًا ، وذلك كان عن طريق كسر هيمنتها على الإنسان بالعلوم الطبيعية التي اخترعها الإنسان نفسه .

رَكنُ شتراوس أبحاثه على الفلسفة السياسية ما قبل الحديثة ، من اليونان ، مرورًا بالفارابي وابن ميمون حتى العصر الحديث . ووصل إلى قناعة مُفادها أن أزمة الحداثة هي أزمة الفلسفة السياسية، لكن الفلسفة السياسية في نظره ليست موضوعًا أكاديميًا ، لأن معظم فلاسفة السياسة الكبار لم يكونوا أكاديميين .

والفلسفة السياسية هي التي تُعطي المعيار لأحكام القيمة تقليديًا . ولكنها حديثًا ، صارت محصورة بالأحكام الواقعية ، مما جعلها تفقد حسَّها المعياري . لذلك فإن الأزمة الحديثة في عمقها " تكمن في واقع كَوْن الإنسان الغربي الحديث لم يعد يفهم ما يُريد، ولم يعد يعتقد أن بإمكانه أن يعرف ما هو خير وما هو شر ، وما هو صحيح وما هو خطأ " .

أي إن أحكام القيمة لم تعد في مُستطاع الإنسان الغربي ، وأصبح الحكم الواقعي فقط ما يستطيعه . وهذا _ وَفْق منظور شتراوس _ هو في جوهره أزمة الفلسفة السياسية الحديثة، وليس مُجرد مشكلة تقنية صغيرة .

اعتبرَ شتراوس أن منشأ الحداثة ومآزقها وانتهاءها سياسي بالأساس، وليس معرفيًا حصريًا ، وأن العالم ما قبل الحديث كان يُواجه إشكالاً في الغرب يتعلق بالمآزق اللاهوتي السياسي ، وكيفية إدارة المجتمع وتحقيق سياسات أكثر ارتباطاً بتحقيق الرفاه والتقدم .

وفي قراءته للحداثة ، يُقسّم شتراوس موجات الحداثة إلى ثلاث موجات : الأولى _ ميكافيلي (الأب المتخفي) وهوبز (الوريث البطل) . الثانية _ روسو وكانت . الثالثة _ نيتشه .

ليون تروتسكي والثورة الدائمة

وُلد الفيلسوف الروسي الماركسي ليون تروتسكي (١٨٧٩ _ ١٩٤٠) في أوكرانيا لعائلة يهودية من أصحاب العقارات . اسمه الحقيقي : ليف دافيدوفيتش برونشتاين .

أجاد تروتسكي في طفولته اللغتين الروسية والأوكرانية بالإضافة إلى لهجة الإقليم الألماني الشمالي . وأمضى السنوات التسع الأولى من حياته في مزرعة العائلة ، وترعرع في أيام شبابه ودرسته بالمدارس الثانوية، في مدينتي "أوديسا" و"نيكولايف" في الفترة (١٨٨٩_١٨٩٥) .

في عام ١٨٩٦ ، وقبل أن يتخرج من مدرسة "نيكولايف" كان تروتسكي قد انضم إلى إحدى الجمعيات الثورية بمدينة نيكولايف الأوكرانية، والتي قامت بالدعاية للأفكار الثورية بين العمال . كما شارك عام ١٨٩٧ بتأسيس اتحاد العمال في جنوب روسيا . وتم اعتقاله عام ١٨٩٨ بتهمة الاشتراك في قيادة عدد من التظاهرات والإضرابات العمالية ، وطبع الكتابات الممنوعة .

احتُجز في السجن مدة سنتين ، ثم نُفي إلى مقاطعة إركوتسك في سيبيريا لمدة أربع سنوات بدون محاكمة . تزوج في المنفى . وفي المنفى أيضًا انضم تروتسكي إلى "الاتحاد الاشتراكي الديمقراطي في سيبيريا" ، وعمل كمعلق سياسي ومحلل اجتماعي وناقد أدبي . هرب من المنفى عام ١٩٠٢ إلى خارج روسيا ، حيث سَمَّى نفسه " تروتسكي " ، وهذا هو اسم حارس السجن الذي أودع فيه في سيبيريا . ومنذ ذلك التاريخ، عمل تروتسكي دون كلل أو تعب ، وعلى نطاق واسع ، لأجل الفكرة التي أوقدها الفيلسوف الألماني كارل ماركس . لَبَّى تروتسكي دعوة لينين في الذهاب إلى لندن ، حيث التحق بمجموعة الماركسيين التي كانت تُصدر صحيفة " إيسكرا " (الشرارة) . وفي عام ١٩٠٥ وضع تروتسكي نظرية الثورة الدائمة التي يجب أن تتعدى حدود روسيا إلى أنحاء العالم ، وتدعو إلى إشعال ثورات متتالية في بلدان مختلفة لتقوم الثورة العالمية، التي صارت أساس قوة وسلطة النخبة الشيوعية في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية بعد عام ١٩١٨ . في عام ١٩٠٥ اندلعت الثورة في روسيا وعاد تروتسكي من فنلندا إلى الإمبراطورية الروسية ليرأس مجلس نواب العمال في مدينة سانت بطرسبرغ ، ويُنتخب عضوًا في اللجنة التنفيذية لمجلس السوفييت في سانت بطرسبرغ التي صار اسمها فيما بعد " لينينغراد " .

أُلقي القبض على تروتسكي عام ١٩٠٧ بعد فشل الثورة، وأصدرت المحكمة حُكمها بنفيه إلى سيبيريا مدى الحياة مع تجريده من جميع حقوقه المدنية ، غير أنه ما لبث أن هرب إلى

أوروبا الغربية . ومُنذ ذلك الحين وحتى عام ١٩١٧ ، عندما قاد مع لينين الثورة الروسية، ظلَّ تروتسكي يُشكِّل القوة الكامنة المنفية لثورة البروليتاريا العالمية . وخلال وجوده في السجن، انتهى من صياغة نظريته عن " الثورة الدائمة " في مقالة بعنوان " نتائج وتوقعات " .

كان تروتسكي يسعى دُومًا إلى تَوَلَّى زمام السُّلطة في الحزب والدولة . لكن لينين الذي حَظِيَ في مرحلة الثورة والحرب الأهلية بشعبية أكبر منه حال دون وقوع ذلك . بدأ التصادم مع ستالين ، ونشأ أول جدال حول نقابات العُمال ، فقد أراد تروتسكي جعلها تحت سُلطة الدولة ، ولم يرغب ستالين في ذلك . إلا أنه بعد موت لينين عام ١٩٢٤ ، لم يحضر تروتسكي الجنازة لعدم تواجده في المدينة وقتها، فيما أعلن ستالين نفسه خليفة للزعيم ، واتهم تروتسكي بقلّة الاحترام للينين ، فاحتدم الصراع من أجل السُّلطة بينه وبين ستالين ، الذي تمكنَ من عزل أنصار تروتسكي في الحزب . وفي عام ١٩٢٦ ، تمَّ إعفاء تروتسكي من العضوية في المكتب السياسي في الحزب البلشفي ، بتهمة النشاط المعادي للحزب ، ونفيه من الحزب الشيوعي من قِبَل ستالين .

في عام ١٩٣٢ ، تمَّ نزع جنسية الاتحاد السوفييتي عن تروتسكي ، فانتقل إلى فرنسا ، ثمَّ إلى الدنمارك والنرويج عام ١٩٣٥ . اعتقلته الحكومة النرويجية وصادت مؤلفاته كُلها خشية تأثيره السلبي على الوضع الداخلي في البلاد . واضطُرَّ إلى مغادرة البلاد خوفًا من تسليمه إلى الحكومة السوفييتية . وفي عام ١٩٣٦ هاجرَ تروتسكي إلى المكسيك حيث أقام في منزل الفنان دييجو ريفيرا . اعتمد تروتسكي منهجية كتابة البيانات والمنشورات المعادية للستالينية الدكتاتورية ، ممَّا هيج الطلاب والعُمال السوفييت ضد ستالين . وكانت كتاباته قاسية للغاية . وفي عام ١٩٣٧ ، أُقيم في الاتحاد السوفييتي محاكمة ضد تروتسكي، وتمَّ إصدار حُكم الإعدام الغيابي بحقه . ووُجِّهت إليه تهمة الخيانة العظمى . وفي عام ١٩٣٨ ، تمكَّنَ رجال ستالين من التسلل إلى مستشفى باريس، حيث كان ابن تروتسكي يرقد مريضًا هناك، وخطفوه ، ثم قتلوه باسم الثورة . وفي مايو ١٩٤٠ تعرَّض تروتسكي لمحاولة اغتيال فاشلة .

وفي ٢٠ أغسطس ١٩٤٠، اغتِيل تروتسكي، أحد أبرز شخصيات الثورة البلشفية في روسيا، بعد أن خسر المعركة على السُّلطة ضد ستالين . وقد تمكَّنت دوائر الكرملين الأمنية من دَس عنصر المخابرات الستالينية " رامون ميكادير " في حاشية تروتسكي . فقتله بضربة فأس على رأسه . من أبرز مؤلفاته : دروس ثورة أكتوبر (١٩٢٤) . الثورة الدائمة (١٩٢٨) . المركزية الديمقراطية (١٩٣٧) . النقابات في عصر الانحطاط الإمبريالي (١٩٤٠) .

ماثيو أرنولد والتأرجح بين الشعر والدين

وُلد الأديب الإنجليزي ماثيو أرنولد (١٨٢٢ _ ١٨٨٨) في بلدة ليلهام في مقاطعة ميدلسكس ، وهو الابن البكر لتوماس أرنولد الذي تبوأ مكانة رفيعة في المجتمع البريطاني في القرن التاسع عشر نتيجة لجهوده المثمرة في مجال الإصلاح التربوي والتعليمي . دخل أرنولد مدرسة ونشستر في عام ١٨٣٦ ، ثم انتقل إلى مدرسة رغبي التي كان يُديرها والده ، ومكث فيها حتى نهاية تعليمه الثانوي عام ١٨٤٠ . وقد حصل على جوائز مدرسية عدّة لتفوّقه في بعض المجالات الدراسية ، ولا سيّما في مجال الإبداع الشعري . دخل أرنولد جامعة أكسفورد في عام ١٨٤١ ، بعد حصوله على منحة مفتوحة من تلك الجامعة ، واستمرت دراسته فيها حتى عام ١٨٤٤ ، حيث حاز على إجازة في الآداب بدرجة شرف من المرتبة الثانية . وفي عام ١٨٤٥ اختير أرنولد زميلاً في الهيئة التعليمية لكلية أورييل بجامعة أكسفورد .

وفي عام ١٨٤٧ ، عمل أرنولد سكرتيراً خاصاً لدى اللورد لانزداون الذي كان يتبوأ منصباً عالياً في وزارة اللورد جون راسل ، رئيس مجلس الوزراء للحزب الليبرالي الحاكم في تلك الحقبة ، وإليه يعود الفضل في تعيين أرنولد مفتشاً عاماً للمدارس منذ عام ١٨٥١ ، وبقي في هذا العمل إلى ما قبل عامين من وفاته . وعلى الرغم من بساطة هذا العمل ، إذا قيس بمواهب أرنولد الكثيرة وروحه العالية وإحساسه المرهف ، استمر أرنولد يشغل هذه الوظيفة دون كلل أو ملل في سبيل تطوير التعليم الإعدادي والثانوي ، الذي كان يُعاني الكثير من الفساد والهدر في الطاقات البشرية . تولى أرنولد منصب أستاذ الشعر في جامعة أكسفورد (١٨٥٧ _ ١٨٦٧) إلى جانب عمله مُفتشاً عاماً للمدارس ، وكانت آخر محاضراته تحتوي على النواة الأساسية لكثير من كتاباته اللاحقة التي ألح فيها على موضوع البحث عن الكمال . والجدير بالذكر أن أرنولد لم يكتفِ بتناول هذا البحث ، بل أيضاً طوّره ليأخذ أبعاداً اجتماعية وسياسية وأخلاقية ودينية ، كما هو الحال في كتابه النقدي المشهور " الثقافة والفوضى " . ويشغل هذا الكتاب مكانة بارزة بين مؤلفات أرنولد الكثيرة الشعرية والنثرية ، وذلك لما يتميز به من شمولية في الرؤية ، وسلاسة في الأسلوب ، وموضوعية في الطرح ، وعمق في التحليل الاجتماعي ، فضلاً عن كونه خليطاً مُعقّداً ومُرَكَّباً من المضحك والمبكي في المجتمع الإنجليزي في ذلك العصر .

لأرنولد مؤلفات أخرى، منها السلسلتان النقديتان اللتان تحملان العنوان نفسه " مقالات في النقد " (طُبعت الأولى منهما عام ١٨٦٥ ، والثانية عام ١٨٨٨) .

ومن أهم الموضوعات التي يتكرر ذكرها في هاتين المجموعتين : وظيفة النقد التي يُعرّفها أرنولد بالمحاولة المتجرّدة، أي رؤية الأشياء كما هي عليه، لتعلم أفضل ما عُرف في العالم ، والعمل على تأسيس تيار من الأفكار الصادقة والملهمة . إن مهمة الدارس الأمين، في رأيه، تقتصر على كشف عوامل التغير في المجتمع ، وإقناع الآخرين بصحة ترجمته لهذه العوامل .
أمّا في الشّعْر فأفضل ما يتميز به أرنولد إثارة موضوع الدين ، ودعوته إلى اللجوء للشّعْر في ترجمة الحياة اليومية ، حتى يكون الشعر الصادق غذاء وعزاء روحين للإنسان .

عكف أرنولد في السنوات الأخيرة من حياته على التعمق في دراسة الدين وعلاقته بالأدب . ومن أشهر مؤلفاته في هذا المضمار مقالته المطولة : " القديس بولس والبروتستانتية " (١٨٧٠) ، و " الأدب والعقيدة " (١٨٧٣) ، و " مقالات أخيرة حول الكنيسة والدين " (١٨٧٧) .
يعود اهتمام أرنولد بالمسائل الدينية في الحقبة الأخيرة من حياته ، إلى فهمه لذاته ولطبيعة التطور الفكري لمجتمعه ، ولقناعته الراسخة بأن الدين يُكوّن عنصرًا تربويًا مُهمًا في المجتمع ، فهو، على خلاف دراسة المسائل العلمية البحتة، يتوجّه بطريقة خفية إلى أعماق الذات البشرية بما فيها من مشاعر وأحاسيس .

إن أكثر ما يلفت الانتباه في كتاباته الأخيرة هو التواصل المتنامي مع الدين ، وإيمانه بأثره الفعّال في تطوير البشرية ، وقناعته بأن الفقر الحضاري الذي تُعاني منه البشرية يعود بالضرورة إلى الانقسامات الدينية في صُلب الدين الواحد . ويعتقد أرنولد أن للدين قوة أكبر ممّا يتصور المرء في توحيد النظرة الإنسانية في المجتمع الواحد ، وفي إنقاذ المجتمع من عواقب الاختلافات في تفسير الشريعة . والدين في نظره ما هو إلا شعور لا يحيد قيد أنملة عن التسامي الأخلاقي . ويرى في المسيحية والإنجيل السبيل إلى الخلاص البشري .

وعلى الرغم من التناقضات السلبية التي تكتنف مؤلفات أرنولد مثل تأرجحه في ولائه التام بين الشّعْر تارة ، والدّين تارة أخرى ، ولا سيّما في السنوات الأخيرة من حياته ، إلا أنه يمكن القول إن هذا الشاعر والناقد الأدبي والاجتماعي الذي تبوّأ مكانة رفيعة في مجتمعه الإنجليزي في القرن التاسع عشر ، ما يزال يحتل منزلة عالية في تاريخ الأدب الإنجليزي .

مارتن بوبر والتصوف اليهودي

وُلد الفيلسوف النمساوي مارتن بوبر (١٨٧٨ _ ١٩٦٥) في فيينا . وأمضى صباه عند جدّه ، واتصل بالحركة الحاسيدية التي لعبت دورًا حاسمًا في تطوُّره الديني الصوفي والفلسفي . تابع دراسته في جامعة فيينا عام ١٨٩٦ . وانضم إلى جماعة قديما الصهيونية في فيينا، ثم انضم إلى المنظمة الصهيونية عند تأسيسها عام ١٨٩٨ ، وعمل رئيسًا لتحرير جريدة دي فيلت الناطقة بلسان الحركة الصهيونية. وبعد فترة قصيرة من التعاون مع هرتزل، اختلف الاثنان بسبب منطلقاتهما الفلسفية . واشترك في تأسيس " العُصبة الديمقراطية " مع وايزمان الذي عارض هرتزل خلال المؤتمر الصهيوني الخامس (١٩٠١) . ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى، أسس بوبر اللجنة القومية اليهودية التي تعاونت مع قوات الاحتلال الألمانية في بولندا، وقامت بالدعاية بين يهود البديشية لضمّهم للجانب الألماني ولتجنيدهم لحسابه . وفي عام ١٩١٦ أسس مجلة " اليهودي " التي كانت تُعدّ من أهم المجالات الفكرية اليهودية، والتي شرح بوبر على صفحاتها فلسفة الحوار الحلولية الوجودية وموقفه الصهيوني. وقد اشترك بوبر مع الفيلسوف اليهودي فرانز روزنفايخ في ترجمة التوراة إلى الألمانية في العشرينيات (ولكنه لم يفرغ منها إلا عام ١٩٦٤) . وهي ترجمة ذات طابع وجودي. وقد نشر خلال هذه الفترة بضعة كتب عن الحاسيدية (حركة روحانية اجتماعية يهودية نشأت في القرن السابع عشر) .

مصادر الفكر الديني والفلسفي السياسي عند بوبر ألمانية (مسيحية علمانية) . فقد تأثر بالمتصوفين المسيحيين الألمان ، كما تأثر برؤية وحدة الوجود ، وآمنَ بأن الإنسان يمكنه أن يعود إلى التوازن من خلال الحدس والاستماع لصوت التجربة الداخلية والتوحد بالخالق. وقد تأثر كذلك بالفكر الرومانسي الألماني، وخصوصًا فكر فيخته الذي أكّد الحدس على حساب التأمل ، وميّز بين الجماعة المترابطة بشكل عضوي (جمائينشافت) والجماعة المترابطة بشكل آلي (جيسيلشافت)، وأعلى من أهمية الشعب العضوي (فولك). ويُعدّ نيتشه من أهم المفكرين الألمان الذين أثّروا في بوبر، شأنه في هذا شأن معظم المفكرين اليهود والصهاينة في ذلك الوقت، فتعلّم من نيتشه فكرة الإرادة المستقلة عن أي حدود وظروف ، والإيمان بأهمية الفعل الغريزي المباشر مقابل التأمل والتدبير ، والالتزام بالمتعّين والمحسوس على حساب المجرّد، وتأكيد الحياة والغريزة في مواجهة القيم التقليدية والمثاليات المجرّدة التي تخنق الحياة والغريزة .

ويلاحظ أن المصادر الفكرية (الدينية والفلسفية) عند بوبر معظمها غير يهودية . لقد ظل بوبر طيلة حياته يجد الدراسات التلمودية جافة وعقيمة. وقد اكتشف الحاسدية باعتبارها تجربة صوفية ، وتعبيراً عن الصوت الداخلي من خلال مصادره الألمانية المسيحية الصوفية .

وفكر بوبر الديني والسياسي فكر حلولي متطرف تتلاقى فيه وحدة الوجود الروحية بوحدة الوجود المادية، فيصبح الإله والإنسان والطبيعة كلاً عضوياً واحداً. وتتجلى هذه الرؤية الحلولية في فلسفة الحوار التي تُشكّل أساس الفكرة الدينية في فكرة الشعب العضوي (فولك) التي تشمل أساس فكره السياسي والاجتماعي، ففكره السياسي هو نفسه فكره الديني، وفكره الديني هو نفسه فكره السياسي، وهذا أمر متوقع داخل منظومة فكرية لا تُفَرِّق بين الإله والإنسان، أو بين الإنسان والطبيعة، أو بين هذا العالم والعالم الآخر، أو بين التاريخ والوحي، أو بين القومية والدين.

شغل بوبر منصب أستاذ فلسفة الدين اليهودي والأخلاق في جامعة فرانكفورت في الفترة (١٩٢٤ _ ١٩٣٣) . وأسّس معهد الدراسات اليهودية فيها. وقد صدر له عام ١٩٢٣ أهم كتبه " أنا وأنت " الذي يحوي جوهر فلسفته الحوارية . وفي عام ١٩٣٣ ، استولى النازيون على الحكم ، وصاغوا مفهوم الشعب العضوي (فولك) ، ذلك المفهوم الذي يُشكّل حجر الزاوية في الفكر النازي والصهيوني، وهو ما كان يعني تأسيس نظام تعليمي لليهود مستقل عن النظام التعليمي الألماني . وقد عُيّن بوبر مديراً للمكتب المركزي لتعليم الكبار . أمّا هجرته إلى فلسطين، فقد كانت عام ١٩٣٨ حيث جرت محاولة لتعيينه أستاذاً للدراسات الدينية. ولكن المؤسسة الأرثوذكسية عارضت ذلك بشدة لأن بوبر ، حسب تعريفها ، لا يؤمن باليهودية ، فتمّ تعيينه أستاذاً للدراسات الاجتماعية في الجامعة ، حيث شغل المنصب حتى عام ١٩٥١ .

صدر أول كتب بوبر بالعبرية " العقيدة النبوية " عام ١٩٤٢ . ونشر كتابه " طريق اليوتوبيا " (١٩٤٩) ، وهو كتاب عن تطوّر الاشتراكية الطوباوية (التي تحلم بمجتمع خالٍ من الصراع ، وتسعى إلى تحقيق مُثُل غُليا بعيدة عن الواقع) . وتبع ذلك نشر كتابه "نوعان من الإيمان" (١٩٥١)، حيث يُقارن فيه بين الإيمان اليهودي والإيمان المسيحي .

والجدير بالذكر أن بوبر كان لا يؤمن باليهودية الحاخامية، أو بضرورة تطبيق الشريعة، ولم يقرأ التلمود على الإطلاق. ومع هذا، فإنه يُعدّ من أهم المفكرين الدينيين اليهود في القرن العشرين. وهو من دعاة التصوف اليهودي . ويُعتبر بوبر أحد كبار مُفسّري العهد القديم، وأحد أهم مفكري الصهيونية ذات الديباجات الثقافية .

مارتن لوثر وتأسيس المذهب البروتستانتي

وُلد عالم اللاهوت الألماني مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦) في أيسلبن بألمانيا ، وتُوفّي فيها . كان والده عامل منجم، وأسرتَه من الفلاحين. تلقى تعليمه في ماغديبورغ وأيزناخ، ونال البكالوريوس في الآداب من جامعة إرفورت عام ١٥٠٣، ثم حصل على درجة الماجستير عام ١٥٠٥ ، ودخل في العام نفسه سلك الرهبنة الأوغسطينية ، ورُسِم قسيسًا عام ١٥٠٧ .

قام بتعليم الفلسفة الأخلاقية في جامعة إرفورت (١٥٠٨ - ١٥٠٩) . ثم سافر إلى روما عام ١٥١١ ، ومكث فيها قرابة ثلاثة أشهر ، فكان لذلك بالغ الأثر في تغيير منحاه الروحي والعقائدي . وفي عام ١٥١٢ نال درجة الدكتوراة في اللاهوت، وتسلّم كرسي "الكتاب المقدس" في جامعة فيتنبيرغ عام ١٥١٣، فافتتح مسيرته بشرح على سفر التكوين والتثنية. وألقى محاضرات حول المزامير ، وحول الرسائل البولسية . ومن خلال تلك الشروح أرسى لوثر لاهوته الذي سمّاه لاهوت الصليب ، وتابع فيه الاتجاه الأوغسطيني .

كانت لكتابات لوثر أنصار كثر في الأوساط الشعبية، كما في أوساط الكهنة والرهبان ، الأمر الذي دفع الكنيسة إلى مُحاربتَه ، فقد عارض لوثر لاهوت الكنيسة القائم على تعاليم القديس توما الأكويني ، بمنهجه الساعي إلى تعقّل الإيمان ، مُؤكِّدًا أن اللاهوت لا يسعى إلى الفهم العقلي ، بل إلى السلوك العاطفي الوجداني . وقد كان لوثر يفصل بين الفلسفة واللاهوت ، والعقل والإيمان ، والحب والواجب ، والقانون والأنجيل ، والدِّين والدولة . فالعقل للتفكير، والدِّين مناطه الإيمان . واعتبر العقلَ نعمةً إلهيةً ليس من مهمته البحث في مسائل الدِّين. وقد عارض لوثر الفلسفة وخاصة اليونانية، واتهم أرسطو بأنه وثني، ولكنه لم يرفض أن يستفيد المسيحي من الفلسفة الأخلاقية .

بدأ لوثر نشاطه الإصلاحِي في تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٥١٧ ، في عيد القديسين ، عندما علّق على باب كنيسة قصر فيتنبيرغ احتجاجه الشهير (وتسمّى على أساسه أتباعه بالمحتجين أو البروتستانت) الذي يضم ٩٥ مسألة دينية ضد صُكوك الغفران الصادرة عن المرسَل البابوي الراهب الدومنيكي "يوهان تنزل" في عام ١٥١٦ لسد الحاجات المالية الكبرى التي نشأت عن بناء كنيسة القديس بطرس في روما، ومهاجمًا فيها الانحرافات المذهبية والثقافية للكنيسة، وعرض آراءه للمناقشة ، فتقاطرت عليه الردود بين إيجاب وسلب . وتدخل البابا ليو العاشر في النزاع ، فاستدعاه إلى روما لاستجوابه في أمر قضاياه تلك .

هاجمَ لوثر البابوية كنظام مسيحي ، وأكّد هجومه على مذهب الكنيسة عام ١٥٢٠ في خطابه عن " النبلاء المسيحيين في ألمانيا " ، و " الأسر البابلي للكنيسة " ، فأتهمه البابا ليو العاشر بالهرطقة ، وأصدرَ بحقه عام ١٥٢١ مرسومًا بالحرمان ، يحتوي على إحدى وأربعين قضية، وأمرَ بإحراق مؤلفاته. فردَّ لوثر على ذلك بإحراق ما بحوزته من براءات ووصايا بابوية علنًا أمام حشد من علماء مدينة فيتنبرغ ، فدعاه الإمبراطور شارل الخامس (شارلكان) إلى حضور مجمع في مدينة فورمس عام ١٥٢١ للتراجع عن قضاياها، لكن لوثر رفض، فأدانته المجمع، وأصدرَ الإمبراطور أمرًا بالقبض عليه، ونفيه من سائر بلاد الامبراطورية الألمانية، فلجأ إلى الدوق الكبير فريدريك الحكيم الذي أخفاه في قلعة فارتبورغ ، حيث قام بترجمة العهد الجديد إلى اللغة الألمانية، أتبعه لاحقًا بترجمة للعهد القديم، إلى أن اكتمل " الكتاب المقدس " عام ١٥٣٤ . فكانت أفضل ترجمة حتى اليوم ، وأدّت دورًا مهمًا في تكوين اللغة الألمانية وروح القومية الألمانية، وعُدّت من روائع النشر الألماني . عادَ لوثر إلى مدينته فيتنبرغ عام ١٥٢٢ بسبب اضطرابات عنيفة نجمت عن الآراء التي رُوّج لها الغُلاة من تلاميذه، وآلت إلى فتنة محلية (حرب الفُرسان)، تلتها فتنة ثانية بسبب تمرد الفلاحين على النبلاء (حرب الفلاحين)، وقف فيها لوثر حليفًا للأمرء، وأعلن سخطه على الثائرين والطغاة. في عام ١٥٢٥ ، تزوّجَ لوثر من كاترينا فون بورا التي تركت حياة الرهبنة لتنضم إلى دعوته. تتلخص القضايا التي طرحها لوثر في مبادئ أساسية أهمها: سيادة الكتاب المقدس وُحْدَه مَصْدَرًا للحقيقة الدينية وأصول العقيدة المسيحية، ورفض سُلطة البابا وصُكوك الغفران، وإدانة كل الممارسات والمعتقدات الدينية التي لم يذكرها الكتاب المقدس خاصة المراتب الكهنوتية والوساطة التي يقوم بها رجال الإكليروس في الكنيسة بين الله والإنسان، بدعوى أن كل مسيحي كاهن بذاته بفضل التعميد، وينال خلاصه بالإيمان وُحْدَه (التبرير بالإيمان) وبنعمة من الله مباشرة (مجانية النعمة الإلهية) ، فالتبرير ليس بالأعمال الجيدة أو مُمارسة الطقوس. فجوهر الدّين هو الإيمان، والخلاص مجاني ينعم به المسيحي بالإيمان. لذلك رفض لوثر جميع الأسرار المقدّسة عدا المعمودية والعشاء الربانيّ ، الذي رأى فيه أن المسيح حضره فعلاً لا رمزًا . تمكنَ لوثر من تحقيق عدد من الإصلاحات الدينية في تلك الآونة كإغلاق الأديرة ، وإلغاء الرهبنة، وإلغاء أعياد القديسين، وعبادة العذراء، وإزالة كثير من الشعائر والطقوس ، كالاقرار، والقُدّاس ، وما يُناقض الإنجيل ، لا سيّما نظرية التحول في سرّ القربان المقدّس (المنافلة _ العشاء السري) ، وإلغاء الصّوم ، وعدم زواج رجل الدّين ، وإلغاء الصور والأيقونات والرسوم .

مارتن هايدغر ومازق الوجود

وُلد الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر (١٨٨٩_١٩٧٦) في ماسكيرش، بادن، في جنوب ألمانيا. درس في جامعة فرايبورغ، حيث تتلمذ على يد هوسرل، ثم صارَ أستاذًا فيها عام ١٩٢٨ . لا يوجد فيلسوف أوروبي في القرن العشرين أفلتَ من تأثير هايدغر . وهذا يشير بوضوح إلى مكانة هذا الفيلسوف في النسق الفلسفي الغربي . فما الذي جعله يتبوأ هذه المكانة رغم كثرة القامات الفلسفية في أوروبا عبر تاريخها الطويل ؟. إن النقطة الجوهرية في فكر هايدغر ، هي عدم تقليده للآخرين . لقد كانَ نفسه ولا شيء آخر، ولم يعبأ بالنقد والانتقادات . فقد آمنَ بأفكاره الشخصية وفلسفته الخاصة ، ومضى في طريقه وحيداً نحو الهدف الذي رسمه بنفسه، ووصل إلى أبعد نقطة ممكنة ، لأنه كان يعرف مساره وهدفه ، ولو كان مُتَرَدِّدًا لِمَا حَقَّقَ أَيَّ إنجاز . وكما قيل: لا يذهب بعيداً مَنْ لا يعرف إلى أين هو ذاهب . وهذا الأمر يُحَسِّبُ له بغض النظر عن طبيعة أفكاره . وفلسفة هايدغر شديدة التعقيد والتشعب، وهي قائمة على ثلاثة أركان : القلق ، الاغتراب ، الموت . ويمكن تبسيطها على النحو التالي : إنها فلسفة تقوم على فكرتين مركبتين : الوجود (حياة الإنسان) والعدم (الموت) . وضمن هذه الثنائية ، على الإنسان أن يشعر بالقلق تجاه مصيره ، لأن نهايته الحتمية هي الموت . وهذا يعني أن القلق الوجودي المسيطر على الإنسان هو الذي كشف معنى العدم (الموت) . وفي ظل هذه المعطيات ، يبدأ الإنسان رحلة البحث عن وجوده وجدوى استمراره في الحياة . والقلق في هذا السياق ليس شعوراً ، وإنما قيمة فلسفية . إذ إن سبب القلق هو الخوف على الوجود من العدم . وبعبارة أخرى، الخوف على الحياة من الموت . وهكذا يتكسر القلق الوجودي كجرس إنذار ، وأداة كاشفة لماهية العدم والفناء ، ومبدأ لإزالة القناع عن وجه الإنسان ، وتعريته ، وتأكيد ذاته .

إن القلق الوجودي في فلسفة هايدغر ، مؤشر واضح على أن الحياة لا معنى لها ، ولكن الإنسان صاحب الحضور المركزي في هذا العالم ، هو الذي يُعطي الحياة معناها ، ويمنح الشرعية والمعقولة للوجود . وبالتالي ، فالإنسان يصنع نفسه بنفسه ، ويصنع عالمه المحيط به ، ولا يمكن للإنسان أن يجد نفسه إلا إذا كان حُرًّا . وهكذا تتجذر الحرية كمبدأ أساسي من مبادئ الفلسفة الوجودية . وعلى الجهة المقابلة ، يبرز مفهوم الوجود الوهمي، حيث يعاني الإنسان من الاغتراب ، فيتقمص الآخرين ، ولا يجد نفسه ، وهذه المرحلة تُمثِّل نوعاً من عدم الوجود .

والفلسفة الوجودية تُشدّد على أهمية القلق لخلاص الإنسان، وتخليصه من أزماته . لذلك فهي تقف ضد الأشخاص الذين يرفضون تحمل مسؤولية القلق الوجودي ، ولا يريدون تأكيد ذواتهم ، ولا يطمحون إلى اكتشاف مواهبهم ، ولا يتركّون بصمة في حياتهم . وهؤلاء _ وفق المنظور الوجودي _ يغرقون في نظام استهلاكي روتيني مغلق ، ويبحثون عن الراحة والرفاهية بعيداً عن الأسئلة الوجودية والقضايا المصيرية . لذلك، فإن الفلسفة الوجودية تعتبر الهروب من مسؤولية القلق هو نهاية الإنسان . وبما أن الإنسان محكوم _ منذ ولادته _ بالموت ، فعليه أن يكتشف تفاصيل حياته بنفسه، ويستغل كل لحظة زمنية ، ولا يُضيّع وقته في الأمور غير المفيدة . وهذا لا يتحقق إلا بالبحث عن معنى الوجود والماهية الحقيقية للأشياء ، والتفتيش عن الوجوه لا الأقنعة . وقد أصاب التعقيد والتناقض فلسفة هايدغر وحياته الشخصية على حد سواء . وهذا الأمر اتضح بشكل مُبكر . إذ إن هايدغر بدأ حياته بدراسة علم اللاهوت ليصبح كاهناً ، ثم ابتعد عن هذا المجال ، ودرس العلوم الطبيعية ، وأخيراً انتهى إلى الفلسفة . والغريب في الأمر أن أهم إنجازات هايدغر يتجلى في إبعاد الفلسفة الغربية عن الأسئلة اللاهوتية والغيبية (الميتافيزيقية) ، والتركيز على الأسئلة الوجودية ومعنى الكينونة ، وهو الذي بدأ حياته بدراسة علم اللاهوت القائم _ أساساً _ على المفاهيم الغيبية .

ومن الأمور الغريبة أيضاً ، انتماء هايدغر إلى الحزب النازي الألماني ، ورئاسة الجامعة في العهد النازي . ممّا جعل كثيراً من الباحثين يتهمونه بمعاداة السامية . وتزداد الغرابة إذا علمنا أنّ علاقة عاطفية كانت تجمع هايدغر " النازي " مع تلميذته المفكّرة حنّة أرندت " اليهودية " التي طاردها النازية، فهربت إلى فرنسا . وبين الأستاذ وتلميذته رسائل غرامية متبادلة ، وقد جُمعت في كتاب صدر بالألمانية ، وتُرجم إلى العربية . إنه العشق القاسي بين " المعلّم النازي " و " التلميذة اليهودية " في زمن صعود النازية .

ترك هايدغر أعمالاً فكرية كثيرة ، وتميّز بتأثيره الهائل على المدارس الفلسفية في القرن العشرين ، كالوجودية ، والتفكيكية ، وما بعد الحداثة . ورغم كل الانتقادات التي وُجّهت لهذا الفيلسوف ، إلا أنه بقي في قلب المشهد الفلسفي العالمي ، ولم يقدر أحد على تحييده أو إقصائه .

من أبرز أعماله : الوجود والزمان (١٩٢٧) . دروب مُوصدة (١٩٥٠) . ما الذي يُسمّى فكراً (١٩٥٤) . ما هي الفلسفة ؟ (١٩٥٦) . المفاهيم الأساسية في الميتافيزيقا (١٩٦١) .

مارسيل بروست و الزمن المفقود

وُلد الروائي الفرنسي مارسيل بروست (١٨٧١ - ١٩٢٢) في باريس لعائلة غنية . وكان والده طبيباً ناجحاً من أسرة كاثوليكية محافظة . كانت طفولته سعيدة ومصدرًا من مصادر أعماله الأدبية لاحقاً . أصيب بأول نوبة ربو قاسية، وهو في التاسعة من عمره ، وسيطر عليه المرض طيلة عُمره . وكان لأمه المثقفة فضلٌ كبيرٌ عليه ، فأحبَّ المطالعة ، وكان أبوه يأمل أن ينتظم ابنه في السلك الدبلوماسي بعد دراسة الفلسفة .

نشر بروست في بداية شبابه كتاب " الملذات والأيام " ، مع مقدمة بقلم أناتول فرانس ، ثم ترجم لشاعره المفضل راسكن عن الإنجليزية . وقام بتأليف رواية _ نُشرت عام ١٩٥٢ _ بعنوان " جان سانتوى " ، وفيها تتضح ميول الكاتب وانطباعاته وأفكاره الشخصية .

كانت وفاة أبيه عام ١٩٠٣ ، ووفاة أمه عام ١٩٠٥ ضربةً قاسيةً له ، واشتدَّ عليه الربو ، وحاصرته الهموم والوساوس ، فابتعدَ عن الناس ، واعتزلَ المجتمع ، وجلس في غرفته ، عاكفًا على روايته "البحث عن الزمن المفقود"، إلا أنه لم يجد ناشرًا للجزء الأول منها " جانب منزل سوان " ، واضطرَّ إلى نشره على نفقته الشخصية ، إلا أن الكتاب لم يتم تقديره ، وكانت الحرب العالمية الأولى قد اندلعت ، وحالت دون نشر تنمة الرواية ، فاستغل الفرصة لإعادة كتابتها والنظر فيها، وقبلت أخيرًا " دار غاليمار " أن تنشر الرواية كاملةً . وفاز الكتاب بجائزة " غونكور " الأدبية ، وكانت بداية المجد الذهبي . كان هذا في عام ١٩١٩ ، أي إنه لم يبقَ من عُمر بروست سوى ثلاث سنوات، أنهى فيها الفصول المتبقية من الرواية المتعددة الأجزاء، وكانت هذه السنوات سباقًا مع الموت . استخدم بروست كامل قدراته وكُلَّ عبقريته لإنهاء الرواية ، وكان أعجب وأروع ما قام به أنه أرجأ مشهدًا منها، يُصوَّر فيه احتضار (بيرغوت) _ أحد أبطال روايته _ إلى وقتٍ يشتدُّ فيه مرضه، على نحوٍ مُماثلٍ لما يُعانيه المحتضر فعلاً، لينقل هذا الوصف إلى مكانه من الرواية. استطاع بروست في رواية " البحث عن الزمن المفقود " أن يُمسك بالزمن الضائع المتمرد ، ويحبسه لفترة محدودة ، ويتغلب عليه . وكانت هذه الرواية نقدًا جارحًا وصريحًا للمجتمع الأرستقراطي والبرجوازي في عصره .

يُعتبر بروست أن عظمة الفن والإبداع تتجلى في البحث عن الحقيقة العنصرية الممتعة ، التي تواكب الحياة ، طيعةً ميسورة . وهذا يحتاج إلى بحث دائم .

استخدم بروس في روايته " البحث عن الزمن المفقود " أسلوبًا خاصًا مُتميِّزًا ، ينسجم مع تسلسل خواطره وأفكاره وصُورَه وتداعيمها . فالجُمْل متشعبة ، مشحونة بالفواصل والأقواس ، وطويلة ، ومُتنامية ، ومليئة بالتشبيهات .

وقد استفادَ علْمُ النفس من بروس فائدةً جليلةً ، فقد استحدثَ أسلوبًا جديدًا في التحدث عن الشعور واللاشعور . وكثيرٌ من النقاد يَرَوْنَ أن بروس قد تأثر بالفيلسوف هنري برغسون تأثرًا بالغًا . وكان بروس مُعجَّبًا به أشد الإعجاب _ ، وأنه يُطبَّق في روايته أفكاره الفلسفية تطبيقًا مُبدِعًا فَنِّيًا ، فالتداعيات اللاإرادية التي تسوق الماضي الدفين في أعماق الذاكرة ، ودروبُ الحُسن المتشعبة في اللاشعور ، وتنامي الشخصية وتطوُّرها ضمن الزمن ، وقصور الذكاء وعجزه عن معرفة الحياة وسير أغوارها . كل هذه الموضوعات تظل متلائمةً ومُتناغمةً بين فلسفة برغسون ورواية بروس .

بدأ بروس كتابة روايته " البحث عن الزمن المفقود " عام ١٩٠٩ ، ضمَّت سبعة أجزاء (مجلدات) ، وتوزع على ٤٣٠٠ صفحة ، وتحتوي على مليون ونصف المليون كلمة ، وعدد شخصيات الرواية ٢٠٠٠ شخصية .

ويسبب هذه الرواية ، وصف غراهام غرين بروس بأنه " أعظم مؤلف في القرن العشرين " . أمَّا سومرست موم فقد وصف الرواية بأنها " أعظم عمل خيالي " ، رغم أن بروس مات دُونَ أن يتمكن من إنجاز النسخة النهائية من الرواية ، وتركها على شكل مسودات . وقد راجعها أخوه روبرت ، ونشرها بعد وفاته .

تتألف الرواية من سبعة أجزاء : الجزء الأول _ جانب منزل سوان . الجزء الثاني _ في ظلال ربيع الفتيات . الجزء الثالث _ جانب منزل غرامنت . الجزء الرابع _ سُدُوم وعمُورة . الجزء الخامس _ السجينة . الجزء السادس _ الشاردة أو ألبرت في أرض الشتات . الجزء السابع _ الزمن المستعاد .

مارسيل موس وظاهرة الهبة

وُلد عالم الاجتماع الفرنسي مارسيل موس (١٨٧٢ - ١٩٥٠) في إينال ، مدينة صغيرة شمال شرقي فرنسا . بدأ تعليمه الأولي فيها ، ثم انتقل إلى مدينة بوردو ، حيث واصل دراسته الجامعية في الفلسفة . ثم انتقل إلى باريس ، وانخرط بشكل فَعَال في الحياة الاجتماعية والمعرفية والسياسية حتى وفاته . والجدير بالذكر أن مارسيل موس هو ابن أخت إميل دوركايم .

اهتمَّ موس بموضوعات كثيرة دون أن يتعمَّق في البحث فيها ، إذ إن فضوله الفكري كان يحمله على الانتقال من موضوع إلى موضوع بسرعة شديدة . لكن تلاميذه استأنفوا بعض أعماله غير المنجزة ، وأظهروا ما فيها من الخواطر السديدة والآراء الحصيفة . وينبغي القول إن أعمال كلود ليفي شتراوس استفادت كثيرًا من بعض نصوص موس .

بعد أن حصل موس على التبريز في الفلسفة ، بدأ في تأليف أطروحة عن الصلاة ، لكنه لم يُكْمَلها (جُمعت ونُشرت أجزاء منها) . ثم شارك في تأسيس معهد الإثنولوجيا في باريس ، وعيِّن أستاذًا في الكوليج دو فرانس ، ودرس على يديه كثير من مشاهير العلماء الفرنسيين في مجال الفلسفة وعلم الاجتماع .

لا يوجد لموس أي كتاب كامل من تأليفه، ولكنه ألف مقالات كثيرة ، إمَّا مع علماء آخرين ، وإمَّا وحده . من أبرزها : في تغيُّرات مجتمعات الإسكيمو حسب الفصول (١٩٠٤) . رسالة في الهبة : أشكال التبادل في المجتمعات البدائية وعللها (١٩٢٥) . تقنيات الجسد (١٩٣٢) . الوطن (١٩٥٤) ، وقد نُشر بعد وفاته .

قامت إحدى تلميذات موس بجمع مُدَوَّنات الدروس التي ألقاها موس في معهد الإثنولوجيا ، ونُشرت تحت عنوان " موجز في الإثنوغرافيا " (١٩٤٧) . ومن تلك المواد المتفرقة ، يظهر بعض الاتجاهات العامة في منهج موس .

والإثنولوجيا علم دراسة الإنسان ككائن ثقافي (الدراسة المقارنة للثقافة) . أمَّا الإثنوغرافيا ، فهي وصف الأعراق البشرية أو الناسية .

والإنسان _ حسب موس _ ظاهرة كُليَّة ، ينبغي أن تُدرَس من كل زواياها وجوانبها لفهم كيف يبرز ويتموضع الفردي والجماعي . فالسباحة مثلاً ، كغيرها من تقنيات الجسد ، لا يمكن فصلها عن المجتمع ، إذ لا تتعلق بالجسد فقط ، بل بطرق تعليم هذه التقنية ، وهذا يتعلق بمؤسسات

جماعية. ودراسة مثل هذه الظاهرة تُخبرنا عن الطرق التي بها يندرج الفرد في المجتمع. كما أن مفهوم الفرد نفسه ليس مُعطىً طبيعيًا أوليًا ، بل له تاريخ يتلاقى فيه الطبيعي والثقافي والفردى والجماعي.

وفي رسالته في العطاء ، أثبت موس أن التبادل لا يخضع للضرورات الاقتصادية فقط ، بل يُستعمل لإنشاء علاقات دبلوماسية أو سياسية أو قانونية ، كما أن له في بعض المجتمعات وظائف دينية وأبعادًا سياسية .

وبعكس ماركس الذي رأى عملية الإنتاج كأساس المجتمع ، رأى موس أن التبادل هو أساس البنية الاجتماعية ، وإذا افترض البعض أن التبادل يحدث فقط في السوق، فيشير موس الى وجود حياة كاملة من وراء السلع ، وعمليات التبادل لا تقتصر على السوق ، إنما تشمل تبادل الهدايا أو الهبات في المناسبات الاجتماعية والدينية وغيرها .

وهذه أمثلة معدودة لمُقاربة موس للظواهر الاجتماعية ، ورفضه أن يحصرها في مجال علمي واحد ، إذ الإنسان حسب رأيه ظاهرة كُلية لا تجوز تجزئتها .

كان موس من أوائل العلماء الذين اهتموا بموضوع " الهبة " ، ورُكزوا على مكانتها داخل المجتمعات الإنسانية . وقد سعى جاهدًا إلى الإحاطة بهذه الظاهرة من كل جوانبها الثقافية والاجتماعية والدينية والسياسية. يقول موس في مستهل مقالته عن الهبة : ((تتم التبادلات والتعاقدات داخل الحضارة الإسكندنافية ، وعدد هام من الحضارات ، على شكل هدايا ، نظريًا بطريقة اختيارية ، ولكنها في حقيقة الأمر إلزامية)) . ثم يطرح تساؤلًا رئيسيًا : ((ما هي القاعدة المبنية على الحق والمصلحة ، التي تُلزم برد الهدية المتسلمة لدى المجتمعات ذات النمط المتخلف أو البدائي ؟ . ما هي القوة الكامنة داخل الشيء الموهوب ، والتي تجعل الموهوب له يردُّه ؟)) . ويخلص موس إلى أن الهبة تُمثّل ترابطًا لالتزامات ثلاثة : العطاء ، وقَبول العطاء ، والرد عليه بإعادة الغرض نفسه ، أو ما يُوازيه ، أو ما هو أثمن منه .

تساءل موس عن سبب ارتباط بعض المجتمعات باقتصاد الهبة. وكانت الإجابة ذات أبعاد ثلاثة: ١_ دور العلاقات الشخصية في بلورة العلاقات الاجتماعية . ٢_ تأمين العلاقات الاجتماعية لمصلحة الأفراد والجماعات . ٣_ اعتبار أن ما يُلزم بالوهب كَوْن الوهب مُلزمًا . ووفق موس ، فإن هذه الشروط الثلاثة تُفسّر أسباب الهبة . وقد تعرّضت أفكار موس لكثير من التحليل والنقد .

مارغرييت ميتشل و " ذهب مع الريح "

وُلدت الروائية الأمريكية مارغريت ميتشل (١٩٠٠ _ ١٩٤٩) بمدينة أتلانتا بالولايات المتحدة الأمريكية .

كانت والدتها من أصول أيرلندية كاثوليكية ، ووالدها رجل قانون من أصول أسكتلندية . وكانت العائلة تضمُ العديد من الجنود السابقين الذين قاتلوا في الحرب الأهلية . وكانت ميتشل في طفولتها منبهرة بقصص الحرب التي كان يُقَصُّها عليها أقرباؤها ، وقد ترعرعت بين أقارب عايشوا بصورة مباشرة أحداث الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ _ ١٨٦٥) . صادفت ميتشل مشاكل في المدرسة في المرحلة الابتدائية، بسبب كرهها لمادة الرياضيات التي وجدتتها مادة مُعقدة ، وجعلتها تكره الذهاب إلى المدرسة، وكانت والدتها تُجبرها وتقودها إلى المدرسة رغمًا عنها . تَمَّت خطوبتها على أحد شباب مدينتها، وقد التحق بالجيش الأمريكي في الحرب العالمية الأولى ، ولقي مصرعه في إحدى المعارك في فرنسا عام ١٩١٨ . بعد عام من مقتل خطيبها تُوفيت والدتها أثناء وباء الإنفلونزا عام ١٩١٩ ، وأصبحت ميتشل ربّة البيت ، والمسؤولة عن رعاية والدها .

بلغت ميتشل بروايتها الوحيدة " ذهب مع الريح " (١٩٣٦) شهرةً لم تصل إليها كاتبة روائية أخرى من قبلها، وقد بدأت حياتها العملية في عام ١٩٢١ كصحفية في جريدة أتلانتا .

في عام ١٩٢٢ ، كان هناك رجُلان في حياة ميتشل يتنافسان على كسب ودّها، أحدهما كان لاعب كرة قدم سابق وصاحب مشاكل عديدة مع القانون واسمه بيرين أبشو . والثاني كان صحفيًا مُتَزِنًا واسمه جون مارش . اختارت ميتشل صاحب السوابق أبشو، ولكن أبشو لم يكن من النوع الملتزم ، وكان ينتقل من وظيفة إلى أخرى ، ولم يكن له مصدر دخل ثابت .

اضطُرَّت ميتشل إلى الاعتماد على نفسها. ومن المفارقات في حياتها أن الرجل الثاني جون مارش الصحفي الذي رفضته ميتشل في السابق وقرّر لها عملاً في صحيفته براتب ٢٥ دولارًا في الأسبوع . انتهى زواج ميتشل من أبشو بالطلاق عام ١٩٢٤ . وفي عام ١٩٢٥ تزوّجت من مارش واعتزلت الصحافة. بعد زواج فاشل، بدأت بالاعتماد على نفسها من خلال الكتابة لصحيفة محلية في أتلانتا ، واعتزلت العمل في مجال الصحافة في منتصف العشرينيات ، وتفرّغت لكتابة روايتها المشهورة " ذهب مع الريح " . رفضت ميتشل عروضًا عديدة ومُغرية لكتابة جزء ثانٍ من

تلك الرواية ، ولكن في عام ١٩٨٠ قام أحفادها بإعطاء الرخصة للكاتبة ألكساندرا ريبلي بأن تكتب الجزء الثاني من الرواية، وتم طبعها عام ١٩٩١ ، وتم تحويلها إلى سلسلة تلفزيونية ولكن الكتاب والعمل التلفزيوني لم يلقيا نجاحًا وتجاوزًا من القراء والمشاهدين.

أُصيب ميتشل بمرض جعلها تلزم البيت في معظم الأوقات، فأخذت تُسرّي عن نفسها بتنفيذ مشروع روائي ضخم يُصوّر أحداث الحرب الأهلية بين ولايات الشمال والجنوب . وقد استدعى ذلك منها قراءة مستفيضة جدًا في المراجع التاريخية والاجتماعية، ووجدت في ذلك الجو العاصف من الوقائع والعواطف مهريًا من حياة الركود والملل وآلام المرض وأوجاعه .

قضت ميتشل الفترة (١٩٣٠-١٩٣٦) في كتابة فصول الرواية، وكانت تُتابع الشخصيات وتكتب الأحداث على غير نظام متسلسل، فتكتب فصلاً ثم فصلاً آخر، ثم تعود فتُعدّل في الفصول، لتحافظ على التسلسل في النهاية . ولم تكن تحلم بنشر هذا العمل الضخم، ولكن الرواية ما إن نُشرت حتى اعتُبرت حدثًا أدبيًا مهمًا، وبيع منها أكثر من مليون نسخة في ستة أشهر. ومُنحت جوائز عدّة أدبية ، ومنها جائزة بوليتزر عام ١٩٣٧ . وتمّ إخراجها للسينما بفيلم يحمل نفس اسم الرواية " ذهب مع الريح " . وحققّ الفيلم أعلى ربح في تاريخ هوليوود ، وأحرز الرقم القياسي بفوزه بالكثير من الجوائز، وترجمت الرواية إلى معظم لغات العالم . واعتبرها الأمريكيون أشهر رواية في أدبهم في القرن العشرين في وقتها. وحظيت بإعجاب جميع الأمم لطابعها الإنساني. في الحرب العالمية الثانية تطوّعت ميتشل للعمل مع منظمة الصليب الأحمر الأمريكية، وركّزت نشاطها في إيصال الإمدادات الغذائية والطبية لبلدة فيموتيه في فرنسا ، وحصلت نتيجة لجهودها على لقب المواطنة الفخرية لتلك البلدة الفرنسية في عام ١٩٤٩ .

وفي ١٦ أغسطس ١٩٤٩ ، تعرّضت ميتشل لحادث سيارة عندما كانت تعبر الشارع ، وتُوفيت في المستشفى بعد خمسة أيام متأثرة بإصاباتها . قيل إن سائق السيارة كان في حالة سُكر، وأدين بالقتل غير العمد ، وتلقى حُكمًا بالسجن لأربعين عامًا مع الأعمال الشاقة . ذكر السائق أن ميتشل عبرت الشارع دون أن تلتفت إلى السيارات العابرة .

دُفنت ميتشل في مقبرة أوكلند في أتلانتا . وفي ١٦ مايو ١٩٩٧ ، تمّ تحويل المنزل الذي كتبت فيه ميتشل رواية " ذهب مع الريح " إلى متحف . يقع هذا المنزل في وسط أتلانتا ، ويحتوي على وثائق وشرائط أصلية لرواية وفيلم " ذهب مع الريح " مع مقتنيات شخصية لميتشل . وهذا المتحف مفتوح على مدار الأسبوع ، وتكلفة دخوله تبلغ ١٢ دولارًا .

مارك توين والسخرية اللاذخمة

وُلد الكاتب الأمريكي الساخر مارك توين (١٨٣٥ - ١٩١٠) في قرية تُسمَّى " فلوريدا " بولاية ميسوري . اسمه الحقيقي " صمويل لانغهورن كليمنس " .

في سنة ١٨٤٨ التحق توين بالعمل كصبي بمطبعة ، ثم بدأ في سنة ١٨٥١ العمل في صف الحروف بالإنجليزية . وبدأ يكتب المقالات ، والخواطر الساخرة لجريدة هانيبال ، التي كان يملكها شقيقه أوريون . وفي الثامنة عشرة من عمره ، تركَّ الجريدة ، وعمل في الطباعة في مدينة نيويورك . وبدأ في تعليم نفسه بنفسه في المكتبات العامة في الفترة المسائية ، مُكتشفًا منهالاً للمعرفة أوسع من ذلك الذي كان سيجده إذا كان قد التحق بمدرسة تقليدية .

في إحدى رحلات توين في نهر المسيسيبي إلى نيو أورليانز ، أوحى له هوراس بيكسي ، قائد السفينة البخارية بالعمل كقائد سفينة بخارية، وهو عمل كان يُدرُّ على صاحبه دخلاً مُجزياً . ونظرًا لأن هذه المهنة كانت تتطلب معرفة وافية بكل تفاصيل النهر التي تتغير باستمرار، فقد استغرق توين عامين في دراسة ألفي ميل (٣٢٠٠ كيلو مترًا) من نهر المسيسيبي بتعمق ، قبل أن يحصل على ترخيص بالعمل كقائد سفينة بخارية سنة ١٨٥٩ .

وأثناء تدريبه، استطاع توين إقناع شقيقه الأصغر هنري بالعمل معه، وقد لقي هنري مصرعه في ٢١ يونيو ١٨٥٨ إثر انفجار السفينة البخارية "بنسلفانيا" التي كان يعمل عليها. ويقول توين في سيرته الذاتية إنه رأى في أثناء نومه تفاصيل مصرع أخيه قبل شهر من وقوعه ، وهو ما دفعه إلى دراسة الباراسيكولوجيا (علم ما وراء النفس)، وكان من أوائل أعضاء جمعية الدراسات الروحانية. وقد حمل توين إحساسه بالذنب والمسؤولية عن مصرع أخيه طوال حياته. وظلَّ يعمل في النهر كملاح نهري حتى اندلعت الحرب الأهلية الأمريكية سنة ١٨٦١ وتوقفت الملاحة في نهر المسيسيبي .

حقَّق توين أول نجاحاته الأدبية عندما نشر قصته الطويلة "الضفدعة النطاطة المحتفى بها القادمة من مقاطعة كالافيراس " في جريدة "نيويورك ساترداي برس " في ١٨ نوفمبر ١٨٦٥، وهي القصة التي لفتت الأنظار إلى مارك توين. وفي العام التالي، سافر توين إلى جزر سانديويتش (هاواي الحالية) للعمل مُراسلاً لجريدة "ساكرامنتو يونيون"، وقد حظيت القصص التي كتبها عن تلك الرحلات بشعبية كبيرة . وفي سنة ١٨٦٧ ، سافر توين إلى البحر المتوسط بتمويل من

إحدى الصحف المحلية، وأثناء رحلته إلى أوروبا والشرق الأوسط كتب توين مجموعة من رسائل السفر التي حظيت بانتشار كبير وجمعت فيما بعد في كتاب "الأبرياء في الخارج" سنة ١٨٦٩ ، وفي هذه الرحلة تعرّف توين إلى تشارلز لانغدون شقيق زوجته المستقبلية .

يقول توين إنه عندما أراه تشارلز لانغدون صورة شقيقته أوليفيا ، أحبّها من أول نظرة . وقد التقى توين وأوليفيا سنة ١٨٦٨ ، وأعلنا خطبتهما في العام التالي، ثم تزوّجا في فبراير ١٨٧٠ . كانت أوليفيا تنتمي إلى عائلة ثرية ولكنها متحررة ، وقد أتاحت له التعرف إلى بعض أفراد النخبة المفكرة، ومنهم معارضو العبودية ، والاشتراكيون ، واللا دينيون، وناشطات حقوق المرأة ، وناشطو المساواة الاجتماعية .

كان توين مُغرّمًا بالعلم والبحث العلمي، وقد تصادق مع العالم " نيكولا تسلا " ، وكان يقضي الكثير من الوقت في معمل تسلا . وقد حصل توين نفسه على ثلاث براءات اختراع . وفي سنة ١٩٠٩ ، قام توماس إديسون بزيارة توين في منزله ، وقام بتصويره سينمائيًا . في سنة ١٨٩٦ ، أصيب توين باكتئاب شديد إثر وفاة ابنته سوزي بالالتهاب السحائي، وقد عمّق أحزانه وفاة زوجته أوليفيا سنة ١٩٠٤ ، وكذلك الوفاة المفاجئة لصديقه هنري روجرز في ٢٠ مايو ١٩٠٩ .

وفي سنة ١٩٠٦ ، بدأ توين ينشر سيرته الذاتية في جريدة " نورث أمريكان ريفيو " ، وفي سنة ١٩٠٧ ، منحه جامعة أكسفورد درجة الدكتوراة الفخرية في الآداب .

وقد ذُكر أن توين قال ذات يوم : ((لقد جنّت إلى هذا العالم مع مُدَنَّب هالي سنة ١٨٣٥ ، وها هو قادم ثانيةً العام القادم، وأنا أتوقع أن أذهب معه)) . وقد صدقت نبوءته ، إذ تُوفّي توين بأزمة قلبية في ريدنغ بولاية كونيتيكت في الثاني من أبريل ١٩١٠ ، بعد يوم واحد فقط من اقتراب المدنّب من الأرض ، فرثاه الرئيس الأمريكي وليام هوارد تافت ، وشيّع جنازته من إحدى الكنائس التابعة للطائفة المشيخية في نيويورك ، ثمّ دُفِن في مدافن أسرة زوجته في مقبرة وودلون بمدينة إلмира في نيويورك . نُقلت عنه الكثير من الأقوال المأثورة والساخرة ، وكان صديقًا للعديد من الرؤساء والفنانين ورجال الصناعة وأفراد الأسر المالكة الأوروبية ، ووُصف بعد وفاته بأنه " أعظم الساخرين الأمريكيين في عصره " . كما لُقّبهُ وليام فوكنر بـ " أب الأدب الأمريكي " .

من أبرز أعماله الروائية: مغامرات توم سوير (١٨٧٦) . مغامرات هكليري فين (١٨٨٤)

التي وُصِفَت بأنها " الرواية الأمريكية العظيمة " .

ماري شيلي ورواية فرانكنشتاين

وُلدت الكاتبة الإنجليزية ماري شيلي (١٧٩٧ - ١٨٥١) في لندن لعائلة مثقفة . كان والدها الكاتب والمفكر وليام غودوين ، ووالدتها الكاتبة ماري وولستونكرافت التي كانت من أولى المدافعات عن حقوق المرأة ، وتُوفيت إثر ولادة ابنتها التي نشأت في جو من الحرية والثقافة العالية . وعلى الرغم من أن شيلي تَلَقَّت القليل من التعليم النظامي ، إلا أن والدها تولى تعليمها الكثير من المواد الدراسية المختلفة . فكان دائماً يأخذ أبناءه في رحلات تعليمية ، بل وأتاح لهم فرصة الاطلاع على مكتبته ، ومقابلة الكثير من أصدقائه المفكرين . وقَدَّم لابنته تعليمًا مُتميِّزًا ومُتَقَدِّمًا ، وكان لها معلمة ومُربيَّة خاصة . وبالإضافة إلى ذلك ، قرأت ماري الكثير من كتب والدها عن التاريخ الروماني واليوناني . ومع أن شيلي كاتبة مبدعة ، إلا أنها عاشت في ظل زوجها الشاعر الشهير بيرسي شيلي. وتُوفيت في لندن بعد أن قامت بجمع وتحقيق وتقديم ونشر مؤلفاته مع شروحاتها عليها . في بداية علاقتها ، رأى فيها الشاعر مَنْ يفهمه ويُجاريه في الفلسفة والشعر فتَحَابَّا، مَعَ كَوْنِه متزوجًا هاربيت وستبروك ، التي كانت من طبقة اجتماعية أدنى ، وهربا مَعًا إلى فرنسا ثم إيطاليا حيث أقاما ما تبقى من حياة زوجها ، خلا زيارات متقطعة لإنجلترا. تزوّجت مِنْهُ بعد انتحار زوجته الأولى عام ١٨١٨، وأنجبا عدَّة أطفال لم يبق منهم على قيد الحياة سوى واحد. تعرّفت عائلة شيلي (بيرسي وماري) على الشاعر اللورد بايرون على ضفاف بحيرة ليمان في سويسرا ، ونشأت بينهم صداقة وتفاهم متبادل وحوار أدبي وفلسفي . وبتشجيع من بايرون وزوجها ، بدأت ماري شيلي كتابة أولى رواياتها وأهمها " فرانكنشتاين " (١٨١٨) . ومع أن الرواية تنتمي إلى نوع الرواية القوطية التي تُعالج الكاتبة فيها موضوعات الغرائبية وماوراء الطبيعة في عالم الأحلام والأشباح والأرواح، إلا أنها على علاقة وطيدة أيضًا بأسس الحركة الإبداعية الرومانسية التي كانت الكاتبة مُخلِصة لها ، مثلما كان زوجها في مسرحيته " بروميثيوس طليقًا " ، وبايرون في قصيدته الدرامية " مانفرد " ، وكولردج في قصيدته " البَحَّار العجوز " ، التي بَحِثت كُلُّها في الوضع (الشرط) الإنساني . يرتبط اسم " فرانكنشتاين " خطأً بالوحش المسخ، إلا أن الرواية التي تحمل هذا الاسم تحكي في الواقع قصة العالم السويسري فرانكنشتاين الذي يصنع شخصًا من أشلاء مُتَفَرِّقة ، ويكون الناتج في منتهى البشاعة ، إلا أنه يتمتع بصفات الإنسان كافة ، بل ويتجاوزها إلى حد الكراهية لصانعه مِمَّا يقودهما إلى التهلكة في النهاية .

وحكاية الوحش المسخ هذه ليست قصة رعب للتسلية، بل تتضمن مدلولات رمزية عميقة الجذور ، إذ يمكن النظر إلى هذا المخلوق الغريب على أنه إبليس وبروميثيوس والمتمرد عمومًا . إنها نقيض أسطورة بجماليون الذي يعشق تمثال المرأة الذي ينحته . وهي تبحث أيضًا في موضوعات أصل الشر والإرادة الحرة ، وخروج المخلوق عن طاعة الخالق .

ولا تزال هذه الرواية التي تتميز أيضًا بالعديد من خصائص أدب الخيال العلمي ، من أكثر الروايات رواجًا، ونُقلت إلى شاشة السينما أكثر من مرة .

وقد دار جدل كبير حول رواية " فرانكنشتاين " مُنذ نشرها عام ١٨١٨ ، حيث بحثَ النقاد والقراء حول مصدرها الحقيقي ، وحول إسهامات ماري وزوجها الشاعر شيلي فيها . فقد وُجدت اختلافات ما بين نُسخ ١٨١٨ ، ١٨٢٣ ، ١٨٣١ . ولذلك أُكِّدت ماري شيلي أن مُقدِّمة النسخة الأولى كانت من إسهامات زوجها .

ومع أن شهرة ماري شيلي تقوم على روايتها "فرانكنشتاين " إلا أنها كتبت روايات أخرى ، لا تقل عنها من حيث قيمتها الأدبية ، منها الرواية التاريخية " فالبرغا " (١٨٢٣) ، و " الرجل الأخير " (١٨٢٦) . واعتمدت في العديد من هذه الروايات على خبرتها ومعرفتها بِكُتَّاب وشعراء عصرها . كتبت أيضًا في أدب الرحلات " تاريخ جولة من ستة أسابيع " (١٨١٧) بالتعاون مع زوجها ، ووصفت هروبهما والتجوال في قارة أوروبا قبل الاستقرار في إيطاليا . ونُشرت رسائلها الكثيرة عام ١٩٤٤ ، وبيومياتها عام ١٩٤٧ .

عاشت ماري شيلي حياة أدبية . شجَّعها والدها على تعلم الكتابة وتأليف الرسائل . وكانت هوايتها المفضلة عندما كانت طفلة كتابة القصص . وقد ضاعت آثار صباها عندما هربت مع شيلي في عام ١٨١٤ . ولم يتم العثور على أية مخطوطات لها مُؤرَّخة قبل ذلك العام .

لقد شجَّع الشاعر شيلي بحماس كتابات زوجته ماري ، حيث تقول : ((كان زوجي، مُنذ البداية، قلقًا جدًّا بشأن أنني يجب أن أثبت جدارتي بنسبي وأصلي ، وأضع نفسي على صفحة الشهرة . وكان دائمًا يُشجِّعني على الحصول على سُمعة أدبي)) .

كان يُنظر لماري شيلي باعتبارها مؤلفة نجحت بسبب عمل واحد ، وليست كاتبة محترفة . حتى إن أعمالها لم تنتشر بشكل كبير ، وهذا أدَّى إلى تجاهل الكثير من إنجازاتها .

ويعتبر النقاد ماري شيلي واحدة من أهم الكُتَّاب الرومانسيين ، لِمَا قدَّمته من إنجازات ، وإعطائها صوتًا سياسيًا للمرأة المتحررة .

ماريو فارغاس يوسا والليبرالية اليمينية

وُلد الروائي والسياسي البيروفي _ الإسباني ماريو فارغاس يوسا (١٩٣٦ _ ...) لأسرة من الطبقة المتوسطة ، في مدينة أريكويبا في جنوب البيرو .

في عام ١٩٥٣ ، التحق يوسا بجامعة ليما الوطنية لدراسة القانون والأدب . وبدأ مسيرته الأدبية بجدية عام ١٩٥٧ ، مع نشر أول قصصه القصيرة " الزعماء " . وبعد تخرُّجه من الجامعة عام ١٩٥٨ ، حصل على منحة للدراسة في جامعة كومبلوتنس في مدريد .

برز في عالم الأدب بعد نشر روايته الأولى " المدينة والكلاب " التي نال عليها جوائز عديدة منها : جائزة "بيليوتيكيا بريفي" (١٩٦٣) ، وجائزة " النقد " (١٩٩٨) . وقد تُرجمت إلى أكثر من عشرين لغة. وتناالت أعماله الروائية، وتعددت الجوائز التي حصل عليها، وقد كان من أشهرها حصوله على جائزة ثيريانتس للآداب (١٩٩٤)، والتي تُعدُّ أهم جائزة للآداب الناطقة بالإسبانية. وهو أول روائي من البيرو ينال شهرة عالمية .

يتناول يوسا غالبًا قضايا العنف والفساد السياسي في المجتمع البيروفي ، ويستخدم أساليب تجريبية تتضمن خطوطًا بيانية متمازجة ، وأطرًا تُحرِّك الوقت ، ووجهات نظر عديدة ، يُعبّر عن موضوعاته، وتكشف الكثير من رواياته عن مهاراته قَصَّاصًا . وقد حصل على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠١٠ ، " لرسمه خرائط بُنى السُّلطة ولتصويراته المتممَّة لمقاومة الفرد وثورته وانهزامه " .

تكشف أولى روايات يوسا " عصر البطل " (١٩٦٣) موضوع الظلم من خلال حكاية سرقة وجريمة اغتيال في أكاديمية عسكرية . وتفحص رواية " البيت الأخضر " (١٩٦٦) الصراعات بين طبقات البيرو الاقتصادية ، وجماعاتها العرقية والإقليمية .

وفي " محادثة في الكاتدرائية " (١٩٦٩) ، يكشف يوسا عن النفاق والفساد في السياسة والأعمال البيروفية . و"حرب نهاية العالم" (١٩٨١) رواية تاريخية حول الثورة في البرازيل .

يُعتبَر يوسا واحدًا من أكثر الكُتَّاب تأثيرًا وأهميةً في أمريكا اللاتينية . وهو يَكتب بكثافة عبر مجموعة من الأنواع الأدبية ، بما في ذلك النقد الأدبي والصحافة . وتشمل رواياته الكوميديا ، وأسرار القتل ، والروايات التاريخية ، والإثارة السياسية . في مقالاته ، قدَّم يوسا انتقادات كثيرة للقومية في أجزاء مختلفة من العالم . وكان التغيير الحقيقي في حياته المهنية ، انتقاله من الأسلوب والنهج المرتبط بالحادثة الأدبية ، إلى ما بعد الحادثة.

ومثل العديد من الكُتّاب في أمريكا اللاتينية ، كان يوسا ناشطاً سياسياً طوال حياته . وانتقل تدريجياً من اليسار السياسي نحو الليبرالية اليمينية .

وفي البداية دعم الحكومة الثورية الكوبية بقيادة فيدل كاسترو ، وكان قد درس الماركسية بعمق كطالب جامعي ، واقتنع بالمُثل الشيوعية بعد نجاح الثورة الكوبية . وفي وقت لاحق ، أصبح يوسا رافضاً لسياسات كاسترو ، واعتبر أن الاشتراكية لا تتفق مع الحريات العامة .

ترشّح يوسا للرئاسة البيروفية عام ١٩٩٠ ، مع ائتلاف جبهة الديمقراطية اليمينية الوسطى ، داعياً إلى الإصلاحات الليبرالية الكلاسيكية ، لكنه خسر الانتخابات أمام ألبرتو فوجيموري .

يشتمل أسلوب يوسا على المواد التاريخية وتجاربه الشخصية . وكثيراً ما يستخدم كتاباته لتحدي أوجه القصور في المجتمع ، مثل الإحباط ، واضطهاد السلطة السياسية للذين يتحدونها ، وأيضاً ، يبرز موضوع نضال الفرد من أجل الحرية ضمن واقع قمعي ، وضرورة احترام الحقوق الأساسية للفرد والجماعة .

بحث يوسا عن هياكل السرد الجديدة، والتقنيات الحديثة، من أجل رسم تجربة أكثر عصرية ، مُتعددة الأوجه من البيرو . كما بحث عن أسلوب يختلف عن الأوصاف التقليدية للأرض والحياة الريفية .

إن يوسا يعتبر الروائي الأمريكي وليام فوكنر هو الروائي المفضل بالنسبة إليه ، والأكثر تأثيراً في مسيرته في الكتابة ، والكاتب الذي أتقن أساليب الرواية الحديثة . حيث إن كتاباته تشتمل على تغييرات مُعقّدة في الوقت والسرد .

ماكس شيلر وفكرة السلام الأبدي

وُلد الفيلسوف الألماني ماكس شيلر (١٨٧٤ _ ١٩٢٨) في ميونخ بألمانيا . كان والده لوثرًا ، ووالدته أرثوذكسية يهودية ، وكمراهق ، انعطف إلى الكاثوليكية ، ربما بسبب مفهومها عن الحب . حوالي عام ١٩٢١ أصبح _ على نحو متزايد _ حياديًا .

درس شيلر الطب في ميونخ وبرلين كما درس الفلسفة وعلم الاجتماع في عام ١٨٩٥ . حصل على الدكتوراة في عام ١٨٩٧ ، وعمل كأستاذ مساعد (تأهيل الأطروحة) عام ١٨٩٩ في جامعة بينا . كان مُشرفه رودلف أوكن (الحائز على جائزة نوبل للآداب ١٩٠٨) . وطوال حياته، أبدى شيلر اهتمامًا قويًا بالفلسفة البراغماتية الأمريكية .

في عام ١٩٠٢ ، التقى الفيلسوف الفينومينولوجي إدموند هوسرل . لكنه لم يكن طالبًا أو تلميذًا لدى هوسرل . وعمومًا ، استمرت علاقتهما متوترة .

كان شيلر حاسمًا في رسالة الماجستير تحت عنوان " التحقيقات المنطقية " (١٩٠٠ _ ١٩٠١) . وقال إنه أيدَ تحفظات هايدغر في " الوجود والزمان " الذي التقاه أيضًا في أوقات مختلفة . ومع ذلك بعد وفاة شيلر ، لاحظَ هايدغر " أن جميع فلاسفة القرن الآخرين مدينون لشيلر " ، ورأى الكثيرون في موت شيلر المفاجئ " خسارة لا تُعوّض للفكر الأوروبي .

في الفترة (١٩٠٧ _ ١٩١٠) درّس في جامعة ميونخ . وانضمَّ إلى دائرة علم الظواهر، وأُلقيَ القبض عليه بطريقة ظالمة بسبب أمور شخصية بين الجامعة الكاثوليكية ووسائل الاعلام المحلية الاشتراكية ، ممَّا أدى إلى فقدان منصبه في التدريس في ميونخ عام ١٩١٠ .

في الفترة (١٩١٠ _ ١٩١١) حاضرَ شيلر في الجمعية الفلسفية في غوتنغن، حيث أدلى بآخر أفكاره وأحدث معارفه هناك . وعن غير قصد أثّرَ شيلر في الأوساط الكاثوليكية حتى يومنا هذا ، بما في ذلك تلميذته إديث شتاين والبابا يوحنا بولس الثاني الذي كتب أطروحته الافتتاحية ومقالات عديدة عن فلسفة شيلر .

انتهى زواج شيلر الأول بالطلاق ، فتزوَّج للمرة الثانية في عام ١٩١٢ . وخلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ _ ١٩١٨) ، كان مُجنَّدًا ، ولكنه أُعفيَ من التجنيد بسبب مرض في عينيه . وفي عام ١٩١٩ ، أصبح أستاذًا للفلسفة وعلم الاجتماع في جامعة كولونيا . ومكث هناك حتى عام ١٩٢٨ . وفي مطلع ذلك العام ، قَبِلَ وظيفة جديدة في جامعة فرانكفورت .

في عام ١٩٢٧، في مؤتمر في دارمشتات قُرب فرانكفورت ، ألقى شيلر محاضرةً مُطوّلة ، نُشرت لاحقًا في شكل مختصر بعنوان " مكانة الإنسان في الكون". وكان معروفًا بأسلوب الخطابة، وكانت رسائله تأسر جمهوره لمدة أربع ساعات ! .

قُرب نهاية حياته ، وُجّهت له عدة دعوات ، من الصين والهند واليابان وروسيا والولايات المتحدة . ومع ذلك ، بناءً على نصيحة من طبيبه ، اضطر إلى إلغائها .

رُكّز شيلر بصورة متزايدة على التنمية السياسية . وكان الباحث الوحيد بين المثقفين الألمان الذين حذّروا في وقت مبكر ، وفي خطب عامة ، من مخاطر تنامي الحركة النازية والماركسية . كانت مواضيع الخطابات التي ألقاها في برلين عام ١٩٢٧ ، تتحدث عن السياسة والأخلاق، وفكرة السلام الأبدي ومبدأ السلام . وتحليلاته عن الرأسمالية كشفت _ وَفُقَ حساباته _ أنها توجّه عقلي للنمو على الصعيد العالمي بدلاً من كونها نظامًا اقتصاديًا . ومع ذلك ، تظهر جذورها في العصر الحديث في اللاوعي ، حيث القلق واللهفة التي يُعبّر عنها في الاحتياجات المتزايدة للمال، والحماية والضمانات الشخصية ، فضلاً عن الإدارة الرشيدة للوجود . ومع ذلك ، فإن تبعية قيمة الفرد لهذا الاتجاه العقلي كان سببًا كافيًا لشيلر ، لشجبها والتنبؤ بحقبة جديدة من الثقافة والقيم ، وهو ما يُسمّى بـ " العصر العالمي للتكيف " .

دعا شيلر أيضًا إلى قيام جامعة دولية تنشأ في سويسرا . وفي ذلك الوقت كان يدعم برامج مثل "التعليم المستدام" ، وعلى ما يبدو أنه أول من دعا إلى " الولايات المتحدة الأوروبية". وأعرب عن أسفه للفجوة الموجودة بين القوة والعقل في ألمانيا ، واعتبر أن الفجوة قد تكون مصدرًا للدكتاتورية وشيكة ، وأكبر عقبة لإرساء الديمقراطية الألمانية . وبعد خمس سنوات من وفاته ، طُمست النازية الدكتاتورية (١٩٣٣ _ ١٩٤٥) عمل شيلر .

من أبرز أعماله: الحرب والبناء (١٩١٦). أسباب الكراهية الألمانية (١٩١٧). طبيعة وأشكال التعاطف (١٩٢٣). كتابات في علم الاجتماع وفلسفة العالم "ثلاثة مجلدات" (١٩٢٣ _ ١٩٢٤).

ماكس فيبر والأخلاق البروتستانتية

وُلد عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر (١٨٦٤ - ١٩٢٠) في مدينة إرفورت في ألمانيا ، في وسط عائلي بروتستانتي من الطبقة الثرية . عائلته كانت كبيرة وتحوي صناعيين مختصين بالنسيج ، بالإضافة إلى موظفين كبار وأساتذة جامعيين . وكان والده أحد الأعضاء المهمين في الحزب القومي الليبرالي ، وهو حزب المثقفين والطبقة البرجوازية .

نشأ فيبر في بيت علم وسياسة وفكر . ومنذ شبابه الباكر راح يقرأ كبار الفلاسفة من أمثال ماركس، ونيتشه، وهيغل، وكانت . كان قارئاً نهماً يحب المطالعة كثيراً . أحبَّ التاريخ، والفلسفة، وعلم اللاهوت، والجماليات. ثمَّ واصلَ دروسه في كلية الحقوق والاقتصاد، وراح يُحضّر أطروحة جامعية عن المجتمعات التجارية في القرون الوسطى . وبعد أن ناقش هذه الأطروحة أمام كبار الأساتذة ، وبحضور حشد من الطلاب، منحوه شهادة الدكتوراة بدرجة الشرف الأولى. وبدءاً من ذلك الوقت راحوا ينظرون إليه على أنه أحد كبار علماء الاجتماع. ثم عيّنوه أستاذًا في جامعة فرايبورغ أولاً (١٨٩٤)، وجامعة هايدلبرغ ثانيًا (١٨٩٦)، حيث درّس علم الاقتصاد السياسي. عانى من انهيار نفسي في عام ١٨٩٨ ، أدى إلى انسحابه من التدريس الأكاديمي ، إلا أن ذلك الانسحاب لم يؤثّر على تدفق كتاباته ، وغزارة إنتاجه الفكري .

الفكرة الموحّدة لديه كانت التركيز على العلاقة المتبادلة بين التشكيلات القانونية والسياسية والثقافية في جانب، والنشاط الاقتصادي في الجانب الآخر. وفي عام ١٩٠٤ أسّس مجلةً سيكون لها دور في تطوير نظريات علم الاجتماع لاحقًا ، وكان عنوانها " أرشيفات العلوم الاجتماعية والعلوم السياسية " . ثمَّ شارك عام ١٩١٠ في تأسيس الرابطة الألمانية لعلم الاجتماع . وبعدئذٍ ، انخرط في العمل السياسي المحض ، وأصبح مُعارضًا سياسيًا للإمبراطور غليوم الثاني ، وعُضْوًا فاعلاً في الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني . شارك بعد الحرب العالمية الأولى كعضو في الوفد الألماني إلى مؤتمر السلام الذي انعقد في فرساي عام ١٩١٩ . وقد طلبت منه السلطات بعدئذٍ بلُورَة دستور جديد للجمهورية الألمانية . ثمَّ قدّموا له كرسي علم الاجتماع في جامعة ميونخ عام ١٩١٨ . ولكنه مات بشكل مفاجئ عام ١٩٢٠ .

لم يحترف فيبر علم الاجتماع إلا قبل وفاته بعامين، وقد تُوفّي قبل أن يُتم كتابه الأساسي الذي يدخل في ميدان النظرية الاجتماعية ، وهو " الاقتصاد والمجتمع " ، لذلك كانت إحدى

المهام الصعبة في عام ١٩٢٢ ، هي جمع شتات هذا المؤلف بعد أن تركها فيبر في صورتها المبدئية . وهكذا لم يصل إلى الستين من العمر ، ولكنه ترك بصماته الكبرى على علم الاجتماع ، وأصبح أحد كبار الثلاثة المؤسسين له ، أي : كارل ماركس ، إميل دوركايم ، ماكس فيبر .

كانت دراسات فيبر الأولى عن شركات التجارة في العصور الوسطى ، والمجتمعات الزراعية لروما وأوروبا الغربية ، وعن سوق الأوراق المالية في ألمانيا . لكن اهتمامه بالدين قاده إلى إجراء دراسات مُعمّقة في الديانات البوذية ، والكونفوشية ، والهندوسية ، والتاوية ، واليهودية القديمة ، فقام بقيم هذه الديانات بالمسيحية الأوروبية ، ولاحظ أن البروتستانتية وخاصة الكالفينية تُشجّع المبادرات الفردية واكتناز رأس المال ، وبذلك يفتتح الفرد أنه بتحقيق النجاح الاقتصادي يحظى بحب الله . كوّنت هذه الفكرة أساس كتابه الشهير "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" (١٩٠٥) . وقد أشار فيه إلى أن الدين عامل غير حصري في تطوّر الثقافة في المجتمعات الغربية والشرقية ، وكيف أن الأخلاق البروتستانتية ساعدت في تكوين الرأسمالية الجديدة ، وأن البروتستانت أغنى من الكاثوليك . وفي عمله الشهير أيضًا "السياسة كمهنة" عرّف الدولة على أنها الكيان الذي يحتكر الاستعمال الشرعي للقوة الطبيعية . وأصبح هذا التعريف محورًا في دراسة علم السياسة . ميّز فيبر بين ثلاثة نماذج مثالية للسلطة ، تعتمد على تصوّرات مختلفة للشرعية ، هي : السلطة المُلهَمة (الكاريزما) ، والسلطة التقليدية ، والسلطة القانونية . اشتهر فيبر بأنه أحد المفكرين الذين انهمكوا في تحليل ظاهرة الحداثة وكيفية نشوئها وتشكلها وسيطرتها على المجتمعات الصناعية المتقدمة . ولذلك فإن أي مثقف معاصر يريد أن يتحدث عن الحداثة ، مُضطر للعودة إلى ما كتبه فيبر عنها من نظريات وأطروحات . والسؤال الذي كان يطرحه فيبر هو : لماذا ظهرت الحداثة العلمية والتكنولوجية والبيروقراطية في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية فقط ؟ . بمعنى آخر : لماذا تطوّرت العقلانية في هذه المنطقة من العالم أكثر ممّا حصل في سواها ؟ . والحداثة تعني عقلنة العالم ، أي دراسته بشكل علمي ، موضوعي ، عقلائي ، لا بشكل غيبي . وهنا يكمن الفرق بين مجتمعات الحداثة والمجتمعات التقليدية . فهذه الأخيرة تُسيطر عليها الرؤيا القديمة المليئة بالخرافات والأساطير . ثم جاءت الحداثة فتبخّرت كل هذه الأساطير والخرافات .

ووفقًا لمنظور فيبر وتعريفه للفعل الاجتماعي ، لا بُد من فهم السلوك الاجتماعي أو الظواهر الاجتماعية على مستويين ، المستوى الأول أن نفهم الفعل الاجتماعي على مستوى الأفراد أنفسهم ، أمّا المستوى الثاني فهو أن نفهم هذا الفعل الاجتماعي على المستوى الجمعي بين الجماعات .

ماكس هوركهايمر والدور النقدي للنظرية

وُلد الفيلسوف الألماني ماكس هوركهايمر (١٨٩٥ - ١٩٧٣) في مقاطعة زوفنهاوزن في شتوتغارت ، التي كانت في ذلك الوقت عاصمة مملكة وِيرتنبيرغ ضمن الإمبراطورية الألمانية ، وهو الابن الوحيد لعائلة يهودية أرثوذكسية .

بضغوطات من والده الذي أراد له أن يُشرف على أعمال الأسرة ، ترك هوركهايمر المدرسة الثانوية في سن السادسة عشرة ، وعمل في مصنع والده ، ثم ترك العمل مع اندلاع الحرب العالمية الأولى . التحق عَقِب الحرب العالمية الأولى بجامعة ميونخ حيث دراسة الفلسفة وعلم النفس . بعد الجامعة انتقل هوركهايمر إلى فرانكفورت حيث درس تحت إشراف هانز كورنيليوس ، وهناك التقى بـ تيودور أدورنو الذي سيقم معه علاقة صداقة دائمة وتعاون مشر .

في عام ١٩٢٢ ، نال درجة الأستاذية عن أطروحة عن فكر الفيلسوف كانت ، تحت إشراف هانز كورنيليوس . وتم تعيينه أستاذًا مشاركًا بالجامعة في العام التالي .

تمَّ انتخاب هوركهايمر لإدارة معهد البحوث الاجتماعية بعد أن غادره كارل غرونبرغ في عام ١٩٣٠ ، وفي السنة ذاتها شغل هوركهايمر كرسي الفلسفة الاجتماعية بجامعة فرانكفورت ، وفي السنة التالية بدأ إصدار دورية معهد البحوث الاجتماعية التي ترأس هوركهايمر تحريرها .

ترأس هوركهايمر معهد العلوم الاجتماعية بجامعة فرانكفورت في عام ١٩٣١ ، الذي كان يهتم في بداية تأسيسه بالدراسات العُمالية، خصوصًا تاريخ الطبقة العاملة في ألمانيا، وقد أسهم هوركهايمر إلى جانب أدورنو في إعادة توجيه سياسة المعهد واهتماماته البحثية بحيث بدأ يُرَكِّز على الفلسفة الاجتماعية ونظرية النقد الاجتماعي ، وساهم هوركهايمر في رسم المسار الفكري للمعهد باقتراح برنامج أبحاث مشتركة مُوجَّهة تجاه شريحة اجتماعية مُعيَّنة (الطبقة العاملة) ممَّا سيؤدِّي إلى تسليط الضوء على مشكلة العلاقة بين التاريخ والمنطق . وهدف المعهد إلى دمج أفكار ماركس وفرويد . وقد حاولت مدرسة فرانكفورت صنع توليفة من الأبنية المفاهيمية للمادية التاريخية والتحليل النفسي .

طُرِد هوركهايمر من عمله في جامعة فرانكفورت بعد وصول هتلر للحكم في ألمانيا . وقام النظام النازي بسحب شهادة التأهيل لدرجة الأستاذية منه بسبب الطبيعة الماركسية لأفكار معهد فرانكفورت ، بالإضافة لِكُون كثير من أعضاء مدرسة فرانكفورت من أصول يهودية .

نتيجةً لذلك أُغلقَ المركز موقعه في ألمانيا في عام ١٩٣٨ . هاجر هوركهايمر إلى سويسرا ، ومنها إلى الولايات المتحدة في العام التالي ، وهناك التقى بمدير جامعة كولومبيا ليعرض عليه استضافة المعهد . وقد وافق المدير على استضافة المعهد ، ومنح هوركهايمر مبنى ليشغله المعهد . في عام ١٩٤٠ ، انتقل هوركهايمر إلى لوس أنجلوس _ كاليفورنيا ، ليلتقي أدورنو ، وقد أثمر تعاونهما عن كتاب " جدل التنوير " (١٩٤٧) .

في السنوات التالية لم ينشر هوركهايمر الكثير ، ولكنه استمر في تحرير دراسات في الفلسفة ، والعلوم الاجتماعية لدورية معهد البحوث الاجتماعية .

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، عاد إلى ألمانيا وأعاد فتح معهد العلوم الاجتماعية عام ١٩٥٠ . وخلال الفترة (١٩٥١ _ ١٩٥٣) شغل منصب رئيس جامعة فرانكفورت ، وتنحى عن رئاسة معهد البحوث الاجتماعية ، وأخذ موقعاً أصغر في المؤسسة ، بينما شغل أدورنو موقع الرئيس . ويُنظر إلى هوركهايمر كأحد أكثر رؤساء المعهد تأثيراً .

واصل التدريس في جامعة فرانكفورت حتى تقاعده في منتصف الستينيات من القرن العشرين . عاد إلى الولايات المتحدة في عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٩ ، ليلقي المحاضرات كأستاذ زائر في جامعة شيكاغو . تُوفي في عام ١٩٧٣ ، ودُفن في مقبرة اليهود في بيرن بسويسرا . اشتُهر هوركهايمر بجهوده في النظرية النقدية كعضو في مدرسة فرانكفورت الفلسفية للأبحاث الاجتماعية .

يدور فكر هوركهايمر حول ما يُسميه " الدور النقدي للنظرية " ، فالنظرية في تصوّره تقوم دائماً بتوجيه النقد للأيدولوجيا لصالح المجتمع الحر العقلاني ، إذ إنها تأخذ موقف النفي من الواقع الاجتماعي القائم، وتُحاول أن تُبلور الاحتياجات الكامنة لدى الجماهير، والتي لا يتأتى لها الإفصاح عنها . فالفكر الأيدولوجي ليس منفصلاً عن الواقع الاجتماعي المادي، بل هو متواطئ دائماً مع المؤسسات الاجتماعية القمعية .

ويُبين هوركهايمر في كتابه " كسوف العقل " أن الفلسفات الإجرائية (الوضعية البراغماتية العلمية) ما هي إلا تعبير عن العقل الأداتي ، ولا يمكنها أن تُوصِل إلى الحقيقة أو القيمة أو العقل الحقيقي (العقل النقدي) .

من أبرز أعماله : السُلطة والأسرة (١٩٣٦) . النظرية التقليدية والنقدية (١٩٣٧) . كسوف العقل (١٩٤٧) . نقد العقل الآلي (١٩٦٧) . النظرية النقدية / مقالات مختارة (١٩٧٢) .

مُرسيا إِيَاد وتاريخ الأديان

وُلد الفيلسوف ومؤرّخ الأديان الروماني مُرسيا إِيَاد (١٩٠٧ - ١٩٨٦) في بوخارست . تلقى تعليمه في جامعتها حتى حصل على الماجستير عام ١٩٢٨ . واستطاع أن يحصل من أحد المهرجات على منحة لدراسة اللغة السنسكريتية والفلسفة الهندية (١٩٢٨ - ١٩٣١) في جامعة كلكتا . انتقل بعدها ليعيش لمدة ستة شهور في صومعة أحد النُسّاك في قمة جبال الهيمالايا ، حتى يمرر بالتجربة الدينية الصوفية العميقة التي يعيشها رجال الدين من المتصوّفة والزهاد هناك ، ويجمع بذلك بين الدراسة النظرية والحياة العملية التي تقوم على الممارسة الفعلية .

وحين عاد إلى رومانيا ، حصل في عام ١٩٣٣ على الدكتوراة برسالة عن " اليوجا ، مقال في أصل أسرار التصوف الهندي " . وقد عُيّن بعد ذلك في الجامعة لتدريس تاريخ الأديان والفلسفة الهندية .

وحين قامت الحرب العالمية الثانية عمل ملحقًا ثقافيًا لبلاده في لندن ثم في لشبونة ، فلمّا انتهت الحرب انتقل كي يعيش في باريس ، وعمل أستاذًا زائرًا في مدرسة الدراسات العليا بالسوربون ، إلى أن انتقل إلى جامعة شيكاغو عام ١٩٥٧ ، ليشغل وظيفة أستاذ لتاريخ الأديان .

ومنذ ذلك الحين حتى وفاته كرّس كل وقته وجهده للدراسة والكتابة والتأليف والمشاركة في تأسيس المجالات والدوريات المتخصصة في تاريخ الأديان وفلسفة الدين . وغطى إنتاجه الغزير كثيرًا من مجالات البحث التي كان يعالجها كلّها من موقف محدّد يقوم أساسًا على تجربته الدينية الذاتية . له مؤلفات في أدب الخيال وأدب الرحلات والسير الذاتية، وتاريخ الأديان وفلسفة الأديان . كما كان مترجمًا رائدًا في التجربة الدينية ، حيث أسّس نماذج في الدراسات الدينية استمرت حتى يومنا هذا . ومن أهم إسهاماته تأثيرًا في مجال الدراسات الدينية نظريته " العودة " .

كان إِيَاد في وقت مبكر من حياته، صحفيًا وكاتب مقالات ، وتلميذًا للفيلسوف الروماني المتطرف والصحفي ناي أونيسكو ، وعضوًا في معاهد المجتمع الأدبي . وخلال أواخر الثلاثينيات، أعرب إِيَاد علنًا عن دعمه للحرس الحديدي ، وهي منظمة سياسية فاشية ولا سامية . وكثيرًا ما انتقدت مشاركته السياسية في ذلك الوقت، فضلًا عن اتصالاته اليمينية الأخرى بعد الحرب العالمية الثانية . يتمتع إِيَاد بقدرة هائلة على تعلم اللغات ، حيث كان يتقن خمس لغات (الرومانية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإنجليزية)، بالإضافة إلى معرفة القراءة بثلاث لغات أخرى (العبرية والفارسية والسنسكريتية) .

كان لإلياد منهج خاص في قراءة الدين والظواهر الدينية ، وكان نهجه جديداً . فقد اعتقد أن الرمزية الدينية أفضل تجليات الإبداع الإنساني في تجاوبه مع هبة الوجود وعظمته التي لا يُدرك قرارها . كما يذهب إلى أن الأساطير القديمة لها حُكم الصور الأزلية أو الأعيان الثابتة ، لذلك لا تزال ذات نفوذ كبير في عقل الإنسان المعاصر .

ويؤمن إلياد بأن البحث في تاريخ الأديان والغوص في هذا التراث الإنساني الضخم يُؤلّد في نفس الباحث محبةً للنوع الإنساني أوسع وأعمق ممّا تدعو إليه إنسانية الغرب غير الدينية . كتب إلياد في مقدمته لموسوعة الدين : ((تاريخ الأديان يكشف لنا عن مسيرة وسيرة الإنسان في تعاويه مع المقدّس ، أي تلك الظاهرة الشاملة التي تتجلى بصور مختلفة)) . ويمكن توصيف منهج إلياد بأنه تلفيق ذو وجوه متعددة ، وخليط من الأنثروبولوجيا وظواهرية هوسرل والنبوية ، والتأويل أو الهرمنيوطيقا .

والثابت الأساسي في أعمال إلياد هو اعتباره المقدّس _ وهو الجوهر المشترك لكل تجليات الحياة والثقافة الدينية _ أمراً أصيلاً وبسيطاً وواحدًا ، لا يقبل الاختزال إلى معارف وتجارب أخرى . قام إلياد في سيرته الذاتية " الرحيل إلى الشرق ، الرحيل إلى الغرب " بتلخيص موقفه من الحياة والمجتمع ، ووضّح نظريته إلى الوجود ، وبيّن فلسفته في الحياة ، فهو يقول في الجزء الأول من سيرته : ((لقد كان مُقدّراً لي أن أحيا حياة تقوم على المفارقات والمتناقضات ، التناقض مع نفسي ومع العصر الذي عشت فيه . وكانت هذه المفارقة هي التي اضطرتني إلى أن أعيش في وقت واحد داخل التاريخ ، وفيما وراء الأحداث ذاتها ، وأن أشغل نفسي بمشكلات وموضوعات تبدو في ظاهرها قديمة وبالية وتخطاها الزمن ، في الوقت الذي أحرص فيه على التمسك بأسلوب الحياة السائد في رومانيا (بلده الأصلي) ، حتى حين كنت أعيش في عوالم وبلاد غريبة وعجيبة ونائية)) .

مكسيم رودنسون ودعم الحق الفلسطيني

وُلد المؤرّخ وعالم الاجتماع الفرنسي مكسيم رودنسون (١٩١٥ - ٢٠٠٤) في باريس ، وتُوفّي في مرسيليا . كان والداه من المهاجرين اليهود الروس البولنديين عرقياً الذين كانوا أعضاء في الحزب الشيوعي . وصلوا إلى فرنسا في نهاية القرن التاسع عشر كلاجئين وفارين من مذابح في الإمبراطورية الروسية . والده كان تاجرًا للملابس ، وقد أقام مشروعًا تجاريًا لصنع الملابس المضادة للماء . وحاول حشد النقابات ، وتنظيم الخدمات التعليمية وغيرها للمهاجرين من الطبقة العاملة . كان والداه مُنتسبين إلى الحزب الشيوعي الفرنسي مُنذ تأسيسه سنة ١٩٢٠ ، وتم اعتقالهما من طرف الجيش الألماني ، وترحيلهما إلى بولونيا . وقد يكون ذلك من أسباب انخراطه لاحقًا في الحزب الشيوعي الفرنسي . درس رودنسون في المدارس الحكومية في باريس ، وانتسب عام ١٩٣٧ إلى المركز الوطني للبحوث ، وأحرز طوال دراسته عدّة شهادات جامعية ، منها شهادة في اللغات الشرقية ، وأخرى في علم الاجتماع ، كما نال شهادة الدكتوراة في الأدب . كان مولعًا باللغات ، ويتقن لغات كثيرة بين قديمة وحديثة . هذا فضلاً عن معرفته بلهجات عربية عدّة اكتسبها خلال تجربته في عدد من البلدان العربية خلال الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان ، حيث أمضى قرابة سبع سنوات في الجيش الفرنسي (١٩٤٠ - ١٩٤٧) . أمضاها في القيام بعدة مهام ذات صبغة اجتماعية ، فقد عمل مُعلِّمًا بِصِداً ، وكُلّف إثر انتقاله إلى بيروت بالإشراف على مكتبة بعثة الآثار الفرنسية الدائمة في المشرق ، وقام برحلات كثيرة إلى لبنان وفلسطين والأردن وسوريا والعراق ، وهو ما أتاح له فرصة الاطلاع على خصائص الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعقائدية .

أصبح رودنسون معروفًا في فرنسا عندما أظهر معارضة حادة ضد الكيان الصهيوني . وقد عارض على وجه الخصوص سياسة الاستيطان للدولة اليهودية .

وبما أنه من أصول دينية يهودية ، ويعمل في مجال الاستشراق ، فقد اهتم مبكرًا بقضايا المنطقة العربية ، وخصوصًا الصراع العربي - الصهيوني . وكان يروي أن والده اليساريين كانا مُناهضين للحركة الصهيونية ، التي كانت تلقى معارضة واسعة في أوساط اليهود في أوروبا الغربية في الثلث الأول من القرن العشرين ، لأسباب متعددة ، منها الانتماءات اليسارية والإنسانية بالنسبة للبعض ، والرغبة في تدعيم الاندماج في مجتمعات الغرب الأوروبي وعدم الظهور كأصحاب مشروع

خارجي بالنسبة للبعض الآخر، أو الخلفيات الدينية التي كانت ترى في المشروع السياسي الصهيوني تعارضاً مع المفاهيم الدينية التقليدية (وهو الموقف الذي ما زالت تُعبّر عنه تيارات يهودية دينية مثل جماعة ناطوري كارتا، التي ترفض، حتى الآن، الاعتراف بوجود ومشروعية دولة إسرائيل، حتى بالنسبة لأعضائها المقيمين في القدس الغربية) .

كان رودنسون يحمل أفكاراً أممية وإنسانية . ورغم تركيزه على العمل البحثي الفكري، لم يكن ليبقى بمنأى عن تحديد المواقف تجاه قضايا العصر الحارة، من حرب التحرير الجزائرية، التي ناصرها، إلى الصراع العربي - الصهيوني ، الذي اتخذ منه موقفاً مبدئياً داعماً لحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية ، مع حرص شديد على استقلالته الفكرية الشخصية. أي تفادي الظهور بمظهر "العميل للعرب" في مواجهته الفكرية للصهيونية. كما كان يحرص على أممية وإنسانية الحل المنشود للصراع الفلسطيني والعربي الصهيوني .

انضم رودنسون إلى الحزب الشيوعي الفرنسي في عام ١٩٣٧ " لأسباب أخلاقية " . تحوّل في وقت لاحق بعيداً بعد انجراف الحزب إلى الستالينية . وتم طرده من الحزب في عام ١٩٥٨ . كان رودنسون قد وجّه انتقادات مبكرة وعنيفة للحركة الصهيونية، ومحاولة اختطافها لليهودية والدعوة باسمها، كذلك انتقد بشدة حركة التحرر الفلسطينية ، إلا أنه أظهر دعماً مستمراً للمطالب الفلسطينية .

يقول رودنسون في كتابه " أوروبا وسحر الإسلام " عن العلاقة العاطفية التي جمعتة بالإسلام والمسلمين : ((كَرَسْتُ سنوات طويلة من عُمري لدراسة الإسلام، والتاريخ الإسلامي، والشعوب الإسلامية، وفي الوقت نفسه كنتُ شغوفاً بالطريقة التي تُعامل بها الشعوب الأوروبية _ بخاصة الباحثين منهم _ الشعوب الإسلامية)) .

من أبرز مؤلفاته: مباحث في فن الطبخ عند العرب (١٩٤٩) . محمد (١٩٦١) . الرأسمالية والإسلام (١٩٦٦) . الماركسية والعالم الإسلامي (١٩٧٢) . عَظَمَةُ الإسلام (١٩٨٠) .

تُرجمت جميع كُتبه إلى اللغة العربية عدا كتاب " محمد " .

مكسيم غوركي ورواية الأم

وُلِدَ الأديب الروسي مكسيم غوركي (١٨٦٨ - ١٩٣٦) في مدينة نجني نوفجراڊ . اسمه الحقيقي " ألكسي بيشكوف " . تُوفِّي أبوه النَجَّار وَلَمَّا يتجاوز الرابعة مِن عُمره، ثم تُوفِّيَت أمُّه بعد ست سنوات أخرى، فعاش سنوات طفولته في كنف جدِّه، حيث ذاق مرارة البؤس والحرمان ، وعرف معنى الإهانة والضرب. كانت جدُّته المصدر الوحيد لسعادته وفرحه في طفولته القاسية ، فغمزته بحنانها ، وغرست في نفسه حب الأشعار الشعبية الفولكلورية . تعني كلمة "غوركي" باللغة الروسية (المر) . وقد اختارها الكاتب لقباً مُستعاراً له من واقع المرارة التي كان يُعاني منها الشعب الروسي تحت الحُكم القيصري ، والتي شاهدها بعينه خلال المسيرة الطويلة التي قطعها بحثاً عن القُوت ، وانعكس هذا الواقع المرير بشكل واضح على كتاباته.

بدأ غوركي منذ سن العاشرة شق دربه الصعب الشائك في الحياة، فعمل حَمَلاً، وفلاحاً أجيّراً، وساحباً للمراكب، وأجيّراً في بقالة، وحارساً لَيْلياً، ومُساعد خَبَّاز. وفي سن التاسعة عشرة ، حاول أن يضع حَدّاً لحياته، فأطلق النار على نفسه، لكن الرصاصة اخترقت الرئة ، وأخطأت القلب . سافر غوركي في أنحاء روسيا ، وتعرَّف على حياة الشعب القاسية ، ورأى مُعاناة الشعب بأُم عينيه، وجمعَ كثيراً من المشاهدات والانطباعات التي كوَّنت مادة كثير من أعماله الأدبية اللاحقة. كتب غوركي القصص والأساطير، ونشرها في دوريات عدَّة. وتبقى روايته "الأم" (١٩٠٦) من أفضل أعماله ، وأوسعها شهرة ، فقد تُرجمَت إلى مختلف لغات العالم الحية ، وحَقَّقت شهرةً عالمية لغوركي . وفي هذه الرواية ، يرسم الكاتب للمرة الأولى في الأدب العالمي لوحةً بانورامية لنضال العُمال ضد النظام الجائر ، من أجل حياة مُشرقة ، خالية من الظلم والاستغلال .

ويبرز في الرواية عملية استيقاظ الوعي السياسي لدى الطبقة العاملة، طليعة الجماهير الشعبية وسندها القوي في مُقارعة النظام البرجوازي _ الإقطاعي ، وفي النضال من أجل تحقيق أهداف الثورة الاشتراكية . وقد شكَّلت الرواية _ مِن حيث عمق تصوير النضال الثوري _ ظاهرةً غير مسبوقة في الأدب العالمي كُله ، كما أسَّست مذهب " الواقعية الاشتراكية " . لذلك ، حاربتها السُلطات القيصرية التي سارعت إلى مصادرة النسخ وإتلافها ، ولم تصدر كاملةً إلا عام ١٩١٧ .

بعد رواية " الأم "، كتب غوركي ثلاثيته التي يتحدث فيها عن مسيرة حياته ، وتحمل عناوين: " الطفولة " (١٩١٣ - ١٩١٤) . " في الناس " (١٩١٦) . " جامعاتي " (١٩٢٣) .

وفي عام ١٩٢٥، صدرت رواية غوركي " مشروع آل أرتمون " التي تُبرز حقبة مهمة من تاريخ روسيا (١٨٦٣ _ ١٩١٧) ، من خلال تصوير حياة ثلاثة أجيال من أسرة آل أرتمون . صعودها وازدهارها ، وتدهورها ، وانهارها .

ثمَّ انكبَّ حتى وفاته على روايته الأخيرة " حياة كلیم سامغین " ، التي يرسم فيها لوحة للحياة الاجتماعية والروحية في روسيا منذ نهاية سبعينيات القرن التاسع عشر وصولاً إلى ثورة ١٩١٧ . وقد جاءت الروايتان الأخيرتان لتكشفا عن عيوب النظام الرأسمالي ، وتؤكد أن انتصار الثورة الاشتراكية آتٍ لا محالة .

يُعتبر مكسيم غوركي مؤسس الأدب السوفييتي ، ورائدًا للواقعية الاشتراكية التي تجسّد النظرة الماركسية للأدب ، حيث يرى أن الأدب مبني على النشاط الاقتصادي في نشأته ، ونُمُوّه ، وتطوّره ، وأنه يُؤثّر في المجتمع بقوته الخاصة ، لذلك ينبغي توظيفه في خدمة المجتمع . كان لأعماله تأثير كبير في كثير من الأدباء الذين عاصروه ، ليس في روسيا وحدها ، بل أيضًا خارج حدودها . وعلى الرغم من تفكك الاتحاد السوفييتي ، فلا يزال اسم غوركي يقترن بالاحترام والتقدير ، ولا تزال أعماله الروائية والمسرحية تحظى باهتمام جمهور عريض من القراء والمشاهدين . وقد اعتبرها الكثيرون رمزًا لنضال الطبقات الفقيرة والبشر المسحوقين .

كان غوركي صديقًا لـ لينين الذي التقاه عام 1905 . لكنه انتقد بعد ذلك الثورة ، ممّا جعل لينين يُرسل له رسالة يُهدّده فيها بالقتل ما لم يُغيّر من تصرفاته المضادة للثورة .

وفي عام 1934 ، وضعه ستالين تحت الإقامة الجبرية في منزله في موسكو . تُوفّي ابنه مكسيم بيشكوف عام 1935 ، ثمَّ تُوفّي هو في ١٨ يناير ١٩٣٦ في موسكو ، وسط شكوك بأنهما ماتا مسمومين .

والجدير بالذكر أن مدينة نجتي نوفجراد التي وُلد فيها ، سُمّيت باسمه " غوركي " خلال الفترة (١٩٣٢ _ ١٩٩٠) .

موريس شليك وتأسيس الوضعية المنطقية

وُلد الفيلسوف والفيزيائي الألماني اليهودي موريس شليك (١٨٨٢ _ ١٩٣٦) في برلين . وتعلّم في جامعتها. وعلم في جامعتي روستوك وكيل، قبل أن يُستدعى ليشغل كرسي الفلسفة بجامعة فيينا (١٩٢٢) . وقد استمرّ فيها حتى لقي مصرعه غيلةً على يد أحد الطلبة في فيينا .

درّس شليك بوصفه فيزيائياً مشكلات علم البصريات النظرية، وكان واحداً من أوائل مُفسّري نظرية النسبية . ويُسمّى بعضهم فلسفته قبل فيينا (١٩٢٢) بالواقعية النقدية التي تصف الأشياء وصف العلوم الطبيعية لها بعبارات مكانية زمانية، والمعرفة فيها هي العلم بالأشياء، ولا تكون الأشياء إلا من المعطيات الحسّية أو صور الذاكرة، أو الأفكار المتخيّلة، أو التصورات الرياضية عن الظواهر التجريدية . وقد توسّع شليك في نظريته بعد عام ١٩٢٢ بتأثير من فيتغنشتاين وكارناب، فطوّر مقولات فيتغنشتاين في " الرسالة المنطقية الفلسفية "، وعرض النظرية العامة للوضعية المنطقية (أو الوضعية المحدثة) في المعرفة، وجعل أساس هذه النظرية التمييز بين المنطوقات التجريبية (التركيبية القبلية) وبين قضايا العلم المنطقية (التحليلية) ، ونَدّد بالمسائل الكاذبة للميتافيزيقا .

وقد نأى في هذه المرحلة الجديدة بالفلسفة عن البحث في المشكلات التقليدية (الميتافيزيقا)، وجعل غاية الفلسفة التحقيق في البناء المنطقي للمعرفة العلمية، وذلك بتوضيح المصطلحات وتبيان استخداماتها المختلفة باختلاف سياقاتها، لذلك طوّر شليك لنفسه منهجاً فلسفياً تحليلياً ، يقوم أولاً على التثبيت من قواعد الاستخدام اللغوي للمصطلح قيّد البحث ، ثم على دراسة المعنى المقصود الذي يقصد إليه المصطلح عن طريق دراسة العبارات ، التي يُستخدم فيها، ومن ثمّ تأويل معنى المصطلح ، والتيقن من صدق التأويل بالقياس إلى معيار التحقق الذي قال به فيتغنشتاين، والذي بمقتضاه لا يكون التأويل صادقاً إلا إذا كان له صدى من الواقع، وبه لا يكون الشيء واقعاً إلا إذا كان من الممكن اختياره وقياسه . ولذلك يرى شليك أن مناط العلم هو قوام الخبرة أو التجربة وليس محتواها . واهتم شليك أيضاً بمسائل علم الجمال وعلم الأخلاق، فطبّق منهجه التحليلي على مسائل الأخلاق، وجعل القيم الأخلاقية نسبية، وقال بمبدأ جديد ينادي بالسعادة غاية للفعل.

اشتهر شليك بكونه مؤسس الوضعية المنطقية ، ومؤسس " جماعة فيينا " .

والوضعية المنطقية (وتُعرف أيضًا بالتجريبية الوضعية أو الوضعية الجديدة) ، هي حركة فلسفية ظهرت في النمسا وألمانيا في العقد الثاني من القرن العشرين .

تُعنى هذه الحركة الفلسفية بتحليل المنطقي للمعرفة العلمية ، حيث تُؤكّد أن المقولات الميتافيزيقية، أو الدينية، أو القِيَمية، فارغة من أي معنى إدراكي، بالتالي، لا تعدو عن كونها تعبيرًا عن مشاعر أو رغبات . إذًا، المقولات الرياضية المنطقية والطبيعية فقط هي ذات معنى مُحدّد .

وكان لنظرية آينشتاين النسبية تأثير كبير على أصول الوضعية المنطقية. عُني فلاسفة الوضعية المنطقية في تبيان الأهمية الفلسفية لنظرية النسبية . وفي عامي ١٩١٥ و ١٩١٧ كتب شليك مقاليتين عن النسبية . بالإضافة إلى ذلك ، فإن ميكانيكا الكم كانت موضوعًا رئيسيًا في التحقيقات الفلسفية لهذه الحركة ، ونُشرت أعمال لشليك عن ميكانيكا الكم . كما كان للتطورات في المنطق الصوري أثر على الوضعية المنطقية

ومن وجهة نظر الوضعية المنطقية ، فإن كل المقولات ذات المعنى يمكن تقسيمها إلى صنفين : الأول _ يتضمّن مقولات قد تكون صحيحة أو خاطئة اعتمادًا على أشكالها المنطقية أو معناها (تُسمّى هذه المقولات تحليلية قَبْلِيّة) ، والثاني _ يتضمّن مقولات يمكن التحقق من صحتها أو خطئها فقط من خلال التجربة (تُسمّى تركيبية بَعْدِيّة) .

أمّا " جماعة فيينا "(مدرسة فيينا الوضعية) فهي من مدارس الفلسفة . وقد عُرفت باسم " التجريبية المنطقية " ، وفيما بعد باسم " الوضعية المنطقية " . وفي بادئ الأمر ، كان المشاركون الأساسيون عبارة عن مجموعة من طلاب البحث المتحمّسين الذين اعتادوا في عام ١٩٠٧ على الالتقاء كل ليلة خميس لمناقشة مشكلات العلم والفلسفة .

كان شليك مؤسّس هذه الجماعة ومحورها ، وإن لم يكن القمة الوحيدة فيها، بل للجميع حق الحديث والتعليق وحق الاختلاف في وجهة النظر. وكان برتراند راسل الأب الروحي للحركة. وقوامها طائفة من طلاب شليك ، وفريق من رجال الفكر والعلم الذين يميلون إلى الفلسفة .

تطوّر الأحداث السياسية قبل الحرب العالمية الثانية، وفي التحديد عام ١٩٣٤ ، أدّى إلى تفكك الجماعة تدريجيًا ، حيث إن " التصوّر العلمي للعالم " لجماعة فيينا بدأ يتخذ من النزعة العلمية موقفًا هجوميًا على كل النظريات العنصرية . وقد أدّى اغتيال مؤسسها شليك في عام ١٩٣٦ إلى تشتتها . من أبرز مؤلفاته : النظرية العامة للمعرفة (١٩١٨) . قضايا علم الأخلاق (١٩٣٠) . مستقبل الفلسفة (١٩٣٢) . الوضعية والمنطقية (١٩٣٢) .

موريس ماترلينك وخربة الروح

وُلد الأديب البلجيكي موريس ماترلينك (١٨٦٢ _ ١٩٤٩) في مدينة غينت البلجيكية ، لعائلة ثرية ناطقة بالفرنسية . تلقى تعليمه في كلية يسوعية مُتشددة جعلته يحترق الكاثوليكية ، وكل الديانات الأخرى . كتب قصائد وروايات قصيرة أثناء دراسته ، ولكن والده كان يُحاول جاهداً إبعاده عن الأدب ، وتوجيهه نحو دراسة القانون . وقد خضع لرغبة والده ، وحصل على شهادة في القانون من جامعة غينت عام ١٨٨٥ . ثم سافر مباشرة إلى باريس ، حيث قضى فيها عدة أشهر ، وتقابل مع أدباء من الحركة الرمزية ، وحدث تأثير متبادل ، وتبادل للخبرات والأفكار والأحلام . وقد ذاع صيته في عام ١٨٩٠ ، عندما كتب مقالاً عن رواية للكاتب أوكشاف ميربو في جريدة لوفغارو الفرنسية ذات الشهرة الواسعة .

حصل ماترلينك على جائزة نوبل للآداب عام ١٩١١ ، بفضل أعماله الأدبية التي تُركّز على قضية الموت ومعنى الحياة ، والمكتوبة بلغة جدّدت في التيار الرمزي ، كما جدّدت في اللغة الفرنسية ذاتها . وهذا يتجلى في مسرحياته مثل : الأعمى ، والأخت بياتريس ، والطائر الأزرق . بالإضافة إلى مجموعات شعرية ودراسات ونصوص أدبية مُتنوعة ، جعلته أشهر أدباء بلجيكا في عصره .

تميّزت أعماله الأدبية بالأبعاد الدرامية ، وقوة الخيال ، والنزعة الشعرية ، والإلهام العميق ، وحضور الأساطير والخرافات ، وتحفيز مُخيّلة القراء وإثارة مشاعرهم عن طريق توظيف الرمزية الغامضة . ومن الأمور الطريفة أن ماترلينك كان يريد أن يصبح جندياً في الجيش ، لكنّ الحكومة ردّته قائلةً : إن قلمك أقوى من كتيبة من الجنود المسلّحين .

كان أول عمل له مجموعة شعرية بعنوان " مُتحمّس المخالب " (١٨٨٩) . ثم انتقل من الشّعْر إلى الكتابة المسرحية ، فأصدر في العام نفسه مسرحيته " الأميرة مالمين " التي لقيت إشادة خاصة من أوكشاف ميربو (الناقد الأدبي في جريدة لوفغارو) عام ١٨٩٠ . ثم تنابعت مسرحياته التي تحمل فكراً صوفياً مثل : الدّخيل (١٨٩٠) ، الأعمى (١٨٩٢) . وقد أتاح له المسرحيات فرصة التعرف إلى الممثلين والممثلات ، والتعامل معهم عن قُرب ، فأقام علاقة مع الممثلة جورجيت لبلان ، وأثناء هذه العلاقة كتب العديد من الأعمال ، من بينها : كنز المتواضع (١٨٩٦) ، والذي يُعتبر العمل الأكثر شعبية . يُعدُّ ماترلينك مثلاً واضحاً على الغربة المعنوية

والاغتراب المكاني . فقد اختار الكتابة بالفرنسية والانتماء إليها، وهذا جعله مرفوضاً من قِبَل شريحة عريضة من أبناء شعبه . لقد عانى ماترلينك من غربة روحية عنيفة ، وكان لها انعكاسات على الزمان والمكان . والإنسان هو ابن بيئته ، وإذا حاول الخروج من هذه البيئة (الحاضنة) أو التمرد عليها ، فلا بُدَّ أن يدفع ضريبة هذا التمرد . فلا يوجد تمردٌ مجاني . وما من موقف يمر دون ثمن .

كان ماترلينك ينتمي إلى الأوساط الفلامندية، ثم اختار الانتماء إلى اللغة الفرنسية لفظاً ومعنى، وهذا يعني أنه اختار الهوية الفرنسية بكل دلائلها القومية ، ممّا جعل الكثيرين من أبناء جلدته ينظرون إليه كخائن ومُنشَق . كما أن الحكومة البلجيكية اعتبرت كتاباته تافهة ، لا تُؤهلُه للحصول على أي منصب حكومي ، فما كان من ماترلينك إلا أن أعلن تمردَه على بلجيكيته ، واحتقاره لها . وهذه ردّة فعل مُتوقّعة ، لأنه لم يَحْظَ بالتقدير والاحترام من قِبَل حكومة بلاده . ثم جاءت الغربة المكانية ، فأدار ظَهْرَه لوطنه بلجيكا ، وانتقل إلى العيش في فرنسا ، باعتبارها وطنه الجديد . كما أن التربية الدينية المتطرّفة التي تَلَقّاها في صباه ، جعلته رافضاً للكاثوليكية والأديان الأخرى. وهذا التّشدد الديني ظهر في مسرحياته التي كانت تحمل نزعةً مسيحية متطرفة ، رافضة لقيم التسامح ، ولا تعترف بالآخر ، سواءً كان مسيحياً أم غير مسيحي . وهذا التّشدد الديني يُمكن فهمه في إطار الفعل ورد الفعل . إذ إن ماترلينك عاش منبوذاً ومرفوضاً من قِبَل حكومة بلاده وأبناء شعبه ، وبما أنه مرفوض من قِبَل الآخرين ، فهذا جعله رافضاً للآخرين . وقد بقيت الحكومة البلجيكية تتجاهله ، حتى فاز بجائزة نوبل للآداب عام ١٩١١ ، ممّا أجبر الحكومة على الاعتراف به ، وتكريمه ، والاحتفال بإنجازهِ العالمي ، باعتباره أول كاتب بلجيكي يفوز بجائزة نوبل للآداب .

من أبرز أعماله : مُتحمّس المخالب (١٨٨٩). الدخيل (١٨٩٠) . الأخت بياتريس (١٩٠١). الطائر الأزرق (١٩٠٩) ، حياة النمل الأبيض (١٩٢٦) ، قبل الصمت الكبير (١٩٣٤) ، ظل الأجنحة (١٩٣٦) .

موليير والكوميديا المسرحية

وُلد الكاتب المسرحي الكوميدي جون باتيست بؤكلان الملقَّب موليير (١٦٢٢ _ ١٦٧٣) في باريس . تُوفيت والدته التي كانت مُتدبنة من عائلة برجوازية ميسورة ، لَمَّا كان عُمره حوالي عشر سنين . فربَّاه والده، الذي كان يعمل مُورِّد سَجَّاد وفَرَّاش للقصر الملكي وخادمًا للملك . تزوَّج والده امرأة ثانية ماتت بعد مدة قصيرة من الزواج، وانتقل موليير للسكن مع والده في شَقَّة . تلقى موليير تعليمًا جيّدًا في إعدادية كليرمون على يد عدد من نوابغ فرنسا ، وكان منهم فولتير ، وكانت الإعدادية تتبع اليسوعيين .

كان دُكان والده قرب مكان تُقدَّم فيه عروض مسرحية بسيطة أبطالها مُمثلي الشوارع ، وكان موليير أحد المشاهدين الذين يُتابعون هذه المسرحيات برفقة والد أُمّه .

درس الحقوق في " أورليان " ، ودرس الفلسفة على يد الأستاذ جاسيندي الذي كان سببًا في حُبّه للشاعر اللاتيني " لوكريس " . وبعد أن أنهى دراسة الحقوق ، عمل محاميًا لفترة قصيرة ، وخلال تلك المدة لم يعمل إلا على قضية واحدة . أرادَ والده أن يسير ابنه على تقاليد عائلته ، ويخدم لصالح القصر الملكي، لكن موليير هجر الفكرة عام ١٦٤٣ ، وقرَّر الاتجاه إلى المسرح . ويُقال إن والد أُمّه هو الذي حَبَّبه في المسرح بسبب أخذه معه إلى المسرحيات، فكان يندمج فيها ، وعند رجوعه إلى البيت يُفكِّر فيما شاهده من عروض . ويُقال إن أباه الذي كان فُظًّا بخيالًا عارضَ فكرة ميول ابنه للمسرح، وكان يحاول تهديده ومنعه من تخصصه في ذلك المجال .

لا يُعرَف السبب الذي جعله يُغيّر اسمه إلى موليير ، ولكن على الراجح أنه قام بتغيير اسمه كي لا يُحرج والده الذي كان يعتقد أن التمثيل في المسرحيات يعتبر إخراجًا للعائلة . ومن بعد ذلك وهب موليير حياته للفن بالكامل إلى غاية وفاته. عمل موليير مديرًا لفرقة مسرحية ، وقام باستئجار مسرح تُعرَض فيه مسرحيات الفرقة ، وظلَّت الفرقة تستأجر مسرحًا وراء مسرح ، وتُصاب بفشل وراء فشل ، حتى تراكمت الديون على موليير ، وسُجِن بسببها مرتين عام ١٦٤٥ . ومن العوامل التي سبَّبت الفشل أن جمهور المسرح في باريس _ خلال القرن السابع عشر _ كان ضئيلًا . وعندما بدأ موليير يعرض مسرحياته كان من الحضور مسرحيون مشهورون في باريس ، فكان صعبًا عليه منافستهم بمُجرَّد فرقة تمثيل جديدة وليست مشهورة، رغم أن مُمثليها كانوا مُتحمسين ، ولكن تنقصهم الخبرة .

مع أن فرقة موليير كان اسمها " فرقة المسرح الباهر " لكن بدايتها لم تكن باهرة ، ولم يكن أمام الفرقة حل غير ترك باريس والذهاب إلى الأقاليم . ومن أواخر ١٦٤٥ ، ولمدة لا تقل عن ثلاث عشرة سنة ذهب موليير بفرقته إلى نواحي ريف فرنسا ، وقدم فيها عروضاً مسرحية . وبدأ موليير يكتب مسرحيات لفرقته بنفسه . ولا يوجد شك أن هذه الجولات لعبت دوراً كبيراً في حياة موليير الفنية، وأعطته خبرة كمدير فني ، وفي التعامل مع المؤلفين والممثلين والجمهور والسلطات . ومع مرور الوقت تحسّن أداء فرقة موليير ، وامتلك الممثلون الخبرة والثقة بالنفس . وصلت لموليير دعوة من فيليب دوق أورلين شقيق الملك لويس عندما كان في أورليندا بأنه سيقدّم عروضاً في باريس . ومن هنا بدأت شهرته يوم ٢٤ أكتوبر ١٦٦٨ .

كان موليير المدير الفني للفرقة ، وهو الذي يكتب المسرحيات وهو الذي يقوم بدور البطولة . في نفس الوقت كان يعيش مجموعة من المشكلات في بيته مع زوجته (التي تزوّجها وهو في الأربعين) ومع السلطات والكنيسة . كل هذا أنهكه وأتعبه، وكان أول الناصحين له بترك التمثيل ومزاولة الكتابة فقط هو صديقه " بوالو " ، ورغم ذلك رفض موليير ، وأصرّ على الاستمرار بالكتابة ، وأن يُمثّل ويجتهد حتى أنهكه التعب وأصبح ضعيفاً ، ويسعل بطريقة متقطعة .

آخر مسرحياته كانت " المريض الوهمي " ، عرضها أول مرّة يوم ١٠ يناير ١٦٧٣ ، وتُؤفّي بسبب مرض السُّل الرئوي . وقد رفضت كنيسة " سانت أوستاش " _ التي اتّهمته بالكفر _ دفنه مثل المسيحيين ، فاضطرت زوجته أن تستنجد بلويس ملك فرنسا نفسه كي يتدخل عند كبير الأساقفة ، ونجحت مساعي الملك ، لكن الكنيسة اشترطت أنه سيُدفن بالليل ومن غير طقوس ، ولا صلاة على الجثمان . وقد دُفن موليير بعد أربعة أيام من وفاته في مدافن " سانت جوزيف " المخصّصة لدفن المنتحرين والأطفال الذين ماتوا قبل أن يتعمّدوا .

يُعتبر موليير أحد أهم أساتذة الكوميديا في تاريخ الفن المسرحي الأوروبي، ومؤسس " الكوميديا الراقية " . قام بتمثيل ٩٥ مسرحية ، منها ٣١ من تأليفه . وتمتاز مسرحياته بالبراعة في تصوير الشخصيات ، وبالأخص في تكوين المواقف والقُدرة على الإضحاك . كان لموليير تأثير كبير في تطوير المسرح في أوروبا والعالم . واقْتُبِسَت مسرحيات له من أواخر القرن التاسع عشر .

من أبرز مسرحياته : المتأنّقات السخيفات (١٦٥٩) . مدرسة الأزواج (١٦٦١) . مدرسة النساء (١٦٦٢) . البخيل (١٦٦٨) . المريض الوهمي (١٦٧٣) .

مونتسكيو وروح القوانين

وُلد الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو (١٦٨٩ _ ١٧٥٥) جنوب غرب فرنسا ، بالقرب من مدينة بوردو . درس التاريخ والقانون والفلسفة .

يُعدُّ مونتسكيو واحدًا من أكبر دُعاة الحرية والتسامح والاعتدال والحكومة الدستورية في بلده، وكان من أشد أعداء الحكم الاستبدادي، ونادى بفصل السلطات، ورَد أصل الدولة والقوانين إلى الطبيعة ، وخاصة في كتابه الأشهر " رُوح القوانين " (١٧٤٨) ، إذ يقول: ((إن الطبيعة هي التي تُحدّد نوع الدولة، أو نوع العلاقات بين الأفراد التي تُحدّد بالتالي شكل الدولة)) . ويقصد بالطبيعة المناخ، ويرى أن نُظم الحكم والقوانين تختلف من مجتمع إلى مجتمع باختلاف المناخ، وأن اختلاف المناخ هو الذي يتسبّب في اختلاف العادات والتقاليد والنُظم الاقتصادية والأديان ، بل ومفهوم الحرية ، ويرى كذلك أن سُكان الجبال والجزر يشعرون بحرياتهم أكثر من سكان السهول لسهولة الدفاع عن الأولى ، وأن سكان الجبال يتصفون بالاقتصاد والاستقلالية والنشاط بسبب طبيعة بلادهم ، وجعله هذا التفسير الجغرافي واحدًا من مُؤسسي نظرية الحتمية الجغرافية بعد ابن خلدون . إن القوانين التي يهتم بها مونتسكيو تتعلق " بكائنات خاصة وذكية "، أي بفاعلين. ثم لا تظهر بالدقة نفسها التي تظهر فيها قوانين الآلية التي تقوم بين جسم متحرك وجسم آخر متحرك . ولدى مونتسكيو نظرة واقعية جدًّا حول التَنَوُّع الكبير للقوانين، وهو لا يدّعي مثل بعض القانونيين الوضعيين، حَصَرَ نطاق القانون في التوجيهات الآمرة التي يجعلها فَعَالَةً تَدخُلُ السلطات السياسية . وفي كتابه " رُوح القوانين " ، شَرَحَ مونتسكيو الفرق بين ثلاثة أنواع من أنظمة الحكم : _ الملكية : يرث الحاكم فيه السُّلطة . الدكتاتورية : يحكم الحاكم فيه وَحْدَهُ دُونَ حُدود قانونية ، ويُنَبِّت حُكمه بواسطة إرهاب المدنيين . الجمهورية : نظام يحكم فيه الشعب أو مُمثِّلوه . ويرى مونتسكيو أن نظام الحكم الأمثل هو النظام الجمهوري . وقد قال: على كل نظام حُكم أن يَصْبُوَ إلى ضمان حرية الإنسان، ومن أجل ذلك يجب الفصل بين السلطات، والحفاظ على توازن بينها : السُّلطة التنفيذية ، السُّلطة التشريعية ، السُّلطة القضائية . وقد حصلت نظرية مونتسكيو على العديد من المؤيدين في أوروبا ، وأثَّرت مبادئها على دستور الولايات المتحدة .

ويَدعو مونتسكيو في كتابه " رُوح القوانين " إلى إقامة نظام سياسي ليبرالي جدًّا ، أي مُنفتح على رُوح العِلْم والعقل ، وبعيد عن التعصب والاستبداد بِقَدْر الإمكان . ولكنه يعتقد أن تطوير

النظام السياسي القائم يتطلب أولاً تحليل أصل القوانين الماضية التي هيمنت على البشرية في مختلف العصور السابقة. كما ويتطلب تحليل القوانين المعاصرة ، أي السائدة في عصره تحت ظل لويس الرابع عشر والخامس عشر. ويرى مونتسكيو أن القوانين السائدة في بلد ما تكون عادة متأثرة بعاداته وتقاليده وعقائده الدينية لا محالة . كما أنها متأثرة بالموقع الجغرافي للبلد ومناخه وإمكانياته الاقتصادية وسوى ذلك . وهذه هي أول مرة يقوم فيها مفكر ما بدراسة القانون بشكل علمي وموضوعي على هذا النحو الدقيق والمدهش بوضوحه وجرأته ونفاذ بصيرته . وفي هذا الكتاب الكبير يُبلور مونتسكيو نظريته عن الفصل بين السلطات الثلاث . وهذه هي النظرية السياسية الحديثة التي تُسيطر على المجتمعات المتقدمة في الغرب . فالسلطة التشريعية تتمثل في البرلمان المنتخب من قِبَل الشعب. فهو الذي يسن القوانين أو يُصوّت عليها. وأمّا السلطة التنفيذية فتتمثل في رئيس الجمهورية والحكومة. وهي المسؤولة عن تنفيذ أو تطبيق القوانين التي يُصوّت عليها البرلمان . وأمّا السلطة القضائية فتتمثل بوزارة العدل والقضاة الذين يراقبون عمل الحكومة ، ويُقرّرون إذا كان متوافقاً مع القانون أم لا. في عام ١٧٢١ ، نشر كتابه الساخر " الرسائل الفارسية " . وفيه انتقد المجتمع وأنظمة الحكم في أوروبا في ذلك الحين . جَلَبَ له الكتاب شهرة واسعة ، وكان سبباً في قبوله عُضْواً في الأكاديمية الفرنسية للعلوم . وفي عام ١٧٣٤ ، نشر كتابه " الملكية العالمية " ، وقام بتقسيم الشعوب إلى شمالية وجنوبية ، وادّعى أن الفرق في المناخ هو السبب الأساسي للاختلاف بين شعوب الشمال وشعوب الجنوب. وفي عام ١٧٣٤ ، أصدر دُون توقيع ، ولكن مُعترف به عند الجمهور " نظرات في أسباب عظمة الرومان وانحطاطهم ". كان مونتسكيو مُستثيراً منذ بداية حياته الفكرية . ولذلك وقف في وجه التعصب المسيحي السائد في عصره ، واتَّبَعَ طريق العقل والانفتاح والتسامح . وقد انتسب إلى أكاديمية بورديو منذ بداية حياته العلمية ، ثم انحصر في دراسة الفيزياء والرياضيات. ودرس نظريات نيوتن عن نظام الطبيعة قبل أن يتفرَّغ للفلسفة والدراسات السياسية . إن مونتسكيو كان كارهاً للاستبداد والأصولية الدينية . وعلى الرغم من أن أمّه ربّته على حب المسيحية ، إلا أنه تخلى عن ذلك لاحقاً ، عندما اكتشف تواطؤ رجال الدين مع الأغنياء والأقوياء والحكام. وقد هاجم هذه الظاهرة في كتابه " خواطر حول سياسة الرومان " (١٧١٦). وفيه يقوم بحملة شعواء على نفاق بعض رجال الدين المسيحيين الذين يُخدِّرون الشعب بمواعظهم لكَيْلا يثور على الظلم والاستبداد. ولكنه يفعل ذلك بشكل غير مباشر لكيلا يتعرض للمساءلة والعقاب.

مو يان ومُداهنة السُّلطة

وُلِدَ الروائي الصيني (١٩٥٥-...) مو يان في بلدة غاومي، شمال شرق مقاطعة شان دونغ، لعائلة من المزارعين .

ترك المدرسة أثناء الثورة الثقافية للعمل في مصفاة نفط . انضمَّ لجيش التحرير الصيني في سن العشرين، وبدأ في الكتابة عندما كان جنديًا، عام ١٩٨١ .

في الأعوام الثلاثة التالية، أصبح مُدرِّسًا في قسم الآداب في الأكاديمية الثقافية التابعة للجيش. وفي عام ١٩٩١، حصل على شهادة الماجستير في الآداب من جامعة بكين .

" مو يان " يعني بالصينية (لا تتكلم) ، وهو الاسم الأدبي الذي اشتهر به . وفي خطبة عامة ألقاها مو يان في جامعة هونغ كونغ المفتوحة ، قال إنه اختار الاسم عندما كتب أولى رواياته . ولأنه اشتهر بصدقه في خطابه ، لم يكن مُرحَّبًا به في الصين ، واختار الاسم كي يُذكر نفسه دائمًا بألا يكثر من الحديث .

قبل عام ٢٠١٢، اشتهر مو يان بقُرَّائه الغربيين ، وخاصة لروايته الذرة الحمراء (١٩٨٧) ، التي تمَّ تحويلها إلى فيلم سينمائي . ويُوصَف بأنه من الأدباء الموالين للحكومة الذين يغضون الطرف عن انتهاكات حقوق الإنسان. ولا يتطرق لانتقاد نظام الحكم على الإطلاق في أي مجال. يظهر تأثر مو يان أولاً برائد الأدب الصيني الحديث لو شيون (١٨٨١-١٩٤٦) ، قبل أن تأتي المؤثرات الأجنبية لاحقًا ، وتمنح موضوعاته المحلية سمات أقرب إلى أساليب الواقعية السحرية . ممارسةً أسلوبية كهذه لم تغب عن المراجعات النقدية التي كُتبت عن أعماله في الصحافة الصينية والأجنبية، وهو ما ظهر في كتاب كامل بعنوان " صوت مُتفرد من الصين: العالم المتخيَّل لمو يان " .

رغم نبرته الانتقادية، وانشغاله بتاريخ بلاده المضطرب، إلا أن أعمال مو يان لم تضعه في خانة الكتَّاب المنشقين على غرار جاو شينغجيان ، الذي سبقه إلى نوبل عام ٢٠٠٠ . صحيح أن مو يان اعتُبر صوتًا منحرفًا عن الأدب الصيني المعاصر ، لكن ذلك لم يُعرِّضه للقمع أو الاعتقال ، بِقَدْر ما عرِّضه لانتقادات معكوسة ، تتناول مواقفه السياسية المتساهلة ، وعدم تضامنه مع أقرانه ممَّن تعرَّضوا للقمع والتَّقي . نشر مو يان عشرات القصص القصيرة والروايات بالصينية . أولى رواياته " المطر المتساقط في ليلة الربيع " (١٩٨١) .

أمّا روايته " الحياة والموت أضنياني " (٢٠٠٨) ، فتدور حول تاريخ الصين في النصف الثاني من القرن العشرين . وتبدأ بوباء يصيب الخنازير في حظائر المزارعين الذين في غمرة انشغالهم بالتخلص من الجثث النافقة، لم يعلموا بموت زعيمهم الخالد ماو تسي تونغ ، في تشابه مع بداية رواية خريف البطريق لغارسيا ماركيز ، في تصويره لأبدية الدكتاتور الأمريكي اللاتيني . أمّا أشهر رواياته على الإطلاق ، فهي رواية " الدرة الحمراء " ، التي تُؤرّخ لحرب المقاومة الصينية ضد الاحتلال الياباني خلال الفترة (١٩٣٧ _ ١٩٤٥)، وهي الرواية التي شهّرت مو يان بعد تحويلها إلى فيلم بنفس الاسم .

في ١١ أكتوبر ٢٠١٢ ، أعلنت الأكاديمية السويدية عن فوز مو يان بجائزة نوبل للآداب " لدمجه الهلوسة الواقعية مع الحكايات الشعبية ، التاريخية والمعاصرة . وهذا العالم يُذكر من خلال تعقيداته بعوالم كُتّاب أمثال فوكنر وماركيز ، مع جذور ضاربة في الأدب الصيني القديم وتقاليد القصص الشعبية " .

كان مو يان أول صيني يفوز بالجائزة ، إذا استثنينا جاو شينغجيان الذي فاز بها عام ٢٠٠٠ ، وهو مواطن فرنسي ، صيني المولد .

وحسب رئيس الأكاديمية السويدية ، فقد أحسّ مو يان " بالسعادة الغامرة والمفاجأة " لدى سماعه الخبر . وكان في منزله مع والده عندما وصله خبر فوزه . وقال أيضًا : ((إنه يملك طريقة فريدة جدًّا في الكتابة . لو قرأت نصف صفحة من كتابات مو يان فسوف تتعرّف عليه على الفور من كتاباته)) .

من أبرز رواياته : الدرة الحمراء (١٩٨٧) . جمهورية النبيذ (١٩٩٢) . حكايات الثوم (١٩٩٥) . الحياة والموت أضنياني (٢٠٠٨) .

ميخائيل باختين وما وراء اللغة

وُلد الفيلسوف الروسي ميخائيل باختين (١٨٩٥ _ ١٩٧٥) في مدينة أريول . درس فقه اللغة، وتخرَّج عام ١٩١٨ . وعمل في سلك التعليم، وأسَّس " حلقة باختين " النقدية عام ١٩٢١ . اعتُقِل عام ١٩٢٩ بسبب ارتباطه بالمسيحية الأرثوذكسية ، ونُفِيَ إلى سيبيريا مُدَّة ست سنوات . بدأ عام ١٩٣٦ التدريس في كلية المعلمين في سارانسك . ثُمَّ أُصِيب بالتهاب أَدَى إلى بتر ساقه اليسرى عام ١٩٣٨ . عاد باختين بعدها إلى مدينة ليننغراد (بطرسبرغ) ، وعمل هناك في معهد تاريخ الفن ، الذي كان أحد معاقل الشكلايين الروس، ثم عاد إلى سارانسك حيث عمل أستاذًا في جامعتها . استقرَّ مُنذ عام ١٩٦٩ في كليوفسك (إحدى ضواحي موسكو) بعد أن تدهورت صحته وراح يكتب في مجلاتها وخاصة " قضايا الأدب " ، و " السياق " .

بدأ باختين الكتابة والنشر بعد تخرُّجه في الجامعة مباشرة ، فصدرت مقالاته الأولى " الفن والمسؤولية " (١٩١٩) ، ثُمَّ أصدر كتابه الشهير " مشكلات في شعرية دوستويفسكي " في مدينة ليننغراد (بطرسبرغ) عام ١٩٢٩ .

نشر باختين بعض مقالاته وثلاثة من كتبه بأسماء مستعارة. وناقش عام ١٩٤٠ في المعهد الأدبي التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية في موسكو رسالته للدكتوراة ، وكانت بعنوان " إبداع فرانسوا رابليه والثقافة الهزلية الشعبية في العصور الوسطى وعصر النهضة " . وقد صدرت هذه الرسالة في كتاب بعد خمس وعشرين سنة من كتابتها ، في عام ١٩٦٥ .

وهناك أعمال لباختين لم ترَ النور إلا بعد وفاته، لذا لم يبدأ العالم بالتعرف عليه ، إلا بعد خمسين عامًا من التعتيم حوله، ولم يحظ بالشهرة إلا في نهاية حياته بعد إعادة نشر كتابه " مشكلات في شعرية دوستويفسكي " عام ١٩٧٣ ، وترجمة كتابه عن رابليه إلى الإنجليزية عام ١٩٨٦ .

تقوم نظرية باختين في الأدب والفلسفة على أربعة أركان : البحث النظري الفلسفي ، ونظرية الحديث ، ونظرية الأدب ، ونظرية الرواية . ويظهر البحث الفلسفي في ثانيا نظرية باختين . فقد كتب في نظرية الأدب، واللغة، والسيمائية، والنقد، وعلم النص . وساهم في تحديد التصورات النظرية عن اللغة والشعرية والسيمائية في علاقاتها المتشابكة مع المجتمع والتاريخ ، وتكوَّنت نظريته الشمولية من الفلسفة والعلوم الإنسانية وعلم ما وراء اللغة .

تتلخص نظرية باختين عن النص في تحديد هويته ومنهج البحث فيه (التأويل) ، وفهمه الذي يعتمد على الاستجابة . ويرى أن النص _ سواء كان مكتوباً أم شفهيّاً _ هو أساس جميع حقول دراسته (اللسانيات ، وفقه اللغة ، والدراسات الأدبية ، والعلوم الإنسانية عامة) . فهو الواقع المباشر ، حيث يستطيع الفكر في هذه الحقول جميعاً أن يكون نفسه حصراً ، فحيث لا يوجد نص ، لا يوجد موضوع للاستعلام والمساءلة ، ولا يوجد فكر .

أما الإيستمولوجيا (نظرية المعرفة) عند باختين فتقوم على نظريته في اللغة ، التي تبدأ من الحديث البشري بوصفه نتاجاً لتفاعل اللغة والسياق المرتبط بالتاريخ . وليس الحديث عنده فرديّاً ، وليس متغيراً بلا حدود ، بل هو موضوع لاستعلام علم لغة جديد في اللغة سمّاه علم ما وراء اللغة . ويرى أن هذا العلم هو الذي يُمكن من التغلب على ثنائية الشكل والمضمون العقيمة ، ويُساعد في التحليل الشكلي للأيديولوجيات . ويرى باختين أن أهم سمات الحديث هي حواريته ، أي بُعدُه التناسي . ولهذا فإن كل خطاب يُقيم حوارات مع الخطابات التي كانت ، والتي ستأتي . وقد اعتمد باختين هذا مُنطلقاً في رسم انطباعه عن تأويل جديد للثقافة ، فهي تتشكل من الخطابات التي تحتفظ بها الذاكرة الجمعية ، وهي تلك الخطابات التي ينبغي لكل فرد متكلم (مُتحدّث ، مُرسل) أن يُحدّد موقع خطابه بالقياس إليها .

ويبقى دوستوفسكي الشخصية المفضّلة عند باختين ، فهو يرى أنه واحد من أعظم المجدّدين في ميدان الشكل الفني ، لأنه أوجدَ نمطاً جديداً تماماً من التفكير الفني هو " رواية متعددة الأصوات " ، ويرى أن أعمال دوستوفسكي الإبداعية توزّعت في سلسلة من البنى المستقلة بعضها عن بعض والمتعارضة فيما بينها ، يستमित أبطالها في الدفاع عنها .

ويؤكّد باختين أن جميع عناصر البنية الروائية عند دوستوفسكي تُحدّدها مهمة بناء عالم متعدد الأصوات ، إلى جانب تحطيم الأشكال القائمة للرواية الأوروبية المونولوجية المتجانسة في الأصل . وترتكز تعددية الأصوات على استنباط أساليب النوع الأدبي ، بطريقة تُوضّح تزامنياً بُنى هذا النوع الأدبي . وتقوم تعددية الأصوات على دراسة المركّبات الزمانية المكانية المميّزة لكثير من الأنواع السردية الثانوية ، وينشأ عن هذا كله نزوع نحو التنافر والاختلاف .

ويرى باختين أن شعيرة الحديث تتكوّن من تصافر عناصر ثلاثة هي : تعدّد الأصوات ، والمركّب الزماني المكاني ، والتحليل الموضوعي البنيوي في الأدب . ومن أعماله المنشورة بعد وفاته : أسئلة الأدب وعلم الجمال (١٩٧٥) ، و " جماليات الإبداع اللفظي " (١٩٧٩) .

ميخائيل شولوخوف والواقعية الاشتراكية

وُلد الأديب الروسي ميخائيل شولوخوف (١٩٠٥ _ ١٩٨٤) لأب مزارع وأم أوكرانية . أمضى معظم حياته في قريته فيوشينسكايا ، التابعة لإقليم روستوف في جنوب روسيا . وصارت قريته هي الفضاء الفكري والأدبي لكافة أعماله . تأثّر ببيئته وقومه ، وهُم مجموعات من المقاتلين جاء بها القيصر كي تحرس الحدود الجنوبية للإمبراطورية الروسية ، فأُسّست أخلاقياتها ، وكرّست أدبها الشعبي وعاداتها وتقاليدها .

لم يُكْمَل شولوخوف دراسته الابتدائية، وعاش الفترة (١٩١٨ _ ١٩٢٤) في إقليم روستوف ، حيث كانت المنطقة تحت سيطرة الجيش الأبيض الذي أراد الإطاحة بثورة البلاشفة . في عام ١٩٢٤ ، سافر إلى موسكو ليُجرب مختلف الأعمال ، ويُمارس حَظَّهُ في الكتابة والنشر والتعرف على الوسط الأدبي . وبعد عامين، عاد إلى موطنه الأصلي، ولم يُفارقهُ حتى وفاته. وفي عام ١٩٣٢ ، انضم إلى الحزب الشيوعي السوفييتي. وفي عام ١٩٣٤ ، أصبح عضواً في اتحاد الكُتّاب .

بدأ شولوخوف الكتابة وعمره ١٧ سنة. وأوّل كتاب نشره هو "حكايات الدون" (١٩٢٦). وهو مجموعة قصص قصيرة عن أحداث الحرب الأهلية في روسيا ومآسي شعبه، حيث انتشر القتل، وتَمَّ تشريد ملايين البشر ، ودُمّرت العلاقات والروابط الاجتماعية للشعب الروسي ، وانهارت تقاليده القومية. وظهرت القسوة والعنف الهائل بين الأطراف المتقاتلة في الحرب الأهلية. وقد أجمع النقاد الأدبيون على أن هذه القصص تدلان على الموهبة المتألّقة للمؤلف الشاب . وفي عام ١٩٢٦ ، انهمك في تأليف الجزء الأول من روايته الملحمية " الدون الهادئ " ، وأكمل الجزأين الأول والثاني لروايته عام ١٩٢٧ ، وتم نشرهما في مجلة " أكتوبر " بموسكو. وقد راجت في تلك الفترة افتراءات تزعم أنه ليس مؤلف الرواية ، وإنما استحوذ على مخطوطة كاتب مغمور . لكنّ شولوخوف لم يهتم بهذه الافتراءات، وعكف على تأليف الجزء الثالث للرواية، ونشر مقتطفات منه في المجلات الأدبية ، ووصف في أحد فصوله انتفاضة سُكان منطقته ضد حملة سلبهم حقوقهم ، ممّا أدى إلى وقف نشر الكتاب . لكنّ ستالين الذي قرأ فصول الرواية في مجلة أدبية ، أراد أن يلتقي الكاتب الشاب، وقام الكاتب مكسيم غوركي بإعداد اللقاء الذي جرى عام ١٩٣١ في منزله بموسكو. وقد أيّد ستالين شولوخوف في طموحاته الأدبية، ممّا

مَكَّنْهُ من استئناف نشر الرواية بعد حذف المقاطع حول الحملات الإجرامية الموجهة ضدَّ سكان منطقته وأبناء قَوْمِيته. تتكلم رواية " الدون الهادئ " المكوَّنة من أربعة أجزاء (صدر الجزء الأول عام ١٩٢٨) عن التطورات العاصفة التي حصلت في روسيا خلال الحرب العالمية الأولى ، وسقوط القيصرية وقيام الثورة البلشفية ، وتنتقل الأحداث من مكان لمكان ، وكيف كان يعيش المواطنون بجوار نهر الدون الهادئ القريب من نهر الفولغا الذي يقسم الأراضي الروسية إلى شطرين . ثُمَّ تبرز أحوال القائد المتغيِّرة بسبب قُربه أحياناً من حبيبته التي كانت متزوجة من أحد أفراد سَرِيَّتِهِ ، التي كان يُشرف عليها ويقودها . وتواصل الرواية سرد معاناة الشعب الروسي من الحصار للقرى ، وقتل الشيوخ والأطفال على يد الجيش الغازي ، واستمرار صمود الجيش الأحمر السوفييتي. وقد صدر الجزء الرابع من الرواية عام ١٩٤٠ ، وتضمَّن تمرد بطل الرواية على النظام ، وعدم قبوله بالحكم البلشفي ، فتعرَّض شولوخوف لهجمات كثيرة من النقاد . لكن ستالين لم يسمح باعتقاله . وقد لاقت الرواية رواجاً هائلاً في السينما ، فتمَّ تحويلها إلى فيلم سينمائي أكثر من مرَّة . تنجلي أهمية شولوخوف في قدرته العالية على تصوير الشُّخوص ، والغوص في تفاصيل الأحداث ، كما أن التوقيت الذي ظهر فيه زاد من أهميته ككاتب . كما أنه رفض الخضوع لإملاءات السُّلطة السياسية، ودافع عن حُرِّيَّة الإبداع، وأنقذَ الكثيرين من ضحايا القمع الستاليني. وقد انتقد ستالين شخصياً، ممَّا أثار الدهشة من جُرأته وشجاعته، خصوصاً أن ستالين تركه يفعل ما يحلو له. وهذه التصرفات كانت تُؤدِّي في الاتحاد السوفييتي إلى حبل المِشنقة بتهمة الخيانة العظمى. عمل شولوخوف خلال الحرب ضد ألمانيا النازية (١٩٤١ - ١٩٤٥) مراسلاً عسكرياً ، ممَّا ساعده في كتابة فصول روايته " إنهم قاتلوا في سبيل الوطن " التي لم تكتمل. ومن أبرز أعماله الأدبية: روايته القصيرة " مصير إنسان " التي تُعتبر تحفة أدبية صغيرة الحجم، هائلة العمق والألم والمأساوية . إنها تروي قصة إنسان بسيط أضاعت الحرب كل ما اعتزَّ به في حياته : الأسرة والمنزل والأقارب والأصدقاء ، لكنها لم تتمكن من تركيعه وإهانته . فاز شولوخوف بجائزة نوبل للآداب (١٩٦٥) ، وكان مجموع ما طُبِع من أعماله في الاتحاد السوفييتي وفي عشرات اللغات، قرابة ٨٠ مليون نسخة . اعتُبرت كتاباته النموذج الأمثل للواقعية الاشتراكية ، وهو تيار من تيارات الواقعية، ظهر رسمياً في الاتحاد السوفييتي في ثلاثينيات القرن العشرين ، وانتشر فيه ، وفي الدول الواقعة تحت تأثيره ، وكان التيار الموصى به بشكل إلزامي ، وكان له ارتباط بالأيديولوجية والدعاية والترويع ، ويُركِّز بشكل أساسي على دور الفقراء والطبقة الكادحة في الحياة والآداب والفنون .

ميخائيل ليرمنتوف و " بطل زماننا "

وُلد الشاعر الروسي ميخائيل ليرمنتوف (١٨١٤ - ١٨٤١) في موسكو لعائلة من طبقة النبلاء . تُوفيت والدته في عام ١٨١٧ ، فاحتضنته جدته في ضيعة تارخاني في مقاطعة بينزا . حصل ليرمنتوف على تعليم رائع ، حيث سافر إلى موسكو في عام ١٨٢٧ ، ليلتحق بمدرسة داخلية للنبلاء تابعة لجامعة موسكو . وفي تلك الفترة بالذات بدأ ليرمنتوف بكتابة الأشعار ، وياشر بكتابة قصيدة " الشيطان " في عام ١٨٢٩ . وفي عام ١٨٣١ ، تُوفي والده عن ٤٤ عامًا فقط . درس ليرمنتوف في جامعة موسكو خلال الفترة (١٨٣٠ - ١٨٣٢) ، ولكنه ارتحل إلى بطرسبورغ بعد أن فشل في العثور على ما يُلبّي به متطلباته . أمّا في بطرسبورغ فقد التحق بالمدرسة العسكرية ليتخرج منها في عام ١٨٣٤ ، وينتسب إلى صفوف الحرس الإمبراطوري . وفي الوقت الذي خدم فيه ليرمنتوف ضابطاً في " القرية القيصريّة " لم ينقطع عن القراءة وكتابة القصائد . كتب ليرمنتوف وهو متأثر بمصرع شاعر روسيا الكبير بوشكين في مباراة غامضة في عام ١٨٣٧ قصيدة " موت شاعر " التي حفظها وردّها المعاصرون . أدى احتجاج ليرمنتوف على مقتل بوشكين في شهر فبراير ١٨٣٧ ، إلى إثارة غضب السلطات التي قرّرت اعتقاله ونفيه إلى منطقة القوقاز ، بعد إجراء تحقيق معه عقاباً على قصيدته التي تداولها الناس في جميع أنحاء روسيا . وفي منفاه البعيد مارس ليرمنتوف إلى جانب كتابة الأشعار الرسم بالألوان المائية والزيتية ، وأبدع الكثير من اللوحات الجميلة المعبرة . تمكّن ليرمنتوف من العودة إلى مدينة بطرسبورغ بفضل مساعي جدته وشفاعة الشاعر فاسيلي جوكوفسكي . وفي بطرسبورغ انضمّ ليرمنتوف إلى حلقة أرسقراطية من الشباب العسكريين ، وتقرّب من أعضاء هيئة تحرير مجلة " المذكرات الوطنية " . وفي عام ١٨٤٠ ، استطاع مناهضو ليرمنتوف أن يدفعوه إلى المشاركة في مباراة مع ابن السفير الفرنسي من تدبيرهم ، فقرّرت السلطات نفيه مرة أخرى إلى القوقاز . ورفض القيصر نيقولاي الأول تكريم ليرمنتوف على الرغم من الشجاعة الفائقة التي أبدّاها في ساحة القتال . وبعد عودته من الإجازة توقف ليرمنتوف في بياتيغورسك للعلاج . وفي هذه المنطقة تشاجر الشاعر مع زميله في الدراسة مارتينوف ، وقتل في مباراة معه في أواخر يوليو ١٨٤١ .

ورغم الفترة القصيرة التي قضاها ليرمنتوف في عمله الأدبي والتي لم تتجاوز ١٣ سنة ، والحياة الصاخبة التي عاشها في منطقة القوقاز ، إلا أنه تمكن من كتابة الكثير من القصائد الجميلة، ومنها "أسير القوقاز"، و"الشركسي"، و"الخريف"، و"الشراع"، و"الفرسان"، و"النخلات الثلاث"، و"الخنجر"، و"الشاعر"، و"الشيطان". كما كتب ليرمنتوف مسرحيَّي "حفلة تنكرية"، و"الشقيقان". وأبدع ليرمنتوف رواية " بطل زماننا " التي اشتهر بها في جميع أنحاء العالم ، وأثبت من خلالها بأنه دخل تاريخ الأدب الروسي والعالمي ، ليس كشاعر عملاق فقط، بل وكناثر لامع ومؤلف مسرحي بارز .

وعندما ظهرت رواية " بطل زماننا " في مكتبات مدينة بطرسبورغ، حظيت برواج سريع لأن المعاصرين كانوا راغبين في معرفة الشخص الذي وصفه ليرمنتوف بأنه بطل هذا الزمان . ومنذ أن رأت الرواية النور أُعيد طبعها مرات لا تُحصى باللغة الروسية ، ولغات شعوب الاتحاد السوفيتي السابق ، وترجمت إلى جميع لغات العالم تقريباً .

حاول ليرمنتوف الذي لم يتجاوز عندما كتب هذه الرواية الخامسة والعشرين من عُمره ، أن يرسم صورة واقعية لأبناء جيله ، فترك رواية أثراً عميقاً في حياة الكثير من الأجيال التالية .

وقال ليرمنتوف في مقدمة روايته : ((إن " بطل زماننا " ليست صورة لرجل واحد، بل صورة تضم رذائل جيلنا كله . وإذا قال أحد إن الأخلاق لن تجني من ذلك خيراً، فلا تتعجلوا، فطالما غُذّي الناس بالحلوى حتى فسدت معدتهم . ويجب عليهم الآن أن يتناولوا العقاقير المُرّة ، وأن يتقبلوا الحقائق اللاذعة . لقد أردتُ على سبيل التّفكُّه أن أرسم صورة لإنسان هذا العصر كما فهمته، وكما رأيته في أغلب الأحيان)) .

يُصنّف ليرمنتوف كشاعر رومانتيكي، ويُدعى أحياناً " شاعر القوقاز " . وهو أحد أهم الشعراء الروس بعد وفاة بوشكين .

ميشيل دي مونتيني وفن كتابة المقالات

وُلد الكاتب الفرنسي ميشيل دي مونتيني (١٥٣٣ _ ١٥٩٢) في منطقة أكييتان بالقرب من بوردو ، لعائلة غنية جدًا . كان والده جنديًا فرنسيًا كاثوليكيًا في إيطاليا لبعض الوقت، وكان أيضًا رئيسًا لبلدية بوردو .

بدأ تعليم مونتيني في مرحلة الطفولة المبكرة، واتبَعَ خطة تعليمية وضعها والده ، تم تنقيحها من خلال نصيحة أصدقائه. وكان الهدف هو أن تصبح اللغة اللاتينية لغته الأولى . لذلك قام والده بتوظيف الخدم الذين يمكنهم التحدث باللغة اللاتينية ، كما أنهم تلقوا أوامر صارمة دائمًا بالتحدث إلى الصبي باللغة اللاتينية .

وكان التعليم اللاتيني لمونتيني مصحوبًا بتحفيز فكري وروحي دائم. وكان على دراية باليونانية من خلال طريقة تربوية تستخدم الألعاب والمحادثات ، وتمارين التأمل الانفرادي ، بدلاً من الكتب التقليدية .

حوالي عام ١٥٣٩ ، تم إرسال مونتيني للدراسة في مدرسة داخلية مرموقة في بوردو ، كوليغ دو غوين ، تحت إشراف أعظم باحث لاتيني في تلك الحقبة ، جورج بوكانان ، حيث أتمنح المنهاج بأكمله بحلول سنته الثالثة عشرة. ثم بدأ دراسته للقانون في جامعة تولوز في عام ١٥٤٦ ، وحصل على وظيفة في النظام القانوني المحلي .

يُعتبر أحد أكثر الكُتّاب الفرنسيين تأثيرًا في عصر النهضة الفرنسي. وهو رائد المقالة الحديثة في أوروبا. وكان يُقلد اليونانيين والكلاسيكيين في عاداتهم في رصف الحُكم والأمثال بشكل مسجوع . تأثر كثيرًا بكتابات أرسطو، ولكنه تفرّد بأسلوبه المرسل، وظهرت شخصيته بوضوح .

يشتهر مونتيني بمقالاته التي نُشرت في ثلاثة مجلدات . درس الكثير من الأدب اليوناني واللاتيني القديم ، وأراد أن يُفكّر مشاهير زمانه في النسج على منوال بعض أبطال اليونان وروما في حياتهم . وكان من رجال حاشية الملك شارل التاسع ملك فرنسا ردحًا من الزمن .

كانت كتاباته الأولى خلاصة لفترة من العزلة فرضها مونتيني على نفسه ، ليعيش حياة مليئة بالهدوء والقراءة. وكانت هذه الخلاصة انعكاسًا لعدة عوامل أثرت في هذه التجربة الذاتية لمونتيني ، كثقافته، وعُزله، وتأملاته، وعنايته بالأدب عنايته بمشكلات عصره الفكرية والاجتماعية، فتداخلت هذه العوامل ، وظهر انعكاسها عندما بدأ مونتيني الكتابة عام ١٥٧١ .

مرّت كتابات مونتين بمراحل تأثر فيها ببعض التيارات الأدبية ، إلى أن وصل مرحلة التطور التي أبدع فيها هذا الفن الجديد من الكتابة، أي فن المقالة، فكان له فضل الريادة فيه، حيث كان عام ١٥٨٠ هو عام ميلاد المقالة على يد مونتين ، بعد ما يُقارب عشرة أعوام، حيث جمع ما كتب في هذه الأعوام ، وعدّته ٩٤ مقالة، ونشرها في جزأين سَمّاها محاولات .

وكان في هذه المحاولات مُغَلَّبًا للعنصر الشخصي على العناصر التي ترفده من قراءاته المختلفة ، وكانت حديثًا عن تجاربه الخاصة الممزوجة ببعض الأقوال المأثورة والحكم التي تأتي دون قصد ، وكانت فيضًا من التأملات العميقة ، والتجارب الشخصية الصادقة .

ولهذا عدّ مونتين رائدًا لفن المقالة بعامة، ولنوع من أنواعها ، وهو المقالة الذاتية بخاصة . وقد اشتهر مونتين بقدرته الفائقة على مزج تقديرات فكرية جادة مع حكايات عابرة . وبعض مقالاته تُعتبر من أكثر المقالات تأثيرًا في التاريخ. وكان له تأثير مباشر على الكتاب في مختلف أرجاء العالم.

كان الكثيرون يُعجبون بمونتين كرجل دولة أكثر من كونه مُؤلفًا . وكانوا يعتبرون مقالاته وحكاياته الشخصية ضارة بالأسلوب الأدبي . وكان مونتين يُعلن " أنا نفسي موضوع كتابي "، وهذا جعل مُعاصريه يعتبرونه متعجرفًا ومغرورًا . ولكن مع مرور الوقت ، سيتم الاعتراف بمونتين بأنه يُجسّد روح التشكيك بحرية ، أكثر من أي مؤلف آخر في عصره .

وعلى الرغم من أن مونتين ليس عالمًا ، إلا أنه قد أدلى بملاحظات حول مواضيع في علم النفس في مقالاته ، وطوّر وشرح ملاحظاته حول هذه المواضيع .

وتناولت أفكاره مواضيع مثل : الفكر ، والتحفيز ، والخوف ، والسعادة ، وتعليم الأطفال ، والخبرة والعمل الإنساني. وأثّرت أفكاره على علم النفس ، وهي جزء من تاريخ علم النفس الغني.

ميشيل فوكو ومحدوي الإيدز

وُلد الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو (١٩٢٦ _ ١٩٨٤) في مدينة بواتييه بفرنسا ، لأسرة تنتمي إلى طبقة النبلاء في المجتمع الفرنسي . كان والده طبيباً جراحاً ، وكان يأمل أن يكبر ابنه ليشاركه مهنته ويرثها بعده . يُعتَبَر فوكو أحد أهم المفكرين الغربيين في النصف الثاني من القرن العشرين ، كما يُوصَف بالفيلسوف الأكثر تأثيراً في فلاسفة ما بعد الحداثة .

تأثر بالنيويين ، ودرَس وحلَّل تاريخ الجنون ، وعالج مواضيع مثل الإجرام والعقوبات والممارسات الاجتماعية في السجون . وابتكر مصطلح " أركيولوجية المعرفة " أي : حفريات المعرفة . وأرَّخ للجنس أيضاً مِن " حُب الغلمان عند اليونان " وصولاً إلى معالجاته الجدلية المعاصرة . حصل على شهادة التبريز في الفلسفة عام ١٩٥١ ، وعلى الدكتوراة في الفلسفة عام ١٩٦١ . انتمى إلى الحزب الشيوعي الفرنسي (١٩٥٠-١٩٥٣) عن طريق لوي ألتوسير ، لكن ما لبث أن تركه بعد أن أثارت قلقه تصرفات ستالين في الاتحاد السوفيتي .

تولى في الفترة (١٩٥٠ _ ١٩٦٠) مناصب عدّة في الخارج ، فكان مديرًا لدار فرنسا في أوبسالا بالسويد ، فملحقًا ثقافيًا بفرسوفيا ، ثم أمضى عامين بهامبورغ .

عُيِّن أستاذًا للفلسفة في جامعة كليمون فيرون بعد عودته إلى فرنسا ، ومناقشته رسالته للدكتوراة حول موضوع " تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي " .

شغل منصب أستاذ بجامعة تونس (١٩٦٥ _ ١٩٦٨) ، ثم أصبح أستاذًا في الكوليج دو فرانس (١٩٧٠) مُختَصًّا في تاريخ الأنساق الفكرية .

بدأت شهرته عام ١٩٦٩ بعد إصداره كتاب " حفريات المعرفة " . واتَّسم مساره الفكري بإظهاره الالتزام باعتباره " مثقفًا من أهل التخصص " ، وليس باعتباره " مثقفًا شموليًا " على طريقة سلفه جون بول سارتر . وبهذه الصفة ناضل فوكو إلى جانب اليسار الراديكالي "القضية البروليتارية" ، وأسَّس " فريق الأخبار بحال السجون " الذي استقصى سرِّاً أحوال المعتقلين ، لأجل إدانة الوضع الذي كانوا يوجدون عليه . سافر كثيرًا خلال سبعينيات القرن العشرين ، وحاضر في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان ، وتحمَّس بالخصوص للثورة الإيرانية . يكمن جانب تجديده الفكري في أنه مُنذ الفيلسوف فرانسيس بيكون _ الذي يُوصَف بأنه أول من اعتبر المعرفة سُلطة _ لم يُعالج أحد من مفكري الغرب مسألة " المعرفة والسُلطة " بنفس العمق الذي عالجها به فوكو .

تمحورت اجتهاداته حول خمسة أسئلة أساسية : ماذا يمكن للإنسان أن يقوله حول ذاته حين يُفكّر فيها لا من منظور العقل وإنما من منظور اللاعقل ؟ (كتاب تاريخ الجنون ، ١٩٦١) ، وكيف ينظر إلى ذاته حينما يدركها انطلاقاً من ظاهرة المرض ؟ (كتاب ميلاد العيادة ، ١٩٦٣) . وكيف تبين ذاته من جهة كونه كائنًا حيًّا ناطقًا شغلاً ؟ (كتاب الكلمات والأشياء ، ١٩٦٦) ، وكيف تبدو للإنسان محاكمته لذاته من حيث خضوعه للمراقبة وللعقاب ؟ (كتاب المراقبة والعقاب ، ١٩٧٥) ، وأخيرًا : كيف ينظر الإنسان إلى رغبته وبهيمته بذاته ؟ (ثلاثية تاريخ الحياة الجنسية ، ١٩٧٦ - ١٩٨٤) .

إن فوكو لم ينظر إلى الإنسان الغربي من جهة تعقله وعافيته وحرية ، وإنما نظر إليه من جانب ما يُضاد ذاتيته ويقلق راحتها ، أي : الجنون والمرض والعقاب .

لقد دعا فوكو الحضارة الغربية إلى التفكير في ذاتها انطلاقاً ممّا تُهمّشه ، فكان أن وجد في ظاهرة الجنون _ التي هي جزء لا يتجزأ من تاريخ هذه الحضارة حتى وإن هي أنكرته أو قمعته _ موضعاً مشتركاً لأشكال الإقصاء ، كما تحرّى في ذلك تفكيك التقليد الكلاسيكي الذي دأب على جعل العقل لا يُحاور إلا نفسه حول الجنون .

تعقّب فوكو العقل الغربي بدءاً من نشأته (عصر النهضة) إلى القرن التاسع عشر (عصر الحداثة) مروراً بالعصر الكلاسيكي ، باحثاً عن أسس المعرفة ، وعن النظام المعرفي الخفي الذي تشكلت بحسبه العلوم وأشكال القول العقلي . فأكد أن عصر النهضة طغى عليه التفكير بحسب مبدأ التماثل ، وأن العصر الكلاسيكي استبدّ به منهج التحليل ، أمّا العصر الحديث فقد هيّمن عليه البعد التاريخي .

في كاليفورنيا ، في منطقة بحيرة سان فرانسيسكو الشهيرة ، قضى فوكو ليالٍ عديدة في نشاطات جنسية مثلية ، وفي بيوت خاصة بالرغبات السادية والمازوخية ، وكان يُمجّد ويمتدح مثل هذه النشاطات ، ووصفها بـ " الخلق الحقيقي لإمكانية الرغبة ، والتي لم يكن يحيط الناس بها في الماضي " . يُعتقد أن فوكو في تلك المرحلة التقط عدوى الإيدز . وذلك قبل أن يتم التعرف على المرض ووصفه ، حيث كانت أول حالة إيدز في العالم عام ١٩٨٠ . وقد تُوفي فوكو يوم ٢٥ يونيو / حزيران ١٩٨٤ في مستشفى بياريس ، مُصاباً بمرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) .

من أبرز مؤلفاته : تاريخ الجنون (١٩٦١) . ميلاد العيادة (١٩٦٣) . حفريات المعرفة (١٩٦٩) . المراقبة والعقاب (١٩٧٥) . تاريخ الحياة الجنسية (١٩٧٦ - ١٩٨٤) .

ميغيل أنخل أستورياس والاستبداد السياسي

وُلد الأديب الغواتيمالي ميغل أنخل أستورياس (١٨٩٩ _ ١٩٧٤) في مدينة غواتيمالا . وكان من أوائل الروائيين في أمريكا اللاتينية الذين تناولوا موضوع الاستبداد السياسي ، وتبعه في ذلك كثير من الروائيين . وأدت الشهرة التي عُرف بها أستورياس في مُعارضته للحُكم الدكتاتوري إلى قضاء معظم حياته في المنفى . وبعد عُقود من النَّفي والتهميش ، حصل على شهرة واسعة النطاق في عقد الستينيات من القرن العشرين .

عاش أستورياس طفولةً قاسية في ظل دكتاتورية " أسترادا كابريرا " . شارك في نضال الطلاب عندما كان طالبًا في جامعة غواتيمالا الوطنية ، وقد حصل منها على إجازة في الحقوق . وفي عام ١٩٢٣ ، ذهب إلى باريس ليدرس القانون الدولي ، لكنّه فضّل دراسة علم السُّلالات في جامعة السوربون ، حيث اطلّ على النصوص التقليدية (الكلاسيكية) لأدب الهنود الحمر . وقام بترجمة " الكتاب المقدس " لشعوب المايا ، ثُمَّ دَوَّنَ كُلَّ الأساطير الهندية التي كانت تروىها له أمّه التي تنحدر من أصل هندي ، في كتاب " أساطير من غواتيمالا " (١٩٣٠) .

عاد أستورياس إلى بلاده لبدء مرحلة مهمة من النشاط الشعري والدبلوماسي الكثيف . استمرّت حتى عام ١٩٤٦ ، عندما ظهر كتابه الثاني " السَّيد الرئيس " ، وهو رواية ترسم صورة الدكتاتورية في أمريكا اللاتينية ، ممّا عرّض الكاتب للمُلاحقة ثُمَّ الاعتقال في الأرجنتين . ولم تُنشر الرواية إلا عام ١٩٥٢ . تُعتبر رواية " السَّيد الرئيس " (١٩٤٦) أهم روايات أستورياس على الإطلاق ، وهي رواية ساخرة يصف فيها حياة الشعب في ظل حُكم دكتاتور لا يرحم . وبفضلها حصل على جائزة نوبل للآداب (١٩٦٧) . وتعدُّ علامة بارزة في أدب أمريكا اللاتينية ، ومع ذلك بقيت محجوبة عن الوطن العربي حتى عام ١٩٨٥ ، بسبب تشابه ظروف الرواية مع أحوال معظم الدول العربية . بعد هذه الرواية ، عاد أستورياس من جديد إلى عالم الأساطير ، فنَشَرَ رواية " رجل من الدُّرة " التي تُعدُّ من أفضل أعماله المستمدة من تراث المايا . وتكمن أهمية هذه الرواية في كونها عملاً سمفونيّاً ، تختلط فيه الأساطير بالواقع ، والحلم بالحقيقة . ويرتدي فيه الالتزام ثوب الشعريّة المتدفقة .

تابع أستورياس الكتابة في المنحى نفسه ، وكرّس التزامه الأدبي ، وأوصله إلى أبعد مدى ممكن ، حين تحدّث عن استغلال جُهد العمّال في مزارع الموز في الأراضي المنخفضة في

غواتيمالا ، وذلك في ثلاثيته عن شركة الموز : الجزء الأول " العاصفة " (١٩٥٠) . الجزء الثاني " البابا الأخضر " (١٩٥٤) . الجزء الثالث " عيون المدفونين " (١٩٦٠) .

في عام ١٩٥٦ ، نشر أستورياس مجموعة قصص تحت عنوان "عطلة نهاية الأسبوع في غواتيمالا". وهي وقائع عن اجتياح مُشاة البحرية الأمريكيين لغواتيمالا في عام ١٩٥٤ ، وهو الاجتياح الأول الذي أدى إلى سُقوط حكومة خاكوبو أربينيز الوطنية التي ساندتها أستورياس في مسيرة التزامه السياسي ، ممّا أدّى إلى نفيه إلى بوينس آيرس .

كتب أستورياس دواوين شعر. منها : " رسائل هندية " ، و " سهرة الربيع المضيفة " . وهكذا ، جمع أستورياس بين كتابة الرواية وكتابة الشعر ، ليصنع واقعا سحريا ممزوجا بالوعي العميق والذكي لمشكلات بلاده الاقتصادية والسياسية. والغزارة في الكتابة عند أستورياس ليست سهلةً وسطحية. بل هي تيار معرفي متماسك ، ومتدفق على الورق . وقد غلب الطابع السريالي على مؤلفاته _ حتى الواقعية _ . وسريالية أستورياس هي تدفق الأساطير التي تُغلف الغابات والأنهار في موطنه ، حيث تختلط قوُضى الناس بتحوّلات الإنسان والطبيعة ، في عالم مجنون بعيد عن العقلانية .

والجدير بالذكر أن أستورياس لم يكن شاعرا وروائيا فحسب ، بل كان أيضا مُناضلا سياسيا نشيطا. وقام خلال سنوات المنفى في بوينس آيرس بجولات كثيرة في أمريكا اللاتينية والهند والصين والاتحاد السوفيتي . كان فيها مُحاضرًا لا يتعب ، وشاهدا واعيا يُسجّل وقائع العصر .

أدّى وقوفه إلى جانب كاسترو إلى طرده من الأرجنتين عام ١٩٦٢ ، فعاد إلى فرنسا ، التي استقبلته بحفاوة كبيرة . وزار موسكو التي منحته جائزة لينين للسلام عام ١٩٦٦ ، قبل أن يحصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٧ . ولَمَّا عُيّن سفيرًا في باريس من قِبَل حكومة مهندس مونتينغرو ، نَظَّم معرضًا في القصر الكبير عن تراث المايا ، بمبادرة من أندريه مالرو وزير الثقافة الفرنسي آنذاك . وتلقّى تقديرًا من جامعة السوربون عام ١٩٦٨ .

شارك أستورياس في آخر حياته في مؤتمر السلام في هلسنكي ، وفي مُحادثات جامعة دكار ، عن الزنوج وأمريكا اللاتينية . وكان يُصرّ على ضرورة خَلْق تفاهم دولي حول شرعية الثقافات الخَلّاسية (الهجينة) .

تُوفّي أستورياس في مدريد ، وهو في قمة نشاطه وعطائه ، بعد أن وهب مخطوطاته للمكتبة الوطنية في باريس ، التي أقامت له حفل تأبين مهيبًا .

ميغيل إيرنانديث وترنيمة البصل

وُلد الأديب الإسباني ميغيل إيرنانديث (١٩١٠ _ ١٩٤٢) في أوريولا بمقاطعة أليكانتي ، لأب يعمل راعياً للماعز ويُربّيها ، ممّا منعه من الدراسة مثل أبناء جيله في قريته . التحق بالمدرسة الابتدائية في الخامسة من عُمره ، ليغادرها بعد عام واحد فقط . لم يُحصّل خلاله الكثير سوى تعلم الأحرف وكيفية كتابتها .

بدأ مبكراً ممارسة الحياة العملية في رعي الماعز مع أسرته، إلا أن ذلك لم يمنعه من محاولة تعليم نفسه ذاتياً من خلال قراءة الكتب الموجودة في المكتبات الخاصة في بيوت رفاقه الأثرياء بالقريّة، وكذلك الكتب التي عثر عليها لدى كاهن الكنيسة الذي تنبأ بنبوغة المبكر وشجّعهُ على القراءة.

اطّلع إيرنانديث على عدّة قراءات لكبار مؤلفي العصر الذهبي في إسبانيا مثل : لوبي دي فيغا، وثيرباننس ، وغيرهما .

مع اندلاع الحرب الأهلية ، قرّر إيرنانديث أن يتطوّع في الجانب الجمهوري ، وتنقّل بين جبهات القتال المختلفة مقاتلاً وشاعراً يُحمّس المقاتلين بقصائده وأغانيه ومسرحياته القصيرة التي كان المقاتلون يُقدّمونها على أرض المعركة .

وفي عام ١٩٣٧ ، وقع الاختيار عليه من قِبل الجمهوريين ليكون عضواً في وفدهم إلى المؤتمر الدولي الثاني للكتّاب المعادين للفاشية الذي انعقد في موسكو . وعاد بعد المؤتمر ليكتب قصيدته " راعي الموت " ، ثم تلاها بقصيدة أخرى تحمل عنوان " ابن الضوء والظلال " التي كانت عبارة عن بكاء عن طفله الأول مانويل رامون الذي مات بعد أشهر قليلة من ميلاده .

بعد انتهاء الحرب، قرّر إيرنانديث العودة إلى أوريولا ، ولكنه واجه الكثير من المخاطر ، فقرّر الذهاب إلى إشبيلية عبر قرطبة ، ومنها عبور الحدود إلى البرتغال عبر ولبة ، إلا أن قوات الشرطة في عهد دكتاتور البرتغال الفاشي أنطونيو سالازار قامت بتسليمه إلى الحرس المدني الإسباني . عاش أصعب أيام حياته داخل سجن طوريوخوس بمدريد، وأثناء هذه المدة، كان قد تسلّم رسالة من زوجته خوسيفينا تُخبره بأنهم لا يجدون إلا البصل والخبز كطعام لهم .

وكشفت الفترة التي قضاها في السجن نضج فكره ووعيه السياسي ، وتبلّور نظريته الشعرية، وكانت الرسالة التي قام بالرد بها على زوجته " ترنيمة البصل " دليلاً دامغاً على ذلك . واستندت

ترنيتمه إلى التراث الشعبي لمنطقة أليكانتي التي وُلد فيها الشاعر . والشاعر يُهدّد في ترنيتمه طفله البعيد عنه ، ويطلب منه أن يمتص لبن البصلة البارد حتى يتغذى ، بعد أن عَزَّ عليه أن يُقدِّم له لبن الماعز التي كان يمتلكها الشاعر ، ويدور خلفها في مراعي بلاده .

وبفضل جهود الشاعر بابلو نيرودا ، خرج إيرنانديث إلى النور بشكل غير متوقع ، وبدون محاكمة في سبتمبر عام ١٩٣٩ . وعاد بعدها إلى أوريويلا ، وهناك تم اعتقاله بعد أن تمت الوشاية به ، ووُضع في سجن لابلازا ديل كوندي دي تورينو بمدريد ، وحُكم عليه بالإعدام في مارس ١٩٤٠ ، باعتباره مُحَرِّضًا على التمرد ضد نظام الجنرال فرانكو ، إلا أن تدخل بعض أصدقائه وزملائه المثقفين في الأمر ، أدى لتخفيف العقوبة إلى ثلاثين عامًا ، وكان بصحبته الكاتب أنطونيو بايخو في السجن .

مات إيرنانديث في السجن بعد عامين ، بعد صراعه مع المرض ، حيث أُصيب بداء الرئة نتيجة الإهمال الصحي والحياة القاسية . ودُفن في القبو تحت رقم ١٠٠٨ بمقابر مقاطعة أليكانتي شرق إسبانيا ، بالقرب من الأرض التي شهدت مولده ، فيما بقي بايخو ليخرج من السجن ، ويستمر في نضاله من خلال نشر كتاباته المسرحية . ويذكر له التاريخ أنه صاحب الصورة الشهيرة ، وتكاد تكون الوحيدة للشاعر ، التي رسمها له خلال انتظارهما تنفيذ الإعدام . يُعتَبَر إيرنانديث من أشهر الأدباء الإسبان في القرن العشرين . وعلى الرغم من كونه قد تَمَّ إدراجه ضمن جيل ٣٦ ، احتفظ بنقاط تشاركية كبيرة مع جيل ٢٧ .

ميغيل دي ثيربانتس ورواية دون كيخوطي

وُلد الأديب الإسباني ميغيل دي ثيربانتس (١٥٤٧ - ١٦١٦) في ألكالا دي إيناريس ، مدريد، إسبانيا . كان والده طبيباً غير مُرَخَّص ، قليل المال . أمّا تعليم الصبي ميغيل فلا نعرف عنه شيئاً، ويبدو أنه لم يَحْظَ بتعليم عالٍ برغم مولده في مدينة جامعية .

يُعدُّ ثيربانتس إحدى الشخصيات الرائدة في الأدب الإسباني على مستوى العالم ، واشتهر عالمياً بعد كتابة روايته الشهيرة " دون كيخوطي دي لا مانتشا " (١٦٠٥ - ١٦١٥) التي تُعتبر واحدة من بين أفضل الأعمال الروائية المكتوبة في الأدب العالمي . وقد اعتبرها الكثير من النقاد بمثابة أول رواية أوروبية حديثة . وقامت إسبانيا بتكريمه واضعةً صورته على قطعة الـ ٥٠ سنتاً الجديدة . زُعم أن ثيربانتس كان مُحتلساً للمال العام بعد ثبوت وجود مخالفات في حساباته. وفي السجن، وُلدت رواية دون كيخوطي، كما أشار في مقدمة العمل. وتُعدُّ هذه الرواية أول عمل يُزِيل الغموض حول تقاليد الفروسية لمعالجتها الصورية للأمر . برهنت الرواية على بداية الواقعية الأدبية كجزء من الجماليات النصية، وبداية انطلاق النوع الأدبي للرواية الحديثة المسمّى بالرواية متعددة الألحان، والتي ستُحدث تأثيراً كبيراً في وقت لاحق على الأعمال الروائية الأوروبية من خلال تناول ما تَمَّ تسميته بالكتابة غير المشروطة ، والتي تُمكن الفنان من إظهار كل ما هو ملحمي وغنائي وتراجيدي وكوميدي في مُحاكاة ساخرة حقيقية لجميع الأنواع الأدبية .

تدور أحداث الرواية حول شخصية ألونسو كيخانو ، رَجُل نبيل قارب الخمسين من العمر ، يقيم في قرية في إقليم لامانتشا، وكان مُولعاً بقراءة كتب الفروسية والشهامة بشكل كبير. وكان يُصدِّق كل كلمة من هذه الكتب على الرغم من أحداثها غير الواقعية على الإطلاق . فقد ألونسو عقله من قلة النوم والطعام وكثرة القراءة ، وقرَّر أن يترك منزله وعاداته وتقاليده ، ويشد الرحال كفارس شهيم يبحث عن مغامرة تنتظره، بسبب تأثره بقراءة كتب الفرسان الجوّالين، وأخذ يتجول عبر البلاد حاملاً دِرْعاً قديمة ، ومُرتدياً خُوذة بالية مع حصانه الضعيف روسينانتي ، حتى أصبح يُحمل لقب " دون كيخوطي دي لا مانتشا " . ووُصف بـ " فارس الظل الحزين " .

كان لثيربانتس تأثير بالغ على اللغة الإسبانية ، حتى أُطلق عليها لغة ثيربانتس . وكان يُطلق عليه لقب " أمير الدهاء " . وبالمثل جاءت جائزة ثيربانتس التي تحمل اسمه بمثابة تكريم له على عمله " دون كيخوطي " الصادر باللغة الإسبانية ، والذي تناول شخصية مُغامرة حاملة تُصدِر

قرارات لا عقلانية . وقد تركت حياة ثيربانتس الحافلة بالأحداث أثراً بليغاً في أعماقه، وتجلى ذلك في طغيان روح السخرية والدعابة على أعماله . في عام ١٥٦٩ ، انتقل ثيربانتس إلى روما حيث عمل مساعداً لخيوليو أكوابييا ، كاهن من الأثرياء أصبح كاردينالاً فيما بعد في السنة التالية . وعندها ، تمَّ تجنيد ثيربانتس في قوات المشاة البحرية الإسبانية ، واستمر في حياته العسكرية حتى عام ١٥٧٥ عندما أُلقي القبض عليه من قِبَل القراصنة الجزائريين . وبعد خمس سنوات في الأسر، أُطلق سراحه بفيديّة طلبها الخاطفون من والديه والآباء الثالوثيين (رهبنة كاثوليكية) ، ثم عاد بعد ذلك إلى عائلته في مدريد. وفي عام ١٥٨٥ نشر ثيربانتس أول رواية رعوية له باسم " لا جالاتيا". اختارَ بدايةً من عام ١٥٨٧ الاستقرار في إشبيلية ، وكان ذلك أثناء تَوَلَّيه مهمة الإشراف على تموين الأسطول البحري الإسباني . ثم شغل منصب مُحصِّل للضرائب في الحرب الإسبانية ليدفع الديون التي أثقلت كاهله، لكن إسبانيا هُزِمَت عام ١٥٨٨ ، ممَّا أوقعه في اضطراب كبير ، إذ كان أودعَ نقوده عند أحد الصيارفة المفلّسين . سُجن بعدها ثلاث سنوات بعد اكتشاف العجز في حساباته . وفي عام ١٦٠٥ كان في بلد الوليد ، عندما كتب الجزء الأول من روايته " دون كيخوتي" التي نُشرت في مدريد ، وحقَّقت نجاحاً سريعاً ، ورآها ثيربانتس بمثابة إشارة له للعودة إلى عالم الأدب. في عام ١٦٠٧ استقر في مدريد حيث عمل حتى وفاته . وخلال السنوات التسع الأخيرة من حياته ، عزَّز ثيربانتس سُمعته بوصفه كاتباً . نشر روايته " رحلة إلى جبل بارناسوس " (١٦١٤) . وفي عام ١٦١٥ نشرَ ثماني كوميديات وثمانية فواصل تمثيلية مع الجزء الثاني من رواية دون كيخوتي . كان ثيربانتس أول من ابتدع روايات الفروسية ، وهذا أسهم في ريادة الأدبية. وبالمثل أضاف نوعاً أدبياً آخر ، وهو الرواية مُتعددة الألحان، حيث تتداخل وجهات النظر المختلفة حتى تصل إلى مستوى من التعقيد، وتندمج مع الحقيقة ذاتها، مُتجاوزاً أنماط ما وراء الخيال. ارتسمت الرواية الواقعية كاملة في القرن التاسع عشر بأسلوب ثيربانتس . وعلاوة على ذلك، فقد برهنت الروايات النموذجية (١٦١٣) لثيربانتس على اتِّساع رُوحه ورغبته العارمة في التجربة في البنية السردية . أسهمَ ثيربانتس بشكل كبير في إنماء الأنواع السردية المعتادة في النصف الثاني من القرن السادس عشر مثل الرواية البيزنطية والرعوية والبيكارسكية والموريسكية، والحوار الساخر، والنمط التدريسي المتنوع . فيما جدَّد النوع الأدبي المسمَّى بالرواية القصيرة، والتي فُسِّرَت وقتها وَفْقاً للنموذج الإيطالي بأنها أقصوصة قصيرة، خالية من البلاغة ، ولكن ذات أهمية أكبر .

نادين غورديمير والتفرقة العنصرية

وُلدت الأديبة الجنوب أفريقية نادين غورديمير (١٩٢٣ _ ٢٠١٤) في بلدة سبرينغز في منطقة المناجم في إيست راند بالقرب من جوهانسبرغ ، من أب ليتواني يهودي وأم إنجليزية مسيحية ، وتربّت في بيئة برجوازية بيضاء بمرجعية كاثوليكية . وبسبب مُعاناتها من مرض القلب في طفولتها ومُراقبتها ، كانت تقضي جُل وقتها في المطالعة والقراءة وهي طريحة الفراش .

ترعرعت في بيئة شهدت الكثير من فترات التفرقة العنصرية ، التي كانت تُميّز أو تُؤمن بتفوق العرق الأبيض على نظيره الأسود، ولكنها لم تحمل التفرقة العنصرية والمشكلات العرقية في بلدها. وكتبت أول قصة لها في سن التاسعة ، وكانت عندها متأثرة بما قامت به الشرطة بجنوب أفريقيا من عملية مُداهمة وتفتيش لمنزل خادمتها السوداء .

تُعتبر ناشطة حقوقية ، وكاتبة مُناهضة لنظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا . كتبت ما يزيد على ثلاثين كتابًا ، وحصلت على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩١ عن مُجمل أعمالها المناهضة للتمييز العنصري في بلادها . وقد حصلت سابقًا على جائزة بوكر الأدبية عام ١٩٧٤ .

وُصِفَتْ بأنها " سيدة الأدب الأفريقي " ، وأنها من " كُتّاب الضمير " ، ووُصِفَتْ هي نفسها بأنها " أفريقية بيضاء " .

بدأت الكتابة مُبكّرًا ، فقدّمت أولى رواياتها "تعال غدًا ثانية" وهي في الخامسة عشرة . وفي نفس العمر نشرت بعض كتاباتها في عدد من المجلات الأمريكية ، ثم نشرت مجموعتها القصصية الأولى " فحيح الحية الخافت " عام ١٩٥٢ ، وتوالى أعمالها بعد ذلك ، فأصدرت خمس عشرة رواية ، وخمس عشرة مجموعة قصصية ، إضافة إلى بعض الأعمال النقدية .

تنوّعت أعمالها بين الروايات والقصص القصيرة ، وكانت موضوعاتها الرئيسية تتناول تبعات الفصل العنصري والمنفى والاغتراب .

وكانت آخر رواياتها " لا وقت كالوقت الحاضر " التي نُشرت عام ٢٠١٢ ، عن مُناضلين مخضرمين في مُقاومة نظام الفصل العنصري ، يُعالجون القضايا التي تُواجه المجتمع الحديث في جنوب أفريقيا . وكانت الكاتبة _ التي كرّست جهودها لمجابهة نظام الفصل العنصري _ عُضوًا قياديًا بارزًا في المؤتمر الوطني الأفريقي ، وحاربت من أجل إطلاق سراح الزعيم نيلسون مانديلا ، ليُصبحا بعد ذلك صديقين حميمين .

منعت الحكومة في جنوب أفريقيا عددًا من كُتب غورديمير في فترة الحكم العنصري في البلاد ، وقامت بالتضييق على الكاتبة من أجل إسكاتها وتهميشها ، ومنعها من إيصال صوتها الأدبي المؤثر .

كانت غورديمير على علاقة مُميّزة مع العالم العربي والثقافة العربية ، وربطتها علاقة وثيقة بالروائي المصري نجيب محفوظ، وكانت مهتمة بأعماله . وقد كتبت مقدمة الترجمة الإنجليزية لكتابه " أصداء السيرة الذاتية " ، فضلاً عن مُناصرتها للقضية الفلسطينية ، ودعوتها لإيجاد حل يكفل حقوق الشعب الفلسطيني ، وإن كان يُؤخذ عليها حضور احتفالات الذكرى الستين لتأسيس الكيان الصهيوني (ما يُسمّى بدولة إسرائيل) .

تُرجمت لها عدّة أعمال إلى اللغة العربية، منها " ضيف الشرف " ، و " قوم جولاي " ، و " العالم البرجوازي الزائل " ، و " بلد آخر " .

من أبرز رواياتها : أيام الكذب (١٩٥٣) . عالم من الغرباء (١٩٥٨) . ضيف الشرف (١٩٧٠) . شعب يوليو (١٩٨١) . قصة ابني (١٩٩٠) . الحصول على حياة (٢٠٠٥) .

نجيب محفوظ وزخامة الرواية العربية

وُلد الروائي المصري نجيب محفوظ (١٩١١ - ٢٠٠٦) في حي الجمالية بالقاهرة . كان والده موظفًا ، وكانت والدته ابنة أحد علماء الأزهر . سُمِّي نجيب محفوظ باسم مُركَّب تقديرًا من والده للطبيب المعروف نجيب باشا محفوظ الذي أشرف على ولادته التي كانت متعسرة .

التحق بجامعة القاهرة في عام ١٩٣٠ ، وحصل على ليسانس الفلسفة. شرع بعدها في إعداد رسالة الماجستير عن الجمال في الفلسفة الإسلامية ، ثُمَّ غَيَّرَ رأيه ، وقرَّر التركيز على الأدب . انضمَّ إلى السلك الحكومي ليعمل سكرتيرًا برلمانيًا في وزارة الأوقاف (١٩٣٨ - ١٩٤٥)، ثم مديرًا لمؤسسة القرض الحسن في الوزارة حتى عام ١٩٥٤ . وعمل بعدها مديرًا لمكتب وزير الإرشاد، ثم انتقل إلى وزارة الثقافة مديرًا للرقابة على المصنفات الفنية. وفي عام ١٩٦٠ عمل مديرًا عامًا لمؤسسة دعم السينما، ثم مستشارًا للمؤسسة العامة للسينما والإذاعة والتلفزيون . وآخر منصب حكومي شغله كان رئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للسينما (١٩٦٦ - ١٩٧١)، وتقاعد بعده ليصبح أحد كتّاب مؤسسة الأهرام .

تزوّج محفوظ في فترة توقفه عن الكتابة بعد ثورة ١٩٥٢ من السيدة عطية الله إبراهيم، وأخفى خبر زواجه عنَّ حوله لعشر سنوات، مُتعللاً عن عدم زواجه بانشغاله برعاية أمّه وأخته الأرملة وأطفالها. في تلك الفترة كان دخله قد ازداد من عمله في كتابة سيناريوهات الأفلام ، وأصبح لديه من المال ما يكفي لتأسيس عائلة . ولم يُعرَف عن زواجه إلا بعد عشر سنوات من حدوثه عندما تشاجرت إحدى ابنتيه أم كلثوم وفاطمة مع زميلة لها في المدرسة، فعرف الشاعر صلاح جاهين بالأمر من والد الطالبة ، وانتشر الخبر بين المعارف .

بدأ محفوظ الكتابة في منتصف الثلاثينيات، وكان ينشر قصصه القصيرة في مجلة الرسالة. وفي عام ١٩٣٩ نشر روايته الأولى " عبث الأقدار " التي تُقدِّم مفهومه عن الواقعية التاريخية. ثم نشر " كفاح طيبة " ، و " رادوبيس " ، مُنهيًا ثلاثية تاريخية في زمن الفراعنة .

وبدءًا من عام ١٩٤٥ ، بدأ محفوظ خطه الروائي الواقعي الذي حافظ عليه في معظم مسيرته الأدبية برواية القاهرة الجديدة، ثم خان الخليلي ، وزقاق المدق. وقد جرَّب محفوظ الواقعية النفسية في رواية السراب، ثم عاد إلى الواقعية الاجتماعية مع بداية ونهاية، وثلاثية القاهرة التي تتكون من : بين القصرين (١٩٥٦) . قصر الشوق (١٩٥٧) . السكرية (١٩٥٧) .

بعد ذلك ، اتَّجه محفوظ إلى الرمزية في روايته الشَّحاذ، وأولاد حارتنا التي سبَّبت ردود فعل قوية، وكانت سببًا في التحريض على محاولة اغتياله . كما اتَّجه في مرحلة متقدمة من مشواره الأدبي إلى مفاهيم جديدة كالكتابة على حدود الفنتازيا كما في روايته الحرافيش ، وكتابة البوح الصوفي والأحلام كما في عمله أصداء السيرة الذاتية، وأحلام فترة النقاها، اللذين اتَّسما بالتكثيف الشعري وتفجير اللغة والعالم . تُعتبر مؤلفات محفوظ من ناحية بمثابة مرآة للحياة الاجتماعية والسياسية في مصر، ومن ناحية أخرى يمكن اعتبارها تدوينًا معاصرًا لهمَّ الوجود الإنساني، ووضعية الإنسان في عالم يبدو مهجورًا، كما أنها تعكس رؤية المثقفين على اختلاف ميولهم إلى السُّلطة .

توقَّفَ محفوظ عن الكتابة بعد الثلاثية، ودخل في حالة صمت أدبي، انتقل خلاله من الواقعية الاجتماعية إلى الواقعية الرمزية . ثم بدأ نشر روايته الجديدة " أولاد حارتنا " في جريدة الأهرام في عام ١٩٥٩ . وفيها استسلمَ محفوظ لغواية استعمال الحكايات الكبرى من تاريخ الإنسانية في قراءة اللحظة السياسية والاجتماعية لمصر ما بعد الثورة، لي طرح سؤال على رجال الثورة عن الطريق الذي يرغبون في السير فيه (طريق المُتَوَات أم طريق الحرافيش ؟)، وأثارت الرواية ردود أفعال قوية تسبَّبت في وقف نشرها، والتوجيه بعدم نشرها كاملة في مصر، رغم صدورها في عام ١٩٦٧ عن دار الآداب اللبنانية . جاءت ردود الفعل القوية من التفسيرات المباشرة للرموز الدينية في الرواية، وشخصياتها أمثال: الجبلاوي، أدهم، إدريس، جبل، رفاعه، قاسم، وعرفة. وشكَّل موت الجبلاوي فيها صدمة عقائدية لكثير من الأطراف الدينية .

" أولاد حارتنا " واحدة من أربع روايات تسبَّبت في فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب ، كما أنها كانت السبب المباشر في التحريض على محاولة اغتياله . وبعدها لم يتخلَّ تمامًا عن واقعيته الرمزية، فنشر ملحمة الحرافيش في ١٩٧٧ ، بعد عشر سنوات من نشر " أولاد حارتنا " كاملةً ، كما أنه قد رفض نشرها بعد ذلك حرصًا على وعد قطعه لمندوب الرئيس جمال عبد الناصر بعدم نشر الرواية داخل مصر . وفي أكتوبر ١٩٩٥ ، طُعِنَ محفوظ في عنقه على يد شابين قد قرَّرا اغتياله ، لاتهامه بالكفر بسبب روايته المثيرة للجدل " أولاد حارتنا " .

ومع أن محفوظ بدأ الكتابة في وقت مبكر، إلا أنه لم يلقَ اهتمامًا حتى قرب نهاية الخمسينيات، فظل مُتَجَاهلاً من قِبَل النُّقَّاد لِمَا يُقَارِبُ خمسة عشر عامًا قبل أن يبدأ الاهتمام النقدي بأعماله في الظهور والتزايد . يُعتبر نجيب محفوظ رائد الرواية العربية بلا مُنازع ، وأول عربي يفوز بجائزة نوبل للآداب (١٩٨٨).

نعوم تشومسكي والنحو التوليدي

وُلد الفيلسوف وعالم اللسانيات نعوم تشومسكي (١٩٢٨ - ...) في حي " أوك لين " الشرقي بمدينة فيلادلفيا (ولاية بنسلفانيا الأمريكية) ، لعائلة يهودية يسارية الفكر . أبوه ينحدر من أوكرانيا ، وأُمّه من بيلاروسيا . نشأ مع أخيه في بيئة يهودية ، وتعلم اللغة العبرية التي كان والده يُدرّسها ، وشهد نقاشات داخلية بين أفراد أسرته حول نظرية الصهيونية السياسية . تزوج مرتين وله ثلاثة أولاد . بدأ تشومسكي دراسته في مدرسة أوك لين كونتري ، وأكمل المرحلة الثانوية في مدرسة سنترال بمدينة فيلادلفيا ، وحصل على البكالوريوس في الفلسفة واللسانيات من جامعة بنسلفانيا عام ١٩٤٩ .

نال شهادة الماجستير عام ١٩٥١ بأطروحته " الصيغ الصرفية في العبرية " ، والدكتوراة في اللغويات من نفس الجامعة عام ١٩٥٥ .

انضمَّ تشومسكي في صغره إلى جمعيات متعددة ، لكنه عُرف بانزعاجه من طريقة التدريس الصارمة آنذاك . أعجِبَ بأفكار التيار اليسارية ، وإن انتقد الماركسية فكراً وسياسة .

كان صهيونياً في بداية حياته ، لكن " صهيونيته كانت من النوع الذي يريد صاحبها قيام دولة اشتراكية في إسرائيل ، يعمل فيها اليهود والعرب جنباً إلى جنب على قَدَم المساواة " . ثم اتهمته لاحقاً الأوساط الصهيونية بمعاداة السامية ، لأنه دافع عن حق أستاذ جامعي فرنسي في حرية التعبير دفاعاً عن حقوق الفلسطينيين ، وهو الدافع الذي ما فتى تشومسكي يمارسه منذ عقود .

عمل تشومسكي عام ١٩٥٥ مساعد أستاذ في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا بأمريكا ، وعمل أيضاً خلال الفترة (١٩٥٧ - ١٩٥٨) أستاذاً زائراً بجامعة كولومبيا في نيويورك .

وفي نفس الفترة ، حصل على زمالة المؤسسة الوطنية للعلوم التابعة لجامعة برنستون . أصبح عام ١٩٦١ أستاذاً في قسم اللغات الحديثة واللسانيات ، بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا . وحصل خلال الفترة (١٩٦٦ - ١٩٧٦) على لقب أستاذ فخري للغات الحديثة واللسانيات ، ثم عُيِّنَ عام ١٩٧٦ برتبة بروفيسور في هذا المعهد الذي منحه وظيفة أستاذ فيه مدى الحياة .

في ميدان تخصصه العلمي ، يُوصَف تشومسكي بأنه " أب اللسانيات الحديث " وصاحب نظرية " النحو التوليدي " التي تُعدُّ أهم إسهام في مجال النظريات اللغوية في القرن العشرين . ومنذ التحاقه بالمعهد قام عدّة مرات بتعديل نظريته اللسانية ، لكن مع الحفاظ على مُسَلِّماتها الأساسية .

كما يُعتبر مُنشئُ نظرية "تسلسل تشومسكي" الخاصة بالتحليل اللغوي. وفي المجال السياسي، اهتم تشومسكي مبكراً بالفلسفة الفوضوية، وتوسّع في انتقاد الرأسمالية الليبرالية والدعاية في وسائل الإعلام إضافة إلى السياسة الخارجية الأمريكية، لذلك فإنه لا يتردد في وصف نفسه بـ "النقابي الفوضوي، والليبرالي الاشتراكي". ساند حركة الطلاب الاحتجاجية عام ١٩٦٨، واعتُقل عدّة مرات حيث أدرجه الرئيس الأمريكي آنذاك ريتشارد نيكسون ضمن لائحة "أعداء البلاد". كما اشتهر عام ١٩٦٧ بمعارضته للتورط العسكري الأمريكي في فيتنام من خلال مقالته "مسؤولية المثقفين" فصنّف ضمن "اليسار الجديد". عارض الغزو الأمريكي البريطاني للعراق عام ٢٠٠٣، وقال فيما بعد إن ذلك الغزو هو الذي خلق البيئة المناسبة لنشأة تنظيم داعش، بسبب ما خلفه من تدمير للمجتمع العراقي وإرساء للطائفية فيه. ويقول إن الولايات المتحدة تخشى قيام أئمة ديمقراطية حقيقية في المنطقة العربية، خاصة مع اندلاع ثورات الربيع العربي وتداعي قوى هيمنتها على العالم. زار تشومسكي قطاع غزة في أكتوبر/تشرين الأول عام ٢٠١٢ تضامناً مع أهله المحاصرين، وهو يؤكّد على الدوام أن إسرائيل تنتهج سياسات من شأنها زيادة المخاطر المحدقة بها إلى أقصى حد، "فهي سياسات تختار التوسع على حساب الأمن، وتقود إلى انحطاطها الأخلاقي وغزلتها ونزع الشرعية عنها، الأمر الذي سيؤدّي إلى دمارها في نهاية المطاف، وهذا أمر غير مستحيل". ألّف تشومسكي أكثر من مئة كتاب حول اللغة ووسائل الإعلام والسياسة والحروب، أهمها كتاب صدر عام ١٩٦٦ بعنوان "مواضيع في نظرية القواعد التوليدية"، و"اللغة والعقل" عام ١٩٦٨. وأصدر عام ١٩٦٩ أول كتاب سياسي بعنوان "سلطة أميركا والبيروقراطيين الجدد"، إضافة إلى كتبه: "حياة منشق" و"الحادي عشر من سبتمبر" و"هيمنة الإعلام" و"القوة والإرهاب". حصل تشومسكي على "جائزة أروويل" عامي ١٩٨٧ و ١٩٨٩ التي يمنحها المجلس الوطني لأساتذة اللغة الإنجليزية في بريطانيا، ونال عام ٢٠٠٤ جائزة "كارل فون أوسيتزكي" في ألمانيا. وفي عام ٢٠١٠ حصل على جائزتين هما: "جائزة إريك فروم" في شتوتغارت بألمانيا، وأخرى من جامعة ويسكونسن تقديرًا لإسهاماته النقدية. صنّف في استطلاع للرأي قام به الفيلسوف الأمريكي بريان ليتز في المرتبة العاشرة ضمن أهم الفلاسفة في العالم الناطقين بالإنجليزية (١٩٤٥-٢٠٠٠). وتلقى عام ٢٠٠٨ الميدالية الرئاسية من الجامعة الوطنية لأيرلندا. كما حصل تشومسكي على درجات فخرية من نحو ٣٩ جامعة عالمية من داخل أمريكا وخارجها، إضافة إلى عضويته في عدّة أكاديميات علمية أمريكية ودولية.

نورمان مالكوم وتطبيق منهج فيتغنشتاين

وُلد الفيلسوف الأمريكي نورمان مالكوم (١٩١١ _ ١٩٩٠) في سلدن بولاية كنساس . درس الفلسفة والمنطق في جامعة هارفارد ، ونال منها درجة الدكتوراة، ثم التحق بجامعة كامبردج سنة ١٩٣٨ ، حيث التقى الفيلسوف لودفيغ فيتغنشتاين ، وواظب طوال سنة ١٩٣٩ على حضور محاضراته حول الأسس الفلسفية للرياضيات ، ووقع تحت تأثيره ، وتبنى منهجه وأفكاره ، فكان من أشد أصدقائه . وكان للفيلسوف المنطقي مور أيضاً أعظم الأثر في تكوينه الروحي والعقلي ، ودفعه في اتجاه تحليلي وضعي منطقي ، أسهم في تطور الفلسفة الأنغلوسكسونية في النصف الثاني من القرن العشرين . ويُعتبر مالكوم من أبرز مُمثلي النُّزعة التحليلية في الفلسفة .

عاد مالكوم سنة ١٩٤٠ إلى أمريكا للتدريس في جامعة برنستون، ثم التحق بالبحرية الأمريكية (١٩٤٢ _ ١٩٤٥) . ومن ثم عاد إلى التدريس في جامعة كورنل الأمريكية (١٩٤٧ _ ١٩٥٨) ثم هاجر إلى بريطانيا .

ترك مالكوم وراءه نتاجاً غزيراً ، أشهره كتابه الرئيسي " المعرفة واليقين " (١٩٦٣) ، وهو محاولة لفهم فيتغنشتاين، وشرح لفلسفته واستخدام منهجه لمعالجة موضوعات لم يتناولها فيتغنشتاين مباشرة. كما نشر مالكوم كتباً عديدة، منها " مذكرات لودفيغ فيتغنشتاين " (١٩٥٨) ، حلل فيه مضامين الرسائل التي وجهها إليه فيتغنشتاين على مدى أحد عشر عامًا، والبالغ عددها قرابة الخمسين حول مسائل عدّة ، وكتابه " فيتغنشتاين ، وجهة نظر دينية " (١٩٩٠) . دَوّن فيه معظم آراء فيتغنشتاين وملاحظاته حول الدين طوال فترة حياته بدقة بالغة، كما عرض فيه الأساليب التي جذبتة إلى أنماط التفكير الديني، والعقبات التي حالت بينه وبين الالتزام الديني التام، مقترحاً بالنهاية أربع نقاط متماثلة عمومًا بين مناهج فيتغنشتاين الفلسفية ومواقفه الدينية ، ثم " مشاكل العقل : من ديكارت إلى فيتغنشتاين " ، و " الشعور والسببية " (١٩٨٤) و " الذاكرة والعقل " و " التفكير والمعرفة " ، و " فرضيات فيتغنشتاين ، و " الحلم " .

بدأ مالكوم نشاطه الفكري قريباً من مواقع الوضعية الجديدة ، لكنه أولى اهتماماً بالغاً بفلسفة العقل وحوادث الشعور . وقد تجلّت أصالته في اتجاهه المنهجي الذي يصوغ به نسقاً تقنياً يطبّقه على بعض مسائل فلسفة العقل والشعور بهدف حلها ، فقد سعى في كتابه " الحلم " إلى تطبيق المنهج المنطقي التحليلي الذي طبّقه مور وفيتغنشتاين على فلسفة اللغة والمعاني والدلالات ، كي

ينتقد به أفكار ديكارت ، وفرضياته الشككية التي أتى عليها في كتابه " التأملات الأولى " ، ويُنجِّحها جانباً، تلك التي تقول : ((لا يمكن في معظم حالات الحلم التمييز بين حالة الصحو وحالة النوم، بدعوى أن عقل الإنسان لا يعمل في حالة النوم، وأن معظم الحالات العقلية والشعورية لها الحدوث المتكرر نفسه في الحالتين (الصحو والنوم)، وما يُشاهد في الحلم ما هو إلا استمرار للحالات العقلية نفسها التي يتمثلها الإنسان في حالة الصحو)) .

وفي هذا الصدد ، يسوق مالكوم برهانه على أساس وضع معايير لتمييز العمليات الذهنية (حالات التفكير والشعور والإدراك) ، التي تحدث في حالة الوعي وفي حالة النوم العميق، مُرتكزاً بذلك على تحليل معاني الحالات العقلية والشعورية ودلالاتها في الحالتين، وتطبيق منهج فيثاغورثين المنطقي حول مبدأ قابلية التحقق من صدقها ، أي إمكانية اختبارها ، أو الثبوت منها ، بغية تجاوز التعارض بين الواقعية والموضوعات الخيالية والتناقضات ذات الوجود المستقل عن الذهن البشري ، والتي تُردُّ إلى سوء فهم ، أو سوء تحليل التصورات الفلسفية ، الذي ينجم عنه الخلط بين حالات الشعور والعمليات الذهنية ، فيؤدي ذلك إلى خلافات بين الآراء أو المذاهب الفلسفية حول بعض المسائل .

ويخلص مالكوم إلى القول إنه لا بُد من ترجمة العبارات الفلسفية وتأويلها ، وتحديد الشروط التي بها تصدق العبارات منطقياً ، وتحدد بها مدلولاتها، وبهذا ينتقل مالكوم من التركيب المنطقي للعبارة إلى معناها وصدقها ، أي تحليلها من حيث هي رموز لبناء الكلام المعرفي، وعلى هذا النحو تستعيد الميتافيزيقا دورها الدلالي في التعبير عن أحوال وجدانية وعقلية .

نورمان ميلر والعداء للصهيونية

وُلد الروائي الأمريكي نورمان ميلر (١٩٢٣-٢٠٠٧) في بلدة لونغ برانش بولاية نيوجيرسي، ونشأ في حي بروكلين في مدينة نيويورك، ودرس في جامعة هارفارد، وتخرّج فيها مهندساً، كما درس في جامعة السوربون في باريس. خدم في الجيش على جبهة المحيط الهادئ في أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم عمل في الصحافة محرراً لمجلة "ديسنت" (معارضة) في الفترة (١٩٥٣-١٩٦٣) كما أسهم في إصدار صحيفة صوت القرية في عام ١٩٥٦. ومع كونه من الذين أسهموا في حركة العصيان المدني والاحتجاج على المنظومة السياسية في الولايات المتحدة، رشّح نفسه في عام ١٩٦٩ لمنصب عمدة مدينة نيويورك، لكنه أخفق في الحصول عليه. حصل ميلر على جائزة بوليتزر مرتين، وهو أبرز من استخدم أسلوباً كتابياً جمع بين الواقعي والمتخيّل (مقارنة بالنثر التخييلي)، أو ما عُرف بالصحافة الجديدة. ويُعتبر ميلر من الكُتّاب المتمردين والمتمردين في الولايات المتحدة في النصف الثاني من القرن العشرين.

نشر ميلر في مطلع شبابه وفي أثناء دراسته في باريس، أولى رواياته وأنجحها "الغُرة والموتى" (١٩٤٨)، فلاقت صدى كبيراً، وكانت نَفْساً جديداً، حيث صوّر الحرب بأسلوب الطبيعة والتحليل النفسي، وقَدّم العلاقات الإنسانية متمثلة في مجموعة صغيرة من الجنود، والصراع بين التسلط في هيئة الجنرال كمنغز، والحرية والإرادة الفردية في هيئة الضابط الصغير هرن، وما ينتج عن ذلك. كان مُمكنًا لهذه الرواية - التي صارت من معالم أدب الحرب العالمية الثانية - أن تجعل من كاتبها رمزاً لجيل ما بعد الحرب، لكن ما تلاها من روايات لم ترقَ إلى المستوى ذاته. ولم يكن النقد رحيماً بروايات مثل: "ساحل البربر" (١٩٥١)، وهو ساحل كاليفورنيا التي غاص فيها الكاتب في غياهب السياسة الأمريكية، و"مُتنزّه الأيائل" (١٩٥٥) عن مشكلات فتّاني هوليوود، و"حلم أمريكي" (١٩٦٥)، وفيها تتجلى الأمراض الأمريكية من هوس بالعنف والسيطرة والثروة والجنس.

حاول ميلر إيجاد أسلوب كتابة صحفية خاص به، فنجم عن ذلك مزيج من الأحداث الفعلية والدرامية المعقّدة في مقالات وقصص مثيرة للجدل مثل: "إعلانات لِدّاتي" (١٩٥٩). وكان الجنس موضوعها الرئيسي، و"الأوراق الرئاسية" (١٩٦٣) عن اغتيال الرئيس كينيدي، و"مارلين" (١٩٦٣) وهي شبه سيرة للممثلة مارلين مونرو، أثارت كثيراً من التساؤلات، ومجموعة مقالات

" أكلة لحوم بشر ومسيحيون" (١٩٦٦). وتمكنَ ميلر من هذا الأسلوب، فكتب " ميامي وحصار شيكاغو " (١٩٦٨) عن الاضطرابات السياسية والاجتماعية ، وأعمال الشغب والاحتجاج في أثناء حملة الانتخابات الرئاسية في عام ١٩٦٨ . وأيضاً كتابه المهم " جيوش الليل " (١٩٦٨) الذي قام بناؤه على المسيرة ضد البنتاغون في عام ١٩٦٧ احتجاجاً على حرب فيتنام ، والتي شارك فيها الكاتب ، واعتُقل ، وعُزِم . وقد حصد هذا الكتاب جائزة الكتاب الوطنية ، وجائزة بوليتزر عام ١٩٦٩ .

عادَ ميلر إلى موضوع العنف ، وتحدّثَ في روايته " أغنية الجلاّد " (١٩٧٩) عن حياة المجرم غاري غيلمور وإعدامه . وحصلت الرواية على جائزة بوليتزر للنشر التخييلي لعام ١٩٨٠ . بدأ أيضاً كتابة ثلاثية لم ينشر منها سوى الجزء الأول بعنوان " الغُتاة لا يَرَقصون" (١٩٨٤) ، وهي رواية بوليسية تشويقية ناجحة ، أُخرجت للسينما عام ١٩٨٧ . كتبَ ميلر كثيراً غير ذلك . ومن أنجح ما كتب روايته الضخمة " طيف عاهرة " (١٩٩١) عن وكالة الاستخبارات المركزية، و" الإنجيل حسب الابن " (١٩٩٧) على لسان السيّد المسيح، و " القلعة في الغابة " (٢٠٠٧) ، وهي رواية مُتخيّلة عن طفولة هتلر . وكانت آخر مؤلفاته .

عُرف ميلر بعدائه للصهيونية حتى عدّه بعضهم يهودياً لم يعترف باليهودية ، وقد وقف ضد حرب أمريكا على العراق، لكن ميلر في كتاباته ومقولاته وحياته كان إجمالاً مثلاً للضياع في منتصف القرن العشرين ، وتعبيراً عن الإشكاليات التي يعجُّ بها المجتمع الأمريكي ، في السياسة والحرب والعنف والجنس .

نوفاليس وموت الحبيبة

وُلد الأديب الألماني نوفاليس (١٧٧٢ – ١٨٠١) في أوبرفيدرشتيت، وتُوفّي في فايسنفلد، التابعين لإمارة سكسونيا الألمانية . اسمه الحقيقي : فريدريش فرايهير فون هاردنبرج . وقد صاغ اسمه المستعار من الاسم القديم دي نوفالي، الذي كانت تستخدمه عائلته الأرستقراطية. نشأ في عائلة بروتستانتية مُتديّنة . وبدأ _ بعد إنهاء التعليم المدرسي _ بدراسة الفلسفة في جامعة بينا عام ١٧٩٠ . ثم انتقل خلال الفترة (١٧٩١ – ١٧٩٣) إلى مدينتي لايبزيغ وفيتنبيرغ ، حيث درس الحقوق . وعلى أثر وفاة حبيبته وخطيبته صوفي فون كون ، ذات الخمسة عشر ربيعاً بالسُّل في مطلع عام ١٧٩٧ ، مرَّ نوفاليس بتجربة عاطفية وفكرية عميقة أثّرت في إبداعه الأدبي على نحو واضح ، فانتقل إلى فايسنفلز ، وصار يتردد على أجواء الرومانسيين الأوائل في بينا . وخلال الفترة (١٧٩٧ – ١٧٩٨) درس نوفاليس علم المناجم في أكاديمية فرايبورغ . يُعتَبَر نوفاليس من أهم أدباء الرومانسية الألمانية المبكرة التي تحمست بدايةً للثورة الفرنسية (١٧٨٩)، ومجّدت شعاراتها المعلنة (حرية، مساواة، أخوة)، ولكن منذ ١٧٩٨/١٧٩٩ بدأت تظهر آثار خيبة الأمل وانكسار الأحلام تجاه النتائج التاريخية للثورة ، التي رسّخت أركان المجتمع البرجوازي على حساب شعاراتها ومبادئ معركتها الاجتماعية الاقتصادية الثقافية. وبما أن مثال الإنسانية المبدعة المحرّرة لم يعد قابلاً للتحقيق في حيّز الواقع، فلا بد من رفعه إلى حيّز الشّعْر، لكوّن الشّعْر المجال الوحيد لفعالية غير مُستَلَبَة في رأي الرومانسيين الأوائل. وهذا الميل نحو التكثيف الروحاني مع تأسيس مفاهيم الشعر الرومانسية قد تجلّى في مجموعتي الشذرات، الأولى: " غبار الطلع " (١٧٩٨)، والثانية : " إيمان وحب " (١٧٩٨) ، اللتين تضمّنتا آراءه الفلسفية الجمالية والاجتماعية السياسية ، من منظور مثالي ذي مرجعيات مختلفة ، كما تبدّى فيهما تَوَقُّعه إلى "عصر ذهبي" يحل فيه انسجام تام بين البشر ، وتنتفي المشكلات في ظل كنيسة شاملة لا مذاهب فيها ولا طوائف ، مثلما كان الوضع في العصر الوسيط .

إن إبداع نوفاليس الشعري الذي يمتزج فيه إشراقه الصوفي الأخرى ببهجته الدنيوية ، كان متزامناً مع انهماكه في أداء واجبه الوظيفي بإخلاص وتفانٍ ، ومع استغراقه في دراسات العلوم الطبيعية واللاهوت، وكان تعبيراً خالصاً عن المفاهيم الفنية والفكرية الرومانسية المبكرة ، عن

" مثالية سحرية " تُجسّد عالمًا مُنسجَمًا متكاملًا على نحو طوباوي يعلو على الواقع الحقيقي، ويتعارض مع مفاهيم الواقعية الاجتماعية التي طوّرتها الكلاسيكية الألمانية . وفي هذا السياق يندرج ديوانه المهم " تراتيل إلى الليل " (نُظِم عام ١٧٩٧ ، ونُشر عام ١٨٠٠ في مجلة " أتيوم ") . وقد نظّم قصائده الست بإحساس عميق ولغة إيقاعية سامية صادرة عن يأسه من موت حبيبته المبكر . وفي قصائد هذا الديوان _ النثرية والشعرية معًا _ يضع نوفاليس الموت والمرض في مواجهة الحياة والوجود الدنيوي .

وفي عام ١٧٩٩ ، نظم الشاعر مجموعة " أغاني دينية " ، وفيها يتّضح مدى ابتعاد الشاعر عن التفكير الفلسفي ، وتحوُّله المندفع نحو العقيدة الكاثوليكية . وفي نهاية عام ١٧٩٩ خطب نوفاليس يولي فون كارينثير التي لم يستطع أيضًا أن يتزوَّجها بسبب موته المبكر .

كانت سنوات حياته الأخيرة غزيرة الإنتاج الأدبي ، فقد كتب نوفاليس في أثنائها رواية " المتدربون في زايس " (نُشرت ضمن المؤلفات الكاملة عام ١٨٠٢) . وقد عرّض فيها آراءه في علاقة الإنسان بالطبيعة ، وكيف يمكن للإنسان المحب العارف أن يكتشف ذاته من خلال جهوده لاكتشافها ، والكشف عن جوهرها . والرواية في جزأها مزيج من الحوارات العلمية والتأملات والحكايات الخرافية الجميلة ذات الهدف التعليمي " أمثولات " .

كما كتب في هذه المرحلة روايته الشهيرة " هاينريش فون أوفتردينغن " ، وقصد بها معارضة رواية غوته التربوية " سنوات تعلّم فلّهلم مايستر " . وقد صاغ نوفاليس روايته بلغة شاعرية إيقاعية في أجواء حكاية خرافية حول المغني الجوّال " مينيزنغر " الأسطوري من العصر الوسيط ومراحل تعلمه بحثًا عن " الزهرة الزرقاء " ، التي صارت رمزًا للحركة الرومانسية ، مُؤكِّدًا فيها معارضة الواقع النثري الجاف المقيت بعالم الشّعَر الذي منحه المؤلف قوى سحرية تساعد الإنسان على اعتناق روحه وتحرير ذاته . وقد بقيت الروايتان غير مُكتملتين .

وكان آخر أعماله مقالة " المسيحية أو أوروبا " ، التي لم تُنشر قبل عام ١٨٢٦ ، وهي رثاء لانقسام المسيحية الأوروبية بسبب حركة الإصلاح اللوثرية وعصر التنوير ، واستحضارًا لعصر ديني جديد يعيش الناس فيه بنعيم وسلام ، ولكن في مستقبل قادم طوباوي الملامح، وهذا على نقيض تمجيده في أعماله السابقة لصورته عن العصر الوسيط الذهبي .

نيقولاى بيرديائيف ومحجوب الفلسفة المادية

وُلد الفيلسوف الروسي نيقولاى بيرديائيف (١٨٧٤ _ ١٩٤٨) بمدينة كييف ، لعائلة أرستقراطية. أمضى طفولته في عزلة ، حيث تمكن من الاطلاع على كمية هائلة من الكتب، حصل عليها من مكتبة أبيه، وحين بلغ الرابعة عشرة ، بدأ قراءة أعمال كبار الفلاسفة الألمان أمثال : هيغل ، وشوبنهاور ، وكانت . وقد برع في اللغات منذ صغره .

التحق بجامعة كييف لدراسة القانون والعلوم الطبيعية عام ١٨٩٤ ، وكانت هذه فترة الحمى الثورية بين الطبقة المعروفة باسم (الإنتلجنسيا) ، وهي طبقة لا تعني بالضرورة رجال الفكر، بل تعني كل الناشطين السياسيين، سواءً كانوا من أهل الفكر والثقافة أم لم يكونوا .

في عام ١٨٩٨ ، قُبِضَ عليه في مظاهرة طلابية ، وفُصل من الجامعة. ورغم أنه درس بجامعات أخرى إلا أنه لم ينل الدرجة الجامعية ، فقد تورط في أنشطة غير شرعية، ونُفِيَ إلى فولونطا بشمال روسيا. وفي أثناء المنفى كتب كتابه الأول ، الذي تحوّل فيه من الفكر الاشتراكي الماركسي إلى الفردية الوجودية .

وفي عام ١٩٠٤ ، تزوج بيرديائيف ، وانتقل إلى سان بطرسبرج العاصمة الروسية حينها ، ومركز النشاط الفكري والثوري . حيث دخل في العديد من المناقشات الفكرية والروحية، وتخلّى أخيراً عن الراديكالية الماركسية ليركّز اهتمامه على الفلسفة والدين .

ورغم أن بيرديائيف كان مسيحياً مؤمناً إلا أنه كان ناقداً للكنيسة كمؤسسة ، وقد تسبّب مقاله الناري في نقد مُقدّسات الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في اتهامه بالكفر ، الذي كانت عقوبته النفي إلى سيبيريا مدى الحياة، إلا أن قيام الحرب العالمية الأولى والثورة البلشفية، حالاً دون النظر في قضيته . اعتنق بيرديائيف بعض جوانب الاشتراكية، إلا أنه لم يقبل النظام البلشفي الشيوعي بسبب تسلّط النظام، وسيطرة الدولة على حرية الأفراد. ومع هذا ، سُمح له بإلقاء المحاضرات والكتابة . ولكن في عام ١٩٢٢ طردت الحكومة البلشفية مئة من المثقفين البارزين، كان بيرديائيف من بينهم.

في البداية توجهَ وغيره من المهاجرين إلى ألمانيا إلا أن الظروف الاقتصادية والسياسية في ألمانيا، دفعت الكثير منهم _ بما فيهم بيرديائيف وزوجته _ إلى السفر إلى باريس عام ١٩٢٤ . حيث أنشأ أكاديمية هناك ، لتعزيز تبادل الأفكار مع المجتمع الثقافي الفرنسي .

استمر بيرديائيف في الكتابة أثناء الاحتلال الألماني لفرنسا. والعديد من كتبه نُشر بعد الحرب، والبعض الآخر نُشر بعد وفاته. كتب بيرديائيف في الأعوام التي قضاها في فرنسا خمسة عشر كتابًا، كان من ضمنهم أهم أعماله . وتُؤفِّي على مكتبه في ضاحية كلامار قرب باريس . يُعتبر بيرديائيف من المفكرين الحداثيين . فلسفته تُعبّر عن حياته، وعواطفه، وتجاربه الفكرية والعلمية ، وثمره اطلاع واسع على المذاهب الفكرية في مختلف العصور والحضارات ، ومراقبة للأحداث الكبرى التي حدثت في حياته . وقد ألقى الضوء على مشكلة الإنسان في العصر الحاضر وموقفه بين مختلف التيارات الفكرية والسياسية والاقتصادية .

يجعل بيرديائيف الشخصية الحرة الخلافة محور مذهبه، وليست الشخصية عنده وسيلة ، وإن الغاية هي النمو الحر الكامل للشخصيات، وعنده أن الوجود الحق هو وجود الشخصية الحرة . وفلسفته مُشتقة من تصوّره للروح الإنسانية . وفي نظر بيرديائيف أن عيوب الفلسفة المادية هي أنها تُضعف في الإنسان الشعور برسالته. كما يرى أن الماركسية تسلب التاريخ رُوحه ، لِتُغلّفها بفكرة أن الواقع التاريخي الجوهرى هو الحركة المادية الاقتصادية، وكما أن الإنسان له روح وجسد فكَذلك التاريخ له ثنائيه في نظر بيرديائيف، ومعنى التاريخ يتجلى في الصراع بين الروح والطبيعة. ويرفض بيرديائيف الرأي القائل إن السعادة والكمال لا يتحققان إلا في العصور المتأخرة، وأن الأجيال السابقة تتحمل الشقاء من أجل الأجيال اللاحقة، فهو يرى أن كل فرد خلال التاريخ عنده إمكانيات بلوغ الأبدية في كل لحظة من لحظات حياته ، ومن ثَمَّ فإن معنى التاريخ يمكن الوصول إليه في كل لحظة .

يُعتبر بيرديائيف أحد أهم رواد الفلسفة الوجودية المسيحية . وحاولَ التوفيق بين ماركس وكانت . لكنه ابتداءً من سنة ١٩٠١ ، وتحت تأثير نيتشه خصوصًا، تخلى عن الماركسية، وشارك في حركة التجديد الروسي، وهي حركة دينية التّزعة، كما أسهم في حركة إصلاح وتجديد الكنيسة الروسية . انتُخب نائبًا في مجلس الجمهورية الذي لم يعيش طويلاً . وفي عام ١٩٢٠ صار أستاذًا في جامعة موسكو ، حيث ألقى محاضرات نشر بعضها في سنة ١٩٢٣ في برلين تحت عنوان " معنى التاريخ". وبعضها الآخر تحت عنوان " رُوح دوستوفسكي".

من أبرز أعماله : معنى التاريخ (١٩٢٣) . الثورة الروسية (١٩٣١) . المسيحية وحرب الطبقات (١٩٣١) . الغزلة والمجتمع (١٩٣٤) . العبودية والحرية (١٩٣٩) .

نيقولا ي غوغول واللوثة الدينية

وُلد الأديب الروسي نيقولا ي غوغول (١٨٠٩ - ١٨٥٢) في قرية سورتشيتسي ، قُرب مدينة بولتافا الأوكرانية . تأثّر في صغره بطريقة حياة الفلاحين في الريف الأوكراني ، وتقاليدهم شعب القوزاق وتراثه الغني . وكان أبوه كاتب مسرحيات من وحي الفولكلور الأوكراني .

التحق غوغول بالمدرسة العليا في نيجين ، وظهرت مواهبه الأدبية والفنية في سن الثانية عشرة، ونُشر له أشعار في مجلة هناك ، وكان قد قَلَدَ العجائز في مسرح المدرسة بطريقه كوميدية . في سنة ١٨٢٨ وبعد تخرجه من المدرسة، غادر غوغول إلى العاصمة سانت بطرسبورغ باحثاً عن وظيفة في السلك الحكومي، لكنه لم يجد عملاً ، وتعرّض للكثير من المتاعب المادية . حاول العمل ممثلاً ، ولكنه لم ينجح في الاختبارات ، فحاول أن يسلك طريقاً آخر ويعمل شاعراً، فنشر على حسابه ديوان شعر عاطفي سرعان ما فشل فشلاً ذريعاً ، فقام على إثرها بجمع كل نسخ الديوان وحرقها . وفكّر أن يغادر روسيا ، ويُهاجر إلى أمريكا .

استقل غوغول مركباً ، وسافر إلى ألمانيا على أمل أن يُكمل المشوار إلى أمريكا من هناك . ولكنه أفلس في ألمانيا ، ولم يبقَ معه من المال ليتابع السفر إلى أمريكا . فقرّر الرجوع إلى سانت بطرسبورغ. وهناك أخذ يبحث عن عمل من جديد، حتى وجد وظيفة حكومية براتب متواضع جداً.

ابتدأ غوغول في نفس الوقت يكتب قصصاً في بعض المجلات ، وكانت مواضيعها عن أرياف أوكرانيا ، وعن حياة الفلاحين في القرى هناك ، وأدخل في القصص حكايات عن العفاريات والسّحرة ، استخلصها من الفولكلور الأوكراني بأسلوب مضحك ، استعمل فيه ألفاظاً وأمثالاً شعبية أوكرانية . وفي تلك الأيام كان هذا الأسلوب جديداً في الأدب الروسي ممّا لفت أنظار القُرّاء والنقاد إليه . وفي الفترة (١٨٣١ - ١٨٣٢) كتب ثماني حكايات انتشرت في مجلدين بعنوان " أمسيات في مزرعة قرب ديكانكا " . وفجأةً، وجد غوغول نفسه من المشاهير بين يوم وليلة.

في سنة ١٨٣٤ ، عُيّن غوغول في جامعة سانت بطرسبورغ أستاذاً مُساعدًا في أدب العصور الوسطى ، ولكنه وجد نفسه غير قادر على مثل هذا العمل ، فتركه بعد سنة ، وبدأ التحضير لنشر مجموعات قصصية جديدة في كتابين " ميرجورود " و " أرابيسك " اللذين نشرهما سنة ١٨٣٥ .

استبدل غوغول فيهما أسلوبه الرومانسي بالأسلوب الواقعي التشاؤمي الذي يعكس انعدام القدرة على التجاوب مع الحياة . وفي نفس الوقت انعدام القدرة على الهروب منها .

أقام غوغول في إيطاليا ، وشعر فيها بالراحة ، ولَقِيَ في روما الجو الديني الذي كان يميل إليه .
واندمج مع السباح والمهاجرين الأرستقراطيين الروس .

تُعتبر روايته " النفوس الميتة " أشهر رواياته على الإطلاق . كتب جزءًا منها في سويسرا (خريف ١٨٣٦) ، وكتب جزءًا آخر في باريس . لكن روما كانت المكان الذي كتب فيه غوغول معظمها (١٨٣٧ _ ١٨٣٨) . وأطلق غوغول على هذه الرواية اسم " ملحمة " . وهي تُصوّر روسيا الإقطاعية بنظامها البيروقراطي الفاسد الذي كان سائدًا في تلك الأيام .

سيطرت على غوغول فكرة دينية فحواها أن الرب حبّاه بموهبة أدبية كبيرة ، ليس ليعاقب الفساد عن طريق إضحاك الناس فقط ، بل أيضًا ليُظهر لروسيا الطريق الصحيح للعيش في عالم شرير . وبهذا دخل غوغول في متاهة دينية ، وتوقف عن الكتابة لمدة طويلة .

وخطرت في دماغه فكرة جديدة ، فحواها أن الرب _ لسبب ما _ لا يريد أن يكون غوغول هو من يرشد الناس لحياة أكثر خيرًا . وعلى الرغم من ذلك قرّر أن يقوم بتوصيل الفكرة والعمل كمعلم وواعظ بدون أن يستخدم قدراته الفنية ، فكتب " مختارات من مراسلاتي مع أصدقائي " (١٨٤٧) وهي عبارة عن مجموعة من الخواطر . وكانت النتيجة سيئة جدًا ، حيث قام القراء والنقاد بمهاجمة الكتاب . شعر غوغول أنه فعلاً مُذنب كبير ، وأن الرب تخلى عنه بالكامل ، فأصيب بوسواس ديني ، وبدأ يُكثر صلواته ، ويتعدى عن الحياة والمجتمع . وفي سنة ١٨٤٨ ذهب إلى بيت المقدس كي يحجّ لكنه لم يشعر بالراحة . وعندما عاد إلى روسيا أخذ ينتقل من مكان إلى مكان حتى استقرّ في موسكو ، وهناك قابل قسيسًا مُتطرقًا دينيًا اسمه " الأب ماتفي كنستينوفسكي " الذي أدخل في دماغه أفكارًا تحريرية غريبة ، وسيطر عليه ، وبقي يأمره بفعل أشياء . وكان من أحد هذه الأوامر أن يقوم بحرق مخطوط الجزء الثاني من روايته " النفوس الميتة " الذي لم يكن قد نشره بعد ، فأحرق غوغول المخطوط يوم ٢٤ فبراير / شباط سنة ١٨٥٢ .
وبعدها بعشر أيام مات نتيجة الصيام المتواصل ، وهو مُصاب بلوثة شبه جنونية .

وعلى الرغم من اللوثة الدينية التي أصيب بها غوغول ودمّرت عبقريته الأدبية ، كان تأثير غوغول في الأدب الروسي كبيرًا جدًا . حيث إن روايته " النفوس الميتة " (مع نقصها) ، و " المعطف " (١٨٤٢) ، ومسرحيته " المفتش العام " (١٨٣٦) أسست مدرسة أدبية جديدة في روسيا اسمها " المدرسة الطبيعية " . يُعتبر غوغول من أكبر الكتّاب الروس ، وأحد أشهر الكتّاب الساخرين في العالم . وقد أجمع النقاد على أنه مؤسس المذهب الواقعي النقدي الساخر في الأدب الروسي .

نيكوس كازانتزاكيس وانتقاد الأديان

وُلد الأديب اليوناني نيكوس كازانتزاكيس (١٨٨٣ - ١٩٥٧) في هيراكليون _ كريت . ولم تكن كريت قد انضمت بعد إلى الدولة اليونانية الحديثة (التي أنشئت عام ١٨٣٢) ، وكانت لا تزال تحت حكم الإمبراطورية العثمانية .

من عام ١٩٠٢ ، درس كازانتزاكيس القانون في جامعة أثينا ، ثم ذهب إلى باريس في عام ١٩٠٧ لدراسة الفلسفة . وهناك ، وقع تحت تأثير الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون . وكان عنوان أطروحة له عام ١٩٠٩ " فريدريك نيتشه وفلسفة الحق والدولة " .

اكتشف كازانتزاكيس الشيوعية، وأصبح معجباً بفلاديمير لينين . وقال إنه لم يصبح شيوعياً، ولكن زار الاتحاد السوفيتي ، والتقى المعارضة اليسارية . وشهد صعود جوزيف ستالين، وأصيب بخيبة أمل مع الشيوعية على النمط السوفيتي . وفي هذا الوقت، غيّر معتقداته الوطنية القديمة تدريجياً ، وتبنى أيديولوجية أكثر عالمية . وفي عام ١٩٤٥ ، أصبح زعيم حزب صغير يساري غير شيوعي، ودخل الحكومة اليونانية وزيراً بدون حقيبة . واستقال من هذا المنصب في العام التالي . وفي عام ١٩٤٦ ، قامت جمعية الكتاب اليونانية بترشيحه للحصول على جائزة نوبل للآداب . وفي عام ١٩٥٧ ، خسر الجائزة لصالح ألبير كامو بفارق صوت واحد . وفي أواخر عام ١٩٥٧ ، وعلى الرغم من معاناته من سرطان الدم، ذهب في رحلة إلى الصين واليابان . وسقط مريضاً في رحلة عودته، ثم نُقل إلى فرايبورغ في ألمانيا ، حيث تُوفي ، ونُقل جثمانه إلى أثينا . ولكن الكنيسة الأرثوذكسية منعت تشييعه هناك، فنُقل إلى كريت، وكُتبت على شاهد قبره _ بناءً على طلبه _ هذه العبارة من قصص التراث الهندي : ((لا آمل في شيء . لا أخشى شيئاً . أنا حر)) .

اشتهر بروايته " زوربا اليوناني " التي تُعتبر أعظم ما أبدع ، واشتهر عالمياً بعد عام ١٩٦٤ حيث أنتج فيلم " زوربا اليوناني " للمخرج مايكل كاكويانيس ، والمأخوذ عن روايته . وتجددت شهرته عام ١٩٨٨ حيث أنتج فيلم " الإغواء الأخير للمسيح " للمخرج مارتن سكورسيزي ، وهو مأخوذ عن رواية لكازانتزاكيس أيضاً .

اختيرت الذكرى الخمسين لوفاته كفكرة لعملات اليورو عالية القيمة . عملة كازانتزاكيس اليوناني التذكارية ذات قيمة العشرة يورو صُغت في عام ٢٠٠٧ . حيث يظهر في إحدى وجهي العملة صورته ، وعلى الوجه الآخر من العملة الشعار الوطني اليوناني مع توقعه .

رغم انتقاده الدائم للأديان إلا أنه لم يكن ينتقد رجال الدين كأفراد، وإنما ينتقد استخدام الدين كغطاء للتهرب من المسؤولية والعمل الفعّال . وحسب وجهة نظره أن دين المسيح كان ينظر إلى الحياة نظرة مُبسّطة ومتفائلة جدًا ، على عكس بوذا الذي ينظر إلى الكون بعين ثاقبة وعميقة . لقد أحب بوذا بوصفه مُعلّمًا ومُرشدًا روحيًا ومُخلّصًا. كان بوذا في نظر كازانتزاكيس المرشد الذي نظم فوضى أسئلته ، وأعطاه السكينة والسلام الداخليين .

تطوّع في العام ١٩١٢ في الجيش اليوناني في حرب البلقان، ثم عُيّن في العام ١٩١٩ مديرًا عامًا في وزارة الشؤون الاجتماعية في اليونان، وكان مسؤولاً عن تأمين الغذاء لحوالي ١٥ ألف يوناني ، وإعادتهم من القوقاز إلى اليونان. لكنه استقال بعد ذلك من منصبه. وعمل في السياسة لفترة قصيرة، ثم عُيّن وزيرًا في الحكومة اليونانية في عام ١٩٤٥، ثم مديرًا في اليونسكو في عام ١٩٤٦. وكانت وظيفته العمل على ترجمة كلاسيكيات العالم ، لتعزيز جسور التواصل بين الحضارات، خاصة بين الشرق والغرب . واستقال بعد ذلك ليتفرغ للكتابة .

كتب كازانتزاكيس الأوديسة ، وهي ملحمة شعرية مؤلّفة من ٣٣.٣٣٣ بيتًا . وقد بدأها من حيث انتهت أوديسة هوميروس . وقد اعتُبرَ هذا العمل ثورةً في مجال المفردات اللغوية والأسلوب، كما أظهر معرفة كازانتزاكيس العميقة بعلم الآثار والأنثروبولوجيا .

تعرّضت بعض أعمال كازانتزاكيس للرقابة ، ومنع نشرها في بعض دول العالم . إلا أن كتاب " الإغواء الأخير للمسيح " الذي نُشرَ في عام ١٩٥١ اعتُبرَ الأكثر إثارة للجدل، إلى درجة أن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية منعت الكتاب ، كما عمد البابا آنذاك إلى إدراج كتابه ضمن لائحة الكتب الممنوعة في الفاتيكان عام ١٩٥٤ ، والذي أثار الجدل ذاته بعد أن قام المخرج الأمريكي مارتن سكورسيزي بإخراج هذا العمل في ثمانينيات القرن العشرين .

خُصّص له متحف صغير في جزيرته كريت، واحتوى هذا المتحف على أشياءه الشخصية ومجموعة من المخطوطات والرسائل، بالإضافة إلى النُسخ الأولية لكتبه، وصور ومقالات كُتِبَتْ عن حياته وأعماله .

تمّ إخراج أربعة أفلام أُخذت عن رواياته ، وهي : الهوى اليوناني ، وزوربا، والإغواء الأخير للمسيح. وفيلم مأخوذ عن كتاب الإسكندر الأكبر . وتقول عنه زوجته إنه كان نقيًا وبريًا وعذبًا بلا حدود مع الآخرين ، أمّا مع نفسه فقد كان شديد القسوة ، ربما لإحساسه بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وحجم العمل المطلوب منه ، ولأن ساعاته في الحياة محدودة .

نكولا ميكافيلي وكتابه الأمير

وُلد الفيلسوف الإيطالي نيكولا ميكافيلي (١٤٦٩ - ١٥٢٧) في فلورنسا ، وتُوفّي فيها . كان والده محامياً من النبلاء ، وكانت العائلة منحدره من أسرة توسكانية عريقة .

لَمْ يتلقَ ميكافيلي تعليمًا واسعًا لكنه أظهر ذكاءً حادًا . اتَّبَعَ ميكافيلي في بداية الأمر رَجُل الدين والسياسي الإيطالي جيرولامو سافونارولا الذي كان ينتمي إلى نظام الرهبان الدومينيكان ، وكان سافونارولا يدعو الشباب الإيطالي إلى التمسك بالفضيلة، لكن ميكافيلي لَمْ يلبث أن ابتعد عنه ، فقد كان ميكافيلي سياسيًا يسعى إلى فصل الدين عن السُّلطة بجعل فلورنسا جمهورية .

اختير ميكافيلي عام ١٤٩٨ سكرتيرًا للمستشارية الثانية لجمهورية فلورنسا التي تُشرف على الشؤون الخارجية والعسكرية . وفي عام ١٥٠٠ انتهى من أولى بعثاته الدبلوماسية إلى فرنسا ، حيث قابل قابل الملك لويس الثاني عشر . وقد بقي ميكافيلي في منصبه كسكرتير للمستشارية الثانية ١٤ عامًا حتى سُجِنَ في فلورنسا عام ١٥١٢ ، وذلك عَقِبَ عودة أسرة ميديتشي إلى الحكم في فلورنسا والإطاحة بجمهورية سودريني، وقد نزل قرار بإعدامه عام ١٥١٣ ، إلا إنه نجا بأعجوبة من تلك العقوبة ، ولكنه طُرِدَ من عمله .

كان لميكافيلي دور هام في تطوُّر الفكر السياسي، حيث إنه أسَّس منهجًا جديدًا في السياسة، بأفكار تُبشِّر بمحاولات لتجاوز الفكر الديني ، وتجاوز السُّلطة الدينية التي كانت سائدة في الفكر السياسي الأوروبي في القرون الوسطى .

لَمْ يكن ميكافيلي مجرد كاتب أو فيلسوف أو صاحب نظرية، بل كان أيضًا مشتركًا بقوة في الحياة السياسية المضطربة وغير المستقرة التي مرَّت بها مدينة فلورنسا في الفترة التي عاش فيها .

والمجتمع عند ميكافيلي يتطور بأسباب طبيعية، فالقوى المحرِّكة للتاريخ هي المصلحة المادية والسُّلطة . وقد لاحظ صراع المصالح بين جماهير الشعب والطبقات الحاكمة ، وطالب ميكافيلي بخلق دولة وطنية حُرَّة من الصراعات الإقطاعية القاتلة، وقادرة على قمع الاضطرابات الشعبية.

وكان يعتبر من المسموح به استخدام كل الوسائل في الصراع السياسي، فهو القائل "الغاية تُبرِّر الوسيلة " ، لذلك برَّر القسوة والوحشية في صراع الحكام على السُّلطة . وكانت أهمية ميكافيلي التاريخية أنه كان واحدًا من أوائل مَنْ نظروا إلى الدولة بعين إنسانية ، واستنبطوا قوانينها من العقل والخبرة ، وليس من اللاهوت .

يُعتبر " الأمير " أشهر كتب ميكافيلي على الإطلاق . وهو دراسة في الفقه السياسي كتبها عام ١٥١٣ ، أثناء وجوده في قرية سانتاندريا بركوسينا مُبعدًا إثر عودة عائلة ميديتشي إلى الحكم ، لاثهامه بالمشاركة في مؤامرة ضد الميديتشييين . أهدى ميكافيلي هذا العمل إلى لورينزو الثاني دي ميديتشي على أمل استعادة منصب أمين الجمهورية ، وتمّ نشره عام ١٥٣٢ .

لم يتم نشر " الأمير " إلا بعد وفاة ميكافيلي بخمسة سنين ، لذلك لم يفهمه البعض ، وهاجموه حتى أصبح اسمه ملازمًا للشر حتى في الفنون الشعبية . وأول من هاجم ميكافيلي هو الكاردينال بولس ، ممّا أدى لتحريم الاطلاع على كتاب " الأمير " ونشر أفكاره . ووضعت روما كتابه عام ١٥٥٩ ضمن الكتب الممنوعة ، وأُحرقت كل نسخة منه .

عندما بزغ نور عصر النهضة في أرجاء أوروبا ، ظهر هناك مَنْ يُدافع عن ميكافيلي ويُترجم كتبه . ولم يصل ميكافيلي وفكره لِمَا وصل إليه الآن إلا في القرن الثامن عشر ، عندما مدحه جان جاك روسو ، وفيخته ، وشهد له هيغل بالعبقريّة . ويُعتبر ميكافيلي أحد الأركان التي قام عليها عصر التنوير في أوروبا .

أصبح ميكافيلي الشخصية الرئيسية ، والمؤسس للتنظير السياسي الواقعي ، والذي أصبح فيما بعد عصب دراسات العلم السياسي .

هدف ميكافيلي من كتابه " الأمير " أن يكتب تعليمات للحكام . وأيد فيه فكرة أن ما هو مُفيد فهو ضروري ، والتي كانت عبارة عن صورة مُبكرة للنفعيّة والواقعية السياسية . وقد فصلت نظريات ميكافيلي في القرن العشرين ، وأُشيعت بحثًا .

نيلي زاكس وذاكرة المولوكوست

وُلدت الشاعرة الألمانية نيلي زاكس (١٨٩١-١٩٧٠) في برلين ، وماتت في ستوكهولم . اسمها الأصلي ليوني زاكس. مُنحت جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٦ مُناصفة مع الكاتب الإسرائيلي شموئيل يُوسُف عجنون . وذلك " لأعمالها الشعرية والمسرحية التي فسّرت القَدَر اليهودي بقوة واضحة " . كانت الابنة الوحيدة لوليام زاكس الذي كان مخترعًا وصاحب مصنع . ونشأت في أسرة مثقفة متألّفة في مناخ برجوازي . وبسبب سوء حالتها الصحية ، فقد تلقت دروسًا خاصة لمدة ثلاث سنوات. والتحقّت في عام ١٩٠٣ بمدرسة الفتيات العليا ، وحصلت منها بعد خمس سنوات على الشهادة المتوسطة . وفي سن السابعة عشرة ، كتبت أولى قصائدها .

كانت زاكس انطوائية . وجدت حياتها في العزلة ، وقَلَمًا كانت تهتم بالحياة الاجتماعية . وبقيت غير متزوجة بعدما حاول الأب قطع علاقتها الغرامية برجل مُطلّق ، إلا أن العلاقة بقيت قائمة بينها وبين ذلك الرّجل . وقد تمّ اعتقالهما معًا في بداية الحرب العالمية الثانية ، ومات ذلك الرّجل في معسكر للاعتقال .

في عام ١٩٢١ ، صدرت أولى مجموعات الشعرية بعنوان " أساطير وقصص " . وكانت قصائدها الأولى ذات صبغة سوداوية ، ومتأثرة بالمدرسة الروائية الجديدة ، وتدور حول مواضيع من الطبيعة والموسيقى . ولكن عندما قامت زاكس بنشر أعمالها الكاملة ، لم تُضمّن تلك المجموعة الشعرية .

مات والدها في عام ١٩٣٠ ، بعد معاناة طويلة مع مرض السرطان ، فانتقلت مع والدتها إلى بيت مُستأجر في برلين . وفي نهاية العشرينيات نشرت قصائدها في عدّة صحف برلينية . وقد لقيت قصائدها الترحيب ، سواءً من القُرّاء أم النُّقاد . أمّا القصائد ذات الروح التجريبية ، والمخالفة للطرق التقليدية ، وذات الأسلوب المعقّد التي يصعب فهمها ، فقد تركتها تمامًا .

عاشت زاكس مع والدتها في الثلاثينيات في برلين حياةً صامتة ومنعزلة، كما كان الحال بالنسبة لليهود. وتَمّ استدعاؤها أكثر من مرّة للتحقيق من قِبَل الجيستابو(البوليس السّري الألماني)، وتَمّ نهب منزلها من قِبَل رجال كتيبة العاصفة (الجناح شبه العسكري للحزب النازي) . وعانت الكثير بسبب أصلها اليهودي . وأخيرًا ، قرّرت الهرب من ألمانيا مع أمّها. وسافرت صديقتها " الآرية" جودرون هارلان في صيف ١٩٣٩ إلى السويد لطلب المساعدة من الكاتبة

سلمى لاغرلوف للحصول على تأشيرة سويدية. لكنها لم تستطع المساعدة بسبب حالتها الصحية، وماتت قبل أن تفعل شيئاً. فاتَّجَهِت هارلان إلى الأمير الرّسام أويجن ، وهو شقيق مَلِك السويد ، والذي ساعدها في النهاية .

في السويد ، عاشت المرأتان في ظروف فقر وحاجة ، في مسكن من حُجرة واحدة في جنوب ستوكهولم . وكانت زاكس ترعى والدتها ، وتعمل بشكل مؤقت غَسَّالَةً لتكسب قُوت يَوْمها . وبدأت تتعلم السويدية ، وتُترجم الشَّعر السويدي الحديث إلى الألمانية . وتطوَّر شعرها في سنوات الحرب بشكل كامل. فقصاصُها لِعَامَي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ ، والتي صدرت فيما بعد في مجموعة " في مساكن الموت " تتضمَّن صُورًا للألم والموت ، وتُعتبر تأييداً فريداً لشعب مُعذَّب . وفي فترة ما بعد الحرب ، واصلت زاكس الكتابة بلغة عميقة ومربرة ، لكنها رقيقة ، عن فظائع الهولوكوست . نشرت ديوانيتها " في مساكن الموت " و " إظلام النجوم " في برلين الشرقية عام ١٩٤٩ . ولكن لم تنشر في السويد ، ولا في المناطق الغربية من ألمانيا . وقد ظلَّت وأُمُّها في ظروف مالية سيئة ، لكنها كانت تَكسب قُوت يَوْمها في تلك الفترة من الترجمة .

في عام ١٩٦٣ ، حصلت على الجنسية السويدية . وبعد سنوات من العزلة ، وجد اسمها أخيراً طريقَ الشُّهرة في البلاد الناطقة بالألمانية . ونشرت مجموعتيها " ولا يعرف أحدُ المزيد " ، و " الهروب والتحول " المتأثرتين بالسريرية الفرنسية في عَامَي ١٩٥٧ و ١٩٥٩ في هامبورغ وميونخ وشتوتغارت .

كانت أول جائزة أدبية ألمانية تحصل عليها ، هي جائزة الشَّعر من الدائرة الثقافية في النقابة الاتِّحادية للصناعة الألمانية في عام ١٩٥٩ ، لكنها حصلت عليها في غيابها ، فلم تكن ترغب في العودة إلى ألمانيا ، بسبب خَوْفها وقلقها . كما ظهرت عليها علامات مرض نفسي .

وكانت أول امرأة تُمنَح جائزة السلام لتجارة الكتب الألمانية في عام ١٩٦٥. وفي عيد ميلادها الخامس والسبعين في ١٠ ديسمبر ١٩٦٦ ، مُنحت نيلي زاكس جائزة نوبل للآداب مِن يَد مَلِك السويد . وألقت خطاب شكرها القصير بالألمانية ، واقتبست فيه من قصيدة لها : ((استبدلتُ بالوطن تحوُّلات العالم)) . وقد مُنحت القيمة المالية للمحتاجين ، ومنحت نصفها لصديقتها القديمة جودرون هارلان . وفي سنوات عُمرها الأخيرة انسحبت من الأضواء ، وعاشت في عُزلة . وبجوار مُعاناتها النفسية، وإقامتها في مصح للأعصاب ، فقد أُصيبت بالسرطان ، وماتت بسببه في مستشفى في ستوكهولم ، ودُفنت في مقبرة يهودية في شمال ستوكهولم .

هاروكي موراكامي والسوداوية المفترقة

وُلد الروائي الياباني هاروكي موراكامي (١٩٤٩ _ ...) في مدينو كيوتو ، عقب الحرب العالمية الثانية ، لوالدين يعملان في تدريس الأدب الياباني .
أمضى معظم فترة صباه في مدينة كوبي . ومنذ طفولته كان موراكامي متأثرًا بالثقافة الغربية ، وبالتحديد الموسيقى والأدب الغربي . وقد درس الدراما في جامعة واسيدا في طوكيو حيث تعرّف على زوجته يوكو .
بدأ عمله في محل للتسجيلات ، ثم افتتح مقهى بطوكيو بمشاركة زوجته في عام ١٩٧٤ . وفي عام ١٩٧٨ ، وأثناء مشاهدته لمباراة بيسبول بإستاد جينجو ، دأبهم الإلهام لكتابة رواية . وبدأ حينها في الكتابة . وانتهى من تأليف رواية " استمع للرياح تُغني " المكوّنة من ٢٠٠ صفحة ، في الخريف من نفس العام ، وشارك بها في مسابقة للكتاب الجدد ، وفاز فيها ، ونُشرت الرواية في العام التالي .
نُشرت روايته الثانية " بنبول ١٩٧٣ " في عام ١٩٨٠ . وتتناول مواضع الوحدة والصداقة والقدر ، وتم ترشيح الرواية لجائزة أكوتاجاوا . ومع النجاح الذي حقّقه أولى رواياته ، قرّر أن يواصل عمله في الكتابة بشكل دائم ، وباع المقهى الخاص به .
في عام ١٩٨٢ ، أصدر رواية " مطاردة الخراف الجامحة " ، والتي شكّلت مع الروايتين السابقتين " ثلاثية الفأر " .
وفي عام ١٩٨٥ ، نشر رواية " أرض العجائب الحارة ونهاية العالم " ، وهي رواية غريبة وسريالية ، وتنقسم بين روايات متوازية .
وفي غضون عامين ، أصدر رواية " الغابة النرويجية " (١٩٨٧) . وتدور أحداثها في طوكيو في أواخر الستينيات ، وهي الحقبة التي تظاهر فيها الطلاب اليابانيون ضد النظام الحاكم . وحازت الرواية على شهرة واسعة بين الشباب . في أواخر الثمانينيات ، استاء موراكامي من المناخ الاجتماعي في اليابان ، ومن شهرته المتزايدة هناك ، فأقام مؤقتًا في أوروبا لعدة سنوات ، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٩١ .
أقام بولاية نيوجيرسي ، وعمل باحثًا مساعدًا بجامعة برنستون ، وتمّت ترقيته إلى أستاذ مساعد بالجامعة في عام ١٩٩٢ ، ثم بدأ التدريس في جامعة وليام هوارد تافت في عام ١٩٩٣ .

وأثناء تدريسه بالجامعة ، كتب موراكامي عام ١٩٩٥ ، واحدة من أفضل رواياته ، وهي " نهاية تاريخ الطائر " . وقد ركزت على جرائم الحرب التي ارتكبتها الجيش الياباني في القارة الآسيوية ، وصوّرتها بالكابوس .

وفي عام ١٩٩٥ ، تعرّضت مدينة كوبي للزلازل مُدمّر ، كما قامت جماعة " أوم شينريكيو " الدينية المتطرفة بتنفيذ هجوم على مترو أنفاق طوكيو ، ممّا دفع موراكامي إلى العودة لليابان ، وألهمته هذه الأحداث الأليمة لكتابة رواية " تحت الأرض " (١٩٩٧) ، التي تُعتبر تصويرًا واقعيًا لحادث مترو الأنفاق الإرهابي ، ورواية " بعد الزلزال " (٢٠٠٠) ، وهي مجموعة من ست قصص قصيرة ، تستكشف الآثار النفسية التي خلّفها الزلزال لدى سكان اليابان .

أمّا رواية " سوتنيك الحبيبة " (١٩٩٩) ، فتبحث في طبيعة الحب ، وتدور أحداثها حول اختفاء روائي شاب يُدعى سومير .

وفي عام ٢٠٠٢ ، صدرت أشهر رواياته " كافكا على الشاطئ " ، ونُشرت الترجمة الإنجليزية لها في عام ٢٠٠٥ . وقد حقّقت نجاحًا هائلًا فورَ صدورها ، وحصلت على ثناء النقاد والقراء .

تمّ تحويل بعض أعمال موراكامي إلى أفلام ومسرحيات . وفي عام ٢٠١٥ ، تمّ اختياره ضمن أكثر ١٠٠ شخصية مؤثرة على المستوى العالم ، في القائمة التي تُعدها مجلة التايم الأمريكية . لاقت أعماله نجاحًا باهرًا ، حيث تصدرت قوائم أفضل الكتب مبيعًا ، سواءً على الصعيد المحلي أم العالمي ، وترجمت إلى أكثر من خمسين لغة .

حصل موراكامي أيضًا على عدّة جوائز أدبية عالمية منها ، جائزة عالم الفنتازيا (٢٠٠٦) ، وجائزة فرانك أوكونور العالمية للقصة القصيرة (٢٠٠٦) ، وجائزة فرانز كافكا (٢٠٠٦) ، وجائزة القدس (٢٠٠٩) .

تأثّر موراكامي بالكتاب الغربيين ، وظهر هذا التأثير واضحًا في أعماله الأدبية ، الأمر الذي دفع بعض المؤسسات الأدبية اليابانية لانتقاد بعض أعماله لبعدها عن المنهج الأدبي الياباني .

وغالبًا ما تتسم أعمال موراكامي بالسريالية والسوداوية والعدمية، كما تتناول معظم رواياته موضوع الانسلاخ الاجتماعي والوحدة والغربة والأحلام .

يُعدّ موراكامي من أهم رموز أدب ما بعد الحداثة . كما وصفته مجلة الغارديان بأنه " أحد أعظم الروائيين في يومنا هذا " ، بسبب أعماله وإنجازاته .

هارولد بنتر وكوميديا التهديد

وُلد الكاتب المسرحي البريطاني هارولد بنتر (١٩٣٠ - ٢٠٠٨) في لندن ، لأبوين يهوديين من الطبقة العاملة . بدأ حياته المهنية كمُمثِّل . ومسرحيته الأولى " الغرفة " قُدِّمت في جامعة بريستول عام ١٩٥٧ . ومسرحيته الثانية ، والتي تُعدُّ الآن مِن أفضل أعماله "حفلة عيد الميلاد" ، قُدِّمت في عام ١٩٥٨ ، وواجهت فشلاً تجاريًا رغم ترحيب النُّقاد بها . لكنه قُدِّمت مرة أخرى بعد نجاح مسرحيته " الناظر " (١٩٦٠) ، والتي جعلته مسرحيًا مُهِمًّا ، وهذه المرة اسْتُقْبِلَتْ بشكل جيّد . في عام ١٩٤٨ ، حصل بنتر على منحة لدراسة التمثيل في الأكاديمية الملكية للفن المسرحي ، لكنه لم يُكْمِل دراسته بها . وفي يناير عام ١٩٥١ ، قام لأول مرة كمُمثِّل مُحترِف ، بتمثيل دور شيكسبيري ، إذ اشترك في تمثيل مسرحية هنري الثامن ، وبعدها استأنف بنتر تدريبه على التمثيل في المدرسة المركزية للإلقاء والدراما .

مسرحياته الثلاث الأولى ، وعمل آخر له ، وهو "العودة إلى البيت" في عام ١٩٦٤ ، جعلت عمله يُصنَّف على أنه مِن كوميديا التهديد ، حيث تبدأ المواقف بشكل بريء جدًا ثم تتطور بطريقة عبثية ، لأن الشخصيات في المسرحية تتصرَّف بطريقة غير مفهومة ، لا للجمهور ولا حتى لبقية الشخصيات . واعتبر النُّقاد أن هذا الأمر مِن تأثير صمويل بيكيت على بنتر ، وقد صار الرُّجلان صديقَيْن مِن يومها . يتَّسم مسرح بنتر بالغموض ، لأنه تأثر بِكُتَّاب العبث ، وخاصة بيكيت ، كما أنه تأثر بتشيوخوف ودوستوفسكي وهمنغواي . ويستخدم بنتر الكلمات لأغراض غير الأغراض المألوفة ، فهو يخلق من إيقاع الكلمات إحساسًا بالخوف والتهديد ، فوصِّفت أعماله بأنها عنيفة ، وسُمِّيت مسرحياته " كوميديا التهديد " .

كما اعتمد بنتر على تكرار الكلمات والألفاظ ، وعلى تجريدها مِن معناها المصطلح عليه ، بحيث تكتسب كيانًا مُستقلًا عن المعنى المحدد لها .

أُطْلِقَ على بنتر لقب " شاعر الصمت " لأنه يُكثِّر من استخدام فترات الصمت في الحوار ، وهو يهدف مِن وراء ذلك إلى جعل المتفرِّج يتصوَّر الاضطرابات النفسية والمخاوف والأحاسيس المختلفة التي تضطرم في نفسيات الشخصيات . يهتم بنتر بالقضايا الفلسفية التي تبحث فيها الوجودية ، مثل : مشكلة البحث عن الذات ، ومشكلة استحالة الثبُت من الحقيقة ، ومشكلة انعدام الاتصال بين البشر ، حيث أصبح كل إنسان حبس مخاوفه وأسير عالمه الخاص .

كذلك يهتم بنتر بالبحث في الدوافع المختلفة الكامنة وراء تصرفات الإنسان وأفعاله . ويتعرض لعلاقة الإنسان والقوى الخارجية ، والتي قد تتجسد في النظام القائم أو التقاليد والعادات الاجتماعية ، أو القدر المحتوم على الإنسان ، أو العلاقة بين الإنسان وخالفه . ويُصوّر محاولة الإنسان للتحرر من القيود التي تفرضها عليه هذه القوى الخارجية _ حسب تفكيره_.

في عُقد السبعينيات تفرغ بنتر للإخراج أكثر ، وعمل كمساعد مخرج في المسرح الوطني عام ١٩٧٣، وأصبحت مسرحياته أكثر قِصراً ، ومُحمّلة بِصُور الاضطهاد والقمع. وفي عام ٢٠٠٥، أعلن اعتزاله الكتابة وتفرغه للحملات السياسية .

لبنتر نشاط سياسي مُميّز ، دافعاً عن الحقوق والحريات ، بغض النظر عن المواقف الرسمية لبلاده . وفي عام ١٩٨٥، كان مع الكاتب المسرحي الأمريكي آرثر ميلر في زيارة إلى تركيا ، وهناك تعرّف على أنواع التعذيب والقمع التي يتعرض لها المعارضون . وفي حفل رسمي في السفارة الأمريكية أُقيم على شرف ميلر ، تقدم بنتر ليلقي كلمة عن أنواع التعذيب والإذلال الجسدي التي يتعرّض لها المعارضون للنظام الذي كانت الحكومة الأمريكية تدعمه . أدّى هذا الأمر إلى طرده من الحفل ، وخرج ميلر مُتضامًا معه من الحفل الذي أُقيم على شرفه . وظهر أثر زيارته لتركيا في مسرحية " لغة الجبل " (١٩٨٨) .

عارض بنتر مشاركة بلاده لغزو أفغانستان كما عارض حرب العراق ، ونعت الرئيس الأمريكي جورج بوش بـ المجرم الجماعي ، وقارن بينه وبين هتلر ، ووصف رئيس الوزراء البريطاني توني بليز بـ الأبله .

في عام ٢٠٠٥، أعلنت الأكاديمية السويدية فوز هارولد بنتر بجائزة نوبل للأدب ، مُعلّلة ذلك " بأن أعماله تكشف الهاوية الموجودة خلف قوى الاضطهاد في غرف التعذيب المغلقة " .

هاري مارتنسون ومحشق الطبيعة

وُلد الأديب السويدي هاري مارتنسون (١٩٠٤ - ١٩٧٨) لعائلة فقيرة عانت من صعوبة العيش . مات والده عام ١٩١٠ ، فهاجرت والدته إلى كاليفورنيا . أمّا هو وأشقّاه فقد أُدخلوا الأبرشية لتتولى رعايتهم مثل أشباههم من الأطفال اليتامى والمشرّدين . وقد صوّر بصدق وأمانة طفولته القاسية في سيرته الصادرة في كتابين : " زهرة الشوك " (١٩٣٥) ، و " الطريق إلى الخارج " (١٩٣٦) . وهذان الكتابان يختلفان عن نتاجه الشعري الدافئ ذي النبرة العميقة المنشور بنفس الفترة .

عرّف في سن مبكرة العمل الشاق، وعانى من المتاعب مع السلطات، وحاول أن يعثر دَوْماً على أمّه التي هَجَرَتْهُ وهو صغير السن ، فسافر كثيراً ، وعرف العالمَ المتّسع أمامه ، والتّشرد والضّياع . تعلّم كثيراً من الحياة في المزارع ، وحفظ كثيراً من الأسرار في الحقول ، ورافق عدّة أشخاص في سنّه ، جميعهم من الذين يعيشون بذات الطريقة، لكن الصبي الذي بلغ منتصف الحادية عشرة من العمر تعلّق بفتاة تدعى الآنسة تيرا في وقت كانت الشائعات تتناقل نبأ اكتساح وباء التيفوئيد للمنطقة ، وكان من نصيب الآنسة تيرا أن يصبها المرض الذي خطف شبابها ، ومن ثمّ خطف معه قلب مارتنسون الصبيّ اليفع الذي لم يعرف شيئاً من ضروب السعادة ، مُتنقلاً من مزرعة إلى أخرى ، ومن حياة إلى حياة ، لكنّ حُبّه الأول وزهرته الأولى خطفها الموت .

عمل مارتنسون بعد نهاية الحرب العالمية الأولى في باخرة تجارية ، ثمّ في عدد من السفن عاملاً في إيقاد النار بالمحرّكات في الفترة (١٩٢٠ - ١٩٢٧) . فأصيب على أثرها بمرض السّل، ممّا اضطره إلى ترك حياة البحر . وبعدها ، بدأ بنشر قصائده في الصُّحف .

يغلب على أعماله صور من طفولته ومعاناته وحياته في البحر، صور خيالية سريعة مترابطة. وقد وجد النقد في مجموعته " رَحَال " أسلوباً متميّزاً من خلال رسم فن لغوي خاص جديد مليء بالخيال الجامح والصور المستلهمة من ماضيه ومن الطبيعة .

تعلّق مارتنسون بالطبيعة ، وهذا التّزوع يظهر بشكل واضح في مختاراته " باقة برّية " . ففي هذه القصائد يشعر المرء لدى قراءتها وكأنه يسير في بيئة ريفية جميلة مليئة بالأزهار ، والأطيّار ، وجداول المياه، يسمع حفيف الشجر ، وزقزقة الطيور ، وخرير المياه . وتمتد أمام أبصاره مساحات واسعة من المروج النّديّة ، والحقول الخضراء ، وتبدّل فصول الطبيعة .

وهذه المختارات تحفل بمفردات الطبيعة وكائناتها، وألوانها، وأصواتها، كما تدل على البراعة الأصلية، واليقظة غير التقليدية، والاندماج اللطيف مع أشكال كل شيء حي. فمن أمتار مُرْبِعة قليلة لمشهد طبيعي، يُراقبه ويدرسه، يُطوّر الشاعر منظوراً كونياً أوسع، وفلسفة رحبة للحياة. ويتواضع جَم، يُقدّم مارتنسون تعريفاً لِمَا يُسمّيه بِـ "كاتب الطبيعة" بالقول: ((إنّ الفنان القادر على التعبير عن حقائق بسيطة قديمة يجعلها تبدو جديدة. يمكنه أن يقول إنّ العشب أخضر، وإن الطير يُغني، وإن الشمس تتألأ فوق المياه. لتحقيق ذلك يحتاج الكاتب إلى الصبر، والحساسية، والرغبة، وإلى المقدرة على نقل الذات إلى حالة خاصة من الهدوء الذهني الصافي في كل مرة يريد أن يُحقّق تواصلًا فنيًا، وتحليلاً مع الظواهر الطبيعية)).

ينجح مارتنسون من خلال هذه القصائد، في تصوير ملامح الطبيعة في بلاده السويد، ويرع في استحضار البيئة المحلية بكل زخمها ومناخاتها، فهو لا يجنح كثيراً مع الخيال، بل يكتب بواقعية سلسلة وبسيطة وشديدة الوضوح، ولعل ما يُميّز قصائده تلك اللغة النابضة بالحياة، والتي تحاول أن ترسم بصدق حالته النفسية القلقة والمضطربة، فهو يُقدّم صورة للطبيعة من خلال منظوره الذاتي، إذ يُسِغ على المشهد المائل أمامه شيئاً من رُوحه الكئيبة والقلقة، فتبدو الطبيعة وكأنها تُواسي الشاعر الذي لا يُهمل كل ما تقع عليه عيناه من النبات، والحيوان، والدروب، ولَوْن الفصول، وحركة الطبيعة المتقلّبة. وبرغم الأحزان التي تُغلّف نبرة القصيدة لَدَيْهِ، إلا أنها لا تفتقر إلى الشاعرية، والرومانسية، وإلى تلك الغنائية العذبة التي تُميّز معظم القصائد.

ووفقَ مارتنسون، لا توجد حدود فاصلة بين وصف الطبيعة والأدب المحض. "إنّ اللقاء بالطبيعة هو اللقاء بالحياة نفسها وبالوجود الصرف". وفي قصائده يستنهض الحواسّ جميعاً، فالأوراق "ترمش على الأشجار"، والإوزة تشق طريقها عبر "المخمل المتخثر للمستنقع"، في حين أن الفراشات "بوشاحاتها المشرقية المضيئة" تستمع لأشعة القمر، والشوب الطويل لجلد الأفعى "يشعُ أبيض في الغابة"، و"صوت الربيع يُسمَع في الحقول".

حصل مارتنسون على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٧٤، مُناصفةً مع إيفند يونسون.

من أبرز مجموعاته الشعرية: سفينة الأشباح (١٩٢٩). رَحَال (١٩٣١). طبيعة (١٩٣٤).

ومن أبرز كُتبه النثرية: رحلات بلا هدف (١٩٣٢). وداعاً للبحر (١٩٣٣). الفراشة

والبعوضة (١٩٣٧). وادي مُنتصف الليل (١٩٣٨). السهل والصعب (١٩٣٩).

هالدور لأكسنس ورفض الرهبنة

وُلد الأديب الآيسلندي هالدور لأكسنس (١٩٠٢ - ١٩٩٨) في العاصمة ريكيافيك . انتقل مع والديه إلى مزرعة في بلدة لأكسنس القريبة ، ومنها أخذ كُنيته .
تخرّج في المدرسة اللاتينية الآيسلندية ، وبعدها زار أرجاء أوروبا لدراسة الديانة المسيحية واللغات الأجنبية . وفي النهاية ، رفض دخول سلك الرهبنة .
جال كثيرًا في أوروبا ، وأقام في الولايات المتحدة خلال الفترة (١٩٢٧ - ١٩٢٩) ، وعاش أزمة الركود الاقتصادي ، وحاول أن يجد لنفسه عملاً في هوليوود ككاتب سيناريو .
حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٥ ، وأيضاً حصل على جائزة الاتحاد السوفيتي للسلام في الأعمال الأدبية عام ١٩٥٣ . والجدير بالذكر أن جميع أعماله تتمحور حول بلده آيسلندا . نشر أول رواية له في سن السابعة عشرة من عُمره ، تناول فيها مرحلة طفولته ، وكانت بعنوان " طفل الطبيعة " . أمّا الرواية التي جلبت لها الشهرة ، ولفتت الأنظار إليه فكانت " النّساج العظيم من كشمير " (١٩٢٧) . وتُعتبر أول رواية مهمة للكاتب ، وقد كتبها على شكل سيرة ذاتية مُبتدئة حول نشأته وشبابه ، مُبتعداً فيها عن الأسلوب السردى الآيسلندي التقليدي ، ومُعتدلاً أسلوبه الخاص بمفارقاته الحادة . ثمّ كتب رواية " سالكا فالكا " (١٩٣١ - ١٩٣٢) في جزأين . ومحورها بنت الصياد الصبية سالكا فالكا ، وتدور أحداثها في مجتمع بدائي يعيش على الصيد ، ويرى التطور القادم مع الصيادين والعمال والتجار .
وعرّض في رواية " أناس أحرار " (١٩٣٤ - ١٩٣٥) في جزأين كفاح فلاح في وجه الاستغلال من أجل حياة كريمة . أمّا ثلاثية " نور العالم " (١٩٣٧ - ١٩٤٠) ، فتحكي قصة شاعر يُحاول جاهداً إثبات ذاته، والتمسك بحريته ضمن ظروف قاهرة . وتُعتبر من أعمق المؤلفات التي تبحث في شروط الإبداع في الأدب الإسكندنافي ، وأكثرها أصالةً . وفي روايته " ناقوس آيسلندا " (١٩٤٣ - ١٩٤٦) ، يعتمد لأكسنس على التراث المحلي الغني ، ويُقدّم لوحةً فنية عن تقاليد آيسلندا ، ونفسية شعبها ، وكفاحه من أجل الاستقلال، الذي فرط فيه سياسيو بلاده ، حين منحوها الولايات المتحدة حق إقامة قواعد عسكرية على أرض جزيرتهم ، وهو أمرٌ انتشر في كل أنحاء أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية. وكان هذا موضوع روايته " المحطة الذرية " (١٩٤٨) .

تقوم أفكار لاكسنس على الاشتراكية والوَعْي القومى ، بعد أن ابتعد عن الأفكار الدينية .
وغالبًا ، ما تُوصف رواياته بأنها روايات اجتماعية ممزوجة بالأفكار الاشتراكية ، مع تحليل عميق
للنفس البشرية ، وحركة الشخصيات في إطار الواقع . ويُعتَبَر تجديد فن السرد في آيسلندا من
أهم إنجازاته الأدبية .

كان لاكسنس في رواياته يرسم المشهد بكل تفاصيله ، ويُصوِّر المشاعر الإنسانية في أقصى
تجلياتها وتحولاتها . كما سيطرت العاطفة الاجتماعية على تفاصيل كتاباته ، وعالج كثيرًا من
القضايا الاجتماعية والسياسية المعاصرة ، وتعاطف مع الفقراء والمهمَّشين والمظلومين في
المجتمع ، الذين هم ضحايا النظام الطبقي الجائر . وشدَّد على ضرورة التعامل معهم باحترام
وتقدير .

عانى في نهاية حياته ، حيث أُصيب بمرض الزهايمر ، وانتقل في نهاية المطاف إلى دار لرعاية
المسنين ، حيث تُوفِّي عن عُمر يناهز السادسة والتسعين .

هانز غادامير وكتابه الحقيقة والمنهج

وُلد الفيلسوف الألماني هانز جورج غادامير (١٩٠٠ – ٢٠٠٢) في ماربورغ . وتُوفّي في هايدلبرغ. ذاع صيته بسبب كتابه الشهير " الحقيقة والمنهج " ، وتجديده في نظرية الهرمنيوطيقا . كان والده أستاذًا للكيمياء الدوائية ، وصارَ فيما بعد رئيسًا لإحدى الجامعات . وقد تجاهل غادامير توصيات والده بدراسة العلوم الطبيعية ، واختار دراسة العلوم الإنسانية . لذلك درسَ في فروتسواف . ولكنه سرعان ما عاد إلى ماربورغ للدراسة مع الفلاسفة الكانتيين الجدد (نسبة إلى كانت) والذين تتلمذ عليهم حتى حصل على الدكتوراة عام ١٩٢٢ ، بأطروحة " جوهر المتعة في حوارات أفلاطون " . وبعد فترة وجيزة ، قام غادامير بزيارة فرايبورغ ، ودرس مع هايدغر ، والذي لم يصل آنذاك إلى الأستاذية ، حيث كان مُدرّسًا مُساعدًا . وبفضل هايدغر ، فقد أُدرج اسم غادامير في مجموعة من الطلاب ، والذين برزوا فكريًا فيما بعد . ومن بينهم ليو شتراوس وخنة أرنديت . وأصبحت علاقة الصداقة بين هايدغر وغادامير وثيقة . حتى إن هايدغر عندما شغل منصبًا هامًا في ماربورغ ، اختار غادامير أن يتبعه هناك . ومن المحتمل أن يكون التأثير القوي لهايدغر على فكر غادامير تأثيرًا ذا طابع خاص ، والذي بدوره أسهم بوضوح في تشكيل فكره . بالإضافة إلى أنه أسهم بشكل فعّال في انفصال غادامير عن تيارات الكانتيين الجدد، التي كانت قد تشكّلت منذ فترة طويلة .

حصل غادامير على شهادة التأهيل لدرجة الأستاذية عام ١٩٢٩ ، وقام بالتدريس في ماربورغ خلال السنوات الأولى من الثلاثينيات من القرن العشرين . وخلافًا لهايدغر ، فإن غادامير كان دائم الرفض للنازية . ويمكن اعتباره وبشكل علني ضدّ النازية. ولم يشغل غادامير أي منصب ملموس خلال سنوات الحكم النازي، ولم ينضم لأي حزب . في عام ١٩٤٦، وبعد انتهاء الحرب، ونظرًا لاعتباره شخصية لم تُلوث من قبل النظام النازي، استطاع غادامير أن يشغل منصب رئيس جامعة لايبزيغ . ولم يُظهر غادامير معارضته للنازية فحسب ، بل أيضًا _ ومع ميلاد الجمهورية الألمانية الديمقراطية _ أبدى معارضته الشديدة لنظام الشيوعية . وهذا ما دفعه إلى الانتقال إلى جمهورية ألمانيا الاتحادية ، حيث القبول المبدئي لشغل منصب في فرانكفورت . ثمّ حلّ بعد ذلك محل كارل ياسبرز في هايدلبرغ عام ١٩٤٩ . وكان هذا هو المنصب الذي شغله حتى وفاته عام ٢٠٠٢ .

طوال هذه الفترة ، أكملَ غادامير كتابه الشهير " الحقيقة والمنهج " الذي نُشر عام ١٩٦٠ . والذي أضاف له الجزء الثاني أيضًا عام ١٩٨٦ . اشترك غادامير في المناظرة الشهيرة مع هابرماس حول إمكانية التفوق التاريخي والثقافي ، بحثًا عن الحالة الاجتماعية التي شكّلها التفكير النقدي . ولم تنتهِ المناظرة بضربة قاضية لأي منهما ، بل إنها كانت بداية لصداقة حارة بين غادامير وهابرماس . بالإضافة إلى أن غادامير سهّل الطريق لهابرماس لإمكانية انضمامه للوسط الأكاديمي ، بمساندته له في شغل منصب أستاذ في هايدلبرغ .

وكان هناك محاولة مُشابهة أخرى من جاك دريدا ، ولكنها لم تكن على المستوى المطلوب ، حيث إن كلا المفكرين كان لديهما القليل من النقاط المشتركة . واعتبرَ دريدا أن خطأه في عدم إيجاد نقاط بحث أساسية مشتركة بينه وبين غادامير يُعدُّ أكبر كارثة في حياته الفكرية . وأعربَ في النعي الذي خصّصه لغادامير عن إعجابه واحترامه الشديد للفيلسوف الألماني .

يُعتبرَ غادامير مؤسس مدرسة التأويل . وهو يرى أن التفسير يجب أن يتجنّب العشوائية والقيود الناشئة عن العادات العقلية ، مع التركيز على الأشياء ذاتها وعلى النصوص . وأكّد أنه دائمًا ما تقترب من النص عن طريق مشروع نقوم به ، أو عن طريق فكرة ما عن الذي يُقال عنه .

ويتغيّر هذا المشروع ، وتتم إعادة صياغته بالقراءة المتعمّقة للموضوع ، وهكذا يتم اللجوء إلى تأكيد أو تغيير الافتراضات . ويُمكن أن تمتد هذه العملية إلى ما لا نهاية ، ولكن لا يُمكن أبدًا الجزم بأن لدينا تفسير قاطع أو نهائي حيال هذا الأمر . ويبقى المشروع الفلسفي لغادامير الذي تمّ تحديده في كتاب " الحقيقة والمنهج " هو محتوى ذا علاقة مباشرة مع الهرمينوطيقا الفلسفية . يكمن إنجاز غادامير في اكتشاف وإبراز طبيعة الفهم البشري على مستوى نظري منهجي ، حيث الحقيقة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمنهج ، ولا يجوز الاعتماد على واحدة دون الأخرى .

كان غادامير ناقدًا كبيرًا للمناهج التي كانت تُستخدم في العلوم الإنسانية . كما كان ناقدًا للمناهج الحديثة التي تسعى لتمثيل مناهج العلوم الإنسانية على أساس المنهج العلمي . وأيضًا ، كان ناقدًا للمنهج التقليدي للإنسانيات ، والذي يبدو جليًا في أعمال الفيلسوف الألماني دلتاي ، والذي يعتقد أنه لتحقيق تفسير صحيح للنص ، فإنه من الضروري كشف المقصد الأصلي الذي دفع المؤلف لذلك عندما كتب النص .

من أبرز مؤلفاته : أفلاطون والشعراء (١٩٣٤) . غوته والفلسفة (١٩٤٧) . الحقيقة والمنهج (١٩٦٠) . التلمذة الفلسفية / سيرة ذاتية (١٩٧٧) . طرق هايدغر (١٩٨٣) .

هاينريش بول وأدب الانقراض

وُلد الأديب الألماني هاينريش بول (١٩١٧ - ١٩٨٥) في مدينة كولونيا . كان أبوه نجارًا ، وأُمّه هي الزوجة الثانية لأبيه . كان هاينريش الابن السادس لأبيه ، ونشأ وسط عائلة كاثوليكية . التحق بول في الفترة (١٩٢٤ - ١٩٢٨) بالمدرسة الشعبية الكاثوليكية ، ثم التحق بمدرسة القيصر فلهلم الثانوية الحكومية . وبعد أن حصل على الشهادة الثانوية في عام ١٩٣٧ ، بدأ بدراسة علم المكتبات في بون ، إلا أنه تركها بعد أحد عشر شهرًا ، وبدأ في كتابة محاولات أدبية في تلك الفترة . وفي عام ١٩٣٨ ، عمل لمدة عام في وظيفة حكومية . ثم بدأ في عام ١٩٣٩ في دراسة علوم اللغة الألمانية في جامعة كولونيا . وكتب في تلك الفترة روايته الأولى " على حدود الكنيسة " . واستُدعي في نهاية صيف ١٩٣٩ لأداء الخدمة العسكرية في الجيش الألماني ، وكانت الحرب قد بدأت . فظل في الحرب حتى أبريل ١٩٤٥ ، حيث وقع في أسر القوات الأمريكية ، وأُطلق سراحه في سبتمبر . وفي عام ١٩٤٦ ، ظهرت الرواية الأولى لبول بعد الحرب ، وهي " صليب بلا حُب " . وكان قد كتبها ليشارك بها في مسابقة أدبية . ثم بدأ في عام ١٩٤٧ في نشر قصصه القصيرة في المجلات ، والتي يمكن إدراجها ضمن " أدب ما بعد الحرب " ، و " أدب الانقراض " . مثَّلت تجارب الحرب والحياة الاجتماعية المضطربة بعد الحرب الموضوعات الأساسية في أعماله . وجمعت هذه القصص ونُشرت في مجموعة قصصية بعنوان " أيها الجوال ، هل تأتي إلى إسب ... " . والتي أسست لشهرة بول ككاتب قصصي . وكلمة " إسب ... " اختصار لكلمة إسبرطة . وهذا العنوان مقتبس من قصيدة مشهورة للشاعر الإغريقي سيمونيدس في القرن السادس قبل الميلاد . وتسجَّل هذه القصيدة معركة " مضيق الجبل " التي قادها الملك ليونيداس ضد الفُرس مع ٣٠٠ من جنود الإغريق ، سقطوا جميعًا في هذه الحرب . وكلمات القصيدة تقول : " أيها العابر / إن جئتَ يومًا إلى إسبرطة / فقل لأهلنا هناك / إننا نرقُد هنا وفاءً لعهدنا " .

كان بول ذا نزعة سياسية يسارية ، إلا أنه لم ينضم إلى حزب مُعيَّن . وقد ترأس في عام ١٩٧٠ نادي القلم الألماني الأدبي حتى عام ١٩٧٢ ، وترأس في نفس الفترة في عام ١٩٧١ نادي القلم الدولي حتى عام ١٩٧٤ . وفي عام ١٩٧٢ ، حصل على جائزة نوبل للآداب . وتعدُّ روايته " شرف كاترينا بلوم الضائع " أشهر رواياته على الإطلاق ، وتُرجمت إلى ثلاثين لغة ، وحُوِّلت إلى فيلم سينمائي ، وبيع منها في ألمانيا وحدها حوالي ستة ملايين نسخة .

وفي السنوات التالية، بدأ اهتمامه يزداد بالمشكلات السياسية في ألمانيا، وبعض البلدان الأخرى مثل بولندا والاتحاد السوفيتي ، والذي كان بول يعارض وينقد سياساته . واهتم كذلك ببعض الصراعات في أمريكا الجنوبية ، وكان يلتقي أحياناً مع بعض السياسيين هناك . أصيب بول بمرض تصلّب الشرايين في ساقه اليسرى ، حين كان في زيارة إلى الإكوادور ، واقتضى الأمر أن يخضع هناك لعملية جراحية . وعند عودته إلى ألمانيا احتاج إلى عمليات جراحية للعلاج .

كان بول ينتقد الكنيسة الكاثوليكية وأساليبيها وهيكلها ، حتى إنه أعلن خروجه منها عام ١٩٧٦ ، دون أن يعني ذلك خروجه من " الإيمان المسيحي " . وكان أيضاً يدعم " حركة السلام " وهي مجموعة من الناشطين ومُحبّي السلام ، تُعارض توجّه التسليح الذي اتّبعه حلف الناتو . وشارك في عام ١٩٨٢ في مظاهرة قام فيها المتظاهرون بالاعتصام أمام قاعدة إطلاق الصواريخ في مونتالنجن .

كان آخر أعماله الأدبية رواية " نساء أمام منطقة النهر " ، التي كتبها في بون ، وصدرت في عام ١٩٨٥ ، والتي تُعتبر تمجيداً لتاريخ بون العاصمة الاتحادية لألمانيا الغربية في الفترة (١٩٤٩ - ١٩٨٩) .

في بداية شهر يوليو ١٩٨٥ ، نُقل بول إلى المستشفى لإجراء عملية جراحية أخرى في ساقه . وبعد هذه العملية ، عاد إلى لانجنبروش ، ولَفِظَ أنفاسه الأخيرة في صباح السادس عشر من يوليو .

أُجريت مراسم جنازته ودفنه بعد ثلاثة أيام في ميرتن القريبة من كولونيا ، وذلك تبعاً للمراسم الكاثوليكية . وحضر جنازته الآلاف من الألمان، من الأدباء والسياسيين وغيرهم من عامة الشعب . كما حضر الحفل التأبيني رتشارد فون فايتسكر الرئيس الاتحادي لألمانيا الغربية .

من أبرز أعماله الأدبية : وصل القطار في موعده (١٩٤٩) . الخراف السوداء (١٩٥١) . ذكريات ملك شاب (١٩٥٣) . تأملات مُهْرَج (١٩٦٣) . صورة جماعية مع السيدة (١٩٧١) .

هاينريش هاينه والمنفى الاختياري

وُلد الشاعر الألماني هاينريش هاينه (١٧٩٧ _ ١٨٥٦) في مدينة دوسلدورف ، وتُوِّفَ في باريس. وهو سليل عائلة يهودية من التجار والمصرفيين. وكانت والدته مثقفة مقارنة بنساء عصرها. اسمه الأصلي " هاري هاينه " . وعندما تَحَوَّلَ إلى العقيدة البروتستانتية في عام ١٨٢٥ وتعمَّد، صار اسمه كريستيان يوهان هاينريش هاينه . ولم يكن مقتنعًا بالبروتستانتية ، ولكنه اختارها لأنها: " الطريق إلى ولوج عالم الثقافة الأوروبية " ، وبحثًا عن فرصة عمل في الأوساط الرسمية الألمانية. بعد أن أنهى تعليمه الأساسي في دوسلدورف ، أرسلته عائلته في عام ١٨١٦ لتعلم مهنة التجارة في فرانكفورت، ثم إلى عمِّه المصرفي في هامبورغ عام ١٨١٨ الذي افتتح متجرًا للأقمشة، لكن هاينه الشاب أعلن إفلاسه بعد سنة واحدة . ونتيجة لقناعة العم بأن موهبة ابن أخيه لا تكمن في التجارة ، أرسله على حسابه الخاص لدراسة الحقوق في جامعة بون . وبعد سنة ، انتقل إلى جامعة غوتنغن منجذبًا إلى محاضرات الأدب .

نشر هاينه بعض قصائده في المجلات الثقافية ، ونشر ديوانه الأول " قصائد " عام ١٨٢٢ ، ثم صدر له في العام التالي " مأساتان وفاصل شعري " . كانت المأساة الأولى بعنوان " المنصور " ، بنى فيها هاينه قصة متخيلة عن الصراع في الأندلس بين المسلمين والنصارى في عهد فرديناند وإيزابيلا. وفي أثناء أحداث سقوط غرناطة يظهر فيها تعاطفه مع الحضارة الأندلسية وأخلاقيات العرب . وحملت المأساة الثانية عنوان " وليم رنكليف " ، حيث عالج فيها مأساة حب مرفوض في إطار علاقات اجتماعية مُعقَّدة في إسكتلندا المعاصرة، وكلا العملين منظوم بالشعر المرسل. قام هاينه في عام ١٨٢٤ برحلة إلى شمال ألمانيا متنقلًا بين مدنها وجزرها، ثم توجه نحو منطقة الهارتس مشيًا على الأقدام متجولًا عبر غاباتها وجبالها وبلداتها، وكتب بعدها أول أعماله النثرية بعنوان " رحلة الهارتس " الذي كان الجزء الأول من أربعة أجزاء نُشرت بعنوان " صُور رحلات " (١٨٢٦ _ ١٨٣١) اتَّسمت جميعها بالنقد الاجتماعي الساخر في أسلوب جديد لفت إليه الأنظار.

أخفق هاينه في الحصول على أيِّ وظيفة ، فقام برحلة ثانية إلى شمال ألمانيا ، ثم بجولة في إنجلترا عام ١٨٢٧ ، مع استمرار عمِّه في تمويله . وعاد بعدها إلى ميونخ ليعمل في الصحافة . وفي العام نفسه صدر ديوانه " كتاب الأغاني " الذي حَظِيَ بانتشار واسع وشعبية أسَّست لسمعته

كشاعر متميز . وسُرعان ما تُرجم الديوان إلى لغات أوروبية متعددة، كما لُحنت أغانيه من قِبَل مشاهير الموسيقيين. وقد ورد في بعض المراجع أن مُلهمه في هذا الديوان هو حُبّه من طرف واحد لا بُتني عمّه. وعندما أخفق للمرة الثانية في الحصول على عمل أكاديمي في ميونخ ، سافر في عام ١٨٢٨ إلى إيطاليا ، حيث أمضى بضعة أشهر ، ثم عاد إلى برلين ، واستقرّ فيها لمدة سنتين .

وعندما اندلعت ثورة يوليو عام ١٨٣٠ في فرنسا رافقها حُلُم البرجوازية الألمانية بعالم جديد يُخلّصها من أسلوب الحكم المطلق ، ومن التجزئة إلى إمارات وممالك متناحرة. وكان من أوائل آثارها انتقال هاينه في عام ١٨٣١ إلى باريس، وإقامته فيها حتى آخر حياته، حيث بدأ يُعيل نفسه بقلمه وباللغتين الفرنسية والألمانية معًا . كان هاينه في كتاباته السياسية والاجتماعية أحد الدعاة الأساسيين لحركة " ألمانيا الفتاة " . وبسبب ذلك مُنع طبع أعماله وتداولها في ألمانيا بقرار اتحادي صدر عام ١٨٣٥ . وفي أثناء المنفى الباريسي الاختياري، زار هاينه ألمانيا مرتين فقط، في عامي ١٨٤٣ و١٨٤٤ ، لفقد أحوال عائلته.

وفي عام ١٨٤٣ التقى هاينه كارل ماركس في باريس ، وتحمّس لمشروعه الاجتماعي الاقتصادي السياسي ، الذي صيغ لاحقًا في " البيان الشيوعي " ، لكنه لم يعتنق أهدافه المستقبلية المتمثلة في سيطرة الطبقة العاملة وحدها على جميع مرافق الدولة ، وتسييرها حسب مصلحتها .

بدأ هاينه في منتصف الثلاثينيات يُعاني مرضًا في عموده الفقري أقعده طريح الفراش منذ ١٨٤٨ ، وظهرت عليه تدريجيًا عوارض الشلل الجزئي والعمى، فوصف فراشه بالقبر . وكان يتعرض لنوبات ألم فظيع . وفي مثل هذه الظروف التي أحاطت بسنوات حياته الأخيرة ، نظم الشاعر بعضًا من أروع قصائده التي نشرها في عام ١٨٥١ بعنوان " رومانسيرو " ، وهي من نوع القصائد الحكائية التي تُحاكي الرباعيات الفارسية في أسلوبها وإيقاعاتها ، تناول فيها بعض الشخصيات الأدبية التاريخية من الأدب العالمي ، كما وُصف حالته المرضية وأثرها الجسدي والنفسي، إلى جانب بعض قصائد المُناجاة التي عُدت من روائع الشعر الألماني .

تنوّعت موضوعات أعمال هاينه الشعرية والنثرية كثيرًا، ممّا يدل على سعة اطلاعه وعمق ثقافته ذات الصلة التنويرية الثورية، التي تبغي تحرير الذات الإنسانية من كل ما يعوق تفتحها عقليًا وشعوريًا كي تصبح فاعلة في الحركة الاجتماعية . يُعتبر هاينه أحد أهم الشعراء الرومانسيين الألمان . وأكثر ما خلد ذكره هي مختارات من شعره الغنائي ، التي لحن بعضها مؤلفون موسيقيون ألمان في صورة أغانٍ فنية . ويُعدّ من ضمن أكثر الكُتّاب شعبيةً في الأدب الألماني .

هريبرت جورج ويلز وكثرة التنبؤات

وُلد الأديب الإنجليزي هريبرت جورج ويلز / هـ . ج . ويلز (١٨٦٦ - ١٩٤٦) في بروملي في مقاطعة كنت في إنجلترا. كان أصغر إخوته الثلاثة لأب صاحب دكان ولاعب كريكت، وأم ربّة بيت . وكانت عائلته من الطبقة الوسطى السفلى . لم يُكمل ويلز تعليمه المدرسي ، إذ اضطرّ لترك مقاعد الدراسة ، والعمل مساعدًا لتاجر أقمشة بعد إفلاس والده .

في عام ١٨٨٩ ، بدأ ويلز دراسته في مدرسة "ميدهيرست" . حصل على منحة تعليمية في مدرسة العلوم في لندن ، ودرس علم الأحياء لدى عالم الأحياء المعروف هكسلي ، واشترك في حلقات علمية ، وكتبَ في مجلة الجامعة العلمية . وفي تلك السنين بدأ اهتمامه بالإصلاحات الاجتماعية ، ومال نحو الأفكار الاشتراكية. مع الوقت فقدَ ويلز اهتمامه بالدراسة، وترك التعليم . في عام ١٨٩١، سكن في لندن وتزوج ابنة عمّه . عمل في التدريس حتى عام ١٨٩٣، حين قرّر أن يتفرّغ كليًا للكتابة. وفي عام ١٨٩٤، تركَ زوجته من أجل إحدى طالباته التي تزوّجها عام ١٨٩٥ . وقد وُلد لهما ابنان إلا أن ويلز لم يكن زوجًا مُخلصًا ، وكانت له عدّة علاقات غرامية.

كانت رواياته منذ البداية من الخيال العلمي . نشر روايته الأولى " آلة الزمن " (١٨٩٥)، وقد حظيت بنجاح بين القُرّاء . نشر روايته الثانية " جزيرة الدكتور مورو " (١٨٩٦) عن عالم مجنون يُحوّل الحيوانات إلى كائنات بشرية . وفي عام ١٨٩٧، نشر " الرّجل الخفي " عن عالم ينجح بإخفاء نفسه ، ونشر " حرب العوالم " (١٨٩٨) عن غزو كائنات مريخية للأرض .

كتب ويلز أيضًا روايات ليست من صنف الخيال العلمي مثل " الحب والسيد لويشام " ، و " كيبس " . كما نشر كتابه " توقعات " (١٩٠١) ، وكان قد نُشر مُسبقًا مُتسلسلاً في إحدى المجلات تحت عنوان " تجربة في التنبؤ " محاولاً التنبؤ بوضع العالم عام ٢٠٠٠، وقد نجح بالتنبؤ ببعض الأحداث مثل : تطور السيارات والقطارات ، ممّا سبّب نزوح البشر من المدن والسكن في الضواحي، وانحلال القيود الاجتماعية على العلاقات الجنسية، وفشل العسكرية الألمانية ، ونشوء الاتحاد الأوروبي . لكنه فشل في بعض توقعاته مثل : اعتقاده أن الإنسان لن ينجح بالطيران حتى خمسينيات القرن العشرين ، واعتقاده باستحالة نجاح الغوّاصات . وقد كان كتابه هذا أول كتاب يحظى برواج واسع . وفي عام ١٩٠٩ ، نشر روايته " آن فيرونিকা" التي عرض فيها آراء نسوية، يصف فيها نضوج آن فيرونিকা من طفلة ساذجة إلى شابة تُمثّل المرأة الجديدة .

أثارت الرواية ضجة كبيرة بسبب آرائها ، وبسبب تشابه اسمها مع اسم امرأة ، دارت شائعات بأن ويلز أقام معها علاقة غرامية . والبعض وصف الرواية بأنها سُمٌ روحي، وتَمَّ اعتبار الرواية فاسدة، وتُفسد الجيل الشاب .

انضم ويلز إلى الجمعية الفابية في لندن، لكنه سرعان ما اختلف مع قادتها ومنهم برنارد شو . وقد كانت لتجربته أثر في كتابه " مكيا فيلي الجديد " (١٩١١) الذي يصف فيه أعضاء الجمعية الفابية المعروفين . وفي عام ١٩١٣ ، نشر " العالم يتحرَّر " ، يُحذّر فيه من مخاطر الحروب ، وتنبأ فيه بالحرب الوشيكة . بالإضافة إلى ذلك ، فقد ذُكر في الكتاب إمكانية بناء قنبلة ذرية . ورغم أن المبادئ العلمية التي ذكرها (قنبلة مبنية من الراديوم) لم تكن صحيحة ، إلا أنه تنبأ بقنبلة يُمكنها مَحْو مدينة كاملة ، كما أن بعض العلماء الذين عكفوا في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين على تطوير القنبلة الذرية ، قالوا إنهم استمدوا الفكرة من كتاب ويلز هذا .

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، نشر عام ١٩٢٠ " موجز تاريخ العالم " في مجلدين ليكون من أول من كتب التاريخ مُتَوَجِّهاً إلى عامة الشعب. ورغم الزواج ، لاقى كتابه هذا العديد من الانتقادات من مُؤرِّخين مُحترفين ، إلا أن أرنولد توينبي مدحه قائلاً إن هذا الكتاب من أفضل المقدمات في موضوع التاريخ. كما نشر " علوم الحياة " (١٩٣٠ _ ١٩٣٤) في تسعة مجلدات، الذي شارك بكتابته جوليان هكسلي وجورج فيليب ويلز . كما نشر أيضاً " محاولات في السيرة الذاتية " (١٩٣٤) .

في عام ١٩١٤ ، زار ويلز روسيا للمرة الأولى ، ورأى أن النظام فيها قمعي وفاسد. كانت لويلز عدة اعتراضات على الممارسات السوفييتية إلا أنه تفهَّم أهداف ثورة أكتوبر . وفي عام ١٩٢٠ ، زار الاتحاد السوفييتي، والتقى لينين. وفي العشرينيات كان مُرشَّح حزب العُمال للبرلمان. وفي الفترة (١٩٢٤ _ ١٩٣٣) عاش في فرنسا ، وفي الفترة (١٩٣٤ _ ١٩٤٦) ، تَراسَ جمعية الكُتَّاب العالمية . وفي عام ١٩٣٤ ، التقى بستاين وروزفلت مُحاولاً _ دُون جدوى _ أن يثير اهتمامهما بآرائه . وبعد لقائه بستاين ، خاب أمل ويلز من الشيوعية . وفي كتابه "الإرهاب المقدس " (١٩٣٩) ، يصف التطور النفسي لطاغية عصري مُستَوْجِهاً شخصيته من ستالين وهتلر وموسوليني . وأثناء الحرب العالمية الثانية ، عاش ويلز في ريجنس بارك في لندن، وقد رفض مغادرتها رغم القصف. كتابه الأخير " العقل في نهاية الحبل " (١٩٤٥) ، يحمل نظرة متشائمة حول مستقبل البشرية . تُؤفِّي ويلز في ١٣ أغسطس ١٩٤٦ .

هريوت سينسر وفكرة التطور

وُلد الفيلسوف الإنجليزي هريوت سينسر (١٨٢٠ _ ١٩٠٣) في دربي . كان والده من المعارضين الدينيين ، وقد نُقل إلى ابنه مُعارضة كل أشكال السُلطة . ينتمي سينسر لأسرة عَمِلَ جُل أفرادها في مجال التعليم ، لكنه لم يتلقَ تعليمًا منتظمًا . وقد عمل مُدرّسًا للرياضيات ، ثُمَّ مُساعدًا لرئيس تحرير بعض المجلات . وجد سينسر صعوبة في الاستقرار في أي تخصص فكري أو مهني . عمل كمهندس مدني خلال فترة ازدهار السكك الحديدية في أواخر ثلاثينيات القرن التاسع عشر ، في الوقت الذي خَصَّص فيه الكثير من وقته للكتابة للمجلات الإقليمية التي كانت متطرفة سياسيًا ، وَغَيْر ملتزمة دينيًا . في كتابه السياسي " الإنسان ضد الدولة " (١٨٨٤) ، قَدَّمَ رؤية فلسفية متطرفة في ليبراليتها . كان سينسر ، وليس داروين ، هو الذي أوجد مصطلح " البقاء للأصلح " . رغم أن القول يُنسب عادةً لداروين . وقد ساهم سينسر في ترسيخ مفهوم الارتقاء ، وأعطى له أبعادًا اجتماعية ، عُرِفَ لاحقًا بالداروينية الاجتماعية . وهكذا يُعدُّ سينسر واحدًا من مُؤسّسي علم الاجتماع الحديث . وَجَدَ تعبير " البقاء للأصلح " رواجًا كبيرًا ، وتوالى كتب سينسر التي شملت مواضيع مختلفة، وكانت ترى مسألة التطور والارتقاء في شتى الجوانب الاجتماعية . حيث لا مكان للضعيف في سياق الأقوياء . كانت الداروينية الاجتماعية في تلك الفترة بمثابة كَفَّارة لضمير الإنسانية المُتَعَب ، حيث قُدِّمَت على أنها قانون الطبيعة الذي لا حِياد عنه . وكان سينسر يمتلك علاقات وثيقة مع كبار الرأسماليين في عصره الذين تلقفوا أفكاره وَحَبُّوا بها . وأيضًا ، كان مُعْجَبًا جدًا بداروين ، وَمِن أَجْلِهِ حَنَّتْ بيمينه بعدم دخول أي كنيسة، حيث حضر القُدَّاس على رُوحه في كنيسة وستمنستر . في عام ١٨٥٥ ، نشر كتابًا بعنوان " مبادئ علم النفس " ، ضمَّنَه أفكاره عن الوراثة ونظرية التطور بِمُجْمَلها ، وبعدها كتب العديد من الرسائل والمقالات ، أهمها مقالة بعنوان " التقدم ، قانونه وعِلَّتُه " (١٨٥٧) . وقد ذَكَرَه داروين في كتابه " أصل الأنواع " كأحد الذين سبقوه إلى نظريته . كما وَضَعَ كتابًا موسوعيًا ضخمًا في " الفلسفة التركيبية " كمحاولة لإقامة نظرية فلسفية شاملة تشرح علوم عصره في ضوء قانون التطور ، نشره في الفترة (١٨٦٠ _ ١٨٩٣) ، وجعل منه موسوعة شاملة في " المبادئ الأولى " : مبادئ البيولوجيا ، مبادئ علم النفس ، مبادئ علم الاجتماع ، مبادئ علم الأخلاق . ونُشر في عام ١٨٦١ كتابه " في التربية " .

على الرغم من صراعات سينسر المبكرة لتأسيس نفسه ككاتب ، إلا أنه بحلول عام ١٨٧٠ أصبح الفيلسوف الأكثر شهرة في هذا العصر. وتَمَّت قراءة أعماله على نطاق واسع خلال حياته ، وصار قادرًا على العيش من مبيعات كُتبه ، ومساهماته العادية في الدُوريات الفكتورية التي تَمَّ جمعها في ثلاثة مجلدات من المقالات . وقد تُرجمت إلى العديد من اللغات . وتَمَّ تقديمه إلى مرتبة الشرف والجوائز في جميع أنحاء أوروبا وأمريكا الشمالية .

يقوم مذهب سينسر الفلسفي على فكرة التطور ، ويُفسَّر أنواع المعرفة المختلفة والمتضاربة في التجربة الإنسانية بقانون كوني شامل، مُتأثِّرًا في ذلك بِعلم الأحياء الدارويني ، ووجهة النظر التي سادت القرن التاسع عشر، والتي ترى أن العالم جوهره حياة نامية . فهو يُقرِّر أن تجربة الفرد تفاعل مستمر بين الواقع والحياة التي يعيشها الإنسان. وينحصر موضوع المعرفة عنده في جملة العلوم الواقعية التي تشمل : علوم الصُّور الجوفاء ، وهي الرياضيات والمنطق، والعلوم المشخَّصة أو علوم الظواهر وهي: الميكانيك والكيمياء وعلم الحياة وعلم النفس وعلم الاجتماع .

وتُبنى المعرفة على التجربة والظواهر المحسوسة، فكل ما يُجاوز الإدراك ويخرج عن مجال العلوم الواقعية يُؤلَّف " مجال المجهول " أو ما تتعذر معرفته ، وكل محاولة يقوم بها العقل للوقوف على حقيقة الكون ومعرفة أسرارهِ وإدراك المطلق مُجازفة مصيرها الإخفاق، لأن العقل مجاله عالم التجربة المحدود ، وما وراء التجربة أو ما وراء عالم الظواهر سيبقى وجودًا مُفارقًا بعيدًا عن المتناوَل، وقوة مجهولة، ولا يُعرَف ما إذا كان هذا الوجود المطلق هو الله . وهذه اللاأدرية التي تُفضي إليها نظرية سينسر في المطلق المجهول ، لا تستبعد الدِّين بِقَدْر ما ترى أن " الدِّين والعِلْم أخوان متصافحان ، لكل منهما حلبة ومجال ، يتقاسمان حياة البشر ، ويُعزِّزان روح التضامن ، ولكنهما يستويان في عدم القدرة على معرفة طبيعة الأشياء المطلقة " .

تَمَيَّزت العقود الأخيرة من حياة سينسر بخيبة الأمل المتزايدة والشُّعور بالوَحدة. لَمْ يَتَزَوَّج قط. وبعد ١٨٥٥ ، كان دائمًا يشكو من آلام وأمراض لا يمكن لأي طبيب تشخيصها . وبحلول التسعينيات من القرن التاسع عشر ، بدأ القُرَّاء يتعدون عن كتاباته ، بينما تُؤفِّي العديد من أصدقائه المقرَّبين ، وأصبح يَشْكُ في الإيمان بالتقدم الذي جعله مَرَكزًا لنظامه الفلسفي.

في عام ١٩٠٢ ، قبل وفاته بقليل ، تم ترشيحه لجائزة نوبل للآداب . وفي عام ١٩٠٣ ، استسلمَ للموت وهو في صِحَّة سيئة ، ودُفِن في الجانب الشرقي من مقبرة هايجيت في لندن التي تُواجه قبر كارل ماركس .

هريبرت ماركوز واحتجاجاته الطلابية

وُلد الفيلسوف الأمريكي من أصل ألماني هريبرت ماركوز (١٨٩٨ - ١٩٧٩) في برلين ، لعائلة يهودية . انضمَّ إلى الجيش الألماني خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) التي انتهت بهزيمة مُدَّة لألمانيا . وحصل على الدكتوراة من جامعة فرايبورغ عام ١٩٢٢ . يُعتَبَر ماركوز من الفلاسفة الألمان المنظرين (فيما بعد سيحصل على الجنسية الأمريكية) . وهناك قاعدة أساسية ومُسلَّمة لا تُقبل الشك ، وهي أنَّ ألمانيا هي أم الفلاسفة . فهي أكثر دولة في التاريخ أنجبت فلاسفة عالميين . والسبب الرئيسي في ذلك يعود إلى المزاج الشعبي ذي الصبغة الفلسفية، فالشعب هو الحاضنة الأساسية لكل الأفكار ، وبدونه يفقد الفكرُ معناه وجدواه . تبرز في حياة ماركوز ثلاث محطات أساسية ساهمت في تكوينه العاطفي والعقلي : الأولى _ عمله في مجال بيع الكتب ، وكان ذلك في بداية حياته العملية ، ممَّا أكسبه القدرة على التعامل مع الثقافة والمثقفين ، وممَّكَّنه من الحصول على نصيب وافر من المعارف والمعلومات . والثانية _ مساعدة الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر في أبحاثه ، وهذا يعني إطلاعاً على أفكار هايدغر ، وطريقة تفكيره، وأسلوب كتابته ، وأسرار فلسفته الوجودية . والثالثة _ عمله كباحث في معهد الدراسات الاجتماعية في فرانكفورت (الذي سيعرف فيما بعد بمدرسة فرانكفورت) . بعد وصول الحزب النازي إلى السُّلطة ، اعتبرَ هذا المعهد خطراً على النظام السياسي ، فقام بإغلاقه . كما أنَّه اعتبرَ المفكرين اليهود خونةً وعملاء ، ويُشكَّلون خطراً على المجتمع ، فقام بالتضييق عليهم . وأغلقت الأبواب أمام ماركوز ، ممَّا اضطرَّه إلى الهجرة إلى أمريكا . وفي أمريكا ، راح يصنع لنفسه حياةً جديدةً ، فاستأنف نشاطه الفكري ، وانضمَّ إلى معهد الدراسات الاجتماعية في جامعة كولومبيا عام ١٩٣٤ . وعمل أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) في أجهزة الاستخبارات الحربية الأمريكية ، وكانت وظيفته هي تقديم المعلومات والأفكار الإستراتيجية من أجل مقاومة الدعاية النازية، وتحطيم آلتها الإعلامية، وتفكيك المشروع النازي بكامله تمهيداً للقضاء عليه واجتثاثه. وفي الخمسينيات قام ماركوز بتدريس الفلسفة والسياسة في عدة جامعات أمريكية، من أبرزها: هارفارد وكولومبيا . ومع أنه انخرط بشكل كامل في الحياة الأمريكية ، واعتبرَ نفسه مواطناً أمريكياً ، إلا أنه لم ينقطع عن الحياة الفكرية في بلده الأم (ألمانيا) ، فبقيَ عضواً في جماعة فرانكفورت الثقافية ، وكان يُمثِّل

الجناح اليساري فيها . إنَّ قوة ماركوز الفلسفية تتجلى في تأثيره الهائل على القيادات الطلابية . وهذا التأثير ظهر بشكل واضح في الاحتجاجات الطلابية التي اجتاحت جامعات أمريكا وأوروبا في نهاية الستينيات . حيث برز الطلاب كقوة ضاربة في المجتمع ، وليس مجموعة من الشباب الطائش . الأمر الذي كوَّنَ قناعةً لدى ماركوز بأنَّ الخطر الحقيقي على النُّظم السياسية القائمة سيأتي من الطلاب والأقليات الذي يملكون القدرة على التحرر والتحرير والحراك الاجتماعي ، ولن يأتِي من طبقة العُمال التي اعتبرها طبقةً مُنتهية الصلاحية والفاعلية ، تَمَّ إغراقها في النظام الاستهلاكي المغلق ، وإخضاعها للوضع القائم عبر التحايل على متطلباتها ، والالتفاف على حقوقها ، ورَمي الفئات لها ، وتحقيق احتياجاتها البسيطة من أجل تحييدها وشراء سُكوتها وعدم مُعارضتها للأمر الواقع . وهذا يعني أن طبقة العُمال جرى تطويعها وتقليصُ أظافرها ، فلم تُعد تُشكِّل أيَّ خطر على النُّظم القائمة . استغلَّ ماركوز الاحتجاجات الطلابية ، لينبئ عليها شهرته كفيلسوف ، ويصنع مَجْدَه الفكري ، فصارت هذه الاحتجاجات هي الحامل لأفكاره والناشر لها ، وصارَ في نهاية الستينيات والسبعينيات المُنظر الأبرز للحركات الطلابية في ألمانيا وفرنسا وأمريكا . وهذه القدرة على التنظير جَعَلَتْهُ يُرَكِّز في كتاباته على نقد الرأسمالية ، ونقد الأنظمة القائمة ، وتجديد الأطروحات الماركسية ، وتَمَّ النظر إليه باعتباره الأب الروحي لليسار الجديد . أثَّرت دراساته الماركسية في الكثير من المفكرين اليساريين والناشطين السياسيين في الستينيات والسبعينيات . وقد تُؤفِّي عام ١٩٧٩ أثناء زيارته لبلده الأم (ألمانيا) .

إنَّ أفكار ماركوز السياسية تدور حول ثلاثة محاور أساسية : دور الطلاب في العالم الرأسمالي ، والحركة الطلابية في فرنسا عام ١٩٦٨ ، ودور الطبقة العاملة الحديثة في الغرب .

من أشهر مؤلفاته: ١_العقل والثورة (١٩٤١) ، وهو بحث جدلي في أفكار هيغل الاجتماعية ، وإعادة تفسيرها ، وتوضيح أثر هيغل في النظريات الاجتماعية خلال الثلاثينيات وربطها بنشوء الأفكار الفاشية . ٢_ الحضارة والرغبة (١٩٥٥) . وموضوعه التأليف بين فرويد وماركس . ٣_ الماركسية السوفييتية (١٩٥٨) . وقد انتقد فيه التطبيق السوفييتي للماركسية . ٤_ الإنسان أحادي البعد (١٩٦٤) . وهو أهم أعماله على الإطلاق . وقد انتقد فيه المجتمعات الرأسمالية والشيوعية على السواء ، ورأى أن المجتمعات الصناعية سَحقت الإنسان ، وأخضَعَتْهُ لِلآلة الإعلامية ، والتقنية المتوحشة ، فصارَ آلةً إنتاجيةً ، وكائنًا استهلاكيًا ، ممَّا أدى إلى ضياع الإنسان ، وتعميق غُربته الروحية ، وتجذير اغترابه في مجتمعه .

هرقليطس وتقدّيس النار

وُلد الفيلسوف اليوناني هِرْقْلِيْطُس (٥٣٥ ق.م . ٤٧٥ ق.م) في مدينة أفسس بمنطقة آسيا الصغرى ، لأسرة مالكة .

ظهر قبل عصر سُقراط . وكتب بأسلوب غامض ، ويغلب طابع الحزن على كتاباته . لذلك ، عُرف بالفيلسوف الباكي . وقد تأثّر بأفكاره كل من سقراط و أفلاطون وأرسطو .

قال إن النار هي الجوهر الأول، ومنها نشأ الكون. وقال أيضًا بالتغيّر الدائم . وقد وضع كتابًا وحيدًا، لم يصلنا منه غير شذرات. ولا يعرف المؤرخون عن حياته إلا القليل .

اشتهر هرقليطس بالغموض، فقليل عنه " الفيلسوف الغامض " . وشاع هذا القول في كل العصر اليوناني و الروماني، والسبب في ذلك أنه كان يطيب له المفارقات والأقوال الشاذة، وكان يُعبّر عنها بلغة مجازية رمزية . ومن هنا ، أطلق عليه لقب " صاحب الألغاز " .

قرّر هرقليطس المبادئ الثلاثة التالية :

١ _ الانسجام هو دائمًا نتاج المتقابلات، ولهذا فإن الحقيقة الأساسية في العالم الطبيعي هي الكفاح . ٢ _ كل شيء في حركة مستمرة وتغيّر . ٣ _ العالم نار حية دائمة البقاء .

والمبدأ الأول له ثلاثة أوجه : ١ _ كل شيء مُؤلّف من المتقابلات، ولهذا فإنه خاضع للتوتر الداخلي . ٢ _ المتقابلات في حالة هوية بعضها مع بعض، أي أن المتقابلات واحدة .

٣ _ الحرب هي القوة المهيمنة والخلقة، وهي الحالة السليمة للأمور .

والمبدأ الثاني يُعبّر عنه بقوله : ((كل شيء في سَيّلان دائم)) . والقول المشهور الذي يُعبّر به هرقليطس عن هذا المبدأ : ((لا تستطيع أن تنزل في نفس النهر مرتين)) . وذلك لأن مياهها جديدة تتدفق فيه . أمّا المبدأ الثالث فيشرحه بالقول : ((إن نظام العالم واحد للجميع، لم يصنعه أحد من الآلهة ، ولا الناس ، لكنه هو دائمًا ، وسيكون كذلك أبدًا : نارًا حية دائمة البقاء ، أشعلت بمقاييس وأطفئت بمقاييس)) .

صوّر هرقليطس في الأدب الحديث بأنه يُقيم فلسفته حول فكرة التغير، ولكن من الصعب علينا أن نجد القليل الباقي من هذه الفلسفة . وقد كان يتوق كما يتوق معظم الفلاسفة للكشف عن الواحد المستتر وراء الكثرة ، وعن وحدة تثبت العقول ، ونظام بين ما في العالم من زحام وفوضى وكثرة .

تقوم فلسفة هرقليطس على تقديس النار واعتبارها أساس الوجود ، ولعله كان متأثراً بعبادة الفرس المجوس للنار . وأكبر الظن أنه كان يستعمل هذا اللفظ استعمالاً رمزياً وحرفياً معاً، ويقصد به الطاقة كما يقصد به النار نفسها .

يُعتبر هرقليطس أول من بحث في ميدان الأخلاق دون أن يُكوّن لنفسه مذهباً أخلاقياً بمعنى الكلمة، فنأى بالحرية الأخلاقية وضرورة احتكام الإنسان إلى العقل في أفعاله وسلوكه وعدم اتباع العامة من الناس .

وهرقليطس يطبّق على الأخلاق أربع قواعد فلسفية هي : الطاقة ، والتغير ، ووحدانية الأضداد، وعقل الكل . والطاقة إذا سيطر عليها العقل، واقتربت بالنظام، نشأ عنها أعظم الخير . وليس التغير شراً بل هو خير وبركة . وحاجة الأضداد بعضها إلى بعض تجعل نزاع الحياة وآلامها شيئاً معقولاً لا يمكن فهمه وغفرانه . وهو يلوم الذين يرغبون في القضاء على ما في العالم من نزاع ، فبغير نزاع الأضداد لا يكون هناك تألف ، ولا يحدث تطور .

فلسفة هرقليطس في جملتها، تُعدّ من أعظم نتاج العقل اليوناني . وقد انتقلت نظرية النار المقدسة منها إلى الرواقية (إحدى الفلسفات المستجدة في الحضارة الهلنستية)، كما انتقلت منها فكرة النار الأخيرة إلى المسيحية بطريق الرواقية .

كان لهرقليطس تأثير بالغ في صياغة المفاهيم والأنظمة الفلسفية اللاحقة، ومنه أخذ أفلاطون مفهوم التغير ، وأيضاً فكرة الجدل ، ومفهوم صراع الأضداد . كما أخذ منه الرواقيون مفهوم " اللوغوس " ، وأقاموا عليه منظومتهم الفلسفية في العقل الكلي . واللوغوس من أشد الكلمات أهمية وأكثرها غموضاً في الفكرين الغربيين الديني والفلسفي ، وهي تدل في سياقات شتى على مدلولات متعددة ، كالخطاب ، اللغة ، العقل الكلي ... إلخ .

كذلك تأثرت الفلسفة الحديثة بجدل هرقليطس، فاستفاد منها كثير من فلاسفة العصر الحديث أمثال ديكارت في نظريته عن خلق الكون ، وسبينوزا في رأيه عن الجوهر ، وروسو في نظريته عن التطور التاريخي ، حتى تبلّور أخيراً على يد هيغل وماركس .

والجدير بالذكر أن هرقليطس كان يرى أن الديمقراطية نظام خاطئ. ومن أقواله في هذا المعنى: ((إن الفاسدين كثيرون والصالحين قلائل)) ، و ((عندي أن رجلاً واحداً خير من عشرة آلاف إذا كان هو أحسنهم)) . ولكن الأشراف أنفسهم لم يُعجبوه، كما لم يُعجبه العلماء والنساء .

هرمان ملفيل وملحمة موبى ديك

وُلد الروائي الأمريكي هرمان ملفيل (١٨١٩ - ١٨٩١) في مدينة نيويورك. عاش أولى سنين حياته في جو عائلي مضطرب. في عام ١٨٣٢ بعد وفاة والده، اضطره جفاء والدته وسوء معاملتها إلى الابتعاد عن المنزل ، والسكن في مزرعة يملكها أحد أقربائه ، وفيها عاش أسعد سنين حياته . شَبَّ الفتى ، وتنقَّل في مهن كثيرة ، ولكن حب البحر كان في يجري في عروقه ، فانضمَّ عام ١٨٤١ إلى طاقم " الأكوشنت " المُقلعة نحو البحار الجنوبية حيث استوحى أعظم رواياته . في تلك الرحلة عومل ملفيل معاملة وحشية ، فاعتنم فرصة رُسُو السفينة في ميناء ماركيساس وهرب منها بصحية رقيق له ، ليسقط أسيرًا لدى قبيلة من أكلة لحوم البشر لمدة أربعة أشهر. هرب بعدها بواسطة سفينة أسترالية لصيد الحيتان . في عام ١٨٤٣ ، خدم ملفيل في البحرية الأمريكية ، وحين سُرَّح من الخدمة في العام التالي ، قصد منزل شقيقه في لانسرغ وعاش معه .

وفي عام ١٨٤٧ تزوج ملفيل من إليزابيث شاو ورزق منها بصبيين ماتا في الطفولة ثم بفتاتين. بعد ذلك ، انتقل ملفيل إلى إنجلترا وعاش في مزرعة أروهد في بيتسفيلد ، وهناك كتب رائعته الشهيرة " موبى ديك " ، ولكن الحظ السيء لازمه بعد ذلك فتعرَّض لانتكاسات اقتصادية ، ومُنِيَ بخسارة كبيرة حين احترق مستودع الكتب الذي يملكه ، واحترقت جميع محتوياته .

يُعَدُّ ملفيل من الكُتَّاب الذين يصعب وصفهم وإعطاء نمط قصصي مُعيَّن لهم ، فأدبه ينتقل من الرومانسية إلى الفلسفة إلى السيرة ، حيث يجول ملفيل في أعماق نفسه ويصف فلسفته في الحياة . تمتاز أعمال ملفيل بمستواها الأدبي الرفيع، حيث تمتزج فيها الحقيقة والخيال والمغامرة والرمزية البارة. كتب ملفيل عن تجاربه بطريقة جذابة جعلته أحد أكثر الكُتَّاب شعبية في زمانه. وقد أضفى على مغامراته خيالاً خصباً وشكلاً فلسفياً ، إلى جانب مهارة فائقة في استعمال اللغة الإنجليزية .

تُعتبر روايته " موبى ديك " (١٨٥١) أشهر أعماله على الإطلاق ، وهي التي صنعت شهرته العالمية . وتدور حول صراع تراجيدي بين حوت وإنسان ، وتتخذ من هذا الصراع الحضاري وسيلة لتأمل الوضع البشري وعلاقته بالوجود ، وتحوُّله إلى كيان رمزي مُعقَّد ، وتحدث عن كيفية العيش _ مُطلق العيش _ ، وعن المشروع الأمريكي الذي وجد في عمل ملفيل شكلاً من أشكال

التعبير عن نفسه في منتصف القرن التاسع عشر ، أي حين كانت أمريكا تكتشف ذاتها كقوة كونية وإمبراطورية إمبريالية . فكانت رواية " موبي ديك " وروايات ملفيل الأخرى بمثابة بُعْدَ لِمَا ستصير إليه هذه القوة الكامنة . تحتل " موبي ديك " مكانةً مرموقة بين كلاسيكيات الأدب العالمي ، بالإضافة إلى كونها الملحمة الكبرى المكتوبة حول الصراع والتحدي بين حوت وإنسان . ويقول الأمريكيون عنها : ((إنها ملحمتنا الأمريكية الوحيدة)) . غير أن الرواية لاقت من الإهمال بعد صدورها ما جعل نفس كاتبها تمتلئ باليأس والإحساس بالعجز ، ليقضي بقية حياته مُوظَّفًا في سلك الجمارك الأمريكية ، ويموت مُهْمَلًا مجهولاً في العقد الأخير من القرن التاسع عشر .

وخلال زهاء ستين عامًا من صدور " موبي ديك " للمرة الأولى ، لم يُلْتَفِت إليها ، ولم يُنْظَر إليها بصفتها روايةً عظيمةً سوى عام ١٩٠٧ . أي بعد مرور ١٦ عامًا على رحيل مؤلفها ، عندما تم إدراجها ضمن سلسلة " إيفري مان لايراري " الشهيرة التي تنشر الكلاسيكيات الكبرى .

ولم يهتم النقاد بالرواية إلا في العشرينيات من القرن العشرين ، حين بدأ الباحثون والنقاد وأساتذة الجامعات يكتبون عن هذا العمل الروائي المدهش الذي طوّر شكل الكتابة الروائية في منتصف القرن التاسع عشر ، وجعل الرواية الأمريكية تحتل مكانةً مرموقةً في تاريخ الرواية العالمية . تُرْجِمَت الرواية إلى عشرات اللغات . وفي مجال السينما ، قُدِّمَت العديد من الأفلام المقتبسة عن الرواية ، أبرزها الفيلم السينمائي الذي أخرجه جون هيوستن عام ١٩٥٦ بالعنوان نفسه . وحصل الفيلم على عدّة جوائز . وفي عام ٢٠١٥ ، أُعيد تقديم الرواية برؤية سينمائية جديدة تحت عنوان " في قلب البحر " .

من أبرز أعماله : خيمة الهندي (١٨٤٧) . أومو (١٨٤٧) . السترة البيضاء (١٨٥٠) . موبي ديك " الحوت الأبيض " (١٨٥١) . قصص من يياز (١٨٥٦) .

هرمان هسه وذالكحة التمرد

وُلد الأديب السويسري من أصل ألماني هرمان هسه (١٨٧٧ - ١٩٦٢) في كالف بألمانيا ، وتُوفّي في مونتانيولا تيسن . يُعتبر واحدًا من أعمدة الأدب الألماني والعالمي في القرن العشرين . وقد تمّ الاعتراف به على المستوى العالمي ، بعد منحه جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٤٦ .

كانت عائلة هسه محافظةً وملتزمة بالمذهب البروتستانتي ، وكان والده يعمل مُبشّرًا ، كما أن جدّه لأُمّه كان مُبشّرًا أيضًا ، وهذا المناخ ساهم في توجيهه في بداية حياته نحو الدراسات الدينية . إلا أن المشكلات العائلية ، والصراعات الفكرية ، والضغوطات النفسانية المحيطة به من كل جانب ، أدّت إلى خروجه من هذه الحلقة المغلقة ، وتمرده على العائلة والمدرسة والدين والدُّنيا . ولا يخفى أن كثرة الضغط تولّد الانفجار .

ونزعة التمرد كانت متجذرة في كيانه ، وبذرة الرفض كانت مغروسة في شخصيته ، كما أن فلسفة العزلة سيطرت على قلبه وجوارحه ، لذلك بدأ بصناعة عالمه الخاص القائم على الأفكار والخيالات والأشواق الروحية والانطلاق إلى الطبيعة ، وهذه القيم تتنافى جُملةً وتفصيلاً مع المناخ العائلي القاسي ، وجوّ بيته الخانق .

وكان الخلاص _ من وجهة نظره _ هو الهروب إلى الخيال والتأمل ، وكانت الرومانسية الحاملة هي التعويض الحتمي عن خيبة أمله ، وتكرّست الطبيعة كمبدأ حياتي لملء فراغه الروحي . ولم يكن توجّهه إلى الطبيعة أمرًا غريبًا ، فقد وُلد في منطقة تقع في قلب الغابة . وهذا الأمر _ بالتأكيد _ زرع فيه حُب التأمل ، وعشق الطبيعة بكل عناصرها . فصارت الأشجار والأزهار والطيور عائلته الجديدة التي عوّضته عن سنوات الحرمان الروحي والقلق الوجودي والاضطراب النفسي . واندماجه مع الطبيعة بهذا الشكل الوثيق ساهم بشكل أساسي في تغذية إحساسه الشعري ، وتقوية خياله المتدفق .

وبالطبع ، لا يوجد تمرد مجاني ، إذ إن كُل تمرد له ضريبة يجب دفعها . وقد أدرك هسه هذا الأمر ، فهرب من السُّلطة العائلية ، والسُّلطة الكهنوتية ، وأخذ يعتمد على نفسه من أجل إيجاد مصدر دخل بعيدًا عن العائلة ، فكرّس حياته للعمل الشاق ، حيث إنه عمل ساعاتيًا ، ثم باع كتب ، ثم قرّر أن يصبح كاتبًا ، فبدأ بكتابة الشعر الذي رأى فيه غاية وجوده ، ومُنتهى أحلامه . وفي ذلك يقول : ((إمّا أن أصبح شاعرًا أديبًا ، أو لا أصبح شيئًا على الإطلاق)) .

وهذا يدل على أن الكتابة _ بالنسبة إليه _ منهج حياة ، ووسيلة علاج ، وهدف وجودي ، وهوية تكشف معنى الانتماء . لقد عالجَ رُوحه المتشظية وقلبه المكسور بالقراءة وتثقيف نفسه وتكوين فلسفته الخاصة ، وتخلّصَ من اكتابه وعُقدته النفسية ووحدته القاسية بالكتابة وتطوير أسلوبه الأدبي .

ومن أبرز العوامل التي ساهمت في رفع مستوى ثقافة هِسّه ، عمله المبكر في مكتبة، حيث إنه قضى وقته في قراءة الكتب وتنظيمها ، فدرسَ الكتب اللاهوتية ، ثمَّ قرأ أعمال غوته وشيلر ، وتأثر بشكل واضح بفلسفة نيتشه ، وهذا التأثير ظهر في أعماله الروائية .

وعلى الرّغم من اتجاه هِسّه إلى الشّعْر في بداية حياته الأدبية ، حيث إنه نشر ديوانه الأول سنة ١٨٩٩ ، إلا أنه سرعان ما اتّجه إلى كتابة الرواية. لقد غيّر الوعاء الأدبي ، وانتقل من الشّعْر إلى الرواية بسبب طبيعة أفكاره الفلسفية ذات النزعة التأملية المرتبطة بانكسار الإنسان في هذه الحياة، وغُربته الروحية والمكانية . وقد أدرك أن هذه المفاهيم تحتاج إلى مناخ سردي روائي ، ولا تحتاج إلى جو شعري رمزي تكيفي ، لذلك سار في طريق الرواية ، وكانت رواياته ذات طابع فلسفي ، تمتلئ بالأسئلة العقائدية ، والهواجس المتمردة ، والشكوك المتكاثرة ، والضياع الإنساني، والمشاعر المكسورة .

لَمْ يكن طريق هِسّه الأدبي مفروضًا بالورود . بل على العكس ، كان مليئًا بالعقبات ومحفوفًا بالإخفاقات . إذ إن مؤلفاته الشعرية الأولى لم تحظْ بأي نجاح ، وباءت بالفشل على الصعيد التجاري، وبيع منها نُسخ محدودة لا تكاد تُذكر . ولم تقف الأمور عند هذا الحد ، بل رُفضت أمّه قصائده الرومانسية ، واعتبرتها خروجًا على التقاليد العائلية الصارمة. ولم تكن حياته الاجتماعية سهلة، فبعد طفولة مُعذّبة، ومليئة بالعُقد النفسية والتّحدي والتمرد ، تلقى صدمة في مطلع شبابه ، إذ تمَّ إعفاؤه من الخدمة العسكرية سنة ١٩٠٠ ، بسبب الصّداق الدائم ، واضطرابات الجهاز العصبي . وبما أن المصائب لا تأتي فرادى ، فقد اكتملت أحزانه وازداد اكتابه سنة ١٩٠٢ ، حيث تُوقّيت والدته. ولم يحضر جنازتها خوفًا من ازدياد أحزانه وأزماته النفسية ومشكلاته الصحية. ولم يخرج هِسّه من دوامة الأحران والاكتئاب إلا بعد صدور روايته "بيتر كامينتسيند" (١٩٠٤) حيث حقّقت نجاحًا هائلًا في ألمانيا ، وكانت بالنسبة إليه طوق النجاة ، وجعلت منه كاتبًا مشهورًا يُشار إليه بالبنان ، وقادرًا على العيش من كتاباته . وبعد أن صار كاتبًا مشهورًا ، تلقى ثلاث صدمات عنيفة ومتتابعة، حيث تُوقّي والده سنة ١٩١٦ ، فدخل في حالة حزن حادة ، وأصيب

ابنه بمرض خطير ، وأُصيبت زوجته بانفصام في الشخصية . وهذا دفعه إلى تلقي علاج نفسي خاص . وكالعادة ، كانت الكتابة هي الانعتاق والخلاص ، وطوق النجاة ، والعلاج النفسي الأكثر فاعلية ، فصدور روايته " كلينجزور في صيفه الأخير " (١٩٢٠) حقّق له النشوة والسعادة ، والاستقرار العاطفي ، والرغبة في الحياة . وقد كان نجاحه الأدبي هو الحلم الذي أعطى حياته الجدوى والشرعية والمشروعية .

وبما أنه ألماني ظهر في فترة المد النازي ، فلا بد أن تصيبه لعنة النازية كما أصابت كلّ مثقفي ألمانيا في تلك الحقبة . وتضاعفت مشكلاته الشخصية لأن زوجته الأخيرة كانت يهودية ، وأضحى حائراً بين قناعاته الشخصية المعارضة للنازية ، وبين ضغط الدولة البوليسية التي صنعها النازيون . وهذه الحيرة أكسبته غضب جميع الأطراف . فتمّ انتقاده ولومه لأنه لم يقم بإدانة الحزب النازي . وعلى الجهة المقابلة ، قام النازيون بحظر أعماله ، ومنع نشرها ، وتمّ منعه من الكتابة في الصحف والمجلات .

كان منحه جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٤٦ ولادةً جديدة له ، حيث تعرّف عليه العالم بأسره ، وأعيد اكتشاف أشعاره ورواياته ، وأُتيح للجيل الجديد أن يطّلع على تاريخه الأدبي ، ويني عليه من أجل الانطلاق إلى المستقبل .

وكما قال هِسّه ذات مرة : ((عليك أن تُجرّب المستحيل لتصل إلى الممكن)) . وبالفعل ، لقد جرّب المستحيل ، وأوصله إلى هدفه الذي رسمه بنفسه بعيداً عن ضغط العائلة والمجتمع . وفي التاسع من آب سنة ١٩٦٢ تُوفّي هِسّه ، عن عُمر يُناهز الخامسة والثمانين . لقد رحل بجسده ، وبقيت كلماته حيّة وراءه ، حيث خلّف العديد من الأعمال الأدبية . من أبرزها : قصائد رومانسية (١٨٩٩) ، بوتر كامينتسيند (١٩٠٤) ، تحت الدولاب (١٩٠٦) ، دميان (١٩١٩) ، ذئب البوادي (١٩٢٧) ، لعبة الكريات الرجالية (١٩٤٣) .

هسيود والملحم الشعريّة

وُلد الشاعر اليوناني هسيود أو هسيودوس (٨٤٦ ق.م _ ٧٧٧ ق.م) في بلدة أسكرا الصغيرة على سفح جبل هليكون في إقليم بويتيا وسط بلاد اليونان . وكان أبوه قد هاجر إليها من مدينة كومي في آسيا الصغرى بعد مُعاناته من الفقر ، وعاش في موطنه الجديد مزارعاً فقيراً يقتات من العمل في أرضه . وهكذا نشأ هسيود في هذه البيئة المُعَدّمة المنعزلة ، ولكن الغنية بتراتها وتقاليدها ، وكان لهذا تأثير كبير في فكره وطباعه وشعره .

يُعتَبَر هسيود أحد أعظم شعراء اليونان القدامى ، وهو شاعر ملحمي اقترن اسمه في العصور القديمة بالشاعر الكبير هوميروس . ويُعدُّ هسيود مؤسس ملحمة الأنساب والملحمة التعليمية . وعلى يديه ازدهر الشعر الملحمي بالوزن السداسي . ترك هسيود ملحمتين شعريتين هما :

١_ " أنساب الآلهة " : وهي أول قصيدة ميثولوجية ملحمية في الشعر الإغريقي. تتألف من ١٠٢٢ بيتاً . يَفْصِّل فيها الأساطير المتعلقة بنشأة الكون وأصل الآلهة . يستهل هسيود ملحمةه بأنشودة إلى ربّات الشَّعر ، وقد صَوَّر له خياله أنه يكاد يراها ترقص على سفح هليكون ، وتغسل جلدتها الرقيق بمياه الينبوع المقدَّس ، وكيف تُلهمه الشَّعر . ثم يتحدَّث عن نشأة العالم من العدم والفوضى فكانت الأرض أولاً ، ثم نشأ الليل والنهار ، ثم جاء بعدنذٍ ترتاروس إله العالم السفلي ، ومن بعده إروس إله الحب، ووُلدت الأرض الجبال والسماء ، ووُلد من اقتران السماء (أورانوس) والأرض البحرُ الكبير والمردة والجبابرة ، الذين قَذَف بهم أورانوس إلى العالم السفلي ، ولكنهم ثاروا ضِدَّه مع أُمُّهم بزعامة كرونوس الذي قطع أوصال أبيه ، فنشأ من نُطفه المتساقطة في الماء زيد البحر وإلهة الجمال أفروديت ، ورفع الجبابرة كرونوس على عرش أبيهم ، الذي تزوَّج أخته ريا . وعندما عَلِمَ بنبوءة تقول إن أحد أبنائه سيخلفه على عرشه ، ابتلعهم جميعاً ما عدا زيوس الذي ولدته أُمُّه سِرّاً في جزيرة كريت حيث نشأ ، وما إن بلغ أشدَّه حتى دخل في صراع مع الجبابرة وأرغم أباه على إخراج إخوته من بطنه ، وأعاد الجبابرة إلى باطن الأرض ، وحصل على عرش العالم لكل الأزمان . كما يروي هسيود أسطورة بروميثيوس ، وعقاب زيوس الأبدي له لأنه سرق النار وأعطاه للبشر . وهذه الأساطير نشأت من المعتقدات والقصص الشعبية الإغريقية ، ومن التراث الفكري والديني للشرق القديم .

وقد أظهرت الأشعار والأساطير الحثية والحورية ، التي أگدتها نصوص أوغاريت ، وكذلك قصة الخلق البابلية ، أن شعوب الشرق القديم عرفت أسطورة أجيال الآلهة التي ينتزع كل منها عرش السماء من سابقه . ولا شك أن هسيود اعتمد على هذه الأساطير والمرويات الشرقية التي عرفها إما عن طريق الفينيقيين ، أو عن طريق آسيا الصغرى .

٢ _ " الأعمال والأيام " : وهي قصيدة تتألف من ٨٢٨ بيتاً ، وقد سمّاها بعضهم " حكمة هسيود " . يستهلها الشاعر بالدعاء لزيوس رب العدالة التي وهبها لبني البشر " وهي أحسن ما يملكون على الأرض " . ثم يتوجه بالنصيحة لشقيقه برّسيس الذي سلبه حصّته من أرض أبيه عبر رشوته القضاة الظالمين، ويحثه على اختيار الطريق القويم، " فلا شيء أثنى من نعمة العمل الشريف " . وكأنه بذلك يُخاطب أيضاً فلاحى بويتيا الكادحين المُعْدَمين الذين تطحنهم مشكلات حاضرم وهمومها، ولا يملكون إلا التمسك بفضيلة العمل والعدل أساساً للحياة. كما يُقدّم الشاعر النصائح العملية لممارسة الأعمال الزراعية، ويهيب بالفلاح أن يمتلك قبل كل شيء منزلاً وزوجة وتورّاً للحرّاة، وينصحه بولد واحد فقط. ويُورد أخيراً قائمة بأيام السّعد وأيام النّحس التي ينبغي على المرء ألا يعمل فيها .

يُعبر هسيود عن تشاؤمه النابع من التناقضات الاجتماعية في عصره ، في تصويره تعاقب العصور الخمسة التي تُؤكّد أن البشرية تسير من سيّئ إلى أسوأ. ففي البداية كان العصر الذهبي، عصر السلام والأمان والوفرة في ظلّ الإله كرونوس ، ثم أعقبه العصر الفضي ، وتلاه العصر البرونزي ، أمّا العصر الرابع فهو جيل الأبطال الذين انقضوا في الحروب حول أسوار طروادة وطيبة . وأخيراً جاء عصر الحديد الذي يعيشه ، والذي ليس فيه سوى الأسى والإرهاق نهائياً ، والهلاك ليلاً . والذي يقول عنه : ((لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَهُ أَوْ وُلِدْتُ بَعْدَهُ !)) .

يرى هسيود أن العدل ضعيف أمام الظلم وجبروته ، ويتجلى ذلك في قصيدته " خرافة العندليب والصقر " . وتُعَدُّ هذه القصيدة بمُجملها مصدراً فريداً للأوضاع الاجتماعية في بلاد اليونان في ذلك الوقت. أمّا عن سماتها الفنية فيغلب عليها البناء غير المُحكّم، إذ لا ترتبط العناصر المكوّنة لها ببعضها إلا بخيوط واهية . فالشاعر ينتقل من الحُكم والأمثال ، إلى أحداث ملحمة الطابع ، إلى موضوعات شخصية واستطرادات كثيرة. ومع هذا أصبحت القصيدة من أهم الأشعار التي تركت بصماتها الواضحة على التراث الشعري التعليمي والغنائي ، وعلى الفكر الأخلاقي والفلسفي عند الإغريق والرومان ، وخاصة ما يتعلق بأسطورة العصر الذهبي .

هنري برغسون وفلسفة الروح

وُلد الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون (١٨٥٩ - ١٩٤١) في باريس . وتُوِّفِي فيها . يُعْتَبَر من أبرز الفلاسفة في القرن العشرين . ساهم في نشر منهج التفكير وأسلوب التعبير اللذين يعتمدان على الإيمان بالروح . وهذه الفلسفة تركت أثرها على النتاج الفكري الأوروبي ، لأنها جاءت كردة فعل ضد المذهب المادي الذي يُلغي القيم الروحية ، ولا يعترف إلا بالأمور المحسوسة .

سيطرت فلسفة كانت على الساحة الفكرية الفرنسية خلال الفترة (١٨٧٠ - ١٩١٨) ، وهي فلسفة مُستوردة من ألمانيا، قائمة على الوضعية التي تعتبر المعرفة الحقيقية هي المعرفة والبيانات المستمدة من التجربة الحسية . هاجم برغسون التطرف المادي لفلسفة كانت ، وانتقد إهمالها للجوانب الروحية والأمور الخارجة عن نطاق المادة .

درَسَ برغسون في مدرسة المعلمين العليا ، ثم أصبح أستاذًا في الكوليج دو فرانس . وهي مؤسسة فرنسية تختص بالبحث العلمي والتعليم العالي ، وتقوم بالتدريس على مستوى الباحثين وطلبة الدراسات العليا . وفي عام ١٩١٤ تمَّ انتخابه عضوًا في الأكاديمية الفرنسية . ثم سافر في عام ١٩١٧ إلى الولايات المتحدة لإقناع الرئيس ويلسون بدخول الحرب العالمية الأولى ضد ألمانيا . استقال من التعليم العالي عام ١٩٢١ ، كي يتفرغ بشكل كامل للقضايا السياسية والشؤون الدولية . وفي عام ١٩٢٧ حصل على جائزة نوبل للآداب اعترافًا بإنجازاته الفلسفية ، وتأثيره الهائل على المذاهب الأدبية والدينية والفلسفية . وخلال العشرين سنة الأخيرة من حياته، لم يُؤلف إلا كتابًا واحدًا . وقد مات برغسون عام ١٩٤١ أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكانت فرنسا محتلة من قبل الألمان .

والغريب في الأمر أن برغسون حقق في حياته شهرةً عالميةً ، وانتشرت فلسفته في الآفاق . ولكن بعد وفاته ، انقلبت الشهرة إلى انطفاء ، وابتعد الناس عن أفكاره ، وصارت فلسفته جزءًا من الماضي ، وذهبت كتاباته إلى النسيان والإهمال . وحدث انصراف تام عن فلسفته وكتبه ، من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم ، كأن شيئًا لم يكن . وقد مسحت الوجودية فلسفته تمامًا ، وجعلتها أثرًا إثر عَيْن .

تقوم فلسفة برغسون على أربعة مبادئ أساسية: المبدأ الأول (وهو مبدأ سياسي) - الإشادة بالديمقراطية واعتبارها نظامًا فكريًا وسياسيًا يعلو على ظروف المجتمع المغلق ، واعتبار السلام

محاولة لتجاوز حالة الطبيعة الموجودة في المجتمع المغلق ، إذ إن الأصل في الحروب هو الأنانية وحب التملك سواء كان فردياً أم جماعياً . وقد أشاد بعُصبة الأمم باعتبارها منظمة دولية تهدف إلى إنهاء الحروب ، وركّز على ضرورة القضاء على الأسباب المؤدية إلى الحروب مثل : تضخم السكان ، والتوزيع غير العادل للثروة .

المبدأ الثاني _ اعتبار الروح هي أصل جميع الأشياء ، وأن الزمن مسار مُتَّصِل لا فواصل فيه ، يمتاز بالديمومة والحركة المستمرة . ولا يمكن معرفة الديمومة إلا بالحدس (الإدراك الصوفي) ، حيث يتطابق فعل المعرفة مع الفعل الذي يصنع الواقع . والحدس _ وفق تعريف برغسون _ هو الجهد المبذول لمعرفة الموضوع من الداخل (اكتشاف باطن الشيء) . والحدس ليس ناتجاً عن الغريزة ، بل هو ناتج عن التفكير العقلي المتواصل ، والتأمل الفكري المستمر .

المبدأ الثالث _ اعتبار الذاكرة ظاهرة نفسية ، وليست ظاهرة فسيولوجية (والفسيولوجيا هي علم دراسة وظائف الأعضاء والأجهزة الحيوية) . ويُفَرّق برغسون بين نوعين من الذاكرة : الذاكرة العادية وهي المكتسبة بالتكرار ، والمرتبطة بالجهاز العصبي ، حيث تستعيد الماضي بطريقة آلية بحتة . والذاكرة المحضة التي تحتزن الماضي وتحيا في ديمومة مستمرة . إنها ذاكرة النفس التي تُصوّر الحوادث الذهنية ، وتحتفظ بخصائص الأشياء وتاريخها . والذاكرة _ وفق برغسون _ هي نقطة البداية ، وتمهيد لحل مشكلة العلاقة بين النفس والجسد .

المبدأ الرابع _ التمييز بين نوعين من الأخلاق : الأخلاق الساكنة المغلقة ، والأخلاق المتحركة المفتوحة . الأخلاق الساكنة المغلقة تشتمل على مجموعة العادات التي تفرضها الجماعة على الفرد ، وتنحصر وظيفتها في حماية كيان المجتمع من التفكك . أمّا الأخلاق المتحركة المفتوحة فتتجاوز حدود الجماعة ، لأنها ليست ناتجة عن الضغط الاجتماعي ، وإنما هي استجابة الفرد لنداء الحياة . إن قوة برغسون الفلسفية تتجلى في تأثيره الهائل على الفكر والأدب ، كما تتجلى في أسلوبه البليغ الذي ساهم في رواج كتبه . أمّا نقاط ضعفه فكثيرة ، من أهمّها: كثرة العبارات الغامضة وعدم توضيحها ، واللجوء إلى الإنشاء وغياب التحليل والمنطق في كثير من الأحيان ، ونسخ أفكار الفلاسفة السابقين ، فمبدأ الصيرورة منقول عن هيغل ، والتلقائية منقولة من دي بيران ، والدافع الحيوي منقول عن أفلوطين ، وآراؤه الدينية منقولة عن اليهودية .

من أبرز مؤلفاته : فكرة المكان عند أرسطو (١٨٨٩) . المعطيات المباشرة للشعور (١٨٨٩) . المادة والذاكرة (١٨٩٦) . الضحك (١٩٠٠) . الطاقة الروحية (١٩١٩) .

هنري جيمس وزعامة الرواية الأمريكية

وُلد الروائي البريطاني من أصل أمريكي هنري جيمس (١٨٤٣ _ ١٩١٦) في مدينة نيويورك لعائلة غنية . والده هنري جيمس سير، كان أحد صفوة العلماء في القرن التاسع عشر بأمريكا ، فقد كان دارسًا لعلوم الإلهيات، وكان من أتباع الكنيسة السفيدنبورية (كنيسة تؤمن ببعثة المسيح مرة أخرى). وقد حرص على تنشئة أبنائه دون قيود ، فلم ينتم هنري أو أخواه إلى أيّة كنيسة مسيحية تقليدية ، ولم يلتحقوا بأيّة مدرسة لمدة طويلة جدًّا. أصبح أخوه وليام جيمس فيما بعد أستاذًا في جامعة هارفارد ، واكتسب شهرة عالمية كفيلسوف ديني، واشتهر أخوه أليس جيمس في كتابة اليوميات ، وكان لذلك تأثير كبير في حياة هنري الذي أراد الفوز بالأولية في إطار العائلة، فسعى لتحقيق الريادة الروائية . تنقّل في ريعان شبابه بين أمريكا وأوروبا ذهابًا وإيابًا ، ودرس في مختلف العواصم الأوروبية ، وعند عودته إلى أمريكا عام ١٨٥٩ ، أقام في مدينة نيويورك بولاية رود آيلاند، وبرغم قصر تلك الزيارة ، إلا أنها كانت ذات أثر بالغ في حياته، ففيها التقى بقريبته " ميني تمبل" وتعلّق بها إلى حد كبير، إلا أنه غادر لاستكمال سفره ودراسته، وجاءه نبأ وفاتها عام ١٨٧٠ ، فكان لذلك نصيب كبير من نفسه. صارت " ميني " فيما بعد تُمثّل في رواياته الفتاة الأمريكية الجميلة والمحبة للحياة، والتي خلّدها في عدد من بطلاته ومنهن " ميلي ثيل " في رواية " جناح اليمامة ". التحق عام ١٨٦٢ بجامعة هارفارد لدراسة القانون ، إلا أنه فضّل ميوله الأدبية ، فنشر عدّة قصص ومقالات، وأقام عدة صداقات أدبية ، كانت أقواها صداقته مع الناقد والروائي الأمريكي وليام دين هاولز ، والذي كان مُحَرِّرًا في مجلة أتلانتيك الشهيرة ، ففتح صفحات المجلة لمساهمات الناقد والمؤلف الشاب هنري جيمس، وهكذا كانت البداية . آمن جيمس بأن الفن الروائي يعتمد على الانطباعات الغنية التي تُغذّي خيال الكاتب من البيئة المحيطة، ولذلك استمر في التنقل بين أرجاء أوروبا، قبل أن يُمضي الأربعين عامًا الأخيرة من حياته في إنجلترا ويكتب فيها أهم أعماله. كتب أكثر من ٢٤ رواية طويلة، وعددًا كبيرًا من القصص القصيرة والمسرحيات وعدة آلاف من الرسائل والمحاضرات الأدبية، ومنحته جامعتا هارفارد وأكسفورد درجات فخرية عام ١٩١٠ . وفي عام ١٩١٥ تخلّى عن جنسيته الأمريكية واكتسب الجنسية البريطانية احتجاجًا على تردّد الولايات المتحدة في الانضمام إلى بريطانيا وفرنسا والدول الحليفة لهما في الحرب العالمية الأولى.

يُعتَبَر جيمس مؤسس وقائد مدرسة الواقعية في الأدب الخيالي . وهو سيّد الرواية الأمريكية بلا مُنازع. أعماله البديعة قادت العديد من الأكاديميين إلى اعتباره أعظم أساتذة النمط القصصي . اشتهر تحديدًا بسلسلة من الروايات يُصوّر فيها التلاقي بين أمريكا وأوروبا ، كما ركّزت رواياته على العلاقات الشخصية ، والاختبار المناسب للقوة في مثل هذه العلاقات ، وإثارة التساؤلات الأخلاقية . وطريقته في الكتابة منحتة الفرصة لاستكشاف ظاهرة الوعي والمفهوم . ممّا جعل أسلوبه في الكتابة يُقارَن بمدرسة الانطباعية في الرسم .

استخدامه البديع لنقل مشاعره في كتاباته ، والصراع النفسي الداخلي للشخصيات (المونولوج) بالإضافة إلى عناصر أخرى كالراوي ذي المصدقية (وهو راوي داخل الرواية يشق القارئ في سرّده)، كل هذه أشياء أضافت إلى رواياته عمقًا وتشويقًا ، وخصوصًا دراما الخيال العلمي . وألقت بظلالها على الأعمال الأدبية الحديثة في القرن العشرين .

هنريك إبسن وزخامة المسرح الحديث

وُلد الكاتب المسرحي النرويجي هنريك إبسن (١٨٢٨ - ١٩٠٦) في مدينة شين بالنرويج . وفي عام ١٨٤٤ أصبح صيدلياً مُساعدًا في مدينة غريمستاد .

تمتاز نظرة إبسن للحياة بالعمق والشمول، ويمتاز مسرحه بدقة المعمار والاقتصاد مع تعبير شاعري دقيق . وقد كتب أولى مسرحياته " كاتالينا " عام ١٨٥٠ . وجاءت ميلودراما مليئة بالإمكانات التي لم يرها معاصروه . لكن شهرته بدأت مع ثاني مسرحية له " عربة المحارب " (١٨٥٠) . وفي عام ١٨٥١ ، عمل كمساعد في مسرح بيرجين ، ثم سافر إلى الدنمارك وألمانيا لدراسة التكنيك المسرحي . وفي عام ١٨٥٤ كتب مسرحية " السيدة إنجر من ستوارت " ، وهي مسرحية تجري أحداثها في العصور الوسطى في النرويج . وفي عام ١٨٥٥ ، كتب مسرحية تتناول موضوعاً من العصور الوسطى بطريقة رومانسية شاعرية مليئة بالحديث عن أمجاد النرويج السابقة .

في عام ١٨٦٢ ، أفلس مسرح بيرجين ، وأصبح إبسن مديراً فنياً للمسرح النرويجي في مدينة أوسلو ، وفي نفس العام قدّم له المسرح مسرحية شعرية ساخرة تُظهر الجانب الآخر من فنّه . فُوِلت المسرحية ببعض العداء، ولكنها نجحت في لفت الأنظار إلى إبسن .

وفي عام ١٨٦٣ ، قُدّمت له مسرحية تاريخية تمتاز بالتحليل النفسي والشاعرية . وفي نفس العام حصل إبسن على منحة مكنته من زيارة إيطاليا وألمانيا . وبعد ظهور مسرحيته براند (١٨٦٠) تلقى معاشاً ثابتاً من الدولة أمّن له مستقبله .

وصف النقاد كل مسرحية من مسرحيات إبسن بالقنبلة الموقوتة، فكل منها تُفجّر قضية ما وتُثير ردود فعل عنيفة، فقد اختار إبسن " تمزيق الأقمعة " كلها ، وكشف الزيف الاجتماعي داعياً إلى الاعتدال والوسطية بعيداً عن التطرف .

وفي عام ١٨٧٩ ، عُرضت مسرحية " بيت الدُمية " والتي أثارت غضب المشاهدين ، فرموا الممثلين بالطماطم مُعتبرين المسرحية إهانة تمس مكانة المرأة، وتُهدّد الطمأنينة العائلية، إذ ترفض "نورا" الزوجة القليلة الخبرة أن تحيا حياة زائفة مع زوجها المثقف، وتكتشف أنه لا يُكن لها احتراماً حقيقياً ، ولا يُؤمن بحقها في أن تفكر أو تتخذ أي قرار . لقد مزّق إبسن القناع عن حياة زوجية عاشت فيها الزوجة كاللعبة في البيت أكثر منها شريكة لزوجها الذي لم تدّخر أي جهد لتساعده في حين يتعامل معها هو كالدُمية التي لا تفهم شيئاً ، لتكتشف "نورا" خديعتها في زوجها ،

وتجد أن ما كانت تعتبره سعادة كان وَهْمًا. ونظرًا للجدل الذي أثارته هذه المسرحية فقد استغلّتها الحركات النسائية المتطرفة في العصر الحديث أسوأ استغلال ، حيث فسّرت المسرحية بعيدًا عن مقاصد إبسن الحقيقية. وَلَمَّا قُوبِلَت هذه المسرحية، لا سيّما في ألمانيا، بعاصفة من الاحتجاج، اضطر "إبسن" إلى أن يضع لها خاتمة إرضاء للجمهور، ولا تزال المسرحية حتى اليوم تثير جدلاً بين النقاد المحدثين . لُقِّبَ إبسن بـ " أب المسرح الحديث". وانتهج المنعطف الواقعي في أعماله، فقد تطرّق إلى قضايا واقعية وخطيرة يُعاني منها المجتمع الأوروبي ، كما تناول قضايا إنسانية خالدة تُشغِل الإنسان عبر العصور ، مثل : قضية ماهية الحقيقة ، والفارق بين الحقيقة والواقع ، أو الصراع بين الواقع والمثال، وقضية النفاق الاجتماعي، وغيرها من القضايا التي تُثيرها أعمال إبسن المسرحية ، والتي ليس بالضرورة أن تضع لها حلولاً .

إن دعوة إبسن الاجتماعية في معظم أعماله دعوة إلى الاعتدال والوسطية ، ورفض للتطرّف في كل شيء ، كما أنها دعوة للكشف عن أقنعة الرّيف الاجتماعي ، ونبد النفاق على حساب المبادئ الأساسية الذي يضرُّ بالفرد والمجتمع . وقد اتّبع إبسن في مسرحه أسلوبًا دراميًا مُميّزًا عُرف بالمنهج الانقلابي ، بمعنى أن تبدأ المسرحية بموقف في الحاضر ، ثم تتوالى أحداث من الماضي في العودة ، لتتسج النهاية المأساوية لأبطال المسرحية .

تمتاز مسرحيات إبسن بِمُميّزات واضحة ، هي :

١ _ المسرحيات التاريخية منها تبدأ بداية عاصفة ، أمّا المسرحيات الاجتماعية فتبدأ هادئة مُشوِّقة مُعتمدة على الحوار الدقيق .

٢ _ الالتزام بوحدة الزمان والمكان ، كما وضعها اليونانيون .

٣ _ بناؤها المسرحي مُحكم إحكامًا دقيقًا لا يُجاريه فيه مؤلف آخر .

٤ _ الحبكة فيها تبدأ بالقرب من نقطة الزمان، ممّا يُساعد على إخضاع عناصر المسرحية الثلاثة : الزمان والمكان والكلام .

٥ _ شخصياتها من النماذج الإنسانية العالمية الطبيعية .

قال برنارد شو : ((إن أستاذه النرويجي _ إبسن _ هو أول من رفع مشكلات المجتمع إلى خشبة المسرح)) . تُؤفّي إبسن بعد صراع طويل مع المرض ، وبعد أن وضع اسمه في مصاف أعظم الكتّاب المسرحيين في التاريخ. وكما عاش ناقدًا للظلم الاجتماعي مات مُعارضًا ، فقد كانت آخر كلمة لفظها هي : ((بالعكس)) .

هنريك بونتوبيدان ومقاومة الطبقة

وُلد الأديب الدنماركي هنريك بونتوبيدان (١٨٥٧ _ ١٩٤٣) في مدينة فردريكية في وسط الدنمارك. كان والده كاهنًا، وراعيًا لكنيسة المدينة، وينحدر من أسرة كبيرة من الكهنة والكُتّاب .

بدأ حياته التعليمية في دراسة الهندسة في كوبنهاجن ، لكنه تركها لأنه لم يجد نفسه في عالم الأرقام والحسابات . عمل مُعلِّمًا في مدرسة ابتدائية ، ثم ترك سلك التعليم ، والتحق بالصحافة . وعندما بلغ العشرين من عُمره ، قرّر التفرغ التام للكتابة ، ورسم حياته ككاتب مُحترف . وقد شكّل زواجه الفاشل أول صدمة في حياته ، فقد اقترنَ بفتاة في عام ١٨٨١ تختلف عنه روحياً ومادياً . وكان الفشل هو النتيجة المتوقعة لهذا الزواج غير المُتكافئ .

امتاز بونتوبيدان بأسلوبه الساخر ، ولغته المليئة بالرموز والحكم . وكان ناقدًا للأوضاع السائدة في الدنمارك في تلك المرحلة ، فقد كانت دولةً مُتخلفة تعتمد على الزراعة البدائية ، ومحكومة من قِبَل الإقطاعيين ورجال الدين .

صوّر الشكّ والتشاؤم في أعماله الأدبية ، وتعرّض للموضوعات الوجودية بحثًا عن حقيقة الإنسان ، وهوية المجتمع والتقدم الاجتماعي . وهذا جعله واحدًا من أبرز كُتّاب عصره .

عاشَ مع الفقراء والفلاحين والمنبوذين بروحه وقلمه، وصوّر عالمهم البائس، وحياتهم الصعبة، وفضح الاستبداد والاستغلال باسم الدين والطبقة الاجتماعية . ثم انتقل لاستعراض مشكلات الطبيعة دون التخلي عن ارتباطه الاجتماعي وقناعاته الأيديولوجية . كان الأدب بالنسبة إليه شرعية حياته ، ومركز وجوده في هذا العالم .

وفي أعماله الأدبية ، استطاع تصوير ذهنية المجتمع وانتقال الحرية إلى المجتمع واللغة ، كما أنه قدّم في كتاباته " الصراع بين طبيعة الذكر الانطوائية وحيوية المرأة " . ومع أن لغته تبدو للوهلة الأولى سهلة وبسيطة، إلا أنها مُحَمَّلة بالرموز العميقة ، والتلميحات المستترة، والسُخرية اللاذعة ، والأفكار الكامنة بين السطور .

امتاز أسلوبه بالدقة الفائقة في تصوير الشخصيات، والتعاطف مع الفقراء والمنبوذين في المجتمع، وتشريح المجتمع الدنماركي الذي كان مجتمعًا زراعيًا يسيطر عليها الإقطاع ورجال الدين . وكانت نقطة التحول في حياته وأسلوب كتابته ، عندما تزوّج للمرة الثانية في عام ١٨٩٢ من ابنة موظف كبير في العاصمة، فقد انتقل في موضوعاته الأدبية من الريف إلى المدينة .

كتب بونتويدان خلال الفترة (١٨٩٨ _ ١٩٠٤) أشهر أعماله على الإطلاق " بير المحفوظ " ، وصار هذا التعبير مُصطلحًا شائعًا في اللغات الإسكندنافية . وقد وَصَفَ في هذا العمل الصراع بين المثالية والواقعية ، وَكَشَفَ أسرار الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية في العاصمة .

وخلال الفترة (١٩١٢ _ ١٩١٦) ، كتب روايته الخماسية " مملكة الموتى " . وتقترب لغته في هذه الرواية من الأسلوب الشعري العاطفي ، كما أنه وَصَفَ الحياة في الدنمارك في بدايات القرن العشرين ، ناقداً السُّلطة وسوء استخدامها .

وفي آخر أيامه ، اعتزل الناس ، وكَرَسَ وقته بالكامل لكتابة مذكراته ، التي جُمِعت في أربعة مجلدات ، بعنوان " الطريق إلى ذاتي " ، ونُشرت في سنة وفاته (١٩٤٣) .

وعلى الرغم من موهبته الأدبية الفذة ، وتصنيفه كواحد من أكثر الكُتّاب الدنماركيين حداثةً وإبداعًا ، إلا أنه كان رجلاً متناقضًا في مواقفه ، ورُبَّما يعود هذا إلى شخصيته المُقلقة . فقد كان مُتحرِّرًا ووطنياً صارمًا في آنٍ معًا ، وتعاونَ مع الاشتراكيين لكنه لم ينضم إليهم ، وبقي مُستقلًا . كما أن كتاباته في كثير من الأحيان عبارة عن خليط من التَّحيز والموضوعية . وهذا حَيَّرَ القُرَّاء والنُّقاد على حدٍّ سواء .

يُعتَبَر هنريك بونتويدان ثاني دنماركي يفوز بجائزة نوبل للآداب ، حيث حصل عليها في عام ١٩١٧ مُنافسةً مع مواطنه كارل غيلوروب .

من أبرز أعماله: أجنحة (١٨٨١) . بطاقات بريدية من القرية (١٨٨٣) . ابنة المرابي (١٨٨٦) . غيوم (١٨٩٠) . الحارس (١٨٩٣) . من الأكواخ (١٩٠١) . ضيف الملك (١٩٠٨) .

هنريك سينكيفيتش وملحمة الماضي

وُلد الروائي البولندي هنريك سينكيفيتش (١٨٤٦ _ ١٩١٦) في فولاً أوكجيسكا ، وتُوفّي في فيفي .

اشتهر عالمياً بروايته التاريخية " كوو فاديس " (١٨٩٦)، وهي أكثر كُتبه رواجاً على المستوى العالمي . وهي رواية تاريخية مكتوبة بالبولندية ، وعنوان الرواية معناه باللاتينية " إلى أين أنت ذاهب أيها الرب ؟ " . ويُلمَح إلى سفر أعمال بُطرس المُلقَق ، حيث يهرب بطرس من روما ، ولكنه يلتقي يسوع في طريقه ، ويسأله لماذا هو ذاهب إلى روما ؟ . يقول يسوع : " أنا عائد لأُصلَب من جديد " ، الأمر الذي جعل بطرس يعود إلى روما ويتقبل الشهادة .

تتكلم الرواية عن قصة حب تتطور بين فتاة مسيحية تُدعى ليجيا ، وأرستقراطي روماني يُدعى ماركوس فينيسوس . وتدور أحداثها في مدينة روما تحت حُكم الإمبراطور نيرون حوالي عام ٦٤ م . درس سينكيفيتش الإمبراطورية الرومانية بشكل مُكثَّف قبل كتابة الرواية ، وذلك بهدف الحصول على تفاصيل تاريخية صحيحة . وعلى هذا النحو ، ظهرت عدة شخصيات تاريخية في الرواية . والرواية كُتِل تحمل رسالة مُوالية للمسيحية . نُشرت الرواية مُسَلَّسلة في ثلاث صُحف يومية بولندية عام ١٨٩٥ ، وخرجت في شكل كتاب عام ١٨٩٦ .

ومنذ ذلك الحين تَمَّت ترجمتها إلى أكثر من ٥٠ لغة . وساهمت هذه الرواية بِفَوز سينكيفيتش بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٠٥ . وقد تَمَّ إنتاج العديد من الأفلام عن الرواية ، وبينها فيلمان إيطاليان صامتان أعوام ١٩١٢ و ١٩٢٤ ، وإنتاج هوليوودي عام ١٩٥١ ، واقتباس عام ٢٠٠١ من قبل جيرزي كافاليروفيتش .

بدأ سينكيفيتش مشواره في عالم الكتابة بنشر القِطَع الصحفية والأدبية . وفي عام ١٨٧٠ سافر إلى الولايات المتحدة ، وكتب مقالاتٍ متعلقة بالسَّفر والترحال ، وقد حَقَّقَتْ له شعبية كبيرة في أوساط القُرَّاء البولنديين . وشيئاً فشيئاً ، أصبح واحداً من الكُتَّاب البولنديين الأكثر شعبيةً في القرنين التاسع عشر والعشرين . تُرجمت أعماله إلى لغات عديدة ، مِنهَا أكسبه سُمعةً دوليةً ، وأوصلته إلى جائزة نوبل للآداب (١٩٠٥) ، لِـ " إنجازاته البارزة ككاتب ملحمي " .

في عام ١٨٥٨ بدأ تعليمه في وارسو ، حيث استقرت العائلة بعد أن اشترت مبنى من أجل الإقامة الدائمة . وعندما وصل سينكيفيتش إلى سن التاسعة عشرة ، عمل كمُعَلِّم من أجل إعالة

أسرته . ويُحتمل أنه بدأ في هذه الفترة كتابة الروايات والقصص . وفي عام ١٨٦٦ حصل على الشهادة الثانوية. حاول في البداية أن يدرس الطب ثم القانون في جامعة وارسو . لكنه حسم أمره، وقرّر دراسة فقه اللغة والتاريخ ، وهذا أكسبه معرفة عميقة بالأدب واللغة البولندية القديمة . ولا تُعرف تفاصيل حياته في هذه الفترة ، إلا أنه انتقل من بيت أبويه ، وعاش حياة فقيرة ، لكنّ حالته تحسّنت في عام ١٨٦٨ ، عندما أصبح مُعلِّمًا في إحدى العائلات الأميرية . أكمل دراساته الجامعية في عام ١٨٧١ ، لكنه أخفق في الحصول على شهادة الدبلوم بسبب رسوبه في امتحان اللغة اليونانية .

سافر إلى الولايات المتحدة ، وأقام فيها . وواصل كتابة القصص . وفي عام ١٨٧٧ نشر " تخطيطات فحم " في الجريدة الرسمية البولندية ، وكتب مسرحية مُوجَّهة للجمهور الأمريكي . وفي عام ١٨٧٨ غادر الولايات المتحدة نحو أوروبا ، فأقام في لندن ثم باريس . وكان يُؤخّر عودته إلى وطنه بولندا بسبب إشاعات التجنيد المُحتمل في الجيش الروسي الإمبراطوري ، حيث كانت هناك توقعات باندلاع حرب جديدة مع تركيا .

وفي بدايات القرن العشرين ، لقيت مؤلفاته رواجًا كبيرًا ، وهذا عادَ عليه بشرة هائلة . وقد استغل أمواله لدعم الكُتّاب المُكافحين ، وإغاثة ضحايا المجاعات ، وبناء مصحّة لعلاج المصابين بالسُّل . وقد قلّلت نشاطاته الاجتماعية والسياسية من إنتاجه الأدبي بشكل واضح .

وفي عام ١٩١٦ ، تُوفي في أحد فنادق سويسرا بسبب مرض القلب . ودُفن في سويسرا . وفي عام ١٩٢٤ ، بعد أن استعادت بولندا استقلالها ، أُعيدت بقاياه إلى وطنه بولندا ، ووُضعت في قبو كاتدرائية " القديس جون " . وقد حظي بتقدير لافت في بلاده، حيث أُقيمت ثلاثة متاحف تخليدًا لاسمه .

من أبرز أعماله الأدبية : " بالنار والسيف " (١٨٨٤) . " الطوفان " (١٨٨٦) . " بدون عقيدة " (١٨٩١) . دَوّامة (١٩١٠) .

هوراس وحب العاهرات

وُلِدَ الشاعر الروماني هوراس " كوينتس هوراتيوس فلاكس " (٦٥ ق.م _ ٢٧ ق.م) في روما ، وتُوفِّيَ فيها . كان ابناً لعبد مُحرَّر ، ولكنه وُلِدَ حُرّاً .

أنفق والده الكثير من ماله حتى يتلقى هوراس تعليمه في روما ، ثم بعثه إلى أثينا ، ليدرس الإغريقية والفلسفة . قاتل هوراس إلى جانب جيش بروتوس الثائر بسبب اغتيال يوليوس قيصر . تضمَّنت أعماله الأولى مقطوعات هجائية ، ولكن قصائده الغنائية جعلته يشتهر بشكل كبير . وقد جَلَبَ له بحثه " أرس بوتيكا " _ الذي احتوى على قواعد لتركيب الشعر _ الشهرة والمجد والصيت الأدبي . وكتبه تتحدث غالباً عن الحب والصداقة والفلسفة، وأثَّرت أعماله على الغرب منذ عصر النهضة حتى القرن التاسع عشر .

كان شاعراً غنائياً ، وناقداً أدبياً لاتينياً من رومانيا القديمة في زمن أغسطس قيصر ، وكان له تأثير على الشعر الإنجليزي . أصرَّ هوراس على أن الشعر يجب أن يُقدِّم السعادة والإرشاد . وعُرف الشاعر بالقصائد الغنائية والمقطوعات الهجائية .

" إني أنفر من الرجل غير المثقف في الشارع وأبقيه بعيداً عني " . تلك هي الترجمة لفاتحة إحدى أشهر قصائده. والعجيب أنه نسيَ على ما يبدو أصله المتواضع جداً، فقد كان ابن عبد أُعتِق . نجح هوراس نجاحاً باهراً في حياته . ففي حوالي الثالثة والعشرين كان قائداً لكتيبة في جيش بروتوس وكاسيوس اللذين انتصر عليهما أنطونيوس في فيليبس سنة ٤٢ قبل الميلاد ، وعلى الرغم من ذلك ، استُقبل لدى عودته إلى روما استقبلاً حسناً . وكان الإمبراطور يستمتع بأشعاره ، وكان مُعظمها ساخراً وهجاءً ، يبعث على السرور والمرح .

كان هوراس قصيراً بدينًا، ومزهُوًّا خجولاً ، لا يحب السُوقَة والعوام . وكان يخشى عواقب الزواج ، فاكتمى بالعشيقَات .

وقد كتب عن العاهرات كتاباتٍ جمعت بين حذر العلماء وتعقيد الشعراء ، وظنَّ أنه جدير بأعظم الشناء لأنه لم يُغوِ النساء المتزوجات .

عَمَدَ إلى قراءة الكتب وكتابة الأغاني باللغتين اليونانية واللاتينية ، وبأصعب أوزان الشعر اليوناني وأكثرها اختلاطاً . وفي عام ٣٤ ق.م ، أهداه أحد أصدقائه بيتاً وصِيعَةً تُدرُّ عليه بعض المال ، على بُعد ٤٥ ميلاً من روما . وبذلك أصبح في استطاعة هوراس أن يعيش في المدينة أو

في الريف كما يشاء، وأن يكتب كما يأمل المؤلفون أن يكتبوا ، في الوقت الذي تحلو لهم فيه الكتابة، وبالعباية والجهد اللذين يحلو لهم أن يبذلوهما في كتاباتهم .

أقام هوراس بعض الوقت في روما، يمتّع نفسه بحياة من يتسلى بمشاهدة العالم المسرع المندفع. وكان يختلط بجميع طبقات الناس، ويدرس جميع الأصناف التي تتكون منها روما، ويُفكر في حماقات العاصمة ورذائلها ، وهو مسرور سرور الطبيب إذا كشف علة المريض . وقد وصف بعض تلك الأصناف في كتاباته الهجائية ، ثم خَفَفَ فيما بعد من حدّته ، وأصبح أكثر رحمةً وتسامحاً .

وكان يُطلق على هذه القصائد اسم " المواعظ " ، وإن لم تكن مواعظ في أيّة صورة، بل كانت أحاديث خالية من التكلّف والصناعة ، وكانت أحياناً محاورات ودية خاصة في أشعار سُداسية الوزن ، تكاد لغتها أن تكون هي اللغة العامية . وقد اعترف هو نفسه بأنها نشر في كل شيء عدا الوزن .

صَوَّرَ هوراس في شعره مَسَرَّات الصداقة ، والطعام والشراب، والمغازلة . وإن المرء ليصعب عليه أن يستدل من هذه التراجم على أن كاتبها رجل زاهد لا يأكل إلا قليلاً، ولا يشرب إلا أقل. وقد ذَكَرَ في شعره أسماء طائفة من العاهرات اللواتي أحبهنّ . ولا حاجة بنا أن نُصدّق كُل ما يدّعيه من ذُنوب يقول إنه ارتكبها، فقد كانت هذه الأقوال وقتند دعاوى أدبية يكاد يفرضها شعراء تلك الأيام على أنفسهم فرضاً، من أجل الشهرة وتعظيم الذات وإحاطتها بروح المغامرات. أغفلت الجماهير التي هجاها هوراس أغانيه ، وشَهَرَ بها النُّقاد ووصفوها بأنها مُملة متكلفة، ونَدَّدَ المتزمتون بأغاني الحب والعشق والهيّام . أمّا أغسطس فوصف القصائد بأنها قصائد خالدة . إن تأريخ أعمال هوراس غير معروف على وجه التحديد . وكثيراً ما يتجادل الباحثون حول الترتيب الدقيق لنشر أعماله . وهناك نقاشات جيّدة حول الترتيب الزمني :

هجاء ١ (٣٥ _ ٣٤ ق. م) . هجاء ٢ (٣٠ ق. م) . قصائد غنائية ١ _ ٣ (٢٣ ق. م) .
الرسائل ١ (٢١ ق. م) . الرسائل ٢ (١١ ق. م) . قصائد غنائية ٤ (١١ ق. م) .
ومن الواضح أن هناك أعمالاً نُشرت بعد وفاته ، إذ إنه قد تُوفِّيَ في ٢٧ ق . م .

هوميروس وفن الملحمة الشعرية

وُلد الشاعر الإغريقي هوميروس في القرن ٩ ق.م ، في أيونيا الواقعة في آسيا الصغرى، وتُؤفّي في القرن ٨ ق.م في كيكلاذس. كَتَبَ الملحمتين الشعريتين: الإلياذة والأوديسا. وقام بتخليد حرب طروادة شِعْرًا بدقة متناهية، والتي يُعتَقَد حدوثها عام ١٢٥٠ ق.م. ويُعدُّ مع هسيودوس ينبوع الشَّعر الإغريقي وذِروتَه. امتازت الإلياذة بسلاسة واضحة ، وبلاغة لغوية راقية ، وكانت دقة رسم الملامح من أهم خصائصها، إلى جانب حُسن استخدام تقنية التصوير والتشبيه، التي أُخْصِيَتْ _ بحسَب المترجمين _ إلى أكثر من مئة وثمانين تشبيهًا ، تعكس الفعل الملحمي بدقة مُفَصَّلَة . كانت أشعار هوميروس وملاحمه القُدوة والمثل الأعلى الذي احتذته أجيال لا تُحصى من الشعراء في الآداب الكلاسيكية الإغريقية والرومانية ، وفي سائر الآداب الأوروبية والعالمية .

لا يُعرَف عن حياة هذا الشاعر من الحقائق الموثوقة إلا النَّزر اليسير ، لأن معظم الروايات القديمة منحوَلة ، وتُثير كثيرًا من الشُّكوك والتساؤلات . فقد اختلف القدماء حول زمن الشاعر اختلافًا كبيرًا، يُراوح بين زمن الحرب الطروادية نحو القرن الثاني عشر والقرن السابع قبل الميلاد، لكن معظم الأبحاث الحديثة تُؤرِّخ حياته في القرن الثامن قبل الميلاد . أمَّا هوميروس فهو لقب اُشتُهر به الشاعر، ويعني باللغة الإغريقية الرهينة أو الأعمى . وهناك سبع تراجم عنه، لكنها سِير مُتأخرة النشأة تعود إلى العصر الإمبراطوري الروماني، وضعها مؤلفوها بناء على قصص محلية لها نواة تاريخية، وأصدروها على أنها روايات قديمة . كُتبت أولى هذه السِّير وأهمها باللهجة الإيونية ، ونُسبت إلى المؤرخ هيرودوت، وهي تُؤرِّخ حياة هوميروس في السنوات القليلة التي تلت الهجرة الدورية(أي في القرن الثاني عشر قبل الميلاد). غَير أن هيرودوت يذكر في تاريخه أن هوميروس عاش قبله بنحو أربعمئة سنة، أي في أواسط القرن التاسع قبل الميلاد . ولعل هوميروس كان رئيس المنشدين في بلاط الأمراء والمهرجانات والأعياد، ويُروى أنه قام بجولات بعيدة قاده إلى مصر وإيطاليا واليونان قبل أن يستقر في خيوس ، ويُؤسَّس مدرسة للشَّعر. وحين هَرِمَ سَقَطَ في العَوَز والحاجة، وربما فقد بصره، فبدأ ينتقل من مدينة إلى أخرى، ومات في جزيرة إيوس. وثُمَّة بيت شَعر قديم يتضمَّن أسماء سبع مدن كانت تدَّعي لنفسها شرف انتسابه إليها، ومنها سميرنا وخيوس وأثينا. وتؤيِّد معظم الروايات القديمة ادَّعاء سميرنا أنها كانت مسقط رأس هوميروس، ويدعمها كثير من الشواهد اللغوية لكُونها المكان المفضَّل لالتقاء اللهجتين الإيولية

والإيونية، وهما نواة لغة " الإلياذة ". تذكر الروايات أن حاكم أثينا (بيسيستراتوس) كان أول من اهتمّ بجمع أشعار هوميروس، وكُلِّفَ لجنة من العلماء بإخراج نص رسمي للملاحم الهومييرية من أجل إلقائها في الأعياد الأثينية الكبرى ، فكان ذلك أول تدوين لها . وقد ضُمَّت هذه المجموعة جميع الملاحم الطروادية وغير الطروادية إضافة إلى الأناشيد ومقطوعات أخرى. لكن سرعان ما نشأت الاعتراضات والانتقادات. وفي واقع الأمر ، إن النقد العلمي لم يبدأ إلا مُنذ العصر الهلنستي في أكاديمية الإسكندرية . فقد ظهر تيار أدبي بزعامة هلانيكوس ، ذهب به الشك إلى حد القول بوجود مؤلفين مختلفين للإلياذة والأوديسة . لكن أريستارخوس أمين مكتبة الإسكندرية تصدّى لتلك الانتقادات، ونادى بوحدة الملحمتين الشعرية، وبَيَّن أن التوافق بينهما أكبر بكثير من الاختلافات والتناقضات الهامشية. أمّا في العصر الحديث ، فقد كان الباحث الألماني فولف أول من طرح مسألة نشأة الملاحم الهومييرية بصورة علمية في كتابه " مدخل إلى هوميروس " (ت ١٧٩٥) . وتتلخص نظريته بأن ملاحم هوميروس لم تُدوّن في عصر نشأتها ، الذي لم يعرف الكتابة ، كما أنها لا يمكن لطولها أن تُحفظ عن ظهر قلب ، ولهذا فإن هوميروس يقف في بداية التراث الملحمي الذي نما ، وتطوّر على ألسنة المنشدين حتى اكتملت الملحمتان في النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد في عهد بيسيستراتوس، وكان هذا مُنطلقاً لجدل علمي لم يهدأ حتى اليوم . كان هوميروس شاعراً قدّماً يعود إليه الفضل في نظم " الإلياذة " و "الأوديسة " وتقديمهما عملاً فنيّاً متكاملًا صار نموذجاً لكثير من الملاحم اللاحقة ، فأرسي بذلك أسس الشعر الملحمي . يقول عنه أرسطو في كتابه " السياسة " : ((إن هوميروس الذي فاق جميع الشعراء الآخرين في كل شيء قد امتاز على الأخص _ سواء كان ذلك ناشئاً من معرفته بالفن أم كان فطرياً فيه _ بإدراك ما يؤلّف وحدة القصيدة)) .

تُمثّل رواية هوميروس لأسباب الحرب الطروادية الرؤية الشعرية الملحمية لهذه الحرب، وقد استمدّها من واقعه ومن الموروث الشعري المألوف المتداول شفهيّاً ، فَمَزَجَ في "الإلياذة" _ وبوساطة الخيال الشعري _ عالمين في عالم واحد: العصر البطولي للإغريق وعالم الشاعر وفكره . وقد اعتمد على الخيال، وحرص على جمال الأسلوب والبلاغة وتناسق النظم ودقة المعنى ورقته . وتتمثّل عبقرية هوميروس في مقدرته الفائقة على إبداع الشخصيات البطولية، وتصوير طباعها ومشاعرها ونزواتها المختلفة، مع تأكيد السمات الإنسانية المؤثرة . ويتمتع البطل الهومييري إلى جانب القدرة الحربية بالكرم ، والإخلاص ، وحسن المعشر ، وحب الحياة والتمتع بها .

هيباتيا والنهاية المأساوية

وُلدت المفكرة وعالمة الرياضيات السكندرية هيباتيا (٣٧٠ م _ ٤١٥ م) في الإسكندرية . والدها هو الفيلسوف وعالم الرياضيات ثيون .

اهتمَّ والدها هيباتيا بتعليمها ودراستها . وبلغت مرحلة التدريب النحوي في بداية مراهقتها ، وهو يرتكز على تمارين تساعد على تعلم كيفية تصحيح القواعد النحوية، وتطوير مهارات التعبير البلاغي، وإجادة المحتوى الرئيسي لبعض الأعمال الأدبية الشهيرة التي تنتمي للعصور الوسطى . كان هذا التدريب ذا أهمية مضاعفة نظرًا لاختلاف اللغة اليونانية التي يستخدمها صفوة المصريين في الكتابة، عن اللغة اليونانية المستخدمة التي يتحدث بها معظم الناس .

لا يوجد أي أثر يُوضَّح المنهج الدراسي الذي اتَّبعته هيباتيا ، لكن منهج دراسة الطب والفلسفة في القرن السادس يُعطي فكرة عن ذلك ، فقد كان طلاب الفلسفة يدرسون كتاب " الأورغانون (الآلة)" من تأليف أرسطو ، يليه مجموعة من حوارات أفلاطون التي يقرؤونها بترتيب مُحدَّد ، وتهدف إلى تنمية الفضائل الفلسفية لدى الطلاب .

سافرت هيباتيا إلى أثينا وإيطاليا للدراسة قبل أن تكون عميدة للمدرسة الأفلاطونية نحو عام ٤٠٠ م . وقد عُرفت هيباتيا بدفاعها عن الفلسفة والتساؤل ، ومُعارضتها للإيمان المجرَّد .

كانت هيباتيا، بحسب الموسوعة البيزنطية المسَمَّاة (سودا) والتي صدرت في القرن العاشر الميلادي، أستاذة فلسفة وعلمت فلسفتي أرسطو وأفلاطون على السَّواء . وكان بين طلابها عدد من المسيحيين والأجانب، ورغم أنها كانت لا تؤمن بأي إله (لا يوجد مصدر يؤكد دينها) إلا أنها كانت محل تقدير وإعجاب تلامذتها المسيحيين ، واعتبرها بعض المؤلفين المسيحيين في العصور اللاحقة رمزًا للفضيلة . وأُشيع أنها كانت زوجة الفيلسوف إيزودور السكندري ، غير أنها بقيت طوال حياتها عذراء . ويُحكى أنها رفضت أحد خطابها عن طريق إعطائه خرقة بها بقع من دمها مُوضَّحة له أنه لا يوجد شيء جميل في الرغبات الجسدية .

يتحدث المؤرخ الكنسي سقراط عن هيباتيا في كتابه "تاريخ الكنيسة"، قائلاً : ((كانت هناك امرأة في الإسكندرية تدعى هيباتيا، وهي ابنة الفيلسوف ثيون . كانت بارعة في تحصيل كل العلوم المعاصرة ، ممَّا جعلها تتفوق على كل الفلاسفة المعاصرين لها ، حيث كانت تُقدِّم تفسيراتها وشروحاتها الفلسفية ، خاصة فلسفة أفلاطون لمريديها الذين قَدِموا من كل المناطق ، وبسبب

تواضعها الشديد لم تكن تهوى الظهور أمام العامة. رغم ذلك كانت تقف أمام قضاة المدينة وحكامها دون أن تفقد مسلكها المتواضع المهيب الذي كان يُميّزها عن سواها، والذي أكسبها احترامهم وتقدير الجميع لها)) .

كان المسيحيون أقوى المنافسين للفلسفيين لهيباتيا، وقد رفضوا رسميًا أقوالها الأفلاطونية حول طبيعة الإله والحياة الأخرى بالإضافة إلى عدم التزامها بمبادئ الدين المسيحي الصارمة. وقد كانت هيباتيا تعتبر نفسها أفلاطونية مُحدثة ، ووثنية ، ومن أتباع أفكار فيثاغورس . وكان التفاف جمهور المثقفين حول المفكرة هيباتيا يُسبب حرجًا بالغًا للكنيسة المسيحية وراعيا الأسقف كيرلس الأول الذي كان يُدرك خطورة هيباتيا على جماعة المسيحيين في المدينة، خاصة وأن أعداد جمهورها كان يزداد بصورة لافتة للأنظار .

تمّ اتهام هيباتيا بممارسة السحر والإلحاد والتسبب في اضطرابات دينية ، وهذا أدى إلى قتلها بشكل مأساوي على يد جموع من المسيحيين التي تتبعتها عقب رجوعها لبيتها، بعد إحدى ندواتها، حيث قاموا بجرحها من شَعْرها، ثم قاموا بنزع ملابسها وجرحها عارية تمامًا بحبل ملفوف على يدها في شوارع الإسكندرية حتى انسلخ جِلدها، ثم استمروا في تعذيبها ، وقاموا بسلخ الباقي من جِلدها بالأصداغ إلى أن صارت جثة هامة، ثم ألقيوها فوق كومة من الأخشاب وأشعلوا بها النيران . كان موت هيباتيا إيذانًا بنهاية عصر التَّنَوُّر الفكري ، والتقدم المعرفي الذي شهدته مدينة الإسكندرية لمدة ٧٥٠ عامًا . وبعد مقتلها، قام العديد من العلماء بترك المدينة ، والانتقال إلى أثينا أو إلى مراكز أخرى . والجدير بالذكر أن هيباتيا هي أول عالمة رياضيات في تاريخ البشرية نمتلك عنها معلومات مؤكدة ومُفصَّلة إلى حد ما .

لقد تخصَّصت هيباتيا في الفلسفة الأفلاطونية المحدثّة، ولمع اسمها في تدريس الفلسفة والرياضيات وعلم الفلك . وكانت تتبع النهج الرياضي لأكاديمية أفلاطون في أثينا . وتأثرت بفكر الفيلسوف أفلوطين ، الذي كان يُفضِّل الدراسة المنطقية والرياضية بدلاً من المعرفة التجريبية، ويرى أن للقانون أفضلية على الطبيعة .

هيرتا مولر والاستبداد الشيوعي

وُلدت الروائية الألمانية هيرتا مولر (١٩٥٣ _ ...) في غرب رومانيا لوالدين من أقلية تتحدث الألمانية . كان والدها في الحرس الخاص النازي خلال الحرب العالمية الثانية ، وقام الشيوعيون الرومانيون بترحيل والدتها إلى معسكر اعتقال في الاتحاد السوفييتي بعد الحرب . طُرِدَت مولر من أول عمل لها ك مترجمة بعد أن رفضت العمل لحساب الشرطة الخاصة التابعة للدكتاتور السابق نيكولاي تشاوشيسكو . وقُرِّرَت تكريس حياتها للأدب . ومنعت الرقابة في النظام الروماني مجموعتها القصصية القصيرة الأولى ، التي صدرت عام ١٩٨٢ تحت اسم "نيدرونغين" ، ونُشرت بالإنجليزية تحت اسم "ناديرز". ولم تُنشر بشكل كامل إلا بعد عامين في ألمانيا إثر تهريبها إلى خارج البلاد .

تُجسّد أعمالها الظروف القاسية للحياة في رومانيا تحت حُكم نظام تشاوشيسكو الاستبدادي الذي انتهى بثورة شعبية عليه ومحاكمته هو وزوجته وإعدامهما ، كما تُصوّر الاضطهاد الذي تعرّضت له الأقلية الألمانية التي تنتمي إليها على يد القوات السوفييتية . وتحدثت مولر الألمانية لغتها الأم بطلاقة، وتخصّصت في الدراسات الألمانية والأدب الروماني في جامعة تيمشوارا. وعملت معلمة في روضة للأطفال ، وكانت تُعطي دروسًا خصوصية في اللغة الألمانية .

ومن الأحداث المهمة في حياتها ، والتي شكّلت انعطافة كبيرة في مسيرتها الإبداعية ، وكانت الأساس الذي طالما وظّفته في كل أعمالها بصور عديدة للخوف من القمع والاضطهاد ، تلك الحادثة التي ذكرتها كل الكتابات التي تناولت سيرتها الذاتية . ففي السبعينيات عملت لمدة ثلاث سنوات في مصنع للجرّارات الزراعية ، وكانت وظيفتها هي ترجمة الأدلة الفنية التي تمّ إحضارها من ألمانيا الشرقية والنمسا إلى اللغة الرومانية. كان زملاؤها ورؤساؤها مُخبرين في الشرطة السرية. ومن أجل البقاء في وظيفتها ك مترجمة كان لا بُد من أن تُصبح عنصرًا في الاستخبارات السرية لضمان ولائها وتعاونها ، ولكنها رفضت فتعرّضت للفصل من العمل بعد ثلاث سنوات، وللتهديد حيث أخبرها رئيسها بأنك "سوف تندمين، سنغرقك في النهر" . وبعد هذه الحادثة تركت مولر بلدها خوفًا من الاضطهاد وانتقلت الى برلين . صارت تُجسّد في كتاباتها مسألة الاغتراب ومحنة النفي السياسي .

يمتاز أسلوب مولر في القصة والرواية بالنثر الشعري، حيث يتحول النص إلى ما يُشبه قصائد نثرية تعكس أجواء الخوف الذي يسكن أعماق شخصياتها . ويتَّسم أدبها بإحساس رقيق في اللغة سواء أكان نثرًا أم شِعْرًا، كما تنظر بعين أمينة الى حد القسوة الباردة نحو تفاصيل الحياة في رومانيا الشيوعية، غير أن النقاد يأخذون عليها صعوبة أسلوبها، حيث أن متابعة تسلسل السرد في قصصها ليس بالأمر السهل على القارئ إدراكه . كما أنها يؤخذ عليها اهتمامها بنقل الصورة من خلال اللغة والوصف أكثر من الحدث ذاته، ويتحول الوصف الأمين أحيانًا إلى جو من الكآبة .

تحدّثت مولر عن نفي الرومانيين الألمان إلى الاتحاد السوفيتي في روايتها "أرجوحة النفس" التي صدرت في ٢٠٠٩ . وقد فُرت مولر من رومانيا إلى ألمانيا عام ١٩٨٧ بعد أن مُنعت من نشر كتاباتها في بلادها، وبعد ذلك تم اكتشافها بشكل كامل في عالم الأدب .

من أشهر رواياتها "جواز السفر" (١٩٨٦) ، و"الموعد" (٢٠٠١) ، وتصف القلق الذي تعيشه امرأة بعد أن استدعتها مديرية أمن الدولة . ودُكر رئيس بلدية قرية نيتشدورف التي تتحدّر منها مولر أن المنزل الذي وُلدت فيه أصبح الآن من أملاك الدولة ، لكنها لا تزال تملك أرضًا ورثتها هناك رغم أنها لم تزرها مطلقًا . وقد وصفت مولر الدكتاتور الروماني السابق تشاوشيسكو في مقال نشرته صحيفة "فرانكفورتر روندشاو" عام ٢٠٠٧ بأنه "مُحدّث نعمة يستخدم الصنابير وأدوات الطعام المصنوعة من الذهب كما أن لديه ضعفًا خاصًا تجاه القصور" .

وقالت إن رومانيا أُصيبت "بفقدان الذاكرة الجماعي" لماضيها القمعي . وقالت إن سكان رومانيا "يتظاهرون بأن ذلك الماضي اختفى ، وأن البلاد جميعها مُصابة بفقدان الذاكرة الجماعي"، وأضافت إن رومانيا كانت مأوى لأعنى الطغاة في شرق أوروبا وأكثرهم شرًا بعد ستالين ، وقد خلق تشاوشيسكو لنفسه صور بطل توازي ما يحدث في كوريا الشمالية .

حصلت مولر على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٩ ، لتكون المرأة الثانية عشرة التي حصلت على الجائزة بهذا الفرع منذ إطلاقها عام ١٩٠١ .

قالت لجنة حُكام جائزة نوبل للآداب: ((إنها كاتبة عكست حياة المحرومين بتركيز لغة الشّعْر، وصدق ووضوح لغة النثر)) .

من أبرز رواياتها: الترحال على ساق واحدة (١٩٨٩). الشيطان مُنعكسًا في المرأة (١٩٩١). الثعلب هو بالفعل الصياد (١٩٩٢) . الملك يركع ويُقتل (٢٠٠٣) .

هيلاري بوتنام والفعلانية المُحدثة

وُلد الفيلسوف وعالم الرياضيات الأمريكي هيلاري بوتنام (١٩٢٦ _ ٢٠١٦) بمدينة شيكاغو في ولاية إلينوي .

كان أبوه صحفياً ومترجماً في ديلي ووركر، وهي نشرة خاصة بالحزب الشيوعي بالولايات المتحدة الأمريكية . وبفعل الانتماء الشيوعي لأبيه، وكوّن أمه يهودية ، فقد تلقى بوتنام الشاب تربية علمانية .

عاشت أسرته بفرنسا إلى حدود عام ١٩٣٤ الذي عادت فيه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، واستقرت في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، حيث درس بوتنام بجامعة الرياضيات والفلسفة، إلى أن حصل على الإجازة ، فصار عضواً في جمعية الرياضيات والفلسفة التي هي أقدم الجمعيات الأدبية الأمريكية .

تابع دراساته الفلسفية بجامعة هارفارد ، ثم بجامعة كاليفورنيا ببلوس أنجلوس، حيث حصل على شهادة الدكتوراة عام ١٩٥١ برسالته عن " دلالة مفهوم الاحتمال في التطبيق على المتواليات المتناهية " . وكان هانز رايشنباخ ، الذي أشرف على رسالته للدكتوراة، ورودولف كارناب أهم أساتذة بوتنام، وهما من أبرز مُمثلي الوضعانية المنطقية .

درّس بوتنام في نورت وسترن مدة قصيرة ، ثم انتقل ليدرس الرياضيات في جامعة برنستون (١٩٥٣ _ ١٩٦١)، ثم فلسفة العلوم بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (١٩٦١_١٩٦٥)، فالمنطق الرياضي والفلسفة بجامعة هارفارد إلى حين تقاعده عام ٢٠٠٠ .

يُعدُّ بوتنام أحد الفلاسفة الممثلين للفعلانية المُحدثة . وتتناول أعماله الفلسفية عدة مجالات تشمل فلسفة العلوم ، والمنطق ، والرياضيات ، وفلسفة الذهن ، وفلسفة اللغة ، وفلسفة المعرفة، وفلسفة الأخلاق والسياسة .

يُعرف بوتنام بأنه قدّم _ في فلسفة الذهن _ دليلاً قوياً ضد دعوى المماثلة بين الحالات الذهنية والحالات الدماغية ، وهو دليل قائم على قابلية التحقق المتعدد لخصائص ما هو ذهني . كما يُعرف بدفاعه عن الوظيفية التي تُعدُّ إحدى أهم النظريات عن مشكلة البدن والذهن . وفي فلسفة اللغة، طوّر بوتنام النظرية السببية للإحالة، وعرض مقارنة متميزة عن الدلالة، تُسمّى الخارجانية الدلالية، وهي قائمة على إحدى أشهر التجارب الفكرية تُسمّى "الأرض التوأم".

ويُعرف بوتنام، في فلسفة العلوم، بأنه عَرَضَ بالخصوص التجربة الفكرية المسمّاة " أدمغة في برميل " ، والموجّهة للرد على الشكّانية المعرفية .

وأما على مستوى الميتافيزيقا ، فقد دافع في البداية عمّا يُعرف بموقف الواقعية الميتافيزيقية، وهو الموقف الذي صار فيما بعد أحد أشدّ نُقّاده، حيث أصبح يتبنى موقفاً آخر سمّاه الواقعية الداخلية . ثم تخلى عنه وصار يُدافع عن الواقعية الفِعلانية (أو العادية ، أو الساذجة) المأخوذة من الواقعية المباشرة لوليام جيمس ، ومن الكتابات المتأخرة لفيثغنشتاين . ويقوم هذا الموقف على أن الميتافيزيقا يجب أن تُدرس بنفس الكيفية التي تُمارَس بها تجربة العالم ، وذلك بنبذ فكرة التمثيل الذهني ، والمعطيات الحسّية وكل الوسائط الأخرى بين الذهن والعالم .

يُعتبر بوتنام أحد أبرز الفلاسفة في الفلسفة الغربية المعاصرة ، منذ الستينيات من القرن العشرين ، وعُرف بتعاطي الصرامة النقدية ، حتى بالنسبة لمواقفه الفكرية ، حيث لم يتردد في مراجعة كثير من أفكاره .

من أبرز أعماله : فلسفة المنطق (١٩٧١) . الذهن ، اللغة والواقع (١٩٧٥) . الدلالة والعلوم الأخلاقية (١٩٧٨) . وجوه الواقعية الكثيرة (١٩٨٧) . التمثيل والواقع (١٩٨٨) .

والث ویتمان وأوراق العشب

وُلد الشاعر الأمريكي والت ویتمان (١٨١٩ _ ١٨٩٢) لأبوين ينتميان إلى أصول إنجليزية وهولندية . عاشت عائلته في بروكلين بين عامي ١٨٣٢ و ١٨٣٣ ، حيث تلقى تعليمه الأولي فيها ، لكنه لم يكمل تعليمه ، واشتغل صبيًا في مطبعة . وكان يقرأ كل ما تصل إليه يده . واستطاع نتيجةً لاطّلاعه المستمر أن يعمل بالتدريس ، ولكنه تركه بعد ذلك للعمل في الصحافة وكتابة المقالات . اشتغل بالسياسة ، وكان من الرُّواد الأوائل الذين أرسوا دعائم الديمقراطية الأمريكية ، واتّسع نشاطه الأدبي والسياسي ، لدرجة أنه بعد عام ١٨٤١ ، كان يُراسل ويكتب في أكثر من عشر مجالات في بروكلين ونيويورك ، ولكن الأشعار التي نشرها في هذه الفترة كانت تقليدية وهزيلة ، والقصص التي نشرها في المجلة الديمقراطية (١٨٤١ _ ١٨٤٥) كانت سطحية ومُسرفة في العاطفة .

في عام ١٨٤٦ ، أصبح رئيسًا لمجلة بروكلين الناطقة بلسان حال الحزب الديمقراطي ، والتي هاجمَ فيها كل أنواع التعصب والفاشية والدكتاتورية ، مُؤكِّدًا أنه لا ازدهار للأمة إلا بترسيخ الديمقراطية فيها . وأثناء عمله في سكرتارية مكتب الهنود الحمر بوزارة الداخلية الأمريكية ، صدر له ديوان " أوراق العشب " ، فقام الوزير بطرده على أساس أنه عمل غير أخلاقي . لكنَّ الكُتّاب والمثقفين لم يتحملوا هذه الإهانة التي لحقت بالشاعر الكبير ، ووقفوا ضد قرار الوزير .

في عام ١٨٦٢ ، سافر إلى فرجينيا لزيارة أخيه جورج الذي جُرح في إحدى المعارك ، وعادَ إلى واشنطن كي يتطوَّع للعمل كممرَّض في مستشفيات الجيش لخدمة الجنود الشماليين والجنوبيين على السواء . وقد سجَّل ذكرياته في الحرب في كتاب وصفي بعنوان "مذكرات الحرب" (١٨٧٥) .

تأثَّر شعره بهذه التجربة الإنسانية ، فكتب ديوان " دَقَات الطبل " (١٨٦٥) ، ثم أعادَ طبعه عام ١٨٦٦ ، مُضيفًا القصائد التي يرثي فيها أبراهام لينكولن (أول رئيس أمريكي يتم اغتياله) . وفي عام ١٨٧٣ ، أصيب بنوبة شلل . وقد أثَّر ذلك على كتاباته ، وغيَّرت مِن أفكاره ، فتحوَّل أسلوبه الواقعي المباشر إلى صور التلميح والتجسيد الفني المركَّب . كما تبدَّلت فلسفته التي تُعتبر الكون مادة واحدة ، كي تصبح مثالية روحانية يغلب عليها التصوف . وهبطت درجة حماسه المطلق للحرية الفردية إلى تأييد مُطلق للنظام الذي يتحرَّك المجتمع في إطاره .

لُقِّبَ ويتما بِـ " أب الشعر الحر "، حيث إنه ضَرَبَ بكل القوالب الشعرية القديمة عُرض الحائط ، وتمكَّنَ من تحطيم القوالب الأوروبية التي كان يُصَبُّ فيها الشعر الأمريكي عُنوةً ، ممَّا جعله مُجرَّد تقليد باهت يخلو من عناصر الأصالة والحدّثة والابتكار والتجديد . ويُعتَبَر ويتمان رائدًا للشعر الأمريكي، كما يُعتَبَر مارك توين رائدًا للرواية الأمريكية ، ويوجين أونيل رائدًا للمسرح الأمريكي. كما يُعتَبَر أهم شاعر عبَّر عن الديمقراطية الأمريكية. وكان أول شاعر أمريكي يحوز إعجاب الأمريكيين والأوروبيين على حدِّ سواء .

واعتَبَر علماء النفس أشعاره مادةً خصبة لدراسة مُكوّنات النفس البشرية . كما اعتبره النُّقاد فيلسوفًا ، إذ كان يملك النظرة الشاملة المتكاملة إلى الكون والأحياء، وهي النظرة التي احتوت الإنسان والمجتمع، والعلاقة بينهما من حب وديمقراطية وغموض وصراع .

تُعتَبَر مجموعته الشعرية " أوراق العشب " التي ظهرت طبعتها الأولى عام ١٨٥٥، أعظم ما كتب ويتمان على الإطلاق . وقد قضى معظم حياته المهنية يكتب ويُعيد الكتابة ويُراجع " أوراق العشب " مرَّات عديدة حتى وفاته . وهذا نتج عنه وجود عدَّة طبعات مختلفة بعضها عن بعض . فعلى سبيل المثال ، تتكوَّن الطبعة الأولى من ١٢ قصيدة ، في حين أن الطبعة الأخيرة تتكوَّن من ٤٠٠ قصيدة ! .

والقصائد في " أوراق العشب " تربطها علاقة طليقة، وتُمثِّل كل قصيدة منها احتفال ويتمان بفلسفته عن الحياة والإنسانية . ويتناول الكتاب قضية الابتهاج بالحياة والاستمتاع بالمُتَع الحسِّية في زمن كانت مثل هذه المجاهرة تُعتَبَر وقحةً وغير أخلاقية .

اعتمد ويتمان في هذه المجموعة على الرمزية والتمثيل والتأمل في مسائل دينية وروحية، ومَجَّد " أوراق العشب " الجسمَ والعالمَ المادي ، وهو يتأثر بحركة الفلسفة المتعالية ، وهي نفسها فرع من حركة الرومانسية الأوروبية .

وشعر ويتمان يمدح الطبيعة ومكان الإنسان الفردي فيها . ولكنه لا يُقلِّل من دور العقل أو الروح ، وإنما يرفع الهيئة البشرية والعقل البشري ، وهو يعتبر كليهما جديرين بالمديح .

والتر سكوت وتأسيس الرواية التاريخية

وُلد الأديب الأسكتلندي والتر سكوت (١٧٧١ _ ١٨٣٢) في إدنبرة ، عاصمة إسكتلندا ، لأبوين من طبقة النبلاء . وقبل أن يبلغ عامه الثاني أصابه داء الشلل ، وأفقدته القدرة على استعمال رجله اليمنى . وبعد ذلك ، أرسله والداه إلى منزل جدّه ، حيث كان يقضي معظم أوقاته في نزهات بين أحضان الطبيعة ، فنمت قدرته الجسدية ، وتغلّب على عاهته مُتَفَادِيًا أي تأثير سيئ لها عليه ، ولكنه بقي مُصابًا بالعرج طيلة حياته .

في سن الثانية عشرة ، بدأ في دراسة الكلاسيكيات في جامعة إدنبرة . وفي الحادية والعشرين أكمل سكوت دراسة المحاماة ، ومارسها شأن أبيه ، لكن ممارسته ظَلَّتْ متقطعة ، إذ دأَبَ على السفر والترحال . وفي السادسة والعشرين ، تزوّج سكوت من فتاة فرنسية ، وبعد ذلك بقليل بدأ ينشر أول أعماله الشعرية .

مَعَ الوقت ازداد مدخول سكوت ، وراح يجد مُتَسَعًا أكثر من الوقت للكتابة . وفي عام ١٨١٤ ، وضع روايته الأولى "ويفرلي" ، وعالجت مرحلة من مراحل التمرد اليقوي عام ١٧٤٥ في التاريخ الإسكتلندي ، ولاقت نجاحًا فوريًا كبيرًا . وقد نشرها تحت اسم مستعار ، وهو ما دأَبَ عليه بعد ذلك، فَعُرِفَ " بالمجهول العظيم " إلى أن اضطره إفلاسه للكشف عن هويته عام ١٨٢٧ .

ظَلَّ سكوت في السنوات الخمس عشرة التالية ، يُصدِر رواية إثر أخرى ، تتناول الحياة في إسكتلندا في القرنين السابع عشر والثامن عشر . ثُمَّ ما لبث أن وسَّع مسرح رواياته زمانًا ومكانًا ، فكتب " إيفانهو " (١٨١٩) ، وهي أشهر رواياته على الإطلاق . وقد اشتهر وعُرِفَ بفضل هذه الرواية التاريخية الحديثة ، وأُطْلِقَ عليه " أبو الرواية الحديثة " . وفي نفس العام مُنِحَ سكوت لقب سير . وفي عام ١٨٢٢ ، حين زار الملك جورج الرابع إسكتلندا ، كان سكوت عُضْوًا في لجنة الاستقبال ، وحين تعرّف إليه الملك أُعْجِبَ به كثيرًا ، وتبادل مع الأنخاب .

إضافةً إلى الكتابة، كان سكوت يُشْرِف على شؤون أراضٍ يملكها على نهر التويد في أبوتسفورد لكن نفقات أملاكه الواسعة كانت كثيرة .

وفي عام ١٨٢٦ ، انهارت دار نشر يملك فيها سكوت حصّة كبيرة من أسهمها ، فأُصِيب بالإفلاس . وقد عمل سكوت بقية حياته مُحاولًا سدّاد ديونه الكثيرة، فأنتجَ في سنتين سِتَّةَ كتب

بينها كتاب " حياة نابليون " في تسعة أجزاء . لكن المجهود المُضني والمتواصل الذي بذله ، كان يفوق طاقته على الاحتمال، فساءت صحته بسرعة. وتُؤفّي في منزله في أبتسفورد في منطقة مليونر.

يُعتبر سكوت واحدًا من أهم مُبدعي الرواية التاريخية في الأدب الإنجليزي . ومعظم الذين خاضوا كتابة الرواية التاريخية بعده ، إنما اهتموا بأساليبه وساروا على خطاه . وبذلك ، يكون أحد كبار الروائيين في العالم في هذا المجال . ويعتبره الكثيرون مؤسس الرواية التاريخية ، وأحد أهم أدباء الحركة الإبداعية الرومانسية في الأدب الأوروبي .

عاصر سكوت حروب نابليون ، واهتم بالبحث في شؤون الآثار والتراث. وقد شغف منذ طفولته بالقصص والتراث الشفهي الذي يرويهِ الكبار في عائلته حول إسكتلندا ، ممّا أمدّه بالكثير من المادة التاريخية التي استخدمها في كتاباته فيما بعد، لذا تُعالج كتبه موضوعات تتعلق بإسكتلندا في قرن ونصف قبل زمانه ، وتتخذ من أوروبا القرون الوسطى مسرحًا لها .

أغرم سكوت بالقصائد الغنائية التي تتحدث عن أعمال بطولية وأساطير شعبية إسكتلندية . وكان قارئًا نهمًا ، شملت قراءاته كتابات بالإيطالية والإسبانية والفرنسية والألمانية واللاتينية .

انصرف سكوت في بداية حياته الأدبية إلى كتابة الشعر، ولاقت أعماله نجاحًا منذ البداية، وكان أول أعماله " قصائد وأغاني مناطق إسكتلندا الحدودية " (١٨٠٢ _ ١٨٠٣) ، ويتكوّن من ثلاثة مجلدات من القصائد تعود للتراث الشفاهي الإسكتلندي، تبتعتها بعد ذلك عدة مجموعات من القصائد الغنائية ، أظهرت إحداها التي تحمل العنوان " روكبي " (١٨١٣) اهتمامًا كبيرًا برسم الشخصيات ، ممّا أدى به إلى كتابة الرواية مع استمراره في كتابة الشعر ، فتضاءلت مكانة الشاعر الكبير .

تمتّع سكوت بذاكرة حادة ونظرة ثاقبة ، ممّا أكسبه قدرة فائقة على إعادة تصوير مراحل مختلفة من التاريخ ، من خلال وصفه الدقيق وتصوير شخصيات من مختلف دروب الحياة ، من الملوك حتى المتسولين .

وكان من أوائل الكتّاب الذين أكدوا العلاقة بين الشخصيات والبيئة المحيطة بها ، وطوّرها بعناية كبيرة . وقد مزج في أعماله بين الواقعية واللون المحلي والرومانسية، كما كان شديد التدقيق في تقصي طبيعة الحقب الزمنية التي صوّرها . وتركت أعماله أثرًا لا يُستهان به في أدب القرن التاسع عشر .

وليام بتلر بيتس وذاكرة الأشباح

وُلد الشاعر الأيرلندي وليام بتلر بيتس (١٨٦٥ _ ١٩٣٩) في دبلن . لم يكن أديباً منعزلاً أو عائشاً في بُرجه العاجي ، بل كان مُنخرطاً في الحياة الاجتماعية . وبالإضافة إلى كونه شاعراً ، كان كاتباً مسرحياً ، ومدير مسرح ، وشخصية وطنية ، وعضواً في مجلس العموم البريطاني . كان والده محامياً ذا شخصية قوية ، حرص على تنشئة أطفاله في مناخ ثقافي ، فكان يقرأ لهم الشعر والقصص من أعمال شكسبير وغيره . ومن شدّة ولع الأب بالثقافة والفنون ، قرّر أن يترك مهنة المحاماة ، ويصبح فناناً ، فالتحق بمدرسة للفنون وأصبح واحداً من الرسامين المعروفين . أمّا الأم ، فكانت هادئة وانطوائية ، وقد شكّل موت أحد أطفالها صدمة نفسية لها ، بقيت مُلازمة لها حتى وفاتها .

عاش بيتس في بيئة أرستقراطية ، وكانت عائلته فاحشة الثراء ، وقد قضى طفولته في قصر جدّه لأُمّه ، الذي كان يمتلك أسطولاً من السفن التجارية . وطفولته المُرفّهة في هذا القصر الكبير الذي يحتوي على غرف كثيرة وممرّات عديدة ، كانت عاملاً أساسياً في تنمية خيال الطفل ، وإقحامه في عالم الأساطير والخيالات . فصار يؤمن بوجود الأشباح . وقد زعم فيما بعد أنه شاهد أول شبح في حياته عندما كان في قصر جدّه . والحكايات المتعلقة بالأشباح والجِنّيات والأرواح الخارقة للطبيعة ، كانت شائعة في أيرلندا في تلك الفترة ، حتى إن الخدم العاملين في القصر كانوا يتحدثون عن الجِنّيات ، وكانوا يربطون هذا الموضوع بالعذاب والخوف والخطر .

انعكس موضوع الأشباح والجن على أشعار بيتس ، ففي قصيدة " الطفل المسروق " تبرز الأسطورة الشعبية التي تقول إن الجِنّيات قادرات على خطف الناس ، وإجبارهم على البقاء في عالم الجن . وفي قصيدة " في ضيافة الجن " ، يتخيّل الشاعر أعداداً هائلة من الجن يَمتطون ظُهور الخيل، ويَطوفون في طول البلاد وعرضها . وهذه الأجواء الأسطورية متعلقة بطفولة الشاعر ، إذ إنه نشأ في قصر جدّه الذي كان يضم حصاناً وكلاباً يستخدمها الأطفال لمطاردة الأرانب . سيطرت هذه الصور على خيال بيتس وتفكيره ، بحيث احتلّت حياته وفلسفته . ولم تقف هذه الأجواء عند الطفولة . ففي فترة شبابه ، كان يمشي في الأماكن النائية ، ويقضي الليالي في أحد كهوف الغابة . وهذه الأماكن المحبّبة إليه ، سيطرت على قلبه وتفكيره وإنتاجه الشعري . وكثير من هذه الأماكن يَرِدُ في أشعاره .

كان ييتس طالبًا ضعيفًا في المدرسة ، وعانى كثيرًا من مشكلات في القراءة . لكنه بدأ يكتب الشعر في الخامسة عشرة من عُمره . وقصائده الأولى كانت عن الساحرات وفُرسان العُصور الوُسطى الذين يلبسون الدروع ، وهي قصائد بسيطة ، لكن شعره بدأ بالتحسن فنيًا حين صار يكتب عن الأساطير والخرافات الأيرلندية .

اقترَب ييتس من العوالم الروحانية ، وما فوق الطبيعة ، وصار مشغولًا بالقضايا المستورة في هذا الوجود . وفي العشرين من عُمره ، ساهم في تأسيس " جمعية دُبلن لعلوم السَّحر " التي تُعنى بتدريس الفلسفة الهندية والروحانيات والغيبيات . وفي العام التالي ، انضمَّ إلى " نظام البزوغ الذهبي " ، وهي جمعية سرية طُوِّرت لتدريس السَّحر وكيفية تطبيقه على أرض الواقع . وهذه العوالم ليست غريبة عن ييتس، ففي شبابه كان مشغولًا بالرُّؤى والخواطر وتأثير الكواكب والأُمور الخارقة للطبيعة . وكل هذه المفاهيم ظهرت في شعره بصورة أو بأخرى .

في عام ١٨٨٩ ، التقى بممثلة جميلة تُدعى " ماود جونيه " ، وأغلب شعره العاطفي مُوجَّه لها . وقد تقدَّم للزواج منها عدة مرات ، وكانت ترفضه بقسوة . ثم التقى الكاتبة المسرحية الليدي غريغوري ، وأسَّس معها " المسرح الأدبي الأيرلندي " . وفي عام ١٩١١ ، قابلَ ييتس في بيت أحد أصدقائه شابةً جذابة تُدعى " جُورجيا هايدليس " عمرها ثمانية عشر عامًا . كان قارئة نَهَمَة ، ومثقفة تتكلم عدة لغات ، ومتعلقة بعالم السَّحر والغيبيات ، وقد انضمت إلى جمعية " نظام البزوغ الذهبي " . وقد عَقَّدا زواجهما عام ١٩١٧ رغم فارق السن ، وغياب العواطف المتبادلة .

صارَ ييتس عُضْوًا في مجلس الشيوخ في أول حكومة أيرلندية، خلال الفترة (١٩٢٢-١٩٢٨) وسعى بكل طاقته إلى إحياء التراث الثقافي الأيرلندي ، وفنونه المعمارية ، وآثاره القديمة . وكان مُدافعًا عن حرية التعبير ، وعمل جاهدًا على تحسين مستوى المدارس الأيرلندية . فازَ ييتس بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٣ ، وواصلَ الكتابة حتَّى مَوته عام ١٩٣٩ . وقد قضى سنواته الأخيرة في جنوب فرنسا بسبب وضعه الصَّحي . وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ ، نُقل جُثمانه إلى أيرلندا، ودُفن في إحدى الكنائس . وضمَّ شاهدُ قبره أبياتًا شعرية له: ((عَيْن باردة تُحَدِّق / في الحياة والموتِ / وفارس يَعبر بينهما)) .

من أبرز مجموعاته الشعرية : الخوذة الخضراء (١٩١٠) . مسؤوليات وقصائد أخرى (١٩١٤) . البجع البري عند مُتَنَزَّه كُول (١٩١٨) . البُرج (١٩٢٨) . السلالم المتلوية (١٩٢٩) . قصائد جديدة (١٩٣٨) .

وليام بليك وكراهية الجنس

وُلِدَ الشاعر والرَّسَّام الإنجليزي وليام بليك (١٧٥٧ _ ١٨٢٧) في لندن . كان والده صانع جوارب . اعتراه الرعب وهو في الرابعة من عُمره . ولم يُرسله أهله إلى المدرسة حتى العاشرة من عُمره بسبب خيالاته التي كانت تختلط بحواسِّه دون فاصل أو قاعدة .

التحق وهو في العاشرة بمدرسة رسم . وفي الخامسة عشرة بدأ التدريب على مهنة النحت مع النحات جيمس باسير ، واستمرَّ على هذه الحال طوال سبع سنوات . وعندما بلغ الثانية والعشرين ، تمَّ قبوله كدارس للحفر في الأكاديمية الملكية .

لم يكن بليك معروفًا في حياته ، إلا أنه الآن يُعتبر شخصية محورية في تاريخ الشَّعر والفنون البصرية في العصر الرومانسي . وشعره يستشرف المستقبل ، لكنه أقل الشعراء انتشارًا في اللغة الإنجليزية . أمَّا في مجال الحفر ، فقد طوَّر لنفسه طريقة خاصة ، وحاولَ أن يُحل الحفر محل الطباعة ، بحفر نصوص إلى جوارها رسوماتها التوضيحية على ألواح نحاسية ، لكن قلمه سبقَ حُفْره ، وراح يُعبِّر عن نفسه في خاتمة المطاف بالشَّعر .

كان متمردًا وناقمًا بسبب فقره ، ورَفُضَ الأكاديمية الاعتراف بالحفَّارين كفنانيين ، كما رفضت أن يُقدِّموا أعمالهم في معارضها . ومن شدَّة فقره ، فقد اقتربَ من الموت جوعًا في أوقات عدَّة ، لأنه لم يكن يتلقَّى سوى أجر زهيد لرسوماته وأعمال الحفر .

يُمثِّل بليك حلقة الوصل أو المرحلة الانتقالية إلى الرومانسية . وقد عاشَ في عالم الأسرار ، ورفض العلم ، وشكَّ في الله ، وعبَدَ المسيح ، وحَوَّلَ " الكتاب المقدَّس " ، ونافسَ الأنبياء ، ودعا إلى مدينة مثالية (يوتوبيا) يقطنها قديسون يمشون على الأرض .

لم يكن ميَّالًا بشدة إلى الجنس الآخر ، وقد عبَّر ذات مرة عن أمله في ألا تكون هناك لقاءات جنسية ، وعن أمنيته في زوال هذه الرغبة من البشر . ومع هذا ، فقد تزوَّج وهو في الخامسة والعشرين ، وكان غالبًا ما يُسبَّب لزواجه المتاعب بنوبات غضبه ، كما كان يُزعجها برؤاه . ومع هذا فقد اعترفت بعقريته ، واهتمَّت به بإخلاص حتى آخر حياته ، ولا نعرف أن له أطفالًا ، لكنه كان يجب اللعب مع أطفال أصدقائه .

في عام ١٧٨٣ ، تمَّ تمويل طبعة خاصة لأشعار بليك الباكورة ، وقد أُعيد نشر هذه الكتابات الشعرية بعد سنوات طويلة ، فأسهَم ذلك في تحقيق شهرته التي تأخَّرت .

في عام ١٧٨٩ ، أصدرَ أول عمل كبير من أعماله هو " أغاني البراءة " ، وكان يضم تسع عشرة مقطوعة شعرية . ومن الواضح أنه كان يعني بالبراءة مرحلة ما قبل البلوغ عندما كانت الحكايات المجمعة والمتعلقة بالمسيح تحظى بالتصديق وتُسبب للمستمع إليها سعادة قصوى وبهجة.

بعد عام ١٨١٨ ، لم يكتب بليك شعراً إلا قليلاً ، ولم يجد له إلا قِلَّة من القُرَّاء، وعاش على إنتاجه في الفن . وفي أواخر حياته ، عانى الفقر الشديد ، حتى اضطرَّ إلى حفر الإعلانات لأحد مصانع الخزف .

أتت الثورة الفرنسية ، فجلبت الحرية ، حتى في مرحلة انهيارها _ أي انهيار الثورة _ . وفقدت الأشكال القديمة للقوانين والنظم التقليدية هيبتها وسطوتها ، وانطلقت المشاعر والخيالات والطموحات والتطلعات تُعبّر عن نفسها بالكلمة والفعل . أشعل الشباب نيران الشعر والفن تحت كل قاعدة أدبية، وكل خطر أخلاقي، وكل تضيق عقدي، وكل دولة مكتسية بقشور القانون .

وفي عام ١٧٩٨ ، راح وردزورث وكولردج يكتبان القصائد معاً ، وراح برنز وسكوت يُغنيان للحب والثورة والحب في إسكتلندا ، وراحت جيوش نابليون تُحطّم الحدود بشكل أسرع من قدرة الثورة على نشر حلمها .

لقد أصبح الأدب في كل مكان هو صوت الحرية ، وبدأ المستقبل مفتوحاً بلا آفاق تتخذه . وصارت الآمال بلا نهاية . وظهّر العالم شاباً .

في أعوامه الأخيرة ، حَفَرَ بليك سبع لوحات لطبعة من طبعات دانتي . ومن خلال خياله الراقي وتصويراته لِمَا فوق الطبيعة ، وكذلك من خلال دقة خيوطه وبراعتها، أصبح _ طوال جيل بعد موته _ السلف المُعلن لمدرسة ما قبل الرفائيلية .

وليام جيمس والواحدية المُحايدة

وُلد الفيلسوف الأمريكي وعالم النفس وليام جيمس (١٨٤٢ – ١٩١٠) في نيويورك . وهو شقيق الروائي المعروف هنري جيمس .

تلقى العلم والفلسفة في معاهد وجامعات أمريكية وإنجليزية وفرنسية وسويسرية وألمانية ، حتى حصل على الدكتوراة في الطب من جامعة هارفارد (١٨٦٩) . وعُيِّنَ فيها أستاذًا للتشريح والفيزيولوجيا (١٨٧٣) ، ثم أستاذًا لعلم النفس (١٨٧٥) ، فأسس أول معمل لعلم النفس في أمريكا ، ثم أستاذًا للفلسفة (١٨٧٩) حتى استقالته عام ١٩٠٧ .

مرَّ تطوُّر جيمس الفكري بثلاث مراحل . في الأولى اهتمَّ بعلم النفس، وفي الثانية ركَّز على شرح فلسفته العملية ، وفي الأخيرة شُغل بنوع من الواقعية عُرفت باسم " الواحدية المحايدة " . عارضَ جيمس النظرة العامة المادية للعالم، وكان على وعي بعيوب المنهج الميتافيزيقي، ورفض الجدل أيضًا ، وأقرَّ اللاعقلانية ، وقد أكَّد تحليله للعقل الذي وصفه بأنه " تيار الوعي " أهمية العناصر الإرادية والانفعالية ، وأدَّى به ذلك إلى علم النفس، فاستطاع أن يُقيم من السيكولوجيا علمًا على أساس من مقتضيات التجريبية المتطرفة، وهي مذهب جديد في تفسير العلاقة بين الذات والموضوع ، أو بين الشعور من جهة والعالم الموضوعي من جهة أخرى . كما أنها في الحقيقة رد ذاتي للواقع إلى " خبرة خالصة "، إلى الوعي .

اتَّبَعَ جيمس _ في علم النفس _ المنهج الأدائي في تناول الظواهر العقلية، وأكَّدَ على الاستبطان وسيلة لمعرفة وظائف العقل معرفة تجريبية، لا يمكن أن تتحصل إلا بالنظر إلى الباطن . والفصول التي كتبها في تيار الفكر ووعي الذات ، لا يُنافسها شيء مما كُتب في علم النفس الاستبطاني . وهو يُسلِّم بأن الظواهر الوجدانية تجري في تيار متصل ، ولا يمكن رُدُّها إلى ظواهر فيزيولوجية . وأشهر ما طرحه جيمس هو " نظرية جيمس _ لانغ في الانفعالات "، إذ يُعَدُّ الانفعال النفسي كالخوف والغضب مُجرَّد الإحساس بالحالة الفيزيولوجية المترتبة على إدراك الموضوع، ومعنى ذلك "أنني إذ أرى الذئب أهرب فأخاف، بدلًا من القول إننا إذ نرى الذئب نخاف فنهرب"، فالانفعال يأتي نتيجة للحالة الجسدية وليس العكس، ومع ذلك فالحالة الانفعالية ظاهرة مستقلة بذاتها . ويدخل جيمس في التجريبية المتطرفة بمقالة " هل الشعور موجود ؟ " (١٩٠٤) ، ويرى أنه لا وجود لشيء اسمه الشعور ، وإنما توجد الخبرة الخالصة، وأن العارف وموضوع المعرفة

جُزْآن من أجزائها التي هي مادة وتفكير لاحق ، وهذه المادة إذاً ليست هي العقل ، وليست هي المادة بالمعنى المقابل في الثنائية القديمة (العقل والمادة) ، ولكنها شيء خاص به، شيء واحد مُحايد، وهذا معنى نظريته " الواحدية المحايدة "، التي تُعرّف المادي والروحي بأنهما جانبان مختلفان لخبرة واحدة، وليس الاختلاف بين العقل والمادة إلا اختلافاً في التنظيم . وقد استعاضَ جيمس بمبدأ المنفعة الذرائعي (البراغماتي) عن الفهم الموضوعي للحقيقة، ومهّد الطريق للمذهب الإيماني، ودافعَ عن حق إرادة الاعتقاد بما لا يُمكن إثباته أو التدليل عليه . وقد كشف في مُحاضراته عن البراغماتية (١٨٩٨) عن أهمية الفلسفة العملية التي تجعل من العمل مبدأ مُطلقاً، وأكّد بذلك أهمية مقال شارل ساندروز بيرس " كيف نُوضّح أفكارنا ؟ " (١٨٧٨)، الذي يُعدُّ بدايةً لحركة البراغماتية . يتلخص مذهب جيمس البراغماتي في قَوْلِه "إن تصوّرنا لموضوع هو تصوّرنا لِمَا قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية لا أكثر " . فالفلسفة العملية تدرس الواقع لا المجرّد ، والفيلسوف العملي يهتم بالمُدرَك ، وليس المُتصوّر . والمنهج العملي هو المنهج الذي يُفسّر أي معنى بتعقّب نتائجه العملية، والمذهب العملي هو مذهب في البحث، ومن ثَمَّ يصلح لِعِدَّة فلسفات، وهو ضدّ فكرة وجود حقيقة واضحة أو عقل مُطلق ، والفكرة الصادقة ليست الفكرة المطابقة للواقع، ولكنها التي تُؤدّي بنا مباشرة أمام الموضوع المراد معرفته . وتصبح الفكرة حقيقةً عندما تُثبت التجربة أنها صالحة ومفيدة ، وبصير الحق هو الملائم في مجال التفكير ، والخير هو الملائم في مجال السلوك. وليست المنفعة الفردية هي معيار صدق الفكرة، لكن الفكرة الصادقة هي التي تتلاءم مع غيرها من الأفكار التي ثبتت صحتها عملياً . أفادَ جيمس من المنهج البراغماتي في نظريته في الأخلاق والدين ، فاعتبر الدين تجربة فردية، وجوهرها العاطفة الدينية لا الطقوس، وأن الشعور الديني شعور باطني بالانسجام والسلام، وأن التجربة الدينية أكثر واقعية من التجربة العلمية ، لأنها تبدأ بالمجسّم (العاطفة والإحساس والفكر)، والتجربة العلمية تبدأ بالمجرّد ، والعلم تجربة ، ولكن الدين واقعة حيّة نعيشها . لقد دافعَ جيمس عن الدين . وكان عضواً نشيطاً في منظمة خاصة أسّسها في نيويورك لبحث الخبرة الصوفية ، ودافعَ عن حق الإنسان في الاعتقاد بما يراه مفيداً له في حياته وسلوكه، وحقه في الإيمان ببعض الفروض في الدين والأخلاق، إذا كانت هذه الفروض نافعة ، والمعيار هو أساس نفسي وحضاري .

من أشهر أعماله: مبادئ علم النفس (١٨٩٠) . إرادة الاعتقاد (١٨٩٧) . الفلسفة العملية (١٩٠٧) . معنى الحقيقة (١٩٠٩) . مقالات في التجريبية المتطرفة (١٩١٢) بعد وفاته.

وليام شكسبير والشهرة الأسطورية

وُلِدَ الكاتب المسرحي الإنجليزي وليام شكسبير (١٥٦٤ تاريخ تغميده _ ١٦١٦) ، في ستراتفورد أبون آفون . عمل والده جون خلال مرحلة طفولته المبكرة في قطاع الجلود، وكان ناجحًا فيها، ولكنه فيما بعد واجه صعوبات مادية كثيرة، وكان له عدّة نشاطات، أبرزها مشاركات في شؤون البلدية والمجلس المحلي عام ١٥٦٠ .

لَمْ يُعْرِفَ الكثير عن حياة شكسبير خلال مرحلة صباه ، ولكن الاحتمال الأكبر أنه تعلّم في مدرسة قواعد اللغة في ستراتفورد . أمّا زواجه ، فقد كان عام ١٥٨٢ من آن هاثاواي ، والتي كانت تكبره بثماني سنوات، وأنجب منها ثلاثة أطفال ، وهم : سوزانا ، والتّوأم هامنت وجوديث . بدأ شكسبير حياته المهنية بالعمل كممثل وكاتب مسرحي في شركة تمثيل " رجال اللورد تشامبرلين " عام ١٥٩٤ ، وبقي حتى نهاية حياته المهنية في لندن ، مرتبطاً مع هذه الشركة ، حيث كانت حياته المهنية في أوج ازدهارها عام ١٥٩٧ ، واستطاع في تلك الفترة شراء مكان جديد للإقامة فيه في ستراتفورد ، وهو المكان الذي سكنه خلال سنوات تقاعده في وقت لاحق . وبعدها بسنتين ، أصبح شكسبير شريكاً في ملكية مسرح غلوب . وبعدها بتسع سنوات ، أصبح مالِكًا لمسرح بلاكفريارز . أمّا تقاعده فكان بعد امتلاكه المسرح بخمس سنوات ، حيث عاد ليتقاعد في ستراتفورد . وكان يتمتع بحياة مريحة خلال فترة تقاعده ، رغم أنه لم يكن ذلك الرّجل الثري خلال مرحلة حياته المهنية . كتب شكسبير أكثر من ثلاثين مسرحية، حيث قُسِّمَتْ إلى أربع فئات: الرومانسية، والتاريخية، والمأساوية ، والكوميديّة . وقد بدأ بكتابة المسرحيات الكوميديّة ثم التاريخيّة مثل : مسرحيّة هنري السادس ، وإوروس . وكتب العديد من المسرحيات المشهورة حتى يومنا هذا ، مثل: روميو وجولييت، وماكبث، وهاملت، ويوليوس قيصر، وعُطيل ، والملك لير ، وأنطوني وكليوباترا . ولكنه تحوّل في السنوات الأخيرة إلى الرومانسية من خلال مسرحياته : سيمبلين ، وحكاية الشتاء ، والعاصفة . وعلى الرغم من نجاحه وشهرته ، إلا أنه لم يُنَشَر له خلال حياته سوى ثماني مسرحيات، وبطبعات منفصلة . وقد صدرت مجموعة كاملة بأعماله ، وكانت طبعتها الأولى عام ١٦٢٣ . أي بعد عدّة سنوات من وفاته . اشتهر شكسبير بِشعر السوناتة ، وهي مجموعة مُكوّنة من ١٥٤ قصيدة . وتحدّث هذه القصائد عن عدّة مواضيع ، منها : الحب ، والجمال ، والسياسة ، وغيرها .

لا يمكن مقارنة الشهرة التي اكتسبها أي كاتب آخر بشهرة شكسبير عالمياً على كافة المستويات، فقد دخل إلى جميع الثقافات والمجتمعات الأدبية والفنية والمسرحية في كل بلدان العالم. اعتمد في مسرحه وشعره على العواطف والأحاسيس الإنسانية، ممّا عزّز من عالميته واستمراريته. فأبطال مسرحياته المأساوية شخصيات تتميز بالنبل والعظمة والعواطف الإنسانية، وتؤثّر في الجمهور والقراء أينما كانوا، ولاتزال الشخصيات الكوميدية تضحك الجمهور لما في تصويرها من ذكاء ودقة وفكاهة. وتترك شخصياته النسائية، مثل كليونيترا وجولييت والليدي ماكبث وروزالند وبورشيا وبياتريس وميراندا، أكبر الأثر عند القراء وجمهور المسرح والسينما أينما كانوا. وتكمن براعة شكسبير في القصص المثيرة التي يستخدمها في مسرحياته، والمخزون الغني من الشخصيات التي يمتزج فيها الخير والشر والعاطفة والعقل، واللغة الشعرية البليغة، والبراعة في التلاعب بالكلمات والألفاظ والمفردات الجديدة. تعود أهمية شكسبير في كونه الابن النجيب لفكر وفن عصر النهضة الأوروبية بامتياز. فهذا الفكر الذي عالج جوهر الإنسان الفرد وموقعه في الكون ودوره في الحياة، على كافة الأصعدة، انعكس بتجلّي في مسرحياته، ولا سيّما في المرحلتين الثالثة والرابعة. وما شخصيات هذه المسرحيات، على تنوعها وتباينها إلا تعبير عن معاناة الفرد في واقعه وتوقه إلى الانعتاق من أي قيد يُعرّقل تفتّحه وطموحه. ويتجلى نُضج شكسبير الفكري والفني في صياغة الصراع الذي يخوضه الفرد بين نوازعه وغرائزه وطموحاته، وبين ظروف الواقع المحيط والاحتمية التاريخية. لا توجد في مسرحيات شكسبير شخصيات مُعلّقة في الهواء، بل هي دائماً ابنة واقعها بتجلياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وعلى الصعيد الفني كان شكسبير نفسه ابن واقعه ومُعطياته، وتجلّت عبقريته الفنية في استيعاب الأشكال الفنية التراثية والمعاصرة والشعبية، وإعادة صياغتها استجابةً لمتطلبات العصر، ولشروط الممارسة المسرحية في دور العرض الفقيرة بالتجهيزات المسرحية آنذاك. ومن هنا كان خروجه على القوانين الكلاسيكية، وتأكيدُه على الحكمة المزدوجة، ومزجُه المرهف بين الواقعي والخيالي، وبين العواطف والأهواء المتضاربة، واستخدامه الشّعْر والنثر في العمل المسرحي الواحد، وبمستويات لغوية مختلفة حسب طبيعة الشخصية وموقعها الاجتماعي، هذا بالإضافة إلى التأكيد على تعدّد أمكنة الأحداث، وفتح الزمن من دون أيّة تحديدات تُقيّد حريته. ومن يتعمّق في أعماله يلمس بشكل واضح كَوْن شكسبير ابن إرهابات الثورة الصناعية والازدهار الاقتصادي والانفتاح على العالم الواسع.

وليام فوكنر وذات الحركة المختصا به

وُلد الأديب الأمريكي وليام فوكنر (١٨٩٧ - ١٩٦٢) في مدينة نيوالباني، وتُوفي في أكسفورد بولاية ميسيسيبي الواقعة في أقصى الجنوب الأمريكي. يُعتبر واحدًا من أكثر الكُتّاب تأثيرًا في القرن العشرين، وبعض النقاد يعتبره أفضل روائي في التاريخ. حصل على جائزة نوبل للآداب (١٩٤٩)، وكان قليل الشهرة قبل الفوز بها، رغم أن أعماله منشورة منذ ١٩١٩. حصل على جائزة بوليتزر عام ١٩٥٥ عن " حكاية خرافية"، ونال الجائزة ذاتها عام ١٩٦٣ عن عمله المسمّى " الريفز ". استلهم فوكنر معظم أعماله من مسقط رأسه، وقد حوّل الجنوب الأمريكي إلى أساطير وقصص وذكرى وأحلام. كتب روايات وقصصًا قائمة على السرد المكثف الذي يجمع بين تيار الوعي والابتكارات اللغوية، وامتاز بقدرته الفائقة على رسم الشخصيات بصورة حيّة، وبنى نسيجًا لغويًا يعتمد على تعدّد زوايا النظر، والانزياحات الزمنية ضمن السرد. وتتميز أعماله بتنوع في الأسلوب، وطرافة في طرح الفكرة، وخصوصية في الطابع. نشر في حياته تسع عشرة رواية، وأكثر من ثمانين قصة، وديوانين من الشعر، وعددًا كبيرًا من المقالات.

بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)، حاول الدراسة في جامعة ميسيسيبي، إلا أن إقامته فيها لم تطل. وعندئذ، اعتمد على الدراسة الذاتية، فعلم نفسه الفرنسية، ليقراً شعراء الحداثة الفرنسية: بودلير، وفولير، ومالارميه. تزوّج عام ١٩٢٩ " إستيل أولدم " وهي حُب شبابه. وكان منتصف الخمسينيات أسعد فترة في حياته، حيث قضاها كاتبًا مقيمًا في جامعة فرجينيا بالقرب من ابنته وأحفاده. ابتكر فوكنر في عالمه الروائي منطقة خيالية " مقاطعة يوكناباتونفا"، وهي تمثّل مسرح الأحداث الأساسي في أعماله كلّها. ومع أنها منطقة غير موجودة على أرض الواقع، إلا أنها ترتبط بقوة بالأمكن التي عاش فيها الكاتب، والأشخاص الذين عرفهم. عاش فوكنر في عائلة مأخوذة بالتقاليد والقصص المحلية والحكمة الشعبية والفكاهة الريفية، والروايات البطولية والمأساوية عن الحرب الأهلية الأمريكية. وهذه النشأة العائلية أثّرت فيه بشكل واضح. وكانت حياته وأعماله الأدبية شهادة على عصره، وتفسيرًا رمزيًا وفلسفيًا للتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي طرأت على الجنوب الأمريكي.

كان في شبابه قارئاً نهماً ، وأظهر منذ مراهقته شغفاً بالقراءة والكتابة ، وكان يكتب بيده كُتُباً مُزيّنة برسوم توضيحية ، ويُوزّعها على أصدقائه ، ومن بينها دواوين شعر ، وقصص .

لَمْ يعيش في عالم خاص ومغلق ، ولم يحصر نفسه في الريف الجنوبي الذي حوّلته إلى أسطورة اسمها يوكناباتوفا . فقد تلقى تدريباً في تورنتو كطيار مقاتل في سلاح الجو الملكي الكندي في الحرب العالمية الأولى . واطّلع على التيارات الفكرية والنظريات الأدبية ، واستوعب التأثيرات الحداثيّة التي كانت تُغيّر وجه الفن والأدب في القرن العشرين . وفي أواسط العشرينيات، عاش بين الكُتّاب والفنانين في الحي الفرنسي في مدينة نيوأورلينز بولاية لويزيانا ، وكتب عدة قصص نالت الاستحسان والتشجيع . وكان فوكنر قد جاء إلى نيوأورلينز بعد أن أصدر ديواناً شعرياً بعنوان " الفاون " (١٩٢٤) . وهناك أتمّ روايته الأولى " راتب الجندي " (١٩٢٦) ، وتدور حول طيار يعود جريحاً ليموت في وطنه . أمّا روايته الثانية " البعوض " (١٩٢٧) فتحكّي عن حياة بوهيمية رصدها في نيوأورلينز . وتُعتبر روايته " الصخب والعنف " (١٩٢٩) أبرز أعماله على الإطلاق ، وقد مثّلت تقدّماً مذهلاً في كتابته ، فظهرت قدرته على تنويع الأساليب ، والتواصل مع التقنيات السردية والأفكار الحداثيّة . ومنذ ذلك الحين ، راح يُجرّب أشكالاً جديدة في كتابة السرد ، ففي روايته " بينما أرقد في حضرة الموت " (١٩٣٠) ، يستعرض إمكانياته الكتابية في مجال تيار الوعي . كما أنه اعتمد على التعقيد واللغة الفخمة في كثير من رواياته . نقل فوكنر عادات الجنوب الأمريكي وتقاليدّه ، واعتمد على النّفس الحزين المأساوي في كتاباته . حتى لُقّبهُ البعض بـكاتب الجنوب (نسبة إلى ولاية ميسيسيبي الواقعة جنوب أمريكا) . هُوجمت أعماله من قِبَل النّقّاد الذين رأوا في رواياته ، خصوصاً رواية " الملاذ " مُبالغةً شديدة ، حيث الإفراط في تصوير القتل والاعتصاب ، بما يتجاوز المعقول . وكأنّ فوكنر أراد القول إنّ المجتمع قائم على قتل الروح واعتصاب الجسد ، وضمن هذه الثنائية المربّعة ، يتكرّس مجتمع الحقد والكراهية ، الذي ينتهج أسلوب العنف لإخضاع الإنسان سواءً كان رجلاً أم امرأة . والتركيز الشديد على القتل والاعتصاب يُشير إلى انكسار روح المجتمع، وانهيار الأخلاق ، واضمحلال المشاعر ، والتاريخ الأسود للفرد والجماعة . وكلّ هذه المعاني متماهية مع قضية التمييز العنصري بين البيض والسود التي تناولها فوكنر في أعماله . وبشكل عام، صار القتل نظام حياة في المجتمع ، وصار الاعتصاب ذاكرة للروح والجسد . من أبرز رواياته: راتب الجندي (١٩٢٦) . البعوض (١٩٢٧) . الصخب والعنف (١٩٢٩) . الملاذ (١٩٣١) . ضوء في آب (١٩٣٢) .

وليام هازلت وفن المقال

وُلد الناقد الإنجليزي وليام هازلت (١٧٧٨ – ١٨٣٠) في ميتري لين ، مايدستون . تلقى تعليمه في المنزل ، وفي مدرسة محلية .

بدأ الكتابة في سن الثالثة عشرة. وفي عام ١٧٩٣ ، أرسله والده إلى مدرسة يوحنا في ضواحي لندن . يُشار إليها عادة باسم " كلية هاكني " . ورغم أن التعليم المدرسي الذي تلقاه هناك كان قصيرًا نسبيًا ، (تقريبًا سنتان) ، إلا أنه ترك انطباعًا عميقًا وثابتًا في حياته .

كان المنهج الدراسي في كلية هاكني واسعًا جدًا ، ويتضمّن الكلاسيكيات اللاتينية واليونانية والرياضيات والتاريخ والعلوم ، وبالطبع الدين .

تمتّع هازلت بالفكر المستقل ، واحترمَ حقائق الأشياء ، واستوعبَ تمامًا الاعتقاد في الحرية وحقوق الإنسان ، والثقة في فكرة أن العقل قوة فاعلة . ومن خلال نشر المعرفة في كل العلوم والفنون ، يمكن أن يتعرّز الاتجاه الطبيعي في الإنسانية نحو الخير . وقد أبدى إعجابه بأهمية قدرة الفرد ، والعمل بمفرده وضمن مجتمع داعم ، على إحداث تغيير إيجابي مُفيد .

كان هدف هازلت أن يُصبح فيلسوفًا ، وقد ركّز دراساته المكثّفة على الإنسان كحيوان اجتماعي وسياسي ، وعلى وجه الخصوص ، على فلسفة العقل ، وهو نظام سيُعرّف فيما بعد بعلم النفس . وقام بإعداد أطروحة _ بتفاصيل مُرهقة _ حول " المغالاة الطبيعية للعقل البشري " . وكان هدفه دحض فكرة أن الإنسان أناني بطبعه . ونُشرت الأطروحة عام ١٨٠٥ . وفي هذه الأثناء ، اتّسع نطاق قراءته ، وغيّرت الظروف الجديدة مسار حياته المهنية . ومع ذلك ، حتى نهاية حياته ، كان يعتبر نفسه فيلسوفًا . وفي عام ١٨٠٢ ، سافر هازلت إلى باريس ، واطّلع على العديد من أعمال الفنّانين القُدامى المعلّقة في متحف اللوفر . وكانت هذه فرصة عظيمة في حياته ، حيث قضى ساعاتٍ طويلة على مدار ثلاثة أشهر ، في دراسة مجموعات المعرض ، مع التفكير العميق والتحليل الدقيق . وهذا ساعده في تكوين منظومة النقد الفني لديه .

بحث هازلت عن عمل لكسب قُوت يومه، وأدّى غضبه من الأحداث التي وقعت في السياسة الإنجليزية كردة فعل على حروب نابليون إلى قيامه _ رغم أنه كان مُقلّسًا _ بنشر كُتيبٍ سياسي " أفكار حُرّة في الشؤون العامة " (١٨٠٦) . وهذا الكُتيب يُعدُّ محاولة للموازنة بين المصالح الاقتصادية الخاصة والتطبيق الوطني للأطروحة التي تقول إن الدافع البشري ليس بطبيعته أنانيًا .

في يناير ١٨١٢ ، بدأ هازلت مسيرته المهنية كمُحاضر ، وذلك من خلال تقديم سلسلة من المحاضرات حول الفلاسفة الإنجليز في معهد راسل في لندن .

وبحلول عام ١٨١٤ ، أصبح هازلت يعمل كصحفي ، وبدأت ظروفه المالية في التحسُّن ، في ظل وجود دخل ثابت. ورغم أن هازلت استمر في التفكير في نفسه على أنه "ميتافيزيقي" ، إلا أنه بدأ يشعر بالراحة في دور الصحفي .

في ١٨ يونيو ١٨١٥ ، هُزم نابليون في واترلو . واعتبر هازلت هذه الهزيمة هزّة شخصية . وبدا الحدث بالنسبة إليه بمثابة نهاية الأمل، لأنه كان ينظر إلى نابليون كفائد ومُناضل ضد الطغيان. وأصيب هازلت باكتئاب شديد .

استمرَّ هازلت في كتابة مقالات حول مواضيع متنوعة في الدُّوريات . بما في ذلك الخطابات السياسية ضد أي شخص يُقلِّل من احتياجات وحقوق الإنسان العادي . مع العلم أن الأجواء السياسية في إنجلترا في ذلك الوقت ، كانت قمعية وضاغطة على الفرد والجماعة .

يُعتبر هازلت من أعظم كُتّاب المقالات في تاريخ اللغة الإنجليزية ، ومن أهم النُّقاد من حيث قُدْرته على التعمق في تحليل مؤلفات معاصريه من الأدباء ، وكذلك من سبَّقه من كبار الكُتّاب .

نال قِسْطًا من التعليم في اللاهوت، والفن، والفلسفة. ثم بدأ يكتب للصحف والمجلات. وامتاز أسلوب مقالاته فيها بالوضوح والصفاء ، وجمعت في كتب أشهرها : " شخصيات مسرحيات شكسبير " (١٨١٧) ، و " محاضرات عن الشعراء الإنجليز " (١٨١٩) ، و " حديث المائدة " (١٨٢١-١٨٢٢) ، و " رُوح العصر " (١٨٢٥) .

كان هازلت صورة لمعاصريه من الكُتّاب والأدباء . وكان صديقًا لوردزورث، وكولردج، وسوئي، ولام . وأسهم مع كولردج في تأكيد عَظْمَة شكسبير ومؤلفي عصره .

ويُعدُّ هازلت من أساتذة كُتّاب المقالة بين الإنجليز ، إذ تميَّزت مقالاته بالذكاء الحاد ، والحساسية ، والاهتمام الواسع . ومنها : " معرفتي الأولى بالشعراء " ، و " حول الشعور بالخلود في سن الشباب " ، كما كان شديد الإعجاب بنابليون ، وكتب سيرة لحياته (١٨٢٨-١٨٣٠) .

وليام وردزورث وتجديد الشعر

وُلد الشاعر الإنجليزي وليام وردزورث (١٧٧٠ - ١٨٥٠) في بلدة كوكرمث . كان والده محامياً ، ووالدته ابنة تاجر كِتَان .

يُعتبر وردزورث الأديب الأوسع نفوذاً في الشعر الإنجليزي مع صديقه الشاعر كولردج ، ومن رُوّاد الحركة الإبداعية ، فقد أرسيا قواعدها معاً . والجدير بالذكر أن أخته هي الكاتبة دوروثي وردزورث .

كانت لنشأة وردزورث في منطقة البحيرات، وهي أجمل مناطق شمال غربي إنجلترا قرب ساحل البحر الأيرلندي ، أثر كبير في حُبّه للطبيعة ومظاهرها .

تفرقت عائلة وردزورث بعد وفاة والديه . فقد أُرسلت أخته دوروثي للعيش مع جدتها ، في حين أُرسل مع إخوته للدراسة في بلدة أخرى ، حيث درس اللغات والأدب والرياضيات ، وجالَ في أوقات فراغه في غابات المنطقة وجبالها ، كما جالَ لاحقاً في أرجاء بقية إنجلترا وإسكتلندا ، ومن ثمَّ أوروبا .

انتسب إلى جامعة كامبردج ، وتخرّج فيها عام ١٧٩١ ، وقام برحلة سَيراً على الأقدام في فرنسا أيام الثورة ، وصارَ مُناصرًا للجمهورية، وارتبط هناك بفتاة فرنسية أنجبت منه بنتاً لم يرها إلى أن بلغت التاسعة من عُمرها ، بسبب توتر العلاقات بين إنجلترا وفرنسا في تلك الفترة .

كانَ بعد تخرّجه عاطلاً عن العمل، مُفلساً ، وتعرّف على الفيلسوف الراديكالي وليم غودوين، وتعاطفَ مع أفكاره المثالية حول مناصرة الضعفاء والمُسحوقين ، وضرورة الإصلاح ، وإحلال العدالة في المجتمع . تزوّج عام ١٨٠٢ زميلته في المدرسة منذ الصَّغر ماري هتشينسون ، وأنجبت له أربعة أطفال، تُوفّيَ منهم اثنان عام ١٨١٢ ، وكان أخوه الأوسط قد تُوفّيَ غرقاً في عام ١٨٠٥ ، ويبدو تأثير هذه الأحداث واضحاً في شعره . التَمَّ شمل وردزورث وأخته دوروثي في عام ١٧٩٥ ، واستقرّا بالقرب من مدينة بريستول جنوبي إنجلترا ، ولم يفترقا بعد ذلك حتى وفاته .

تعرّف هناك على الشاعر كولردج ، وأقاما معاً شراكةً أدبية ، غيَّرت مجرى حياتيهما ، ومسار الشعر الإنجليزي ، ونجمَ عنها أفضل إبداعاتهما. فقد انصرف وردزورث عن كتابة القصائد الطويلة التي أخذت الحيزَ الأكبر مُنذ أيام دراسته في كامبردج ، إلى القصائد الغنائية القصيرة التي خصَّصَ العديد منها لأخته وللطبيعة ، وتميّزت بالبساطة والعاطفة الصادقة .

كان ذلك كله ضمن برنامج وضعه الشاعران للتحرر من قيود الشعر التقليدية ، ولتحدي الذوق المتدهور السائد آنذاك. وقد نُشرت هذه القصائد في مجموعة صغيرة بعنوان "قصائد غنائية" (١٧٩٨). ولم يتلقَ النقاد هذا الديوان بأية إيجابية تُذكر ، بل هُوجِم ، وشُكِّكَ بقيمته ، حين كان الثلاثة وردزورث وأخته وكولردج يجولون في ألمانيا . وكان شتاء ذلك العام ١٧٩٨ قاسياً ، فانعزل وردزورث وأخته عن العالم في بلدة غوسلار ، وانكفأ الشاعر على ذاته وعلى الذاكرة ، مُعْتَمِداً ما أطلق عليه تسمية " بقع زمنية " ، يغوص فيها في أعماق ذاته مُستَرَجِعاً مخزونات الذاكرة.

صدرت الطبعة الثانية من " قصائد غنائية " عام ١٨٠٠ ، وضمت قصائد جديدة، إلا أن الأهم من ذلك كان تضمينها مقدمة في الدفاع عن آراء مؤلفيها في وجه الهجوم الحاد من قبل النقاد . ويمكن اعتبار هذه المقدمة بياناً للحركة الإبداعية الإنجليزية ، حَدَدَ فيه وردزورث هدفه من الوقوف في وجه الاتباعية الجديدة المتصلبة ، وذلك من أجل بث الحياة في الشعر عن طريق معالجة الأمور اليومية بلغة الناس المتداولة ، ومنح الأولوية للتدفق العفوي للإحساس والعاطفة الأصيلة. كُل ذلك من أجل سبر أغوار الطبيعة ، وأيضاً لسبر أغوار النفس البشرية بعقلها وخيالها ، وصولاً إلى " الروح المحركة / العالي " اعتماداً على علم نفس التداعي الحسي الذي أخذه وردزورث عن لوك وهيوم وديفيد هارتلي .

كتب وردزورث قصيدته الأشهر بعنوان " المقدمة " ، ولم تُنشر إلا في عام ١٨٥٠ بعد وفاته. أي بعد أكثر من نصف قرن على البدء بها . والقصيدة ملحمة من ثمانية آلاف بيت في السيرة الذاتية تتضمن دراسته وأسفاره ، وتسير بحركة دائرية تبدأ عند النهاية حين كان الشاعر في التاسعة والعشرين من عمره ، رُجوعاً إلى البداية والطفولة ، يُمجِّد فيها الخيال والأحاسيس الدافئة .

وطَّد وردزورث شهرته لدى القُرَّاء والنقاد ، حتى صار في عام ١٨٤٣ شاعر البلاط الرسمي . لكن عبقريته الشعرية تراجعت مع تقدُّمه في السن ، وأخذت مشاعر المحافظة والشيخوخة تحل محل اندفاع الشباب وثورته . وأعاد كتابة " المقدمة " أكثر من مرَّة ، ولكن بلا فائدة . إذ ظلَّ شعره الذي كتبه في النصف الأول من حياته هو الأفضل والأبقى .

اختلف النقاد حول مكانة وردزورث في الشعر الإنجليزي، بين ليسلي ستيفن (والد فرجينيا وولف) الذي لم يكن شديد الإعجاب به ، وبين ماثيو أرنولد الذي وضعه في المكانة الثالثة بعد شكسبير وميلتون .

وولي سوينكا ومماجمة الفساد

وُلد الأديب النيجيري وولي سوينكا (١٩٣٤ - ...) في مدينة أبيوكوتا ، جنوب غربي نيجيريا ، وينتمي إلى قبيلة اليورا . تَخَرَّجَ في جامعة إبادن عام ١٩٥٢ ، ثم سافرَ إلى بريطانيا للدراسات العليا في الأدب الإنجليزي، وحصل على الماجستير بمرتبة الشرف ١٩٥٤ ، وعمل خلال دراسته في لندن قارئاً ومُراجِعاً للنصوص المسرحية بالمسرح الملكي . وبعد عودته ، عمل مُحاضِراً في أقسام الدراما بجامعة نيجيريا المختلفة . كما عمل أستاذاً للآداب بجامعة إيموري بأتلانتا بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد عاد إلى نيجيريا عام ١٩٦٠ ، وبدأ يبذل جهوده لتطوير المسرح النيجيري، من خلال اكتشاف الأشكال الأفريقية القديمة، فأنشأ فرقته المسرحية المسماة "الأقنعة" ، وقد عمل بها مخرجاً وممثلاً ومنتجاً .

كُتِبَ سوينكا أكثر من خمس عشرة مسرحية معظمها في الستينيات من القرن العشرين، وألّف روايتين ، ونظم ديوانين من الشعر، وكانت مسرحية "الطريق" (١٩٦٥) أولى أعماله الطويلة، وعُرِضت لمدة طويلة في لندن، وقد تَطَرَّقَ سوينكا فيها إلى مشكلات الحياة العامة في نيجيريا بطريقة دقيقة تُشبه التصوير الفوتوغرافي ، واتَّخَذَ مادتها من واقع الممارسات اليومية التي تحصل في معظم الطرق السريعة ، وضَمَّتْ شُخُوصُها نماذج من سائقي عربات النقل والشحن والبائعين المتجولين ورجال الشرطة الذين يتعاطون الرشاوى . وقد صبَّ سوينكا جام سخطه على ظاهرة الفساد المنتشرة بين الطبقات الدنيا في المجتمع ، مُؤكِّداً على حاجة المجتمع للتغيير إلى الأفضل.

وفي عام ١٩٦٧ نشر سوينكا مسرحيته "حصاد كونجي" ، وهي مسرحية ساخرة تجمع بين الخيال والواقع في شكل كوميدي تهكمي . تدور فكرة أحداثها حول تولّي شخصية "كونجي" منصب رئيس لدولة خيالية، وبعد أن يتمكن كونجي من القضاء والتغلب على الملك "دابولا" أحد القيادات والزعامات الروحية والقبليّة لتلك الدولة الخيالية ، يقوم بالدعوة إلى الاحتفال بهذا الانتصار في شكل مهرجان شعبي شبيه بموسم الحصاد، وتهدف المسرحية إلى نقد الزعماء الأفارقة المعاصرين نقدًا لاذعًا لمحاولاتهم الملتوية لإضفاء الشرعية على مطاعمهم، والمبالغة في حُب العظمة إلى درجة التقديس . كما تُبرز المسرحية خيبة أمل الشعوب الأفريقية في حدوث تغيير حقيقي للأوضاع في القارة الأفريقية نحو الأفضل، وتُضح بشكل كبير تأثر سوينكا بالمسرح

الشعبي لقبيلة اليوروبا التي ينتمي إليها ، وذلك من خلال إدخال الرقص والموسيقى في حوار المسرحية . أمّا مسرحيته " مجانين واختصاصيون " (١٩٧٠) ، فكانت أول مسرحية يكتبها سوينكا بعد الحرب الأهلية الانفصالية في نيجيريا ، بعد إطلاق سراحه من السجن ، فقد خيّم عليها أوضاع المجتمع النيجيري وما آلت إليه الأمور بعد الحرب من التثام الجراح والتماثل للشفاء والمصالحة . وفي مسرحيته " الموت وفارس الملك " (١٩٧٥) ، تعرّض سوينكا لإحدى المآسي الحقيقية في بعض المجتمعات الأفريقية، حيث يتصارع الإنسان مع نظام لا قبل له بمواجهته ومجابهته ، أو حتى الوصول إليه بمداركه العقلية المحدودة . فالمسرحية تدور فكرتها حول عقيدة شائعة عند قبيلة اليوروبا تقول إنه حين يموت الملك لا بد أن ينتحر فارسه ليرافقه في رحلته نحو العالم الآخر ، وبذلك يضمن الناس والأجيال القادمة العيش في سلام وطمأنينة، وأي تخاذل في ذلك يعرّض عالم الأحياء لخطر الكوارث من القوى الغيبية من الآلهة .

وجسّدت مسرحيته " سكان المستنقع " (١٩٥٨) ظاهرة الاستغلال والفساد الأخلاقي التي يعيشها أهل المدن ، رغم ما فيها من مظاهر الحضارة والرّقي . وقد انتقد واقع الحياة الاجتماعية في مدينة (لاجوس) بفسادها الأخلاقي وتخلّف أهلها ، بما يشبه المستنقع .

نظم سوينكا ديوانيّ شعر ، أولهما : " ديوان إدانري وقصائد أخرى " (١٩٦٧) ، والآخر " قصائد من السّجن " (١٩٦٩) . وقد كتبها خلال فترة اعتقاله من قبل الحكومة النيجيرية ، بسبب تأييده لوجهة النظر الداعمة للانفصال في بلاده. يُعتبر سوينكا واحداً من أشهر أدباء العالم . تنوّع عالمه الأدبي بين المسرح والرواية والشّعر ، إضافةً للترجمة . وشكّل مزيجاً حقيقياً لرؤية الكاتب ومُعايشته لحضارتين : الحضارة الأفريقية التي ينتسب إليها دماً ولحمًا ووجداناً من ناحية ، والحضارة الغربية التي عرفها وتشرّبها طويلاً بالتجربة واللسان والثقافة . وقد حصل على كثير من الجوائز المحلية والإقليمية والعالمية، منها جائزة جوك كامبل عام ١٩٦٨ ، وجائزة أفضل نص درامي عن مسرحيته " الطريق " من مهرجان الفنون الزنجرية بدّكار عام ١٩٦٦ .

وكان أوّل كاتب أفريقي يفوز بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٦ ، وأصبح بذلك علماً من أعلام الفكر والأدب في العالم بأسره ، وتغيّرت به نظرة العالم الدّونية تجاه الشعوب الأفريقية ، وألقى الضوء على ما تزخر به ثقافتها من قيم إنسانية .

من أبرز مسرحياته: الاختراع (١٩٥٧) . رقصة الغابات (١٩٦٠) . السّلالة القوية (١٩٦٤) . وثيقة الهويّة " مسرحية إذاعية " (١٩٩٩) . الملك بابو (٢٠٠١) .

ويستن هيو أودن ورؤوح الشك

وُلد الشاعر الإنجليزي الأمريكي ويستن هيو أودن (١٩٠٧ - ١٩٧٣) في مدينة يورك، شمال إنجلترا، وهو الابن الثالث لطبيب معروف. في عام ١٩٠٨ شغل والده منصب المفتش الطبي، وأستاذ الصحة العامة في جامعة برمنغهام. هذه الخلفية العلمية أثّرت في وعي الطفل باكراً، إذ كان يقرأ في كُتب أبيه، ثم يتباهى أمام زملائه بالمعلومات الغريبة التي كان يحفظها غيباً. تلقى أودن تعليمه في جامعات خاصة عدّة، قبل أن يلتحق بجامعة أكسفورد. خلال أعوامه الثلاثة الأولى في الجامعة، بدأ بكتابة قصائده الأولى، وجمع أفضلها في ديوان سَمَاه قصائد (١٩٢٨). وذاع صيته، حينئذ، كمثقف يساري، يُسوِّق لنظريات ماركس وفرويد. وقد رفض إلويوت في البدء نشر كتابه الأول، في دار فابر آند فابر، التي كان يعمل مديرًا لها. وفي الطبقات اللاحقة، قام أودن بمراجعات قاسية لهذه القصائد، مُعدّلاً الكثير منها. وقامت دار فابر نفسها بنشر معظم كتبه لاحقاً، بدءاً من ديوان " الخطباء " (١٩٣٠)، ثم ديوان " إسبانيا " (١٩٣٧) الذي شهدَ تحوُّلاً نوعياً في فكر أودن، الذي راح يُشكِّك بالتزامه بالماركسية، بعد مساندته للجمهوريين في الحرب الأهلية الإسبانية.

بعد هذا التحوُّل في الرؤيا، ظهر ديوانه " على هذه الجزيرة " (١٩٣٧)، ثمَّ ديوان " وقت آخر " (١٩٤٠)، الذي وظّف فيهما أودن استعارات مضغوطة ومُكثّفة، وبدا فيهما الهاجس السياسي أخف وطأة. ظهر ديوانه " الرجل المزدوج " (١٩٤١)، وأعقبه ديوان " في هذه الأثناء " (١٩٤٤) الذي ضمَّ قصيدتين طويلتين هُما " في هذه الأثناء " و " البحر والمرأة "، التي تُسلِّط الضوء على انكفاء أودن إلى الكاثوليكية، وتحوُّله بالتدريج إلى مُفكِّر ديني، تحت تأثير فلسفة كيركغارد. وتُعتبر قصيدة " البحر والمرأة " دراما رمزية آسرة، يستلهم فيها الشاعر شخصاً مسرحياً شكسبير " العاصفة ". أمّا ديوانه " عصر القلق " الصادر عن دار فابر، عام ١٩٤٧، فنال جائزة بوليتزر المرموقة للشعر، وتلاه ديوان " ترس أخيل " (١٩٥٦)، ثمَّ ديوان " حول المنزل " (١٩٦٥) الذي بدا فيه أودن أكثر نضجاً على الصعيد الفني، وقَدَّم قصائد عالية الإتقان والذكاء، تصف منزله في فيينا. ثمَّ ظهر ديوان " مدينة بلا جدران " (١٩٦٩)، وحصل على جائزة كتاب الشعر الوطني، في بريطانيا. تلاه، بعد وفاته، ديوان " شُكراً للضباب " (١٩٧٤) الصادر عن دار راندوم هاوس.

بعد تخرُّجه في جامعة أكسفورد عام ١٩٢٨، سافر أودن إلى ألمانيا، وكانت تلك بمثابة البداية لسلسلة رحلات رفدت أشعاره بروح الكشف والمغامرة. فمعظم قصائده تُحيل إلى رحلة ما، في الزمان والمكان والثقافة، وتكشف عن نزوع للتغيير. في برلين، الأكثر ليبرالية من لندن، تعرَّف أودن على نظريات عالم النفس الأمريكي هومر لين، التي تركت أثرها في بعض قصائده .

تزوَّج أودن عام ١٩٣٥ من ابنة الكاتب الألماني توماس مان، التي لم يلتقِ بها إلا في يوم زفافه، وغاية الزواج هو حصول هذه الأخيرة على جواز سفر بريطاني . لكنهما سرعان ما افترقا . خلال حقبة الثلاثينيات والأربعينيات، استطاع أودن أن ينتزع الاعتراف به كأحد أهم شعراء جيله. وفي عام ١٩٣٩ غادر إنجلترا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقرر المكوث هناك بشكل نهائي. وأصبح مواطناً أمريكياً في عام ١٩٤٦ .

كتب أودن النثر والشعر والدراما والأوبرا بروح جمالية عالية، ولم يكن لينافسه أحد من أبناء جيله، واحتل مركزه كأحد أكبر الشعراء الإنجليز في عصره، وإن أخذَ عليه خصومه استلهامه نزعة ميتافيزيقية متعالية في شعره المتأخّر، ما أفقده بعضاً من نضارته ووهجه. لكن أودن ظل حريصاً على جذوة الشكّ التي ميّزت قصائده الأولى. إذ لطالما شكَّك كعاشق، بديمومة الحب، حتى في أكثر قصائده عاطفيةً ، ولطالما شكَّك بجدوى الشعر ذاته، حتى في أوج شعوره بالمتعة الفنية .

ورغم أن الكثير من قصائده تبنّت قضية التغيير ، واستشرفت الكثير من الأحداث السياسية والاجتماعية ، إلا أن أودن بقي مُصراً على أن الشعر لا وظيفة له خارج دائرة كونه شعراً .

وفي عام ١٩٦٢ اقترح في مقالة بعنوان " الشاعر والمدينة " فصل السياسة عن الشعر، قائلاً : ((إن جميع النظريات السياسية، القائمة على تشابهات مُستقاة من صياغات فنية، محكومة بالتحول إلى نوع من الطغيان، إذا ما حاولنا وضعها قيد التطبيق)) . ومع أن قصائده الأخيرة قد انحرفت إلى التجريد، واستلهمت الخطاب الديني الصوفي بشكل واضح ، إلا أنه ظل يرفض الربط بين الشاعر والكاهن، وظل يعتبر الشعر فنّاً قائماً بذاته ولذاته ، يسعى إلى تحقيق المتعة الجمالية. كثير من النقاد والأدباء يعتبرون أودن من أعظم أدباء اللغة الإنجليزية في القرن العشرين. وقد وصل إلى هذه المكانة الرفيعة ، بسبب إنجازاته الأسلوبية والفنية ومعالجته للقضايا الأخلاقية والسياسية في كتاباته ، من حيث النبرة والشكل والمضمون . والمواضيع الرئيسية في شعره هي الحب والسياسة والمواطنة والدين والأخلاق، والعلاقة بين الكائن البشري الفريد وبين الطبيعة المجردة من الاسم والشخصية . وقد وصفه برودسكي بأنه " أعظم عقول القرن العشرين " .

ويل ديورانته وقصة الحضارة

وُلد الفيلسوف والمؤرخ الأمريكي وليام جيمس ديورانت (١٨٨٥ - ١٩٨١) في نورث آدمز من أعمال ماساتشوستس .

تلقى تعليمه في مدارس نورث آدمز، ومدارس كيرني من أعمال نيو جيرسي، وهي مدارس تتبع الكنيسة الكاثوليكية، وتلقاه كذلك في كلية بطرس اليسوعية في مدينة جيرسي وفي جامعة كولومبيا بنيويورك، ولبث صيفاً يشتغل مراسلاً ناشئاً لجريدة نيويورك، وكان ذلك عام ١٩٠٧ .

لكنه وجد هذا العمل شديد الوطأة على نفسه، فلم يحتمل المضي فيه ، فاكتمى بتدريس اللاتينية والفرنسية والإنجليزية وغيرها من المواد في كلية ستين هول، في سوث أورانج من أعمال نيو جيرسي (١٩٠٧ - ١٩١١) .

وهناك التحق بإحدى حلقات الدرس عام ١٩٠٩، لكنه عاد فتركها عام ١٩١١ لأسباب ذكرها في كتابه "مرحلة التحول" ، وانتقل من تلك الحلقة الدراسية إلى الدوائر المتطرفة في نيويورك، وهناك اشتغل بالتدريس في مدرسة فرر (١٩١١ - ١٩١٣) ، فكانت تلك الفترة بمثابة التجربة في التربية الحرة .

وفي عام ١٩١٢ ، طاف بأرجاء أوروبا على نفقة "أولدن فريمان"، الذي صادقه وتعهّد أن يوسّع من آفاقه .

وفي عام ١٩١٣، ركّز اهتمامه في الدراسة ليحصل على الدرجة الجامعية من جامعة كولومبيا، وتخصص في علم الحياة متتلمذاً على مَرَجَن وكالْكِنز . وفي الفلسفة متتلمذاً على وودبرج وديوي. ونال درجة الدكتوراة من تلك الجامعة عام ١٩١٧ . وأخذ يُعلّم الفلسفة في جامعة كولومبيا عامّاً واحداً ، ثم بدأ يُلقّي في عام ١٩١٤ في إحدى الكنائس محاضرات في الفلسفة والأدب ، التي صارت فيما بعد مادةً لكتائبه " قصة الفلسفة " و " قصة الحضارة " .

كان معظم المستمعين إليه في تلك المحاضرات من العُمّال والعاملات الذين كانوا يتطلّبون وضوحاً تامّاً وعلاقة تربط ما يُقال بالحوادث الجارية. كانوا يتطلّبون ذلك في كل المواد التاريخية التي تُعتبر جديرة بالدرس .

وفي عام ١٩٢١ ، نظّم مدرسة لِيَبَر تمبل ، التي أصبحت تجربة من أنجح التجارب التي أُجريت في تربية الكبار في العصر الحديث ، ثم تركها عام ١٩٢٧ ، ليكرّس نفسه لكتاب "قصة

الحضارة" وطاف بأوروبا مرة أخرى عام ١٩٢٧ ، وطوّف بالعالم عام ١٩٣٠ ، ليدرس مصر والشرق الأدنى والهند والصين واليابان، وعاد فطوّف بالعالم من جديد عام ١٩٣٢ ليزور اليابان ومنشوريا وسيبيريا وروسيا ، وهو يرجو لنفسه في الخمسة الأعوام المقبلة ، التي تلت إخراج هذا الجزء من قصة الحضارة ، أن يُنفق عامًا في اليونان وإيطاليا ليأخذ أهفته للجزء الثاني من "قصة الحضارة".

ومع أن ديورانت تلقى تعليمًا كاثوليكيًا ، إلا أنه تعرّض لحالة تحوّل جذري، فاتّجه إلى الفلسفة ونال فيها الدكتوراة ، وصار أستاذًا في جامعة كولومبيا. غير أنه أيضًا لم يتحمّل رتبة العمل ، فهو يميل إلى الانطلاق والمغامرة ، فانطلق حُرًّا يُلقي سلسلة من المحاضرات عن القادة والأبطال الذين تركوا تأثيرهم على حياة البشر ، ثم نشر كتابه " قصة الفلسفة " ، فلقى رواجًا كبيرًا مكّنته عوائده المالية من التحرر من رباط الوظيفة .

ثم أصدر كتابه " مرحلة التحول " وهو يُصوّر طفرة الفكر التي انتابته وانفكاكه من أسر البرمجة الثقافية ، وتحرّر عقله من الأفكار المسبقة .

ثم أصدر كتابه " مباهج الفلسفة " بمجلدَيْن ، ثم كتاب " مغامرون في بحار العبقريّة " ، ثم تفرغ لمشروعه الكبير " قصة الحضارة " ، وفي الجزء (٣٩) وَعَدَ بأن يُصدر كتابًا مستقلًا عن عِظات التاريخ ، وقد وفى بذلك .

وله كتاب بعنوان " تفسير الحياة " ، وآخر بعنوان " سيرة حياتنا " ، وهو سيرة حياته وحياة زوجته التي أضاف اسمها على أغلفة الأجزاء الأخيرة كمُشاركة في التأليف، وعند نهاية حياته أنجز كتابه الأخير " أبطال من التاريخ " . وتُوَفِّي وهو في السادسة والتسعين من العمر .

تزوَّج ديورانت من أرييل، التي كانت أصغر منه بحوالي ١٣ سنة، وأنجبت له ابنته الوحيدة أثيل، كما كان لهما ابن بالتبني يُسمّى لويس .

والجدير بالذكر أن ديورانت كتب كتابه الأول في مجال الفلسفة والمشكلات الاجتماعية ، في فترة انشغاله بالحصول على شهادة الدكتوراة في مجال الفلسفة .

ياروسلاف سيفرت والحزب الشيوعي

وُلد الشاعر التشيكي ياروسلاف سيفرت (١٩٠١ - ١٩٨٦) في العاصمة براغ ، لأسرة عُمالية. والدته كاثوليكية مُتحمّسة ، ووالده مناضل اشتراكي .

عَرَف سيفرت _ خلال سنوات حياته الأولى تحت الإمبراطورية النمساوية المجرية _ الفقر الذي ضرب عائلته ، كحال جميع سكان الأحياء العُمالية في براغ ، وخاصةً (حي جيجكوف) ، حيث وُلد. لهذا له مكانة بارزة في التَّشكيل الاجتماعي، كما أنه عالم البؤس والاستغلال والخطيئة، وأيضًا ، عالم الطبقة العاملة والمراقص الشعبية والحانات .

وعلى الرغم من إرادة والده _ اللذين كان يُحبهما بإخلاص _ ، غادرَ الثانوية قبل حصوله على البكالوريا ، ليُخصَّص وقته للشَّعر والثورة الاشتراكية ، التي هَزَّت العالمَ بعد انحدارها من الحرب العالمية الأولى. وفي الثامنة عشرة من عُمره، بعد أن شارك لفترة قصيرة في الحركة الفوضوية، نشرَ أولى قصائده في صحيفة " حق الشعب " الاشتراكية الديمقراطية .

في عام ١٩٢١ ، نشرَ أول دواوينه " مدينة الدموع "، يَؤمها كان يَعتبر نفسه شاعرًا بروليتاريًا، وهي لافتة جُمع تحتها العديد من كبار الشعراء في عشرينيات القرن العشرين .

عَبَّرَ في قصائده عن موقفه البروليتاري ممَّا يجري حوله ، وعن تطلعاته الثورية . أمَّا في ديوانه الثاني " حُب بِحُب " (١٩٢٣) ، فقد امتدَح التطور التقني الحضاري التشيكي ، واللذة الحِسِّية، والسَّفر إلى أمكنة بعيدة مجهولة، وجماليات تفاصيل الحياة اليومية . وشكَّل هذا الديوان على صعيد الشكل والمضمون نقلةً نوعية في شعر سيفرت نحو المذهب الشَّعري ، الذي تجلَّى في ديوانه " على موجات الأثير " (١٩٢٥) .

وبعد إقامته مدة عام تقريبًا في الاتحاد السوفييتي السابق ، نشرَ في عام ١٩٢٦ ديوان " غناء عندليبك لا يُطرب " ، الذي تناولت قصائده مسائل اجتماعية شائكة ، أدَّت إلى جانب مواقفه السياسية المفتحة على الآخر ، إلى طرده من الحزب الشيوعي التشيكي عام ١٩٢٩ .

وفي دواوينه اللاحقة ، مثَّل : " تفاحة من الغصن " (١٩٣٣) . " وداعًا للربيع " (١٩٣٧) ، التفتَ إلى موضوعات الوطن والطفولة وبيت الأسرة ، ولا سيَّما موضوع الأم ، ودور المرأة في بناء المجتمع. وبسبب مواقفه الصريحة من خطر النازية على الوطن ، ومن فاشية موسوليني وفرانكو، عادَ التقارب بينه وبين الحزب الشيوعي ، ولكن إلى حين .

في أثناء الاحتلال النازي لوطنه ، نشر سيفرت المجموعة الشعرية " مِرْوَحَة بوجني نيمكوفي " (١٩٤٠) ، التي أَكَّدَت قصائدها على الوُحدة الوطنية ، وعلى ضرورة تَوطيد الثقة بالنَفْس في مُواجهة الطغيان من أجل التحرير . وفي عام ١٩٤٥ ، صدرت له مجموعة " خُودَة مِن تراب " ، التي مَجَّدَ في قصائدها انتفاضة مدينة براغ ، وتحرُّر بلاده من الاحتلال النازي .

في أثناء الستينيات ، نشر سيفرت " كونسرت في الجزيرة " (١٩٦٥) ، و " مُذَنَّب هالي " (١٩٦٧) ، اللذين حملت قصائدهما الكثير من سمات السيرة الذاتية بصدق حياتي مُؤثِّر وشعرية نفاذة ، فَلُقِّب سيفرت " شاعر الأُمّة التشيكية " . لكنّه عندما عارضَ غزو الجيش السوفييتي لتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، لإسقاط ما سُمِّي آنذاك " ربيع براغ " ، طُرِد مُجَدِّدًا من الحزب الشيوعي ، وأُلْقِيَ عليه وعلى أعماله ستار من الصمت والتهميش ، ممَّا دفعه إلى نشر دواوينه الجديدة في ألمانيا الغربية . وقد هيمنت على دواوين السبعينيات والثمانينيات موضوع الشيخوخة ومواجهة الموت ، كما في " عمود الطاعون " (١٩٨١) ، و " أن تكون شاعرًا " (١٩٨٣) .

حصل سيفرت على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٤ . ووفقًا لموقع جائزة نوبل الرسمي ، فقد حصل على الجائزة : " لأشعاره التي تُعْطِيها العذوبة وثروة الابتكار ، ممَّا يُقدِّم صورة مُتحرِّرة عن رُوح الإنسان وبراعته التي لا تُفْهَر " .

ورأى بعضهم أن الجائزة تكريم لجيل طويل من أولئك الكبار في الشَّعر التشيكي الحديث . وكان سيفرت الوحيد الذي لا يزال على قَيْد الحياة بينهم . وفي بيان الجائزة ، جاءت عبارة اللجنة على النحو الآتي : " أكبر شاعر وجداني خلال ألف سنة في الأدب التشيكي ، كما أنه مُعلِّم كبير مِن مُعلِّمي الشَّعر العالمي " .

في ديوانه الشَّعري الأخير " أن تكون شاعرًا " (١٩٨٣) ، يعود الشاعرُ إلى مراهقته ، وإلى حُبِّه الأول : ((عَلَّمَتْنِي الحياة / مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ / أن أجمل الأشياء التي يُمكنها مِنحنا إيَّاهَا / الموسيقى والشَّعر / إن اسْتَشْنَيْنَا الحب طَبْعًا)) .

ياسوناري كاواباتا ونموض الانتحار

وُلد الأديب الياباني ياسوناري كاواباتا (١٨٩٩ _ ١٩٧٢) في أوساكا ، لعائلة ثرية ومثقفة ، ولأب طبيب مشهور . أهله إبداعه النثري المكتوب بلغة شعرية راقية وغامضة ، للحصول على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٨ ، ليصبح أول كاتب ياباني يفوز بهذه الجائزة العالمية .

فقد والديه عندما كان في الثانية من عُمره ، ليقوم جدّاه بتربيته بعد ذلك . وكان له أخت كبرى أخذتها عمّة بعيدة لِتربّيها . ماتت جدّته عندما أصبح في السابعة من عُمره ، وتُوفّيَت شقيقته التي رآها مرّة واحدة فقط منذ موت والديه ، عندما أصبح في العاشرة ، وعندما صار في الخامسة عشرة من عُمره تُوفّي جدّه . وتركّت هذه الأزمات تأثيرًا كبيرًا في طفولته ، وولّدت لديه الشعور بالفقدان والحرمان والأسى الذي لَوّن كتاباته لاحقًا ، وأُطلق عليه لقب " سيّد الجنائز " .

وبفقدانه كل أفراد عائلته الأقربين ، انتقل للإقامة مع عائلة والدته . ثمّ انتقل في يناير ١٩١٦ إلى بيت داخلي قُرب المدرسة الثانوية حيث يدرس . وبعد تخرّجه منها في ١٩١٧ ، انتقل إلى طوكيو آملاً في اجتياز امتحان المدرسة الثانوية الأولى ، التي كانت تعمل بإدارة جامعة طوكيو الإمبراطورية . نجح في الامتحان ، ودخل كلية الدراسات الإنسانية ، ليتخصّص في اللغة الإنجليزية . عندما كان طالبًا في الجامعة ، أعاد كاواباتا إصدار مجلة جامعة طوكيو الأدبية " اتّجاهات الفكر الجديدة " التي كانت مُعطلةً لأكثر من أربع سنوات . وفيها نشر قصته القصيرة الأولى " مشهد من جلسة أرواح " . وخلال سنواته في الجامعة ، بدّل اختصاصه إلى الأدب الياباني ، وكتب أطروحة تخرّج بعنوان : " تاريخ موجز للروايات اليابانية " .

بدأ كاواباتا في جذب الانتباه إليه بعدد من القصص القصيرة بعد تخرّجه بوقت قصير . وأشاد النقاد بقصته " راقصة آيزو " (١٩٢٦) ، وهي قصة بزوغ حُب جديد إيريوتيكى . ومعظم أعماله اللاحقة تستكشف ثيمات مُتشابهة . " بلد الثلج " واحدة من أشهر رواياته ، بدأ كتابتها في ١٩٣٤ ، ونُشرت مُسلّسةً مُنذ ١٩٣٥ حتى ١٩٣٧ . قصة حُب بطلها شاب يهوى الفن من طوكيو ، وتدور أحداثها في مدينة بعيدة ، ربيعها حار . مكان ما في الغرب ، قُرب جبال اليابان الشاهقة . رسّخت كاواباتا كأحد أبرز الكتّاب اليابانيين ، وأصبحت إحدى الكلاسيكيات .

الكتاب الذي اعتبره كاواباتا أفضل أعماله ، كان " سيّد الغو " (١٩٥١) ، الذي يتعارض بشدة مع أعماله الأخرى . رواية شبه خيالية عن مباراة غوكُبرى في ١٩٣٨ . كانت آخر مباراة في

مسيرة المُعلِّم شوساي المهنية ، وخسرها لصالح مُتحدِّيه الأصغر سنًا ، ليموت بعد سنة أو أكثر بقليل . ورغم أنَّ الرواية تتحرَّك على السَّطح كإعادة حكاية لكفاح مُشوّق ، إلا أنها اعتُبرت روايةً رمزية تُوازي هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية .

كتب كاواباتا أيضًا أكثر من ١٤٠ قصة قصيرة، كان يُطلق عليها " قصص كف اليد " لقصورها. إذ إنَّ طُول القِصة بين الصفحة والسبع صفحات . جسَّدَ فيها عُمقَ العاطفة الإنسانية ، وسبَّرَ أغوار النُّفس البشرية . وكانت القصة القصيرة جدًّا الجِنس الأدبي المفضَّل لديه ، إذ وَجد في المساحة المحدودة فيها مَيِّزَةً ، مَكَّنَّته مِن استخدام الغموض الذي برع فيه ، ومن ترك العنان لخيال القارئ . واقترب في أسلوبه هذا من الشَّعر . إذ تُشبه كلُّ قصةٍ قصيدةً شِعْرية ، في عُمقها وكثافة رُموذجها وتركيزها . كان يكتب القصص ، الواحدة تلو الأخرى ، وكأن الواحدة تُلهِم الأخرى كما القصائد ، فتأتي باندفاعات إبداعية مُفاجئة وغريبة .

وما يُميِّز قصصه القصيرة ليس فقط كثرة عددها ، وإنما تنوُّع موضوعاتها وأسلوبها . فبعضها يمتاز بوحدة النص وتماسكه، وبعضها الآخر يأتي بصيغة مُفكَّكة كالحُلم بأسلوب انطباعي. وتُشكِّل هذه القصص بمجموعها مرآةً كبيرة للحياة الإنسانية . وقد جُمعت في مجلدات كثيرة ، وترجمت إلى لغات عدَّة ، فَحَقَّقَتْ انتشارًا بين القُرَّاء في الغرب . وكانت آخر هذه القصص القصيرة قِصةً اختزلها عن روايته " بلد الثلج " بعنوان " لقطات من بلد الثلج " ، التي شكَّلت تحوُّلاً في أسلوب التَّأليف الذي كان يتبعه . إذ كان يَسْتوحي رواياته الطويلة من فكرة بسيطة ، ويُسهب ويتوسَّع فيها ، بينما حدث العكس في قصته الأخيرة تلك .

انتحر كاواباتا في عام ١٩٧٢ بختنق نفسه بالغاز . ووُضِعَت فرضيات مُتعدِّدة لتفسير انتحاره . ومن بينها صِحَّتُه الضعيفة ، أو قِصةُ حُبٍ مُحتملة مرفوضة من المجتمع ، أو صدمة انتحار تلميذه وصديقه يوكيو ميشيما عام ١٩٧٠. وعلى أيَّة حال ، فإنه على العكس من ميشيما لم يترك رسالة قبل انتحاره . وبما أنه لم يُناقش مسألة الانتحار بشكل مُؤثِّر في كتاباته، فإن دوافعه تبقى غامضة . مِن أبرز رواياته : راقصة آيزو (١٩٢٦) . عصاة أوساكا القرمزية (١٩٣٠) . البحيرة (١٩٥٤) . منزل الجميلات النائمات (١٩٦١) . العاصمة القديمة (١٩٦٢) .

يأنيس ريتسوس ومعاناة السجن

وُلد الشاعر اليوناني يأنيس ريتسوس (١٩٠٩ _ ١٩٩٠) في قرية مونيمفاسيا جنوبي اليونان. وتُوفِّي في أثينا . تلقى ريتسوس تعليمه الأول في مدرسة القرية ، وكتب أول قصيدة له في عام ١٩١٧ . وفي آب ١٩٢١ ، تُوفِّي أكبر أشقائه بسبب إصابته بالسُّل ، ولحقت به والدته بعد ثلاثة أشهر بمرض السُّل أيضًا الذي أصاب القرية كاملةً . أمّا والده فقد جنَّ جنونه وفقد أمواله بسبب القمار ، بعد أن كان رجلاً ثريًا ينتمي إلى عائلة نبيلة تملك أراضٍ عدّة .

بعد إنهائه دروسه الثانوية ، انتقل إلى مدينة أثينا التي عانى فيها من الفقر ، بسبب قلة موارده، ممّا أجبره على أن يقطع دروسه، والعمل في مهن بسيطة، ككاتب ينسخ الأوراق في نقابة المحامين، وراقص هامشي بإحدى الفرق الفنية ، ومُمثِّل صامت . وعمل مُصحِّحًا وقارئًا لبروفات الطباعة لدى أحد الناشرين، ثمَّ حَظِيَ بوظيفة في المصرف الوطني، لكنه أُصيب هو الآخر بمرض السُّل في عام ١٩٢٦ ، وعاد إلى قريته التي كتب فيها ديوانه " منزلنا القديم " . دخل والده المأوى في نفس السنة ، ودخل هو أحد المصححات ، ومكث فيها مُدَّة ثلاث سنوات. وخلال تلك الفترة لم يتوقف عن القراءة والكتابة . وعند مغادرته للمصححة ، عاوده المرض ودخل مصححة أخرى . وفي عام ١٩٣١ عاد ريتسوس إلى أثينا ، وامتحن التمثيل في أحد مسارحها .

قال ريتسوس عن تلك المرحلة من حياته : ((لم يكن لدي ناشر أول الأمر ، فكان عليّ أن أُمَوِّل مؤلفاتي بنفسي، وكنتُ ما إن أستعيد جزءًا من التكاليف، بعد بيع كتاب، حتى أدفع الثاني إلى المطبعة، ولم يتسنَّ لي الحصول على شروط عمل ملائمة إلا عند بلوغي التاسعة والأربعين من عمري، أمّا قبل ذلك فقد عملت مُجرَّد مُراجع في إحدى دور النشر، ولكن ذلك أفادني كثيرًا، فقد قرأتُ وأعدتُ قراءة دوستوفسكي وغيره من الأعلام . وفي وقت سابق عملتُ في المسرح ، وكانت مهنة شاقة، وفوق ذلك كان عليّ أن أهتم بأسرتي، كنتُ أحتاج إلى نوم عميق، لكنني في تلك الفترة لم أستطع ذلك ، حتى نشرتُ " سوناتا في ضوء القمر " ونلتُ الجائزة الوطنية للشعر، فتحسَّنت أحوالي . وفي بداية عام ١٩٥٦ وقَّعتُ عَقْدًا مع دار " كيدروس " التي رغم ظروف عديدة لم أتخلَّ عنها . إن الإخلاص صفة مهمة في نظري)) . في عام ١٩٣٤ قام ريتسوس بإصدار أول ديوان له " تراكتورات"، وفي العام التالي أصدر ديوانه الثاني "أهرامات". وكان قد كتب معظم قصائد هذين الديوانين خلال الفترة التي قضاها في المصححة.

ألهتمته الأحداث الدامية_التي عرفتها بلاده_ لكتابة القصائد. فقصيدته الشهيرة "أبيتافوس" عرفت النور إثر مقتل ثلاثين عامل تبغ وجرح ما يُقارب ثلاثمائة منهم إثر تظاهرة في أيار ١٩٣٤، فتحت فيها الشرطة اليونانية النار عليهم. وتُخلّد قصيدة "أبيتافوس" ذكرى تلك الأحداث الدامية، فهي قصيدة جنائزية تتكون من عشرين نشيدًا أو ترنيمة مشدودة إلى الذاكرة الجمعية بوشائجها الشعورية بالغناء العامي والأسطورة الوثنية والطقس الأرثوذكسي . وقد صدر النظام العسكري الذي كان يحكم اليونان القصيدة ، وأحالها إلى محرقة الكتب .

تدهورت حالة ريتسوس الصحية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، كما أن بلده اليونان كان يُعاني من الفقر والجوع . ورغم حالته لم يتوقف ريتسوس عن الكتابة ، ولكن السلطات النازية التي كانت تحتل اليونان قامت بمنع كتابه " تجربة " . غادر ريتسوس أثينا في عام ١٩٤٥ ، واستقر في بلدة كوزاني التي أسس فيها مسرحًا شعبيًا ، وكتب مسرحيته " أثينا تحت السلاح " ، وقصيدة طويلة بعنوان "حاشية الانتصار" ، ثم رجع إلى أثينا ، وكتب مجموعتين خلال عامين : "يونانية" و"سيدة الكروم". تمّ اعتقاله من منزله في عام ١٩٤٨ وسط حملات قامت بها الشرطة ، وأُقيّدَ إلى مخيم للأسرى في جزيرة ليمنوس. ونُقلَ إلى سجن " ماكرونيسوس " في عام ١٩٤٩ . وعُذّبَ فيه تعذيبًا شديدًا. وخلال سجنه قام بكتابة مجموعته " زمن الحجر " التي طمرها في التراب. وقد عُثر على أوراق المجموعة بعد سنوات، وتمّت طباعتها. أُسّست لجنة أوروبية مُكوّنة من شعراء ومثقفين مُطالبة بحرية ريتسوس ، وذلك بمبادرة من الشاعر الفرنسي لويس أراغون . وأُخلِيَ سبيله في عام ١٩٥٢ . وفي عام ١٩٦٧ ، حدث انقلاب عسكري في اليونان ، ووصل العسكريون إلى سُدة الحكم ، وأُلقيَ القبض على ريتسوس ، وسُجنَ في جزيرة ياروس ، ومُنِعَ فيها من الكتابة . أطلق أراغون حملةً جديدةً وواسعة ضَمّت أشهر الأدباء الأوروبيين ، أدّت إلى إطلاق مشروط لريتسوس، ووُضِعَ تحت الإقامة الجبرية في بيته العائلي . وساءت حالته النفسية والجسدية بعد شهر من إطلاقه سراحه . وفي عام ١٩٧٤ سقط النظام العسكري ، وصعد نظام "الوحدة الوطنية" ، ومنحته جامعة "تسالونيك" شهادة الدكتوراة الفخرية ، " لِكُونِهِ يشمخ منذ أربعين سنة كركيزة للأُمَّة اليونانية وكصوت لها " . حصل على الجائزة الدولية الكبرى للشعر ، وتمّ ترشيحه لجائزة نوبل للآداب، ولكنه لم يحصل عليها .

يُعتَبَرُ يانيس ريتسوس أحد أهم الشعراء اليونانيين في القرن العشرين ، ممّن وصلوا إلى الشهرة العالمية ، وترجمت قصائده إلى أكثر من خمسين لغة .

يوجين أونيل وقائع المجتمع

وُلد الكاتب المسرحي الأمريكي يوجين أونيل (١٨٨٨ _ ١٩٥٣) في فندق متواضع في حي برودواي ، حيث كانت تقيم العائلة إقامة مؤقتة . حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٣٦ . كانت ولادة أونيل على يد طبيب غير ماهر ، فعُولجت والدته بالمورفين وأدمنته . ولَمَّا عَلِمَ في سن المراهقة أن والدته أصبحت مدمنة بسبب ولادته ، شعر بالذنب ، وثارَ على كُلِّ ما يُمثِّل السُّلطة ، خصوصًا الجانب الديني منها . وهذه الصدمة أدخلته في حرب روحية مع نفسه .

كان والده مهاجرًا أيرلنديًا إلى الولايات المتحدة ، حيث عمل فيها ممثلًا ومدير مسرح . تبع أونيل والده في جولاته ، وقضى سنوات طفولته في غرف الفنادق ، أو مسافرًا ، أو منتظرًا خلف كواليس المسارح التي عمل والده فيها ، فافتقد إلى الاستقرار ، إلا أن المسرح كان جزءًا أساسيًا من حياته . لم يستطع أونيل إكمال دراسته بسبب سفره المتواصل مع والده وفرقة المسرحية . وقد التحق بجامعة برنستون عام ١٩٠٦ ثم تركها ساعيًا للحصول على ما أسماه " التجربة التعليمية الحقيقية " . ثارَ أونيل على والده ، فقد رأى الأشياء الرومانسية الزائفة التي جعلته يحتقر المسرح ، وحاولَ أن يكتشف طريقه الخاص بعيدًا عن والده ، فعملَ بحَارًا ، وقضى وقته يتسكّع في الموانئ ، وأدمنَ الكحول ، وحاولَ الانتحار . ولَمَّا بلغ الرابعة والعشرين عمل صحفيًا ، ونشر بعض القصائد . لكنه أُصيب بالسُّل ، واضطرَّ أن يقضي ستة أشهر في مصحة . وهذه الفترة كانت فرصة له ليعيد حساباته ، ويُصلح نفسه ، ويبدأ الكتابة للمسرح . وكانت مسرحياته الأولى تمتلئ بالمومسات والمدمنين والبَحارة ، وتناقش قضايا : فقدان العدالة ، وغياب المساواة ، وانتشار الظلم الاجتماعي . التحق بجامعة هارفارد عام ١٩١٤ ليدرس مادة الكتابة المسرحية على يد الناقد جورج بيكر ، وأعطته هذه الفترة فرصةً للتركيز في الكتابة . وفي عام ١٩١٦ قامت فرقة مسرحية تجريبية بتمثيل أولى مسرحياته . وأعطته هذه المسرحية بعض الشهرة . وفي عام ١٩٢٠ عُرضت مسرحيته الطويلة " وراء الأفق " على مسرح برودواي الشهير . تُصوِّر هذه المسرحية أخوين يُحبان الفتاة نفسها ، غير أن أحدهما مُولع بالبحر والمغامرات . مدَحَ النُّقاد الواقعية المأساوية للمسرحية ، ونال أونيل جائزة بوليتزر عنها . وفي السنوات التالية (١٩٢٠ _ ١٩٤٣) كتب عشرين مسرحية طويلة ، فازدادت شهرته ، وارتفعت مكانته الأدبية ، خصوصًا في أوساط الجمهور المسرحي . وأصبحت أعماله من أكثر الأعمال الأدبية ترجمة وإخراجًا .

يُعتبر أونيل المؤسس الحقيقي للمسرح الأمريكي ، حيث قام بتطويره ليصبح جنسًا أدبيًا قائمًا بذاته . واستطاع من خلال مسرحياته تقديم مواضيع جديدة ، واستقطاب الجمهور والنقاد . كما يُعتبر من أوائل الكتاب المسرحيين الذي درسوا الصراع داخل عقل الشخصية بين البواعث الشعورية والحاجات ، وساعده على ذلك دراسته لعلم النفس الحديث ، خصوصًا أفكار فرويد . وقدّمت مسرحياته للدراما الأمريكية تقنيات الواقعية ، وأظهرت الشخصيات في قاع المجتمع، وصوّرت الإنسان في عصر التكنولوجيا، وكيفية تحوُّله إلى ضحية للآلة. وكل مسرحياته تقريبًا تتضمن قُدْرًا من التراجيديا والتشاؤم والانكسار .

عرّف أونيل من خلال الوضع الذي عاشه أحوال الطبقة السُّفلى من المجتمع ، عالم الفنادق وحانات البَّحَّارة الرخيصة. وتجاربه الشخصية كانت المادة الأولى التي استخدمها لكتابة مسرحياته.

لقد سلَّط الضوء على قاع المجتمع ، وأبرز أحلام المنبوذين ، وأظهر معاناة الفقراء ، ووضَّح مشاعر المسحوقين ، في عالم قاسٍ لا يرحم . كما أنه فضح المجتمع المادي الذي يقتل الجوانب الروحية . وتبرز في أعماله المسرحية فكرتان رئيسيتان : الأولى _ الحياة وَهْم . والثانية _ الإنسان غير قادر على فهم الحياة .

بدأ أونيل كتابة المسرحيات في عام ١٩١٣ ، وانتهى به المطاف ليصبح أبرز كاتب مسرحي في أمريكا ، بعد أن نجح في تحويل حياته الشخصية إلى فن مسرحي . وكان يهدف من هذه العملية إلى التحكم بحياته ، وإعادة صياغتها من أجل تحليل تفاصيلها واستيعاب أحداثها .

امتألت حياته الخاصة بالآزمات الاجتماعية ، فقد تزوج ثلاث مرات ، وأنجب ثلاثة أولاد، ولكنه أصبح غريبًا عن كل أولاده ، وقد انتحر أكبرهم . أصيب أونيل بمرض منعه من الكتابة ، ثم مات في غرفة بفندق في بوسطن ، بعد أن قال بمرارة وسخرية : ((وُلدتُ في غرفة فندق ، وأموت في غرفة فندق)) .

ويبقى أونيل هو الأب الشرعي للمسرح الأمريكي، ولا يُنافس في منزلته أي كاتب مسرحي، خصوصًا في نظرية المأساة التي طوَّرها . فقد اعتبر أن العاطفة مهمة جدًا، وأن التعبير عنها بالمسرح المأساوي يُعطي الإنسان نوعًا من التفهم الروحي .

من أبرز مسرحياته: وراء الأفق (١٩٢٠) . الإمبراطور جونز (١٩٢١) . أنا كريستي (١٩٢٢) . رغبة تحت شجر الدردار (١٩٢٤) . فاصل غريب (١٩٢٨) .

يوجين يونسكو والإيقاعات المسرحية المتسارعة

وُلد الكاتب المسرحي الروماني الفرنسي يوجين يونسكو (١٩٠٩ _ ١٩٩٤) في سلاتينا برومانيا لأب روماني أرثوذكسي ، وأم فرنسية بروتستانتية . وتنقل بحياته بين رومانيا وفرنسا . وفي عام ١٩٧٠ أصبح عضوًا في أكاديمية اللغة الفرنسية .

عاد يونسكو إلى رومانيا مع والديه في عام ١٩٢٥ عَقِب طلاقهما. والتحق بكلية سافا الوطنية، بعد ذلك قام بدراسة الأدب الفرنسي في جامعة بوخارست في الفترة (١٩٢٨ _ ١٩٣٣) مِمَّا جعله مؤهلاً كمُعَلِّم لغة فرنسية . وبينما كان هناك ، قابل كُلاً من إميل سيوران ومرسيا إلياد ، وأصبح هؤلاء الثلاثة أصدقاء مدى الحياة .

وفي عام ١٩٣٦ تزوّج يونسكو من روديك بوريلانو. وأنجبا ابنتهما الوحيدة ، والتي كتب من أجلها يونسكو العديد من قصص الأطفال غير التقليدية . عاد مع عائلته إلى فرنسا في عام ١٩٣٨ لإكمال أطروحة الدكتوراة. وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية اضطر للعودة إلى رومانيا، ثم غيّر رأيه وتمكن بمساعدة بعض الأصدقاء من الحصول على بعض التصاريح التي تُمكنه من العودة لفرنسا مُجدِّداً في عام ١٩٤٢ ، وبقي هنالك حتى انتهت الحرب، مُقيماً في مرسيليا ، لينتقل مع عائلته بعد ذلك للعيش في باريس عَقِب تحريرها .

على الرغم من كونه اشتهر ككاتب مسرحي، إلا أن المسرحيات لم تكن هي أول مجال خاضه. حيث بدأ بكتابة الشعر والنقد، ونُشرت أعماله في عدّة صحف رومانية .

لم يبدأ يونسكو في كتابة المسرحيات إلا في وقت متأخر. أول مسرحياته كانت بعنوان " المغنية الصلعاء " (١٩٤٨) . وعُرضت لأول مرة على المسرح عام ١٩٥٠ .

تُعتبر أعمال يونسكو المسرحية المبكرة، الأكثر ابتكاراً، سواءً كانت من فصل واحد أم تلك التي تتكون من عدّة مشاهد هزلية مُمتدة . وتُعبّر مسرحياته عن المشاعر المعاصرة ، من حيث العُزلة واستحالة وعدم جدوى التواصل ، وذلك في قالب هزلي سريالي، يسخر فيه يونسكو من الانسياق خلف البرجوازية وكل أشكال المسرح التقليدية .

وفي كل هذه الأعمال يرفض يونسكو الاعتماد على حبكة القصة التقليدية كأساس لمسرحياته، وبدلاً من ذلك يستمد الحبكة الدرامية من الإيقاعات المتسارعة والتكرارات الدورية . وبذلك يتجاهل سيكولوجية وترابط الحوارات المتعارف عليها، وبالتالي تظهر الشخصيات التي فقدت

إنسانيتها لصالح الآلات ، أشبه ما تكون بالدُمى التي تتحدث بلا منطق . وتصبح اللغة ركيكة وفُفْكَكة، حيث تكتسب الكلمات والأشياء المادية حياتها الخاصة بها، وتقوم باكتساح الشخصيات شيئاً فشيئاً ، ممَّا يُؤلِّد إحساساً بالخطر .

بدأ يونسكو في استكشاف حالات دراماتيكية أكثر ثباتاً ، وتضم شخصيات أكثر إنسانية . وهو ما نلاحظه في شخصية بيرينجيه ، وهي شخصية أساسية في العديد من مسرحياته، وآخر مسرحية " السائر في الهواء " . حيث كانت شخصية بيرينجيه أقرب ما تكون شبه سيرة ذاتية يُعبّر من خلالها يونسكو عن مدى تعجُّبه و تألمه من غرائبية الواقع الذي يحيط به . حيث كان بيرينجيه ساذجاً بشكل هزلي ، سرعان ما يتحصّل على تعاطف الجمهور .

كتب يونسكو رواية الوحيدة " الناسك " (١٩٧٥) . وساهم في التنظير للكتابة المسرحية ، حيث كتب محاولاً تصحيح فهم النُّقاد الخاطي لأعماله ، وأنهم قد أثَّروا بذلك على الجمهور . وفي هذا الصدد ، أوضح يونسكو عدّة طرق يعتقد أنها قد تُساهم في إصلاح المسرح المعاصر، ويُعتبر كتاب "ملاحظات وملاحظات مُضادة " تجميعاً لكتابات يونسكو التي تحوي تأملاته وأفكاره حيث يُخبرنا لماذا اختار الكتابة للمسرح، كما تحتوي أيضاً ردّه المباشر على نُقَّاده المعاصرين .

في القسم الأول ، والذي كان بعنوان "تجربة المسرح"، يقول يونسكو إنه كان يكره الذهاب إلى المسارح في طفولته " لأنه لم يكن يشعر بأي متعة ، وأن ما يُعرَض لم يكن يُلامسه " . وكتب: إن المشكلة مع المسرح الواقعي تكمن في كونه أقل إثارة للاهتمام من المسرح الذي يعتمد على "الحقيقة التَّخَيُّلية " . والتي يعتقد أنها مثيرة للاهتمام وأكثر حرية من الحقائق الضَّيقة التي تُقدِّم بواقعية شديدة الصرامة . ويرى أن " الدراما التي تستند على مؤثرات بسيطة ليست بالضرورة دراما مُبسَّطة " .

من أبرز مسرحياته: معرض السيارات (١٩٥١). المستأجر الجديد (١٩٥٥). القاتل (١٩٥٨). الخرايت (١٩٥٩) . الملك يُحتَضَر (١٩٦٢) . ذو الحقائق (١٩٧٧). زيارة الموتى (١٩٨٠).

يورغن هابرماس ونظرية فعل التواصل

وُلد الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس (١٩٢٩ _ ...) في دوسلدورف . عمل والده مديرًا تنفيذيًا لغرفة الصناعة والتجارة ، و قد وصفه هابرماس الابن بأنه متعاطف مع النازية .

تربى في أسرة بروتستانتية ، ودرس في جامعات غوتنغن (١٩٤٩ _ ١٩٥٠) ، وزيبورخ (١٩٥٠ _ ١٩٥١) ، وبون (١٩٥١ _ ١٩٥٤) . ونال درجة الدكتوراة في الفلسفة من جامعة بون عام ١٩٥٤ بأطروحة " المطلق والتاريخ " حول التناقض في فكر شيلنغ .

في عام ١٩٥٦ ، درس الفلسفة وعلم الاجتماع على يد المنظرين النقيدين مثل ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو في معهد البحث الاجتماعي (مدرسة فرانكفورت) ، لكن بسبب خلاف بين الاثنين على أطروحته ، بالإضافة إلى اعتقاده الشخصي أن مدرسة فرانكفورت كانت قد أصبحت مشلولة بالشكوكية والازدراء السياسي للثقافة الحديثة ، أنهى تأهيله في العلوم السياسية في جامعة ماربورغ . وكانت دراسته بعنوان " التحولات البنيوية للأوضاع الاجتماعية : تساؤلات ضمن أصناف المجتمع البرجوازي " (١٩٦١) .

أصبح أستاذًا في جامعة بونج . وبقدر غير معتاد بالنسبة للأكاديمي الألماني في تلك المدة ، رُشِّحَ هابرماس ليكون أستاذًا استثنائيًا (أستاذ بدون كرسي) للفلسفة في جامعة هايدلبرغ بتوصية من هانز جورج غادامير . وفي عام ١٩٦٤ عاد إلى مدرسة فرانكفورت مدعومًا من قبل أدورنو لتولي كرسي هوركهايمر في مجال الفلسفة وعلم الاجتماع .

تسلَّم منصب مدير معهد ماكس بلانك في ستيرنبرج (قرب ميونخ) في عام ١٩٧١ ، وعمل هناك حتى عام ١٩٨٣ . بعد ذلك ، عاد هابرماس إلى كرسيه في فرانكفورت مديرًا لمعهد البحث الاجتماعي . ومنذ أن تقاعد من فرانكفورت في عام ١٩٩٣ ، واصلَ نشر أعماله ذات المواضيع واسعة النطاق ، وطرح خطابًا حول تأهيل الدُّور العام للدين في السِّياق العَلْمانِي، بخصوص تطور الفصل بين الكنيسة والدولة من الحياد إلى العَلْمانية الحادة .

يُعتَبَر هابرماس من أهم الفلاسفة وعلماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر . ويُعد من أهم مُنظري مدرسة فرانكفورت النقدية . له أكثر من خمسين كتابًا . يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم الاجتماع ، وهو صاحب نظرية الفعل التواصلِي . وقد وصل إلى درجة من الشهرة والتأثير العالمي لم ينجح الرعيل الأول من مُمثلي النظرية النقدية الاجتماعية والمعروفة في

حققت الفلسفة المعاصرة بمدرسة فرانكفورت في الوصول إليها . وعلى الرغم من الثقل العلمي لأفكار الجيل الأول (هوركهايمر ، أدورنو ، ماركوز ، إريك فروم ، ...) ، إلا أن هابرماس هو الفيلسوف الوحيد الذي فرض نفسه على المشهد السياسي والثقافي في ألمانيا ، بوصفه " فيلسوف الجمهورية الألمانية الجديدة " وفقًا لتعبير وزير الخارجية الألماني الأسبق يوشكا فيشر . يُعدُّ هابرماس الوريث الرئيسي المعاصر لتركة مدرسة فرانكفورت . وعلى الرغم من أن هناك أفكارًا مشتركة واضحة بينه وبين أسلافه ، إلا أنه قد نحا بهذه المدرسة منحى مختلفًا . وإذا كان ما يجمع أعمال أدورنو وهوركهايمر وماركوز الاهتمام الشديد بحرية الإنسان مهما بُعدت إمكانية وجود تلك الحرية عن أرض الواقع ، فإن هابرماس أقل حماسًا في هذا الجانب رغم وجوده . إنه يتحرر من التذبذب بين التفاؤل والتشاؤم ، ويُركّز جُل تفكيره بدلاً من ذلك على تحليل الفعل والبنى الاجتماعية . ولا جدال في انتماء هابرماس إلى اليسار .

يتوجّه هابرماس في أعماله ، وبخاصة في " نظرية فعل التواصل " إلى فلسفة اللغة ، من أجل توسيع أساس النظرية النقدية . وقد قدّم أطروحة صعبة يمكن تلخيصها في ثلاث مراحل : الأولى _ يدعو إلى ضرورة التحرر من " فلسفة الوعي " التي يعني بها الفيلسوف التي ترى العلاقة بين اللغة والفعل كالعلاقة بين الذات والموضوع (أي التحرر من منظومة الفكر التجريبي) . الثانية _ يمكن أن يتخذ الفعل صورتين ، الفعل الإستراتيجي وفعل التواصل . الأول يتضمن الفعل الغائي العقلاني ، في حين أن فعل التواصل هو ذلك الفعل الذي يرمي للوصول إلى الفهم . الثالثة _ يترتب على فعل التواصل الأولي أمران : ١ _ العقلانية بهذا المعنى ليس مثلاً تقتنصه من السماء ، بل هو موجود في لغتنا ذاتها ، إن هذه العقلانية تستلزم نسقاً اجتماعياً ديمقراطياً لا يستبعد أحداً . ٢ _ ثمة نظام أخلاقي ضمني يحاول هابرماس الكشف عنه ، وهو نظام الأخلاق الكلية الذي لا يتوجّه إلى تحليل مضمون المعايير بقدر توجّهه إلى طريقة التوصل إليها ، والتوصل إليها _ حسب هابرماس _ يكون عبر نقاش حر عقلائي . أمّا بالنسبة للرأسمالية فقد اعتبرها هابرماس مرحلة يمكن أن تنحرف فتؤدّي إلى كارثة ، لكنها عنده ليست شرّاً . وحول ماركس يرى هابرماس أن الجزء المبدع لأعماله أصبح مدفوناً تحت النزعة الأداتية والوصفية . ويرى هابرماس أن مسؤولية ذلك على عاتق ماركس نفسه ، وعلى تركيزه تركيزاً شديداً على العمل باعتباره الخاصية المميزة للبشر .

من أبرز مؤلفاته: النظرية والممارسة (١٩٦٣) . التواصل وتطوّر المجتمع (١٩٧٦) . نظرية الفعل الصريحة (١٩٨١) . الوعي الأخلاقي والفعل التواصلي ١٩٨٣ . الخطاب الفلسفي للحدث (١٩٨٥) .

يُوسُفُ بَرُودسكي ومُعارضة الاستبداد

وُلِدَ الشاعر الروسي يُوسُفُ بَرُودسكي (١٩٤٠ - ١٩٩٦) في لينينغراد ، وتُوفِّيَ في نيويورك . حصل على جائزة نوبل للآداب (١٩٨٧) ، وبذلك يكون واحدًا من أصغر الكُتَّاب الذين فازوا بهذه الجائزة . وتمَّ تعيينه مَلِكُ شُعراء الولايات المتحدة عام ١٩٩١ .

وُلِدَ بَرُودسكي في عائلة يهودية في لينينغراد . كان أبوه ألكسندر بَرُودسكي مُصَوِّرًا صحفياً حربيًا ، وقد تَسَرَّح من الجيش في عام ١٩٥٠ . كانت أُمُّه (ماريا) تعمل مُحاسبة . عانى بَرُودسكي خلال طفولته من الحرب وحصار لينينغراد ، والفقر في الفترة بعد الحرب ، ولم يكن يلتقي أباه إلا نادرًا .

في عام ١٩٤٢ انتقل هو وأُمُّه من لينينغراد ، ثُمَّ عادا إليها بعد فك الحصار في عام ١٩٤٤ . ترك بَرُودسكي المدرسة دون أن يتم الصف الثامن ، وتَقَدَّمَ للمسابقة إلى معهد الملاحة ، لكنه لم يُقْبَل فيه ، فبدأ التَدْرُب للعمل على فارزة في أحد مصانع لينينغراد ، وذلك نظرًا للمشاكل التي واجهته في المدرسة ، ولرغبته في دعم أسرته ماليًا .

خلال الفترة القادمة عمل في عِدَّة مهن ، منها ناظر منارة ، ومُشَرِّحًا في مشرحة . ومُنذ ١٩٥٧ في بعثات جيولوجية في البحر الأبيض وشرق سيبيريا . وخلال هذه الفترة كان يقرأ قراءة عشوائية وبكثرة ، بالدرجة الأولى الأدب الشعري والفلسفي والديني، ويحاول تعلُّم اللغتين الإنجليزية والبولونية .

بدأت مُلاحقاته في عام ١٩٦٣ ، فاستُدْعِيَ للتحقيق أكثر من مرَّة ، ووُضِع في مصحة عقلية مرتين . وفي عام ١٩٦٤ ، تمَّ اعتقاله لأول مرة ، وحُكِم عليه بالسجن والنفي مع الأشغال الشاقة، بتهمة التَّطَفُّل بِحُجَّة أنه لا يعمل، والإساءة إلى الشعر الروسي ، لأن ما يكتبه مُجرَّد " خُرافات " .

وحُكِم عليه بأقصى عقوبة، وهي العمل في منطقة نائية مُدَّة خمس سنوات ، فنُفِيَ إلى محافظة أرخانغيلسك . وقد ذُكِر بَرُودسكي لاحقًا في إحدى مُقابلاته الصحفية أنَّ تلك الفترة كانت أجمل فترات حياته ، وخلالها كان يدرس الشعر الإنجليزي .

لكن كُتَّابًا وشُعراء وفَنَّانين وغيرهم ، رَفَعُوا احتجاجًا إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وإلى اتِّحاد الكُتَّاب السوفييت ، من أجل إطلاق سراحه ، وهكذا أُطْلِقَ سراحه بعد ثمانية عشر شهرًا من الأشغال الشاقة .

هُرِّبَتْ بعض قصائده إلى خارج روسيا ، وُترجمت ونُشرت في أوروبا ، مِمَّا صَعَّدَ مِنْ مُحَاصِرَةِ السُّلْطَاتِ لَهُ ، حَيْثُ مُنِعَ مِنَ النِّشْرِ فِي الصَّحَافَةِ السُّوفِيَّيَّةِ نَهَائِيًّا . لَكِنَّ قَصَائِدَهُ جُمِعَتْ فِي أَوْرُوبَا وَأَمْرِيكَا ، فَصَدَرَتْ لَهُ فِي عَامِ ١٩٦٥ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مَجْمُوعَةٌ " قَصَائِد " ، ثُمَّ " مَحْطَةٌ فِي الصَّحْرَاءِ " . فِي عَامِ ١٩٧٢ ، تَمَّ اعْتِقَالُهُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَأُجْبِرَ عَلَى الرَّحِيلِ مِنْ رُوسِيَا ، فَاخْتَارَ الرَّحِيلَ إِلَى أَمْرِيكَا ، حَيْثُ تُؤَفِّي فِيهَا فِي عَامِ ١٩٩٦ . وَهَنَاكَ أَصْدَرَ مَجْمُوعَاتِهِ الشَّعْرِيَّةَ وَمُذَكِّرَاتِهِ وَمَسْرُوحِيَّتَهُ الْوَحِيدَةَ (الْمَرْمَر) .

إِنَّ الْاضْطِهَادَ لَمْ يَطْلُهُ وَحْدَهُ فَحَسَبَ ، وَإِنَّمَا امْتَدَّ لَوَالِدِيهِ ، إِذْ مَنَعْتُهُمَا السُّلْطَاتُ السُّوفِيَّيَّةُ مِنْ زِيَارَةِ ابْنَيْهِمَا خَارِجَ الْبِلَادِ حَتَّى وَفَاتَهُمَا دُونَ رُؤْيَتِهِ ، وَرُؤْيَا ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي وَقَفَ فِيهِ ابْنُهُمَا أَمَامَ أَدْبَاءِ الْعَالَمِ مُتَوَجِّحًا مَسِيرَتَهُ الشَّعْرِيَّةَ الْعَالَمِيَّةَ بِتَسْلُمٍ جَائِزَةٌ نُوْبِلَ لِلآدَابِ فِي عَامِ ١٩٨٧ .

خَصَّ بَرُودْسْكِي مَسْقَطَ رَأْسِهِ (لِينِنْغَرَاد) بِالكَثِيرِ مِنْ قَصَائِدِهِ . وَقَدْ بَدَأَ كِتَابَةَ الشَّعْرِ وَهُوَ فِي السَّادِسَةِ عَشْرَةِ مِنْ عُمرِهِ ، حَيْثُ كَشَفَ مِنْذُ قَصَائِدِهِ الْأَوَّلَى عَنْ مَهَارَةٍ فَنِيَّةٍ ، وَأَصَالَةٍ فَرِيدَةٍ ، وَنَبَرَةٍ خَاصَّةٍ ، رَكَزَتْ عَلَيْهِ انْتِبَاهَ مُجِبِّي الشَّعْرِ ، وَالسُّلْطَاتِ أَيْضًا .

وَلَمْ يَكْدِ يَبْلُغُ الْعِشْرِينَ مِنْ عُمرِهِ حَتَّى كَانَ مَعْرُوفًا بِاعْتِبَارِهِ أَهْمَ شَاعِرٍ مُعَارِضٍ وَغَيْرِ رَسْمِيٍّ ، بَلْ أَصْبَحَتْ كُلُّ قَصِيدَةٍ يَكْتُبُهَا حَدَثًا أَدِيبِيًّا يَهْزُ أَرْوَاقَ الْجَامِعَاتِ وَأَرْوَاقَ الْمَخَابِرَاتِ أَيْضًا ، إِذْ يَتَنَاوَلُهَا النَّاسُ خُفِيَّةً بَعْدَ أَنْ يَسْتَنْسِخُوهَا بِأَيْدِيهِمْ .

مِنْ أَبْرَزِ مَجْمُوعَاتِهِ الشَّعْرِيَّةِ : قَصَائِدُ (١٩٧٢) . جُزْءٌ مِنَ الْكَلَامِ (١٩٧٧) . حَوْلَ الْحُزَنِ

(١٩٩٥) .

يوكيو ميشيما ومجد اليابان الضائع

وُلد الأديب الياباني يوكيو ميشيما (١٩٢٥ - ١٩٧٠) في طوكيو ، وتُوِّفِي فيها . اسمه الحقيقي : هيراوكا كيميكاكي . يُعتَبَر من أبرز الروائيين اليابانيين في القرن العشرين ، وهو إضافة إلى ذلك قاص ومسرحي وكاتب مقالات مُجدِّد لغويًّا وأسلوبياً .

ينتمي ميشيما إلى عائلة ثرية من كبار موظفي الدولة . وتربَّى في بيت جدَّته صاحبة الجذور الأرستقراطية . تلقى تعليمه في مدرسة أبناء الأرستقراطيين . وفي الحرب العالمية الثانية تبَّين في الفحوص الطبية أنه لا يصلح مُقاتلاً ، فأدى خدمته العسكرية في مصنع لإنتاج الطائرات ، ثم درس الحقوق في جامعة طوكيو ، والتحقَ بعد تخرُّجه بوزارة المالية عام ١٩٤٧ ، وعمل فيها مُدَّة سنة . على أثر نجاح روايته الأولى " اعترافات قناع " (١٩٤٩) ، قرَّر ميشيما التفرغ كُليًّا للكتابة الأدبية . تحمل الرواية شيئاً من سمات السيرة الذاتية ، وتعالج بأسلوب التحليل النفسي مُعاناة شاب شاذ جنسياً في وسط اجتماعي يرفض هذه الظاهرة ، وينبذ مثل هؤلاء الأشخاص .

رَكَّز ميشيما في رواياته اللاحقة على شخصيات تعاني من مشكلات نفسية أو أمراض جسدية تعوقها عن الاستمتاع بالحياة والشعور بالسعادة . فكتب عام ١٩٥٠ " تَوَقُّ إلى الحب " ، و " ألوان محظورة " (١٩٥٤) . وكتب في العام نفسه " صوت الأمواج " ، ثُمَّ " معبد الجناح الذهبي " (١٩٥٦) . أمَّا في روايته " بعد المأدبة " (١٩٦٠) ، فقد تناول ميشيما موضوعاً جديداً هو الحب في مرحلة الكهولة بين موظف وموظفة في وسطٍ من الفساد السياسي المستشري في دوائر الدولة . في النصف الثاني من خمسينيات القرن العشرين ، أبدى ميشيما اهتماماً خاصاً بموضوعات المسرح الياباني التقليدي القديم ، أي مسرح " نو " الذي يُقارب المأساة بمفهومها الأوروبي ، فاستعاد خمس مسرحيات وقَدَّمها بمعالجة جديدة ، ومن منظور الإنسان الياباني الحديث ، وأصدرها في كتاب واحد بعنوان " خمس مسرحيات حديثة من مسرح نو " (١٩٥٦) . وبعد سنوات عاد إلى المسرح ، ولكن في صيغته الأوروبية الحديثة في مسرحية " المركيزة دي ساد " (١٩٦٥) .

تُعتَبَر الرباعية الروائية " بحر الخصوبة " (١٩٦٥ - ١٩٧٠) أهم أعمال ميشيما وأكثرها نضجاً ، ويُمكن أن تُقرأ على أنها مُؤلَّفة من أربع روايات منفصلة ، أولها بعنوان " ثلج الربيع " ، والثانية " الجياد الهاربة " ، والثالثة " معبد الفجر " ، والأخيرة " سقوط الملاك " .

تقع أحداث الرباعية في اليابان في الفترة (١٩١٢ - ١٩٦٠) . وفي كل جزء من الرباعية تتجلى الشخصية الرئيسية في حالة تقمُّص مختلفة ، فهي شاب أرستقراطي في الجزء الأول ، وسياسي متعصب في الثاني، ثم أميرة في البلاط الإمبراطوري قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، ولتظهر في الجزء الأخير يتيماً شريفاً في عقد الستينيات .

ويرى النقاد أن هذه الملحمة تُصوِّر في أحد جوانبها رفضَ الكاتب عُقم العصر الحديث الذي غزت فيه الحضارة الغربية اليابان ، وتغلغلت فيها على جميع الأصعدة . ويتجلى فيها أيضاً عشق الكاتب للطبيعة ، واعتناؤه بوصف تفاصيلها .

في السنوات الأخيرة من حياته ، شكّل ميشيما جيشاً مُصغراً درَّبه على أساليب قتال الساموراي، وبث فيه روح الوطنية وحُب الإمبراطور رمز اليابان الأصيلة في مواجهة مادية الغرب أو التطرف الشيوعي .

وفي ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٧٠ احتل الكاتب مع أربعة من أتباعه مكتب أمير القوات العسكرية في وسط طوكيو ، في محاولة انقلاب فاشلة لاستعادة سلطات إمبراطور اليابان ، وخطب من شرفته آلاف العسكريين المجتمعين مُطالباً إياهم بمعارضة دستور ما بعد الحرب الذي يمنع اليابان من بناء جيشها الحديث ، والقيام بأية حرب . ولمّا كانت استجابتهم سلبية ، انتحر ميشيما أمامهم بأسلوب " سيبوكو " التقليدي بأن بَقَرَ بطنه بسيفه، ثم قام أحد أتباعه بقطع رأسه ، وعُرفت بـ " حادثة ميشيما " .

وسبق للكاتب أن تنبأ بهذه الواقعة في قصته القصيرة " نضال وطني " من مجموعة القصص القصيرة التي نشرها في عام ١٩٦٦ . وقد تُرجمت معظم أعماله إلى اللغة العربية .

رُشِّحَ ميشيما للحصول على جائزة نوبل للآداب ثلاث مرات، وكان اسمه معروفاً على نطاق عالمي ، ويُعد من أشهر الكُتّاب اليابانيين في القرن العشرين، وقد مزجت أعماله الطليعية بين القيم الجمالية الحديثة والتقليدية ، وحطّمت الحواجز الثقافية ، وكانت الجنسية والموت والتحول السياسي من أهم محاورها .

وفي عام ١٩٨٨ ، تمّ تأسيس جائزة يوكيو ميشيما الأدبية تكريماً له .

يوهانس فلهلم ينسن وسقوط الملك

وُلد الأديب الدنماركي يوهانس فلهلم ينسن (١٨٧٣ - ١٩٥٠) في فارسو ، وهي قرية في شمال جوتلاند بالدنمارك . وتُوفِّي في كوبنهاجن . كان والده طبيبًا بيطريًا . يُعتبر ينسن أول كاتب دنماركي كبير في القرن العشرين . وقد حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٤٤ .

اتَّجه في بداية حياته لدراسة الطب ، لكنه اضطرَّ إلى ترك دراسته بسبب ظروفه المادية الصعبة . وتوجَّه إلى عالم الكتابة والأدب . تزوَّج عام ١٩١٠ ، واستقر في كوبنهاجن لعدة سنوات ، لكنه كان مُحبًا للسفر ، فزار معظم بلاد العالم ، ونشر عددًا من الروايات المسلسلة باسم مستعار ، وعمل مُراسلًا للصحف في إسبانيا وأمريكا .

تُعتبر روايته " الدنماركيون " (١٨٩٨) أول عمل ينشره باسمه الحقيقي ، وقد عرَّفت القُرَّاء به ، وأسست لعلاقة متينة بينه وبين مُتابعي الأعمال الأدبية . ثُمَّ أتبعها في نفس العام برواية " حكاية سكان هيمرلاند " التي تُمثِّل ميلاده الأدبي الحقيقي ، وبداية شهرته العالمية . كان ينسن كاتبًا غريب الأطوار ، ومُثيرًا للجدل في الحياة الثقافية الدنماركية ، فهو معروف بجداله المتهور ، وأطروحاته الفكرية الغريبة ، وأفكاره التي تعتبرها الشكوك والعنصرية ، ومع هذا ، فلم يُظهر أية ميول فاشية أو مُعادية للأجناس والأعراق .

ولا يزال ينسن حتى يومنا الحالي ، يُعتبر الأب الروحي للحدثاثة الدنماركية ، خصوصًا في مجال الشَّعر الحديث . فقد كتب قصيدةً النثر ، وعُرف بأسلوبه القائم على استخدام اللغة الحية والمباشرة ، وامتازت أعماله الأدبية بتصوير تطور الفرد كجزء من التطور العام للبشرية والحضارة .

إن اسم الكاتب ينسن يرتبط دائمًا بروايته الملحمية العالمية " سقوط الملك " (١٩٣٣) التي كانت السبب الرئيسي لفوزه بجائزة نوبل للآداب . وتمَّ اختيار هذه الرواية أفضل رواية دنماركية في القرن العشرين ، وذلك في استفتاء نظَّمته الصحافة الدنماركية عام ١٩٩٩ .

وهذه الرواية التاريخية تتحدث عن وقائع تاريخية مُتخيَّلة بأسلوب رمزي مُبطَّن ، حيث تظهر التناقضات الإنسانية ، وتبرز الإشكاليات التاريخية ، وتكشف تفاصيل الحياة وطبيعة حركتها في الزمان والمكان . وتظهر الشخصيات التي لعبت دورًا محوريًا في كشف خيوط اللعبة الإنسانية والتاريخية _ إن جاز التعبير _ .

والرواية تُمثّل سيرة تاريخية رمزية مُتخيّلة لزمن الملوك والقيصرة، حيث يتمّ تسليط الضوء على شخصية الملك كريستيان الثاني ، أحد ملوك الدنمارك في القرن السادس عشر . تقوم الرواية على فكرة المزج بين الواقعية النقدية والواقعية الشاعرية ، وضمن هذا الخليط الرمزي ، يتّضح مسارُ حياة هذا الملك ومصيره ، وتظهر مشاعره وأحلامه وانكساراته ولحظات ضَعفه . كما تتناول الرواية أحوال الدنمارك بعد تمرد الشعب السويدي على الاحتلال الدنماركي في ذلك الوقت .

وهنا يتّضح مبدأ التحليل الرمزي ، ومحاولة إسقاطه على تفاصيل الواقع . كما تتّضح الدلالات الفلسفية العميقة التي تحكم العلاقات الإنسانية ، وتتحكم بالعلاقات بين الدول والشعوب .

قدّم الكاتب رؤيته التحليلية للإشكاليات النقدية المتعلقة بثقافة عصر ما قبل الحداثة ، وصوّرَ مراحل التطور الإنساني كجزء من منظومة تطور البشرية على جميع الأصعدة . إنّ هذه الرواية العالمية تكمن قُوّة تأثيرها في الأفكار الكامنة بين السطور ، وصُوّرها الفنية متعددة الطبقات والدلالات، والأزمات الإنسانية الوجودية، والعلاقات الدولية المنكسرة والمتشظية، واستحضار التاريخ ، وإعادة صياغته فلسفياً ورمزياً وخيالياً ، من أجل إثبات حقيقة أن الرموز السُلطوية تظل باقية في كُل زمان ومكان .

من أبرز أعماله الأدبية : الغابات (١٩٠٤) . قصائد (١٩٠٦) . العالم الجديد (١٩٠٧) . أساطير جديدة (١٩٠٨) . روح الشمال (١٩١١) . الفصول (١٩٢٣) .

يوهان غوته وثقافة الإسلام

وُلِدَ الأديب الألماني يوهان غوته (١٧٤٩ _ ١٨٣٢) بمدينة فرانكفورت بألمانيا . ينحدر من أسرة برجوازية . كان والده خبيراً حقوقيًا ، وكانت والدته ابنة محافظ فرانكفورت . لم ينتسب غوته إلى أية مدرسة ، ولكنه تلقى تعليمه على يد أبيه ، وعدد من المعلمين الخصوصيين في اللغات والعلوم والمعارف المختلفة .

غادرَ غوته مسقط رأسه عام ١٧٦٥ ، مُتَوَجِّهًا إلى لايبزيغ لدراسة الحقوق ، نزولاً عند رغبة أبيه . لكنه أظهر اهتمامًا بمحاضرات الأدب ، كما اتصل بعدد كبير من الأدباء والفنانين . تعرَّضَ غوته لمشكلة صحية بعد أزمة عاطفية . وبعد أن تعافى منها ، توجهَ عام ١٧٧٠ إلى مدينة شتراسبورغ ذات الهوية المزدوجة (الألمانية / الفرنسية) لِيُنْهِيَ دراسته في جامعته . وقد حصل غوته على الإجازة في الحقوق ، وعادَ في نهاية عام ١٧٧١ إلى فرانكفورت ليمارس المهنة ، إلا أن والده وأحد أقربائه هما اللذان أدارا العمل ، في حين التفتَ غوته إلى كتاباته الأدبية ، فبدأ التخطيط لمسرحية " غوتس فون برليشنغن " ، وأخرجها عام ١٧٧٣ ، ولاقت نجاحًا واسعًا ، ولفتت انتباه حركة " العاصفة والاندفاع " الأدبية الفكرية ، إذ شعروا بشكسبير يُعَثَّ في ألمانيا . نشر غوته رواية " آلام الشاب فرتير " (١٧٧٤) ، وأحدثت عند نشرها دَوْنًا هائلاً ، وجعلت منه أديباً مشهوراً ومحط اهتمام النقاد ، لا سيَّما بعد أن نشر وأخرج في العام نفسه مأساة " كلافيغو " التي تُعالج الصراع بين الحب والوفاء من جهة، والطموح المهني والشهرة من جهة أخرى. وفي نفس المرحلة ، بدأ غوته العمل على مادة " فاوست " التي شغلت ما يُقارب ستة عقود من حياته حتى اكتملت فَنِّيًّا .

واللافت في سعة اهتمامات غوته هو إعجابه بشخصية النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، وتناولها من وجهة نظر مُغايرة كُليًّا لِمَا كان سائدًا آنذاك عن الإسلام ونبيِّه الكريم . ففي أوائل سبعينيات القرن الثامن عشر ، اشتغل غوته على مسرحية بعنوان " محمد " بقيت غير مكتملة . تعرَّضَ شخصية النبي بصفته عبقرياً يحمل قَبْسًا رَبَّانِيًّا ، يُريد نشره بين الناس من أجل خيرهم ، لكنهم يقفون في وجهه بقسوة ، إلى أن يدرك بعضهم صدق الرسالة ، فَيُؤْمِنُون ويُبَصِّرُون . انتقلَ غوته إلى إيطاليا ، وجالَ فيها مدة عامين . واكتشفَ فيها تجارب ثرية وعميقة على الصعيد الفني والأدبي والعلمي ، وعلى مستوى الاحتكاك المباشر بالناس والطبيعة .

نشر غوته مجموعة قصائد " المراثي الرومية " (١٧٩٠) إلى جانب بعض المسرحيات الترفيهية للبلاط . وفي هذه الأجواء التي أدّت إلى ضعف علاقات غوته اجتماعيًا وانعزاله النسبي ، مال قلبه إلى فتاة من عامة الشعب شبه أمّية ، فأقامت في منزله مع أختها ، وإحدى قريباتها ، إلا أنه لم يستطع الاقتران بها رسميًا خوفًا من الوسط الاجتماعي. لكنها ظلّت معه ، وساندته كرفيقة وعشيقة، حتى عام ١٨٠٦ ، عندما دافعت عنه ببسالة في وجه جنود نابليون ، فأعلن زواجهما ، واعترف بأبوتّه لابنهما الذي كان في السابعة عشرة من عمره حينذاك .

في ربيع عام ١٨١٤ قرأ غوته ترجمةً لديوان الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي ، وتأثّر به إلى حد كبير ، لدرجة أنه ألّف " الديوان الغربي الشرقي " (١٨١٩) كنتيجة لهذا اللقاء الروحي بين الشاعرَيْن . ويحتل هذا الديوان المرتبة الثانية في الأهمية بعد " فاوست " بين مؤلفات غوته كلّها . ويُعتبر " الديوان الغربي الشرقي " أبرز وثيقة ، عبّر فيها غوته عن موقفه من مسألة الأديان (الإسلام واليهودية والمسيحية والمجوسية) . وكان نصيب الإسلام الأوفر ، لا سيّما أن الديوان قد نشأ تحت تأثير إسلامي خالص عبر أشعار حافظ الشيرازي . ولهذا ، فإن الطابع الإسلامي غالب على كلّ شيء فيه . حتى القصص التي وُجدت أصولها في المسيحية ، ووردت في القرآن ، أخذها غوته عن القرآن . ولطالما أظهر غوته إعجابه الشديد بالإسلام ، حتى عدّه والتقوى شيئًا واحدًا . وقد قال فيه أيضًا : ((إذا كان معنى الإسلام هو التسليم لله ، فعلى الإسلام نحيا ونموت جميعًا)) . وقد قال عالم اللاهوت السويسري هانس كونغ في كتابه " المسيحية وأديان العالم " (١٩٧٠) : ((ما من أحد ساهم في إعادة الاعتبار للإسلام في أوروبا بعد تهكّم فولتير مثل غوته ، في الديوان الغربي الشرقي)) .

مع مطلع عام ١٨٣٢ ، أتمّ غوته " مأساة فاوست _ الجزء الثاني " . وبذلك يكون الشاعر قد أنجزَ العمل الجبار الذي رافقه طوال ستين عامًا من عمره . وفيه أعاد صياغة الموضوع الشعبي في الشكل الكلاسيكي : (مقدمة في السماء) تتبعها خمسة فصول . وتتكوّن المأساة من أبيات مُقَفَّاة ، أصبحَ معظمها مقولات مأثورة . وعلى الصعيد الفلسفي، صارَ قَدَرُ العالم " فاوست " _ الذي لا تستطيع دراسة العلوم أن تُرضيه _ مُمَثِّلًا لِقَدَرِ كُلِّ إنسان طموح أخطأ الطريق ، فيظهر الشيطان ليعرض عليه خدماته ، مُطَالِبًا بروح " فاوست " ثمنًا لمساعدته ، ويصير العَقْدُ مع الشيطان رهانًا بين الاثنين . وتدور الأحداث في ظل هيمنة الكنيسة الكاثوليكية على مقاليد الأمور كافة في العصور الوسطى .

يوهان فيخته والمثالية الألمانية

وُلد الفيلسوف الألماني يوهان فيخته (١٧٦٢ _ ١٨١٤) في مدينة رامنو ، في ولاية ساكسونيا . بدأ دراسته في إكليريكية مدرسة جينا لللاهوت . في عام ١٧٨٤ ، ودون إكمال شهادته أنهى فيخته دراسته ، ثم عمل مُدرِّسًا خاصًا في زيورخ .

دَرَسَ فيخته في جامعة يينا في الفترة (١٧٩٤ _ ١٧٩٩) ، كما كان مُحاضِرًا ذا شعبية ، إلا أنه فقد شعبيته بعد أن اتَّهم بالإلحاد. وقد التحق بهيئة التدريس في جامعة برلين من عام ١٨١٠ إلى حين وفاته .

يُعتَبَر فيخته واحدًا من أبرز مُؤسَّسي الحركة الفلسفية المعروفة بالمثالية الألمانية ، الحركة التي تطوَّرت من الكتابات النظرية والأخلاقية للفيلسوف كانت . وكثيرًا ما يُقدَّم فيخته على أنه الشخص الذي كانت نماذج فلسفته جسرًا بين أفكار كانت وهيغل .

بدأ الفلاسفة والدارسون حديثًا تقدير فيخته كفيلسوف هام في حد ذاته ، لأجل رؤاه المختلفة في طبيعة الوعي الذاتي والإدراك الذاتي . وكانت مشكلة الذاتية والوعي دافعًا لتأمله الفلسفي . وقد كتب أيضًا في الفلسفة السياسية . ويُنظر إليه _ من قِبَل الكثيرين _ كأب للقومية الألمانية .

في عام ١٧٩٠ ، بدأ فيخته في دراسة أعمال الفيلسوف كانت ، التي اتَّخذها مرجعًا له طوال مسيرته الفكرية . وبعدها بوقت قصير التقى فيخته بأستاذه كانت في مدينة كونيجسبرغ .

أصدرَ فيخته كتابه الأول " محاولة في نقد الثورة " عام ١٧٩٢ . وقد حاول فيه الربط بين الوحي الإلهي وفلسفة كانت المادية النقدية . ونُشرت الطبعة الأولى من الكتاب بدون علم فيخته ولا كانت ، وبدون اسم المؤلف ، وبدون مُقدِّمة مُوقَّعة . وهكذا ظنَّ القُرَّاء المُتابعون خطأً أنه كتاب جديد للفيلسوف كانت نفسه . جميع القُرَّاء في بداية الأمر ، ومن ضمنهم النُّقاد الذين كتبوا مراجعات أولية عن الكتاب ، ظنُّوا أن كانت هو مؤلف الكتاب . حينها ظهر كانت للناس ووضَّح الالتباس الذي حصل ، وفي نفس الوقت أشاد بالكتاب ومؤلف الكتاب . وبعد هذا المديح والإطراء ارتفعت شهرة فيخته .

كان فيخته يُحاكي أسلوب كانت شديد الصعوبة . فَقَدَمَ فيخته أعمالًا بالكاد مفهومة . وجاء في كتاب تاريخ الفلسفة كلام عن هذا الأسلوب الصعب : ((لم يكن فيخته يتردَّد في التَّباهي بمهارته الفائقة في التظليل والتعظيم . وكان يُشير إلى طلابه أحيانًا كثيرة بأنه ليس هناك إلا رجل

واحد فقط في العالم يتمكن تمامًا من استيعاب ما يكتبه فيخته . وحتى هذا الرجل الواحد سيواجه مشاكل في اقتناص المعنى الحقيقي وراء كتابات فيخته)) . وهذه الملاحظة كثيرًا ما تُنسب خطأً إلى الفيلسوف هيغل .

يُعتبر فيخته أن العقل جوهر الوجود. ويؤكد أن أفكارنا ليست وليدة التعامل مع العالم المادي . وبدلاً من ذلك ، فإن عقولنا جزء من العقل المبدع الكلّي . وقد تناول فيخته هذه الأفكار في كتابه " أساس النظرية الكاملة للمعرفة " (١٧٩٤) . ومن مؤلفاته السياسية الكبرى ، كتابه الوطني " خطب للأمة الألمانية " (١٨٠٨) . وفي هذا الكتاب ، عبّر فيخته عن إيمانه بالحضارة الألمانية وبالروح الوطنية . وقد ترك الكتاب أثراً كبيراً على الوعي القومي الألماني .

قسّم فيخته الفلسفة إلى قسمين : ١ _ الدوغماتيين ، أصحاب النظريات الذين يؤكّدون نظرياتهم أو أفكارهم ، ويرفضون كل نظرية غيرها ، أو القائلون بالوجود الحقيقي للمادة خارج العقل . إنهم مقتنعون بأن الأشياء موجودة بشكل مستقل خارج العقل أو النفس . ٢ _ المثاليون ، الذين يعتقدون أن كل التجارب وكل الحقائق هي مفاهيم عقلية . وعلى هذا فهي كل الحقيقة . أصبح فيخته مُعتمداً في تدبير أمور معيشتة على محاضراته العامة التي ينشرها ، وراح يتّجه أكثر فأكثر نحو الإيمان المسيحي، والوطنية الألمانية .

وفي عام ١٨٠٥ ، دُعِيَ ليشغل منصب أستاذ الفلسفة في جامعة إرلانجن ، فحقّق لنفسه فيها شهرةً جديدة . اضطرّ _ بعد دخول جيوش نابليون ألمانيا _ إلى البحث عن منصب أكثر أمناً ، فعَبَرَ إلى شرق بروسيا ، وراح يُدرّس لفترة في كونجسبرج ، وأدى اقتراب جيوش نابليون بعد ذلك بفترة وجيزة إلى انتقاله هذه المرّة إلى كوبنهاجن . وفي أغسطس عام ١٨٠٧ ، عاد إلى برلين مرة أخرى بعد أن تعب من العيش بلا وطن ، وهناك ترك الفلسفة جانباً ، وأعطى كل جهده لاستعادة كرامة شعب مُمزّق طُعِن في كبريائه . وفي عام ١٨١٠ ، عُيّن رئيساً لجامعة برلين الجديدة . وعندما بدأت بروسيا حرب التحرير ، حثّ فيخته طلبته بحماس بالغ على طرد المحتل ، حتى إن كلهم تقريباً دخلوا الجندية . وتطوّعت زوجة فيخته للعمل كممرضة ، وأصيب بالحمى ، فراح يعتني بها نهاراً، ويلقي محاضراته في الجامعة مساءً ، وانتقلت إليه العدوى منها، فعاثت هي ، ومات هو في ٢٧ يناير ١٨١٤ . وبعد ذلك بخمس سنوات ماتت ، فدُفِنَت إلى جواره على وَفْق العادة القديمة في الدفن التي تسمح للعاشقين والزوجين أن يُدفنَا مُتجاورين رمزاً لأنهما أصبحا بعد الموت كياناً واحداً ، حتى لو لم يجتمع منهما سوى العظام .

إدغار آلان بو وحياة التشرد [7] إدغار رايس بوروس وشخصية طرزان [9] إدغار موران ونظرية التعقيد [11] آدم سميث وعلم الاقتصاد السياسي [13] إدموند سبنسر وملكة الجن [15] إدموند هوسرل ومتاهة الظاهراتية [17] إدوارد سعيد وكتاب الاستشراق [19] أرتور شوبنهاور وكراهية النساء [21] آرثر دويل وشخصية شرلوك هولمز [24] آرثر رامبو والضياء الشامل [26] آرثر ميلر والتمويل اليسارية [28] أرسطو وتأسيس علم المنطق [30] إرنست بلوخ ومبدأ الأمل [32] إرنست همنغواي وسلالة الانتحار [34] إرنستو ساباتو وخطورة العلم [36] أرنولد تويني ومسألة الحضارات [38] إريك أكسل كارفلت وعقدة الأب [40] إريك فروم وقضية الاغتراب [42] إسك سنجر وحياة اليهود [44] إسحاق عظيموف وزعامة الخيال العلمي [46] أسخيلوس والمأساة الإغريقية [48] أغاثا كريستي وزعامة الرواية البوليسية [50] أفلاطون وأسلوب المحاورات [52] أفلوطين وزعامة الأفلاطونية الحديثة [54] آلان باديو وتأيد الربيع العربي [56] ألبرت شفايتزر وتقديس الحياة [58] ألبرتو مورافيا ومشاعر الجنس [60] أليير كامو وفلسفة العبث [62] ألدوس هكسلي وتجربة المخدرات [64] ألفريد تيسون والشعر الغنائي [66] ألفريد دي موسيه وصدمة الخيانة [68] ألفريد نورث وايتهيد والمنطق الرمزي [70] ألفريدي يلينيك والإباحية الفاضحة [72] ألفونس دو لامارتين والأحاسيس الجياشة [74] ألكسندر بوب والمعاناة الصحية [76] ألكسندر بوشكين وطبقة النبلاء [78] ألكسندر سولجينيتسين وأرخيل غولاغ [80] إلياس كانيتي وعشق مراکش [82] أليس مونرو والتعقيدات البشرية [84] أمبرتو إيكو واسم الورد [86] إميل دوركايم واستقلالية علم الاجتماع [88] إميل زولا ومنهج الطبيعية [90] إميل سيوران وفلسفة اليأس [92] إميلي برونتي ومرتفعات ويدرنغ [94] إميلي ديكنسون والانقطاع عن العالم [96] أنا أخماتوفا ومناهضة السلطات الشيوعية [98] أناتول فرانس ورفض الأحزاب [100] آن برونتي وموت الحبيب [102] أندريه بريتون وتأسيس السريالية [104] أندريه جيد والاستغلال الجنسي [106] أندريه غلوكسمان ودعم المقاومين الإسلاميين [108] أندريه مالرو والاعتماد على الذات [110] أنطون تشيخوف وزعامة القصة القصيرة [112] أنطونيو غرامشي ودفاتر السجن [114] أوجينيو مونتالي والجيل

المتألم [116] أوديسو إيتيس واليونان القديمة [118] أورهان باموق والمحرمات السياسية [120] أوسفالد شينغلر وانحدار الغرب [122] أوسكار وايلد والحياة المنهارة [124] أوغست كونت وتأسيس المذهب الوضعي [126] أوغسطينوس وكتاب الاعترافات [128] أوفيد والشعر الشهواني [130] أوكتايفو باث ومتاهة الغزلة [132] أونوريه دي بلزاك وغزارة الإنتاج [134] إيتالو كالفينو والخيال التاريخي [136] إيفان بونين والتأثر بالقرآن [138] إيفند يونسون وطبقة العمال [140] إيفو أندريتش ومُعَاداة الإسلام [142] إيمانويل كانت ونقد العقل الخالص [144] إيمانويل ليفيناس وتفسير التوراة [146] إيمري كيرتيش وصناعة الهولوكوست [148]

ب

بابلو نيرودا والذكريات الضائعة [150] باتريك موديانو والهوية الضائعة [152] باتريك وايت ورفض الجوائز [154] بار لاغركفيست ورواية الإنجيل [156] باروخ سبينوزا ومنهج الأخلاق الهندسي [158] باول تسيلان وكابوس معسكرات الاعتقال [160] باولو كويلو ورواية الخيميائي [162] برام ستوكر ورواية دراكولا [164] برتراند راسل والقضية الفلسطينية [166] برتولت بريخت ومُشاركة المُشاهد في المسرحية [168] برنارد لويس والأرشفيف العثماني [170] برنار هنري ليفي ودعم الثورات العربية [172] بندتو كروتشه وفلسفة الجمال [174] بوذا واكتشاف سبب الألم [176] بوريس باسترنك وإلهام العشيقات [178] بول أوتر واختراع الغزلة [180] بول إيلوار والتحرر من التقاليد الشعرية [182] بول ريكور والنزعة الفلسفية الإنسانية [184] بول فاليري ونشوء الوعي [186] بول فون هابس وخيانة أستاذه [188] بول فيرلين والشعراء الملعونون [190] بيشتي أليكساندري والمراحل الشعرية [192] بيرسي شيلي والدعوة إلى الإلحاد [194] بيرل باك ورفض التنصير [196] بيورنستين بيورنسون وكواليس المسرح [198] بيير أبيلار والحب المأساوي [200] بيير بورديو وأنماط السيطرة الاجتماعية [202]

ت

تالكوت بارسونز ونظرية الفعل الاجتماعي [204] تزفيتان تودوروف والفكر النقدي الإنساني [206] تشارلز بوكوفسكي والانتماء إلى المكان [208] تشارلز ديكنز والطفولة البائسة [210] تشيسلاف ميلوش ومساعدة اليهود [212] توما الأكويني والتمسك بمنطق أرسطو [214]

توماس بين ونقد المسيحية [216] توماس ترانسترومر والشَّلَّ النصفى [218] توماس ريد والإدراك الفطري [220] توماس ستيرنز إليوت والأرض الخراب [222] توماس كارلايل وعبادة الأبطال [224] توماس مان وقسوة النازية [226] توماس مور والإعدام بالمقصلة [228] توماس هاردي ودراسة التناقضات الاجتماعية [230] توماس هوبز والعقد الاجتماعي [232] توني موريسون ومأساة السود [234] تيد هيز ورمزية الغراب [236] تيودور أدورنو والمشاكل الثقافية [238] تيودور مومسن وإغراء التاريخ [240]

ج

جاك بريفير والسهل الممتنع [242] جاك دريدا ونظرية التفكيكية [244] جاك لاكان والقراءة التفسيرية لفرويد [246] جاك لُنْدُن والصراع الطبقي [248] جان بول سارتر ومأزق الوجودية [250] جان بياجيه وتطوّر تفكير الطفل [252] جان جاك روسو وتربية النشء [254] جان جينيه والتخلي عن الجريمة [256] جان دو لافونتين والقصص الخرافية [258] جان راسين والتراجيديا الكلاسيكية [260] جان فرانسوا ليوتار وما بعد الحداثة [262] جان ماري غوستاف لوكليزيو والغزلة الاختيارية [264] جاو شينغجيان وجبل الروح [266] ج. ك. رولينغ وإمبراطورية هاري بوتر [268] جوتلوب فريجه وتأسيس علم الدلالات [270] جورج إليوت والعلاقة غير الشرعية [272] جورج أمادو والفكاهة الهجائية [274] جورج أورويل والنقد السياسي [276] جورج بايرون والمغامرات الطائشة [278] جورج برنارد شو ومتاهة التناقضات [280] جورج بيركلي وإنكار وجود المادة [282] جورج سانتيانا وأنواع الوجود [284] جورج سيميل والتفاعلات الاجتماعية [286] جورج صاند وكثرة الفضائح [288] جورج لوكاش والبنوية التوليدية [290] جورج مور والنزعة الحدسية [292] جورج هربرت ميد وعدم نشر الكتب [294] جورج هيغل وفلسفة التاريخ [296] جوزويه كاردوتشي وتمجيد الشيطان [298] جوزيبي أونغاريتي والاعترافات الشعرية [300] جوزيف روديارد كبلينغ وتأيد الاستعمار [302] جوزيف كونراد وقلب الظلام [304] جوزيه ساراماغو ومُعَادَاة الفاتيكان [306] جوستاف فلووير ومدام بوفاري [308] جول فيرن والتنبؤات العلمية [310] جوليا كريستيفا والتجسس على المثقفين [312] جوناثان سويفت والأمراض العقلية [314] جون تولكين وسيّد الخواتم [316] جون درايدن والهجاء القاسي [318] جون دون وتأسيس الشعر الميتافيزيقي [320] جون ديوي وفلسفة التربية والتعليم [322] جون راسكن ونشر الحس الفني [324] جون رولز ونظرية

العدالة [326] جون ستيوارت ميل وحريّة الفرد [328] جون شتاينيك والطبقة
الكادحة [330] جون غلزورثي وقيود المجتمع [332] جون كالفن والطغيان باسم الدين [334]
جون كيتس والرومانسية الضائعة [336] جون لوك وزوج التسامح [338] جون لو كاريه
والجاسوسية في الحرب الباردة [340] جون ماكسويل كويتزي ولعنة الاستعمار [342] جون
ميلتون والفردوس المفقود [344] جيرمي بنشام ومبدأ النفعية [346] جيروم ديفيد سالينغر
والحارس في حقل الشوفان [348] جيفري تشوسر وحكايات كانتربري [350] جيل دولوز
وتاريخ الفلسفة [352] جيمس جويس ورواية عوليس [354] جيمس فينيمور كوبر والحياة
الهندية في أمريكا [356] جين أوستن وطبقة مُلاك الأراضي [358] جيورجوس سفريس
والانقلاب العسكري [360]

ح

حنة أرندت والأنظمة الشمولية [362]

خ

خائنتو بينافيتي والشذوذ الجنسي [364] خوان رامون خيمينيث والأمراض النفسية [366] خوان
رولفو وتأسيس الواقعية السحرية [368] خورخي بورخيس وكراهية الجماع [370] خوسيه
إتشيفاراي وهجرة العلوم [372] خوليو كورتاثار ورواية الحجلة [374]

د

داريو فو والمسرح الساخر [376] دانتي أليغييري والكوميديا الإلهية [378] دوريس ليسينغ
والتمرد الأنثوي [380] ديريك والكوت واتهامات التحرش الجنسي [382] ديفيد هيربرت
لورانس والكتابات الجريئة [384] ديفيد هيوم والإلحاد الفلسفي [386]

ر

رابندرانات طاغور وصدمة الأحرار [388] رالف والدو إمرسون وفلسفة التعالي [390] راينر
ريلكه وزمن العزلة [392] رفايل ألبرتي والجمع بين الرسم والشعر [394] روبرت ساوذي
وانطفاء الشهرة [396] روبرت ستيفنسون وجزيرة الكنز [398] روبرت فروست وسحر الطبيعة
[400] روجيه غارودي وفضح السياسة الصهيونية [402] روجيه مارتن دوغار ورفض
العنف [404] رودلف أوكن ونقد الاشتراكية [406] رودلف كارناب والبناء المنطقي [408]
رولان بارت وعلم العلامات [410] رومان رولان ورفض الحروب [412] رومان ياكوبسون وعلم

الصوتيات [414] ريمون آرون وتعريف علم الاجتماع [416] رينيه ديكارت وزعامة الفلسفة الحديثة [418] رينيه شار وصعقة الشعر [420]

ز

زيجمونت باومان والحداثة والهولوكوست [422]

س

سالفاتوري كوازيمودو ومقاومة الفاشية [424] سان جون بيرس والغربة الأبدية [426] سان سيمون والاشتراكية المسيحية [428] ستندال والتحليل النفسي الواقعي [430] ستيفن كينغ وزعامة أدب الرعب [432] ستيفان زفايغ والعناق الأخير [434] ستيفان مالارمييه والكتابة للنخبة [436] ستيفن سبندر والحرية الفردية [438] سقراط وأسباب قبوله للإعدام [440] سكوت فيتزجيرالد والحياة الباذخة [442] سلمى لاغرلوف وروحانية القدس [444] سلمان رشدي وفتوى إهدار الدم [446] سنكلير لويس وإدمان الكحول [448] سورين كيركغارد والمعارضة ضد الكنيسة [450] سوفوكليس والتجديد المسرحي [452] سول بيلو والتأثيرات الدينية [454] سولي برودوم ومحاربة الرومانسية [456] سومرست موم وعلاقته بالمخابرات [458] سيرغي يسينين وبلاد الأوباش [460] سيغريد أونديست والخيانة الزوجية [462] سيغموند فرويد وتأسيس علم التحليل النفسي [464] سيلفيا بلاث والاكتئاب الحاد [466] سيمون دي بوفوار والوجودية النسوية [468] سينيكا الأصغر والفلسفة الرواقية [470]

ش

شارل بودليير وأزهار الشر [472] شارل ساندرز بيرس وتأسيس الفلسفة البراغمية [474] شارلوت برونتي وتحرير المرأة أدبيًا [476] شموئيل يُوسُف عجنون ودعم الصهيونية [478] شيموس هيني وانقسامات بلاده [480]

ص

صمويل بيكيت ومسرح العبث [482] صمويل جونسون وتاريخ النقد الأدبي [484] صمويل كولردج والبحار العجوز [486] صمويل هنتنغتون وصدام الحضارات [488]

ع

عزرا باوند وتأيد الفاشية [490]

غ

غابرييل غارسيا ماركيز والواقعية السَّحرية [492] غابرييلا ميسترال وانتحار الحب [494] غاستون باشلار وفلسفة العلوم [496] غراتسيا ديليدا والتحليل النفسي [498] غراهام غرين وكراهية أمريكا [500] غرهارت هاوبتمان وقلق المصير [502] غوتفريد ليبنتز والتمهيد للفلسفة التحليلية [504] غونتر غراس واتهامات مُعاداة السامية [506]

ف

فرانز فانون واستخدام العنف الثوري [508] فرانز كافكا ورحلة الكوايس [510] فرانس إيميل سيلانبا وحتمية القَدَر [513] فرانسوا رابليه والإبداع اللغوي [515] فرانسواز ساغان والحياة الفوضوية [517] فرانسوا موريك والكتابة الأخلاقية [519] فرانسيس بيكون وانحطاط الفلسفة [521] فرانسيس فوكوياما ونهاية التاريخ [523] فرانثيسكو بتراركا ودراسة الكلاسيكيات [525] فَرَجِيل وملحمة الإنياذة [527] فرجينيا وولف ورسالة الانتحار [529] فردريك ميسترال وإحياء اللغة [534] فرديناند دي سوسير وتأسيس علم اللغة الحديث [536] فرناندو بيسوا والأسماء المستعارة [538] فرنر فون هايدنستام وفرح الحياة [540] فريدريش شيلر وزُوج التاريخ [542] فريدريش هولدرلين وعالم الجنون [544] فريدريك إنجلز ومُساعدة ماركس [546] فريدريك جيمسون وتحليل الاتجاهات الثقافية [548] فريدريك شلايرماخر وفلسفة الهرمنيوطيقا [550] فريدريك شيلنغ وجدل اللاأنا [552] فريدريك نيتشه وفلسفة السوبرمان [554] فكتور هوغو وذاكرة البُؤساء [556] فلاديمير ماياكوفسكي وخَيبة الأمل [558] فلاديمير نابوكوف ورواية لوليتا [560] فلهم دلتاي وفلسفة الحياة [562] فواديسواف ريمونت وحياة الريف [564] فولتير وأسلوب النقد [566] فيديادار نيبول والعنصرية الدينية [568] فيديريكو غارثيا لوركا والإعدام رميًا بالرصاص [570] فيسوافا شيمبورسكا ولعنة الشيوعية [572] فيليب روث والرواية اليهودية الأمريكية [574] فيليب لاركن وكراهية الشهرة [576] فيودور دوستويفسكي والعذاب الإنساني [578]

ق

قسطنطين كفافيس وعدم نشر الأشعار [580]

ك

كارل بارت ولاهوت الجدل [582] كارل بوبر وفلسفة المنهج العلمي [584] كارل شبيتلر وتعدُّد الآلهة [586] كارل شميت وتأيد الدكتاتورية [588] كارل غيلوروب وعُقدة النقص

[590] كارل ماركس وانهيار الرأسمالية [592] كارل مانهايم وتأسيس علم اجتماع المعرفة
[594] كارل ماي والمغامرات الخيالية [596] كارلو جولدوني والملهاة الإيطالية الحديثة
[598] كارلوس فوينتس وتحطيم المقدسات [600] كارل ياسبرز والاتصال الوجودي الإنساني
[602] كارل يونغ وتأسيس علم النفسي التحليلي [604] كازوو إيشيغورو والنهايات المفتوحة
[606] كاميلو خوسيه ثيلا والسرققة الأدبية [608] كلود سيمون والرواية الجديدة [610] كلود
ليفى شتراوس والمنهج البنيوي [612] كليف ستيبزلر لويس والاهتمام بالأساطير [614]
كنزابورو أوي ومناهضة الأسلحة النووية [616] كنوت هامسون ودعم النازية [618] كولن
ولسون والدجل الفكري [620] كونفوشيوس والقيم الأخلاقية الشخصية [622]

ل

لوبي دي فيغا وارتجال الأشعار [624] لودفيغ فيتغنشتاين ومنطق اللغة [626] لودفيغ فيورباخ
والدفاع عن المادية [628] لورن دالمير وكتابة الموسوعة [630] لوي ألتوسير والشرح الجديد
للماركسية [632] لويجي بيرانديلو وفلسفة التشاؤم [634] لويس أراغون وعيون إلزا [636]
لويس فرديناند سيلين ولغة الشارع [638] لويس كارول والكتابة للأطفال [640] ليو تولستوي
وتعظيم النبي محمد [642] ليو شتراوس وإلهام المحافظين الجدد [644] ليون تروتسكي
والثورة الدائمة [646]

م

ماثيو أرنولد والتأرجح بين الشعر والدين [648] مارتن بوبر والتصوف اليهودي [650] مارتن
لوثر وتأسيس المذهب البروتستانتي [652] مارتن هايدغر ومأزق الوجود [654] مارسيل بروست
والزمن المفقود [656] مارسيل موس وظاهرة الهبة [658] مارغريت ميتشل و "ذهب مع الريح"
[660] مارك توين والسخرية اللاذعة [662] ماري شيلي ورواية فرانكنشتاين [664] ماريو
فارغاس يوسا والليبرالية اليمينية [666] ماكس شيلر وفكرة السلام الأبدي [668] ماكس فيبر
والأخلاق البروتستانتية [670] ماكس هوركهايمر والدور النقدي للنظرية [672] مرسيا إيلاد
وتاريخ الأديان [674] مكسيم رودنسون ودعم الحق الفلسطيني [676] مكسيم غوركي ورواية
الأم [678] موريس شليك وتأسيس الوضعية المنطقية [680] موريس ماترلينك وغربة
الروح [682] مولير والكوميديا المسرحية [684] مونتسكيو وروح القوانين [686] مو يان
ومداهنة السلطة [688] ميخائيل باختين وما وراء اللغة [690] ميخائيل شولوخوف والواقعية

الاشتراكية[692] ميخائيل ليرمنتوف و " بطل زماننا " [694] ميشيل دي مونتين وفن كتابة المقالات [696] ميشيل فوكو وعَدوى الإيدز [698] ميغيل أنخل أستورياس والاستبداد السياسي[700]ميغيل إيرنانديث وترنيمه البصل [702] ميغيل دي ثيربانتس ورواية دون كيخوتي [704]

ن

نادين غورديمير والتفرقة العنصرية[706] نجيب محفوظ وزعامة الرواية العربية [708] نعوم تشومسكي والتَّحو التَّوليدي [710] نورمان مالكوم وتطبيق منهج فيثغنشتاين [712] نورمان ميلر والعداء للصهيونية [714] نوفاليس وموت الحبيبة [716] نيقولاي بيرديايف وعبوب الفلسفة المادية [718] نيقولاي غوغول واللثة الدينية [720] نيكوس كازانتزاكيس وانتقاد الأديان [722] نيكولا ميكافيلي وكتاب الأمير [724] نيلي زاكس وذاكرة الهولوكوست[726]

هـ

هاروكي موراكامي والسَّوداوية المفرطة [728] هارولد بنتر وكوميديا التهديد [730] هاري مارتنسون وعشق الطبيعة[732]هالدور لأكسنس ورفض الرهينة[734] هانز غادامير وكتاب الحقيقة والمنهج[736]هاينريش بول وأدب الانقراض[738] هاينريش هاينه والمنفى الاختياري [740] هـربرت جورج ويلز وكثرة التنبؤات [742] هـربرت سبنسر وفكرة التطور [744] هـربرت ماركوز واحتجاجات الطلاب[746] هـرقلطس وتقديس النار [748] هرمان ملفيل وملحمة موبى ديك [750]هرمان هـسـه وذاكرة التمرد[752] هسيود والملاحم الشعرية [755]هنري برغسون وفلسفة الروح[757] هنري جيمس وزعامة الرواية الأمريكية [759] هنريك إبسن وزعامة المسرح الحديث [761] هنريك بونتويدان ومقاومة الطبقة[763]هنريك سينكفيتش وملحمة الماضي[765] هوراس وحب العاهرات [767] هوميروس وفن الملحمة الشعرية [769] هيباتيا والنهاية المأساوية [771] هيرتا مولر والاستبداد الشيوعي[773] هيلاري بوتنام والفعلانية المحدثة [775]

و

والت ويطمان وأوراق العشب [777] والتر سكوت وتأسيس الرواية التاريخية [779] وليام بتلر ويتس وذاكرة الأشباح[781] وليام بليك وكراهية الجنس[783] وليام جيمس والواحدية المحايدة [785]وليام شكسبير والشهرة الأسطورية [787] وليام فوكنر وذاكرة

الاغتصاب[789]وليام هازلت وفن المقال [791] وليام وردزورث وتجديد الشعر [793]وولي
سوينكا ومهاجمة الفساد[795] ويستن هيو أودن وزُوح الشك [797] ويل ديورانت وقصة
الحضارة [799]

ي

ياروسلاف سيفرت والحزب الشيوعي[801]ياسوناري كاواباتا وغموض الانتحار[803]يانيس
ريتسوس ومعاناة السجن [805]يوجين أونيل وقاع المجتمع[807] يوجين يونسكو والإيقاعات
المسرحية المتسارعة [809] يورغن هابرماس ونظرية فعل التواصل [811] يُوسُف برودسكي
ومُعَارَضة الاستبداد[813] يوكيو ميشيما ومجد اليابان الضائع [815] يوهانس فلهلم ينسن
وسقوط الملك[817]يوهان غوته وتقديس الإسلام[819] يوهان فيخته والمثالية الألمانية
[821]

823.....فهرس

832.....صدر للمؤلف

صدر للمؤلف

الدراسات الدينية :

- ١_ حقيقة القرآن
- ٢_ أركان الإسلام
- ٣_ النبي محمد
- ٤_ دراسات منهجية في القرآن والسنة
- ٥_ الإنسان والعلاقات الاجتماعية
- ٦_ بحوث في الفكر الإسلامي
- ٧_ منهج الكافرين في القرآن
- ٨_ التناقض في التوراة والإنجيل
- ٩_ صورة اليهود في القرآن والسنة والإنجيل
- ١٠_ عقائد العرب في الجاهلية

الأدب والثقافة والفكر :

- ١١_ فلسفة المعلقات العشر
- ١٢_ النظام الاجتماعي في القصيدة
(المأزق الاجتماعي للثقافة . كلام في فلسفة الشعر)
- ١٣_ صرخة الأزمنة (سفر الاعتراف)
- ١٤_ مشكلات الحضارة الأمريكية
- ١٥_ حياة الأدباء والفلاسفة العالميين

الشعر :

- ١٦_ الأعمال الشعرية الكاملة (مجلد واحد)

الرواية :

- ١٧_ أشباح الميناء المهجور
- ١٨_ جبل النظيف